اسم هذا الكتاب
عطية سبحانية وهدية
الهية من اول سورة الزلزلة
الى اخر المعوذتين فالمختصر من
الاول الى اخر سورة لايلاف ومن سورة
ارايت فبينهما ستة عشر فصلا من المجالس
الجنابية والمحافل الرحمانية فكل منها قائمة
مقام الالف نمة في النقول وعدة في العقول
غريبة في الترتيب قريبة الى مفهوم اللبيب عند ارباب
التاليف والتهذيب فعدد الاول والثاني
١٣٤
وعدد المجموع منهما
٦٣٧

من اراد ان يعرف مزيد
مسائله وغرر موهبته
فليطالع حق المطالعة
ويقف الى
اسراره
النادرة

من اصطلاحات الفقهاء

الفرسخ ١٢٠٠٠	ميل خطوه ٤٠٠٠	من درهم ٢٠٠
عقد ٦٠٠	والمد ٢٠٠	رطل ١٣٠ درهم
	كيلو	
صاع ١٠٤٠ درهم	مثقال ٢٠ درهم	قفيز ٢٠ درهم
	قيراط اربعة عشر شعيرا	

كذا في عطية الجنابية
٢٢٤

اللهم انا نعوذ بك ان نشرك بك شيئا نعلمه
ونستغفرك لما لا نعلمه رواه ابو موسى الاشعري
فمن الروايات يكفي بالقراءة العاجلة
في الغيوم والسائرة وانما
عليه رواية حد لقنقه
يكفي ثلاث مرات

فهرست كتاب عطية السبحانية

مبحث الدعاء [illegible] البلغة ١	مبحث ابتداء [illegible] سنة الكتب ٣	مبحث الاسم والمسمى هو عينه ام غيره ٨	مبحث متعلق باء البسملة من الافعال ١٠
مبحث اشتقاق لفظ الجلالة و [illegible] ١١	مبحث اشتقاق الرحمن والرحيم [illegible] ١٢	مبحث الاختلاف في البسملة [illegible] ١٣	مبحث سورة الزلزلة عند النفخة ١٤
مبحث [illegible] الكتاب و [illegible] ١٦	مبحث [illegible] ١٧	مبحث شهادة الارض والجوارح [illegible] ١٨	مبحث [illegible] النار [illegible] ٢٠
مبحث سورة والعاديات [illegible] ٢١	مبحث [illegible] الكتب ٢٤	مبحث [illegible] المصنف [illegible] ٢٥	مبحث سورة القارعة واحوال [illegible] ٢٦
مبحث [illegible] ٢٨	مبحث سورة التكاثر وحكاية [illegible] ٣٠	مبحث [illegible] ٣٣	مبحث سورة العصر وكيفية [illegible] ٣٤
مبحث [illegible] ٣٦	مبحث [illegible] العلم [illegible] والارادة ٣٧	مبحث الاشاعرة والائمة الماتريدية ٣٨	مبحث [illegible] ٤٠

مبحث [illegible] الامام [illegible] ٤١	مبحث [illegible] ٤٣	مبحث سعادة [illegible] ٤٥	مبحث [illegible] الارض [illegible] ٤٦
مبحث [illegible] ٤٨	مبحث [illegible] ٥٠	مبحث اهل الجنة [illegible] ٥١	مبحث [illegible] ٥٤
مبحث [illegible] ٥٧	مبحث [illegible] ٥٩	مبحث [illegible] ٦١	مبحث [illegible] ٦٢
مبحث [illegible] اهل الجنة [illegible] ٦٧	مبحث [illegible] ٦٩	مبحث [illegible] ٧١	مبحث [illegible] ٧٣
مبحث [illegible] ٧٧	مبحث [illegible] ٧٩	مبحث [illegible] ٨١	مبحث [illegible]
مبحث [illegible] ٨٧	مبحث [illegible] ٨٧	مبحث [illegible] ٩٠	مبحث [illegible] ٩٢
مبحث [illegible] ٩٦	مبحث [illegible] ٩٩	مبحث [illegible]	مبحث [illegible]
مبحث [illegible] ١٠١	مبحث [illegible]	مبحث [illegible]	مبحث [illegible]

مبحث ان الله يحب [illegible] ١٠٥	مبحث [illegible] الاعراف [illegible] ١١٦	مبحث [illegible] الجنة [illegible] ١١٧	مبحث سورة الفيل [illegible] ١١٩
١١٥ مبحث سورة الانفال [illegible] ١٣٢	مبحث الفصول [illegible] ١٣٤	مبحث المسجد الاقصى [illegible] ١٣٦	مبحث بناء الكعبة [illegible] ١٣٧
مبحث ان طواف [illegible] ١٣٩	مبحث الاستطاعة [illegible] ١٤١	مبحث النسل [illegible] ١٤٥	مبحث ان النبي [illegible] ١٤٨
مبحث النفس [illegible] ١٥٠	مبحث [illegible] الارحام ١٥٢	مبحث كونه رحمة للعالمين ١٥٣	مبحث كنت اول الانبياء [illegible] ١٦٢
مبحث [illegible] ١٦٤	مبحث [illegible] السعد [illegible] ١٦٥	مبحث نور النبي خلقا اولا ١٦٦	مبحث قوله [illegible] ولد ١٦٨
مبحث [illegible] ١٧٠	مبحث الوادي [illegible] ١٧١	مبحث اخذ الميثاق ١٧٦	مبحث فضيلة القرآن ١٧٨
مبحث ابواب الجنة [illegible] ١٨٠	مبحث ولادة النبي [illegible] ١٨٢	مبحث مرضعات النبي ١٨٣	مبحث [illegible] ١٨٥
مبحث يحيى بن زكريا [illegible] ١٩٢	مبحث سجدة [illegible] ١٩٧	مبحث [illegible] ١٩٩	مبحث نكاح [illegible] ٢٠٠

فائدة [illegible] ٢٠٢	مطلب [illegible] ٢٠٥	مطلب [illegible] ٢١٣	مطلب تفسير [illegible] ٢١٦
مطلب مرتبة عمر بن الخطاب ٢١٢	مطلب ان الكفر على اربعة اقسام ٢٢٠	مطلب تجمع اهل المحشر يوم القيمة ٢٢٣	مطلب الغنائم والخيانة اليها ٢٢٥
مبحث بيان المذهب [illegible] اهل السنة ٢٢٩	مبحث من [illegible] ٢٣١	مبحث كتابة الحسنات [illegible] ٢٣٣	مبحث [illegible] ٢٣٦
مبحث [illegible] ٢٤٣	مبحث التقوى والادب [illegible] ٢٤٦	مبحث [illegible] ٢٥٠	مبحث [illegible] ٢٥٣
مبحث [illegible] ٢٥٨	مبحث من اطعم الطعام [illegible] ٢٦٠	مبحث الفصل [illegible] ٢٦٢	مبحث [illegible] ٢٦٦
مبحث [illegible] ٢٧١	مبحث [illegible] ٢٧٥	مبحث جواز صلوة الغائب [illegible] ٢٧٧	مبحث [illegible] ٢٨٠
مبحث مودة الآل [illegible] ٢٨٢	مبحث الفروق والمجتهدين [illegible] ٢٨٤	مبحث [illegible] البدع ٢٨٦	مبحث الفصل الثامن [illegible] ٢٨٩
مبحث [illegible] ٢٩١	مبحث [illegible] ٢٩٦	مبحث فرضية الصلوات [illegible] ٣١٠	مبحث [illegible] ٣١١

الفصل التاسع في فضل الاوراد فليطالع [illegible] ٣١٢	الفصل العاشر في فضل رمضان فليطالع ٣٣١	الفصل الحادي عشر في صوم ستة شوال فليطالع ٣٢٩	الفصل الثاني عشر في فضل ليلة القدر ٣٨٠
ابواب الجنة مفتوحة لليلة [illegible] و[illegible] الملائكة [illegible] ٣٢٤	حكاية ثعبان [illegible] على جبينهم فكانوا على صورة الخنازير ٣٢٠	في المنكرات الحادثة في ليلة القدر في صلوة النافلة ٣٢٧	تجسيم الاعمال الحسنة على صورة الحسنة وكذا السيئة على القبيح ٣٢٨
بحث لطيفة [illegible] في غيرها في قوله تعالى لعلكم [illegible] ٣٣٣	بحث طريقة الصوفية واصولها العشرة ٤٧٣	بحث ما يصدر الافعال من بني آدم على ثلثة اقسام ٤٢٨	بحث حكاية يونس عليه السلام مع قومه وابتلاع السمكة ٤٨٢
الفصل الثالث عشر ٣٨١	حكاية العرش الاعلى وحملة الملائكة بحرمة الشيخ ٤٨٨	بحث قوله العزيز أفمن شرح الله صدره وحصول النور ٤٨٩	بحث اخلاق اولياء الله عشرة ٤٩٩
بحث ان لله ملائكة يطوفون الارض في مجالس الذكر ٥٠٠	بحث لا يقبل الله عبادة اهل البدعة لا فرضا ولا نفلا ٥٠١	بحث رفع الصوت في الذكر أحرام أو مكروه على مذاهب الائمة ٥٠٢	بحث شرائط الدعاء وقبوله ٥٠٩
بحث قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله على مذهب الائمة ٥١١	بحث ان النبي اذا وقع بين الصوفيين [illegible] [illegible] ٥٢١	بحث اسلام وحشي الكلبي رض وما صدر منه ٥٢٥	بحث اضطراب [illegible] [illegible] ولها اربعة قوائم ٥٢٩

	الفصل الرابع عشر في وجوب الاضحية ٥٢٥		
	مبحث في علم الله الازلي وما في اللوح المحفوظ بحث عظيم يجب مطالعته ٤٣١		
	مبحث التادب مع عمر بن الخطاب في الادا[illegible] الجزئية ٤٥٥		
	الفصل الخامس عشر في مباحث الذكر و ادابه ولوازمه ٤٦٩		
	مبحث الاستثناء المتصل والمنفصل على مذهب الاشاعرة و المنصورية بحث عظيم ٥١٣		

الفصل السادس عشر في الصلوات الشريفة بالتعظيم والتكريم والمحبة والتوقير ٥٣١

بحث ان الرسول عليه اكمل الصلوات والتسليمات رأى ليلة المعراج مسجدا عظيمة وطيرا عظيما ٥٣٣

بحث معارضة السماء مع الارض وافتخار كل منهما ٥٣٥

بحث ترغيب الصلوات وخاصية الى امته وقصة ابي بن كعب ٥٣٩

بحث تبليغ الملائكة الصلوات الى قبره عليه الصلوة والسلام ثم يعرج الى العرش ٥٤٣

اعلم ان هذا الكتاب المبارك مشتمل على العلوم المتنوعة باثني عشر فنا من المنقولات دراية ورواية والمعقولات درايةً كل بحث منها اراء المتقدمين وافكار المتاخرين وبحر من المحيط ومنقح بزبر الاولين ومذهب بكتب الاخرين من اراد التعرف فليطالع دُرَرَه فيجده غرره

فالكل من المسائل من المنقولات المروية مضبوطة بناقلها ومحلها وكذا المعقولات وان كان ابتدائها من سورة الزلزلة الى المعوذتين لكن جميع آيات القرآنية اكثرها مندرجة فيها بالمناسبة بالبحث فالمأخذ معلوم من الديباجة المذكورة والاحاديث المنقولة مصرحة

اكثرها من كتب النسخة الامام يكتب فللاعتماد على ناقلها وما وقع من الابحاث والمحاكمة بينهما لمن التوفيق لها فصل الكلام هذا كتاب مبارك كثير التيمن والبركات وشفاء للناس فيه ايات بينات لمن عظمه عظم صاحب الايات والاحاديث ومن لم يعرف ولم يعظمه

فهو يقصر في التعظيم اذا الكل من الله العلي العظيم لمن عرف قدره لم يجحد لم يتعد طوره والله الهادي الى الصراط المستقيم والحمد لله رب العالمين

بحث سورة الماعون ٥٤٥

بحث انواع الصلوة سواء كان فرضا او نافلة ٥٥٠

بحث تعديل الاركان في الركوع والسجود والقومة والجلسة ٥٥٢

بحث اضاعة الصلوة وتكاسلها وعدم اقامتها وعذابها ٥٥٩

بحث ان للصلوة شروطا باطنة وشروطا ظاهرة ٥٦٧

بحث لتارك الصلوة خمسة عشر بلاء وعذابا ٥٦٨

بحث ثواب الجماعة والجلوس في المساجد ٥٧١

بحث صلوة الوتر وله ثلث كرامات ٥٧٣

ان المؤمن اذا صلى اخذ شمائل الى حضور رب العالمين ٥٧٤

بحث ان اهل الجنات يجلسون اربعين سنة ٥٧٨

بحث صلوة الجمعة وثوابها وسعيها وسننها ٥٨٨

بحث ثواب الدعاء بعد الجمعة وقطع العطش وصلوة التهجد ٥٩٠

بحث صلوة التسبيح وثوابه ومغفرته ٥٩٦

بحث سورة الكوثر مع تفصيله ٥٩٧

بحث سورة قل يا ايها الكافرون ٦٠٠

بحث سورة النصر مع فتوحات مكة وايمانهم جميعا ٦٠٣

بحث سورة تبت مع محاربة ابي لهب وامراته ٦٠٩

بحث سورة الاخلاص وفيه احاديث كثيرة لا يوجد في غيره ٦١٢

بحث سورة الفلق مع بيان السحرة ٦١٩

بحث سورة الناس مع تفصيله ٦٢٧

هذا كتاب الموهبة المفصّلة الإلهية والعطية
السبحانية في علم التفسير القرآنية من التفاسير
المقبولة في العلوم النقلية والفنون العقليّة
للشيخ يوسف المنطقي
من مشايخ السلاطين

في الدولة العليّة والسعادة العثمانية صانها الله تعالى
عن البليّات الجليّة والخفيّة وفي هذا الكتاب المبارك
شفاء للناس لمن مرض واحتاج الى المعالجة
اذ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية
المذكورة صحيحة الأسانيد متصلة الى
صاحبها لمن نوى بالنية الخالصة
والصدق الظن الواجب الى صاحبهما
وعمل وقرأ بما فيه من الواحد
أو الأكثر عليه وقرأه على المريض
شفاه الله بشفائه
وأذنت له فيه
مأذون لغيره

بارك الله لمن له وشفاه لعلته
بشفائه العاجل وليدع هذا
الفقير بقراءة الإخلاص
الثلث مع الفاتحة
فيشاهد مرامه وشرطه
الصلوات العشر
على النبي المختار
عليه صلوات
الجبار
وغفرانه
الغفار
جل
جلاله

لمن اعتقد بالأحاديث الصحيحة المذكورة في هذا
وصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عشر
صلوات وقرأ الإخلاص الثلث مع الفاتحة
فأهدى الى روحه الطيب مع ذكر روح
الفقير بعده نال مرامه فضلا عن وجود
هذا الكتاب في بيته تيمنا وصحة وشفاء
لمن وجد في هذا البيت من العيال
والأولاد وغيرهم مجرّب
محقق ومشاهد

هذا كتاب لو يعدله القيمة
هذا بالنسبة لمن عرف
القيمة رحم الله لمن عرف
قدره وقدر ما يقوم أهل
القيمة

هذا الكتاب كتاب مبارك من علم التفسير المسمى بالموهبة المفصلة الإلهية والعطية السبحانية
فيه درر اللطائف والجمعية المتدرجة فيها الحقائق وفيها [illegible] بليغة ومنافع وفيرة وفوائد عديدة
وفيها بحار لطيفة وقواعد عميقة فيها جواهر [illegible] لا يعرفها الا الباحثون ومواد كثيرة لا يبصرها
الا الواقفون من العلوم النقلية والفنون العقلية فلا يملكها الا المجاهدون
ومعفوت [illegible] الله الفقير لا عفو ربه المنطقي الشهير بين الأمثال
الشيخ يوسف بن [illegible] من مشايخ الدولة العلية وأحد سلاطين الجليلة صانها الله تعالى
عن الآفات الجلية والعاهات الخفية وأعظم في جامع أبي الفتح السلطان
محمد خان عليه الرحمة والغفران غفر الله له ولوالديه ولمن دعى له
ولجميع المؤمنين شرقا وغربا بعدا وقربا من أمة محمد وشفاعة للمسلمين

T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KÜTÜPHANESİ
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı 145

RAĞIP P.
Ka. Nu.
197
198

198

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده ● الذي هو يليق بذاته ● فهو الأول
القديم ● الواجب الوجود بلا ابتداء ● والآخر الكريم
الوهاب الودود بلا انتهاء ● لم يزل بصفات الكمال ●
ولا يزال بجلال الجمال ● المنزه عن النقايص والزوال ●
فسبحان الذي بيده الملكوت ● وفي حكمه الفلكوت ●
فتقرب من أطاعه مرفوعا في الجنات العاليات منصوبا بها
وتبعد من طغى مجرورا في الدركات السافلات ●
مجزوما بها ● في القضية التي هي ذات الصغرى ●
بوعده الموعود ● وفي الماهية التي هي المسندات
الكبرى ● بوعيده الموجود ● فالله سبحانه عند ظن
عبده ● إن ظن خيرا فله ● وإن ظن شرا فله ●
يفعل ما يشاء ● ويحكم ما يريد ● ولا يخلف وعده

بجاب

قوله والقضية التي هي ذات الصغرى وهو عبارة عما بينه الله تعالى في كتابه العزيز لعباده المؤمنين والكافرين في الدنيا الدنية الصغرى من الوعد والوعيد لمن آمن واتقى وكفر وطغى كما أن الماهية عبارة عما يقابل الإيمان لمن آمن والكفر لمن كفر في القيمة الكبرى بالنسبة إلى الدنيا والعمل فيها ولا جر والجزاء فإن الجزاء فيها أكبر من جزاء الدنيا بالعمل فيها خيرا أو شرا منه

قوله فالله سبحانه عند ظن عبده فيه تلميح إلى الحديث الصحيح الذي رواه واثلة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيرا فله وإن ظن شرا فله رواه إمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه وغيرهم منه

بما شاء ● ويريد ما يريد ● وهو الغفور الرحيم ● لعباده
المؤمنين ● خاصة لأضعفهم ● ممن يرجوا نعمائه ●
وإحسانه منهم ● والصلوات الدائمة بدوام الله جلت قدرته
والسلامات القائمة بقيام الله علت عظمته ● بأنواع ●
التعظيم اللائق ● وأصناف التفخيم الفائق ● على أشرف
مظاهر الحق ● وأكرم مكارم الخلق ● نبي الرحمة ● وشفيع
الأمة ● سيد الأنبياء المرسل بالشريعة الغراء ● وسند
الأصفياء ● المبعوث بالحنيفية البيضاء ● الناسخة
بجميع الكتب المنزلة من السماء ● محمد المبعوث بالهدى
بأنواع المعجزات ● ومصطفى المبرور ● ومجتبى المشكور ●
بالبشرى ● بأصناف الدرجات ● لأمته المغفورة ●
وجماعته المعفوة ● المنصورة إلى يوم القيام ● مر الشهور
والأيام ● وسر الدهور والأعوام ● وعلى آله وأصحابه
وأتباعه وأشياعه ● وأصهاره وأنصاره ● الطيبين
الطاهرين المخلصين ● المتقين الطاهرين المحسنين ●
وعلى من تبعهم من التابعين إلى يوم الدين ● من إخوان المؤمنين ●
رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ● اللهم اجعلنا من الزمرة
الواصلين ● إلى مطالبهم ● والعمدة الكاملين بمناصبهم
كما هو عطاؤك القديم في ثلة عظيم وبعد فيقول العبد
الضعيف ● المحتاج إلى كرم ربه اللطيف ● الشيخ
يوسف المنطقي ● بن عثمان الاسكليبي ● تولدا والاسلامبولي
توطنا الشهير بين الأصدقاء ببدر سعام ● زاد الله عزته
في الدارين ● ما دامت الأيام في الأنام ● والشهور والدهور

قوله خاصة لأضعفهم المراد منه المؤلف نفسه هضما لنفسه وربطا تكريما لربه في زي التذلل ونفيا للاستكبار في التعزز لأن العزة لا توجد إلا في هذه الدرجة فلا يجتمع بينهما لأنهما من الأضداد كالماء والنار والكفر والإيمان والمحبة والعداوة والشجاعة والسخاوة والعبادة والقباحة والفقر والديانة والصفاء والفتنة والجفاء منه

قوله الاسكليبي وهي بلدة عظيمة من بلاد الأناطولي مسقط ابن السعود صاحب التفسير كثير البيان والكرم وفيه العلماء والفحول في نشر العلوم من النقلية والعقلية [illegible] إلى [illegible] أماسية [illegible] تعالى عن الحنفية والحنابلة منه

والاعوام من شيوخ السلاطين في الدولة العلية
العثمانية صانها الله تعالى عن البلايا الخفية والجلية
خادما في الشريعة الالهية والسيرة المحمدية في الصبح
والمساء وملازما في الوديعة والطريقة البيضاء
الحنفي مذهبا والتقي مشربا اكرمه الله بانواع العنايات
في الجنان العاليات واصناف السعادات بدوام
النظرة في الجمال والنضرة والسرور على الكمال
مع الذين انعم الله عليهم من اخلص الاصدقاء من المؤمنين
واعزة الاحباء من الصديقين ان فنون العلوم كثيرة
وعيون الفنون وفيرة لا تسع في ميزان العقول
الا باعانة الجليل ولا تجري في ميزاب النقول الا بعناية
الجميل فللرجال نصيب مما ترك العلماء من الكرامات
العلية للفضلاء فالدولة الابدية والسعادة
السرمدية لمن اشتغل بمشغولاتهم وفارس
مضمار التاليف بمطالعة آرائهم وافكارهم وحاز
قصبات السبق في ترتيبهم وترصيفهم وجامع غرر
فوائد العلوم النافعة ببيانه الشافي وناظم درر
عوائد الفنون الشافية ببنانه الكافي فادرك دراية
من سبق من المشاهير ورواية من ابق من الجماهير
فهذه العناية العظمى والكرامة الكبرى لا يتيسر
الا لمن خاف مقام ربه وملام خلقه في الدنيا الفانية
والعقبى الباقية فتضرع مولاه منيبا اليه وابتكى
وتاب لديه ولقد واقفت كيفيات الايام والشهور

والانام

والانام والاعوام والدهور متداولة مر السحاب
وكميات الاثام والقصور المتعاقبة سر العرايش من الاحباب
مسؤولة من الدقايق في الاعمال والحقايق في الاحوال
من النعم الظاهرة والنيم الوافرة ولنعم الرجال ثلة
من الاولين حيث اغرسوا الاشجار المثمرة شاكرين على
النعم الوافية وثلة من الاخرين بحيث حصدوا المزرعة
وافرين على النيم الكافية ونصبوا ورائهم بدلا من انفس
النفيسة وخلفوا من خلف الخليفة فصاروا كانهم
في حيوة طيبة فلا ينقطع اعمالهم كما في الايام الخالية
مع الحيوة الابدية وتسلسلوا في الاثار الثلاثة فتاملت
في الاحوال المتفرقة وتفكرت في الاهوال المتشتتة وحالاتهم
الجليلة المنتظمة هل يستوي الاعلى مع الادنى في المعاملة
والاقوى مع الابكى في المفاعلة مع ان الاعمار تمر مر
السحاب قاصرة ماضية والدنيا تسير سير مضمر
الدواب فانية جامدة والعقبى باقية نامية فيلزم
من الزواد لتلك الديار كما لزمت في الديار الاولى للعقلاء
من الاخيار فامضيت عنفوان شبابي في الفنون العقلية
والعيون النقلية فقضيت وطري وارويت بمائه
وتموجت اغصان الحداثة على نمائه وبدور الآمال الطالعة
مسفرة ووجوه الاحوال ضاحكة مستبشرة وبهجة
الفضل معززة الاكناف ولهجة العقل ممطورة الاطراف
فسترت الجواد المضمر في الجنان طلبا لاثمارها وفتشت
اللوازق في قنن الاعيان كشفا لازهارها واسرارها

فاستادها • فوجدت من بينها علم التفسير • الذى هو الدال
على علم الله الازلى القدير • مأذوناً من الاساتذة العلامة •
من العلوم النقلية والفنون العقلية • من الكتب الستة المعتبرة
بين العلماء المحدثين • والفضلاء المفسرين • من عظماء اهل
السنة • ونجباء اهل الجماعة • جعل الله مراقدهم بما وهبوا
بهجة وسروراً • ومضاجعهم بما كسبوا جنة وحريراً • وسقيهم
ربهم شراباً طهوراً • وجعلنا رفيقهم فى الفردوس الاعلى •
بحرمة من هو الاسنى • واسمائه الحسنى فاخترت الخليفة
الفائقة • والزخاير الباقية • مذكراً من ورائى • ومدعيا
الى من ورائى • بتذكير الادعية • والتشكر فى النعم الجلية •
ليوم لا ينفع فيه الاولاد ولا الاموال • الا من اتى الله بحسن
الانتساب • واحسن الاعمال • فشمرت اذيالى • وتادبت
بحالى ومالى ان انصب خليفتى من علم التفسير الذى هو الباحث
عن ذات الله الكريم • وصفاته القديم القدير • المشتمل لجميع
العلوم والفنون • اشتمال الكل على اجزائه نحو البحر على اقطاره
بحر عميق لا يدرك قعرها • ولا يترك دُرّها • فلا يخلو
السابح عن فوائد الياقوت واللعل والزمرد الاخضر والجواهر
والمرجان الاحمر • فى الايام والشهور • والاعوام والدهور
آناء الليل والنهار • فضلا عن المحيط من الانهار •
فاشتغلت مدة شبيبتى حقايق لججه • وتوغلت دقايق
لججه مع المذاكرة والمباحثة • والمجادلة المباحة •
اظهاراً للصواب المقبول • وايصالاً الى الثواب المأمول •
شاكراً على النعم الجليلة • مشتملاً على الفوائد العلية •

اذ لا يؤدى شكر الشاكر الا بالمناسبة • كما يؤدى الزكوة بالمعاونة
فالفت هذه التحفة الجلية • من التفاسير المرغوبة بين العلماء
والمقبولة بين جماهير الفضلاء • اللايق تسطيرها بالاقلام
من الذهب الفائق تقريرها باتفاق زبدة اهل السنة وعمدة
اصحاب المذهب • من المعالم والكواشى • والوسيط البسيط
والقاضى • والعيون للشهاب السيواسى ومن تفسير ابى السعود
العمادى • ومن حاشية شهاب الدين القوجوى على القاضى
وانوار التنزيل لخاتم المحدثين لعلى القارى • ومن تفسير
امام الهدى ابى الليث السمرقندى • ومن التيسير لابى المعين
عمر النسفى ومن تفسير المدارك للعلامة احمد النسفى ومن
تفسير ابن الترجمان الارزنجانى • وامثالها من المعتبرات
عندهم • ومن المعتمدات لديهم من الاحاديث النبوية •
مصححة عند كبار الائمة الستة • من الكتب الستة •
متصلاً سندى الى مسندهم • وسلسلتى الى سلسلتهم
واما صحيح مسلم فاروية عن شيخ الشيوخ شيخى •
وسندى • وحجتى محمد العلامة فى العلوم النقلية والعقلية
ثقة من اشهر الثقات • وآية من الايات وسر من اسرار
الربانى • والعامل السبحانى • الكاشف من معضلات
المباحث • ومبهمات مشكلات المنافث كشاف المغلقات
ولايته ظاهرة وكرامته باهرة • لكونه فرد من الافراد
واحد من الاحاد • وهو كالروح فى الجسد المدعو بابن
همات الشامى • جعل الله مرقده الجنة • جزاء بما حصلوا
بما نشروا بالنعم الابدية • والسعادة السرمدية وهو يروى

وهو يروى عن شيخه عبد الله بن سالم البصري ساكن حرم الله
وهو يروى عن الشيخ شمس الدين محمد بن علاء الدين البابلي
قال حدثنا ابو النجا سالم السنهوري قال حدثنا الشيخ المسند
النجم الغيطي قال حدثنا شيخ الاسلام القاضي زكريا قال
اخبرنا الحافظ ابو نعيم رضوان بن محمد العقبي قال حدثنا الشيخ
محمد بن عبد اللطيف بن الكويك قال اخبرنا ابو الفرج عبد
الرحمن بن عبد الحميد بن عبد الهادي الحنبلي وهو عن الشيخ
ابي العباس احمد بن عبد الدائم النابلسي وهو عن محمد بن
صدقة الحراني وهو عن الشيخ فقيه الحرم ابي عبد الله محمد بن
الفضل بن احمد الفراوي وهو عن الشيخ ابي الحسين عبد الغافر
بن محمد الفارسي وهو عن الشيخ ابي احمد محمد بن عيسى
الجلودي النيسابوري قال انبانا ابراهيم بن محمد بن السفيان
وهو يروى عن امير المحدثين امام اهل السنة ومقتداء
الامة والجماعة الشيخ الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري
النيسابوري مؤلف صحيح مسلم رحمهم الله تعالى رحمة
واسعة وادخلهم في الفردوس العالية **واما صحيح
سنن ابي داود** رح فاروية عن شيخ الشيوخ حجتي وسندي
محمد بن حسن بن همت الشامي عليه رحمة الباري وهو قال
اخبرنا القاضي تاج الدين محمد بن عبد الله المفتي بمكة المكرمة
الحنفي مذهبا وهو قال اخبرنا الشيخ الحسن المكي وهو يروى
عن الشيخ الاسلام صفي الدين احمد القشاشي المدني وهو
يروى عن الشيخ محمد الرملي انه قال اخبرنا الشيخ في الاسلام
القاضي زكريا الانصاري قال انبانا الشيخ عز الدين

عبد الرحيم

عبد الرحيم المعروف بابن الفرات القاهري الحنفي قال اخبرنا
الشيخ الحافظ ابو حفص عمر بن محمد بن طبرزد البغدادي
قال حدثنا الشيخان ابراهيم بن منصور الكرخي وابو الفتح مفلح بن
احمد الرومي سماعا وهما قالا انبانا الحافظ الكبير ابو بكر احمد بن
علي بن ثابت الخطيب البغدادي قال حدثنا ابو عمر القاسم بن
جعفر الهاشمي قال حدثنا ابو علي محمد بن احمد اللؤلؤي قال حدثنا
المؤلف الحافظ امير المحدثين ابو داود سليمان بن اشعث
السجستاني نور الله مرقدهم بانوار الاحاديث الصحيحة ودرجاتهم
الرفيعة في الجنان العلية وجعلنا رفيقهم من الحوض المودودة
والفرش المرفوعة **واما صحيح سنن جامع الترمذي**
ابي عيسى الحافظ امير المحدثين من حفاظ الدين فانا ارويه
عن شيخي وروحي في جسمي محمد بن حسن بن همات الشامي
عليه رحمة الباري قال اخبرنا الشيخ تاج الدين اجازة
بسنده الى الشيخ ابي حفص عمر بن محمد بن طبرزد قال
انبانا ابو الفتح عبد الملك بن ابي القاسم الكروخي وهو يروي
عن الشيخ ابي عامر محمود بن ابي القاسم الازدي قال انبانا
ابو محمد الجبار بن محمد بن عبد الله الجراحي المروزي قال
حدثنا الشيخ الثقة الامين ابو العباس محمد بن احمد بن
محبوب بن فضل التاجر المحبوبي قال اخبرنا امير الحفاظ
من المحدثين مؤلف الجامع السنن ابو عيسى محمد بن عيسى بن
سورة الامام الحافظ الترمذي رحمهم الله تعالى وغفر لهم
وادخلهم في رضوانه الاكبر معنا ومع اخوان المؤمنين
اجمعين **واما صحيح الامام النسائي امير حفاظ**

قوله ابو حفص وهو اسم مائل للاسد كالقطنفس كنى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عمر بن الخطاب في غزاء البدر بابي حفص لشاهتي قتاله بين المشركين وشبهه بالاسد فكانه الاسد ولذا كناه بابي حفص وبعد هذه الكنية سمي عمر بن الخطاب بنته حفصة وهي ثانيت المفضل زوجها له صلى الله تعالى عليه وسلم في المدينة المنورة

الاحاديث النبوية فانا ارويه عن شيخي وافضل استاذي
الشيخ الفائق امثاله محمد بن حسن المعروف بابن الهمات الشامي
رحمه الله تعالى وعامله برضوانه وغفرانه قال حدثنا الشيخ
تاج الدين وهو قال اخبرنا الشيخ العالم محمد بن محمد بن محمد
الدمياطي المعروف بالصوفي المصري بروايته عن الشيخ ابي
الضياء نور الدين بن علي الشبراملسي قال اخبرنا الشيخ البرهان
ابراهيم اللقاني وهو يروي عن الشيخ سالم السنهوري وهو
يروي عن الشيخ نجم الدين الغيطي وهو يروي عن شيخ
الاسلام القاضي زكريا الانصاري وهو عن الحافظ بن حجر
القسطلاني وهو يروي عن الشيخ ابي الحق ابراهيم بن احمد التنوخي
قال اخبرنا الشيخ ايوب بن نعمة النابلسي قال انبانا
الشيخ اسمعيل بن احمد العراقي قال اخبرنا الشيخ عبد الرزاق
بن اسمعيل القومسي قال اخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن محمد
الدواني قال انبانا ابو نصر احمد بن الحسين القاضي الدينوري
المعروف بالكسار قال حدثنا الحافظ ابو بكر احمد بن محمد بن
اسحاق القاضي الدينوري المعروف بابن السني قال اخبرنا
الحافظ ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب امير المحدثين صاحب
السنن النسائي شكر الله سعيه وغفر الله ذنبه ويسر لنا
شفاعته ورفاقته • في الجنان العاليات • في الدرجات
الرافعات واما صحيح سنن ابن ماجه من اصحاب
السنن الاربعة فانا اروية اجازة عن افضل شيوخ
الازمنة كالشمس في وسط الائمة استاذنا واستاذ الجماعة
في الدراية والرواية الشيخ محمد بن حسن المعروف بابن الهمات

الشامي

الشامي عليه الرحمة والغفران • والرضوان في الجنان
وهو قال اخبرنا الشيخ تاج الدين سماعا والسند له الى الحافظ
بن الحجر القسطلاني قال اخبرنا الشيخ الحسن بن ابي المسجد
الشامي راويا عن ابن العباس الحجار وهو يروي عن الحبيب
بن ابي السعادات قال انبانا ابو زرعة المقدسي قال
اخبرنا ابو منصور القومي قال انبانا ابو طلحة الخطيب قال
انبانا ابو الحسن القطان قال انبانا مؤلف السنن امير المحدثين
الحافظ ابو عبد الله محمد بن ماجه رحمهم الله تعالى رحمة واسعة
في الجنان العالية • في الدرجات الرافعة معنا ومع العلماء
المتقين • من امة محمد صلى الله تعالى عليه وعلى جميع
الانبياء والمرسلين وعلى من تبعهم من المؤمنين • الى يوم
الدين رضوان الله علينا وعليهم اجمعين واما صحيح
البخاري امير سلطان المحدثين من ائمة الحفاظ
من المعدودين الجعفي فانا ارويه عن شيخ الشيوخ زبدة
المحدثين • وعمدة المفسرين امام في اصول الدراية • وهمام
في وصول الرواية سند السعادات ومسند اصحاب الروايات وهو
شيخي وروحي في جسمي الشيخ محمد بن حسن المعروف بابن
الهمات اعلى الله درجته في الجنان • وسره بالروح والرحمة
والغفران ويسر لنا شفاعته ورفاقته في نظرة الجمال •
مع النضرة والكمال • قال اخبرنا عبد الله بن سالم البصري
ساكن حرم الله قال اخبرنا الشيخ شمس الدين محمد بن علاء
الدين البابلي قال اخبرنا ابو النجاء سالم السنهوري قال
اخبرنا الشيخ المسند النجم الدين الغيطي قال حدثنا شيخ

الاسلام القاضي زكريا قال حدثنا شيخ السنة الحافظ ابن
حجر القسطلاني قال انبانا الاستاذ ابراهيم بن احمد التنوخي
قال انبانا ابو العباس احمد بن ابي طالب الحجار قال انبانا السرج
الحسين بن مبارك الزبيدي الحنبلي قال اخبرنا ابو الوقت عبد
الاول بن عيسى بن شعيب الهروي وهو يروي عن ابي الحسن
عبد الرحمن بن محمد الداوودي وهو يروي عن ابي محمد عبد الله
بن احمد السرخسي قال انبانا محمد بن يوسف بن مطر
الفربري قال حدثني امير الامة وسلطان الائمة
من اهل السنة وعمدة الجماعة مؤلف صحيح البخاري محمد بن
اسمعيل بن ابراهيم بن مغيرة بن بردزبة الجعفي الحنبلي
مذهبا انه قال حدثنا مكي بن ابراهيم قال حدثنا يزيد بن
عبيد قال اخبرنا سلمة بن الاكوع رضي الله تعالى عنه وعن
الائمة من رواة المحدثين انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من يقل علي ما لم اقل فليتبوأ مقعده
من النار وفي رواية اخرى عن البخاري رحمه الله عن عبد الله
بن عمر رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
وسلم بلغوا عني ولو آية فاذا ذكرنا شيئا في كتابنا هذا خارجا
عن الكتب المذكورة اوردنا اسم الناقل في تلك المسائل
تصحيحا لما قلناه تاييدا بما نقلناه خوفا من العذاب
الشديد وكرها من مقعد النار العتيد فجاء الموهبة
الالهية بحمده على هذا المنوال مصباحا وسراجا على العتاب
ومفتاحا لجاجا الى فتح الابواب بحيث يفصل الجملات
ويبين المعضلات مع تدقيق المعاقد وفوق ما يراد ٦

وتحقيق

وتحقيق المقاصد فوق ما يعتاد وتحرير المسائل حسب
ما يراد ولا يزاد وتقرير الدلائل بحيث لا يصاد ولا يصاد
بالفاظ تنفتح بها الاذان وتنشرح الصدور وتنعطر
بالانهار والازهار جبال وصخور فانها نور على نور
يهدي الله لنوره من يشاء ممن هو مستعد في الازل بما شاء
وان كانت الايام تتصرف في الدهور والاعوام تتحول وتحرف
في الشهور والدهر يشكو وينكر والعقل يضحك ولا يشكر
لمرور التجربة وكرور التجربة ولا نعاب الايام الخالية
فهل ترى لهما من باقية الا من اراده الله بعنايته الازلية
وهدايته الابدية فسبحان الذي بيده ملكوت كل الاشياء
فلا يسئل عما يفعل في الارض ولا في السماء كما ستقف
على ما قلناه هدية لابناء جنسي من العلماء الكرام ووسيلة
لادعية اصدقائي وتلاميذي من المشايخ العظام فحمدا
لله المتعال كنت داخلا في خدمات الشريعة المحمدية
والسيرة الاحمدية والملة الحنيفية من مذهب زبدة
اهل السنة ومشرب عمدة اصل الجماعة من الاسوة
الحسنة والسنة السنية مستميا بالموهبة المفضلة
الالهية والعطية السبحانية في علم التفسير القرآنية
محاكما بين الادلة السمعية بما وقع فيه الرجحان عند
ارباب الدراية في العلوم العقلية واصحاب الرواية
في الفنون النقلية بما ادركني الله تعالى اشانه واياهم
مقدار المجاهدة بما وسعني ومدة المناظرة بما وهب لي
فالهدية الموافقة على قدر المهدي والادعية الخيرية

على مقدار المدعى • فكل ما جاء من نعم الله سيان شكرها • اصالة
كانت او تبعية فيها • فمن شكر فانما يشكر لنفسه فكان من الشاكرين
ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وكان من الماكرين • فالشكر
الممدوح ما يناسب النعم الحالية من اخلاص المخلص من الفاتحة
الى النهاية فاعلموا ايها الاخوان ان كتابى هذا كنوز مخفية لا يطلع
جواهرها الا من طالعه من اوله الى آخره ورموز متفننة لا يعرف
قدر لآليها الا من مارسها فى بهائها وصفائها وتال مرامه •
من عمل بما فيها من المسائل الصحيحة من الفنون الاصولية الكلامية
والعيون الصافية الوافية لمن درسه ومارسه من الابتداء •
الى الانتهاء فكان كمن سبح بحر المحيط • ووقف على الدرر اللامعات
والجواهر القيمات • والاشفية الطيبة بالنية الخالصة •
فكان من المنجيين من داء الدارين الى دواء الثقلين بعنايت الملك
المعين • فاذنته بهذه السندات من اصحاب الكتب الستة الذى يروى
فردا فردا • بالعمل والاذن لمن يطلبه من هذه السلسلة المذكورة المربوع
فى هذه الموهبة الالهية فمن اراده فليستجز فيرى • ما رآه
المحدثون • ثم ليشرع هو موفق ان شاء مولكيه فاذنى له يفيد
فائدة النور كالشمس على اهل الارض ثم ليدع لهذا الفقير •
فى سنداته الموصولة الى الراغبين • اللهم بارك لمن استفاد
من كتابى وطلب هذا واذن من سنداتى كما باركت على صاحبيهم
اجمعين • من ائمة المحدثين • فرضى الله تعالى عنا وعن والدينا
واساتيذنا وشيوخ شيوخنا واحبائنا واصدقائنا وعمن دعانا
واكرمنا بقراءة الاخلاص والفاتحة • بنية نيل الشفاعة •
والرحمة فمن رحم رحم • ومن لا يرحم لا يرحم • ومن الله التوفيق •

فهو

فهو نعم المولى ونعم الرفيق • واليه ترجع الامور • وهو نعم المولى
ونعم المصير • فى يوم العسير • اللهم اجعل سعينا مشكورا
وذنبنا معفوا ومغفورا • واجعل خليفتى هذه سبب الرضا والغفران
يوم لا ينفع جمعية الملوك من الانس والجان • وبقية اعمارنا آلة
لدرجات الجنان فى الخيرات الحسان كل ايام وشهور وآن •
واعوام ودهور مع الاحسان • ما دمنا فى الحيوة الطيبة وعاملنا
بالنفس المطمئنة • واختم لنا آجالنا بالسعادة العظمى بالارتحال مع
نعمة الايمان ودولة الاسلام والزيادة الكبرى واحفظنا
من شرور اعدائنا واعدائك واصبب علينا سجال عفوك واحسانك
واجعل التقوى زادنا وزيادتنا فى دينك واعتمادنا وتوكلنا
عليك • اللهم ثبتنا على نهج الاستقامة واعذنا من موجبات •
الندامة • وارزقنا عيشة الابرار واكفنا واصرف عنا شر
الاشرار • اللهم انا نسئلك من النعمة اتمها ومن العصمة ادومها
ومن الرحمة اشملها • ومن العافية اعقبها واقربها • ومن العيش
ارغدها ومن العمر اسعده ومن الاحسان اتمه • ومن الانعام
اعمه • ومن الفضل اعذبه ومن اللطف انفعه • اللهم انا
نسئلك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة واحسن
عاقبتنا فى الامور كلها واجرنا من خزى الدنيا والآخرة • اللهم
انا نعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاة نقمتك
وجميع سخطك • اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولاساتيذنا •
ولاخواننا ولاقربائنا ولاصدقائنا ولاحبائنا ولشركائنا ولتلامذتنا
مبيدينا ولمن اعاننا واكرمنا ولمن له حق علينا ولمن دعانا بالخير •
والسعادة فى الدنيا والآخرة ولمن طلب دعانا ولاخواننا الذين

سبقونا ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا انك لانت السميع
الدعاء ● ولعتق رقابنا ورقابهم من النيران وارزقنا بلقائك
وجمالك يا ديان ● واسكنا فى الدرجات العاليات من الفردوس
الاعلى ● بفضلك وكرمك الواسع الاعلى وعناياتك واحسانك
يا رب الاعلى يا عزيز يا غفار ● يا رحيم يا ستار العباد لديك
ولا ملجاء ولا مصير الا اليك ارحمنا يا ارحم الراحمين خاصة
على هذا العبد الضعيف ● واكرمنا يا اكرم الاكرمين ● عامة على
المتضرع لهذا التأليف ● فانصرنا فى الدارين واجعلنا من المسرورين
من الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم **شعر**

الهى انت ذو فضل ومن ... وانى ذو الخطايا فاعف عنى
فظنى فيك يا رب جميل ● فحقق يا الهى حسن ظنى ●

اللهم افعل بنا ما انت اهله من العفو والمغفرة والرحمة الواسعة
ولا تفعل بنا ما نحن اهله فانا من عبادك المذنبين المتبعين
وانك لعفو الغفور ذو الرحمة الواسعة برحمتك يا ارحم الراحمين
ويا اكرم الاكرمين ●

بسم الله ●

اختلف العلماء وتشتت الفضلاء من السلف والخلف رحمهم فى هذا
الاسم العلى الاعلى ● ما هو اهو المسمى ام غيره وتطاول الكلام ●
وتجاول المقال فى اداء المرام ● وخلف الخلف ● فى مقام السلف ●
فنسى المبداء وضل عن مقال المقصد واخطاء عن المقصد فحكما ●
بينهم بالهام الله تعالى واعانته فذلك من فضله على عبده مع
ان الاتفاق منهم ان المسمى هو المقصود بالخطاب المطلوب بذاته
القديم وعلمه المديم ● وان انما يراد المسمى بداذا كان مفهوم الاسم

حقيقة المسمى فنحن مبتحون فى هذا الدار بالغيبة ومامورون على
الايمان بالغيب ومبتلى من المحن والمصائب واخبرنا غيب حضوره
واعلمنا مقام المشاهدة فى كتابه والذكر مقام المذكور وللاسم
مقام المسمى بقوله العزيز فسبح باسم ربك العظيم ● واقرب
من هذا قوله العزيز ● سبح اسم ربك الاعلى وقوله تعالى وهو معكم
اينما كنتم وقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد فاسماؤه جل جلاله
من هذه الحيثية هى هو وانما التغاير فى مقتضياتها وفى المفهوم
من ذلك حيث قال الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما
تدعوا فله الاسماء الحسنى فحصل من ذلك البيان ان الاسم
الاعلى يكون تارة عينه وتارة غيره فلهذا تغلغلوا فى المقال
وتجاجلوا فى اداء المرام ● واشتجروا فى الحال والمآل فاقول
بعون الله الحقيق وقدرته ازمة التحقيق ان هذا البحث العميق
بحر عميق لا يدركه الا من هو فى الفضل غريق باستعانة الولى
الرفيق ● وهو ان كان المراد بالاسم هو اللفظ الذى عبارة
عن الاصوات المقطعة والحروف المؤلفة وبالمسمى الذات
فى ذاتها والحقيقة باعيانها فالعلم الضرورى حاصل بان
الاسم غير المسمى لضرورة ان الاصوات المقطعة الغير القارة
مغايرة للذات القارة القائمة بنفسها ولان الالفاظ ●
والعبارات الغير القارة تختلف باختلاف الامم والاعصار
دون الذوات والاعيان القائمة بانفسها وايضا قد يكون
لذات واحدة عبارات متعددة يعبر بها عنها فمن الضرورة
ان الواحد غير المتعدد فهذا الكلام مسلم الثبوت عند الكل ... ومن الضروريات
فلا ينبغى ولا يصح ان يختلف العلماء من السلف وتيشتت

الفضلاء من الخلف وان كان المراد بالاسم كزينب وزيد مثلا ذات
الشخص المسمى به وعينه فيتعين ان يكون المراد بالاسم عين المسمى
الا ان لفظ الاسم لم يستعمل ولم يشتهر في هذا المعنى المذكور بالعينية
بل المشهور اطلاقه على العبارة الموضوعة بازاء الذات الغيرية
فحصول الكلام ان الاسم عين المسمى ان كان المراد به عينه بالذات
وان كان المراد به اللفظ كان المراد به غيره لان اللفظ غير المسمى
فظهر من التقرير ان الاختلاف الجاري بينهم هو ان الاسم قد يطلق
ويراد به اللفظ كما في قولك كتبت زيدا فالمراد اسمه لانه هو المكتوب
لا مسماه وقد يطلق ويراد به المسمى دون اسمه كما في قوله كتب
زيد فالمراد مسماه والمكتوب غيره واذا اطلق بلا قرينة رجح
ارادة اللفظ والمسمى كقولك رأيت زيدا فانه يحتملها بلا رجحان
والقائل بالغيرية يحمله على اللفظ وبالعينية على عين المسمى
والمفهوم من قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى اللفظ متيمن المبارك
فكما يجب تنزيه ذاته الاعلى يجب صفاته الاسنى والالفاظ الموضوعة
لهما منزهة عن النقايص وسوء الادب مع انه يجوز الاقحام فيه
كما قال ثم اسم السلام عليكما ويحتمل ان يكون المراد من الاسم
الصفة كما هو مذهب ابي الحسن الاشعري فان عنده ينقسم
الاسم كالصفة الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس
هو ولا غيره فهذا التفصيل في مثل هذا المقام العسير من الموهبة
الالهية فبتوفيقه يتيسر كل عسير ثم اعلم ان الاسم الذي
اطلق على المسمى مطلقا اختلف فيه بحسب اللغة والاشتقاق
بين العلماء البصريين وفضلاء الكوفيين من اصحاب المباني
وارباب المعاني قال الامام المبرد من بلغاء البصريين

انه

انه من السمو بمعنى العلو الناقص الواوي فحذف آخره كما يشهده
تصغيره على سميو فادغم الواو بعد القلب في الياء فصار سمي
لكثرة الاستعمال وبنيت اوله على السكون فادخلت همزة الوصل
لدفع تعذر الابتداء بالسكون كما هو دأب البلغاء ويؤيد التصريف
على اسماء واسامي وسمي وسميت ويجيء فيه خمس لغات اسم واسم
بكسر الاول وضم الهمزة الثانية وسم وسم بالكسر والضم وسمى
على وزن هدى هذا كله عند البصريين وهم يقولون انه دفعة
للمسمى فلذا كان من حق الولد على الوالد ان يسمى حين التولد بعد قراءة
الاذان باذنيه بعد سبعة ايام باشرف الاسماء ليتلذذ
الولد بعد التعقل بدناءتها والقاء السرور الى قلوب المؤمنين
من افضل العبادات كما كان عكسه من اشر الشرور خاصة لولده
الاعز للتنابز المنهي وقال ائمة الكوفيين رحمهم انه من السمة
بمعنى العلامة محذوفة الابتداء كعكسه من الوسم المعتل الفاء
نعوضت همزة الوصل للعلة المذكورة ورد هذا المذهب بان
الهمزة لم تعرف ولم تعهد داخلة على ما حذف صدره عوضا
عنه وبدلا منه اقول هكذا صرحوا من كبار الائمة لكن امثاله
كثيرة كما في اشاح والاه واعاء واحد فان اصول هذه الامثلة الاربعة
واوي من الوشاح والولاه والوعاء ووحد فحذفت فائهن
وعوضت الهمزة بدلهن كما صرح الامام المكي في تفسيره
واهل اللغة في كتبهم **والباء** اما متعلق بافعال العامة المحذوفة
مقرونة في الوجود او الافعال الخاصة العارية من هذه
الشروط فيسمى الاول بالظرف المستقر لاستقرار معنى المتعلق
في المتعلق فلذا حذف الاول واقيم الثاني مقامه فلهذا الوجه

يسمى بالظرف المستقر وقال بعض الأفاضل الأفضل في المتعلق
ما يشعله من أفعال الحالة كالأكل والشرب والبداية والنهاية
وإذا أضيف إلى اسم الله جلت عظمته سقطت الهمزة من الخط
كما في بسم الله دون غيره طلبا للخفة لكثرة الاستعمال وطولت
الباء وأظهرت البينين مع التفريج ودورت الميم تعظيما لكتاب الله
تعالى والتنبيه الذي صدر من صدر صدور الأنبياء وتعليمه
بهذا الكتاب صلى الله تعالى عليه وسلم فيوجد فيه التسنن بالسنة
السنية كذا صرحه أبو الفضل الشهير بقاضي عياض في الشفاء
رحمه الله وقيل ردت الألف على الباء ليدل على الألف المسقوطة
ألا يرى أنه لما كتب الألف في قوله اقرأ باسم ربك ردت الباء
إلى صفاتها ولا تحذف الألف إذا أضيف إلى غير لفظة الله ولا مع
غير الباء وقال الإمام الخليل وجماعة لا اشتقاق في أسماء الله جل
شأنه كما هو الحال في الأسماء الأعلام للعباد مثل زيد وعمرو وبكر
الله أصله إله فحذفت الهمزة وعوضت الألف واللام عنها فلذا قيل
يا الله خاصة بهمزة القطع لأنه مختص بالمعبود بالحق ولا إله
في الأصل على زعم المشركين يقع على كل ما يتعبد له مما يتصورون
بما اشتهت أنفسهم الخبيثة بحيث يتخذ إن وافق مطلوبهم ولا
نقصوا أو كسروا أو جددوه بما مالوا بالخذلان ثم بعث الله
رسوله بالكتاب والمعجزات والآيات والبينات وجاء الحق وزهق
الباطل فظهر ما ارتكبوا من الخذلان وأشركوا بالكفر والطغيان
وطلع شمس النبوة في وسط سماء أهل الإيمان وشهد على الحقيقة
أكوان الخلائق من الجدران الأربعة من السموات والأرضين
من الربع المسكونة فسمع من سعد وتأثر في العلم الأزلي ومنع وصمم

من طغى

من طغى وشقي وتعند على وفق المردود الأبدي فغلب الإطلاق
على المعبود بالحق ووافق الاسم على الذات الأعلى والأحق فسبحان
الذي عامل معاملة الصابرين على الإطلاق اسمه تعالى على
الأباطيل من الاختلاق ليظهر دينه على الأديان ورسوله بالهدى
والمعجزات على أصحاب الفصاحة وأرباب بلاغة الأديان
صلى الله تعالى عليه بأعلى الصلوات وأكملها وسلم عليه بأسنى
التحيات وأتمها كلما ذكره الذاكرون وغفل الغافلون الكافرون
واشتقاقه بحسب اللغة من أله آلهة وألوهة وألوهية
من باب ضرب ومنه تأله واستأله ومن أله يأله من باب علم
إذا تحير إذ العقول تتحير في معرفة الله تعالى ذاته وصفاته الذي
لم يشبههما شيء ولم يشبه الأشياء إذ ليس كمثله شيء من الموجودات
والمصنوعات في الأرض ولا في السموات وهو العلي العظيم
فالأشياء عنده عديم أو من ألهت إلى فلان إذا اطمأن وسكن
إليه ألا بذكر الله تطمئن القلوب والأرواح تسكن إلى معرفته
تبارك أو من أله إذا فزع من شيء نزل عليه وآلهه غيره إذا حفظه
وأجاره وخلصه إذ العائذ يفزع إليه وهو يجيره أو يزعمه
أو من أله الفصيل إذا ولع بأمه وحرص إذ العباد مولعون
في المصائب الشديدة بالتضرع إليه أو وله إذا تحير وتخبط
عقله وكان أصله والها من المعتل الفاء فقلبت الواو همزة
كما في إشاح وإعاء وأحد على ما بينه أهل اللغات وصرح الإمام
المكي في تفسيره كما مر آنفا ويؤيده كون جمعه على أولهة
فصار بعد القلب آلهة وقيل من لاه يليه ليها لاها ككال
يكيل كيلا أو كالا إذا احتجب وارتفع لأنه تبارك وتعالى محجوب

عن ادراك البصر والبصيرة ومرتفع عن الاشياء وعما لا يليق
بذاته المتعال وقيل علم لذاته الاعلى لانه يوصف بقوله تعالى
اله واحد ولا يوصف به غيره ولانه لا بد له من اسم تجرى عليه
صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان لا اله له
وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثبتا بوحدانية الله تعالى
مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والاظهر انه وصف
فى الاصل لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل فى غيره تعالى
وصار علما له مستجمعا لجميع الصفات مثل الثريا والصعق بحيث
اجرى مجراه فى اجراء الوصف عليه وامتناع وصف غيره به
وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته تعالى من حيث هو
بلا اعتبار امر آخر حقيقى وغيره غير معقول للبشر فلا يمكن
عليه ان يدل بلفظ مخصوص له ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوصة
لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله فى السموات معنى صحيحا ولان
معنى الاشتقاق وهو كون احد اللفظين مشاركا للآخر فى المعنى
والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل لاها
بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه
وتفخيم لامه اذا انفتح او انضم ما قبلها سنة وطريقة مسلوكة
متوارثة من عظماء القراء واما اذا انكسر ما قبله كان الاكثر منهم
على ترقيق لام الجلالة لان الانتقال من الكسرة الى اللام ثقيل
لان الكسرة تقتضى التسفل واللام الاستعلاء فبينهما من التضاد
الثقيل وحذف الفه يفسد الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين
الرحمن الرحيم اصلهما واحد من رحم فبنيا للمبالغة كالغضبان
من غضب والعليم من علم فالاول ابلغ من الثانى لان فعلان لمن كثر

منه الفعل وفعيلا لمن كثر منه وتكرر وحق الابلغ التاخير
وانما ترك رعاية الترقى من الاقل الى الاكثر ولابلغ تعظيما
لله تعالى بالوصف الابلغ وتتميما بالوصف الالطف والاختصاص
تعالى كالعلم ووصفه تعالى بالرحمة وهى فى اللغة رقة القلب
والانعطاف تقتضى التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها
ما فيها وجميع اسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التى
هى الافعال دون المبانى والمبادى اذ الانعطاف الميل النفسانى
وهو الشفقة والرقة من الكيفيات الانفعالية التابعة للمزاج
والجسمانية فالله عز شانه منزه عن الجسم والجسمانية ومن المزاج
والامتزاج لكونه مقتضيا للامكان فلا يصح توصيفه تعالى
بالرحمن والرحيم والرؤف والعطوف والغضب مع انه تعالى
وصف ذاته العلى الاعلى بهذه الصفات العليا والاسماء الحسنى
مما يقتضى مبدؤها ان يكون المتصف بها منفعلا بالانفعال
النفسانى ومتكيفا بالكيفيات المستحيلة فى حقه تعالى الا انه تعالى
يوصف بتلك الاوصاف باعتبار الغايات التى هى افعال وآثار
مستحسنة بحيث تصح وقوعها وصدورها عنه تعالى كسائر
الاوصاف المستحسنة فى كمال ذاته وجمال صفاته فيراد بالرحمن
والرحيم المحسن المتفضل بالارادة العلية الابدية والاختيار
الجميل السرمدية اداء الحاجة المحتاجين واجابة لدعاء المضطرين
الذين ليس لهم اله الا الله ولا ملجأ سواه عناية لهم وعائد الحصول
مرامهم كما هو حال ربهم وثمرة عبوديتهم لا باعتبار مبادى
تلك الافعال التى هى الانفعالات النفسانية الشايعة لمزاج
الجسم والجسمانية التى لا يمكن اتصافه تعالى بها لاقتضائها الامكان

والتمكن فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فهذا وامثاله كثيرة فى الايات
العزيزة والاحاديث الشريفة فيقال له مجاز اولى من قبيل اطلاق
اسم السبب على المسبب فان تلك الكيفيات الانفعالية اسباب
ومبادى تلك الافعال التى هى الغايات كالرحمة والرقة اللتين هما
من اسباب الاحسان فالرحمن الذى يرحم كافة الخلايق بايصال
الارزاق والانعام والاحسان اليهم من انواع التعطف التى تفهم
من لفظ الرحيم الذى هو يرحم المؤمنين خاصة يوم القيمة بترك
العقوبة عليهم وايصال الثواب لهم فى الجنات العاليات والدرجات
الرافعات مملوة بالنعم الابدية والدولة السرمدية والجمال
والرضوان الرحمانية فالرحمن عام معنى خاص مبنى حيث
لا يطلق على غيره ويسمى به وهذا المعنى ينشأ من اعتبار الكمية
والكيفية فعلى هذا قيل يا رحمن الدنيا وعلى الثانى يا رحمن
الدارين ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها عظام
وجسام بخلاف الدنيوية ولانه صار كالعلم من حيث انه
لا يوصف به غيره لان من عداه مستغرق بانواع الطافه
واصناف احسانه واقسام عطائه ثم انه كالواسطة لان ذات
النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والباعثة والتمكن
من الانتفاع بها والقوى التى يحصل بها الانتفاع الى غير ذلك
من خلقه تعالى لا يقدر عليها غيره والاظهر انه غير منصرف وان منع
اختصاصه بالله تعالى ان يوجد له التانيث على فعلانة او وزن
فعلى الحاقا له على الاغلب فى بابه والتخصيص بهذه الاسماء
ليعلم العارف المستبصر ان لا يستعان فى هذه الامور الا الله العفو
الغفور الحقيقى الذى هو مولى النعم كلها عاجلها واجلها جليلها

وقليلها

وقليلها وحبتها وقبتها فيتوجه بجميع سرائره الى جناب العزة
القدسية ويشتغل بذكره والاستمداد به عن غيره ويروى
عن الشعبى رض انه قال كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يكتب
فى بدء الامر فى الاسلام على عادة القريش ورسومهم باسمك
اللهم حتى نزلت سورة هود بسم الله مجريها ومرسيها فكتب
بسم الله حتى نزلت قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن فكتب بسم الله
الرحمن حتى نزلت انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم
فكتب مثلها بسم الله الرحمن الرحيم ففى الخبر دلالة على انه ليس
من اول كل سورة آية منها ولكنه بعض آية من كتاب الله العزيز فى سورة
النمل وقالوا اللطف فى عدم كونها آية تامة ان لا يكون الجنب
والحائض والنفساء ممنوعين عنه عند كل امر ذى بال كالشهادتين
حيث لم يجمعا فى موضع واحد منه فى كتابه العزيز لئلا يتم آية
فلا يحرم المحتضر والجنب والحائض والنفساء ونحوها فلا يمكن
التكلم بها ان جمع فيه عند آخر عمره ثم اعلم ان قراء المدينة
والبصرة والشام وفقهائهم عدوا قوله تعالى انعمت عليهم آية
ولم يروا التسمية آية تامة من الفاتحة وعليه ذهب ابو حنيفة
الكوفى ومالك المدنى واصحابهم رحمهم الله فلذلك ان مالك بن
انس رض لا يذكرها فى الصلوة اصلا وذهب ابو ح رح على
السنية فيسترها فيها ويقول انها آية من القرآن انزلت للفصل
بين السور وللافتتاح بها تبركا واما قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما
على انه آية تامة من الفاتحة ومن كل سورة من القرآن وعليه الامام
الشافعى واصحابه ولهذا يجهر بها فى الصلوة ولا دلالة فى الاجماع
ان ما بين دفتى المصاحف كلام الله تعالى والوفاق على اثباتها

في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن عن الكلام الا انسا آنية
حتى لم يكتب آمين على صحة القول الثاني اذ لا يلزم من تجريد كلام الله
تعالى ان يكون آية منها ويؤيده ما روي عن ابي هريرة انه قال
سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول قال الله تعالى قسمت
الصلوة اي الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي
ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني
عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى اثنى علي عبدي
واذا قال مالك يوم الدين قال الله تعالى مجدني عبدي واذا قال
اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي
ما سئل واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا العبد ولعبدي
ما سأل فالابتداء بقوله الحمد لله دليل على ان التسمية ليست
من الفاتحة واذا لم تكن من الفاتحة لا يكون من غيرها اجماعا
كذا في صحاح المصابيح وهكذا ذكره الامام فخر الاسلام البزدوي
في المبسوط والامام العلامة النسفي في اصوله وفروعه من كتابه
الكافي فليراجعهما وروي عن ابي بن كعب انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت اعطي من الاجر
كانما قرأ سورة البقرة وهذه السورة مكية في قوله ابن عباس
رضهما والمجاهد والواقدي ومدنية عند الآخرين وهي ثمان آيات
وست وثلاثون كلمة ومائة وخمسة وخمسون حرفا وانتظام السور
انهما في الخيار والشرار من المؤمنين والكفار اذا زلزلت واذا ظرف
من الظروف الزمانية التي هي شرطية خافضة لشرطه ومنصوبة
بجوابه وهو قوله تحدث اي تحركت تحركا شديدا واضطربت

الارض

الارض زلزالها اضطرابا متكررة عنيفة فلا غاية ورائه
ولا ازمنة بعده من الدنيا الدنيئة مقدرة بها في علم الله الازلي
عند النفخة الاولى عند الامام المجاهد رح لفناء الدنيا واهلها
حيث يموت ويتهدم ما عليها من المخلوقات والابنية العالية
من الاعلى والادنى والاقوى ولم يقع مثلها اصلا لا قبله
ولا بعده بحيث يخرج ما فيها من الدفاين والكنوز كما يؤيده آية
اخرى من قوله اذا رجت الارض رجا اي حركت وزلزلت وبست
الجبال بسا بالتفتيت كالدقيق المبسوس كذا في تفسير المجاهد
رح وقال الامام سعيد بن المسيب والامام السدي انها كسرت
كسرا وسيرت على وجه الارض سيرا وقلعت الجبال قلعا
فكانت متفرقة كالذي يرى في شعاع الشمس اذا دخلت في الكوة
هباء منثورا وقال علقمة استاذ الامام الاعظم رح والشعبي
هي من الاشراط قبل قيام الساعة وقال غيرهم هذه لاحياء الموتى عند
النفخة الثانية وبعثهم الى المحشر وانما ذكر المصدر لتاكيد الفعل
ووقوعه والاضافة للتفخيم في شانه لان هذا سبق في العلم
الازلي الالهي المفصل في علم الكتاب وهو علم الله الازلي لا يقبل
المحو والاثبات لانه لا بزماني ولا بمكاني لان الافناء والاثبات
من لوازمها من المصنوعات وهما اللوح المحفوظ المخلوق الزماني
والمكاني المجمل عند وجود المقتضي والمعلق الى الازمنة والامكنة
والافعال وصرف الارادة الجزئية والاختيارات الخيرية
من المكلفات وهو ام الكتاب المجمل الذي عبارة عما كتب في اللوح
المحفوظ موافقا لما في علم الكتاب الالهي المفصل كما قال الله تعالى
في كتابه العزيز ومن عنده علم الكتاب وان بعض المقدرات

العادي عن الأزمنة والمبرء عن الأمكنة
وهو الأجل المقضي المنزه عن المحو والاثبات
وانما الأزمنة والأمكنة لعدم ظهور اثر
القضاء الأزلي فأجل كتابة قلم اللوح المحفوظ
المتزمنة بربط المسببات الى السبب
من التعليقات والتقديمات والتاخيرات
المتعلقة بصرف الارادة الجزئية المعلقة
الى الأسباب وجودها وعدمها على مقتضى
الشر وهذه العادة ان وجد وجد واما
كوجود الايمان للجنة وعدمه للنار وهكذا
جميع الاحكام الشرعية المتعلقة بصرف
الارادة الجزئية كما كتب في اللوح المحفوظ
سوى الارادة القسرية لله المتعلقة
كخلق السماء وتقويم الانسان وما اراد انه
في العلم الأزلي وهذا لا يعلم الا اذا ظهر
اثر التعلق الأزلي المتعادي عن الأزمنة والأمكنة
عند ظهور الموجودات وعدمها صح

الالهية فيها مفصلة للاكثر حكم الكل بناء على ان ما فيها على الاجمال
وهو ام الكتاب وفيه تجوز من الاستعارة التحقيقية والتخييلية
وقال بعض المفسرين فى هذا المراد ممن فى قوله ومن عنده ه مؤمنوا اهل
الكتاب وهم يشهدون على ذلك الرسول المرسل اليكم وحقية
دعواه لديكم لصدور المعجزات الباهرات والكرامات العاليات
لتصديق نبوته وتاييد ما اخبر به وهو عبد الله بن سلام الكلبى
من افاضل الصحابة الذين هم اطلعوا على ما فى التورية والانجيل
من نعوت النبى الذى يرسل فى آخر الزمان صفاته كذا وكذا وامته
كذا وكذا وانه سيد الانبياء وامته خير الامم يرثون الارض مشارقها
ومغاربها كما قال الامام قتادة رح وانكر الشعبى هذا وقال السورة
مكية وعبد الله بن سلام اسلم بالمدينة وقال الحسن البصرى
والمجاهد رح والمراد ممن هو عبد الله بن عباس رضهما ويدل عليه
قراءة بكسر ومن عنده فى الميم والدال وقوله علم الكتاب على الفعل
المجهول دليل حقية الرسول بالقرآن على هذه القراءة ايضا وقوله
عز فى آية اخرى وعلمناه من لدنا وقوله عز وجل الرحمن علم القرآن
واختلف العلماء فى معنا المحو والاثبات فقال سعيد بن جبير
وقتادة يمحو الله ما يشاء من الشرايع الاول ويثبت منها فينسخ
من القرآن نص ويثبت منها وقال ابن عباس يمحو الله ويثبت ما يشاء
مطلقا الا الاربعة الرزق والاجل والسعادة والشقاوة واليه
ذهب الامام الغزالى رح ويؤيد ما روى عن حذيفة بن اسد
رض ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخل الملك على النطفة
بعد ما استقر فى الرحم باربعين او خمسة واربعين ليلة فيقول يا رب
اشقى ام سعيد فيكتبان فيقول اى رب ذكر ام انثى فيكتبان ويكتب

اعماله

اعماله واثره واجله ورزقه ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص
وقال الامام الفخر العلامة الرازى فى تفسير الكبير ونهاية العقول
وغيرهما فى المواضع الكثيرة فجميع الاشياء من المعلقات سوى الاشياء
القسرية بالارادة الازلية كخيمى السماء والانبساط الارض وقيمى الناس
وما يشبههما من الموضوعات التى لا تبديل لخلق الله ويؤيد هذا
المذاهب المرغوبة والمسالك المقبولة التى انزلت عليها رسل الله
جميعا وبينت احكام الله المكلفة بها العباد بالمجاهدة الكبرى
الموعودة بالدرجات العاليات على قدر صرف الارادات الجزئية
وكسب المناصب العلية والجزئية باعمالهم جزاء بما كانوا يعملون
وفيه تخلص كبير عن مذهب الجبرية المردودة عند العلماء من زبدة
اهل السنة وعمدة اهل الجماعة ودفع فسادات عظيمة من لزوم عبثية
الانزال والارسال وكلاهما مبنيان على الاسرار الالهية وانوار
الحكم السبحانية ويقويه ما روى عن عمر بن الخطاب رض وابنه
عبد الله وابن مسعود رضهم انهم كانوا يطوفون فى البيت ويبكون
ويقولون فردا فردا اللهم ان كنت كتبتنى فى اهل السعادة فاثبتنى
فيها وان كتبتنى فى اهل الشقاوة فامحنى واثبتنى فى اهل السعادة
فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب فكل الاشياء
داخل فى قوله ما تشاء وتمحو وتثبت واليه ذهب اكثر العظماء من ائمة
العظام من المذاهب الاربعة للتخلص عن المذهب الجبرية
المردودة المانعة بالارادات الجزئية والاختيارات الخيرية
بحيث كان ما كان فى الازل فلا فائدة فى الصرف فانهم يقولون
السعيد سعيد فلا يتحول ولا يضره العصيان والشقى شقى ولا ينفعه
المجاهدة والايمان بل يبقى الشقى الكافر على كفره فلا يتخلص من الكفر

قوله بحيث كان ما كان مشعر
بقول لى الا لمن فما كان فى الازل
ليس على طريق الحكم بل على طريق
الوصف وتعلق المسببات
الى السبب وخلق الخالق بينهما
من الايمان والكفر معلقا الى
صرف الارادة ان صرف فالايمان
دخل الجنة وان صرف
دخل النار كذا قال الامام
فى كفاية الفقه
الاكبر
منه

الجبرى فلا يكون مؤمنًا وان آمن وتشهد بكلمة الشهادتين اذ لا يتغير حاله بمقتضى الجبرية الباطلة المردودة المفسدة المنافية للايمان والطاعة للانبياء على الحالة الاصلية القديمة فنعوذ بالله من هذه العقايد الباطلة فهذا كفر صريح واقرار بعدم التصديق بما كتب الله من المامورات والمنهيات والموعود والوعيد وثمراتها وبعدم فوائد العبادات والطاعات وعدم الفرق فى القبائح والفضاحات وعدم الاتقان بقوله عز وجل فاليوم لا تظلم نفس شيئًا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ولا يدخل حصر القصر الا على تجزى العباد على ما عملوا من الخير والشر فانهم يجزون باعمالهم الموعودة البتة فان الجزاء معلق باعمال العباد المكلفين بانواع المامورات على قدر الدرجات واصناف المنهيات على قدر الدركات بصرف الارادات على المجاهدات والسعيد يتحول ويشقى والشقى يتوب ويتغير حاله فيكون سعيدًا بتوفيق الله فلهذا كلف الله عباده بالايمان وصرف الارادة ما لم يغرغر كما ان وجود الجزاء يتحول بتحول الشرط وكما ان اكثر الآيات العزيزة انزلت بالشرط والجزاء كقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا وامثاله كثيرة فى الآيات العظام والاحاديث الكرام وانكار هذه الموعودات وحمل احكام الله على العبث والهزيان كفر وضلالة وبدعة وشقاوة وازالة وجودهم واجب على الحكام والوالى ويؤيده ما روى عن اكثر المفسرين مقدار التسعين فى كتاب العزيز فى هذه الآية العزيزة فى سورة الانعام من قوله تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى منكرًا اشارة بالاول الى ما فى اللوح المحفوظ مجملا وهو ام الكتاب وبالثانى الى ما فى علم

الكتاب

الكتاب مفصلا لانه لعلامة ابن الكمال رح قال فى تفسيره الاجل الاول فيجوز التجاوز عنه لا انه معلق بحلاف الثانى فانه مسمى مقطوع لا يتجاوز المسمى فهذا الاينا فى قوله العزيز لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون لا ترى ان ما فى علم الله الازلى ولا فناء ولا اثبات بالنسبة الى ما فيه من التعليق فى اللوح المحفوظ وهو تعالى وتبارك يعلم كنه الاشياء كيف كان ويكون فلا تعليق فيه وانما هو بالنسبة الى علم الكتبة والمخلوقات قال الامام العلامة المعين النسفى فى تيسيره فى هذه الآية فى سورة يونس المراد من الساعة هنا النجومية المحسوبة فى المعاملات الشرعية لا الساعة العبارة عن قدر التنفس بدليل امر صاحب اليمين على ملك صاحب اليسار اصبر سبع ساعة فلا فائدة فى اعتبار الساعة الشرعية لضيق الوقت وانما الشفقة فى اعتبار الساعة النجومية المحسوبة فى الشريعة وهى شرعية ايضا كما قال ان عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرًا فى كتاب الله وهى عين النجومية فلا منافاة بينهما اذ اعتبره الله تعالى وحسابه منه تعالى اذ هو خالق النجوم ومواقيتها وحسابها وحاسبها وان تفرقا بين الالسنة فى بعض المواد كما فى عدد الشهور لسعة وقت التوبة ومع هذا هو عين ما فى علم الله الازلى فلا منافات بينهما والاجل الثانى مقصور فلا يتجاوز فيه المقطوعية على هذا الحكم الالهية هذا وكن من الشاكرين فالسورة نزلت حين سئل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم متى يكون قيام الساعة فبين الله تعالى ان زلزلتها من قيام الساعة واشراطها على قول البعض كما مر آنفا روى عن ابى بن كعب رض الزلزلة حصلت من الاشياء الثلاث اما

من نظر الله تعالى بالهيبة والعظمة الى الارض واما من كثرة الذنوب
عليها بحيث لا تحتمل الارض بها عند الشهادة عليها واما من تحرك
الحوت التي تحت الارض المامورة للتاديب على من عصى ربه وللايقاظ
من الغفلة وروى امام الهدى الاستاد ابو الليث السمرقندي في تفسيره
ان الناس لا يرون في اول الاسلام المواخذة بالصغاير لسعة الامر
الاول لهم ولتالف قلوبهم فيظنون ان لا معاقبة الا على الكباير حتى
نزلت هذه السورة فيتبين ان اهوال ذالك عسيرة فالكل يجزون باعمالهم
ولو ذرة لان الذنوب مبعدة عن الرحمة والجنة فلا فرق بين القليل
والكثير الا يرى انه لا يدخل احد الجنة بما وجد فيه ذرة من الذنوب
ما لم يغفر او يحرق فلان دار طاهرة لا يدخلها الا الطاهر فان
الذرة كبير الجناية بالنسبة الى الرحمة كما ان الحسنات الكثيرة او بشفيع
قليلة بالنسبة الى اهوال القيمة وقد قرئ زلزالها بفتح الزاء الاولى
وقالوا لا يوجد مصدر على وزن فعلال الا في المضاعف كالوسواس
والكثر اكثر كما يجي بحثه في سورة الناس ان شاء الله تعالى واخرجت الارض
اثقالها جمع الثقل فلذا سميا الثقلين اما عبارة عن الاثقال والامتعة
للبيوت او عن المخلوقات من الانس والجن او الدفاين والكنوز مما في
بطون الارض اي لفظت ما فيها والاظهار في موقع الاضمار
للتفخيم او للايماء الى تبدل الارض غيرها وروى عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقي الارض افلاذ
كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجي القاتل فيقول
في هذا قتلت ويجي القاطع في هذا قطعت رحمي ويجي السارق
ويقول في هذا قطعت يدي فلا ياخذون منه شيئا ثم ذكر الله
تعالى حال الرجل الذي انكر هذه الحالة في الدنيا فقال في كتابه العزيز

وقال

وقال الانسان عموما لما يرون من الطامة الكبرى والقيامة العظمى
او الاهوال العسرى وخصوصا من وقع في الحيرة والتعجب في الكل والجن
والجنة والقبة والذرة الذي انكر البعث ولم يؤمن به او وقع في الدهشة
والحيرة والوحشة ما لها على وجه التعجب لاي شي زلزلت في هذه
المرتبة الشديدة ولخرجت ما فيها لما يشاهد من الامور القطيعة
الموحشة ويقع في الحيرة والحسرة والندامة وقد سيرت الجبال
في الجو وصيرت هباء ويرى ان الاحوال مشكلة اذ تذهل كل مرضعة
عما ارضعت مع ان شفقتهن غالبة لا تصدر عنهن وتضع كل
ذات حمل حملها والناس سكارى لا يقدرون على القيام والمرور
والقعود والعبور ولكن عذاب الله تعالى ومواخذته وبطشه لشديد
لا يتحمل سواء آمن وانما قال استعظاما كما في حال المؤمن او كفر
كما في الكافر وانما قال استيحاشا بالعدم ايمانه لا الذين سبقت لهم
من الله تعالى الحسنى اولئك عنها مبعدون فلا يحزنهم الفزع
الاكبر وتتلقيهم الملائكة تقول هذا يومكم الذي كنتم توعدون
بانه حق كائن لا ريب فيه اللهم اجعلنا من الناجين ومن المفلحين
من عذاب يومئذ تحدث وقرئ تنبئ الارض الخلائق اخبارها
بدل من اذا وناصبها تحدث كما في المبدل منه اي وقت زلزلت الارض
واضطراب الانسان خصوصا وعموما فيها تخبر تلك الارض جميع
الخلائق التي عليها بما عملوا عليها من ذرات الخير والشر فهذا الاخبار
حقيقة ممكن مما لا ريب فيه ولا يختص باللسان اذا اراد الله شيئا
قال له كن فيكون على ما يشاؤه بل الجميع سواء فيه وروى عن انس بن
مالك رضي الله عنه قال لما انزل الله على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم
هذه الاية في سورة التحريم يا ايها الذين آمنوا اي بوحدانيتي وكتابي

[illegible]

بايمان المغايبة تصديقاً بقولي واقراراً بصدق في بعد آيتي واخلاصاً
بالاعتقاد والاعمال في احكامي ورسولي بالاطاعة والانقياد في
سنته السنية والطريقة العلية المرضية الحاصلة بالوحي الالهية
وهم اخيار الامم في القيمة قوا انفسكم اي جنبوا او بعدوا اجوارحكم فرادى
فرادى واستعملوها في مرضاة ربكم مما اخبر به رسولكم الذي ارسل
اليكم اكراماً لكم وصيانة عن العذاب الذي وقع قبلكم ورأيتم
احوالهم وسمعتم اهوالهم واهليكم بان تحملوهن على طاعة الله تعالى
وبتعليمهن الفرائض والسنن وما لزم عليهن من المسائل الشرعية
والامور الدينية لانهن محبوسة عندكم ومحسوبة عليكم وامانة
لديكم فلا تظلموهن بالتجهل لعل الله تعالى يجمعهن معكم في الجنة
فسارعوا بحفظ انفسكم واهليكم ناراً منصوب على نزع الخافض
اي احفظوها عن عذاب نار جهنم بامتثال الاوامر واجتناب النواهي
وقودها الواو من الكلمة بمعنى الحطب اي حطب النار ووقودها
مما توقد وبها الناس والحجارة واللام عوض عن المضاف اليه اي
حجارة الكبريت ليزيد عذاب اهل النار بالرائحة الكريهة وزيادة
المس والوجع والتالم قيل على عنق كل اهل النار من جبال الكبريت
تجذب بصاحبها حين ترفع النار فوقها كما كانت فيها وقودها النار
قبل دخول الناس عليها ملائكة اي على النار ولاة من الملائكة
ماموروين بتعذيب اعداء الله فيها بحيث كان امرهم وهم التسعة
العشرة في تحت ايديهم خدام كلهم خلقوا من النار غلاظ شداد
اي اقوياء ليس خلقت لهم شفقة ورحمة مع ان هذا التعذيب
عبادتهم بامتثال امر ربهم وعينت لهم من بين العبادات فسبحان الله
يرضى عن المعذب ويغضب المعذب بعذابه الذي هو عذاب لهم

وعين

وعين الرحمة فيهم فلذا يسارعون ويعملون بايديهم وارجلهم بالضرب
الشديد ويضربون بمقمعة واحدة يسقطون سبعين الفا من الناس
في النار لا يعصون الله ما امرهم بحيث يجدون ويقبلون ولا ينكرون
فكيف وهذه المسارعة في العذاب والسعي البليغ في العقاب عبادة
لانهم وسادتهم وارتفاع رتبتهم عند الله لامرهم لانهم من الملائكة
المتنوعة بعضهم خلقوا من النور وبعضهم من الثلج وبعضهم من النار
فلكل منهم عبادة معينة وطاعة معروفة فكلهم عند الله مقبولة
وعلى قدر اجتهادهم مرغوبة كما كانت بين الناس على قدر المجاهدة
والتحمل على صبر الذي للعبادة من اكثر الصوم والصلوة والحج والزكوة
والاوراد والاذكار خاصة بكلمة التوحيد والشهادة فلذا يجاهدون
بكثرة العذاب ووفرة العقاب كل فوق الاخر ويفعلون ما يؤمرون
بالتسارع المبالغة والتجاهد المسارعة ولا يمتنعون عما يؤمرون
بالرشوة كما كانت في الدنيا وفي هذه الاية تهديد مبالغة
للفساق من اهل الكبائر فانهم محبوسون مع الكفار في دار واحدة
وان اختلف دركاتهم وروى عن انس رضي الله عنه قال لما نزلت
هذه الاية وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل اسود
فهتف بالبكاء فنزل عليه جبرائيل فقال من هذا الباكي بين يديك
فقال صلى الله عليه وسلم رجل من الحبشة واثنى جبرائيل عليه
وقال فان الله عز وجل يقول وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق
عرشي لا تبكي عين عبدي في الدنيا من مخافتي الا اكثرت ضحكها
في الجنة رواه الامام البيهقي والاصبهاني من الحفاظ كما يشهده
قوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا
يعملون كما وقع في الحديث انها تشهد على كل احد بما عمل عليها وقوله

بسورة المجادلة
تعالى ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا جاؤها شهد
عليهم سمعهم وابصارهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم
علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شئ وهو خلقكم اول مرة
واليه ترجعون وقيل تحديث الارض مجاز عن احداث الله تعالى
من الاحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان والاول اظهر لما
روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يومئذ تحدث اخبارها اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله
اعلم قال اخبارها ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها
تقول عمل كذا وكذا فى يوم كذا وكذا فهذا اخبارها وعن عبد الله بن
عمر رضى الله عنهما من سجد فى موضع عند حجر او شجر شهد له يوم القيمة
كذا فى تفسير التيسير لابى المعين النسفى ولما روى عن ربيعة رضى الله عنهما
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال حافظوا على الوضوء وخير
اعمالكم الصلوة وتحفظوا من الارض فانها امكم وليس فيها احد
يعمل فيها خيرا ولا شرا الا وهى مخبرة به كذا فى تفسير الوسيط
للامام الواحدى ورواه محى السنة فى المعالم ثم قيل فى الاية تقديم
وتاخير تقديره يوم الزلزلة فى الارض ويوم اخراجها بما فى بطونها
من الاثقال تحدث اخبارها فيقول جنس الانسان ما لها فيقول الله
تعالى لنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بان ربك اوحى لها اى اذن
اليها بالكلام وامرها بان تخبر بما عمل عليها بسبب ايحاء ربك لها وامره
اياها بالتحديث كما قال الامام القشيرى فى تفسيره او بان ربك بدل
من اخبارها يومئذ والتنوين عوض اى يوم يقع اذا كان كذا
يصدر الناس بدل من يومئذ الاول اى يرجع الناس من القبور
او العرض من موقف الحساب لاجل المحاسبة ولقراءة الكتب اشتاتا

اى حال كونهم متفرقين ومشتتين بحسب مراتبهم وعلى مراتب
طبقاتهم فالمؤمنون بيض الوجوه آمنين والكافرون سود الوجوه
فزعين قيل والمؤمنون يصدرون عن الموقف اشتاتا بانهم من ذوات
اليمين الى الجنة مكرمين والكافرون من ذوات الشمال الى جهنم
معذبين ليروا اعمالهم اى اجزية اعمالهم خيرا كان او شرا وقرئ
ليروا بالفتح كما ان اول بالضم مجهولا من الافعال متعلقة بيصدر
من ارى يرى من الافعال من مجهول المضارع لجمع المذكر ليروا
وليعلموا ما فى كتبهم التى نسخت اعمالهم فيها فيقرؤنها قارئا كان
او امّيا ويطلعون بما فيها او جزاء اعمالهم لان الجزاء من جنس العمل
من الجنة والنار فالجزاء عبارة عن عين العمل كما قيل لمن عوقب
على ذنبه هذا عملك فانظر اليه ثم اوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم
اقرؤا كتابيه انى ظننت انى ملاق حسابيه فهو فى جنة عالية ومن
اوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه
ما اغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه اى ضلت وزالت عنى
قوتى وملكى الذى نلته فى الدنيا الفانية البالية قال الامام
مقاتل يقول بهذا حين شهدت عليه الجوارح بالكفر والشرك
والضلالة وروى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى
من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع ولا يجتمع غبار فى سبيل الله
ودخان جهنم رواه الترمذى وقال حديث صحيح وروى عن زيد بن
ارقم رضى الله عنه انه قال رجل يا رسول الله باى شئ اتقى النار قال بدموع
عينيك فان عينا بكت من خشية الله لا تمسها النار ابدا رواه ابو الدنيا
والاصبهانى بزج وروى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم كل عين باكية يوم القيمة الا عين غضت من محارم الله
تعالى وعين سهرت في سبيل الله وعين خرج مثل رأس الذباب من خشية الله
تعالى رواه الاصبهاني وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن يخرج من عينيه دموع وان كان
مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئا من وجهه الا حرمه الله
تعالى على النار رواه ابن ماجه والبيهقي والاصبهاني رحمهم الله كما ورد في الخبر
اذا كان يوم القيمة فيوقف عبد بين يدي الله تعالى فاوتي كتابه فيمد
يده اليمنى ليأخذه فيبعد عنه الكتاب ثم يمد شماله فيسرع اليه
الكتاب فيأخذ ويقرأ ويجد فيه سيئات كثيرة فيقول الهي ما فعلت
انا هذه السيئات فيقول الله تعالى ان لي عليك شهودا ثقاتا فيلتفت
عينيه الى يمينه وشماله فلا يرى فيأمر الله تعالى جوارحه بان تشهد
عليه فيقول له الاذنان نحن سمعنا والعينان نحن نظرنا واللسان
انا قلته واليدان نحن بطشنا والرجلان نحن سعينا والفرج انا
زنيت فيبقى العبد متحيرا منقطع الحجة فيؤمر الى النار فيظهر من
عينه اليمنى شعرة تستأذن من الله تعالى ان تتكلم فاذن الله تعالى
فقالت الهي اليت على نفسك اي اقسمت ايما عبد اغرق شعرة واحدة
من اجفانه بدمعه من خشيتي لانجيته من النار فيقول الله تعالى
بلى فتقول اشهد لهذا العبد الخاطي قد اغرقني بالدموع من خشيتك
فيأمره الله تعالى الى الجنة وينادي المنادي الا ان فلان بن فلان قد نجى
من النار بشعرة واحدة من اجفان عينيه كذا في حيوة القلوب وفي الخبر
اذا كان يوم القيمة يخرج من الجحيم نار فتقصد على امة محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم فيجتهد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في دفعها
فلم يقدر فيأتي جبرائيل عليه السلام بقدح من الماء ويقول يا رسول الله

سلسلة اهل النار

خذ هذا فارش عليها فيأخذ فيرش فيطفى النار في الحال فيقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الماء يا جبرائيل لم ار مثله
في الاطفاء فيقول جبرائيل عليه السلام ما هذا الا دموع امتك
الذين بكوا من خشية الله تعالى في الخلوات والله تعالى امرني ان آخذ
وتحفظ الى هذا الوقت كذا في حيوة القلوب فيقول الله تعالى
لخزنة جهنم خذوه فغلوه اي اجمعوا يديه الى عنقه بالاغلال والسلاسل
فادخلوه في النار فادخلوهم في سلسلة سبعون ذراعا قال ابن
عباس بذراع الملك الذي من المنكب الى المنكب مقدار سنة
بسير الفرس المضمر الجواد ويسع في كفهم سبعون الف كافر الذي
رؤسهم كجبل احد فعلى هذا اجسادهم ليذوقوا العذاب كاملا
من اصحاب النار فيدخل السلسلة في دبره ويخرج من منخره وقيل
يدخل فيه ويخرج من دبره وقال الامام نوف البكالي سبعون ذراعا
كل ذراع سبعون باعا وكل باع ابعد مما بينك وبين مكة وكان
في الكوفة وقال الامام سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وروى
عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ارسلت من السماء الى الارض وهي مسيرة خمسمائة
سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت من رأس السلسلة
لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان يبلغ وروى عن كعب
الاحبار لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها رواه محيي السنة
في المعالم فكل الناس يلوم نفسه في هذا اليوم فان كان محسنا
يقول لم لا زدت وان كان غيره يقول لم فعلت فهذا عند معاينة
الثواب والعقاب وقال عبد الله بن سهل بن التستري رح معنى
قوله ليروا اعمالهم يتبع كل احد ما كان يعتمده فمن اعتمد فضل الله

اتبع فضله ومن اعتمد عمله اتبع عمله ومن اعتمد الشفاعة اتبع
الشفاعة فمن يعمل من فريق الاتقياء والسعداء مثقال ذرة اى
مقدار نملة صغيرة او ما يرى فى شعاع الشمس من الهباء من الكوة
خيرا يره ثوابه وكتابه ان لم يحبط فيسر بذلك ويفرح بين امثاله
فلذلك ذهب الامام الاعظم نعمان بن ثابت الكوفى عليه رحمة
الهادى ان من انتقل الى الاخرة ومات مع ذرة من الايمان يدخل الجنة
البتة وان دخل النار وعذب بمقدار ذنوبه الكثيرة وعيوبه
الوفيرة مع احتمال العفو ونيل الشفاعة لما يوجبه قوله مثقال ذرة
خيرا يره ان لم يحبط كما قاله الاشياخ ومن يعمل مثقال ذرة من
فريق الاشقياء والعنداء شرا يره عقابه لنفسه واهله فى الاخرة
ان لم يغفر فيسوء بذلك ويغتم برفعى رؤيته اما مشاهدة جزائه
فى الاولى مختصة بالسعداء والثانية بالاشقياء كيف لا وحسنات
الكافر محبطة بالكفر كما ان سيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر
معفوة بالحسنات وما قيل ان حسنة الكافر يؤثر فى نقص العذاب
فيرده قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
واما مشاهدة نفسه من غير ان يعتبر معه الجزاء ولا عدمه بل نفوض
كل منهما الى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب
عن الكبائر واثابته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر
ومعاقبته بجميع معاصيه وما روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال
ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه الله تعالى اياه اما المؤمن
فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته واما الكافر فيرد حسناته
تحسرا ويعاقبه بسيئاته وقيل يعجل جزاء الكافر فى الدنيا لنفسه
واهله وماله ليستوفى منها ولم يبق له نصيب فى الاخرة لا تدعو لهم

عليه

عليه فيعجل عقوبة المؤمن فى الدنيا ايضا ليظهر عنايته اول الامر
قبل ان يحاسب ويهتك عرضه بين الانبياء والمرسلين والعلماء
والصلحاء العاملين والاتقياء المخلصين انجازا بوعده وابرازا بالطفيه
بقوله بقوله الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين
امنوا باياتنا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة
لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم فاذا مات المؤمن وليس له
ذنب عند الله مثقال ذرة فيظهر بهذه العناية وكان النبى صلى الله
يسمى هذه السورة الجامعة الفاذة حين سئل عن زكوة الحمير
فقال ما انزل الله تعالى فيها شىء الا هذه الاية الجامعة الفاذة
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
وتصدق عمر بن الخطاب وعايشة بحبة عنب وقالا فيها وقال
الربيع بن خثيم مر رجل بالحسن وهو يقرا هذه السورة فلما بلغ
اخرها قال حسبى قد انتهت الموعظة وعن الحسن قدم صعصعة
وهو جد الفرزدق المشهور من الفصحاء والبلغاء عن النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم فسمعه يقرا بهذه السورة فقال حسبى حسبى لا ابالى
ان لا اسمع غيره وفى رواية ابى ان يتعلم غيرها وقال علمت القران فقال
النبى لعلى رض دعه فقد فقه الرجل وعن ابى ايوب الانصارى رضى
الله قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتغدى اذ انزلت
هذه الاية فامسك يده عن الطعام ثم قال من عمل منكم خيرا فى الدنيا
يرى جزاءه فى الاخرة ومن عمل منكم شرا يره فى الدنيا من مصيبات وامراض
ومن يكن فيه مثقال ذرة من خير يدخل الجنة وروى زيد بن اسلم
رضيه ان الرجل اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا نبى الله من يعمل
مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال النبى

صلى الله تعالى عليه وسلم نعم فانطلقوا وهو يقول واشوقاه قال النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم قد آمن الرجل وقال ابو موسى الاشعرى اسد
قبيلة مشهورة رض الشمس فوق الناس يوم القيمة واعمالهم تظلهم
او تصحبهم كذا فى التيسير وقيل الاية مشروطة بعدم الاحباط
والمغفرة والاول للاول والثانى للثانى من السعداء والا شقياء
وروى عن المغيرة بن قيس وهو يروى عن ابى الزبير وهو عن جابر
رضيه قال قلت يا رسول الله الى ما ينتهى الناس يوم القيمة قال الى
اعمالهم من عمل مثقال ذرة خيرا يره ومن عمل مثقال ذرة شرا يره
قال القاضى رح ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر
تؤثران فى نقص العقاب والثواب فقلت اى لو لم تكن محبطة بالكفر
فى الاول ومغفرة فى الثانى كذلك ان الصغيرة قد تكون موجبة
للعقوبة فى مذهب اهل السنة والملة الحنيفية من اهل الجماعة
خلافا للمعتزلة على انه لا يلزم من رؤية الاعمال ما يترتب على كل
من العقوبة والمثوبة لانه تعالى قد يثيب فضلا وقد يعاقب عدلا
وقد يتعلق ببعضها الشفاعة والمغفرة فضلا من الله تعالى وكرما
اللهم اكرمنا بكرمك والبسنا بخلعتك وادخلنا الجنة بفضلك
واحسانك كما هو اللايق فى شانك مرحمة لشان عبادك وهم المحتاجون
وانت الصمد ولما جلت عظمتك مرجعنا اليك **سورة العاديات مكية**

بسم الله الرحمن الرحيم

روى عن ابى بن كعب رضى الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من قرا سورة والعاديات اعطى من الاجر عشر حسنات
بعدد من يأتى بمزدلفة ويشهد جمعا وهذه السورة مكية وهى
احدى عشرة آية واربعون كلمة ومائة وسبعة وستون حرفا وانتظام

السورتين

السورتين انهما فى ذكر الانسان وجزاء الاساءة والاحسان والعاديات
ضبحا اقسم الله تعالى بخيول المجاهدين ومجاهدة الغازين تشريفا لهم
وتكريما بما فيهم من الاسوة الحسنة للناجية بالسيئة المدخلة فى
انواع اللذة مع الحور المحبة فى الجنة بحيث تعدو فتضبح ضبحا بان تصوت
بالنفس عند العدو وبالشدة جانب الاعداء وتقاتل بالعض والاقدام
مع الغبار والهباء مع اظهار الشجاعة كانها حرضت عليها بالضبعة
والاشارة فبذلك التحريض يظهر الفرسان شجاعتهم بين المشاة بها
فالنصب على الفعل الذى يدل عليه المذكور بالالتزام مصدرا
او بالاصالة وهذا قول ائمة الكوفيين وقال علماء البصريين والعاديات
ضابحة ناب المصدر عن النعت او نصبه على الحال على انه مصدر بمعنى
الفاعل اى ضابحات قال اهل اللغة اصل الضبح للثعلب عند التعب
والفزع ثم استعير للخيل والكلب وغيره على ما رواه ابن عباس رضيهما
فتقول الفرس اح اح بصوت اجوافه وحلقه وروى عن على بن ابى طالب
رضيه الابل فى الحج حيث تعدو من عرفة الى المزدلفة ومنها الى المنى
وقال ول غزوة كانت فى الاسلام غزوة بدر وما معنا الا فرسان
فرس للزبير وفرس للمقداد بن اسود فكيف توجد العاديات والى
هذا المذهب ذهب ومال من كبار الصحابة ابن مسعود رض ومن التابعين
محمد بن كعب والامام السدى المخرقى رح فعلى هذا البيان يكون
الضبح بمعنى الضبع وهو مد الاعناق فى السير عند التعب وهو فيه
فى الابل والاول ارجح حيث يؤيده قوله تعالى فالموريات قدحا
فان قدح النار واخراجها بالحوافر وحين شدة العدو وعند محاربة
العدو يقتضى حوافر الخيول اذ لا يوجد هذا فى الابل اذا اثارت فى
الاحجار وانتصابه كنصب الضبح فى الوجوه الثلثة اى خيول الغزاة

بحث بين الفقهاء

المخرجات القادحات النار بحوافرها حين شدة العدو وبين صفوف الاعداء
اذا سارت فى الاحجار يقال قدح قدحا واخرج النار اخراجا واستخرجها
زندها والى هذا ذهب الامام الضحاك وعطاء ومقاتل والكلبى
من التابعين رحمهم وفسروا بهذا من تفاسيرهم وقال الامام قتادة
القدح مجاز عن تهييج الحرب بين اصحابها كما قال الله تعالى فى الاية الاخرى
كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله وقال مجاهد وعكرمة وزيد بن
اسلم انه مجاز عن المكر باهلها يقال قدح فاورى اذا عمل فادرك
وقيل هذا المكر يكون بايقاد النار كثيرة ليظن العدو انهم كثيرون
فاضافة القدح الى الخيول من المجاز الاولى فهذه الاقوال المقبولة
من اكثر المفسرين ثم يؤيد ان المختار هو قول ابن عباس رضهما ومن العيان
ان حوافر الابل لا توقد النار وهذه اظهر الادلة ولا مساغ الى
العدول من الحقيقة الى المجاز الا عند الاحتياج ويؤيده ايضا سبب
نزول السورة وهو ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعث سرية الى بنى
كنانة واستعمل عليهم المنذر بن عمرو فابطا خبرهم عليه فاغتم بذلك
صلى الله تعالى عليه وسلم وكان المنافقون يتسادون فيما بينهم ان هؤلاء
قتلوا وصلبوا فانزل الله تعالى جبرائيل عليه السلام بهذه السورة وهو يخبر
النبى صلى الله عليه وسلم ويعلمه بان افراس العاديات يضبحن فى العدو
بين صفوف الاعداء والموريات المخرجات التى بحوافرهن اذا عدت
فى مكان ذات صخرة وحجارة فى بلدانهم فالمغيرات من اغارة الخيول
وهى الاسراع فى ظلمة الليل كيلا يبصروا شيئا بخلاف النهار فان الاعداء
متيقظون فيها ومستعدون للحرب وواقفين على حالهم ويتذاكرون بما لهم
عليهم واسند الاغارة الى الخيول قصدا للمبالغة فى العدو والهجوم
فلذا اختير على المقاتلات صبحا فالنصب على الظرفية اى الخيول التى

تغير بفرسانها وتقاتل عند الصباح فاثرن به عطف على الفعل الذى
هو يفهم من معنى اسم الفاعل المعرف بلام التعريف الذى بمعنى الذى
تقدير الكلام فالخيول التى اغرن واثرن وهيجن فى ذلك الوقت ملتبسا
بسيرها او بسبب سيرها او بذلك الوقت وتخصيص اثارتها بالصبح
لانه يظهر اثارته بالليل وبهذا اشتهر وظهر ان الاغارة واقعة
فى الليل ويظهر فى النهار نقعا غبارا وصياحا فالنقع يطلق عليهما
فلم يذكر المرجع للقرينة الحالية المفهومة من ذلك الوقت والعدو
وقال الامام الكسائى المرجع مذكور ضمنا فى العاديات وقال الامام
ابو على الفارسى مذكور فى المغيرات فوسطن به جمعا من جموع الاعداء
دخلن تلك الخيول بالمعاد او بالنقع او بذلك الوقت او الوادى المفهوم
منه يقال وسط العدو بالتخفيف والتشديد وتوسط كلها بمعنى
واحد اى ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء بدون الخوف وعدم المبالاة
والفاء للدلالة على ترتيب ما بعد كل منها على ما قبلها فان توسط الجمع
مترتب على الاثارة المترتبة على الايدى المترتبة على العدو والتجاوز
فى تخصيص خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة مما لا مزيد عليه
كانه قيل وخيول الغزاة التى فعلت كيت وكيت وقد ارجف هؤلاء
فى حق اربابها ما ارجفوا انهم مبالغون فى كفران نعمة الايمان
والاسلام ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن الموريات
بافكارهن انوار المعارف فالمغيرات على الهوى والعاديات اذا ظهر
انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين نجوا
جميع ما اقسم الله تعالى بهذه الاشياء المعظمة والمكرمة قوله
ان الانسان اى جنسه سوى المستثنيات لربه لكنود لعاص لسيده
بتكذيبه ولكفور وجحود لنعم الله تعالى من كند كنودا اذا جحد نعمه

كذا فسّره سلطان المفسرين عبد الله بن عباس رضيهما ومجاهد وقتادة رح كما قال الله تعا وقليل من عبادي الشكور وقال الكلبي في تفسيره الكفور والكنود واحد بلسان مضر وربيعة وبمعنى العاصي في لغة قبيلة كندة وحضرموت وبمعنى البخيل في لغة بني مالك وقال الحسن البصري رح والكنود هو الذي يعدّ المصائب ولا يذكر النعم اصلًا فينساه ابدًا وقال الامام عطا رح لا يعطي في النائبة مع قومه وقال ابو عبيدة هو قليل الخير فيقال ارض كنود اي لا تنبت شيئًا وقال الامام الفضيل بن عياض رح الكنود هو الذي ينسى الخصال الحميدة الكثيرة من الاحسان والاكرام باساءة واحدة والشكور عكسه اي يعفو الخصال الذميمة الكثيرة باحسان واحد ولا ينساه ابدًا

وانه على ذلك لشهيد على وزن عليم للمبالغة قال اكثر المفسرين فالضمير راجع الى رب اي الله تعا لشهيد وعليم على فعل الانسان الكنود عالم الشهادة بالحقايق والدقايق لانه عالم الغيب والشهادة وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما يوجد من الاشياء والاحجار والاشجار والاوراق وغيرها من الموجودات في السموات والارضين وما بينهما فانه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة ظاهرة وباطنة ففي هذه الاية الدالة على المبالغة رد على مذهب المعتزلة فانهم خذلهم الله يقولون يعلم الكليات كليًا لا جزئيًا ففي هذا القول الباطل انكار لقوله تعا لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقوله تعا وهو بكل شيء عليم فمن قاعدة الاصول ان لفظ كل اذا اضيف الى نكرة يفيد احاطة الافراد وهي عبارة عن الاجزاء فردًا فردًا حتى ينتهي الى الجزء الذي لا يتجزى اي لا يقبل التقسيم فهذه القاعدة الكلية من المسلمة عندهم فاعاذنا الله

تعا

تعا من الضلالة والغواية فادامنا في الهداية والكرامة والعناية بحرمة اسمائه الحسنى وصفاته العليا فهذا يكون عبدًا على كافر النعم التي يجب شكرها وقال ابن كيسان الضمير راجع الى الانسان والمعنى ان ذلك الانسان الكنود شاهد على نفسه مبين لها بما يضيع من الكفر والجحد كما في قوله تعا يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون على التفصيل بايامه واعوامه ودهوره وشهوره واناته وساعاته مع شهادة الامكنة والملئكة الموكلة مقدار مائة وستين ملكًا فلا يقدر على ستر الدقيقة وجحدها وروي عن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم قال الله تعا وعزتي وجلالي لا اجمع على عبدي خوفين وامنين من خافني في الدنيا امنته يوم القيمة ومن امنني في الدنيا اخفته يوم القيمة رواه ابن حبان في صحيحه روي عن انس بن مالك رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم ان الله تعالى لما خلق جنات عدن دعى جبرئيل فقال له انطلق الى جنات عدن فانظر الى ما خلقت لعبادي واوليائي فذهب جبرئيل عليه السلام وجعل يطوف في تلك الجنان فاشرفت اليه جارية من الحور العين من بعض تلك القصور فتبسمت الى جبرائيل عليه السلام فاضاءت جنات عدن من ضوء ثناياها فخر جبرئيل ساجدًا لله تعا وظن ان هذا الضوء من نور رب العالمين فنادته الجارية يا امين الله ارفع راسك فرفع راسه فنظر اليها فقال سبحان الله الذي خلقك قالت الجارية يا امين الله اتدري لمن خلقت قال لا قالت لمن اثر رضاء الله على هوى نفسه خوفًا عن عقابه وطلبًا لمرضاته رواه صاحب حيوة القلوب وروي عن عباس بن عبد المطلب رض انه قال قال رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه
ذنوبه كما تحاتت عن الشجرة اليابسة ورقها رواه ابو شيخ في كتاب
الثواب رح قوله تحاتت اى سقطت عنه ذنوبه وبقيت له حسناته
وانه اى الانسان لحب الخير اى الكمال والعزة من جنس الاموال الدنيوية
هذا على سياق قوله ان ترك خيرا للوالدين لشديد على وزن المبالغة
اى لحريص له بمبالغة الحرص على جمعه وتجد فى طلبه او لاجل حب الاموال
لبخيل شديد البخل او لحب المال لغوى وبكثير نشاط قلبه وقوة
بدنه ويبخل على بذله واعطائه لرضاء ربه ولعل وصفه بهذا
الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى ان من جملة الامور
الداعية الى النفاق حب المال لان مرادهم من اظهار الايمان عصمة
اموالهم واشتراكهم فى الغنايم لانه لاحظ لها للكفار ظاهرا وفيه
خوف السيوف ويؤيده الحديث الصحيح الذى رواه انس رضى الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان
من مال لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله
على من تاب كذا رواه الامام البخارى والامام المسلم ويتميز به العاقل
عن الاحمق الغافل فيرجح البقاء على الفناء ان كان عاقلا وبالعكس
ان كان غافلا فالسعادة الابدية لمن اختار البقاء والخزى لاصابته
على الفناء والاساءة فذلك من ثمرة التوفيق من الله العلى الرفيق
روى عن ابى هريرة رضى انه قال قال سمعت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يقول سبعة يظلهم الله فى ظله اى ظل عرشه واشجار
جنانه يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله
ورجل قلبه متعلق بالمسجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك
وتفرقا عليه ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا يعلم شماله

ما ينفق

ما ينفق بيمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته
امرأة ذات منصب وجمال فقال انى اخاف الله رواه البخارى ومسلم
رح قوله امام عادل اى ينظر امور الناس من الصغار والكبار ويوفقهم
بالكتاب والسنة ويلى امورهم الكلية والجزئية لانه راع ومسئول
عن رعيته والتقيد بالعدالة لان نفعه عام بل سبب لبقية السبعة
لانها لا توجد الا بها قوله ورجل قلبه متعلق بالمسجد اى يلازم ويداوم
الجماعة وينتظر بعدها الى مثلها قوله تحابا فى الله اى فى رضائه وصلاحه
لا غير قوله اجتمعا عليه اى لم يزولا عنه الى الموت ورجل دعته امرأة
اى الى الزنا قوله انى اخاف الله اه وهذا شامل بلسانه وقلبه قوله
فاخفيها مخصوص بالتطوع واما فى الفرض والزكوة والواجب والنذور
فالاظهار مندوب على اهله قالوا الرياء لا يجرى فى الفرائض لكن
الاجتناب لازم اللهم وفقنا فى امورنا نحو رضاك وادخلنا زمرة
الصالحين بمحض عطائك مع الابرار فى العليين بحرمة الانبياء والمرسلين
افلا يعلم وفيه تهديد بليغ ووعيد شديد والهمزة للانكار من
الاستفهام والفاء للعطف فى امثال هذا المقام على مقدر يقتضيه
المقام اى يفعل ما يفعل من القبايح او لا يلاحظ فلا يعلم حاله هذا الانسان
الحريص البخيل الغافل عن عطاء الخليل الجليل اذا بعثر وقلب وبعث
ولخرج ما فى القبور من الاموات فلفظ ما بمعنى من وهو كثير فى كلام
البلغاء وترجيحه لكونهم بمعزل من العقلاء وحصل اى جمع وميز
محصلا وقرئ اذا بحث وبحثر ما فى الصدور يومئذ والعامل فيه
لخبير من الخير والشر للجزاء فمن جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر
والنفاق فابرز وميز محصلا فى الصحف ما فيهما ليعلم ذلك حقايقه
ويحصل كالشئ المحصل الذى عرف منه المطلب الاعلى والمقصد

لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا رواه الامام القاضى الاموى فى كتابه كنز الاسرار

لا قصى من كل شيء مما بقى وثبت ما هو لوجهه وبرضاه وذهب
ماسواه من الطاعات ما لم يكن لوجه الله تعالى من المنافقين من النفاق
وانما خص الصدور من الاجساد لانه لا اصل فيها مضغة وهي القلب
اذا طهرت طهر جميعها وكذا عكسه ويؤيده ما روينا من السند
والسلسلة التي كنا ماذونا فيه وهو ما اخبرنا الامام في الحديث
محمد بن حسن الشافعي رحمه الله وهو عن عبد الله بن سالم البصري
بسنده الى الشيخ الاسلام القاضي زكريا وهو اخبرنا عن الحافظ ابي
نعيم رضوان بن محمد العقبي عن ابن الطاهر محمد بن عبد اللطيف بن
الكويك وهو عن ابي الفرج عبد الرحمن بن عبد الحميد بن عبد الهادي
الحنبلي وهو اخبرنا عن ابي العباس احمد بن عبد الدائم النابلسي
رح وهو اخبرنا عن محمد بن صدقة عن فقيه الحرم ابي عبد الله محمد
بن الفضل بن احمد الفراوي وهو عن ابي الحسين عبد الغافر بن محمد
الفارسي وهو عن ابي احمد محمد بن عيسى الجلودي بضم الجيم النيسابوري
عن ابراهيم بن محمد بن السفيان عن المؤلف لامام السنة مسلم بن
حجاج القشيري النيسابوري رحمهم الله عن النعمان بن بشير رضي الله
تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى ان الحلال بين والحرام
بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات
استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى
يوشك ان يقع فيه الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه
الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت
فسد الجسد كله الا وهي القلب كذا في صحيح المسلم والبخاري ولانه اذا
طهر ما فيها فغيره اولى في عالم الظهور اذ الكل مسؤلون عما كانوا
يفعلون حتى المريض عن انينه لما روي عن السند الذي ذكرته آنفا

الى الحديث

الى الحديث الذي روينا عن ابي بريدة رض انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لا يزول قدما عبد يوم القيمة حتى يسئل عن
اربع من عمره فيما افناه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من اين اكتسبه
وفيما انفقه اسرافا ام لا وعن جسمه فيما ابلاه كذا في صحيح الترمذي
رحمه ان ربهم بهم وانما كنى عن المبعوثين بعد الاحياء بضمير العقلاء
بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم في الحالين كما فعل
نظيره بعد الاحياء الاول حيث التفت الى الخطاب في قوله تعالى
وجعل لكم السمع والابصار بعد قوله ثم سواه ونفخ فيه من روحه
ايذانا بصلاحيتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدمها قبله كما اشير
اليه هنالك وانما جمع مقام المفرد ايذانا بان المراد من الانسان جنسه
سوى المستثنيات يومئذ اي يوم اذا كان الخرج لسعداء مع انواع
الطاعات والاشقياء مع اشرار القباحات والفظاعات وميز
كلاهما بكسبهما فالنفس رهينة وهو يوم الجزاء اذ الكل مجزي بالاعمال
ان خيرا فخيره وان شرا فشره فالله تعالى الخبير على السرائر ولعالم يوم
تبلى السرائر فيجازيهم على كنودهم وكفرهم سواء اعلنوا او اسروا وقرئ
ان بالفتح والكسر مع حذف اللام في الخبر وقرئ بانه بهم يومئذ
خبير فعلى الكل ان مع اسمه وخبره مفعول يعلم قائما مقام المفعولين
ملغى عن العمل الظاهر باللام فطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما
سيكون بظواهر ما عملوا وبواطنه علما موجبا للجزاء متصلا به
كما ينبغي عنه بذلك اليوم وقوله تعالى بهم ويومئذ متعلقان بخبير
وانما قدمنا عليه لموافقة الفواصل ومراعاته وامثاله كثيرة فيه
واللام غير مانعة من ذلك

سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم

روى أُبيّ بن كعب رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
انه قال من قرأ سورة القارعة ثقل بها ميزانه يوم القيمة وهذه السورة
مكية وهى احدى عشرة آية وست وثلاثون كلمة ومائة وستون
حرفا وانتظام السورتين انهما فى ذكر يوم القيمة وما فيه لأهل
الهوان والكرامة القارعة اسم ليوم القيمة لقرع القلوب بالفزع
الاكبر واهوالها ولتقريع اعداء الله تعالى بانواع عذابها واصل القرع
الضرب الشديد بحيث يحصل منه الصوت الشديد وهى القيمة التى
مبدؤها فصل النفخة الاولى ومنتهيها الخطاب والقضاء بين الخلائق
وانما سميت بها لانها تقرع القلوب والاسماع بفنون الافزاع والاسماع
والاهوال وتخرج جميع اجرام العلويين والسفلية من حاله الى حال اخرى السماء
بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار
والارض والجبال بالدك والنسف ومنه قرع الباب والمقرعة
والقوارع الدواهى وكما سميت بالحاقة لانها احق كائنة لا ريب فيها
وان الله تعالى يبعث من فى القبور لاعطاء جزاء الاعمال فى الكل وقيل
لان فيها حقائق الامور وحوافها من محاسبة المكاسبة من قبيل
الاسناد المجازى كما يقال حق عليه اى وجب ومنه قوله تعالى ولكن
حقت كلمة العذاب على الكافرين فلهذا افتتح الامام الكسائى رح
الحاقة بيوم الحق كما يقال يوم القارعة ما القارعة هذا استفهام
يفيد التفخيم والتهويل لشأنها كما يقال محمد ما محمد عليه على الصلوات
والتحيات تعظيما لشأنه الاعلى بلفظ ما الاستفهام مبتدأ
ثان وما بعده خبره والجملة خبر الاول اى اى شئ فى حالها وصفتها
فان ما وان شاعت فى طلب مفهوم الاشياء والحقيقة لكنها قد يطلب بها
الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب فوضع الظاهر

تسمية القيامة

موضع الضمير لكونه ادخل فى التفهيم فالمراد تعجيب السامع من شأن
القارعة فى الهول والفخامة والفظاعة فلهذا قال بعض المحققين
فى تحقيق تفسير هذا المقام باعتبار ما يؤول اليه المرام فحصل به زبدة
الكلام وهو قوله ان ما الاستفهامية خبر ما لا كما ان ما بعده
مبتدأ وليس الامر على العكس لان محط الافادة هو الخبر لا المبتدأ
ولا ريب فى ان مدار افادة الهول والفخامة ههنا هو كلمة ما القارعة
فالجملة خبر الاول فهو القارعة فالمعنى اى شئ هى فى عظمة شأنها
وعجب تهولها لاهلها فوضع الظاهر موضع الضمير لاعجاب
الاهوال فيها واعراب التفخيم لشأنها ثم بين الله تعالى لنبيه محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم ما يقع فيها من الامور المعظمة والنشور
المهولة فقال مخاطبا له وما ادريك اى شئ او الذى اعلمك
ما القارعة ما مقدار هوالها وايامها واحوالها واعوامها حتى تشاهدها
وتعلم وانها لا يعرف حقيقتها فرد من الافراد الا خالقها ولا تسع
فى القلوب درايتها الا باعلامى والهامى لمن هو مستعد من بين
الاصناف من سيدها فلفظ ما مبتدأ والقارعة خبره فالجملة
مفعول ثان لادريك يوم يكون الناس ظرف للقارعة والمضمر يدل
عليه ظاهر الكلام بالقرينة اى تقرع او اذكر يوم تبعث الاموات
ويجوز ان يكون يوم مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف وحركة الفتحة
لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأى الكوفيين اى هى
يوم يكون الناس كالفراش لكثرتهم وذلتهم كصغار الجراد المنتشر
حيث يدخل ويجول بعضهم فى بعض ويختلط ولا يتجه لجهة
واحدة بل يتحير وانما شبه حال الناس بحال الفراش فانهم اذا بعثوا
فزعوا وتجولوا على جهات مختلفة من حيث لا يشعرون كانهم جراد

قوله القارعة ... [illegible]

منتشر لا يدرون اين يذهبون مهطعين ومسرعين الى الداع اسرافيل
يقول الكافرون لامتلاء الشدايد واهوالها هذا يوم عسر وصعب
عليهم ولا يقدرون التخلص فيمكثون بعد الخروج من القبور واقفين
اربعين سنة حتى يقولوا ارحنا من هذا ولو الى النار ثم يؤمرون
الى الحساب وقال الامام البغوي محيي السنة رح الفراش الطير التي
تريها كصغار البق جمع فراشة وهي الطير التي تتهافت في النار
المبثوث المتفرق الكثيرة الضعيفة من بث اذا تفرق ومنه قوله
تعالى وبث فيها من كل دابة المبثوث في اقطار الارض وتكون الجبال جمع الجبل
واللام فيها للجنس ويجوز ان تكون للاستغراق فتشمل جبل القاف
فتصير في التسير حقيقة كالعهن كالصوف الذي ينفش بالندف
لتطايرها في الجو لغاية دقتها ولخفة رقتها المنفوش المندف في المتفرقة
اجزاؤها بالموت بالوان مختلفة كانها تمر مر السحاب في الجو من آثارها
صنع الله الذي اتقنه اولو الالباب فاذا امسيت فلم تر لهول ذلك اليوم
شيئا اصلا وهذا الهول والشدايد من آثار القارعة بعد النفخة الثانية
عند تبدل الارض غير الارض والسموات وتغير هيئاتهما الهائلة
ليشاهدها اهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى
لكن تسير الجبال وتفتيشها وتسوية الارض وتنسفها انما توجد ان بعد
النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها
ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا اه وقوله تعالى يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي
الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق سبحانه لا يكون الا بعد
البعث قطعا وتمام البحث في سورة النمل فارجع البصر اليه قال الامام
الاخفش رح العهن جمع عهنة وقال الامام الخليل استاذ سيبويه

العهن

العهن لفظه مفرد ومعناه جمع لانه حال الجبال وتلونها بالابيض
والاحمر وغيرهما يومئذ فلذا شبهت بالصوف الملون وفيه استعارة
تحقيقية وترشيحية فاما من ثقلت هذا تفصيل وبيان لاحوال
المخلوقات المكلفات واحوال الموجودات حال الموزونات الى قسمين
وتنبيه على كيفية آية اي من رجحت بالحسنات على سيئاته موازينه
جمع ميزان عند الفراء او جمع الموزون عند غيره وهو ما يعتبر به الاشياء
من مقدار الموزونات كيفا وكما على الاختلاف الذي سيأتي آنفا
روي اذا كان يوم القيمة ينصب الله تعالى ميزانا الزاما لعباده واظهارا
لعدالته والا فلا حاجة له لانه تبارك وتعالى يعلم السر واخفى
عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال قال ابن عباس رضي الميزان له
لسان وكفتان كل كفة ما بين المشرق والمغرب ثم يوزن فيه الاعمال
واختلفوا في كيفية الوزن وقال بعضهم توزن فيه صحايف الاعمال
فينظر الخلايق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة وروي ان رجلا تنشر
عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر مملو من الذنوب فيخرج له
بطاقة فيها كلمة الشهادة في كفة فثقلت بطاقة الشهادة فادخل
الجنة فكان من المفلحين فالحمد لله رب العالمين على دين الاسلام
وعلى هداية الايمان وعلى احسان كلمتي الشهادة بالاقرار والتصديق
والاذعان وقيل توزن الاشخاص فروى الامام البغوي في المعالم
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه ليأتي الرجل العظيم
السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقيل يوزن
الاعمال وروي عن ابن عباس رضها فيؤتى بالاعمال الحسنة على صورة
حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فثقلة بناء على تجويز اهل
السنة والجماعة من المذاهب الاربعة بتجسيد المعاني وتجسيمها

بحث الاختلاف في كيفية الوزن

كما يرى الاتقياء اعمالهم على صورة الولدان والحور الحسنة في اليوم حال
الحيوة في الدنيا فهو كثير الوقوع خلافاً للمعتزلة خذلهم الله تعالى فانهم يحملونه
على الاستعارة ويأوّلون بانواع الاقاويل الباطلة ثم تعدّ التجسّد
على صورة الفريقين توضع في الميزان موازينه على تلك الصورة الحسنة
وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل وبه قال
الامام المجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين
قالوا ان الميزان لا يتوصل به الى معرفة مقادير الاجساد والاجسام
فكيف يمكن ان يعرف به مقادير الاعمال التي هي اعراض منقضية وقيل
ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة
الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح ويؤيده
ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه يؤتى بالاعمال الصالحة على صورة
حسنة وبالاعمال السيئة على صورة سيئة قبيحة فتوضع في الميزان
فهو في عيشة اي ذات عيش مرضية راضية صاحبها كما في قوله
من ماء دافق اي مدفوق وصاحبه ذات رضاء كما ذهب اليه الامام
الزجاج واما من خفت اي رجحت موازينه بسيئاته بان لم تكن
حسنة يعتد بها او رجحت سيئاته على حسناته فامه هاوية اي
مأويه جهنم الموصوفة بها لهوي اهل النار مهوى التي بعيد قعرها
من اعلاها الى اسفلها حين الطرح وبالعكس وتضمه كما تضم الام
ولدها هذا بناء على التشبيه من الاستعارة التحقيقية والتخييلية
فان الام مأوى الولد ومسكنه فعاملت معاملتها وليست الهاوية
من اسمائها والا لكانت معرفة ومؤنثة فلم تنصرف فعلت انها
صفة للتصرف بالتنوين وقال الامام الواحدي رح في تفسير
الوسيط والهاوية اسم من اسماء جهنم من المهواة لا يدرك قعرها

الهاوية

عمقها

وانما سميت بها لغاية بعدها او عمقها وروي ان اهل النار تهوي
فيها سبعين خريفاً وقيل انها اسم للباب الاسفل منها لما روي ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا مات العبد تلقى روحه ارواح
المؤمنين فيقولون له ما فعل فلان فاذا قال مات قالوا ذهب الى امه
الهاوية فبئست الام وبئست المربية وانما قال فامه وهو بمعنى
الرأس لغة لان الزبانية جسيمة من المنكب الى المنكب مقدار سنة
بمضمر الفرس وجوده وتقبض ثمانين الف كفار بقبضة واحدة
وفي رواية عشرين الف كفار فتطرح بام رأسه منكوساً على النار
فساقطت فيها ففي هذا القول يكون ذكر الام حقيقة ليس بمجاز
وروي عن قتادة وعكرمة والكلبي رحمهم فامه رأسه هاوية في قعر
جهنم لانه يطرح فيها منكوساً فهذا موافق للرواية التامة ولكن الرواية
الاولى مطابقة لقوله تعالى وما ادريك ماهيه اي وما اعلمك اي
اي شيء او التي ماهي قال الامام قتادة في تفسيره هنا الهاء فانه
تقريرها بعد ذكرها مهولاً ولاستبعاد خروجها عن الحدود المعهودة
للتهويل والتفخيم هي كلمة غريبة تستعمل في الامور الغريبة المتعجبة
فمن رأى رجلاً في الامور الغريبة يقول هوت امه اي وقع في شيء
لا يعرف خلاصه ولا علاجه فاصله ماهي واختلف في سقوط الهاء
عند الوصل دون الوقف فانه يلزم من الهاء كتبة ومن قرأ من وقف
وترى فلذا سميت بهاء الوقف والاستراحة وليست بضمير وهي ثابتة
في المصاحف من زمن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه الى زماننا
هذا فالاولى الاثبات عند الوصل ايضاً وعليه اتفق القراء وذهب
البعض بانه ضمير روي ان ابا بكر الصديق الاكبر رضي الله تعالى عنه
في وصيته لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انما ثقلت موازين

ومن خفت موازينه ... الحق ... الدنيا ...
عليهم حق وخف الميزان ان يثقل فيها ...

(انما) خفت موازينه يوم القيمة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفت عليهم
وحق لميزان ان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا وذكر الجمع
بدل المفرد بناء على معناه باعتبار الموزون او باعتبار الانواع
والافراد اذ لكل عبد ميزان فردا فردا او باعتبار المحل اذ الارض ميزان
عظيم لصاحبها معلق بها او باعتبار المسمى لانه يشتمل على الكفتين
واللسان ولا يتم الوزن الا بالاجتماع فضلا عن الوازن ونوع الموزون
نار حامية اى هى النار التى شديدة الحر فاطيل اجزاؤها محمية
بذات حمى فى جهنم حيث لا تدرك كيفا ولا كما ولا قعرا ولا اودية
ودركة وبئرا ولا يعرف كنهها وحالها وما فيها الا الله عز وجل
لا شريك له له الملك والملكوت والعزة والجبروت فالعبد محتاج
اليه والكل عنده ولا احسان لديه فيا الهنا الها واحدا لا اله الا
انت اللهم انا نعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك
ونعوذ بك من عذاب نارك لا نحصى ثناء عليك انت كما اثنيت
على نفسك حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

سورة التكاثر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم روى عن ابى بن كعب
رضى الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من قرأ سورة الهيكم التكاثر عفى الله ان يحاسبه بنعمته التى انعم بها
عليه فى دار الدنيا وهذه السورة مكية وهى ثمان آيات وثمان وعشرون
كلمة ومائة وعشرون حرفا وانتظام السورتين انهما فى ذكر القيمة
واهوالها واحوالها المختلفة الهيكم التكاثر من لهى الشىء اذا اشتغل به
عن الشىء اللازم منقول من لهى اذا غفل وهو الصرف الى اللهو والتباهى
بالكثرة فهذا مشعر ومخبر عن احوالهم المختلفة الخارجة عن ذوى

العقول اى اشغلكم التفاخر واغفلكم التباهى بكثرة الاموال الردية
الفانية والاولاد الدنيئة الجانية والعدو عن ربكم بعدم الطاعات
العلية الباقية وما ينجيكم عن سخطه وعذابه الموعودين على الكفرة
والفجرة المولعين على العصيان والفارين عن الايمان وقيل هو على الا
ستفهام بمعنى التوبيخ اى دام لكم هذا الاشتغال حتى اتيكم الموت وانتم
مصرون عليه حتى زرتم المقابر قد خلتم فيها اقمتم ودفنتم فجعلت
الزيارة عبارة عن الموت مجازا او ليا لانه يزاد بسبب الميت قال الامام
المقاتل والامام الكلبى رحمهما نزلت هذه السورة فى قبيلتين
من قريش بنى عبد المناف وبنى قصى وبنى سهم بن عمرو فكان بينهم
تفاخر فتعادوا السيادة والاشراف ايهم اكثر فقال بنو عبد المناف
نحن اكثر سيدا واعز عزيزا واعظم نفرا واكثر عددا وقال بنو سهم
مثل ذلك فكثرهم بنو عبد المناف ثم قال نعد موتانا حتى زاروا القبور
نعدوهم فقال هذا قبر فلان وفلان فكثرهم بنو سهم بثلثة ابيات
لانهم كانوا فى الجاهلية اكثرهم عددا فنزلت هذه السورة فعلى هذا
تكون الزيارة حقيقة وروى عن عبد الله بن المطرز بن الشخير
عن ابيه وهو يقول انتهيت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو يقرأ هذه الاية الهيكم التكاثر فقال النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت
او لبست فابليت وتصدقت فامضيت وعن انس رضى الله تعالى
عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتبع الميت
ثلثة فرجع اثنان ويبقى معه واحد اهله وماله وعمله فيرجع اهله
وماله ويبقى معه واحد وهو عمله رواه الامام محى السنة فى المعالم
وقيل هذا وعيد فالمعنى حتى تزوروا القبور فتروا ما ينزل بكم

من العذاب الموعود والعقاب المعهود في المقابر وقال الامام زر بن
جيش كنت اشك في عذاب القبر حتى سمعت عليا ابن ابي طالب رضي الله
تعالى عنه وهو يقول فنزلت هذه السورة وانما حذف الملهى عنه وهو
ما يعنيهم من امر الدين والايمان والطاعة للتعظيم والمبالغة كلا
ردع لهم من صنايعهم الفاسدة واشغالهم الكاسدة وتهديد لهم
بامور العاقبة وهجوم الموت المفاجئة وتنبيه على انهم لا ينبغي لهم
ان تكون الدنيا جميع الهم مع انها مذمومة عند الله والناس ولا يهتم
لامر الدين مع المامورية في الدنيا الفانية فان عاقبة الاول خسران
ووبال وعاقبة الثاني حسان ومنال حيث قال سوف تعلمون
خطا رايكم اذا عاينتم ما وراءكم وليس كذلك الامر على ما انتم عليه
من تكاثر الدنيا من الاموال والاولاد اذ كل من عليها فان والتفاخر بها
من اشد علامة اهل النار من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم
هي الماوى مع انه غاية في البله والسفاهة السفلى والحماقة القصوى
اذ ليس الخبر كالمعاينة فان من خلق مات وبلى البتة وما يفتخر به
ينتقل الى اليد الاخرى فاين التفاخر والتكاثر وانما الشكر والتعقل
والكمال فيه والتفاخر بمزيد التوفيق على الايمان والاعمال والاخلاص
ثم هدد الله تعالى زيادة الانذار لينتهوا عن الالهاء والاشتغال
ويخافوا من شدة الاهوال قدامهم في القبور من السؤال من الحال
الى المآل من النوال والعذاب بالنار من الوبال اذا خرجوا من القبور
وبعثوا من النشور بقوله ثم كلا سوف تعلمون وفي ايراد ثم دلالة
على ان الثاني مما تلقون من العذاب ابلغ من الاول والاول عند
الموت او في القبر والثاني عند النشور كلا وهذا كلام آخر فلذا كان
بمعنى حقا لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين لعلمكم

بما

بما تستيقنونه مما لا يوصف ولا يكتنه من عاقبة عذاب
تفاخركم ونهاية عقاب تكاثركم علم اليقين فاضافة العلم اليه
اضافة العام الى الخاص وهي اضافة الشيء الى نفسه بيانية كما في
قوله ولدار الآخرة اي كعلمكم شيئا بلا مرية فجواب لو محذوف
اي لو تعلمون الامر علما يقينيا لشغلكم ما تعلمون من ذلك الامر
المشكل الآتي بلا شك عن التفاخر والتكاثر لا متنعتم عما لا يعنيه
ولفعلتم مما لا يوصف ولا يدرك من الاعمال الصالحة والافعال
الخالصة الموصلة الى النعم الابدية والدولة السرمدية وصرفتم
الى ما يغنيه تهويلا وتفخيما مما يستيقنون كما في قوله تعالى ولو ترى
اذ فزعوا ولو ترى اذ وقفوا الآية ثم اوعدهم الله تعالى وعيدا آخر بقرينة
القسم المحذوف فتقديره والله لترون الجحيم بفتح التاء معلوما
من رأى وبضم التاء مجهولا من ارى اي لتبصرن الجحيم باعينكم
عين اليقين عن بعيد ولا يجوز ان يكون جوابا للو السابقة لانه محقق
الوقوع بل هو جواب قسم آخر المحذوف لانه اكد به الوعيد واوضح به
ما انذرهم منه بعذابها امر في المستقبل الآتي تفخيما لشأنه وتغليظا
بالتهديد بعذابه ثم لترونها مشاهدة من قريب فالتكرير اما
للتفخيم لشأنها وللتغليظ او للتاكيد وللتأسيس وهو اعلى منه
بان الاولى اذا رأيتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها والاولى
بمعرفة القلب والبصيرة والثانية بالبصر والمعاينة فليس الخبر
كالمعاينة عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم
المشاهدة اعلى مراتب اليقين فالنصب على المصدرية كما في قوله
تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر اي ان كنتم
شاكين فيها اليوم فلترونها معاينة دائمة متصلة فتزول منكم

الشكوك عين اليقين بلا اضطراب فيها فتدخلونها عيانا يوم القيمة
فان الرؤية والعيان بمعنى واحد والرؤية التي هي نفس اليقين
ثم تقرهم الله تعالى عن النعم الذي يشغلهم عن التدين بالدين والاهتمام
بالاعمال بقوله تعالى ثم لتسئلن وثم فيه للعطف على ما قبله وتراخي
الاخبار وترتبها لا للوجود فان هذا السؤال يكون قبل دخول النار
بخلاف السؤال الذي سئلهم عن نعمتها لترايتكم تدبرا فانه فيها تهويلا
وتقريعا لاصحابها كما تقدم في الحديث الذي رواه ابو برزة من قوله
صلعم لا يزول قدما عبد يوم القيمة حتى يسئل عن اربع عن عمره فيما
افناه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه اسرافا
ام لا وعن جسمه فيما ابلاه رواه الترمذي فتبصر ويحتمل ان يكون
هذا على الاطلاق يومئذ عن النعيم الذي تكاثرتم والهاكم منها
صغيرة كانت تلك النعم التي انعمها ربكم عليكم او كبيرة فهذا للعموم
مع ان الخطاب والمورد للخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات
ولم يعش الا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو
والطرب لا يعبأ بالعمل والعلم ولا يحمل نفسه مشاقهما فان من تمتع
بنعم الله تعالى وتوفيقه ويتقوى بها على طاعته شاكرا فهذا التلذذ
الباقية بمعزل من ذلك التلذذ الدنيوية الفانية اذ لا يخفى على ذوي
العقول ان دوام النعم الباقية الموعودة للتلذذ لخلص اوليائه وصديقه
اولى واعلى من زوال النعم الفانية لاعدائه المردودة اذ النزول منوط
على الخاصة في اكثر الاوقات كما هو حال المشروعات وشأن المنقولات
من الكتب السماوية والزبر الالهية في الاوقات الماضية والازمان
الحالية وروي عن ابي هريرة رضه انه قال سمعت من رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يقول ان الله تعالى اذا كان يوم القيمة ينزل على العباد

ليقضي

ليقضي بينهم وكل امة جاثية فاول من يدعو به رجل جمع القرآن
ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله تعالى للقارئ الم
اعلمك ما انزلت على رسولي قال بلى يا رب قال فماذا عملت قال كنت اقوم به
اناء الليل واناء النهار فيقول الله تعالى له كذبت وتقول الملئكة كذبت
ويقول الله تعالى بل اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ويؤتى
بصاحب المال فيقول الله تعالى له الم اوسع عليك حتى لم ادعك
تحتاج الى احد قال بلى يا رب قال فما عملت فيما آتيتك قال كنت اصل
الرحم واتصدق فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملئكة كذبت ويقول الله
تعالى بل اردت ان يقال فلان جواد وقد قيل ذلك ويؤتى بالذي قتل
في سبيل الله فيقول الله له فيماذا قتلت فيقول يا رب امرت بالجهاد
في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت وتقول
الملئكة كذبت ويقول الله تعالى بل اردت ان يقال فلان جريء فقد
قيل ذلك ثم ضرب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ركبتي فقال
يا ابا هريرة اولئك الثلاثة اول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيمة
رواه الامام البغوي في المعالم ومن ذلك ما روى الامام البغوي محيي
السنة من الحديث الطويل عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال خرج
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في ساعة لا يخرج فيها ولا يلقاه
احد فاتاه ابو بكر الصديق الاكبر رضي الله تعالى عنه وعن ابيه ودارته
العلية فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما جاء بك يا ابا بكر فقال خرجت
لالقى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانظر الى وجهه والتسليم
عليه فلم يلبث ان جاء عمر رضي الله تعالى عنه فقال صلى الله تعالى عليه
وسلم ما جاء بك يا عمر قال الجوع يا رسول الله فقال النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم انا وجدت بعض ذلك فانطلقوا الى منزل ابي الهيثم بن

اليهان الانصاري رضي الله عنه وكان رجلاً كثير النخل والشاء ولم يكن له
خدم فلم يجدوه فقالوا لامرأته اين صاحبك فقالت انطلق ليستعذب
لنا الماء فلم يلبثوا الى ان جاء ابو الهيثم بقربة يزعبها اي يحملها مثقلة
فوضعها ثم جاء يلتزم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويفديه
اي قال لهم فداك ابي وامي يا رسول الله تعالى عليه وسلم فهذه الالفاظ
غاية التعظيم ونهاية التكريم للضيف وللاحباب عندهم في عرفهم
فلكل قوم عادة في بلدتهم ثم انطلق بهم الى حديقته فبسط لهم بساطا
ثم انطلق الى نخلة فجاء بقنوة فوضعه فقال النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم افلا تنقيت لنا من رطبه فقال يا رسول الله اني احببت ان تخيروا
من رطبه وبسره فاكلوا وشربوا من ذلك الماء فقال النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده النعيم الذي تسألون عنه يوم
القيمة ظل بارد ورطب طيب وماء بارد فانطلق ابو الهيثم ليصنع لهم
طعاما فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تذبحن ذات در فذبح لهم
عناقا او جديا فاتاهم بها فاكلوا فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
هل لك خادم قال لا قال النبي صلى الله عليه وسلم فاذا اتانا سبي
فاتنا فاتي النبي براسين ليس معهما ثالث فاتاه ابو الهيثم فقال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اختر منهما فقال يا نبي الله اختر لي فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان المستشار مؤتمن خذ هذا فاني رايته يصلي
واستوص به معروفا فانطلق ابو الهيثم الى امرأته فاخبرها بقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فقالت امرأته ما انت ببالغ ما
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان تعتقه قال فهو عتيق
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى لم يبعث نبيا
ولا خليفة الا وله بطانتان بطانة تامره بالمعروف وتنهاه عن المنكر

وبطانة

وبطانة لا يالوه خبالا ومن يوق بطانة السوء فقد وقي كذا في المعالم
ويؤيده قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة اي صداقة
وصفوة من دونكم اي من غير جنسكم من المؤمنين ماخوذ من بطانة
الثوب لقربها من البدن اي لا تقربوهم انفسكم بالصداقة والخلة
فتطلعوهم على اسراركم ومحل قوله من دونكم نصب بانه صفة بطانة
اي بطانة كائنة من دون ابناء جنسكم مجاورة لكم ثم اخبر عن سبب
نهيه عن المواصلة بهم بقوله لا يالونكم خبالا اي لا يقصرون في اذيتكم
فسادا بالمكر والخديعة لمعرفته طبايعكم ولا لغفلته مقاصدكم
ولكونه اشد الاعداء اذا امن من خوف سيفكم وفاقا لما عندكم ونفاقا
عن الظهر لاعدائكم من الكفرة العندة والفجرة اللددة كما هو حال الاعداء
المتبطن بذي الوجهين وشان اصحاب النفاق صورة ومعنى في البين
فيجب على المؤمن ان لا يسلم اموره في الدين والدنيا الى حبيب وصديق
قبل ان يجرب ويبلو فان خيانة العارف المنافق اشد من الاعداء
الجاهل الموافق نصا وعقلا وهو نصب على التميز ودوا ما عنتم اي
واحبوا عصيانكم وضرركم الى دينكم ودنياكم والعنت المشقة
لصاحبه والمذمة من العبد عند الله تعالى قد بدت البغضاء اي ظهرت
العداوة للمؤمنين الذين يلقونهم من البطانة وليست في قلوبهم
بل لاجل الاطلاع على اسرارهم كما هو حال الاعداء الجاسوس الذين
اظهروا حين المكالمة على صورة الصداقة من افواههم من التكذيب
والاهانة لوقوع الكفار فيهم فيخرجون بما يسمعون من اسرار المسلمين
فيطلعونه الى اخوانهم من الكفار ثم يستمسكون بما لهم وما تخفي
صدورهم من انواع الخيانة واصناف الضرر والعداوة والبغض لكم
اكبر مما اظهروا بافواههم قد بينا الايات الدالة على وجوب الاخلاص

في الدين ومضادة اولياء الله ومعادات اعداءه من الكافرين والمنافقين
ان كنتم تعقلون ما بيّنا لكم فتعملون بما ينفعكم وتجتنبون عما يضركم
في الدارين وروى عن ابن عباس رضيهما النعيم صحة الابدان
والاعضاء ليسئل الله العباد فيما استعملوها وهو اعلم بذلك منهم
جواب لقسم المحذوف
وذلك لان السمع والبصر والفؤاد كل ذلك كان عنه مسؤلا قال
عن الصحة والفراغ كذا قال سعيد بن جبير مع المال وايضا روى عن ابن
عباس رضيهما انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نعمتان
مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقال محمد بن كعب عما
انعم عليكم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابو العالية من الاسلام
والسنن وقال الحسين بن الفضل تخفيف الشرايع وتيسير القرآن
وحكى ان وهب بن منبه رح نظر الى رجل اصم واعمى ومجذوم فقيل له
هل بقى على هذا من النعيم شئ فقال اعظمها يسوغ له ما يأكل ويسهل
اذا خرج وقال سعيد بن المسيب لما نزلت هذه الآية قيل له فاى
نعيم يسئل عنه وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ظلال المساكين والماء البارد في اليوم
الحار والاخبية التي تكنكم من الحر والبرد وصحة الابدان وقال
بشر بن مالك رضيه اضاف المقداد بن اسود رضيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم طعاما فاكل ثم سقاه ماء باردا فاستطابه
وقال يا بردها على الكبد ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم اذا شرب
احدكم الماء فليشرب ابرد ماء يقدر عليه قال المقداد ولم قال
صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اطفأ للمرة وانفع للعلة وابعث
على الشكر وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان اول ما يسئل يوم القيمة عن النعيم

الرنصح

الرنصح جسمك ونروّيك من الماء البارد رواها الامام محيى السنة
في المعالم رحمه الله تعالى

سورة العصر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم روى عن ابي بن كعب رضيه
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة العصر
ختم له بالصبر وكان من اهل الحق واصحابه وهذه السورة مكية وهي
ثلاث آيات واربع عشر كلمة واحد وسبعون حرفا وانتظام السورتين
انهما في الترغيب والترهيب والعصر والواو للقسم انما اقسم بها لان
صلوة العصر فضيلتها زائدة على غيرها لما روى عن ابن عباس
رضيهما انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من فاتته
صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله رواه البخاري كذا في عيون التفاسير
اي ليكن من فوتها على الحذر كما من فترق اهله واولاده لكونها
صلوة الوسطى على المختار وهو قول مقاتل وعلي بن ابي طالب كرم الله
وجهه وعبد الله بن مسعود وابي ايوب الانصاري وابي هريرة
وعايشة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وبه قال ابراهيم النخعي
رح وقتادة والحسن البصري رح وروي عن ابي يونس مولى عايشة
رضيهما انه قال امرتني عايشة رضيهما ان اكتب لها مصحفا وقالت
اذا بلغت هذه الآية حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى
فاذني فاعلمني فلما بلغت اذنتها فاملت على حافظوا على الصلوات
والصلوة الوسطى صلوة العصر قالت عايشة رضيها سمعتها من
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن حفصة رضيها مثل ذلك
وروى عن ابي المليح قال كنا مع بريدة في غزوة في يوم ذي غيم
فقال بكروا في صلوة العصر فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال من ترك صلوة العصر حبط عمله كذا قال الامام الاعظم رحمه

رواه الامام محيي السنة في المعالم وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية لغوي هو المراد منه دهر النبوة وعصرها مطلقا او خاصة بعصر نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لاشتماله على الاعاجيب المستغربة وتحول الناس من الشرك العظيم والكفر الجسيم الى نعمة الايمان والاسلام في المدة القليلة والامتلاء بهما الى يوم القيمة وتخلص الانسان عن الخسران والندامة وقال ابن كيسان ومحمد بن كعب رح المراد به الليل والنهار لانه يقال لهما العصران وقال الحسن البصري رح بعد زوال الشمس الى غروبها وقال الامام قتادة آخر الساعة من النهار هذه الاقوال كلها على مذهب المتقدمين وهم الذين يجتهدون ويقدرون على الاستنباط كالاصحاب العظام رضوان الله عليهم اجمعين والتابعين كالمجاهد وقتادة والامام الاعظم نعمان بن ثابت الكوفي والامام مالك المدني ومن اشبههم في المال والحال من القرن الاول الى الطبقة الثانية رحمهم الله تعالى رحمة واسعة فشأنهم تأسيس قواعد الاصول والاستنباط من الادلة الثلاثة الكتاب والسنة واجماع الامة من غير تقليد لاحد من الآحاد لا في الفروع ولا في الاصول على حسب تلك القواعد وهي الطبقة العليا المسمون بالائمة المتقدمين عند العلماء الاصوليين فانهم ان الله تعالى فاعل في القسم بذاته العالي او بجليل القدر عنده من الموجودات كالليل والنهار والسماء والارض وما بينهما وفوقهما وتحتهما من النجوم والاشجار لانه تعالى يفعل ما يشاء ويختار واما المتأخرون وهم الذين وجدوا في الطبقة الثانية كابي يوسف يعقوب الاصفهاني ومحمد بن حسن الشيباني وزفر وغيره من تلاميذ ابي حنيفه سراج الملة والدين والشافعي ادريس وتلاميذهم كالمزني

والبوبطي

والبوبطي وغيرهم الى الطبقة السادسة وهم المقلدون القادرون على التمييز بين القوي والضعيف والغث والسمين والنحيف وظاهر المذاهب والنادرة كاحمد ابي البركات العلامة في الاصول والفروع صاحب الكنز والكافي والكشف والمنار وتاج الشريعة صاحب الوقاية وابي الفضل الموصلي صاحب المختار واحمد بن الساعاتي صاحب مجمع البحرين وشأنهم ان ينقلوا في كتبهم الاقوال والامتياز بينهم رحمهم الله تعالى فعندهم لا يجوز القسم بغير ذات الله تعالى وصفاته وما وقع من هذه الاشياء المقسم بما وقع في الكتاب العزيز في الاشياء التي في ذاتها تعظيم وتوقير عند الله تعالى فالعظمة الواقعة فيها راجعة الى الله تعالى العلي العظيم فلذا اوله المتأخرون ويقولون ان الاشياء المذكورة فاول بالحذف فالمعنى في بحثنا ورب العصر وقس على هذا والشمس والليل والضحى فالمضاف محذوف في كلها كما ترى فلذا قال الامام الزجاج حق القسم ان يكون على ذات الله تعالى وصفاته واما ما وقع على الغير فاول بحذف المضاف مؤيدا للمتأخرين فعلى كلا التقديرين جواب القسم قوله ان الانسان فاللام للجنس فاللفظ مفرد ومعناه جمع ليصح الاستثناء منهم اذ المعنى كل الانسان وجميعهم لفي خسر وخسران وخسارة يوم القيمة في مساعيهم وتجارتهم وصرف اعمارهم في مطالبهم والخسر والخسران والخسارة كلها ذهاب رأس المال ونقصه ولا ربح في اليد فالانسان في خسر دائم باهلاكه نفوسه النفيسة واذالة اعماره الطيبة في الافعال الردية والاقوال الخبيثة وهما اكثر رأس ماله وانفس نفيس حاله في ماله لانه يعزه بهما ان اطاع ويذل بهما ان بغى وطغى واهان وهذه السورة نزلت حين اسلم ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وعن ابيه

مطلب بيان وقت الاجتهاد من المتقدمين والمتأخرين

مطلب القسم بغير ذات الله

قحافة وابنه عبد الرحمن وبنته عايشة الصديقة زوجة النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم واختلف فى ابيه قحافة هل هو اسلم فى فتح مكة او وقت
خلافة عمر رضى الله عنه حتى قالوا فيه جمعوا فى الاسلام بثر اشرهم
ولم يتيسر هذا الكثير من الناس فقال له المشركون له يا ابا بكر خسرت
بترك دين ابائك فقال لهم فى الجواب ليس قبول الحق بخسران
وليس الايمان بكتاب الله العزيز بخسران وليس مشاهدة انواع
المعجزات والايات البينات بخسران من شهادات الاشجار والاحجار
واقرار الوحوش والطيور والنباتات والاذعان بها والاقرار بها
كالشمس فى وسط النهار بل بعين الفائزة بانواع الكرامة التى تختص
بالنبوة وانما الخسران فى ترك عبادة الخالق الذى لا اله الا هو
وتضييع الاعمار فى الاوثان والاصنام التى لا تسمع ولا تبصر ولا
تغنى عنكم من الله فى شئ ولا تدفع عذابه ولا ترفع عقابه بل تصنعون
بايديكم بانواع الصنايع الكاذبة افتخارا فيما بينكم وتكسرون
بايديكم عند عدم المماشات الى المطالب الباطلة عندكم وهن
مصنوعة بايديكم فالله تعالى صانع العالمين وربه من السموات
وما فيها والارض وما بينهما هذا الايق بالالوهية والمعبود بالحق
العليم بحال المخلوقات ظاهرا وباطنا الحى القيوم لا تأخذه سنة
ولا نوم وهو على كل شئ عليم قدير فالويل لكم والخسران لكم ايها
الكافرون المعاندون فى الكفر والضلالة منغمسون وعن الجنة
يبعدون وفى النار مدخلون وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات
تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه
ذلك الفوز العظيم فسمعوا هذه الكلمات الطيبة والمعاملات العلية
فسكتوا وانقطعوا افترلت والتعريف فى الانسان للجنس والتنكير

فى خسر

فى خسر لاظهار الفضاعة والزام الاهانة الا الذين آمنوا فانهم فى
تجارة لن تبور حيث باعوا الحسيس الفانى واشتروا النفيس الباقى
واستبدلوا الباقيات الصالحات بالباغيات الطالحات فيا لها
من صفقة ما اربحها وهذا بيان لتكميل مالانفسهم كابى بكر
الصديق وغيرهم من المؤمنين وكخديجة الكبرى وغيرها من المؤمنات
وعملوا الصالحات استثناء متصل من الانسان باعتبار المعنى
ان قصد جنسه ومنقطع ان قصد به الكفار فيكون الا بمعنى
لكن كما هو الحال فى الاستثناء المنقطع فان المؤمنين ليسوا
فى خسر وخسران ما اتصفوا بهذه النعمة العظيمة المقبولة
عند الله وعند الملئكة بل هم فى صرف الاعمار فى تجارات فائقة
وعنايات لايقة وغرف عالية ينتفعون بها فى العقبى وانما الخسران
فى ضياع رأس المال والدرجات العالية فى المآل وظهور الافلاس
والكلال عند الحاجات وقت الاحتياج اولئك الذين خسروا
انفسهم واهليهم يوم القيمة اولئك يلعنهم الله ويلعنهم
اللاعنون فى الدنيا والآخرة واما الذين آمنوا وعملوا بالصدق
وذينوا ظواهرهم بالاعمال الصالحات وبواطنهم بالاعتقادات
الواجبات واشتروا الدولة الابدية بالدنيا الدنية ففازوا
بالحيوة الابدية والسعادة السرمدية اولئك الذين هديهم الله
واولئك هم اولوا الالباب وفى هذا المقام ابحاث لطيفة بين ابى
الحسن الاشعرى وابى منصور الماتريدى وتابعيهم رحمهم الله
تعالى ويتيسر نا شفاعتهم وهى ان الايمان فى اللغة عبارة عن التصديق
المطلق اى شئ كان لقوله تعالى حكاية عن اخوة يوسف عليه السلام
خطابا لابيهم يعقوب عليه السلام وما انت بمؤمن لنا ولو كنا

قوله بالباغيات اه فالباء فيه للمقابلة اى اختاروا الايمان فى مقابلة الكفر والضلال والطغيان منه

قوله الصديقة بنت الصديق الكبرى

قوله ابحاث لطيفة بين ابى الحسن الاشعرى وابى منصور الماتريدى منه

صادقين اى بمصدقين لنا واما الايمان عند المتكلمين فهو تصديق
نبوة الانبياء عامة ونبوة نبينا وسيدنا محمد صلوات الله على
نبينا وعليهم اجمعين وبما جاء به من الكتاب والسنة من عند الله
تعالى من الايمان بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الاخر
وبالقدر خيره وشره من الله تعالى وغير ذلك مما يجب الايمان
والتصديق خاصة به فمن وجد هذا التصديق فى قلبه فهو مؤمن
بينه وبين الله والاقرار باللسان شرط لاجراء احكام الاسلام
فهذه الرواية الصحيحة مروية عن الامام الاعظم ابى حنيفة
رحمه الله تعالى رحمة واسعة والى هذه ذهب الشيخ الامام ابو منصور
الماتريدى وابو الحسن الاشعرى والقاضى ابو بكر الباقلانى
وابو اسحق الاسفراينى وابو المعين صاحب التبسير والتمهيد
عمر النسفى وسعد الملة والدين التفتازانى فى شرح المقاصد
فقال فيه فالاقرار اذا جعل شرط اجراء الاحكام الاسلامية
لا بد له ان يكون على وجه الاعلان على الامام وغيره من اهل
الاسلام بخلاف ما اذا جعل الاقرار ركن الايمان فانه يكفى له
مرة وان لم يظهر لغيره لان الظاهر ان الالتزام للشرعيات
يقوم مقام ذلك الاعلام كما لا يخفى بخلاف شرطية الاقرار
فانه يلزمه الاعلان البتة لكل احد لان انتفاء الشرط يستلزم
انتفاء المشروط دون العكس كالوضوء للصلوة فالركنية فى
الاقرار مروى عن الامام الاعظم ابى حنيفة رح ايضا ولعل
وجهه ان الاقرار يحتمل السقوط شرطا او شطرا بعذر الاكراه
مع ان الايمان فى المؤمن مستوعب بجميع الاوقات قليلا كان او كثيرا
ولو آنا فانتفاء الايمان فى المؤمن كفر ولو آنا ولحظة والتصديق

لا يحتمل السقوط اصلا ولو اكراها لكن التصديق لما كان امرا باطنيا
لا يطلع عليه احد الا الله تعالى وكان الاقرار باللسان دليلا على ذلك
التصديق والاذعان فذهب الامام الاعظم رحمه الله تعالى على الروايتين
الشرطية والشطرية فاضبط هذا ثم ان المتكلمين اختلفوا فى طريقه
هل هو وجب عقلا بالادلة العقلية كما وجب بالادلة النقلية
القطعية ام لا فذهب الامام الاعظم رح ايضا بوجوب الايمان
عقلا بالاستشهاد والاستنباط من الادلة العقلية الحاصلة
بتفكر الايات الباهرات من طلوع الشمس وغروبها والنجوم المسخرات
وغيرها من الامور المحكمات فى الارض ومن فيها والسموات وما فيها
كما ذكره الامام الحاكم الشهيد فى كتابه المنتقى ان ابا حنيفة رح قال
لا عذر لاحد فى الجهل بخالقه لما يرى فى الخلق والسموات والارض
وما فيها وبينهما ونفسه وغيره من المصنوعات والموجودات من الحكم
العلية والعبر الجلية وروى انه رح قال لو لم يبعث رسول بالكتاب
والمعجزات لوجب على الخلايق معرفة الله تعالى بعقولهم من ان حركة
الافلاك وهيئتها مع النجوم والكواكب السيارة ونزول الامطار
بالانتظام والمواقيت والصواعق والبرق واختلاف الليل والنهار
بالنظام والهيئات والاشجار المثمرات والارضين واختلاف
الالوان والاصوات والطبايع والصور والحركات والسكنات
مما يعرفه عقول البشرية ويكشفه فهوم الانسانية ان لهذه الاشياء
المصنوعة الغير المعدودة خالقا يخلقها على ما يشاء ومربيا يربى
كيف ما يشاء مما يرى ولم يزل بما اقتضته الحكمة الازلية الابدية
وحق لا شريك له بحيث قدر الاشياء ونظم الاحوال انتظاما
لم يقدر عليها غيره فيقتضى هذه وحدة ربها من حيث انه لا يقبل

الشركة المانعة لهذه الصنايع الغريبة المنتظمة الخارجة عن حوا
الشرقية الغربية المتنوعة من عدم فساد الفلكوت ونظام الملكوت
وكما قال الله تعالى في كتابه العزيز في آخر سورة والذاريات وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون استيناف مؤكد للامر ومقرر لمضمون بتعليله
فان كون خلقهم مغيا لعبادته تعالى مما يدعوه عليه السلام الى تذكيرهم
ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ ولعل تقديم خلق الجن في الذكر
لتقدمه على خلق الانس في الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم
مستعدين ومتمكنين منها اتم استعداد واكمل تمكن مع كونها
مطلوبة منهم بتنزيل ترتيب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب
الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات جليلة
مما لا نزاع فيه كيف وهي رحمة منه تعالى وتفضل على عباده كما ان العلم
تابع للمعلوم وانما الذي لا يليق بذاته الاعلى وجنابه الاسنى جل شانه
وجل سلطانه تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث
لولاه لم يفعله لافضائه الى استكماله بفعله وهو الكامل بالفعل من كل
وجه المكمل لجميع الاشياء واما بمعنى نهاية كمالية يفضي اليها فعل
الفاعل الحق فغير منفي من افعاله تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج
وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفي في معنى التعليل
وتحقيقه ما يقوله الفقهاء ويتعارفه اهل اللغة هذا المقدار ويه
يتحقق مدلول اللام واما ارادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام
حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الارادة
فان تعوق الوصول الى الغاية مع تعاضد المبادي وتاخذ المقدمات
الموصلة اليها لا يمنع كونها غاية كما في قوله تعالى كتاب انزلناه اليك
لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره وقيل المعنى الا ليؤمروا

بعبادتي

بعبادتي كما في قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله وقيل المراد سعداء
الجنسين كما ان المراد اشقياؤهما في قوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم
كثيرا من الجن والانس ويعضده قراءة وما خلقت الجن والانس
من المؤمنين وقاله مجاهد واختاره الامام البغوي معناه الا ليعرفون
ومداده قوله صلى الله تعالى عليه وسلم حاكيا عنه تعالى كنت كنزا مخفيا فاحببت
ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ولعل السر في التعبير عن المعرفة
بالعبادة على طريقة المجاز الاولى باطلاق اسم السبب على المسبب
وللتنبيه على ان المعتبر هي المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما
يحصل بغيرها كحصل المعرفة بقوله وهو الله الذي لا اله الا هو وله
الاسماء الحسنى والصفات العليا عالم الغيب والشهادة وهو العزيز
الرحيم والغفور الحكيم وعليه مشايخنا رحمهم الله تعالى قال الشيخ
ابو منصور الحنفي الماتريدي صاحب التاويلات توفي في سنة ثلثمائة
وخمس وعشرين وهو الامام في العقايد الحنيفية كما ان ابا الحسن
الاشعري امام في العقايد الشافعية رحمهما الله تعالى وهو اخذ علم الكلام
ابتداء عن ابي علي الجبائي بضم الجيم وفتح الباء الموحدة المشددة
الممدودة نسبة الى الجباء قرية بالسواد وابو علي الجبائي من متقدمي
المعتزلة وكان اماما بينهم في علم الكلام واخذه من يعقوب بن
عبد الله البصري رئيس المعتزلة بالبصرة في عصره وعنه اخذ الشيخ
ابو الحسن الاشعري وله معه مناظرات مستحسنات بعد ما اقام
على الاعتزال معه اربعين سنة ثم رجع عن الاعتزال فتاب وحسن
حاله وصحح مذهبه وقبل مذهب اهل السنة وصار امام الائمة
من اهل السنة والجماعة قيل انه مالكي المذهب وقال الامام الجلال
السبكي اخذ فقه الشافعي عن ابي اسحق المروزي رح توفي سنة

ثلاثين وثلاث مأة واما الجبائى توفى سنة ثلاث وثلثمأة فالشيخ
قال ان الصبى العاقل المميز الغث عن السمين والشمال عن اليمين يجب
عليه معرفة الله تعالى حسب ما يقدره واليه ذهب اكثر فحول مشايخ
العراق لان الوجوب على البالغ المكلف باعتبار العقل وهو مدار
التكليف فالبلوغ اما من شرطه او من شطره على الاختلاف فاذا
كان الصبى عاقلا مميزا كان كالبالغ فى وجوب الايمان وانما التفاوت
بينهما فى ضعف البنية وقوتها فلا جرم يفترقان فى عمل الاركان
فيما لا يتعلق بالجنان وذهب كثير من مشايخنا الى انه لا يجب على
الصبى شئ قبل البلوغ لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم رفع القلم عن
ثلث عن الصبى حتى يحتلم اه وحمله الشيخ ابو منصور الماتريدى رح
على الشرايع التى كلف الله تعالى عباده العاقلين البالغين ولا خلاف
بين اصحابنا فى صحة ايمان الصبى العاقل واما الفرق بيننا وبين المعتزلة
فى معرفة العقل حسن الايمان وشكر المنعم وقبح الكفر فقال اهل
السنة والجماعة ان العقل آلة تعرف حسن بعض الاشياء وقبحه
بخلق الله تعالى بصرف ارادة العقلية واختيارات الجزئية كما فى سائر
الاعمال الخيرية والافعال الشرية لا بايجاد العقل وخلقه كما مذهبهم
الباطل بخلق العبد افعاله فهذا باطل جدا مشعر الشركة فنعوذ بالله
تعالى من ذلك فالحمد لله وحده على كوننا من زبدة اهل السنة وعمدة
اهل الجماعة فنقول نحن معاشر اهل السنة جوابا مغنيا مقنعا
ان العقل كاسب مأمور بصرف الارادة والله تعالى خالق فى الازل الذى
صوره وقدره وعلمه وانما كسب العقل حسن الشئ وقبحه من
الادلة السمعية والاصابة الى المعلقات الالهية كما انه ذهب
اليه الاشاعرة من اهل السنة واما المشبهة والخوارج والروافض

من اهل

من اهل البدع الباطلة فانه لا يجب بالعقل شئ اصلا ولا يحسن
ولا يصح الا بالادلة السمعية لكن قولنا من طرف العلماء من اهل السنة
والجماعة بطريق الكسب من العباد والخلق من الله تعالى تميز المذاهب
ويدفع الاسولة الغريبة لان العقل آلة الكسب والموجد هو الله تعالى
كما ان الرسول صلى الله عليه وسلم آلة التعريف ومعرف للوجوب
والموجب هو الله تعالى حقيقة لكن بواسطة الرسول وكتبه صلى الله
تعالى عليه وسلم وانما عدم جواز القدرتين فى مقدور واحد عند
اتفاق السببين كالكسبين والخلقين واما عند اختلافهما فلا مانع
فى جمعهما كما اتفق عليه الالهيون والحكميون والمنطقيون فى شئ
واحد فلا يتوجه من الاشاعرة ما الزم من لزوم المقدرتين فى مقدور
واحد ومراد اهل السنة بوجوب الايمان انه ثبت فى العقل نوع رجحان
للاتيان بالايمان بحيث لا يحكم العقل ان الترك والاتيان سيان
منهما بل يحكم بان الايمان والاتصاف به يوجب نوع مدح عند
الملئكة الكرام عليهم السلام فضلا عن الانام والتبعد والضلالة
منه يوجب الذم عندهم من ذوى العقول منهم فعلى هذا الاختلاف
بيننا وبين الاشاعرة فى هذه المسئلة اللازمة فهمها واللايقة
حفظها فالايمان عبارة عن تصديق الجنان بالايقان بلا اذعان
كما هو الاصل فى معنى الايمان من حيث اللغة عند اهل العرفان ولا اقرار
باللسان الذى لا يعرف المؤمن الا به فكان حقيقة الايمان هو التصديق
القلبى امرا باطنا لا يطلع عليه احد الا الله تعالى وباقراره عبادة
فللعباد تترتب مصالح الاسلام عليهم من احكام الارث والنكاح وما
سواها فجعل الاقرار دليلا على ما فى الباطن من العقايد الحقة ودقايق
الحكمة ليعلم به وليترتب عليه المصالح المتعلقة بوجوده كما بين

بالحقية والباطلة بحيث لا جبر ولا تفويض فالاول رد للجبرية والثانى رد لاهل الاعتزال
صح

فى محله ان سؤال المنكرين فى القبر مقصور فى دين الاسلام وليس فى سائر
الاديان قبل الاسلام ليعلم الملكان السائلان الميزان ثبوت المؤمن
الخالص على الايمان والتصديق بالاعتقاد والاقرار باللسان بالقول
الثابت فى الحيوة الدنيا والشهادة فى العقبى فضلا من الله ونعمة والله عليم
حكيم على المؤمن المخلص فى الدين حيث يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت فى الدارين ويضل الله الظالمين المنافقين حيث لا يقدرون
الجواب عند سؤال الملكين المنكرين اللهم سهل لنا جوابنا عند السؤال
واجعلنا للمتقين اماما ويسر لنا شهادتهما على جوابنا تماما واجعلنا غالبين
ولا تجعلنا من المغلوبين لنا تماما آمين ثم آمين بحرمة الانبياء والمرسلين
فالتصديق وحده لا يكون ايمانا فى الاعيان ولا يستلزم ان يكون اهل
الكتاب كلهم مؤمنا لانهم يعرفون حقيقة الايمان وحقيقة الايمان والاسلام
كما يعرفون ابنائهم حيث لا يشكرون وعلى نعمة الاسلام لا يشكرون والحمد لله
على دين الاسلام وعلى توفيق الايمان والاذعان وثبت قلوبنا على الاتقان
وعلى هداية الرحمان وعلى مزيد الانعام من الصحة والعافية والاحسان
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب
واليك المرجع والمآب والاقرار ايضا لا يكون ايمانا وحده والا يلزم
ان يكون المنافقون كلهم مؤمنا لاقرارهم نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم بان يشهدوا بقولهم حين جاؤا مجلسه انك لرسول الله والله
يشهد انهم لكاذبون فى اقرارهم خاليا عن التصديق فى قلوبهم فالايمان
عند مشايخ ابى المنصور الماتريدية من اكمل اهل السنة وعمدة اصل الجماعة
ثنائى عبارة عن التصديق والقبول اذعانا واتقانا وعن الاقرار
باللسان شطرا او شرطا على الروايتين المذكورتين آنفا فمنهم الامام
الاعظم والهمام الافخم نعمان بن ثابت الكوفى رحمة الله تعالى عليهم اجمعين

واما

واما عند مشايخ الاشاعرة فالايمان ثلاثى عبارة عن الاقرار باللسان
والتصديق بالجنان والاعمال بالاركان وعدوا الاعمال كالحج والصلوة
والصوم والزكوة وامثالها من حقيقة الايمان فلا يخفى على المراتب
الثلثة ان الايمان ثمرة تصديق القلب ومن عمله لان الادراك
والاذعان والتصديق لا يصدر ولا يحصل الا عن القلب لغة وعرفا
فاصحاب ابى المنصور يتعبون بانواع التعب والمشقة فى ادخال الاقرار
وهو من عمل اللسان فى اصل الايمان وحقيقته مع ان وجوده لا يعرف
الا به ولا تجرى عليه الاحكام المتعلقة باهل الايمان الا بالاقرار
باللسان كما فصلناه سابقا وهذه الكيفيات من معلوماتهم الجلية
ومفهوماتهم العلية وهم من عمدة اهل السنة وزينة اهل الجماعة فكيف
يتيسر لهم ادخال الاعمال الصادرة عن الجارحة للانسان فى حقيقة
الايمان مع ان كل الاعمال مخصوصة بمصادرها فلا يتجاوز المحل
حتى يوجد فى القلب ويدخل فيه فمنهم الامام الشافعى عليه رحمة
البارى من ائمة اهل السنة والجماعة فالاتفاق بينهم حجة قاطعة
والاختلاف رحمة واسعة فنحن من معاشر اهل السنة والجماعة خاصة
على مذهب الامام الاعظم نعمان بن ثابت ابى حنيفة رحمة الله تعالى رحمة
واسعة يلزم علينا الجواب الشافى فى التعليل والالزام الوافى للعليل
حمية المذاهب النعمانية وغيرة المشرب من طرف كل اهل السنة والجماعة
لاينال الاجر فى الآخرة والغرف العالية فى الجنة رحمهم الله تعالى وحشرنا
معهم مع الابرار من الصديقين والشهداء والصالحين باجوبة ثمانية
بعناية الله تعالى وتوفيقه والهامه وتيسيره وهو ميسر كل عسير
قادر على كل شىء قدير الجواب الاول ان اعمال الجوارح كلها من ثمرات
الايمان وهو ظاهر لا من حقيقته وافراده لانها عطفت فى كثير من مواضع

ش: المشائخ بن ابى منصور
وبين الامام ابى
الماتريدية
رحمهما

[illegible] القطامية [illegible] بأن الأعمال

القرآن خاصة هنا فى قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات عطفت
على آمنوا والمعطوف غير المعطوف عليه بالاتفاق من اهل المعانى والاصوليين
ويؤيد المغايرة الواو الفاصلة فلو كان الاعمال نفس الايمان كما قال
الاشعريون يلزم عطف الشئ على نفسه على تقدير الوحدة وهو لا يجوز
فى كلام البلغاء اصلا فضلا عن كلام الله تعالى فانه فى غاية البلاغة
من الاعجاز والفصاحة فلاجله يعجز عن اتيان مثل السورة القصيرة اهل البلاغة
وجمل حسان بن ثابت وهو من سلطان الشعراء بعد اسلامه الكفرة
المعاندة على حمقى الحماقة والندامة هذا الجواب الملزم من الوظايف
الثلثة المشهورة بين الادبيين لا تخلص عنه ابدا ولا يتيسر التخلص
احدا فالحمد لله على التوفيق الجواب الثانى ان ذكر الله تعالى الايمان
والاعمال فرادى يدل على الغيرية لا العينية فلو كان كما قلتم لقال الله
تعالى فى آية مرة آمنوا وقصر عليه ومرة اخرى عملوا وقصر عليه ولم يذكر
الآخر معه وذكرهما فى حالة واحدة يدل على الغيرية عن الآخر مع اختلاف
المصيرين والمصدرين فاذا ثبت من اختلاف المصادر ان احدهما
غير الآخر فكيف يتصور الثلاثية بخلاف الافتراق والمخالفة للجنسية
على ان محل احدهما غير الآخر فقصر تعالى الايمان على آمنوا والصالحات
على عملوا يدل على ان احدهما غير الآخر هذا الجواب مما سطر فى الكتاب
لا يخفى على اولى الالباب هذا والجواب الثالث ان الايمان شرط
لصحة الاعمال وقبولها كالوضوء للصلوة فالشرط من حيث هو شرط
يغاير المشروط من حيث هو وخارج عنه فبين الايمان والاعمال عموم
وخصوص مطلقا من النسب الاربعة المذكورة فى علم المنطق اذ كل ايمان
طاعات صالحات وليس كل صالحات بايمان كما بين المعصية والكفر
كذلك لان كل كفر معصية وليس كل معصية بكفر فثبت المطلوب

قوله هذا من اسماء الافعال اى خذ هذا
منه

بالمغايرة

مبحث الجواب من طرف الامام الاعظم رح

١٧ اعلم

بالمغايرة والجواب الرابع ان ايمان الانبياء من آدم الى نبينا وسيدنا
محمد عليه وعليهم اكمل الصلوات واتم التحيات ونبوتهم واحد لا يزيد
ولا ينقص واعمالهم مختلفة بمقتضى شريعتهم اذ لكل نبى شريعة ومنهاج
سوى ما كان للآخر فلما كان ايمانهم بذاته تعالى وصفاته وكتابه
واحدا وشرايعهم التى كانوا عليها مختلفة فى الكمية والكيفية
من القلة والكثرة علم بداهة ان الايمان غير العمل لان الايمان
باعتبار المؤمن به لا يزيد ولا ينقص لانه ضد الكفر فلو زاد كما
كفر ذلك الرجل نقص ولو نقص لكان كفره ازيد اذ لا يجوز ارتفاع
النقيضين كما لا يجوز اجتماعهما فى المادة الواحدة فلو كان الاعمال
عين الايمان لزم ان يكون ايمان البعض قليلا لقلة المأمورات
كما ان الصحف قليلة بالنسبة الى الكتب المدونة كالتورية
والزبور والانجيل والفرقان وان يكون ايمان البعض انقص
بالنسبة الى الصحف واكثر بالنسبة الى الكتب المدونة فحاشا
ثم حاشا لا يجوز اطلاق هذا عليهم فى زمن من الازمان وفى عصر
من الاعصار فى شرايعهم عامة وفى شريعتنا خاصة فلزم
على هذا المذهب هجنات عظيمة وفسادات فخيمة فنعوذ بالله
تعالى من ذلك فاللازم باطل والملزوم مثله فتعالى ذواتهم وصفاتهم
عن هذا فكلهم واحد فى الايمان والنبوة واعمالهم مختلفة بحسب
شرايعهم وتكاليفهم كيفية وكمية فى اليسرة والعسرة والكثرة
والقلة كما ان صيام آدم ابى البشر صلوات الله على نبينا وعليهم كان
ستا وثلثين يوما من فريضة صيام ايام البيض من كل شهر
وهى ثلثة [illegible] اربعة عشر وخمسة عشر يوما وصيام موسى عليه
السلام عشرة ايام من ابتداء المحرم الحرام الى العاشوراء وصيام عيسى

صلوات الله على نبينا وعليه كان كصيا منا اثما وكيفا بحساب الشهور
القمرية المتبدلة مرة فمرة صادف الى الايام الحارة الطويلة مرة والى الباردة
على مقتضى الحساب القمرية فلم يتحملوا الى المشاق وحرفوا لحسابه من
القمرية الى الايام الشمسية التى لا تجاوز عن المحل والمحاسبة الاعادة
ووضعوا الزيادة على الثلثين لتكميل الجناية على زعمهم الباطل
فوقعوا فيما وقعوا وكفروا بما فعلوا فذمهم الله تعالى فى كتابه بقوله يحرفون
الكلم عن مواضعه فهذه ظاهرة كالشمس فى وسط النهار والاختلافات
واقعة الى يوم الحشر والقرارة الحق احق بالقبول فرحم الله عبدا قال
ومال ومن الله المسئول ان يعفونا ويتجاوز عن سيئاتنا انه هو التواب
الرحيم والجواب الخامس وهو ان الايمان محيط بجميع اعمار المؤمن
وآناته وساعاته فلو خلا المؤمن عن التصديق فى ساعة واحدة
بل لحظة واحدة لكان كافرا بلا ايمان لاحاطة الايمان اوقات
جميع اعماره ولو دقيقة فنعوذ بالله تعالى من ذلك بخلاف الاعمال
فانها موقتة كالصلوة والصيام وغيرها من الحج والزكوة الا ترى
ان الله تعالى عين الاوقات لكل العبادات المفروضة على العباد المكلف بها
وقال فى كتابه العزيز مثلا ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا اى فرضا موقتا فلا تصح بدون وقت ولا تفرض ولا تؤدى
بدونها بل كلها فى اوقاتها فلو ادى البعض قبل الوقت لا يجوز كالصلوة
والحج بغير الوقت غير المستثنيات كجمع العصر وصلوة المغرب فى مذهب
الحنفية وفى جميع الاوقات فيما سا عند الشافعية لانها مبنى الشريعة
على مقتضى الاجتهاد عند المجتهد فيجب عليه وعلى تبعه فخارج
عن المبحث بخلاف الايمان فانه فرض على المؤمن محيطا بجميع الاوقات
ومستوعبا فى كل الساعات الى الموت والجنة فلو كان الاعمال عين

الايمان

الايمان لزم ان يكون المؤمن مفارقا عن الايمان مع ان الاشعرية
مقرون بالاستيعاب ويعتقدون كما اعتقده الماتريدية بالاستيعاب
فهى ليست بمستوعبة بل هى موقتة كما سمعت فبينهما تضاد فكيف
يصح ان تدخل فيه والا فيلزم اجتماع النقيضين فاللازم باطل والملزوم
مثله والجواب السادس ان الكافر لو عمل جميع الاعمال المشروعة
فى الاسلام خالصا سوى الايمان لا يكون مؤمنا ولا ينجى من الخلود
فى النار فلو كان الاعمال من حقيقة الايمان لزم ان يكون المنافقون
مؤمنا بقبول التجزى فيه مع ان الايمان لا يقبله لان الاقرار والاعتقاد
كالجسد الواحد بحيث لا يفترق احدهما عن الآخر اذ انعدام
كل منهما يستلزم فسادا آخر يكفى فى الرد ويحكم على اسلامهم ونجاتهم
منه فاللازم باطل فكذا الملزوم والجواب السابع انه ربما يرتفع
الاعمال المفروضة عن المؤمن للاعذار الشرعية المعفوة عند الله
العفو الكريم للحرج المدفوع كالصلوة والصيام عن المؤمن المريض
الغير القادر على الاداء والزكوة والحج عن المؤمن الفقير العاجز والحائض والنفساء
التى عفى الله عنها الصلوة المفروضة لاندراجها تحت الحرج المدفوع
دون الصيام لصدور الدليل خاصة فى قضائها ولا يرتفع عنهم
الايمان فى وقت من الاوقات وجها من الوجوه لاستيعابه الاوقات
واحاطته بها فلو كانت الاعمال داخلة فى حقيقة الايمان وماهيته
لزم ان يكون مستحل السقوط من افراد المؤمنين كافرا لبطلان
اعتقاد سقوط الايمان من المؤمنين لاحاطته جميع الاوقات
والآنات عند الاتفاق من اهل الوفاق فليس الامر كذلك فاللازم
باطل والملزوم مثله والجواب الثامن ان الايمان اسم للادراك
والاذعان وهو عبارة عن تصديق القلب عامة فى اللغة وخاصة

فى اصطلاح المتكلمين من اصحاب الاصول والشريعة والقلب مصدره
ومنبعه ولا يوجد فى غيره حتى ان الكافر اذا كلف على الايمان والاسلام
فاشار بجارحة من الجوارح بروله تيكلم مع قدرته على الشهادتين
لا يحكم بالاشارة الى اسلامه ولا تجرى عليه احكام الاسلام مما لزم له
منه بخلاف الاخرس ولاصحاب الاعذار فلما تقرر هذه المعانى فى
مبانى الايمان ومصادره ومنابعه ومغايته ذهب امامنا الاعظم
وسيدنا نعمان الافخم عليه رحمة الاكرم ابو حنيفة الكوفى ابن ثابت
البغدادى ان الاقرار من شرطه فى رواية لاحتياج التصديق اليه
اشد الاحتياج الى اجراء الاحكام الشرعية له من الارث والدفن وغيرهما
وهو لا يعرف الا بالاقرار وان الاقرار من شطره فى رواية اخرى
عنه للعلة المذكورة وان لم يكن له مدخل باعتبار المصدر والمحل
ولاظهار ما فى الباطن الى الظاهر رعاية لحق المؤمن والاسلام فاذا
كان كيفية المبانى وكمية المعانى باعتبار المحل خاصة وعامة
على هذا المنهج والمنوال فكيف يطلق مبانى الاعمال ومنبعها على معانى
الايمان ومباينه والاعمال من ثمرة الايمان لا من حقيقته ولا من
مباينه بل بينهما تضاد على ما تقرر آنفا من الاحاطة للايمان
واحتمال السقوط للاعمال والا فيلزم اجتماع النقيضين فاللازم
باطل فكذلك الملزوم فى لزوم البطلان ومن الله التوفيق وعليه
التكلان فمعنى قوله تعالى على مذهب ابى المنصور الماتريدى عليه الرحمة
والغفران ان جنس الانسان على كون الاستثناء متصلا وان صنف
الانسان على كون الاستثناء منقطعا لفى خسر وضلالة وهلكة
فى النار الا الذين آمنوا من المؤمنين من التغليب كالعمرين ومن الحذف
من قبيل سرابيل تقيكم الحر اى وآمن من المؤمنات كابى بكر الصديق

وعمر بن الخطاب الفاروق وغيرهم واذعنوا وصدقوا بقلوبهم وكال
اذعانهم واثبتوا ذلك باقرارهم اجراء للاحكام الاسلامية وعملوا الصالحات
الخالصات لوجه الله تعالى بجوارحهم من الاعمال الفائقات كما امر الله
تعالى فى كتابه العزيز بقوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء
وبقوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ففائدة الذكر
بالصالحات وعدم الاكتفاء بعملوا الاحتراز عن اختلاط العمل بالرياء
والسمعة وهما يخلان بالقبول وترك الامر بقوله فليعمل للاجتناب عن البطالة
والترغيب الى السرعة كما فى قوله وسارعوا الى مغفرة من ربكم الاية
ومثل الرياء كمثل صفوان عليه تراب وحجر املس عليه غبار فاصابه
وابل ومطر غزير شديد فتركه الله او الوابل صلدا برا قانقيا
والمراؤن لا يقدرون على تحصيل شيء بما كسبوا او كسب بما عملوا كذلك
اعمال المرائى يضمحل وقت نزول الرحمة الموجبة الرضا لاهل الطاعة
الخالصة عن الشرك الخفى الذى اخفى من دبيب النملة فلا ينتفعون على
شيء من الاعمال المخلوطة مما عملوا وكسبوا فكانوا خائبا وخسيرا روى
عن محمود بن لبيد رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما
الشرك الاصغر قال الرياء يقول الله تعالى لهم يوم يجازى العباد باعمالهم
اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن لهم فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم
جزاء وفاقا وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه قال سمعت من رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى اذا كان يوم القيمة ينزل على العباد
ليقضى بينهم وكل امة جاثية فاول من يدعو به رجل جمع القرآن
ورجل قتل فى سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله تعالى للقارئ
الم اعلمك ما انزلت على رسولى قال بلى يا رب قال فماذا عملت قال

كنت اقوم به آناء الليل وآناء النهار فيقول الله تعالى له كذبت وتقول له
الملئكة كذبت ويقول الله تعالى بل اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل
ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله تعالى له الم اوسع عليك حتى
لم ادعك تحتاج الى احد قال بلى يا رب قال فما عملت فيما آتيتك قال
كنت اصل الرحم واتصدق فيقول الله تعالى له كذبت وتقول الملئكة
كذبت ويقول الله تعالى بل اردت ان يقال فلان جواد وقد قيل ذلك
ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله تعالى له فيماذا قتلت فيقول
يا رب امرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى
كذبت وتقول الملئكة كذبت ويقول الله تعالى بل اردت ان يقال فلان
جرئ فقد قيل ذلك ثم ضرب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
على ركبتي فقال يا ابا هريرة اولئك الثلاثة اول خلق الله تسعر بهم النار
يوم القيمة رواه البغوي محي السنة في المعالم وتواصوا فعل ماض من تواصى
معطوف على ما قبله من الخصال الحميدة التي اتصف بها المؤمنون
الموحدون من حيث انها سبب للدخول الى الجنان العالية كما اجتنب
عنها الخاسرون الكافرون الغاوون في الضلالة وليس بامر منه كما فهم
بعضهم والتوصية ايصال الخير بانواعه الى الغير باصنافه اى اوصى
بعضهم لبعض بعد التلبس بالتقوى والتزين بزينة التقوى والترقي
بمعارج القصوى بالحق بايقاع الامر الثابت الذي لا مجال له من الانكار
من الاعتقادات الخالصة والعبادات الصالحة والاعمال الفائقة
بكل الخيرات والحسنات والتحريض والترغيب الى الدرجات في غرف
الجنات عن الدنيا وزينتها الخبيثات الملعونات الكاذبات المانعات
وتواصوا بالصبر عن المعاصي الظاهرة والباطنة من قبيل عطف
الخاص على العام لفائدة المبالغة في اللفظ والمعنى في تحمل المشقة

لان التوصية بعد ما عمل وعرف واذا تواصى لا يقبله الا اهل الحق
والسعادة في المجالس فقليل ما هم اذ الحق مر لا يقبله الا اهله والسفهاء
يتبعهم الغاوون والطاغوت فيفترون عليه الكذب وهم يعلمون
الحق من الرب الجميل فيتكلمون بما لا يليق به فيتولد منه الغموم في العموم
فيشكل صبره كما عظم اجره فلذا ذكر سبب الربح دون الخسران
للاكتفاء وللاشعار بان ما عداه ربح الخاسرين وللاكرام على من تشرف
بربح الهداية والعذاب والعقاب على من يتوغل في الخسران والضلالة
وانما قيد الصبر على المعاصي لان ترك المعصية والتوبة عنها افضل
من فعل النوافل والتوغل فيها فان الجنة طاهرة لا يدخلها الا الطاهرون
فلذا لم يدخلها من فيه ذرة من الذنوب حتى غفر او شفع او احرق
في النار ثم ادخل وليس فيه ذرة من الذنوب اذ كل من فيها من الملئكة
والناس والحور والغلمان ليس لهم ذرة من العيوب التي تخل دخولها
فلذا خلق الله تعالى الدارين للكونين ان طاهرا فطاهر وان خبيثا
فخبيث فطريق الجنة حفت بالمشاق المرغوبة عنها المقبولة للنفس
المطمئنة اللوامة كما ان طريق النار حفت (اى زينت) بالمكاره المطلوبة للنفس
الامارة روى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم حجبت الجنة بالمكاره وحجبت النار بالشهوات وفي
رواية القضاعي رح حفت قال الامام النووي في شرح الصحيحين
حجبت لا حفت وهذا تمثيل لافادة حسن معناه وسببه الذي
يوصل صاحبه الى الجنة بارتكاب المشاق المكاره من الجهد في الطاعات
والصبر على الشهوات كما يوصل المحجوب عن الشيء بهتك حجابه
اليه ويوصل النار باتباع الشهوات مما حرم في الشريعة كالخمر
والزنا واما الشهوات المباحة فلا يدخل فيها لكن يكره الاكثار منها

قوله فيفترون عليه الكذب فيه اشارة الى ان
اهل الحق كلهم مفترون لان الشياطين يسلطون
السفهاء من جماعتهم فيفترون بما لا يليق على من اراد
الاحسان وان كان قرآن لابد من افتراء حاسد فثبت حق الكافر
عليه وان كان عدو الله فضلاء وعن ابي فتراء على اهل
الحق من علماء اهل السنة وفضلاء اهل الجماعة
اللائق ان يحق الحق بكلمات الحق لبعظم الاجر والدرجات
لان اشد البلاء على الانبياء ثم على الاولياء
ثم الامثل فالامثل ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
يبتلى العبد على حسب دينه رواه الترمذي
مـ

مخافة ان يقسى القلوب فيكسل عن الطاعات روى عن ابن عمر
رضى الله تعالى عنهما انه قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى خطبته
لا تنسوا العظيمتين الجنة والنار ثم بكى حتى جرى او بل بدموعه
جانبى لحيته ثم قال والذى نفس محمد بيده لو تعلمون ما اعلم من امر
الآخرة لمشيتم الى الصعيد ولحثيتم على رؤسكم التراب رواه
ابو يعلى فى مسنده وروى عن انس رضيه انه قال قال النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم لجبريل ما لى لا ارى ميكائيل ضاحكا قال ما ضحك
ميكائيل منذ خلقت النار رواه احمد بن حنبل فى مسنده ومما شدة
حرها انما روى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه قال قال النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار
جهنم قالوا والله ان كانت لكافية قال انها فضلت عليها بتسعة
وستين جزءا كلهن مثل حرها رواه مالك فى الموطا والبخارى
ومسلم والترمذى لكن ليس فى رواية مالك لفظ كلهن مثل
حرها وروى عن ابى هريرة رضيه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان هذه النار جزء من مائة جزء من نار جهنم رواه احمد ورواته
رواة الصحيح وعن ابى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم لو كان فى هذه المسجد مائة الف او يزيدون وفيهم رجل
من اهل النار فتنفس فاصابهم نفسه فاحترق المسجد ومن فيه
رواه ابو يعلى واسناده حسن رواه البزار ولفظه قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لو كان فى المسجد مائة الف او يزيدون
ثم تنفس رجل من اهل النار لاحرقهم وروى عن انس رضيه لو ان
غربا من جهنم جعل فى وسط الارض لآذى نتن ريحه وشدة حره
ما بين المشرق والمغرب ولو ان شررة من شرور جهنم بالمشرق

شدة حر النار على نار الدنيا

لوجد حرها من المغرب رواه الطبرانى قوله غربا بفتح الغين المعجمة
وسكون الراء المهملة وبعدها الباء الموحدة هى الدلو العظيمة
وروى عن ابى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اشتكت النار الى ربها فقالت رب اكل بعضى بعضا فجعل لها نفسين
نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فشدة ما تجدون من البرد من
زمهريرها وشدة ما تجدون من الحر من سمومها رواه البخارى ومسلم
رح وروى عن ابى سعيد رضيه عن النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم انه قال قال الله تعالى فى سورة المدثر سارهقه اى ساكلفه
فى النار صعودا اى جبلا من نار يكلف ان يصعده واذا وضع يده
عليه ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله عليه ذابت فاذا
رفعها عادت يتصعد سبعين خريفا ثم يهوى كذلك رواه احمد
فى المسند والحاكم فى المستدرك وروى عن ابن مسعود رضيه فى سورة
مريم فسوف يلقون غيا قال غيا واد فى جهنم يقذف فيه الذين
يتبعون الشهوات رواه الطبرانى والبيهقى وروى على بن ابى
طالب رضيه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تعوذوا
بالله من جب الحزن او وادى الحزن قيل يا رسول الله وما جب الحزن
او وادى الحزن قال واد فى جهنم يتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين
مرة اعده الله تعالى للقراء المرائين رواه البيهقى باسناد حسن وفى
رواية عنه يتعوذ جهنم منه كل يوم اربعمائة مرة قيل يا رسول الله
من يدخلها قال اعد للقراء المرائين باعمالهم وان من ابغض القراء
الى الله يزورون الامراء الجورة رواه ابن ماجه ورواه الطبرانى من
حديث ابن عباس رضيهما انه قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
ان فى جهنم واديا يستعيذ جهنم من ذلك الوادى كل يوم اربعمائة

استعاذة جهنم من عذاب اعدت للقراء

مرة اعد ذلك لمرأتين من امة محمد صلعم واما قعر النار فروى عن
الحسن البصري رحمه الله انه قال قال عتبة بن غزوان رضي الله تعالى عنه
على منبرنا هذا يعني منبر البصرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه
قال الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فيهوى فيها سبعين عاما
وما تفضي الى قرارها قال وكان عمر يقول اكثروا ذكر النار فان حرها
شديد وان قعرها بعيد وان مقامعها حديد رواه مسلم والترمذي
وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال كنا عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فسمعنا وجبة اي صوتا فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اتدرون
ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا حجر ارسله الله تعالى في جهنم
منذ سبعين خريفا فالآن انتهى الى قعرها رواه مسلم وروى عن
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم لو ان رصاصة مثل هذه واشار مثل الجمجمة اي مثل القدح
من الخشب ارسلت من السماء الى الارض وهي مسيرة خمسمائة سنة
لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت من رأس السلسلة لسارت
اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان يبلغ اصلها رواه احمد والترمذي
والبيهقي قال الترمذي اسناده حسن وروى عن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان مقمعا من حديد لو
وضع في الارض فاجتمع له الثقلان ما نقلوه من الارض رواه
احمد وابو يعلى والحاكم وفي رواية احمد وابي يعلى قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لو ضرب الجبل بمقمع من حديد جهنم لتفتت
ثم عاد رواه احمد في مسنده قوله بمقمع اي بمطرقة وقيل بسوط
من حديد جهنم وروى عن محمد بن هاشم انه قال لما نزلت الآية
في سورة التحريم يا ايها الذين آمنوا قوا اي بعدوا انفسكم واهليكم

واحفظوا

نارا

نارا اي عن نار جهنم بامتثال اوامر الله واجتناب نواهيه وقودها
اي ما توقد به النار من الحطب الناس اذا صاروا اليها والحجارة اي حجارة
الكبريت قرأها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعها شاب فصعق
اي صوت فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه في حجره
رحمة له فمكث ما شاء الله تعالى مغشيا ثم فتح عينيه فقال بابي انت
وامي مثل اي شيء الحجر وقال اما يكفيك ما اصابك على ان الحجر الواحد
منها لو وضع على جبال الدنيا كلها لذابت منه وان مع كل انسان
منهم حجرا وشيطانا رواه ابو الدنيا وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم
هي حجر من كبريت خلقها الله تعالى يوم خلق السموات والارض في السماء
الدنيا يعد اي يهيأ للكافرين رواه الحاكم في المستدرك وروى
عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان الارضين سبع بين كل ارض الى التي تليها
مسيرة خمسمائة سنة فالعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه
في السماء والحوت على صخرة والصخرة بيد ملك والثانية مسجن الريح
اي محبسه فلما اراد الله ان يهلك عادا امر خازن الريح ان يرسل
عليهم ريحا تهلك عادا قال يا رب ارسل عليهم من الريح قدر منخر
الثور قال له الجبار تبارك وتعالى اذا تكفي الارض ومن عليها ولكن
ارسل عليهم بقدر خاتم فهي التي قال الله تعالى في سورة الذاريات ما تذر
اي ما تترك من شيء من انفسهم واموالهم اتت اي مرت عليه الا جعلته
اي صيرته كالرميم اي كالورق البالي والثالثة فيها حجارة جهنم
والرابعة فيها كبريت جهنم قالوا يا رسول الله اللنار كبريت قال
نعم والذي نفسي بيده ان فيها لاودية من كبريت لو ارسل فيها الجبال
الرواسي لماعت اي اضاعت والخامسة فيها حيات جهنم ان افواهها

كالاودية تلسغ الكافر لسغة فلا يبقى منه لحم من وضم والمراد منه
ما يوضع عليه اللحم اى لا يبقى منه لحم الا سقط عن موضعه والسادسة
فيها عقارب جهنم ان ادنى عقرب منها كالبغال الموكفة وهى مسيلة
القرهر تضرب الكافر ضربة تنسيه ضربتها حر جهنم والسابعة
سقر وفيها ابليس مصفد اى مشدود بسلسلة الحديد يداما مروية
خلفه فاذا اراد الله ان يطلقه لما يشاء من عباده اطلقه رواه الحاكم
واما ذكر حياتها وعقاربها فروى عن عبد الله بن حرث رضى الله
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان فى النار حيات
كامثال اعناق البخت تلسغ احديهن لسغة فيجد حموتها اى حرها
سبعين خريفا اى سنة وان فى النار عقارب كامثال البغال
الموكفة تلسغ احديهن لسغة فيجد حموتها اربعين سنة رواه
الطبرانى وروى عن يزيد بن شجرة رضى الله قال ان لجهنم ساحلا
كساحل البحر فيه هوام وحيات كالبخت وهو ما يتولد من العربى
وعقارب كالبغال الدل اى السواد فاذا استغاث اهل النار التخفيف
قيل اخرجوا الى الساحل فتاخذ تلك الهوام شفار اعينهم وشفاههم
وجوههم وما شاء الله من ذلك فتكشطها اى تنزع جلدهم فيرجعون
ويبادرون الى معظم النيران فاذا القوا فيها تسلط عليهم
الجرب حتى اذا احدهم ليحك جلده حتى يبدو العظم وان جلد
احدهم اربعون ذراعا فيقال يا فلان هل تجد هذا يؤذيك
فيقول نعم فيقال له ذلك بما كنت تؤذى المؤمنين رواه ابو الدنيا
واما ذكر شراب اهل النار فروى عن ابى سعيد الخدرى رض
عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى سورة الدخان فى قوله تعالى
كالمهل اى كالنحاس والرصاص يغلى فى البطون كغلى الحميم اى الماء

بحث النار وعقاربها
وغليان البطون
طعام النار

الحار

الحار الذى انتهى حره قال كعكر الزيت فاذا قرب سقطت
فروة وجهه اى جلده رواه احمد والترمذى قال اهل التفسير فى
هذا المقام فى معنى هذه الاية العزيزة ان شجرة الزقوم اى شجرة
ثمرتها طعام اهل النار ونزله طعام الاثيم على وزن الفعيل للمبالغة
فى اصل الفعل الصادر اى كثير الاثم والعصيان وهو ابو جهل
والوليد بن مغيرة ومن تبعهما من الكفار والزقوم اسم شجرة
صغيرة الورق ذو مرة تكون بتهامة وفى ذكرها دلالة على ان
ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل ولهم ما وراء
ذلك ما يقصر عنها الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار فلما ان
سمعوا انها فى النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجرة ولم
يعلموا ان ما قدر على خلق يعيش فى النار ويتلذذ بها فهو تعالى
اقدر على خلق الشجرة فيها وحفظه من الاحراق فانها شجرة
تخرج منتهيا فى قعر جهنم واغصانها ترفع الى دركاتها كالمهل
اى كالصفر المذاب والنحاس او كدردى الزيت وهو ما يمهل
فى النار حتى تذوب يغلى فى البطون قرئ بالتاء باعتبار الشجرة
وبالياء باعتبار الزقوم لا المهل اذ الاظهر ان الجملة حال من
احدهما كغلى الحميم اى الماء الحار الذى انتهى حره فيؤمر للزبانية
التى تسع فى كفها سبعون الفا من الكفار على رواية او عشرون
الفا ومن المنكب الى المنكب بكسر الميم مسيرة سنة وحرر فقس
على هذه الجسامة قوتها وضربها وعذابها فكيف يطاق والتشبيه
فى الذوب وفى الغليان اذا اشتد غليانه فيقال لاهله خذوه
فاعتلوه والعتل الاخذ بمجامع الشئ وجره بقهر اى جروه
بقهر وجفوة وغلظة شديدة الى سواء الجحيم اى وسطها

بحث اتفاق عذاب
اهل النار

ثم صبوا فوق راسه قال الامام مقاتل ان خازن النار يضرب على راسه فينقب راسه عن دماغه ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهى حره من عذاب الحميم ولم يقل من الحميم ليكون اهول واهيب فاضيف العذاب الى الحميم للدلالة على ان المصبوب بعض هذا فقيل اضافته بيانية من المعالم والقاضي وعيون التفاسير لشهاب الدين السيواسي رحمهم رحمهم الله تعالى وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الحميم ليصب رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق اي يخرج من قدميه وهو الصهر وهو الذي يذوب في قوله تعالى يصهر به ما في بطونهم والجلود ثم يعاد كما كان رواه الترمذي والبيهقي وعن ابي امامه رض عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى في سورة ابراهيم ويسقى يعني في جهنم من ماء صديد اي من ماء يسيل من جلود اهل النار وفروج الزنات فصديد عطف بيان الماء يتجرعه اي يتحساه ويشربه جرعة بعد جرعة لا بمرة واحدة لمرارته وحرارته وكذا رته ونتنه ولا يكاد يسيغه اي لا يقدر على ابتلاعه بتردده في حلقه لكراهته قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا ادنى منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فيه فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره رواه احمد والترمذي والحاكم وقال حديث صحيح على شرط مسلم ويأتيه الموت من كل مكان اي يأتيه وجع الموت والمه الذي يكون سبب موته من كل جهات من النار من الجهات الست وقيل من كل جهات جسده من شعره وعرقه وجلده واصابع يديه ورجليه يجد مرارة الموت فلو متة واحد منها في الدنيا لمات البتة لكن الموت انعدم بالذبح على راس الصراط باعلام اهل الجنة واهل النار فلم يجدوه

وان طلبوا

وان طلبوا في كل الساعة وما هو بميت فيستريح من شدة العذاب وحدة العقاب ومن وراءه اي بعد الاساعة بالصديد له عذاب غليظ وشديد فوق الاول لا يفتر ولا ينقطع لان تشديد العذاب وتزييده عبادة الزبانية كتكثير الصلوة والصيام للمؤمنين في الدنيا والاكرم بينهم عند الله من يشدد في تعذيب اهل النار عدو الله صح لانهم مامورون به لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ويفهمون بما يفعلون كاهتمام المتقين فيما امرهم الله تعالى به ويطلبون الاكرام من الله في التعذيب والتشديد كالمؤمنين في اهتمام العباد والطاعات مع انهم غلاظ شداد فلا يتصور منهم الشفقة والرحمة لانها لم تخلق فيهم لحكمة انهم اصحاب النار والمكان مكان العذاب فلا شفقة فيها لهم مع انه عبادة لهم وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رض لو ان من اهل النار اخرج الى الدنيا لمات اهل الدنيا وحشة منظره ونتن ريحه قال بكى عبد الله بكاء شديدا رواه ابو الدنيا وعن ابو هريرة رض قال النبي صلى الله عليه وسلم ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلثة ايام للراكب المسرع رواه البخاري والمنكب بكسر الميم مجمع عظم العضد والكتف وانما عظم جسمه ليعظم عذابه فان قلت قد جاءت في احاديث اخر على ان المتكبرين يحشرون يوم القيمة امثال الذر في صورة الرجال فيساقون الى سجن في جهنم فبينهما مخالفة مع انهما من صحاح الاحاديث كما صرح الامام القرطبي والنووي قلت بان الحديث الدال على عظم الجسامة وهو في النار والذي يدل على الصغار والذر انما هو في وقت الحشر كذا قال الشراح في صحيح مسلم اقول الجواب الصحيح ان لفظ النار غير مذكور في بعض نسخ مسلم كذا قال الامام النووي في شرحه فالاوجه ان يقال

متناقضة ح

ان تشبيه المتكبرين بالذر انما هو فى الحقارة لا فى الصورة فعلى
التسليم لا يستقيم المعنى فى قوله فى صورة الرجال وعن ابى هريرة
رض ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضرس الكافر مثل احد
وفخذه مثل البيضاء ومقعده من النار كما بين قديد ومكة وكثافة
جلده اثنان واربعون ذراعا بذراع الجبار وهو ملك اليمن رواه
احمد واللفظ له قال ضرس الكافر وناب الكافر مثل احد وغلظ
جلده مسيرة ثلث وروى الترمذى ولفظه كذا قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ضرس الكافر يوم القيمة مثل احد وفخذه
مثل البيضاء ومقعده من النار مسيرة ثلث مثل الربذة وقال
حديث غريب قوله كما بين قديد وهو اسم ماء بالحجاز مصغر قدد
قوله بين الربذة اسم جبل كما ان البيضاء اسم جبل بين المدينة
وفى رواية للترمذى ايضا قال ان غلظ جلد الكافر اثنان واربعون
ذراعا وان ضرسه مثل احد وان مجلسه من جهنم ما بين مكة
والمدينة وقال حديث حسن صحيح غريب رواه ابن حبان فى صحيحه
والحاكم الا انه قال وعرض جلده سبعون ذراعا وعضده مثل البيضا
وفخذه مثل ورقان وهى قطعة مستديرة من الرمل قال ابو هريرة
وبطنه مثل بطن اضم بكسر الهمزة اسم جبل عظيم وروى عن ابن
عمر رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الكافر
ليسحب اى ليجر لسانه الفرسخ والفرسخين والفرسخ اثنى عشر الف
خطوة يتوطاه الناس وفى رواية عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
يعظم اهل النار فى النار حتى ان بين شحمة اذن احدهم الى عاتقه
مسيرة سبع مائة عام وان غلظ جلده سبعون ذراعا وان ضرسه
مثل احد رواه الطبرانى فى المعجم الكبير والاوسط وانما تفاوتهم

فى العذاب

فى العذاب فروى عن نعمان بن بشير ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
قال ان اهون اهل النار عذابا رجل يوضع فى اخمص قدميه جمرتان
يغلى منها دماغه كما يغلى المرجل بالقمقم رواه البخارى وكذا رواه
مسلم ولفظه كذا ان اهون اهل النار عذابا من له نعلان وشراكان
من نار يغلى دماغه كما يغلى المرجل ما يرى ان احدا اشد منه عذابا
وانه لاهونهم عذابا رواه مسلم قوله يوضع فى اخمص قدميه بفتح
الهمزة وهو المتجافى من الرجل على الارض قوله شراكان بكسر الشين
احد سوار النعل قوله كما يغلى المرجل بكسر الميم وفتح الجيم قدر معروف
سواء كان من نحاس او حديد او حجارة او خذف هذا هو الاصح وقيل
خاص للنحاس وروى عن ابن عباس رضيهما قال النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم ان اهون اهل النار عذابا ابو طالب وهو متنعل بنعلين
من نار يغلى منهما دماغه رواه مسلم وروى عن ابى سعيد الخدرى
رض عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان اهون اهل النار عذابا
رجل متنعل بنعلين من نار يغلى دماغه مع اجزاء العذاب ومنهم
من فى النار الى الكعبية مع اجزاء العذاب ومنهم من فى النار الى ركبتيه
مع اجزاء العذاب ومنهم من قد اغتمر اى قد اعذاه النار وغرقه
رواه احمد والبزار ورواته صحيح وروى عن ابن عباس رضيهما
فى قوله تعالى فى سورة الرحمن يعرف المجرمون العاصون الى الله تعالى
بانواع الفسق والعصيان واصناف الظلم والفجور والطغيان
فتنعكس الى السواد اجسادهم ووجوههم فيتغيرون بالرايحة
الكريهة المنتنة فيتعاجز اهل المحشر ويتعوذون بالله تعالى
ويدعون بالخلاص كما ان اجساد المؤمنين من النور المتشعشعة
التى هى صفاتهم يتنورون بانوارهم ويترقحون بالرايحة الطيبة

عذاب ابى طالب
[illegible]

فكل طائفة من الفريقين يعرفون بسيماهم فتباد ر الزبانية التى
خلقت من النار فعبادتهم المجاهدة لعذاب اهل النار ويجاهدونهم
باشد العذاب كما يجاهد اولياء الله باثقل العبادات فلذلك كان
رتبة لهم عند الله فيسألون الاكرام عنده تعالى فيوخذ اى المجرمون
بالنواصى جمع ناصية وهى قصاص الشعر والاقدام اى يوخذ
تارة بالنواصى وتارة بالاقدام فيسحبون على وجوههم الى النار
قال يجمع بين رأسه ورجليه ثم تقصف كما يقصف الحطب
الى النار رواه البيهقى فباى آلاء ربكما تكذبان اى فباى نعمة
من نعماء ربكما ايها الانس والجن تتجاسران انها ليست منه تعالى
والآلاء جمع الى كالامعاء جمع معى وهى النعم الظاهرة كالتوحيد
بالايمان والاسلام والصحة والعافية بعده فان اعظم النعم
الالهية واعزها ابتداء قبل كل النعم التى اكرمها عباده الايمان
والاسلام الذى لا يعادلهما اعزهما ولا يؤدى شكر كلمة التوحيد
مرة فى عمره فات عليها اجرها الجنان الثمانية المملوة بالنعم المأكولة
والمشروبة بانواعها المختلفة واصنافها المتنوعة اذ قالوا اهل الجنة
كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا هذا الذى رزقنا من قبل واتوا به
متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة عن الحيض والعيوب التى لهن
فى الدنيا الدنية اذ هى دار النعم العلية فى مقابلة المحن والبلية
وهم فيها خالدون ولا يعزلون عنها كما فى الدنيا لم الدولة العلية
فى الدنيا بعد الايمان الصحة الدائمة والعافية القائمة ثم سائر
النعم التى لا تحصى ولا تعد بنهاية وغاية حتى تكون معلومة
لصاحبها والنعماء عبارة عن النعم الباطنية القلبية كمعرفة الله
وتعظيمه وتوقيره من السنوحات الربانية والكرامة السلطانية

تكذبان

بان تقولوا وتنكروا صح

تكذبان وكيف تنكرون هذه النعم الجلية العزيزة بانها ليست
من الله تعالى فانه خلقكم ايها الثقلان من نفس واحدة وكثركم
مع النعم الوافية اذ الكل مستغرقون بها غير معدودة ولا محدودة
وانتم ايها الثقلان عباده فلا خالق غيره فامركم باوامره ولا
تأتمرون وزجركم عن المناهى ولا تنزجرون ووعدكم بنعمة
الجنانية العالية التى اورثتموها ان تطيعوه فعبدتم الاصنام
والاوثان واطعتم الشيطان والطغيان فبقيتم فى الضلالة
والعصيان فكيف حالكم فى عذاب النيران وعقاب الحيات
والثعبان فسارعوا الى معرفة الديان حتى تكونوا مع المؤمنين
المخلصين فى الجنان والامان روى ان النبى صلى الله عليه وسلم
قرأ سورة الرحمن على اصحابه فسكتوا فقال النبى صلى الله عليه
وسلم الجن كانوا احسن منكم ردا ما قرأت عليهم فباى آلاء
ربكما تكذبان الا قالوا ولا نكذب بشىء من آلائك ياربنا فلك
الحمد قوله فيسحبون اى يجرون وقوله ثم يقصف اى يكسر
يقال قصفت الريح السفينة اذا كسرتها وفرق اجزائها روى
عن عمر بن الخطاب انه قرأ هذه الاية فى سورة النساء كلما نضجت
اى احترقت جلودهم بدلناهم جلودا اى جددناهم جلودا
غيرها لانهم احترقوا اخذت وارتفعت عنهم النار ساعة فبدلوا
خلقا جديدا ثم عادت تحرقهم ليذوقوا العذاب لكى يجدوا
مس العذاب قال يا كعب اخبر فى تفسيرها فان صدقت صدقتك
وان كذبت رددت عليك فقال ان جلد ابن آدم يحرق ويجدد
فى ساعة او فى مقدار ستة الف مرة قال صدقت رواه
البيهقى روى عن الحسن البصرى رح انه قال فى تفسيرها

تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا
فيعودون كما كانوا فهذا هو الجلد الاول اعيد الى الحال الاول وروى
عن كعب الاحبار رضى الله عنه انه قال ان الله تعالى خلق ملكا من نار الغلق يقال
له عذيابيل طوله خمسماة عام وله سبعة آلاف راس من نار فى
كل راس سبعة الاف فم من نار وفى كل فم سبعة الاف سن
من نار وكل سن من اسنانه اعظم من الجبل ولو ضرب سنا على سن
بالمشرق يسمع اهل المغرب وبالعكس فاتوا كلهم وله سبعة الاف
يد من نار وفى كل يد سبعة الاف اصبع من نار وكل اصبع ثعبان
من نار اى حية طول كل ثعبان مسيرة ثمانين عاما من اعوام الاخرة
وفى كل يد مقمعة من نار وفى كل مقمعة سبعة الاف رأس من نار
وعلى رأس كل مقمعة سبعة الاف حية وعقرب من نار ولو اجتمع
اهل المشرق والمغرب لم يقدروا ان يقلبوا مقمعة من موضعه واذا
اراد الله ان يعذب اهل النار يقول له يا عذيابيل قم وعذب اهل
النار فانهم اكلوا رزقى وعبدوا غيرى قال فيقوم الملك ويدخل
عليهم فيصيح صيحة لم يبق فى جهنم خلق الا سمعوا صوته فلما نظر
اليه امة محمد يقولون يا ربنا لا تسلط علينا هذا الملك فيقول الله
تعالى لجبرئيل قل لمالك النار ان تجعل امة محمد فى اعلى الطبق من النار
فانهم لا يقدرون النظر اليه وعذابه قال فيقوم مالك فيجعلهم
فى اعلى الطبق من النار ثم يقوم عذيابيل فيصيح عليهم فيغلى جهنم
كغلى القدر فذاب اهل النار كما يذوب الرصاص فترفع الحيات
والعقارب والكلاب رؤسهم فلا يرون احدا من بنى آدم فيقولون
يا مالك قد جعنا اطعمنا ثم يقول الله تعالى يا مالك جدد لهم العذاب
واتى اجدد لهم الابدان كما قال الله تعالى فى سورة النساء كلما نضجت

جلودهم

عذيابيل بالذال المعجمة والياء التحتية

جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب كذا فى حيوة
القلوب واما بكاؤهم وشهيقهم فما روى عن عبد الله بن عمرو بن
العاص رضى الله عنه انه قال ان اهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم اربعين
عاما ثم يقول انكم ماكثون ثم يدعون ربهم فيقولون ربنا اخرجنا
منها فان عدنا فانا ظالمون فلا يجيبهم مدة الدنيا مرتين
ثم يقول اخسؤا فيها ولا تكلمون ثم يياس القوم فما هو الا الزفير والشهيق
تشبه اصواتهم اصوات الحمير اولها شهيق وآخرها زفير رواه
الطبرانى الشهيق ما فى الصدور والزفير ما فى الحلق وروى البيهقى
عن معاوية بن صالح عن على بن ابى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى
قوله تعالى فى سورة هود لهم فيها زفير اى صوت شديد وشهيق اى
صوت ضعيف وروى عن انس بن مالك انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يرسل البكاء على اهل النار فيبكون حتى ينقطع الدموع
ثم يبكون الدم حتى يصير فى وجوههم كهيئة الاخدود وهو الشق
العظيم فى العرض لو ارسلت فيها السفن لجرت رواه ابن ماجه وابن
يعلى ولفظه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ايها
الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان اهل النار يبكون فى النار حتى
يسيل دموعهم فى اخدودهم كانها جداول حتى ينقطع الدموع فيسيل
الدم رواه ابن ماجه قوله جداول اى صغير فهذه الاحاديث الصحيحة
المذكورة فى هذه السورة متعلقة لاهل الضلالة والخسران والخسارة
والطغيان وهم الذين لم يؤمنوا وماتوا كفارا ولهم اشد العذاب
واحد العقاب الذى اخبرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالكتاب
الربانى والوحى الالهى واما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ورضوا
بما كلفهم الله تعالى من الاعمال الشاقة كالصلوة والصيام والحج

والزكوة وغيرها فاستثنى منهم ووعد لهم جنات ودرجات وغرفات
تعالى في سورة الزمر وسيق الذين اتقوا عن الشرك والمعاصي ربهم
الى الجنة زمرًا اى جماعة بعد جماعة مرة اخرى وكرة زلفى بعضهم
قبل الحساب وبعضهم بعد الحساب اليسير وبعضهم بعد الحساب
الشديد على قدر مراتبهم عند ربهم بمقتضى سيرتهم وتقويهم
حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها قالوا والحال اى وقد فتحت ابوابها
بدلالة قوله تعالى مفتحة لهم الابواب قال ابن عباس رضي الله عنهما الجنان
سبع دار الجلال ودار السلام وجنة عدن وجنة المأوى
وجنة الخلد وجنة الفردوس وجنة النعيم وقيل ان الجنات التي
عدها الله تعالى في كتاب العزيز تبشرة لعباده المؤمنين المتقين
اربع اثنان في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان واثنان
في قوله تعالى ومن دونهما جنتان فصارت اربع ولم يذكر سوى
هذه الاربعة خامسة وسادسة وسابعة فالجنة اسم الجنس
فمن القاعدة المتقررة ان كل شئ يطلق عليه اسم الجنس
يجوز افراده وجمعه فلذا ذكر تارة بالمفرد وتارة بالجمع في الكتاب
العزيز فيقال جنات عدن وجنة عدن فالعدن الاقامة
كما يقال فلهم جنات المأوى لان الجنة مأوى المؤمنين ومصيرهم
وكما يقال دار الخلود ودار السلام لان جميعها للخلود فيها
ولا ينعزل صاحبها ابدا مع السلامة من كل خوف والسلامة
من كل الاحزان وكذلك جنات النعيم وجنة نعيم لان كلها مشحونة
باصناف النعم وقد اتى الله تعالى بذكر العدد فلم يثبت الا اربعا
وقد اثبت لهذه الجنات ابوابا ثمانية كما روى ابو هريرة وابو سعيد
الخدري عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين جلس

على المنبر

على المنبر والذي نفسي بيده ثلاث مرات ما من عبد يؤدي الصلوات
الخمس ويصوم رمضان ويجتنب الكبائر السبع الا فتحت له ثمانية
ابواب الجنة يوم القيمة حتى انها لتصطفق ثم تلا ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون نكفر عنكم سيئاتكم كذا في صحيح ابن حبان وقال
صلى الله تعالى عليه وسلم ان ابواب الجنة ثمانية فاحتمل ان لكل جنة
من الجنان الاربع بابين كما وصف ان اهل الجنة صنفان احدهما
السابقون المقربون وثانيهما اصحاب اليمين فالسابقون هم
العليون في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان واصحاب
اليمين المتدينون في قوله ومن دونهما جنتان وقال لهم خزنتها
اى رئيس اهل الجنة واعلاها رضوان يحكم على ما في تحت حكمه
في كل رئيس تحت يدها انواع كما ان اعلى رؤساء اهل النار مالك
الذي تحت يده من الرؤساء ثمانية عشر رئيسا وهو التاسع عشر
ولم يذكر العدد في رؤساء اهل الجنة لكثرتهم كما انه تعالى لم يبين
سعتها لانها رحمة للمتقين ونعمة للمؤمنين المخلصين ووسعت
رحمته تعالى على كل شئ بحيث لا تعد نعمة مؤمن واحد بلا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فانه يوفى اجره
بغير حساب فضلا عن الغير سلام عليكم طبتم اى طابت لكم الجنة
كما انكم طبتم من الذنوب المانعة الى الدخول ولو ذرة لانها
طاهرة وبيت للطاهر كما ان النار خبيثة بانواع الاذى وملوثة
باصناف الخبائث ولا يدخلها الا الخبيثون فادخلوها خالدين
اى دائمين روى عن علي رضي الله تعالى عنه انه قال سيقوا الى الجنة
فاذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحت ساقها
عينان فيغتسل المؤمن من احديهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى

فيطهر باطنه وتلقيهم الملئكة على ابواب الجنة يقولون سلام عليكم
طبتم فادخلوها خالدين قال الامام قتادة رحمه اذا قطعوا النار
جلسوا على قنطرة بين الجنة والنار ويقتص بعضهم من بعض حتى
اذا هذبوا وطيبوا ادخلوا الجنة فقال لهم رضوان واصحابه من خزنة
الجنة سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين فاذا دخلوها وراوا
ما اعد الله لهم فيها من الغرف العالية والالبسة الفائقة والحور
اللائقة من النعم التي لا يعدها العاد ولا يحدها الحاد فتحيروا
فيها واعجبوا لها سرورا وقالوا الحمد لله الذي له الوصف الجميل
على جهة التعظيم والتبجيل والشكر المحمود على كل الحال المودود
صدقنا وعده بقوله في كتاب العزيز وعد الله المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الانهار الاية وقوله ولقد كتبنا في الزبور
من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون واورثنا الارض
اي واعطانا ارض الجنة نتبوء من الجنة ونستقر فيها حيث نشاء
ونتمنى ونشتهي ثم قال الله تعالى تبشيرا للمؤمنين المطيعين والموحدين
المخلصين فنعم اجر العاملين وثواب العابدين الموقنين وعن ابي
هريرة رضه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان اول
زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم
على اشد كوكب دري في السماء اضاءة لا يبولون ولا يتغوطون
ولا يتفلون ولا يمتخطون امشاطهم الذهب ورشحهم المسك
ومجامرهم الالوة وازواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة
ابيهم آدم ستون ذراعا في السماء وروى عن ابي سعيد الخدري
رضه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اول زمرة
يدخلون الجنة يوم القيمة صورة وجوههم مثل صورة القمر

ليلة البدر والزمرة الثانية على لون احسن الكواكب في السماء
لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهن
دون لحومهما ودمائهما وحللهما وعن انس رضه انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لو ان امرأة من نساء الجنة اطلعت الى الارض
لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيف رأسها خير
من الدنيا وما فيها وعن ابي هريرة رضه انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم اهل الجنة جرد مرد كحل لا يفنى شبابهم ولا تبلى
ثيابهم وروى عن علي رضه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان في الجنة لسوقا ليس فيها بيع ولا شراء الا الصور
من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة دخلها وان فيها
لمجتمع الحور العين ينادين باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها نحن
الخالدات فلا نبيد ابدا ونحن الناعمات فلا نبأس ابدا ونحن
الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له رواه ابو عيسى
الترمذي واحمد بن منيع عن معاوية مرفوعا وعن انس انه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان في الجنة لسوقا يأتونها
كل يوم جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم
فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى اهليهم وقد ازدادوا حسنا
وجمالا فيقول لهم اهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا
فيقولون وانتم والله ازددتم حسنا وجمالا رواه كلاهما محيي السنة
الامام البغوي في المعالم والبخاري رحمهما وروى عن سهل بن سعد
رضه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ليدخلن الجنة من امتي
سبعون الفا او سبعمائة الف متماسكون اي آخذون بعضهم ببعض
لا يدخل اولهم حتى يدخل آخرهم وجوههم على صورة القمر ليلة البدر

روآه البخاري ومسلم وفي رواية عن انس رضي الله عنه مع كل واحد من السبعين
الفا سبعون الفا قال عبد الله فهذه العدد من مقبرة واحدة
فكيف سائر مقابر الامة روآه صاحب حيوة القلوب وروي عن
معاذ بن جبل رضي الله عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يدخل اهل
الجنة الجنة جردا مردا مكحلين ابني ثلث وثلثين روآه الترمذي وقال
حديث حسن غريب قوله جردا اي الذي لا شعر في ابدانه الا في
الرأس والحاجبين واشفار العينين وقوله مردا جمع الامرد اي لا شعر
على ذقنه وروي عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا جعادا اي قصارا
شعر رأسه ضد الاسبول وروي عن المقداد رض ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يموت سقطا ولا هرما وانما
الناس فيما بين ذلك الا بعثه الله ابن ثلاث وثلاثين سنة
وان كان من اهل الجنة كان على مسحة آدم وصورة يوسف
وقلب ايوب ومن كان من اهل النار عظموا وفخموا كالجبال روآه
البيهقي باسناد حسن قوله على مسحة آدم اي على قامته وروي
عن ابي سعيد الخدري رض ان الله تعالى يقول لاهل الجنة يا اهل
الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يديك
فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا رب وقد اعطيتنا
ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك
فيقولون يا رب واي شيء افضل من ذلك فيقول احل عليكم
رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا روآه البخاري ومسلم
والترمذي قوله لبيك من لب اذا قام بها اقام وسعديك قال
الجوهري السعد بمعنى الاسعاد وهو الاعانة اي نقيم لامتثال

امرك

امرك اقامة كثيرة او نطلب عنك الاعانة مرتين كرتين والخير
بايديك وانما لم يذكر الشر رعاية للادب واما ما نعطي لادنى
اهل الجنة فضلا عن الاعلى فما روي عن المغيرة بن شعبة رض
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان موسى صلوات الله
على نبينا وعليه سئل ربه ما ادنى اهل الجنة منزلة فقال رجل
يجيء بعد ما دخل اهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول
يا رب كيف وقد نزل الناس منازلهم واخذوا اخذاتهم فيقال له
اترضى ان يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت
رب فيقول له لك ذلك ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت
رب فيقول هذا لك وعشرة امثاله ولك ما اشتهت نفسك
ولذت عينك فيقول رضيت رب قال موسى رب فاعلاهم منزلة
قال اولئك الذين اردت غرست كرمهم بيدي وختمت عليها
فلم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على قلب بشر روآه الامام مسلم
في صحيحه قوله اغرست كرمهم من المتشابهات علمه مفوض اليه
تعالى والكرم كرم العنب كما قال الله تبارك في سورة الزخرف
افمن شرح الله صدره للاسلام استئنافا جار مجرى التعليل
لما قبله من تخصيص الذكرى باولي الالباب وشرح الصدور
للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فانه محل للقلب الذي
هو منبع للروح التي تتعلق بها النفس القابلة للاسلام فالانشراح
مستدع لاتساع القلب واستضائته بنوره فانه روي انه
صلى الله تبارك وسلم قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح
فقيل فما علامة ذلك فقال صلى الله تبارك وسلم الانابة الى دار
الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله والهمزة

للاستفهام الانكارية لانكار مضمون الجملة ثم الفاء لعطفها على الجملة
مستتبعة لها مقدرة بعد الهمزة ليتعلق الانكار والنفي بمضمونهما
معا اى كل الناس سوآء فمن شرح الله صدره اى خلقه متسع الصدر
مستعدا للاسلام فبقى على الفطرة الاصلية ولم يتغير بالعوارض
المكتسبة القادحة فيها فهو على نور عظيم بموجب ذلك مستقر فيه
من ربه وهو اللطف الالهى الفايض عليه عند مشاهدة الآيات
التكوينية والتنزيلية والتوفيق للاهتدآء بها الى الحق كمن قسى
قلبه وحرج صدره بسبب تبديل فطرة الله بسوء اختياره
واستولى ظلمات الغى والضلالة فاعرض عن تلك الآيات بالكلية
حتى لا يتذكر بها ولا يغتنمها فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله
اى من اجل ذكره الذى حقه ان تنشرح له الصدور وتطمئن به القلوب
اى اذا ذكر الله تعالى عنده او آياته اشمأزوا من اجله وازدادت
قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم وقرئ عن ذكر الله
اى عن قبوله اولئك الموصوفون بما ذكر من قساوة القلوب فى ضلال
من الحق مبين ظاهر كونه ضلالا لكل احد قيل نزلت الآية فى حمزة
وعلى رضى الله عنهما وابى لهب وولده عتبة على رواية اذ له اربعة اولاد
ثلثة تشرفوا بشرف الاسلام وواحد دعى عليه النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم حين ذهب به الى الشام بقوله اللهم سلط عليه كلبا
من كلابك فسلط الله عليه الاسد فقطع رأسه ليلة بين الرفقا
فاهلكه وقيل فى عمار بن ياسر وابى جهل واتباعه وروى عن ابن مسعود
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آخر اهل النار
خروجا منها وآخر اهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا
وفى رواية زحفا فيقول الله تعالى اذهب فادخل الجنة فيأتيها

يخيل

فيخيل اليه انها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله
تعالى له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل اليه انها ملأى فيرجع فيقول
يا رب وجدتها ملأى فيقول الله تعالى له اذهب فادخل الجنة فان لك
مثل الدنيا وعشرة امثالها فيقول العبد يا رب اتسخر بى وانت اكرم
الاكرمين واجاب بقوله تعالى انى لا استهزئ بك ولكنى على ما اشاء قدير
وفى رواية عنه انه قال ان آخر اهل الجنة دخولا رجل مر به ربه
عز وجل وقال له قم فادخل الجنة فاقبل عليه عابسا فقال وهل
ابقيت لى شيئا قال نعم لك مثل ما طلعت عليه الشمس او غربت
رواه الطبرانى باسناد جيد قوله اتسخر بى لما كانت السخرية مستحيلة
فى حق الله تعالى حملت على لوازمها وهو انزال الهوان والحقارة اى اتحقرنى
بخطابك وانا ارجو رحمتك كما رحمتنى بالاخراج ونجانى من غضبك
على ثانيا وانا عبدك الضعيف وانت اكرم الاكرمين وكذلك تأويل
قوله فى رواية الثانية فاقبل عليه عابسا اى خائفا وجلا روى
عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يجمع الله تعالى الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما اربعين
سنة شاخصة ابصارهم ينتظرون فصل القضاء ثم يقول
الرب تعالى ارفعوا رؤسكم فيرفعون رؤسهم فيعطيهم نورهم على
قدر اعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين
ايديهم ومنهم من يعطى نوره اصغر من ذلك ومنهم من يعطى مثل
النخلة ومنهم من يعطى اصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا
يعطى نوره على ابهام قدميه تضئ مرة وتطفئ مرة فاذا اضاء
قدم قدمه واذا اطفئ قام فيمرون الصراط على قدر نورهم
منهم من يمر كطرفة العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب

ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب وانقضاضه ومنهم من يمر كالريح
ومنهم من يمر كشد الفرس اى كعدوه ومنهم من يمر كشد الرجل
حتى يمر الذى يعطى نوره على ظهر قدميه يحبو اى يمشى على
وجهه ويديه ورجليه تخر يد اى تسقط وتعلق يد وتخر رجل
وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص
وقف عليها فقال الحمد لله الذى اعطانى ما لم يعط احدا اذ نجانى
منها بعد اذ رأيتها قال فينطلق به الى غدير عند باب الجنة فيغتسل
فيعود اليه ريح اهل الجنة والوانهم فيرى ما فى الجنة من خلل الباب
فيقول رب ادخلنى الجنة فيقول الله تعالى له اتسأل وقد نجيتك
من النار فيقول رب اجعل بينى وبينها حجابا لا اسمع حسيسها
اى صوتها قال فيدخل الجنة ويرى ويرفع له منزل امام ذلك
فيقول رب اعطنى ذلك المنزل فيقول له لعلك ان اعطيتك
تسأل غيره فيقول لا وعزتك لا اسأل غيره واين منزل احسن
منه فيعطاه فينزله ويرى له امام ذلك منزلا احسن من ذلك
المنزل فيقول رب اعطنى ذلك المنزل فيقول الله تعالى فلعلك ان
اعطيتك تسأل غيره فيقول لا وعزتك لا اسأل غيره واين منزل
احسن منه فيعطاه فينزله ثم يسكت فيقول الله تعالى ما لك
لا تسئل فيقول رب قد سئلتك حتى استحييتك واقسمت فيقول الله
تعالى الم ترض ان اعطيك مثل الدنيا منذ خلقتها الى يوم افنيتها
وعشرة اضعافها فيقول اتهزؤ بى وانت رب العزة فيقول
الرب جل ذكره لا ولكنى على ذلك قادر سل فيقول الحقنى بالناس
فيقول الله تعالى الحق بالناس فينطلق يرمل فى الجنة حتى اذا دنى
من الناس يرفع له قصر من درة فيخر ساجدا فيقال له ارفع

رأسك

قوله القصر لأدنى اهل الجنة ويعطيها

رأسك ما لك فيقول رأيت ربى فيقال انما هو منزل من منازلك
قال ثم يلقى رجلا فيتهيأ له للسجود فيقال له مه اى اكفف
فيقول انك ملك من الملئكة فيقول انما انا خازن من خزانك
وعبد من عبيدك تحت يدى الف قهرمان اى الفخادم قوى
حسن الوجه على ما انا عليه قال فينطلق امامه حتى يفتح له القصر
قال وهو درة مجوفة سقائفها وابوابها واغلاقها ومفاتيحها
منها يستقبلها جوهرة خضراء مبطنة بالحمراء منها سبعون بابا
كل باب يفضى الى جوهرة على غير لون الاخرى فى كل سرر
وازواج ووصايف ادناهن حوراء عيناء عليها سبعون حلة
يرى مخ ساقها من وراء حللها اذا اعرض عنها اعراضة اى اذا
توجه وجهه الى وجهها ازدادت فى عينه سبعون ضعفا فيقال له
اشرف اى ارفع المكان العالى فيشرف فيقال له ملكك مسيرة مائة
عام ينفذه اى ينتهى بصرك الى ملكك رواه ابن ابى الدنيا والحاكم
هكذا عن ابن مسعود رض كما قال الله تعالى فى سورة الدهر يوفون
بالنذر جملة استينافية مسوقة لبيان ما نعموا او ترزقوا من النعم
الابدية والارزاق السرمدية ومشتملة على نوع تفصيل لما ينبئ
عنه اسم الابرار اجمالا كانه قيل ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك المراتب
العلية والمنازل الجلية فقيل يوفون بما اوجبوه على انفسهم فكيف
بما اوجبه الله عليهم ويخافون يوما كان شره وعذابه المعد للفجار
وعقابه المحد للكفار مستطيرا منتشرا فى الاقطار غاية الانتشار
من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار بمنزلة استقر وتقر
ويطعمون الطعام على حبه اى كائنين على حب الطعام والحاجة
كما فى قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون او على حب الاطعام

بطلب النفس او كائنين على حب الله او اطعاما كائنا على حب الله
وهو الانسب لما سياتى من قوله لوجه الله مسكينا ويتيما واسيرا
فانه عليه السلام يوتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول
احسن اليه مؤمنا فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمى النبى صلى الله
عليه وسلم الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك
انما نطعمكم لوجه الله مقول للقول المقدر وهو فى موقع الحال من فاعل
يطعمون اى قائلين ذلك بلسان الحال او المقال احترازا عن البر للرياء
والمن المبطل وروى عن عايشة الصديقة رضى الله عنها انها كانت
تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسئل النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم ما قالوا فاذا ذكر دعاءهم فدعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة
لها خالصا عند الله تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فلذلك تفعل
ما تفعل اى لا نطلب بما نطعمكم لوجه الله وتحصيل رضائه مكافاة
على ذلك فى الدنيا الدنية الفانية بل لاجل منافع النعم الجلية الباقية
فى الجنان العالية ولا نريد منكم ثناء وشكورا وشكرا بان تشكروا
وتعظموا لنا وتمدحونا على ذلك ويجوز ان يكون قولهم لطفا وتنبيها
على ما ينبغى ان يكون عليه ممن اخلص لله وان يكون منعا عن المجازات
بمثله لان احسانهم لله تعالى كما يدل عليه قولهم انا نخاف من ربنا يوما
عبوسا فالوصف به مجاز بذكر الظرف وارادة حال المظروف من
المجاز الاولى قمطريرا اى شديد العبوس وكريه المنظر اى نتفكر
حال الدنيا وزوالها وتغيرها وعدم بقائها فنتسارع البقاء بالفناء
ونقدم ما لنا لما لنا رجاء ان يقينا ربنا من عذاب يوم عبوس يعبس
فيه الوجوه وقيل هو تعليل لعدم ارادة الجزاء والشكر اى نخاف
العذاب ان اردناهما فوقيهم الله اى يحفظهم الله بحفظه الكبير

شر ذلك اليوم عذابه وبرزخه كما يحفظ سائر انبيائه وصديقيه
بسبب خوفهم وطاعتهم وتقويهم وبايثارهم ما اجل على ما عجل فى دنياهم
بما وجد لهم فى عقباهم وانما عبر بالماضى بناء على تحقق الوقوع
اذ لا يخلف الله الميعاد فكانه وقع وتحقق كما فى قوله العزيز
قد افلح المؤمنون وامثاله كثيرة فى الايات والاحاديث مجازا او لياقة
وهكذا الحال فى قوله ولقاهم نضرة اى اعطاهم بدل عبوس الكفار
وحزن الفجار نضرة وطراوة وبشاشة فى وجوه اهل الجنة وظواهر
اهل المغفرة وسرورا فى البواطن والقلوب وجزيهم بما صبروا
اى وجعلهم مجزيين بما كلفوا من مشاق العبادات والطاعات
ومهاجرة هوى النفس فى اجتناب المحرمات فى الدنيا وترك الزينة
والاموال لما فى العقبى جنة اى بستانا ياكلون منه ما شاؤا بحيث
ارادوا وحريرا يلبسونه ويتزينون به ابد الابدين لا يفنى ودهر
الداهرين لا يبلى بخلاف ما فى الدنيا الدنية والدار الفانية البلية
وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان الحسن والحسين رضى الله عنهما
مرضا فعادهما النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ناس معه فقالوا
لعلى رضى لو نذرت على ولدك فنذر على وفاطمة رضى الله عنهما وجاريتهما
فضة ان برءا مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا وما معهما شئ
فاستقرض على رضى من شمعون الخيبرى ثلثة اصوع من شعير
فطحنت فاطمة رضى الله عنها صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم
فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام
عليكم يا اهل بيت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مسكين من مساكين
المسلمين اطعمونى اطعمكم الله تعالى من موائد الجنة فاثروه وباتوا لم يذوقوا
الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم

وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل
ذلك فلما اصبحوا اخذ علي رض بيد الحسن والحسين رضي عنهما
فاقبلوا الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون
كالفراخ من شدة الجوع قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما اشد
ما يسوءني ما اريكم بكم وقام فانطلق معهما فرأى فاطمة رضي عنها
في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك
فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها هناك الله في اهل بيتك
فاقرأه السورة بقوله تعالى يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا
وروى عن ابي سعيد الخدري رضي انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ادنى اهل الجنة الذي له ثمانون الف خادم واثنان
وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت
كما بين الجابية الى صنعاء رواه الترمذي وروى عن انس بن مالك
رضي انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان اسفل
اهل الجنة درجة لمن يقوم على راسه عشرة الاف خادم بيد كل
واحد صحفتان واحدة من ذهب والاخرى من فضة في كل واحدة
لون ليس في الاخرى مثله يأكل من آخرها مثل ما يأكل من اولها
يجد لآخرها من الطيب واللذة مثل الذي يجد لاولها ثم يكون
ذلك ريح المسك الاذفر لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون
اخوانا على سرر متقابلين رواه ابن ابي الدنيا والطبراني وروى
عن ابي هريرة رضي انه قال صلعم ان ادنى اهل الجنة منزلة يغدو
عليه كل يوم ويروح خمسة عشر الف خادم ليس منهم خادم الا ومعه
طرفة اي كريمة من فتيان ليست مع صاحبه رواه ابو الدنيا

بحيث من الحور العين

قال الحافظ فلا منافاة بين هذه الاحاديث الصحيحة لانه يقال
في حديث ابي سعيد ادنى اهل الجنة الذي له ثمانون الف خادم
وقال في حديث انس من يقوم على راسه عشرة الاف خادم وفي حديث
ابو هريرة من يغدو عليه ويروح خمسة عشر الف خادم فيجوز ان
يكون له ثمانون الف خادم يقوم على راسه منهم عشرة الاف
ويغدو عليه منهم كل يوم خمسة عشر الفا قال الله تعالى في سورة العنكبوت
والذين امنوا وعملوا الصالحات كما هو في علمه الازلي وارادته القديمي
انهم يأتمرون بالاوامر وينتهون بالنواهي مخلصين فيها ومجتنبين
عنها طالبين ما انتفعوا في الجنان العاليات وراغبين عما انتهوا
في الدركات السافلات ماضيين اعمارهم العزيزة في الاعمال
الصالحات موافقة للشريعة الغراء ومطابقة بالسنة السنية
البيضاء فريضة كانت ونافلة مداوما في الاوقات والشهور والايام
والساعات والدهور والاعوام مع ان دقايقها سبب الدرجات
ومعراج درايتها وامتزاج روايتها اذ ليس شيء من الاحكام الالهية
الا فيه سر من الاسرار الحكمية فهي تظهر يوم تبلى السرائر لنبوئنهم
بالباء الموحدة اي لننزلنهم من التبوئة وهي النزول وقرئ بالثاء
المثلثة من الافعال من الثواء وهو الاقامة ونوى اذا تعدى بهمزة
النقل يتعدى الى مفعول واحد وهنا تعدى الى الضمير والى الغرف
حملا على معنى التبوئة من النزول وعلى لنبوئنهم وعلى حذف الجار
وايصال الفعل الى الغرف اي لننزلنهم من الجنة غرفا علالي وهو مفعول
ثان للتبوئة واما على القراءة الاخرى فانتصاب غرفا حينئذ اما
باجرائه مجرى لننزلنهم او بحذف الايصال وبتشبيه الظرف
الموقت بالمبهم كما في قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم تجري من تحتها

الانهار صفة كاشفة للغرف اذ ما منها الا وهي تجري تحتها او يؤيده
كونها في الجنات خالدين فيها اي في الغرف او في الجنة غير معزولين عن
مناصبهم العلية ومنافعهم الجلية كما هو حال مناصب الدنيا الدنية
نعم اجر العاملين من الثواب الجزيل والاجر الجميل والمخصوص بالمدح محذوف
اعتمادا على دلالة ما قبله عليه وقرئ بالفاء فنعم الذين صبروا ابع قوة
ايمانهم ومداومة اعمالهم معتمدا على وعد اجورتهم على المتوكلين فالجملة
اما صفة للعاملين او نصب على المدح اي صبروا على ايذاء المشركين
وايعادهم وشدائد المهاجرة من الوطن وما يتعيشون به من العقار
واستيلاء الكفار بها او من العيال والاباء والامهات والاولاد والفقر
والفاقة وغير ذلك من المحن الشاقة والمشاق الناقصة فتوكلوا كل
التوكل وفوضوا امورهم كل التفويض لوقوف علمهم على ما اوتي به المتوكلون
فلذا بين الله تعالى حالهم بتقديم الجار المتعلق حصر المقصود وقصر
المطلوب بقوله وعلى ربهم يتوكلون في الارزاق الدنيوية والاموال
الفانية ولم يتوكلوا على غيره فيما ياتون ويذرون معتمدا على وعده
ومجتنبا عن وعيده واما درجات الجنة وغرفها فما روي عن ابي
سعيد الخدري رض ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان اهل الجنة
ليتراءون اهل الغرف جمع غرفة وهو البيت المبني فوق الدار فالمراد
منها العقود العالية لاصحاب المنازل الرفيعة من اهلها من فوقهم
كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الافق الغابر بالباء الموحدة
من الغبور وهو من الاضداد يقال للماضي وما بقي من المستقبل غابر
والمراد هنا الباقي في الافق بعد انتشار ضوء الصبح ومن بعض النسخ
من صحيح البخاري ومسلم الكوكب الغربي والغارب على الشك من الراوي
من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل

الانبياء

الانبياء عليهم السلام لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده
رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين رواه البخاري ومسلم رح قوله آمنوا
بالله وصدقوا المرسلين فيه اشارة وبشارة الى ان الداخلين مداخل
الانبياء من مؤمني هذه الامة لانه صلعم قال وصدقوا المرسلين وتصديق
جميع الرسل انما صدر منهم لا ممن قبلهم من الامم الماضية وروى
عن ابي هريرة رض ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان في الجنة
مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين
كما بين السماء والارض رواه البخاري وعن ابي هريرة ايضا ان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان في الجنة مائة درجة ما بين كل
الدرجتين مائة عام رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب
وروى الطبراني في الاوسط الا انه قال ما بين كل الدرجتين مسيرة
خمسمائة عام واما بناء الجنة وترابها وحصباؤها وغير ذلك فما روى
عن ابي هريرة رض انه قال قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها
قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الملاط
بكسر الميم هو الطين الذي يجعل بين لبنة في الحائط والجدار
وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم
ولا ييأس ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه رواه احمد
في مسنده واللفظ له والترمذي والبزار والطبراني في الاوسط
وابن حبان في صحيحه وروى عن سعيد الخدري رضي انه قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلق الله تعالى الجنة لبنة من
ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك وقال لها تكلمي فقالت
قد افلح المؤمنون فقالت الملئكة طوبى لك منزلة الملوك رواه
الطبراني والبزار ولفظه انه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

ان الله عز وجل احاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة
ثم شقق فيها الانهار وغرس فيها الاشجار فلما نظرت الملئكة الى
حسنها قالت طوبى لك منازل الملوك رواه البيهقي وغيره وروى
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
خلق الله تعالى جنة عدن بيده ودلى فيها ثمارها وشق فيها انهارها
ثم نظر اليها فقال تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون فقال وعزتي وجلالي
لا يجاورني فيك بخيل رواه الطبراني في الكبير والاوسط ورواه
ابن ابي الدنيا من حديث اطول منه ولفظه انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة
بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء ملاطها
مسك وحشيشها الزعفران وحصاؤها اللؤلؤ وترابها العنبر ثم قال
لها انطقي قالت قد افلح المؤمنون فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا يجاورني
فيك بخيل ثم تلا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الاية في
سورة الحشر فاول الاية للفقراء اي بدل من ذوي القربى لا من الله
وللرسول لانه يلزم الفساد لفظا ومعنى اما لفظا فلان الابدال على
ظاهر اللفظ يشعر خلاف التعظيم لله ولرسوله واما معنى فلانه
يلزم دخول الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في زمرة الفقراء مع انه
صلى الله تعالى عليه وسلم يتعوذ منه ولانه تعالى اخرج رسوله منهم
في قوله وينصرون الله ورسوله فلا يكون له صلى الله تعالى عليه وسلم
من في بني النضير شيء وليس الفيء للفقراء كذلك بل المهاجرين
الذين اخرجوا اي اخرجهم كفرة قريش من بلادهم مكة وديارهم
واموالهم ثم بعده قسموها بينهم تحقيرا وتاذية لهم مع انهم لا يعرفون
فضل الله لهم بحيث يجعلهم اسيرا تحت ايديهم واموالهم غنيمة لهم

ثم اقدر رسوله على اعناقهم فرزقوا كل واحد منهم عشر امثالها بواحد
منها او بغير حساب وهم مع اشد المحن يصبرون على ما اصابهم
في دين الله ويبتغون اي يطلبون في المقابلة فضلا من الله
في الدارين ورزقا في الجنة ورضوانا في دينه يوم القيمة فجملة
يبتغون حال مفيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شانهم وينصرون
الله باعلاء دينه بالسيف الساطع ورسوله في الحال والمال
بالمعية في المهاجرة وترك الاموال ومقاتلة الاعداء والمحاربة
اولئك المهاجرون هم الصادقون المخلصون في ايمانهم وجهادهم
فطابت نفوس الانصار بذلك فقالوا هذا الفيء كله لهم ودیارنا
واموالنا ايضا لهم فاحبوهم لله ولرسوله فاثنى الله على الانصار
بقوله والذين تبوؤا الدار والايمان عطف على المهاجرين والمراد
الانصار فانهم لزموا الايمان والمدينة وتمكنوا فيها وتوطنوا فيها
وهي دار الهجرة ونزلوا بها في المدينة وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة
ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول
وعوض عنه اللام او تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفته
تبنا وماء باردا وقيل سمي المدينة بالايمان مظهره ومصيره
من قبلهم اي من قبل هجرة المهاجرين من النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اليهم فبنوا المساجد قبلهم
بسنتين في المدينة المنورة وقيل تقدير الكلام والذين تبوؤا الدار
والايمان من قبلهم يحبون اي الانصار من هاجر اليهم من المؤمنين
والمؤمنات ولا يثقل عليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة اي
حسدا وبخلا من الخصال الذميمة واكثر الناس يبتلون بها
بالاسباب الظاهرة والخدعة الشايعة من حيل الاعداء اما او توا

واحضروا ونهبوا ما يلزمهم
من البيوت والاموال و
غيرها من الحوائج اللازمة

اى اعطوا المهاجرين من فىء بنى النضير بحيث شاورهم النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم ان هذا الفىء مشترك بينكم ان تعطوهم من دياركم
واموالكم لانهم تركوا ديارهم واموالهم لرضاء الله ورسوله ولا
فليس لكم يا اهل المدينة حصة من الفىء فرضوا بما آتيهم الله ورسوله
بل قالوا اموالنا وديارنا لهم ومع انهم يؤثرون اى الانصار
بعد هذه الاستشارة على انفسهم النفيسة مع لزومها وتقدم
جميع الانفاس فى القسمة بين المهاجرين وحرمان انفسهم منها حتى
ان من كان له امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من احدهم ولو كان بهم
خصاصة اى حاجة الى ما يؤثرون به فالجملة حال من الفاعل فى يؤ
ثرون اى مفروضا خصاصتهم ثم اثنى الله على الانصار وعلى مثلهم
بقوله ومن يوق ومن يمنع شح نفسه اى بخلها فاولئك هم المفلحون
فى الآخرة من النار يدخلون الجنة كما قال النبى صلى الله عليه وسلم
لا يجتمع الشح والايمان فى قلب عبد مؤمن ابدا رواه ابن ابى
الدنيا واما خيام الجنة وغرفها وغير ذلك فما روى عن ابى موسى
الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان
للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها فى السماء
ستون ميلا للمؤمن فيها اهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم
بعضا رواه البخارى ومسلم والترمذى الا انه قال وعرضها ستون
ميلا قال الامام النووى رح اللؤلؤ معروف وفيه اربعة اوجه
بالهمزتين وبحذفهما وباثبات الاولى دون الثانية وبالعكس
قلت يحتمل هذه الخيمة بجميعها كذلك ويحتمل استعارة فى النفاسة
والصفاء ونظيره قوله تعالى قوارير من فضة فان القارورة يحتمل
الحقيقة والاستعارة لبياضها وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما

فى قوله تعالى حور مقصورات فى الخيام فان الخيمة من درة مجوفة طولها
فرسخ وعرضها فرسخ ولها الف باب من ذهب حولها سرادق مفرد
سرادقات وهى ما تمد فوق صحن الدار فكل بيت من كرسف فهى سرادق
دورها خمسون فرسخا يدخل عليه من كل باب منها ملك بهدية
من عند الله تعالى وفى رواية للبيهقى ايضا الخيمة درة مجوفة فرسخ
فى فرسخ لها اربعة الاف مصراع من ذهب واسناده اصح رواه
ابن ابى الدنيا كما يؤيده فى سورة الذاريات ان المتقين اسم فاعل
من الافتعال من وقى يقى فقلبت الواو تاء لما وقع قبل تاء الافتعال
فادغمت فى التاء والتقوى عبارة عن وقاية النفس عما حرم الله تعالى
من المحرمات المبينة فى كتابه العزيز وعن الاستقرار فى المأمورات
الطيبات المحللات للمؤمنين المخلصين من العباد ليكون اكرم الناس
فى المجمع وهو اتقيهم فى كل الاحوال وليأمن عن البرازخ والاهوال
والتقوى ثلاث المراتب الاعلى وهو ترك ما سوى الله من لذائذ الدنيا
الدنية وايثار عزائز العقبى العلية الباقية لما يعرفه ذو العقول
والبصيرة ان الاشياء التى لها ابتداء وانتهاء فانية وان التى ليس لها
انتهاء فهى باقية وان الاولى لم تخلق الا لمزرعة الباقية فان زرع
حصد والا كسد والمرتبة الثانية الوسطى ان يتشرع بدقائق
الشرايع الغراء ولا يفوت منها شيئا اصلا سوى اللذائذ الشرعية
كالنكاح واللباس واكل الحلال وغيرها مما يسئل عنه مجتنبا عن
المنهيات والمرتبة الثالثة وهى ادنى التقوى ان يتجافى عن الكفر
والشرك مقدما على الايمان غير متبال عن المحرمات فهذه المراتب كلها
عين التقوى وما يطلق عليه اسم التقوى وان وجد التفاوت بين
الاقسام والتباين بينهما كما هو شرطها دون المقسم والاقسام فهى

مقامات اهل الجنة
درجات التقوى

داخلة تحت قوله ان المتقين في جنات وبساطينها وعيون وانهارها
التي تجري تحت اشجارها واثمارها التي لا تبلغ كنهها البالغون
ولا يقادر قدرها الفائقون آخذين حال منهم اى قابلين ما آتيهم
ربهم من الاجر الجزيل والثواب الجميل وراضين بالنضرة والسرور
اذ كل ما آتيهم حسن مرضي يتلقى بحسن القبول ثم بين الله تعالى
سبب حصول غرامهم وائتمار الاوامر وانتهاء النواهي في الايام الخالية
في الحيوة البالية فقال انهم كانوا قبل ذلك في الحيوة الدنيا محسنين
في الاعمال الصالحات ومخلصين في العبادات والطاعات فصلوا
صلوة آخر العمر وكذا صيامهم وقيامهم وجميع طاعاتهم بعرفانهم
انهم ذاقوا الموت البتة فلم يعرفوا وقته فرب رجل يموت في الصلوة
بلا مرض ولا وجع ورب يموت في النوم وحال الاكل وغيرها فهذا
كمال التقوى وعينه وفيه اشارة الى معنى الاحسان في سؤال جبريل
الى النبي صلى الله تعالى عليهما وسلم فاجابه بقوله عليه السلام ان
تعبد الله تعالى كانك تراه وان لم تكن تراه فانه يراك وقد فسر
بقوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون يفترون من النوم ويصلون
اكثره وينامون ادناه ويجوز ان يكون ما مصدرية او موصولة
مرتفعة بقليلا على الفاعلية اى كانوا قليلا من الليل هجوعهم
او ما يهجعون فيه وفيه مبالغات في تقليل نومهم واستراحتهم
ويجوز زيادة ما للتأكيد وقليلا صفة مصدر محذوف اى
هجوعا قليلا ويهجعون خبر كان ولا يجوز ان يكون ما نافية على
معنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا بل يحيونه كله لان ما
النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها وبالاسحار هم يستغفرون
اى هم مع قلة هجوعهم يداومون على الاستغفار في الاسحار

فكانهم

فكانهم اسلفوا لياليهم باقتراف السيئات والجرائم فقيل يا رسول الله
كيف الاستغفار فقال قولوا اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا
انك التواب الرحيم وفي اسناد الفعل الى ضميرها ايماء بانهم الاحقاء
بان يوصفوا بالاستغفار كانهم المختصون به لاستدامتهم واطنابهم
فيه وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها
من ظاهرها فقال ابو مالك الاشعري رضي لمن هي يا رسول الله قال
لمن اطاب الكلام واطعم الطعام وبات قائما والناس نيام رواه
الطبراني والحاكم وروي عن عمران بن حصين وابي هريرة رضي الله عنهما
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عن قوله تعالى ومساكن طيبة
في جنات عدن فقال قصر في الجنة من لؤلؤة فيها سبعون دارا من
ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت
سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش
امرأة في بيت سبعون مائدة سبعون لونا من طعام في كل بيت
سبعون وصيفا ووصيفة يعطى المؤمن من القوة ما يأتي على
ذلك كلها في غداة صباح واحدة رواه الطبراني والبيهقي
كما قال الله سبحانه في سورة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مثل الجنة
اى صفتها التي تهيئت نزلا وعد المتقون الذين يخافون ربهم
بالغيب عن وقوع الشرك والمعاصي وهي المرتبة الادنى من
التقوى من المراتب الثلاث للتقوى لما بينها المفسر ولخاصة
القاضي الشيرازي البيضاوي في اول سورة البقرة في قوله
تعالى هدى للمتقين فارجع البصر مرة تجده او كرتين تعرفه
استيناف سيق لشرح محاسن الجنة الموعودة للمؤمنين المخلصين

والمتقين الموقنين المعتبرين مما خلق الله تعالى من الاسرار الالهية
والانوار السبحانية فى المصنوعات الحكمية والموجودات المنزهة
عن العبث والتغوير لاعتبار العلماء الكاملين من ذوى العقول
والابصار واولى الفهوم والافكار وهى السر المخزون فى قوله
العزيز انما يخشى الله من عباده العلماء لكمال وصول افكارهم
الى الاسرار الجلية وتمكن ابكارهم العلية فى الحكم السنية فسبحان
من بيده الملكوت والعطاء والكرم والجبروت خلق الاشياء من العدم
ووهب على ما يشاء ثم اصطفاه من بينهم وثناه لاجلهم واقتداهم
فى ابرهم واتقاهم فى اثرهم لينالوا الى الدرجة الموعودة وليجتنبوا
عن الدركة المرعوبة فى الدارين من بين الكونين انما عبر عنهم
بالمتقين ايذانا بان المؤمنين واعمالهم الصالحات من باب التقوى
الذى هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك السيئات عن
آخرها وانما قال مثل الجنة دون صفتها لعلو شانها وعظم درجاتها
من حيث لم تعدها العادون ولم يقدر من ذوى القدرة من الاقوياء
القادرين كجبريل وغيرهما من الملئكة المقربين وهو مبتدأ محذوف
الخبر اى مثل الجنة ما تسمعون من ربكم العليم القدير ولا يستنكف
عن عبوديته الملئكة ذو القدرة من الرب الخبير وقوله تعالى
فيها انهار الخ مفسر له وقيل المثل انما زيد لتاكيد المعنى وتحقيق
افادة معانى المبنى كزيادة الاسم كما فى قوله ثم اسم السلام
عليكم كما مر فى بحث الاسم والمسمى فى اول الكتاب والجنة مبتدأ
وخبره قوله فيها انهار الخ من ماء غير آسن بالمد اى غير متغير الطعم
والرايحة وانهار من لبن لم يتغير طعمه من الحموضة كاللبن فى الدنيا
وانهار من خمر لذة للشاربين اى لذيذة من الالذ وليس فيها كراهة

طعم

طعم وريحة ولا مسكر ولا خمار وانما هى تلذذ محض ولفظ لذة
اما تانيث لذ بمعنى لذيذ او مصدر نعت به مبالغة وقرئ لذة
بالرفع على انها صفة انهار وبالنصب على الصلة اى لاجل لذة
الشاربين وانهار من عسل مصفى لا يخالطه الشمع وفضلات
النحل وغيرها وفى هذا تمثيل لما يجرى مجرى الاشربة فى الجنة بانواع
ما يستطاب منها ويستلذ فى الدنيا بالتخلية عما ينقصها والتحلية
بما يوافق غزارتها ودوامها ولهم فيها مع ما ذكر من فنون الاشربة
والانهار من صنف كل الثمرات ومغفرة اى ولهم مغفرة عظيمة
لا تعد عددها ولا تحد قدرها وقوله من ربهم متعلق بمحذوف
صفة لمغفرة مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة
الاضافية اى كائنة من ربهم كمن هو خالد فى النار خبر المبتدأ
المحذوف تقديره كمن هو خالد فى هذه الجنة حسبما جرى به الوعد
كمن هو خالد فى النار كما نطق به قوله تعالى والنار مثوى لهم وقيل هو
خبر لمثل الجنة على ان فى الكلام حذفا تقديره مثل الجنة كمثل
جزاء من هو خالد فى النار او مثل اهل الجنة كمثل من هو خالد فى النار
فعرى عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصويرا لمقابلة من يسوى
بين المتمسك بالسنة بين الناس وبين التابع للهوى بمكابرة
من سوى بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين
النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة اللذيذة والاطعمة
العزيزة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة وقيل اذا دنى منهم شوى
وجوههم واغارت فروة وجوههم ورؤسهم فاذا شربوه فقطع
امعاءهم واما انهار الجنة فما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الكوثر نهر فى الجنة

جانبتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك
اى جانباه
وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج رواه ابن ماجه والترمذى
وعن ابى هريرة رضى انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
انهار الجنة تخرج من تلال او من تحت جبال المسك رواه ابن حبان
فى صحيحه وعن حكيم بن معاوية القشيرى عن ابيه معاوية رضى انه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يقول فى الجنة بحر للماء
وبحر للبن وبحر للعسل وبحر للخمر ثم يشقق الانهار منها بعده
رواه البيهقى وعن انس بن مالك رضى انه قال انكم تظنون ان انهار
الجنة اخدود فى الارض لا والله انها لسائحة اى لجارية على وجه
الارض احدى حافتيها اللؤلؤ والاخرى الياقوت وطينه المسك
الاذفر اى لا خلط له رواه ابن ابى الدنيا موقوفا ورواه غيره من
اصحاب السنة مرفوعا والموقوف اشبه للصواب وباقى الاحاديث
سيجئ فى سورة الكوثر انشاء الله تعالى واما شجرة الجنة وثمارها فما
روى عن انس بن مالك رضيه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام
لا يقطعها ان شئتم فاقرؤا فى سورة الواقعة وظل ممدود اى دائم
وماء مسكوب اى يجرى على وجه الارض من غير حفر رواه البخارى
وروى عن ابى سعيد الخدرى رضى انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع
مائة عام لا يقطعها رواه البخارى ومسلم والترمذى وذلك
الظل الممدود قوله الجواد بالنصب مفعول الراكب والمضمر اسم
مفعول من اضمر اذا قلل علفه على التدريج ليشتد جرى سيره
حين الركوب قوله السريع مائة لا يقطعها فالجملة حالية من فاعل

يسير

يسير والمائة على حساب قوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون اى لا يقطع الراكب المذكور المواضع الذى يسترها اغصان
تلك الشجرة وفيه بيان عظمة قدرة الله واتساع الجنة التى
لا يعلمها ولا يحيط بما فيها من الدرجات والغرفات والنعم
والحوراء والغلمان والولدان والوصايف والماكولات والملبوسات
وغيرها الا الله تعالى فان قلت قد علم بالادلة القطعية سعة
الجنة ودرجاتها وسعة النار ودركاتها فايتهما اوسع من الاخرى
قلنا ان الجنة رحمة لاصحابها والنار غضب لاربابها فالرحمة
واسعة على كل شئ لقوله تعالى رحمتى وسعت كل شئ ولم تنته علوم
الاولين والاخرين الى كنههما وسعتهما والله تعالى اعلم وروى
عن اسماء بنت ابى بكر الصديق رضيهما انها قالت سمعت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ويذكر سدرة المنتهى يسير الراكب
فى ظل الفنن بفتح الفاء والنون الغصن الصغيرة منها مائة سنة
او تستظل بظلها مائة راكب شك من الراوى فيها فراش الذهب
كان ثمرها القلال رواه الترمذى وقال حديث روايته حسن
قوله فراش الذهب الطير الذى يطير بالليل من الذباب والبعوض
جمع قلة بالضم الجبال
ويلقى نفسه فى ضوء السراج قيل ارادبها الملائكة يتلألؤ اجنحتها
كتلألؤ اجنحة الفراش كانها مذهبة وقوله ثمرها القلال جمع
قلة وقلة كل شئ اعلاه كما يطلق على رأس الجبال والانسان قلة
واما اكل اهل الجنة وشربهم فكما قال الله تبارك وتعالى فى سورة
البقرة وبشر الذين آمنوا بانه منزل من عند الله عز وجل
دلالة على وحدانية الله تعالى والوهيته مع اسرار الحكمية وانوار
السبحانية وهو معطوف على الجملة السابقة عطف القصة

بيان اغصان شجرة سدرة المنتهى

على القصة ووصف ثواب المؤمنين وعذاب الكافرين جريا على السنة
الالهية من شفع الترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد وكان تغيير
المبنى لكمال التباين بينهما في المعنى ولا يجوز ان يكون عطف نعتين
الامر حتى يطلب له مشاكل يصح عطفه عليه وقيل انه معطوف
على قوله فاتقوا وقيل على تقدير المقدر اى قل وبشر وفرح بخبر
البشارة ويجوز ان يراد بالخطاب كل احد من شأنه ان يخاطب
لا الفرد المعين كما كان الحال في اكثر الآيات وقرئ وبشر على صيغة
المجهول عطفا على قوله تعالى اعدت فيكون استينافا وتعليق التبشير
بالموصول للاشعار بانه معلل بما في حيز الصلة من الايمان والعمل
الصالح لكن لا لذاتهما فانهما لا يكافئان النعم السابقة فضلا
من ان يقتضيا ثوابا فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده
وجعل صيغة فعل مفيدا للحدوث بعد ايراد الكفار لصيغة الفاعل
لترغيب المخاطبين على الايمان والاعمال ولتحذيرهم من الاستمرار
على الكفر في الابتداء بصورة البشارة ايماء الى ان الامر لعظمه وفخامة
شأنه حقيق بان يتولى البشرية كل من يقدر عليه اذ البشارة الخبر
السار الذي يظهر به اثر السرور في البشرة من البشاشة والبشر
وتباشير الصبح اوائل ضوئه وعملوا الاعمال الصالحات التي صدرت
عنهم لرضاء الله تعالى على حسن الحال من موجب التكاليف المأمورة
من العبادات المعروفة والطاعات المعلومة بدليل العقل والنقل
واللام للجنس والجمع للافادة بها ان المراد بها جميع جنس الاعمال اللائقة
والافعال الفائقة والعنايات الحقة من الظاهرة والباطنة التي امر بها
العباد المكلفون الذين هم متفاوتون في طرق الاعمال على وسعهم فيها
وفي عطف الاعمال على الايمان دلالة على تغايرهما واشارة صنعة منه

اشعار

اشعارا ايضا بان مدار استحقاق البشارة مجموع الامرين معا فان الايمان
اساس العمل بانه لولاه لم يجد كما هو حال اللوازم للملزومات والثمرات
للثمر والثاني كالبناء كما ان الاول كالعرصة وفيه رد على ما ذهب اليه
الاشاعرة من ان العمل عين الايمان ولا تغاير بينهما والحق ما ذهب اليه
ائمة الماتريدية من اعلى اهل السنة والجماعة كما هو مذهب سلطان
الائمة استاذ جميع اهل السنة والجماعة الامام الاعظم الكوفي
نعمان بن ثابت ابي حنيفة عليه الرحمة والغفران والرضوان
والجنان فان اردت الاطلاع على التحقيق فارجع البصر كرتين
الى سورة العصر ان لهم جنات منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل
اليه او مجرور باضماره كما في القسم مثل الله لافعلن والجنة المرة
من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخلة والشجرة المتكاثفة
بالتفاف الاغصان قال الفراء رح الجنة ما فيه النخيل والفردوس
ما فيه الكرم فحق المصدر رح ان يكون مأخوذا من الفعل المبني للمفعول
وانما سميت دار الثواب بها مع ان فيها ما لا يوصف من القصور والغرفات
والنعم الغير المحصورة والدرجات لما انها مناط نعيمها وعظام ملاذها
وجمعها مع التنوين للتنكير على ما رواه ابن عباس رضهما بانها سبع
جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى
ودار السلام وعليون وفي كل واحدة فيها مراتب ودرجات متفاوتة
بحسب تفاوت الاعمال واصحابها تجري من تحتها الانهار حين النصب
على انه صفة جنات فان اريد بها الاشجار فجريان الانهار من تحتها
ظ وان اريد بها المجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر
الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنة على الكل وروي عن
مسروق رضه انه قال ان انهار الجنة تجري في غير اخدود وهو الشق

اسماء الجنة ثمانية

من الارض بالاستطالة واللام في الانهار للجنس كما في قولك لغلامك
بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب وعوض عن المضاف اليه
كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا او للعهد والاشارة الى ما ذكر
في قوله عز وعلا انهار من ماء غير آسن والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى
الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والشأت والتركيب
للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او على مجاز اللغوي او المجاز نفسها
وقد اسند اليها الجري بان مجازا عقليا كما في سال الميزاب وقيل انزه
الجنات منظرا ما كانت اشجارها مظللة وانهارها في خلالها
مطردة كلما رزقوا اي متى ما اطعموا منها اي من الجنة فلفظ من لابتداء
الغاية من ثمرة اي ثمرة بزيادة من للتاكيد او للبيان او للابتداء المقيد
بعد المطلق رزقا ونصب كلما على الظرفية ورزقا على المفعول به
اي طعاما ومن الاولى والثانية كلاهما لابتداء واقعتان موقع
الحال قالوا هذا الذي رزقنا اي اطعمناه من قبل اي قبل هذه الثمرة
وهذه صفة اخرى لجنات وانما اخرت عن الاولى لان تجري الانهار
من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها وهذا وصف لها باعتبار اهلها
واصحابها المتمتعين بها او خبر مبتدأ محذوف وجملة مستأنفة
كانه حين وصف الجنات بما ذكر من الصفة وقع في ذهن السامع
ان ثمارها كثمار جنة الدنيا او لا فبين حالها فقال واوتوا به متشابها
اي جيئوا بذلك الرزق متشابها في اللون والجودة لان ثمار الجنة
متشابهة في اللون ومختلفة في الطعم فاذا اطعموا ثمرة في اول
النهار اكلوا منها مرة اخرى في آخر النهار فظنوها الاولى ثم اذا
اكلوا وجدوا غير ذلك في الطعوم واللذة والجودة فلا يكون فيها
ردي كما كان في الدنيا الفانية فلا تقاس عليها الباقية وروى

انه ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا الا الاسماء وانما جعل ثمار
الجنة كثمار الدنيا في اللون والجودة دون الطعم واللذة لتميل النفس
والطباع اليها حين تراه في الوهلة الاولى لان الطباع مائلة الى
المألوف ومتنفرة عن غير المعروف ولتبين لها مزيدته وكنه النعم
فيه اذ لو كان جنسا غير معهود لظن انه لا يكون الا كذلك ومثل
الذي رزقناه من قبل في الجنة لان طعامها متشابه الصور
كما يحكى عن الحسن رض ان احدهم يؤتى بالصحفة فياكل منها ثم
يؤتى باخرى فيراها مثل الاول فيقول ذلك الكلام فيقول الملئكة
كل فاللون واحد والطعم مختلف ويؤيده ما روى عن ابن عباس
رضهما اذ ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك كما
التباين والتفاوت بينهما من حيث اللذة والحسن والهيئة لبيان
ان لا تشابه بينهما ولو في اللون والجودة كيف لا واطلاق الاسماء
منوط بالاتحاد النوعي قطعا وقد فسرت الآية الكريمة بان مستلذات
اهل الجنة بمقابلة ما رزقوا وانفقوا ووهبوا من المعارف الالهية
والطاعات السبحانية متفاوتة الاحوال فيجوز ان يريد بهو ثواب
الذي رزقناه في الدنيا من انواع التوفيق من العبادات والطاعات
التي وعدناه في الكتاب العزيز بقوله يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا وبقوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وبقوله وما
تقدموا لانفسكم من خير تجدوه ولا يساعده تخصيص ذلك
بالثمرات فان الجنة وما فيها من فنون الكرمات من قبيل الثواب
ولهم فيها اي في الجنة من الدرجات العاليات والكرامات الواليات
بحسب اعمالها ومجاهدتها كل نفس ووعدت في مقابلتها ازواج
مطهرة من الحور العين مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة

كالحيض والنفاس والدرن والبول والغائط ولا يجوز ذلك مما
تنفر منها الطبيعة السليمة من الانفس المستقيمة في ظواهر الابدان
ومن الحقد والحسد والاخلاق الرديئة في بواطن الانسان فان
التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال في الظواهر
والبواطن وفي ايراد مطهرة فخامة دون طاهرة وهم فيها خالدون
اي دائمون احياء متنعمون ولا منعزلون ولا يخرجون ولا تشبه
مناصب كل نفس بسببها في الدنيا الفانية بابيات الباقية واصل
الخلود الثبات المديد دام او لم يدم فلذا احتاج الى التقييد
بالتأبيد في قوله العزيز الاخر خالدين فيها ابدا وفي الاحاديث
الكثيرة بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم مرويا عن ابي هريرة رض
من يدخلها ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابه ولا يفنى
شبابه رواه احمد بن حنبل في مسنده رح وروي عن زيد بن
ارقم رض انه قال جاء رجل من اهل الكتاب الى النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فقال يا ابا القاسم تزعم اهل الجنة يأكلون ويشربون
قال نعم والذي نفس محمد بيده ان احدا ليعطى قوة رجل في الاكل
والشرب والجماع قال فان الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة
وليس في الجنة اذى قال تكون حاجة احدهم رشحا اي عرقا يفيض
من جلودهم اي يخرج كرشح المسك فيضمر بطنه اي يخفف ويلطف
جسمه رواه احمد والنسائي وعن عبد الله بن مسعود رض انه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انك لتنظر الى الطير فتشتهيه
فيجيء مشويا بين يديك رواه ابن ابي الدنيا والبزار والبيهقي
وعن ابي امامه ان الرجل من اهل الجنة ليشتهي الشراب من شراب
الجنة فيجيء الابريق فيقع في يده فيشرب ثم يعود الى مكانه رواه ابن

ابي الدنيا موقوفا باسناد جيد صحيح وعن ميمونة رضيها انها
قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليشتهي الطير
في الجنة فيجيء مثل البختي حتى يقع على خوانه لم يصبه دخان ولم
تمسه نار فيأكل حتى يشبع ثم يطير رواه ابن ابي الدنيا وروي
عن ابي سعيد الخدري رض انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان في الجنة طائرا له سبعون الف ريش يجيء
فيقع على صحيفة الرجل من اهل الجنة فينتفض اي فيتحرك فيقع
من كل ريشة لون من طعام ابيض من الثلج والين من الزبد
والذ من الشهد اي العسل ليس منها لون يشبه صاحبه ثم يطير
رواه ابن ابي الدنيا وعن ابن عباس رض انه قال الرمانة من
رمان الجنة يجتمع حولها بشر كثير يأكلون منها فان جرى على ذكر
احدهم شيء يريده وجده في موضع يده حيث يأكل رواه ابن
ابي الدنيا واما ثيابهم وحللهم فما روي عن ابي هريرة رض
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من يدخل الجنة ينعم
ولا ييأس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه في الجنة ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر رواه مسلم وروي عن
ابي امامة الباهلي رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ما منكم من احد يدخل الجنة الا انطلق به الى طوبى فتفتح له
اكمامها جمع الكم القميص والمراد هنا قشر طوبى فيأخذ من اي ذلك
شاء ابيض وان شاء احمر وان شاء اصفر وان شاء اسود مثل الشقائق
النعمانية وارق واحسن رواه ابن ابي الدنيا قوله فيأخذ من اي
ذلك من حلل اهل الجنة واثوابها وروي عن ابن مسعود رض عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اول زمرة يدخلون الجنة يوم القيمة

ضوء وجوههم على مثل ضوء القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على مثل
احسن كوكب دري في السماء لكل رجل منهم زوجتان من الحور العين
على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من ورائها الى الحلل او من
وراء لحومها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء رواه الطبراني
والبيهقي باسناد صحيح وروى عن ابي سعيد الخدري رض عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل
ان يتحول ثم تأتيه امرأة فتضرب منكبه فينظر وجهه في خدها
اصفى من المرآة وان ادنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب
فتسلم فيرد السلام ويسئلها من انت فتقول انا من المزيد وانه ليكون
عليها سبعون ثوبا ادناها مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره حتى
يرى مخ ساقها من وراء ذلك وان عليها من التيجان ان ادنى لؤلؤة
منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب رواه احمد في مسنده وروى عن
ابي هريرة رض انه قال دار المؤمن في الجنة لؤلؤة فيها اربعون الف دار
فيها شجرة تنبت الحلل فيأخذ الرجل باصبعيه واشار بالسبابة والابهام
سبعين حلة ممنطقة باللؤلؤ والمرجان رواه ابن ابي الدنيا موقوفا
قوله ممنطقة وهي ثوب تلبسها المرأة وتشد وسطها ثم ترسل الاعلى
الى الاسفل الى الركبة والاسفل يجر الى الارض وليس لها شدة يقال
منطقة اذا لبس المنطق وهو كل ما شددت به وسطك وروى
عن شريح بن عبيد انه قال قال كعب لو ان ثوبا من ثياب اهل الجنة
لبس اليوم في الدنيا لصعق اي مات من ينظر اليه وما حملته ابصارهم
رواه ابن ابي الدنيا وفي حديث انس رض مرفوعا ولو اطلعت امرأة
من نساء اهل الجنة الى الارض لملأت ما بينهما ريحا ولاضاءت ما بينهما
ولنصيفها اي خمارها على رأسها خير من الدنيا وما فيها رواه البخاري ومسلم

واما فرش الجنة فما روى عن ابي سعيد الخدري رض عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم في قوله تعالى في سورة الواقعة وفرش مرفوعة قال ارتفاعها
كما بين السماء والارض ومسيرة بينهما خمسمائة عام رواه ابن ابي الدنيا
والترمذي وقيل المراد بالفرش الدرجات العالية ما بين كل الدرجتين
قدر ما بين السماء والارض وقيل المراد بها النساء لان العرب
الفصحاء تسمي المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة فالمعنى رفعن
بالجمال والفضل على نساء الدنيا فوق الغاية والاعتبار وروى عن
ابي امامة رض عنه انه قال سئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن الفرش
المرفوعة فقال لو طرح فراش من اعلاها لهوى اي لسقط الى قرارها
مائة خريف رواه الطبراني واما صفة نساء اهل الجنة فما روى عن
اي سنة
عبد الله ابن مسعود رض انه قال قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ان المرأة من نساء اهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين
حلة حتى يرى مخها وذلك ان الله تعالى يقول في سورة الرحمن كانهن
الياقوت والمرجان اما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم
استصفيته لرأيته من ورائه الى ذلك السلك رواه ابن ابي الدنيا وابن حبان
في صحيحه وروى عن سعيد بن عامر بن خزيمة رض انه سمعت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم انه يقول لو ان امرأة من نساء اهل الجنة
اشرفت اي ظهرت لملأت الارض ريح المسك ولاذهبت ضوء الشمس
والقمر رواه الطبراني والبزار عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لو ان حوراء
اخرجت كفها بين السماء والارض لافتتن الخلائق بحسنها ولو اخرجت
نصيفها اي خمارها لكانت الشمس عند حسنه مثل الفتيلة لا ضوء لها
ولو اخرجت وجهها لاضاءت حسنها ما بين السماء والارض رواه

ابن ابي الدنيا وروى عن انس بن مالك رض عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لو ان حوراء بزقت في بحر لعذب ذلك البحر من عذوبة
ريقها رواه ابن ابي الدنيا وروى عن ابن عباس رضيهما انه قال كنا
جلوسا مع كعب يوما فقال ان يدا من الحور من السماء ببياضها وخواتيمها
دليت اي ظهرت لاضاءت لها الارض كما تضيء الشمس لاهل الدنيا
ثم قال انما قلت يدها فكيف بالوجه ببياضه وحسنه وجماله وتاجه
وياقوته ولؤلؤه وزبرجده رواه ابن ابي الدنيا وروى عن انس بن
مالك رضه انه قال حدثني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال حدثني
جبريل قال يدخل الرجل على الحوراء فتستقبله بالمعانقة والمصافحة
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فباي بنان تعاطيه اي فباي
اصابع تاخذه لو ان بعض بنانها بدا اي ظهر لغلب ضوؤه ضوء
الشمس والقمر ولو ان طاقة من شعرها بدت لملأت ما بين المشرق
اي الذوائب
والمغرب من طيب ريحها فبينا هو متكئ معها على اريكته اي سريره
اذ اشرف عليه نور من فوق فيظن ان الله تعالى قد اشرف على خلقه فاذا
حوراء تناديه يا ولي الله اما لنا فيك من دولة فيقول من انت يا هذه
فتقول انا زوجتك من الحوراء فيقول ما كنت علمت بمكانك فتقول
المرأة اوما تعلم قول الله لهم ما يشاؤن فيها وذلك انهم ليسألون الله
تعالى حتى ينتهي مسألتهم فيعطون ما سألوا ثم يزيد الله تعالى من
عنده ما لم يسألوه مما لم يخطر بقلب بشر وهو قوله تعالى ولدينا مزيد
وقيل المزيد هو النظر الى وجه الله الكريم فيحول عندها فاذا عندها
من الجمال والكمال ما ليس مع الاولى فبينا هو متكئ معها على اريكته
واذا حوراء اخرى تناديه يا ولي الله اما لك فينا حاجة فيقول من
انت يا هذه فتقول انا زوجتك وحبتك فيقول ما كنت علمت بمكانك

فتقول

فتقول المرأة اوما تعلم ان الله تعالى في سورة السجدة فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم اي ما اعد لهم من قرة اعين اي من الثواب في الجنة
جزاء بما كانوا يعملون اي بسبب اعمالهم الصالحة فلا يزال يتحول
من زوجة الى زوجة رواه الطبراني في الاوسط رح روى عن
عبد الله بن ابي اوفى رضه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ان الرجل من اهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء واربعة آلاف
بكر وثمانية آلاف ثيب تعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا
رواه البيهقي واما غناء الحور العين فما روى عن علي رضه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان في الجنة لمجتمعا للحور
العين يرفعن باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها يقلن نحن الخالدات
فلا نبيد اي لا نهلك ونحن الناعمات فلا نبأس اي لا نحزن ونحن
الراضيات فلا نسخط اي لا نسخط لنا طوبى لمن كان لنا وكنا له
رواه الترمذي وقال حديث غريب وروى عن ابي امامة رض
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا عند
راسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين تغنيان باحسن صوت
سمعه الانس والجن وليس بمزامير الشيطان ولكن بتحميد الله
وتقديسه رواه الطبراني والبيهقي وعن انس بن مالك رض عن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الحور في الجنة يغنين يقلن نحن
الحور الحسان هدينا لازواج كرام رواه ابن ابي الدنيا والطبراني
وروى عن ابي اوفى رضه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يزوج الى كل رجل من اهل الجنة اربعة آلاف بكر وثمانية آلاف
ايم ومائة حوراء فيجتمعن في كل سبعة ايام فيقلن باصوات حسان
لم يسمع الخلائق بمثلهن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات

مطلب غناء الحور العين باصوات حسان وتغنيهن

فلا بأس ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظعن
اى فلا نسير طوبى لمن كان لنا وكنا له رواه ابو نعيم فى صفة اهل الجنة
واما سوق الجنة فما روى عن انس بن مالك رضى ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال ان فى الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال
فتحثو فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون
الى اهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم اهلوهم والله لقد
ازددتم بعدنا حسنا وجمالا رواه مسلم قوله لسوقا وهو معروف
يذكر ويؤنث والتأنيث افصح والمراد هنا مجمع يجتمع فيها اهل
الجنة كما يجتمع الناس فى سوق الدنيا وقد احاطت به الملئكة
بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيأخذون
ما يشتهون بلا اشتراء وهذا نوع من الالتذاذ قوله فتهب ريح
الشمال بفتح الشين من جهة تقابل القبلة قال الشارح القاضى
عياض فى شرح مسلم هنا وانما خصها بالذكر لانها ريح المطر
عند العرب وكانوا يرجون بها السحاب الشاتى قوله فتحثو اى
تنشر تلك الريح فى وجوههم وثيابهم انواع العطر فزيادة حسنهم
بقدر حسن عبادتهم واعتقادهم فى الله تعالى لانه عند ظن
عبده اللهم ثبت قلوبنا بنبيك المصطفى واختم كلامنا على
توحيدك المجتبى وارفع درجاتنا فى الجنان العالية فى اعلى العليين
مع النبيين والشهداء والصالحين فنعم المولى ونعم النصير كما قال الله
تبارك فى سورة شورى ترى الظالمين يوم المجازات والخطاب
شامل لكل احد من المكلفين بانحراز الاجر وانتهار النواهى
ممن يصلح له للقصد الى ان سوء حالهم غير مختص برؤية احد دون
غيره مشفقين اى خائفين مما كسبوا من السيئات وهواى

وباله

وباله واقع بهم لا حق بهم لا محالة سواء اشفقوا او لم يشفقوا
والجملة حال من ضمير مشفقين او اعتراض والذين آمنوا باقرار
اللسان موافقا لتصديق الجنان مؤمن بالاخرة والاجر الالهية ومنتهى
عن النواهى السبحانية وعملوا الصالحات الخالصات لرضاء الله
تعالى معرى عن الرياء والسمعة المبعدان عن الجنان والجمال
وهم مستقرون فى روضات الجنات واطيب بقاعها وانزهها
لهم ما يشاؤن عند ربهم اى ما يشتهون من فنون المستلذات
حاصل لهم عند ربهم على ان عند ربهم ظرف للاستقرار العامل
فى لهم وقيل ظرف يشاؤن ذلك اشارة الى ما ذكر من حال المؤمنين
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه هو الفضل
الكبير الذى لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ولا يخطر على قلب
بشر مما يعاينه ويشاهده من متلذات الانفس ومشتهيات
الاعين ولا انفس جزاء بما كانوا يعملون وعطاء بما كانوا يعملون
ويفعلون روى عن على رضى انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان فى الجنة لسوقا ما فيها شراء ولا بيع الا الصور
من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها رواه
ابن ابى الدنيا والترمذى وعن انس بن مالك رضى عن النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اهل الجنة انطلقوا الى السوق
فينطلقون الى كثبان المسك فاذا رجعوا الى ازواجهم قالوا
انا لنجد لكن ريحا ما كانت لكن قال فيقلن لقد رجعتم بريح
ما كانت لكم اذا خرجتم من عندنا رواه ابن ابى الدنيا وروى
عن انس بن مالك رضى ايضا ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
ان فى الجنة سوقا كثبان مسك يخرجون اليها ويجتمعون اليها

فيبعث الله تعالى ريحا فيدخلها بيوتهم فيقول لهم اهلوهم اذا رجعوا
اليهم قد ازددتم حسنا بعدنا فيقولون لاهليهم قد ازددتم
ايضا حسنا عندنا رواه ابن ابي الدنيا والبيهقي واما تزاورهم
ومراكبهم فما روي عن انس رض عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه
قال اذا دخل اهل الجنة فيشتاق الاخوان بعضهم الى بعض فيسير
سرير هذا الى سرير هذا وسرير هذا الى سرير هذا حتى يجتمعا جميعا
فيتكئ هذا فيقول احدهما لصاحبه اتعلم متى غفر الله لنا فيقول
صاحبه نعم يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا رواه
ابن ابي الدنيا والبزار وروي عن علي رضي الله عنه انه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يخرج من اعلاها
حلل ومن اسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة عن در وياقوت
لا تروث ولا تبول لها اجنحة خطوها مد البصر فيركبها اهل الجنة
فتطير بهم حيث شاؤا فيقول الذين اسفل منهم درجة يا رب بما بلغ
عبادك هذه الكرامة كلها قال فيقال لهم كانوا يصلون بالليل
وكنتم تنامون وكانوا يصومون وكنتم تأكلون وكانوا ينفقون
وكنتم تبخلون وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون اي تبعدون رواه
ابن ابي الدنيا عن عبد الرحمن بن ساعدة رض انه قال كنت احب الخيل
فقلت يا رسول الله هل في الجنة خيل فقال اذا ادخلك الله الجنة
يا عبد الرحمن كان لك فيها فرس من ياقوت له جناحان يطير بك
حيث شئت رواه الطبراني ورواته ثقات وروي عن ابي ايوب
الانصاري رضي الله عنه انه قال اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اعرابي
فقال يا رسول الله اني احب الخيل أفي الجنة خيل قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان دخلت الجنة اتيت بفرس من ياقوتة لها

جناحان

مطلب في تزاور اهل الجنة ومراكبهم

جناحان فحملت عليه ثم طار بك حيث شئت رواه الترمذي
واما زيارة اهل الجنة ربهم تبارك وتعالى فما روي عن علي كرم الله
وجهه ورضي الله تعالى عنه انه قال اذا اسكن اهل الجنة الجنة اتاهم
ملك فيقول ان الله تعالى يأمركم ان تزوروه فيجتمعون فيأمر الله
تعالى داود عليه الصلوة والسلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل
ثم يوضع مائدة الخلد قالوا يا رسول الله وما مائدة الخلد قال
زاوية من زواياها اوسع مما بين المشرق والمغرب فيطعمون ثم يسقون
ثم يكسون فيقولون لم يبق الا النظر في وجه ربنا تعالى فيتجلى لهم
فيخرون فيقال لهم لستم في دار عمل انما انتم في دار جزاء رواه ابو
نعيم في فضل صفة اهل الجنة وروي عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابيه
عن صيفي الباقي قال سئله عبد العزيز بن مروان عن وفد اهل
الجنة قال انهم يغدون اي يركبون على نجائبهم وبراقهم الى الله تعالى
كل يوم خميس فتوضع لهم اسرة كل انسان منهم اعرف بسريره منك
بسريرك هذا الذي انت عليه فاذا قعدوا عليه واخذ القوم
مجالسهم قال الله تعالى اطعموا عبادي وخلقي وجيراني ووفدي فيطعمون
ثم يقول اسقوهم فيؤتون بآنية من الوان شتى مختمة فيشربون
منها ثم يقول عبادي وخلقي وجيراني ووفدي قد طعموا وشربوا
وفكهوا اكسوهم فيجيء ثمرات شجر اخضر واصفر واحمر وكل لون
لم تنبت الا الحلل فتنشر عليهم حللا وقمصا ثم يقول عبادي
وخلقي وجيراني ووفدي قد طعموا وشربوا وفكهوا وكسوا طيبوهم
فيتناثر عليهم المسك مثل المطر ثم يقول عبادي وخلقي وجيراني
ووفدي قد طعموا وشربوا وفكهوا وكسوا وطيبوا لأتجلين عليهم
حتى ينظروا الي فاذا تجلى لهم فنظروا اليه نضرت وجوههم ثم يقال

اي سرت

مطلب ضيافة الله لعباده المخلصين تجلي لهم

ارجعوا ارجعوا الى منازلكم فتقول لهم ازواجهم خرجتم من عندنا
على صورة ورجعتم على غيرها فيقولون ذلك ان الله جل ثناؤه تجلى لنا
فنظرنا فنضرت وجوهنا اى سرّت رواه ابن ابى الدنيا موقوفا وروى
فى الاخبار اذا دخل اهل الجنة ينادى مناد يوم السبت احضروا
ضيافة آدم عليه السلام فى الجنة الخلد فيحضروا جميعا واطعمهم
وسقيهم فكساهم آدم فيرجعون مع الكرامات والسرور الى منازلهم
ثم ينادى يوم الاحد احضروا ضيافة نوح عليه السلام فى جنات
النعيم كما ذكر آنفا ثم ينادى يوم الاثنين احضروا ضيافة ابراهيم
عليه السلام فى جنات الفردوس كما ذكر ايضا ثم ينادى يوم الثلث
احضروا ضيافة موسى عليه السلام فى جنات المأوى كما ذكرنا ثم
ينادى يوم الاربعا ضيافة عيسى عليه السلام فى جنات عدن كما ذكرنا
ثم ينادى يوم الخميس احضروا ضيافة محمد عليه الصلوة والسلام
تحت شجرة طوبى كما ذكر ايضا ثم ينادى يوم الجمعة ضيافة الرب
فى دار الجلال فيحضروا فيتجلى لهم الرب جل جلاله فيقول السلام
عليكم يا عبادى هل احببتم لقائى ثم يقول لهم تمنوا فيقولون
نتمنى رضاك فيقول الرب تبارك قد رضيت عنكم فذلك قوله
تعالى ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم اللهم اجعلنا
من الفائزين ومن الراضين بالفوز العظيم فى جنات النعيم آمين
بحرمة صاحب الشريعة والتاج الشريفة وروى ايضا عن ابى محمد
الهروى انه قال اذا يوم القيمة فدخل اهل الجنة الجنة فيوم السبت
يزورون الاباء فى الجنة ويوم الاحد يزور الاباء اولادهم فيها
ويوم الاثنين يزور العلماء تلاميذهم ويوم الثلث يزور التلاميذ
اساتيذهم ويوم الاربعا يزور الامم الانبياء عليهم السلام ويوم

على نبينا وعليهم الصلوات والسلام

الخميس

الخميس يزور الانبياء عليهم السلام اممهم ويوم الجمعة يزور الخلائق
الرب جل جلاله وعظم شانه ولا اله غيره بلا كيف ولا كيفية
اللهم يسر لنا هذه الدولة العلية والعزة الجليلة والدرجة
الجميلة والنعم القديمة واما نظر اهل الجنة الى ربهم تبارك
وتعالى فما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال ان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه
وازواجه ونعيمه وخدمه وسروره مسيرة الف سنة واكرمهم
على الله تعالى من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فى سورة القيمة وجوه يومئذ اى يوم القيمة
ناضرة بالضاد المعجمة اى مسرورة الى ربها ناظرة بالظاء المعجمة
اى ينظرون الى ربهم لا الى غيره او الى ثوابه رواه احمد والترمذى
ورواه ابن ابى الدنيا مختصرا انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان افضل اهل الجنة منزلة من ينظر الى وجه الله تعالى
فى كل يوم مرتين واما على ما يخطر على الباب فما روى عن ابى
هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله اعددت
لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر ان شئتم فى سورة السجده تتجافى اى ترتفع وتبعد
جنوبهم جمع جنب بناء على الاغلب ان الانسان ينوم على الجنب
الايمن كما هو حال الصلحاء مستقبلا الى القبلة وبالعكس
عن المضاجع جمع المضجع وهو مكان ينام فيه اعم من الفراش
والوسادة لجعل صلوة التهجد بدل النوم والراحة كما هو حال
المتهجدين من العباد المخلصين ليوم لا ينفع فيه السلطنة والاموال
الا من اتى الله بخالص الاعتقاد وخالص الاعمال حال كونهم

يدعون ربهم اى داعين وعابدين له خوفا اى لاجل الخوف من سخطه
وعذابه وغضبه وعقابه لان الامنية منه كفر وضلالة كما ان
القطع من الرحمة والمغفرة غواية بل يجب ان يكون بينهما فى حال
الحيوة غالب الخوف فيها وغالب الامنية عند الارتحال لئلا يترصد
الشيطان فى نزع الايمان وسلبها فنعوذ بالله العلى الغفور من هذا
وطمعا اى ولاجل طمع المغفرة الموعودة والرحمة الموسعة من الله
الغفور الرحيم العليم بحال عباده الضعيف المحتاج الى كرم اللطيف
ومما رزقناهم ينفقون وانما قدم المتعلق قصرا للرزق به وانه
هو الرزاق حقيقة وان تجوز فيه ورعاية للفواصل كما هو مقتضى
البلاغة وموجب الفصاحة اى ويتصدقون من النعم الفانية من
ارزاقنا البالية فى مقابلة النعم الدائمة من الجنة العالية فى وجوه
الخير والبر مخلصين له ومجتنبين عما يخله من الرياء والسمعة كما روى
عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والاخرين جاء
مناد ينادى بصوت يسمع الخلايق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم
من اولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن
المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقم الذين
يحمدون الله فى السراء والضراء وهم قليل فيسرحون اى يرسلون
جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان ناس من الصحابة
يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم
لا ملك مقرب ولا نبى مرسل حيث ادخر الله لاولئك واخفاه
من الخلايق اى ما اعد لهم من قرة اعين مما تقر بهم عيونهم اى من
الثواب فى الجنة والمزيد فى النعمة جزاء بما كانوا يعملون اى بسبب
اعمالهم الصالحة او بالذى كانوا يعملون رواه البخارى ومسلم

والترمذى

كما ان قطع الامنية [?]

والترمذى والنسائى وابن ماجه وروى عن سهل بن سعد الساعدى
رضى قال شهدت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مجلسا وصف
فيه الجنة حتى انتهى ثم قال فى آخر حديثه فيها ما لا عين رأت ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قرأ هاتين الآيتين تتجافى
جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم
ينفقون رواه مسلم وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لما خلق الله تعالى جنة عدن خلق فيها
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمى
فقالت قد افلح المؤمنون وفى رواية خلق الله تعالى جنة عدن بيده
وادلى فيها ثمارها وشق فيها انهارها ثم نظر اليها فقال لها تكلمى
قالت قد افلح المؤمنون فقال وعزتى وجلالى لا يجاورنى فيك
بخيل رواه الطبرانى فى المعجم الكبير والاوسط قوله وادلى فيها ثمارها
اى غرس فيها اشجارها بيده وهى من الصفات القديمة له تعالى اصلها
معلومة ووصفها مجهولة كالوجه والقدم والنفس وهذه من
المتشابهات فيلزم على المؤمن الموحد ان يعتقد على ما صدر عن
الشارع ولا يجوز التفسير كما فسر بعضهم اليد بالقدرة فيلزم
انكار وصف اليد وابدال الاخرى بدله والقدرة ايضا صفة له
تعالى فيتوجه على هذا المفسر انك فسرتها بالقدرة فما قدرة الله تعالى
هل عرفتها بكنهها وحقيقتها مع ان المفسر اجلى من المفسر فهل
تيسر لاحد ان معناها هو لا غير فلا نصيب لنا الا ما قلنا فى جميع
احوالنا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وقلنا ايضا رب زدنى
علما كما امر به النبى عليه من الصلوات اتمها ومن التحيات اعلاها
وقس على هذه سائر المتشابهات من الاحاديث والآيات فقد بينا

كما قال الامام احمد فى مسنده بعدم جوازه صح

في خلود اهل الجنة وخلودهما

مبني على النقول ولا يجري على قدر العقول فالعقل ايضا مأمور
على حفظ المنقول فوق المأمول حتى ان الامام الاعظم رحمه الله تعالى
قال في المرموزات الاسرارية في اوائل السورة القرآنية من قوله تعالى
الم المص المر الكر كهيعص طسم طس ص حم حم عسق ق ن وما اشبهها
من المتشابهات فعلمها عند الله العليم فهذا نهج قويم من القدماء
العليم وهو الاحرى بالتقوى وعليه الاتكاء والفتوى اللهم انا نعوذ بك
من شرور انفسنا ومن كل ذي شر ومن شرور كل دابة انت آخذ بناصيتها
ان ربنا سميع عليم على صراط مستقيم ٭ واما خلود اهل الجنة فيها
واهل النار فيها وما جاء من ذبح الموت فما روى عن ابي سعيد الخدري
وابي هريرة رضي الله عنهما انهما قالا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم اذا دخل اهل الجنة ينادي مناد ان لكم ان تصحوا ولا تسقموا ابدا
وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا
وان لكم ان تنعموا فلا تيأسوا ابدا وذلك قوله تعالى في سورة الاعراف
ونودوا اي قال لهم خزنة الجنة باعلى صوت قبل ان يدخلوها
ان تلكم الجنة التي وعدتم بها في كتاب الله العزيز الذي انزل
عليكم بلسان النبي الذي ارسل اليكم كافة للناس بشيرا بالوعد
الكريم ونذيرا بالوعيد الجليم بقوله في الجنة اعدت للمتقين
وفي النار اعدت للكافرين اورثتموها اي اعطيتموها بما كنتم
تعملون اي بسبب اعمالكم او بالذي كنتم تعملونه في الدنيا رواه
مسلم والترمذي وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيمة فيوقف على
الصراط فيقال يا اهل الجنة فيطلعون خائفين وجلين
ان يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه اي من الجنة ثم يقال يا اهل النار

فينطلقون

ذبح الموت والخلود

فينطلقون مستبشرين فرحين ان يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه
اي من النار فيقال هل تعرفون هذا قالوا نعم هذا الموت قال فيأمر به
فيذبح على الصراط ثم يقال للفريقين كلاهما خلود فيما تجدون
لا موت فيها ابدا رواه ابن ماجه باسناد جيد وروى عن انس رضي الله عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه كبش املح فيوقف
بين الجنة والنار ثم ينادي مناد يا اهل الجنة فيقولون لبيك يا ربنا
قال فيقال اتعرفون هذا فيقولون نعم ربنا هذا الموت فيذبح
كما يذبح الشاة فيأمن هؤلاء وينقطع رجاء هؤلاء رواه ابو يعلى
البغدادي واللفظ له والطبراني والبزار واسانيدهم صحاح
وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال قال النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم اذا صار اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار جيء بالموت
حتى يجعل بين الجنة والنار فيذبح ثم ينادي مناد يا اهل الجنة
لا موت يا اهل النار لا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم
واهل النار حزنا الى حزنهم وفي رواية قال يدخل الله اهل الجنة
الجنة واهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم يا اهل الجنة لا موت
ويا اهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه رواه البخاري ومسلم
فظهر مما حررنا من الاحاديث الصحيحة المعتمدة ومما قررنا من
الآيات العزيزة المعتبرة ان اهل الخسران كلهم اعداء الله اعدت لهم
النار والدرك الاسفل منها اولئك لعنهم الله في الدنيا والآخرة
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وان اهل الايمان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات كلهم احباء الله اعدت لهم الجنة والدرجات
العاليات منها اولئك انعمهم الله تعالى بانواع النعم العالية
في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون اللهم

بحث النصيحة فى الدين

ثبتنا فى الهداية التى توصلنا الى درجات نعمك فى جناتك وتومننا
عما نخاف من عذابك وعقابك وتلذذنا باصناف التلذذ ذات
الحاصلة باحسانك وكرامك مع الانبياء والمرسلين والاولياء
والشهداء والصالحين اولئك الذين انعمت عليهم ولحشرنا معهم
فى مشاهدة الجمال ياذا الفضل والعناية والنوال فالتوصية المنفهمة
فى هذه السورة الكريمة من قوله وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر
اربعة الاول الثبات على الايمان الاكمل والثانى الثبات على الاعمال
الصالحات والثالث التوصية بالحق والرابع التوصية بالصبر
على العموم لما روى عن تميم الدارى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة
ذكرها ثلاث مرات قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولكتابه
ولائمة المسلمين وعامتهم رواه الامام مسلم فى صحيحه قال شراح الحديث
رحمهم الله تعالى النصيحة هى ارادة الخير الى الغير وايصاله ومعناه عماد الدين
النصيحة كما يقال عماد الحج عرفة فمعنى النصيحة لله الايمان به مخلصا
والاخلاص فى الاعمال المعمورة ومعنى النصيحة لرسوله تصديقه
بكل ما جاء به والتسنن بسنته واحياء طريقته العلية وشريعته
الجلية ومعنى النصيحة لكتابه الاعتقاد الخالص بانه كلام الله
لا ريب فيه ووجب العمل بمحكمه والتسليم بمتشابهه والاعتقاد
على ما هو عليه وهذه النصايح فى الحقيقة راجعة الى العبد ومعنى
النصيحة للائمة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وايقاظهم عن
الغفلة ومعنى النصيحة للعامة دفع المضار عنهم وجلب المنافع
اليهم ومحبتهم ومودتهم فى الحضر والغزى والصبح والمساء كما روى
عن ابى موسى الاشعرى انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

لن تؤمنوا

بحث الشفقة والرحمة

لن تؤمنوا حتى تراحموا قالوا يا رسول الله كلنا رحيم قال انه ليس برحمة
احدكم صاحبه ولكنها رحمة العامة رواه الطبرانى وروى عن
جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من لا يرحم الناس لا يرحمه الله تعالى رواه البخارى ومسلم والترمذى
وروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم
من فى السماء رواه ابو داود والترمذى وروى عن ابى هريرة رضى الله عنه
انه قال سمعت الصادق المصدق صاحب هذه الحجرة ابا القاسم
صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا تنزع الرحمة الا من شقى رواه
ابو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه فاذا سمعت هذه الاحاديث
المذكورة فى الشفقة والرحمة للمومنين الذين هم كيد واحد كما ورد
فى الحديث المومنون كيد واحد كذا فى الشفاء للقاضى عياض رحمه الله
تعالى فيلزم التوصية علينا للاخوان الدين الشفيع يوم الدين رجاء
ان ننال شفاعتهم وينالوا شفاعتى ايتمارا بهذه الاية الجلية فمن
التوصية المامورة ما روى عن ابرهيم النخعى رح استاذ الامام
الاعظم نعمان بن ثابت الكوفى عليه الرحمة الله تعالى انه قال للتلامذة
اذا عمر الانسان وهرم فى الدنيا فهو يلقى نقصانا فى كل الامور من
الاعمال الدنيوية والاخروية لعروض الضعف على بدنه وقوته
وينتزل كل آن ويرتذل كل حين الا المومنين الذين يعملون الصالحات
الخيرات والحسنات فى حال الشبابة فلهم اجر غير ممنون فى الشيبوبة
ليس تنقص من اجورها واعمالها بل تزاد على ما كان فى حال قوة
الشبابة فتكون الحبة قبة والذرة كقاف الجبل لان نية المومن
خير من عمله كذا فى البخارى كما هى علة خلود المومن فى الجنة فيوفى

الصابرون اجرهم بغير حساب فليس كرم الله تعالى محاطا بالحد ومعدا
بالعد ولا يسع السموات وما فوقها والارضين وما تحتها وقصور
العباد عند الرحمة وعيوبهم وذنوبهم عند بحار المغفرة كالقطرة من
قطرات المطر والبحار فلا تنتقص بالاكرام والغفران فلذا روى
عن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لو اخطاتم حتى يبلغ السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم رواه ابن ماجه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنوب وهو
مقيم عليه كالمستهزئ بربه رواه البيهقي ويجيئ ما يدل على سعة
الرحمة والمغفرة في سورة النصر ان شاء الله تعالى فاذا كان الامر كذلك
فلا يخطر في البال ان العبادات الكاملة والطاعات الشاملة تختص
في حال قوة الشبابة وما دونه دونه وكذا الاجور الموعودة في مقابلتها
اذ لا نهاية لكرم الله تعالى كما لا نهاية لذاته تعالى فلا يشبه شيئ في عطائه
كما لا يشبه في ذاته وهو العلي العظيم فنحن من عجزة عباده نحتاج
في الدارين الى كرمه اذ لا اله سواه ولا نتضرع ولا نستغفر الا
اياه فخلق الجنة والدرجات لعباده المؤمنين المستغفرين ووعد
نعم العظمى ودرجاته العليا لاحبائه الملتجئين وليس لنا سواه رب
يعطي وعده ويدخل جنته وله تعالى اعداء من الكفار يدخلهم النار
بدلنا فنعم المولى ونعم النصير هو لا اله غيره ومن التوصية الواجبة المامورة
ان يكون المؤمن على الاستقامة في الافعال والاقوال والاعمال والامال
موافقا باطنه ظاهره وبالعكس حتى خلص عن النفاق ووقع في الوفاق
واستعد بالبشير عند البداية والانجاز عند النهاية مطابقا قوله
تعالى في سورة حم السجدة ان الذين قالوا ربنا الله لا اله غيره وحده

لا شريك له

[illegible]

لا شريك له له الملك السموات والارض وما بينهما وما فوقهما وما تحتهما
وله الحمد فى وهو يحيى ويميت واليه المصير وتوكلوا عليه وفوضوا امورهم اليه
فهو تعالى حسبهم وكفاهم في الدارين لانه تعالى وعد على المتوكلين بعنايته
والمفوضين بكفايته بقوله العزيز ومن يتوكل على الله فهو حسبه
ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيئ قدرا فقدر المعترف المراعي
بحقوق الربوبية وقدر المتوكل الملتجئ المفوض اموره بالكلية الى الله
تعالى ليس كقدر غيره ثم استقاموا قال الامام البغوي محي السنة في تفسيره
سئل ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن معنى الاستقامة في هذه الاية
فقال ان لا تشرك بالله شيئا ظاهرا وباطنا وسئل عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه فقال ان تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ
روغان الثعالب وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه اخلصوا
العمل لله وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ادوا الفرائض وقال
ابن عباس رضي الله عنهما استقاموا على اداء الفرائض وقال الحسن
البصري استقاموا على امر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته
وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله
وداوموا وحفظوا اعمالهم عن الحبط حتى لحقوا بالله وقال مقاتل
استقاموا على المعرفة بوحدانيته ولم يرتدوا وقال قتادة كان
الحسن اذا تلا هذه الاية قال اللهم انت ربنا فارزقنا الاستقامة
قال سفيان ابن عبد الله قلت يا رسول الله اخبرني بامر اعتصم به
قال صلى الله تعالى عليه وسلم قل ربي الله ثم استقم اي اخلص العمل له
قال البيضاوي الشيرازي عليه رحمة الباري فثم لتراخيه
عن الاقرار في الرتبة من حيث انه مبدأ الاستقامة اول فالاقرار
بان الله تعالى رب العالمين مالكه وحده لا شريك له يستوجب

اى يكفيهم فى كل الامور من الدارين فلا يجعلهم محتاجا الى الغير ٥ مح

[illegible]

الاستقامة والثبات على مقتضى الاقرار بان يستمر على شكره باللسان
وصرف جوارحه وجنانه الى العمل بالاعتقاد على وفق اقراره حتى
سلم لسانه وجوارحه وقلبه عن الاعوجاج بان يخالف بعضها
بعضا فنسبة الاستقامة الى الاقرار كنسبة المنتهى الى المبتدأ فالاعتراف
مقام المبتديين والثبات على مقتضاه بان لا يزول قدمه على طريق
العبودية قلبا وقالبا مقام المنتهين فلا شك ان الثاني متراخي
عن الاول رتبة تتنزل عليهم الملائكة عند الموت بالبشارة او في القبر
او عند خروجه او عند البعث قال الامام وكيع بن الجراح البشرى
تكون في ثلاث مواطن عند الموت وعند البعث وفي القبر ان لا
تخافوا من الموت بعد وعلى ما تقدمون عليه من امر الاخرة ولفظ
ان مصدرية بحذف حرف الجر قياسا من ان مصدرية وان مخففة
او مثقلة ناصبة للمضارع ولا ناهية لان ما فيه معنى الطلب
لا يصح ان يكون صلة لان المصدرية في ان على المشهور والفعل
بعدها منصوب بان والتقدير بان لا تخافوا اما منكم من العذاب الذي
تقدمون عليه فانا نؤمنكم منه ونغفر ذنوبكم او مخففة والضمير
الشان محذوفة اي الشان بانه لا تخافوا بعد على ما تقدموا عليه
او مفسرة اي نزول الملائكة بانتفاء الخوف على ما تقدموا والحزن
على ما خلفوا من الاولاد والعيال ولا تحزنوا على ما خلفتم من اهل
وولد فانا نخلفكم في ذلك كله بالحفظ والاعانة بامر الله تعالى
وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على السنة الانبياء
والمرسلين نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا اي احباؤكم وانصاركم
كنا معكم فيها وفي الاخرة لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة باعترافكم
الرب وتكاليفه واستقامتكم في الميثاق روي ان ملكا يتنزل

من السماء

قوله بالبشارة [illegible] عليهم

من السماء فيقول للمؤمن اتعرفني فيقول لا فيقول انا الذي كنت عملك
وبشرت بالجنة ولكم فيها ما من الكرامات واللذات تشتهي انفسكم
اي تتمنى تطلبكم فيها بحسن نياتكم واعتقادكم واعمالكم ولكم فيها
اي في الجنة ما تدعون نزلا مصدر في موضع الحال من ما اي لكم الذي
تدعونه معدا من بعد الوصف رزقا مهيأ او جمع نازل كصابر
جمعه صبر على وزن نزل فنصبه على الحال من واو تدعون او من قوله
ولكم اي محضرا لكم قبل ان تدخلوا كما هو حال الاكرام في الاحباب
وفيه اشعار بان ما يتمنونه بالنسبة الى ما يعطونه مما لا يخطر
ببالهم كالنزل للضيف او مفعول مطلق على وزن غفل بضم الغين
اي انزلنا انزالا ونزلا من غفور فلفظ من متعلقة بتدعون اي
تطلبونه للمؤمنين رحيم للمطيعين روي عن ابي العالية وهو يروي
عن ابي بن كعب رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم في قوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة اي كسبه بعمله
ثواب الاخرة نزد له في حرثه اي في ثواب حرثه بتضعيف الحسنة
الى العشرة والى ما شاء الله تعالى والى ما يوفى اجورهم بغير حساب ومن كان
يريد بعمله حرث الدنيا وثوابها نؤته منها ما قسم له بلا تضعيف
كما في قوله عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وما له في الاخرة من نصيب
لان الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فلم يعمل لله ولا ينال
من الله قيل حرث الدنيا القناعة وحرث الاخرة الرضاء يبشر هذه
الامة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين في الارض فمن عمل منهم
عمل الاخرة للدنيا لم يكن له نصيب في الاخرة كذا في المعالم رواه
البغوي رح وقوله تعالى في سورة الاحقاف ان الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والمعرفة

قوله يبشر هذه الامة مفعول القول
بقوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبشر هذه الامة وما بينهما اعتراضية
منه

بذاته عز وجل وصفاته القديمتين والاستقامة فى الامور المكلفة
التى هى المنتهى ولفظ ثم يدل تاخر رتبة العمل وتوقف اعتباره
على التوحيد بموجب الاقرار فلا خوف عليهم من لحوق ما يكرهون ثم يقع
على اعدائه من اليم عذابه وشديد عقابه ولا هم يحزنون على فوات
محبوب ثم وعد الله تعالى لهم فى جناته ودرجاته بما انعمه على احبائه
واوليائه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك هم الموصوفون
بالاذعان والعرفان والاستقامة بمقتضى التوحيد اصحاب الجنة
واهلها وقارنها التى هى اعدت للمتقين وهيئت للمطيعين
خالدين فيها غير معزولين عنها كما فى الدنيا حال من المستكن فى اصحاب
مقدرة جزاء مفعول مطلق من الفعل المقدر الذى دل عليه الكلام
اى يجزون جزاء بما كانوا فى الايام الخالية فى الدنيا الدنية محصدة
من الاخرة يعملون وضمير الموصول محذوف فى امثال هذه فى الايات
اى يعملونه من اكتساب الفضائل العلمية والعملية والحسنات الجليلة
والخفية ومن التوصية المامورة تخلية المؤمن قلبه عن الصفات
الردية الرذيلة وتحليته بالفضائل العلية المحمودة فان المجاهدة
المامورة عبارة عنهما اذ هما معنى التصوف والتزين بزينة الشريعة
الغراء والطريقة البيضاء فلذا قيل فى تفسير التصوف هو الاتصاف
باعمال كتاب الله وموافقة سنة رسول الله جميعا والخروج من كل
خلق دنى والدخول فى كل خلق سنى لما روى عن الامام الاصفهانى
فى كتاب الصحيح عن ميمون بن مهران رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ما من ذنب اعظم عند الله من سوء الخلق وذلك ان
صاحبه لا يخرج من ذنب الا وقع فى ذنب وروى عن عائشة رضى الله عنها
عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ما من شىء الا له توبة الا

صاحب

مطلب حسن الخلق وفضائله وسوء الخلق وضرره

صاحب سوء الخلق فانه لا يتوب من ذنب الا عاد من شر منه رواه
الطبرانى فى المعجم الصغير وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الخلق الحسن يذيب الخطايا
كما يذيب الماء الجليد وخلق السوء تفسد كما يفسد الخل العسل
رواه الطبرانى فى المعجم الثلاث وعن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات
الاخرة وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة وانه ليبلغ بسوء
خلقه اسفل دركة فى جهنم رواه الطبرانى فى المعجم الكبير وروى
عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يا ابا هريرة عليك بحسن الخلق قال وما حسن الخلق يا رسول الله قال النبى
صلى الله عليه وسلم تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك اى جعلك
محروما بعدم العطاء رواه البيهقى ومن التوصية المامورة ان يصبر
المؤمن عن الاذى خاصة على اذى السفهاء عند الامر والنهى
والانتهار فانهم وكلاء الشياطين الذين تسلطوا على الصلحاء الصالحين
والعلماء العاملين فانه اصعب من فعل الاعمال الصالحات اذ الاعمال
اسهل وضبط اجرها اصعب لانعدام الصبر على اذيهم فالصبر
مفتاح الفرج والجنة لما روى عن هند الدارى رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من لم يرض بقضائى ولم يصبر
على بلائى فليلتمس ربا سوائى رواه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه
وروى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم اى الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل
يبتلى الناس على قدر دينهم فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه ومن ضعف
دينه ضعف بلاؤه وان الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى فى الناس

مطلب ابتلاء الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل

ما عليه خطيئة وعن مصعب بن سعد عن ابيه رضي الله عنه انه قال يا رسول الله من
اشد الناس بلاء قال صلى الله تعالى عليه وسلم الانبياء ثم الامثل فالامثل
يبتلى العبد على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على الارض
وما عليه خطيئة رواهما ابن حبان في صحيحه ومن تمام التوصية
ان يتهيأ المؤمن بالموت فانه آت البتة اذ كل نفس ذائقة الموت
لكن تهيئ السفر بتدارك الآلات والاثواب والزخاير والمراكب وغيرها
من اللوازم فيلزم على المؤمن المسافر المراحل آنا فآنا وساعة وشهرا
وسنة ان يشتغل بتدارك لوازم الاسلام من الصلوة والشهادة
والزكوة والحج وعلمها مع الاشتغال بالاوراد والاذكار والخيرات
والحسنات مهما امكن ويخاف ان يضيع الانفس النفيسة والاوقات
الشريفة وبتلاوة القرآن بالتعلم من اهل القرآن المجود بالترتيل واجراء
المخارج والصفات من غير لحن وتغن واذن منهم بالتلاوة آناء الليل
واطراف النهار مع تذكر معانيه ان كان من العلماء بمعراج الدراية
والرواية وتدبر البلاغة في النهاية والمجاهدة بالنفس الامارة لصاحبها
بالسوء قبل ان تغلب عليه فانها اذا غلبت عليه وقهرت بحيث اخرجته
عن الشريعة الغراء التي اعتبرها الله تعالى حق الاعتبار وتكلف الانبياء
صلوات الله على نبينا وعليهم في اجرائها واحكامها واشتد بلاؤهم وصبرهم
عليها لاجل اقتداء الامم والاعتماد في الهمم كيلا يدخلون الدركات في النار
وليتشرفوا بنيل الدرجات في الجنات فلا يتحارفا التخلص بعد الغلبة
مشكل واصعب جدا لتلذذه بما يتلذذ به الفسقة الوكلة وتخلطه
في الكفرة الفجرة الا من وفقه الله بعنايته وبركة الادعية الخيرية
من خير البرية وبالمجاهدة في رضاء الله تعالى بترك الهواء وتقليل الطعام
من الحلال في الاتيان والاشربة والاكتفاء الغايق بها قدر الحاجة

قوله ثم الامثل فالامثل اي المقتدي بكتاب رسول الله والمشابه حاله بحاله ورسوله بتشبيه اداء السنة وملاطفة العلية في الشر والعلانية متقيا في الدين والدنيا والآخرة والاخلاق الحميدة اللهم اجعلنا من الذين يستمعون فيتبعون احسنه في الدنيا والآخرة آمين بحرمة نبيك ورسولك الامين مسعود

وتدبر معانيها

والمقارنة

والمقارنة بالعلماء المخلصين والمباعدة عن الجهلاء والسفهاء
المفسدين فمن جاهد فانما يجاهد لنفسه وفائدتها عائدة اليه لان
من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليه وما الله يريد ظلما للعباد
في المبدأ والمعاد ومن الله التوفيق وهو نعم المولى ونعم الرفيق ويؤيده
ما قلنا في المجاهدة والمبادرة والمبادلة في رضاء الله تعالى وتخلصه
عن شر النفس الامارة وتحصيله بما يطلبه من الحسنة والجنة قوله
تعالى في آخر سورة العنكبوت والذين جاهدوا فينا فحقنا ورضائنا
وانما اطلق المجاهدة لتعم الاعادي الظاهرة والباطنة بالانواع
قيل المجاهدة هي الصبر على مشاق الطاعات وقال الحسن البصري
رح افضل الجهاد مخالفة الهواء في جميع الاوقات والآناء وقال
فضيل بن عياض تحصيل العلوم اللازمة للدين والاسلام ليتيسر
الخلوص والعمل بانواعه وقال سهل بن عبد الله التستري هي اقامة السنة
السنية العلية لينال الدرجة العلية في الجنة فالمعنى والذين
جاهدوا فينا في طاعتنا صابرا على التعبات والمشاق في تحصيل
رضائنا بالخلوص في اقامة الاوامر مع الائتمار والنواهي مع الانتهاء
والانتهار بمخالفة الاعادي الظاهرة والباطنة بانواع المجادلة
والمحاربة لنهدينهم سبلنا اي لنزيدنهم هداية طرق الخيرات
الحسنات في تقوية الايمان مع الاذعان حتى يقتدوا الى ما لم يعلموا
ويصلوا الى ما لم يصلوا توفيقا لسلوكها وتطبيقا مزيدا الى عروجها
فرجع المجاهدة الخروج عن عادات البشرية من المباحات الشرعية
بغض البصر عن زهرة الحيوة الدنيا وخطرات القلب عما يحل
القالب والانفصال من كل شيء الى الله تعالى حتى هدي من سبل الظاهرة
الى اسرار منابع الباطنة فالعجب كل العجب ممن يعجز عن الظاهر

بيان المجاهدة الظاهرة والباطنة

وهو يطمع ويدعي حال الباطن كما هو حال اصحاب البدع والخسارة
والضلالة عارية عن الشريعة المنورة ومائلة الى الغواية المظلمة
والموقعة فى ظلمات الخسارة المهلكة والمدخلة فى عذاب اعداء الله
من الفجرة العندة والمبعدة من المغفرة والجنة ومن العلماء المخلصين
من اهل السنة والجماعة فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون
وان الله اعانته ونصرته وحفظه وعنايته لمع المحسنين معية
النصرة والمعونة مع الذين احسنوا فى العبادات للمعبود كانهم يرونه
ويخلصونه كالمخلصين الذين انعم الله تبارك وتعالى عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين فانهم اخلصوا فى المأمورات كانهم
يرون ربهم فلذا ما منعهم مانع الا جاهدوا ولا زاحمهم مزاحم الا
حصلوا ما عاهدوا ولو كانوا فى اشد البلاء فكانت درجاتهم فى الملاء
الاعلى فوصلوا بما حصلوا ووهبوا بما لم يكسبوا وورثوا بما لم يخطروا
فذلك التوفيق الكريم والفوز العظيم من الله العلى العظيم وروى
عن عبد الله بن عمر رضيهما مرفوعا انه قال صلى الله تعالى عليه وسلم
ليأتين على امتى كما اتى على بنى اسرائيل حذو النعل اى موافقة حتى
ان كان منهم من اتى امه علانية لكان فى امتى من يصنع ذلك وان
بنى اسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة وتفرق امتى على ثلثة
وسبعين ملة كلهم فى النار الا ملة واحدة قال من هى يا رسول الله
قال ما انا عليه واصحابى رواه البخارى ومسلم وروى عن زيد بن
ملحة عن ابيه عن جده انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الدين بدا غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغرباء الذين يصلحون
ما افسد الناس من بعدى من سنتى رواه الترمذى قوله زيد بن
ملحة بكسر الميم وسكون اللام وفتح الحاء المهملة وهو ابو عبد الله

اى ظهر — اى العلماء الامرود

عمرو بن

عمرو بن عوف المدنى صحابى مات فى ولاية معاوية رض قاله ابن حجر
فى التقريب روى عن ابن عباس رضيهما انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ابى الله ان يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته
رواه الطبرانى وروى عن حذيفة رض انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقبل الله تعالى لصاحب بدعة صوما ولا
حجا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا اى نافلة ولا عدلا اى فرضا
وبالعكس يخرج من الاسلام كما يخرج الشعر من العجين رواه ابن
ماجه وروى عن عايشة رضيهما انها قالت قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من احدث فى امرنا هذا ما ليس منه فهو رد قوله
من احدث اه اى اوجد شيئا من الفعل والقول وادعى ان هذا من
الشرايع والايمان والاسلام الذى اتى به محمد عليه الصلوة والسلام
وافترى ويجمع عليه جماعة فهو مردود لا يقبله الله تعالى فرضا
ولا نفلا وفعله بدعة وضلالة وفاعله صاحب بدعة وضلالة
لم يرحمه الله ولا يشفع نبيه عليه الصلوة والسلام لانه مردود
ما لم يتب وفى رواية من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد اى مردود
باطل لا اصل له لا يقبل الله له ابدا رواه البخارى ومسلم اقول
ومن الله التوفيق وقد ظهر من رواية حذيفة رض ان المؤمن يكون اهل
بدعة باحداث امر واحد واهل ضلالة وغواية فلا تقبل منه
سائر الاعمال الخالصة عن البدعة ما دام على الاحداث فى شئ
واحد وما دام فى اعتقاده ذلك الشئ المحدث حقا مع انه اوجد
واحد ثم وثبت مردوديته بلسان النبى الصادق الامين فلا
يقبل الله تعالى صلوته وصومه وحجه وزكوته لثبوت بدعته
وضلالته فى شئ واحد عند الله وان لم توجد البدعة فى الاعمال

المذكورة لان الايمان والاعمال لا يتجزيان كالكفر المختلط في الايمان والرياء الممتزج في بعض الاعمال ولو ذرة وفي هذه الرواية تغليظ شديد وتهديد مديد للمؤمنين فكان من الخاسرين يوم الندامة فكانه لم يصل ولم يصم ولم يشهد بكلمة الشهادة في عمره لكون هذه الاعمال الصادرة عنه مردودة عند الله وعند رسوله بخلاف الرواية عن عايشة رضي الله عنها فان المردودية مخصوصة بالعمل المحدثة دون سائره ففيها رحمة للامة المرحومة وعن الزهري رح وهو محمد بن مسلم من اكابر التابعين انه قال دخلت عن انس وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال لا اعرف شيئا مما ادركت الا هذه الصلوة وهذه الصلوة قد ضيعت رواه البخاري فالمراد من البدعة في الاحاديث المذكورة البدعة في الاعتقاد بان ما يحل في الشريعة ان يعتقد حله وبالعكس فبعضها يؤدي الى الكفر كاعتقاد الحل حراما والحرام حلالا وبعضها لا يؤدي الى الكفر ولكن تكون اشد من القتل والزنا وليس فوقها الا الكفر وهو اكبر الكبائر يكون سببا لنزع الايمان والخطاء في الاجتهاد في البدعة ليس بعذر ولا معفو بخلاف الخطاء في اجتهاد المجتهدين في الاعمال فانه معفو لانه حاصل من ادلة الكتاب والسنة والقياس والاجماع فانهم مأمورون به ورجح هذا من هذا عنده فالقول به والعمل بما فيه وجب في حقه وفيمن يتبعه لان اجتهادهم في الاعمال بمقتضى اختلاف الادلة الشرعية المتضمنة بالمعاني الكثيرة الصادرة عن صاحب الشريعة بعضها فعلا وبعضها قولا وبعضها ايماء واشارة ولكل وجهة هو موليها فمن اقتدى باحد من الائمة من اهل السنة والجماعة الذين هم المقتدى في الشريعة ماخذهم

معلوم

معلوم واصولهم معلومة عند العلماء المقتدين من ارباب الاصول واصحاب الوصول فمن تبع باحدهم فهو يعد من اهل السنة والجماعة كالائمة الاربعة كمالك بن انس ونعمان بن ثابت ومحمد بن ادريس الشافعي واحمد بن حنبل فتابع الاول مالكي وتابع الثاني حنفي اعظمي وتابع الثالث شافعي وتابع الرابع حنبلي رحمهم الله تعالى رحمة واسعة وادخلهم في اعلى درجات الجنة وجمعنا معهم في اعلى العليين مع الانبياء والمرسلين والشهداء والصالحين وانحصارهم الى الاربعة باعتبار الاصول الموجودة منهم والا فاكثر الاصحاب العظام رضوان الله تعالى عليهم اجمعين مجتهدون يعملون عند حياة رسول الله بالتعلم والسؤال منه صلى الله تعالى عليه وبعد مماته وانتقاله الى دار الآخرة يعملون بالاجتهاد والتعلم والتعليم بينهم الى ائمة التابعين فلم يشتهر منهم بينهم لانتقاد حصولهم وانعدام محل ماخذهم ثم ظهر من التابعين من ظهر وافتى بالاجتهاد من الادلة السمعية وظفر كحسن البصري وابي ليلى الكوفي ومالك بن انس المدني رحمهم الله تعالى ثم اجتمع شرائط الاجتهاد من العلم والعمل والتقوى واستقامة القول والاعتقاد والفتوى في حق الامام الاعظم والهمام الافخم الفائق زمانه والغالب امثاله وايامه وانامه واشتهر شرقا وغربا وبعدا وقربا كاشتهار الشمس في وسط النهار في البلاد والامصار فجم اهل العلوم عليه من المهرة بالاختبار والامتحان وتجسسوا في الاصول والوصول فلم ييأسوا والهموا بالظفر عليه الا بالتعلم والاعتراف والاقتداء والاتقان ولتخذوا منه العلوم والفنون من العقايد الحقة والفقه الفائقة والفتوى اللايقة والتقوى العالية الفائقة حتى صاروا من العلماء المحققين والصلحاء المدققين فوصلوا رتبة الاجتهاد

بِبَرَكة نفسه النفيسة وكادوا كهف الاستنباط بغاية ثمرة الاذهان
البشيشة وتشعشعوا بشعشعة العلوم المباركة الطيبة والفنون
المباركة الموهبة ونشروا كما اخذوا وحشروا كما وجدوا واوجدوا
وصاروا كالجبال عند عباد الله المتعال في احكام الاحكام العلية
واجراء ايقان السنة السنية الجليلة فسبحان من اراد شيئا
هيأ اسبابه الظاهرة له الحكم في الدنيا والاخرة روي ان للامام
الاعظم والهمام الافخم نعمان بن ثابت الكوفي برد الله مضجعه سبعمائة
الف تلاميذ كلهم من المجتهدين خاصة بنته حنيفة وابنه
اسمعيل كلاهما من المجتهدين الا ان بنته غلبت في العلوم والاجتهاد
على اخيها فتقوى ورأى السرة واخذ الناس العلوم منهما فالتكني
سنة بالاعلى فتكنى امامنا بابي حنيفة دون ابي اسمعيل اعتبارا
بعلمها واعتمادا على ورعها وتقويها قد افلح من زكى وقد خاب من دسى
فكلهم مهتدي ومقتدي بامام ائمة السنة والهدى فمن تبع
احدا من المذكورين فهو من اهل السنة والجماعة ومن خالفهم
في الاعتقاد والاعمال فهو من اهل البدعة والضلالة والخسارة
المذكورة في السورة فوجب على كل مؤمن ان يعرض اعتقاده واعماله
على العلماء المخلصين والفضلاء المفلحين هل هو حق جائز كالدينار
الذي عرض على صرافه فيقبل الحق ويترك الباطل الذي لا يوجد
في الكتاب والاحاديث الصحيحة ولا يعتمد على كل فتوى المفتي
الماجن بل الحق احق ان يتبع افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا
عن الايمان بالكفر والضلالة لا يستوون تأكيد للمعنى في الشرف
والمثوبة عند الله تعالى وفيما اعدهم يوم الجزاء واللقاء والجمع باعتبار
المعنى ثم بين الله تعالى ما بينهما من التفاوت فقال اما الذين امنوا

وعملوا

وعملوا الصالحات قد سبق الكلام في بحث الايمان والاعمال على
التفصيل في اول هذه السورة فارجع البصر مرتين وتفكر كرتين
فلهم استحقاقا جنات المأوى تكرما من الله تعالى وانما سميت
بالمأوى الحقيقي لان ارواح الشهداء تأوي اليها بكمال الاكرام اليها
فكذلك المؤمنون مساو في هذا الاحترام نزلا مصدر في موضع الحال
والمراد تهيئا للضيف وجمع نازل كصبر وصابر اي رزقا مهيئا
ومعدا قبل ان يدخلوا كما هو حال اكرام المضيف للضيف وفيه ايماء
بان ما يتمتعون بالنسبة الى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل
للضيف بما كانوا يعملون وضمير الصلة محذوف اي على اعمالهم
او ما مصدرية والباء سببية اي بسبب اعمالهم الصالحات واما
الذين فسقوا اي خرجوا عن طاعة الله تعالى بالكفر والشرك والضلالة
فمأويهم النار اي مكانهم هي بدل الجنة المأوى للمؤمنين كلما ارادوا
حين رمت اللهب الى قريب الساحل من النار ان يخرجوا منها اي
من النار اعيدوا فيها اي في النار بضربهم الزبانية بمقامع من نار
فتهوي بهم الى قعرها وقيل اي تقول الزبانية الموكلة لهم ذوقوا
عذاب النار الذي كنتم به اي بعذابها تكذبون فالواجب على المؤمن
ان يفتش حاله كل حين وان وقاله ومناله كل ايام واعوام ودهور
وشهور فالعارف من تميز عن الانس والجان بالتفكر والاصلاح
والتذكر والانسلاخ ايطمع كل امرئ ان يدخل الجنة النعيم كلا
ان الله تبارك خلقها طاهرة فلا يدخلها الا المؤمنون الطاهرون
الكريم وان كانت الذنوب صغيرة يمنعه عن الدخول الا بالعفو
والمغفرة والاحتراق كما كان اهلها بلا شك ولا اختلاف فعليك
بمذهب اهل السنة والجماعة والاجتناب عن اهل البدعة والضلالة

بضم الضاد والباء

وفيه رد للاشاعرة فانهم ينكرون الافعال
الاختيارية للعباد وينكرون ثمرة الكسب
ويقولون انهم مضطرون في افعالهم و
هذه الاية واشباهها شاهد عليهم افعالهم
الاختيارية مأمورة في مقابلة الثمرات من
الكسب والمجاهدة المأمور بها في اتخاذ النزل
الموعود بالوعد والوعيد والا فيضاف عن
الحمل على العبث والجبر على الله وما اشبههما
من المفاسد المصونة منه تعالى
صح

عن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قيل ومن ابى قال من اطاعني دخل
الجنة ومن عصاني فقد ابى اى امر الدين رواه البخاري وروى
عن عرباض بن سارية رض انه قال صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم
ثم اقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت فيها العيون
ووجلت منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كانها موعظة
مودع فماذا تعهد الينا اى توصينا قال اوصيكم بتقوى الله
والسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم فسيرى
اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين
تمسكوا وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدث
بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار رواه الامام البزار
في صحيحه وروى عن ابي سعيد الخدري رض انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اكل طيبا وعمل في سنة وامن الناس
بوائقه دخل الجنة قالوا يا رسول الله ان هذا في امتك اليوم كثير
قال وسيكون في قوم بعدي رواه الامام الحاكم في المستدرك
وروى ابو امامة عن ابي بن كعب رض انه قال قرأت على رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم والعصر فقلت بابي وامي يا رسول الله
ما تفسيرها قال النبي صلى الله عليه وسلم والعصر قسم من الله اقسم
ربكم باخر النهار ان الانسان لفي خسر ابو جهل بن هشام الا الذين
آمنوا ابو بكر الصديق وعملوا الصالحات عمر بن الخطاب رضي الله
وتواصوا بالحق عثمان بن عفان وتواصوا بالصبر علي بن ابي طالب
رضيهم الله تعالى وروى عطاء عن ابن عباس رضيهما انه قال
ان الانسان لفي خسر جماعة المشركين منهم الوليد بن مغيرة والعاص بن

وكل السهمي

وآئل السهمي والاسود بن عبد المطلب بن اسد بن العبد العزى
والاسود بن يغوث والحارث بن قيس الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
من ابي بكر الصديق الى تمام العشرة المبشرة رضيهم وجميع المهاجرين
والانصار رضي الله عنهم وعنا اجمعين وعمن تبعهم من الابرار الى
دار القرار آمين

سورة الهمزة مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

روى عن ابي بن كعب رض عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ
سورة ويل لكل اى اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من استهزئ
بمحمد واصحابه رض وهذه السورة مكية وهي تسع آيات وثلث وثلثون
كلمة ومائة وثلثون حرفا وانتظام السورتين انهما في وعيد الكفار
بالعذاب والخسار والخسارة من اصحاب النار ويل لكل همزة والتاء
للمبالغة وكذا فيما سيأتي وانما ذكر المسند اليه منكرا مع كون شرطه
معرفة لاستغنائه في الشهرة عن المعرفة كسماء وملائكة او لانه
دعاء عليهم بالهلكة او بشدة الشر فلذا ابتدئ به مع ان الهمزة واللمزة
الطعن كالهز شاعا واشهرا في الكسر من اعراض الناس والطعن
فيهم ويشهده بناء فعلة دلالة على ان ذلك منه عادة مستمرة
كاللعنة والضحكة وقرئ بسكون الميم فيهما وهو المسخرة فالويل
عبارة عن التحسر والهلاك وذكر في شرح تأويلات ان الويل ما يحصل
من شدة العذاب في الآخرة وقيل الويل اسم الوادي في النار فمعناه
ان فيها موضعا يتبوء لمن يستحق عذاب الويل ولعله سماه بذلك مجاز
الاولى من قبيل اطلاق وصف الحال على المحل قال الامام المكي رح
في تفسيره فالويل مصدر لم يستعمل منه فعله لان الفاء والعين
من حروف العلة وهو ما يدل على ان الافعال مشتقة من المصادر

بحث معنى الوعيد شدة عذابهم والفضائح والنقائص والمكروهين

كما ذهب اليه البصريون وهو الاولى مما ذهب اليه الكوفيون من ان الاصل
في الاشتقاق الافعال وهذا المذهب مرجوح كما ذكر في كتب الاشتقاق
خاصة في الشافية لابن الحاجب لاسكندريته فليراجع اليها فلو كان
المصدر مشتقا من الفعل كما ذهبوا اليه لوجد لهذا المصدر فعل يشتق
منه البتة وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قال ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا
اي سنة قبل ان يبلغ قعره وقال عطاء بن يسار رح الويل واد
في جهنم لو ارسلت فيه الجبال لذابت من حرها وقيل انه واد من حديد
في اصل جهنم وقال ابو هريرة رضي الله عنه وهو واد في جهنم فيه شدة
العذاب تستعيذ النار بالله تعالى في كل يوم سبعين مرة في حرها
وشدتها اعدت للذين يحرفون الكلم عن مواضعه والمكذبين يوم
الدين والمؤتفكين والمطففين الذين هم يخسرون والهمزة اللمزة المعيرين
المؤمنين بكل عيب وذلة وشائن في الغيب ولو فعله بحضوره لحفظه
ولم يرض عنه ويغضب عليه فشرط بعض المجتهدين التكلم بطريق
الشتم دون الترحم الا في الكافرين والظالمين واهل البدع والضلال
والخسارة لكي يسمعوا ويتوبوا عما هم فيه فان ذمهم واعلامهم
الى سائر الناس الذين لا يميزون القشر من اللباب والفائدة
والضرر من الثواب والعذاب واجب عند العلماء من زبدة اهل
السنة وعمدة اهل الجماعة لئلا تتقوى اهل البدع والضلالة
باتباع الجهلة المتنسكين المنهمكين من السفهة اللهم كثر
العلماء العاملين الآمرين والمخلصين المؤتمرين الى يوم القيامة
ما دام النور في الظلام واحشرنا معهم في اعلى العليين من الذين
انعمت عليهم من النبيين والشهداء والصالحين واجعلنا للمتقين

اماما اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية
وسلاما ويؤيده قوله تعالى في سورة آل عمران ولتكن منكم امة
اي لتقم جماعة منكم على ان تكون من ابتدائية وصلة او زائدة للتاكيد
كما في قوله تعالى في سورة الحج فاجتنبوا الرجس من الاوثان اي الاوثان
كلها والا فلا يجوز ارادة البعض منها يدعون الى الخير اي الاسلام
وخيره من العبادات والطاعات المكلفة بها عباد الله الشاقة
اقامتها عليهم في الحضر والسفر حماية عما يبتلي اعداء الله في السفر ...... والمحاربة
ويأمرون بالمعروف في الشريعة والمرغوب عند الله لموافقة
كتابه وعند رسوله للمطابقة في السنة السنية وعند الملائكة
والتابعين للمتابعة بهما وقيل كل ما يحسن في الشرع فهو معروف وينهون
عن المنكر وهو العمل المخالف للشريعة البيضاء في الاسلام الغراء وانما
خصهما مع ان خير الاسلام واصنافه اكثر من ان تعد وتحصى اعلاما
بفضلهما على سائر افراده وانواعه فعلى هذا يجب على الكل الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وان لم يأتمر وينتهي في نفسه وذاته وان كان الاحرى
في التقوى ان يتصف الآمر بما قاله ويأتمر بما امره بقوله تعالى لم تقولون
ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون على سبيل فرض
الكفاية حتى على الجاهل الفاسق عند البعض لما روي عن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم
يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان كذا في المصابيح ولما روي
عن حذيفة رضي الله عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال والذي
نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر وليوشكن الله
ان يبعث عليكم من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم رواه

الامام البغوي في المعالم وروى عن قيس رض انه سمعت ابا بكر الصديق
رض يقول ايها الناس انكم تقرؤن هذه الاية يا ايها الذين امنوا عليكم
انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فاني سمعت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان الناس اذا راوا منكرا فلم يغيروه يوشك ان يعمهم الله
بعذابه كذا رواه في المعالم والتعميم والتقسيم والتاكيد بالوعيد يدل
على ان الكل مأمورون بهما بحسب استطاعتهم حتى ان البغض والعزم
من القلب يعد من التغيير وان كان من الضعف لترك التقوى
وهو الشهادة واختياره الفتوى وهو السلامة مع عدم الرضا
بالمعصية فكان من التائبين المأجورين وان كان اجره وثوابه دون
من ذلك الاعلى وقال بعض المفسرين يحتمل ان يكون من للتبعيض
فعلى هذا لا يصلح كل احد لهما وانما يصلح لذلك من علم المعروف
والمنكر وعلم كيفية ترتيب الامر والمباشرة فان الجاهل القادر
ربما عكس او تغلظ في مقام اللين عكس قوله تعالى سورة طه في
موسى وهرون عليهما السلام في فرعون فقولا له قولا لينا لعله
يتذكر او يخشى او تلين في مقام التغليظ بعدم الموافقة بقوله تعالى
وليجدوا فيكم غلظة اي شدة وشجاعة وجفوة وربما ينكر الجاهل
على من يزيده انكاره تماديا في الشرور وربما عرف مذهبه وجهل
مذهب غيره فانكره اظهارا للفرور فيكون التفويض اليه عبثا
فيؤيد قول هذا كون المعطوف خاصا عن المعطوف عليه العام
وهو ان الدعاء الى خير الاسلام مع جميع ما يؤمر به عام شامل على كل
من امن بالله واليوم الاخر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص
لمن علم وقدر مختصا وبرجحه الاستطاعة والتقسيم وكونه فرض
كفاية اذا فعل البعض وسقط عن الاخر وتقسيم بعض العلماء انهما

يجبان

يجبان على الامراء باليد وعلى العلماء باللسان وعلى العوام بالقلب
وما روي عن بعض الصحابة رض ان الرجل اذا لم يستطع الا انكار
اذا راى المنكر فليقل ثلاث مرات اللهم ان هذا منكر وانا منكره
فاذا قال ذلك فقد فعل ما عليه وما صدر عن عضد الملة والدين
في متن عقايد الجلال الدواني رح بقوله الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر فرض بشرط ان لا يؤديا الى الفتنة فاذا اديا اليها سقطا ٧
اذ الفتنة اشد من القتل واولئك هم المفلحون اي الداخلون في الفلاح
والمخصوص بكماله الجنة والمنجون عن العذاب الذي وعد الله للظالم
والعاصين في النار الموقدة التي تطلع على الافئدة فروى ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وهو على المنبر سئل من خير الناس فقال
آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله تعالى واوصلهم
بالرحم فالامر بالمعروف بالنظر الى المأمور واجبا ومندوبا على قدر
ما يؤمر به ان كان المنكر واجبا فانكاره واجب وان كان مندوبا
فامره مندوب لان الامر على قدر ما يؤمر به واما النهي عن المنكر
فواجب كله لان جميع ما انكره الشرع كله منكر فالاظهر ان العاصي
يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط
بترك احدهما وجوب الاخر روى عن ابي ذر الغفاري رض انه قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم افضل الاعمال الحب في الله
والبغض في الله رواه ابو داود رح وروى عن عمرو بن الجموح
رض انه قال سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يقول لا يجد
العبد صريح الايمان حتى يحب لله ويبغض لله فاذا احب لله وابغض
لله فقد استحق الولاية لله رواه الطبراني في المعجم الثلاث واحمد
الحنبلي في مسنده رح وروى عن عبد الله بن مسعود رض انه قال

٧ فاذا امرت او نهيت فيما يؤدي للفتنة
والحاربة فتنفع في بلية وورطة هي
من الاولين فيتعدى معصيتك فيكتب
عذاب الكل من الجناة على العمل المتعدي
الكثير عذابا ان كان معصية وثوابا ان اجرا
فلذا اصار العلماء المتبحرين والمنتشرين
بالعلوم النقلية كالتفسير والحديث وما
يتفرع عليهما من الاصول والفروع وعلم
الاساس من العقايد الحقة اعلى
من العلماء المؤمنين غير المنتشرين
الا لعذر وكذا عكسه في الشر
فاولئك حضب اس
صح

جاء رجل الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف
ترى في رجل احب قوما لم يلحق بهم فقال رسول الله صلعم المرء
مع من احب رواه البخاري ومسلم رح فاذا سمعت هذه الادلة
القطعية في الامر والنهي من صاحب الشريعة فاختر ما شئت من
التقوى من سبيل الشهادة وخذ ما اخترت من الفتوى من طريق
السلامة ولكل وجهة وللعاشق من الوان المحبة فالمؤمن المتقي
يجب عليه ان يكون عالما عاملا مخلصا بنفسه او بصاحبه حتى
يعلم شروط الامر والنهي فيامر ويأتمر وينهى وينتهي ويراعيها
فينفذ ويعرف قدر العالم وعلمه ولا يعتمد على جهلة الناس في قوله
وفعله وعنادهم ومنصوبهم كما هو احوال زماننا وارسام رجالنا حيث
يتركون الفرائض وعلمها ويجلسون مقاعد العلماء ويغصبون وظائفها
مع عدم الخوف والحياء من الله تعالى ويرتكبون انواع المعاصي من الزنى
واللواطة واكل الحرام وشرب الخمر والتوغل الى الغيبة وترك الاوامر
والنواهي وتبديل الشكل لاجل الاكل وشدة العداوة على الامرين
والناهين ومودتهم على الموافقين بالنهي وافترائهم على العلماء المخالفين
وعدم مبالاتهم في تضييع امانة الله وفي خيانة احكام الله والظلم
على رعاية الموجودات وعدم الحياء عن المخلوقات فهذه الاخلاق
الذميمة منهم لقد كان واحد منها سبب اهلاك الامم السالفة
ومواعيد الفجرة الكاذبة فضلا عن غيرها فالمخلص منها بحرمة صاحب
السعادة والشريعة فالرجوع الى الله تعالى واجب بتوبة النصوح
صبحا وبالانابة اليه في كل ايام ومساء ولا فيخاف عليهم في الدنيا
من العقوبة العامة غضبا والعقبى عذابا وبالاغماض عن الامر
ولائمتها غدوا وعشيا وبالمؤلفة بالجهلة الظلمة في الايام

والمؤاكلة والمناسفة والمشاكلة في المرور والركوب والنزول مدة
الاعوام ولا يوقظهم قوله تعالى في سورة الانفال واتقوا فتنة اي ذنبا
او عذابا ان اصابتكم لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اي لا
تصيبهم بالاختصاص بعاملها بل تعمكم اثرها فلا تساعدوا المنكرات
ولا تسارعوها روى عن عدي بن عدي رض انه قال حدثني مولى لنا
انه سمع جدي يقول سمعت رسول الله صلعم يقول ان الله لا يعذب
العامة بفعل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون
على ان ينكروه فلا ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله تعالى
العامة والخاصة وروى عن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله
صلعم ستكون الفتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها
خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها
تستشرفه فمن وجد ملجأ او معاذا فليعذ به رواه البغوي رح
ويجوز ان يكون قوله لا تصيبن نفيا مجزوما في جواب الامر
فاكد بالنون للمبالغة وان يكون صفة لفتنة فدخول التنوين
المؤكدة شاذ في غير القسم ويجوز ان يكون نهيا بعد الامر
بمعنى احذروا فتنة ثم قال لا تتعرضوا الظلم فمن تعرض له
يعمه العذاب لان النهي وان كان متوجها الى الفتنة ظاهرا
لكن المراد نهيهم عن التعرض لها فيؤول المعنى الى قوله لا تتعرضوا
الفتنة ولا تساعدوها ولا تسارعوها فاصابكم ما اصاب
الامم السالفة من القحط والزلزلة والهلاك وتسلط الاعداء
مما لا تعد ولا تحصى فيكون من قبيل قوله لا يحطمنكم سليمان
وجنوده بان النهي لسليمان لفظا وللنمل معنى واعلموا ان الله
شديد العقاب بلا تساعد وتعرض للظلم وخلاف الشرع

وعدم المبالاة كانه لم يؤمنه ولم يكلفه من الله تعالى فيلزم
على العلماء العمل وعلى الجهلاء التعلم والعمل حتى يخلص روى
عن كثير بن قيس رضي الله عنه قدم رجل من المدينة على ابي الدرداء
رض وهو بدمشق حيث ارسله عمر بن الخطاب رض ليعلم
الناس امر دينه فقال ابو الدرداء رض له ما اقدمك يا اخي
قال حديث بلغني انك تحدثه عن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال اما جئت لحاجة قال لا قال اما قدمت لتجارة
قال لا قال ما جئت الا في طلب هذا الحديث قال ابو الدرداء
رض فاني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول
من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة
وان الملئكة لتضع اجنحتها رضاء لطالب العلم وان العالم
ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء
وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ان
العلماء ورثة الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا
العلم فمن اخذ به فقد اخذ بحظ وافر رواه ابو داود والترمذي
رح وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من جاء اجله وهو يطلب العلم لقي الله تعالى
ولم يكن بينه وبين النبيين الا درجة النبوة رواه الطبراني
في الاوسط وروي عن ابي امامة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يجاء بالعالم والعابد
فيقال للعابد ادخل الجنة ويقال للعالم قف حتى تشفع للناس
رواه البخاري والاصفهاني وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما عبد الله تعالى بشيء افضل

من فقه

من فقه في دين الله ولفقيه واحد اشد على الشيطان من الف
عابد ولكل شيء عماد وعماد الدين الفقه رواه البيهقي والدار
قطني وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم يوم القيمة بلجام
من نار رواه ابو داود والترمذي قوله الجم يوم القيمة الخ
وجهه ان الجزاء من جنس العمل فانه لما كتم البيان باللسان وامتنع
عن التكلم عوقب بجنسه جزاء وفاقا وعن ابي سعيد الخدري رض
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتم علما مما ينفع
الله به في امر الناس في الدين الجمه الله تعالى يوم القيمة بلجام من نار
رواه ابن ماجه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله
صلعم من سئل عن علم فكتمه جاء ملجما بلجام من نار ومن قال
في القرآن بغير ما يعلمه جاء يوم القيمة ملجما بلجام من نار رواه
ابو يعلى وقال ابن كعب رض لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت
على علمه ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله حتى يسئل ويتعلم
ليعمل به خاصة اذا كان علم الفرض فوجب عليهما بالتعليم
والتعلم كذا في الاصول وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تناصحوا في العلم فان خيانة
احدكم في علمه اشد من خيانته في ماله وان الله سائلكم رواه
الطبراني في الكبير وروي عن ابي هريرة رض مثل الذي يتعلم
العلم ثم لا يحدث كمثل الذي يكنز الكنز ثم لا ينفق منه رواه
الطبراني في الاوسط روي عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما لغير الله او اراد به
غير الله فليتبوأ مقعده من النار رواه الترمذي وابن ماجه

اى فليتهيأ منزلته ومكانه من النار وروى عن ابى هريرة رض
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من تعلم العلم
مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ان يصيب عرضا من الدنيا لم يجد
عرف الجنة يوم القيمة اى ريحها رواه ابو داود وابن ماجه وابن
حبان رح وروى عن ابى هريرة انه قال سمعت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يقول رجل تعلم العلم وعلمه وقرأه قال الله تعالى
للقارى يوم القيمة الم اعلمك ما انزلت على رسولى قال بلى يا رب
قال فما عملت فيما علمت قال كنت اقوم به آناء الليل وآناء النهار
فيقول الله تعالى كذبت ويقول الملائكة كذبت ويقول الله تعالى
بل اردت ان يقال فلان قارئ وقد قيل ذلك ثم امر به فسحب
على وجهه حتى القى فى النار رواه مسلم والنسائى قوله فسحب
اى جرى على وجهه كالعماد ولا شجار وروى عن جابر رض انه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من تعلم العلم لاربع دخل
النار ليباهى به العلماء او يمارى به السفهاء اى يجادل به الجاهلين
ويقول انا خير عالم وانتم لستم من العالمين وقوله او يقبل به وجوه
الناس ويشتهر بينهم بانه عالم وهذه الاربعة الذميمة كلها
انما تنشأ من الرياء او من العجب وكلاهما مردودان عند الله
وعند الملئكة مع انهما من صفات الشيطان الرجيم قال الحسن
البصرى رح عقوبة العلماء موت قلوبهم بطلب الدنيا بعمل الآخرة
وروى الامام الضحاك عن ابن عباس رض انه قال قال النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم علماء هذه الامة رجلان رجل آتاه الله
علما فبذله على عباد الله تعالى ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به
ثمنا فذلك يصلى عليه ملائكة السماء وطير الهواء ودواب الارض

وحيتان

وحيتان الماء ورجل آتاه الله علما فى الدنيا فضن به على عباد الله
واخذ عليه طمعا فاشترى به ثمنا فذلك يأتى يوم القيمة ملجما
بلجام من نار ينادى مناد على رؤس الخلايق هذا فلان بن فلان
آتاه الله علما فى الدنيا فضن به على عباد الله واخذ عليه طمعا
واشترى به ثمنا فلذلك يعذب حتى يفرغ من الحساب كذا
فى حيوة القلوب وروى عن جندب بن عبد الله الازدى صاحب
النبى صلعم رض انه قال النبى صلى الله عليه وسلم مثل الذى
يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضئ للناس ويحرق
نفسه رواه الطبرانى فى الكبير روى عن زيد بن ارقم رض
ان رسول الله صلعم كان يقول اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع
ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا تستجاب لها
رواه مسلم والترمذى والنسائى وروى عن ابى هريرة رض
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس عذابا
يوم القيمة عالم لم ينفعه علمه رواه الطبرانى فى الصغير روى
عن على بن ابى طالب رض انه قال اذا لم يعمل العالم بعلمه يستنكف
الجاهل ان يتعلم منه لان العالم اذا لم يعمل بالعلم لا ينفع العلم
اياه ولا غيره وان جمع العلم بالاقوال اى بالاعمال لا تم بلغنا
ان رجلا فى بنى اسرائيل جمع ثمانين تابوتا من العلم فاوحى الله تعالى
الى نبى من الانبياء قل لهذا الحكيم لو جمعت مثله معه لم ينتفع به
الا ان يعمل بهذه الاشياء الثلاثة اولها ان لا تحب الدنيا فانها
ليست بدار المؤمنين والثانى اذ لا تصاحب السلطان فانه
ليس برفيق المؤمنين والثالث ان لا تؤذى المؤمنين فانه ليس
بحرفة المؤمنين كذا فى حيوة القلوب وروى عن اسامة بن زيد رض

انه سمع رسول الله صلعم يقول يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار
فيندلق اقتاب بطنه اى يخرج امعاوه فيدور بها كما يدور الحمار
بالرحى فيجتمع اليه اهل النار فيقولون يا فلان ما لك الم تك تامر
بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بل كنت آمر بالمعروف ولا آتيه
وانهى عن المنكر وآتيه رواه البخاري ومسلم قوله ولا آتيه اى لا
افعله وآتيه اى افعله ولا اجتنبه روى عن انس بن مالك رض
انه يقول سمعت رسول الله صلعم يقول مررت ليلة اسرى بي
باقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هولاء يا جبرائل
قال هولاء خطباء امتك الذين يقولون ما لا يفعلون رواه البخاري
ومسلم يعني يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم وهم يتلون
الكتاب روى عن وليد بن عقبة انه قال قال النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ان اناسا من اهل الجنة ينطلقون الى اناس من اهل النار
فيقولون بما ذا دخلتم النار فوالله ما دخلنا الجنة الا بما تعلمنا
منكم فيقولون انا كنا نقول ولا نفعل رواه الطبراني في الكبير
ويؤيده قوله تعالى في سورة الصف يا ايها الذين آمنوا قال المفسرون
في سبب نزول هذه الآية ان المؤمنين قالوا لو علمنا احب الاعمال
الى الله سبحانه وتعالى لعملناه ولبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله
عز وجل ان الله يحب الذين اى يعامل معاملة المحبة ويعطي منتهاها
وهو اعطاء مطلوبهم وايصال مقصودهم ومثوبتهم والا فالمحبة
عبارة عن استيلاد غليان الدم الذي حصل من سرور القوى
الباطنة التي تستجلبها من القوى الظاهرة من الحواس المبتنية في قوة
الحكمة فارجعها بالفطنة فحصلت لها ثمرتها فوهب صاحبها المرغوبة
تما النعمة تيسره فهذا المعنى في حقه سبحانه محال لانه تعالى منزه

عن كونه

عن كونه جسما وجسمانية عن الحواس الظاهرة والباطنة فانه
تبارك موجود لا يشبه وجوده بسائر الموجودات كما لا يشبه
سمعه وبصره وعلمه وفعله من الصفات القديمة العلية اذ ليس
كمثله شيء من الموجودات والمصنوعات فكيف وبينهما تضاد
بالقدم والعدم والخالقية والمخلوقية والغناء والفقر والاحتياج
فهذا المعنى مجاز اولي من ذكر السبب وارادة المسبب وامثاله
كثيرة في الآيات والاحاديث فالمعنى ان الله يعطي مقصود الذين
يقاتلون في سبيله صفا اى يصفون انفسهم عند القتال صفا
ويثبتون ولا يزولون عن اماكنهم كانهم بنيان اى مداخلة
بعضه في بعض كانه مرصوص او مبني في الرصاص الذي يلزق بعض
واحكم فليس فيه خلل ولا فرجة كانه واحد مركب من الآحاد
المتفقة فامر الله تعالى المقاتلة بهذه الحالة العجيبة ووعد النصرة
عليهم في هذه الصيغة الغريبة فالنصرة والفلاح مشروطة بها
بقوله تعالى اذا لقيتم فئة اى اذا حاربتم جماعة مخالفة في امر الديانة
والاستقامة فاثبتوا اماكنكم والزموا حتى لا يتخلل ولا يتفرج
بينكم كالبناء الواحد المتحد وان تركب من الآحاد المتشتتة
والاشياء المختلفة واذكروا الله كثيرا بالتكبير والتهليل والثناء
والدعاء مستظهرين بذكره مترقبين بنصرته لعلكم تفلحون لكي
تنجوا من المشاق وتفوزوا بمرادكم من النصرة وفيه تنبيه بنية
على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان لا يلتجي
عند الشدائد الا الى مولاه ولا يدعو الا اياه ولا يرجو ولا يخاف
سواه ويتوجه اليه فارغ البال كامل الاقبال وايقانا بان لطفه
لا ينفك عنه في شيء من الاهوال وسائر الاحوال فلما قالوا هذا

لمن
واجب حفظه
قال لعل ... عظيم لطيف ... وفهم التاويل
في التعمق في علم التنزيل ومقام
ازداد ... العاشد في ...
... في الفصل ... والله وعلم ...
ان شاء ... ولا اله غيره صح

الكلام وبالغوا في عرض الخلوص والمرام فابتلوا بذلك الدعاوي
خلافهما على الانهزام فانزل الله عز وجل لم تقولون ما لا تفعلون
هذا تعيير لهم من الله العليم الحكيم بترك الوفاء بما يعهدون ويدعون
ببذل الاموال ونقد الاحوال والمجال ولم مركبة من لام الجر وما
الاستفهامية والاكثر على حذف الفها مع حرف الجر اي حرف
كان نحو لم وبم وفيم وعم ومم واصل الجميع لما وبما وفيما وعما
ومما فلما دخل الجار حذفت الف الاستفهامية لان الجار معها
كالشيء الواحد الموضوع للدلالة على المستفهم لكثرة استعمالها
معا واعتنائهما في الدلالة وقال محمد بن كعب لما اخبر الله تعالى
رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بثواب شهداء بدر قالت الصحابة
لئن لقينا بعده قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد
فعيرهم الله بها وقال الامام قتاده وضحاك كان الرجل يقول قاتلت
ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب فنزلت قوله
يا ايها الذين لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله المقت
اشد البغض نصبه على التميز للدلالة على ان قولهم هذا مقت
خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه
وفي معنى التعجب وهو تعظيم الامر وتفخيمه في قلوب السامعين
ان تقولوا محله رفع لكونه فاعل كبر ما لا تفعلون مقول القول
بعد القصد كما في قولك بئس الرجل احول ونعم العبد اجود وروي
عن انس بن مالك رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم اتيت يوم اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض
من نار فلما قرضت عادت قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء
خطباء امتك الذين يقولون ما لا يفعلون ويقرون كتاب الله

ولا

ولا يعملون به كذا قاله شيخ زاده في حاشية البيضاوي الشيرازي
رح وروي عن انس بن مالك رض عن النبي صلعم انه قال الزبانية
اسرع الى فسقة القراء من عبدة الاوثان اي الاصنام فيقولون
كيف يبدا بنا قبل عبدة الاوثان فيقال لهم ليس من يعلم كمن لا يعلم
رواه الطبراني وابو نعيم كما قال الله تعالى في ذم العلماء السوء الذين
يريدون العاجلة بالعلم الذي يحصل لعمل الاخرة واصلاح
الدين والاخرة والعاقبة في سورة آل عمران واذ اخذ الله اي
اذكر حين اخذه تعالى ميثاق الذين اخذ عليهم الميثاق حين اخرج
ذرية آدم من ظهره في عهد الميثاق ويقال اخذ الميثاق بالوحي
في كتاب الذين اوتوا الكتاب بواسطة انبيائهم واجرا احكامهم
لتبيننه خطاب العلماء اسقطت نون الجمع بالنون التاكيد اي
لتظهرنه للناس بما فيه من نعوت محمد وصفاته الجليلة واخلاقه
الجميلة وجبلته العظيمة وامته الحميدة وشريعته الناسخة
ودينه المفضلة ولا تكتمونه عنهم حكاية بمخاطبتهم باعتبار القول
اي قلنا لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقرئ ابن كثير وابو عمرو
وعاصم في رواية ابن عباس رضي الله عنهما بالياء باعتبار الذين غيبا
واللام جواب للقسم المحذوف الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق
الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي طرحوا الميثاق وضيعوه وتركوا
العمل به وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه بعدم الاعتبار
والديانة كمن نبذ شيئا وراءه ولم يلتفته وضده لا لقاء بين
عينيه واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا اي عرضا يسيرا من الرشا
والماكل من حطام الدنيا الدنية وامتعتها البلية فبئس ما يشترون
بكتمان نعت النبي ورسالته وحقيقته وبعض احكامه وذلك

ان احبار اليهود خافوا من ذهاب مأكلتهم وارتشائهم وزوال
حكومايتهم حين قدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالعزة والرفعة
وانواع المعجزات الظاهرة واصناف البركات الوافرة من قدومه
الشريف وورده اللطيف فظهر حاله وبهر شانه وسلطانه
حتى سبحت الطيور وهللت في الطيران والمرور بلا اله الا الله
محمد رسول الله فظهرت الاصوات من الجدرات الاربعة اذا قعد
في البيت بهذا التوحيد واذا امر في الاشجار تنقلع باصولها وترابها
عن محلها فهللن بهذا التوحيد والتمجيد فكذا الاشجار على الارض
يتبعن خلفه والوحوش النافرة والطيور الموحشة فوقه وامامه
فتبين شرع الله فظهر رسول الله وتنور نور الله باسرار
الانوار كالشمس في وسط النهار بل ضياؤها من نوره ووجودها
من وجوده ووفرت البركة في البلدة من تولد الاغنام وتمنين
وكثرت الصحبة فيها يوما فيوما حتى صاروا اصحاب كرامة
بانواعها وسعادة باستصحاب منبعها وتشرب المياه الزلال
باستجلاب بركتها من جبالها وصخورها فالدولة الابدية
والسعادة السرمدية لمن سمع حالهم وآثر مقالهم وتشرع بكمال
الديانة وتشرف بشرفهم باصناف العبادة وانواع التقوى
بعد التزين بزينة الفتوى من كتاب الله الاعلى على ما هو احرى
واولى فسبحان من ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله المثبت بالكتب الاولى فالحمد لله الذي هدانا لهذا
وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ولا حول ولا قوة الا بالله
فلو وجدنا في ازمنتهم الجلية وتنورنا بصحبتهم العلية
لكنا من الاصحاب العظام فتشرفنا بشرفهم وتخلقنا بخلقهم

من الاحوال الكرام الحمد لله على التوفيق حيث صاننا من الذين قالوا
بل وجدنا اباءنا ونستغفر الله من كل تقصير حيث بدعنا في
الايمان والاسلام من ابائنا واجدادنا وان لم نستحق بهذه العناية
ولم نشكر حق الشكر في هذه الهداية اللهم ادخلنا في زمرة
الصالحين من الصديقين والصالحين وبعدنا عن زمرة الظالمين
الصالحين واجعلنا معهم في الجنات الموعودة للمؤمنين واعف
عنا قصورنا وتقبل منا كسورنا فانك الرب الرحيم الغفور الكريم
امين يا ارحم الراحمين لعبادك المذنبين فلما راوا تلك الاحبار
جمع حبر وهم من علماء السوء الذين يأكلون اموال الناس بالباطل
ويصدون عن سبيل الله ويخافون عن زوال ماكلهم هذه
الاحوال العلية والمعجزات والكرامة السنية الجلية احتالوا بانواع
الحيل في اطفاء نور الله واخفاء سعادة رسول الله وتفريق اصحاب
وتضييق احبابه عن الايمان والاستصحاب وعن الاتقان والاستجلاب
والاستصفاء والاستحباب وكتموا صفته عليه السلام
في التوراة بانه حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة كما
جاءت الاثار الصحيحة والاحاديث المشهورة في الجبلة والخلقة
والخصال الحميدة والاخلاق الجميلة حائزا لجميعها محيطا بشتات
محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار من اعيان الرواة
الاخيار بل قد بلغ كلها مبلغ القطع مستغنيا عن الاحتجاج
والقطع اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه في حسنها فقد
رويت من حديث علي بن ابي طالب وانس بن مالك وابي هريرة
والبراء بن عازب وعائشة الصديقة بنت ابي بكر الصديق
ام المؤمنين وام معبد وابن عباس ومعرض بن معيقب وابي

الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم
من اعلام الاصحاب كالكواكب المنيرة بين الاشهاب رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين من انه صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا كان
ازهر اللون اى بين البياض والحمرة نيرة وحسنة ومنه زهرة
الحيوة الدنيا بدليل الحديث الآخر انه ابيض مشرب بحمرة وهو افضل
الالوان والبياض ادعج اى اشد سواد الحدقة وقيل اسود
سواد العين وابيض بياض العين انجل بفتح الهمزة والجيم المعجمة
مع سكون النون وهو سعة شق العين مع حسنها اشكل اى
فى بياض عينيه يسير حمرة وشرح الامام السماك فى شرح
صحيح الامام مسلم بانه طويل شق العين وحمله الشراح على الوهم
فالاول الحق احق بالاتباع عند الاجماع اهدب الاشفار
اى كثير شعر حروف اجفان عينيه او طويل الاهداب وهى الاجفان
والاشفار جمع شفر بضم الشين وفتح الفاء وهى شفير حرف العين
روى عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا ان الله لا يعذب حسان
الوجوه سود الحدقة اى من المسلمين كذا فى شرح على القارى على
الشفاء ابلج بالباء والجيم اى اشرق الوجه ولم يرد ابلج الحاجبين
اى نقى ما بينهما الحديث ام معبد رض التى هى امرأة خالد بن زيد
وهو صلى الله تعالى عليه سافرها حين هجر الى المدينة فاكرمته غاية
الاكرام وصارت من الصحابية المعتمدة فى دلائل البيهقى
بانه ابلج الوجه اقرن اى متصل الحاجبين ازج بالزاء المعجمة
المفتوحة وجيم المشددة اى رقيق شعر الحاجبين طولهما الى
مؤخر العين مع التقوس اقنى اى مرتفع قصبة مع حديد يسير
يعنى طوغان بورنلى وفى الرواية المشهورة انه صلى الله تعالى

عليه وسلم كان اشم الانف اى مرتفع القصبة مع استواء اعلاه
قال مختار الصحاح القنى ما كان فيه احديد يسير افلج اى متباعد بين
ثناياه او بين الاسنان مطلقا مدور الوجه لكن الى الطول اميل لما
ورد من الامام الترمذى فى الشمائل ان وجهه لم يكن مدورا لكن يشبه
تدوير الوجه لاستوائه دائرته واسع الجبين اى جبهته وهو ما اكتنف
الجبهة من يمين وشمال فهما جبينان فيما بين الحاجبين كث اللحية
بتشديد الثاء اى كثير شعر اللحية بحيث يملأ صدره اى ما يقابله
وانبساطه قد يأخذ منها ما زاد على القبضة وربما يأخذ من طرفيها
قيل هذا اذا اراد السفر والمقاتلة واما اذا لم يرده فالاعفاء
لما روى عن عايشة رضى الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك
واستنشاق الماء وقص الاظفار اى يوم الخميس بعد العصر او يوم
الجمعة اما قبلها او بعدها على الاختلاف لكن فى الخميس سيعود
دواء نهايته الارتحال مع الايمان كما بين فى الحديث وغسل البراجم
جمع البرجمة بضم الباء وهى عقدة الاصابع ومفاصلها وغسلها على
انفرادها سنة وليس بمختص فى الوضوء قيل يلحق بها ما يجتمع فيه
الوسخ كالانف والاذن ونتف الابط اى شعرها وحلق العانة
وانتقاص الماء بالقاف وهذا كناية عن الاستنجاء بالماء لانه
لانتقاص فى الماء المطهر لازم له وقيل معناه انتقاص البول بالماء
فانه اذا غسل الذكر بعد ما بال ارتد ولم ينزل فالمصدر على الوجه
الاول مضاف الى الفاعل وعلى الثانى الى المفعول فيكون المراد
من الماء على الثانى البول والانتقاص يجى متعديا ولازما كما جاء
فى قولهم ولم ينتقص منى المشيب قلامة وفى رواية وانتقاص الماء

بالفاء بدل القاف وهو دفع الماء على داخلة الازار بعد الوضوء
دفعاً للوسوسة لانه اذا لم ينضح ووجد بللاً يظن انه بول وهذه
الرواية اقرب لان المذكور في كتاب سنن ابي داود الانتفاح قال
الراوي ونسيت العاشرة الا ان يكون المضمضة ولفظ ان مخففة
والاستثناء منقطع بمعنى لكن وهذا شك من الراوي في العاشرة
قال القاضي عياض رح في شرح مسلم لعلها الختان المذكور في الخمس
وهذا اولى وقال بعض الشارحين في شرح قوله عليه السلام واعفاء
اللحية اي اكثارها بلا نقص منها استنبطا من قوله تعالى حتى عفوا
وقالوا اي اكثروا وقال بعض الفقهاء يكره قص اللحية متمسكاً بالحديث
الذي رواه الامام مسلم في صحيحه عن ابي هريرة رض ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم جزوا الشوارب اي قصوها حتى تبينت
الحمرة من اطرافها الشفقة مثل الحاجب لئلا تدخل في الاشربة
والاطعمة ذكره الفقهاء واعفوا اللحى بكسر اللام وضمها جمع اللحية
اي وفروا وكثروا ولا تنقصوها بالقص والقطع على ان الامر
للوجوب وتركه يكون مكروهاً بالتحريم على المختار مادام بالحضر
بخلاف السفر فانها اعانة لغلبة الاعداء بالاخذ والضبط باللحى
خاصة اذا كانت طويلة يضبط الانسان بها بلا ريب مع اندفاع
الحرج في الدين وانقلاب الحرمة الى وقت الضرورة على ما ذكروا لنا
في كتبهم بناء على دفع الحرج المأمور به كذا قال شراح صحيح الامام
مسلم وان كان الاخذ من طولها او عرضها من المحسنات للتناسب
لكن المختار اي لا يتعرض لها بقص شيء منها اصلاً ليوجد الامتثال
بالامر الا اذا نبتت اللحية للمرأة فيستحب لها حلقها كذا في شرح
المشارق لابن ملك رح ومن شمائله انه صلى الله تعالى عليه وسلم

كان

كان سواء البطن والصدر اي كان استواؤهما باعتدالهما خلقة وفيه
اشعار بان خروجهما معاً او احدهما عن الاعتدال ليس بمحمود
واسع الصدر ظاهراً وحساً وحقيقة ومجازاً انه اكرم كل المخلوقات
اكراماً بليغاً ووسع كل الموجودات والمصنوعات احتراماً كريماً
حتى ملأت الدنيا بكرامة الايمان وسعادة الاسلام ما برئت به
للمعجزات الوافرة فهي كثيرة جداً واما بعطائه الى الاعلى والادنى
بالصلة المؤلفة بين المصنوعات فرغما كثير من الناس يحتجبون
من ايتائه حتى رد على قبيلة هوازن سباياها وكانوا ستة الاف
من النساء والذرية ورد عليهم من الاموال ايضاً اربعة وعشرين
الفاً من الابل واكثر من اربعين الفاً من الغنم واربعة الاف اوقية
من الفضة قيل وقوم ذلك بينهم فبلغ خمسمائة الف الف
ومن جملة جوده اعطاء مال جزية البحرين في يومه وكان مقداره
مائة الف وثمانين الف درهم بعث اليه صلعم عامله العلاء بن
الحضرمي رض واعطى عمه العباس على ما رواه البخاري رح
عن انس تعليقاً انه اعطاه من الذهب ما لم يطق حمله ولم يقدر
وحاول نقله مع قوة تحمله بتسعين الف درهم على ما رواه
ابو الحسن بن الضحاك في شمائله فوضعت على حصير ثم قام لها
يقسمها فما رد سائلاً ممن جاء وطلب وحضر عنده حتى فرغ
منها وجاء رجل على ما رواه الترمذي رح في شمائله فلم يبين
اسمه حتى قال الامام برهان الدين في شرحه على الشفاء
لا اعرفه فسأل شيئاً معيناً ومقداراً مبيناً فقال النبي الكريم
صلى الله تعالى عليه وسلم في الجواب له ما عندي شيء مما عينت
وما بقي مما بينت ولكن ابتع اي اشتر بثمن يكون ذلك الثمن علي

في زمن واستقرض مقدار ما تختار حوالة علي فاذا جاءنا من عند الله
تعالى واغنانا من الغنائم شيء قضيناه واديناه عنك فقال له
عمر بن الخطاب رض بناء على نظر الرحمة والشفقة يا رسول الله
ما كلفك الله بما لا تقدر عليه من تحمل الدين بمقتضى الوعد
لما روي ان العدة دين والدين شين للدين فكره النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ذلك بناء على جبر خاطر السائل لاغضابه عليه
لانه يحبه ويرضاه في جميع حاله ومالم يعتريه من خيبة الامل
فقال له رجل من الانصار انفق يا رسول الله ولا تخش اي ولا تخف
من ذي العرش اقلالا وتقليلا فان الملك كله لصاحب العرش
سبحانه فتبسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعرف البشر
والبشارة والطلاقة واثار السرور وظهور النور في وجهه
بتهلله وتلألئه وانبساطه واشراق خده وقال النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بهذا امرت اي بالانفاق من مخافة فقر امرني ربي
قبل ذلك وجاء جبريل على وفق ما سألك ذكره الامام الترمذي
وروى عن ابن عباس رض انه قال ان رجلا سأله صلعم فاعطاه
غنما بين جبلين اي قطعة غنم بينهما وهو صفوان بن امية وهو
مشرك فلما اعطاه النبي صلى الله عليه وسلم على ما اتاه الله تعالى
عليه فاسلم وقال اشهد بالله ما طابت بهذه الا نفس نبي
فرجع الى بلده وقال في قبائله اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا
يخشى فاقة فاعطى صلعم غير واحد مائة من الابل كابي سفيان
بن حرب وابنه معاوية رضيهما وحكيم والحارث اربعين اوقية
ثم اعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة رواه مسلم ثم حسن صفوان
اسلامه وكان من كبار الصحابة وحضر معه صلعم غزاء حنين

حديث اعطاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسبب اسلام صفوان

والطائف

والطائف ومات بمكة المكرمة رض في خلافة معاوية رض واخرج
الامام مسلم منه ولائمة الاربعة واحمد في مسنده روى عن جابر
رض انه يقول ما سئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن شيء قط
فقال لا وروى عن انس وسهل بن سعد رضيهما مثله رواه الترمذي
وروى عن ابن عباس رضيهما انه قال كان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان في شهر رمضان اي
لكل ما ينفعهم في دنياهم واخرتهم من جميع النفعة على المخلوقات البرية
وكان اذا لقيه جبريل عليه السلام اجود بالخير من الريح المرسلة
اي بجميع انواعه في عموم المنفعة والسرعة قال الامام النووي في شرح
هذا الحديث فيه الحث على الجود والزيادة في شهر رمضان وعند
لقاء الصالحين وعلى مجالسة اهل الفضل وعلى تلاوة القرآن
ومدارسته وغيره من العلوم الشرعية فالقرآن وتلاوته افضل
من التسبيح والاذكار وكان جبرائيل عليه السلام يجيئه صلعم
ويكثر زيارته اكثر من غيره ليدارسه وجوه القراءة اجود من الريح
المرسلة بالخير قال الامام الكرماني في شرح البخاري في هذا الحديث
الجود اعطاء ما ينبغي لمن ينبغي والخير شامل لجميع انواعه مما يقرب به
العبد الى الله تعالى وارسال الرياح اطلاقها باذن الله تعالى بالرحمة
والمطر فهذا من التشبيه البليغ على طريق البليغ قيل المراد من الريح
المرسلة الصبا فانها رحمة لكل الاشياء فعلى هذا تعين وجه
الشبه في المشبه وبه فكان النبي صلى الله عليه وسلم واسع الصدر
بالشفقة والمرحمة على موجودات الازمنة حالا وعلى المصنوعات
الاتية مالا فلاجله قسم لاصحاب رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
الى المؤلفة القلوب وغيرها لما فيه حكمة خفية ومنفعة عظيمة

حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا لقيه جبريل كان اجود

ونصيحة علية لأمته العلية فسبحان من تنوع سبل الاهتداء بالقلب بين الكفر الى الايمان بالهداية والتوفيق والقالب بالاعطاء والجلب والقالب والاعتداء فالكل لديه مهتدى ومنه التوفيق والهداية العلى فى الدنيا والعقبى ومن الشمائل انه كان عظيم المنكبين بكسر الميم وهو مجمع عظم العضد فى الكتفة ضخم العظام مطلقا وخصوصا فى عظام عليه السلام عبل العضدين بفتح العين وضم الضاد هو الصحيح وهو مع المرفق الى الكتف والعبل بفتح العين وسكون الباء وكذا قوله والذراعين وهو ما بين مفصل الكتف والمرفق والاسافل اى الفخذين والساقين وهذا كله يعلن كمال قوته ويشعر عناية ربه بانواع نعمه على رسوله ظاهرة وباطنة وبامتيازه عن امثاله باهرة وماهرة كما يدل عليه ما روى البخارى انه اعطى قوة
اى بالمعجزات الباهرة اى القوة والشجاعة الماهرة
ثلاثين رجلا وروى عن عمر رضى الله عنهما انه قال ما رأيت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وروى عن ابن اسحاق رح ويقال له ابو المغازى لكثرة غزائه تابعى جليل السبيعى الهمدانى روى عنه سفيان وابو بكر بن عياش وخلايق من الكملة وله ثلثمائة شيخ وهو يشبه الزهرى فى كثرة الرواية وقد غزا عشر مرات صواما وقواما عاش خمسا وتسعين سنة توفى سبع وعشرين ومائة استصحب اكثر الصحابة رضى انه قال سمعت عن البراء بن عازب رضى قال البراء سألنى رجل عن حالة غزوة حنين قال الى افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لكن رسول الله صلعم لم يفر ثم قال لقد رايته على بغلته البيضاء وابو سفيان اسمه مغيرة وكان ابن عم النبى وهو حارث بن عبد المطلب وكان اخاه عليه السلام من الرضاعة ارضعتهما حليمة وكان يشبهه

وكان

وكان شاعرا مطبوعا فلما ظهر الاسلام اظهر العداوة وكان يبعد الناس عنه صلعم وهجاء النبى صلى الله عليه وسلم واجابه حسان رضى الله عنه ثم اسلم يوم الفتح وحسن اسلامه هو وابنه معاوية رضى وحضر فى غزوة حنين مع النبى صلى الله عليه وسلم حتى انهزم الناس والنبى صلعم على بغلته البيضاء التى وهبها له صلعم وهو اخذ بلجامها والنبى صلى الله عليه وسلم يقول انا النبى لا كذب وفى رواية ابن عبد المطلب قيل فما رئى احد يومئذ كان اشد منه عم وفى رواية نزل النبى صلى الله عليه وسلم عن بغلته فى صحيح البخارى وقال الامام مسلم فى صحيحه عن العباس رضى انه قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلعم يركض بغلته
اسرع
اى يحركها نحو الكفار وانا آخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان آخذ بركابه ثم نادى صلعم يا للمسلمين فاللام للاستغاثة مفتوحة اى اقبلوا ولا تفروا عن اعداء الله فلما سمعوا فقالوا يا لبيك يا لبيك فاجتمعوا واقتتلوا الكفار ثم اخذ رسول الله حصبات وفى رواية ثم قبض قبضة من تراب فرمى بهن فى وجوههن فقال شاهت الوجوه فما خلق الله انسانا الا ملأ عينه ترابا بتلك القبضة فانهزموا فولوا مدبرين فهذه معجزة له وقال سعد بن جبير رضى امد الله بخمسة آلاف من الملئكة مسومين اى معلمين خيولهم
من الامداد
بالصوف الابيض بناء على قراءة كسر الواو واما على الفتح يسومهم غيرهم او نفوسهم بعمامة صفراء وثياب بيض ويؤيده قوله تعالى فى سورة آل عمران اذ تقول اى اذكر يا محمد وقت اذ تقول يوم بدر بدل ثان من قوله اذ غدوت للمؤمنين او ظرف لقوله ولقد نصركم الله على ان قوله صلعم لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى

عن المخالفة فلما لم يصبروا ومالوا الى الغنائم ولم يتمكنوا باماكنهم
التى عينهم بالتمكن فيها وخالفوا امر النبى صلى الله عليه وسلم لم ينزل
الملائكة ولم ينصروا لهم فلذا انهزموا الن يكفيكم ان يمدكم اى يعينكم
ربكم من الامداد وهو الاعانة وما كان للزيادة من المد يقال مد تمّ
مدًّا بثلثة الاف من الملئكة منزلين بصيغة المفعول مشددًا ومخففًا
للمبالغة اى حال كونهم نازلين من السماء باذنه تعالى قاله لهم قبل
نزولهم تسكينا لقلوبهم فانزل الله تعالى عليهم يوم بدر للنصر ووعد
ليوم احد بخمسة الاف ان يطيعوا امر نبيهم فلما لم يأتمروا ولحين
رأوا الكفار بانهم كثيرون وانهم قليلون مع ضعفهم وقوة عدائهم
فايسوا من النصرة فانهزموا وعصوا امر النبى صلعم وتركوا النبى
صلى الله عليه وسلم مع قليل ثم رجعوا بالاستغاثة فاقتتلوا
تغلبوا على الكفار فلذا قال بلى اى يكفيكم الامداد ان تصبروا
مع نبيكم للمشركين وتتقوا مخالفة امر نبيكم ويأتوكم اى يجيئكم
المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو فى الاصل مصدر
فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال التى
لا ريث ولا بطؤ ولا تراخى فيها فالمعنى ان يأتوكم فى هذه الحال
لغضبهم الذى غضبوه ليوم البدر يمددكم ربكم ويعينكم
مولّيكم بخمسة الاف من الملئكة قال الحسن البصرى رح فهؤلاء
الخمسة الاف ردء للمؤمنين الى يوم القيمة وروى الامام مسلم
عن سعد بن ابى وقاص رضه انه قال رأيت عن يمين رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما
ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد قالوا احدهما جبرئيل والاخر
ميكائيل قيل امدهم الله يوم بدر اولا بالف من الملئكة ثم صارت

بحث نزول الملائكة يوم احد بعد المنع للمؤمنين فى تحقيق الكفار

ثلثة

ثلثة الاف ثم صاروا خمسة الاف وهذا المعنى بناء على انه
يقال امده امدادا اى اعانه اعانة ويقال مده مدا اذا كان على الزيادة
ومنه قوله تعالى والبحر يمده وقيل المد فى الشر والامداد بالخير
يدل عليه قوله تعالى وتبارك ويمدهم فى طغيانهم ونمد له من
العذاب مدا وقوله تعالى انى ممدكم بالف من الملئكة وامددنا
باموال وبنين مسومين بكسر الواو اى معلمين خيولهم وبفتح الواو
اى يسومهم غيرهم او نفوسهم والتسويم الاعلام من المسومة وهى
العلامة واختلفوا فى تلك العلامة قال عروة بن الزبير كانت
الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفراء وقال على بن عباس
رضيهما كانت عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وهى
المنكب مجمع العظام من العضدين وقال هشام بن عروة والكلبى
عمائم صفر مرخاة على اكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد
علموا بالعهن فى نواحى الخيل واذنابها وروى ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال لاصحابه رضيهم تسوموا فان الملئكة قد تسومت
بالصوف الابيض فى قلانسهم ومغافرهم وما جعله الله اى الوعد
والامداد الا بشرى لكم وبشارة بانكم تنصرون وتغلبون
وتعلون وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين صابرين ولتطمئن
ولتسكن بالامداد والاعانة قلوبكم به فلا تجزعوا من كثرة
عدوكم كما لا تتركوا التفويض قلة اعدائكم وما النصر لكم على
اعدائكم الكثيرين والقليلين اذ الفئة القليلة غلبت الفئة
الكثيرة باذن الله فان النصرة مع العدالة والصبر على المحن
لان الصبر متى زاد على مشاق الحرب والضرب مع العدالة فى الايام
والذهاب والاقوال والافعال يغلب الصابر ودع على الاعداء الاخرى

بحث علامة الملائكة يوم بدر وتلبسهم

باذن الله ومشيئته فى النصر عقيبه الا من عند الله العزيز الحكيم
الغالب على اعدائه بالحكمة الخفية المشتملة على انواع الخير والمتضمنة
باصناف المصالح التى لا يعرفها الا هو يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد ولا يقدر عليه احد بان يسئله ويخالفه وهو القاهر
فوق عباده لا يسئل عما يفعل احباؤه مظهر لعنايته مع الصبر
والرجاء واعداؤه مستحق لعذابه وغضبه مع الجبر والقهر والجفاء
فلا تحيلوا النصرة على الملائكة والجنود المبالغة فان النصرة والاعانة
من الله القاهر على اعدائه والناصر على احبائه فاستعينوا به وتوكلوا
عليه فان العزة والحكم له لا لغيره وحده لا شريك له فعلم ان
الايمان بالاعراض عن الاسباب الظاهرة وانما هى مخلوقة
بخلق الله والتعرض لها بامره بقوله تعالى فى سورة حم السجدة ان الذين
يلحدون فى اياتنا اى يميلون عن الحق بصرف ارادتهم الجزئية
البشرية واختياراتهم العادية فيهم بمعاملة الابتلاء والتجربة بعد
ادعائهم وتميزهم الخيرية عن الشرية حيث يكذبونها وارادوا
التحريف بما فيها من الايات العظام والتاويل الباطل واللغو
العاطل مع انه تعالى يحفظها عما يريد الكافرون وما يريد الظالمون
من الاحكام والطعن لما فيها مؤيدا بقوله فى سورة الحجر انا نحن
نزلنا الذكر اى القرآن المنزل على رسولنا محمد سيد السادات
وسند الموجودات واخلص الخالصات واصفى الصافات الصافيات
عليه من الصلوات اعلاها ومن التحيات اتمها بجبريل واسرافيل
روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم جاء اسرافيل عليه السلام فى ابتداء
حاله قبل انزال القرآن الى السن الاربعين لانه بعث الى نفسه
ولم يؤمر الى التبليغ كما هو الحال فى اكثر بعث الانبياء صلوات الله

ان لم نكن اراد الله تعالى معلقا
فى اللوح المحفوظة الموافقة
لما فى الازل كما هو مذهب
اهل السنة والجماعة كايمان
زيد لدخول الجنة وكفر
عمرو لدخول النار مع
اختيارهما فانه خلق الله الخلايق
سليما عن الايمان والكفر
بطريق الوصف لا بالحكم
حماية عن المفاسد العظيمة
صح

وسلامه على نبينا وعليهم اجمعين على الاصح ولا اختلاف فيه
كثير كما بينه على القارى فى شرح الشفاء ثم عين جبريل عليه
السلام الى اخر عمره كما فى سائر انبيائه عليهم وعليه الصلوات العاليات
والسلامات الناميات الى يوم التناد وغرف الجنات هذا رد
لانكارهم واستهزائهم بانواع اللغويات واللهويات مؤكدا بقوله
وانا له لحافظون من ان يزال ويزاد وينقص ويخلط بالترهات
من الشياطين وبكلامهم والتاويلات والقاء الناس بالشبهات
من التحريفات والتغييرات فالله سبحانه وتعالى تولى بذاته بحفظه
باسناد الحفظ الى جنابه وقيامه الى يوم قيامه بقيوميته ذاته وصفا
فلا يخلف وعده وميعاده بخلاف الكتب المتقدمة فانه تعالى
لم يتول حفظها بالحكمة الخفية بل احالها الى الربانيين من الاحبار
والرهبانيين فوضع عندهم بعد انبيائهم فاحتالوا وخانوا من
التحريف والتبديل واولوها بانواع التغيير والتاويل ليأكلوا
اموال الناس بالباطل ويصدهم عن سبل الحق ويميلهم الى العاطل
فسبحان من انزل القرآن على اشرف الانسان حبيبه ورسوله وتولى
حفظه بذاته وجنابه واودع بعضه عند اولى الالباب من علمائه
من يؤتى الحكمة من الخيرية من الامم العلية على الهمم السالفة مظهرا
بسر قوله كنتم خير امة واظهر شرف تحبيبه على جميعهم وفراسة
امته على امهم وبين صداقتهم بعدم التغيير والخيانة كما فعل
الامم الماضية واختاروا بصرف ارادتهم ومالوا عن الحق بالتاويل
والتحريف الى الغواية والضلالة اللهم انصر من نصر الدين القويم
وثبت اقدامنا على الصراط المستقيم لا يخفون علينا اى لا يستترون
من علمنا ولا يهربون منا اين المفر فنجازيهم على الحادهم ونعذبهم

بما لديهم اذ كل نفس بما كسبت رهينة مجزية باعمالها الخيرية والشرية
افمن يلقى فى النار معذبا بانواع العذاب ومتنكلا باليم من العقاب
قيل وهو ابو جهل واعوانه خير امن يأتى آمنا يوم القيمة قيل هو حمزة
بالشهادة وعثمان بن عفان رضيهما بالكرامة والتلاوة وفى هذه
من الوعيد للملحدين فى الاسلام والمعرضين عن طريق الحق ما ئلين
الى الكفر والبدعة والضلالة فى الاحكام عامة حيث اخبر القاءهم
فى النار وامان المؤمنين عنها وان كان المورد خاصة ثم قال الله
لكفار مكة توبيخا وتهديدا اعملوا ما شئتم مما يليق بحالكم
من النقمة والنعمة والنار والجنة فى مقابلة الالقاء فى النار
بمقابلة الاتيان آمنا يوم القيمة للمؤمنين مبالغة فى ثنائهم
وكرامتهم عنده تعالى انه بما تعملون بصير عالم الغيب والشهادة
العليم الخبير لا يعزب عنه مثقال ذرة ولو كان نملة وفى هذه
الاية اثبات ارادة الجزئية وصرف اختيار الجزئية وطلب الاسباب
الظاهرة واثبات عدم مخلوقيتها مع موهبتها مسندا ومعوذا
الى العباد المكلفة بالايتمار والانتهاء اذ لا وجود لها الا بعد
الصرف وهو ثمرتها لا عينها حتى يلزم الجبر كما لزم على الاشاعرة
فالخالق هو الله والكسب من العباد فلا يلزم تعلق قدرتان
المختلفتان فى مقدور واحد كما هو مذهب اهل الفلسفة واهل
الضلالة من الجبرية فتعليق احد القدرتين الى الله تعالى بطريق
الخلق والايجاد والاضافة الى العباد على طريق الكسب والاجتهاد
فتميز احدهما عن الاخر فلا يلزم الاجتماع كما فصلناه فى اول سورة
الزلزلة فليراجعها فالتشبث على الاسباب الظاهرة لا يخل
القصر المفهوم من قوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم

بل هو عين الايتمار والانتهاء ليقطع متعلق بقوله وما النصر ان كان
اللام فيه للعهد فالمعنى لينقص منهم بالقتل وليهدم طرفا من الذين
كفروا وركنا من اركان الشرك بالاسر فقتل من قادتهم وسادتهم
يوم بدر سبعون رجلا واسر سبعون رجلا من صناديدهم
ورؤسائهم ومن حمل الاية على غزوة احد فقد قتل منهم يومئذ
ستة عشر وكانت النصرة للمؤمنين انتهاء وان انهزموا ابتداء
بعدم التمكن فى امكنتهم التى مكنهم فيها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وامرهم بالثبات والقرار والصبر فلم يأتمروا ومالوا الى
الغنائم ولم يصبروا ولم يثبتوا حتى تشتتوا من امكنتهم فانهزموا
ابتداء ثم نصرهم الله بعد الاستغاثة والايتمار والانتهاء بقوله
صلى الله عليه وسلم ثم تقرب الملئكة المأمورين وبعد المنفورين
بامر الله تعالى فكانوا من المنصورين او يكبتهم او يهزمهم ويغيظهم
ويجوز بمعنى الواو اى يقتلهم ويخزيهم واصل الكبت الخزى وقيل
اصله يكبدهم اى نصيب الخزى الوجع والغضب والغيظ على
اكبادهم والتاء تستعمل بدل الدال كما فى عكسه كما يقال سبت
راسه وسبده اذا حلقه وقيل يكبتهم بالخيبة فاو للتنويع
لا للترديد فينقلبوا خائبين عطف على قوله او يكبتهم فيرجعوا
الى امكنتهم بالخزى والانهزام غير ظافرين بمرادهم ان يطفئوا
نور الله بافواههم فالله تعالى اخذهم اخذة شديدة وبطشهم
بطشة عديدة واطفأ انفاسهم واقطع امعاءهم فان الافواه
لتنفخوا وتطفئوا والله متم نوره ولو كره الكافرون فيملك رقابهم
ان شاء يهلكهم او يكبتهم او يهديهم بالايمان والاسلام فيتوب
عليهم كابى سفيان بن حارث بن عبد المطلب وابنه معاوية

وغيرهما من الذين يهتدون ويعذبهم في الدارين له الملك يؤتيه من
يشاء وينزع ممن يشاء واليه المرجع والمصير وهو على كل شيء قدير
ومن الشمائل انه كان صلى الله تعالى عليه وسلم رحب الكفين
بفتح الراء المهملة وسكون الحاء اي واسع اليدين صورة ومعنى اذ الكل
اغتنم بغنائمه واغتنائه بغنائم الدارين من الاعلى والاوسط والادنى
على ما ذكر آنفا والقدمين اي واسعهما طولا وعرضا سائل الاطراف
اي كان تام الايدي والارجل والاصابع طويلها وهو بالسين
المهملة وروي بالشين المعجمة اي صورة ومعنى على ذكر من اللطائف
العظمى انور المتجرد بفتح الراء كالمتشعشع فكان ما تجرد من بدنه
انور واشرق من غيره كالمرآة رقيق المسربة على وزن المفعلة
بفتح الميم وسكون السين المهملة وقال الشارح التلمساني رح بفتحها
وهي الخيط الذي من بين الصدر الى السرة من الشعر الطويل والذال
والراء نسخة ربعة القد بفتح الراء وسكون الباء اي مربوع
القامة كما رواه البيهقي وابن ابي نعيم في تاريخه ليس بالطويل
البائن اي المفرط في الطول من بان اذا بعد او ظهر وانما يقال
الطلاق البائن للبعد بين الزوج والزوجة ولا يقرب بينهما الا
بالحلة او طوله غير ظاهر كما هو حال المربوع لاعتدال القصير القامة
ولا بالقصير المتردد اي المتناهي في القصر وهو الذي كان بعض
خلقه على بعض في القصر فهذا يظهر عند المربوع او فوقه اذ الاشياء
لا تنكشف الا بضده كما ان النعمة مستورة لا تعرف الا اذا زالت
ولا تؤدى شكرها ما دامت الا بالعجز والاعتراف وهما عين الشكر
الذي تزاد به ومع ذلك اي كونه مربوعا غير بائن طويل ولا متردد
قصير فلم يكن يماثله يشابهه ويقاربه احد ينسب الى الطول الا طاله

اى غلبه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك الرجل الذي اقاربه
صلى الله تعالى عليه وسلم في طوله البائن مزيته وتلميحا الى انه صلعم
افضل المخلوقات واكمل الموجودات ومكمل امثاله ومفضل اتباعه
فالكل معترف بارتفاعه وارتقائه بانواع المعجزات الفائقة وكرامات
اللائقة والعنايات السابقة في الازلية السابقة فلم يكن احد
عند ربه افضل منه واكمل عنه فسبحان من اكرم رسوله واحترم
نبيه بما هو يرضى به وارضى عما هو عنه واثنى عليه بقوله انك
لعلى خلق عظيم قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد رح في تفسيرها
انك لعلى دين عظيم لا دين احب عند الله منه لان الدين عند الله
الاسلام فرضي به ولا ارضى منه عنده وقال الحسن البصري
قال علي القاري رح في شرح الشفاء ان ام الحسن خدمت لام حبيبة
من زوجات المطهرات فتولد عندها فسماه النبي صلى الله عليه وسلم
بالحسن لحسن صورته ودعى له بالعلم والزهد والتقوى فكان
كما دعى له وتمنت ام حبيبة باتيان اللبن فكانت امه من الرضاع
فدعى صلى الله تعالى عليه وسلم فكثرت اللبن وهي عجوزة رضي الله
فارضعت فكان ابنه من الرضاع فتربى عند النبي صلعم فلم يعد
من الصحابة لصغره وعدم تميزه بين الايمان وغيره عند انتقاله
صلى الله تعالى عليه وسلم لكن عده من جليل التابعين ولمظهره
الى ادعية سيد الانبياء وسند الزوجات ام المؤمنين والمؤمنات
صلوات الله وسلام على نبينا محمد وآله واتباعه واشياعه
وانصاره واصهاره وزوجاته وامهات المؤمنين فيسرنا الله تعالى
شفاعتهم بعنايته وكرمه آمين هو قال ادب القرآن بما امره الله
بقوله خذ العفو بفرط احتمال اذى الكفار وحسن المعاملة

كان الحسن البصري [illegible]
عند النبي [illegible]
[illegible]

لمذآراة اهل النار والاكرام فى مقابلته والانعام مما يجرمونك فيه
والعفو عما فعلوا فيك من الافعال والاعمال والاقوال عليك وامر
بالعرف وهو كل ما يعرف من الشريعة من الاوامر الشريعة والنواهى
الردية ابتداؤه بالايمان وما يتعلق به من الديانات والطيبات
والاعمال الصالحات وانتهاؤه بدخول الجنات العاليات واعرض
عن الجاهلين الكافرين كابى جهل واعوانه المؤذى اليك واصحابك
بما يصدر منهم من السوء والاذى فاحلم عنهم ولا تغضب عليهم
روى انه لما نزلت قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض
عن الجاهلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هذا
قال لا ادرى حتى اسئل ثم رجع فقال ان ربك يامرك ان تصل
من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال ابن عباس
والسدى والضحاك والكلبى يعنى خذ ما عفى لك من الاموال وهو الفضل
عن العيال وذلك معنى قوله ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو
قيل نزولها قبل آية السيف والمقاتلة ثم نسختها آية السيف
وقيل اعرض عن السفهاء فلا تقابلهم بالاكرام والسلام كما فى
فى قوله تعالى واذا خاطبهم اى عباد الرحمن وافاضل العباد الذين الذين
الذين يمشون على الارض هونا اى ذوى سكينة ووقار وولين
ولا يسفهون مثلهم وان سفهوا عليهم الجاهلون بما يكرهون به قالوا
سلاما قولا يسلمون فيه عن الاثم وتحملوا عما صدر عن السفهاء
الكافرين ولا يقابلونهم بما صدر منهم لان نفوس الاصحاب لوامة
ونفوس السفهاء امارة فبينهما من الفرق سموات اى يقولون نحن نسلم
منكم تسليما وتحملا ولا نجاهلكم مثلكم فانتم الجاهلون المشركون
الذين لا يميزون بين الحق والباطل وليس المراد السلام المعروف

وهو الدعا

وهو الدعاء بسلامتهم وقيل هذه الاية محكمة لان الحلم عن السفيه
فى مقابلة السفاهة مندوب وليس فيها امارة النسخ الذى
فى الامر والنهى هذا اخبار عن حالهم وقالهم وليس بامر ولا نهى
وقال الحسن البصرى رح المراد منه السلام المعروف بدليل قوله
تعالى واذا سمعوا اللغو اى الشتم والاذى من المشركين اعرضوا عنه
تحلما وتكرما وقالوا اللاغين والشاتمين الجاهلين لنا اعمالنا
الحقة الوسيلة الى رضاء الرحمن والدرجات فى الجنات ولكم
اعمالكم الباطلة الباعثة الى دركات النيران سلام عليكم سلام
توديع وسلام المتاركة اى سلمتم منا فى مقابلة السفاهة الصادرة
من سفهائكم فانا من معاشر المؤمنين المامورين بالاكرام على العامة
فضلا عن الخاصة وبالتخلق باخلاق الله فانكم من معاشر الشياطين
فاللغويات الشيطانية لبناسكم الا ان حزب الله هم المفلحون
وحزب الشيطان هم الخاسرون لا نبتغى الجاهلين اى لا نحب
المتدينين برسوم المشركين ولا نريد ان نكون من اهل الجهل والسفهة
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون فقيل ايضا منسوخة
باية السيف فعلى هذا ليس المراد به سلام التحية المشهورة بين
المؤمنين وهو الدعاء بسلامة المؤمنين فى الدارين وهذا الدعاء
ليس يليق للكفار وهم اعداء الله لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا
ولا يخفف عنهم من عذابها ومن هذا ذهب بعض العلماء على ان لفظ
السلام يقال على المؤمن بنية دعاء سلامة الدارين فهذا السلام
يسمى سلام التحية المباركة المامورة بقوله تعالى واذا حييتم
بتحية على وزن تفعلة من الحيوة قلبت الواو ياء لاجتماعهما
فى كلمة واحدة مع احدهما بالسكون فادغمت بعد نقل حركة الياء

الى الحاء المهملة في الياء فصارت تحية فقال حييت قلنا اى قلت له
حياك الله اى جعل لك حيوة ابدية مع الدولة الابدية والسعادة السرمدية
فهذه التحية بمعنى الهداية على اجتهاد الامام الاعظم فمعناه على هذا
اذا اهديتم بهدية فاهدوا الى صاحبها باحسن وافضل منها زيادة عليها
او ردوا امثلها وكافؤها بمثلها رحمة وشفقة للاخوة من المؤمنين
كما روى عن جرير بن عبد الله رض انه قال قال رسول الله صلعم من لا يرحم
الناس لا يرحمه الله تعالى رواه البخاري ومسلم والترمذي فالهدية
وسيلة الى شفقة الوالدين والاساتيذ الكرام والاصدقاء العظام
والجار ذى القربى واليتامى خاصة لما روى عن ابن عباس رضيهما انه
قال قال رسول الله صلعم من ضم يتيما من يتامى المسلمين الى طعامه
وشرابه حتى يغنيه الله تعالى وفي رواية اوجب الله له الجنة البتة الا
ان يعمل عملا لا يغفر له وهو الشرك رواه الترمذي رح وعن ابن عمر
رضيهما انه قال قال رسول الله صلعم ان احب البيوت الى الله تعالى بيت
فيه يتيم مكرم رواه الطبراني والاصفهاني وعن ابى هريرة انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير بيت في المسلمين بيت فيه
يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه
رواه ابن ماجه فالنسبة بين الصدقة والهدية عموم وخصوص
مطلقا فكل صدقة هدية وليس بعكس وذهب اكثر المفسرين فيما
ان التحية هنا بمعنى الدعاء بتحية السلام للمؤمنين فعلى هذا معناه
اى اذا سلمتم بدعاء التحية والسلام وهو حيوة الدارين بان يقال
السلام عليكم وان كان منفردا باعتبار الملئكة معهم من الحفظة
وغيرها منهما فحيوا باحسن منها بان يقال وعليكم السلام رحمة الله
فاذا قيل السلام عليكم ورحمة الله فيقال وعليكم السلام ورحمة

وبركاته

وبركاته او ردوها على حذف المضاف اى ردوا امثلها او وفيه للتخيير
بين الزيادة والرد بان يرد على المسلم مثل الذى قاله بان يقال السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته فيرد مثلها وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته
ولا يزاد عليها لما روى ان رجلا سلم على ابن عباس رضيهما بالزيادة
على الكلمة الثلاثة فقال ابن عباس رضيهما ان السلام انتهى الى
البركة فالزيادة بدعة وان كان من الحسنة لانه دعاء للمؤمن بعدم
الوقوع في السيئة ولما روى عن عمران بن حصين رض ان رجلا
جاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه فقال
عشرة ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فقال
من الحسنات
عشرون ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه
من الحسنات بعشر امثالها
فقال ثلثون وذهب الجمهور ان السلام سنة كفاية حتى اذا سلم
احدهم من الجماعة سقط عن الآخر كما ان رده فرض كفاية بدليل الامر
الذى للوجوب بحيوا او ردوا وقيل معناه اذا سلم بكلمات الثلاثة
فردها بمثلها دفعة فلا ترد عند الخطبة وقراءة القرآن جهرا
والحمام وقضاء الحاجة وعند المشغلة بتعليم العلوم الشرعية والاذان
والاقامة فاذا سلم لا يرد ونحوها والانتظار شرط فلا يسلم
على غير المنتظر وروى ابا يوسف اسمه يعقوب الاصفهاني من اعلم
تلاميذ ابى حنيفة امام الهدى ومقتدى الائمة العلي عليه الرحمة
والغفران انه لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد
على الحاجة والمشغول في الحمام وغيرها والعاري من غير ضرورة
وروى بعض العلماء السلام على الطهارة ويسلم على زوجته
لا على الاجنبية الشابة الا المسنة الامينة ويسلم الماشي على
القاعد والراكب على الماشي والاعلى على الادنى وراكب الفرس

على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر ويبادر الى اهل
الاسلام ولا يبدؤا اهل الذمة الا بالسلام المودع والمتارك عند
الضرورة واقتضاء الحال اذا كانت ثمة ضرورة لما روى عن ابي
هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى
تحابوا اولا ادلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم
وروى عن عبد الله بن عمرو رض ان رجلا سئل رسول الله صلعم
اي الاسلام خير اي اي خصال خير قال تطعم الطعام وتقرء السلام
على من عرفت ولم تعرف رواه البغوي وذهب بعض العلماء الى ان
السلام باللفظ المشهور يجوز ان يقال على الكافر فيقال له بالسلام
المودع والمدافع والمتارك اذا اقتضت الضرورة وان وافق
لفظه بمعنى التحية المباركة اللايقة لاهل الايمان دفعا للضرورة
لقوله تعالى ليس عليكم في الدين من حرج فلذا جوز بعض العلماء الفقهاء
السلام العبارة عن جلب المنافع الدنيوية وعن دفع الضرورة
الدينية في الدنيا الدنية لاهل الذمة من الكفرة بمقتضى الحال
والله اعلم بالمآل لما روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان اليهود اذا سلم عليكم احدهم
فانما يقول السام عليك فقل عليك وفي رواية فقولوا عليك مثله
رواه البغوي في المعالم قوله فقل عليك اي عليك ما تقول من السام
والموت من المهلكات بغير الواو ولانها للجمع فتقتضي الرضاء معها
ومن شمائله الشريفة انه كان صلى الله تعالى عليه وسلم رجل الشعر
بفتح الراء وكسرها وسكون الجيم وفتحها اي بين الجعودة والسبولة
اذا افتر اسنانه اي اذا انكشف وابدى اسنانه حال كونه ضاحكا

او مبتسما بتشديد الراء من الافترار وهو الانكشاف والاسنان
جمع السن في اعلى الفم واسفله افتر عن مثل سنا البرق بالقصر والمد
قيل بالاول الضوء وبالمد الشرف والعلو اي شبه ضوئه وعن مثل حب
الغمام السحاب والحب وهو البرد بالفتحتين اي مثله في البياض
والصفاء وامتزاج الماء وقيل اول الماء وقيل اول ما يضحك تلألؤه
كالبرق وان بدت اسنانه فهو كالبرد اذا تكلم رئي كالنور يخرج من
ثناياه رئي بكسر الراء وسكون الياء وفتح الهمزة ويروى رئي مجهولا
بتقديم الهمزة من الرؤية وهو ظاهر والاول من قبيل القلب دخل فيه
الاعلال قال بعض المحدثين وهو الافصح فالمعنى ظهر شيء مثل النور
من ثناياه اي يبدو منها او من اثنائها لكثرة بياضها وشدة صفائها
او يحمل هذا على التشبيه البليغ بما تكلم صلى الله تعالى عليه وسلم من الا
حاديث النبوية والاحكام الشرعية كانه كلما تكلم يخرج من فاه وثناياه
نور الله الذي يهدي به العباد ويبعث به الى يوم التناد فعلى هذا
يحمل على الاستعارة كما رواه الترمذي بهذه المعاني الشبيهة
والمباني اللطيفة احسن الناس عنقا لا اعتداله في كماله وحسنه
وجماله من نظره يستعجبه من عناية الله تعالى اليه في كل الوجوه ليس
بمطهم بتشديد الهاء المفتوحة اي لم يكن مدور الوجه على ما في
الصحاح وغيره وقيل لم يكن بالسمين الفاحش ومنتفخ الوجه وقيل
ليس بالنحيف المهزول ولا بالجسيم ولا بمكلثم بفتح المثلثة اي ليس
بجتمع لحم الوجه بل مسنون الوجه فالحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم
لم يكن وجهه المباركة مفرطا في الاستدارة ولا في الاستطالة بل
كان بينهما وهو المرغوب بين الخلايق اذ فيهما نوع التباين ليس
كما في البين متماسك البدن اي معتدل الخلق فكان اعضاؤه يمسك

بعضها بعضًا لقوتها وعدم استرخائها لم يضره السن الذي من شأنه
ان يسترخي اللحم فيه بخلاف الشباب ضرب اللحم اي خفيفه ولطيفه
لا يابسه وكثيفه وقيل هو اللحم بين الجسمين لا بالناحل ولا بالمطهم
او قليل لحم البدن لا الى حد الهزال وهو يمتزج به وهذا معنى لحيمه
بين الجسمين وقيل معنى ضرب اللحم لم يعرض له الفتور كما يشاهد
في كبير السن فلحمه صلعم في حال الشيبوبة والوفاة كحال الشباب
في الحيوة في قوته وجميع احواله لم تتغير عنه شيء عند الشيبوبة الى
الوفاة كما تتغير جميع الناس فيها فهذه معجزة وخاصة له صلى الله
عليه وسلم تسليمًا كثيرًا الى ما شاء الله تعالى قال البراء رض ما رأيت
من ذي لمة بكسر اللام وتشديد الميم وهي شعر الرأس ما يجاوز شحمة
ويلم بالمنكبين في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ويشهد هذا انه ثوب واحد بسبب الوصف بالحمراء التي هي مؤنث
احمر من الصفة المشبهة مع ان اهل اللغات اتفقوا انها لا تطلق الا على
الثوبين بشهادة الحديث الآخر وعليه حلة اتزر باحديهما وارتدى
باخرى ويمكن الجواب منه ان الوصف باعتبار اللفظ لا بالمعنى وكفى
دليلا لمن جوز لبس الاحمر بلا كراهة كما ذهب اليه الامام المالكي
والشافعي رحمهم الله تعالى نظرًا الى ابتداء اللبس وكراهة الحمرة والصفرة
عند الامام الاعظم نظرًا الى طرحه مع الغضب حين اللبس ومنعه
عن اللبس في الانتهاء بالاحاديث الصحيحة فغضبه ومنعه شاهدا
على الكراهة اما تحريمًا على رواية وتنزيهًا على الرواية الاخرى فعلى
الاول يلزم اعادة الصلوة التي اقيمت باللباس الاحمر وعليه اكثر
الفقهاء العراقيين وعلى الثاني فلا وللاول رحمة على اهل التقوى وللثاني
شفقة على اهل الفتوى فعلى الاول ذهب امامنا الاعظم رحمه الله تعالى

عليه

عليه فعليه التقوى والفتوى وعليك بمذهبك وان كان اتفاقهم
حجة قاطعة واختلافهم رحمة واسعة فليرجع الى المطولات لتندفع
الشبهات وفي القاموس الحلة بالضم ازار ورداء برد او غيره فلا يكون
الحلة الا من ثوبين او ثوب له بطانة قائمة مقامهما كذا قاله الخليل
وغيره لان واحدة تعد ثوبا آخر قبل الارتباط والاختياط ويمكن
الجواب عن ذهاب الشافعي ومالكي رحمهما الى عدم الكراهة في لبس
الاحمر بالنظر الى الحديث المجوز ابتداء فهو كاف مع قطع النظر عما
ورد فيه انواع من الخبر والاثر مما يدل على كراهة لبسه في الحضر
والسفر مع ان الحديث ليس فيه تصريح بانه صلى الله تعالى عليه وسلم لبس
الاحمر مع الرضاء الاكبر بل يدل على ما رأى من كان صاحب لمة ولابس
حلة حمراء مع الحسن في تلك الحالة على غاية من الصفاء فنفى ان يكون
احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على اي لبس كان وعلى تقدير
لبسه ثم على تسليم لبسه الاحمر تعارض دليل منعه لما روى عن رافع
بن يزيد رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الشيطان
يحب الحمرة فاياكم والحمرة وكل ثوب ذي شهرة وروى عن عمران بن
حصين رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اياكم والحمرة
فانها احب الزينة الى الشيطان وروى عن ابن عمر رضيهما انه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اياكم والمعصفر والاحمر وروى
عن ابن عمر رضيهما انه قال نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
عن المعصفر والمزعفر والمورس والمحمر وعنه ايضا انه قال رأى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ثوبين معصفرين فقال
القهما فانها ثياب الكفار وروى عن ابن عمر رضيهما انه قال ايضا
رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثوبا مصبوغا بعصفر فقال

ماهذا فعرفت انه حرام فانطلقت فاحرقته وروى عن ابراهيم الخندقي رح حدثتني عجوزة انها قالت كنت ارى عمر بن الخطاب اذا رأى على الرجل الثوب المعصفر والمزعفر والمورس والمحرض بيده وقال دعوه فانها ثياب الكفار كذا في مواهب الرحمن وفيه نص على الحرمة وان جوز لبسه ابو الاخلاص حسن بن عمار الشرنبلالي الحنفي مذهبا مخالفا للامام الاعظم رح استشهادا بحديث صحيح رواه البراء بن عازب رض بانه قال ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رواه البخاري ومسلم والحاكم ابو داود البيهقي واحمد بن حنبل رحمهم وروى عن عون بن ابي جحيفة رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم البس حلة حمراء رواه الحاكم والطبراني وروى عن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما انها قالت ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يلبس الاحمر في العيدين والاصفر ليلة القدر ولبسهما يوم الجمعة فتعارضت الادلة في الحل والحرمة بعدم التيقن في تاريخها مقدما او مؤخرا فيحمل كل ما مؤذ بوسعه وفهمه فمن ذهب الى الاول فجوزه كالمالكي والشافعي رح ومن ذهب الى الثاني فكرهه فامامنا الاعظم ابو حنيفة الكوفي اشتبه في التاريخ مع سقوط الاستشهاد بتعارض الادلة الصحيحة فبقيت صفتها في الكراهة اما تحريما لشدة الزجر البليغ بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اياكم والحمرة فانها زي الشيطان وكسوة النساء فيكره التشبه بهن بالاتفاق فالى هذا مال ابو حنيفة رح وجمهور الفقهاء في المتون بكراهة الاحمر والمعصفر والمورس وصرحوا في كتبهم ومؤلفاتهم كالامام المحيط البرهاني والسرخسي والسراج الوهاج والمختار والتنوير الابصار وغيرهم واما تنزيها فاليه ذهب البعض

فعلى

فعلى التقدير الاول يلزم الاعادة في كل العبادة التي اديت مع الكراهة التحريمية لانها قريبة الى الحرام الصرف دفعا للاشتباه تتميما وتأكيدا مع عدم الفساد عند البعض لترتب النقصانية وتكميل الثاني اليه وعلى التقدير الثاني لا يلزمه الاعادة لقربه الى الحلال الصرف فصحت الصلوة مع النقصان فلا اعادة معها كما بين في الاصول فمذهب الامام الاعظم اولى بالتقوى وعليه او لو البصائر والفتوى فالاتفاق حجة قاطعة من العلماء والاختلاف رحمة واسعة من الفقهاء يسر الله لنا شفاعتهم وحشرنا معهم في الغرف العاليات من الجنان الباقيات الصالحات ومن شمائله ما رواه ابو هريرة قال ما رأيت شيئا احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلألؤ في الجدر جمع الجدار وقال جابر بن سمرة رض وقال له رجل كان وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا رواه الشيخان وقالت ام معبد بنت ابي ايوب الانصاري اسمها عاتكة رض في بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه من قريب رواه البيهقي وقال ابن ابي هالة رض واسمه هند ربيب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وابن خديجة الكبرى رضي الله تعالى عنه من زوجها المتقدم وهو ابو هالة في وصف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي بن ابي طالب كرم الله تعالى وجهه في اخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله رواه ابو الفضل القاضي عياض رح والاحاديث في وصفه كثيرة مشهورة كالشمس وضحيها وكالقمر اذا جليها في اعين الناس اخفيها واجليها فاذا شاهد الاحبار والرهبان من حساد علماء اليهود

قوله مع عدم الفساد عند البعض واما فساده عنده فيكون الاعادة عين الفرض مجازا فالعدم ... النقصان ... الصلوة مع النقصان

والنصارى هذه الصفات الجليلة والجمال العلية كتموا ما فى الكتب
المنزلة من معجزاته العزيزة وكراماته اللذيذة وتطرقوا فى الحيل والكلام
فى الملل ارادة اطفاء الشريعة الغراء والحنفية السمحة البيضاء
وهم الذين قال الله تعالى فى كتابه فى ذمهم وبيان احوالهم الذين آتيناهم
الكتاب اى علماء الكتب السماوية نزلت حين انكرت اليهود عليهم
ما يستحقون بنعت محمد وبعثته وصفته وكونه خاتم الانبياء وبمه
الشريف المبارك فى الكتب الالهية المنزلة عليهم خاصة فى التورية
قال الامام الكلبى اشتهر بقبيلته وهو عبد الله بن السلام ومن
تبعه من المؤمنين العلامة فى علم التورية اعلم الاحبار واستاذهم
معتبر عندهم فى العلم والعمل والتقوى والفتوى وكذلك فى علم القرآن
واحكامه والاحاديث واصنافها انهم يعرفونه محمدا وان لم يسبق
ذكره لدلالة الكلام فى السباق والسياق عليه وقيل لغيره مما امر به
من الاحكام الفرضية والتكاليف الشرعية وتحويل القبلة وتغير
ما فى التورية ونسخ ما فى الكتب المنزلة بالمطالعة والقراءة وببعثه
وخيريته مع الامم المبرورة الموعودة بالجنات المسرورة فى الغرفات
مع ايمانهم قبل البعثة كما بينهم الله فى كتب المنزلة كما يعرفون ابنائهم
حيث لا يشتبه عليهم اذا رأوهم وفى تخصيص الابناء من المعرفات
غاية تحقيق ونهاية ذم واعلام بانهم فى اشد العذاب فى النار كما انهم
فى اشد العداوة فى حيوتهم فلو عمر والف الف سنة ليعتوا فيها
جزاءهم وفاقا اذ الجزاء من جنس العمل وثمرة الامل فلذا خلد المؤمنون
فى الجنات العاليات والكافرون فى الدركات السافلات فنية
المؤمن خير من عمله كذا فى البخارى لان اعماله قليلة فى الاعمار
القليلة وما يتصف به من النية كثيرة الى غير نهاية فكذلك جزاؤه

فنظهر

فنظهر خيرية النية من العمل بالزيادة كما رأيناه فى الزيادة بكرمه
تعالى لانه تعالى ارحم الراحمين فكذلك نية الكافر شر من عمله اذ الخلود
فى النار بالكفر القليل فى الدنيا اشر الشرور وهى نيتهم فى الكفر والضلالة
لو فرض عمادهم بلا نهاية فهذه اثرها اذ الجزاء من جنس العمل فنعوذ
بالله تعالى من شر الغرور وسأل عمر بن الخطاب رض عن عبد الله بن
سلام عن كيفية هذه الآية العزيزة ومعناه فى التورية وذكره
فقال عبد الله بن سلام رض والله لقد كنت عرفت محمدا اشد
معرفة منى بابنى لان نعته فى كتابنا وما ادرى ما احدثت النساء
بعدى فقال له عمر بن الخطاب رض فى الدعاء اقر الله عينيك
يا عبد الله ووفقك الله تعالى يا ابن سلام كنت اقررت وشهدت
على ما شاهدت تاركا الحسد والعناد وهما السببان المستقلان
فى دخول النار مع اهل العناد وان فريقا منهم من معانديهم
وحسادهم خائفين عن زوال دنياهم ليكتمون الحق وهو شأن محمد
ونعته ومبعثه وكونه خاتما وخيريته مع خيرية امته فيسترونه
ويكتمونه وهم يعلمون الحق كما يعرفون ابناءهم وآباءهم مما يتعلق بهم
لفظا ومعنى لانه تعالى بينهم فى كتابه وعلمهم بواسطة نبيهم وهو
الحق كائنا من ربك وهو من ربك هذا التخصيص لمن عاند واستثناء
لمن آمن واقر كعبد الله بن سلام ومن تبعه من علمائهم المؤمنين ازلا
ابدا فاللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول صلى الله تعالى
وسلم والحق الذى يكتمونه واما للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه
من الله كالذى انت عليه لا ما لم يثبت كالذى عليه اهل الكتاب
من عبوديته اللات والمنات والعزى من الاوثان وقرئ بالنصب
على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين

اى الشاكين فيما اخبرت والمرية الشك ومنه الامتراء والتمارى والخطاب
للرسول صلى الله اما لتحقيق الامر بانه بحيث لا يشك فيه ناظر او
للامة باكتساب المعارف الالهية فى الاسرار القرآنية المرجحة للشك
الرديد على الاوجه الابلغية فلاجل كتم الحق من صفاته العلية
خوفا عن زوال مناصبهم ورياستهم فى الدنيا الدنية الزائلة سقطوا
فى طرقات الحيل فى جميعه الملل وافتروا على الله الكذب وعيروا
نبيه صلى الله تعالى عليه مشتملة بانواع الاذى كلها بدل الموت والبلى
واصحابه رضى الله عنهم اجمعين باشد العداوة القصوى فانزل الله
تعالى هذه السورة المبينة حالهم فى دنياهم وعقباهم بقوله ويل لكل
همزة لمزة قال اهل اللغات الهمزة الكسر كالهزم واللمز الطعن كالهمز
والهاء فيهما للمبالغة وهما على وزن الفعلة اذا فتحت عينها فهو الذى
يفعل لغيره كضحكة الذى يضحك لغيره واذا سكنت عينه فهو الذى
يضحك له غيره فعلى الاول يكون ضاحكا وعلى الثانى مضحوكا من غيره
وهما نعتان للفاعل على الاول كسخرة بالفتح فيكون ساخرا لغيره
واذا كان بالسكون كسخرة يكون نعتا للمفعول كمسخور من الغير ثم
شاعا فى الكثير من اعراض الناس بالطعن فيهم والاذى باشارة العين
والحاجب والرأس والاغتياب والاعتياب وباشارة اليد وتكلم
باللسان فى المواجهة والغيبة والجهر والستر والمشى والنميمة
المفرقة بين المرء وزوجته والاحبة وهذا البناء يدل على الاعتياد
اذ لا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود بان ذلك عادة
مستمرة حيث لا يخلو منه اى وقت كان كما هو حال السفهاء المتعو
المتعتدون قال الامام الكلبى وهو عبد الله بن سلام رض نزلت
فى الاخنس بن شريق ووهب الثقفى انهم كانوا من سفهاء المشركين

المتعوذين فى اعراض الناس وغيبتهم وقال ابو مغازة محمد بن اسحاق
رح من اجل التابعين حضر فى غزوات كثيرة نزلت فى امية بن خلف
الجمحى وقال الامام مقاتل وهو ايضا من اجل التابعين صاحب التفسير
فى الوليد بن مغيرة كان يغتاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من ورائه
ويطعن فى وجهه واصحابه العظام وقال الامام مجاهد رح وهذا
ايضا من اجل التابعين صاحب التفسير وعظمه بن عمر رض تعظيما
كثيرا واخذ بركابه تكريما وتوقيرا وقال انما اعظم علمك وحفظك
وخدمتك فى الشريعة الغراء هى عامة فى جميع من كانت هذه صفته
فحكمها عام وان كان المورد خاصا كما هى القاعدة فى جميع الآيات
التى انزلت كلها لسبب واحد لانها شاملة فى الجميع الى يوم القيام
فلو خص لانتهى فاللازم باطل وكذا الملزوم لزجر كل من باشر
هذا الفعل الاشنع والاقبح اللائق لاهل النار من اعداء الله ذو عيد
فى مقابلته اشد النار كما سبق فى معنى الويل فى اول السورة فقال
بعض المفسرين الهمزة من يعيب المومن من ورائه واللمزة من يعيب
المومن فى الوجه دون الغيب وقيل بالعكس فعلى اى المعنى هما
معذبان فى اشد العذاب الذى لا يتحمله اهل النار بما تحمله كل
همزة ولمزة الذى جمع مالا بدل من الكل او منصوب على الذم
او مرفوع على الذم قرأ ابو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائى
بالتشديد والباقون بالتخفيف قال الامام الفراء ابو الامام
البغوى فعلى التشديد بمعنى احصى على التكثير وعلى التخفيف
بمعنى حفظ فالمعنى ويل للكل من جمع واحصى وحفظ اموال الدنيا
الدنية وعدده اما من العدد او من الاعداد اى الاحضار للنوازل
فى الدهور وتشييد البنيان وعمارة الارض وغرس الاشجار وعماله

اوجعله عدة ومحصى ومهيئا وعدة مرة بعد اخرى يقال اعددت
للشئ وعددته اذا امسكته ولم تاكل ولم ينفق في الله تعالى على العباد
بل كنزه واحصى متهيئا على الفساد وصرفه له من قولك فلان ذو عدد
وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار والاعوان وقيل هو فعل
ماض بفك الادغام ويؤيد قراءة الانفكاك عن الادغام فهذه
كلها دالة على الامساك كما في قوله تعالى في سورة المعارج وجمع
فاوعى اي جعله في الوعاء ولم يؤد حق الله تعالى بل امسكه امساكا
لا يفارقه الا الموت والفساد قال الامام المقاتل بن حبان
في تفسيره هذه السورة نزلت في اخنس بن شريق كانت له اربعة
الاف دينار يفتخر بها كل يوم وان وعدده لكثرة المعدودة وعلم
للوجوه المتهيئة عنده هذه لكذا وهذا لكذا من العدة اي ارصده
واعده يحسب اي يعمل عمل من يظن ان ماله يبقيه حيا والاظهار
في موقع الاضمار لزيادة التقرير وقيل طول المال امله ومناه
حتى اصبح لفرط غفلته فهذا الحال نهاية الحمق مع رؤية امثاله
من العليا والسفلى وليس وراء غواية وضلالة اشد وادنى
ويظن في الدنيا ذلك الهمزة واللمزة ان ماله الذي جمعه واحصاه
وعدده اخلده اي تركه خالدا في الدنيا مع يساره خاصة ولا
يفتقر ولا يموت اصلا وحبه اغفله من الله تعالى وحكمه وغضبه
فحسب انه مخلد فعمل عمل الباقي الذي لا يلحقه الموت وقيل هو
تعريض بالعمل الصالح والزهد في الدنيا وانه هو الذي اخلد
صاحبه في الحيوة الابدية والنعيم السرمدية واما المال فليس
بخالد ولا مخلد وفيه ايماء وتعريض بان الخلود في الدارين اي
دار الجنة ودار النار مسبب لهما ما دام صاحبه فيه في حيوة ايا ما

كان

كان وانما قال بالماضي دون المستقبل لان الكافر الجاهل يظن لمن
المال عنده للحال موصوفا بهذا كان ماله حكم له بالخلود وامنه
من الموت وهذه نهاية الحمق مع رؤية الامثال في الدنيا وعدم الفكر
في الموتى وهذا الحال كثير في زماننا في اهل الاسلام فضلا عن الكفرة
الفجرة العندة فصاحب هذه الطبيعة فرعون ونمرود وشداد
لعنهم الله تعالى فانهم ظنوا كذا وكذا وفسدوا في الدنيا فسادا عظيما
حتى ادعوا الالوهية وتركوا العبودية وامروا المخلوقات بالعبودية
فمن اطاعهم كفر بالله تعالى وسلم من العذاب منهم والقتل ومن لم يطع
ابتلى بالعذاب والقتل كام المؤمنين آسية ٣ فامنت الى موسى النبي
عليه السلام فماتا شهيدا فبين الله تعالى في كتابه واثنى عليهما بقوله
وضرب الله مثلا اي مثل وجعل مثلا للذين آمنوا لمحمد صلى الله
تعالى عليه وسلم واوذوا وقتلوا وشبه حال المؤمنين بحالهما بحيث
لا يضر المؤمنين كفر من قرب منهم كما لا يضر كفر فرعون امرأة آسية
بنت مزاحم قال المفسرون فلما غلب موسى النبي السحرة حين جمعوا
فقالوا يا موسى اما ان تلقي اي تطرح عصاك على الارض وانما قالوا
تأدبا وبالهام الله تعالى لهم واما ان نكون اول من القى منا آلته وحباله
على الارض قال موسى مجيبا لسؤالهم ودعاء لايمانهم ببركة الهمة
العلية بل القوا ليس هذا امرا بفعل السحر بل كان للاحترام فانهم
ببركته اي انتم مؤمنون متدينون بعد رؤية علامة النبوة فسترون
حالكم فكان وعيدا على السحرة بالاخافة ووعدا بالايمان والشهادة
فاصبحوا كافرين فامسوا وماتوا مؤمنين شهيدين فظهر الحق وزهق
الباطل فاذا فاذا للمفاجاة والتحقيق انها اسم ظرف فيه تستدعي
متعلقا تنصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق

فعل المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجا موسى وقت تخيل
سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم والقوا ما معهم من الاباطيل الزاهقة
والافاعيل الباطلة فاذا حبالهم جمع حبل وعصيهم جمع عصى بانهم
لطخوهما بالزيبق فلما القوا ضربت عليهما الشمس واخذت السحرة
اعين الناس وراى موسى عليه السلام والقوم كان الارض امتلأت
بالحيات وكانت قد اخذت ميلا من كل جانب يخيل اليه اي الى موسى
وقومه من سحرهم اي السحرة انها اي الحبال والعصى تسعى اي كانها
رأيت من شعشعتها تتحرك وتضطرب فخيلت انها كانها حية تتحرك
فاوجس في نفسه واضمر فيها خيفة وخوفا موسى من مفاجاته على ما هو
مقتضى الجبلية البشرية او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه فيشكوا
في امره ويتفرقون من قومه مقول القول مقدر اي قال الله تعالى قلنا
لموسى لازالة خوفه ونيل مرامه لا تخف انك انت الاعلى تعليل للنهي
وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستيناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير
وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة
التفضيل والق ما في يمينك من العصى وانما خصص اليمين لان الا
شياء المباركة الصادرة عن الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم
اجمعين من السنن القديمة يلزمها التعظيم والتكريم فلذا قيل
يمينك ولم يقل غيره تلقف بالجزم جواب للامر مشددا او مخففا
وقرئ بالرفع والتخفيف حالا مقدرة من ما او من موسى لان تسبب
التلقف واصله تتلقف فحذفت احدى التائين وتاء المضارعة
تحتمل التانيث والخطاب على اسناد الفعل الى المسبب من لقفته
بمعنى تلقفته وانما ابهم ما في اليمين تحقيرا للحبال الكثيرة وتعظيما
للعود الفريدة اي لا تعتمد بكثرة هذه الحبال العديدة

فان ما في يمينك اعظم واقوى منها حيث تبتلع وتلتقم ما تروّنه
وتخوف منه اي تبتلع وتلتقم ما صنعوا بقدرة الله تعالى لاظهار
امره واجراء حكمه واعلام كذبهم وكفرهم انما صنعوا كيد ساحر
لانهم افتعلوا وزوّروا واخذوا اعين الناس وقرئ بالنصب
على انه مفعول صنعوا وما كافة وقرأ الكسائي وحمزة بمعنى ذي سحر
او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة وباضافة الكيد الى السحر
للبيان كعلم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق
ولذلك قال ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس وتنكير الاول
لتنكير المضاف مع ان القصد فيه ايضا الى الجنس وهو مقتضى
تعريفه الا انه لو عرف لصار المضاف ايضا معرفة والمقصود
تنكيره لان المراد به نوع من الكيد وهو السحر وانما نكر ليتوسل
تنكيره الى تنكير المضاف وليس المنافاة بينه وبين ارادة الجنس
كقوله العجاج يوم ترى النفوس ما اعدت في سعي دنيا طالما
قد مدت حيث اتى كان اين اقبل قيل معنى السحر العلم والحذاقة
بالشيء كما قال الله تعالى وقالوا يا ايها الساحر اي العالم والصحيح
ان السحر عبارة عن التمويه والتخييل ووجوده حقيقة عند اهل
السنة وعليه اكثر الامم ولكن العمل به حرام ووجود اثر السحر مستندا
الى نفسه مغرورا الى حذاقته باختلاف اجراء الصناعة ودرك
دقايق الحذاقة وحقايق معارف الاساتذة مدعيا من اختراع
نفسه ومتكفلا الى تاثيره وايجاده وابداعه دونه تعالى نسيا
منسيا كفر وضلالة وشرك وغواية وكذلك تعلمه للعمل
على المنوال المذكور كفر وشرك ولكن يجوز التعلم لاجتنابه
واستخلاصه عن مكره وضرره وليس بكفر بشرط ان يعلم ويعتقد

ان المؤثر الحقيقي هو الله تعالى وانما هو سبب من الاسباب المعلقة كالابوة والامية للولد مع انهما من مخلوق الله تعالى دون خلق الساحر ولا يكفر للتشريك معاذ الله تعالى وحكى عن الامام الشافعي رحمه انه قال السحر يخيل ويمرض وقد يقتل حتى اوجب القصاص على من سحره وقتله فهو من عمل الشيطان يتلقاه الساحر من تعليمه اياه استدراجا له فاذا تلقاه منه استعمل في غيره ويخلق الله تاثيره بصرف الارادة الجزئية كما في غير الاسباب الظاهرة لانه خالق الخير والشر وليس المؤثر الحقيقي في كل الاشياء الا هو ووجوب القصاص ليس الا بكسب القاتل بالسيف الهالك والا ففي الحقيقة المميت هو الله كما هو المحيي وقال بعض العلماء انه يؤثر الاعيان فيجعل الادمي على صورة الحمار والكلب وبالعكس والاصح الاول انه تخييل وتمويه اي كانه يرى كتموج الماء وشعشعة الشمس والنار ولا يبعد ان يحصل منه سبب اخر كما حصل من امرار السيف للقطع والاسباب كلها من المخلوقات والموجودات لله تعالى كما قال الله تعالى يخيل اليه من سحرهم لكنه يؤثر في الابدان بالامراض والموت والجنون وللكلام المهملات التي استعملت السحرة وقت السحر تاثير مجازي في النفوس وقد يسمع الانسان ما يكره فيحمى ويغضب وربما يحتم منه وقد مات قوم اذا سمعوه فهو بمنزلة العوارض كالالات الجارحة والعلل التي تؤثر في الابدان من الاسباب الظاهرة المعلقة بها الاشياء الكثيرة فالسحر فعل شيطاني لا يفلح صاحبه ابدا ولا ينجو من عذاب الدارين ولا يسعد في الكونين الا من تاب ووفق بتوفيق الله تعالى كما وفقهم الله تعالى قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا هؤلاء السحرة في اول النهار من شيعة فرعون وخدمه وعبدته اكثر من خمسين سنة واخر

[illegible]

النهار

النهار الشهداء من اهل الجنة واختلفوا في عدد السحرة التي جمعهم فرعون من مملكة المصر والصعيد حين رأى من قدرة الله تعالى وسلطانه في موسى عليه السلام وعصاه فلم يترك ساحرا الا دعاه مع معلمه فاتى بهم فوعدهم بانواع النعم بان لا تقابل بموسى عليه السلام الا بمن هو اقوى منه قال الامام المقاتل رح كانوا اثني وسبعين واثنان منهم من القبط وهما رؤساء القوم وسبعون من بني اسرائيل وقال الامام الكلبي اي عبد الله بن سلام رض كان معلمهم رجلين مجوسيين من اهل نينوى من بلاد موصل وكانوا سبعين الفا وقال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين الفا فلما اجتمعوا جاؤا الى فرعون فقال لهم اجتهدوا ان تغلبوا موسى عليه السلام قال ابن عباس رضي الله عنهما وافق ذلك اليوم يوم السبت في اول يوم من السنة هو يوم النيروز قالوا اي تلك السحرة لفرعون ان لنا لاجرا فالاستفهام محذوف بقرينة القراءة والاية الاخرى والمعنى المفهوم والمقام المعلوم من الحال والمآل والاخبار اوقع للدلالة على ايجابهم عليه اجرا عظيما كانهم قالوا لا بد لنا من اجر كثير لافادة التنكير به وعدم قولهم ان لنا لابلا او غنما والاجر الجزاء بالخير فان الجزاء مشترك بين الخير والشر بحسب العمل والعدل والغلبة المفهومة من قولهم ابطال المقاومة بالقوة اي تعطي لنا اجرا واحسانا واموالا عظيما بحيث تستحقه من غيرنا ولا تعطي الا الينا ولا يقدره الا انت ونحن اذ هذا امر عظيم لا يشبه بما عملنا وهل هذا الا من عند الله لان ما يصدر منا مشتمل على الصنايع كالحبال والزيبق ووقت ارتفاع الشعشعة الشمس للتخييل والتمويه وما صدر من عصى موسى عليه السلام غير مما عملنا ولا نقدر على المقابلة الا لاجل العذاب منك والطمع الدنيوية ان كنا نحن الغالبين له في هذه الجمعية الكبرى مع وجود العلامة القصوى

لانها مع عجز فرعون وعونه عن دفعه عليه السلام وغلبة العصا عليهم

قال فرعون مجيباً لهم عما سئلوه ويرجوه وانكم الواو للعطف
كانه قال نعم لكم ذلك وانكم لمن المقربين الى المراتب العالية التي
تكون فيها الخاصة ولا يحتظي اليها العامة حيث حقق امنيتهم
وزاد على ذلك مالم يتصوروه مع المبالغة بان واللام المؤكدة
للتحقيق اي لا اقتصر على هذا التقدير ولكم الزيادة من التقرب
الى وهو مطلوب الكل لا ارضى لكم ان كنتم صادقين ثم تجمعوا
مع موسى عليه السلام واختاروا الالقاء في العصي ولا تبهم
المزورة ولا لالقاء ارسال المعتمد الى الجهة السفل بقولهم اما ان تلقى
انت واما ان نلقى نحن اولا كما قال بعض المفسرين اظهروا الاقتدا
وقالوا ان بدأت ولا بدأنا مع عدم خوفنا بالاسترحام الينا
فاشملوا ببركة الاسترحام وكانوا من اهل الجنة بايمانهم وهمة موسى
عليه السلام بامر الالقاء هو سبب ايمانهم واظهار مغلوبيتهم وعجزهم
حيث جاوا بالالات عظيمة وسحر عظيم فاوحى الله تعالى الى موسى عليه
السلام بالقاء عصاه فاذا هي تلقف وتبتلع وتاكل فتمثل على صور
الجمل البختي وفي رواية هي حية تسعى له سبعين راس كل راس اعظم
ما يكون قبل ذلك وصار على ظهرها مثل الارجه على اربع قوايم ثم
قام على رجله حتى اشرق وعلى حيطان قصور فرعون بعضها من
الزمرد الخضري والاخرى من ياقوت حمراء يسطح النور في جميع الافاق
ثم ارادت تعنج على يدير فتقلع الصخور في دار فرعون وتهدمها بكل
وتبلعه ثم تنقش في البيوت والخزائن فاشتعلت نارا ثم صارت
رمادا ثم انه مال الى قبة فرعون فضربها بيده فطحنها عن آخرها
ولا يمر على شيء الا ابتلعته والناس يسمعون من حلقه وجوفها
صوت الرعد القاصف والناس يهربون واقبل الى القبة الارجو

التي فيها فرعون فجعلت حنكها الاسفل تحت القبة ورفعت القبة
التي يقال لها الارجوانية الى الهوى ثمانين ذراعا ثم قالت وعزة
رب العالمين لان اذن لي لابتلعتك مع قصورك واموالك
وجميع ما جمعت فلما نظر فرعون الى ذلك وثب على سريره وكان
اعرج بعد واخذت العصى ذيل فرعون حتى رمى بنفسه خلف
السرير ثم قصدت القوم الذين حضروا ذلك الجميع ففزعوا ووقع
الزحام عليهم فمات من ذلك خمسة وعشرون الفا وفي رواية
التفسير التيسير سبعون الفا فقر فرعون باعرجيته فعلموا انه
اعرج لا يقدر على ازالته فكيف يقدر على سائره وكان فرعون
مكث خلف السرير اربعين يوما جوعا وعطشا ومن استدراجه
انه لا يمرض بدنه ولا يسقم ولا يصدع ولا يهرم ومضى على هذا
الاستدراج اربعماة سنة فلما اخذت العصى ذيل ثيابه اخذه
الصداع والامراض حتى قيل اخذه البطن في ذلك اليوم اربعماه
مرة فلم يزل بعد ذلك ان يمرض حتى مات ثم فزع الناس على موسى
واستغاثوا امته وفزع فرعون الى موسى عليه السلام وقال يا موسى
انشدك واسئلك بالذي ارسلك وبحق التربية عندي عند
صغرك والرضاع وبحق آسية فلما سمع ذكر آسية صاحب الحية
وكان اسمها صافورا او ماشا او ابقعه او غيات وعمليق ونادي
اليها واقبلت نحوه كالكلب الذي يكون صاحبه مستانسا فادخل
موسى عليه السلام يده في فمها وقبض على لسانها فعادت عصا فلما
نظر فرعون الى ذلك قد عادت كما كانت رجع الى قصره وقال
يا موسى لقد تعلمت بعدي سحرا عظيما وقال موسى له اسحر هذا
فلم ترحالهم ولا يفلح الساحر حيث اقبل وادبروا واتى وظهر حيلته

فى قومه وكذبه بينهم ثم قال فرعون هل معك آية اخرى قال نعم ونزع
يده اى اخرجها من جيبه او تحت زيله فالنزع عبارة عن اخراج الشى
من مكانه عند اهل اللغة فاذا هى بيضاء للناظرين غالبة بياضها
ونورها على نور الشمس وشعاعها فتعجب منه النظار وتحيروا قال ابن
عباس وغيره رض اخرج يده بيضاء من غير سوء وبرص وقيل ان موسى
عليه السلام ادخل يده فى جيبه او من ابطه فاذا لها شعاع غلب
شعاع الشمس فخروا على وجوههم ثم ادخلها ثم اخرجها فاذا هى
كما كانت فهذه معجزة عظيمة خارقة للعادة من غير ضرر الى العصا
واليد بعد التبدل والتغير وما هما الا من الله تعالى واظهار قدرته
اللايقة للالوهية جلت قدرته وعظمت جلالته ولا اله سواه
فلموسى صلوات الله على نبينا وعليه تسع آيات بينات وعلامات
واضحات وهى العصا وبياض اليد والجراد والقمل والضفادع والدم
ثم اختلف فى الاثنتين الاخريين قال بعضهم فلق البحر وازال العقدة
التى كانت بلسانه وقال بعضهم نتق الجبل وعند الاخرين قحط
السنين ونقص الثمرات كلها معجزات كبرى فلم يعتبروا وحملوا على
السحر حين رأوا وفزعوا واذا غابت قالوا ان هذا لسحر عظيم فالهداية
من الله تعالى كما ان التوفيق منه اللهم ثبت اقدامنا على الهداية
والتوفيق انت الله الهادى نعم المولى ونعم النصير الرفيق روى
ان فرعون كلما رأى آية ومعجزة عزم ان يؤمن لموسى عليه السلام
ومنعه وزيره هامان الملعون وقال له انت اله تعبد واذا انت
تابع تعبد فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام قل لفرعون انك
امنت بالله وحده فاعطاك الله تعالى العمر لك فى ملكك ورد لك
شابا طريا ولا تمرض وادخل الجنة فاستنظر فرعون واخبر آسية

واستشار

واستشارتها فقالت افعل فلا تتوقف فذلك عطاء عظيم ومنن
كريم فلما كان الغد دخل عليه هامان الملعون فاخبر فرعون بما وعد
موسى عليه السلام من ربه فقال له هامان والله ما يعدل لهذا عبادة
هولاء القوم لك يوما واحدا ونفخ فى منخره ثم قال له هامان انا ادر
على الشباب فاتى بالوسمة فخضبه بها وهو اول من خضب بالسواد
فلذلك كره وحرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما روى عن ابن
عباس رضيهما انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكون قوم
يخضبون فى آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رايحة الجنة
رواه ابوداود والنسائى وابن حبان فى صحيحه والحاكم والمستدرك
وقال صحيح الاسناد ولما روى عن عبد الله بن عمر رضيهما انه قال
قال رسول الله صلعم من غير البياض سوادا لم ينظر الله تعالى اليه يوم
القيمة رواه الحرث بن ابى اسامة واما ثواب الخضاب بالحناء فما
روى عن عبد الله عمر رضيهما انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم بشر بواشيبتكم بالحناء فهو انضر لوجوهكم وانقى لثوبكم
واطهر لقلوبكم واكثر لجماعكم واثبت لحجتكم اذا سئلتم فى قبوركم
الحناء سيد ريحان الجنة رواه احمد وابو منصور الديلمى فى مسند
الفردوس وروى عن انس بن مالك رض انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تغيروا هذا الشعر فمن كان مغيرا فليغيرها
بالحناء والكتم رواه ابو منصور الديلمى فى كتابه مسند الفردوس
رح قوله والكتم بفتح الكاف والتاء الفوقانية نبت يخلط بالوسمة
وهى بكسر السين العظيم يصبغ به وروى عن عقبة بن عامر رض
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحناء خضاب الاسلام
يزين المومن ويذهب الصداع ويجلى البصر ويزيد فى الجماع

رواه صاحب الفردوس سُئِلَ انس بن مالك رض كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم خضب فقال لم يخضب لحضابكان في لحيته
شعرات بيض وفي رواية لم يخضب رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم انما كان في صُدغيه شعرات بيض وفي حديث ام سلمة
رض انها اخرجت لهم للاصحاب رض شعرات من شعر رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم حمراء مخضوبة بالحناء والكتم قال ابو الفضل شارح
صحيح مسلم القاضي عياض رح اختلف هل خضب النبي صلعم ام لا
فمنعه الاكثرون بحديث انس رض وهو مذهب الامام المالكي رح
وقال بعض المحدثين بحديث ام سلمة رض هذا اي خذ هذا وبحديث
ابن عمر رضيهما انه رأى النبي صلعم يصبغ بالصفرة والمختار انه صلعم
صبغ في وقت من الاوقات فاخبر كل بما رأى وهو صادق والله تعالى
اعلم وروى عن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان اليهود والنصارى لا يصبغون لحاهم فخالفوهم
اي اصبغوا لحاكم وشعوركم بالحناء ونحوه ما ليس بسواد ولما قيده
لما روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم غيروا الشيب واجتنبوا السواد
وقال الامام النووي من الحفاظ الشافعي رح ان في الخضاب قولا
اصحها ان خضاب الشيب للرجل والمرأة بالحمرة والصفرة مستحب
والسواد حرام وقال الامام البرهاني الحنفي في كتابه المحيط فحرمة
السواد اذا لم يكن في الغزاء واما من اختضب بالسواد في الغزاء
ليكون اقوى واهيب في الاعداء لا للتزين فغير حرام فاجل ما روى
ان عثمان والحسن والحسين رضيهم خضبوا لحاهم بالسواد في الغزاء
كان للمهابة لا للتزين والله اعلم قال ابو الفضل القاضي رحمه الله
تعالى اختلف السلف من الصحابة والتابعين في الخضاب وفي جنسه

فقال بعضهم ترك الخضاب افضل وروى واحديثا عن النبي صلعم في النهي
عن التغيير الشيب ولانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يغير بشيبه
وروى هذا عن عمر وعلي وآخرين رضيهم وقال الآخرون الخضاب
افضل وخضب جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم للاحاديث
التي ذكرها الامام مسلم وغيره في صحيحه ثم اختلف هؤلاء فكان اكثرهم
يخضب بالصفرة منهم ابن عمر وابو هريرة وآخرون وجماعة منهم
خضبوا بالحناء والكتم وبعضهم بالزعفران وخضب جماعة منهم
بالسواد في الغزوات للمهابة لا للتزين وقال الامام الطبراني من
الحفاظ في المعاجم رح ان الصواب ان الآثار المروية عن النبي صلعم
بتغيير الشيب وبالنهي عنه كلها صحيحة وليس فيها تناقض بل الامر
بالتغيير لمن كان شيبه كشيب ابي قحافة والد ابي بكر الصديق رضيهما
اذ يوم الفتح بمكة واسلم وشرف بالايمان ورأسه ولحيته كالثغامة
بفتح الثاء المثلثة والغين المفتوحة المخففة قال ابن العرب انها
شجرة كانها الملح فقال رسول الله صلعم غيروا هذا بشيء واجتنبوا
السواد فالنهي لمن كان له شمط وهو بياض شعر الرأس يخالط
سوادا ومن القواعد والاصول ان اختلاف المسبب بحسب اختلاف
السبب وبالعكس ومن هذا الناسخ والمنسوخ وهو الظاهر مع
ان الامر والنهي في مثل ذلك ليس للوجوب بالاجماع ولهذا لم ينكر
بعضهم على بعض خلافه في ذلك ولا يجوز ان يقال فيهما ناسخ ومنسوخ
قال بعض شراح صحيح مسلم كالقاضي عياض وغيره فهذا منوط
على رأي علماء البلدة فمن كان من البلدة التي كان عادة فيها
الصبغ فهو اولى او تركه فالخروج عن العادة شهرة ومكروه على
وفق الشرع ووسيلة الى الذم والذنوب والغيبة لقوله صلى الله

تعالى عليه وسلم من آمن بالله واليوم الاخر فليتق موضع التهم اى فليجتنب
عن الفعل او الترك اللذين كانا شرعيين لكيلا يتوسل الى الكلام الذى
هو عين الذنب او وسيلة له وقال بعضهم انه يضاف الى حسن الشيب
وقبحه فمن كان شيبته بلون نقية لحسن من الصبغ فتركه اولى
وان كان عكس ذلك فصبغه اولى اذ ما راه المؤمنون حسنا فهو
عند الله حسن رواه ابن مسعود رض فالاحوط والاولى الاتباع بالسنة
مع التفكر والتدبر والاجتناب عن السواد كما فعلها هامان الملعون
بلحية فرعون بالوسمة فخضب فلما دخل موسى صلوات الله على نبينا
وعليه ورأى فرعون ولحيته فى تلك الحالة الشبابية متغيرا عن
الشيبوبية هاله ذلك فاوحى الله تعالى موسى صلعم لا يهولنك ما رأيت
فانه زائل غير قار وما وعدته قار خير فى حقه وقال كعب الاحبار
رض كانت لبنات فرعون امرأة خادمة فى الحمام اسمها ماشطة
وامرأته آسية فاذا رأتا هذه المعجزات الكبيرة من موسى عليه السلام
فآمنتا فالماشطة زوجة خزقيل وهو مؤمن من آل فرعون وكانت
اذا مشطت رؤس بنات فرعون يوضع كرسى من ذهب فبينما تمشط
لها
احد بناته فسقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت
اى سقط عن النار
ابنة فرعون انما تريد ان تقولين تعس من كفر بابى فقالت الماشطة
ومن ابوك وانما قلت من كفر باله موسى فقامت حتى دخلت على فرعون
واخبرته بذلك فغضب فرعون وامر باحضارها فلما حضرت
قال لها ما هذا الذى بلغنى عنك من قولك باله موسى فقالت نعم
وانا مؤمنة لموسى وآلهه فاقض ما انت قاض فامر فرعون باوتاد
من حديد فبطحت الماشطة على قفاها وشد يديها وارجلها
بالاوتاد التى وتدوا لها الارض ثم امر بايتان اولادها فقدموا

وقالوا

وقالوا للماشطة ان عذبت ولا قتلناك واولادك فابت ان تكفر
بايمانها فذبحوا الاكبر من اولادها على صدرها فقالت الحمد لله
الذى رد روحه الى الجنة وذبح الثانى فقالت مثل ذلك
ثم اتى بالاصغر فانطقه الله تعالى وقال يا امه لا ترجعى عن دين موسى
فان عذاب فرعون يفنى وعذاب الله لا يفنى ثم الطفل على صدرها
ثم قال فرعون على بالتنور وكان قد اتخذ تنورا من نحاس قوايمه
اى عموده
من حديد وكان مجوفا فاذا غضب احدا امر باحمائه بالنار ثم القى
فيه من اراد قتله فامر به فاحمى به ثم اخذ الماشطة واولادها
لطرحوا فيه فقالت يا عدو الله اجمع بينى وبين زوجى حتى نلتقيا
جميعا فطلب زوجها وقد هرب فطرحت الماشطة واولادها
فى ذلك التنور فاحترقوا حتى صاروا رمادا وكانت آسية امرأة
مؤمنة صالحة فحتى رأت المعجزة مدحت ورجيت الاسلام
فرعون فربما مال الى قولها فاضلها هامان الملعون فحين قد سمعت
قتل الماشطة واولادها واقوالها فتألمت وبكت فلما علم فرعون
ان آسية زوجته آمنت الى اله موسى ونبوته وحقيته اوتد
يديها ورجليها باربعة اوتاد وروى عن عبد الله بن السلام
الكلبى رض وعن مقاتل رح الاوتاد جمع الوتد فاذا غضب فرعون
ذو الاوتاد يعذب الناس عليها مدة مستلقيا بين اربعة اوتاد
شد كل يد ورجل منه الى سارية ويتركه كذلك فى الهواء بين السماء
والارض حتى يموت وقال مقاتل بن حبان كان يمد الرجل مستلقيا
على الارض ثم يتد يديه ورجليه ورأسه على الارض بالاوتاد
ثم يرسل عليه العقارب والحيات وللاوتاد معان اخرى لا يناسب
بهذا المعنى فارجع الى المطولات فلما اوتد فرعون زوجته

مطلب احوال الماشطة المؤمنة الشريفة وكذا اولادها وزوجها [illegible]

آسية فألقيها في الشمس فلما انصرفوا أظلتها الملائكة بأجنحتها وكشف الله لها عن بيتها في الجنة حتى رأتها فيها من درة بيضاء كما قال الله تعالى في كتابه العزيز في آخر سورة التحريم تسلية بالأجور الموعودة والرتب المرفوعة في الدرجات العاليات والغرف الرافعات والنعم الأبدية والدول السرمدية في مقابلة الصبر الجميل لأذى الكفار العنيد البخيل حيث آذوا المؤمنين المخلصين بأنواع الأذى وأصناف البلاء بقوله العزيز وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اى جعل حال آسية زوجة فرعون مثلا لحال المؤمنين في أن أذى الكفرة الفجرة لا يضرهم بل ينفعهم بدخول الجنان العاليات الأبدية والسعادة الرافعات السرمدية في أعلى غرف الجنة في العذاب والعقاب في الدنيا الدنية الفانية كما كانت آسية صبرت على عذاب أعدائها صبرا جميلا ونالت الجنة ملكا كبيرا ونعيما جليلا روى أنها لما قالت ذلك أريت بيتها في الجنة وانتزع روحها إذ قالت رب ابن لي ظرف لمحذوف أشير إليه اى ضرب الله مثلا للمؤمنين حالها إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا قريبا من رحمتك ومقربك لإيماني وحقيقة نبوة موسى وكتابه ومكانا شريفا وفيه استعاذة في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونفسه الخبيث وشركه وتعذيبه إلي ونجني من القوم الظالمين اى خلصني من شرهم فلما كانت دعت وسألت رفع الله تعالى آسية امرأة فرعون إلى الجنة فهي تأكل وتشرب الآن كإدريس عليه السلام كذا قال الحسن البصري وابن كيسان في تفسيرهما وفي رواية الجماعة ألقيت الصخرة على جسدها بعد الأوتاد فقبض الله تعالى روحها قبل الإلقاء فألقوا على جسدها فقط فحفظها من عذابهم ونالت بما تمنته فلذا أثنى الله تعالى

المؤمنين الذين يتأذون بأنواع أذى الكفار وبين لهم أجورهم في الدارين ولا يضرهم كفرهم وضلالتهم وهمزهم ولمزهم وجمع الأموال والأولاد وظنهم بالخلود كما لا يضر آسية كفر فرعون وقومه بل ردع بقوله تعالى كلا ردعا على ذلك الهمزة واللمزة اى ليس كما يتوهمه بأن ماله أخلده وينجو عما يخاف بل يجد ما يخاف عنه ويقع فيه ولا يفيده ما عدده لينبذن في الحطمة اى ليلقين وليطرحن في النار التي وعدت له وإنما سميت بها لأن الحطمة تكسر العظام وتدكها دكا فمن شأن تلك الحطمة أن تكسر عظام الداخلين فيها وتدكها كلما طرحوا فيها قال الإمام عبد الله بن سلام الكلبي رض في تفسيره هي الباب السادس اى الطبقة من الطبقات من النار في الغاية شدة عذابها من الأبواب السبعة اى الطبقات السبعة والدركات السفلى لكل باب وطبقة ودركة منهم من أصحابها قوم يسكنون فيها وقال الإمام الضحاك في الطبقة الأولى ودركتها أهل التوحيد الذين لم يشفعوا ولم يعفوا فأدخلوا النار يعذبون فيها بذنوبهم ثم يخرجون وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة أهل الشرك في الدركة السابعة المنافقون قوله تعالى إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار قال الإمام قتادة رح في تفسيره بلغنا أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه بل انقطع عن الأكل والشرب فضلا عن الكسب من الحرام والتناسل والتوالد فضلا عن السرور بهما وعما سوى الله لأن بطشه تعالى وعذابه لشديد لا تتحمله الصخور والجبال التي تفر عن قبول الأمانة حين عرضت عليها لعرفانهن بشدة بطش الله وعذابه وروى

اسم جهنم

ايضاً عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال سمعت عن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده
تسعاً وتسعين رحمة وارسل فى خلقه كلهم رحمة واحدة اى الرحمة
الواحدة المرسلة بينهم منها فالكل من المصنوعات يستوفى نصيبه
فرداً فرداً ويستغنى نوعاً نوعاً وينال ما يتمناه من الانس والجن
وغيرهما شخصاً شخصاً فلم يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة
لم ييأس من الرحمة اى هذا امر فرضى والا فليس لهم ذرة ولو يعلم المؤمن
بكل الذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار رواه البغوى فى المعالم
ثم اراد الله تعالى بيان كيفية الحطمة وشانها تفخيماً واعلاماً بقوله
وما ادريك اى شى او الذى اعلمك ما الحطمة ما النار التى لها هذه
الخاصة والكيفية وهى نار الله الموقدة المسعرة منذ سبعة
الاف سنة كل يوم من ايام الاخرة الف سنة فى الدنيا المحطلة البطاء
والاكلة التى تطلع وتبلغ وجعها والمها على الافئدة والقلوب
وتحرقها حتى تصل الاجواف وتعلو على الابدان فينالون بذلك
الالام الشديدة والاكدار العديدة فيكون حالهم حال من يموت
فيجئ الموت من كل مكان وهم لا يموتون فيها ولا يحيون حتى يستريح
من العذاب حين الموت ولا ينتفع بحيوته فيطلب الموت ولا يجد
وتخصيص الافئدة من بين الاعضاء المتالمة لان الفؤاد الطف
الاعضاء واشدها تالماً ولانه محل العقايد الزايغة ومنبت
الاعمال القبيحة ولانها راس الاعضاء والجسد فاذا طهرت طهرت
سائر الجسد واذا خبثت خبثت الاعضاء كلها كما وقع فى الحديث
وقال الامام القرطبى رح فى تفسير هذا المحل ان النار تاكل كل شى منه
حتى انتهى الى فؤاده فلا تحرق الفؤاد لئلا ينقطع الم ولا ادراك

فيدوم

فيدوم العذاب ولتبدأ بالخلق الجديد وقال ابو سعيد الخدرى رض
ان نار جهنم تعلم بالهام الله تعالى مقدار ما يستحق كل احد من العذاب
لا تزيد ولا تنقص كانها وقعت على مبلغ استحقاقه لانها تدعو
من ادبر وتولى فجاز وصفها بهذا لانه تعالى عالم الغيب والشهادة وهو احكم
الحاكمين فكل الموجودات محكومة بامره وعلمه فانظر الى اثار
رحمة الله كيف يحيى الارض ويلبسها بعد ما اتاها ومن عليها وفيها وزين
السماء فوقها بالنجوم والكواكب السيارة عليها وكيف زين الجنان
بالحورى والغلمان فالكل ملهمون عنده بمقدار فكيف لا تلهم النار
انها اى ان نار الله الموقدة المسعرة عليهم اى على اصحابها من الكفرة
الهمزة واللمزة واللمزة مؤصدة اى مطبقة الابواب ومغلقة
لا وتاد من اوصدت الباب اذا اغلقته واطبقته فى عمد بفتحتين
وضمتين جمع عمود بفتح العين وضمها وهما لغتان فى جمع عماد وعمود
ومعناهما واحد كالحماد والحمر والاهاب والاهب والرسول والرسل
اى تطرح العمود من الحديد على ابوابها ممددة مجرورة على انه صفة
العمد ويجوز النصب على ان يكون حالا من الضمير فى قوله مؤصدة
او من الضمير فى عليهم اى موثقين فى عمد ممددة مطولة او مشددة
الابواب وفى اعناقهم السلاسل والاغلال حتى يرجع غمها وهمها
ولا يدخل عليهم روح وراحة ولا يزول عنهم غم ابداً لتاكيد يأسهم
وتيقنهم بجنس الابد وهذا مفهوم قوله ان بطش ربك لشديد
وقوله يوم نبطش البطشة الكبرى وقوله ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا
يعلمون وتمد عليهم لاستحكامها على رؤس اصحابها فاحاط بهم سرادقها
وهى الحجب حول الفسطاس كالحائط قيل دخان يحيط الكفار قبل
دخولهم وقيل حائط بالنار يحيط بهم فيها وهى اربعة جدر غلظة

كل جدار اربعون سنة من الاخرة فاذا امدت تلك العمد والحيطان والسرادق واطبقت طبقة اهل النار على اهلها ايقنوا بحبسهم وعدم خروجهم الا بفضل الله وعنايته لمن يشاء من عباده ومع هذا تنفتح طبقتهم حتى يرى اهل الجنة وينظرون الى اهل النار كيف يعذبون وفيها لهم معارف في الدنيا فكل منها ينادون بان ينادي اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم حقا وصدقا فاذن مؤذن اي نادى مناد بحيث يسمع الفريقان بقوله فلعنة الله على الظالمين الكافرين الذين يصدون ويصرفون الناس عن سبيل الله وطاعته وايمانه كالمغيرة بن الوليد وعتبة وابي جهل بن هشام بن عبد المطلب وغيرهم من سفهاء كفرة القريش حيث ارسلوا على جميع الطرق رجالا يعلمونهم طرق الكفر والاذى ومنعوا عن الايمان واصروا واستكبروا استكبارا وعصوا رسول ربهم فاخذهم الله اخذة رابية فاهلكهم في ليلة واحدة كفاية لائقة كما وعده الله في قوله انا كفيناك المستهزئين الذين جعلوا القرآن عضين وسبب نزول هذه الاية العزيزة النبي صلى الله عليه وسلم وبين الجنة والنار وعلى اهلهما حجاب وهو السور الذي ضرب بينهم باطنه فيه الرحمة وظاهره وخارج ذلك السور من قبل ذلك الظاهر العذاب وهو النار ينادونهم الم نكن معكم في الدنيا نصلي ونصوم قالوا اصحاب الجنة بلى ولكنكم فتنتم واهلكتم انفسكم بالنفاق والكفر واستعملتموها في المعاصي والشهوات وتربصتم بمحمد الموت وقلتم في حقه منكرا نعمة ربكم ودين خالقكم يوشك ان يموت فنستريح منه وارتبتم وشككتم في نبوته الظاهرة ومعجزاته الباهرة وغرتكم الاماني الا باطل

فكنتم

فكنتم تمنون نزول الدوائر بالمؤمنين حتى اتى الموت وجاء امر الله وغركم بالله الغرور الشيطان المغرور فلم تصغوا ولم تؤمنوا حتى ادخلكم الله في النار جزاء وفاقا وامثال هذه المكالمة فيما بينهم حين الرؤية كثيرة جدا ويؤيده في سورة الاعراف وعلى الاعراف هي ذلك السور الذي بين الجنة والنار وهي جمع عرف وهو اسم للمكان المرتفع ومنه عرف الديك لارتفاعه على سائر جسده وقال الامام السدي رح سمي ذلك السور اعرافا لان اصحابه يعرفون الناس واختلفوا في رجاله فقال ابن عباس وحذيفة رضي الله عنهما هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ومنعت السيئات عن دخول الجنة وكذلك منعت حسناتهم عن النار فوقفوا هناك حتى يقضي الله بينهم ثم يدخلهم الجنة بفضله وكرمه وهم آخر من يدخل الجنة لما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال يحاسب الناس يوم القيمة فمن كانت حسناته اكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته اكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثم قرأ قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون ثم قال ان الميزان يخفف بمثقال حبة او يرجح قال ومن استوت حسناته وسيئاته كان من اصحاب الاعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا اهل الجنة واهل النار فاذا نظروا الى اهل الجنة نادوا سلام عليكم واذا صرفوا ابصارهم الى اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فاما اصحاب الحسنات فانهم يعطون نورا يمشون به بين ايديهم وبايمانهم ويعطى كل عبد يومئذ نورا على قدر ايمانهم فاذا اتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة فلما

راى اهل الجنة ما لقى المنافقون قالوا ربنا اتمم لنا نورنا فاما
اصحاب الاعراف فان النور لم ينزع من بين ايديهم ومنعتهم سيئاتهم
ان يمضوا وبقى قلوبهم الطمع اذ لم ينزع النور من بين ايديهم فهناك
يقول الله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون وكان سبب الطمع النور
الذى فى ايديهم ثم ادخلوا الجنة وكانوا آخر اهل الجنة دخولا
وروى عن شرحبيل بن سعيد رض اصحاب الاعراف قوم خرجوا
الى الغزو بغير اذن آبائهم وروى الامام مقاتل رح فى تفسيره هم رجال
غزوا فى سبيل الله عصاة لآبائهم فقتلوا فاعتقوا من النار
بقتلهم فى سبيل الله وحبسوا عن الجنة بمعصية آبائهم فهم آخر
من يدخل الجنة وروى عن مجاهد رح انهم اقوام رضى عنهم احد
الابوين دون الآخر يحبسون على الاعراف الى ان يقضى الله بين الخلق
ثم يدخلهم الجنة وقال عبد العزيز بن يحيى هم الذين ماتوا فى الفترة
ولم يبدلوا دينهم الحق قبل الاسلام وقيل هم اطفال المشركين
وقال الحسن هم اهل الفضل من المؤمنين علوا على الاعراف لينظروا
ما يقضى بين الناس وليشكروا حالهم وليدعوا دفع عذابهم وليطلعوا
حال الفريقين وقيل اولاد الزنا من الصالحين والشهداء والعدلاء
وقيل هم اصحاب الفضل والعلم ولا عمل لهم وتفوا حتى يدخلوا بفضلهم
رجال اى طائفة من الموحدين قصروا فى العمل فيحبسون بين الجنة
والنار حتى يقضى الله فيهم ما يشاء وقيل هم قوم علت درجاتهم
كالانبياء والشهداء وخيار المؤمنين وعلمائهم او ملائكة يرون
فى صورة الرجال يعرفون كلا من السعداء والاشقياء بسيماهم فالباء
سببية على انهم يعرفون بالامارة الظاهرة فاهل الجنة ابيضت
وجوههم بنور الايمان والاعمال واهل النار اسودت وجوههم

بالكفر

بالكفر والضلالة يا لعلامة الواقعة فى الوجوه من النور والظلمات
من الوسم على القلب والجباه من الوجه وقال بعضهم وانما يعرفون
ذلك بالالهام او بتعليم الملائكة فلا وجه له ونادوا اصحاب الجنة
ان سلام عليكم حين مروا بهم اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوا
الجنة لم يدخلوها فجملة لم يدخلوها مع ما بعدها مستأنفة
جواب السؤال كيف حال اهل الاعراف اى لم يدخل اهل الجنة الجنة
حتى يسلم عليهم اهل الاعراف وهم يطمعون حال من الواو على الوجه
الاول فى قوله ونادوا ومن الاصحاب على الوجوه اى فيطمع اهل
الاعراف اهل الجنة دخولها قال الامام الحسن رض وابو العالية
والله ما جعل ذلك الطمع الا لكرامة يريدهم بها والطمع توقع
المحبوب ونقيضه اليأس وهو القطع بعدم حصوله واذا صرفت
ابصارهم الصرف امالة الشىء من جهة الى اخرى تلقاء اصحاب النار
على وزن تفعال استعمل ظرف مكان اى جهة حذاءهم وهذا اذا نظر
اهل الاعراف الى جهة اهل النار تحتهم ورأوا ما فيه من انواع العذاب
كما رأوا اصحاب النعيم لاهل الجنة فوقهم قالوا مستعيذين بالله داعين
اليه ومتجنبين لهم ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين انفسهم
واهليهم بالكفر والضلالة استعاذة صريحة من مصاحبتهم وضمنا
من النار ولا يخفى ما فى هذا الاعتبار من تقديم الفرار من العذاب
صحبة الفجار على الفرار من عذاب النار بناء على ان الاول روحانى
والثانى جسمانى والروحانى اشد ايلاما ولان الصحبة مؤثرة
فى العقل والجسم تابع له ونادى اصحاب الاعراف جمع عرف بضم
العين وسكون الراء مأخوذ من عرف الفرس او الديك وهو ما ارتفع
من الشىء فانه بارتفاعه وظهوره اعرف من غيره رجالا من الكفار

بحث دعاء اصحاب الاعراف عند ملاقاتهم اصحاب النار

فى العذاب وكانوا من اشد الكفار واقويهم اموالا واولادا واتباعا كالوليد
بن مغيرة وعتبة وابى جهل وابى لهب من عظماء الكفرة العندة ممن
كانوا يؤذون المؤمنين ويستهزؤن بهم من ضعفاء المسلمين كسلمان
الفارسى وصهيب اليمانى وخباب وبلال الحبشى رضيهم يعرفونهم
بسيماهم الكريهة فالباء سببية على انهم يعرفونهم بعلاماتهم الظاهرة
فلا حاجة الى تعليم الملئكة قالوا اى اصحاب الاعراف لهؤلاء الكفرة
استيناف ما نودى ما اغنى عنكم جمعكم اى اى شئ نفع بكم من كثرة
خدمكم واعوانكم وجمعكم المال العدة فالاستفهام للتوبيخ والتقريع
ويجوز ان يكون نافية وما كنتم تستكبرون عن قبول الايمان الحق
او على المؤمنين الضعيفين من الحق وقرئ تستكثرون من الكثرة
والوفرة من الاموال المهيئة للنوازل والسفاهة فيقول اصحاب
الاعراف لهم اهؤلاء الذين اقسمتم من فقراء المؤمنين مثل بلال
وصهيب وسلمان وعمار وخباب حين راوهم فى الجنة فوقهم
وحلفتم فى الدنيا بان لا ينالهم الله برحمة التى وعدهم الله تعالى
الجنة وما فيها لهم وهى رحمة واسعة وذووها مسرورة ونعمها
مبذولة وفرشها مرفوعة واكوابها موضوعة ونمارقها مصفوفة
وزرابيها مبثوثة وحلفتم انهم لا ينالون ولا يتنعمون بها ولا يتلذذون
فيها انهم دخلوا ما طلبوا وانتم دخلتم ما كرهتم فبئس الرجال انتم
ونعم الرجال انهم ففى اثناء هذه المحاربة يقول الله لاصحاب الاعراف
ادخلوا الجنة برحمتى وفضلى والايمان الذى اذعنتم وادركتم
وان كانت اعمالكم قصيرة لا خوف عليكم فيما يستقبل من الازمنة
ولا انتم تحزنون مما مضى فى الدنيا بالغفلة وقيل لما عير اصحاب
الاعراف اصحاب النار فاقسموا انهم دخلوا الجنة فانتم لا تدخلونها

فيعيرونهم بذلك واقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة
وانما قالوا فى المقابلة فقال الله والملائكة الذين حبسوا اصحاب
الاعراف على الصراط لهم اهؤلاء الذين اقسمتم وحلفتم بعدم علمكم وسوء
ظنكم الى فادخلوها ايها الاصحاب الاعراف بفضلى ورحمتى اكراما
عليكم بسبب الايمان وارغاما لانفهم بالكفر والضلالة ثم فائدة
حبس اصحاب الاعراف فى الاعراف ثم ادخلهم الجنة للاعلام بان الجزاء
على قدر الاعمال ومن جنسه والتقدم والتاخر على حسبهما اى لا سبق
لاحد عند الله تعالى الا بسبقه فى العمل متعلقا به ولا تخلف عنده
الا بتخلفه فيه وترغيب السامعين فى حال السابقين فيزيد المحسن
فى احسانه ويرتدع المسئ عن اسائته ليأمن من التوبيخ والفضاحة
يوم القيمة قال عطاء عن ابن عباس رضيهما لما صار اصحاب الاعراف
الى الجنة طمع اهل النار الذين يقابلونهم بالتعيير والقسم نظرا الى
المحبس من دخول الجنة بعد اليأس فقالوا يا رب ان لنا قرابات من
اهل الجنة فاذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فنظروا الى اقربائهم فى الجنة
وما هم فيه من النعيم فعرفوهم ونظر اهل الجنة من كوا قصورهم فيها الى
اقربائهم من اهل جهنم فلم يعرفوهم اذ قد اسودت وجوههم وصاروا
خلقا آخر فعرفهم اهل النار ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة من
اقربائهم فى الجنة والنعمة ان افيضوا علينا من الماء وانما قدم الماء
على سائر الارزاق لكونه افضل الصدقة لما روى عن ابن عباس رضيهما
حين سئل عن اى الصدقة افضل فقال عن رسول الله صلعم انه
قال افضل الصدقة الماء ولما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص
رضه انه قال من سقى مسلما شربة من ماء باعده الله تعالى من النار بعدد
شوط فرس ولما روى عن ابن عباس ايضا انه قال قال النبى صلى الله

تعالى عليه وسلم من سقى شربة من ماء حيث يقدر على الماء اعطاه الله
تعالى بكل شربة سبعين الف حسنة واذا سقاها حيث لا يقدر على
الماء فكانما اعتق عشر رقاب من ولد اسمعيل عليه السلام رواه
الامام الواحدي في تفسير الوسيط اي صبوه وفيه دليل على ان الجنة
فوق النار لان الافاضة والصب يقتضي خاصة الفوقية او تطعمونا
مما رزقكم الله من سائر الاشربة والاطعمة من نعم الجنة وثمارها
وانما طلبوا ذلك مع يأسهم عن الاجابة اليه حيرة في امورهم التي
لم يدركوها ولم يظنوها وعاينوا احوالهم ومآلهم فليس الخبر كالمعاينة
وفيه ايذان واعلام بان ابن آدم لا يستغني عن الطعام والشراب
اذ لا يتخلف عن الخلقة اذ لا تبديل لخلق الله وان كان في العذاب
ما دام حيا وان لم ينتفع بتلك الحيوة كما في الدنيا قالوا اي اصحاب
الجنة لهم في الجواب حين سمعوا ندائهم ورأوا حالهم من القربات ان الله
تبارك وتعالى عما يقول الظالمون الكافرون علوا كبيرا حرمهما على
الكافرين اي منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف في الدنيا والا
فهي ليست بدار التحريم والتحليل وفيه مجاز اولي من ذكر الملزوم
وارادة اللازم الذين اتخذوا دينهم الذي امرهم بتدين الايمان
والاسلام واتصافهم بهما فلم يسمعوا ولم يؤمنوا بل استهزؤا واتخذوه
لهوا ولعبا اي باطلا وسرورا وفرحا بالاستهزاء بما هو حال السفهاء
عند ظهور الحق على خلاف اهل الهواء وغرتهم الحيوة الدنيا فنسوا
امرنا وتكليفنا بالتشرع بالامور الشرعية وعصوا رسول ربهم وآذوه
واصحابه بما ليس فيه رضائي مستلزما لغضبي عليهم وكانوا كافرين
وبانواع العذاب لا يتقين وبزينتها لاعبين وعن هذا اليوم وعذابه
ناسين وعقابه غافلين فاليوم انتبهوا وتعاينوا وتجزعوا وتفزعوا

وصدقوا

وصدقوا امري ورسولي وآمنوا بي وكتابي فلم يك ينفعهم ايمانهم
لما راوا بأسنا فلم يجد والسنة الله تبديلا فاليوم ننسيهم كما
نسوا لقاء يومهم هذا فلم نقبل دعائهم ولم نرحمهم حين نرحم المخلوقين
المؤمنين المخلصين لعدم الخلف في وعدي ووعيدي وعلى
رسولي في كتابي بحصولهم ومآلهم وعند معاينة العذاب ايمانهم
وتصديقهم فلم يك ينفعهم حين راوا بأسنا فلم يجد والسنة الله
تبديلا ولو عند الله تحويلا وما كانوا ما مصدرية عطف على
قوله ما في كما نسوا اي وكما كانوا بالقرآن المنزل عليهم وبالرسول
المبارك من جنسهم شفيق وحريص عليهم ورحيم بهم بالدعوة الظاهرة
الدائمة والمعجزات الباهرة القائمة خارجة عن طاقة البشرية
فالطيور شهدت فوقهم والوحوش شهدت حولهم والاشجار
والاحجار لطرافهم مقرة بالحان حسنة مفهمة ومعترفة فكانوا
سامعين حاملين اولئك الكافرون المعاندون على السحرة
السحرة كما حمل فرعون ومن قبلهم من الكفرة والمعاندون من
العندة الفجرة على سحر رسلنا ومع اعتراف السحرة بحقيقة الانبياء
وايمانهم عند عجز اتيان امثال المعجزات الظاهرة والمعجمات الباهرة
وهل هذا الا من ازدياد حرصهم وايثار دنياهم الدنية على عقباهم
البقية وحسدهم الى نعم الله المبسوطة على رسوله وائمة التقية
النقية وكفرهم بعد الاستيقان ظلما كما يؤيده قوله تعالى بآياتنا
العظيمة يجحدون اي كجحدهم بآياتنا على ان ما مصدرية كما هي
من القواعد الكلية في كل ما دخلت عليه الكاف من الحروف الجارة
ومحله الجر اي كما كانوا منكرين ان الايات المنزلة عليهم من عند الله
تعالى كما انكشفت عندهم لشهادة الجحد لكنهم ينكرون بالجحد

ولا انكار بعد الاستيقان كما يشهد له قوله تعالى في آية اخرى وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا أمقرين بكذبهم وانكارهم حين وقفوا
وعرضوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد في الدنيا ونكون من المؤمنين
ولا نكذب بآيات ربنا فنكون من اصحاب الجنة والغرف العالية
والنعم الوالية والعزة الدائمة والصحة القائمة مع انواع لا
تستلذ ولا اكرام والتلذذ والاحترام فوعد الله تعالى الحق لا
يخلف والامر عنه لا يتخلف بل بدا وظهر ما كانوا يخفون ويسرون
في الدنيا من كفرهم وشركهم ومعاصيهم وقبيحهم من قولهم والله ربنا
ما كنا مشركين فاخفوا شركهم وكتموا كفرهم حتى شهدت اعضاؤهم
وجوارحهم وجلودهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يكسبون وان كتموا
في ملأ الناس فالله تعالى يستر هم ويخزيهم فانه عالم الغيب والشهادة
في دنياهم وعقباهم ويوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر
اللهم اهدنا بهدايتك فاثبتنا فيها ولا تزغ قلوبنا بعد اذ
هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة واجعلنا اماما للمتقين في الجنة
يا غياث المستغيثين اغثنا ويا مجيب المضطرين لا تخيبنا عما
رجونا ولا تحرمنا عما سألنا فالخطايا من صفات العباد والعطايا
من رب العباد فانت رب الكريم ولا رب سواك للمذنب اللئيم
جل عظمتك وعلت اسماؤك وذاتك ولا اله غيرك

سورة الفيل مكية بسم الله الرحمن الرحيم

عن ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من قرأ سورة الم تر اعاذه الله
تعالى ايام حيوته من المسخ وهذه السورة مكية وهي خمس آيات وسبع
عشرة كلمة وثلثة وسبعون حرفا وانتظام السورتين انهما في عقوبة
الكفرة هذه في الدنيا وتلك في الآخرة وفيه حث على الايمان بمجيد

بيننا

بيننا وبين الموجودات في الارض والسموات الم تر كيف فعل ربك
كيف للاستفهام التقريري منصوب بما بعده من فعل لا بما قبله
لان استفهامه يمنعه والخطاب للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
وان لم يشهد تلك الوقعة بالبصر ولكن شاهد بالبصيرة والتواتر
وسمع اخبارها وعلم حق اليقين بالبصيرة ورؤية القلب علما ضروريا
مساويا بالقوة والانجلاء للمشاهدة بالبصر والعيان بل البصر تابعة
للبصيرة لانها ثمرة عين القلب والبصر ثمرة عين الجسد فكل الاعضاء
تابع للقلب والعقل سلطان متبوع فبفساد القلب فسد جميع
الجسد وليس بالعكس الا ترى ان الامام الاعظم رحمه الله ذهب في
رواية منه ان الايمان يتم بالقلب وتصديقه فقط وانما شرط
الاقرار لاجراء الاحكام كما سبق مفصلا في سورة العصر فارجعه
ولا يبعد ان يكون اللفظ اخباريا معنى وان كان استفهاميا صورة
وروي ان عائشة رضي الله عنها قد رأت قائدة الفيل المحمود الكبير وغيره
عميين مقعدين يستطعمان وكان جد النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم عبد المطلب وابو السعود الثقفي يشاهدان من الجبل عسكر
ابرهة حين رميهم الطير بالحجارة فهلك اكثرهم فقال عبد المطلب
لصاحبه صار القوم بحيث لا يسمع لهم ركزا فانحطا منه فدخلا
في العسكر فاذا هم موتى جميعا فجمعا غنائم العسكر من الذهب والفضة
والجواهر والاموال وكان سبب الغنى في ذلكما فاطلع النبي صلى الله
عليه وسلم تلك الاموال الكثيرة والجواهر البهية والغنائم العلية
وشاهد صلعم بعض آثار الواقعة فحصل له علم ضروري يوازي العيان
في الايقان فلذا خوطب عليه الصلوة والسلام بما يرى بالبصر
مع الايقان بالقلب وانما قال كيف فعل ولم يقل ما فعل لان المراد

تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة نبيه و
نبيه ورسوله فانها من الارهاصات التي وقعت للانبياء عليهم الصلاة
قبل الرسالات اذ روي ان هذه القصة وقعت في السنة التي ولد بها
الرسول عليه السلام فالمعنى رايت بالبصر آثارها وسمعت بالتواتر
اخبارها وان لم تشهد انت تلك الواقعة ولم تر بالبصر ما فعل الله باصحاب
الفيل بغضبه فاستغنت بغناء البصر كانك كنت فيها وانما نسب لاصحاب
الى الفيل مع انهم اصحاب ابرهة لكونه مقدمهم من المجاز الاولى وروي
عن الضحاك كانت تلك الفيل ثمانية او اثني عشر سوى الفيل الاعظم
اسمه محمود المرسل من النجاشي ملك اليمن ولم ير مثله عظما وقوة
وجسما وقصتها ان ابرهة بن الصباح ابا يكسوم ملك اليمن بنى كنيسة
بمملكة صنعاء من جانب النجاشي مأمورا من طرفه لانه من وزرائه
ليصرف الناس من زيارة الكعبة المكرمة الى تلك الكنيسة وليطوفوا
فيها فذهب رجل من كنانة قريش وتنجس فيها ولطخ بعذرته
جدرانها واطرافها وقيل احرقت نار فطارت منها شرارة فاحرقتها
فحلف ابرهة باهدام الكعبة وقتل اهاليه واسيره ان خالفوه فقدم
فيل المحمود ارسل من النجاشي فيقال الدولة النجاشي لمن يملك مملكة
اليمن واطرافه كما يقال الدولة القيصرية لمن ملك مملكة الروم ويقال
الدولة الكسرى لمن كان ملكا في المملكة الايران وحواليه فلما قرب
الى مكة نزل وذهب اليه عبد المطلب شريف الناس صاحب الكعبة
المكرمة فاكرمه واجلسه على بساطه بعد انه سمعه انه مضيف مطعم
الناس في السراء والضراء والطيور والوحوش في الجبال فقال ابرهة للترجمان
قل له لاي شيء جاء ويطلب حاجته فقال حاجتي ان ترد علي مائتي بعير
اصابها قومك فقال له للترجمانه اعجبتني حاجتك انا جئت لهدم بيت

هو دينك وانت تريد مني البعير فقال عبد المطلب انا رب البعير ولهذا
البيت رب يمنعه عنك ثم جاء عبد المطلب فاخبر قريشا الخبر وامرهم
ان يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في رؤس الجبال تخوفا من معرة الجيش
وضررهم عليهم ففعلوا واتى عبد المطلب الكعبة واخذ بحلقة الباب
فقال في شعره ، يا رب لا ارجو لهم سواكا ، يا رب فامنع عنهم حماكا ،
ان عدو البيت من عاداكا ، امنعهم ان يقربوا قراكا ، ثم ترك عبد
المطلب الحلقة وتوجه في بعض البقاع مع قومه واصبح بالغمس
وقد تهيأ ابرهة للدخول وهيأ جيشه وفيله فاقبل نفيل من قريش
الى اذن الفيل المحمود الاعظم وقال ابرك يا محمود وارجع راشدا من
حيث شئت وجئت فانك في بلد الله الحرام فبرك الفيل فضربوا
بالمعول في رأسه فابى عن القيام وكلما وجهوه الى جانب اليمن والشام
يهرول فاذا صرفوه نحو الكعبة برك فابى ان يقوم وخرج نفيل
يشتد حتى صعد الى جبل وعبد المطلب يدعو عليهم فارسل الله
تعالى عز وجل طيرا واسود واخضر وابيض من البحر امثال القطا وطيف
صغارا فوجا فوجا مع كل طائر منها ثلاثة احجار حجر في رجليه
وحجر في منقاره امثال الحمص والعدس وعلى رواية على كل حجر
اسم من يرمى بها فالقت كل طير على كل واحد حصاة تخرق الرأس
والرجل حتى وصلت الى الارض وفي رواية ليس وصلت الى الكل
بالبعض خرجوا هاربين لا يهتدون الى الطريق نجاة واتسابوا لون
عن نفيل بن حبيب ليدلهم الى اليمن ونفيل ينظر اليهم في بعض
الجبال فطرح القوم فصرخوا وهلكوا الا ابرهة وفي رواية فقيل
محمود فربض ولم يشجع على الحرم فنجي واما ابرهة فطيره لم يرم
حصاته عليه وطار معه حتى وصل ابرهة الى الملك النجاشي

والخبر ما كان فالقى الطير حصا اثر عليه فمات لدى النجاشى وروى
ان ما وقعت الحصبة والجدرى بارض العرب فى ذلك العام وكان
هذا عام مولود النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل قبل الولادة
باربعين سنة وهذا اصح ثم اطلع اهل مكة حالهم فى شعاب
الجبال فاسرعوا واخذوا اموالهم واثقالهم وجواهرهم فاغتنموا
كما اغتنم عبد المطلب مع صاحبيه قبلهم فقال الله تعالى تعجيبا
للناس الم تخبر بخبر التواتر الذى قام مقام الرؤية بالبصر او لم
تعلم بما انزل عليك من الخبر بالقرآن كيف عذب واهلك ربك
باصحاب الفيل الاعظم بحيث لا يقابله جيش من الجيوش بالاحجار
المرتبة بالطيور المخفية بقدرته العظيمة وعزته القديمة حين ارادوا
هدم بيته المحرمة وكعبته المكرمة الم يجعل كيدهم فالاستفهام تقرير
اى جعل مكرهم وسعيهم فى تضليل لما ارادوا من تخريب بيت الله واضل
ما نووا لئلا يصلوا الى ما ارادوه من انواع الفتن والخسارات والهلاك
وارسل عليهم طيرا جمع طائر لها خراطيم كخراطيم الطيور واكف كاكف
الكلاب ورؤس كرؤس السباع وانياب كانياب المعطيفر لم ير
مثله لا قبله ولا بعده ابابيل صفة طير قال الامام الفراء هذا جمع
لا مفرد له من لفظه كعبابيد وشماطيط وقيل واحدها ابالة وهى
الحزمة الكبيرة شبهت الطيور بها فى تضامها وفيه استعارة تحقيقية
وقيل واحدها ابابيل ايضا فيتميز بمقتضى المقام والمعنى ترميهم
تلك الطيور البيضاء او السوداء او الخضراء او البلقاء بحجارة امثال
الحمصة على رواية وروى عن ابن عباس رضيهما انه قال رايت عند
ام هانى اخت على بن ابى طالب رضيه اسمه عبد المناف من تلك
الحجارة مثل بعر الغنم مخططة بالحمرة وقال ابن مسعود رض صاحت

الطير

الطير ورماهم بها وبعث الله تعالى ريحا فضربت الحجارة فزادتها شدة
فما وقع على رجل من اى جانب الا خرج من الجانب الآخر فاذا وقع على
رأسه خرج من دبره وكذا سائر الجوانب وقال جابر بن عبد الله
رديف النبى صلعم انه قال كان الطيور مثل رجال الهند جاءت من قبل
البحر تحمل الحجارة فى مناقيرها جمع منقر وهو الانف واظافيرها
اكبرها كبار الابل واصغرها كرؤس الانسان من سجيل من طين
متحجر معرب سنك كل بلسان الفارسى على رواية عكرمة رض وقيل
من السجيل وهو الدلو المملو الكبير ومن الاسجال وهو الارسال كما
صبه الله تعالى عليهم او من السجل المكتوب المدون مما كتبه الله فى اللوح
المحفوظ المملو بالمحل القابل بالمحو والاثبات بخلاف ما فى علم الله
بحيث لا يقبلهما فجعلهم الله تعالى بنياتهم الفاسدة وافكارهم الكاسدة
من تخريب سلطان البلاد ومثبت سيد الانام ابو الاولاد ومنزل كلمات الله
العلى من الجبال والجماد وهو بيت الله المحرم على العباد الفساد فيها
كعصف اسم لكل نبت يبس بآفة او كورق زرع مع فيه الاكال من
انواع السوس والدود ولآفة ماكول لبه وبقى قشره صفرا منه
او كتبن اكلته الدواب والبهائم فيبس وتفرق اجزاؤه فاخبره الله
تعالى انه سلط على القوم الجبابرة اضعف المخلوقات كالطيور المذكورة
وكالبعوضة الضعيفة على نمرود الكافر المدعى للالوهية والربوبية
فاكل من دماغه اربعين يوما ثم اهلكه الله بذلك فسبحان الذى
بيده الملكوت وفى حكمه الفلكوت نعم المولى ونعم النصير للمؤمنين
فى الضراء والسرور وفيه استعارة تحقيقية حيث شبه الله
تفرق اوصالهم بتفرق اجزاء الروث تشبيها بليغا

سورة قريش مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

روى عن أبي بن كعب رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم من قرأ سورة لايلاف قريش اعطاه الله تعالى عشر حسنات
بعدد من طاف بالبيت واعتكف به وهذه السورة مكية وهي اربع
ايات وسبع عشر كلمة وثلاث وستون حرفا وانتظام السورتين
انهما في ذكر البيت الحرام وما له من القدر والاكرام والاحترام
لايلاف قريش بالياء الساكنة بعد الهمزة وبتركها يقال الفت الشئ
ايلافا والافا والفاعلي وزن فيعال كميقات وفعالا ككتاب
فعلا كتبها فاللام متعلق بما قبله من المعاني الملزومة من المفهوم
من الاستفهام التقريري اى اهلك ربك اصحاب الفيل ليألف
ويقيم قبيلة قريش في بيت الله الحرام بالمجاورة او متعلق بقوله
فجعلهم فقيل على هذا التقدير يقتضي ان يكون كلاهما سورة واحدة
ويؤيده انهما سورة واحدة في مصحف ابي بن كعب رضي ومما روى
ان عمر بن الخطاب رض قرأهما في ركعة ثانية من صلوة المغرب
بعد القراءة سورة والتين في الركعة الاولى فالاكثر انها سورة
واحدة برأسها كما ان الاولى كذلك ويؤيده انه متعلق بقوله
فليعبدوا اى لاجل ايلافهم وليقروا وحدانية والقريش ولد
النضر بن كنانة سموا بتصغير القريش وهو دابة عظيمة في البحر
تلعب وتعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار وقيل من القرش
بمعنى الكسب والتقريش وهو الاكتساب والجمع يقال يقرش لعياله
ويقترش ويكتسب وهم كانوا تجارا حراصا على جمع الاموال والافضال
قال بعض شراح كتاب الشفاء لابي الفضل قاضي عياض اليحصبي
رحمه انما سمي ولد النضر بقريش لانه يقرش الخبز ويدقه في المرق
ويركب فرسه ويتفحص عن المسافر ليأكله ويطعمه بالمرق

لغاية

لغاية جوده وسخاوته فعلى هذا معنى القرش دقيق الخبز وكثيره قال
ابو ريحانة سئل معاوية عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن وجه التسمية
بالقريش فقال في الجواب انه اسم لدابة تكون في البحر من اعظم الدواب
يقال لها قريش لا تمر لشيء من الغث والسمين الا اكلته وهي تأكل
ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى قال وهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم
فانشد شعر الجمحي • وقريش هي التي تسكن في البحر • بها سميت قريش قريشا •
سلطت بالعلو في لجة البحر على سائر البحور جيوشا • فاكل الغث
والسمين ولا • تترك منه لذي الجناحين ريشا • هكذا في البلاد قبيلة
قريش • يأكلون البلاد اكلا كميشا • ولهم في آخر الزمان نبي •
يكثر القتل فيهم والخموشا • ايلافهم بدل من لايلاف وانما اطلق
الاول وقيد الثاني بقوله رحلة الشتاء تفخيما لشانه منصوب
على انه مفعول به للايلاف واصل الرحل السير على الراحلة ثم استعمل
في كل السير اى ليألف القريش سير الشتاء الى اليمن لانها انفع
واوفق فيحملوا الطعام الى مكة وسير الصيف الى الشام يستعينوا بهما
في كل عام للتجارة ولاقامتهم بمكة وكان الحرام واديا جدبا لا زرع
فيه ولا ضرع وانما يتعيشون في كل عام بالرحلتين شتاء وصيفا
فلولا هما لم يكن لهم التمكن والمقام ولا يتعرض لهم احد بسوء بسبب
الحرم فهم يقولون القريش سكان حرم الله وولاة بيته فلولا
الامن بسببه لم يقدروا على التصرف كما لا يقدر سائرهم فيشق
عليهم التمكن والايلاف باهل اليمن والشام فبالتأليف حمل اهل
اليمن الطعام الى مكة فمنهم اهل الساحل من البحر على السفن واهل
البر على الابل والحمير فالقى الاول بجدة والثاني بالمحصب واهل
الشام حملوا الى مكة فالقوا بالابطح فامتاروا من قريب وكفاهم الله

تعالى مؤنة الرحلتين والسيرين في الاجلين وانما افرد الرحلة للاشعار
انهم صاحبها ويستعملون حين يجهدوا بهما في كل سنة مرتين في اوقتين
فلهذا الاكرام بهم امرهم رب هذا البيت بترك الشرك والكفر وبجعل
العبادة الخالصة له فقال فليعبدوا رب هذا البيت الذي تكرمون
وتولفون بينهم وتؤمنون ممن تعرض في الذهاب والاياب بشرفه
وهي الكعبة المكرمة والقبلة المحترمة خلقها الله تعالى اشرف الامكنة
اربعين عاما قبل الاشياء الممكنة من الموجودات فانبسطت الارض
والجبال متأخرة من المصنوعات كما يؤيد قوله تعالى ان اول بيت
وضع للناس للذي ببكة فاكرمهم رب هذا البيت الذي اطعمهم
من جوع واشبعهم من القحط الذي اصابهم فيها حيث لا زرع
ولا ضرع فانما هذا الاكرام والايلاف بينهم بالاحترام الا بسبب
الكعبة الحرام في الدنيا الدنية فكذلك يكرمكم بايلاف اهالي
الجنات والحور والغلمان في الغرف العلية ان امنتم بوحدانية
الذي لا اله الا هو واطعتم باخلاص العبادة اليه وتركتم الاوثان
الاباطيل التي وجدتم الاباء عليها فالفاء جواب لشرط انفهم من معنى
الكلام والجملة صفة للرب والتنكير للتفخيم فتقرير الكلام ان
نعم الله تعالى عليهم لا يعدها عاد ولا يحدها حاد اذ علمها عند الله
المحيط حيث اكرمهم بالايلاف بينهم من غير تعرض واطعمهم
بالاطعام للقحط الذي كلوا الجيف والعظام لشدة الجوع وكثرة
الموت من الجوع فلا يمنعهم بالبيت فيجب الاطاعة بالتوحيد
والانقياد بعبادات التوحيد في النعمة الدنيوية الظاهرة وان لم
يشكروه لسائر نعم فليعبدوه وليوحدوه لاجل الايلاف
والاحترام والاشباع من ايدي الاعداء والاكرام وليجتمعوا على

الايمان والاذعان كما اجتمعوا على الرحلتين شتاء وصيفا على الاتفاق
في الغزة الدائمة الاخروية وقيل الفاء مزيدة للتاكيد فلذا لم يمنع
من هذا كلام البلغاء وامنهم من خوف العدو واصحاب الفيل
والتخطف في بلادهم ومسايرهم او من اصابة علة الجذام والجدري
فلا يصيبهم ما داموا في البيت الحرام بالاكرام والاحترام فكانوا امنين
حين يخاف سائر اهل بلاد الاسلام وقال الامام عطاء راويا عن
ابن عباس رضي الله عنهم ان القريش كانوا اصابوا مجاعة حتى جمعهم هاشم بن
عبد مناف من اشراف مكة وهو اول من حمل من الشام على الرحلتين
وكانوا يقتسمون ربحهم بين الفقير والغني حتى ساووا في الغنى
فلم يكن بنو اب اكثر مالا ولا اعز انفا الا من القريش قال الشاعر
الخالطون فقيرهم بغنيهم حتى يكون فقيرهم كالكافي فهذا اكرام
من الله تعالى وانعام عليهم انما هو بسبب البيت الحرام الذي اثنى الله
تعالى في كتابه العزيز بامنية من اقام وحج واتم النسك من خوف
الدارين فوجب علينا ما يتم النسك وانواع العبادات في كتابنا
حتى يحصل وينال الامنية والدرجات فتقتضي المباحث ان تسرد
فرادى فرادى كل منها تشتمل على البحر مداد كلمات الله منظومة
على سمط الدرر ونمط الغرر مجعولة على بهجة ست عشرة فصولا
كل منها كالشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها جملة
معترضة وجمعة معترضة ليتميز كتابي ببهجة الترتيب
بين التفاسير المرغوبة وبغربة التهذيب بين المواعظ المرهوبة
من البدائع المحمودة والصنائع الممدوحة الفصل الاول في بيان
ثواب الحج قال الله تعالى في سورة ال عمران بقوله العزيز ان اول
بيت فالاول هو الفرد السابق المتقدم على ما سواه وقيل هو اسم

للشئ الذى يوجد ابتداءً سوى ما لم يحصل عقيبه شئ آخر ولم يحصل
ذا المعنى ان ابتداء بيت وضع اى وضعه الله تعالى موضعاً للناس
للطاعات والعبادات وقبلة للصلوات الخمس والحج والطواف
والعمرة وتزداد فيه الخيرات والحسنات وسبب نزول هذه الآية
ان اليهود عليهم ما يستحقون قالوا حين تحولت القبلة من بيت
القدس التى امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين الهجرة الى المدينة
المنورة وهم يصلون قبل الهجرة من مكة الى الكعبة فلما هاجر
الى المدينة نورها الله تعالى الى يوم القيمة بنور النبوة البيضاء
والشريعة الغراء امره الله تعالى ان يصلى نحو صخرة بيت المقدس
ليكون اقرب الى تصديق اليهود اياه اذا صلى قبلتهم ما يجدون
من نعته صلعم فى التورية فصلى بعد الهجرة ستة عشر او سبعة
عشر شهراً الى بيت المقدس وكان صلعم يحب ان يوجه الى الكعبة
لانها كانت قبلة ابيه ابراهيم عليه الصلوة والسلام مع انه صلى
الله تعالى عليه وسلم مامور بتاليف الناس شرقاً وغرباً بالايمان والاسلام
كما قال جل جلاله فى سورة التوبة انما الصدقات للفقراء والمساكين
والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم الخ فظهر اثر التاليف فامن
من عليه المنان بشرف الاسلام والايمان فتشرفوا بنور الاتقان
وتنوروا بانوار الاذعان حتى عبد الله بن سلام وهو بينهم كالشمس
فى العلم والاعمال والاحترام وكثير من خواصهم وكبرائهم وعلمائهم
وصلحائهم فاظهروا من نعوته المنورة واوصافه المبينة فى التورية
والانجيل فكثرت الامة المرفوعة والجماعة الممدوحة حتى فتحوا
مكة فملكوا رقابهم فهل هذا الا التاليف المامور جميع التابعين
اظهار الثمرة الاخوة واجراء المودة وقال الامام رح المجاهد رح كان

النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يحب ذلك التحويل لاجل ان اليهود كانوا
يقولون يخالفنا محمد فى ديننا ويتبع قبلتنا فقال لجبريل ع م
وددت لو حولنى الله تعالى الى الكعبة فانها قبلة ابراهيم صلعم فقال
جبريل انما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك فسل انت ربك
فانك عند الله بمكان فعرج جبريل ورسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يديم النظر رجاء ان ينزل جبريل بما يحب من امر القبلة
فانزل الله تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء اى تردده وتصرف
نظرك فى جهته فلنولينك فلنعطينك مقصودك ولنحولنك
قبلة الى قبلة جدك ابراهيم عليه السلام وهى الكعبة المكرمة
المتقدمة على البيت المقدس خلقا وشرفا ترضيها اى تحبها
وتهويها حبا شديدا فامر الله تعالى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
متبرعا فقال فول وجهك اى صرفه واستقبله شطر المسجد
الحرام اى تلقاء المحرم وفيه دليل على ان الواجب فى الصلوة
استقبال الجهة ومراعاتها لان القبلة فلا داخله فلا يكون
المراد منه العين لانه حرج عظيم على البعيد منها وقال الشافعى الواجب
استقبال القبلة لمن هو خارج المسجد سواء كان بمكة ولم يكن
وعند الامام نعمان بن ثابت ابى حنيفة رحمه الواجب اصابة العين
اذا كان بمكة وحيث ما كنتم اى اينما تكونوا من البر والبحر فولوا
وجوهكم اى اصرفوها مصلين شطره اى تلقائه وقال
الامام مجاهد وغيره كان تحويل القبلة فى رجب من الهجرة
بعد زوال الشمس قبل غزاء بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه
وسلم فى مسجد بنى سلمة فى المدينة وقد صلى باصحابه ركعتين
من صلوة الظهر فتحول فى الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال

مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين
فقالت اليهود يا محمد ما هو الا شيء تبتدعه من تلقاء نفسك فتارة
تصلي الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبتت على قبلتنا
لكنا نرجوا ان تكون صاحبنا الذي ننتظره فانزل الله وان الذين
اوتوا اعطوا الكتاب من اليهود والنصارى ليعلمون انه اي تحويل
القبلة من القدس الى الكعبة وروي عن البراء بن عازب رضي الله
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اول ما قدم المدينة نزل
على اجداده اذ له انتساب بكل القبائل في الحرمين من النسب
او الرضاع واخواله من الانصار وصلى اول صلوة صلوة العصر
قبل البيت المقدس ستة عشر او سبعة عشر شهرا ثم تحول
القبلة الى الكعبة وهم يعلمون ان الانبياء صلوات الله على نبينا
وعليهم لا يفعلون من عندهم وانما يفعلون من امر الله تعالى حيث
شاء تعالى بما شاء فانهم يفعلون بما يؤمرون وانهم يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم وان التحويل هو الحق من ربهم لا من تلقاء نفسه لانه صلى
عليه وسلم بشر بلسان الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم في الكتب
المتقدمة بانه يصلي الى قبلتين وما الله بغافل عما تعملون من انكارهم
التحويل الى الكعبة فيجازيهم هذا تهديد عظيم لهم بحيث كتموا
ما عرفوا واذوا رسوله وعصوا امره ان الذين يؤذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا جزاء وفاقا
قال ابن عباس رضي الله عنهما على قراءة التاء انكم يا معشر المؤمنين
تطلبون مرضاتي وما انا بغافل عن ثوابكم وجزائكم وان اليهود
يطلبون سخطي بالكتم والاذى وما انا بغافل من خزيهم في الدنيا
والاخرة وقيل معنى قوله ان اول بيت بني في الارض معبدا لهم

للذي اي للبيت الذي ببكة في مكة قلبت الميم باء وبالعكس لغة
كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وسبدة
وسمدته وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من مكة اذا زحمه
او دقه فانها تبك اعناق الجبابرة فلم يقصدها جبار الا
قصمه الله تعالى عن ابي ذر رضي الله عنه انه قال سمعت عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم حين سئلته اي مسجد وضع في الارض
قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت ثم كم
كان بينهما قال اربعون سنة ثم اينما ادركتك الصلوة من
بعد فصلها فان الفضل فيه رواه مسلم رح وروي عن علي بن
الحسين رضي الله عنه ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور
وامر الملئكة ان يطوفوا به ثم امر الملائكة الذين هم سكان الارض
ان يبنوا في الارض بيتا على مثاله وقدره فبنوا واسمه الضراح
اي الخالص وامر من في الارض ان يطوفوا به كما يطوف اهل السماء
بالبيت المعمور رواه البغوي رح وروي ان الملئكة بنوه قبل
خلق آدم بالفي عام فكانوا يحجونه فلما حجه آدم قالت الملئكة بر
حجك يا آدم حججنا هذا قبلك بالفي عام رواه البغوي وروي
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اول بيت بناه آدم في الارض وروي
عنه ابن هشام مرفوعا ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان اول
لمعة وضعت على الارض موضع البيت ثم حدث منها الارض
وان اول جبل وضعه الله على الارض ابو قبيس ثم حدث منه
الجبال وهذا قول مجاهد رواه البغوي وروي عن عبد الله بن عمر
انه قال لما اهبط الله تعالى آدم عليه السلام من الجنة الى الارض
قال الله تعالى اني مهبط معك بيتا او منزلا يطاف حوله كما يطاف

حول عرشي يصلى عنده كما يصلى حول عرشي فلما اهبط آدم من الجنة
الى الارض راسه الى السماء ورجلاه في الارض وكان يسمع كلام
اهل السماء ودعائهم وتسبيحهم فتاذى الملائكة من بكائه فنقص الله
تعالى قامته الى ستين ذراعا بذراع آدم ثم قال يا آدم طف هذا البيت
وهو البيت المعمور من ياقوتة حمراء كما رايت الملائكة في السماء
يطوفون حول عرشي فحج آدم من ارض الهند الى بيت الله تعالى
ماشيا اربعين حجة وكان موضع قدميه قرية وبين كل خطوة
مفازة وان خطوته مسيرة ثلثة ايام فاذا كان زمان طوفان
نوح عليه السلام رفعت تلك البيت الى السماء مع الجبال فبقى
مكانه خاليا الى زمان ابراهيم عليه السلام فلما جاء ابراهيم عليه
السلام امره الله تعالى بان يطهر بيته وكان لا يعرف مكانه
فارسل الله تعالى ريحا فكنس ما حوله ثم بعث الله تعالى سحابة على قدر
البيت الاول ظللته ثم جاء جبريل فضرب بجناحيه على وجه الارض
فحركها الى السابعة السفلى فعرف ابراهيم النبي صلوات الله على نبينا
وعليه اين هو بيتاه كما قال الله تعالى في سورة الحج واذ بوانا
لابراهيم مكان البيت اي بيناه ودللناه قال الامام الزجاج اي
جعلنا مكانه مبوءا معلوما ومرجعا له قال الامام الحافظ السدي
رح بعث الله ريحا حجوجا حين امره ببنائه ولم يدر اين البيت
فكنست له ما حول الكعبة عن الاساس الاول الذي كان البيت
المعمور عليه قبل ان رفع ايام الطوفان وقال عبد الله بن الشداد
الكلبي رض بعث الله سحابا على قدر البيت فلها راس يتكلم
فقامت بحيال البيت وقالت السحابة يا ابراهيم ابن على قدري
وانما ذكر المكان لان نفس الكعبة رفعت الى السماء في الطوفان

فبناه

مطلب بناء الكعبة وتعيين مكانه

بناه من خمسة جبال طور سيناء وجبل لبنان وجبل جودي
وحراء وابو قبيس فالاشارة فيه انه يغفر الله تعالى ذنوب من زاره
وتوجه اليه مصليا وان كان بينهما بعيدا وان كان ذنوبهم بوزن
هذه الجبال قال الامام شهاب الدين في حاشية القاضي البيضاوي
رحمه روي ان الكعبة بنيت خمس مرات احديها بناها الملائكة
قبل آدم عليه السلام من ياقوتة حمراء وهو بيت المعمور تحت العرش
يطوفها كل يوم سبعون الفا ولا نوبة لواحد منها الى يوم القيمة
اهبطت مع آدم عليه السلام ثم رفعت الى السماء ايام الطوفان
ثم سقطت لطابقت الكعبة والثانية بناه ابراهيم عليه السلام
على الوجه المذكور والثالثة بناه القريش حين شرافة عبد
المطلب جد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حيث اقتسموا من المال
الحلال بينهم فارادوا ان يرفع الحجر الاسود واختصموا فيه فكادوا
ان يقتتلوا كل قبيلة في الرفع ثم توافقوا على ان رجلا جاء اولا
فهو يرفعه فكان رسول الله صلعم في حال شبابه اول من جاء
فقضى بينهم ان يجعلوه في مربط ثم جعله في ايدي جميع القبائل
فرفعوه جملة واحدة من غير تقديم وتاخير على محله وكانوا يسمونه
محمد الامين يومئذ اذ خلصهم عن القتال وامنهم عن النزاع والجدال
فسبحان من اشار بهذا الى تمكينه والى كونه رئيسا وصاحبا لهم
وشفيقا رحيما ونبيا امينا ومحمدا رسولا صلى الله عليه وسلم
حيث ارسل بينهم من غير تعارف منهم والى الرضاء من الاكثر
الى التبعية له في امرهم وشريعته الى يوم القيام مع الامنية
عن الضلالة ما دام النور والظلام قيل هذا البناء قبل البعثة
بخمس عشر سنة والرابعة بناه عبد الله بن زبير رض وتمة صفية

مطلب بنيت الكعبة خمس مرات

٥

بنت عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم فكان عبد الله بن
عمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عليه ورضيهما فصلبه الحجاج
الظالم حين خرب الكعبة المكرمة بالمنجنيق وشهده يسر الله
شفاعته وجعلنا رفيقه في مقام الشهداء والخامسة بناء الحجاج
وهو البناء الموجود اليوم فبوأنا من باء بمعنى رجع واصل التبوئة
جعل المكان مباءة ومقرا ومرجعا يرجع اليه بالعبادة والطاعة
والحج كما هو المقصود من التوبئة ان يتخذ مقرا ومرجعا وايراد
اللام اشارة الى انه متضمن بمعنى الجعل اى جعلنا البيت مباءة
وانها مفعول بر صلة له لا زائدة كما قيل لانها انما تزاد اذا تقدم
المعمول او كان العامل فرعا وكل منهما غير متحقق ومن التبوئة
قوله ان لا تشرك بي شيئا على تقدير لفظ ان مفسرة بمعنى اي
من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادة
او مصدرية موصولة بالنهي اى فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي
وطهر بيتي من الاصنام والاوثان والاقذار ان تطرح حوله
للطائفين بالبيت لمن يطوف من المسافرين والقائمين المقيمين
من اهل مكة والركع السجود من المصلين بالاآفاق من كل وجه
ولعله عبر من الصلوة باركانها وهي القيام والركوع والسجود لان
المصلي لا بد له ان يكون جامعا في صلوته بين القيام والركوع
والسجود فروى عن ابن عباس رضيهما انه قال المراد بالقائمين
المقيمين بالبيت فيكون بالطائفين من يطوف به وهو آفاقي
غير مقيم هناك واذن في الناس اى اعلمهم وناديهم بالحج اى بدعوة
الكل لمن قدر له من اهل الاسلام والايمان في كل الشريعة فقال
ابراهيم عليه السلام اجابته يا رب وما يبلغ صوتي فقال الرب

بنداء ابراهيم عليه السلام

جل شانه يا ابراهيم عليك الاعلام ولا اذان وعلى الابلاغ فقام ابراهيم
على المقام او على جبل ابي قبيس او على الصفاء فارتفع المقام حتى صار
كطول فادخل اصبعيه في اذنيه واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا
وغربا وقال يا ايها الناس الا ان ربكم قد بنى بيتا وكتب عليكم الحج
الى البيت فاجيبوا ربكم فاجابه كل من تحج من اصلاب الاباء والارحام
والامهات لبيك اللهم لبيك قال الحسن انه خطاب للرسول امر
ان يفعل في حجة الوداع فالاول اظهر قال ابن عباس فاول من اجابه
اهل اليمن فهم اكثر الناس حجا ياتوك رجالا اى مشاتا على ارجلهم جمع راجل
مثل قائم وقيام وصائم وصيام جواب للامر وركبانا على كل ضامر
عطف على رجالا من الابل المهزول هذا بيان للحال الواقع فلا يدخل
الحرم من الابل وغيره من المراكب الا مهزولا ومضمورا لاجل طول الطريق
ومشاقه وقال الامام مجاهد رح من اجاب مرة حج مرة ولمن اجاب مرتين
واكثر حج مرتين او اكثر بذلك المقدار في اعتبار وصف الهزال في المركوب
لمناسب معنوي وزيادة لفظ الكل للمبالغة في تعميم الامر لكل من يقدر
على المركب ولو ضعيفا فقوله ياتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع
وان كان مفردا صورة اى يجيئن الضوامر من كل فج وطريق واسع عميق
بعيد من اقطار الارض ونواحيها طولا وعرضا وشرقا وغربا وقربا وبعدا
وانما عبر عن البعد بالعمق ليناسب الغرض المعتبر في مفهوم الفج وقربه
منه والمعنى واحد وفي تقديم المشاة على الركبان اشارة الى ان الحج
مشاة افضل من الركبان اذ خير الاعمال احمزها اى اشقها واتعبها
روى عن ابن عباس رضيهما انه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يقول للحاج الراكب بكل خطوة يخطوها راحلته سبعون حسنة
وللحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم

قال قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة الواحدة فيه بمائة الف حسنة
رواه ابن خزيمة في صحيحه قال حج ابرهيم واسمعيل عليهما السلام ماشيين
وكان اذا اقربا من الحرم خلعا نعاليهما كذا في حاشية شيخ زاده وعيون
التفاسير وتيسير النسفي رح وفي قوله من كل فج عميق ثناء الله تعالى على الحاج
حيث انهم يأتون بأمر الله مالا وبدنا وتعبا ومشقة طلبا لرضائه ونيلا الى
مغفرته بما وعده له فجعل العدد لافعالهم والعظمة لصنيعهم وعوضا
فضله وكرمه لهم كما ان العباد اظهروا عبوديتهم له لطامع كونهم من الجزاء
فهو ارحم الراحمين ليشهدوا متعلق بأذن او يأتوك منافع لهم
دينية او دنيوية وتنكيرها للعموم فهي مختصة بهذه العبادة من
انواع المناسك ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل
كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على انه المقصود
مما يتقرب به الى الله تعالى وتبارك في ايام معلومات بالتعداد عندهم
لانهم كانوا يعدونها لاجل اداء نسك الحج مع الشطر والشرط وهي عشر
ذي الحجة عند الامام الاعظم رح اي ايام ليالي العشر واليه ذهب الامام
الشافعي رح او ايام النحر واليه ذهب ابو يوسف يعقوب الاصفهاني
ومحمد بن حسن الشيباني رحمهما على ما رزقهم من بهيمة الانعام علق الفعل
بالمرزوق وبينه بمن البيانية بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها
على مقتضى الذكر تحسينا للكلام بنوع من البلاغة لم توجد في غير
هذا الكلام وتبيينا للكناية بالقرينة وتعظيم المرزوق بالابهام
والتوضيح للتحريض على التقرب بها اي ليذكروا اسم الله عند الذبح على الابل
والبقر والغنم فلا يجوز الاضحية من غيرها فكلوا منها اي من لحومها
فالامر للاباحة والازاحة لما عليه اهل الجاهلية فانهم ما كانوا يأكلون
من ضحاياهم ترفعا على الفقراء فاعلم الله تعالى جواز اكله

وعطى

وعطى الى الفقراء لما فيه من المواساة بهم والتواضع لهم والمخالفة للمشركين
المتكبرين فاتفق العلماء على ان الهدي اذا كان تطوعا للمهدي ان
يأكل منه وكذلك اضحية المتطوع لما روي ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ساق في حجة الوداع مائة بدنة فنحر منها ثلثا وستين بدنة
بنفسه ونحر علي بن ابي طالب رض ما بقي ثم امر صلعم ان يؤخذ بضعة
من كل بدنة فتجعل في قدر ففعل ذلك وطبخ فاكل من لحمها واختلفوا
في الهدي الواجب هل يجوز للمهدي ان يأكل منه شيئا مثل دم التمتع
والقران والنذور والكفارات جبرا للنقصان والتي وجبت بافساد
الحج وقرانه وجزاء الصيد فذهب قوم الى انه لا يجوز للمهدي ان يأكل
منه شيئا ومنهم الشافعي رح وذهب الائمة الحنفية رحمهم الى ان يأكل
من دم التمتع والقران لكونهما دم الشكر لا دم الجناية ولا يأكل من واجب
سواهما واطعموا البائس اي الذي اصابه البؤس وشدة الاحتياج التي
اضعف الفقير المحتاج الى الغنى الذي يزيله من اغنياء الغني فالامر
فيه للوجوب عند الامام الشافعي رح وللندب عند الائمة الحنفية
رح وقيل للوجوب بالاكل ايضا قال بعض العلماء رحمهم ادب الله تعالى
عباده ان لا يطعموا الفقير الا مما يأكلون ولا يجعلوا لله ما يكرهون
وان يشاركوهم في مآكلهم ومشاربهم وملابسهم ومنازلهم قال
الامام ابن عطا رح البائس هو الذي تأنف من مجالسته ومؤاكلته
والفقير من لم تعلم حاجته الى الطعام الا ان تسئل حالته وقال الامام
الخليل رح البائس نزلت به بلية او فاقة فيرحم لما به وقيل البائس
الذي يمضه الجوع والفقير الذي لا مال له ثم ليقضوا تفثهم والتفث
في اللغة الوسخ والدرن فعلى هذا كان معناه بعد ذا هذه الاشياء
ليزيلوا اوساخهم وادرانهم عنهم كذا قال الامام نفطويه في تفسيره

وقال الامام العينى رح التفث الاخذ من الشارب والاظفار ونتف
الابط وحلق العانة وقال الكسائى رح هو حلق الرأس وقص الشارب
والاظفار وغيرها وقال الامام الفراء هو من نحر البدنة الى اخر الاعمال
ويؤيده ما ذهب البعض على ما عليهم من اعمال الحج من المواقف والمناسك
كلها هذه اقاويل المفسرين موافقة اللغة وذلك عند الاحلال عن الحرام
ويقوى التصدير بالتراخى وليوفوا بالتخفيف من اوفى من الافعال
وبالتشديد من التفعيل نذورهم اى من كان عليه نذر بهدى فليف به
وليس كل الحديلزمه هدى فلذلك ذكر النذر وقيل النذر هنا عبارة
عن التزام افعال الحج من اولها الى اخرها الى تمام اداء لوازم الحج وانما يقال له
نذر لا التزام لناذر فالحاج لما التزم داءمه كانه نذر باتمامه وان لم
ينذر فان تعرب للبلغاء يقولون وفى نذره فيمن خرج عما وجب عليه
من ذمته والتزامه فهذا امر باتمام الحج وليطوفوا بالبيت قرى بسكون
اللام وكسرها فى الثلاثة او بكسر اللام فى الاول دون الاخرين اعلم ان الطواف
للحاج ثلاثة الاول طواف القدوم وهو من قدم مكة يطوف ويكون
سبعا يرمل ثلثا من الحجر الاسود الى ان ينتهى اليه ويمشى اربعا وهذا الطواف
سنة لا شئ على من تركه والثانى طواف الافاضة يوم النحر بعد الرمى
والحلق ويسمى ايضا طواف الزيارة وهو ركن لا يحصل التحلل عن الاحرام
ما لم يأت به والثالث طواف الوداع لا رخصة لمن اراد مفارقة
مكة الى مسافة القصر فى ان يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعا فمن
تركه فعليه دم الا المرأة الحائضة فانه يجوز لها ترك طواف الوداع
ثم ان الرمل فى حال الطواف يختص بطواف القدوم دون طواف
الافاضة والوداع فلا يرمل فيهما فالمراد منه طواف الزيارة ولانه
وهو ركن الحج ولا حج بدونه ويقع به تمام التحلل وقيل طواف الوداع

اذ كان

اذ كان اتاقينا بالبيت العتيق القديم فهذا الامر للوجوب والفرض
يوم النحر بالطواف الزيارة وهو ركن فيه والطواف الاول المسمى
بالقدوم السنة وتحية ولا شئ فيه على من تركه والطواف الاخير
طواف الوداع وهو واجب وانما سميت البيت به لانه فعيل بمعنى مفعول
لان الله تعالى اعتقه عن الغرق فى الطوفان فرفعه الله الى السماء
فكان معتقا وقال الامام عبد الله بن سلام الكلبى رض وبمعنى الكريم
اذ هو مكرم عند الله تعالى والملئكة والمخلوقات كلها ومنه عتاق
الخيل لكرامتها وعتاق الرقيق لخروجه من ذل عبودية الناس الى
كرم الحرية وانه تعالى اعتقه من ايدى الجبابرة ان يصلوا الى التخريب
ولم يظهروا عليه على دواية ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وقتادة
وقال ابن عيينة لانه لم يملك قط واما تسلط الحجاج الظالم فانه
قصد اخراج ابن الزبير رض عنها لانه يحصن به منه دون التسلط
عليه وقال الحسن ومجاهد وابن زيد العتيق القديم لان الله تعالى
خلقه قبل سائر الارض بالفى عام ثم انبسطت الارض منه فرد الله
تعالى قول اليهود حين حولت القبلة من بيت المقدس الى الكعبة المكرمة
بان قبلتنا قديمة منها وافضل ومهاجر الانبياء وارض المحشر فهو احق
بالصلوة بقوله ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا
حال من ضمير وضع اى كثير الخير المعنوى والنفع الدنيوى
والاخروى والبركة لهم لحصول الثواب والاجور لهم من العشرة الى
سبعماة والى الزيادة بغير حساب بالطواف السنة والفرض
والواجب والمستحب والنوافل والصلوة وانواع العبادات واصناف
الخيرات والاعتكاف وغيرها ومغفرة لذنوبهم وهدى للعالمين
عطف على الحال اى كونه سببا لهدايتهم لانه قبلتهم ومتعبدهم

يصلون اليها لاجل العبادة ونيل الرضا منه لانه تعالى رضي عن
المؤمنين المتقين الذين وعد لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها
غير طالبين حولا ولان فيه ايات وعلامات واضحات كانحراف
الطيور عن موازاته مدى الاعصار عدد الامصار مدة الليالي
والانهار واستشفاء المريض فوزه وتعجيل العقوبة لمن استحقها
ومنها الحجر الاسود والحطيم وصدود الانبياء والاولياء والابرار
وتضاعف الاجور بمائة الف وان ضواري السباع تخالط الصيود
في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهر كاصحاب
الفيل فالجملة مفسرة للهدى اي وحال اخرى مقام ابراهيم منها والمراد
الحجر الذي يصلى عنده ركعتان عند تمام الطواف على انه مبتدا
محذوف الخبر او بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف
بيان على ان المراد بالآيات اثر القدم في الحجر الصلد والصماء وغوص
فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار
وابقاؤه دون آثار سائر الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه
على نبينا وعليهم وحفظه مع كثرة اعدائه الوف سنة من الكفار ويؤيده
انه قرئ آية بينة على التوحيد على معنى الجمع لما فيه من ظهور شان ابراهيم
فيكون مشتملا على الآيات كما ترى وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان
الكعبة قام على هذا الحجر الصلد الاسود ليتمكن من رفع الحجارة على فوقه
قدميه فغاصت فيه قدماه الى الكعبين فاندرس من كثرة المسح
بالايدي طول الازمنة من الوف السنة ومن دخله اي حرم البيت كان
آمنا جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام اي امن
من دخله اي منها امن من دخل فيها او فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامن
من دخله وانما اقتصر بهما من الآيات الكثيرة اذ فيهما اغنية عن الغير كما في

قوله

في قوله صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم الطيب والنساء وقرة عيني
في الصلوة فاستغنى عن ذكر سائر الآيات ببقاء الاثر مدى الدهر فلذا
ذهب الامام الاعظم ابو حنيفة رح ان القاتل والجاني اذا التجأ الى البيت
لا يقتص ما دام فيه فاذا خرج اقتص فلا يخرج منها ولكن الجأ بعدم
الطعام والشراب ليخرج ويقتص قاله ابن عباس رضي الله عنهما وذهب بعض
العلماء ان من ارتكب الجناية في الحرم يستوفى منه عقوبته بالاتفاق واما
في الخارج فالتجأ فيه فلا دام فيه كما ذهب اليه ابن عباس وابو ح بخلاف
الامام الشافعي رح فانه يخرج ويقتص وقيل معناه ومن دخله كان آمنا
بدعاء ابراهيم ع م حيث قال في دعائه رب اجعل هذا البلد آمنا وكانت العرب
في الجاهلية يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض ومن دخل الحرم
امن القتل والغارة ويؤيده قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف
الناس من حولهم قاله الحسن وقتادة وقيل معناه ان من دخل عام عمرة
القضاء مع رسول الله صلعم كان آمنا لما قال الله تعالى لتدخلن المسجد الحرام
ان شاء الله آمنين وقيل هو الخبر لفظا والانشاء معنى فالتقدير ومن دخله
فآمنوه اي لا تقتلوه ولا تفسقوا قاله اكثر المفسرين وقيل معناه ومن دخله
كان آمنا من العذاب يوم القيمة لقوله صلى الله عليه وسلم من مات في احد
الحرمين بعث يوم القيمة آمنا ولقوله صلعم الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما
وينثران في الجنة ولقوله صلعم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت
عنه جهنم مسيرة مائتي عام كذا في الكتب الستة ولله على الناس حج البيت
اي قصده للزيارة على الوجه المخصوص بكسر الحاء المهملة وفتحها بمعنى القصد
اي استقر لله عليهم فرض حج بيته من استطاع اليه سبيلا بدل البعض
من كل الناس اي فرض الحج على من استطاع واقتدر الى زيارة البيت بسبيل
الذهاب والرجوع فالاستطاعة عبارة عن الزاد والراحلة ونفقة العيال

مع المكن عند الائمة الثلثة رح واما عند الامام مالك فهي القدرة على الحج ماشيا وكاسبا في الطريق وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة لما روى عن محمد بن عباد بن جعفر انه قال قعدنا الى عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال فسمعته يقول سئل رجل الى رسول الله صلعم فقال ما الحاج فقال الشعث التفل الرائحة الكريهة من عدم استعمال الطيب وعدم الحلق في الراس فيقال الشعث التفل فقام آخر فقال يا رسول الله اي الحج افضل قال العج والثج قوله العج رفع الصوت بالتلبية والثج اراقة القربان والهدى فقام آخر فقال ما السبيل قال زاد وراحلة رواه البغوي وهو يؤيد قول الائمة الثلثة ان الحج انما يوجب على من ملك زادا وراحلة ونفقة لذهابه وايابه فاضلا عما لا بد منه من الحوائج فقد وجد الاستطاعة فيجب عليه قال الائمة المحدثون والفقهاء المجتهدون ان شرائط الحج خمسة الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والاستطاعة فلا يجب على الكافر والمجنون ولو حجا بانفسهما لم يصح لان الكافر ليس من اهل القربة ورفعت العبادة من المجنون اذ العقل شرط للتكليف فاذا انتفى الشرط انتفى المشروط كالوضوء للصلوة ولا يجب على الصبي لانه مرفوع القلم والتكاليف لصباه ولا على العبد اذ ماله ونفسه لمولاه فلا يجوز تصرفه بمال الغير بغير الاذن فهو ما دام عبدا لا يصلح ولو حجا يصح عنهما تطوعا فيجب عند البلوغ والعتاق اذا وجد الاستطاعة فيهما ولا يجب على الفقير لعدم القدرة ولا استطاعة بالزاد والراحلة ذهابا وايابا وقادرا على نفقة عياله بالامكان العادي في البلاد فاذا اجتمعت الشروط الخمسة وجب الحج على قدره فورا وعمرا فالاول اقرب للتقوى والثاني للفتوى ثم الاستطاعة نوعان النوع الاول الاستطاعة بنفسه وهو ان يكون قادرا على الذهاب والاياب وقويا على اداء الحوائج من الركوب والنزول وغيره النوع الثاني الاستطاعة بغيره فهو ان يكون مريضا او زمنا

غير

غير مرجو الزوال وله مال يمكنه ان يستأجر من يحج بدلا عنه فيجب عليه ان يستأجر رجلا بدلا عنه بالحج والعمرة او القران وان لم يكن له بدل وصرف ماله الى انواع الطاعة فصار كسائر الفقراء فلا يلزم عليه الحج لان انتفاء الشرط يقتضي انتفاء المشروط وعند مالك رح لا يجب على المال المغصوب بل رده الى صاحبه واجب واما الفرق بين الامام الاعظم والشافعي رحمهما في الذهاب والاياب عند الاول وعلى الاول عند الثاني في الاستطاعة عنده قدرة التبليغ الى البيت فقط دون الثاني بخلاف الاول اذ عنده الثاني كالاول في الشريعة واما حكم الزاد والراحلة فهو ان يجد راحلة تصلح له كالابل والبغل والبقر والفرس والحمار بحيث تنقله من مرحلة الى البيت الحرام وان يجد زادا له ولراحلته على وجه الكفاية في الذهاب فقط عند الشافعي رح والرجوع معه عند الامام الاعظم فاضلا على نفقة عياله وكسوته ومن يلزم عليه نفقته كالوالد والوالدة من الاصول والفروع وعن دين ان كان عليه ويجد رفقة يخرجون في وقت جرت العادة بخروج اهل البلد في ذلك الوقت فان خرجوا قبله او اخروا الخروج الى وقت لا يصلون الا ان يقطعوا كل يوم اكثر من مرحلة لا يلزمه الخروج معهم للحرج المدفوع ويشترط ان يكون الطريق امنا فان كان في الطريق مخاطرة وخوف من عدو وسبع او كافر او من رصدي يطلب الخفارة لا يلزمه الحج لما بيناه ويشترط ان يكون المنازل ما هو له معمورة يجد فيها كما جرت العادة بوجود الزاد والماء فاذا كان زمان جدوبة وقحط تفرق اهلها او غار مياهها وماؤها فلا يلزمه الحج لما بيناه ولو لم يجد الراحلة وهو قادر على المشي او لم يجد الزاد وهو قادر على الكسب في الطريق لم يلزمه الحج لانتفاء الشرط ومع هذا لو فعل لكان حجة مبرورة مستحبا وعند مالك يلزمه الحج لوجود الشرط وهو القدرة على المشي والكسب

لما روى عن عبد الله بن جواد رضى انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم حجوا فان الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن اى الوسخ رواه الامام
الطبرانى فى المعجم الاوسط وروى عن ابن عباس وابى هريرة رضى الله عنهما انهما
قالا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خرج حاجا او معتمرا فله بكل
خطوة حتى يرجع الف الف حسنة ويمحى عنه الف الف سيئة ويرفع له
الف الف درجة وله عند الله بكل درهم ينفقها الف الف درهم وبكل
دينار الف الف دينار وبكل حسنة يعملها الف الف حسنة ويرجع
وهو فى ضمان الله تعالى فان توفيه ادخله الجنة وان رجعه رجع مغفورا
فاغتنموا دعوته اذا قدم قبل ان يصيب الذنوب فانه يشفع فى مائة الف
رجل يوم القيمة ومن خلف اهل حاج او معتمر كان له اجره كاملا من غير
ان ينقص من اجره شئ رواه الحرث بن اسامة عن داود المحبر رضى الله
وروى عن ابى هريرة رضى انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من خرج حاجا فمات كتب له اجر الحاج الى يوم القيمة ومن خرج معتمرا
فمات كتب له اجر المعتمر الى يوم القيمة ومن خرج له غازيا فمات كتب له
اجر الغازى الى يوم القيمة رواه ابو يعلى البغدادى المالكى رح وروى
عن ابن عباس رضى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله
تعالى كل يوم على حجاج بيت الحرام عشرين ومائة رحمة ستين للطائفين
واربعين للمصلين وعشرين للناظرين رواه الامام البيهقى وروى
عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى انه قال من توضأ فاسبغ الوضوء
ثم اتى الركن يستلمه خاض فى الرحمة فاذا طاف بالبيت كتب الله له
بكل قدم سبعين الف حسنة ورفع له سبعين الف درجة ويشفع
فى سبعين من اهل بيته فاذا اتى مقام ابراهيم فصلى عنده ركعتين
ايمانا واحتسابا كتب الله له عتق اربعة من ولد اسمعيل وخرج

من ذنوبه

من ذنوبه كيوم ولدته امه رواه الاصفهانى رح وروى عن ابى هريرة رضى
انه قال سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى الاعمال افضل
قال ايمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا قال الجهاد فى سبيل الله قيل ثم
ماذا قال حج مبرور رواه البخارى وروى عن ابى هريرة رضى انه قال
سمعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من حج لله فلم يرفث ولم يفسق
رجع كيوم ولدته امه رواه البخارى وروى عن عائشة رضى الله عنها انها
قالت يا رسول الله ترى الجهاد افضل العمل فلا نجاهد قال لكن افضل
الجهاد حج مبرور رواه البخارى وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال
كان اهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون
فاذا قدموا مكة سألوا الناس فانزل الله تعالى وتزودوا فان خير الزاد
التقوى وهذا رواه ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة مرسلا رواه البخارى
وهذا دليل للامام مالك حيث جعل الاستطاعة عبارة عن المشى
ان قدر ولم يشترط الزاد والراحلة ان قدر على الكسب فى الطريق بالسؤال
وحمل الزاد على التقوى لكن تفسيره النبى صلى الله عليه وسلم الاستطاعة
بالزاد والراحلة يأباه وكما تراه انفا وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه
قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقت لاهل المدينة ذا الحليفة
ولاهل الشام الجحفة ولاهل نجد قرن المنازل ولاهل اليمن يلملم هن
لهن ولمن اتى عليهن من غيرهن ممن اراد الحج والعمرة ومن كان دون
ذلك فمن حيث انشأ حتى اهل مكة من مكة رواه البخارى وروى
عن ابن عمر رضى الله عنه انه قال لما فتح هذان المصران لاهل العراق اتوا عمر
رضى فقال يا امير المؤمنين ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
حد لاهل نجد قرنا وهو جور عن طريقنا وانا ان اردنا قرنا شق علينا
قال فانظروا حذوها من طريقكم فحد لهم ذات عرق رواه البخارى

[illegible]

وروى عن عبد الله بن عمر رضيهما ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اناخ بالبطحاء بذى الحليفة فصلى بها وكان عبد الله بن عمر يفعل
ذلك رواه البخارى وروى عن ابن عباس رضيهما انه سمع عمر يقول سمعت
النبى صلعم بوادى العقيق يقول اتانى الليلة آت من ربى فقال صل فى هذا
الوادى المبارك وقل عمرة فى حجة وفى رواية عن عبد الله عن ابيه
عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه رئى وهو فى معرس بذى الحليفة
ببطن الوادى قيل له انك ببطحاء مباركة وقد اناخ بنا سالم يتوخا
بالمناخ الذى كان عبد الله ينيخ يتحرى معرس رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وهو اسفل من المسجد كالذى ببطن الوادى بينهم وبين
الطريق وسط من ذلك رواه البخارى وروى عن عبد الله بن عمر
رضيهما ان رجلا قال يا رسول الله ما يلبس المحرم من الثياب قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يلبس القميص ولا العمائم ولا السراويلات
ولا البرانس ولا الخفاف الا احد لا يجد نعلين فيلبس خفين وليقطعهما
اسفل من الكعبين ولا يلبسوا من الثياب شيئا مسه الزعفران او ورس
رواه البخارى وروى ايوب عن نافع انه قال كان ابن عمر رض اذا دخل
ادنى الحرم امسك عن التلبية يبيت بذى طوى ثم يصلى به الصبح
ويغتسل ويحدث ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك
رواه البخارى رح ومن كفر اى ترك الحج بعد الوجوب عمدا على
كونه كافرا كما فسره ابن عباس والحسن رضيهما قال سعيد بن المسيب
نزلت فى اليهود حيث قالوا الحج الى مكة غير واجب فكفروا وتوبيخا
روى عن الضحاك انه لما نزل صدر الاية جمع رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ارباب الملل واهل الاديان كلهم فخطبهم وقال ان الله تعالى كتب
بعد الايمان بكتابه ورسوله فحجوا اى بعد الاستطاعة فآمنت به ملة

واحدة وهم المؤمنون وكفرت به خمس ملل فنزلت ومن كفر فان الله غنى
عن العالمين وضع موضع من لم يحج تأكيدا للوجوب وتغليظا على تاركه
لما روى عن ابى امامة رض ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من لم يحبسه
حاجة ظاهرة او مرض حابس او سلطان جائر ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا
وان شاء نصرانيا رواه الامام البغوى فى المعالم وروى عن ابى سعيد
الخدرى قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله تعالى يقول
ان عبدا اصححت له جسمه واوسعت فى المعيشة مضى عليه خمسة اعوام
لا يزور الى انه لمحروم رواه ابن حبان فى صحيحه والبيهقى وفى رواية ابى
هريرة واوسعت عليه فى الرزق ولم يفد الى فى كل خمسة اعوام عاما
لمحروم رواه الامام الواحدى فى الوسيط وفى رواية عنه من ملك زادا
وراحلة فلم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا كذا رواه البغوى
فى المصابيح وروى عن ابن مسعود رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم من لم يحج ولم يوص بحج ولم يحج عنه لم يقبل له يوم القيمة عمل رواه الواحدى
ايضا وروى عن على بن ابى طالب رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فى خطبته ايها الناس ان الله تعالى فرض الحج على من استطاع اليه
سبيلا ومن لم يفعل فليمت على اى حال شاء يهوديا او نصرانيا او مجوسيا
الا ان يكون به مرض او منع من سلطان جائر الا لا نصيب له فى شفاعتى ولا يرد
حوضى رواه الهدى ابو الليث فى تفسيره وورد فى الحديث الآخر من امكنه
الحج فلم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وفى رواية عن ابن عمر رضيهما
ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال بنى الاسلام على خمس على ان تعبد الله وتكفر
بما دونه واقام الصلوة المفروضة وايتاء الزكوة وحج البيت وصيام رمضان
رواه الامام الكواشى ومسلم فى صحيحه وورد فى الحديث ايضا من مات ولم يحج
فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا رواه على القارى سلطان المحدثين المتأخرين

في تفسيره انوار القرآن والقاضي البيضاوي رحمهم وحكي عن وهب بن منبه
رضي الله عنه قال مكتوب في التورية ان الله تعالى يبعث يوم القيمة سبعماة الف ملك
من العرش بيد كل ملك منهم سلسلة من ذهب الى البيت الحرام ويقول لهم
قودها الى المحشر فيقودونها وملك ينادي سيري يا كعبة الله فتقول
لا حتى اعطى سؤالي فيقول ملك سلي فتقول يا رب شفعني في جيراني الذين
دفنوا حولي من المؤمنين فيقول الله تبارك وتعالى اعطيتك ذلك ثم تقول
الملائكة لها سيري يا كعبة الله فتقول لا حتى اعطى سؤالي فتقول الملائكة
سلي حاجتك فتقول يا رب عبادك المؤمنين الذين جاؤا الي من فج عميق
اسئلك ان تؤمنهم من الفزع الاكبر فيقول الله تعالى اعطيتك ثم ينادي منادي
الا من زار الكعبة فليعتزل من بين الناس فيجمعهم الله تعالى حول الكعبة بيض
الوجوه آمنين من الفزع الاكبر ويطوفون ويلبون حول الكعبة ثم ينادي
ملك سيري يا كعبة الله فتقول لا حتى اعطى سؤالي فينادي ملك سلي فتقول
يا رب عبادك المذنبين الذين خرجوا من بيوتهم لزيارتي وماتوا قبل ان
يزوروني اسئلك ان تؤمنهم من خوف هذا اليوم فيقول الله تعالى امنتهم ثم ينادي
ملك يا كعبة الله سيري فتقول لبيك اللهم لبيك ثم يجرونها الى المحشر
فاول من يحشر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتقول الكعبة يا رسول الله اشفع
لمن لم يزرني فاني قد شفعت من زارني ومن مات في الطريق ثم يقول الناس
كلهم يا رب ان عبادك المذنبين عبدوك فينا بالليل والنهار نسئلك
ان تؤمنهم من فزع هذا اليوم فيقول الله تعالى قبلت شفاعتكم وامنتكم
من النار كذا في حيوة القلوب والمشكوة وحكي عن سفيان الثوري رح
انه قال حججت سنة فاردت ان انصرف من عرفات ولا احج بعد هذا فنظرت
في القوم فاذا رأيت شيخا يتكئ على عصاه وهو ينظر الى مليا اي طويلا فقلت
السلام عليك يا شيخ قال وعليك السلام يا سفيان ارجع عما نويت

فقلت

حكاية سفيان الثوري وابن الدقي

فقلت سبحان الله انت تعلم نيتي قال الهمني ربي فوالله لقد حججت خمسا
وثلثين حجة وكنت واقفا بعرفات ههنا في الحجة الخامسة والثلثين
انظر في امرهم وامري ان الله تعالى يقبل حجهم وحجي فبقيت متفكرا حتى
غربت الشمس وافاض الناس من عرفات الى مزدلفة ولم يبق معي احد
وجن الليل ونمت على تلك الحالة فرأيت في النوم كان يوم القيمة قد قامت
وحشر الناس وتطايرت الكتب ونصب الميزان والصراط وفتحت ابواب
الجنان والنيران فسمعت النار ينادي اللهم قو الحجاج من حري اي
احفظهم ويحيى فنوديت يا نار سلي غيرهم فانهم ذاقوا عطش البادية
بحر عرفات وقد ذاقوا عطش القيمة فانهم طلبوا رضائي لا لانفسهم واموالهم
قال انتبهت وصليت ركعتين ثم نمت ورأيت كذلك فقلت
في نومي هذا من الرحمن او من الشيطان فقيل لي بل من الله تعالى فمد يمينك
فمددتها فاذا على كفي مكتوب من وقف عرفة وزار البيت قد كان شفيعا
لسبعين من اهل بيته قال سفيان ورأيت المكتوب حتى قرأت ثم قال
الشيخ فلم يمر علي منذ ذلك الزمان الا وانا حججت حتى تم وتم لي ثلث
وسبعون حجة كذا في حيوة القلوب وحكي عن علي بن الدقي انه كان
حج ثمانين حجة فقالت له نفسه انك تقدم غدا بين يدي الله ومعك
ثمانون حجة فقال اني قد وهبت سبعين حجة للنبي صلعم واربعة
للخلفاء الراشدين وثلثة لامي واثنين لابي وواحدة للمسلمين
الذين يريدون الحج ولا يقدرون عليه ثم قلت يا نفسي قد بقيت بغير
شيء تقدم على الله ولا حج معك فسمعت هاتفا من زاوية البيت
يا ابن الدقي اتسخى معنا ونحن خلقنا السخاء فبعزتي وجلالي لكل من
وهبت له حجة واحدة وهبت له سبعين حجة ووهبت لك سبعين

الفرجة من حيوة القلوب وحكى عن ذى النون المصرى رح قال كنت امشى
فى البادية فرايت رجلا حافيا مكشوفا وعليه سيماء الصالحين وكان
وجهه منورا فقلت من انت قال انا عبد الله فقلت الى اين قال الى بيت الله
فقلت ما طعامك قال حب الله وقلت ما شرابك قال شوق الله ثم قال
من ترك العقبى وجد المولى ثم انعزل وافترق ذلك الرجل حتى بلغت الى
موضع يرى الكعبة منه فرايت ذلك الرجل نائما واضعا راسه على التراب
فرايت الكعبة زائلا عن موضعها تطوف ذلك الشاب فناجيت الله فقلت
سبحان الله قد تقدم الحجاج من اطراف لزيارة بيت الله وبيت الله
تقدم لزيارة ذلك الشاب فنودى يا ذا النون اما علمت ان من قدم الى
الكعبة يطوف ومن قدم اليه الكعبة فالكعبة له تطوف من حيوة القلوب
فاعلموا ايها الاخوان ان زيارة بيت الله الحرام فرض على من استطاع اليه
سبيلا وزادا وراحلة فاضلا عن نفقات عياله ممن يجب نفقته
من الذهاب والاياب وركن من اركان الاسلام على ما عرفت تفصيله
ومن فعله فقد اقام الدين ومن تركه فقد هدم الدين اللهم اجعلنا
من القادرين والحاجين المعتمرين المشكورين سعيهم والمغفورين
ذنبهم والمقبولين حجهم والمشفعين فى عيالهم واقربائهم واحبائهم واصدقائهم
ومن الداخلين الى موعودك من الجنات العاليات ومن الجالسين فى الغرفات
الواليات ومن الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فى الدارين بحرمة رسولك
فى الكونين الفصل الثانى فيما يتعلق بمولود سيد الانبياء وسند الاصفياء
صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب المعجزات الباهرات فى الكعبة المكرمة والكرامات
الظاهرات فى المدينة المنورة والرايات المنصورات فى اقطار الارضين
من الاسفلين والعلويات لتزايد الاشواق فى الزيارة وتكثير الفقراء الى

السعادة ويتبرك الفقير بالادعية الخيرية من اخوان العلماء العلية من
الاخلاص والفاتحة الجليلة وتتضمن بشرح صدره وضمه الى عمه ابى طالب
عبد المناف وتزويجه ونبوته ومعجزاته ومعراجه وانتقاله الى دار السعادة
صلى الله تعالى عليه وسلم صلوة دائمة تسليما كثيرا قال الله تعالى فى سورة المائدة
يا اهل الكتاب اى يا اهل المؤتلفين والمستعدين بايمان الكتب المنزلة والرسل
المرسلة فيه التفات الى خطاب الفريقين على ان الكتاب جنس شامل لمن امن
بالصحف المتلوة والكتب الاربعة المدونة المنزلة من التورية والزبور
والانجيل والفرقان فالمراد من اهل الكتاب هنا من لم يؤمنوا بالشرائع الفرقانية
والاحكام القرآنية فلذا رغبهم الله تعالى بالايمان وحرضهم بتنور نور الايمان
والاسلام والاذعان كما يؤيده مفهوم قوله العزيز بعد هذا من ذكر اخفاء
احكام الله تعالى فى الكتاب الذى انزل عليهم من التورية والانجيل وعفوهم
واعراضهم قصدا ومن ذكر كونه صلى الله نورا فى كتابهم ظاهرا ومظهرا
كالشمس فى وسط النهار حيث يهدى به من اتبع وعمل واعتقد بمقتضاه
ورضى برضاه فاثر بيان حالهم من فنون القبائح من اسوء الفضائح وحرمهم
بالايمان الى رسوله وكتابه وايرادهم بعنوان اهلية الكتاب لانطواء
الكلام المصدر به على ما يتعلق بالكتاب وللمبالغة فى التشنيع بهم فان
اهلية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل به وبمقتضاه وبيان ما فيه
من الاحكام وقد فعلوا من الكتم والتحريف ما فعلوه وهم يعلمون وقد جاءكم
بعد الفترة وانقطاع الرسل وتحريف السفهاء وتخليطهم بما فعلوا
وافتروا لاهوائهم رسولنا العظيم الخلق والخلق الذى لم يوجد مثله
فى الكائنات من المصنوعات فانه صلعم وان كان بشرا فى الهيكل والصورة
فهو اكمل واعلى واتم واسنى من الملئكة المقربين فى الشمائل والسيرة فضلا
عن البررة والكتبة السفرة فهذه الحالة العلية والجبلية الجلية

مخصوصة له من الاخلاق الحميدة السنية والاعمال الجميلة الكريمة الممدوحة
فى كتابه العزيز بقوله انك لعلى خلق عظيم فويل لمن كان اعمى فى هذه فهو فى الآخرة
اعمى واضل سبيلا بل الموجودات بسببه ومن نوره حتى العرش والكرسى والجنة
والملائكة والسموات وغيرها من المخلوقات للتشريف كما ان نون المتكلم كذلك
وللايذان بوجوب اتباعه وقوله يبين لكم حال من رسولنا وايثار الجملة
الفعلية على غيرها للدلالة على تجدد البيان قد جاءكم رسولنا حال كونه
مبينا لكم على التدريج كما امر به حسبما يقتضيه المصلحة كثيرا مما كنتم
تخفون من الكتاب اى التورية والانجيل كنعت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وآية الرجم وبشارة عيسى بقوله يأتى من بعدى اسمه احمد عليهما السلام
فى الانجيل والجار والمجرور فى محل النصب على الحال من ضمير المفعول المحذوف
فى تخفون اى كائنا من التورية والانجيل ويعفوا عن كثير اى ولا يظهر
كثيرا مما تخفونه اذا لم تدع اليه داعية صيانة لكم عن زيادة الا
فتضاح كما يفصح عنه التعبير عن عدم الاظهار بالعفو وفيه حث
وتحريض لهم على عدم الاخفاء ترغيبا وترهيبا والجملة المعطوفة على الجملة
الحالية داخلة فى حكمها وقيل يعفوا عن كثير منكم ولا يؤاخذه قد جاءكم
من الله نور جملة مستانفة مسوقة لبيان ان فائدة مجئ الرسول صلى الله
تعالى عليه وسلم ليست منحصرة فيما ذكر من بيان ما كانوا يخفونه بل له
منافع لا تحصى والجار متعلق بجاء ومن لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف
وقع حالا من نور وايا ما كان فهو تصريح بما يشعر به فاضافة الرسول
من مجيئه من جنابه عز وجل وتقديم الجار والمجرور على الفاعل
للمسارعة الى بيان كون المجئ من العناية العالية والتشويق الى الذات
الجائى ولان فيه نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم
الكريم كما فى قوله وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين

والتنوين

والتنوين للتفخيم والمراد به وبقوله وكتاب مبين القرآن وانما عطف
بالواو من الحروف العاطفة ايذانا بان المراد من النور وهو كتاب كما يفهم
اول النور منه ووجه المشبه فى الكتاب به لما فيه من كشف ظلمات الشرك
والشك وابانة ما خفى على الناس من الحق والاعجاز البين فالعطف لتنزيل
المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات وان كان متحدا فى نفس الامر
وقيل المراد بالاول هو الرسول عليه الصلوة والسلام وبالثانى القرآن
ففى الاول استعارة تحقيقية وترشيحية من المعانى البديعة والمبانى
العجيبة يهدى به الله توحيد الضمير المجرور لاتحاد المرجع بالذات ولكونهما
فى حكم الواحد او اريد يهدى بما ذكر وتقديم الجار والمجرور للاهتمام
واظهار الجلالة لاظهار كمال الاعتناء بامر الهداية ومحل الجملة الرفع
على انها صفة ثانية للكتاب او النصب على الحالية منه لتخصصه
بالصفة من اتبع رضوانه اى رضاه بالايمان به ومن موصولة او موصوفة
سبل السلام اى طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب او سبل الله
تعالى على تقدير العلمية والاسمية من الاسماء الحسنى وهو شريعته التى
شرعها للناس هو مفعول ثان ليهدى والحق ان انتصابه بنزع الخافض
على طريقة قوله تعالى واختار موسى قومه وانما يتعدى الى الثانى بالى او
باللام كما فى قوله تعالى ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم ويخرجهم جمع الضمير
باعتبار معنى من العموم والشمول وان كان مفردا من جهة اللفظ كما
روى بافراد اتبع من الظلمات اى ظلمات انواع الكفر والضلال الى النور
اى نور الايمان وفيه تشبيه بليغ مبالغة فى الاطلاق باذنه اى
بتيسيره او بارادته ويهديهم الى صراط مستقيم وهو اقرب الى الله
تعالى ومؤد اليه لا محالة وهذه الهداية عين الهداية الى سبل السلام
وانما عطفت عليها تنزيلا للتغاير الوصفى منزلة التغاير الذاتى

الهداية [illegible] اتباع [illegible] السلام والصراط المستقيم

وروى عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين رواه
البخارى ومسلم والمراد بالحب فى الحديث الحب الاختيارى لا الاضطرارى
الذى خلق عليه الجبلة كمحبة الحيوان والطيور اولادها فلو امر النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم رجلا من امته بان يقاتل الكفار حتى يكون شهيدا فاحب
الشهادة باختياره وان اضطرب النفس به ولا تحبه وقاتل حتى كان شهيدا
فهذا الحب اختيارى تصرف الارادة الجزئية والاختيارات الخيرية لجلب
منفعة الشهادة فى الجنات العاليات من النعم الظاهرات والباطنات
والشفاعات للمؤمنين والمؤمنات حتى ورد فى الخبر ان الشفاعة العامة
متاخرة الى يوم القيمة فيها يشفع كل الشافعين حتى الانبياء والمرسلين
والاولياء والصالحين الا الشهداء فانهم بدو الشفاعة خاصة لهم يوم الشهادة
الى يوم القيمة كل آن وساعة ويوم وليلة وشهر وسنة فيوم القيمة يشفعون
بالشفاعة العامة سبعين الفا من المستحقين الى النار فحبهم الشهادة لاجل
هذه المناصب العلية ولجلب المراتب الجليلة بين الامثال من الرجال حب
الاختيارى والا فالنفس الامارة بالسوء لا ترضى بترك منفعة الحيوة
الدنيوية فاضطربت وتوحشت وكانت تنفر بطبيعتها فصار فى اختياره
تميل كمريض يحب الدواء المر مع نفرة طبيعة عن الاكل والشرب لاجل
الخلاص عن المرض المهلك ولكن يفعله بظن ان خلاصه ومنفعته فيه
وكيف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اعطف لامته من والده وولده والناس
اجمعين كما قال الله فى سورة الانفال وما كان الله ليعذبهم واللام لتاكيد
النفى والنفى متسحب الى وجود النبى صلعم فيهم كما يدل اللام على ان تعذيبهم
الاستيصال لا يوجد والنبى صلعم مادام فيهم فاذا ارتحل وتفرق ولعذبو
كما ان النفى فى قوله وما كان الله معذبهم باستغفار المؤمنين فيما بعده

معلقا

معلقا بها على الحقيقة او على المجاز الاولى من التجوزات لتعلق الارادات
العلية فى الازل انهم يتركون الكفر والشرك ويستغفرون عن الذنوب الكثيرة
والعيوب الصغيرة الوفيرة وهذا العباد من الله العليم وهو ارحم الراحمين
وفى هذه الاية العزيزة تبشير على ان نبيا من الانبياء اذا وجد حيوته
ومماته فى بلدة امن اهلها من العذاب والغضب مادام فيهم وانت يا محمد
فيهم اى بين ظهرانى قريش من قومك الذين تعندوا بعد ظهور الحق
واستحقاق المعبودية لمن هو احق بعد تحقق بطلان الاباطيل من اللات والعزى
والمنات وبعد ظهور نبوتك كالشمس فى وسط النهار بالمعجزات الظاهرة
والكرامات الباهرة مرة بعد اخرى وكرة بعد الكرى فعجزوا عن المقابلة
بعد التكليف باتيان عشر سور ثم الى السورة الواحدة القصيرة من اقصرها
من الحديث من مثله ثم اظهروا انتيجة العجز وثمرة المعاندة بعد المجاهدة
بانواع المعاونة بعضهم لبعض فانقض بعضهم كلام بعضهم فى اتيان مثلها
على زعمهم مغرورا على فصاحتهم بينهم وبلاغتهم عندهم روى ان كفرة
البلغاء وفجرة الفصحاء بجميعهم اتفقوا على الاتيان بالمعاونة والانجام
بالمقابلة فلم يقدروا وعجزوا وعرفوا عجزهم فقال رئيسهم النضر بن الحرث
على اتفاق المفسرين وروى الشيخان ان ابو جهل لعنهم الله قد دعى عليهم
بعذاب الله وغضبه وقال اللهم ان كان هذا الذى يقوله محمد حقا من
عندك فامطر علينا حجارة من السماء كما امطرتها على قوم لوط او ائتنا بعذاب
اليم كما عذبت بها الامم فانزل الله هذه الاية وما كان الله معذبهم وهم
اى المؤمنون الذين بقوا فيهم بعضهم وعجزهم عن الهجرة مع نبيهم واخوانهم
المؤمنين المستغفرين فيهم وعلم الله الازلى ان اكثرهم يتوب عن كفرهم
ويستغفرون لما سبق لهم ولا يعذب الكافرين والمؤمنون يستغفرون
فيهم مادام معهم ولو تزيلوا عنهم لعذبوا وروى عن ابى بردة بن موسى الاشعرى

عن ابيه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انزل الله على امانين
لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
رواه الترمذي وابو الفضل القاضي عياض رحمهم الله اي وما كان الله يعذبهم
وفيهم من يستغفر من المؤمنين المستضعفين ممن تخلف عنه صلعم وبقي في
كفار مكة بعجزهم وضعفهم حين هجرته صلى الله عليه وسلم والنبي هنا ينسب
الى الاستغفار الجميع ليكونوا ممن يؤمنون معهم ويستغفرون من الشرك والكفر
والضلالة فلو اسوا على الارادة الازلية منه تعالى لما عذبهم لسبق الاذن
قيل وهذا التفسير قال به جماعة من المفسرين حتى كان منهم ابن عباس
رضي الله عنهما ففي هذا يكون عذابهم واجالهم وتاخيرهم معلقا بمثل قوله
تعالى في سورة الفتح لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا اي لو تفرق النبي صلعم
مع امته من بينهم او المؤمنون الباقون فيهم بعجزهم تفرقوا وتميز المؤمنون
بعجزهم من بينهم من الكافرين لعذبنا الذين كفروا من اهل مكة عذابا
اليما فخلاصهم بسبب النبي عم وبسبب من بينهم من المؤمنين العاجزين
عن الهجرة لضعفهم عن الهجرة المستغفرين ففي هذه الاية والحديث بشارة
عظيمة لاهل الايمان والمستغفرين فما داموا في الاستغفار خلصوا
عن العذاب في الدارين فهذه السعادة الابدية بحرمة رسولنا ورسول
الثقلين محمد صلى الله عليه وسلم عدد معلوماته ومداد كلماته كلما ذكره
الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون فاكثر الناس عن هذه النعم الجليلة
غافلون اللهم اجعلنا من الشاكرين بكل دقائق النعم ومن المخلصين لرضاك
في حقائق الشيم وروى عن ابي موسى الاشعري رض انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم انا امان لاصحابي رواه الامام المسلم في صحيحه
قال شراح الحديث اي حمى امن من المؤمنين الى يوم القيمة امنين من البدع
ما دام فيهم ولا اختلاف والفتن وما دامت سنته باقية الى يوم القيمة

فاذا

فاذا انتفت سنته فانتظر البلاء والفتن فترك العلم والعمل بمقتضاه
من اشراط الساعة وعلامة القيمة بدليل الحديث الاخر ان الله تعالى
لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء حتى
اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤسا جهالا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا
رواه على القاري في شرح الشفاء وحكى في الخبر ان الله تعالى لما دعى نبيه
ورسوله الى المعراج كما هو عادته القديمة وارادته الازلية في جميع الانبياء
صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم اجمعين ليتقوى قلوبهم ويتشجع
صدورهم عند الكفار العنيد حين حاربوه بالحرب الشديد واذا
اخبر امته اخبر بما رآه بعينه وسمعه باذنه فليس الخبر كالمعاينة كما
في البخاري فيكون جسورا في امره ونهيه فلا يخاف من اعدائه وتخويفه
وترهيبه فكانوا كذلك خاصة نبينا ورسول الثقلين سيد الانبياء
وسند الاصفياء وعلى الخصوص اعطى له السيف الساطع كما قال صلى الله
تعالى عليه وسلم لن يغلب اثني عشر الفا فيكفيك غزوته مع الكفرة الفجرة
كلهم يريدون ليطفئوا نور الله والله متم نوره ولو كره الكافرون
فكان النبي سيد الانبياء في جميع احواله صلى الله عليه وعليهم اجمعين
فلما عرج وسار من مكة الى المسجد الاقصى مشاهدة العجائب من الاطراف
ثم صعد الى السموات العلى مع مكالمة الملئكة والانبياء عليهم السلام
في مقاماتهم الاعلى ثم انتهى الى السدرة المنتهى وهو المقام الذي لا يجاوزه
احد من المخلوقات من الملئكة المقربين والانبياء والمرسلين الا نبينا
صلوات الله على نبينا وعليهم اجمعين فلما وقف فيه جبرائيل عم فقال
يا رسول الله تقدم لا اقدر على المشي قدر انملة فقال رسول الله صلعم
لا بل انت تقدم يا جبرائيل فقال يا رسول الله لا ينبغي لاحد غيرك
ان يجاوز هذا المقام وانت اكرم على الله مني فقلت يا جبرائيل في مثل

هذا المقام يترك الخليل خليله فقال جبرئيل ان تجاوزت احترقت بالنور
فقال النبي صلعم يا جبرائيل هل لك حاجة الى ربك فقال يا رسول الله اذكرني
تعالى بسببك واثنى علي في كتابك الكريم بقوله العزيز ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم امين وازال الخوف من عاقبة امري كما وقع على عزازيل
مع انه رئيس الملائكة وحاكمهم في الجنة قدر الف سنة من عدد الاخرة
مما تعدون فكنت محجوبا عندك بنعمك فوجب الشكر علي فلا اقدر على
شكره الا في وقوع خدمتك وهو اني ابسط اجنحتي كلها لامتك على الصراط
حتى يجوزوا ويمروا عليه ويامنوا من خوف سقوط النار ثم زج به الى النور
فخرق به الف حجاب ليس فيها حجاب يشبه آخر ثم دنى فتدلى فكان قاب
قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ثم قال حبيبي اذنت عبدي جبرئيل
ما اراد من شكر نعمتي واداء حقك فليفعل ما يريد ففرح جبرئيل على ما
اذن له ربه وسر حبيبه وامته وادى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما
كثيرا وفي هذا بشارة على ان المؤمنين في امان الله وحرزه الى يوم القيمة
ما داموا في احياء السنة مجتهدين وفي الاعمال بمقتضاها متفقين ففي كل
الازمان منصورين فاذا تركوها صاروا غافلين وباغين عن الهدى
ومتفرقين ومنهزمين فظهر البلاء والفتن فكانوا مغلوبين مقهورين
تحت ايدي الكفار واهل الضلالة معاذ الله تعالى وروى عن الحارث بن
ابي اسامة وعن البزار رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
حياتي خير لكم ومماتي خير لكم رواه ابو الفضل القاضي عياض رحمه الله
تعالى الاظهر الذي يقال في معناه ان معنى الاول ظاهر اذ حيوته عليه السلام خير
للدنيا ولاهلها فانها تنورت بنور الايمان وانشرحت صدور اهلها
باشراق انوار الاسلام وخلصت عن البلايا المكروهة والظلمات الكفرية
وكثرت النعم الظاهرة وفرحت القيم الباهرة فانتظمت في سمط السلامة

وميدان المهارة والشجاعة فظهر شرع الله فالكفار يريدون اطفاءه
وصاحبه تعالى اتمامه واجراءه فزاد الله شرف الموحدين الى يوم القيام ما دام
النور في الظلام واما معنى الثاني فانه صلعم قال يعرض علي اعمالكم فاشفع
وغفر الذنب سيئاتكم وادعو لكم في تحسين حالاتكم فاني متوجه اليكم
ورحيم عليكم وشفيع لكم حيا وميتا بالنسبة الى حاضركم وغائبكم والمعنى
موتي قبلكم خير لكم على رواه مسلم عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم اذا اراد الله رحمة بامة وفي رواية الحافظ المزني اذا اراد
رحمة امة قبض نبيها قبلها اي قبل موت جميعها فجعله لها فرطا وسلفا
اي بين يديها او هما بفتحتين اي متقدما وسابقا فانها لما اصيبت
بمصيبة اعظم من موت نبيها واصل الفرط هو الذي يتقدم الواردين ليهيئ لهم
ما يحتاجون اليه عند نزولهم في منازلهم ثم استعمل للشفيع في من خلفه
واذا اراد هلكة امة عذبها ونبيها حي فاهلكها وهو ينظر فاقر عينيه
بهلكتها حين كذبوه وعصوا امره كذا في صحيح مسلم وفي هذا ابلغ البشارة
للمؤمنين بحيث ان هذا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعث رحمة للعالمين
من اهل السموات والارضين من الملائكة والجان والانس اجمعين
من المؤمنين والكافرين ما دام ذاته السعادة وشريعته المطهرة صلوات الله
تعالى وسلامه ما دام سعادته عند الله الدائم فاستغرق المؤمنون بعنايته
بنور هدايته في الدارين وانقطع عذاب الاستيصال عن الكافرين
وامنوا عن الغرق والحرق والفسخ والمسخ الى القردة والخنازير مما وقع
على اهل الارض من الفجار فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما وقع القوم
عليهم وروى عن العرباض بن سارية بن ابي يحيى رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني عبد الله لخاتم النبيين وآدم لمنجدل
في طينته اي لملقى في الارض مخلوطا بالاثر بر رواه الامام الحاكم

في مستدركه واحمد بن حنبل في مسنده وروى الامام الجلال السبكي في
في كتابه المولودية عن كعب الاحبار رضي الله عنه قال لما اراد الله تعالى ان يخلق
الدنيا والسموات والعرش والكرسي وغيرها اظهر نورا من نوره وخلق
من ذلك النور روح محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له كوني محمدا ثم خلق
عمودا من ذلك النور كثيفا كالزجاجة يرى ظاهرها من باطنها وباطنها
من ظاهرها وغلظها كالسموات السبع ثم وضع فيه روح محمد صلعم فطار
حتى انتهى الى حجاب العظمة فسجد وقال الحمد لله فقال الله لذلك خلقتك
وسميتك محمدا منك بدء الخلق وبك ختم الرسل ثم عبد الله تعالى فيه
الف الف عام بلا جسم ولا رسم فخلق الملائكة من تسبيح ذلك النور
وهم يسبحون بتسبيح ذلك النور بالفي عام ثم ان الله تعالى قسم ذلك النور
على اربعة اقسام القسم الاول خلق منه اللوح المحفوظ والقسم الثاني
خلق منه القلم ثم قال الله تعالى للقلم وفي رواية عن البغوي اول ما خلق الله
تعالى القلم ونظر اليه فانشق بنصفين وهو القلم الذي كتب الله به الذكر وهو
من نور طوله ما بين السماء والارض ثم قال له اكتب واخبر بما هو كائن
الى يوم القيمة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وفي رواية فخار تعبدا من هيبة
الخطاب الف سنة ثم قال يا رب وما اكتب فقال الله تعالى اكتب
لا اله الا الله محمد رسول الله فكتب القلم ذلك واهتدى الى علم الله في خلقه
فكتب ولاد آدم في صلبه ومن اطاع الله ادخله الجنة ومن عصى الله ادخله
النار ثم من امة الى امة حتى امة محمد من اطاع الله ادخله الله الجنة ومن
عصى الله فاراد ان يكتب ادخله النار فاذا ظهر النداء من العلى يا قلم
تادب فانشق من الهيبة وانقط بيد القدرة فصار ذلك عادة في القلم
لا يكتب الا مشقوقا مقطوعا قال الله تعالى اكتب يا قلم امة مذنبة ورب غفور
والقسم الثالث خلق الله تعالى منه العرش العظيم فلو نسبت سائر المخلوقات

اليه

املاك

اليه كالسموات والارضين وما بينهما وتحتهما وفوقهما فكانت كالحلقة
ملقاة في الصحراء فمع هذه العظمة يكون قيامه على مناكب اربعة ملك فتكون
يوم القيمة ثمانية كما في قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية قرونهم
عند اقدامهم تحت التخوم من الارض والقسم الرابع خلق الله تعالى منه الاشياء
وفي رواية قسم الرابع على اربعة اقسام الاول خلق منه العقل ومن الثاني
المعرفة ومن الثالث نور الشمس والقمر ومن الرابع نور الابصار والنهار
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما اول ما خلق الله من ذلك النور القلم فجرى
بما هو كائن الى يوم القيمة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهرها
فتحرك النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر
على الارض واختلفوا في اسمه فقال عبد الله بن سلام الكلبي رضي
ومقاتل رح بهموت وقال الامام الواقدي ليوثا وكعب الاحبار لويثا فعلى
هذه الروايات خلق الله النون اولا قبل الارض والجبال واما الرواية التي
روي عن علي رض بعد الارض كما روي عن علي ان اسمه بلهوت فلما خلق الله
الارض وتحتها بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل
تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقه احدى يديه بالمشرق والاخرى
بالمغرب باسطتين قابضتين على الارضين السبع حتى ضبطها فلم يكن
لقدميه موضع قرار فاهبط الله عز وجل من الفردوس ثورا له
اربعون الف قرن واربعون الف قائمة وجعل قرار قدم الملك على
سنامه فلم يستقر قدماه فاخذ ياقوتة خضراء من اعلى درجة الفردوس
غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور الى اذنه فاستقرت
عليه قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من اقطار الارض ومنخراه
في البحر يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا ارد نفسه جزر
ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات

وسبع ارضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان
لابنه فتكن في صخرة ولم يكن للصخرة مستقر فخلق الله نونا وهو الحوت
العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر
والبحر على متن الريح والريح على القدرة يقل كلها بما عندها عليها
حرفان قال لها الجبار كوني فكانت وقال كعب الاحبار ان ابليس
تغلغل الى الحوت الذي على ظهره الارض فوسوس اليه وقال له
اتدري على ما ظهرك يا لوثيا من الامم والدواب والشجر والجبال
لو نفضتهم لالقيتهم عن ظهرك فهم لوثيا ان يفعل ذلك فبعث الله
عز وجل دابة فدخل منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله
تعالى منها فاذن لها فخرجت قال كعب الاحبار فوالذي نفسي بيده
انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشيء عادت كما كانت رواه الامام
البغوي في المعالم فكل من هذا المذكورات من نور محمد المصطفى صلى الله
وسلام عليه وعلى آله واصحابه وعلى سائر المؤمنين الى يوم فكان
نوره عنصر المخلوقات واصل الموجودات فما من شيء الا وهو متنعم
بنعمته ومستغرق بعنايته فوجب على جميع الموجودات شكر النعم
الجليلة واداء حقوقها خاصة على المخلوقات من المؤمنين من الامة
المرحومة وجم المغفورة ان يجاهدوا باداء السنن السنية من
المؤكدة والمستحبة ويأتمروا بكل ما امره وينتهوا بكل ما ينهيه
لقوله تعالى ومن اطاع الرسول فقد اطاع الله ولقوله صلعم
من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله رواه
ابو هريرة كذا في الشفاء فقارن الله تعالى اطاعة النبي باطاعته
وكذا رسوله صلعم وفي الآية الكريمة والحديث الصحيح تبشير لمن
اقتدى اثر الرسول وتمسك بسننه العلية فهو عند الله من المطيعين

لو نفضتهم
بيان

عظمة الثور ورد له تفسان [illegible]
[illegible] الحوت في جزوه

الموعودين

الموعودين بالجنات العاليات والدرجات الرافعات من الدولة
العلية والسعادة السرمدية فانه تعالى لا يخلف الميعاد اللهم
اجعلنا من هذه الزمرة من الامة الموعودة فظهر من هذا التقرير
ان قوله تعالى في سورة الانبياء وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
ه الاستثناء منقطع بمعنى لكن هنا بشهادة الامثال فيما يعتبر بالحصر
والقصر من الآيات البينات والاحاديث المعتبرات ككلمة الشهادة
والتوحيد في كتابه العزيز بقوله شهد الله انه لا اله الا هو وقوله فاعلم
انه لا اله الا الله وبحديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا اله غيرك
وقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا اي غير الله اي
انه لا خالق للعالمين موجود غير الله ولكن الله خالق العالم
وما سواه مخلوق وقس على هذا سائره من الفاظ التوحيد على ما
ذهب اليه الامام الاعظم ابو حنيفه نعمان بن ثابت الكوفي بشهادة
الكلمات الدالة على التوحيد من النفي والاثبات ان الاول نفي
الالوهية مطلقا عن المخلوقات مما يعبده الكفرة العبدة مما عملت
ايديهم من الاصنام والاوثان نفيا ابديا والثاني اثبات الالوهية
فان المنفي لا يكون موجودا باعتبار نوعيته مصوغ ان يكون له نوع و
جنس لان نوعهما فالرب منزه عن الجنس والثاني لاثبات وجود الواجب الواحد
بالوحدة الحقيقية فلذا ذهب امامنا ان الاستثناء بمثل هذا المقام
محمولا على الاستثناء المنقطع وجوبا بشهادة الامثال الكثيرة من الآيات
والاحاديث الوفيرة اذ لا يكون المنفي في اللفظ موجودا الا باعتبار
الاجناس ولا بالانواع كما ذهب اليه هذا الامام الشافعي رحمه الله
باستثناء وجود المثبت عن المنفي باعتبار الانواع وارادة
والشفقة العموم عن المنفي بكونه حقا وباطلا ثم ارادة الاثبات

فالفظ ما النفي
صح

كما قال الاشاعرة ولو كان
صح

كما صرح امام الهدى
ابو الليث العلامة
في تفسيره
صح

عن انواع المنفى وفيه بحث عظيم يسيحى فى مقام الذكر والتسبيح عند تعالى
وفيه محنة عظيمة للمحتضر حين قال لا اله فقبض عقيبه بخلاف
المذهب الاول فانه نفى الشركة ابتداء ثم يثبت بعد شهر وسنة مثلا
مع انه يلزمه الاثبات حين نفى الشركة مع اعتبار وجود وجب الحق
بالمعبودية على الاحق ولاستحقاق فلا بأس فى التاخير تأمل وكن
من الشاكرين ونصب رحمة على المفعول له اى وما ارسلناك الا لرحمتنا
للمؤمنين من الناس ولكن ارسلناك لرحمة العامة للناس والجان
من الثقلين كافة برا فاجرا مؤمنا وكافرا اذ كل نبى قبله اذا ارسل
وكذب اهلك الله من كذب به والذى صدق فتعجلت له الرحمة
فى الدنيا والآخرة وقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا ايها
الناس انما انا رحمة مهداة رواه القاضى عياض وروى عن ابى هريرة
رضى الله عنه قال قيل يا رسول الله ادع على المشركين فقال انى لم ابعث لعانا
وانما بعثت رحمة رواه ابو الفضل القاضى عياض والامام الكواشى
اى لاجل الرحمة على المؤمنين لنيل السعادة فى الدارين فهذا ظاهر واما
كونه على الكافرين للخلاص عن العذاب الاستيصال والتناول بانواع
النعم من الاموال والاولاد وغيرها بدل الهلاك الواقع فى سائر الامم
الماضية فهذا ظاهر ايضا ويحتمل ان يكون الرحمة حالا من المفعول
بتقدير ذو والاضافة الى السبب بارادة حمل ذو اى ما ارسلناك خاصة
حال كونك ذا رحمة وشفقة لجميع الناس كافة او بارادة التشبيه
البليغ من قبيل رجل عدل لان ما بعث سببا لاسعادهم وموجب
لصلاح معاشهم ومعادهم وهو لا ينافى ان الرحمة بالراء المهملة تنقلب
الزحمة بالزاء المعجمة للكفار بكبيهم وكفران النعمة كما ان النعمة تنقلب
النقمة للفجار ويبدل مكانهم فى الجنة الى مكان النار ويجوز ان يكون

الرحمة

الرحمة بمعنى الراحمة والتاء اما للمبالغة او للوحدة فالمعنى الحاصل من كلها
المذكورة اى ما بعثناك وما ارسلناك الى دار الدنيا رسولا وبشيرا ونذيرا
كافة للناس الا لاجل الرحمة والشفقة لجميع الناس مؤمنا او كافرا او الا حال
كونك ذا رحمة وشفقة والا قد كنت عين رحمة او الا ارسلتك راحما
مبالغا على كافة العالمين او الا ارسلتك راحما وحيدا فلا تتجاوز عنك
فى نيتك لاجل اهالى العالمين واختلفوا فى كونه رحمة للعالمين فقال
بعضهم هذه الرحمة خاصة لعالم المؤمنين لكونه مرشدا لهم الى صراط
مستقيم ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون فمنهم ابن
زيد وابن عباس رضى الله عنهما حتى قالا فعمومه باعتبار العالم من مؤمنى
الانس والجن اما فى الدنيا فلانه صلى الله تعالى عليه وسلم اخرجهم من ظلمات
الكفر الى نور الايمان لقوله فى سورة الزمر افمن شرح الله فالهمزة للاستفهام
الانكارية والفاء للعطف على المحذوف اى استوى المؤمن والكافر فمن
شرح الله اى وسع الله صدره اى قلبه للاسلام اى لقبول الحق الذى هو
الايمان والاذعان بحيث تمكن فيه فلا يتقلقل بتقلقل الشيطان فهو
اى المنشرح الصدر بالاسلام على نور اى نور المعرفة من الايمان والاهتداء
الى الحق والاذعان من ربه من معرفة هدايته الى الايمان ومظهرية عناية
بتوفيق الايقان والاتقان كمن ضيق قلبه فهو على ظلمة من نفسه من مقتضيات
نفسه وجهالته وغوايته فلهم جنات المأوى مع النعم الابدية والدرجات
العاليات مع السعادة السرمدية متنعمين بصفائها ومتلذذين بوفائها
لا ينعزلون عنها ابد الآبدين ولا ينفكون عنها دهر الداهرين فلا تشتبه
مناصبهم الابدية الى مناصب الدنيا الدنية بذهاب نعمها البالية
وانعزال منصوبها العارية فضلا عن الآلام المملوة والاكدار المبلوة خاصة
من شماتة الخصماء من ابناء الجنس من الحسداء والكفرة الاعداء والفجرة.

الدّداء فنعمة الدنيا نعمة وغرتها ذلة محسوبة ايامها من الشهور وعوامها
من الدهور فلا يمكن جواب اذ في الايام الماضية فضلا عن الجواب
والخلاص عن محاسبة الاعوام الباقية والمقابلة في مقابلة العدل التام لله
العلي العظيم مشكلة لا يتحمله عقول البشرية ولا ينفع هذه الا في عاناه
وخاصم رسوله كحال ابي جهل وامثاله من الكفرة العندة فاظهر الله ابواب
فضله واحسانه لعباده المؤمنين وفتح خزائن رحمته المدخرة ليوم
لا ينفع فيه الاموال ولا الانساب الا من اتى الله بالقلب السليم والاعمال
الموافقة لرضائه القديم متشرعا بشريعته البيضاء ومتسننا بالسنن
السنية الغراء وهذا الحال لا يتيسر الا لمن اتصف بالاخلاق الحميدة الحاصلة
من الشريعة القديمة والطريقة المحمدية من السيرة النبوية وهذا لا
يجتمع الا لمن اتقى من الله العلي الكبير بالائتمار بالاوامر والانتهاء عن النوا
والنواهي ولاحقة بالعلماء العاملين والصلحاء الصالحين من المخلصين
في الدين متزهدا عن الدنيا واهلها من المتكبرين ومجتنبا عن الحرام وزيادة
الحلال خوفا عن العذاب ورعبا عما لا يتحمله العقاب فهذه الاحوال لمتعسرة
الا لمن جاهد في سبيل الله مجاهدة كثيرة وحارب باعداء الله وعدو المؤمنين
من الشيطان المردودة والمبعد عن الرحمة والمغفرة وذا لا يتيسر الا لمن
لحب العلماء المتقين وتنصح بنصيحتهم المعتبرة عند الله تعالى والناس
من المتقين اجمعين وانما حذف المقابلة للايمان مقايسة الى صنعه
من اصحاب الكفرة والغواية كما هو مقتضى الفصاحة والبلاغة فامثاله
في الايات البينات والاحاديث الصحيحات كثيرة ووفيرة لما روى عن
عبد الله بن مسعود رض انه قال تلا رسول الله صلعم افمن شرح الله صدره قلنا
يا رسول الله كيف انشراح صدره قال اذا دخل النور في القلب انشرح وانفسح
قلنا يا رسول الله فما علامة ذلك قال صلعم الانابة الى دار الخلود والتجافي

عن دار

[illegible]

عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزول الموت روى الحاكم والبغوي فاعلم
انه اذا وفق الله لعبده الهم الله تعالى جوارحه الظاهرة والباطنة بالامانة
اليه بما يناسبه من كل عضو فانتبه عن الغفلة وينقاد الى الذكر والتفكر
في الاء الله ونعمه من الايمان والايقان والاحسان والاذعان والتصديق
بالجنان والاقرار باللسان والاعمال بالجوارح والاركان والصحة الدائمة
والعافية القائمة وانعام المطالب العلية من انواع المرام واكرام المقاصد
الجلية من اصناف الاحترام فاتفق بهن بالاكرام على اصحابهن بالتقريب
الى رضاء الرحمن ان دخل الجنة فنحن ندخله معه ونتلذذ بلذات الجنان
والحور والولدان والخلعة الفاخرة والغرف العالية الدائمة مع انواع ما تشتهيه
الانفس وتلذ الاعين والنظر الى كمال الجمال في الحال والمآل فامر القلب اليهن
بما يناسبه لكل عضو من الجوارح لانه نافذ الحكم عليهن لانه سلطان
في الوجود فيتوقف طهارة الوجود الى طهارة القلب فان طهر عن الغل والغش
وتزين بزينة الشريعة والسيرة الاحمدية بالذكر والفكر مما اشتغل به قلب
رسول الله وحبيب الله صلعم وتبعه اصحابه وانصاره واحبابه واصهاره
فتزين سائر الاعضاء وتصفى بصفوته وسعدت بسعادته فينقاد اليد
بعمله اللائق بالمشي الى الخيرات وبالالة الى الحسنات من العبادات والطاعات
والاعمال الصالحات بالنيات الخالصات وكذا سائر الاعضاء من الفم
بتكلم الاوراد والاذكار والصدق بالكلمات الطيبات مما يناسبه
وكذا القدم بالمرور الى الخير وكذا الاذن والعين من استماع الغرائب
والعمل بمقتضاه والنظر الى عجائب الملكوت والغرائب في الفلكوت من الكواكب
النيرة والانجم السيرة الدالة على الوحدانية وسائر الاعضاء كذلك
تشتغل بما يناسبهن من الاعمال الظاهرة والافعال الباطنة بما يوافق
الاعضاء الظاهرة والباطنة فتكون كل الاعضاء يتوافق مع القلب

[illegible]

فيجتهدن باعانته صاحبهن فكن متنورة بنور الايمان ومنفرجة بشرح
الاسلام ولا اذعان قد دخلن مع صاحبهن الى الجنان الموعودة والغرف
المتهيئة والنعم الجميلة نزلا من الرب الغفور واذا لم يصرف ذلك العبد
الارادة الجزئية ولم يوفق في اموره لعدم طلبه ومبالاته واشتغاله
بامور الدنيا الدنية واجتنابه عن النعم الجلية والجنان الرفيعة ولم ينقد
القلب ولم تتفق مع الجوارح فكان من الخاسرين القاسية قلوبهم من ذكره
ورضاه فكان اولئك في ضلال مبين وخسران عظيم اللهم اعننا
على ذكرك وادمنا على شكرك واجعلنا من الشاكرين المتنورين وانما اسند
القبول الى الصدر لملابسة بينه وبين الروح لان الصدر محل القلب
المنبع للروح المتعلق بالنفس الناطقة القابل للاسلام والمستعد للشرح
غير متجانف عنه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وقد سبق معنى الويل
في سورة الهمزة اي العذاب الشديد لمن قست ويبست قلوبهم من ذكر القرآن
وسماعه لان الكفار كانوا اذا سمعوا القرآن وانذاره ازدادوا كفرا واعراضا
عن ذكر الله وقالوا لاعوانهم وانصارهم والغوا فيه لعلكم تغلبون قال مالك
بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة قلبه وما غضب الله على قوم
الا نزع منهم الرحمة اولئك اصحاب القسوة وارباب الغفلة في ضلال مبين
اي في طريق الكفر والضلالة الظاهرة لانفسهم ولغيرهم حتى كانوا ابدا
مغلوبا عند اظهار عجزهم حين راوا المعجزة الباهرة والعلامات الوافرة الدالة
على حقية قول الرسول الحق والكتاب الحق وجدنا اباءنا على امة وانا على
اثارهم لمقتدون فقال الله تعالى او لو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون
والاية نزلت في حمزة وعلي من اصحابه لانشراح وابي لهب وولده من اصحاب
القسوة واما كونه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة للمؤمنين من الانس والجن
في الاخرة فلانه صلى الله عليه وسلم يشفعهم يوم القيمة بمغفرة ربه لهم

قال

قال لا اله الا الله محمد رسول الله وان بلغت ذنوبه الغمام لما روى عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلعم لو اخطاتم حتى يبلغ السماء ثم تبتم لتاب الله
عليكم اي قبل توبتكم بنية عدم الرجوع الى تلك الذنوب فهذه المغفرة مخصوصة
لشريعته رواه ابن ماجه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنوب
وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه رواه البيهقي رح قال بعضهم ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة لجميع العالم عامة فضلا عن عالم المؤمنين
في الدارين اما كونه رحمة لعالم المؤمنين في الدارين فقد سبق كما ذهب اليه
اكثر المفسرين واما كونه رحمة في حق من لم يؤمن على ما ذهب اليه اكثر
المحدثين بدلالة الايات الكثيرة من قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وقوله تعالى لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا اي لو تميزوا بينهم
وتفرقوا عنهم فما داموا فيهم لن يصيب العذاب للكفار وامثالهما كثيرة
في القرآن والاحاديث لما روى عن ابي هريرة رض قيل له يا رسول الله
ادع على المشركين فقال صلى الله عليه وسلم لم ابعث لعانا وانما بعثت
رحمة وفي الحديث الاخر عن ابي هريرة انه قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انما انا رحمة مهداة رواه الحاكم وابو الفضل في الشفا وفي الاخر اللهم
اهد قومي فانهم لا يعلمون وفي رواية اللهم اصلح قومي فانهم لا يفقهون
حين كسر القريش رباعيته واستغرق في الدم ولا يرى منه الا عيناه
صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا بدوام الله وبقاء الله اذ عرفوا انما اصاب
غيرهم من الامم المكذبة باحد هذه الاذى فضلا عن الكثرة وفي الحديث الاخر
عن الحارث بن ابي اسامة والبزار في مسنده ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال حيوتي خير لكم ومماتي خير لكم خطابا على العموم من غير تقييد وتخصيص
بالمؤمنين فمن المعلوم ان المؤمنين لخص الخصوص لكون محيانا ومماتنا رحمة

للجميع كما سبق تفصيله وبيانه فحق الكافرين من النعم بانواع النعم الدنيوية
والاموال الكثيرة والاولاد الوفيرة فلو دعى عليهم لهلكوا جميعا كما كانوا
هلكوا في السلف حين كذبوا انبياءهم فابتلوا العذاب لاستيصال الدائم
ليلا ونهارا صبحا ومساء نعوذ ببركة معجزاته الجميلة وخصاله الحميدة
في حيوته وبركة بقاء شريعته الى يوم القيمة نعوذ عن العذاب الاستيصال
الدائم المعاقب من الخسف والمسخ والفسخ وغيرها واما عفوهم في يوم
القيمة فانهم لم يعذبوا مادام لواء الحمد فيها حتى امتاز اصحاب الجنة
عن اصحاب النار فرفع لواء الحمد والعلم السعادة امام النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم واهل الجنة كلهم خلف النبي مع اصحابه وازواجه واتباعه
من العشرة المبشرة راكبي البراق ولابسي الخلعة الفاخرة بسبعين ثوبا
لا يشبه الكل الاخر في الالوان والمؤمنين شافعي لاجنبة من الاقرباء
والاجنبية كل منهم ماذون بعد المغفرة والمحاسبة بمقدار سبعين الف
سوى الشهداء فانهم يبتدؤن بالشفاعة يوم شهادتهم فيشفعون
قبل القيمة بلا حساب فيوم القيمة كذلك فهذه مخصوصة لهم اذ
لا يؤذن للشفاعة قبلها لاحد من الاحاد الا لهم فيمضون الى مقاماتهم
ودرجاتهم قدر استحقاقهم ثم تعذب الكفار بعد رفع لواء الحمد الى الجنة
كذا صرح في شرح الشفاء لعلي القاري رح فثبت كونه رحمة للكفار
يوم الاخرة وان كان موقتا بمقدار مرة واما كونه صلى الله تعالى عليه
وسلم رحمة للملائكة المقربين فضلا عن غيرها فلما روى الامام الحجازي
رح ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجبريل ع م هل اصابك من هذه
الرحمة المنقسمة شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة من سوء الخاتمة كما
وقع على عزازيل مع انه معتبر عند الله من بين الملائكة مفوض ومملك له
السموات مع اهلها حتى حكم في الجنة الف سنة من حساب الاخرة

من مقدار

من مقدار يوم فيها كالف سنة في الدنيا ثم كان ما كان فظهر مادة السجدة
وابى واستكبر فكان من الكافرين المخلدين في النار فانا امنت لثناء الله
تعالى بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين رواه البغوي
والبخاري في الخبر في قدر قوة جبريل عليه السلام انه اقتلع المدائن الخمسة
من ال الاسود وبقوم لوط فحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها
فجعل عاليها سافلها فاهلكهم كانها ذرة عنده واهلك قوما كثيرة
بصيحة فاذا هم خامدون فاصبحوا جاثمين فهذه العقوبة وقعت لقوم لوط
وقوم ثمود وانه نصب ابليس يكلم عيسى عليه السلام عن بعض عقاب الارض
المقدسة فنفخه بجناحه نفخة القاه الى اقصى جبل بالهند فالان محله
فيه وروى ان شيطانا يقال له الابيض قصد ان يتعرض بالنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فرفعه جبريل عليه السلام ورماه رواه البغوي وشهاب
الدين الشهير بشيخ زاده القوجوي في حاشية البيضاوي فالمعنى
ان القرآن منزل من الله بقول جبريل عليه السلام وبواسطته وهو الرسول
الكريم المكرم على الله بينه وبين حبيبه ورسوله محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم كما انه صلى الله تعالى عليه وسلم رسول بين الله وبين امته من المخلوقين
ذو قوة وجابر ذو القوة والشدة في قوته وشديد القوى عند الله العرش
الخالق العلي رب العرش العظيم ذو المنزلة والمكانة عند ذي العرش فمكانته
بحسب تمكنه ومنزلته بقدر منزلة له وانما اضيف ونسب الى العرش مع ان
جميع الاشياء عنده مساو حتى ان خلق السموات والارض وما بينهما وتحتهما
وفوقهما بالنسبة الى الذرة وجناح البعوضة لان العرش اعظم المخلوقات
وسائر الاشياء بالاضافة اليه بمنزلة الذرة والحلقة الملقات في الصحراء
والمفازة تطيعه ملائكة السموات السبع من المقربين يرجعون عن رأيه
ويتدبرون بتدبيره مطاع بينهن في مكانته ومنزلته امين بما استودعه

لولاك لما خلقت الافلاك

الله تعالى من تبليغ الوحي والرسالة كما ان المرسل اليه محمدا صلى الله تعالى عليه
وسلم امين في الارض بما استودعه جبريل عليه السلام وقوله تعالى ثم
تحمل اتصاله بما قبله وما بعده وقرئ ثم بضم الثاء تعظيما للامانة
وتفضيلا لها على سائر الصفات ومن طاعة الملائكة له وتفضيله عليها
انهم فتحوا ابواب السموات ليلة المعراج بقوله صلعم وفتح خزنة الجنة
ابوابها واما كونه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة للافلاك فلانه صلى الله تعالى
عليه وسلم لما صعد على العرش اراد ان ينزع نعليه تعظيما لعزة الله تعالى
وجلالته فقال الله فلا تخلع نعليك حتى تشرف عرشي بما تحت نعليك
فما كان سببا للتشريف فهو رحمة فلما كان صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة
للاعلى من الافلاك فعلم انه رحمة لغيرها بطريق الاولى دونها فكيف
وهن خلقت من نوره صلى الله تعالى عليه وسلم وقال في الحديث القدسي
لولاك لولاك لما خلقت الافلاك وقال الله تعالى لولا محمد لما خلقت
الكونين والاشياء التي من الموجودات خلقها من نوره وبحرمته فهو رحمة
وسبب لوجود الافلاك صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما دائما ابدا
واما كونه رحمة للانبياء صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم اجمعين
فلان آدم ابا البشر عليه السلام ويكنى في رواية اخرى ايضا ابا محمد
على نبينا صلوات الله وسلامه وعليه لما مد يده الى اهله حوى رضي الله عنها
فقال جبريل عليه السلام لا تحل لك مسها حتى تؤدي مهرها وهو ان تصلي
على ابنك محمد خاتم الانبياء كما انك ابتداؤهم عشر صلوات الله فصلى فحلت
اي يا آدم مفعول تصلي
فكان صلعم رحمة لابيه الاعلى فبالطريق الاولى على اولاده من الانبياء
وغيرهم وروى البيهقي رح ان آدم صلوات الله على نبينا وعليه قال اللهم
بحق محمد اغفر لي خطيئتي وفي رواية وتقبل توبتي فقال الله عز وجل
من اين عرفت محمدا قال رأيت في كل موضع من الجنة لا اله الا الله محمد

رسول الله

كنية آدم عليه السلام ابو محمد على نبينا وعليه اجمعين

رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي تعلقت انه اكرم خلقك عليك
فتاب الله عليه وغفر له فهذا تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب
عليه وفي رواية الامام الآجري مصنف كتاب السنة وكتاب الاربعين
ابو بكر محمد ابن الحسين البغدادي روى عنه ابو نعيم الحافظ وكثير من الرواة
سكن مكة ومات فيها في سنة ثلثمائة وستين فقال آدم لما خلقتني رفعت
رأسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه
ليس احد اعظم عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله عز وجل
انه آخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك فقال صلعم وكان آدم
يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر وروى عن شريح بن يونس استاد الامام
مسلم صاحب الصحيح واحد الشيخين كما ان الائمة الاربعة يقال لهم اصحاب
السنن والامام البغوي رحمهم ان النبي صلعم قال ان لله ملائكة سياحين
عبادتها كل دار فيها احمد او محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة
وهو امام الحرمين
رواه الامام المكي الجويني في تفسيره وعلى القاري في شرح الشفاء واما كونه
صلى الله عليه وسلم رحمة للانس والجن مما يحشر للعدل والقضاء فلما ورد
ان جموع الخلائق يقفون يوم القيمة ثلث مائة ستين كل يوم من ايام
الآخرة كالف سنة مما تعدون في الدنيا فيحبسون يوم العرصات واحاطت
بهم النار ويتأذون بالحرارة وفوقهم الشمس مقدار ميل واحد ويعذبون
بقدر ذنوبهم بانواع المؤذيات المخرجات من جهنم المخلوقات لهن الحيات
والعقارب والكلاب من النار والزبانيات ذوي القوة والقدرة
من منكبه اليمنى الى منكبه اليسرى مسيرة سنة بسير فرس مضمر ويسع
في قبضتها سبعون الف الكفار الذين رؤسهم كجبل احد ووجودهم لا يقاس
على المعروف موافقا لذلك الرأس لما روى عن ابي هريرة رض ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ضرس الكافر مثل احد وفخذه مثل البيضاء اسم

جبل بين المدينة ومقعده من النار كما بين قديد وهو اسم ماء من الحجاز
ومكة وكثافة جلده اثنان واربعون ذراعا بذراع الجبار وهو ملك اليمن
رواه احمد بن حنبل في مسنده وفي رواية عنه وغلظ جلده مسيرة ثلث
وفي رواية الترمذي ومقعده من النار مسيرة ثلث مثل الربذة وهي اسم
جبل كان البيضاء اسم جبل بين المدينة وقال حديث صحيح حسن رواه
ابن ماجه في صحيحه والحاكم في المستدرك الا انه قال وعرض جلده سبعون
ذراعا وعضده مثل البيضاء وفخذه مثل ورقان وهي قطعة مستديرة
من الرمل وفي رواية ابي هريرة رض وبطنه مثل بطن اضم اسم جبل عظيم
وفي رواية ابن عمر رض عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعظم اهل النار
في النار حتى ان بين شحمة اذن احدهم الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام
وان غلظ جلده سبعون ذراعا وان ضرسه مثل احد رواه الطبراني
في الكبير والاوسط وروي عن كعب الاحبار رض انه قال ان الله تعالى خلق
ملكا من نار الغلق يقال له عدبابيل طوله خمسمائة عام بحساب قوله
وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وله سبعة الاف رأس
من نار في كل رأس سبعة الاف فم من نار وفي كل فم سبعة الاف سن
من نار وكل سن من اسنانه اعظم من الجبل ولو ضرب سنا على سن بالمشرق
يسمع اهل المغرب ثم اتوا كلهم وله سبعة الاف يد من نار وفي كل يد
سبعة الاف اصبع من نار وكل اصبع ثعبان من نار اي حية طول كل
ثعبان مسيرة ثمانين عاما من اعوام الآخرة وفي كل يد مقمعة من نار وفي كل
مقمعة سبعة الاف رأس من نار وعلى رأس كل مقمعة سبعة الاف حية
وعقرب من نار ولو اجتمع اهل المشرق والمغرب لم يقدروا ان يقلبوا مقمعة
من موضعه واذا اراد الله ان يعذب اهل النار يقول له يا عدبابيل قم
وعذب اهل النار فانهم اكلوا رزقي وعبدوا غيري قال فيقول الملك ويدل

عليهم

عليهم فيصيح صيحة لم يبق في جهنم خلق الا سمع صوته فلما نظر اليه امة محمد
يقولون ربنا لا تسلط علينا هذا الملك فيقول الله تعالى لجبريل قل لمالك النار
ان يجعل امة محمد في اعلى الطبق من النار فانهم لا يقدرون النظر اليه
وعذابه قال فيقول مالك فيجعلهم في اعلى الطبق من النار ثم يقوم عدبابيل
فيصيح عليهم فيغلي جهنم كغلي القدر فيذاب اهل النار كما يذوب الرصاص
نزع الحيات والعقارب والكلاب رؤسهم فلا يرون احدا من بني آدم
فيقولون يا مالك قد جعنا اطعمنا ثم يقول الله تعالى يا مالك جدد لهم العذاب
واني اجددهم الى الابد الآن كما قال الله تعالى في سورة النساء كلما نضجت اي احترقت
جلودهم وخربت خدودهم بدلناهم جلودا غيرها بان نعاد تلك الجلود بعينها
باذن زال اثر الاحراق عنها وقال الامام مقاتل تجدد في كل يوم سبع مرات
لانهم كلما احترقوا وخبت عنهم النار فبدلوا خلقا جديدا وقال الحسن رض
يعني انه ينضج في كل يوم سبعين الف مرة فيقال لهم عودوا فيعودون وقال
الضحاك يبدلوا سبعين جلدا في كل يوم وقال ابن عباس رض زيد تحت سبعها
ويسوى وديتها وجيالها ليذوقوا العذاب ويدركوا الم العذاب ان الله
كان عزيزا غير ممتنع عن ارادته حكيما يعاقب على وفق حكمته روي ان هذه
الآية قرئت عند عمر رض فقال للقارئ اعدها فاعادها وكان عنده
معاذ بن جبل رض فقال يا معاذ عندي تفسيرها تبدل في ساعة مائة
مرة فقال عمر رض هكذا سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال ابن عباس رض يبدلوا جلودا بيضا كامثال القراطيس فان قيل
كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا ولم تعمل الذنوب قلنا يعاد الجلد الاول
في كل المرة وانما التبدل في الصفة والشكل والهيئة ونظيره قول الصائغ
صغت من خاتمي خاتما غيره بتبدل الصفة من الوسعة والضيق والصغير
والكبير والغلظة والرقة فالمادة مادة الاول وانما الاختلاف في الصفة

ح كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها

[illegible]

كما يؤيده تفسير ابن عباس رض وفى تبديل الجلود اذ آن بدوم العذاب
قال الامام تاج المفسرين العلامة القشيرى رح فيه الاشارة الى الجا
حدين لآيات الاولياء الكبار يعتمهم بوصف الصغار وبقيهم ذو
الانكار كلما لاح لقلوبهم شئ من هذه القصة جحدهم اذكارهم بالقصة
الى ترك الايمان بها والازار باهلها على وجه الاستبعاد فهم مؤيد
فى العقوبة ابد الآباد كذا فى المعالم والكواشى والسمرقندى رحمهم فاذا
عرفت القيمة واهوالها واحوالها فالمخلوقات يتجمعون ويستشفعون
من جميع الانبياء عليهم الصلوات الدائمة فالكل يعتذرون بعذر ولا
ينتفعون الشفاعة الا من محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فانه يشفع لهم ولا يعذب فرد من الافراد ما دام محمد صلى الله عليه وسلم
ولواء الحمد فى العرصات والعلم السعادة فيها فاى الرحمة اولى واعلى
منها لمن يؤمن ولمن لا يؤمن وهذه الرحمة عامة للكافرة واما كونه صلى
تعالى عليه وسلم رحمة للارضيين فلان الله تعالى منع نزول العذاب على الارض
بسببه صلى الله تعالى عليه وسلم كما وقع على الامم السالفة كالخسف
وعدم الامطار والانبات والاخضار مع ان يستبيح الارض حاصل
بالانبات والخضروات مع ان العصيان كثيرة والمعاصى وفيرة
مما وقعت فى الامم السالفة باضعاف مضاعفة لكن دفع الله تعالى
بحرمة نبيه وشفاعة رسوله وشفقة حبيبه محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم كثيرا كثيرا وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم انه قال انا حامل لواء الحمد يوم القيمة وانما سمى بذلك
لانه يجئ الاولون والاخرون تحت لوائه حين اجتمعوا عند شدة
المحاسبة وهول القيمة عند هجوم جهنم واهلها على اهل العرصات
وانتشار الزبانيات والحيات والعقارب والكلاب للظالمين

والكافرين

والكافرين والمنافقين مقدار خمسين الف سنة من سنة الاخرة
على حسابها ولا فخر بل هو مما يقع ويلزم تبليغه علينا هكذا تحدثيا
للنعم الجلية والخفية العلية المأمور اظهارها وانا اول شافع اذن لى
ربى قبل الشفعاء وهم يحتاجون بشفاعتى ايضا فلا يرد ويؤيد
هذا المعنى ويرجحه قوله واول مشفع اسم مفعول من التفعيل اى مقبول
الشفاعة اول مرة حيث لا يحتاج الى شفاعة الغير بخلاف غير
الشفعاء ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة بفتح الحاء وكسرها مع فتح اللام
فيفتح لى فيدخلها مع فقراء المؤمنين من المهاجرين وغيرهم على مراتبهم
ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين اذ الكل تحت لواء آدم فمن سواه ولا فخر
بل هذا تحديث النعمة التى امرت ان اتحدث واشكر وامتثل امر ربى بقوله
واما بنعمة ربك فحدث رواه الترمذى والدارمى رح ويؤيده قوله فى
سورة الاحزاب هو الذى يصلى عليكم اى هو الله الذى لا اله الا هو امركم
بالذكر الكثير ليتصفى قلوبكم مستعدة لوهبة الالهية ويتهيى صدوركم
منشرحة لمكرمة النورانية وبالتسبيح والتقديس فى الصبح والمساء من التحميد
والتمجيد ليصلى بذاته عليكم بالرحمة الواسعة المبذولة وحدها بين المخلوقات
من المائة والمدخرة عنده باقيها من تسعة وتسعين ليوم القيمة وملائكته
بالاستغفار والاهتمام بما يصلحكم والصلوة المشتركة بين الله تعالى وملائكته
هى اقامة الخيرات والكمالات مما يسعد المؤمنين فى الدارين وتكليمهم والعناية
بذلك مستعارة من الصلوة التى هى شرف وكمالهم المشتملة على الانعطاف
الصورى الذى هو الركوع والسجود مستتبعا على الانعطاف المعنوى واستغفار
الملائكة ودعاء المؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة من حيث انهم
مجابو الدعوة فلهذا علله بقوله ليخرجكم من الظلمات اى من ظلمات الكفر
والمعاصى ويدخلكم الى النور اى الى نور الايمان والطاعات ولما كانت

الملائكة واسطة الفيض كان لهم مدخل فى الامداد والتوريثات الكمالية فنسب
الرحمة اليهم كما نسبت الى الله تعالى لان الاستغفار منهم للمؤمنين ترحم كترحم
العائد من العيادة على المريض والمرأة على ولدها او يؤيّن قوله وكان الله
تبارك وتعالى بالمؤمنين رحيما حيث اعتنى بصلاح امرهم وشرف قدرهم
واستعمل فى ذلك ملائكته المقربين فسبب نزول هذه الاية ان انس رضى
قال لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبى اه فقال ابو بكر الصديق
رضى الله تعالى عنه ما خصك الله تعالى يا رسول الله بشرف الا وقد شركنا فيه فانزل
تعالى هذه الاية تحيتهم اضافة المصدر الى المفعول وفاعله متروك اى تحية الله
للمؤمنين يوم يلقونه اى يوم يرون الله تعالى ويلقون اكراما بانواع النعم
الباقية والغرف العالية بلا كيف ولا كيفية وهم فى الجنة والله تعالى
بلا مكان ولا كيف ولا كيفية فيعظمهم ويقول لهم عبادى انا راض عنكم
باطاعتكم الى والى رسولى باتباع السنن السنية العلية فعليكم
بسلام مما يخاف اعدائى ويخشى من عداكم من غضبى ويبتلى الكفار
باشد عقابى فانتم فى السلامة بعد هذا من كل آفة ومكروه كانت
فى الدنيا او القبر ويوم الحشر والنشر او يسلم الله تعالى عليهم عند دخول الجنة
او يسلم المؤمنون فى الجنة على الله تعالى والضمير فى قوله يلقونه راجع
الى الملائكة المستغفرين المصلين لهم ما داموا فى الدنيا والشافعين لهم
ما داموا فى العقبى فيقول لهم عزرائيل ملك الموت مع عونة الملائكة عند
قبض ارواحهم فالله تعالى ايها المؤمن يقرؤك السلام ويؤمنك عن الخوف
والحزن او يسلم عليهم الملائكة يوم البعث من القبور والخروج عنه او يوم
العرصات ويبشرونهم بالجنة والدرجات العاليات والغرف الرافعات
والفرش المرفوعة والاكواب الموضوعة والنمارق المصفوفة والزرابى
المبثوثة او تحية الملائكة للمؤمنين يوم يلقونه المؤمنون الاجلال الله

وكرم

وكرمه بانواع الكرم والاحترام بحيث لا استحقاق لهم بها واهل هذا الاظهار
الربوبية للعباد المنقادين فى الدار الاخرة الموعودة بها مع توفية الاجور
بغير حساب كما اظهر العبودية فى الدار الاولى مع كثرة القصور وفرة
الكفور انجازا لوعده الكريم وابرازا لكرمه واكراما على عباده الذين جاهدوا فى
امره وبادروا الى مغفرته كما امرهم به بقوله وسارعوا الى مغفرة من ربكم
وجنة اه وهذا التفسير موافق للسياق من قوله هو الذى يصلى عليكم اه وقال
بعض العلماء اى يلقون الملائكة المؤمنين يوم القيمة او عند الموت والخروج
عن القبر او دخول الجنة سلام باخبار السلامة وقت الخوف والخشية
من كل مكروه وآفة والتنكير للتعظيم اى يلقون المؤمنون ويرون الله تعالى
بلا كيف ولا كيفية وهم فى الجنة ويسلم الله تعالى عليهم او يسلم المؤمنون
عليه وفيه تجوز من المجاز الاولى اى حقيقة التعظيم والثناء على التكريم
لا نثنى عليك يا ربنا اذ قد روى فى الخبر ان الله تعالى يقول السلام عليكم
مرحبا بعبادى المؤمنين الذين ارضونى فى الدار الدنيا باتباع امرى
وروى ايضا ان الله تعالى يقول السلام عليكم عبادى انا عنكم راض
فهل انتم عنى راضون فيقولون باجمعهم يا ربنا كل الرضاء كل الرضاء
وروى ان تحية الملائكة على المؤمنين على ابواب الجنة بالسلام
والاكرام والاحترام من كل الوجوه المتعلقة اليه اذا دخلوها من كل
باب وروى عن ابن مسعود رضى انه قال اذا جاء ملك الموت بقبض روح
المؤمنين قال ربك اى ايها المؤمن يقرؤك السلام وقيل روى سلم عليهم
الملائكة حين يخرجون من قبورهم بتبشيرهم بالجنة العالية والنعم
الوافية فى الغرف العالية هذه الروايات كلها ثابتة بالنص القاطع
كما فى قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة
الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون فى المواضع

العديدة وقوله تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
كما مر في آخر سورة العصر فارجع البصر كرتين فهذا التفصيل على تقدير
اضافة المصدر الى المفعول واما على تقدير اضافته الى الفاعل فيجوز ان المعنى
يحيي بعض المؤمنين بعضا في المواضع العديدة واعد لهم اجرا كريما هي
الجنة وتغيير النظم في تحيتهم واعد للمبالغة فيما هو لهم ودال على الكرامة
والمحافظة على الفاصلة قال ابن عطاء رح اعظم العطية للمؤمن في الجنة
سلام الله تعالى من غير الواسطة روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم الا وان هذه الامة توفي سبعين امة هي آخرها
واكرمها على الله تعالى عز وجل وعن انس بن مالك رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله
صلعم مثل امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير ام آخره وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الجنة حرمت على الانبياء
كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى يدخلها امتي وروي عن عبد الله بن
بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلعم اهل الجنة عشرون ومائة صف
ثمانون من هذه الامة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه
وتسود وجوه انه قال تبيض وجوه اهل السنة وتسود وجوه اهل البدعة
وروي الامام عبد الله بن سلام الكلبي رض عن ابي صالح عن ابن عباس
رضي الله عنهم اذا كان يوم القيمة رفع لكل قوم ما كانوا يعبدون فيسعى كل قوم
الى ما كانوا يعبدون وهو قوله نوله ما تولى فاذا انتهوا اليه حزنوا فتسود
وجوههم من الحزن وبقي اهل القبلة واليهود والنصارى لم يعرفوا شيئا
مما رفع لهم فيأتيهم الله فيسجد له من كان يسجد له في الدنيا مطيعا مؤمنا
ويبقى اهل الكتاب والمنافقون لا يستطيعون السجود ثم يؤذن لهم
فيرفعون رؤوسهم من السجود ووجوه المؤمنين مثل الثلج بياضا والمنافقون
واهل الكتاب اذا نظروا الى وجوه المؤمنين حزنوا حزنا فاسودت وجوههم

ويقولون

ويقولون ربنا ما لنا مسودة وجوهنا فوالله ما كنا مشركين فيقول الله
تعالى للملائكة انظروا كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
رواه الامام البغوي رح في المعالم قال الامام القشيري رح ان اللقاء اذا قرن
بالتحية لا يكون الا بمعنى الرؤية البصرية ثم التحية خطاب مفاتحة الملوك
العادية فهذا السلام يدل على علو رتبتهم التي جعلها لهم في المنزلة لهم فاللقاء
حاصل بعينهم والخطاب وصل بسمعهم واعد لهم اجرا كريما فان الكريم نفي
الدناءة والخسة وفيه الاشارة على انه اجر كثير على عمل يسير فان الكريم
اي دناءة العباد وخساستهم
لا يستقصي في البيع والشراء وفي الاعداد تعريف بالاحسان السابق في وقت
من الله تعالى
غيبة العباد يا ايها النبي وانما صدر الكلام بالنداء وحرف التنبيه
لكمال اقبال رسوله بمضمون ما يعنيه انا ارسلناك شاهدا على من بعث
عليهم من الرسل بتصديقهم وعدم تفريقهم بين احد منهم بالتبليغ وعلى
امتك بتصديق شهادتهم حين شهدوا على الامم الماضية ومبشرا لمن
آمن بالاجر الكريم والجنة النعيم ونذيرا لمن كذب بالاليم في النار الجحيم
مقبول الشهادة والقول عليهم عاما فيك في تبليغ الانبياء عليهم الصلوة
والسلام ثم في امتك المرحومة على اممهم السالفة في تصديقهم وتكذيبهم
وطاعتهم ومعصيتهم ونجاتهم وغوايتهم حال مقدرة من المفعول لانه
لا شهادة وقت الارسال بل بعده مقدر شهادتك على التبليغ وشهادتهم
على التصديق والتكذيب كما في قوله تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
وقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا اي في صدقكم وقولكم وشهادتكم عليهم
وروي الامام البغوي رحمه في تفسير المعالم ان الله تعالى يجمع الاولين
والآخرين في صعيد واحد ثم يقول للكفار الامم الم ياتكم نذير فينكرون
ويقولون ما جاءنا من نذير فيسئل الانبياء عليهم السلام عن ذلك

[illegible] ودعوة [illegible] الى [illegible] وجوه [illegible] وجوه المؤمنين

يستر عيوبهم من الاخطار والامية التي عملوها في الدنيا

فيقولون كذبوا وقد بلغناهم فيسئلهم البينة وهو اعلم بهم اقامة للحجة
فيؤتى بامة محمد صلعم فيشهدون لهم انهم قد بلغوا فيقول الامم الماضية
من اين علموا وانهم اتوا بعدنا فيسئل الله تعالى هذه الامة فيقولون ارسلت
الينا رسولا وانزلت علينا كتابا اخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وانت يا رب
صادق فيما اخبرت ثم يؤتى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيسئل عن حال
امته فيزكيهم ويشهد بصدقهم لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا وروى عن ابي سعيد الخدري رضي الله
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يجاء بنوح يوم القيمة فيقال له
هل بلغت فيقول نعم يا رب فيسئل امته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا
من نذير فيقال له من شهودك فيقول محمد صلعم وامته فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فيجاء بكم فتشهدون ثم قرا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكذلك جعلناكم امة وسطا قال عدلا لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا انتهى وداعيا الى الخلائق
الى الله اي الى اقرار ربوبيته وتوحيد احديته بما يجب الايمان به
من ذاته العلية وصفاته الجلية القديمة باذنه وتيسيره ولما
كان التصرف للغير في حق المالك متعذرا انما يتيسر بالاذن
وانما استعير الاذن ايذانا بان دعاء اهل الشرك والجاهلية الى التو
حيد والاسلام امر صعب متعذر لا يستطاع الا اذا سهله الله
ويسره ولا يصح حمله على الحقيقة لان قوله ارسلناك داعيا يغني
عن الاذن بمعناه الوضعي وسراجا منيرا من ظلمات الجهالة وتقتبس
من نوره انوار البصائر شبه الله تعالى نبيه محمد صلعم بالسراج
لاستضاءة من تحير في ظلمات الجهالة بنوره واهتداء من ضل بنوره
ولانه قد محي بنبيه صلعم ظلمات الشرك بنور توحيده ونور البصائر

بنور

بنور هدايته كما ينور الابصار بنور السراج وبولغ في وصفه بالانارة
لان من السراج ما لا ينير وقيل ذا سراج منير بحمل ذا وكان الاول
حمل المواطاة على ان السراج مستعار للقرآن وفيه تشبيه بليغ
واستعارة تحقيقية وتخييلية وروى الامام الهدى ابو الليث في تفسيره
لما نزلت قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال
المؤمنون هذا لك يا رسول الله فما لنا فنزلت قوله تعالى وبشر المؤمنين
اي في الدعاء والطلب بان لهم من الله في الجنة فضلا كبيرا ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وانما شهد بالمصباح الواحد
لاشتعالة منه مصابيح كثيرة فالاول حاله صلعم لا ينتقص منه
شيء ولو كان كثيرة الاشتعال منه والثاني حال العلماء من امته
في الفوائد والعوائد ولان المصباح يحرق الاقرب ويضيء الابعد
وكذلك المصطفى صلعم ينذر عشيرته ويبشر الانصار والمهاجرين ولان
المصباح يرى فيه وجوه الاحباء بمتابعة شريعة الغراء وبمصاحبة
الانبياء والشهداء والصالحين واما وجه التشبيه بالشمس على قول
انها لا ثاني لها ولا نظير لها وتضيء لمن لا سراج له فكذا النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يضيء ويعين ويشفع لاهل الكبائر من امته بمن لا طاعة له
ويرفع من لا عبادة له وينفع من لا خدمة له كالشمس في كون نفعه عاما
وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا اي عطاء واسعا وثوابا جزيلا
وفضيلة على ساير الامم وصفه بصفات عديدة ثم قابل كلا منها
بخطاب يناسبه وصفه بكونه شاهدا واضمر ما يقابله بدلالة لو عطف
بشر عليه فانه مقابل لمبشرا فيجب ان يكون معطوفا على ما يناسب
الوصف الذي عطف عليه مبشرا وهو اذا كان الامر على ما بينته لك قابل
نذيرا بالنهي عن موافقة الكفار والمبالات بهم الوارد في قوله ولا تطع

الكافرين والمنافقين ودع اذيهم ايذآئهم اياك فان ذلك اشد الانذار
ولا تشتغل بدا وايذاوك اياهم مجازاة او مواخذة على كفرهم فلذلك قبل
انه منسوخ باية السيف كانه قال خلهم وشانهم وانا اكفيكهم وذلك تبليغ
صلعم على ما هو عليه من مخالفتهم وقابل داعيا الى الله باذنه بقوله وتوكل
على الله فانه مبشر لكل عسير وسراجا منيرا بقوله وكفى بالله وكيلا اى
موكولا اليه الامور فى كل الاحوال لان من اناره برهانا على جميع الخلايق
حقيق بان يكتفى به عن غيره ولا يستعان الا به وروى عن الحسن رضى
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كنت اول الانبياء اولهم
فى الخلق واخرهم فى البعث ثم قرا الاية ومنك ومن نوح اه رواه الامام
البخارى فى تاريخه وعن العرباض بن سارية رض من اصحاب الصفة وكان من
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انى عبد الله لخاتم النبيين
وادم لمنجدل فى طينته اى ملقى على الارض قبل نفخ الروح فيه رواه
احمد بن حنبل فى مسنده والحاكم فى المستدرك وروى عن ميسرة رضى انه
قال قلت يا رسول الله متى كنت نبيا قال النبى صلى الله عليه وسلم
وادم بين الروح والجسد وفى رواية عنه متى كتبت نبيا من الكتابة وهى الفرض
والتقدير وفى رواية عنه متى وجبت لك النبوة اى ثبت وظهر فى الخارج
وهو معنى الوجوب لغة مثل كتب عليكم الصيام اى قدر مقداره وظهر
للملائكة وفرض رواه احمد بن حنبل وصححه الحاكم فى المستدرك وروى
عن انس بن مالك رض انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد
الناس يوم القيمة كما كنت سيدهم فى الدنيا وانما اكتفى لظهور القضية
عند الجمعية كانه قيل الله ورسوله اعلم فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وتدرون فيه استفهام مقدر اى اوتدرون سبب ذلك يجمع الله
الاولين والاخرين حتى الانبياء والمرسلين تحت لوائه قال صلى الله تعالى

عليه

عليه وسلم فى حديث اخر من رواية انس رض ايضا اما ترضون ان يكون
ابراهيم وعيسى فيكم اى محشورا من جملتكم ومحشورين فيكم يوم القيمة
ثم قال انهما فى امتى يوم القيمة اما ابراهيم فيقول انت يا ابنى دعوتى
اى اجابة ثمرة دعائى فيك بقولى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم
اياتك وذريتى اى من اولاد ولدى اسمعيل وكنت جدك بالواسطة
فاجعلنى من امتك حتى كنت امينا من فزع القيمة عند دخول تحت
لوائك يا ابنى وقرة عينى واما عيسى فالانبياء اخوة فى اصل دعوة
الوحدانية لله تعالى وتبارك فى وجود الذاتية والصفاتية وان كانت
الفروعات متشتتة والاحكام متفرقة بنو علات امهاتهم شتى بفتح
العين المهملة واللام المشددة باختلاف الابوين يقال له بنو علات
مع اتفاق الاب ويقال له بنو اخياف اذا كانت الاولاد متفقة فى الام
مختلفة فى الاب يعنى اذا كان للانسان الواحد اولاد كثيرة من كثيرة
الامهات الزوجات يقال لهذه الاولاد الكثيرة بنو علات واما اذا كانت
المراة الواحدة تزوجت برجال كثيرة فيقال لهذه الاولاد الكثيرة المختلفة
الاباء بنو اخياف فهذه التعبير منه صلى الله تعالى عليه وسلم باعتبار ابيهم
ادم وامهاتهم شتى فالترجيح باعتبار ان ادم ابو الذكور بالمناسبة
للذكورية واصلهم وانهم فروعه ويجوز اطلاق عكسه بالاعتبار ايضا فى اولى
النسب وان عيسى اخى ليس بينى وبينه نبى وانا اولى الناس به واقربهم
واخصهم وهو مبشرى قبلى بقوله ياتى من بعدى اسمه احمد وفى رواية
عن البخارى ومسلم انا اولى الناس بعيسى ابن مريم فى الاولى والاخرة
وروى عن انس رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا اول
الناس يشفع فى الجنة رواه مسلم اى لرفع درجات امتى الى المقام الذى
لم ينله بعبادته وطاعته بل بشفاعتى له لاقتداء سنتى واجتنابه

عن البدعات التي حدثت بعدي والتزامه بمجالسة العلماء من امتي ويشفع
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الجنة لاخراج امته العاصين الداخلين في النار
قدر معصيتهم لان الجنة دار طاهرة لا يدخلها الا الطاهرون فقذرة
المعصية مانعة للدخول الا بالعفو والشفاعة والتزكية والتطهير
بالاحراق لاستعداد الدخول والصلاحية لها كالصباغ يحرق الذهب
ويذهب ليستعد للعمل بما قصد به مثلا وانا اكثر الناس تبعا روى البخاري
ومسلم عن انس رض اي انا اكثر الامة من الانبياء الذين هم ذي الامم الكثيرة
لانه صلى الله تعالى عليه وعليهم اجمعين ارسل كافة للناس بشيرا ونذيرا شرقا
وغربا وغيره ارسلوا على الامم المخصوصة في الامكنة المحصورة كموسى عليه
السلام رسل لبني اسرائيل بقرية الخطاب الى الشام واطرافها وبعضهم الى الثلاثة
الثلاثة كلوط عليه السلام وبعضهم الى قرية واحدة حتى ارسل الى رجل
واحد كما بينه المفسرون في المطولات فامتاز من بينهم محمد رسول الله
صلوات الله تعالى عليهم بالارسال الى الكافة للناس فالكافة والعامة اكثر
من الخاصة بلا شك عند ارباب العقول فلا ريب انه اكثر تبعا بالامة
من الغير ولو بالسقط فروى عن الربيع بن انس رض عن ابيه انس بن مالك
رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا اول الناس خروجا
اي من القبر اذا بعثوا ونشروا من قبورهم وانا خطيبهم اي متكلم عنهم فيما
بينهم اذا لم تتكلم الالسنة من هيبة الرحمن وعظمته وبدهشة المحشر وشدة الغضب
وهول اهل العرصات حيث لم تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله والحكم
والتصرف له اذا وفدوا اي قدموا على ربهم واقاموا بين يديه تعالى وانا مبشرهم
بما ابشرهم بدخول الجنان بتيسير الحساب ووصال الاحباب اذا ايئسوا من الخلاص
والنجاة من شدة الهول وقنطوا من رحمة الله من شدة البلايا والمحاسبة
والعذاب لواء الحمد يومئذ كما في رواية الجامع الصغير بيدي اي لا بغيره

بالحمد الذي يلهم به ولا يحمل الاولون والاخرون تحت لوائه كما قال صلعم
في الحديث لا حتى ادم ومن دونه تحت لوائي يوم القيمة رواه ابو الفضل
القاضي عياض رح فلذا يسمى هذا بالمقام المحمود وهو قيامه صلى الله تعالى عليه
وسلم بالشفاعة العظمى قبل الشفعاء واصل اللواء الراية ولا يمسكها
الا صاحب الجيش وموضوع اللواء شهرة مع الرئيس ليعتمدوا عليه ويرجعوا
اليه وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر اي اشرفهم ذاتا وصفة واقربهم
منزلة وان هذا الكلام باعلام ربي مما يقع غير مفتخر كما هو اكثر حال
اولاد العرب يفتخرون بكلامهم وشعرهم وفي رواية ابن زنجويه عن انس
رض انه قال قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويطوف على الف خادم
من افضل خدام اهل الجنة كانهم لؤلؤ مكنون اي مصون عن الغبار مثل
الدر في الصدف وعلى طراوته في الحسن والبياض والنور واكسى حلة
من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش فيه تلويح الى قرب الرتب بالمعنوي
لا الحسي لانه لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف
الخبير ولانه مشعر التمكن بالجهات الست المعلق بالاحتياج وهو سبحانه
وتعالى منزه عنه المستغني عن العالم والسموات والارضون وما بينهما وما تحتهما
وفوقهما من العرش واهله والفرش واهله والكرسي واهله كالذرة عنده بمنزلة حبة المثقال
وهو كبير المتعال اذا اراد شيئا يقول له كن فيكون ويوجد بلا توقف
ولا اعانة على شيء من العلل وهي مخلوقة بامره ايضا ليس كمثله شيء الا له
الحكم والامر تبارك الله رب العالمين ليس احد من الخلائق يقوم ذلك
المقام اي المقام المحمود الذي وعده ربه صلعم غيري يومئذ لاعلام الله
تعالى سيادتي لاهل العرصات كما هو سيد القوم عند المجالس الكبرى
رواه الترمذي في صحيحه وابو نعيم في دلائله برواية ابي هريرة ايضا
وكذا قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وعد شامل لما اعطاه

من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له ليوم الدين بالتي
لا يعدها عاد والشفاعة التي لا يحدها حاد مما اعطاه الله تعالى
من كرامة الدارين من انواع السعادات وشتات الكرامات الجامعة
لوجوه العنايات مما ادخرناك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك
مما اعطيتك في الدنيا قال ابن اسحق ابو المغازي رح يرضيه بالفلج
والفوز في الدنيا والاجر الجزيل والثواب الجميل في الآخرة وذكر الامام الثعلبي
في تفسيره ان علي ابن ابي طالب رضي الله عنه قال ليس في القرآن آية ارجى منها
ولا يرضى رسول الله صلعم ان يدخل احد من امته النار كذا في الشفاء
فاللام للابتداء يدخل على الجملة الاسمية المؤكدة بها مبتدؤها
محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك ربك بما سئلت
ورجوت واردت نيله عطاء جزيلا كالحوض والورود للامة المرحومة
وسقيك بيدك المباركة فيهم والشفاعة الكبرى في المقام المحمود
يحمدك الاولون ويغبطه الآخرون تحت لواءك عند ربك وليست
اللام فيها للقسم لانه يقتضي المضارع المؤكد بالنون الثقيلة
والخفيفة وهو منتف هنا ويشهد على هذه المعاني اللذيذة قوله
سوف لانه وعد للوجوب يفيد الوجود بكل ما يطلب ويرضى به
لما روى عن عبد الله بن عمرو بن عاص رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم امتي امتي وبكى فقال الله تعالى يا جبرائيل
اذهب الى محمد فقل انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وقال
حرب بن شريح رح سمعت ابا جعفر محمد الحنفي بن علي بن ابي طالب
رضي الله عنهم انكم يا معشر اهل العراق يقولون ارجى آية في كتاب الله ولسوف
يعطيك ربك فترضى به مما لا يعرف كنهه لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر مما اعده الله تعالى لعباده الصالحين

وجيبه شفيع المذنبين في العرصات يوم الدين وروى عن واثلة
بن الاسقع وهو من اصحاب الصفة اسلم في غزوة تبوك وعمره ثلث
وستون ومات وعمره مائة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل
بني كنانة بكسر الكاف واصطفى من كنانة قريشا وهو نضر بن كنانة
واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وهو ابن عبد
مناف بن قصي رواه ابو الفضل في الشفاء وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى خلق الخلق قسمين
فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله تعالى واصحاب اليمين واصحاب الشمال
فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا
فجعلني خيرها ثلثا وذلك قوله تعالى فاصحاب الميمنة واصحاب المشأمة
والسابقون فانا من السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها
قبيلة وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم
عند الله اتقيكم فاني اتقى ولد آدم فذلك قوله تعالى انما يريد الله
بارادته الازلية استيناف لتعليل امر الزوجات المطهرات ونهيه
على استيناف فلذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب بغيرهن وصرح بالمقصود
بطريق النداء او المدح بما امرهن به بالصلوة والزكوة على الخصوص ثم
بالطاعة على العموم اعتناء بشانهما وايماء الى انهما اصل جميع الطاعات
البدنية والمالية من اعتنى بهما احق للاعتناء ليذهب عنكم الرجس اي الذنب
المدنس لعرضكم اهل البيت نصب على النداء او على مدح مرادا بهم من حوله
بيت النبوة اي امدح اهل بيتي حبيبي فاني لم اخلق مثله فالجملة خلق
من نوره من الموجودات والمصنوعات من الارض والسموات عاليها وسافلها
وبينهما من الثرى الى الملاء الاعلى من الثريا ويطهركم عن العيوب الوافرة

الطاهرة عن القصور الكثيرة والذنوب الوفيرة والخفية فانه طاهر من
الازل الى الابد وما يقربه يناسبه بحسب الامكان مناسبة البشرية تطهيراً
مبالغة اذ لستن كاحد من النساء اللاتي خلقن من ضلع آدم فيه استعارة
حيث شبه الذنوب الرجس وهو المعصية والترشيح بالتطهير للتقوى
وللتنفير عن القبايح والترغيب في المحاسن واسناد الترشيح بحقيقية وتر
شيحية وتخصيص اهل الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي بن ابي طالب رض
وابنيهما ضعيف لا يناسب السباق والسياق حيث نزلت في الزوجات
المطهرات وما روي عن عايشة رضها انها قالت خرج رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ذات غداة عليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت
فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن فادخله
فيه ثم جاء الحسين فادخله فيه ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً وفي رواية عن ام
سلمة رض قالت في بيتي انزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت ويطهركم تطهيراً قالت فارسل رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم الى فاطمة وعلي والحسن والحسين فقال هؤلاء اهل بيتي قالت
فقلت يا رسول الله ما انا من اهل البيت قال بلى ان شاء الله قال زيد
ارقم رض اهل بيته من حرمت الصدقة عليهم آل علي وآل عقيل من
اولاد ابي طالب وآل جعفر وآل عباس والسادات معتبر منهم رضوان الله
تعالى عليهم اجمعين رواه الامام مسلم في صحيحه والبغوي في المعالم
فانه لا يدل على التخصيص بل انهم من اهل البيت كما كان غيرهم منهم
لدلالة الاية بقوله عنكم على العموم للرجال جميعاً على سبيل التغليب
والنساء وقوله واذكرن ومن في معناهم والحديث والتخصيص دعوى
مجرد بلا دليل وانما هو للتعظيم لبيان شرف اهل بيته ولو فرضت

دلالته

دلالته لما اعتد بها لكونها في مقابلة النص ومن قواعد الاصول ان الاثر
لا يقابل النص القاطع فدلالة الاثر انما يدل على كونهم من اهل البيت
ولا يدل على ان من عداهم ليسوا كذلك فبطل تخصيصهم بهم دون
غيرهم مع ان الاثر مفسر للنص وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال
رسول الله صلعم لما خلق الله تعالى آدم اهبطني في صلبه الى الارض فجعلني
في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب ابرهيم ثم لم يزل
يقلبني في الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي
لم يلتقيا على سفاح قط رواه ابن عمرو العدني الحافظ في صحيحه
وابو الفضل في الشفاء وروى الامام جلال الدين الحافظ السبكي
صاحب تفسير الجلال الكبير في بعض مصنفاته لما اراد الله تعالى
ان يخلق المخلوقات اظهر نوراً من نوره وخلق من ذلك النور روح
محمد صلى الله عليه وسلم ثم خلق عموداً كثيفاً من نور كالزجاجة يرى
ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وغلظها كغلظ السموات
السبع ثم وضع فيه روح محمد صلعم فعبد الله تعالى فيه الف الف
عام بلا جسم ولا رسم فخلق الملئكة كلهم من تسبيح ذلك النور
وهم يسبحون بتسبيح ذلك النور بالفي عام على ما رواه ابو الفضل
ثم خلق روح آدم من نوره واودع ذلك النور فيه ولما صوره من طين
ونفخ فيه الروح ظهر ذلك النور من آدم فكان يرى في دائرة آدم
نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كالشمس وضحاها والقمر اذا تليها في ليلة
البدر فلم يزل ذلك النور من آدم فاودع ذلك النور في ظهر آدم
واسجد له الملئكة وادخل الجنة وكانت الملئكة تقف خلف آدم
صفوفاً ينظرون الى نور محمد صلعم فقال آدم يا رب ما لهؤلاء الملئكة
يقفون خلف ظهري صفوفاً فقال الله تعالى يا آدم ينظرون الى نور حبيبي

وصفوتي من خلقي ومحمد خاتم الانبياء عليه وعليهم الصلوات والسلام الذي
اخرجه من ظهرك فقال آدم يا رب اجعل هذا النور مقدمي يستقبلوني
الملئكة ولا يستدبروني فجعل الله ذلك النور في جبهته فكانت الملائكة
يقف مقابلة آدم وامام جبهته فيصلون ويسلمون على نور محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال آدم يا رب اريد ان يكون لي نصيب من هذا النور كما كان
للملئكة فاجعله مني في مكان اراه فجعل الله تعالى ذلك النور الى اصبعه
الشاهد من يده اليمنى فكانت الملئكة تسبح ويسبح نور محمد صلعم في اصبع
آدم عم فلذا سمي الاصبع المسبحة ثم قال آدم يا رب هل بقي من هذا النور شيء
في ظهري فقال الله بقي بقية نور صحابته فقال يا رب اجعله في بقية
اصابعي فجعل الله تعالى نور ابي بكر رض في اصبعه الوسطى ونور عمر في
رض في البنصر ونور عثمان رض في الخنصر ونور علي رض في الابهام وما زالت
هذه الانوار تتلألؤ في اصابع آدم عم ما دام في الجنة حتى وقع وما وقع
في المقدرات الازلية وظهر ما من الارادات الابدية بالحكمة نظام في الدين
والآخرة فرد الله تلك الانوار الى ظهره ثم ان الله عز وجل علم آدم قدر ما اودعه
من السر وكرمه بالتسبيح والتقديس والتطهير وبالغشي الى زوجته
حوى على الطهارة بنك فاني مخرج منكما نوري ففعل آدم ما امر به فنقله
تعالى ذلك النور الى حوى فكان يرى في جبهتها كدائرة الشمس فلما وضعت
شيئا ام انتقل ذلك النور الى جبين شيث عليه السلام فلما اكبر واخذ
الرجال اخذ آدم العهد والميثاق لا يودع هذا النور والسر الا في المطهرات
من النساء ليصل منها الى المطهرين من الرجال ثم وثم حتى حملت حوا رض
لابنها شيث عليه السلام واصبح آدم والنور مفقود من جبهته فاغتم من
ذلك ثم رأى ذلك النور في جبهة حوى فرأت كل يوم حسنها وجمالها
فتعجب آدم من ذلك ثم وضعت حملها ظهر النور على جبهة شيث فزاد كل يوم

حسنا وجمالا ثم على جبهة ادريس عليه السلام ثم على جبهة نوح عليه السلام
ثم على جبهة سام بن نوح ثم على جبهة هود عليه السلام ثم على جبهة ابراهيم
عليه السلام ثم على جبهة اسمعيل عليه السلام ثم على جبهة فيرآثم على جبهة
جميل ثم على جبهة لقت ثم على جبهة داود عليه السلام ثم على جبهة سليمان بن
عليه السلام ثم على جبهة هميشع ثم على جبهة اليسع ثم على جبهة ادد
ثم على جبهة عدنان ثم معد ثم على جبهة نزار ثم على جبهة مضر ثم على
جبهة الياس ثم على جبهة مدركه ثم على جبهة خزيمة ثم على جبهة
كنانة ثم على جبهة نضر ثم على جبهة مالك ثم على جبهة فهر ثم على
جبهة كعب ثم على جبهة غالب ثم على جبهة كلاب ثم على جبهة قصي
ثم على جبهة مناف ثم على جبهة هاشم ثم على جبهة عبد المطلب ثم على
جبهة عبد الله ثم على جبهة آمنة ام محمد ثم بنفسه في العالم من آمنة
ليلة الاثنين من الربيع الاول وفي رواية عشية يوم عرفة ليلة الجمعة
فسقطت في تلك الساعة قباب الكنايس على الارض واصبحت الاصنام
كلها منكوسة على رؤسهم اربعين يوما وروي عن عبد المطلب جد النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال كنت في الكعبة وفيها اصنام سقطت الاصنام
من اماكنها وخرت سجدا وسمعت صوتا من جدار الكعبة يقول ولد النبي
المختار الذي يهلك بيد الكفار ويطهرني عن هذه الاصنام ويأمر
بعبادة الملك العلام فلما ولد النبي صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين
من عروج السماء وكانت الشياطين تصعد الى السماء وتسمع احاديث
الملئكة قبل مولد النبي صلعم فلما ولد رسول الله تعالى عليه وسلم ارادوا ان
تصعدوا الى السماء فمنعوا من ذلك بالرجم فاجتمعوا على ابليس صاحب
انواع الحيل واصناف التلبيس وقالوا كنا نصعد الى السماء فنحدث الاخبار
ما نشاء فالآن منعنا ورجمنا بالنجوم المحرقة والرجوم المنزلة المدبرة

فما الحكمة في هذا فتفكر ابليس مدة مديدة وفكرة شديدة فقال انظروا
في مشارق الارض ومغاربها لتطلبوا اي حادثة حدثت على وجه الارض
فطافوا حتى اتوا مكة فرأوا بيتا احدقته الملئكة بها ويطلع منه نور الى السماء
ويهنئ الملئكة بعضهم بعضا فرجعوا الى ابليس فاخبروه بذلك فصاحت
ابليس صيحة شديدة وبكا بكاء مديدا فغشي عليه فاجتمعت الشياطين
من كل ناحية من نواحي الارض فعالجوه بكثرة المعالجة ووفروا ابو مرة
المعالجة ثم قالوا ما لك يا ابانا ويا كبيرنا واي شيء فهمت من اخبارنا
قال ابليس يا بنيات هلكتم ويل لكم في المشقة والكدرة فكان سعينا
هباء منثورا قالوا يا ايها الاب الكبير اخبرنا ما القصة وما الحكمة قال لهم
ولد النبي المختار سيد الابرار يغير الاديان ويبطل اللات والمنات فلعنت
لاجله احمد المجتبى ومحمد المصطفى في الارضين والسموات والعليين
فالمخلوقات خلقت من نوره خلاءات السموات والارضون بامته فكانوا
خير الامم فيدخلون مع نبيهم قبلهم ولا يدخل الانبياء الجنة الا بعدهم
مع امتهم فتنور السموات بنورهم ويستغفر جميع الملئكة في الامكنة من
حتى العرش والفرش فعفى عنه ربهم بذنوبهم باستغفارهم وتوبتهم
فكانوا لكن لا يذنبون لخلوصهم في التوبة ودوامهم في الطاعة وينالون الدرجات
العاليات في الغرف العاليات مع كثرة النعم الباقية والالبسة الفاخرة
والحور والولدان والخدام والغلمان في العزة والاكرام الابدية والدولة
والاحترام السرمدية فداموا فيها فدمنا في الدرك الاسفل بالعذاب
الاليم والسلاسل والاغلال والجحيم لباسنا قطران شرابنا غساق
اهل النار صببت فوقنا طعامنا تارة من زقوم وتارة من غسلين
وتارة من ضريع وصديد اهل البوار لا ياكله الا اهل الكبر والاوزار
ذنوبنا كبيرة كثيرة عيوبنا وفيرة لا يصلحها التوبة ولا الاستغفار

اذ لا

بح في كلام ابليس مع اولاده في النبي المختار [illegible]

اذ لا يقبلها الغفار فبقينا في النار فريدا وفي العقاب وحيدا فاين
رفقاؤنا وهم يتنعمون بانواع النعم واصناف الشيم ونحن نتعذبون
بعذاب متنوع وعقاب متلون وحيات وعقارب وزبانية مأمورة
فعبادتهن فرقومة بعذاب اهل النار من الكفار والفجار فيفعلون
ما يؤمرون فباي تدبير نحن مشغولون ومأمورون فسمع اولاد الشياطين
الذين جعلوا من الزنا والشتم الذي ذكره مستهجن يتولد كل يوم اولادا
كثيرة ابوهم الصغير الابنس ووقع في الاثران ذكر ابليس في ساقه
وفرجه في مقابلة ساقه الاخرى فاذا اراد التولد فقرن ساقه الذي فيه
فرجه فجمع فحبل ساعة ووضع حمله في ظرف وجد فيه اولادا كثيرة
من الرجال والنساء ذكره الامام الثعلبي في كتابه رياض الصالحين كما
يتولد من ذكر بني آدم من الاولاد والملئكة مخلوق من نور ما يصاحب
صاحبه في القبر ويونس في المحشر وينور على الصراط ويرفق في الجنة فهذا
سر من اسرار الله فقالوا يا سيدنا ويا اكبر آبائنا لا تكن مغموما ولا محزونا
ولا مهموما ولا مغبونا فطب نفسك ونحن ادخلنا بينهم الاهواء الضالة
المضلة والظلم والبخل والاسراف والزنا واللواطة والكذب والبهتان
والافتراء والحسد والسحر وما يستر وحظ النفس الامارة بالسوء من المكاره
المدخلة الى النار فانهم يميلون اليها ويهلكون لا محالة الا من عصمه الله
وامر بالاوامر واجتنب عن النواهي والزواجر فيتزين بزينة الشريعة
الاحمدية ويتسنن بالسنة السنية العلية في الاوقات الجلية والخفية
في الشهور والايام والدهور والاعوام فهم قليلون في اتباعنا واسيرنا
كثيرون ما دامت الاهواء دارت فيهم ولا يتخلص عنها كل الاعالي فضلا
عن الاداني عنهم مع ان الله تبارك قال في كتابه العزيز مقسما بذاته العزيز
ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ولقد صدق

اي التولد من الذكر المستطاب بسعه

بح تسليط الاولاد الشياطين على اولاد آدم [illegible]

قرا الكوفيون بالتشديد اى حقق عليهم ابليس ظنه بالنصب فهو مفعوله اى
الظن الذى ظنه فيهم او وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن
مع التشديد بمعنى ووجد ظنه صادقا وبالتخفيف بمعنى قال له ظنه
الصدق حين خيله اغواءهم ورفعهما بالتخفيف على الابدال وقرء بالتخفيف
فظنه ظرف اى صار صادقا فى ظنه فيجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه
كما فى صدق وعد لانه نوع من القول لان الصدق والكذب صفة القول
اى صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك فالمعنى على تخفيف صدق اى صدق
ابليس فى ظنه او صدق يظن ظنا كما تجهد جهدك والمعنى على تشديد صدق
اى قال له الصدق حين خيله اغواءهم يقولون نصدقك ظنك حيث قلت
فبعزتك لاغوينهم اجمعين ولا تجد اكثرهم شاكرين فصدق ظنه وحقق
فعله فى كفرهم وشركهم وانهماكهم فى الشهوات ان بنى آدم يتبعونه جميعا
وقال فى سورة الاعراف ثم لآتينهم من بين ايديهم قال ابن عباس رضيهما
اى من قبل الآخرة فاشككهم فيها ومن خلفهم اى ارغبهم فى دنياهم وعن ايمانهم
اى اشتبه عليهم امر دينهم وعن شمائلهم اى اشتهى لهم المعاصى وروى عطية
رح عن ابن عباس من بين ايديهم من قبل دنياهم ازينها فى قلوبهم ومن خلفهم
من قبل الآخرة فاقول لهم لا بعث ولا جنة ولا نار وعن ايمانهم من قبل حسناتهم
وعن شمائلهم من قبل سيئاتهم وقال الحكم من بين ايديهم من قبل الدنيا
زينها لهم ومن خلفهم من قبل الآخرة تثبطهم عنها وعن ايمانهم من قبل الحق
يصدهم عنها وعن شمائلهم من قبل الباطل يزينه لهم وقال الامام قتادة
آتيهم من بين ايديهم فاخبرهم ان لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم
من امر الدنيا فزينها لهم ودعاهم اليها وعن ايمانهم من قبل حسناتهم بطاهم
عنها وعن شمائلهم زين لهم السيئات والمعاصى ودعاهم اليها اتيك يا ابن
آدم من كل وجه غير انه لم يأتك من فوقك ولم يستطع ان يحول بينك

وبرحمة الله وقال الامام مجاهد من بين ايديهم وعن ايمانهم من حيث يبصرون
ومن خلفهم وعن شمائلهم من حيث لا يبصرون اى لا يعلمون انهم يخطئون
فان قيل كيف علم الخبيث ذلك قيل انه قاله ظنا فاصاب فقال تعالى ولقد صدق
عليهم ابليس ظنه قاله البغوى وذلك الظن اما خاصة لاهل السبأ بقرينة
ضمير عليهم راجع اليهم وسباق الآية شاهد عليه وقال الامام المجاهد
حكمه عام وان كان وروده خاصا فالمراد الناس كلهم بقرينة رجوع ضمير
لاغوينهم ولاضلنهم فى المحاورة فى حق جميع الناس فى مادة سجود آدم م
واهل السبأ داخل فيه كدخول الجزء فى الكل مجازا اوليا فاتبعوه اى اتبع
بنو آدم اليه جميعا فضلا عن اهل سبأ فى الاغواء والاضلال والعصيان
والطغيان والاختلال بتزيينه ووسوسته تصديقا لقوله لازينن لهم
الا فريقا من المؤمنين قال ابن عباس رضيهما يعنى المؤمنين كلهم لانهم لم يتبعوه
فى اصل الدين وقد قال الله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وانما قللهم
لان المؤمنين قليل بالنسبة الى الكفار فالمراد من الفريق فريق الجنة
المعادل بفريق النار كما قال الله تعالى فريق فى الجنة وفريق فى السعير
من الفرقة حيث يقع الافتراق بينهم فى النعم والنقم والصفاء والجفاء
والامكنة والوعد والوعيد فعلى هذا التقرير يكون لفظ من لبيان
والتمييز بين الفريقين وقيل هذا الفريق خاص من المؤمنين الذين
يطيعون الله فى اوامره بالائتمار وفى نواهيه بالاجتناب والانتهاء
ورسوله فى سننه السنية وطرقه العلية بالاستنان والاتباع وهم
المخلصون فعلى هذا يكون لفظ من للتبعيض والتفريق بين المطيعين والعاصين
منهم ويؤيده قوله الا عبادك منهم المخلصين وقوله الا من اتبعك
من الغاوين قال الامام الحافظ ابن قتيبة رح ان ابليس لما سأل النظرة
والمهلة فانظره الله على مراده لا ازلية الى يوم معلوم وهو النفخة الاولى

يموت الخلق كلهم لا على ما سئله الى يوم الدين ويوم يبعثون من قبورهم وهو
النفخة الاخيرة عند قيام الساعة فمراده الخلاص من الموت فاذا خلص
من الموت غره الاسم الاعظم بدخول الجنة وفي هذا حكمة خفية نافعة
للمؤمنين ومضرة للابليس على ما بينه المفسرون وهو ما اراده الخبيث ان لا
يذوق الموت فقال لاغوينهم ولاضلنهم بعدم التيقن وقت هذه المقالة
وانما قاله ظنا فلما اطاعوه بعضهم صدق عليهم ما ظنه فيهم وقال الحسن رض
لم يسل عليهم سيفا ولا ضربهم بسوط وانما وعدهم واخلفهم فاغتروا وما كان
اى لم يكن للشيطان عليهم اى على اتباعهم من سلطان اى تسلط بالقهر
والاستيلاء بالضرب والتدمير سوى الوسوسة والتزيين والاستغواء
الا لنعلم وليظهر علمنا المؤمن بايمان من يؤمن بالاخرة وشك من شك
بتمييزهم على مظاهر الرسول والمؤمنين وليتعلق علمنا بذلك تعلقا
يترتب عليه الجزاء ويميزه ممن هو راسخ في شك عظيم لا يتوب ولا يزال
وعلى الكفر يموت وفي تغيير نظم العلتين بايراد الجملة الاسمية وتنكير
الشك وجعله مقرا لهم مالا يخفى منها اى من شاك الاخرة في شك
فالمراد بالعلم هنا الوقوعي والظهوري ليظهر ويميز من يصدق بالبعث
فيكرم بالنعم الابدية من الشاك في قيام الساعة فيعذب بالعذاب والنيم
السرمدية او ليؤمن من قدر ايمانه بصرف الارادة من قدر ضلالته على نوع
التعليق في ام الكتاب الذي هو عبارة عن اللوح المحفوظ المجمل عبارة
عن علم الله الازلي المفصل المصون عن المحو والاثبات كان حال الايمان
كذلك على طريق التعليق بصرف الارادة الجزئية والاختيار الخيرية كما
قرر وكرر مرارا وكرارا والمراد من حصول العلم متعلقة مبالغة فيكون
العلم مجازا اوليا من قبيل ذكر المتعلق وارادة المتعلق وفي ايراد التجوز
مبالغة في التحقيق فان العلم به متفرع على تحققه فكان بمنزلة ذكر الشيء

بدليله

بدليله وربك على كل شيء مما كان منهم وما يكون من الازل الى الابد حفيظ
اى عالم بحفظ اعمالهم رقيب بافعالهم ليجازيهم بها بما شاء بارادة الازلية
الظاهرة متعلقها فابليس سمع هذه الكلمات المفسدة من اولاده المضحكة
المسرة فتن الملعون وذهبت اكداره فضحك ضحكا كثيرا وقال الآن قرت
عيني وطيبتم نفسي وكلتكم في اموري ما دمت فيكم حيا فقسموا ازيالكم
واوصوا اولادكم فقابلوا اصحابكم باي عمل كان فدوموا ولا تكاسلوا حتى الى
القبر فقولوا انا انا عند سؤال المنكرين بقول لهما له من ربك وما دينك
وما نبيك فالغيرة لكم موروثا من ابيكم عزازيل ضابطا اهالي الجنة
بالف سنة من محاسبة الاخرة والجنة لكم من بين امثالكم فانعامي
واسع كثير واكرامي فيكم بليغ وفير لامدادي منكم والاحسان مني اليكم
واما تفصيل موت ابيه عبد الله بن عبد المطلب فروي انه مات في بلد
المنورة حين ذهب الى التجارة في حيوة عبد المطلب والنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم في بطن امه وماتت امه آمنة بعده ولادته بثلثة ايام على
رواية ومع الزيادة في رواية اخرى فارضعته حليمة بنت ابي ذويب
وهي امرأة عجوزة فقيرة ذليلة فصارت شابة عزيزة غنية حتى
قالت النسوة اللاتي رأينك يا بنت ابي ذويب مالك نراك اليوم
تشتبهن بنات الملوك في الحسن والجمال والطراوة والملل والسكينة
والوقار والمنال وزيادة الاحسان والانعام واليمنة والميسرة وصفاء
الحال والحركات بين الامثال والبركات في الاموال ولقد فارقت منا
قريبا على تغير اللون وضيق العيش والفقر والفاقة ولتذللها حالك
الآن وشانك في هذا الحال فاي دولة صادفتها وباي نعمة تنعمت بها
وباي ماء الحيوة غسلت وشربت وباي بركات واسعت واي مؤدب
علمك الادب ومكرم عرفك الاكرام ومحترم اعطيك الاحترام فاخبرت

الحليمة عن القصة المعلومة والحصة المشهورة فتحيّزت كلّهن فقالت اعطيته
ثديي الأيمن فشرب ثم حولت الى الأيسر فأبى ان يشرب قال ابن عباس رضي الله عنهما
وانما ابى لان الله تعالى الهمه بالعدل فى حق اخيه من الرضاع وهو ضمرة فعلم
ان له شريكاً فى رضاعه فناصفه عدلاً قالت حليمة فكان ثديي الأيمن له عليه
الصلوة والسلام وثدي الأيسر لابني ضمرة وروي عن ابى هريرة رضي انه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت من خير قرون بنى آدم قرناً فقرناً
حتى كنت من القرن الذي كنت منه وروي عن العباس رضي انه قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير قرنهم ثم
تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم
فانا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً رواه ابو الفضل فى الشفاء قوله فجعلني
من خيرهم وهو جنس الانس لا الجن وقرنهم الذى ولد فيه وفيه اشارة
الى ان الانس خير سائر المخلوقات والقرن من الاقتران يطلق على اهل زمان
يقترنون فى اعمارهم واهوائهم واحوالهم وهو كل عصر فيه نبي من الانبياء
او من العلماء فليس زمان الفترة من القرون وقيل يطلق القرن على كل جماعة
ماتت فلم يبق اكثرهم وقوله فجعلني من خير قرنهم هو عصر الصحابة لانهم
انقرضوا بعد المأة الا نادراً كانس وغيرهم رضي فانه صلى الله تعالى عليه
وسلم دعا لانس بن مالك رضي بقوله اللهم كثر امواله واولاده فعاش
انس رضي بعد هذا ثلث مأة وخمسين سنة وله اربعمأة اولاد كبير ذى اللحية
المسودة والمبيضة سوى من مات فى الصغر فهذا من بركات دعاء النبي صلعم
لانس بن مالك خادم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عشرة سنين كذا صرحه
على القارى فى شرح الشفاء رحمه الله رحمة واسعة وهذا الحديث على
ان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين افضل هذه الامة وسائر سوى الانبياء
عليهم الصلوات لان افضلية الصحبة لا يعادله شيء ولم يتيسر لغيرهم مع انهم

من القرآن

من القرن الذى ولد فيه رسولنا وسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
بمدحته من هذا الوجه واعمالهم افضل ايضاً وروي عن ابن عمر رضي انه قال
قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى اختار خلقه فاختار منهم بنى آدم
ثم اختار بنى آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشاً
ثم اختار قريشاً فاختار منهم بنى هاشم فاختارني فلم ازل خياراً من خيار
الا من احب العرب فبحبي احبهم اى كما يحبني ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم
اى فبسبب بغضه اياى رواه الطبرانى فى الكبير والاوسط وابو الفضل
فى الشفاء وروي عن ابن عباس رضي انه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان قريشاً كانت نوراً فالمراد نوره صلعم بين يدى الله تعالى قبل ان يخلق
آدم بالفى عام يسبح الملئكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم القى ذلك النور فى
صلبه فاهبطني الله تعالى الى الارض فى صلب آدم وجعلني فى صلب نوح
وقذف بى فى صلب ابرهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة
والارحام الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوى لم يلتقيا على سفاح قط
رواه ابن عدى فى مسنده وابو الفضل فى الشفاء وروي عن قتادة انه قال
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كنت اول الانبياء فى الخلق وآخرهم فى البعث رواه
ابو نعيم فى دلائله وابن ابى حاتم فى تفسيره وابن لال فى كتاب مكارم الاخلاق
وروي عن الامام البخارى فى صحيحه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم بعثت من خير قرون بنى آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذى
كنت فيه وفى رواية عنه انا انفسكم نسباً وصهراً وحسباً لم يزل الله
ينقلني من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرات مصطفى مهذباً لا
تنشعب شعبتان الا كنت فى خيرهما فانا خيركم نفساً وخيركم اباً لا يخفى
ان فى مقطع هذا الكلام مقنعاً لطالب الحق من ذوى الافهام فيما سبق
لاجله الكلام اعلم ان اصحاب التحقيق من السلف وارباب التوفيق من الخلف

حققوا في تدينهم ودققوا في تعقيدهم وتدبيرهم واختلفوا في ابوي
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل بقيا على الكفر بعد الموت واحييا
فآمنا ثم ماتا على الايمان فذهب الى الاول جمع غفير وجم كثير وهو مذهب
المتقدمين ومشرب المتقين من الائمة المعظمة ومقتدى الامة المكرمة
المحترمة كالامام الاعظم واتباعه الافخم مثل الامام ابي يوسف يعقوب الاصفهاني
ومحمد بن الحسن الشيباني وداود الطائي وزفر وغيرهم من تلامذته الكبيرة
والائمة الشهيرة كالعافية وابي الحفص الكبير وامثالهم من المجتهدين
التابعين لهم كقاضيخان والمحيط البرهاني وصاحب الذخيرة والجلال
السيوطي استاذ العلي القاري حتى الف فيهما ثلثة رسائل في تقوية قولها
بالادلة الجامعة من الكتاب والسنة والقياس واجماع الامة وبسط نكتة
لقول الامام الاعظم في كتاب الفقه الاكبر ووالدا رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ماتا على الكفر اذ هذا الزمان ليس فيها نبينا محمد صلعم ولا فيه
كتاب القرآن بل زمان الفترة والتحريف والشرك والتصريف فالكل على
ما اقتضته اهوائه وابتغته شيطانه فعملوا على ما وجدوا اباءهم وهكذا اعلم
ابنائهم واتباعهم من البدع الموروثة كما تشهده الاية المنزلة بقولهم وجدنا
اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون وفي قوله اشارة الى ان الانبياء
صلوات الله وسلامه على نبينا محمد وعليهم اجمعين كلهم معصومون
عن الكفر في الابتداء والانتهاء وانتقلوا الى نعيم الله ورحمته وجماله بالايمان
واما غيرهم من الاولياء والاصفياء والعلماء والصلحاء فلا تجزم بانهم
ماتوا على الايمان ويدخلون الجنة وان كان حسن الظن واجبا بمقتضى اخباره
الوعد على الكل فالحكم على الشخص المعين مشكل لاشتماله على الغيب
فهذه الوظيفة لله العلي الكبير الا من استثنى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
واخبر انهم اهل الجنة بوحي الهي والهام سبحاني كالعشرة المبشرة وغيرها

واذ ظهر

مذهب المتقدمين
في ابوي رسول الله
صلى الله تعالى عليه
وسلم

وان ظهر منهم خوارق العادات والحالات والواردات وانواع الطاعات
فلهذا كانت العشرة المبشرة وامثالهم كانوا خائفين حتى روى عن عمر رضي الله عنه
قال في دعائه اللهم ان كنت كتبتني من الاشقياء فامحني اه من انقلاب احوالهم
وسوء ما لهم فلهذا قال الائمة المحققون من السلف رتبة الشهادة في اهل الجنة
ثلاثة احدها انه امر قطعي لا مرية فيه في حق الانبياء صلوات الله تعالى على نبينا
وعليهم اجمعين واليه ذهب اهل السنة والجماعة من الاصحاب والمجتهدين
والائمة الراسخين فرحمة الله تعالى عليهم اجمعين والثانية انه امر قطعي في الكل
من حيث المجموع لانعدام التشخص وانتفاء الحكم في العين المغيب المحكوم عليه
ظني في كل المؤمنين والمؤمنات من الافراد المعينة حيث جاء النص القاطع
بقوله تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار وقوله
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا وامثالهما كثيرة
في الكتاب العزيز مع الخوف عن سوء العاقبة عن زوال الايمان في الخاتمة فهي هذه
وجهان قطعي بالنسبة الى الوعد على الكل الغير المعين فانه تعالى لا يخلف الميعاد
وظني بالنسبة الى حال الانسان فردا معينا فانه في اصبع الرحمن بقصوره
وعصيانه اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فهذا حديث صحيح
من اوراد النبي صلى الله عليه وسلم فيلزم لكل مؤمن ان يجعل وردا بلسانه
حتى يخلص عما يخاف خاصة في الصبح والمساء والثالثة ان يشهد في المؤمن
بامر ظاهر على النبي كما رواه البخاري ومسلم انه مر بجنازة فاثنوا عليها بخير فقال
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجبت ومر بالاخرى فاثنوا عليها بشر فقال
وجبت فقال عمر رضي يا رسول الله ما وجبت فقال رسول الله هذا اثنيتم
عليه خيرا وجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا وجبت له النار
انتم شهداء الله في الارض وهذا امر ظاهري وعلى النبي ان كان امرا معلقا
في الازل ثنا وهم ويؤيد مذهب المتقدمين ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما

انه قال النبي صلعم قال ذات يوم ليت شعري ما فعل ابواي فنزلت هذه الآية
ولا تسئل عن اصحاب الجحيم بالرفع على النفي اي ليست بمسئول عنهم فانما عليك
البلاغ وعلينا الحساب وقرئ على الجزم على معنى قولهم لا تسئل عن شر
فلان فانه فوق ما تحسب والجحيم معظم النار خطابا عليه صلى الله تعالى
عليه وسلم ونهيا منه تبارك وتعالى معلوما على قراءة نافع فالاظهر انه تفخيم
لعقوبة الكفار وتوجعهم في العذاب الاليم فلا يصير على شدتها ويجيء الموت
من كل مكان وما هم بميت ومن ورائها عذاب غليظ فكيف لا نهدد التعذيب
والتشديد من عبادة الربانية مكان الصلوة والركوع والسجود بذلك
التسبيح والتهليل والتقديس غداء لهم وتلذذ كتلذذ العابد في العبادة
وان كان في صورتها لكنها في الحقيقة غداء لهم كما في سائر الملائكة فان
افعالهم غداء وتعيش لهم وان كان في صورة العبادة فلا مانع في الجمع
للمامورية المشتملة لهما فانهن تجتهدونها في التكبير والتوفير كما يجتهد
الزهاد والورع لينا لوا فضل الرب الكريم وعناية الرحيم فكيف يهملون
ولا يزيدون مع انهم لا يعصون الله فيما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فكيف
يتحمل على استماع شدة التعذيب في عمد ممددة كما قال الله في كتابه العزيز
انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم
سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون قال ابن عباس ومحمد بن
كعب رض فلم يذكرهما حتى توفاه الله تعالى ولما امر بتبشير المؤمنين وانذار
الكافرين بذكر عقوبات الكفار فقام رجل وقال يا رسول الله اين والدي
فقال في النار فحزن الرجل فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان والدك ووالدي
ووالد ابراهيم في النار فنزلت هذه الآية فلم يسئلوه شيئا بعد ذلك
حتى توفاه الله تعالى رواه البغوي في معالمه والنسفي في تيسيره وعلى القادر
في انوار التنزيل واما ما ذهب اليه جم كثير من عظماء الحفاظ من المتاخرين

وحكام

وحكام الوعاظ من المتوفرين كالامام القرطبي في التذكرة والتفسير وابن
شاهين في كتابه الناسخ والمنسوخ وفتح الدين في السير والحافظ احمد بن
حنبل في المسند والحافظ ابو بكر العربي والسهيلي في الروضة والحافظ
شمس الدين العلامة في كتابه المورد وغيرهم رحمهم الله تعالى من الخلف على
احيائهما ثم اماتتهما الله بعد الايمان متمسكين بالآيات الدالة على طهارة
نسبه عن دنس الشرك وشينه ونجاتهما من النار منهم الامام القرطبي
فانه قال في تذكرته وهو من حفاظ المحدثين والمفسرين صاحب التذكرة
من علم الحديث وصاحب التفسير الذي لا يؤلف مثله بعده كالشمس في وسط
الانجم ان الله تعالى احيى له عليه السلام اباه وامه وامنا به صلى الله تعالى عليه
وسلم ومن اراد التفصيل فليرجع الى تذكرة القرطبي رح ونقل صاحب تبيين
المحارم في آخر نهي الاستغفار للكافر عن بعض الثقة ان عيسى صلوات الله على
نبينا وعليه اذا نزل الى الارض من السماء يحيى والدي رسول الله صلعم بالدعاء
لاحيائهما فيجعل والده وهو عبد الله بن عبد المطلب رئيس عسكره في قتال
الدجال ومن تبعه من اليهود انتهى وقال الحافظ ابن شاهين في كتاب
الناسخ والمنسوخ روى عن عائشة ام المؤمنين رضها انها قالت نزل النبي
صلعم الى الحجون كئيبا حزينا فاقام به ما شاء الله ثم رجع مسرورا قال سألت
ربي عز وجل فاحيى لي امي فآمنت بي ثم ردها وقال الحافظ فتح الدين في السير
قد روى ان عبد الله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب ابوي النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ان الله تعالى احياهما فآمنا به انتهى قال الامام الحافظ جلال الدين
السيوطي استاذ علي القاري وشيخه في علم الحديث وغيره رحمهما هذا الحديث
الذي روته ام المؤمنين عائشة الصديقة رضها اخرجه ابن شاهين
رح في الناسخ والمنسوخ وجعله ناسخا للاحاديث الواردة في انه صلعم
استاذن ربه في الاستغفار لامه فلم ياذن له ثم استاذن في وقت فاذن له

وروى ذلك أيضاً في جده عبد المطلب ثم قال وهو مخالف لما أخرجه أحمد بن
حنبل عن أبي رزين العقيلي ثم قال وذكر بعض أهل العلم في الجمع بين هذه
الروايات فحاصله أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يزل راقياً في المقامات
السنية صاعداً في الدرجات العلية إلى أن قبض الله روحه الطاهرة إليه
وأزلفه بما خصصه به لديه من الخصاصة والكرامة حين القدوم عليه فمن
الجائز أن يكون درجة له وخاصة به بعد أن لم تكن له وأن يكون الإحياء والإيمان
متأخراً عن تلك الأحاديث فلا يعارض انتهى كلامه سئل القاضي أبو بكر بن
العربي رح أحد الأئمة المالكية عن رجل قال إن أبا النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم في النار فأجاب بأنه ملعون لأن الله تعالى قال في كتابه العزيز إن الذين
يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ولا أذى أعظم من أن يقال
في أبيه أنه في النار وقال الإمام السهيلي في كتابه روضة الأنف بعد إيراد
حديث مسلم وغيره وليس لنا أن نقول نحن ذلك في أبوي رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم لقوله لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات وقال الله تعالى
والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات وقال آخر إن الذين يؤذون الله
ورسوله وذكر أبو الفضل القاضي عياض الحافظ من أئمة المالكية
في كتابه الشفاء أن كاتب عمر بن عبد العزيز قال بحضرته كان أبو
رسول الله صلى الله عليه وسلم كافراً فعزله من منصبه وقال له لا تكتب لي
أبداً وقال أبو نعيم الحافظ تلميذ أمير المحدثين الإمام البخاري في كتاب
الحلية أن عمر لما سمعه من الكاتب فغضب غضباً شديداً وعزله
عن الدواوين قال الإمام الحافظ الكردري في كتابه الموسوم بمناقب
الإمام الأعظم من مات على الكفر يجوز لعنه إلا والدي رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فإنه ثبت في الحديث الذي أورده الإمام القرطبي الحافظ
رح في التذكرة والتفسير أن الله تعالى أحيى له عليه الصلوة والسلام أباه

وأمه

وأمه فآمنا به ثم ماتا فإن قلت أليس الحديث ورد في إحيائهما موضوعاً
قلنا في الجواب زعم بعض الناس لكن الحق والصواب أنه حديث ضعيف
وليس بحديث موضوع إذ الراوي كالإمام القرطبي رح والإمام الحافظ
ابن شاهين من كبراء الحفاظ وأعلامهم ومن الثقات بين المحدثين ولقد قال
وأحسن الحافظ شمس الدين ناصر الدين الأستاذ العلامة الدمشقي في
كتابه الموسوم بمورد الصياد بعد إيراد الحديث الدال على الإحياء، اتا الله
النبي مزيد فضل، على فضل وكان به رؤوفا، فأحيا أمه كذا أباه، لإيمان به
فضلاً لطيفا، فسلم فالقديم به قدير، وإن كان الحديث به ضعيفا،
فالإمام شمس الدين الدمشقي العلامة معدود في طبقة الحفاظ اختار
ضعفه فلم يرض بكونه موضوعاً ويكفيك رواية القرطبي الحافظ رح
في التذكرة وتفسيره فضلاً عن غير أحد لكن يتوجه عليه أن الفسخ
لا يرد ولا يجري في الأخبار بل في الإنشاء على ما تبين في الأصول فالجواب
الشافي أنه من الخاصة بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كما أنه تعالى أذن له
بالزوجات التسعة على الاتفاق أو إحدى عشرة أو ثلاث عشرة على رواية
مع أنه أمر لسائر عباده بالواحدة ومثنى وثلاث ورباع فكذا سائر
الخواص له لا أنه من الناسخ والمنسوخ فإن قلت هذا مخالف لما في الكتاب
والحديث الصحيح المذكور أما الأول فقوله تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم
لما رأوا بأسنا وأما الثاني فقوله صلعم إن أبي وأباك في النار لمن سئل
من الأصحاب رض أين أبي يا رسول الله فقال تسلية ودفعاً لحزنه إن
أبي وأباك في النار فالجواب القانع والمقنع هذا بعد المعاينة قبل الإنشاء
وأما بعدهما يقبل كإحياء الذرية يوم الميثاق وركب فيهم عقلاً وبينه
وأخذ منهم الميثاق ثم أنساهم ابتلاء كذلك هذا في حق الوالدين خاصة
من خصوصية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم تسليماً كثيراً فلا فرق بينهما

في الخلق والاعلام والانشاء تدبر كذا قال الامام القرطبي في تفسيره فضلا
عن التذكرة فاذا تقرر هذه النقليات الصحيحة والكلمات الشريفة عن
الرجال العلية الذين اجتمعوا على الصيانة الجليلة للامة العلية فوجب
على المومنين ان يحفظوا السنتهم عن الكلمات الردية خصوصا فيمن انزل الله
تعالى من الكلام القديم وارسله رحمة لجميع الجماعة خاصة بهذه الامة
المرحومة بالخيرية والشهادة فالكائنات الموجودات كلها من نوره وهي
تتنور بنوره فاباؤه حبيب وامهاته طاهرة ونسيب مع ان هذا ليس
من لوازم الدين فالشغل به من اشتغال بوطل الدين فلا حظ للقلب
والقالب سوى الاشتغال كالجالب والله غالب على امره وقادر على ما لديه
فالتسليم سلامتنا والتفويض امانتنا وبامرنا وعليه توكلنا وكلاهما
حق والتعظيم فيه فايق والسكوت من كل الوجوه لايق وصلى الله تعالى
على رسولنا وسيدنا وسندنا محمد وعلى آله الطيبين واصحابه الطاهرين
وعلى من رضي عنهم اجمعين **الفصل الثالث** في الانشراح وما انشراح
صدره وانكشاف نور نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا فقوله
تعالى الم نشرح لك صدرك فالاستفهام للتقرير اي الم نفتح بما اودعناه من العلوم الكلية والجزئية والاحكام الشرعية بسبب اعطاء
النبوة ونزول دعوة الخلق الى الحق بالكتاب العزيز غائبا وحاضرا
شرحناه وفتحناه حتى وسع لمناجات الحق ودعوة الخلق ولعلوم
الاولين والاخرين وعلمناك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما
حيث لا يتحمل غيرك ولا احتمالك مكاره انواع الموذين والكافرين في ضمن
تبليغ الاحكام الشرعية بين العندة والكفرة الفجرة او الم نطهر قلبك
حتى لا يوذيك الوسواس الخناس كما يوذي لسائر الناس طهرناه كما لم يتطهر
قلب غيرك او لينا لقبول التكاليف الشاقة من الاعمال الصالحة بعد ما

الخالصات

الخالصات من الصيام والقيام في الحضر والسفر او الم نشق صدرك وقلبك
لاخراج الخصال الذميمة الانسانية من الاخلاق السيئة المانعة للاحسانية
من الغل والحسد والغش والحقد وامتلاء الخصال الحميدة المخصوصة لاكمل
مريدي الله وبجعل رسول الله صلعم بدلها معدا لصاحبها لما روي عن شريك
ابي نمر وهو من حفاظ الحديث من اهل المدني وقال بعض الحفاظ الحديث
انه ليس بحافظ روى عن انس وهو تابعي صدوق وثقه ابو داود وابن عدي
وروى عنه مالك بن انس فاذا روى عنه ثقة فهو ثقة اتاه جبرائيل عليه
السلام في صباوته عند ظيره حليمة فشق بطنه وشرح صدره فاستخرج
قلبه ثم جاء بماء زمزم وغسله والقى ما فيه مما ابتلي البشر من الخصال الذميمة
من الغل والغش والحقد والحسد مما يوفق بمقتضى الهوى ويطابق بما القيه
الاعداء وما يخالف مما في الجسد ثم جاء بطشت من ذهب ملئ بالحكمة
الالهية والاسرار السبحانية من النعم الظاهرة والباطنة والعلم والايمان
والنبوة وما يناسب دولته العلية ومنصب النبوة فهذا الانشراح وقع
مرة قبل النبوة ومرة بعد النبوة كما بينه العلماء في بحث الاسراء فنحن
نبينه فيه ان شاء الله وهذا الانشراح هو الانشراح الذي وقع في المعراج
غير ما وقع في صغره ولعل الى هذا اشار بتقرير الاستفهام في صورة النفي
مبالغة في الاثبات لان نفي النفي لا محالة يفيد الاثبات ثانيا ووقع في العقل
من الاثبات اولا من غير النفي فلذلك عطف على المحذوف المتفهم اي شرحنا
ووضعنا عنك اي حططنا السهو والخطاء الواقع قبل النبوة مرفوعا
عنه بعد النبوة بالاتفاق وقيل انما قال وزرك مع انه وزر الامة لاشتغال
قلبه الشريف بالدعاء بالعفو والمغفرة لهم ليلا ونهارا الذي انقض
ظهرك اثقله واوهنه فخففناه بالانحطاط والعفو وازالة اعياء
النبوة واقامة امرها بالانفاذ والاقتدار والعصمة من خصومة القوم

وزرك بيانه

حين البداية الى دعوة الايمان من انهماك الكفر والتزام الشرك والطغيان
موروثا من آبائهم من الشيطان ولا انتقاض صوت الحمل الثقيل في ازعاج حمل
احكام النبوة واجرائها في اقوام العنيدة اللديدة اثقل فما اصعب منها
ومما اشكل عنها خاصة يقصدون الاطفاء ويرغبون عن الاصغاء كما هو
حال العلماء الآخرين والناهين مادام النور الى يوم الدين فلولا العناية
الازلية والعصمة الابدية لما امكنك ابلاغ النبوة واجراء الشريعة في قوم
شديد وخصم عنيد ومع هذا ان الشيطان يدخل اجواف الاوثان ويتصور
حينا بعد حين ويسمعون صوته ويجونه لهم فهذه الدعوة مشكلة لامثال
هذه الكفرة العنادة والفجرة التي لا تميز بين الحق والباطل وهم اللددة
الا بتسهيل العناية الازلية وتيسير الهداية السبحانية لمن له سعادة
ابدية ودولة سرمدية في التقدير الازلية بصرف الارادة الجزئية والاختيار
الخيرية المعلقة الموهوبة للعباد غير مخلوقة لانعدام الوجود الا بعد الصرف
وهو اثره المخلوق بالصرف والاختيار على ما بين في اصول العقايد والكلام
عند الامام ماتريدي تحاحترازا عن الجبرية المستلزمة الفواسد العظيمة التي
لا يليق لاهل الشريعة ورفعنا لك ذكرك مع ذكري بانك متى ذكرت في
ذكرت معي فلاجل ذكرك بالاقتران رفع ذكرك او متى ذكر ربك ذكر اسمك
مع اسم الله العظيم وهو رب العرش العظيم وقال عطاء وابن عباس
رضي الله عنهما يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر ولو ان عبدا
عبد الله تعالى الف الف سنة وصدقه في كل شيء ولم يشهد ان محمدا رسول الله
لم ينتفع بشيء ولم يكن مؤمنا فلا تقبل هذه الاشياء الا به ولا يجوز الاذان
والاقامة والتشهد الا به روى عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم سئل جبريل عليه السلام عن معنى هذه الآية ورفعنا لك
ذكرك قال قال الله تعالى عز وجل اذا ذكرت ذكرت معي قال حسان بن

ثابت

ثابت رضي الله عنه مدح النبي صلعم في شعره • الم تر ان الله ارسل عبده •
ببرهانه والله اعلى وامجد • اغر عليه النبوة خاتم • من الله مشهود يلوح ويشهد •
فضم الاله اسم النبي الى اسمه • اذ قال له في الخمس المؤذن اشهد • وشق له
من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد • وانما قدم قوله لك على المفعول
للاعلام انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اختص فيها بما ليس لغيره وقال بعض
المفسرين انما رفع ذكره صلعم باخذ ميثاق على جميع النبيين والزامهم الايمان
والاقرار بفضله واخباره الى قوم قرنا بعد قرن وختمت نبوتهم بذكره واعلام
نعمه كما في قوله تعالى في سورة آل عمران واذ اخذ الله كلام مستأنف سيق
لبيان بعض اذياتهم وهو كتمانهم بما في كتابهم من اخذ الله تعالى النبيهم من آدم
الى نبينا محمد صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم من شواهد نبوته وشعائر
معجزاته وفضائل امته وفواضل حجمه وغيرها من النعم التي لا تعد ها حادثة
واذ موضوع لزمان نسبة ماضية وقع فيه نسبة اخرى مثلها كما ان
اذا موضوع لزمان نسبة مستقبلة تقع فيه اخرى مثلها ولذلك يجب
اضافتها الى الجمل وانتصابه بمضمر صرح بمثله في قوله عز وجل واذكروا اذ انتم
قليل وقوله واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وقوله واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد عاد وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع من الحوادث
مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر
الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل
عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا وقيل
ليس انتصابه على المفعولية بل على تاويل اذكر الحادث فيه محذوف الظرف
واقامة الظرف مقامه واياما كان فهو معطوف على مضمر آخر ينسحب
عليه الكلام كانه قيل له عليه السلام غب ما اوحى اليه ما خوطب به الكفرة من الوحي الناطق
بتفاصيل الامور السابقة الزاجرة عن الكفر به تعالى ذكرهم بذلك واذكر لهم

قوله اذ انتم قليل [illegible]

هذه النعمة لينتبهوا بذلك لبطلان ما هم فيه وينتهوا عنه وثمّ ما قيل
من ان المقدّر هو اشكروا النعمة او تدبّروا في ذلك فغير سديد لضرورة ان مقتضى
المقام تذكير المحلّ بموجب الشكر وتنبيههم على ما يقتضيه وان ذلك من
مقامه الجليل صلى الله تعالى عليه وسلم فنصوب بمضمر امر به النبي صلعم خاصّة
بتجريد الخطاب اثر الخطاب الشامل له صلى الله تعالى عليه وسلم وللمؤمنين
لكون مضمونه من الوظائف الخاصّة به عليه السلام للمبالغة في ايجاب
ذكرها اي اذكر وقت اخذه تعالى ميثاق الذين اوتوا الكتاب بالوحي في كتب
انبيائهم وهم علماء اليهود مع بيانه لهم فرادى فرادى لانهم مأمورون
بالتبليغ في احقاق الحق للحق وهم كارهون للجبلية الردية والخلقية
السيئة والنصارى وانما ذكر بعنوان ايتاء الكتاب مبالغة في تقبيح
حالهم من كتمان شواهدهم لتبيّننّه حكاية لما خوطبوا به والضمير للكتاب
وهو جواب للقسم ينبئ اخذ الميثاق كانهم قيل لهم بالله لتظهرنّ جميع
ما فيه من الاحكام والاخبار التي من جملتها امر النبوة والرسالة والتورية
للمشارق والمغارب والخيرية من الامم السالفة للناس ولا تكتمونه عطف
على الجواب وانما لم يؤكد بالنون لكونه منفيا كما في قولك والله لا يقوم زيد
وقيل اكتفى بالتاكيد في الاول لانه تاكيد له وقيل هو حال من ضمير المخا
طبين اما على اضمار مبتدا بعد الواو اي وانتم لا تكتمونه واما على رأي
من جوّز دخول الواو على المضارع المنفي عنده وقوعه حالا اي لتبيّننّه
غير كاتمين والنهي عن الكتمان بعد الامر بالبيان اما للمبالغة في ايجاب
المأمور به واما لان المراد بالبيان المأمور به ذكر الآيات الناطقة بنبوّته
عليه السلام وبالكتمان المنهي عنه وقرئ بالياء فيهما فنبذوه النبذ
الرمي والابعاد اي طرحوا ما اخذ منهم من الميثاق الموثق بفنون التاكيد
والقوة وراء ظهورهم ولم يراعوه ولم يلتفتوا اليه اصلا فان نبذ الشئ

ورآء

ورآء الظهر مثل في الاستهانة به والاعراض عنه بالكلية كما ان جعله
نصب العين علم في كمال العناية به وفيه الدلالة على تحتم بيان الحق على
علماء الدين واظهار ما منحوا من العلم للناس اجمعين وحرمة كتمانه لغرض
من الاغراض الفاسدة وطمع عرض من الاعراض الفانية الكاسدة ولا
يخفى اضراره الذاتية والمتعدية على ذوي الابصار روى عن ابي امامة
الباهلي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يجاء بالعالم والعا
فيقال للعابد ادخل الجنة ويقال للعالم قف حتى تشفع للناس رواه
الاصفهاني وروى عن عبد الله ابن عمر رضه انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فضل العالم على العابد سبعون درجة ما بين كل درجتين
حضر الفرس سبعين عاما رواه الاصفهاني وعن ابي هريرة رض
انه قال قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما عبد الله تعالى بشيء افضل من فقه
في دين الله تعالى ولفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ولكل شيء
عماد وعماد الدين الفقه رواه البيهقي والدارقطني رح وعن معاذ بن جبل
رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تعلموا العلم فان تعلّمه
لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه
لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام ومنار
سبل اهل الجنة وهو الانيس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدّث
في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الاعداء والزين عند
الاخلاء يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة وائمة يقتص آثارهم
ويقتدى بفعالهم بفتح الفاء ما يختص بالفعل الجميل وينتهى الى
رأيهم ترغب الملائكة في خلتهم اي تميلهم وباجنحتها تمسحهم ويستغفر لهم
كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه رواه
البخاري وقال ابو هريرة رضه انه قال لان اجلس ساعة فافقه احب الي

من ان يحيي ليلة القدر وفي رواية ليلة الى الصباح رواه البيهقي والدار
قطني موقوفا وروى عن ابي امامة رضه انه قال ذكر لرسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم رجلان احدهما عابد والآخر عالم فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم ثم قال رسول الله صلعم ان الله تعالى
وملائكته واهل السموات والارض حتى النملة في جحرها والحيتان في البحر
يصلون على معلم الناس الخير رواه الامام الترمذي وروى عن ابي هريرة رضي
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله
بلجام من نار يوم القيمة رواه ابو الفضل في الشفاء وفي رواية من كتم علما
مما ينفع الله به الناس في الدين الجمه الله بلجام من نار رواه ابن ماجه في صحيحه
وعن عطاء وبن رح انه قال لوهب بن منبه اتق الله فان الله سوف يعذبك بهذه
الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك
وعن محمد بن كعب انه قال لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل
للجاهل ان يسكت على جهله حتى يسئل وعن علي رضه انه قال ما اخذ الله على اهل
الجهل ان لا يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا رواه ابو السعود في التفسير
واشتروا به اي بالكتاب الذي امروا ببيانه ونهوا عن كتمانه فان ذنب نبذ
الميثاق يدل على ذلك دلالة واضحة وايقاع الفعل عن الكل مع ان المراد به
كتم بعضه كدلائل نبوته عليه السلام ونحوها لما ان ذلك كتم للكل اذ به
يتم الكتاب كما ان رفض بعض اركان الصلوة رفض لكلها او بمنزلة كتم
الكل من حيث انهما سيان في الشناعة واستجرار العقاب كما في قوله تعالى
في آية اخرى وان لم تفعل فما بلغت رسالته والاشتراء مستعار للاستبدال
متاع الدنيا بما كتموا اي تركوا ما امروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا اي شيئا
حقيرا من حطام الدنيا واعراضها في تصوير هذه المعاملة بعقد المعاوضة
لا سيما بالاشتراء المؤذن بالرغبة في المأخوذ والاعراض عن المعطى والتعبير

عن المشتري

عن المشتري الذي هو العمدة في العقد والمقصود المعاملة بالثمن الذي
شأنه ان يكون وسيلة اليه وجعله الكتاب الذي حقه ان يتنافس فيه
المتنافسون مصحوبا بالباء الداخلة عن الآلات والوسائل من نهاية الجزالة
والدلالة على كمال فظاعة حالهم وغاية قبحاتهم بايثار الدني الحقير على
الشريف الخطير وتعكيسهم بجعلهم المقصد الاصلي وسيلة والوسيلة
مقصدا مما لا يخفى جلالة شأنه ورفعة مكانه فبئس ما يشترون ما نكرة
منصوبة مفسرة لفاعل بئس يشترون صفته والمخصوص بالذم محذوف
اي بئس شيئا يشترون ذلك الثمن ومن افضل فضيلته النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم واعجز اعجاز كتابه انه لا يتحرف ولا يتبدل ولو اوتي لاحد ملء
الارض ذهبا ولو اجتمع المتحذقون على اتيان سورة واحدة لن يفعلوا ابدا
ولو بلغوا في حسن البلاغة مبلغ النهاية ورموا مقاصدهم مضمار البلاغة
بزند شحيح في معارضة كلام فصيل صحيح فاظهر ولا افكار الفاسدة
ولا آراء الكاسدة فظاعتهم ومعايبهم فكيف فانه كلام الله القديم الازلي
وكتاب الله العليم الابدي لا يمل قارئه ولا يثقل سامعه كلما تلي وقرئ يزيد
حلاوة وترداده يوجب محبة يستلذ به في الخلوات ويونس تلاوته
في الازمات بفتح الهمزة والزاء جمع الازمة وهي الشدة ولا تنقضي
عبره ولا يفنى عجائبه ويؤيده ما رواه الترمذي عن رواية الحارث بن
اعور عن علي بن ابي طالب انه قال وصف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
القرآن لا يخلق على كثرة الرد اي لا يبلى مع كثرة الترديد والتكرير
ولا تنقضي عبره بكسر العين وفتح الباء جمع العبرة اي لا تنتهي موعظته
المعتبرة فتحرث عن الاستماع والاقبال على العبادة ولا تفنى عجائبه
اي لا تنفى عجايب مبانيه وغرائب معانيه هو الفصل اي البالغ في الفرق
بين الحق والباطل ليس بالهزل اي لا يوجد فيه هزل بل كل ما فيه حق

يسعد به اهل السعادة ان اؤتمن به بل كل امرء جد وخير لمن اختار ولا يشبع
منه العلماء تدبرا وتبصرا وعبارة واشارة الا يرى ان العلماء المفسرين
لم يشبعوا بتصرف مبانيه وتدبر معانيه فالفوا التفاسير التى لم يعدها عاد
ولم يجدها احاد بل ازيد مما يعدون واكثر مما يؤلفون ويجدون من جميع
العلوم المدونة كتبها والفنون زبرها فبالغوا مبلغ الرجال وساروا
مراحل الرجال ثم قالوا علمه عند الله واظهروا العجز من وقوف سر علم الله
ولا تزيغ به الاهواء عن طريق السواء ولا تميل اذ الاهواء بحيث به ذ عمل
بما فيه بل زاد فيه ما كان على السعداء كما انتفى منه ما كان فى الاشقياء
ولا تلتبس به الالسنة اى ولا تشتبه الالسنة واللغات المختلفة المتشبثة
هو الذى لم تنته الجن اى لم يمتنع عن الايمان اى طائفة من نصيبين
وقال الامام مسلم فى صحيحه انهم كانوا من الجزيرة ولا منع فى جمعه حين سمعته
ان قالوا اى لم يتوقفوا عن قولهم لبعضهم ولقومهم حين رجوعهم اليهم
انا سمعنا قرانا عجبا اى مقروا عجيبا من جهة جزالة مبانيه ومدلولاته
غريبا من فخامة معانيه بديعا فى بلاغته ومنيعا فى فصاحته يهدى الى
الرشد اى الى صوب الصواب والى طريق الثواب والعقاب وذكر ابو على
الغسانى رح فى مناقب عمر بن عبد العزيز رح قال بينما عمر بن الخطاب رض
يمشى بارض فلاة فاذا حية ميتة فكفنها بفضل رداء ودفنها واذا
قائل يقول يا سرق اشهد انى سمعت رسول الله صلعم يقول ستموت بارض
فلاة ويدفنك رجل صالح فقال من انت يرحمك الله قال رجل من الجن
الذين سمعوا القران من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبق منهم الا انا
وسرق هذا فامنا به اى بالقران الذى يدل ويهدى الى معرفة الله تعالى
وتوحيده وحقية رسله وكتبه واليوم الاخر وبالقدر خيره وشره
منه تعالى والبعث والحشر والنشر والوزن والصراط والجنة والنار والقيمة

ولن نشرك

ولن نشرك بعد الايمان بهذا النبى عم من هذا اليوم بربنا احدا من خلقه
ابدا يعنون به ابليس فهذه الحالة العجيبة والحكاية الغريبة كانت فى بطن
النخل والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى صلوة الفجر مع اصحابه ويقرء القران
كادوا اى الجن يكونون عليه لبدا اى يراكب بعضهم بعضا ويزدحمون
حرصا على استماع القران بما راوا من اطاعة اصحابه واقتدائهم به فى الصلوة
ثم رجعوا الى قومهم واخبروهم بما راوه فاسلم من كان سعيدا منهم وكفر
من كان شقيا فاعان النبى من امن فى الحروب والمقاتلة الى يوم القيام
ما دامت الشريعة فى الدهور والايام وما طابت الحقيقة فى الشهور
والاعوام ما دام النور فى الظلام كما يعين الكفار ما جرت الاسماء والامطار
فى الايام والنهار فروى عن سهيل بن معاذ رض وهو يروى عن ابيه معاذ
رضى الله عنه انه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم من قرا القران وعمل به
البس والداه تاجا يوم القيمة ضوؤه احسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا
اى تكريما للولد القارى العامل المخلص بما فيه فما ظنكم بالذى عمل بهذا
وهو الذى ولد منهما لانه تعالى قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
يعنى لو كانت الشمس فى بيت احدكم كيف تكون ضوؤها فضوء ذلك التاج
اكثر واحسن منه لو كان فى بيت احدكم ولعل مراد النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم افهام مجرد التعظيم واكرام مزيد التكريم ولانه فشمس الدنيا
لو فرضت ثمة لما ظهر لها ضوء لانها غابت عند مغلوبة بفضل عن حسنه
فلا يمكن وكذا حسنه على حسنها فهذا الاكرام لهما انما كان لقيام وجوده بهما
والاحترام له فكيف يعظم الولد العامل بما فيه فعلمه عند الله فلا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بما اعد الله للمخلصين
فى الدين والعمل عين اليقين اللهم اجعلنا من العلماء المتقين والصلحاء
المخلصين والقارئين العاملين بقرانك العظيم وفرقانك الكريم اناء

الليل واطراف النهار ويؤيده قوله تعالى في سورة آل عمران واذ اخذ الله ميثاق
النبيين منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قيل هو على
ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم بذلك اولى واحرى تبعا لهم
وقيل معناه اخذ الله الميثاق من النبيين اصالة ولكن الامم لهم واكتفى
بذكرهم عنهم مستغنيا لانهم انما ارسلوا للتبليغ لهم وقيل اضافة الميثاق
الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله ميثاق الذي وثقه
الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم
بنو اسرائيل وسماهم نبيين تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة
من محمد صلعم لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا اي اذكر وقت اخذ
تعالى ميثاقهم لما آتيتكم من كتاب وحكمة من بيان احكام الحلال والحرام
والحدود بفتح اللام للابتداء والتوكيد بمعنى القسم موطئة للقسم لان
اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف فهو سيأتي جواب القسم وما يحتمل الشرطية
بمعنى الذي والعائد محذوف ولتؤمنن به ساد مسد جواب القسم والشرط
يحتمل الخبرية وقرئ اللام بالكسر على ان ما مصدرية فالمعنى المبني على الجزاء
اخذ الله ميثاقهم وميثاقكم اي لاجل ايتاني اياكم بعض الكتاب ثم لمجيء
رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه وموصولة والمعنى
اخذه لاجل الذي آتيتكموه واعطيتكموه قرئ مفردا وجمعا آتيناكم بعظمه
تعالى وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما
آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذفت احدى الميمات الثلاث
استثقالا ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم عطف على ما آتيتكم بناء على
المصدرية ليكون عطف المفرد على المفرد على ان ما مصدرية والعائد
من هذا المعطوف محذوف وهو به بقرينة قرينة بعده وعطف عليه
على كون ما موصولة فلا حاجة الى العائد لان قوله لما معكم بمعنى له فكانه

قيل

بحث اخذ الميثاق

قيل الذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له فهذا المعنى ناظر على كون ما موصولة
على تقدير اللام مكسورة ولا وجه كون ما مصدرية واللام للتعليل فيكون
المعنى ميثاق الانبياء لاجل ايتائي كتابا لكم وحكمة ومجيء الرسول به اياكم
وهو محمد فانه رسول مني لكم مصدق لما معكم وهو التورية والانجيل لتؤمنن به
اي لتصدقنه اذا بعث اليكم نبيا ولتنصرنه على اعدائه لاظهار دين الحق
اذا دعاكم اليه قال الله تعالى بعد ما اخذ الميثاق ءاقررتم بتصديق ذلك
الميثاق وتصديق الرسول ونصرته اذا خرج واخذتم واقبلتم على ذلكم
الميثاق اصري اي عقدي الذي عقدته عليكم في شان محمد عليه السلام
واصل الاصر الحمل الثقيل وانما سمي العهد لانه ثقيل على من تعهده
من حيث انه يمنع عن المخالفة اياه وقرئ بضم الهمزة وهي اما لغة فيه كعبر
وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به الشيء كالحبل والسلسلة كما قال البعض
قالوا اي اهل الكتاب الذي اخذ العهد والميثاق منهم بالاصالة والتبعية
اقررنا استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل
قالوا اقررنا وقبلنا وانما لم يذكر اخذهم الاصر اكتفاء بذلك قال الله
تعالى فاشهدوا اي فليشهد بعضكم لبعض بالاقرار وقيل الخطاب للملئكة
باني قد اخذت عليكم العهد وانا معكم من الشاهدين اي وانا ايضا على
اقراركم ذلك وتشاهدكم شاهد وادخال مع على المخاطبين لما انهم
المباشرون للشهادة حقيقة وفيه من التاكيد والتحذير ما لا يخفى على
عدم الرجوع عن الاقرار والقبول واظهار الفظاعة والقباحة لمن رجع
لذا فرع عليه قوله فمن تولى بعد ذلك اي اعرض بعد الاقرار والتوكيد
فاولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن الايمان بالله وطاعته بنقض
العهد الذي هو الميثاق الذي اخذه الله تعالى منهم فالجمع باعتبار معنى من كما
ان الافراد في تولى باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للدلالة على

تراضي امرهم في السوء والنقص وبعد منزلتهم في الشر والفساد فاولئك
المتولون المتصفون باشنع الشنايع واقطع الفضايح هم المتمردون
المتعندون الناقضون الاقرار والعهد على الميثاق الذي اخذه الله
تعالى منهم من الكفرة والفجرة فان الفاسق من كل طائفة من كان متجاوزا
عن الحد وكافرا للنعمة وهي ظاهرة ومعلوم تربيتهم فمن وفقه الله تعالى
بعنايته الازلية وهدايته الابدية اقر واقبل الايمان ووحد بتوحيده
تعالى فانشرح صدره وتنور قلبه بالتوحيد وبنور الاسلام فكان
من المقرين العهد الذي اخذه الله تعالى منه فكان من المفلحين ومن خذله
الله بخذلانه فصرف ما في وسعه له وتولى عن الايمان والاقرار ونقض
العهد للميثاق بالاعراض والانكار فهو من الكافرين المتمردين الفاسقين
وروى عن عايشة الصديقة بنت الصديق رضيها انها قالت كان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصوم يوم الاثنين والخميس وقال
تعرض الاعمال على الله تعالى يوم الاثنين والخميس فاحب ان يعرض
عملي وانا صائم رواه البغوي في المصابيح وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم
لا تغادر صيام الاثنين فاني ولدت يوم الاثنين واوحي يوم الاثنين
وهاجرت يوم الاثنين واموت يوم الاثنين كذا في جامع الكبير وفي
رواية عن ابي هريرة انه قال تفتح ابواب الجنة يوم الاثنين والخميس
فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا الا رجل كانت بينه وبين اخيه
شحناء فيقال انظروا حتى يصطلحا من المصابيح قيل ولد النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم يوم الاثنين وظهر منه سبع كرامات الاول ان كل حامل
يلحقها العناء والمشقة والوجع ولم يلحق آمنة من هذه الحالات بسببه
صلى الله فكانت مستثنية من الوالدات التي يلدن اولادهن كرها
والثانية يكون للحامل مخاض حال الحمل ووضعه ولم يكن لامه ذلك

والثالثة

والثالثة انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما انفصل من امه خر ساجدا على وجهه
تعالى وقال في سجوده امتي امتي والرابع انه صلى الله تعالى عليه وسلم ولد مختونا
بقدرة الله تعالى اشارة الى انه لم يمسه احد من البشر ولم يرعورته ولى انه
سنته في امته الى يوم القيمة والخامس منعت الجن والشياطين عن استراق
السمع من السماء حين الولادة الى يوم القيمة والسادس ان حليمة ظئر النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم كانت لا تدري اللبن من احدى ثدييها قليلا وضعتها
في فم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كثرت اللبن منها اكثر من اخريها والسابع
لما ولد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خرج الاصوات والنداء من زوايا
الجدران الاربع للكعبة يقول قل جاء الحق وزهق الباطل وروى ان عبد
المطلب جد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كنت في الكعبة وفيها ثلثماة
وستون صنما سقطت الاصنام على وجوههن حين ولد ولدي محمد
سلم سجدا وسمعت صوتا من جدرات الكعبة يقول ولد النبي المختار
الذي يهلك بيده الكفار ويطهرني من هذه الاصنام الباطلة ويأمر
العباد بعبادة الملك العلام الى يوم القيمة قال الامام العالم التقي والهمام
النقي الشيخ زاده هذه الحالات الواقعة قبل النبوة والوجود من الارهاصات
مأخوذ من رهص بكسر العين كسمع وهو الصف الاسفل من البناء
والارهاص جائز عندنا خلافا للمعتزلة كاظلال الغمام في طريق الشام
وبركات اموال خديجة الكبرى في الشهور والايام والدهور والاعوام
وتكلم الاحجار والاشجار والطيور والوحوش في الليل والنهار وارسال
الطيور لاصحاب الفيل ترميهم بحجارة من سجيل وظهور الاصوات
من الجدران كالشمس في الملوان وامثالها مما ظهر من الخوارق وتبين
بينهم كالبوارق قبل الوجود والنبوة مخبرة بانها وسيلة المعجزة
عند النبوة كالارهاصات قبل الابنية القوية ومعلمة بان اماما

سيد السادات وسند الكائنات ملجاء الموجودات ومسند المصنوعات احمد المجتبى ومحمد المصطفى عليه من الصلوات اعلاها ومن التحيات انميها افمن من هذه النبوة التي وجدت قبلها والمعجزة بعدها فروى عن مخزوم بن هانى عن ابيه وكان قد بلغ من العمر ماة وخمسين سنة انه قال ولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الاثنين لاثنى عشر ليلة مضت من ربيع الاول عام الفيل والاثنين واربعين سنة من ملك كسرى نوشروان ولتمام ستين سنة وستة اشهر من عمر هندي وذلك ان عبد المطلب من اجداده عليه السلام نام ليلة في الابطح فرأى في المنام كان خرج منه سلسلة بيضاء لها اربعة اطراف طرف بلغ مشارق الارض وطرف بلغ مغاربها وطرف الى عنان السماء وطرف رجع حتى صار كشجرة خضراء فلما اصبح سئل عن ذلك فقالوا له ان صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك من يؤمن به اهل السماء والارض وروى عن ابي هريرة رض انه قال تفتح ابواب الجنة يوم الاثنين والخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله تعالى شيئا الا رجل كانت بينه وبين اخيه شحناء فيقال انظروا حتى يصلحا رواه البغوي في المصابيح وروى عن ابي الحسن محمد بن احمد بن البراء بن عازب رضي الله عنهم انه قال ولد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الاثنين لثمان خلت من ربيع الاول ويوم العشرين من نيسان فاختلف في الاوقات التي مضت بين آدم وبين مولد نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فعلى رواية الامام الواقدي رح اربعة الاف سنة وستماة سنة وقال القوم الاخر من المحدثين ستة الاف وماة وثلاث عشر سنة وفي رواية ابي صالح عن ابن عباس رض خمسة الاف وخمس ماة سنة كذا في كتاب المولود للامام كازروني وقال بعض العلماء طلع فجر الاثنين لثمان خلت من ربيع الاول في احدى الروايتين عن ابن

عباس رضي الله عنهما وجزم به جمّ غفير من ائمة المحدثين منهم الامام الخوارزمي رح كذا صرح الامام المناوي في شرح جامع الصغير وقيل ولد بعد عام الفيل سبعة وخمسين يوما وقيل ولد بعد عام الفيل اربعين سنة ذكره ابن مالك رح وروى عن كعب الاحبار رض فلما اراد الله عز وجل اخراج ذلك النور الذي كان اصلا وعنصرا للكائنات من العلويات والسفليات من الارضين واهلها الى السموات واهلها من العرش الى الجنان العاليات من اهلها من الغلمان والولدان والحور المقصورات وكان مودعا في اصلاب الاباء وارحام الامهات الطاهرات فاخرج تلك الوديعة من خزائن اصلاب لعلية وارحام الامهات البرية الجلية الى كنز رحم آمنة السنية من بين امثالها الحسنى فظهرت العلامات وتباشرت جميع المخلوقات تنودي في اقطار الارض والسموات فيا عرش ترفع بالوقار ويا كرسي تدرع بالفخار ويا سدرة المنتهى ابتهجي بانوار المها بتر ويا جنان تزيني بزينة البشارة ويا حوراء اشرقي من الغرف العاليات ويا ملكة الجنان ابشري بوجود الوصال ويا رضوان افتحي ابواب الجنان كل يوم ولد فيه النبي المختار بالغدو والاصال وتزيني الحور والولدان والغلمان بمجامر الطيب وعطر الاكوان فان النور المكنون والسر المصون المكتوم والدر المخزون الذي هو في خزائن الربانية ومدائن الرحمانية انفصل في هذه الليلة وانتقل الى اشرف الامم من ارحام الطاهرات ام النعم آمنة بين القبائل الاميينة في هذه الساعة التي يتم فيها خلقه تماما جليا ويخرج صورة بشرا سويا فلما اذن الله في انتقال نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وزاد نور شريعته سراجا وهاجا انتقل عشية الجمعة اول ليلة في شهر رجب الفرد وقيل منتصف جماذى الاخر وهو رواية عن الامام الواقدي رحمه ولم يبق في تلك الليلة دار الا اشرق

ولا مكان الا بها نور ولا دابة الا نطقت وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
قال كان من دلائل حمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان كل دابة لقريش
نطقت تلك الليلة وقالت حمل رسول الامة في هذه الليلة في رحم امه
آمنة برب الكعبة وهو امين الله في الدنيا والاخرة وامين اهلها بتبليغ
الرسالة وتعليم الديانة والشفاعة وتبشير الجنة والجمال والمغفرة
فروى عن آمنة ام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انها قالت لما تم من الحمل
ستة اشهر مات ابوه عبد الله في المدينة حيث ذهب للتجارة وبقي
فيها واتاني آت في المنام فوكزني برجله وقال يا آمنة ابشرك فقد
حملت بخير العالمين كافة للناس بشيرا ونذيرا فاذا ولدته
فسميه محمدا واكتمي شانك وقالت آمنة فما شكوت مدة حملي به وجعا
ولا الما ولا ثقيلا ولقد حملت به تسعة اشهر كملا فلما حان دنو
ولادتي ما اخذني ما ياخذ النساء ولم يعرضني ما عرضت
للنساء ولم يعرف حالي احد من قومي من اخواني واخواتي واني لوحيدة
في منزلي وعبد المطلب جد ولدي في الطواف فمددت كف السؤال تماما
الى الرب الجليل والعافي الجميل وهو الرحيم الذي لا يخفى عليه خافية
من الحاجات الظاهرة ومناجات الباطنة فاذا عندي نسوة ناصحة
مونسة فهي امراة فرعون آسية ثم نظرت اطرافي فرايت نورا اضاء به
المكان فاذا هي ابنة عمران ثم شاهدت فيه وجوها كالبدور فاذا جماعة
من الحور فحاذتني وانا مستندة الى اركان تلك النساء كانهن قابلتي
تعالجني الدواء ثم اغاثني عالم الغيب والشهادة على تسهيلي في الولادة
فجاءني طير ابيض من الحائطي بجناحه فاذا وضعت ذلك النور المودع
في ساعته معتمدا على يديه شاخصا الى السماء ثم خر الى الارض ساجدا
متضرعا الى ربه متوجها لامته المرحومة الى يوم القيمة فحنت آسية

اليه

اليه وبادرت مريم عليه وقبلت الحور العين قدميه فنزل الى ذلك المكان
جبرائيل وحف به ميكائيل وجاء الى خدمته اسرافيل بامر الجليل فاخفوه
عن الابصار فطافوا به جميع الاقطار فغمسوه في الجنة في انواع الانهار •
فراوا اسمه الشريف مكتوبا على اوراق الاشجار شعر جل جمالك
والاملاك تشهد في خلعته • الحسن بين الانجم الزهر فكان في هذا الشهر
مولده • اكرم المولود خير البشر • بدره بدر الدجى في زمان طلعته •
يغني حسنك بالشمس والقمر • شعر ما زال نور محمد متنقلا •
من الاصلاب الطيبين اولي الولاء • حتى لعبد الله جاء مطهرا • الى آمنة
الطاهرة مبجلا • ثم اعادوه مفضلا على الكونين • في اسرع من طرفة
العينين لخدمة آمنة تكحله فوجدته مكحلا بكحل الهدى فقطعت مريم سرته
فوجدته مقطوع السرة فقدمت الحور بانواع الطيب فطيبت به شمائل
الحبيب وسارعت الاملاك الثلثة الى طلعته المباركة مع احدهم
طست من الذهب الاحمر ومع الثاني ابريق من الجوهر ومع الثالث منديل
من السندس الاخضر فغسلوا وجه الحبيب بماء الابريق واخرجوا من الخرقة
خاتم النبوة والتصديق في قلبه لمعان وبريق وختموا به ظهر هذا النبي الشفيق
نتم بذلك انواع السعادات واصناف المعجزات بالعناية والتوفيق
فنعم المولى ونعم الرفيق وقيل لامنة لا تدعي احدا من البشر ينظر الى
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حتى تنقضي عنه زيارة الملائكة المقربين
من السموات والارضين ولما زارت الملائكة كلها وتنقضي الحاجات
فيها اهتزت العرش طربا وتعجب الكرسي عجبا ومنعت الشياطين
من الاستراق رجما وضجت الملائكة بالتسبيح والتحميد رغبا ورهبا
وسيرت الرياح وابدت سحبا واما لت الغصون من الحدائق قضبا
ونادت الكائنات من جميع الجهات اهلا وسهلا • ومرحبا مرحبا

يا رحمةً للعالمين، اهلاً يا شفعة للخافقين، مرحبا يا شافعاً للمؤمنين، اهلاً يا شفعة للخافقين، مرحبا يا صاحب جبريل امين، سهلاً يا نعمة للشاكرين، شرعك كافٍ لامم الهدى، اهلاً يا مالك الشرع المتين، انت شافع مشفع في الورى، مرحبا يا صاحب الجود لامين، انت صادق بوعد كيف كان، انت اولى انت مسند لامين، منك النور الى النور يهتدى، من فيه اشتياق من معين، انت الضحى يوم الدجى لمن يلتجى، مرحبا يا بدر يوم الدين كنت تشفع، انت شمس في ظلام فاستنارك الورى، جئت اهلاً عشت نوراً كل من يستشفع، يا رسول الله ارجو من شميم ذاتكم، انت كنت رحمة للعالمين مرحبا، فلما ولد النور المودع وظهر بنفسه في اشرق البلدة المشرفة والكعبة المكرمة ايماءً الى ان الشئ النفيس في ذاته اذا نبت وحصل من اصل اصيل وقرن بالقرين النجيل بانواع تربية الجليل فلا شك انه يفوق امثاله خاصة اذا كان مودعاً عند الرب الجليل حفته الملئكة من الثرى الى الثريا وبالنور تنورت الارض الى السماء وتهنى الملائكة بعضهم بعضاً هنيئاً ومسروراً ومبهوجاً مسفرة ضاحكة خادمة مستبشرة فاخبر جده عبد المطلب مع اخوانه فكلهم جاؤا بهدية بهية فابو لهب اعطاه ظئراً جاريته ثويبة فارضعته قبل حليمة روى ان ابا الطفيل عامر بن واثلة رض انه قال رايت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امرأة حتى دنت منه عليه الصلوات والسلام فبسط لها رداءه فجلست اي تلك المرأة عليه فقلت من هذه قالوا امه الذي ارضعته فقيل هي ثويبة التي اعطاها عمه ابو لهب فاعتقها للبشارة لولادته وكان صلى الله عليه وسلم يبعث من المدينة الى مرضعته ثويبة بصلة وكسوة فلما ماتت

ثويبة

[illegible margin note, beside the lines about Abu Lahab and Thuwayba]

ثويبة من مكة بعد هجرته سئل النبي صلعم من بقي من قرابتها فقيل لا احد اي ما بقي من احد وروى عن عمرو السائب رض انه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً يوماً فاقبل ابوه من الرضاعة وهو الحارث بن عبد العزى زوج حليمة الرضيعة ام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم امه حليمة السعدية فوضع لها شق ثوبه من الجانب الآخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه عبد الله بن الحارث بن عبد العزى من الرضاعة فقام رسول الله فاجلسه بين يديه رواه ابو الفضل في الشفاء فللنبي صلعم عشرة مرضعات منها حليمة هذه ومنها ثويبة جارية معتقة لابي لهب حين ولد عليه السلام من امه آمنة مبشراً له ومنها خولة بنت منذر بن زيد بن لبيد ومنها ام ايمن وثلثة نسوة من قبيلة سليم كل واحدة منهن تسمى عاتكة وقيل صلعم ثمان مرضعات صرحه الامام برهان الدين الحلبي في شرحه قال الامام الحافظ الدمياطي رح لا يعرف لحليمة صحبة ولا اسلام وقال انما المرأة التي بسط لها رداءه اخته بنت حليمة اسمها الشيماء وروى ابن عبد البر الحافظ ابو عمر القرطبي عن عطاء بن يسار رح انه حليمة بنت عبد الله مرضعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جاءت يوم حنين فقام لها وبسط رداءه وصحح ابن حبان وغيره ما يدل على اسلامها وفيه دليل على انه يجوز القيام لمن يستحق التعظيم خلافاً لمن قال انه مكروه مطلقاً لما روى عن ابي هريرة رضي انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من تواضع لله تعالى رفعه الله تعالى رواه ابو نعيم الحافظ في الحلية ولان المراعات بعرف البلدة لازم ما لم يؤد الى خلاف الشريعة فيحصل الاذى بتركه وهو حرام فهذا انما نشا من الترك وهو حرام ايضاً لان الوسيلة اليه حرام ولان الله تعالى نهى عنه كالآصرو والذين يؤذون

[illegible margin note, beside the lines on standing for those who deserve respect]

المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا فاخم
الا انه حرام فالسبب كذلك فلذا ساغ الفتوى العرف المباح وروى عن
ابن عمر رض عن النبي صلعم تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من كبراء الله
وتخرجوا من الكبر عن ابي هريرة رض ولقوله عليه السلام تواضعوا لمن
تعلمون منه وتواضعوا لمن تعلمونه ولا تكونوا من جبابرة العلماء رواه
الخطيب البغدادي من الحفاظ في الجامع ومنه ايضا ان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قال التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله
رواه ابن ابي الدنيا وروى ان دواب قريش كالجمل والبغل والبقر والاغنام
كلها انطقت بما يناسب المقام كقولها ولد النبي المختار يطهر الكعبة
من اصنام الفجار ويملؤ الدنيا بانوار ويغلب الابرار على المشركين الفجار
قد افلح من آمن وخسر من كذب واهان فاجتمع صناديد قريش الى دار
عبد المطلب فاضاف اليهم واطعمهم واكرمهم لان عبد المطلب سيدهم
بينهم ومرجعهم فيما لهم وسألوا عما سماه الله تعالى اخبارا امه آمنة باسم
محمد فقالوا لم يقع فينا هذا الاسم فقال انما سمي لعله يحمده اهل الارض
واهل السماء فيكون محمدا في الاولين والاخرين فانتفعنا بفضله وعد
بفضله فالعلائم فيه كثيرة كهدم الكنائس وخر الاصنام على وجوههن
وظهور الاصوات منهن ونطق الدواب كلهن وخره حين الولادة
ساجدا على وجهه وسؤال الامتي ومجيء الملائكة في بيت جلاه وقطع
السرة والختان بالقدرة وكحل العينين وخدمة الحور العين ومطا
الجنة وكثرة اللبن في الحليمة وحسنها وشباتها وتحول شيبوبتها
العلامات الظاهرة والامارات الباهرات وتكلم الجدران الاربعة
من الكعبة المكرمة والدواب المتكلمة في الامكنة المتعددة والبركات
الكثيرة في الاغنام والنعم الوفيرة في كل الانعام فظهر مقدمات الرحمة

والنعم

بيان العلامات حين الولادة

والنعم وبهر مهذبات الامم والشيم من الاثار التي تبينت من ولادة المصطفى
وتعينت من امارة المجتبى وتقرت الاعين بما ابيست هي رات وتملات
الاذن بما ابيست سمعت فسبحان من اذا اراد شيئا هيئ الاسباب وفتح مغلق
الابواب وهو المرجع لكل الابواب فلو وجدت واحدة من الخواص المحمودة
المذكورة حين الولادة في رجل منا يعظم قدره ويكرم شانه ويضرب
باسمه ضروب الامثال ويفدى فيه كل الاموال في الحال والمال فما ظنك
بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل الخصال قبل النبوة فضلا عما بعد الارسال
الى ما لا ياخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب الا بتخصيص
الكبير المتعال بما له بين الاعيان والامثال اللهم صل عليه وآله واصحابه
صلوة تنجينا بها من جميع الاهوال والافات وسلم عليه وعلى من يحبه سلاما
تقضي لنا به جميع الحاجات وتطهرنا به عن جميع السيئات وترفعنا به
اعلى الدرجات وتبلغنا به اقصى الغايات في الحيوة وبعد الممات وعلى جميع
الانبياء والمرسلين واما الخصال المجبولة والمكتسبة من الاخلاق الحميدة
والاداب الشريعة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم
المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها
وامر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء
النبوة لقوله صلعم السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من اربع
وعشرين جزءا من النبوة والمعنى ان هذه الخصال الحميدة المجبولة
عليها صاحبها جاءت بها النبوة ودعت اليه اصحاب الرسالة اذ النبوة
غير مكتسبة بل هي كرامة ازلية وسعادة ابدية وعناية سرمدية مختصة
بمن تعلقت به المشية وهذه الخصال المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال
في قوى النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها
والاعتدال في قوى النفس ان لا تخرج الى حد الافراط والتفريط ولها

بيان انقسام القوى النفسانية

ع

ثلاث قوى الاولى قوة عقلية والثانية قوة غضبية والثالثة قوة
شهوانية فلكل واحدة من هذه الثلثة ثلاث درجات افراط وهو الاعلى
واعتدال وهو الاوسط وتفريط وهو الاسفل وخير الامور اوسطها
فى الكل والاعتدال فى القوة العقلية التدبير والتذكر بما يلحقه
من الفوائد والضر فى الدارين ثم المباشرة بما يناسبه وهو المسمى بالفطنة
والكياسة والحكمة فان مالت الى الافراط تسمى تلك مكرا وخداعا
وجربزة وان مالت الى التفريط تسمى تلك القوة العقلية بلها وحمقا وغباوة
وكل هذه منفصل من قوة النفسانية وكذا القوة الغضبية التى هى
قسم من القوة النفسانية فلها ايضا وجوه ثلثة الاولى الاعتدال
وهو المسمى بالشجاعة الموافقة للشرع كالجسارة الى المحاربة بالخلوص
عاريا عن الرياء كما قاتل عمر بن الخطاب فى غزوة البدر مقاتلة
لا يعبر عنه كالاحد فلذا كناه بابى حفص وهو الاسد رض وفيه
مبالغة فى المدح كابن الاسد تعلم المحاربة من عمر بن الخطاب رض
وهو الاوسط الممدوح فان مالت الى الافراط فهو تهور وان مالت
الى التفريط فهو المسمى بالجبن فالطرفان مذمومان والممدوح
الاوسط وكذا البحث فى القوة الشهوانية ان اعتدلت فيها
بالشرع المبين والحبل المتين فهذه تسمى عدالة كالاشتهاء بالتزوج
والاكل عن الحلال وكذا اللباس والتكلم بالصدق وجميع ما صدر
من القوى الشهوانية فى الجوارح والاعضاء موافقا للشرع فتسمى
ايضا عفة وان مالت الى الافراط تسمى بالفجور وان مالت الى
التفريط فهو جمود فالطرفان من جميع هذه القوى العقلية والغضبية و
والشهوانية مذمومة عقلا وشرعا مجبولا ومكسوبا موعودا
بالعذاب الاليم والعقاب المقيم والاوسط من القوى الثلثة ممدوح

عند الله والناس والملئكة وموعود بالجنان العاليات والسرور المرفوعات
والاكواب الموضوعة والنمارق المصفوفة والزرابى المبثوثة صورة هكذا
القوى المذكورة فى كتابنا هذا من الموهبة الالهية والعطية السبحانية

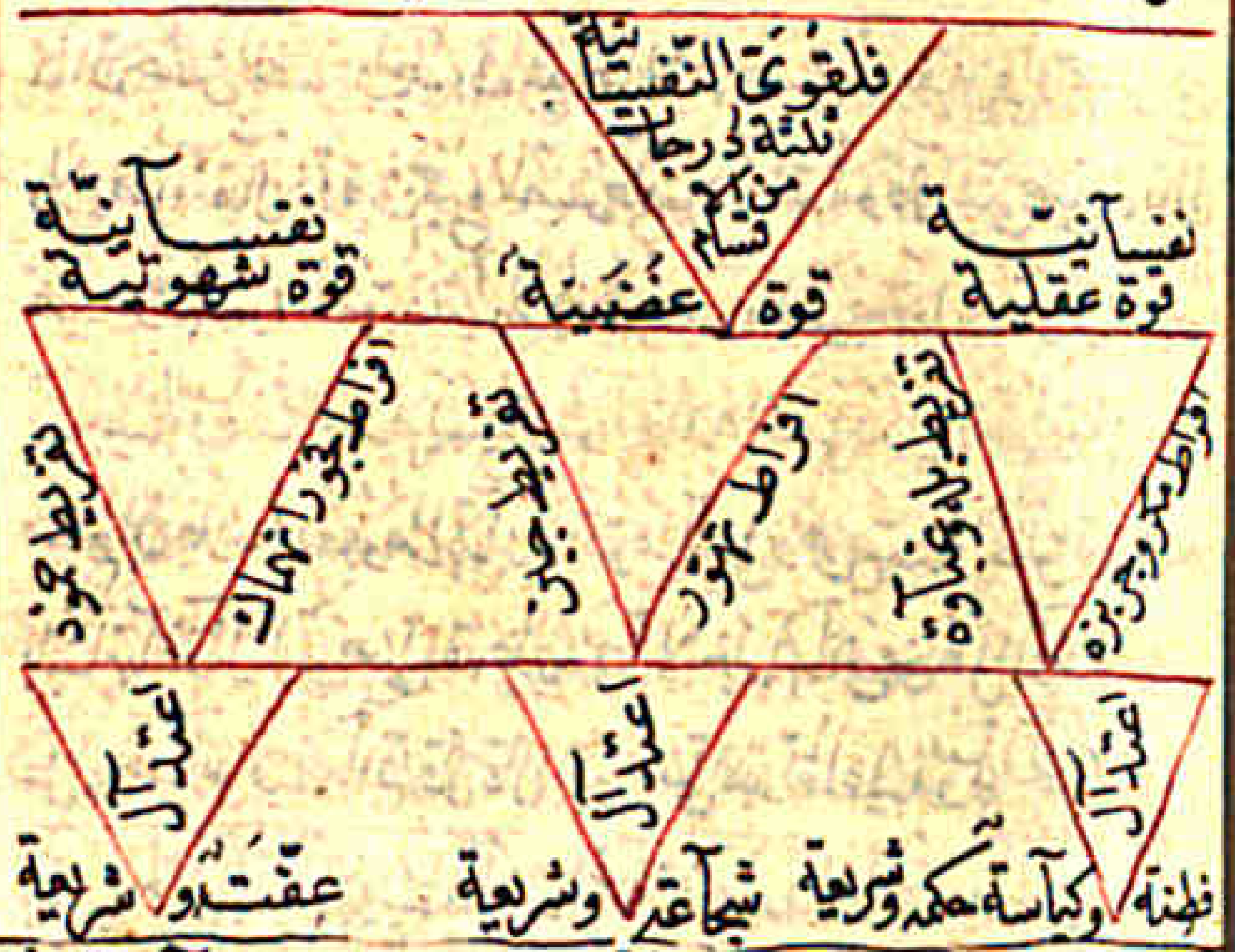

فالطرفان من هذه الصور النفسانية المنقسمة الى الاقسام الثلاثة
عبارة عن الاخلاق الذميمة والخصال الردية وما وقع فى الاوسط عبارة
عن الخصال الحميدة فهى عند الله مقبولة كما ان الاولين من الطرفين
مردودان عنده تعالى والملئكة والناس اجمعين فلذا اثنى الله تعالى على من اتصف
بما يرضاه من الخصال الحميدة ووعد فى مقابلته بما اعطاه من الجنات
والجمال وذم الله تعالى من اتصف بما لم يرض عنه من الاخلاق الذميمة
الا بالعذاب الشديد والعقاب المديد واوعده فى جزائه بما اعطاه
من العمد الممددة التى تطلع على الافئدة انها عليهم موصدة لما روى
عن عائشة الصديقة بنت ابى بكر عبد الله الصديق رضى الله عنهم
انها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما من شىء الا له توبة
الا صاحب سوء الخلق فانه لا يتوب من ذنب الا عاد فى شر منه رواه
الاصفهانى والطبرانى فى المعجم الصغير وروى عن عائشة انها قالت

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الشوم سوء الخلق رواه الطبرانى
فى المعجم الاوسط قوله لا عاد فى شر منه اى من الذنب الذى تاب منه ثم
عاد فى اشر منه بسبب سوء خلقه وسوء الظن بالله تعالى وهو حرام وكفر
كما ان حسن الظن واجب فى الله تعالى لانه احسن الخالقين وارحم الراحمين
ولا يظلم مثقال ذرة فى جميع المصنوعات ولو حبة وقال النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة وقال النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم ان العبد ليبلغ بسوء خلقه اسفل درك جهنم فقيل لرسول الله
صلعم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهى سيئة الخلق تؤذى جيرانها
بلسانها فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا خير فيها هى من اهل النار وروى
عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الخلق الحسن
يذيب الخطايا كما يذيب الماء اى الحار الجليد اى الجمد والخلق السوء
يفسد الاعمال كما يفسد الخل العسل رواه الطبرانى فى المعجم الكبير والاوسط
والشارح فى الهداية الصمدية وقوله الشوم سوء الخلق اى سبب الشوم هو سوء
الخلق وروى عن انس رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الاخرة وشرف المنازل وانه
لضعيف العبادة وانه ليبلغ بسوء خلقه اسفل دركة فى جهنم رواه
الطبرانى فى الكبير وروى عن ابى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق رواه احمد فى المسند والبيهقى
والحاكم والمالك فى الموطا وروى فى شرح السنة عنه عن النبى صلعم
ان الله تعالى بعثنى لتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الاعمال قوله مكارم
الاخلاق جمع مكرمة كالمصالح جمع مصلحة واضافته الى الاخلاق
اضافة الصفة الى الموصوف اى بعثت لاتمم الاخلاق الكريمة والشيم
العظيمة وذلك ان الانبياء عليهم السلام كل واحد منهم مبعوثون على الاسرار

الخفية

الخفية والاحكام الجلية كلها راجعة الى تكميل البشرية وتتميم الخلق
الانسانية وتحسين الظاهرية وتجميل الباطنية وبعث رسولنا
ورسول الكائنات صاحب المعجزات المعجزات من الايات البينات محمد
ذو المنن والرايات الباهرات عليه اكمل الصلوات واجمل التحيات
لتكميل تلك الاخلاق الكريمة وتتميم الانوار المنيرة فلهذا جاء بشرع
جميل جديد جامع بكل طويل مديد فالامور الكثيرة مندرجة فى قلة
يسيرة بجميع الكتب المنزلة بالاضافة الى الشريعة كقطرة فى البحر
باختصار النظم الجميل الشميل على الاوامر والاحكام وقصص الانبياء
والامثال ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق ولا يبلى على كثرة الترديد
غرائبه لو عمر الف الف سنة بالغدو والاصال ويجمع فيها جميع العلوم
الكثيرة ويعهد منها معارف الالهية لم يسبق امثالها ولم يعرف
احوالها لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة
وزهق به اهل الضلالة لم تعهد الفصحاء مثله عامة ولا تحمل صلعم
قبل نبوته خاصة ولا يحيط بها احد من علماء الامم ولا يشتمل عليها
كتاب من اهل السعى والهم فجمع فيه من علوم النقلية من الشرائع المتقدمة
طرا اذ فيه جميع علوم الاولين ومن فنون العقلية من الطوالع والمطالع
جميعا اذ استنبط منه فنون الاخرين مشتملة على طرق حجج العقليات
منطوية على لجج المطولات ببراهين قوية ودلائل بينة كل ذلك سهلة
الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون فى مضمار الفصاحة
فعجزوا عن المقاصد والمقاييس ولم يقدروا ان ياتوا بمثلها ولو بسورة
فامن واتقى من انصف وكفر وطغى من اعتسف فالتوفيق رفيق التقى النقى
والخذلان طريق البغى النغى قال الله تعالى فى سورة الحجر فى معارضة ابليس
حين الامر بالسجدة التحية فابى واستكبر وكان من الكافرين فاخرجه الله

من الجنة بعد ان سكن وحكم بين الملائكة واهل الجنة الف سنة كما بينه
الامام البغوي في المعالم والفخر الرازي في الكبير ثم قال ابليس في اثناء معارضة
بالله تعالى بعد غضبه رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية اي اقسم
باغوائك اياي يعني بما اضللتني وخيبتني من رحمتك او للسببية متعلق
بفعل القسم المحذوف اي بسبب اغوائك اياي اقسم وجواب القسم قوله تعالى
لازينن لهم في الارض بحب الدنيا والاشتغال بها وارتكاب انواع المعاصي
والانهماك فيها ولاغوينهم ولاضلنهم ولاخيبنهم اجمعين الا عبادك
منهم المخلصين بكسر اللام اي المؤمنين الذين اخلصوا لك الطاعة مع الايمان
وبفتح اللام اي الذين اخلصتهم بتوحيدك واصفيتهم بهدايتك وانما
استثنى منهم الخبيث لان كيدهم لا يضرهم قال الله تعالى جوابا له هذا
صراط مستقيم اي هذا التوحيد والاسلام سبيل الي على الاستقامة لا
عوج له فمن سلكه بالاخلاص لا يضل عنه ولا يشقى على وجب استقامته
وان اراعيه وارعى من سلكه مخلصا ان عبادي الذين اطاعوني ليس لك
عليهم سلطان اي قوة وحجة على اغوائهم وليس لك تسلط عليهم بان توقعهم
في ذنب يصيبون عفوي عنه ان تابوا بعد ارتكابهم بالشهوة البشرية
والشهوة الادمية الا من اتبعك من الغاوين اي اطاعك باختيار
سبيلك وكفرني وبسبيلي لغوايته وان جهنم لموعدهم الضمير للغاوين
اي لمصير ابليس ومن تبعه اجمعين حال من الضمير المجرور في موعدهم
والعامل فيه معنى الاضافة لها سبعة ابواب اي اطباق بعضها فوق
بعض والاسفل اشد حرا من الاعلى لكل باب اي لكل طبقة منهم اي
من ابليس جزء مقسوم اي قوم مخصوصون بسكونها والجزء يطلق
على البعض من الكل اذ مراتب المعاصي مختلفة فلذا اختلف مراتبهم
في النار قال الضحاك في الدركة الاولى اهل التوحيد الذين دخلوا

النار واسمها جهنم يعذبون بقدر ذنوبهم ولا تسود وجوههم ولا تزرق
اعينهم ولا يختم على افواههم ولا يقرنون مع الشياطين ولا يوضع
عليهم السلاسل والاغلال اما الرجال باللحية واما النساء بالذوائب
والنواصي حتى تنتهي بهم الملائكة الى مالك النار فاذا انظر مالك اليهم
يقول للملائكة من هؤلاء لم تسود وجوههم ولم تزرق اعينهم مع
عدم الختم والسلاسل والاغلال على الاعناق فيقولون هكذا امرنا
ان ناتيك على هذا الحال فيقول لهم مالك ما انتم يا معشر الاشقياء فيقولون
نحن من امة محمد فيقول لهم مالك ما كان لكم في القرآن زاجرا عن المعاصي
فيقولون بلى ولكن اضلنا الشيطان عن طريق الحق فيقول مالك للزبانية
القوهم في النار فاذا القوا في النار نادوا بقول لا اله الا الله محمد رسول الله
رجع النار عنهم فيقول يا نار خذيهم فتقول كيف آخذهم وهم يقولون
لا اله الا الله محمد رسول الله فيقول مالك نعم ولكن امر رب العالمين
بان تاخذهم فمنهم الى قدميه ومنهم الى ركبتيه ومنهم الى حقويه اي نصفه ومنهم
من تاخذه الى حلقه فاذا تجاوزت النار الى وجوههم يقول مالك يا نار
لا تحرقيها فقد طال ما يسجد للرحمن في الدنيا ولا تحرقي قلوبهم فقد طال
ما عطشوا في شهر رمضان فيبقون ما شاء الله تعالى فيها والدركة الثانية
للنصارى واسمها لظى والثالثة لليهود واسمها الحطمة والرابعة
للصابئين واسمها سعير والخامسة للمجوس واسمها سقر والسادسة
لاهل الشرك واسمها الجحيم والسابعة للمنافقين واسمها هاوية روى
عن علي رضي الله عنه قال اتدرون كيف ابواب النار هكذا وضع احدى يديه
على الاخرى يعني بعضها فوق بعض في الدرك كذا في العيون وحيوة القلوب
فاذا كانت الصور المذكورة المتولدة من الخلق افراطها وتفريطها واعتدالها
معلومة فنشرع اولا تعريف مطلق الخلق ثم نبين المنشأ المنقسم الى مذموم

والممدوح ليظهر الحق ويزهق الباطل لان الشيء اذا اجمل اولا ثم فصل
ثانيا كان اوقع في النفوس ومن الله التوفيق وهو نعم المولى ونعم الرفيق
اعلم ان الخلق هي ملكة تصدر عنها الافعال النفسانية بسهولة من غير
روية ويمكن تغييره وتبديله لورود الشرع بذا هو يقتضي امكان
تصوره لان اوامر النواهي كاقامة الدين بالاختيار دبالاوامر والانتهاء عن البخل
والكبر على ما يقتضيه حيث قال الله تعالى يومئذ يتذكر الانسان ما سعى
هي بدل من قوله فاذا جاءت الطامة الكبرى وهي الداهية العظمى
التي تطم وتعلو على سائر الطامات وتغلبها وهي القيمة او النفخة الثانية
وقيل هي ساعة التي يساق فيها الخلائق الى محشرهم وقيل يساق فيها اهل
الجنة الى الجنة واهل النار الى النار ولاظهر انه منصوب باعني كما قيل تفسير
للطامة الكبرى فان الابدال منها بالظرف مما يوهن تعلقها بالجواب
ويجوز ان يكون بدلا من الطامة الكبرى مفتوحا لاضافته الى الفعل على
راى الكوفيين اى يتذكر فيه كل احد ما عمله من خير وشر بان يشاهد
مدونا في صحيفة عمله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الامل
لقوله تعالى احصاه الله ونسوه ويجوز ان يكون ما مصدرية فاذا نفخ في الصور
نفخة واحدة شروع في بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان عظم
شانها باهلاك مكذبيها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقييده
وحسن تذكيره للفعل وقرئ نفخة واحدة بالنصب على اسناد الفعل
الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم
وحملت الارض والجبال اى قلعت ورفعت من اماكنها بمجرد القدرة الالهية
او بتوسط الزلزلة او الريح العاصفة فدكتا دكة واحدة اى فضربت
الجملتان اثر رفعهما بعضها ببعض ضربة واحدة حتى يندق وترجع
كثيبا مهيلا وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا

صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولهم اندك السنام اذا تفرش
وبعير ادك وناقة دكاء وكان منه دكان فيومئذ اى فحينئذ وقعت
الواقعة اى قامت القيمة وانشقت السماء لنزول الملئكة فهي اى السماء
يومئذ واهية اى ضعيفة مسترخية بعد ما كانت محكمة والملك
اى الخلائق المعروفة باسم الملك على ارجائها اى جوانبها جمع رجى
بالقصر اى تنشق السماء التي هي مساكنهم فيلجؤن الى اكنافها وحافاتها
ويحمل عرش ربك فوقهم اى فوق الملئكة الذين هم على الارجاء او فوق
الثمانية يومئذ ثمانية من الملئكة روى عن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله تعالى باربعة آخرين
فيكونون ثمانية وروى ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة
والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة
الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم
على صورة النسر وروى ان ثمانية املاك في خلق الاوعال ما بين
اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وروى عن شهر بن حوشب
اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك
بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد
على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم ثمانية ام ثمانية الاف
وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله تعالى ويجوز
ان يكون الثمانية من الروح او من خلق آخر وقيل هو تمثيل لعظمته
تعالى بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس لقضاء
العالم لكونها اقصى ما يتصور من العظمة والجلال ولا شؤنه
سبحانه اجل من كل ما يحيط به فلك العبادة والاشارة يومئذ
تعرضون اى تسئلون وتحاسبون عنه عبر بذلك تشبيها له بعرض السلطان

للعسكر لتعرف احوالهم وروى ان في القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان
فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنتشر الكتب فياخذ الفائز
كتابه بيمينه والهالك بشماله وهذا وان كان بعد النفخة الثانية
لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة
والنشور والحساب وادخال اهل الجنة وادخال اهل النار صح جعله ظرفا
للكل لا تخفى منكم خافية حال من فروع تعرضون اى تعرضون غير خاف
عليه تعالى سر من اسراركم قبل ذلك ايضا وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة
في العدل او غير خاف يومئذ على الناس لقوله يوم تبلى السرائر وقرئ يخفى
بالياء وبرزت الجحيم عطف على جاءت اى اظهرت لهم اظهارا بينا لا
يخفى على احد لمن يرى كائنا من كان روى انه يكشف عنها فتلظى فيراها
كل ذي بصر وقرئ وبرزت بالتخفيف ولمن رأى ولمن ترى على ان فيه
ضمير الجحيم كما في قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد او على انه خطاب لرسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اى لمن تراه من الكفار فاما من طغى جواب فاذا
جاءت على طريقة قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى وقيل هو تفصيل للجواب
المحذوف تقديره انقسم الراؤن قسمين فاما من اه والذي يستدعيه
فخامة التنزيل ويقتضيه مقام التهويل ان الجواب المحذوف كان من
عظائم الشؤن ما لم تشاهده العيون كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله
الرسل فاما من طغى وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان
وآثر الحيوة الدنيا الفانية التي هي على جناح الفوات فانهمك فيما متع به
فيها ولم يستعد للحيوة الاخرة الابدية بالايمان والطاعة فان الجحيم
الذي ذكر شانها هي المأوى اى هي مأويه واللام سادة مسد الاضافة
للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغي كما في قولك غض البصر والطرف
ودخول اللام في المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي اما

ضمير فصل او مبتدأ قيل نزلت الاية في النضر وابيه الحارث المشهورين
في الغلو والطغيان واما من خاف مقام ربه اى مقامه بين يدي مالك
امره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى ونهى النفس
عن الهوى عن الميل اليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحيوة
الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها
وفنائها وبقاء آخرتها فان الجنة هي المأوى لا غيرها وقيل نزلت
الايتان في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير رضي الله تعالى عنهما
وقد قتل مصعب اخاه عزيزا يوم احد ووقى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم حتى استشهد رضي الله تعالى عنه كما رضي رسوله ودفن
بيده المباركة صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قيل جواب اذا ما يدل
عليه قوله تعالى يوم يتذكر الانسان اه اى فاذا جاءت الطامة الكبرى
يتذكر الانسان ما سعى على طريقة قوله تعالى علمت نفس ما احضرت
وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت فيكون قوله تعالى وبرزت
الجحيم عطفا عليه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حالا
من الانسان باضمار قد او بدونه على اختلاف الرأيين ولمن يرى
مغن عن العائد وقوله تعالى فاما من طغى اه تفصيلا لحال الانسان
الذي يتذكر ما سعى وتقسيما له بحسب اعماله الى القسمين المذكورين
وقوله تعالى في سورة والشمس قد افلح من زكيها اى فاز بكل مطلوب
ونجا من كل مكروه من انماها واعلاها بالتقوى وهو جواب القسم عما
قبله من قوله والشمس والقمر والليل والنهار والسماء والارض وما طحيها
وبسطها والنفس وما سويها انشاها وابدعها وحذف اللام عن الجواب
مقام قد افلح لطول الكلام وتكرير قد في قوله تعالى وقد خاب من
دسيها لابراز الاعتناء بتحقيق مضمونه والايذان بتعلق القسم به

مقابلة اهل الطغوى بمقابلة اهل التقوى من اصحاب النار

ايضًا اصالةً اى خسر من نقصها واخفاها بالفجور واصل دسّى
دسّس كتقضّى وتقضّض وكذا يدل على تبديل الملكة والاخلاق
الراسخة ما رواه الامام البيهقى عن ابى هريرة انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يا ابا هريرة عليك بحسن الخلق قال وما حسن
الخلق يا رسول الله قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تصل من قطعك
وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك قوله تصل من قطعك فمعناه وهو
ان تصل ولا تبعد وتزور من قطع زيارتك فبعد عنك وذلك ان كان
التقصير منك فاعتذره وارج عفوه بالصلة اليه وان كان القصور
منه فاعف عنه ظلمه اليك حتى تقع تحت قوله تعالى فليعفوا وليصفحوا
الا تحبون ان يغفر الله لكم وقوله تعالى فمن عفى واصلح فاجره على الله فانّ
عليه ما لم يعطك وجعلك من المحرومين فعامله بما يخالف معاملته
فيك فذلك التخلق هو المامور به والمجاهدة فى المؤمن الخالص التقى
بالتخلق باخلاق الله تعالى روى الامام البغوى عن الحسن البصرى رح
فى هذه الاية اذا كان يوم القيمة نادى منادٍ من كان له على الله اجر فليقم
فلا يقوم الا من عفى عن ظالمه وقرأ هذه الاية فان قلت فمعنى قوله
تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وهو بيان لوجه كون الانتصار والانتقام
من الخصال الحميدة مع كونه فى نفسه اساءة الى الغير بالاشارة الى
ان البارى عز شانه هو الذى فعله لنفسه فان الافعال مستتبعة
لاجزيتها حتمًا ان خيرًا فخير وان شرًّا فشر وفيه تنبيه على حرمة
التعدى واطلاق السيئة على الثانية مع انه عمل بموافقة الامر
منه تعالى فى قوله الاخر فان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لانها التى
من نزلت به قلت ما يقول الامام مقاتل فى القصاص من الجراحات
والدماء قال الامام مجاهد والامام السدى فى تفسيرهما جواب المقاتل

هو القبيح

بحث اطلاق السيئة على الحسنة

هو القبيح وليس بالصحيح فاذا قال اخزاك الله فقل فى المقابلة اخزاك الله
واذا شتمك فاشتم بمثلها من غير ان تعتدى فهذا امثال بالامر فان شتمه
سيئة وشتمك له حسنة عمل بالامر بشرط المثل وعدم التعدى
كذا فى الهداية للامام المرغينانى وحواشيها رح وقال سفيان بن عيينة
وهو تلميذ ابى حنيفة رحمهم لسفيان الثورى فكلاهما من ثقة الحفاظ
بين المحدثين ما تقول فى معنى قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها قال
ان يشتمك رجل فتشتمه وان يفعل بك فتفعل به كما امر الله تعالى به
فالاول من الشاتم اثم وشتمه سيئة فى ذاته وغيره ولكن الثانى فشتمه
حسنة فى ذاته سيئة لغيره لانه تساءه فلذا قال وجزاء سيئة سيئة
بالاضافة الى الغير وان كان حسنة بالنسبة الى الشاتم الثانى للامتثال
بالامر العالى فكان مؤديًا للواجب ان كان واجبًا ومؤديًا للمندوب ان كان
ندبًا على طريق قوله وابتغوا من فضل الله فهذا يتوجه على الوجهين نظرًا
الى حال المامور ان احتاج الى سد الرمق ولا فللندب قلت الجواب
الاصح ان المظلوم المشتوم ان اقتص امتثل بالامر العالى وان صبر وعفى
فقد وقع اجره على الله فكان من المتخلقين باخلاق الله والصابرين للموعودين
باجر الله ويؤيده قوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقوله فمن عفى
واصلح فاجره على الله وقوله فليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم
وقوله ويعفوا عن كثير وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم انك عفو
تحب العفو فاعف عنى حين سئلت ام المؤمنين عايشة الصديقة
عن رسول الله صلعم اذا رايت ليلة القدر ما اقول فقال صلى الله عليه
وسلم اللهم اه ويدل على تغيير الاخلاق الذميمة الى الحميدة اتفاق
العقلاء واتحاد الفضلاء من ارباب التجربة واصحاب التربية مع اختلاف
الاستعدادات بحسب الامزجة ان منشاه قوى النفس وهى ثلاثة

اى الخلق

بحث تبديل الاخلاق و التخلق جائز

النطق وهو قوة الادراك فاعتداله الحكمة وهي ملكة للنفس تدرك بها
الصواب من الخطأ وافراطه الجربزة وهي ملكة ادراك تدعو الى اطلاع
ما لا يمكن معرفته كالمتشابهات وبحث القدر او يصدر بها افعال
يتضرر بها الغير وتفريطه البلادة وهي ملكة يقصر صاحبها عن ادراك
الخير والشر والثاني من قوى النفس الغضب وهو حركة النفس دفعا للمنافى
فاعتدال القوة الغضبية الشجاعة وهي ملكة بها يقدم على امور ينبغى
ان يقدم عليها فافراطه التهور وهي ملكة بها يقدم على امور لا ينبغى
ان يقدم عليها وتفريطه الجبن وهو هيئة راسخة بها يحجم عن مباشرة
ما ينبغى والثالث من القوى النفس القوى الشهوية وهي حركة للنفس
طلبا للملائم فاعتدالها العفة وهي ملكة بها يباشر المشتهيات
على وفق الشرع والمروءة فافراطها الشره والحرص والفجور وهي ملكة بها
يتناول المشتهيات مطلقا وتفريطها وهي الجمود وهي ملكة بها يقصر
عن استيفاء ما ينبغي له من المشتهيات والاوساط المحمودة تحصل
باستخدام الاعتدال من القوى الثلاثة الاخرين من الاطراف
وهما الافراط والتفريط وباستخدامهما اياه بشرط تبعيتهما اياه
والاطراف منفردا والاوساط المختلطة فاسد مثل الرياء والسمعة
فكل خلق من الذميمة ناشئ منهما او من المشوب المختلط منفردا
او مجتمعا بعضها او كلها وعلاجه معرفة حقايق الافعال والاقوال
والاخطار ثم تمييز الاعتدال من الاطراف وجعله غالبا عليها
ومستخدما بهما مع تفكر الاسباب ومعرفة الاضداد وفوائدها
وغوائلها ثم معرفة وجود سبب الالحاح والايلاج مع التامل
واختار من ينبهه من اصدقاء الصدق وتفحص قول الاعداء فانهم
يترصدون الى ما يشانئه ويذمون به ثم النظر الى ما يشتغل

الامثال فانه جرت الكائنات في الحالات فمن الخطورات مركوزة في البال
فاذا تجاوز مقامه ظهر الحال فاللسان ترجمان القلب وسائر الاعضاء
عونة بما في القلوب وخدمة له فما من احد يشتغل بشيء من الاشياء الا والقلب
منبعه الا المجانين فانهم يفعلون من غير روية وتامل لانطفاء شعشعة
البال وتحيره في القال بما يطابق الحال وهكذا احوال سائر الناس فحال
الانبياء صلوات الله تعالى عليهم اجمعين غيرهم في جميع الكيفيات والنسوخات
فانهم منصورون باعانة الله ومعصومون بعناية الله ويمتازون عما
سواهم بالارهاصات قبل البعثة والمعجزات بعد النبوة خاصة سيد
وسندنا ورسولنا محمد عليه من الصلوات اعلاها ومن التحيات
اسناها حيث اجتمع فيه خلق الاولين من الاصفياء مع اضعاف المضاعفة
من الاخلاق الحميدة غريزية او كسبية فالاعتدال خلقه والاطراف
خدمه على الانتهاء بكمالها والاعتدال غايتها حتى اثنى الله تبارك وتعالى
عليه بذلك فقال انك لعلى خلق عظيم فقالت ام المؤمنين عايشة
الصديقة رضي الله تعالى عنها وعن ابيها ووالدتها واخوتها كان خلق
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه
وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم برواية عن مالك بن انس بعثت
لاتمم حسن الخلق كذا في الموطا وروى عن ابي هريرة رضي مرفوعا
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق
اي فوق سائر الانبياء لانهم بعثوا التعليم الاخلاق الكريمة لا بتممها
والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انما بعث خاتما لتكميل مكارمهم ونبوتهم
رواه احمد في المسند والحاكم في المستدرك قال انس رض كان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احسن الناس خلقا كذا روي عن علي
رض مثله وكان النبي صلعم فيما ذكره المحققون مجبولا ومطبوعا

على الخصال الحميدة فى اصل خلقته واول فطرته لم يحصل له عليه الصلوة
والسلام باكتساب ولا برياضة الا بجود الهى وخصوصية ربانية
وهكذا لسائر الانبياء منذ صباهم الى مبعثهم فمن طالع سير الانبياء
حقق ذلك كما عرف من حال عيسى بالتكلم فى المهد وموسى بالوكز
على فرعون ويحيى وسليمان عليهم الصلوات والسلامات عدد معلوماته
ومداد كلمات الله بل غرزت فيهم فى الجبلة واودعوا العلوم الربانية
والحكم الالهية فى الفطرة كما قال الله تعالى فى كتابه العزيز فى يحيى عليه
السلام فى سورة مريم يا يحيى استئناف طوى قبله جمل كثيرة مسارعة
الى الانباء عليهم السلام بانجاز الوعد الكريم وابراز اللطف العظيم
اى قلنا يا يحيى خذ الكتاب اى التورية بقوة اى بجد بليغ واستظهار
بالتوفيق وآتيناه اى يحيى بن زكريا عليهما السلام الحكم قال ابن
عباس رضى الله عنهما الحكم النبوة استنبأه وهو ابن ثلث سنين صبيا
وقال بعض المفسرين الحكم الحكمة وفهم التورية والفقه فى الدين روى
انه دعاه الصبيان الى اللعب كما هو حالهم حالا لهم لعدم التكليف
فيهم ومع هذا قال ما للعب خلقنا وحنانا من لدنا عطف على الحكم
وتنوينه للتفخيم وهو التحنن والاشتياق ومن متعلقة بمحذوف
وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة
الاضافية اى وآتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة من جنابنا او رحمة
فى قلبه وشفقة على ابويه وغيرهما وزكوة اى طهارة وعصمة فلم
تعمله سائر الناس وصدقة تصدق قنا به على ابويه او وفقناه للتصدق
على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصى وبرا بوالديه
عطف على تقيا اى بارا بهما لطيفا بهما محسنا اليهما ولم يكن جبارا عصيا
متكبرا عاقا لهما او عاصيا لربه وسلام عليه من الله عز وجل يوم ولد

من ازينا له

من ان ينا له الشيطان بما ينال به بنى آدم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم
يبعث حيا من هول القيمة وعذاب النار روى قتاده عن الحسن ان يحيى
قال لعيسى عليهما السلام حين التقيا انت خير منى فقال عيسى عليه السلام بل انت
خير منى سلم الله عليك بذاته وانا سلمت على نفسى وروى عن بعض
الصحابة رضى الله عنهم انه قال ما من الناس احد الا وهو يلقى الله تعالى يوم القيمة
ذا ذنب الا يحيى بن زكريا عليهما السلام وروى الحسن عن رسول الله
صلعم ما اذنب يحيى ولا هم به رواه ابو الليث امام الهدى فى تفسيره قال
الامام عبد الله بن سلام الكلبى رضى الله عنه كان بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل
وملوكهم وكان زكريا عليه السلام رئيس الاحبار يومئذ فاراد ان يرثه
ولده حبورته ويرث من بنى ماثان ملكهم لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم
انبياء وهم من ولد يعقوب بن اسحق او هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا
ويعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمان بن داود عليهما السلام
واختلفوا فى هذا الارث قال الحسن يرثنى ويرث من آل يعقوب النبوة
والحبورة وقيل العلم والنبوة وقيل اراد زكريا علمه الحبورة لانه رئيس
الاحبار يومئذ وسائره فى خدمته قال الامام الزجاج الاولى ان يحمل
على ميراث غير المال لانه لا يليق ان يشفق زكريا وهو نبى من الانبياء
عليهم السلام ان يرثه بنو عمه ماله فالمعنى ان زكريا خاف ان يضيع
بنو عمه دين الله وهذا عن ابن عباس رضى الله عنهما كما فى قوله تعالى فى سورة مريم
يا زكريا على ارادة القول بواسطة الملك لا ان يخاطبه عليه السلام
بالذات على ان يحكى له هذه العبارة عنه عز وجل على نهج قوله قل
يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم الخ وهذا جواب لندائه ووعد باجابة
دعائه كما يؤيده قوله فاستجبنا له ووهبنا له يحيى على مقتضى المشيئة
الازلية والارادة القديمة الالهية على الحكم البالغة والقدر العالية

فان الانبياء العظام صلوات الله تعالى على نبينا وعليهم وان كانوا مستجاب
الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات بل بارادة الله تعالى ومشيئته
وعلى على ما اقتضته الحكم العلية الا يرى ان دعوة نوح عليه السلام
في ابنه ودعوة ابراهيم عم في ابيه ودعوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه
في امته حيث قال وسئلت ربي ان لا يذيق بعضهم باس بعض فمنعنيها
وقد كان من قضائه عز وجل ان يهبه يحيى نبيا مرضيا ولا يرثه فاستجيب
دعاءه في الاول دون الثاني حيث قتل قبل موت ابيه زكريا عليه السلام
ما هو المشهور وقيل بقي بعده برهة فلا اشكال وفي تعيين اسمه
تاكيد للوعد وتشريف له انا نبشرك بغلام اسمه يحيى هذا الخطاب
ليس بالذات بل بواسطة الملك كما مر آنفا لم نجعل له من قبل سميا
اي شريكا له من قبل حيث لم يسم احد قبله يحيى فان التسمية بالاسامي
البديعة الممتازة عن اسماء سائر الناس تنويه بالمسمى وتعظيم لا محالة
وقيل سمي تشبيها في الفضل والكمال بدليل قوله هل تعلم له سميا فان
المتشارك في الاسم قالوا لم يكن له مثل في انه لم يتهم بمعصية اصلا
والاظهر ان يحيى اسم اعجمي وان كان عربيا فهو منقول عن الفعل كيعمر
ويعيش قيل انه حيي رحم امه او دين الله وروى عن كعب الاحبار
ان زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا من ولد سليمان بن داود عليهم
السلام وكان اسم امرأة زكريا مضعة واسم امرأة عمران حنة وزكريا
كان نجارا قبل النبوة كثير العبادة لا يفتر عن التسبيح في بيت
المقدس وصنع رجل فاحضر له الطعام فاكل زكريا وكان عنده
رجل ولم يعطه له فقال لم لا تعطينا وانت جواد قال فان اعطيته
ضعف قوتي فحرم اجرتي فهبط عليه جبرائيل عليه السلام فرده
عليه فقال انا جبريل وان ربك يقرئك السلام ويقول لك اني

بعثتك نبيا الى بني اسرائيل فادعهم الى عبادتي واذكرني ولا تنساني
فمن ذكرني ذكرته ومن ينساني فنسيته فخرج زكريا عليه السلام سايحا
وخرج الى بني اسرائيل فدعاهم فصدق البعض وكذبه الآخر فاقام فيهم
يامرهم بالمعروف وينهيهم عن المنكر ثم ولد من كم من حنة قال الله تعالى
هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك
سميع الدعاء روى ان زكريا طمع في الولد وكان آيسا وكان مفاتيح بيت
القربان عند بابه وقد يخشى ان يخرج من اهل بيته بلا ولد اذا مات
ندخل على مريم فوجد عندها المحراب فاكهة الصيف عند الشتاء وعكسه
فقال ان الله تعالى قادر على ان يرزقني ولدا بعد الكبر فدخل المسجد
عند المذبح يصلي والناس ينظرون ان ياذن لهم في الدخول فاذا هو
برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع منه وناداه ومعه الملائكة
ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا
من الصالحين وروى الحسن عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما اذنب
يحيى ولا هم بذنب وكان سيدا وحصورا اي يمتنع عن النساء مع
قدرته روى انه قال له الشيطان ان النداء الذي سمعت بالبشارة
من الشيطان ولو كان من الله تعالى لاوحى اليك كسائر الانبياء فقال زكريا
عليه السلام عند ذلك رب اجعل لي آية حتى اعلم انه من الله تعالى قال الله
تعالى انك تصبح فلا تطيق الكلام ثلثة ايام لتخلص المدة بذكر الله
تعالى توفيرا منه على قضاء شكر هذه النعمة كما في قوله تعالى في سورة آل
عمران وكفلها زكريا اي جعل زكريا عليه السلام مريم بنت عمران بن
ماثان من نسل سليمان بن داود عليهم السلام كافلا لها وضامنا لمصالحها
قائما بتدبير امورها لا على طريقة الوحي بل على المحبة الدينية والشفقة
روى ان حنة ام مريم حين ولدتها لفتها في خرقة وحملتها

نعم ابنه من حنة اي انه نذرت [illegible] ما في بطني محررا [illegible] والحنة [illegible] فولدت مريم امرأة عمران وهو الولد [illegible]

[illegible] وكان اسمه [illegible] وهو [illegible]

الى المسجد ووضعتها عند العلماء الاحبار ابناء هارون وهم فى البيت
المقدس كالحجبة فى الكعبة المكرمة فقالت حنة دونكم هذه النذيرة
فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنى ماثان
كانت رؤس بنى اسرائيل وملوكهم لانهم وجدوا امرها وامر عيسى عليه السلام
فى الكتب الالهية فقال زكريا عليه السلام وهو رئيس الاحبار حينئذ
انا احق بها لان خالتها عندى فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين
فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطاف قلم زكريا عليه السلام ورسب
اقلامهم فتكفلها زكريا وقرئ اكفلها وقرئ زكريا بالنصب والمد وقرئ
بالتخفيف الفاء وكسرها ورفع زكريا ممدودا وقرئ وكفلها امرا من
التفعيل اى وجعل زكريا كافلا لها فهو تعيين لجهة التربية وقيل بنى لها
زكريا عليه السلام محرابا فى المسجد اى غرفة تصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف
المجالس ومقدمها كانها وضعت فى اشرف موضع من بيت المقدس روى
انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده واذا خرج غلق عليها سبعة ابواب
كلما دخل عليها اى على مريم زكريا المحراب تقديم الظرف على الفاعل
لاظهار كمال العناية بامرها ونصب المحراب على التوسع وكلمة كلما ظرف
على ان ما مصدرية والزمان محذوف ونكرة موصوفة معناها الوقت
والعائد محذوف والعامل فيها جوابها اى كل زمان دخوله عليها او كل وقت
دخل عليها فيه وجد عندها رزقا اى نوعا منه غير معتاد اذ كان ينزل
ذلك من الجنة وكان يجد عندها فى الصيف فاكهة الشتاء وفى الشتاء
فاكهة الصيف ولم ترضع مريم ثدى امها قط قال استيناف مبنى
على السؤال كانه قيل فماذا قال زكريا عند مشاهدة هذه الآية قال
يا مريم انى لك هذا اى من اين يجىء لك هذا الذى لا يشبه ارزاق الدنيا
والابواب مغلقة عليك فهذا دليل على جواز الكرامة للاولياء الكرام

قوله كالحجبة جمع حاجب منه

[illegible]

ومن انكرها جعل هذا ارهاصا وتاسيسا لرسالة عيسى عليه السلام واما
جعله معجزة لزكريا عليه السلام فيأباه اشتباه الامر عليه وسؤاله لها وانما خاطبها
بذلك مع كونها بمعزل من رتبة الخطاب لما علم بما شاهده انها مؤيدة
من عند الله بالعلم والقدرة قالت مريم فى الجواب له استيناف كما مر
قبله كانه قيل فماذا صنعت وهى صغيرة لا قدرة لها على فهم السؤال
ورد الجواب فقالت هو من عند الله فلا تعجب ولا تستبعد ان الله يرزق
من يشاء ان يرزقه بغير حساب اى بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق
تفضلا منه وهو تعليل لكونه من عنده تعالى روى ان ام عيسى عليه
السلام حاملا به فاستقبلت فقالت ام يحيى عم يا مريم احامل انت
قالت مريم لم ذا تقول قالت ام يحيى انى ارى ما فى بطنى ساجدا لما
فى بطنك وذلك تصديق يحيى عليه السلام بنبوة عيسى عليه السلام
وكان يحيى اكبر من عيسى عليه السلام ستة اشهر ثم قتل يحيى عليه
السلام قبل ان يرفع عيسى عليه السلام وروى لما كان ولد يحيى
عليه السلام رفع الى السماء حتى الى الجنة ثم نزل الى ابيه فكان يضيء
البيت من نوره وحسن جماله وهو قليل الشعر قصير الاصابع طويل
الانف مقرون الحاجبين رقيق الصوت يعظ الناس فى الجمع والاعياد
ويدعوهم الى الله تعالى ثم شاخ ودخل الشام ويدعوا اهله الى الله تعالى
ولما بعثه الله تعالى الى بنى اسرائيل وامره بخمسة اشياء وعادة يحيى عليه
السلام ان يمثل لكل شىء مثلا امرهم ان يعبد الله تعالى ولا يشركوا به شيئا
وقال ان مثل الشرك رجل اشترى عبدا من خالص ماله واسكنه
دارا ودفع له مالا ليتجر فيه ويأكل ما يكفيه ويؤدى الى سيده ما بقى
منه فان اوتمر بما امره سيده فهو مقبول عنده والا فمردود ثم امرهم
بالصلوة فقال بالصلوة فقال ان مثل الصلوة كمثل رجل دخل عليه

[illegible]

عليه الملك واقبل عليه بوجهه ليسمع مقالته ويقضي حاجته فالتفت الرجل يميناً وشمالاً ولم يهتم حاجته فاعرض الملك عنه ولم يقض حاجته وامرهم بالصدقة فقال مثلها كمثل رجل اسره العدو فاشترى نفسه منهم بثمن معلوم يعمل في بلادهم ويؤدي اليه من القليل والكثير من كسبه وماله حتى اعتق والا فلا وامرهم بذكر الله تعالى مثله كمثل قوم حصن ولهم عدو فاذا اقبل عليهم عدوهم وغلقوا الابواب فلم يقدر عليهم فكذلك من يذكر الله تعالى حيث لم يقدر الشيطان الذي هو اعدى العدو والاضلال بهم والا فلا وامرهم بالصيام فقال مثله كمثل الجنة بحيث لا يصل عدوه اليه ان لحسن في صنعه والا فلا

ورُوي ان يحيى عليه السلام اراد يوماً ان يرى الشيطان فامر الله الشيطان ان يحضر عنده وفي يده معاليق الاجراس فقال يحيى عليه السلام ما هذه يا ملعون فقال شهوات بني آدم احرك الاجراس عند الناس فتخرج اصوات وانا آخذ بالمعاليق عقولهم فاغويهم فقال يحيى هل اغويتني قال لا الا يوماً غلب عليك الجوع فحركت فيك شهوة الطعام فاكلت وشبعت فثقل عليك العبادة فاقسم يحيى عليه السلام على الله ان لا يشبع بعد في عمره اصلاً واقسم الشيطان ان لا ينصح فرداً من الافراد وجمعاً من الانفراد اصلاً وقال يحيى عم له اخبرني باحب الناس اليك وابغضه قال احب الناس الي المؤمن البخيل وابغض الناس الي الفاسق السخي قال عم لم قال البخيل قد كفاه بخله لانه صفة اهل النار فالبخيل لا يدخل الجنة والفاسق السخي يرجى ان يقبله الله لان السخاء من صفة اهل الجنة فان الراحمين لا يدخل النار اعلم ان يحيى عليه السلام كان خائفاً وخاشعاً من الله تعالى حزيناً باكياً من كمال الخوف في عاقبة امره وحضور ربه

بحث كيفية نصيحة يحيى عليه السلام ورؤيته الشيطان وسؤاله بإضلاله

الى ان كان

الى ان كان شهيداً فلا يزال فار دمه حتى قتل وذبح من الكفار سبعين الفاً قصاصاً منه مكان شهادته وكان مظهراً للجلال لكن عيسى عليه السلام كان مظهراً للجمال ورُوي ان زكريا عليه السلام حين امر ونهى في بني اسرائيل فخاصموه ونووا قتله فامره الله تعالى ان يهجرهم ويخرج من بينهم فخرج وقفوا اثره فلما دنوا منه رأى شجرة عظيمة فقال لها اكتميني فيك فانشقت فدخل فيها ثم التامت وبقي هدب كسائه فجاؤوا فلم يجدوه فقال لهم ابليس على صورة الشيخ كبير السن الف سنة انه قد اكتم في هذه الشجرة فالعلامة هدب كسائه هذا فاتوا بمنشار وشقوها بنصفين حتى يموت فيها فلما انتهى المنشار الى رأسه وقال آه فوقعت الزلزلة في ملكوت السموات والارض فنزل جبرائيل عليه السلام فقال له يقول الله لك لو قلت مرة اخرى امحو اسمك من ديوان الانبياء عليهم السلام فعضّ زكريا صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم شفتيه حتى شقوا بنصفين ليعلم ان اشد البلاء على الانبياء ثم على الاولياء ثم الامثل فالامثل اي الموافق كاتر حركات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الافعال والاقوال والعبادات والطاعات والاعتقادات ظاهراً وباطناً سراً وعلانية كما هو معنى الاقتداء والاتباع واما سبب قتل يحيى عليه السلام وشهادته فانه كان ملكاً من بني اسرائيل له زوجة ولها بنت من غيره فارادت تلك الزوجة ان يتزوج بنتها غيرة وخوفاً من ان يتزوج غيرها فاتخذت وليمة ودعت تلك ام البنت يحيى عليه السلام فاستاذنت منه هذا الامر فقال يحيى عم هذا حرام في دين الاسلام فخرج من عندها فغضبت عليه واحتالت في قتله فسقت زوجها من الاشربة المسكرة ولما سكرت زينت بنتها وعرضت عليه فارادها عن نفسه فابت

عليه فقالت ما افعل حتى تعطيني ما اسئلك فقال الملك لها ما تسئلني
قالت اسئلك ان تبعث الى يحيى فاتى برأسه في هذا الطشت فقال
الملك السكران ويحك سليني غير هذا فقالت لا اسئلك الا هذا
فلما ابت عليه بعث الى يحيى فاتى برأسه يتكلم لا تحل لك فلما
اصبح اذ دمه يغلي فامر بتراب فارتفع دمه فوق التراب يقول
لا تحل لك حتى بعث الله تعالى بخت نصر ملك بابل في ستمائة الف برواية
وقيل هو خردوس الملك فرأى دم يحيى يغلي ويقول لا تحل لك فسئل عنه
واخبروا القصة فالقى الله تعالى في قلبه ان يذبح من بني اسرائيل سبعين
الفا على ذلك الدم حتى يسكن ثم قال يا يحيى بن زكريا قد علم ربك
ما قد اصاب قومك من اجلك فسكن الدم وامر سبعين الفا منهم
وذراريهم وهدم القدس واحرق التورية فلما سمع زكريا ان ابنه
قد قتل فهرب ودخل في الشجرة فوقع ما كان في قدر الله تعالى فكانا من سيدي
الشهداء صلوات الله تعالى على نبينا وعليهم ونيسرنا شفاعتهم اجمعين
قال امام المتقين من اهل اليقين الجنيد البغدادي عليه رحمة الباري
لو اقبل الصادق على الله تعالى الف الف سنة ثم غفل عنه لحظة كان
ما فاته اكثر مما ناله والمخلصون على خطر عظيم قيل حقيقة التقوى
من غير الانبياء الاحتراز عن الشرك الجلي والخفي وهما مختلفتان
باختلاف الاشخاص فالشرك الجلي من العوام الكفر والشرك الخفي
منهم الرياء في التوحيد بذكر اللسان مع اشتغال القلب بغير الله تعالى
وهذا هو الشرك الجلي من الخواص والشرك الخفي منهم التفاتهم في الدنيا
واسبابها وهذا هو الشرك الجلي من اخص الخواص وهم السابقون
المقربون والشرك الخفي منهم التفاتهم الى الآخرة ونعيمها وتوسلهم
الطاعات في طلب الثواب ودفع العقاب واما تقوى الانبياء

نكته: يحيى شهادت در قصاصه

صلوات الله

صلوات الله على نبينا وعليهم فبلوغهم اليه تعالى وتبليغهم الخلايق امره
ونهيه وعدم اجتنابهم عن الشهادة فيه فديت مقتول سائر المخلوقات
الدنيا من المال وديت مقتول الحق دوية الجمال الفصل الرابع وثمانين في
ضمه صلى الله تعالى عليه وسلم الى عمه عبد مناف ابي طالب فلقوله
والضحى هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار قالوا تخصيصه بالاقسام
لانه الساعة التي كلم بها موسى عليه السلام والقي فيها السحرة سجدا لقوله
تعالى وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد به النهار كما في قوله ان ياتيهم باسنا
ضحى في مقابلة قوله بياتا والليل اي جنس الليل اذا سجى اي اذا سكن
اهله وركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه ونقل عن الامام
قتادة رح ومقاتل وجعفر الصادق ان المراد بالضحى هو الضحى الذي
كلم الله فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة المعراج وقوله تعالى ما ودعك
ربك وما قلى جواب للقسمين بالانفراد والاجتماع وقرئ بالتخفيف
اي قطعك قطع المودع وما تركك وما ابغضك وحذف المفعول
اما للاستغناء عنه بذكره من قبل او للقصد الى نفي صدور الفعل
عنه تعالى بالكلية مع ان فيه مراعاة للفواصل روي ان الوحي تأخر عن
رسول الله صلعم اياما لتركه الاستثناء او لزجره سائلا ملحا فقال
المشركون ان محمدا ودعه وتركه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وتبشيرا له
عليه السلام بالكرامة الحاصلة والمترقبة كما يشعر به اسم الرب المنبئ
عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وحيث
ما تضمن ما سبق من نفي التوديع والقلاء انه تعالى واصله بالوحي والكرامة في
الدنيا بشر عليه السلام بان ما سيؤتيه في الآخرة اجل واعظم من ذلك
فقيل وللآخرة خير لك من الاولى لما انها باقية صافية عن الشوائب
على الاطلاق وهذه فانية مشوبة بالمضار وما اوتي عليه السلام

بيت: نعيم الآخرة باقية ونعيم الدنيا فانية

من شرف النبوة وان كان مما لا يعادله شرف ولا يدانيه فضل لكنه لا يخلو
في الدنيا من بعض العوارض القادحة في عيشته الاحكام مع انه عند
ما اعد له عليه السلام في الآخرة من النبوة والتقدم على كافة الانبياء
والرسل يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون امته شهداء
على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير
ذلك من الكرامة السنية التي لا يحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادي
بالنسبة الى الخطاب وقيل المراد بالآخرة عاقبة امره عليه السلام
اي لنهاية امرك خير من بدايته لا يزال يتزايد قوة ويتصاعد رفعة
وقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى عدة كريمة شاملة لما اعطاه
تعالى في الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والآخرين وظهور الخوارق
واعلاء الدين بالفتوحات الواقعة في عصره وفي ايام خلفائه الراشدين
وغيرهم من الملوك الاسلامية وفشو الدعوة في مشارق الارض ومغاربها
ولما ادخر له من الكرامات التي لا يعلمها الا الله تعالى عز وجل
وقد انبأ ابن عباس رضي الله عنهما عن شمة منها حيث قال له عليه الصلوة
والسلام في الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك واللام للابتداء
دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت
سوف يعطيك لا للجواب للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا مع النون
المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان الاعطاء كائن لا محالة وان
تراخى لحكمة وقيل هي للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين نون التأكيد
قد استثنى النحاة منها صورتين احدهما ان يفصل بينها وبين الفعل
بحرف التنفيس كهذه الآية وكقوله والله لساعطيك والثانية
ان يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله لالى الله تحشرون وقال ابو علي الفارسي
رح ليست هذه اللام هي التي في ان زيدا لقائم بل هي التي في قولك لاقومن

وناب سوف عن احد نوني التأكيد فكانه قيل ولنعطينك وكذا اللام
في قوله تعالى وللآخرة خير لك وقوله تعالى الم يجدك يتيما فآوى تعديد
لما افاض عليه عليه السلام من اول امره الى ذلك الوقت من فنون النعماء
ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود فيطمئن قلبه وينشرح
صدره والهمزة لانكار النفي وتقرير المنفي على ابلغ وجه كانه قيل قد
وجدك الخ والوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني وقيل بمعنى المصادفة
ويتيما حال من مفعوله روي ان اباه صلى الله تعالى عليه وسلم قد مات في المدينة
وقت ذهابه للتجارة اليها وهو جنين في بطن امه قد مضت عليه ستة
اشهر وماتت امه على الاختلاف وقت موتها وبقي جده عبد المطلب وهو
ابن ثمان سنين وشهرين وعشرة ايام فلما قرب اجله دعا ابنه اباطالب واسمه
عبد المناف فقال عبد المطلب له يا بني قد علمت شدة حبي ووجدي وحفظي
لابن ابني عبد الله وهو اخوك لام واب وانما اوصيك بمحمد لك لا لسائر
اخوتك لما بينكما ان تحفظه من بعدي مثل حفظي ولا تؤثر كما حفظت
ابنك عليا فقال ابو طالب يا ابت لا توصيني بمحمد فانه ابني وابن اخي عبد الله
لام واب قال ما قال فتوفي عبد المطلب فكفله عمه عبد المناف ابو طالب
وخرج معه الى الشام وهو ابن اثني عشر سنة ثم قام مع عمه وعطفه الله تعالى
عليه فاحسن تربيته وذلك ايواؤه وضمه اليه ورحمه عليه وقرئ فاوى
وهو اما من اواه اذا رحمه وقوله ووجدك ضالا عطف على ما يقتضيه
الانكار السابق كما اشير اليه او الى المضارع المنفي بلم داخل في حكمه
كانه لما وجدك يتيما فآوى وضمك الى عمك لانه شفيق ورحيم اليك
ومحب في ايوائك وتربيتك وصيانتك ووجدك غافلا عن الشرائع
التي لا تهتدي اليها العقول كما في قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده ابو جهل

الى عبد المطلب وقيل ضل مرة بعد اخرى وطلبوه فلم يجدوه فطاف
عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى فسمعوا مناديا ينادي
من السماء وقال يا معشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا
يضيعه وان محمدا بوادي تهامة عند شجرة السمر فسار عبد المطلب
وورقة بن نوفل فاذا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قائم تحت شجرة
يلعب بالاغصان والاوراق وقيل اضلته مرضعته حليمة السعدية
عند مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل
في طريق الشام حين خرج به ابو طالب روى ان ابليس اخذ بزمام
ناقته في ليلة ظلماء فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام
فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض هند ورده الى القافلة فهدى
اي هداك الى مناهج الشريعة المنطوية في تضاعيف ما اوحي اليك
من الكتاب المبين والرسول الامين وعلمك ما لم تكن تعلم او ازال الضلال
عن جدك وعمك ووجدك عائلا اي فقيرا او قرئ عيلا او عديما
فاغنى اي فاغناك بمال خديجة الكبرى رضي الله تعالى عنها او بما حصل
من ربح التجارة او بما اوى عليك من الغنائم وقيل قنعك واغنى
قلبك روى عن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس رواه
البغوي وروى عن عبد الله بن عمر رضيهما ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال قد افلح من رزق كفافا وقنعه الله تعالى بما آتيه رواه
محي السنة رح وفي رواية جعل رزقي تحت ظل رمحي ثم اوصاه الله
تعالى بالفقراء واليتامى فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وقال
مجاهد لا تحتقر وقرئ فلا تكهر اي فلا تعبس في وجهه لما
روى عن ابي هريرة رض عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال خير بيت

في المسلمين

في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم باصبعه
انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وضم باصبعه رواه الامام حسين
البغوي في المعالم واما السائل فلا تنهر اي فلا تزجره ولا تغلظ له
القول بل رده ردا جميلا قال زاهد الخرساني ابراهيم بن ادهم رح نعم
القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعي من التابعين
رح استاذ الامام الاعظم رحمهما السائل بريد الآخرة يجيء الى باب
احدكم اتبعثون الى اهليكم بشيء فان لم تقدروا فبالكلمة الطيبة
لانها صدقة وروى عن الحسن ان المراد به طالب العلم الذي يسئل
عن الدين واما بنعمة ربك فحدث اي نعمة النبوة فبلغ ما ارسلت به
وحدث بالنبوة التي آتاك الله تعالى بشكرها واشاعتها واظهار آثارها
واحكامها خاصة وعامة من فنون النعمة التي من جملتها النعم المعدودة
الموجودة منها والموعودة لانك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله
تعالى وهداك واغناك فلا تنس حقوق تلك النعم عليك فهذه الثلث
واقتد بالله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فتعطف على اليتيم فآوه
وترحم على السائل بمعروفك ولا تزجره عن بابك لما روى عن جابر بن
عبد الله رضيهما ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صنع اليه
معروف فليجز به فليثن عليه فانه اذا اثنى عليه فقد شكره وان كتمه
فقد كفره وروى عن النعمان بن بشير رضي انه قال سمعت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم انه يقول على المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر
الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر
وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب رواه ناصر الحديث البغوي
رح الفصل الخامس في الخروج واما خروجه صلى الله تعالى عليه وسلم
في تجارة لخديجة الكبرى رضي الله عنها وهو ابن خمس وعشرين سنة

وزوجها فى تلك السنة فذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لما بلغ خمسا وعشرين سنة رأت خديجة الكبرى ام المؤمنين رضى الله عنها فى منامها
ان الشمس نزلت من السماء ودخلت فى بيتها ثم خرج نورها فلم يبق فى مكة
بيت الا تنوير فلما انتبهت من منامها قصت رؤياها على عمها ورقة بن
نوفل رضى الله عنه كان معبرا فقال ان نبى آخر الزمان يكون زوجك فقالت
يا عم ان هذا النبى من اى بلدة يكون قال لها من مكة قالت من اى قبيلة
قال من قريش قالت من اى بطن قال من بنى هاشم قالت ما اسمه قال
اسمه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فكانت خديجة تنظر من اى جانب
تطلع عليها هذه الشمس فيوما من الايام قال له عمه ابو طالب يا ابن اخى اريد
ان اذكر لك امرا قال تكلم يا عم بما شئت وانا مطيع لك قال لقد علمت
ان ابويك قد ماتا ولم يتركا مالا وقد كنت احب ان يكون لى مال فازوجك
وتقر عينى بك قبل فراقى عن الدنيا وهذه خديجة بنت خويلد وقد تستاجر
الاجراء ويجرى الله لهم على يديها خيرا ولها على ايديهم خير فهل لك ان تذهب
معى اليها فلعلها تستاجرك وترزق بسببها رزقا فازوجك وتقر عينى بك
قبل الفراق فقال له محمد عليه الصلوة والسلام سمعت واطعت
افعل ما احببت قال فانطلقا الى خديجة فقال لها ابو طالب جئت
اليك لاطلب من فضلك الذى فضلك الله بها فقالت سمعا وطاعة فقال
انى قد سمعت انك تستاجرين الاجراء وابن اخى محمد احق بذلك من غيره
لانه امين وشجيع فلما سمعت هذا القول تفكرت فى نفسها فقالت
هذا تاويل رؤياى لان عمى ورقة قال انه يكون من العرب فهذا عربى
مكى وقريشى وهاشمى واسمه محمد وهو حسن الخلق فليس هو الا نبى
الخالق الحق فهمت بان تزوج نفسها منه فى تلك الحالة ولكنها خافت
من التهمة وقالت استاجره الان واصبر حتى يفتح الله بيننا ثم قالت

يا آبا طالب

بيان رؤياى خديجة الكبرى رضى الله عنها

يا آبا طالب انى استاجر كل اجير بعشرين دينارا فاستاجرت محمدا باضعاف
فرجع ابو طالب الى بيته فدعت خديجة غلامها ميسرة وهو رئيس العير
اى القافلة فقالت انى اريد ان ابعث معك محمدا الى الشام فانظر ان
لا تعصى له امرا ولا تخالف له رأيا ثم ارسلته مع ميسرة الى الشام ومعهما
تجار كثير وهو ابن خمس وعشرين سنة فلما خرجوا من منازلهم ارسل الله تعالى
غمامة بيضاء لتظل على رأس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حره وكانت
خديجة اوصت الى ميسرة اذا فارق من بيوت مكة بان يلبس على محمد عم
افضل الثياب ويركبه افره الدواب ففعل ما امر وكان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ينام على البعير والغمامة تظله والنسيم تروحه حتى وصل
العير الى صومعة بحيرا الراهب المشهور بالكرامة على الطريق فنزل عندها تحت شجرة
فخرج الراهب من صومعته ورأى العير والغمامة التى تظله ففزع
بذلك فقال ليس فى تحتها الا نبى او ولى فاتخذ ضيافة ودعا اهل العير
الى صومعته ليعرف ايهم صاحب تلك الكرامة فذهبوا باجمعهم وتركوا
رسول الله صلعم عند اثقالهم وامتعتهم لامانته وثقته فخرج الراهب
من صومعته ونظر نحو الشام ورأى الغمامة لم تزل من مكانها فسألهم
فقال هل بقى منكم احد عند اثقالكم وقالوا لا الا الشاب المعتمد عند
الاثقال لحفظها واعتماد صاحبها فقصد الراهب نحوه وجاء اليه ودنى
منه قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصافحه واخذ الراهب بيده
واتى به الى صومعته فلما قصد رسول الله صلعم فى المشى نظر الراهب
الى الغمامة فرآها تسير بحذائه فلما دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم صومعة الراهب وجلس على المائدة خرج الراهب ونظر الى الغمامة
فرآها واقفة على الباب ودخل فقال يا شاب الحسن من اى بلدة انت قال
من مكة قال ومن اى قبيلة انت قال من قريش قال ومن اى اصل قال من بنى

هاشم قال ما اسمك قال اسمي محمد فوقع عليه وقبل قدميه وبين عينيه
وقال لا اله الا الله محمد رسول الله وانا اشهد انك الذي ذكره الله تعالى
في التورية ثم قال الراهب ارني علامة واحدة تطمئن قلبي ويزداد يقيني
فقال ما هي قال تجرد ثيابك حتى ارى ما بين كتفيك فانه مهر نبوتك
وعلامة رسالتك فكشف عن كتفيه فرأى الراهب مهر نبوته فمسح وجهه
عليه وقبل قدميه قال يا زين القيمة ويا شافع الامة ويا رفيع الهمة
ويا كاشف الغمة ويا نبي الرحمة فاسلم وحسن اسلامه ثم مضوا حتى انتهوا
الى الشام فباع ميسرة متاعه وربح ربحا لم يربح مثله واتجر وفيه تجارة
كثيرة فكان يوما من الايام خرج رفيقه ابو بكر الصديق مع محمد
وميسرة الى عيد اليهود للنظارة فلما وصلوا الى مصلاهم دخل رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم في صومعتهم ونظر الى القناديل التي كانت معلقة
بالسلاسل فقطعت سلاسلها باجمعها فخاف اليهود وقالوا لرهبانهم
ما هذه العلامة التي ظهرت فقالوا في الجواب انا نجد في التورية ان محمدا نبي
آخر الزمان اذا حضر في عيد اليهود فظهرت هذه العلامة فلعله قد حضر
اليوم فطلبوه وقالوا لو وجدناه لقتلناه فلما سمع ابو بكر الصديق وميسرة
هذا القول منهم كتماه وتبادروا الرجوع الى مكة فالقى الله تعالى المحبة في
قلب ميسرة فلما رجعوا من سفرهم بنجران بفتح النون وسكون الجيم بينه وبين
مكة مسيرة سبعة ايام واراد ميسرة ان يرسل احدا الى السيدة النساء
وام المؤمنين خديجة الكبرى رضي الله تعالى عنها للتبشير كما هو عادته
بقدوم العير وعظم الربح وكثير التجارة وظهور الحالات من بحيرا الراهب
وايمانه وتقطع السلاسل وتظلل الغمامة البيضاء وما اشبه ذلك فقال
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا محمد لو ارسلتك بشيرا هل تقدر عليه
فقال نعم فاحضر ميسرة ناقة وزينها بانواع الحرير وكتب اليها كتابا وفصل

فيه الاخبار

فيه الاخبار في هذه السنة ثم ارسلها نحو مكة فبينما هو راكب ذات ليلة
فاخذ ابليس بزمام ناقته عليه الصلوة والسلام فعدل عن الطريق نحو
قبيلة لهم عداوة بالقريش ليهلكه صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله تعالى
جبرائيل على صورة آدمي فنفخ وضرب بجناحه حتى القى الى الحبشة او الى
ارض الهند واخذ بزمام بعيره وطوى الارض تحت قدمه واوصله الى مكة
والى هذا المعنى ذهب اكثر المفسرين في قوله تعالى ووجدك ضالا اي عن الطريق
فهدى اي هداك بارسال جبرائيل عليه السلام بقهر عدوك وارشاد
طريقك وايصال مطلوبك كما بيننا آنفا ثم جاء رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم الى خديجة الكبرى فبشرها بسلامة القافلة وكثرة ربحها
ووهبت مركبة له عليه السلام ثم جاء بعد الايام رئيس العير ميسرة فاخبر
الى سيدته خديجة الكبرى بما رأى في الطريق من تظلل الغمام وتملق
بحيرا الراهب وتفتش علامات النبوة ووجدان مهر النبوة وايمانه
وتقبيل قدميه وقوله لا اله الا الله محمد رسول الله انت نبي آخر الزمان
رحمة للعالمين اشفع لي واقبل ايماني اذا لم اصل الى زمانك وغير ذلك
من العجائب العجيبة وقعت ومن الغرائب الغريبة التي سنحت
والبركات التي ظهرت فتفكرت هذه الحالات والرؤيا التي لها وقعت
قبل فقالت لميسرة اكتم هذه الاخبار فانت حر واولادك احرار ووهبت لك
عشرة الاف دينار فاجعل رأس مالك واتجر كما فعلت لنفسك ثم قالت
لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم اذهب الى عمك ابي طالب وقل له يدعوك
خديجة الكبرى فليتعجل المجيء الينا بالغداة فذهب النبي صلى الله تعالى
الى عمه ابي طالب فاخبره بذلك ففزع ابو طالب من ذلك وقال
يا ابن اخي اخشى ان ترد ذلك علينا فبات تلك الليلة بالهم والحزن فلما اصبح
خرج ابو طالب اليها فقالت يا ابا طالب ما تريد من مال ابن اخيك الذي

بيان ارسال ميسرة الى خديجة الكبرى التبشير بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكراماته

حكاية خديجة الكبرى مع ابي طالب

حصل من الاجارة قال اريد ان ازوجه بذلك المال لانه قرة عيني واحب
الي من ولدي وابن اخي لابي وامي ومن كل الوجوه روحي في جسدي وتوصية ابي
فقالت يا ابا طالب ادخل على عمي ورقة بن نوفل فقل له متى لي من طريق
انها تزوج نفسها من ابن اخي محمد فقال لها ابو طالب يا سيدة القبايل
لا تستهزئي لو كانت امة لك لما تزوجت من ابن اخي وانت مطلوبة الملوك
ومنعمة الخلايق فالجميع متنعمون من فضلك والحجر وابا موالك فينا وبينك
بعد بعيد فكيف تكون بك كفا بما افضل الله عليك من الدولة التي لم تيسر
لاحد من قبائلك من جهة الغنا فهل يرضى عمك الى هذا ثم قالت يا ابا طالب لقد اراني الله
تعالى في الرؤيا كيفيات محمد وظهور نبوته وسلطانيته فانه سيكون
نبي الرحمة للعالمين وشفيع لامته في الدارين فانا جاريته وجاريتي وامتي
واموالي له فداء وارزاقي له غداء وروحي له روح وطيب عود وجودي له
فهو سبب عزتي في الدارين ووسيلة رحمتي عند رب العالمين فيا ابا
طالب فتحل على عمي ورقة واعلمه طلبي وذكره رؤيا التي اراني الله تعالى
وبشرني به ونقلتها اليه حين رؤيتها وعبرها بما قلتك واخبرني انك تكون زوجة
نبي اخر الزمان واسمه كذا وقبيلته كذا هذا ليس الا ابن اخيك محمد صلعم
فتحل في هذا الشان ففهم انها صادقة في قولها ومتنورة بنور النبوة
فقام ابو طالب مع عشرة من صناديد القريش على الفور فدخلوا على عمها
ورقة بن نوفل وهو اعلم العلماء في علم التورية والانجيل طيب النفس احلى
الكلام فاختلف العلماء في ان ورقة اكان مؤمنا صحابيا ام لا فالاصح
انه بلغ زمان النبوة واقر وآمن وقال له قبل النبوة لو كان لي قدرة
فانصرك وقومك اخرجوك من دارك هذا وانا عليل لكن لحبك وامنت
فلذا قيل ان ورقة قديم اسلامه ثم قال ابو طالب يا اعلم الرهبانيين
اني اتيتك لاسلم عليك واسئل خاطرك ولي مصلحة خيرية معلومة

انه وكيل وبن عمي الى ابن اخيك محمد نسخة

من الرؤيا التي اري الله بنت اخيك خديجة وهي تقبل يديك وكذلك
في التزويج لابن اخي محمد صلعم فقال نعم فنعم المصلحة هذه وهي مرضية آراه الله
تعالى ومراد هذا العبد الفقير وخديجة ولية نعمتي وابنتي وانا مستغرق
في نعمها ظاهرة وباطنة فهل رضيت بهذه الحال قال نعم ثم قال ورقة
يا معشر القريش اشهدوا اني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن
عبد الله على مهر كذا ففرح ابو طالب فرحا فاعطى ابو طالب له حلة ثم
ذهب ورقة الى خديجة وبشرها وبارك فقال يا ابنتي هل رضيت من هذا
فقالت يا عم هل يكون رجل افضل من محمد بن عبد الله حسبا ونسبا
وجمالا وكمالا قال نعم كذا ولكنه ليس له اموال كثيرة مثلك فقالت قد ربك
بعد ما قدر اغناه بمالي فمالي يسعك ويسعه ويسع القبائل كلها ثم
قال ارضيت بمحمد بن عبد الله بعلا لك قالت نعم قال الشيخ فرضيت
بذلك وطاب نفسي فدعي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالتيمن
والتبرك ودعي النبي ابا بكر الصديق وقال يا صديقي اريد ان تذهب
الى دار خديجة بعد الايام فقال ابو بكر رض حبا وكرامة ثم اتى ابو بكر
رض بدراعة مصرية وعمامة البسها رسول الله وذهب الى دار خديجة
ليلة الزفاف فاقامت ماة غلام على يمين وماة جواري في يد كل واحد
منهن طبق مملو من در وياقوت وزبرجد فلما حضر رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ليلة الزفاف نثر الغلمان والجواري ميمنة وميسرة كلها
على رأس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما هو العادة حينئذ بينهم
فاطعمت الصناديد بالوان الاطعمة واكرمت اياهم باصناف الانعمة
ثم دخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دارها الامانة ونال بهجتها ووجد
يقينها ومال زوجها وريحانها وجنة النعيم على سرر مرفوعة واكواب
موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة فرجع ابو بكر وساير

وهو ثوب مصري

الصنا ابدًا الى بيوتهم ثم قالت خديجة الكبرى يا قرة عيني ويا زين بيتي
ويا غرة بدري ويا ذروة شمسي ان جميع موالي وبديع اموالي من الصامت
والناطق والاحجار من الجواهر واللآلي والنامي والاشجار من الجواري
والعقار العالي والقصور والديار وسائر ما يطلق عليه الاموال من الدرا
والدينار والاماء والعبيد كلها لك وانا جارية لك وخدامي كله خدام
لك فلا تحزن ان الله معنا فلذا قال الله تعالى في كتابه العزيز ووجدك عائلا
فقيرا بالاموال فاغنى اي فاغناك بمال خديجة الكبرى رضي الله عنها
ويسر لنا الله تعالى شفاعتها العظمى يوم الجزاء الاحوفي وقيل ان خديجة
الكبرى عاشت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اربعة وعشرين سنة
وخمسة اشهر وثمانية ايام بخمسة عشر سنة قبل الوحي والباقي بعد الوحي
وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة
توله له منها سبعة اولاد ثلثة ذكور قاسم وطاهر ومطهر كلهم
ماتوا في الصغر واربع اناث فاطمة وزينب ورقية وام كلثوم فتزوج
فاطمة عليا وزينب ابي العاص بن الربيع وام كلثوم من عثمان بن عفان
فماتت هي ثم تزوجه رقية فلهذا اسمي عثمان ذي النورين رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين الفصل السادس في ابتداء ظهور النبوة كما قال الله تعالى
في سورة المائدة يا ايها الرسول نودي عليه السلام بعنوان الرسالة
تشريفا وايذانا بانها من موجبات الاتيان بما امر به من تبليغ ما اوحي
بلغ ما انزل اليك اي جميع ما انزل اليك من الاحكام الشرعية من اصولها
وفروعها وما يتعلق بها كائنا ما كان وفي قوله من ربك اي مالك امرك
ومبلغك الى كمالك اللايق بك ضمينة بحفظه عليه الصلوة والسلام
وكفايته هاديا ونصيرا او بلغه غير مراقب في ذلك احدا ولا خائف
عمايتالك مكروه من الكفار ابدا وان لم تفعل اي ما امرت به من تبليغ الجميع

بالمعنى

[illegible]

بالمعنى المذكور كما ينبئ عنه في قوله تعالى فما بلغت رسالته فان ما يتعلق به
الاحكام اصلا من الاسرار الخفية ليست مما يقصد تبليغه الى الناس او
فما بلغت شيئا من رسالته وانسلخت عما اتركت به من عنوان الرسالة التي
لم يتيسر لكل احد طالب وراغب الا ما اقتضته حكمة الخفية والجلية
بالمرة لما ان بعضها ليس اولى بالاداء من بعض فاذا لم يؤد بعضها فكانك
اغفلت ادائها جميعا فهذه الحالة لا تليق بك لانك امين بين الله وبين
الملئكة والناس والجن اجمعين وحبيبي من الازل الى الابد خلقتك
على خلق عظيم فهذا كمن لم يؤمن ببعضها كانه لم يؤمن بكلها واداء جملة
الاحكام في التبليغ كشيء واحد ولا ريب في ان الواحد لا يكون مبلغا
الا بكله ولان كتمان بعضها دون بعض اضاعة وانت امين عندي وعند
ملائكتي وكمن ترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة تنقص
بذلك وكانك ما بلغت منها شيئا اصلا كما في قوله تعالى فكانما قتل الناس
جميعا وقرئ فما بلغت رسالاتي وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان كتمت آية
لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثني الله
برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان تبلغ رسالاتي عذبتك
وضمن لي العصمة فقويت على الجد وذلك قوله تعالى والله يعصمك من الناس
فكانه كان تعالى عدة كريمة بعصمته من لحوق ضررهم بروحه العزيز
باعثة له عليه السلام على الجد في تحقيق ما امر به من التبليغ غير مكترث
بعداوتهم وكيدهم فانهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين
امهلهم رويدا فلا يامن مكر الله الا القوم الكافرين وعن انس رضي كان
النبي صلعم يحرس عند عمه ابي طالب ويلبس الدرع ولا يخرج الامع اربعين
وخمسين رجالا حتى نزلت هذه الاية فاخرج راسه من قبة فقال انصرفوا
يا ايها الناس فقد عصمني الله تعالى من الناس وقوله تعالى ان الله لا يهدي

القوم الكافرين تعليل لعصمته تعالى صلعم اى لا يمكنهم ما يريدون بك
من الاضرار وانواع الفساد فانهم يعملونه لانفسهم ويشاهدون ما يقابله
ويجزون بما يكافيهم واما ابتداء ظهور نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم فانه
كان مع خديجة الكبرى رضيها حتى مضى عليه من مولده اربعون سنة
فكان احب اليه الخلوة والعزلة من الناس ويأتي الى اجياد الاصغر وهو
موضع من جبل حراء ثم رجع الى خديجة فجاءه جبريل يوما من الايام فناداه
باعلى صوته فقال يا محمد من السماء فنظر صلى الله تعالى الى يمينه وشماله
من الاطراف من الجهات الست فلم ير شيئا ثم رفع رأسه الى السماء حتى
رأى جبريل في صورته جالسا على الكرسي بين السماء والارض فغشي
عليه فاحتمله ناس من قريش فاتوا به الى باب خديجة فلما افاق
قالت يا حبيبي ويا قرة عيني ما الذي اصابك قال سمعت صوتا فزعني
من ملك على الكرسي بين السماء والارض ونادى باسمي فانطلقت
الى عمها ورقة بن نوفل فكان عالما وقاطع الشبهة الصورتية والمعنوية
واخبرته عن حال محمد وشأنه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال لها اتعدي
عندي فقال يا بنتي فاذا اتاه آت فاكشفي رأسك فانه ان كان ملكا
يغيب عنك وان كان شيطانا فلا يغيب ففعلت كما امرني عمي
فغاب عني عند انكشاف رأسي ففرحت فلما استترت رأسها رجع
ايضا جبريل مرة اخرى ثم ذهب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى اجياد
الاصغر فجاء جبريل عليه السلام اليه في احسن صورة فقال يا محمد
قال لبيك قال قل اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
ثم قال قل الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك حتى فرغ من فاتحة
القرآن ثم قال ان الله يقرؤك السلام ويقول انت رسولي الى الجن
والانس ان تدعوهم الى قول لا اله الا الله محمد رسول الله فضرب جبريل

رجله

رجله بالارض فانبع بالنون اى ظهر وجرى عين من ماء وامره ان يتوضأ
وقام جبرائيل يصلي وامره ان يصلي معه فعلمه الوضوء والصلوة ثم قال جبريل
اقرأ يا رسول الله فقال صلى الله تعالى ما انا بقارئ فقال اقرأ باسم ربك
الذي خلق خلق الانسان من علق الى آخر السورة ثم عرج جبريل عليه السلام
الى السماء وخرج محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من اجياد الاصغر فلا يمر بحجر
ولا شجر ولا مدر الا وهو ينادي الصلوة والسلام عليك يا رسول الله
حتى اتى الى خديجة الكبرى رضي الله عنها فقال لها زمليني ودثريني
فزملته خديجة ودثرته اى غطته وسترته بثوب حتى ذهب عنه
الروع والفزع فنزلت هذه السورة مع جبريل عليه وقال يا ايها المدثر
اى المدثر والمتلفف بالدثار وهو ثوب فوق الشعار والشعار ما يلي
الجسد قيل هي اول سورة نزلت روى عن جابر رضي انه قال قال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله
نظرت عن يميني ويساري فلم ار شيئا فنظرت فاذا قاعد على عرش
بين السماء والارض يعني الملك ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت
دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر رواه البغوي وروى
عن الزهري وهو ابن شهاب الحافظ ان اول ما انزل سورة اقرأ الى قوله
تعالى ما لم يعلم فحزن صلى الله تعالى وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل
وقال انك نبي الله فرجع الى خديجة رضيها فقال دثروني وصبوا علي ماء
باردا فنزلت يا ايها المدثر قوله فحزن وجعل يعلو شواهق الجبال اى متحير
وضيق جسده لان تمام النبوة ابتداء وانتهاء امر صعب خاصة اذا كان
القوم مشركا اميا لم يعرفوا سوى الاصنام واللات والعزى وخاصة
اذا كانت خصماؤه من الاقارب اللديدة الشديدة فلم يسمعوا اذا تلا
ما انزل عليه ولم يروا ما صدر عنه من المعجزات لا حملوا على السحر

ولا اساطير كابي لهب وابي جهل وغيرهما وخاصة انه صلى الله تعالى عليه وسلم
نشأ فيهم مع ان صناديد القريش اخيل الخيلاء واشد الاشداء فلذا
تحير واضطر فيفعل ما فعل حين الاضطراب لينال ما ينال ويغبطه
الاولون والاخرون الى كونه سيد سادات الانبياء والمرسلين اذ بقدر
الكد تكتسب المعالي ويبتلى العبد على حسب دينه لقوله عليه الصلوة والسلام رواه ابن ماجه وقيل سمع من قريش
ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم
وان سمعوه اذوه وقيل كان نائما متدثرا وقيل المراد المدثر بلباس النبوة
والمعارف الالهية وفيه تجوز وقرئ المدثر على صيغة اسم المفعول
من دثره اى الذى دثر هذا الامر العظيم وفي حرف ابي المنذر بآيته المدثر
على الاهل قم من مضجعك قيام عزم وتصميم فانذر اى افعل الانذار
واحدثه فى قومك وعشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من
المؤمنين الموحدين واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين
جعلوا القرآن عضين بعمههم واهلاكهم بغتة من غير رأيك وخطورة
وامر من عند الله تعالى بكفاية جزائهم لشرف نبوتك وعزة ما ارسل
اليك من الكتاب العزيز من الحق العزيز تنزيل من حكيم عزيز الذى لا
يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فالمستهزؤن الذين جعلوه
عضين وافتراء من عضته اذا بهتته كما وقع فى الحديث لعن رسول الله
صلعم العاضهة والمستعضهة وعن عكرمة العضه بلسان القريش
السحر فلذا افسره بعض المفسرين بأن حملوا على الاسحار وانما جمع بجمع
السلامة تجبرا لما حذف والموصول بصلته صفة لهم ومبتداء خبره
ما بعده قيل كانوا خمسة نفر من اشرافهم الوليد بن مغيرة والعاص بن
وائل وعدى بن قيس وابو زمعة اسود بن يغوث والاسود بن عبد المطلب
فبالغوا فى ايذاء النبى صلعم فجاء جبريل بهذه الاية تبشيرا له ولاصحابه

قوله وفي حرف ابي المنذر اسم التفضيل منه

وقال

النبال الرامي

وقال يا رسول الله انى امرت ان اكفيهم باعطاء جزائهم وفاقا لما هم بادوا اذ
تعالوا ابناء استحقاقهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه
سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات
واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله فصارت
كالرحى ومات واشار الى انف حارث فامتخط قيحا فمات واشار الى الاسود
بن عبد يغوث وهو قاعد فى اصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب
وجهه بالشوك حتى مات والى عينى الاسود بن عبد المطلب فعمى بصره
كما دعى به عليه الصلوة والسلام قيل هذه الكفاية صادرت فى برهة
قليلة ونشر صلى الله تعالى عليه وسلم نزول هذه الاية العزيزة وبشر
اصحابه الكرام بتخلصهم عن ايذائهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وتيسرنا الله
شفاعتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم عن الكفر
والنفاق والرياء والسمعة لخلوصهم فى الايمان والاسلام بالاتقان وانذر
جميع الناس لانك ارسلت كافة للناس بشيرا ونذيرا كما ينبئ عنه قوله
وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وروى عن عبد الله بن عباس
وعن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما انهما قالا لما نزلت هذه الاية وانذر عشيرتك
الاقربين دعانى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا على ان الله تعالى
امرنى ان انذر عشيرتى الاقربين فضقت بذلك وعرفت انى متى اناديهم
بهذا الامر ارى منهم ما اكره فصمت عليها حتى جاءنى جبريل فقال يا محمد
ان لم تفعل ما تؤمر يعذبك ربك فاصنع لنا صاعا من طعام واجعل
عليها رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع لى بنى عبد المطلب حتى
ابلغهم ما امرت به ففعلت ما امرنى به ثم دعوتهم له وهم يومئذ اربعون
رجلا يزيدون رجلا او ينقصونه فيهم اعمامه ابو طالب وحمزة والعباس
وابو لهب فلما اجتمعوا دعانى بالطعام الذى صنعت فجئت به فلما وضعته

تناول رسول الله صلعم جذية من اللحم فنتفها باسنانه ثم القاها في نواحي
الصحفة ثم قال خذوا باسم الله فاكل القوم ما بقي لهم بشيء حاجة يعني
شبعوا فوق الشبع وفي رواية الشهاب فلما اجتمعوا قدم لهم الطعام وهي
الجذعة بفتح الجيم والذال المعجمة والعين المهملة وهي من البقر والغنم ما تم له
سنة وقيل انه في البقر ما دخل في السنة الثالثة والمراد الاولى اي اقل
ما يكفيهم وضع لهم مدا من طعام والمد بضم الميم والدال المشددة المهملة
عبارة عن رطل وثلثه عند اهل الحجاز وعبارة عن رطلين عند اهل
العراق وعند اهل الروم عبارة عن مقدار عشرين كيلا او وزنا فيجمع
على مدود كبدور وامداد كاعياب كذا صرحه اخترى وقال كلوا باسم الله
فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو اي لم ينقص منه شيء كانه ما اكل منه شيء
ثم دعا بعس بضم العين المهملة وتشديد السين المهملة وهو القدح
من خشب فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب فلما اراد ان يكلمهم قال
ابو لهب سحركم محمد فتفرقوا ولم يكلمهم فلما كان الغد فعل مثل ذلك فلما
اراد ان يكلمهم تفرقوا وفي الثالثة قال لهم يا بني عبد المطلب انه لم يجئكم احد
بافضل مما جئتكم به اني قد جئتكم بامر الدنيا والاخرة رواه البيهقي في
الدلائل وفي رواية البغوي اني قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة وقد امرني الله تعالى
ان ادعوكم اليه وفي رواية عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الاية
خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه
فقالوا من هذا فاجتمعوا اليه فقال ارايتم ان اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح
هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين
يدي عذاب شديد قال ابو لهب تبا لك ما جمعتنا الا لهذا ثم قال فنزلت
تبت يدا ابي لهب رواه البغوي في المعالم والقاضي عياض في الاكمال شرح مسلم
والشفاء ومن المعجزات الباهرة الدالة على حقية النبوة الظاهرة الجلية

ان

ان خالد بن زيد ابا ايوب الانصاري رضي الله تعالى عنه انه صنع لرسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ولابي بكر الصديق رض من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا
حتى تركوه ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا
حتى تركوه وما خرج منهم احد حتى اسلم وبايع اي التزموا على الجهاد والنصرة
على اعدائه فهذا في اول دخول المدينة رواه ابو الفضل القاضي ومن ذلك
حديث عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما انه قال كنا مع النبي صلى الله عليه
وسلم ثلاثين ومائة انه عجن صاع من طعام اي من دقيق وصنعت شاة فشوي
سواد بطنها اي كبدها قال وايم الله اي والله لا انه من الفاظ القسم كلعمر الله
ولعمرك ما من الثلاثين ومائة الا وقد حز له حزة من سواد بطنها اي قطع له
قطعة ثم جعل صلى الله تعالى عليه وسلم منها اي من لحم الشاة وما معه من الطعام
قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير رواه
البخاري ومسلم في الصحيحين ومن ذلك المعجزات الدالة على نبوته وصدق مقالته
صلى الله تعالى عليه وسلم ان سلمة بن الاكوع على وزن احمر وابا هريرة وعمر بن
الخطاب رضي الله تعالى عنهم ذكروا المخمصة اي جوعا شديدا اصابت الناس
مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا صلعم ببقية الازواد
جمع زاد فجاء الرجل بالحثية من الطعام بفتح الحاء المهملة وسكون الثاء
المثلثة وفي اخره ياء مثناة التحتية ما يصنع من التمر والدقيق والتمر
وهو طعام بينهم والمراد منها مقدار الكف وملؤه كما يؤيده قوله وفوق ذلك
اي الذي يدني ذلك حتى اذا كثرهم واعلاهم الذي ياتي بالصاع من التمر
فجمعه على نطع بكسر النون وفتح الطاء المهملة بساط من ادم اي وضع النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ما اجتمع من الازواد على بساط من ادم وجلد قال
سلمة بن الاكوع فحزرته كربضة العنز بفتح الحاء المهملة وفتح الزاء

المعجمة وسكون الراء فعرفته بطريق الحدس والتخمين وربضت من الربوض
وهو مقدار الجلوس للانسان والبروك للابل والجثوم للطير والخنزهنا
الاشى من المعز اى مقدار موضعه ثم دعى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
باوعيتهم فما بقى فى الجيش وعاء الا ملؤه وبقى منه اى كانهم لم يوخذ منه
مع ان العساكر شبعوا وملؤا اوعيتهم ولم ينقص منه شى اصلا رواه البخارى
ومثله ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله انه قال امرنى النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم ان ازود اربع ماة راكب من قبيلة احمس بفتح الهمزة والميم اسم رجل
ينسب اليه قبيلة معروفة والحماسة الشدة فى الشجاعة وفى رواية النعمان بن
مقرن من قبيلة مزينة قبيلة من مضر فقلت يا رسول الله ما هى الا اصوع
كالجمع جمع صاع وهى الف واربعون درهما قال الجوهرى رح وان شئت ابدلت
الواو همزة فقلت اصؤع وفى رواية آصع بمد الهمزة وضم الصاد قال بن قرقول
من الحفاظ وجاء كثير من الروايات آصع والصواب اصوع اى ليست عندى
التمر الا قليل مقدار الاصوع فلا تكفى بهذه العساكر قال النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم اذهب فذهبت فزودتهم منه اى اعطيتهم بما عندى من التمر
القليل فيكفيهم جميعا وكان قدر الفصيل الرابض اى مقدار ولد الناقة
فى الحجم عند الربوض وبقى بحاله فلم ينقص منه شى اصلا رواه ابو داود
فى كتاب الادب ومن المعجزات الظاهرة الدالة على النبوة ما روى عن ابى
هريرة انه قال رض اصاب الناس مخمصة فقال لى رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل من شى وفى رواية هل عندك شى قلت نعم شى من التمر فى المزود اى
فى وعاء الزاد قال فاتنى به فادخل يده فاخرج منه قبضة فبسطه ثم دعى
النبى صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة
كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ ما جئت به وادخل يدك
واقبض منه للاكل ولا تكبه اى ولا تقلبه فقبضت على اكثر مما جئت

فاكلت منه واطعمت اى اهلى واولادى واضيافى فى حيوة رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وحيوة ابى بكر وعمر رضى الله عنهما الى ان قتل عثمان رضى الله تعالى
عنهم فانتهب منى فى اثناء اهل الفتنة فذهب عنى عدم البركة وهى خمس وثلثون
سنة وفى رواية الترمذى وحملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق وهو
ستون صاعا فى سبيل الله رواه الترمذى فى سننه ومن المعجزات
ما روى عن انس بن مالك رض انه رايت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء بفتح الواو اسم
الماء مطلقا فلم يجدوه فاتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بوضوء
فوضع رسول الله صلعم فى ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤا منه
قال فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فيتوضؤا الناس حتى فرغوا من عند
آخرهم ورواه ايضا قتادة عن انس رض قال باناء فيه ماء يغمر اصابعه
او لا يكاد يغمر قال قتادة كم كنتم قال زهاء بضم الزاء المعجمة وفتح الهاء
الممدودة وآخره الهمزة اى مقدار ثلثمائة رواه مسلم رح ومنها
ما روى عن جابر انه قال عطش الناس يوم الحديبية بالتخفيف اسم بئر
ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديه ركوة بفتح الراء المهملة
وسكون الكاف وفتح الواو وآخره تاء وهى ذورة صغيرة فتوضا منها
واقبل الناس نحوه وقالوا يا رسول الله ليس عندنا ماء الا ما فى ركوتك
فوضع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يده فى الركوة فجعل الماء يفور اى
يرتفع مع الصوت من بين اصابعه كامثال العيون فقلت كم كنتم
قال لو كنا ماة الف لكفانا قال كنا خمس عشر ماة رواه البخارى وغيره
وروى عن جابر رض ايضا فى غزوة بواط قال لى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وانه لم يجد الا قطرة اى شيئا قليلا
من الماء فى عزلاء شجب بفتح العين المهملة وسكون الزاء المعجمة فلام

معجزات النبى

ممدودة فم المزادة الاسفل والشجب بالشين المعجمة المفتوحة وسكون الجيم
والباء ما بلي من القربة فاتي بها على صيغة المجهول رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فتغمزه وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال عليه الصلوة والسلام
ناد بجفنة الركب بفتح الجيم المفتوحة وسكون الفاء وفتح النون والتاء
وهي اكبر قصاع الاطعمة والركب اسم جمع او جمع راكب كالصحب فاتيت بها
اي الجفنة الى النبي صلى الله تعالى فوضعتها بين يديه م وذكر اي الجابر رض
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب
جابر عليه اي الماء وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسم الله كما امر قال
فرايت الماء يفور من بين اصابعه اي يظهر متغما مع الصوت كسائر [illegible]
ثم فارت الجفنة واستدارت اي ارتفع ماؤها ودارت فيها حتى امتلأت
وامر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الناس بالاستقاء اي باخذ الماء وطلب
السقي لانفسهم ودوابهم وغسلهم فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي
احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده من الجفنة
وهي ملأى على وزن عطشى رواه مسلم ويؤيد امره تعالى له باعلان نبوته
واعلان معجزته ولجهاده في اظهاره وتحمله بايذاء اعدائه وعصمة
ربه صلى الله تعالى في سورة المائدة بقوله تعالى يا ايها الرسول وانما خص
دون النبي اعلاما بانه صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب كتاب عزيز لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد والهام مزيد
على من جاء قبله من المرسلين فظهر الفرق بين الرسول والنبي فبينهما
عموم وخصوص مطلقا خاصة يؤذي بعنوان الرسالة تنبيها بنباهة آيته
الجلية وتكريما مخصا له العلية بانها من موجبات الاتيان بما امر به
من تبليغ احكامه بانواع المجاهدة الخارجة من وسع سائر الانبياء
والمرسلين فلذا رفع عيسى عليه السلام وامر موسى عليه السلام بذهاب

بحث انواع كرامات الله تعالى على سيد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين

قومه

قومه الى البحر قلزم وامر نوح بركوب السفينة وشهد كثيرون في ايدي
الكفار كما قال الله تعالى ويقتلون الانبياء بغير حق وان كانوا منصورين
في اكثر احوالهم واوفر اوقاتهم على الانبياء عليهم الصلوات مبنيا على الامور
الالهية ولم يؤمروا بالقتال والحروب والجدال فنبينا صلى الله تعالى
باكمل الصلوات عليه وعليهم امر بالسيف والمحاربة والجنح والمصالحة
مع ان معجزاته اكثر واجابة ادعيته اوفر وبليته اشد ولحب كما كان في غزوة
احد فلا يطيق عليه فرد واحد غيره انه صلعم لو دعى عليهم وقت ذلك لهلكوا
جميعا فلم يدع عليهم كما دعى نوح وموسى وغيرهما صلوات الله وسلامه
على نبينا وعليهم واخبره جبريل بما قال الله له من تسخير السموات والارضين
من الغرق والحرق بالرعد وانواع الانتقام واصناف الانتظام من البلايا
القضايا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما بعثت لعانا وانما بعثت رحمة
اللهم اصلح قومي فانهم لا يعلمون وفي رواية لا يفقهون على ما رواه
ابو الفضل في الشفاء فهل هذا الا ثمرة كونه سيد الانبياء بحيث تحمل
بلا يتحمله احد الا هو وشجيع الانبياء بحيث امر بالمقاتلة مع ان سيف
الانبياء دعاؤهم فهي مستجاب لهم فلا حاجة الى هذا الامر قلنا صلوات الله
وسلامه على نبينا وعليهم وآله وآلهم واصحابه واصحابهم اجمعين فمن المجاهدة
ليست من وسع اخص الخواص فضلا عن سائر البشر بلغ ما انزل اليك
من جميع ما ارسل عليك من الاحكام الشرعية وما يتعلق بها كائنا ما كان
وفي قوله تعالى من ربك اي من مالك امرك ومبلغك الى كمالك اللائق بك
عدة كريمة وعصمة ضمينة بالحفظ اثناء الابلاغ عما يخاف من شر شرود
الكفرة و[illegible] اي بلغه غير مراقب في ذلك باعانة احد ولا اعانة [illegible]
في كل احد يطلب اعانتك ونصرتك لقوة الايمان وثبوت الاذعان منه
في التبليغ منك باذني والهداية مني لتنفيذك وانت منصور في الدين ولا تخف

بحث [illegible] لا تحصى [illegible]

ان ينالك بمكروه من الكونين فانك باعيننا وعصمتنا وفي هذا تحريض
المؤمنين على الجهاد والدعوة الى الايمان وترغيب الى الاحسان وان لم
تفعل ما امرت به من تبليغ الجميع بالمعنى المذكور ولو كان ذرة ودرة
كما يخبر قوله تعالى فما بلغت رسالته فان ما لا تتعلق به الاحكام صلاة
من الاسرار الخفية والقوى القدسية الجلية المخصوصة بجنابه العلية
بينه وبين ربه العالم الغيب والشهادة ليست مما يقصد تبليغه والحكمة
تفهيمه وتعليمه اى فما بلغت شيئا من رسالته ونصلحت مما ارسلت
من الوصاية ولو مرة لما ان بعضها ليس اولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد
بعضها فكانك لم تبلغها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن
جميعا لان كلها في حكم واحد كالعضو الواحد وكترك بعض الصلوة
وغرض الدعوة ينتقض بذلك لانه يشتمل على الكل اشتماله على الاجزاء
فلا يتصور الكلية الا بها او قيل ما بلغت شيئا منها كما في قوله تعالى
فكانما قتل الناس جميعا حيث ان كتمان الكل والبعض سواء وروى
عن مسروق وروى عن عايشة الصديقة بنت ابي بكر الصديق الاكبر
رضي الله عنهما وعن ابيهما وامهما ولخواتهما انها قالت سمي مسروقا لكونه
سرق في صغره ثم وجد فلذا سمي به مشتهرا على اسمه الذي سماه ابوهما
في تولده بعد سبعة ايام على رواية انه قال قالت عايشة الصديقة
رضيها من حدثك يا رسول الله ان محمدا كتم شيئا مما انزل الله فقد كذب
فروى عن الحسن رضي انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان الله تعالى بعثني بالرسالة فضقت بها ذرعا وعرفت ان الناس مكذبي
فاوعدني فيها لابلغنها او ليعذبني رواه الامام الواحدي في تفسيره
الوسيط وقال ابن الانباري في تفسير هذه الاية كان النبي صلعم يجاهر
ببعض القرآن ايام كان بمكة ويخفي بعضه اشفاقا على نفسه من تسرع

المشركين

المشركين اليه وهجومهم عليه وعلى اصحابه واتباعه فلما اعزه الله تعالى بانواع
نصرته واصناف انصاره فامره بالتبليغ واعلمه عصمته ثم شجعه نفوسه
وامنه عن خوف المشركين مما يقصدونه كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال لم شجع الله تعالى نبيه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وجعله امينا عن جور
المشركين ومكر المنافقين مما كانوا يقصدون به فقال تقوية له واطمينانا
لما عليه من خوف قصدهم بنفسه وآله واصحابه والله يعصمك من الناس
فانه كما ترى عدة كريمة والطاف جميلة بعصمته من شرور الشرير
ومن ضرور الضرير بوجود العزيز الباعث عن المجاهرة في التحقيق ما
امر به من التبليغ وروى عن انس رض انه قال كان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يحرس ويحفظ عمه ابو طالب عبد مناف مع بني هاشم حتى نزلت
هذه الاية فاخرج رأسه من قبة آدم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله
تعالى من الناس رواه البغوي فان قيل اليس قد شج رأسه وكسرت رباعيته
واوذي بانواع الاذى فما معنى العصمة قلنا ان هذه الاشياء التي وقعت
قبل نزول الاية لان سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن صرحه البغوي
واما بعدها فما وقعت اصلا او ان العصمة من القتل فلا يوصل اليه وان هجم
عليك كفار المشارق والمغارب فلما امر صلى الله تعالى عليه وسلم بالجهاد
والمحاربة فمن لوازمه هذه لتكون سنة لامته ممن يجتنبه مع سنته
لان اشد البلاء على الانبياء ثم على الاولياء ثم الامثل فالامثل اى الاشبه
حاله وحركته وديانته وتقواه بتقويهم او نقول معنى يعصمك يخصك
بالعصمة بين الناس لان الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم معصومون
بين الناس فالجواب الاصح الشافي هو الاول ويؤيده ما روى عن ابن عباس
رضيهما انه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس عند عمه عبد مناف
ابن طالب وكان يرسل عمه ابو طالب معه كل يوم رجالا من بني هاشم

اربعين وخمسين او زيادة او نقصانا على ما اقتصصناه حتى نزلت عليه من
الاية فاراد عمه ان يرسل معه من يحرسه من بعدهم فقال يا عماه ان الله تعالى
قد عصمني من الجن والانس وما روى عن ابي هريرة رض ان الاعرابي سل
سيفه وقال من يمنعك مني يا محمد قال النبي صلعم الله فرعدت يد الاعرابي
وسقط السيف من يده وجعل يضرب براسه الشجرة حتى انتثر دماغه
فانزل الله هذه وما روى عن ابي سلمة بن عبد الرحمن ان جابر بن عبد الله
رضي الله عنهما اخبره انه غزى مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل نجد
فلما قفل اي رجع رسول الله قفل معه فادركتهم القايلة في واد كثير العضاه
اي الشوكة فنزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون
بالشجر فنزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحت سمرة وهي شجرة عظيمة
ذو شوكة وعلق بها سيفه ونمنا نومة فاذا رسول الله صلعم يدعونا واذا
عنده اعرابي فقال ان هذا اخترط اي سل سيفي وانا نايم فاستيقظت
وهو في يده صلتا اي خارجا عن الغلاف سلا فقال من يمنعك مني
فقلت الله ثلاثا ولم يعاقبه وجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رواه
البغوي في المعالم رح ان الله لا يهدي القوم الكافرين تعليل لعصمته تعالى اياه
اي لا يمكنهم مما يريدون بك من الاضرار والافساد واطفاء دين الله الذي
ارسله بك مع انه تعالى يريد ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين
واراد الاية الكريمة في حق اهل الكتاب لما ان الكل قوارع تسوء الكفار
سماعها وتشق على الرسول مشافهتهم وخصوصا ما يتلوها من النص الناعي
عليهم لكمال ضلالتهم وشدة انهماكهم في عماياتهم فاعرض عنهم وعن
اذى من يضلل الله فلا هادي لهم ويذرهم في طغيانهم يعمهون وروى عن
عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما انه قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال صلى الله تعالى عليه وسلم يا اعرابي

اين تريد قال الى اهلي قال النبي هل لك الى خير قال وما هو قال النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله قال الاعرابي من يشهد لك على ما تقول قال عليه الصلوة والسلام
هذه الشجرة السمرة بفتح السين وضم الميم وفتح الراء المهملة والتاء في آخره
وهي شجرة عظيمة ذات الشوكة الكثيرة وهي بشاطي الوادي فادعها فانها
تجيبك قال فدعوتها فاقبلت تخد الارض اي تشقها فقامت بين يديه
فاستشهدها ثلاثا اي طلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الشهادة عن تلك
الشجرة ثلاث مرات فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها رواه محمد وابو الفضل
في كتاب الشفاء رح وروى عن بريدة بضم الباء الموحدة وفتح الراء المهملة
وسكون الياء المثناة التحتية تصغير برد وهو ابو عبد الله بن الحصيب
وهو صحابي اسلم قبل بدر وحضر الحديبية وعمر الى ايام معاوية ومات بمرو
خراسان غازيا سنة اثنين وثلاث وستين من الهجرة رضي الله عنه قال سال
اعرابي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم آية اي علامة تدل على النبوة فقال
النبي صلى الله عليه وسلم له قل لتلك الشجرة رسول الله صلعم يدعوك قال
اي الراوي فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت
عروقها ثم جاءت تخد الارض اي تشقها تجر عروقها مغبرة اي مسرعة
حتى وقفت بين يدي رسول الله صلعم فقالت السلام عليك يا رسول الله
قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت اي دخلت الى الارض
عروقها فاستوت فقال الاعرابي ايذن لي اسجد لك بالجزم جوابا للامر
قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لو امرت احدا ان يسجد لزوجها قال الاعرابي
فأذن لي اقبل بالجزم جوابا يديك ورجليك فاذن له رواه ابو الفضل
القاضي عياض رح وروى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما انه قال ذهب
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به

اى يطلب السترة به فاذا شجرتين بشاطئ الوادى فانطلق رسول الله صلعم
الى احديهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادى على باذن الله اى
بارادته ومشيته فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع اى
يطيع ويلاين قائده رواه مسلم قوله المخشوش اسم المفعول من خش خشا
وهو الذى يوضع على انف البعير الذى لا ينقاد صاحبه وقائده ان كان
من خشب يقال له خشاش بكسر الخاء المعجمة والشين المفتوحة الممدودة
وآخره شين وان كان مفتولا من وبر ونحوه فهو خزام وان كان من نحاس
او حديد من المعدنيات فهو برة كما قال الخطابى وبهذا علمت موقع قوله
المخشوش والخشاش ماخوذ بمعنى خش ودخل لادخاله فى الانف
وروى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما انه قال فقال النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم لى قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم الحقى بصاحبتك من الشجرة الاخرى التى تصاحبك فى هذا الوادى
والمحل حتى اجلس خلفكما لقضاء الحاجة مستترا بكما فذهبت نحوها
وقلت لها بما امرنى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ففعلت ما اراده
عليه الصلوة والسلام فرجعت حتى لحقت بصاحبتها من الشجرة الاخرى
والتأمت بها فجلس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لقضاء الحاجة خلفهما
فقال جابر بن عبد الله رض فخرجت من ذلك المكان الذى جلس فيه
لئلا يتاذى منى احضر وابن احضر نفس المتكلم اى اسرع فى العدو
والتباعد يقال حضر حضرا بضم الحاء بمعنى العدو والتجاوز ويقال
حضر حضورا ضد الغائب فهذا من الحضر لا من الحضور كما يقال عدى يعدو
فان كان المصدر عدوا بفتح العين وسكون الدال يكون بمعنى تجاوز وان كان
المصدر عدوا بفتح العين وضم الدال وتشديد الواو ويكون بمعنى خاصم
واظهر العداوة هكذا فى كتب اللغة وجلست فى مكان بعيد عنهما اجلسه

النبى

النبى صلى الله عليه وسلم احدث نفسى حديث النفس من تأدبى وتفكرى عن آيته
من استماع الشجرة مقال النبى من امره وبمعجزته عليه الصلوة والسلام وتاثيره فى قوله
مع ان الاستماع ليس حال كل من يسمع فضلا عما ليس له سماع فهذه اضعاف المعجز
فالتفت اى حولت وجهى مع هذه الافكار اللائقة والاراء الفائقة فاذا رسول الله
صلعم جاء فى مفاجئا مقبلا من الاقبال حال مؤكدة والشجرتان قد افترقتا وعادت
الى مكانهما فقامت كل واحدة منهما على ساق مفارقة عن صاحبتها فوقف رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وقفة ونظر بسيرها الى مكانهما اطاعة وكرامة له
عليه الصلوة والسلام من الله تعالى حيث سخر له الاشجار والاحجار والموجودات
كلها طرا فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم براسه اى حركه واومى به هكذا
يمينا وشمالا رواه الامام مسلم فى صحيحه كما نبين قوله تعالى فى سورة الاعراف
قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا حال من الضمير فى اليكم لما حكى
ما فى الكتابين من التورية والانجيل بقوله الذين يتبعون الرسول النبى
الامى بضم الهمزة وانما نسبه الى الام كانه باق على حالته التى ولد عليها من
امه ولم يتعلم من ولد آدم وانما علمه الله تعالى علوم الاولين والاخرين بحيث
يتعلم الناس بين الشرق والغرب ولم يقفوا على مراده صلى الله تعالى عليه وسلم
الذى يجدونه مكتوبا باسمه ونعوته بحيث لا يشكون انه هو فلذا عدل
ان يقال يجدون اسمه ووصفه عندهم وانما زيد هذا لزيادة التقرير
وانما شانه وذاته معهم حاضر عندهم لا يغيب عنهم اصلا فى التورية والانجيل
الذين تعبد بهما بنو اسرائيل سابقا ولاحقا والظرف ان متعلقا بيجدونه
او مكتوبا وذكر الانجيل قبل نزوله من قبيل ما اخبر فيه من ذكر النبى وقرآن كريم
قبل مجيئهما الذى له ملك السموات والارض منصوب ومرفوع على المدح ومجرور
على انه صفة للجلالة وان حيل بينهما بما هو متعلق بما اضيف اليه فانه فى حكم
المتقدم عليه وقوله تعالى لا اله الا هو بيان لما قبله فان من ملك العالم

بحث اخبار الانبياء بوصف النبى صلى الله عليه وسلم ويعرفونه

كان هو لا اله غيره وقوله تعالى يحيى ويميت لزيادة تقرير الوهيته والفاء
في قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله التفريع الامر على ما تمهد وتقرير من رسالته
عليه الصلوة والسلام واراد نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم بعنوان الرسالة
على طريقة الالتفات الى الغيبة للمبالغة في ايجاب الامتثال بامره ووصفه
الرسول بقوله النبي الامي لمدحه بهما ولزيادة تقرير امره وتحقيق
انه صلعم المكتوب في الكتابين من التورية والانجيل ووصفه بقوله تعالى
الذي يؤمن بالله وكلماته اي ما انزل اليه والى سائر الرسل والانبياء عليهم
الصلوة والسلام من كتبه ووجه لحمل اهل الكتابين على الامتثال بما امروا
والتصريح بايمانه بالله تعالى للتنبيه على ان الايمان به تعالى لا ينفك عن
الايمان بكلماته ولا يتحقق الا به وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن
تنبيها على ان المأمور به هو الايمان به من حيث انزل عليه القرآن لا من
حيثية اخرى من الخوف من سيفه وكثرة عطاياه او على ان المراد بها
هو عيسى عليه السلام تعريضا باليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم
يعتد بايمانه واتبعوه اي في كل ما يأتي وما يبين من امور الدين الالهي
بوسيلة رسوله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بحيث يرضى به صاحبه يعني
نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم لعلكم تهتدون علة للفعلين او حال من فاعليهما
اي لكي تجدوا الهداية الموصلة الى المطالب المطلوبات العلية والدرجات
الجلية الصورية والمعنوية للحكمة الخفية وانما فسر لكي تجدوا ليدل
ويومي بان فيه مجازا اوليا اذ حقيقة الرجاء في حق الموجودات عامة وخاصة
وليس براج مع انه من الامثال الى الا قرآن فليس كمثله شيء كالرحمة فانها
صفة له تعالى على طريق المجاز لانها رقة القلب فالله منزه عنها فالمراد بهما
ذكر الملزوم وارادة اللازم كما يبين في محله ورجحنا له وفي تعليقه
ايذان بان من صدقه ولم يتبعه بالتزام احكام شريعته فهو بمعزل

من الاهتداء

من الاهتداء ومستمر على الغي والضلالة لانه وعد بظهر عن اثر بالوفاء وروى
عن ابن فورك بضم الفاء وسكون الواو وفتح الراء المهملة من حفاظ الاحاديث
ثقة جليل القدر من التابعين ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سار في غزوة
الطائف اسم بلدة دفن فيها ابن عباس رضي الله عنهما كثيرة الثمار والمياه وانما سميت
بالطائف لانها قطعة من ارض فلسطين كما في الحديث فلما دعى ابراهيم
خليل الرحمن الى الله تعالى حين بنى الكعبة الحرام قياما للناس فامر الله تعالى
جبرئيل صلوات الله على نبينا وعليهم ان يقطع قطعة من ارض فلسطين وهو الشام
واطرافها فقلعت فاحتملت على جناحيه فطافت البيت معها ثم وضعها
محلها فسميت طائفا لطوافها البيت الحرام ليلا وهو صلى الله تعالى عليه وسلم
راكب على وزن كسل وهو قريب من النعاس وذكر في فقه اللغة مراتب النوم
احد عشرة نوم اوله النعاس والثاني الوسن ثم الترنيق ثم الكرى والغمض
ثم التغفين ثم الاغضاء ثم التهويم ثم الغرار ثم التهجاج يعني انه صلى الله
تعالى عليه وسلم نعس وهو سائر على دابته بحيث لا يرى ما في طريقه فاعترضته
سدرة بكسر السين وسكون الدال وفتح الراء المهملة وآخره تاء فوقية مثناة
اي وقعت امامه اتفاقا شجرة عظيمة على طريقه اتت دابته لها بحيث
كادت تمنعه عن المرور لسدها طريقه والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في نومه
ووسنه لم يعدل عنها الطريق آخر فانفرجت له نصفين اي انشقت
وتباعد بعضها عن بعض بحيث صار بينهما فرجة يمر فيها الراكب مع الدابة
حتى جاوز وصار بينهما بعد الانفراج بين النصفين وبقيت تلك الشجرة
المنشقة على ساقين قائمة الى وقتنا اي الى زمن ابن فورك وهي اي الشجرة
المنشقة هناك اي في الارض التي فيها من الطائف معروف معظمة ومحترمة
لانها من آثار معجزاته رواه ابو الفضل رح وروى عن انس بن مالك رضي ان جبرئيل
عليه السلام قال النبي منصوب على نزع الخافض اي للنبي صلى الله عليه وسلم

مه منشأ بلدة الطائف ووجه التسمية بها

وراه حزينا جملة حالية اى وقد رأى جبريل اياه محزونا ومغموما لعدم اطاعة
قومه له فى اول البعثة عرض نفسه على القبائل تحب ان اريك آية مقول قول
جبريل عليه السلام له معجزة تزيل حزنك لان الجماد اذا اطاع دعوتك مع
عدم الاستعداد فاطاعة ذوى العقول والاستعداد اولى واحق بالقرار
تعالى ولكن فى تاخيره حكم خفية واسرار الهية قال النبى صلى الله عليه وسلم
نعم ان احب ذلك ليزول حزنى ولا علم ان الله تعالى سينصرنى ويلين قلوب
قومى حتى اجابوا الى دعوتى فنظر رسول الله صلى الله تعالى الى الشجرة من وراء
الوادى الذى كان فيه مع جبريل فقال جبريل له صلى الله تعالى عليه وسلم
ادع تلك الشجرة اى مرها بان تاتى اليك ولم يدعها جبريل ليكون معجزة
للنبى صلعم فامر النبى لها بالاتيان فجاءت تمشى تلك الشجرة مع عروقها
واغصانها حتى قامت بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم بمكان قريب منه
ثم قال جبريل عليه السلام مرها فلترجع الى مكانها الذى كانت فيه فامرها
فعادت الى مكانها رواه الامام البيهقى وابن ماجه والدارمى وجلال
السيوطى رحمهم وروى عن على وجابر مثل هذه الرواية ولم يذكر فيها جبريل
وكلامه وانما الذى فيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اللهم ارنى آية
اى معجزة ملزمة لمن رأيها دالة على انى مستجاب الدعوة ومنفذ البلاغ
قال صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الامر بالاتيان الى تلك الشجرة ولا طاعة
والعودة الى مكانها لا ابالى من كذبنى بعدها فانها معجزة قطعية لا ينبغى
انكارها وجحدها الا عنادا او لا ابالى بمعنى لا اعتد ولا التفت الى خالفها
رواه ابو الفضل القاضى عياض وجلال السيوطى لان الامام السيوطى
قال لم اجده عن على وانما هو جابر رضيهما وروى عن ابى مالك الاشعرى
انه قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اجاركم اى انقذكم وخلصكم
من ثلث خلال اى خصال تعظيما وتكريما لنبيكم ان لا يدعو عليكم نبيكم

بسبب

بسبب كفر بعضكم فيهلكوا جميعا كما دعى نوح عليه السلام على قومه فقال
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا او دعى موسى عليه السلام على قومه
ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم
فهلكوا واغرقوا جميعا وان لا يظهر اهل الباطل يعنى اهل الشرك وان كثرت
انصاره واعوانه على اهل الحق يعنى على اهل الاسلام بحيث يمحقه ويطفئ
نوره وان لا يجتمعوا على ضلالة اى لا يتفقوا على شىء باطل وهذا يدل على
ان اجماع الامة من الادلة وفيه رد على الروافض فانهم لا يعتبرونه رواه
الامام البغوى فى المصابيح وروى عن سعد رضى الله تعالى عنه انه قال مر النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم بمسجد بنى معاوية قيل هو بالمدينة وبنو معاوية بطن
من الانصار دخل فركع اى صلى مجازا بذكر الجزء وارادة الكل كما فى قوله
تعالى واركعوا مع الراكعين اى صلوا مع المصلين وفى الآية دلالة على وجوب
الحضور الى الجماعة لان الركوع معهم يكون فى حال المشاركة مع الراكعين
فى الركوع فالآية دلت على الامر باقامة الصلوة بالجماعة كما ذهب اليه
الامام الاعظم رح كذا فى شرح التأويلات بخلاف ما ذهب اليه الامامان
من السنة المؤكدة حيث يجيبان له بانه نزلت فى اليهود لانه لم يكن
فى صلوتهم ركوع فذكر ما اختص بشريعة الاسلام من الاجتماع والاتفاق
كانهم نفوس واحدة كذا صرحه الامام الواحدى فى تفسير هذه الآية
للمنع عما كانوا عليه من عادة الانفراد فيكفى كونها سنة مؤكدة يمنع عن
الاعتياد بتركها وفيه سؤال وهو اذا كان المراد بالركوع تمام الصلوة
يلزم التكرار بالامر اذ امر اولا واقيموا الصلوة والجواب انه امر بالصلوة اولا
وبجماعتها ثانيا ردا عما يفعله اليهود وذهب الى هذا السنية الامام
الشافعى فلذا قال القاضى البيضاوى فى تفسيره اى فى جماعتهم اشارة
الى ما ذكره بخلاف ما عليه احمد بن حنبل فانها فرض عين فى مذهبه لشدة لا لا

عن ظاهر الآية فيه ركعتين ان صلى في مسجد بني معاوية ركعتين وصلينا
معه صلى الله عليه وسلم ودعى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ربه بعد صلوة
طويلا اي طول في دعائه طويلا هذا على الحقيقة ويجوز مجازا من غير فعله
ثم انصرف اي رجع فقال متوجها علينا او تبشيرا الينا سئلت ربي ثلاثا اي
ثلاثة اشياء لامتي وجماعتي فاعطاني اثنين اكراما علي وامتي لذاتي ومنعني
واحدة لحكمة الخفية على الامم الخيرية تماما اول ما رجيت وسئلت عن ربي
ومولاي ان لا يهلك امتي بالسنة والقحط والغلاء حيث اهلكت بها الامم
السالفة فاعطانيها اي اعطاني الله تعالى بلطفه وكرمه تلك المسئلة
المطلوبة واجاب دعائي وثانيا ثاني ما رضيت باجابته وسئلت ان لا يهلك
امتي بالغرق العام الشامل لجميع الامة كما فعل بقوم نوح وقوم فرعون فاعطا
على مرامي وسرني في كل حالي فالحمد لله في كل حالي ومالي باجابة دعائي واما
ثالث ما رجيت وسئلته ان لا يجعل بأسهم بينهم بالشدة والحرب فمنعنيها
رواه البغوي في المصابيح وفي هذين من المعجزات الدالة على صدق النبوة
حيث اخبر حال امته مما يكون يوم القيمة وبقائها اليها وعدم تغلب الكفرة
والغرق وما اشبه ذلك وروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كنا
ناكل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه رواه
الترمذي قوله تسبيحه اي قوله سبحان الله وهذا مما يستانس به لان معنى
قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده تسبيح حقيقي بلسان القال لا بلسان
الحال كما ذهب اليه الزمخشري وانه يشهد له تذييله ولكن لا تفقهون
وفي قوله كنا الخ دليل على تكرره وانه وقع مرارا عديدا وكرارا مديدا وهذه
معجزات للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامة لاصحابه رضيهم اذ سمعوا ما لم
يسمعه غيرهم وهذه المعجزات اعظم من فهم منطق الطير لسليمان عليه
السلام وقد ذكر الامام السيوطي رح في كتاب الدر المنثور ان كل شيء

من المخلوقات يسبح حتى الكلب والحمار فلذا يلزم الاستعاذة حين الاستماع
نهاقها اذ رايا الشيطان نباح ونهيق وروى عن علي بن ابي طالب رضه انه قال
كنا بمكة مع رسول الله صلعم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبلته شجرة ولا
جبل الا قال له السلام عليك يا رسول الله رواه الترمذي والدارمي رح
قوله الا قال له هذا الظاهر بان الله تعالى خلق لهن حيوة ونطقا كما يؤيد ما
روى عن جابر بن عبد الله رضيهما انه قال لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم
يمر بحجر ولا شجر الا سجد له رواه الامام البيهقي رح قوله الا سجد له فهذه سجدة
التحية والتعظيم كما في قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا بسجدة
التكريم والتعظيم لا بسجدة العبادة لانها لا تجوز لغير الله تعالى كسجود الملئكة
لادم عليه الصلوة والسلام فلذا استكبر ابليس وتكبر عليه بقوله حكاية
عنه في النظم الجليل انا خير منه والتحية من الادنى الى الاعلى او الامثل
فكان من الكافرين فسجدة التحية ثابتة في الشرائع السالفة ومنسوخة
في شريعتنا وبدلها فينا اعطاء التحية والسلام مع انواع التعظيم من الاستقبال
والقيام والاقامة الى المقام موافقة لعرف البلادة التي لا تخالفها
الشريعة كرفع اليد على الصدر مشعرا للاكرام ومزيدا في الاحترام اذ
المؤمنون اخوة فيجب تعظيم المؤمن للمؤمن للجهة الجامعة من الايمان والاسلام
والتعاون في السفر والحضر امتثالا لامر الله تعالى بقوله تعالى وتعاونوا على البر
والتقوى وذلك لا يوجد الا بالموافقة والمطابقة في كل الايام والاعوام
والدهور والشهور في المذهب والمشرب واذا ترك عرف البلادة خاصة
للعلماء المخلصين من القيام ونحوه فيحصل شينان الايذاء والاستحقار وما
يولد منهما فكل منهما حرام مع ان استحقار المؤمن او العالم كفر قال في
قاضيخان رح من استحقر عالما فقد كفر لان المؤمن ما دام متصفا بالايمان
فتعظيمه واجب لان التعظيم له باتصافه به فاذا اتصف به فلا ترفا

التعظيم لان الاكرام بدخول الجنة والدرجات انما هو بالذات باعتبار الصفات
فلذا وجب لاستحقار للكفار في الدنيا بالضرب والحرب وفي العقبى بادخال
النار وانواع العذاب وان كان اجسامهم ملبوسة ومزينة وجسيمة وقوية
لانعدام ما يكرم به ومن الله التوفيق وروى عن انس بن مالك رضى الله عنه
قال صعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف
اي زلزل وتحرك بهم فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اثبت احد اي يا احد
فانما عليك نبي وصديق وشهيدان رواه البخاري والترمذي واحمد وابن
ماجه قوله فرجف بهم اي اضطرب وارتعد جبل احد بهيبة النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وخلق الله الخوف والحيوة ففهم خطابه بقوله اثبت
احد اي يا احد فحذف حرف النداء للقرينة الحالية كما في قوله تعالى
يوسف اعرض عن هذا فسكنت حيث سمعت فهذه معجزة النبوة حيث
سخرت له الاشياء والاشجار والاحجار صلى الله تعالى عليه وسلم وروى
عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اني لا
اعرف حجرا بمكة كان يسلم على رواه مسلم في صحيحه قيل انه الحجر الاسود
وقيل انه الحجر المتكلم وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال ان النبي صلى الله تعالى
قرا على المنبر وما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته ثم قال
النبي صلعم يمجد الجبار نفسه اي ينزهه ويقدسه عن الشريك انا الجبار
انا الجبار على وزن المبالغة من غير الة الجرح وهو القاهر فوق عباده
والموجودات مسخرة مطيعة لامره تعالى بقوله كن فيكون انا الكبير المتعال
بكسر اللام صفة الكبير بحذف الياء اكتفاء بالكسر فرجف المنبر اي تحرك
واضطرب بهيبته صلعم حتى قلنا انه ليخرن عنه رواه مسلم والنسائي
اي ليقع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من شدة اضطراب المنبر على من في المسجد
ويسقط عليهم وهذا وما قبله من الحديث من معجزاته الدالة على كمال النبوة

حين خطب على المنبر [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم

وتسخير

وتسخير الله تعالى الاشياء كلها له صلى الله عليه وسلم من نطق الجبل وفهم
المنبر كلامه وثبوته بعده وهو محل الاستشهاد وعن ابن عباس رضى الله عنهما
كان حول البيت قبل الفتح في زمان الجاهلية ستون وثلثمائة صنم اتخذها
قريش الهة يعبدونها ويتبركون بها من دون الله مثبتة الارجل بالرصاص
في الحجارة اي قيدت ارجلها ومكنت في الارض برصاص جعل عليها لئلا تسرق
وتسقط وتزول من مكانها والرصاص وهذه الحالات العجيبة من تقييد
ارجل الاصنام بالرصاص لكيلا تسرق ولا تزول من غاية حمقهم ونهاية بلههم
انهن لا تملكن انفسهن من خوف الضياع والسرقة والسقوط فكيف تعينهم
وتعبدهم مع انهن تسقطن في التاريخ العبدة كما قال الله تعالى انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم فالمعبود بالحق هو الذي له ملك السموات والارض
ومربيهما وما فيهما من الملئكة والانس والجن وتنعم على من عبده وحده بحسن
وخلص اعماله به وخلصه من العذاب والعقاب وناله الى الجنة والدرجات
وكرمه بانواع الثواب واشرف المآب فتامل حال النبي الكرام بالمجادلة في اثبات
هذه الحماقة من الانام يبكو ولا يضحك ولا يصلي عليه بانواع الصلوة ونحوها من
التحيات ويتمسك بسنته الاسنى وشريعته الاعلى ليلا ونهارا ولا ينام
ولا ياكل ولا يشرب لا مقدار سد الرمق مدة اعمارهم ويحزن بحزنه ويتشدد
ربنا لما مضى عمره صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا قال الامام الجوهري
رح بفتح الراء والعامة تكسر فكسره كضمه من لحن العوام قال البعض الاصنام
حول الكعبة او فوقها يرده كثير من الروايات فلما دخل رسول الله تعالى المسجد
اي مسجد مكة المشرفة عام الفتح اي فتح مكة جعل يشير وطفق يشير بقضيب
وعصا كانت في يده اليها اي الى الاصنام المذكورة ولا يمسها بيده ولا بقضيبه
لاستكراهه ولانه لو مسها لتوهم ان سقوطها بشدة دفعه لها ويقول الجملة
حالية من فاعل يشير لا من فاعل يمسها كما قيل وانجاز بتكلفاى قائلا

قوله [illegible] سقوط الاصنام [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم

جاء الحق وزهق الباطل والمراد بالحق توحيد الله تعالى ودين الاسلام من الله
تعالى ان الدين عند الله الاسلام وبالباطل الشرك الذى هو ضد دين الله وزهو
زواله واضمحلاله يقال زهق نفسه اذا خرجت فما اشار بالقضيب الى
وجه صنم اى على ما هو على صورة وجه مقابل له الا وقع اى خر ساقطا
لقفاه واللام بمعنى على والاستثناء مفرغ اى لا عمل الا الا فى الكلام المنفى
والمستثنى منه غير مذكور فيعمل على ما يقتضيه العامل الا فالا كان
فارغا عن العمل لعدم القدرة واعطاه اليه بخلاف المتصل المتبع النفى
فالعمل له لا لغيره كما بين فى فنه فما اشار بقفاه الا وقع لوجهه اى الى
اى جهة اشار اليها صلى الله تعالى عليه وسلم حتى ما بقى صنم رواه البخارى
ومسلم والبزار والطبرانى وابو يعلى البغدادى عن جابر وابن مسعود رض
قوله ما بقى منها صنم اى قائم على رجل مرتص فى الحجارة اذ سقطت كلها
على الارض والقفا مقابل الوجه وهو مقصور وسمع مده فى اللغة الضعيفة
والحاصل ان الاصنام باسرها سقطت باشارته من غير مس ودفع فاختلف
الروايات فقيل اشار بيده وقيل بقوسه وقيل بقضيبه وقيل بعوده
وهذا فى رواية كونها حول البيت واما ما كان فى جوفه فامر باخراجه ولم يدخل
صلى الله تعالى عليه وسلم البيت حتى اخرجت ومحيت صورته التى كانت
عليه ولم يتعرض ابو الفضل القاضى عياض رح مع انه فى الصحيحين
رواه الشيخان فهما هذا من اعظم المعجزات اذ قلع الاحجار المرصصة
فى الاحجار مع قوتها وشدة تمرجها بالاشارة اصعب فهذه من القوة
القدسية التى اعطاها الله تعالى وخصها به صلعم وروى عن ابن مسعود
مثله لفظا ومعنى وقال ابن مسعود فى روايته فجعل يطعنها اى الاصنام
المذكورة وهذه الرواية منه يقتضى المس بما يطعن كما هو حال الطاعن
فبينهما اختلاف فلذا افسر بعض شارح الصحيحين يطعنها بالاشارة

من غير مس وقيل انها كانت كثيرة فاشار لبعضها وطعن لبعضها فلا تعارض
فى الروايات ويقول صلى الله تعالى عليه وسلم جملة حالية على تقدير وهو يقول
جاء الحق اى الدين الحق والتوحيد الاحق او وعد الحق بفتح مكة وما يبدئ
الباطل والابداء الايجاد من غير سبق ايجاد آخر وما يعيد من الاعادة وهى
الايجاد مرة بعد اخرى ولفظ ما هنا يجوز ان تكون نافية فالمعنى ان الشرك
هلك واضمحل وما يوجد الباطل بعده مرة اخرى ولا يقدر على الاعادة
كرة بعد اخرى ويجوز ان تكون استفهامية للانكار وهو بمعنى النفى
ايضا والمعنى واحد رواه البخارى ومسلم رحمهما ويؤيده قوله تعالى
فى سورة العنكبوت اولم يكفهم كلام مستانف ورد منه تعالى ردا على
اقتراحهم وبيانا لبطلانه والهمزة للانكار والنفى والواو للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اى اقصر ولم يكفهم آية منفية عن سائر الآيات والعلامات
انا انزلنا عليك الكتاب الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب
السماوية وانت بمعزل عن مدارستها وممارستها ومدارستها يتلى عليهم فى كل
زمان ومكان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية
بعد كونها او يكون فى مكان دون مكان او يتلى على اليهود بتحقيق ما بين ايديهم
من نعوتك المستحسنة وشريعتك المطهرة المقدسة ان فى ذلك الكتاب
العظيم الشان الباقى على مرور الشهور ودهور الازمان لرحمة اى نعمة عظيمة
وكرامة جسيمة وعناية جلية وذكرى وتذكرة جميلة واجور جزيلة
لقوم يؤمنون اى لقوم همهم الايمان لا التعنت والمحاجة كاولئك
المكذبين المقترحين المعاندين الكافرين وقيل ان ناسا من المؤمنين اتوا
الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بكتف فيها بعض ما يقوله اليهود فقال صلعم
كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت
قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا اى رسوله وهذا القرآن كلامه وبما شهد

نسخه
ودهور المرور

عني من الكلمات الحقة والمعجزات اللائقة وما ظهر عنكم من كفرانات النعمة
الفائقة والاقتراحات الشنيعة الكافرة يعلم ما في السموات والارض
من الامور العامة التي من جملتها ما صدر عني وعنكم وشأني وشأنكم فهذا
تقرير لما قبله من كفايته تعالى شهيدا والذين آمنوا وعملوا وصدقوا ولكن لا
يدري ما يفعل ولا يميز الخير عن الشر للابتداء بالباطل الذي احدثوه وتركوه
بايديهم من الاصنام الباطلة والاوثان العاطلة المحتاجة اليهم في انفسهم وجودها
ولم يشفعهم في الخير والجود وكفروا بالله الذي خلق الاشياء كلها فانتفعوا
في الدارين فهو رب العالمين فالكل يحتاجون اليه ويتنعمون بنعمه
ظاهرة وباطنة وهو اللائق بالعبادات والطاعات والمعبود بالحق
ازليا وابديا فالايمان واجب لكل من في السموات والارض من الملئكة
والانس والجن لاستغراقهم بنعمه الغير المعدودة حيث لا يعده العاد
ولا يحصى الحاد فمن لم يؤمن بعد هذه المعاينة ولم يصدق بعد المشاهدة
بالمعجزات الظاهرة والكرامات الباهرة عما صدر عن رسوله الذي جاء
بدين الحق وظهر امر الله وهم كارهون اولئك هم الخاسرون المغبونون
في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان والاخرة العلية بالدنيا الدنية
بان ضيعوا الفطرة الاصلية والادلة السمعية الموجبتين للايمان
لذوي العقول من الانام فهذه الاية من قبيل المجادلة التي هي احسن لم يصرح
بنسبة الايمان على الباطل والكفر بالله والخسران اليهم بل ذكر على منهاج
الابهام والايهام كما في قوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
ويستعجلونك بالعذاب على طريقة الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد وقولهم
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم ولولا اجل مسمى وقد ضرب الله بعذابهم وكتبه في اللوح
المحفوظ باجله وساعته بعلمه الازلي باتمام ارساله فصدقه من افلح

وكذبه من خاب فعذبه باجله المسمى اي ولولا الوقت المعين لجاءهم العذاب
المطلوب حسبما استعجلوا به وطلبوا اتيانه وقيل المراد بالاجل يوم القيمة
لقوله تعالى في الاية الاخرى لو تزيلوا اي لو تفرقوا وتميز المؤمنون بخروجهم
بهجرتهم من الكافرين المستعجلين بالعذاب لعذبنا الذين كفروا منهم
اي من اهل مكة عذابا اليما وروي عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنهما
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انزل الله تعالى علي امانين لامتي وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت
فيهم الاستغفار رواه ابو الفضل القاضي والشيخان واصحاب السنن الاربعة
ولما روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم وعده الله تعالى ان لا يعذب قومه
بعذاب الاستيصال كالحرق بالنار من السماء والغرق جملة وغيرهما وان يؤخر
عذابهم الى يوم القيمة وقيل الاجل المسمى يوم بدر حيث قتل صناديدهم
من كل قبيلة كابي جهل الملعون الابدي وغيره من الكافرين المستعجلين
بعذابهم وليأتينهم بغتة فجأة جملة مستأنفة مبينة لما اشير اليه
في الجملة السابقة من مجيء العذاب عند محل الاجل واللام جواب القسم
المقدر اي والله ليأتينهم العذاب الذي عين لهم عند حلول الاجل المسمى
وهو انه لا يخلف وعيده كما لا يخلف وعده عند اهل السنة والجماعة بل
يعفو ويغفر خلافا للمعتزلة في الوعيد والميعاد وهم لا يشعرون باتيانه
ولعل المراد باتيانه كذلك انه لا يأتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم
والاجابة الى سؤالهم فان ذلك اتيان برأيهم وشعورهم لا انهم يأتيهم وهم
غارون آمنون لا يخطرونه بالبال كدأب بعض العقوبات النازلة على بعض
الامم السالفة بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون لما ان اتيان عذاب
الاخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل روي عن عمر بن الخطاب رضي
انه قال في زيارة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند الروضة في مرثيته باكيا

متحيرًا بما شاهد منه من الخصال الخارجة عن طور البشرية ولا فعال
الشنيعة من قومه كأبي جهل الملعون وأبي لهب المخذول ومغيرة المقبول وغيرهم
من ابتداء صناديد المعاندين واشراء ملاعين الكافرين وصبره وحمله
فقال عمر بن الخطاب حين أفاق بعد غشيته رض بأبي وأمي أنت يا رسول الله
والله لقد بلغ من فضيلتك عند الله تعالى أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك
في أولهم فقال في كتابه العزيز وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
الخ بأبي أنت وأمي يا رسول الله والله لقد بلغ من فضيلتك عنده تعالى
أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون
يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقال عمر رض يعني في زيارته
بالمرثية عند قبره بعد الإفاقة من غشيته رض بأبي وأمي يا رسول الله لقد
لقد بلغ من فضيلتك عند الله تعالى أن جعل طاعتك طاعته فقال من
يطع الرسول فقد أطاع الله وأيضا قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ
من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو قبل أن يخبرك بالذنب فقال عفا الله
عنك وقال عمر أيضا في المرثية بعد الإفاقة من غشيته على الروضة المطهرة
شرفها الله تعالى إلى يوم القيمة بأبي أنت وأمي يا رسول الله والله لئن كان
موسى بن عمران عليه وعلى نبينا الصلوات الدائمات أعطاه الله حجرا
يتفجر منه الأنهار فما ذاك بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله
تعالى عليك وسلم تسليما وقال أيضا بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان سليمان
بن داود صلوات الله على نبينا وعليهما وسلامه أعطاه الله الريح غدوها
شهر ورواحها شهر فما ذاك بأعجب من البراق حين سرت عليه إلى السماء
السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح صلى الله تعالى عليك
وقال أيضا بأبي أنت ويا رسول الله والله لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله
تعالى إحياء الموتى فما ذاك بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك فقالت

إنما كلمتني

قوله هي المرثية التي كان الأصل ... رثيه المليحة ونسبته ... السيدة في السنين

إنما كلمتني فإني مسمومة وقال أيضا بأبي أنت وأمي يا رسول الله والله لقد دعى
نوح عليه السلام فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ولو دعوت
علينا لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك المباركة
وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا وقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم
لا يعلمون وفي رواية اللهم أصلح قومي فإنهم لا يفقهون وقال أيضا بأبي أنت
وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنينك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا
في كثرة سنينه وطول عمره فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا قليل
وقال عمر رض في هذه الحالة أيضا بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو لم تجالس
إلا الأكفاء ما جالستنا ولو لم تنكح إلا الأكفاء ما نكحت إلينا ولو لم تؤاكل
إلا الأكفاء ما واكلتنا لبست الصوف وركبت الحمار ووضعت بالأرض
تواضعا منك صلى الله تعالى عليك وآلك وأزواجك وأصحابك وسلم تسليما
كثيرا كثيرا رواه أبو الفضل القاضي بعضها وعلي القاري بأقلها رحمهم
وروي عن قتادة أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال كنت أول الأنبياء
في الخلق وآخرهم في البعث قال فلذلك وقع ذكره مقدما في الآية قبل
نوح وغيره رواه أبو نعيم في دلائله وابن أبي حاتم في تفسيره وابن اللال
من الحفاظ في كتابه المسمى بمكارم الأخلاق وقال الإمام السمرقندي
في تفسير قوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض إلى قوله ورفع بعضهم
درجات أراد الله به محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه بعث إلى الأحمر والأسود
كافة للناس وحلت له الغنائم وظهر على يديه المعجزات وكذا سائر الاختصاص
وليس أحد من الأنبياء صلوات الله على نبينا وعليهم أعطى فضيلة وكرامة
إلا وقد أعطى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها مع زيادتها وقال بعض أهل
العلم من المفسرين ومن فضيلته صلعم أن الله تعالى خاطب الأنبياء عليهم السلام
بأسمائهم كآدم وإبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى عليهم الصلوة

ما أعطي نبيا آخر من صلى الله تعالى عليه وسلم الكثير ... أعطي نبيا ... صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين

والسلام وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه العزيز يا ايها النبي ويا ايها
الرسول انتهى وروى عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لم يبعث الله تعالى
نبيا من آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ بذلك على قومه ونحوه عن
الامام السدي وقتادة من حفاظ الحديث كما يؤذن به قوله تعالى واذ اخذ الله
ميثاق النبيين منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اي
اذكر وقت اخذه تعالى ميثاقهم لما آتيتكم من كتاب وحكمة واللام في لما
موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف واليمين وما تحتمل الشرطية
ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرئ لما بالكسر
على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم لمجيء رسول مصدق
اخذ الله الميثاق ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه
قيل هو على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء فكان الامم بذلك اولى
واحرى وقيل معناه اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم
عن ذكرهم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى
واذ اخذ الله الميثاق الذي اخذه الانبياء عليهم السلام وثقة على اممهم
وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل وسماهم
نبيين تهكما بهم لانهم يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا آباءنا وقيل لفظ ما في
لما موصولة والمعنى اخذ الله للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ
لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام
فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا قال اي الله تعالى بعد ما اخذ الميثاق
ءاقررتم بما ذكر واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر
ويشد به قالوا استئناف مبني على السؤال كأنه قيل ماذا قالوا عند

ذلك

ذلك فقيل قالوا اقررنا وانما لم يذكر اخذهم الاصر اكتفاء بذلك قال الله
تبارك فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب
فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين اي وانا ايضا على اقراركم
وتشاهدكم شاهد وعالم بكيفيته وادخال مع على المخاطبين لما انهم
المباشرون للشهادة حقيقة وفيه من التاكيد والتحذير ما لا يخفى
على المحققين في الحال والمدققين في المآل فمن تولى اي اعرض عما ذكر
وعلم بعد ذلك الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فمعنى البعد في اسم
الاشارة لتفخيم الميثاق المأخوذ فاولئك اشارة الى من هو مفرد في اللفظ
وجمع باعتبار المعنى لانه من الفاظ العموم كما ان الافراد في تولى باعتبار
اللفظ وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامي امورهم في السوء وبعد
منزلتهم في الشر والفساد اي فاولئك المتولون المتصفون بالصفات
القبيحة والنعوت الرذيلة هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الطاعة
من الكفرة فان الفاسق من كل طائفة من كان متجاوزا عن الحد افغير
دين الله يبغون عطف هو وامثاله من الكلمات المصدرة بهمزة الا
ستفهام في الكتاب العزيز وغيره على مقدر اي ايتولون ويعرضون
فيطلبون ويبغون غير دين الله من اباطيل الاصنام وتقديم المفعول
لان المقصود انكاره او على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار
وقرئ بتاء الخطاب على تقدير كونها مقول القول اي وقل لهم وله اسلم من
في السموات والارض فهذه جملة حالية مفيدة لوكادة الانكار طوعا وكرها
اي طائعين بالنظر واتباع الحجة الملزمة وكارهين بالسيف ومعاينة
ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين
كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون على الامتناع
عما قضى عليهم واليه ترجعون اي من فيهما والجمع باعتبار المعنى وقرئ بتاء

الخطاب والجملة معطوفة على ما قبلها منصوبة على الحالية ويجوز ان تكون مستأنفة
سيقت للتهديد والوعيد روى عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال
خطبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم فقال يا ايها الناس اتقوا
هذا الشرك فانه اخفى من دبيب النمل فقال له من شاء الله ان يقول وكيف
نتقيه وهو اخفى من دبيب النمل يا رسول الله قال صلعم قولوا اللهم انا نعوذ بك
ان نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلم رواه احمد والطبرانى
فى المعاجم روى عن حذيفة رضى الله عنه قال وزاد يقول النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم كل يوم ثلاث مرات انتهى وغاية الكفر العظيم حرمان دخول
الجنات والعذاب المخلد المؤبد فى النيران وسبب الايمان النظر والتأمل
فى الايات الدالة على وجود البارى تعالى واتصافه باوصاف الكمال وتنزهه
عن صفات النقصان وعلى نبوة النبى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالتفكر
بما صدر عنه من انواع العلامات الدالة والمعجزات الباهرة الدائمة
الخارجة عن طوق البشر وهل هذا الا بارادة الله ومشيته وتسخير
جميع الموجودات وائتمارها بما يريده وانقيادها بما يشاءه ويتيسره
وتفكر عوامل الكفر من التأبيد فى النار ان اطاع الشيطان وبقى فى الكفر
والضلالة والانكار فنعوذ بالله تعالى من اتباع الشيطان ووساوس النفس
الامارة والهوى روى عن عبد الله بن الحرث انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان فى النار حيات كامثال اعناق البخت تلسع احديهن
لسعة فيجد حموتها اى حرها سبعين خريفا اى سنة وان فى النار
عقارب كامثال البغال الموكفة تلسع احديهن لسعة فيجد حموتها
اربعين سنة رواه احمد بن حنبل والطبرانى فى المعاجم وروى عن زيد بن
سمرة رضى الله عنه قال ان لجهنم سواحلا كسواحل البحر فيه هوام وحيات كالبخت
وعقارب كالبغال الدل فاذا استغاث اهل النار التخفيف قيل اخرجوا الى الساحل

فتأخذ

فتأخذ تلك الهوام شفار اعينهم وشفاههم وجنوبهم وما شاء الله من ذلك
فتكشطها اجلادهم فيرجعون ويبادرون الى معظم النيران فاذا القوا فيها
يسلط عليهم الجرب حتى ان احدهم ليحك جلده حتى يبدى العظم وان جلد
احدهم اربعون ذراعا فيقال يا فلان هل تجد هذا يؤذيك فيقول نعم
فيقال له ذلك بما كنت تؤذى المؤمنين رواه ابن ابى الدنيا قوله كالبغال
الدل اى كالبغال السود قوله فتكشطها اى فتنزل الحيات والعقارب
والهوام جلود اهل النار فيسرعون الى معظم النار قوله ويسلط عليهم
الجرب اى العلة التى تؤذى مبتلاها يقال له بالتركى اويوز وبالفارسى كر
قوله ليحك اى يشق جلده حتى يظهر العظم قال الامام البغوى فى تفسير
المعالم والكفر من الكفرة على اربعة اقسام الاول كفر انكار وهو ان لا يعرف الله
اصلا ولا يعترف به والثانى كفر الجحود وهو ان يعرف الله تعالى بقلبه ولا يقر
بلسانه ككفر ابليس والثالث كفر عناد وهو ان يعترف بقلبه ولسانه
ولا يتدين به ككفر ابى طالب حيث قال فى مدح محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
فى شعره ولقد علمت بان دين محمد ☆ من خير اديان البرية دينا ☆ لولا الملامة
او حذار مسبة ☆ لوجدتنى سمحا بذاك مبينا ☆ واما الرابع كفر النفاق وهو ان يقر
باللسان ولا يعتقد بالقلب وجميع هذه الانواع سواء فى ان لقى الله تعالى
بواحد منها بحيث لا يرحمه ولا يغفر له ويعذبه بالعذاب المؤبد ولا يخلصه
عن العقاب انتهى وروى عن عبد الله بن عمرو العاص رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الارضين سبع بين كل ارض الى التى تليها مسيرة
خمسمائة سنة فالعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه فى السماء والحوت
على صخرة والصخرة بيد ملك والثانية مسجن الريح اى محبسه فلما اراد الله
ان يهلك عادا امر خازن الريح ان يرسل عليهم ريحا تهلك عادا قال يا رب
ارسل عليهم من الريح قدر منخر الثور قال الله الجبار تبارك وتعالى اذا تكفى

انواع الكفر والعذاب باعتباره

الارض ومن عليها ولكن ارسل عليهم بقدر خاتم فهي التي قال الله تعالى في سورة
والذاريات ما تذر اي ما تترك وما تدع من شيء من انفسهم واولادهم واموالهم
اتت عليه اي مرت وجرت عليه الا جعلته كالرميم اي صيرته كالورقة
البالية هو كل ما رم وبلي وتفتت من العظم والنباتات وغير ذلك مما قرقت
وفتت وهو الريح العقيم وانما وصفت بالعقيم لانها اهلكتهم وقطعت
دابرهم او لانها لم تتضمن خيرا ما من انشاء مطر او القاح شجر وهو الدبور
او الجنوب والثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم قالوا يا رسول الله
النار كبريت قال نعم والذي نفسي بيده ان فيها لاودية من كبريت
لو ارسل فيها الجبال الرواسي لماعت اي ذابت ولضاعت والخامسة فيها
حيات جهنم ان افواهها كالاودية تلسع الكافر لسعة فلا يبقى منه لحم
على وضم والسادسة فيها عقارب جهنم ان ادنى عقرب منها كالبغال الموكفة
من الاكاف وهو ما وضع على ظهر الدابة ليركب وتحمل الاشياء الثقيلة
تضرب اي تلدغ تلك العقارب لدغة وضربة تنسيه ضربتها حر جهنم
والسابعة سقر وفيها ابليس مصفد اي مشدود بالحديد يد امامه ويد
خلفه فاذا اراد الله ان يطلقه لما يشاء من عباده لطلقه روي الحاكم في المستدرك
قوله اذا تكفئ الارض من كفاء اي تقلب الثرى الى الثريا وبالعكس قوله
الرواسي اي الثوابت المتمكنة قوله على وضم بفتح الواو والضاد المعجمة وهو كل
عضو عليه اللحم سوى الاطفار اي لا يبقى لحم الا ذاب وسقط قوله الموكفة
بضم الميم وسكون الواو وكسر الكاف وفتحه اي في ظهره مسيلة الزهر
كالاكاف على الدابة وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه
وسلم ان الحميم ليصب رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت
ما في جوفه حتى يمرق اي يخرج من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان
رواه الترمذي والبيهقي كما قال الله تعالى في كتابه العزيز في سورة محمد

دركات جهنم كل واحد فوق الاخرى من الصفات

صلى الله تعالى عليه وسلم كمن هو خالد في النار خبر المبتدأ محذوف تقديره
امن هو خالد في هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد في النار كما نطق
قوله تعالى والنار مثوى لهم وقيل كمثل الجنة على ان في الكلام حذفا تقديره
امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار او كمثل اهل الجنة كمثل من هو
خالد في النار فعري عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصويرا لمكابرة
من يسوي بين المتمسك بالبينة وبين التابع للهوى بمكابرة من سوى بين
الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار وسقوا ماء
حميما مكان تلك الاشربة في الجنان العالية فقطع امعاءهم من فرط الحرارة
قيل اذا دني منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤسهم فاذا شربوه
قطع امعاءهم ويؤيده قوله تعالى في سورة الدخان ان يوم الفصل اي
فصل الحق عن الباطل وتمييز المحق عن المبطل وفصل الرجل اقاربه واحبائه
ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم
ان ويوم الفصل خبرها اي ان ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل يوم
لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل
لا للفصل مولى من قرابة او غيرها عن مولى كان شيئا من الاعقاب ولا هم
ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو
عنه وقبول الشفاعة في حقه ومحل الرفع على البدل من الواو او النصب
على الاستثناء انه هو العزيز الذي لا ينصر من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد
ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين وهي التي حاصلها الا لم
والغم وهي اسم شجرة صغيرة الورق وفيرة مرة كريهة الرائحة تكون في تهامة
سميت به الشجرة الموصوفة التي جعلت فتنة وعذابا ومحنة في الاخرة
وابتلاء في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار طعام الاثيم كثير الاثام
والمراد به الكافر لدلالة السياق والسباق قالوا كيف يمكن ذلك والنار

تحرق الشجرة ولم يعلموا انّ من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويتلذذ
كالزبانية والحيوانات النارية بانواعها قادر على خلق الشجرة في النار
وحفظه من الاحراق وانها شجرة خارجة من قعر النار واغصانها ترتفع
الى دركاتها والطلوع منها آمن ثمرها كانه رؤس الشياطين
في تناهي القبح والهول وقيل انّ شجرة يقال له الاستن خشنا منتنا
مرّا منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين فاهل النار يأكلونها ويملؤن
بطونهم وتقطع امعاؤهم وهو كالمهل وهو الشيء الذي يوضع في النار
حتى يذوب وقيل هو دردي الزيت يغلي في البطون وقرئ بالتاء
على اسناد العقل الى الشجرة كغلي الحميم غليانا كغليه خذوه على ارادة
القول والخطاب للزبانية فاعتلوه اي جرّوه والعتل الاخذ بمجامع
الشيء وجرّه بقهر وعنف وقرئ بضم التاء وهي لغة فيه الى سواء
الجحيم اي وسطه ثم صبّوا فوق رأسه من عذاب الحميم كان الاصل
ان يقول يصبّ من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصبّ من فوق رؤسهم عذاب
الى الحميم للتخفيف وزيد من الدلالة على انّ المنصوب بعض هذا النوع
قال الامام المقاتل رح انّ خازن النار يضرب على رأسه فينقب رأسه
عن دماغه ثم يصبّ فيه ماء حميما انتهى حرا روى عن عبد الله بن عباس
رضهما انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ايها الناس اتقوا الله
حق تقاته فلو انّ قطرة من الزقوم قطرت على اهل الارض لامرّت على اهل
الدنيا معيشتهم فكيف بمن هو طعامه وليس لهم طعام غيره رواه الامام
البغوي في المعالم ثم يقال لهم قولوا له ذق انك انت العزيز الكريم يا الكافر
المعاند بعد معاينة المعجزات الكثيرة الرذيل في الدنيا والاخرة الذليل
البخيل عند الله والناس والملائكة العزيز الكريم عند قومك على زعمك
على طريق الاستهزاء والتضاد والتوريد والتقريع والتوبيخ والاعتداء

بهذا الكافر المشرك النجس من العزة والكرامة فانه حسود لئيم رذيل خسيس
بخيل فذ اشارة الى شدة عقابه وحدة عذابه فوق امثاله لان الجزاء
من جنس العمل فدعواه فوق الدعاوي وكذا العذاب لما ادعى انه قال ابو جهل
الملعون بن الحارث بن عبد المطلب جد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لرسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم انا اعز اهل الوادي واكرمهم ما بين جبليها اعز
ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا ان هذا
اي العذاب ما كنتم به تمترون اي تشكون وتمارون فيه والجمع باعتبار
المعنى ولان عذابه كعذاب الجميع من الممترين او لان المراد جنس الاثيم لعموم
الاحكام وان كان مورده خاصا كما هو القواعد في الآيات النازلة الخاصة
روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص فاتح المصر القاهرة عند خلافة
عمر بن الخطاب رضهما وابنه عبد الله من العبادلة الاربعة ثقة كلهم
في الرواية والدراية كما بين في علم الاصول انه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو انّ احدا من اهل النار اخرج الى الدنيا لمات اهل الدنيا وحشة
نظره ونتن ريحه قال بكى عبد الله بكاء شديدا رواه ابو الدنيا وروى
عن ابي الدرداء رضه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلقى على اهل
النار الجوع فيعدل ما هم فيه العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون
بطعام من ضريع وهو نبت مرّ يابس كاظفار الهرة واذا الخضر يسمى
شبرقا لا تقربه دابة لو اكلت وهو ما بين مكة واليمن في الدنيا وما في النار
امرّ وانتن من الجيفة واشد حرا من النار لا يشبع الجائع ولا ينفع
من جوع رواه الترمذي والبيهقي رح وروى عن ابي هريرة رضه عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلثة ايام للراكب
المسرع رواه البخاري رح قوله ما بين منكبي الكافر والمنكب بكسر الميم
مجمع عظم العضد والكتف وانما عظم جسمه ليعظم عذابه وقال الامام

القرطبي رح هذا في بعض الكفار ممن اراد الله تعالى لانه قد جاءت الاحاديث
على ان المتكبرين يحشرون يوم القيمة امثال الذر في صورة الرجال يساقون
الى سجن في جهنم و قال الشيخ للشارحين كمال الدين بان هذا الحديث يدل على عظم
اجسامهم في النار غير مذكور في بعض نسخ صحيح مسلم كذا قال الامام النووي
في شرح مسلم ويمكن الجواب للامام القرطبي ان التشبيه يقتضي المغايرة
فهذا في الحقارة لا في الصورة والا فلا يستقيم قوله في صورة الرجال وروى
عن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضرس الكافر
مثل احد وفخذه مثل البيضاء ومقعده من النار كما بين قديد ومكة وكثافة
جلده اثنان واربعون ذراعا بذراع الجبار رواه احمد بن حنبل في مسنده
واللفظ له قال ضرس الكافر او ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة
ثلث و قال الترمذي لفظ هذا قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ضرس
الكافر يوم القيمة مثل احد وفخذه مثل البيضاء ومقعده من النار مسيرة
ثلث مثل الربذة و قال هذا حديث غريب قوله كما بين قديد بالتصغير اسم
ماء بين مكة والحجاز قوله مثل الربذة والبيضاء اسم جبلين بين المدينة
وروى عن الترمذي ايضا ان غلظ جلد الكافر اثنان واربعون ذراعا
وان ضرسه مثل احد وان مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة وهذا
حديث حسن صحيح ورواه ابن حبان في صحيحه ولفظه قال جلد الكافر
اثنان واربعون ذراعا بذراع الجبار وضرسه مثل احد رواه الحاكم
ولفظه وهو رواية لاحمد باسناد جيد قال ضرس الكافر يوم القيمة
مثل احد وعرض جلده سبعون ذراعا وعضده مثل البيضاء وفخذه مثل
ورقان ومقعده من النار ما بيني وبين الربذة وقال ابو هريرة رض وكان
بطنه مثل بطن اضم قوله بذراع الجبار وهو ملك اليمن وله ذراع
معروف المقدار وقال ابن حبان وغيره وهو ملك في العجم قوله مثل ورقان

مطلب عظمة اجساد الكفار في النار

وهي

وهي قطعة مستديرة من الرمل قوله اضم بكسر الهمزة وفتح الضاد جبل عظيم
وروى عن ابن عمر رض تعالى عنهما انه قال قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يعظم اهل النار في النار حتى ان بين شحمة اذن احدهم الى عاتقه مسيرة
سبعمائة عام وان غلظ جلده سبعون ذراعا وان ضرسه مثل احد رواه الطبراني
الامام في المعجم الكبير والاوسط وروى عن ابي سعيد الخدري اسمه سعيد بن
مالك من اجل الاصحاب رض عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال مقعد
الكافر في النار مسيرة ثلثة ايام وكل ضرس مثل احد وفخذه مثل ورقان
وجلده سوى لحمه وعظامه اربعون ذراعا رواه الامام احمد بن حنبل
وابو يعلى البغدادي رحمهما وثانيسه قوله تعالى في سورة بني اسرائيل يوم
ندعوا اي اذكر يوم الدعوة والسرور ويوم الحسرة والندامة والغرور الذي
ندعوا فيها كل اناس الذين كلفوا في دار الدنيا بالايتمار بالاوامر والانتهاء
بالنواهي والمناهي مقارنا بنبيهم ولا اناس اسم جمع وصلة الناس لا واحد له
من لفظه والمراد كل قوم بما يدعون ويعبدون بعقيدتهم وبامامهم
مع الكتاب الذي انزل عليهم او بكتاب اعمالهم وعن ابن عباس رضي عنهما
بامام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا اما الى الهدى وهو توفيق من الله
العلي الكبير مع صرف الارادة الجزئية والاختيارات الخيرية واما الى
الضلالة والغواية وروى عن جابر بن عبد الله رديف النبي ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا كان يوم القيمة وجمعت الامم فيقال
من هذه الامة ويتشرف لها الناس فيقال هذا محمد صلعم فلمته فيناد
المنادي ليكن الاخرون هم الاولين فتاتي فتتخطى رقاب الناس حتى
يكون اقرب الناس من الله منزلة ثم يدعى اليهود فيقال لهم ما انتم فيقولون
نحن اليهود فيقال ما كتابكم فيقولون التورية فيقال من نبيكم
فيقولون نبينا موسى عليه السلام فيقال ما تعبدون قالوا نعبد

عزيرًا ونعبد الله فيقال اسلكوا بهؤلاء في جهنم ويدعى النصارى فيقال ما انتم
فيقولون نحن النصارى فيقال ما كنا بكم فيقولون الانجيل فيقال من
نبيكم فيقولون عيسى بن مريم فيقال ما تعبدون قالوا نعبد عيسى وامه
والله فيقال اسلكوا بهؤلاء في جهنم ثم يدعون بشر كثير ايضا كانوا يعبدون
من آلهتهم منها الحجارة ومنها الشمس والقمر فيقال من كان يعبد الها فليتبعه
يقدمهم آلهتهم ثم يبقى المسلمون فيقف بهم ربهم عز وجل فيقول ما انتم
فيقولون نحن المسلمون فيقول خير اسم وخير داعية فيقول من نبيكم قالوا
نبينا محمد فيقول ما كتابكم فيقولون القرآن فيقول ما تعبدون قالوا
نعبد الله وحده فيقول اتعرفونه ان رأيتموه فيقولون نعم فيتجلى الرب عز وجل
فيخرون له سجدًا وقالوا انت ربنا جل جلالك ثم يمضي النور باهله رواه
الامام الواحدي في تفسيره الوسيط فمن اوتي كتابه اي اعطي كتاب اعماله
بيمينه فهذا من علائم اهل السعادة الذين يسرون بها ويحمدون الى الله
الحميد ذي الفضل المجيد ولا يضيع ذرة عمل من العامل ولا حبة اجر
من الكامل بل يعطي بدل ذرة ذروة جبل القاف وبدل حبة قبة
اليس الله عبده بكاف فاولئك يقرؤن كتابهم من اهل السعادة ويجدون
فيه ما لا يأملون ويسرون نضرة النعيم سرورًا لنيل الدرجات في الجنان
العاليات وعدم الملاقات معافا عن المحاسبة مبشرًا بانواع المأكل
والمشرب واصناف الملبس من الثياب ولاسورة من الذهب بيضًا
وجهه مديدًا جسمه متنورًا على رأسه تاجه من نور فهذا سرور لا يقاس
عليه ولا يعبر عنه فيمد له في جسمه اي كل اهل السعادة ستون ذراعًا
ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من نوره يتلألأ لو كان ابي البشر آدم عليه
السلام فينطلق الى اصحابه فيرونه من بعيد فيقولون ربنا ائتنا بهذا
وبارك في هذا حتى يأتيهم فيقول لهم ابشروا لكل رجل منكم مثل هذا قال

واما الكافر فيسود وجهه ويمد له في جسمه ستون ذراعًا في صورة آدم
ويلبس تاجًا من نار فيراه اصحابه فيقولون نعوذ بالله من شر هذا اللهم لا تأتنا
بهذا فيأتيهم فيقولون اللهم اخزه فيقول ابعدكم الله فان لكل رجل منكم
مثل هذا رواه الترمذي رح وروي عن نعمان بن بشير رض انه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان اهون اهل النار عذابًا رجل يوضع
في اخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل بالقمقم رواه البخاري
وقال الامام مسلم في صحيحه ان اهون اهل النار عذابًا من له نعلان وشراكان
من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ما يرى ان احدًا اشد منه عذابًا
وانه لاهونهم عذابًا كذا رواه نعمان بن بشير رض وخرجه مسلم كالبخاري
قوله يوضع في اخمص قدميه بفتح الهمزة وهو المتجافي من الرجل عن الارض
اي الوسط منها قوله الشراك بكسر الشين المعجمة وهو احد سيور النعل على
وجهها قوله كما يغلي المرجل والغليان معروف وهو اضطراب الماء من شدة
الحر واما المرجل بكسر الميم وفتح الجيم وهو قدر معروف من التراب والنحاس
او الحجارة او الخزف هذا هو الاصح وقيل هو القدر من النحاس لا غير
والاول اعرف واشهر وروي عن ابن عمر رض انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطأه
الناس رواه الترمذي وفي رواية ابي العجلان انه قال قال سمعت عبد الله
بن عمرو بن العاص رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان
الكافر ليجر لسانه الفرسخ والفرسخين رواه الترمذي ايضا والبيهقي رح
قوله الفرسخ وهو اثنا عشر الف خطوة كما ان الميل اربعة الاف خطوة
والمن اثنان الف درهم والمد خمساه كيلا والرطل ماة وثلثون درهمًا
والقية اربعماة درهم والمثقال عشرون درهمًا والقفيز والقفيز احد وثلثون
درهمًا والصاع الف واربعون درهمًا والقيراط اربعة عشر شعيرًا على رواية

قوله ينسحب اي يجر ويؤيده رواية الثانية فان قلت لم خص اصحاب
اليمين في هذه الاية دون اصحاب الشمال مع انهم يقرؤن في الاية الاخرى
ايضا قلنا ان اصحاب اليمين اذا طلعوا كتابهم وقرؤا بما فيه وجدوه مشتملا
على الحسنات الموصلة الى الدرجات العاليات فيقرؤن بالنضرة والترة
ويفرحون فرح المسرور ويقولون هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت اني ملاق
حسابيه فهو في جنة عالية قطوفها دانية فيغفر لهم ويعطي اجورهم ولا
يظلمون فتيلا ولا ينقصون عن ثواب اعمالهم بما وعد الله تعالى لهم قدر فتيل
وهذا كناية عن عدم التنقيص بادنى شيء وانما كنى به ولم يصرح بما له
اشارة ابتداء الى نفي الظلم عن العباد فضلا عنه تعالى اي فلا تظلموا انفسكم
بارتكاب الظلمة فانه تعالى لا يظلم مثقال ذرة ولا يرضى لعباده الظلم
والكفر وما تراه العباد من ظلم نفسه لا من الله تعالى فان الظلم ظلمات يوم
القيمة كما ورد في حديث صحيح البخاري والمؤمنون يتنورون بنور الايمان
والاعمال فالكل متنورون به في الحال والمال واما اصحاب الشمال اذا طلعوا
ما في كتابهم ووجدوا من المهلكات العظيمة الحاصلة من الكفر والضلال
والمعاندة والغواية اخذتهم الدهشة العظيمة وعرضتهم الرجفة النجفة
وبلغت قلوبهم الحناجر فلا يقدرون على اداء القراءة فيستولي عليهم
الخشية والخجالة فيقول الكل فردا فردا يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر
ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية ما اغنى عني ماليه هلك عني
سلطانيه فلاجل هذه اعطي كتابهم معهم والا فالله تعالى عليم بذات
الصدور وانما هو لاظهار العناية للاولى والجلالة للثانية اللهم بجاه
نبيك المرتضى نجنا عما نخاف ولقنا بما ترضى اي اتبع رضوانه
اي سعى تحصيله وانتحى نحوه حيث ما كان بسبب فعل الطاعات
المامورة وترك المنكرات المنهية كالنبي والمؤمن بسيرته من اصحابه

كربا

رماة بضم الراء المهملة وتشديد الميم المفتوحة الممدودة جمع رام كقضاة وقاض وكتاب وكاتب

كربا اي رجع بسخط فالتنوين للتفخيم بلعن عظيم وغضب جسيم
كائن من الله بسبب المعاصي المبعدة من رحمة الله الموعودة للمطيعين من
المسلمين وسببه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نبه وعهد رماة سهم
في غزوة احد ان لا تتركوا هذا المركز من الجبل واثبتهم فيه ثم اشتغل الحرب
اسفل المركز فانهزم المشركون وترك الرماة المركز واقاموا في الغنيمة
وقالوا نخشى ان يقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له
ولا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر لان التقسيم وتوزيع الغنائم
مفوض الى راي الامام ومنوط الى ما هو خير له وللجيوش للحكمة الخيرية والعصمة
عن الشريرة على ما يقتضيه امور الحالية ويدعيه فهوم المالية بعد
التفكر والتدبر في الميمنة والميسرة في حقوق العساكر والرعية على
مقتضى حال الانام في الشهور وشان الايام والاعوام والدهور كما قال
صلى الله تعالى من قتل قتيلا فله سلبه على المجاز الاولى للترغيب الى نصح
المقاتلة وفرق المحاربة وعزة الامام منوط الى عزة الجيش كما كان
عكسه كذلك لان ما وقع فيها مستندة اليها خيرا كان او شرا جفاء
كان او صفاء فيجب الصيانة والديانة ما استطاعوا من اي طرف
كان وباي تدبير شان فيهجمون نحوه واخذ الكفار المركز وغلبوا على
المؤمنين بعد المغلوبية ورموا عليهم كما رموهم قبلهم بسبب اخذ المركز
بالظن السوء منهم فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحابه بعد الانهزام
الم اعهد اليكم الا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية
اخواننا وقوفا فقال النبي صلعم بل ظننتم انا نغل ولا نقسم بينكم
فنزل قوله تعالى وما كان لنبي اي ما صح لنبي من الانبياء صلوات الله
وسلامه على نبينا وعليهم ولا يخطر ببالهم فضلا عن سيد الانبياء
ان يغل اي يخون في المغنم فان النبوة تنافيه منافاة بينة يقال

غلّ شيئاً من المغنم يغل غلولاً او اغلالاً اذا اخذ خفية والمراد تنزيه ساحة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عما ظنّ به الرماة يوم احد حين تركوا المركز افاضوا في الغنيمة واما المبالغة في النهي لرسول الله على ما روى انه بعث طلايع فغنم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعدهم غنايم فقسمها بين الحاضر ولم يترك للطلايع شيئاً فنزلت فالمعنى ما كان للنبي ان يعطي قوماً من العسكر ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بين الكل بالتسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظاً وقرئ على البناء للمجهول والمعنى ما كان له ان يوجد غالاً او ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة اي يأت بالذي غله بعينه يحمله على عنقه لما روى عن ابي هريرة رض انه قال قام فينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره حتى قال لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته بعير رغاء فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئاً قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته حمحمة فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئاً قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته شاة لها ثغاء فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئاً قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئاً قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئاً قد ابلغتك رواه البخاري ومسلم رح قوله لا الفين اي لا اجدن قوله رغاء بضم الراء المهملة وفتح الغين المعجمة الممدودة صوت الابل قوله حمحمة بالحائين المهملتين المفتوحتين هو صوت الفرس قوله ثغاء بضم المثلثة وفتح الغين المعجمة الممدودة صوت الغنم قوله نفس بفتح النون والفاء اي روح قوله رقاع على وزن بحار بكسر الراء جمع رقعة وهي الخرقة تخفق

اي يتحرك ويضطرب وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما انه قال كان على ثقل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجل يقال له كركرة فمات فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون اليه فوجدوا عباءة قد غلها رواه البخاري قوله قد غلها اي اخذ تلك العباءة عن المغنم قبل التقسيم بين الغزاة قوله على ثقل بفتح النون والفاء هو مال الغنيمة جمعه انفال لقوله تعالى يسئلونك عن الانفال جمع نفل قوله كركرة بفتح الكافين وكسرهما هو رجل ضابط الغنيمة والغلول ما يأخذ احد الغزاة من الغنيمة خفية قبل التقسيم ولا يحضر الى امير الجيش واحدهم واختلف العلماء في الطعام العلوفة ونحوهما اختلافاً ليس هذا محله وفصله الغزالي في الاحيا فارجعه روى عن زيد بن خالد رض ان رجلاً من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم توفي يوم خيبر فذكروا لرسول الله صلى الله فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم غل في سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزاً من خرز يهود لا يساوي درهمين رواه احمد وابو داود وابن ماجه وروى عن ابن عباس رض انه قال حدثني عمر رض لما كان يوم خيبر اقبل نفر من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا فلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا فلان شهيد فقال النبي صلى الله تعالى عليه كلا اني رأيته في النار في بردة غلها او عباءة غلها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس انه لا يدخل الجنة الا المؤمنون رواه مسلم والترمذي رح ثم توفى كل نفس ما كسبت اي تعطى وافياً جزاء ما كسبت خيراً او شراً كثيراً او يسيراً وضع المكسوب موضع جزائه تحقيقاً للعدل ببيان ما بينهما من تمام التناسب كماً وكيفاً كانهما شيء واحد في اسناد التوفية الى كل كاسب وتعليقها بكل مكسوب مع ان المقصود بيان حال الغال عند اتيانه بما غله يوم القيمة من الدلالة على فخامة شأن اليوم

وهول مطلعه والمبالغة في بيان فظاعة حال الغال بما لا يخفى فانه اذا جوزي
كل كاسب جزاء ما كسبه ولم ينقص منه شيء وان كان جرمه في غاية القلة
والحقارة فلأن لا ينقص من جزاء الغال شيء وجرمه من اعظم الجرائم
اظهر واجلى وهم اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون بزيادة عقاب
او نقص ثواب افمن اتبع رضوان الله اي سعى عن صميم القلب وجاهد بالقالب
لتحصيل رضائه بفعل الطاعات وترك المنكرات لينجو في الطامة
الكبرى والقيمة العظمى عند حضوره بالمولى كالنبي ومن استن بسنته
في الحالات الخفية والجلية كمن باء اي رجع بسخط عظيم لا يدفعه
دافع ولا يمنعه مانع ولا يشفع عنده شافع الا باذنه اذا اراد عذابه لكن
من الله بسبب الكفر والمعاصي كالغال والمراد تأكيد لنفي الغلول من النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وتقريره بتحقيق المباينة الكلية بينه وبين
الغال حيث وصف كل منهما بنقيض ما وصف به الآخر فقوبل رضوانه تعالى
بسخطه والاتباع بالبوء والجمع بين الهمزة والفاء لتوجيه الانكار
الى ترتب توهم المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال الغال كأنه
قيل أبعد ظهور حاله يكون من ترقى الى اعلى عليين كمن تردى الى اسفل
سافلين واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لادخال الروعة وابراز
المهابة ومأويه جهنم اما كلام مستأنف مسوق لبيان مآل امر من باء
بسخطه تعالى واما معطوف على قوله باء بسخط عطف الصلة الاسمية
على الفعلية واياما كان فلا محل له من الاعراب وبئس المصير اعتراض تذييلي
والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس المصير جهنم والفرق بينه وبين المرجع
ان الاول يعتبر فيه الرجوع على خلاف الحالة الاولى بخلاف الثاني هم
درجات راجع الى الموصولين باعتبار المعنى عند الله اي طبقات متفاوتة
في علمه وحكمه شبهوا في تفاوت الاحوال وتباينها بالدرجات مبالغة وايذانا

بان

بان بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات او ذوو درجات والله بصير بما يعملون
من الاعمال ودرجاتها فيجازيهم بحسبها لقد من الله جواب قسم محذوف اي
والله لقد انعم الله تعالى بتوفيقه واحسن بعنايته على المؤمنين الخالصين
والمجاهدين السابقين والمقتصدين بتيسير العسير من الله القدير من قومه
صلى الله تعالى عليه وسلم اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم اي من نسبهم ومن جنسهم
عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق
والامانة مفتخرين به وذلك شرف عظيم لهم كما قال الله تعالى في الاية الاخرى
وانه لذكر لك ولقومك وقرئ من انفسهم اي اشرفهم فانه عليه الصلوة
كان من اشرف قبائل العرب وبطونها وقرئ لمن من الله على انه خبر لمبتداء
محذوف اي منه اذ بعث وعلى ان اذ في محل الرفع على الابتداء بمعنى لمن
من الله على المؤمنين وقت بعثه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة
البعثة للاسود والاحمر لما مر من مزيد انتفاعهم بها وقوله تعالى من انفسهم
متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا اي كائنا من انفسهم وقوله تعالى يتلوا
عليهم اياته صفة اخرى يتلوا عليهم القران بعد ما كانوا اهل جاهلية لم
يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم عطف على يتلو اي يطهرهم من دنس
الطبائع والكفر الخبائث وسوء العقائد واوضار الاوزار ويعلمهم
الكتاب والسنة العلية والحكمة السنية من اقسام سنة الجلية وهو صفة
اخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية
التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع
على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة
للايذان بان كل واحد من الامور المترتبة نعمة جليلة مستوجبة للشكر
فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا
عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم لتبادر الى الفهم عد الجميع

نعمة واحدة وهو السر في التعبير عن القرآن بالآيات تارة والحكمة اخرى
رمزاً الى انه باعتبار كل عنوان النعمة على حدة ولا يقدح في ذلك شمول الحكمة
لما في مطاوي الاحاديث الكريمة من الشرايع كما سلف وان كانوا من قبل هي
المخففة من الثقيلة ومن قبل مبنى على الغاية واللام هي المفارقة اي وان
الشان كانوا من قبل بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم وتزكيته وتعليمه لفي ضلال
مبين اي ظاهر وبين لا ريب في كونه ضلالا لانهم من المشركين بالاصنام
والاوثان في جميع الشهور والدهور من الايام وكونها اعواما فهذا من عظيم
منن الرحمن التي تخلصهم عن عذاب النار وعقاب النيران والظرف الاول
لغو متعلق لكان والثاني خبرها وهي مع خبرها خبر لان المخففة التي
حذف اسمها كما هي القاعدة فيها كما ذكر وقيل هي نافية واللام بمعنى
الا اي وما كانوا من قبل الا في ضلال مبين ظاهر البطلان لا شبهة
لادنى متفكر وايا ما كان فالجملة اما حال من الضمير المنصوب في يعلمهم
او مستانفة وعلى كلا التقديرين مبينة لكمال النعمة وتمامها روى
عن ابي سعيد الخدري رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله
ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي رواه ابن حبان في صحيحه وابو يعلى
في مسنده وابو الفضل في الشفاء رحمهم قوله تدري الخطاب للنبي والهمزة
الاستفهامية محذوفة كثيرة امثالها في الاحاديث الكرام والآيات لفظا
كحرف النداء والحاضر والغائب سيان عنده تعالى فالتقدير يا حبيبي اتدري
كيف رفعت ذكرك بين امثالك حيث لم ينفعه ذكري وربك الا بذكرك
ويصدقك لان من اطاعك فقد اطاعني فان الاطاعة الى شريعتك
اطاعة مني برضائي لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله ولم يطع الرسول
فلا يفيده ذكري كمن قال لا اله الا الله ولم يقل محمد رسول الله فانه ليس بمؤمن

ولا مصدق بالرسول فهو كافر بالله تعالى ورسوله فلو آمن بالله لاطاع امره
تعالى بالاتباع الى حبيبه فيما جاء به منه قوله تعالى قلت قاله جبريل عليه
السلام وفي بعض الرواية فقلت قوله ورسوله سهو من قلم الناسخ فالحق
ان يقول جبريل قلت الله اعلم كذا صرح شراح الحديث وان وقع في كثير
من الزيادة لعدم ملايمة المقام صرح علي القاري في شرح الشفاء رح
وروى عن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه
رواه ابو الفضل القاضي عياض في الشفاء عن سعيد المقبري رح قوله قرنا
فقرنا وهو من الاقتران يطلق على اهل كل زمان يقترنون في اعمارهم واحوالهم
في مقداره اقوال عشرة عشرون وثلاثون واربعون وخمسون وستون
وسبعون وثمانون وتسعون ومائة سنة ومائة وعشرون مطلق من الزمان
والاظهر انه من الزمان ما غلب وجود الاقران فلذا قيل اذا ذهب القوم
الذي انت منهم وخلقت في قرن فانت غريب والمراد من البعث التقلب
في اصلاب ابائه كانتقاله من نابت بالتولد بن اسمعيل ثم من النضر بن
كنانة ثم من قريش بني النضر ثم من عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم
ولله در القائل كم من اب قد علا بابن ذي شرف كما علا برسول الله عدنان
وروى عن العباس رض انه قال قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله
خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير قرنهم ثم تخير اي اختار القبائل
فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم
نفسا وخيرهم بيتا رواه الامام البيهقي في كتابه دلائل النبوة والترمذي
وحسنه قوله ان الله خلق الخلق اي الموجودات من الانس والجن
والملئكة وقد يحتمل الثقلين قوله فجعلني من خيرهم اي اختارهم وجعلني
من خيرهم وخير قرنهم وفي هذا دليل على ان رسل الانس خير من رسل

الملئكة كما ان رسلها خير من عوام الانس وفيه رد على قول اهل الاعتزال
حيث فضلوا ارسل الملئكة على رسل الانس واليه ذهب ومال الامام الفخر
الرازى فى كتابه المعالم قوله ثم تخير القبائل اى اختارهم واجتبيهم من القرون
فجعلنى من خير القبيلة وهو لقريش وجعلنى من خير البيوت بفضله على كرمه
الى ذاتا اذ خلقنى خاتم النبوة وابرزنى دائرة الرسالة وجعلنى مدار
الوجود ومظهر الكرم والجود صفة وخيرهم بيتا وعليهما اعلى الصلوات
واتمى التسلامات وروى عن واثلة بن الاسقع بفتح الهمزة وسكون السين
المهملة وفتح القاف للمعجمة المثنية وآخره عين مهملة وروى بالصاد
والزاء المعجمة بدل السين وهو من اصحاب الصفة انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم وهذا معرب
من اب رحيم اسمعيل وكانوا ثلثة عشر وكان اسمعيل عليه السلام نبيا
رسولا الى عماليق الحجازى وغيرهم واصطفى من ولد اسمعيل وهو نابت
اسمعيل والولد بفتح الواو واللام وقد يضم الواو مع سكون اللام وكانوا
اثنى عشر ولدا على ما ذكره ابو المغازى ابن اسحق من اجلة التابعين فى
سيره بنى كنانة وهو بكسر الكاف ابن نابت فبين نابت وكنانة ثلثة عشر ابا
على ما ذكره ابن اسحق ايضا واصطفى من بنى كنانة وكانوا اربعة منهم النضر
قريشا وهم اولاد النضر روى ان رجلا من قريش له قوة اربعين من غيرهم
واصطفى من قريش بنى هاشم اسمه عمرو وسمى بذلك لانه اول من ابدع
الثريد لقومه واضيافه من الحجاج وغيرهم فى سنة القحط والقرش تفكيك
الخبز والهشم ترتيبه تحت اللحم مع الماء فاذا لم يجد ضيفا فيركب
فرسه وتفحص الجوانب حتى يجد الضيف ثم ياكل معهم فلذا سمى بهما
واصطفانى من بنى هاشم اى عبد الله بن المطلب بن هاشم رواه البيهقى
فى الدلائل والترمذى وقال هذا حديث حسن ومسلم فى صحيحه وروى

نسب النبي صلى الله عليه وسلم

عن ابن عمر

عن ابن عمر رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى
اختار خلقه اى تخيرهم وقيل اوجدهم لان المختار عند المتكلمين
هو الفاعل المختار لا على سبيل الاكراه وفى هذا رد على مذهب الحكماء
واهل الاعتزال والجبر واعلام بان هذا باطل يلزم من قولهم حاشا وكلا
انه مجبور فى فعله فعلى هذا القول الباطل يلزم وجود الجابر الغالب
عليه تعالى لان وجود الاشياء يستلزم اربعة اشياء الواجد والموجود
والموجد والموجود له وكذا وجود الجبر يستلزم الجابر والمجبور والمجبور به
والمجبور عليه كالضرب يلزمه الضارب والمضروب والمضروب به والمضروب
عليه وقس على هذا سائر الاشياء من غير الله تعالى والجبر ضد الاختيار
فمنافى التوحيد ولا يكون الشئ الواحد جابرا ومجبورا فى حالة واحدة
فقال العلماء الراسخون من اهل السنة والجماعة ان الله تعالى فاعل مختار
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فارادته ومشيته وعلمه وقضاؤه ازلية
فللعباد ارادات جزئية واختيارات خيرية منوط على وفق حكمته
وطبق قدر تقديره فهو مريد بارادته الازلية على وفق التعليق فى اللوح
المحفوظ فى غير الارادة القسرية من الازل الى الابد كخلق السماء وقيام آدم
ومروره على الرجلين والبقر على اربع والحية على الوجه فالله تعالى
خالق للعباد قدرة على الافعال فانزل عليهم الانبياء والرسل مع الكتاب
والتكاليف الشاقة من الاوامر والنواهى وخلق الدارين الجنة والنار
فوعد الاول لمن آمن واخلص بارادته الجزئية المعلقة فى اللوح والثانى
لمن كفر وفجر وعصى بصرف الاختيارات الجزئية المعلقة والارادات
الجزئية والاختيارات الخيرية ليست بمخلوقة ولا موجودة على المذهب
المنصورية لانها معدومة حتى يتعلق الخلق لسائر المعدومات التى
تخلق بل موهبة من الله للعباد واقدارها اذا صرف العبد ارادته بوجود

ذلك المراد وتثبت اسبابه ووافق على ارادة الله خلقه واوجاده فوجود
المصنوع مسبب في الصرف بسببه المعلق في الازل ولا ازل فقطعيه
فلا ينافي الارادة الازلية فلا يلزمها الحدوث فوجوده غير الارادة وليس
عينه وما تعلق به الوجود المراد المعلق دون الارادة المعدومة ومع هذا
صرف الارادة الجزئية للعبد ليس بمقتضى ما لم يوافق ويصادف بارادة
فذلك مصرف التوفيق ومعناه وانما المراد مراد الله وارادته الازلية وارادة
العبد من مقولة الاسباب اذا وافق فلولاه لم يخلق فهذا مذهب الامام الاعظم
ومذهب تلميذه وهو ابو منصور الماتريدي فتصرف العباد فوائد عظيمة
بل هو سبب لوجوده اذا علق الارادة العلية به في اللوح المحفوظ دون
علم الله فانه يعلمه كما هو مع انه مأمور به كصرف الارادة الى الايمان وما اشبهه
من المأمورات بخلاف الاشاعرة فانهم يفرقون الارادة وينفون فوائدها
ويحملون على العبث فلذا يقعون في الجبر المتوسط بل في المحض اذ لا فائدة
بمجرد اقرار وجوده ما لم يثبتوا فوائدها فلا يتخلصون عن مذاهب
الجبرية فتنشأ منها مفاسد عظيمة معاذ الله تعالى لحمل الكتب السماوية المنزلة
والاحكام الشرعية على العبث الذي تقدس ذاته وصفاته عنه بل المحتو
مشتملة على الحكم الالهية كما قال ما خلقناهما الا بالحق وقوله تعالى افحسبتم
انما خلقناكم عبثا والاستفهام انكاري فلو لم يكن لهم الارادة الجزئية
والاختيارات الخيرية لما امر الله ووعد ونهى واوعد ولما انزل الكتاب
وارسل الرسل للزوم العبث في الكل فالتالي باطل والمقدم مثله فامثال
هذه الاباطيل انما تلزم من الجبرية ومن نفى الارادة المنصوصة بالكتاب
العزيز بقوله اعملوا ما شئتم فلوجود الارادة تدرك تفرقة بين الحركة
الاختيارية المقدورة بين الرعشة الضرورية مع ان صاحب الحركة
الرعشة لا يطلبها او يجب دفعها بالادعية والمعالجة لعجزه عن الاخذ

والضبط والدفع لانعدام قدرته خاصة اذا كان كاتبا فانما يلزم الكتابة
خصوصا اذا توقف تيسر الكتابة والحصر اليه وهو يفدي ماله في دفعها
ولم يقدره فكيف النسبة بينهما ووجود الحركة الاختيارية فيما يلزم وجوده
كالصلوة والحج والزكوة وغيرهما من المأمورات والاجتناب عن المنهيات
فهذه لا توجد الا بالارادة والمشية بقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر وما اشبهه فالحركة الاختيارية وصف وكسب للعبد ومخلوق
للرب حين وجوده وثمرتها وما تفرع عليها واما قبل الوجود فلا يتعلق به
الخلق لانعدامه وموهوب له فلها نسبة الى قدرة العبد كالظل الى الظل
قبل الوجود فسميت تلك الارادة باعتبار تلك النسبة كسبا ومكسوبا
للعبد ومخلوقا للرب فلذا اقتضت الحكمة ان يؤمر العباد بالاوامر وينهى
بالنواهي فلا يلزم اجتماع العلتين المؤثرتين المستقلتين في المعلول
الواحد اذ يجوز اجتماع القدرتين قدرة الاختراع وهو منه تعالى وقدرة
الاكتساب وهو من العبد بوسيلة التبعية جائز ومأمور به وانما المحال
اجتماع العلتين المؤثرتين على معلول واحد واثر واحد قال العلامة
التفتازاني عليه رحمة الباري في تعريف الارادة الجزئية هي القدرة
الحاصلة الحادثة في العبد والصفة المعدومة يخلقها الله تعالى ثم تهيأ
في العبد عند قصد اكتساب الفعل مع سلامة الاسباب والالات وبهذا
يظهر ان مناط التكليف بعد حصول الاختيار للعبد وهو قصد الفعل
المانع وهو تعلق قدرة الله التي لا يقاومها شيء بايجاد ذلك ويؤيده
ما قال ابن الهمام رح ان لزوم الجبرية يندفع بتخصيص النصوص بلزوم فعل
واحد قلبي وهو العزم المصمم وذلك داخل تحت الحكم المعمم وما قال الامام
البالاقاني من اهل السنة ان قدرة الله تعالى تتعلق باصل الفعل وقدرة
العبد تتعلق بوصفه من كونه طاعة او معصية فمتعلق تاثير القدرتين

بيان الاختلاف بين اهل السنة

مختلف كما في لطم اليتيم تاديباً وايذاءً فان ذات اللطم واقعة بقدرة الله وتاثيره وكونه طاعة على الاول ومعصية على الثاني بقدرة العبد وتاثيره لتعلق ذلك بعزمه المصمم لقوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ولذا قال بعض العارفين لا تختر فان كنت لا بد ان تختار فالارادة الكائنة للعبد التي تقارن فعله وقد رتب عليه حال صنيعه مخلوق قارن مع الفعل لا قبل الفعل ولا بعد الفعل لانه لو كان قبله لكان العبد مستغنياً عن الله تعالى واعانته وقت الفعل والاستغناء عنه تعالى كفر وضلالة لقوله تعالى والله الغني في ذاته وصفاته وانتم الفقراء اي لانكم عاجزون في كل الاحوال والفقر والاحتياج من لوازم البشرية وعلائم الخلقية ولو كان بعد الفعل لكان من المحال حصول الفعل بلا استطاعة اذ لا طاقة للمخلوق بدون اقتدار الله تعالى عليه على مقتضى ضعف البشرية وقوة الربوبية وهذا معنى قوله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانكشف معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اختار خلقه بارادته الازلية وقدرته الابدية بايجاده عن العدمية فاختار منهم بني آدم اي ميّز منهم بني آدم ثم اختار بني آدم اي تنقيهم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب اي آدم عليه بطناً بعد بطن من خيارهم ليزيدهم كرماً بعد كرم فاختار منهم قريشاً وهم اولاد النضر بن كنانة ثم اختار قريشاً فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني اي منهم فلم ازل خياراً من خيار من الآباء الكرام والاجداد العظام الا من احب العرب وانما اوتي حرف التنبيه ايماء على تحقيق اهتمام ما بعد فبحبي اي بسبب حبه اياي احبهم ومن ابغضهم فببغضي اي بسبب بغضه اياي ابغضهم رواه الامام الطبراني في المعجم الكبير والاوسط والطبري محمد بن جرير احد الاعلام صاحب التفسير والتصانيف اهل

طبرستان

سبب دخول الجنة قصر الامل

طبرستان وسمع خلايق واخذ القراءة عن جماعة توفي سنة عشر وثلثمائة وروى عن الحسن رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اكلكم يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا الامل واجعلوا آجالكم بين ابصاركم واستحيوا من الله حق الحياء رواه ابن ابي الدنيا وابو نعيم في الحلية وابن مبارك قوله قصروا والقصر عبارة عن نفي الامل لانه ان كان للتلذذ بالمحرمات فحرام والا فمذموم جداً ولو كان لتكثير الطاعات لاستلزامه الكسل وتاخيره وتسويف التوبة وتركها وقسوة القلب لعدم الموت ونعله والحرص على جمع الدنيا بنيته الحج والخيرات وامثالهما والاشتغال من لوازم الآخرة واما ارادة طول الحيوة بشرط التقوى وزيادة الصلاح فليس بامل مذموم بل هو مندوب اليه لان المراد منه زيادة الطاعات بلا شرط الاستثناء ولا بالحكم عليه فنية المؤمن خير من عمله لانها لا تدخله الموانع من الآفات المصلية كما تدخل في غيرها من المذكورات كمن جمع الاموال للخيرات ثم منعه مانع فصرفها الى غير رضاء الله وكذا سائرها وروى عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من تضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه اضمن له الجنة رواه البخاري والترمذي قوله ما بين لحييه هو اللسان من الغيبة والكذب والافتراء والبهتان وما يلزمه من الاستماع والرؤية من الاجانب المحرمة والتذوق والتلبس والتشمم بما ليس له مساغ في الشريعة الغراء والطريقة البيضاء من النهي من الله العلي الاعلى قوله وما بين رجليه من الزنى واللواطة وما ينوب مقامهما كالتبرع ما روى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء واحفظوا الرأس وما حوى والبطن وما وعى واذكروا الموت والبلى ومن اراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء وكان ثوابه جنة المأوى

قوله من الزنا يجوز فيه القصر والمد منه

رواه احمد بن حنبل في مسنده قوله احفظوا الرأس وما حوى اي جمع وشمل
من البصر والسمع والتذوق والشم من علهن الصاد دمهن مما يخالف
الشرع الشريف المستغني عن البيان اللطيف من استماع اللغويات ورؤية
الاجانب المحرمات الزانيات وتذوقها وتشممها مما لم يؤذن فعلها قوله
والبطن وما وعى واشتمل من اكل الحرام والشبهات والقلب من الحقد والحسد
والمذمومات عند الله والملئكة واكرم الناس والجن اجمعين وروى عن
ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من وقى شر ما بين لحييه
وشر ما بين رجليه دخل الجنة رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه وروى
عن عبادة الصامت رضه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اضمنوا لي ستا من انفسكم اضمن لكم الجنة اصدقوا اذا حدثتم واوفوا
اذا وعدتم وادوا اذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا ابصاركم وكفوا
ايديكم رواه احمد بن حبان في صحيحه قوله وغضوا وكفوا امران من المضاعف
من غضض وكفف كمدد ثم فعل بهما ما فعل في المدد فالامر منهما اغضض
واكفف كامدد فادغم ما ادغم فيه فصار اغضوا واكفوا كمدوا بضم الاولين
بالانتقال من الضاد الاولى والفاء الاولى فاستغنيا عن الهمزة المجهولة
لاعتداد الابتداء على ما هو المقرر في علم الاشتقاق فصار اغضوا وكفوا
كمدوا وروى عن ابي سعيد الخدري رضه انه قال قال جاء رجل الى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله اوصني قال عليك بتقوى الله فانها
جماع كل خير وعليك بالجهاد في سبيل الله فانها رهبانية المسلمين
وعليك بذكر الله وتلاوة كتابه فانه نور لك في الارض وذكر لك
في السماء واخزن لسانك الا من خير فانك تغلب الشيطان رواه الطبراني
في المعجم الصغير قوله عليك بتقوى الله اي الزم ودم على خوف الله
مما نهاه واعمل بما امر مقارنا بالاخلاص مجتنبا عن الرياء والسمعة

التقوى فانه جماع كل خير

ثم ما يبعدك

ثم ما يبعدك عن الرحمة الواسعة الساترة يوم تبلى السرائر في الاخرة
قوله واخزن لسانك يعني ان اللسان يبشر بكل ما يتكلم ويتذوق حتى
اذا طابق هواه من الكذب والغيبة والافتراء والبهتان مما جرى منه
ولم يسبه بجراءة كاللص اذا رأى الباب مفتوحا يجري مذاقه ويسرق بما ناله
مسرورا بما ناله ولما اذا اخذ وحبس في السجن صار محزونا بما فاته وفيه
استعارة تحقيقية حيث شبه اللسان باللص واثبت حال المشبه به
الى المشبه ترشيحية وتبعية اي احفظ لسانك المغيرة لاعمالك بالغيبة
والكفر المزيلتين المبدلتين للاعمال الحسنة بالسيئة والجنة بالنار
الموقدة فهذه اشنع الخصم من اللص اذ اللص يغير اموال الدنيا الدنية مع
انها حاضرة عندك في الاخرة وهذه اللسان تغير الاعمال والايمان الموصلتين
الى الجنة والرضا فاي الخصم اشد واعون الى الشيطان فاخزنها بالحبس
في سجن الفم بالسكوت الا من خير حتى تغتنم وتسلم فان السلامة في حفظ
اللسان فبهذا تغلب على الشيطان فتقرب الى جنة الرحمن ونعيم المنان
فينبغي للمسلم ان يكون حافظا لرضاء الرحمن في جري الجنان وروى
ابو سعيد الخدري رضه انه قال اذا اصبح ابن آدم سألت الاعضاء كلها
اللسان وقلن نشدك الله اي نسألك الله تعالى ان تستقيم فانك ان استقمت
استقمنا وان اعوججت اعوججنا رواه الترمذي وابن ابي الدنيا وروى
عن انس رضه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يستقيم
ايمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه
ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه رواه احمد وابن ابي الدنيا
قوله ولا يدخل الجنة ان استحل اذى جاره فهو كافر لا يدخلها ان مات
في هذه الحالة قبل التوبة او لا يدخل دخولا اوليا وقت دخول الفائزين
اذا فتحت ابوابها لهم بل يؤخر ثم قد يجازى وقد يعفى عنه فيدخلها

اولاً ايضاً وانما اولناه بهذا التأويل لان مذهب اهل الحق ان من مات على التوحيد مصرا على الكبائر فامره مفوض الى الله ان شاء عفى عنه فادخله الجنة اولاً وان شاء عاقبه ثم ادخله الجنة قوله بوائقه جمع بائقة بمعنى شره وروى عن ابن عمر رض ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صمت نجا رواه الترمذى رح وروى عن ابن عمر رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من سره ان يسلم فليلزم الصمت رواه ابن ابى الدنيا قال الله تعالى فى سورة ق فى كتابه العزيز ولقد خلقنا الانسان جواب للقسم المقدر اى والله لقد ابدعناهم من العدم بوجوده وما لزم منه من عمره ورزقه ونفسه ومأكله ومشربه وملبسه واولاده ان عمر وزوج وما يصدر عنه من الافعال والحركات والسكنات من ظاهره وباطنه مدة عمره ونعلم ما توسوس به نفسه اى ما تحدث نفسه وهو ما يخطر بالبال لما فى الحال والمآل اما له او عليه والوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى والضمير لما ان جعلت موصولا والباء كما فى صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اى اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب الذات تجوزا لانه موجب له وحبل الوريد مثل فى فرط القرب والحبل العرق واضافته بيانية والوريد عرقان مكتنفان بصفحتى العنق فى مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمى وريدا لان الروح ترده اذ يتلقى المتلقيان منصوب بما فى اقرب من معنى الفصل والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى ما لا شئ اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حتى يتلقى ويتيقن الحفيظان ما يتلفظ به ايذانا بانه تعالى غنى عن استحفاظهما لاحاطة علمه بما يخفى عليهما وانما ذلك لما فى كتبتهما وحفظهما لاعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم

الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطته تعالى بتفاصيل احواله غير امن زيادة لطف له فى الكف عن السيئات والرغبة فى الحسنات وروى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجرى فيما لا يعنيك لا تستحيى من الله ولا منهما وتجوز ان يكون تلقى الملكين بيانا للقرب على معنى انا اقرب اليه مطلعون على اعماله لان حفظتنا موكلون به عن اليمين وعن الشمال قعيد اى مقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظا ومعنى فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وبالعكس وامثاله كثيرة فى الايات كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اى والبرد وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما فى قوله والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول اى ما يرمى به من فيه من خير او شر وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول الا لديه رقيب ملك يرقب قوله ذلك ويكتبه فان كان خيرا فهو صاحب اليمين بعينه والا فهو صاحب الشمال ووجه تغيير العنوان غنى عن البيان ولافراد مع كونهما معا ما صدر عنه لما ان كلا منهما رقيب لما فوض اليه لا لما فوض الى صاحبه كما ينبئ عنه قوله تعالى عتيد اى معد متهيئ لكتابة ما امر به من الخير او الشر ومن لم يتنبه له توهم ان معناه رقيبان عتيدان وتخصيص القول بالذكر لاثبات الحكم فى الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه وقيل يكتبان كل شئ حتى انين المريض وقيل انما يكتبان ما فيه اجر او وزر وهو الاظهر كما ينبئ عنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا

وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات
لعله يسبح أو يستغفر فقوله سبع ساعات المراد منها ساعات النجوم التي عدد
اثني عشر شهرا في كتاب الله ويطلق عليها ساعة الشرعي أيضا لموافقتها بها آية
ويطلق على مقدار النفس أيضا إذ المقام قرينة وهو المكث الطويل وهذا
منتف في المقدار الذي هو عبارة عن الأخذ والإعطاء كذا صرحه الإمام
النسفي في التفسير التيسير في قوله تعالى إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون في سورة يونس في هذا المقام فارجعه تقف تفصيله وجاءت
سكرة الموت بالحق بعدما ذكر استبعادهم للبعث والجزاء وأزيح ذلك
بتحقيق قدرة الله تعالى وعلمه وبين أن جميع أعمالهم مكتوبة محفوظة عليهم
أتبع ببيان ذلك بما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع من الأحوال
والأهوال وقد عبر عن وقوع كل منها بصيغة الماضي إيذانا بتحققها
وغاية اقترابها وسكرة الموت شدته الذاهبة للعقل والباء إما للتعدية
كما في قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى أحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر
الذي نطقت به كتب الله ورسله أو حقيقة الأمر وجلية الحال من سعادة
الميت وشقاوته وقيل الحق الذي لا بد أن يكون لا محالة من الموت والجزاء
أي الإنسان خلق له وإما للملابسة كالتي في قوله تعالى تنبت بالدهن
أي ملتبسة بالحق أي بحقيقة الأمر أو بالحكمة والغاية الجميلة وقرئ
سكرة الحق بالموت والمعنى أنها السكرة التي كتبت على الإنسان بموجب
الحكمة وأنها لشدتها توجب زهوق الروح أو تستعقبه وقيل الباء بمعنى
مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على أن الإضافة للتهويل وقرئ سكرات
الموت ذلك أي الموت ما كنت منه تحيد وتميل وتحسب أن جميع الإنسان
يذوقونه ولا ينزل عليك لفرط محبتك إلى الدنيا فإن حب الشيء يعمي
المحب ولا يرى فيه إلا ما هو من الحسنات وإن كانت من المكروهات في نفس

قوله كاتب الحسنة من الملائكة وسلطان على ملك اليسار
ملك اليمين على ملك اليسار
وأمره بسبع ساعات

الأمر فيؤول بأحسن التأويل فلذا قال ما كنت منه تحيد أي تميل وتنفر
عنه والخطاب للإنسان فإن النفرة عنه شاملة لكل فرد من أفراده
طبعا ونفخ في الصور هي النفخة الثانية ذلك أي وقت ذلك النفخ على حذف
المضاف يوم الوعيد أي يوم إنجاز الوعيد الواقع في الدنيا أو يوم وقوع
الوعيد وإنجاز الوعد لأصحابهما على أنه عبارة عن العذاب الموعود والجزاء
المشهود وقيل ذلك إشارة إلى الزمان المفهوم من نفخ فإن الفعل كما يدل
على الحدث يدل على الزمان أيضا وتخصيص الوعيد بالذكر مع أنه
يوم الوعد أيضا للتهويل ولذلك بدئ بحال الكفرة وجاءت كل نفس
من نفوس البر والفاجرة معها سائق وشهيد وإن اختلفت كيفية السوق
والشهادة حسب اختلاف النفوس عملا أي معها ملكان أحدهما يسوق
إلى المحشر والآخر يشهد بعملها أو ملك جامع بين الوصفين كأنه قيل معها
ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب
الحسنات وقيل السائق نفسه وقرينه والشهيد جوارحه وأعماله ومحل
معها النصب على الحالية من كل نفس لإضافته إلى ما هو في حكم المعرفة كأنه
قيل كل النفوس كائنة معها أو الجر على أنه وصف لكل وقوله تعالى لقد كنت
في غفلة من هذا محكي بإضمار قول إما صفة أخرى لنفس أو حال أخرى منها
أو استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فماذا يفعل بها فقيل
يقال لقد كنت في غفلة من هذا خطابا لكل بذلك لما أنه ما من أحد
إلا وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ كنت بالكسر على
اعتبار تأنيث النفس والتذكير على القراءة المشهورة بتأويل الشخص
كما في قول الشاعر * يا نفس إنك باللذات مسرور * فكشفنا عنك غطاءك
الغطاء الحجاب المغطي لأمور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات
والإلف بها وحصر النظر عليها دون غيرها متلذذا أو متعوذا فبصرك

اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار وهو الغطاء وقال قرينه هذا
ما لدي اي الشيطان المقيض له قال مشيرا اليه هذا ما عندي وفي ملكتي
عتيد مهيأ لجهنم قد هيأته لها باغوائي واضلالي وقيل قال الملك الموكل
مشيرا الى ما معه من كتاب عمله هذا مكتوب عندي عتيد مهيأ للعرض
وما ان جعلت موصولة فهي بدل منها او خبر بعد خبر لمبتدأ محذوف القيا
في جهنم كل كفار خطاب من الله تعالى السائق والشهيد او للملكين من خزنة
النار او الواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره او على
ان الالف بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده
قراءة القين بالنون الخفيفة المؤكدة عنيد معاند للحق وموثق للباطل
حبا للشيطان القرين وعداوة لله الملك الاعلى المتين مناع للخير كثير
المنع للمال والايمان عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالمنع الاسلام
فان الاية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه منه او انهم سدوا
الطرق وسددوا المدارس عن قبول الايمان وخوفوا بانواع العذاب من الا
هلاك ومادو ونترو يؤيده قوله كل كفار مقيدا لا قرار فردا فردا معتد ظالم
متخط للحق مريب شاك في وحدة الله ودينه وكتابه ورسوله الذي
يدعي وحدة الله ونفي شريكه وبطلان العبدة والاوثان عندهم بحيث
يصنعون بايديهم بانواع الصور والزينة مدة ثم يسئلون تخلصهم فلم يغنوا
وكسروها وغضبوا عليها ثم صنعوا بعد ذلك صنما وثنا اخر نهم وثم لا يتخلو
ذلك المريب الذي جعل مع الله الها اخر مبتدأ متضمن معنى الشرط
خبره قوله فالقياه في العذاب الشديد او بدل من كل كفار وقوله تعالى
فالقياه تكرير للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه
اي الشيطان المقيض له وانما استونفت استيناف الجمل الواقعة في
حكاية المقاولة لما انه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى ربنا ما اطغيته

فانه مبني

فانه مبني عن سابقة كلام اعتذر به الكفار فردا فردا كانه قال هو اطاعني فاجاب
قرينه بتكذيبه واسناد الطغيان اليه بخلاف الجملة الاولى فانها واجبة
العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميها في الحصول اعني مجيء كل
نفس بالملكين وقوله قرينه ولكن كان بالذات ومقتضى الجبلة في ضلال
بعيد من الحق فاعنته بالاغواء والدعوة الخفية من غير الجاء وقسر وما كان لي
وما كان لي عليهم من سلطان يلجئ من الضرب والحرب والجر بالربط والاسر
بالضبط فلا يلومني بل يلومون انفسهم ما انا بمصرخهم وما هم بمصرخي
فاليوم الحكم لله العلي الحكيم قال الله تعالى بعد هذه المخاصمة موقف الجزاء
والحساب لا تختصموا لدي اذ لا فائدة لهذه المناقشة ولا عائدة الى هذه
المخالفة والمحاربة فعبادي الذين اخلصوا دينهم وتداركوا احوالهم وتذكروا
مالهم وجاهدوا في اموالهم وامالهم وتهيئوا ازخار اعمالهم حالا وما لا الينا لو
جئنا وجما الا وقد تقدمت اليكم بالوعيد بانواع العذاب على الطغيان في دار
الدنيا الدنية الفانية في الكتب المنزلة الالهية على السنة الرسل المؤيدة
باصناف المعجزات الباهرة والايات الدالة الظاهرة فكفرتم بكتبي
وحاربتم برسلي فلا تطمعوا الخلاص عما خوفتم بعد المعاينة ولا تنفعكم المعاذير
الباطلة فالجملة حال وتعليل للنهي على معنى لا تختصموا وقد صح عندكم
اني قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لابليس لاملان جهنم منك وممن
تبعك منهم اجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق الواجب اتباعه واحق
ان يتبع به فلا وجه للتخاصم يوم الجزاء اذ كل نفس بما كسبت رهينة
والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم وقد جوز ان يكون قدمت
واقعا على قوله تعالى ما يبدل القول لدي ويكون بالوعيد متعلقا بمحذوف
وهو حال من المفعول والفاعل اي وقد قدمت اليكم هذا القول ملتبسا
بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم به فلا تطمعوا ان ابدل

ترغيب في حفظ الفرج وغض البصر

وعيدي والعفو عن بعض المذنبين لاسباب داعية اليه ليس بتبديل
فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وما انا بظلام للعبيد واراد
لتحقيق الحق على وجه الكلي وتبيين ان عدم تبديل القول وتحقيق موجب
الوعيد ليس من عند الله تعالى من غير استحقاق لهم بل انما ذلك بما صدر عنهم
من الجنايات الموجبة له حسبما اشير اليه آنفا اي وما انا بمعذب للعبيد
بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب
ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما لبيان
كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه
من الظلم وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب
بغير ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية من قولهم
فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها مبالغة كما لا كيفا روى
عن عبادة الصامت رضي انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اضمنوا الي ستا من انفسكم اضمن لكم الجنة اصدقوا اذا حدثتم واوفوا
اذا وعدتم وادوا اذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا ابصاركم وكفوا
ايديكم رواه احمد وابن حبان في صحيحه وروى عن ابي هريرة رضي وابن
عباس رضيهما قالا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من اصاب من المرأة
نظرة حراما ملأ الله تعالى عينيه نارا ثم الى النار فان غض بصره عنها
ادخل الله قلبه محبته ورحمته ثم امر به الى الجنة رواه الحرث وروى
عن جرير بن عبد الله انه قال سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن نظرة
الفجاءة فامرني ان اصرف بصري رواه مسلم قوله الفجاءة بضم الفاء وفتح
الجيم الممدودة وبفتح الفاء وسكون الجيم لغتان معنى نظرة الفجاءة ان يقع
بصره على الاجنبية من غير قصد فلا اثم عليه الا ان يستلزم النظرة
قال القاضي عياض في شرح المسلم قال العلماء وفي هذا حجة لا يجب على المرأة

اصله غضضوا فادغم كما ادغم امددوا ثم صار غضوا بضم الغين كمدوا بضم الميم منه

في وجوب غض البصر للرجال والنساء

ان تستر وجهها في طريقها وانما ذلك سنة مستحبة لها ويجب على الرجل
غض البصر عنها في جميع الاحوال الا لغرض صحيح شرعي وهو حالة الشهادة
والمداواة وارادة خطبتها او شرى الجارية او المعاملة بالبيع والشرى وغيرها
وانما يباح في جميع ذلك قدر الحاجة دون ما زاد عنها وعن ام سلمة رضي الله
عنها انها قالت كنت عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعنده ميمونة
بنت الحارث فاقبل ابن ام مكتوم الاعمى رضي وذلك بعد ما امرنا بالحجاب
فدخل عليه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احتجبا منه فقلت
يا رسول الله اليس هو اعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم افعميتما الستما تبصرانه رواه الترمذي وابو داود وصح قوله افعميتما
الستما تبصرانه فيه دليل على ان غض البصر كما كان فرضا واجبا على الرجال
يكون فرضا على النساء لشدة الغيظ والتغليظ في الجواب المفهوم من همزة
الاستفهام التي هي للانكار ويؤيده قوله تعالى وقل للمؤمنات يغضضن من
ابصارهن على ان الاخبار بمعنى الانشاء اي ليغضضن بقرينة المعطوف
عليه حيث ثبت منه الفريضة على ان المقام مقام الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وهذان سيان فيهما والحديث والاية حجتان على الامام المالك
حيث ذهب الى الاستحباب في النساء ويؤيده قوله تعالى خطابا لهما من غير فرق
بينهما قل للمؤمنين عاما شاملا لهما بالعطف في السباق على السياق بحرف
جامع بينهما حيث يندرج حكم المستاذنين عند دخول البيت ابتداء كما اوليا
وتوجيه الخطاب للنبي المكرم والرسول المحترم عليه اكمل الصلوات
اعلاها واكمل التحيات انماها وتفويض ما في حيزه من الاوامر والنواهي
الى رأيه لانها تكاليف متعلقة بامور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بان
يكون الامر بها والتصدي لتدبيرها حافظا مهيمنا عليهم ومفعول الامر
الآخر قد حذف تعويلا على دلالة جوابه عليه اي قل لهم غضوا يغضوا من

ابصارهم عما يحرم ويقصروا به على ما يحل ويباح ويحفظوا فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم غير ملومين بهما فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما فى امر النظر من السعة وقيل المراد بالحفظ هاهنا خاصة هو الستر ذلك اى ما ذكر من الغض والحفظ ازكى لهم اى اطهر لهم من دنس الريبة ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه شيء مما يصدر عنهم من الافاعيل التى من جملتها اجالة النظر واستعمال سائر الحواس وتحريك الجوارح وما يقصدون منه فيكونون على حذر منه فى كل ما يأتون وما يذرون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه كالرجال المنهيين عنه بشهادة الحديث فعميتما الستما تبصرانه خطابا لام سلمة وميمونة بنت الحارث من الزوجات المطهرة على سبيل التعذير المغلظ على الزوجات المطهرات رضى الله عنهما وبشهادة قوله ويحفظن فروجهن بالتصون والتستر عن الزنا ومباديها ومتمماتها وتقديم الغض لان النظر مبادى الزنا ورائد الفساد ولا يبدين زينتهن متزينات به ادعيا بالاصباغ التى تتجمل بها وفيه من المبالغة فى النهى عن ابداء مواقعها ما لا يخفى الا ما ظهر منها عند مزاولة الامور التى لا بد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فان فى سترها حرجا بينا مدفوعا عن هذه الملة الاسلامية فى الشريعة البيضاوية وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان من اليدين لانها ليست بعورة للحرج المدفوع وليضربن بخمرهن على جيوبهن فيه ارشاد الى كيفية اخفاء بعض مواضع الزينة بعد النهى عن ابدائها وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لوسعتها فامرن بارسال خمرهن الى جيوبهن سترا لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى الالقاء فعدى بعلى وقرئ بكسر الجيم كما تقدم ولا يبدين

زينتهن

زينتهن كرر النهى لاستثناء بعض مواد الرخصة عنه باعتبار الناظر بعد ما استثنى عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور الا لبعولتهن فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن او بنى اخواتهن لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة بينهم لما فى طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وعدم ذكر الاعمام والاخوال لما ان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا من ان يصفوهن لابنائهم او نسائهن المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فان الكوافر لا يتحرجن عن وصفهن للرجال او ما ملكت ايمانهن من الاماء فان عبد المرأة بمنزلة الاجنبى منها عند الحنفية وعند الشافعى يعم الاماء والعبيد لما روى ابو داود ان النبى صلعم اتى فاطمة بعبد وهب لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه السلام انه ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك وفى هذا الاستدلال نظر لانه لا يصلح ان يكون منشأ الاستدلال لاحتمال ان يكون الغلام صغيرا لم يبلغ الاحتلام وان يكون هذا مشروطا بعفته عن الحرام ويحتمل ان يكون من قبيل قوله او التابعين غير اولى الاربة من الرجال اى البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء ومرامهم ولا يشتهون اليهن اصلا او هم الشيوخ المعتوه وفى المجبوب والخصى خلاف وعند الشافعى والصحيح انهما كالفحل عند الامام الاعظم رحمهما وقرئ غير بالنصب على الحالية او الطفل اى جنسه من الاطفال الذين لم يظهروا اى لم يطلعوا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة وانما وضع المفرد موضع الجمع اشارة الى الجنسية بدلالة

الوصف بالموصول ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن بالخفية من الرؤية اي لا يضربن بأرجلهن الارض ليتقعقع خلخالهن فيعلم انهن انهن ذوات خلخال فان ذلك يورث الرجال ميلا اليهن ويوهم ان لهن ميلا اليهم وفي النهي عن ابداء صوت الحلي بعد النهي عن ابداء عينها من المبالغة في الزجر عن ابداء مواضعها ما لا يخفى وتوبوا الى الله جميعا تلوين للخطاب وصرف له عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى الكل بطريق التغليب لابراز كمال العناية بما في حيزه من امر التوبة وانها من معظمات المهمات الحقيقة بان يكون سبحانه وتعالى هو الآمر بها لما لا يكاد يخلو احد من المكلفين عن نوع تفريط في اقامة موجب التكاليف كما ينبغي وناهيك بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم شيبتني سورة هود لما فيها من قوله عز وجل فاستقم كما امرت لا سيما اذا كان المأمور به الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب في الاسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله كما هو اثر قبول التوبة فالواجب على التائب بالتوبة النصوح اذا خطر الاثم المتوب عنه استغفر بالندامة ورجع الى الله الغفور بالصدق والخلوص فكان لم يكن لا فعل ولا ذنب له للاثر الصحيح المشهور من قول التائب من الذنب كمن لا ذنب له وفي تكرير الخطاب بقوله ايها المؤمنون تأكيد للايجاب وايذان بان وصف الايمان موجب للامتثال حتما وقرئ اية المؤمنون لعلكم تفلحون تفوزون بذلك سعادة الدارين وروي عن بريدة رض انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب اسمه عبد مناف كرم الله وجهه لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الآخرة وروي عن جرير بن عبد الله رض انه قال سألت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن نظر الفجاءة قال صلى الله تعالى عليه وسلم اصرف بصرك وروي عن ابي سعيد اسمه سعيد بن مالك الخدري رض عن ابيه مالك رض ان رسول الله

صلى الله

صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا ينظر الرجل الى عورة الرجل ولا المرأة الى عورة المرأة ولا يفضي الرجل الى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المرأة الى المرأة في الثوب الواحد روى الاحاديث الثلاثة الامام البغوي في المعالم وعورة الرجل من السرة الى الركبة والسرة داخلة في العورة الواجبة حفظها دون الركبة عند الامام الاعظم رح وبالعكس عند الامام الشافعي وقال الامام مالك رح الفخذ ليس بعورة لما روي عن انس رضي الله تعالى عنه انه قال اجرى نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرسا في خيبر وان ركبتي لتمس فخذ النبي صلعم ثم حسر الازار عن فخذه حتى اني لانظر الى بياض فخذ نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم رواه البغوي فمذهب مالك رح مذهب ابيه واما في المذاهب الثلاثة فالفخذ عورة وانما الاختلاف فيما بعده لما روي عن محمد بن جحش رض انه قال مر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على معمر رض وفخذاه مكشوفتان قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا معمر غط فخذيك فان الفخذين عورة رواه الامام البغوي في المعالم اقول لعل ذهابهم الى الحرمة ان الدليل الثاني وقع ثانيا في التاريخ فصار الاول منسوخا وخبر الواحد فلا يقابل الجمعية كاملة النصاب كما هو شرط في الاشهاد ونصاب الشهادة اثنان وهذا ايضا شرط الصحيحين للشيخين كما بين في الاصول واما المرأة فجميع بدنها عورة الا الوجه والكف ولا يجوز النظر في شيء منها سواهما لا زوجها حتى النظر في فرجها لانها ملكه بالنكاح والامة مثل الرجل الا ظهرها وبطنها ويجوز للزوج ان ينظر الى جميع بدن زوجته وامته الا كره عند الشافعي رح ان ينظر فرج امته بعد النكاح كالامة الاجنبية روي عن عبد الله بن مسعود رض انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه النظرة سهم مسموم من سهام ابليس من تركها مخافتي ابدلته ايمانا يجد حلاوته في قلبه رواه الحاكم في المستدرك والطبراني في المعجم الثلث

وروى عن ابي امامة رض عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما من مسلم ينظر
محاسن امرأة ثم يغض بصره الا احدث له عبادة يجد حلاوتها في قلبه رواه
الطبراني رح قوله ينظر محاسن امرأة اي بنظرة الفجاة من غير قصد قوله الا احدث الله
اي رزقه الله تعالى له عبادة وكرامة حاصلة منها وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كل عين باكية يوم القيمة الا عين غضت
من محارم الله وعين سهرت في سبيل الله وعين خرج منها مثل رأس الذباب من
خشية الله رواه الاصبهاني رح قوله عين سهرت اي تركت النوم والثبات
بحفظ الجيش من الاعداء والسهر خلاف النوم الى الصباح وروي عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم اذا دخل اهل الجنة الجنة امر الله تعالى بشجرة طوبى حتى يمطر سفرجلا
على اهل الجنة فياخذ ولي منها وينقلها في يده فاذا انشقها واحد منهم تخرج منها
جارية وتقول السلام عليك يا ولي الله فيرد سلامها فيقول من انت فيقول
انا الحور العين ويقول لمن انت فيقول اقرأ ما كتب على جبهتي فاذا على جبهتها
مكتوب هذه هدية من الله تعالى لمن غض بصره عن محارم الله تعالى في الدنيا كذا
في حيوة القلوب وحكي ان الربيع بن خثيم كان يداوم غض البصر بغض الشيء
فوقها حتى اذا النساء قلن ما اجمل هذا الرجل الا انه اعمى وروي عن ابي سعيد
رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما من صباح الا وملكان يناديان
ويل للرجال من النساء وويل للنساء من الرجال رواه ابن ماجه والحاكم رح وروي
عن اسامة بن زيد انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما تركت بعدي
فتنة هي اضر على الرجال من النساء اخرجه البخاري ومسلم وروي عن ابي امامة
رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اياك والخلوة بالنساء
والذي نفسي بيده ما خلا رجل بامرأة الا دخل الشيطان بينهما ولان يزحم
رجل خنزيرا متلطخا بطين وحمأة خير له من ان يزحم منكبيه منكب امرأة لا تحل له
حديث غريب رواه الطبراني قوله لان يزحم اي يلحق قوله وحمأة بفتح الحاء وسكون

الميم وبعدها همزة وتاء التانيث هو الطين الاسود وروي عن معقل بن يسار
رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لان يطعن في رأس احدكم
بمخيط من حديد خير له من ان يمس امرأة لا تحل له رواه الطبراني والبيهقي
رح قوله المخيط بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الياء التحتية المثناة
وآخره طاء مهملة وهو آلة الخيط صغيرا كان او كبيرا وانكحوا الايامى
جمع ايم يطلق على الذكر والانثى وهو من لا زوج له من الرجال والاناث
يقال رجل ايم وامرأة ايمة اصله ايايم فقلبت الياء الفا لانفتاح ما قبلها
فلما زجر الله تعالى عن السفاح ومبادئه القريبة والبعيدة امر سبحانه عز وجل بالنكاح
المسنونة ولا لفة المقبولة والكثرة الممدوحة مع كونه مقصودا بالذات
من خلق المخلوقات لاعتراف العبودية واعتراف العبادات من حيث كونه
مناطا لبقاء النوع ودوام النزع اي زوجوا ايها المؤمنون من لا زوج له
منكم وعشيرتكم من الرجال والنساء بكرا كان او ثيبا من الاحرار والحرائر
والصالحين من عبادكم اي عبيدكم وامائكم على ان الخطاب للاولياء والسادات
واعتبار الصلاح في الارقاء لحفظ دينهم وحسن الشفقة عليهم لان من لا
صلاح له منهم بمعزل من ان يكون خليقا بان يعتني مولاه بشأنه ويشفق عليه
ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد له منه شرعا وعادة من بذل المال والمنافع
بل حقه ان لا يستبقه ولا يستبقه عنده الا بالاذية واما عدم اعتبار الصلاح
في الاحرار والحرائر فلان الغالب فيهم الصلاح على انهم مستقلون في التصرفات
المتعلقة بانفسهم واموالهم فاذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة الاولياء لهم
اذ ليس عليهم في ذلك غرامة حتى يعتبر في مقابلتها غنيمة عائدة اليهم عاجلة
او آجلة وهذا الامر ندب واستحباب لاجماع السلف والخلف عليه وقيل
المراد هو الصلاح والقيام بحقوق ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله
يغنهم في اجتماع الرزقين للزوج والزوجة وطعام الواحد يكفي الاثنين

وطعام الاثنين يكفي للأربعة فأيّ غناء أغنى منه إذ بقي القوت بعد الشبع لوقت يرجع مثليه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عجبت لمن يبتغي الغناء من غير النكاح لأن الله تعالى وعد الغناء فيه وعلق ذهاب الفقر به فقال إن يكونوا فقراء يغنهم الله وقال تعالى في الآية الأخرى وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته وقرئ وإن يتفارقا أي وإن يفارق كل واحد منهما صاحبه بأن لم يتفق بينهما وفاق وظهر شقاق بوجه ما من الصلح وإيتاء حقه كما لا يغني الله كلاً منهما يجعله مستغنياً عن الآخر ويكفه مهماته من فضله الواسع بأي وجه كان إذ الدواب لا تحمل رزقها الله سبحانه يرزقها كيف شاء لما شاء لأنه تعالى خلق الأشباح وكفل أرزاقهم ما داموا أحياء فيبسط لمن يشاء ويقدر عليه إذ لا رب إلا هو ولا الرزاق إلا هو والكل مرزوق برزقه ومأمور بإيتاء الزوائد على عباده من رزقه فحقيقة الرزق من الله عز شأنه وظهر عزته وجلالته والإسناد إلى غيره مجاز أولاً فالعباد من العجزة وإن كان سلطاناً ناظراً فحاله عارية وما عنده أمانة مأمور بالعدالة وعدم الخيانة فمن وفى بعهد الله سبحانه فهو أمين عادل ومن لم يف بعهده فهو خائن مبذر وبالجملة فحسن الظن على الله تعالى واجب وسوء الظن كفر وضلالة وغواية فمن توكل على الله تعالى في كل الأمور في الدارين فهو تعالى يكفيه في الكونين والله واسع أي الرزاق الفتاح بالفضل الواسع والكرم الجامع حيث يبسط الرزق لمن يشاء من عباده عليم بقدر ما يحتاج كل واحد منهم على ما يقتضيه الحكم العلية والشيم الخفية والجلية ولو بسط الرزق للعباد جميعاً لبغوا في الأرض ولعطل أكثر الأشياء إذ على هذا التقدير لصار الكل غنياً فلا يرتكب فلا يوجد العمال لكل الأعمال من الزراعة والحصادة وأنواع الصنائع وأصناف القناعة فلذا قال الله تعالى في كتابه العزيز في سورة الشورى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض في غالب الأوقات إذ الفساد

من الأغنياء

من الأغنياء أغلب من إفساد الفقراء وفي الغالب حكم الكل فيطلبون منزلاً بعد منزل وملبساً بعد ومركباً بعد لسعة أموالهم وكبر أحوالهم فبغوا بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء وأصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد كيفاً وكماً مشتملاً على أنواع الفساد وتنزيل الله عليهم بقدر متضمن على تعظيم العباد وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه يقول من أراد أن يلقى الله طاهراً ومطهراً فليتزوج الحرائر رواه ابن ماجه وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة حق على الله عونهم المجاهد في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف رواه الترمذي قوله يريد العفاف أي الصون والصيانة والمنع عن الزنا واللواطة وروى عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك الله لها فيه رواه الطبراني في الأوسط وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء رواه البخاري ومسلم رح قوله الباءة أي الزاد والجهاز ومتاع البيت والغناء الذي يدفع به الحوائج العارضة . قوله وجاء بكسر الواو ومقابلة التزوج وهو الصوم لأنه يكسر الشهوة كالنكاح . قوله فليتزوج قال الفقهاء رحمهم الله من استطاع الباءة وغلبت الشهوة فيخاف عليه من الزنا فالتزوج له واجب لامتثال الأمر ودفع الخطر لقوله تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم ولو بالسقط ولقوله ثم فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح وإن لم يكن كذلك فالأمر للإباحة فالتخلي أفضل للعبادة فإلى الأول ذهب إمامنا الأعظم أبو حنيفة رحمه الله تعالى

بيان التزوج لمن يجب ونحوه

والى الثانى ذهب امام الشافعى رحمه الله تعالى فالاول افضل عنده الاول والثانى للثانى اذ قد مدح الله يحيى بن زكريا بالحصورة وهو الذى لم يتزوج النساء وان استطاع الباءة قلنا فى الجواب هذا قياس مع الفارق اذ حال الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين غير حال الاولياء فضلا عن احوال الآحاد من الافراد اذ لهم قوة قدسية باعانة الجليل فلا يقدر عليه العجز والعليل على ان لهم خاصة كثيرة لم تجز لغيرهم تسعة وتسعين زوجة لداود وتسعة واحدى وعشرة او ثلثة عشرة زوجة لمحمد النبى عليه وعليه الصلوة والسلام لا تجوز لغيرهم وروى عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها واحصنت فرجها واطاعت زوجها قيل لها ادخلى الجنة اى ابواب الجنة شئت رواه احمد بن حنبل فى مسنده والطبرانى فى المعجم وروى عن ام سلمة من زوجات النبى رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ايما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة رواه ابن ماجه والترمذى وبذيل ما ذكر قوله تعالى الرجال قوامون على النساء كلام مستانف مسوق لبيان استحقاق الرجال الزيادة من النعم الظاهرة والباطنة تفصيلا على النساء الصالحة اثر بيان تفاوته استحقاقهن اجمالا وايراد الجملة اسمية والخبر على صيغة المبالغة لايماء شان الرجال القيام عليهن بالامر والنهى قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين وهبى وكسبى فالاول بما فضل الله بعضهم على بعض الباء سببية متعلقة بقوامون او بمحذوف وقع حالا من ضميره وما مصدرية والضمير البارز لكلا الفريقين تغليبا اى قوامون عليهن بسبب تفضيل الله تعالى اياهم عليهن او ملتبسين بتفضيله تعالى ووضع البعض موضع الضمير للاشعار بغاية الظهور وعدم الحاجة الى تصريح الامر بالمفضل والمفضل عليه اصلا ولمثل ذلك لم يصرح بما به التفضيل من صفات كمال التى هى كمال العقل وحسن التدبير وجالة الرأى ومزيد القوة فى الاعمال والطاعات

[illegible]

والديانات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة فى جميع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحو ذلك والامر الثانى قوله تعالى وبما انفقوا من اموالهم الباء يتعلق بما تعلق به الاولى وما مصدرية او موصولة محذوف العائد من الصلة ومن تبعيضية او ابتدائية متعلقة بانفقوا او بمحذوف وقع حالا من العائد المحذوف اى وبسبب انفاقهم من اموالهم او بسبب ما انفقوه من اموالهم او كائنا من اموالهم وهو ما انفقوه من المهر والنفقة روى ان سعد بن الربيع وهو احد نقباء الانصار رضى نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابى زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وشكى فقال النبى صلعم لتقتص منه فنزلت فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله خير فالصالحات هذا شروع فى تفصيل احوالهن وبيان كيفية القيام عليهن بحسب اختلاف احوالهن اى فالمحصنات الصالحات فى الذين من النساء قانتات اى مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق ازواجهن حافظات للغيب اى لمواجب الغيب لما يجب عليهن حفظه فى حال غيبته الازواج من الفروج والاموال لما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قيل يا رسول الله اى النساء خير قال صلى الله تعالى عليه وسلم التى تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا امر ولا تخالفه فى نفسها ولا مالها بما يكره خرجه النسائى والبغوى بسند الثعلبى رح وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها ثم تلا هم الآية الرجال قوامون على النساء الخ وقيل لاسرارهم واضافة المال اليها للاشعار بان ماله فى حق التصرف فى حكم مالها كما فى قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الآية بما حفظ الله وما مصدرية اى بحفظه تعالى اياهن بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او موصولة اى بالذى حفظ الله لهن عليهم من المهر

اى الصالحات الطيبات

والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على حذف المضاف اى بالامر الذى حفظ حق الله تعالى وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتى تخافون نشوزهن خطاب للازواج وارشاد الى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل فى القلب عند حصول امر مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه وقد يراد به احدهما اى تظنون عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم من نشز اذا ارتفع من الارض فعظوهن فانصحوهن بالترغيب الى المراغب والترهيب من المراهب واهجروهن بعد ذلك ان لم ينفع الوعظ وهو ايصال الخير الى الغير مقدار الوسع فى النصيحة واتركوهن فى المضاجع اى فى المراقد فلا تدخلوا معهن تحت اللحف ولا تباشروهن فيكون كناية عن ترك الجماع وقرئ فى المضجع واضربوهن ان لم تتاثر بما فعلتم من الفقط ولا تستقر من الهجر والغيظ ضربا غير ضار ولا كاسر ولا شائن فان اطعنكم بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى ما يعد زاجرا فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والاذية فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له فالامساك بالمعروف من التكاليف المامورة والعفو من المحسنة ان الله كان عليا كبيرا فاحذروا عن الظلم وتجاوزا الحد فان الله تعالى جل جلاله وبهر سلطانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم وانه تعالى على علو شانه يتجاوز عنكم ويكفر سيئاتكم ويتوب عليكم قبل توبتكم اليه وعند توبتكم وبعده تحتاجون الى عفوه ومعاملته به فنستعيذ بالله تعالى من غضبه وسخطه على ما صدر منا من الاعمال التى لا يليق الى عظمة جلاله كصلوتنا التى صلينا ها بالافكار الفاسدة والآراء الكاسدة مع انه تعالى فرض على المصلى بترك ما سوى الله حين اداء الصلوة لان هذه الحالة حالة العبادة وهو اجراء العبودية بجميع الجوارح والاعضاء بالاخلاص والخوف والخشية والترهيب والترغيب وترجى التوفيق والترفيق والعفو والترزيق اذ لولاه لما حصل

فاذا

فاذا ترك احد منها مما يفرض عليه فسد عمله وفساد الجزء من الكل يسرى اليه فمثل هذه التكاليف الشرعية عند اهل التقوى والخواص فاذا كان حال الصلوة هكذا وعلمت حال العبودية فى اشرف العبادات الموصلة الى الجنات العاليات فكيف يكون حالنا فى سائر التكاليف كالصوم والحج والزكوة والشهادة وكيف نقول نصلى ونصوم ونحج ونشهد فكنا محتاجا باشد الاحتياج الى الله تعالى وعفوه ومغفرته قبل محاسبته فاذا حاسبنا بعدله فردا فردا من العبادات التى كلفنا بها وفرض علينا باداتها بكمال حقها بالاخلاص وعدم الاشتغال بما امرنا بقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء فمن يقدر على هذه المرتبة ومن يعبد بهذه العبادة اللايقة الى عظمة جلاله فكنا محتاجا الى عفوه ومعاملته بلطفه وكرمه فلا طاقة لنا الى معاملة عدله بهيبته وعظمته مع ان الكامل فى كل الاشياء يصدر ممن له الكمال وما يصدر عن العجزة عين العجز فكيف يمكن لاهل العجز متصفا به حق الكمال لمن تعززوا تصف بالاوصاف الكمال فمن عامله بعدله وسلطا نيته بحقائق النوال ودقائق السؤال هلك ونال ولم يتيسر الوصول الى نيل الاصول فكيف لا نعفوا عمن تحت ايدينا وكيف لا نكرم على من عندنا ان من زرع حصد ومن ودع كسد اللهم هذه المعقبة والا هذه العسرة ولقنا احسن الميسور وقنا سوء المقدور وارزقنا حسن الطلب واكفنا سوء المنقلب ونجنا ما جسنا وعدتنا فاقتنا اللهم اغننا بجود عفوك واكفنا وعافنا بكرم وجودك يا عزيز يا غفار يا كريم يا ستار انت ربنا فاغفر لنا وارحمنا وانت ارحم الراحمين وروى عن ام سلمة من الزوجات المطهرات ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ايما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة رواه ابن ماجه والترمذى رح وروى عن ابن عباس رض انه قال جاءت امرأة الى النبى

من ارباب الفضول واصحاب الكسور من الخدمة المقابر والعورة المناسبة صح

الرجال قوامون على النساء ... فان قيل ...

صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت يا رسول الله انا وافدة النساء اليك هذا الجهاد
كتبه الله تعالى على الرجال فان يصيبوا اجروا وان قتلوا كانوا احياء عند ربهم
يرزقون ونحن معاشر النساء نقوم عليهم اى اطعناهم فما لنا من ذلك فقال
رسول الله صلعم ابلغي من لقيت من النساء ان اطاعة الزوج واعترافا
بحقه يعدل ذلك الجهاد وقليل منكن من يفعله رواه الامام البزار من
الحفاظ رح وروى عن انس رضى انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم اذا استحلت امتى خمسا فعليهم الدمار اى الهلاك اذا ظهر التلاعن
وشربوا الخمور ولبسوا الحرير واتخذوا القينات واكتفى الرجال بالرجال والنساء
بالنساء رواه البيهقى رح قوله القينات جمع قينة وهى الامة مغنية
كانت او لا على الاصح وبعضهم خصوا بالمغنية وليس كذلك وروى
عن ابى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صنفان من اهل
النار لم ارهما قوم معهم سياط كاذناب البقر يضربون بها الناس ونساء
كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤسهن كاسنمة البخت المائلة
لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا
رواه مسلم وغيره • هذا الحديث من معجزات النبوة فقد وقع هذان الصنفان
وهما موجودان وفيه ذم هذين الصنفين قوله معهم سياط يعنى احدهما
قوم فى ايديهم سياط جمع سوط تسمى تلك السياط فى ديار العرب بالمقارع
جمع مقرعة وهى جلد طرفها مشدود عرضها كعرض الاصبع الوسطى يضربون
بها السارقين عراة وقيل هم الطوافون على ابواب الظلمة كالكلاب يطردون
الناس عنها بالضرب والسباب • قوله ونساء اى وثانيهما نساء كاسيات
فى الحقيقة عاريات فى المعنى لانهن يلبسن ثيابا رقاقا تصف
ما تحتها وقيل معناه كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها وقيل
تستر بعض بدنها وتكشف بعضه اظهارا لجمالها كنساء زماننا قوله

مميلات

الرقاصات

مميلات قلوب الرجال اليهن بهن او مميلات اكتافهن واكفالهن كما يفعل الرقاصات او مميلات مقانعهن عن رؤسهن لتظهر وجوههن • قوله
مائلات اى الى الرجال او متبخترات فى مشيهن قوله رؤسهن كاسنمة البخت
يعنى يعظمن رؤسهن بالخمر والقلنسوة حتى يشبه اسنمة البخت او تنظر
الى الرجال برفع رؤسهن • قوله المائلة صفة الاسنمة من الميل وروى
عن عائشة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها وعن ابيها ان اسماء بنت ابى بكر
الصديق وهى اختها دخلت على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعليها ثياب رقاق
فاعرض عنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال يا اسماء ان المرأة اذا بلغت
المحيض لم يصلح ان يرى منها الا هذا اشارة الى وجهه وكفيه رواه ابو داود
وغيره لقوله تعالى ومن يطع الله والرسول كلام مستأنف فيه افضل ترغيب
فى الطاعة ومزيد تشويق الى الانقياد والاطاعة ببيان ان نتيجتها اقصى
ما ينتهى اليه همم الامم وارفع ما يمتد اليه اعناق عزائمهم من مجاورة اعظم
الخلائق مقدارا واجمعهم منارا متضمن لتفسير ما ابهم فى جواب الشرطية السابقة
وتفصيل ما اجمل فيه والمراد بالطاعة هو الانقياد التام والانتساب الكامل
العام بجميع الاوامر والنواهى فى كل الجوانب والنواحى فاولئك اشارة
الى المطيعين المجاهدين الموصوفين بانواع الاطاعات من الاعمال الصالحات
والخيرات والحسنات ما داموا فى الحيوة قبل الممات والجمع باعتبار معنى من كما
ان الافراد فى الشرط باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع القرب فى الذكر
للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم فى الشرف وهو مبتدأ خبره قوله
مع الذين انعم الله عليهم فالجملة جواب الشرط وانما ترك ذكر المنعم به للاشعار بقصور
العبارة عن تفصيله وبيانه لان النعم لا يحصيها الحاد ولا تعدها العاد
فضلا عن الانهام الى الغير من انواع الخير واصناف البر من النبيين بيان
المنعم عليهم والتعرض لمعيته سائر الانبياء على نبينا وعليهم الصلوات الدائمة

بيّن علو درجات المطيعين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

والسلامات القائمة مع ان الكلام فى بيان حكم طاعة نبينا صلى الله تعالى عليه
وسلم الجريان ذكرهم فى سبب النزول مع ما فيه من الاشارة الى ان طاعة النبى
صلعم متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شريعتهم التى لا تتغير بتغير
الاعصار روى ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا
يا نبى الله اذا صرنا الى الجنة تفضلنا بدرجات النبوة فلا نراك قال الامام الشعبى
جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يبكى فقال
ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله بالله الذى لا اله الا هو انت احب الى
من نفسى واهلى ومالى وولدى وانى لاذكرك وانا فى اهلى فيأخذنى مثل
الجنون حتى اراك وذكرت موتى وانك ترفع مع النبيين وانى اذا دخلت
الجنة كنت فى منزلة ادنى من منزلتك فلم يرد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فنزلت وروى ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان شديد
الحب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه
ونحل جسمه وعرف الحزن من وجهه فسأله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
عن حاله فقال يا رسول الله ما لى من وجع غير انى اذا لم اراك اشتقت اليك
واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك
هناك لانى عرفت انك ترفع مع النبيين وانى اذا دخلت الجنة كنت فى منزل
دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى الله تعالى
عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه
وابويه واهله وولده والناس اجمعين رواه البخارى عن ابى هريرة رض وحكى
ذلك عن جماعة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وروى ان انسا
رض قال يا رسول الله الرجل يحب قوما ولم يلحق بهم فقال النبى صلى الله تعالى
المرء مع من احب رواه البغوى فى المصابيح والصديقين المتقدمين فى تصديقهم
والمبالغين فى اخلاص التصديق بالصدق والثبات فى الاقوال والاعمال الصالحة

وهم افاضل

ارتفاع درجات الصديقين والشهداء منه

وهم افاضل اصحاب الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم واماثل خواصهم
المقربين كابى بكر الصديق رض والشهداء الذين بذلوا اموالهم وجاهدوا
ارواحهم فى طاعة الله تعالى ورضاء رسوله فى اعلاء كلمته والصالحين الصارفين
اعمالهم فى طاعته واموالهم فى رضائه وليس المراد بالمعية الاتحاد فى الدرجة
ولا مطلق الاشتراك فى دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد
منهم من رؤية الآخر وزيارته متى ارادوا وان بعد ما بينهما من
المسافة والمقام وروى عن عكرمة رض انه قال النبيون هنا محمد والصديقون
ابو بكر والشهداء عمر وعثمان وعلى والصالحون سائر الاصحاب الكرام عليهم
رضوان الله العليم العلام وحسن اولئك رفيقا الرفيق الصاحب مأخوذ
من الرفق وهو لين الجانب واللطافة فى المعاشرة قولا وفعلا فان جعل
اولئك اشارة الى النبيين ومن بعدهم على ان ما فيه من معنى البعد لما مر
فنصبه اما على تمييز او على الحالية على معنى انهم وصفوا بالحسن من جهة
كونهم رفقاء للمطيعين او حال كونهم رفقاء لهم وافراده لما انه كالصديق
والخليط والرسول يستوى فيه الواحد والمتعدد او لانه اريد حسن كل واحد
منهم رفيقا وان جعل اشارة الى المطيعين فهو تمييز على معنى انهم وصفوا
بحسن الرفيق من النبيين ومن بعدهم لا بنفس الحسن فلا يجوز دخول
من عليه كما يجوز فى الوجه الاول والجملة تذييل مقرر لما قبله مؤكد
للترغيب والتشويق قيل فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا
ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين ذلك اشارة
الى ما اعد واعطى للمطيعين من عظيم الاجر ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء
المنعم عليهم او الى فضلهم ومزيتهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو
رتبته وبعد منزلته فى الشرف وهو مبتدأ وقوله تعالى الفضل صفة باعتبار
المشار اليه وقوله تعالى من الله خبره اى ذلك الفضل العظيم من الله العليم الكريم

حسن الرفيق بحسن كلا على انفراد لان الاتحاد فى الدرجات منه

الرؤف على محبيه والرحيم لمن اذنبه ممكرها غير راض وهذه العناية منه تعالى اى الفضل خبره والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا منه والعامل فيه معنى الاشارة اى ذلك الذى ذكر فضل كائنا من الله لان اعمال المكلفين لا توجبه وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه ومقادير الفضل واستحقاق اهله وروى عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رجل يا رسول الله متى الساعة قال ما اعددت لها فلم يذكر كثيرا الا انه يحب الله ورسوله قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانت مع من احببت رواه البغوى فى المعالم وروى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونها على اشد كوكب درى فى السماء اضاءة لكل امرئ زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون امشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة ازواجهم الحور العين خلقهم واخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم ستون ذراعا فى السماء رواه البخارى ومسلم قوله لكل امرئ منهم زوجتان ذكر فى شرح المشكوة التثنية فى زوجتان للتكثير كما قال الله تعالى فى سورة الملك ثم ارجع البصر كرتين اى لا تقتنع بالرجعة الاولى بل ارجعه كرة بعد كرة كرتين ومرة بعد مرة اخرى اى كرر النظر كثيرا لترى خللا عسيرا وتقف قصورا وفيرا ان النظر الاولى حمقى والنظر الثانية اعلى والثالثة اجلى فرب رجل لا يرى فى الاولى على اللائق ويرى فى الثانية بعض المطلوب ولا تقف على حق المرغوب فيحصل فى الثالثة والرابعة وما فوقها التجديد للمقلوب مرارا وكرارا فمتى زاد الكرار زاد الوقوف والاعتبار اذ فى ذلك عبرة لاولى الابصار على ان التثنية جمع فى علم الاصول والمنطق ويؤيده ما ورد فى الحديث ان ادنى اهل الجنة له اثنان وسبعون زوجة وثمانون الف خادم كما مر تفصيله فى آخر سورة العصر قوله لا يتفلون

من التفل وهو شبيه بالبزاق الا انه اقل منه قوله ورشحهم اى ريح عرقهم كالمسك قوله الالوة بفتح الهمزة وضمها وضم اللام مع الواو المشددة من اسماء العود الذى يتبخر به وروى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين ابناء ثلث وثلثين رواه الامام الترمذى وقال الحديث حسن وروى ايضا عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اهل الجنة جرد مرد كحلى لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم رواه الترمذى قوله جرد الذى لا شعر فى بدنه الا فى الراس والحاجبين واشفار العينين قوله مرد جمع امرد اى لا شعر على ذقنه روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا جعادا مكحلين ابناء ثلث وثلثين وهم على خلق آدم ستون ذراعا فى عرض سبعة اذرع رواه احمد بن حنبل فى مسنده وابن ابى الدنيا والطبرانى والبيهقى قوله جعادا اى قصارا شعر راسه يقال له بالتركى قورجق وروى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله فى يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا رب وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون يا رب واى شئ افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم بعده ابدا رواه البخارى ومسلم والترمذى قوله لبيك يا ربنا اى نقيم لامتثال امرك اقامة كثيرة ولا نخيب اجابة وفيرة فلا نعصى لك ابدا الابدين ودهر الداهرين قوله وسعديك قال فى صحاح الجوهرى هو بمعنى الاسعاد والاعانة فمعناه نطلب منك الاعانة الدائمة ما دمنا فى الدارين قوله والخير فى يديك وانما لم يذكر رديفه وهو الشر رعاية للادب وان كان خالقهما قوله فلا اسخط لان السخط يوجب مخالفة الاوامر والنواهى فلا تكليف فى الجنة فلا سخط

ابدًا وفي الحديث دلالة على ان السعادة الروحانية افضل من الجسمانية عفى الله
عنا وعنكم ايها الاخوان وجعلنا من السعداء النائلين شرف الرضوان والجنان
وروى عن عبد الله بن مسعود رضه قال ان آخر اهل الجنة دخولا رجل
فقال له ربه قم فادخل الجنة فاقبل عليه عابسا فقال هل ابقيت لي شيئا
قال نعم مثل ما طلعت عليه الشمس وغربت رواه الطبراني باسناد جيد
وروى عن عبد الله بن مسعود رضه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يجمع الله
الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما اربعين سنة شاخصة ابصارهم
ينتظرون فصل القضاء ثم يقول الله تعالى ارفعوا رؤسكم فيرفعون رؤسهم
فيعطيهم نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى
بين ايديهم ومنهم من يعطى نوره اصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل
النخلة ومنهم من يعطى اصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام
قدميه تضيء مرة وتطفى مرة فاذا اضاء قدم قدمه واذا اطفى قام
فيمرون الصراط على قدر نورهم منهم من يمر كطرفة العين ومنهم من يمر
كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب اي
كاسقاطه ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد الفرس اي كعدوه
ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي نوره على ظهر قدميه يحبو اي يمشي
على وجهه ويديه ورجليه تخر يد وتعلق يد وتخر رجل وتعلق رجل
وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف
عليها فقال الحمد لله الذي اعطاني ما لم يعط احدا اذ نجاني منها بعد
اذ رايتها قال فينطلق به الى غدير عند باب الجنة فيغتسل فيعود اليه ريح
اهل الجنة والوانهم فيرى ما في الجنة من خلل الباب فيقول رب ادخلني
الجنة فيقول الله تعالى اتسأل وقد نجيتك من النار فيقول رب اجعل
بيني وبينها حجابا لا اسمع حسيسها اي صوتها قال فيدخل الجنة

ويرى او يرفع له منزل امام ذلك فيقول رب اعطني ذلك المنزل فيقول له لعلك
ان اعطيتك هو تسأل غيره فيقول لا وعزتك لا اسأل غيره واي منزل احسن منه
فيعطاه فينزله ويرى له امام ذلك منزلا احسن من ذلك المنزل فيقول رب
اعطني ذلك المنزل فيقول الله تعالى فلعلك ان اعطيتك تسأل غيره فيقول
لا وعزتك لا اسأل غيره واي منزل احسن منه فيعطاه فينزله ثم يسكت
فيقول الله تعالى ما لك لا تسأل فيقول رب قد سألتك حتى استحييتك واقسمت
للاستفهام
فيقول الله تعالى الم ترض ان اعطيك مثل الدنيا منذ خلقتها الى يوم افنيتها
وعشرة اضعافه فيقول اتهزئ بي وانت رب العزة فيقول الرجل ذكره
وكنى على ذلك قادر سل فيقول الحقني بالناس فيقول الله تعالى الحق
فينطلق يرمل في الجنة اذا دنى من الناس يرفع قصر من درة فيخر ساجدا
فيقال له ارفع راسك ما لك فيقول رايت ربي فيقال انما هو منزل من منازلك
قال ثم يلقى رجلا فيتهيأه للسجود له فيقول له مه اي اكفف بمعنى امنع
فيقول رايت انك ملك من الملئكة فيقول انما انا خازن من خزانك
وعبد من عبيدك تحت يدي الف قهرمان اي الف خادم قوي حسن
الوجه على ما انا عليه قال فينطلق امامه حتى يفتح له القصر قال وهو درة
مجوفة سقائفها وابوابها واغلاقها ومفاتيحها منها ايستقبله جوهرة خضراء
مبطنة بحمراء منها سبعون بابا كل باب يفضي الى جوهرة على غير لونها الاخرى
في كل جوهرة سرر وازواج ووصايف ادناهن حوراء عيناء عليها سبعون حلة
يرى مخ ساقها من وراء حللها اذا اعرض عنها اعراضة ازدادت في عينه سبعون
ضعفا فيقال له اشرف اي ارفع المكان العالي فيشرف فيقال له ملكك
مسيرة عام ينفذه بصرك يعني ينتهي بصرك الى ملكك رواه الحاكم وابن ابي
الدنيا عن ابن مسعود رضه قوله اذا اعرض عنها اذا اظهر وجهه عنها وتوجه وجهه
الى وجهها كما قال الله تعالى وتبارك في آخر سورة اقتربت الساعة تبشيرا للمؤمنين

حكاية اهل الجنة مثلا لاهل الدنيا

للموحدين المجاهدين ظاهرًا وباطنًا ان المتقين اى المتصفين بحقيقة التقوى
حالًا ومآلًا والمقتبسين من انواره منارًا والمنتفعين بآثاره باطنًا وظاهرًا
وان كان شاملًا للكل بدلالة قوله هدى للمتقين هدى للناس على العموم
والمتقى اسم فاعل اصله موتقى على وزن مفتعل فقلبت الواو تاء لوقوعها قبلها
كما هى القاعدة فى الافتعال من الوقاية وهى فرط الصيانة والتقوى فى عرف الشرع
عبارة عن كمال الترقى وتزكية النفس عما يضره فى الآخرة فله عرض عريض
يقبل الزيادة والنقصان ادناه الاجتناب عن جلى الشرك كعبادة الاوثان
وما اشبهها وعن خفيه كالرياء والسمعة وثمرته التخليد فى النار واعلاه
التنزه عما يشغل سره عن تقرب الحق والتبتل اليه بشراشره وهو التقوى
الحقيقى فاعلم ان التقوى على ثلثة مراتب الاولى انه الاجتناب عن الكفر والشرك
وما يؤدى بهما فقط وهذا ادنى المراتب بشهادة لفظ هدى للمتقين وامثاله
منها والثانية ان يراعى بحقوق الشريعة صغيرها وكبيرها ولم يترك منها تمامًا
لزمه ما استطاع اليه متصفًا بالفتوى مع رعاية التقوى وهذا اوسطها
من المراتب بشهادة فرضية الاوامر والنواهى بجميعها والثالث جمع الفتوى
والتقوى بان يترك ماسواه ويشغله بالظواهر من الاعمال الصالحات والعبادات
الخالصات من الخيرات والحسنات وبالبواطن بالخوف والخشية والخشوع
والخضوع والذكر والفكر فى الانفس والآفاق والاسرار الالهية والاحكام
السبحانية فى السموات والارضية وما بينهما وما فوقهما وما تحتهما من العرش
والكرسية والفلكية والملكية والجبلية والثورية والسمكية من الثرى
الى الثريا تاركًا للدنيا الدنية وطالبًا الى الدرجة العلية وهذا اعلى مراتب
التقوى واصحاب الثلثة بشهادة المأمورية بترك السوى كما فى قوله تعالى
فى جنات اى فى بساتين بكونها ونهر وانهار كذلك والافراد للاكتفاء
باسم الجنس مراعاة للفواصل وقرئ نهر كاسد بالفتحتين اى تجرى

تقسيم مراتب التقوى على الثلاثة

من انهارها

من انهارها اللبن والعسل والخمر فى مقعد صدق اى فى مكان مرضى
ومكان طيب يستحسنه القلوب وترتضيه فاى منزل اكرم من تلك
المنزلة الجامعة للسعادة الابدية وقرئ مقاعد صدق بدلا من الخيرات
اذ تمام جزاء الاحسان بالاحسان وكل هذه عند مليك اى مقربين عند
عزيز الملك واسعة لا يقادر قدر ملكه وسلطانه مقتدر وقادر
على ايتاء العوض والثواب بمقابلة الذرة والحبة القبة بل بغير حساب كما
هو اللائق بشان الالوهية العظيمة لعباده الضعيفة العاجزة والمفتقرة
الى عطائه الكريم واحسانه الرحيم وعفوه انه هو البر الرحيم فلا شئ
من الاشياء الا تحت ملكوته وفلكوته سبحانه ما اعظم شانه وما اكرم
عطاؤه وهو الولى الحميد والتقوى المذكور هو المراد ايضًا بقوله تعالى
فى سورة آل عمران يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فالخطاب بعنوان الايمان
تزيين لاثر تشريف التقوى حق تقاته اى حق تقواه وما يجب منها وهو
استفراغ الوسع فى القيام بالمواجب والاجتناب عن المحارم كما يؤيده قوله
تعالى فاتقوا الله ما استطعتم اى ابذلوا قوى الجوارح فى التقوى من الله تعالى
فى الائتمار باوامره والاجتناب عن نواهيه ما دام جهدكم وقوتكم ولا
تموتن الا وانتم مسلمون اى مخلصون نفوسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها
شركة لما سواه اصلا جلية او خفية كما مدح الله تعالى فى قوله تعالى الآخر
ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله بالاستفهام الانكارى وهذا الاستثناء
مفرغ من اعم الاحوال اى لا تموتن على حال من الاحوال الا حال تحقق اسلامكم
وثباتكم عليه كما ينبئ عنه الجملة الاسمية ولو قيل الا مسلمين لم يفد
فائدتها ولم يشعر بفائدتها والعامل فى الحال ما قبل الا بعد النقض
وظاهر النظم الكريم وان كان نهيا عن الموت المقيد هو الكون على حال
غير الاسلام حينئذ وحيث كان الخطاب للمؤمنين كان المراد ايجاب

الثبوت على الاسلام الى الموت وتوجيه النهى الى الموت للمبالغة فى النهى عن قيد المذكور فان النهى عن المقيد فى امثاله نهى عن القيد ورفع له عن اصله بالكلية مفيد لما لا يفيده النهى عن نفس القيد فان قولك لا تصل الا وانت خاشع يفيد من المبالغة فى ايجاب الخشوع فى الصلوة ما لا يفيد قولك لا تترك الخشوع فى الصلوة لما ان هذا نهى بترك الخشوع فقط وذاك نهى عنه وعما يقارنه ومفيد لكون الخشوع هو العمدة وان الصلوة بدونه حقها ان لا تفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت وهذا المذكور فى تفسير التقوى بمعناه العام المذكور فى الشريعة واما المعنى الخاص له فيها وهو المراد المتعارف عند الاطلاق وعدم القرينة كما ان الشئ اذا اطلق صرف الى الكمال وهو المعنى الخاص وهو صيانة النفس عما يستحق به العقوبة من فعل او ترك فالاجتناب عن الكبائر لازم فيه بالاتفاق واما الصغائر فقيل لا لانها مكفرة عن مجتنب الكبائر فى قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم الآية على انواع الشرك فلم يتعين التكفير للصغيرة ام الكبيرة وقد ذكر فى اصول الفقه ان العقاب والمؤاخذة على الصغيرة جائزة ولو مع اجتناب الكبائر عند اهل السنة وايضا لم يثبت مغايرتها بالذات وعلى التسليم لم يعلم يقينا عدد الكبائر قيل سبع وقيل سبعون وقيل سبعمائة لما روى عن عطية بن عروة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا عما به بأس رواه الترمذى وقال حديث حسن وابن ماجه والحاكم فى المستدرك اقول وهذا الحديث نص فى لزوم الاجتناب عن الصغائر لانها بعد الاغماض والمسامحة مما به بأس وكلمة ما عامة لكل ما فيه احتمال الحرمة والافضاء الى الحرام كعموم

بحث الاجتناب عن الصغائر والكبائر وتعدادها

ما الثانية الحرام ودونه واما الحلال الخالص عن الشبهة فلا يتناوله عرفا وان تناوله لغة لان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما لا بأس به صادق على الحلال الخالص فى اللغة من حيث انه لا اثم به فلا عقاب ولا عتاب بل طلبه فريضة على كل مسلم كما كان فريضة على الانبياء بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم وبقوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فلا فرق بين الامة وبين الانبياء صلوات الله التامة الكاملة والسلامات العامة الدائمة على نبينا وعليهم فى الاكل من الحلال الطيب لما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان يوم القيمة امر الله تعالى مناديا ينادى الا انى جعلت نسبا وجعلتم نسبا فجعلت اكرمكم اتقيكم فابيتم الا ان تقولوا فلان ابن فلان خير من فلان بن فلان فاليوم ارفع نسبى واضع نسبكم اين المتقون رواه الامام البيهقى والحاكم والطبرانى فى المعاجم وروى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه جاء رجل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا نبى الله اوصنى فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليك بتقوى الله فانه جماع كل خير رواه ابو يعلى والامام القشيرى والخطيب البغدادى رح وروى عن ابى ذر الغفارى اسمه كلثوم بن الحصين بالتصغير بايع تحت الشجرة واستخلفه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين فى المدينة فى العمرة القضاء وعام الفتح وشهد معه عليه السلام احدا واصيب فى صدره ونحره وجاء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فبصق عليه فبرئ اى حصل له البرء التام فى الفور اخرجه احمد بن حنبل والزهرى ابن شهاب رح قال ابو ذر قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ستة ايام اعقل يا ابا ذر ما يقال لك بعد فلما كان اليوم السابع قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوصيك بتقوى الله فى سر امرك وعلانيته فاذا اسأت فاحسن فلا تسئلن احدا شيئا وان سقط سوطك ولا تقبضن امانة رواه احمد بن حنبل قوله فاذا اسأت فاحسن على نفسك وعلى غيرك

بحث وصية النبى صلى الله عليه وسلم لابى ذر الغفارى بالتقوى والاحسان وعدم السؤال وعدم قبض الامانة

خطأ او عمدًا فاحسن واكرم على نفسك بالتوبة والرجوع والذكر والتسبيح
بأى وجه اسأت فاكرمه بالوجه اللائق وان اسأت باليد فاكرمها
باعطاء الصدقات وباللسان فاكرمها بالذكر والتسبيح والتهليل وقس عليه
لان الجزاء من جنس العمل وكذا الاحسان للاساءة الى غيره بالوجه اللائق قوله
فلا تسئلن احدًا شيئًا من حوائجك المتعلقة بالدنيا ولو سقط السوط
من يدك لان المسئلة ذل تورث الدناءة وتزيل المروءة فليس للمؤمن
ان يذل نفسه ولو توجب ايذاء الغير وتحميله وهو حرام روى ان زاهد البلخ
ابراهيم بن ادهم ركب فى السفينة فجاءت ريح عاصف وتموج فخاف اهل السفينة
عن الغرق فسئلوا عن ابراهيم ما ترى هذه الشدة واعظم منها اظهار حاجتك
الى الناس وذلك انه مشتمل على عدة امور الاول كفران النعمة والثانى الشكوى
من الله تعالى الى العبد المحتاج كما ان المملوك اذا سأل غير سيده والثالث
اذلال النفس لغير الله تعالى بل الواجب حصر الاذلال اليه تعالى والرابع افضاء نفسه
فى الاخرة والخامس ايذاء المسئول عنه غالبًا وهو حرام فهذه الامور المذكورة
كلها اشد واعظم من تموج البحر فاصبروا فانه مفتاح الفرج ان لم تقدروا
ولا فلا تسئلوا احدًا شيئًا قوله ولا تقبضن امانة لان رعايتها متعسرة
واداؤها اصعب من قبضها فهذه مهلكة فلا يجوز الالقاء اليها وروى
عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال اقبل نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم من غزاة
او سرية فدعى صلعم فاطمة رضى الله عنها فقال اشترى نفسك من الله تعالى فانى
لا اغنى عنك من الله شيئًا وقال لنسوته مثل ذلك وقال مثل ذلك لعترته
ثم قال ما بنو هاشم باولى الناس بامتى ان اولى الناس بامتى المتقون
ولا قريش باولى الناس بامتى ان اولى الناس بامتى المتقون ولا الانصار
باولى الناس بامتى ان اولى الناس بامتى المتقون انما انتم من رجل وامرأة
وانتم كجمام الصاع ليس لاحد على احد فضل الا بالتقوى رواه الامام الطبرانى

اى اطرافه واعلاه واسفله

وقوله

قوله اشترى نفسك من الله تعالى فانى لا اغنى عنك شيئًا يعنى مجرد النسب
بدون الايمان لا يجدى نفعًا بل يشتد العذاب بها والفائدة انما تحصل
بالايمان والتقوى الا ترى ان نوحًا عليه السلام دعا الخلاص ابنه من هلاك
الطوفان فقال ان ابنى من اهلى وان وعدك الحق وخاطبه الله تعالى بقوله العزيز
انه ليس من اهلك وانه عمل غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم وكذا ابرهيم
خليل الرحمن صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه نحو طلب بمثل بل ان الله
تعالى يحب المطيع ويبغض العاصى كما انه تعالى يبغض الولد العاصى ويحب
اباه المطيع وكذلك العكس وقد قال الله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى
فمن ظن انه متق بتقوى ابيه فهو كالذى يشبع بشبع ابيه ويعلم بعلم ابيه
فالتقوى فرض عين على كل احد على قدره نعم ينتفع بالشفاعة على الشروط الثلثة
احدها ان يوجد الايمان والثانية ان لا يشتد غضب الله والثالثة ان يؤذن
بالشفاعة وروى عن ابى ذر الغفارى كلثوم بن الحصين رضى الله عنه انه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انظر فانك لست بخير من احمر ولا اسود
الا ان تفضله بالتقوى رواه احمد بن حنبل فى مسنده قوله من احمر اى العجم
ولا اسود اى العرب وروى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما انه قال خطبنا رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى وسط ايام التشريق فقال يا ايها الناس ان ربكم
واحد الا لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا احمر على اسود ولا اسود
على احمر وان اباكم واحد الا بالتقوى ان اكرمكم عند الله اتقيكم الا هل بلغت
قالوا بلى يا رسول الله قال النبى صلى الله عليه وسلم فليبلغ الشاهد الغائب
رواه البيهقى قوله فليبلغ الشاهد اى الحاضر فى مجلس الخطبة التى سمعها
ممن وجد فيه فوجب عليه التبليغ لمن لم يوجد فيها ولم يسمعها فكذا يجب
على العلماء الذين يعرفون الحق كالشمس فى وسط النهار كانهم حضروا باعتبار
السند والسلسلة تحققا والاحاديث فى التقوى كثيرة جدًا والآيات البينات

ومن البداهة ان حال الاب وخلقه لتفيد لنفسه لا للغير كما ان ايمان الاب لا ينفع كفر الولد وبالعكس مح

فيها وفيرة قطعا والدلالة العلية تدل على افضلية التقوى على سائر الطاعات كما ان العلم افضل من العقل وابلغ درجة منه لان الله تعالى يوصف ويمدح بالعلم ولا يوصف بالعقل لان العلم مقصود بالذات والعقل مقصود لغيره وآلة العلم ووسيلة له بخلاف المعتزلة فان العقل عندهم افضل من العلم بناء على القواعد الباطلة من ان العبد موجد لافعاله بواسطة العقل وموجب لها فكان العقل موجد وموجب لجميع افعال العباد فهذا القول باطل وشرك بالله الواحد القهار كما ان العقول متفاوتة ترتيبا باعتبار اصل الفطرة خلافا لهم لان التحلية بعد التخلية فالتقوى حال القلب وسائرها حال القالب فاذا صح القلب بالاخلاص والتخلية صح القالب بالتزيين والتحلية فالقلب بمنزلة المشروط والتالي كما ان الباطن بمنزلة الشرط والمقدم فانتفاء الشرط يقتضي انتفاء المشروط كما ان حال المقدم والتالي كذلك وروى عن النعمان بن بشير ابي قتادة رضي الله عنهما انه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى يقول ان الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع من الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب رواه البخاري ومسلم رح والمعنى اللغوي وهو فرط الصيانة مرعي في الشرعي ما امكن لان العام لا يوجد الا في ضمن الخاص وهو يقتضي الاجتناب عن الصغائر وعن بعض الشبهات ولكن الاحتراز عن جميعها اصعب لكثرتها ولاختلاطها بالحرام فلا يحرم به تناول شيء بعينه احتمل انه حرام واحتمل انه حلال قبل الاختلاط فاذا تناول يحتمل انه تناول الحلال لان الاصل في الاشياء الاباحة الا ان يقترن بشيء يعرف به انه حلال او حرام فهذا تكليف ما لا يطاق لانه تعالى لا يكلف عبده الا وسعه فاذا لم يمكن له علاجه فتركه ورع

قوله بين على وزن فعيل بمعنى المفعول منه

واخذ

ولعل حلالا لا يفسق به تكلم على ما صرح في الاصول قوله الا وهي القلب وهو اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر ويسمى بالقلب لانه محل الخواطر المختلفة الحاملة على الانقلاب وقد يطلق على النفس وهي الجوهر البخاري الحاصل بالقوة الحيوانية والحركة الحسية الارادية ويسمى بها عند الحكماء الروح الحيواني والنفس الناطقة وهي واسطة بين القلب الذي هو النفس المجردة واللطيفة الربانية التي هي حقيقة الانسان وهي المدرك العالم من الانسان والمخاطب والمطالب والمعاتب وبين البدن كما ان منبعه التجويف الايسر من اللحم الصنوبري ويطلق عليه القلب الجسماني فالمراد من ايراد هذا الحديث ان الاشياء ثلثة اقسام الحلال والحرام والمشتبهات وانها مما فيه بأس في التقوى ومما لا بأس به في الفتوى اذا لم يعلم عينه حين اختلط كما مر آنفا وان كان فيه خشية الوقوع في الحرام فيجب الحمل على الصلاح ويحرم على الفساد مع انه تكليف بما لا يطاق وهو لا يجوز عند اهل السنة والجماعة بخلاف المعتزلة فانهم جوزوه واليه مال الفخر الرازي في المعالم ويؤيد ما قلنا ما ذكره الامام قاضيخان رح عن ابي يوسف يعقوب الاصفهاني من اشهر تلاميذ ابي حنيفة نعمان بن ثابت الكوفي عليهم الرحمة والغفران ان المكروه التحريمي والشبهة الى الحرام اقرب ولا يحكم عليه انه حرام فكذا رواه عن استاذه ابي حنيفة رح فالتورع منه التقوى والتناول منه الفتوى لان التقوى لا تحصل الا بالاجتناب عن المنكرات وهي داخلة فيها والانتهاء بالمعروفات اذ ترك المأمور به مما يستحق به العقوبة ولكن المتبادر منها ومن الذنوب في اول السماع الوجوديات كالزنا واللواطة وشرب الخمر واكل الحرام ولا يفهم منه في الوهلة الاولى العدميات كترك الصوم والصلوة والحج والزكوة فلذا لم يعد من الكبائر في ابتداء السماع مع انه من اكبر الكبائر بل اشدها فالمنكرات اما مخصوص بعضو الانسان

تعريف القلب المسمى بالصنوبري

معيّنًا والّا فالاوّل فى القالب ثمانية قلب واذن وعين ولسان ويد وبطن وفرج ورجل فيجب على المؤمن ايًّا ما كان ان يحفظ على عضو معيّن من كل معصية صادرة عنه حتى تكون التقوى ملكة له فينخرط فى سلك المتقين واستحق بما اعدّ لهم من المؤمنين الكاملين بقوله تعالى ان المتقين فى جنات ونهر عظيمة الشأن فالتنوين للتعظيم والافراد للاكتفاء باسم الجنس مراعاةً اى انها جاريات تحت الاشجار وقرى نهر جمع نهر كاسد جمع اسد فى مقعد صدق اى فى مكان مرضى لا لغو فيه ولا تأثيم فلا يقعد فيه الا اهل الصدق فاسناد الصدق اليه تجوّز اذ الصدق اما مضاف الى الله تعالى انه تعالى صادق فى قوله ولا يخلف فى وعده بانه تعالى وعد المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا واما مضاف الى المؤمنين الداخلين حيث قال لهم فى سورة يونس وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم اى سابقة ومنزلة رفيعة عند ربهم وانما عبّر بها عنها اذ بها يحصل السبق والوصول الى المنازل الرفيعة كما يعبر عن النعمة باليد لانها تعطى بها وقيل مقام الصدق لان الوصول انما يحصل بالقدم واضافتها الى الصدق للدلالة على تحققها وثباتها وللتنبيه على ان نيلهم بها بصدقهم فان الصدق لا ينفك عن تصديق المصدّقين وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان معناه ان لهم اجرًا حسنًا بما قدموا من اعمالهم بالصدق والاخلاص وقال الامام الضحاك ثواب صدق المصدّقين وعن ابن عباس رضى ايضا انه هو السعادة فى الذكر الاول وقال زيد بن اسلم هو الشفاعة من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابو عبيدة كل سابق فى الخير ويقول العرب لفلان قدم صدق فى الاسلام واضافته من قبيل مسجد الجامع وحب الحصيد اى اضافة الموصوف الى الصفة للدلالة على زيادة الفضل وان صاحبها قد نال

بصدق القول فى التوحيد وغيره من الاعمال الصالحات الاتقات والعبادات الخالصات الفائقات بالنيات الصافيات المنزلة الرفيعة صورةً والدرجة العلية معنويّة فالصدق اما صفة قديمة ككلام الله القديم واما صفة حادثة لقول العبد الحادث ايضًا فباى حال اسناده الى المقعد مجاز فالمعنى على الاول ان المتقين بحق التقوى فى مجلس من الجنات وحول الانهار وعد الله تعالى اجلاسهم فيه بوعد الصادق وقوله الواقع فلا يخلف وعده بل ينجز كرمه وقوله والمعنى على المعنى الثانى اجلسهم الله تعالى مجلسًا لا يقعده الا الصادق قولًا من قولهم والخالصون فى توحيدهم موافقًا ظاهرهم باطنهم وبالعكس مستغرقين فى انواع الاكرام واصناف الاحترام ممتازًا عن الامثال باجناس النوال وبعضه عند مليك مقتدر اى مقرّبين عنده بقرب معنوى فى مسكن طيب يستحسنه القلوب فى ترتيبه فاى منزلة اكرم منها الجامعة للسعادة الابدية معفوًا من المؤاخذة والعذاب وهو الله تعالى قادر ومقتدر على كل شئ تمامًا بدلًا من العقاب والتنوين والتنكير للتعظيم بما اعده له واوتى به بلين الامثال من انواع النوال فسبحان من لا يقادر قدر ملكه وسلطانه فلا شئ من الموجودات الا تحت فلكوته وملكوته سبحان ما اعظم شأنه وظهر برهانه جلت عظمته ولا اله سواه وروى عن ابى سعيد الخدرى اسمه سعيد بن مالك رضى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان اهل الجنة ليتراؤن اهل الغرف من فوقهم كما تتراءى الكوكب الدرى الغابر فى الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال والذى نفسى بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين رواه البخارى ومسلم قوله رجال امنوا بالله آه يعنى بل يبلغ تلك المنازل غيرهم ايضًا وهم المؤمنون المخلصون ولا يموتون الا وهم مسلمون الصادقون فى التصديق المطابق عملهم ظاهرًا باعتقادهم باطنًا وهم عظماء الاجر فى الرتبة

قوله ليتراؤن من تفاعل وترائى فاعل بما اعل الثانى منه

ارتفاع درجة المخلصين من هذه الامة المقصورة المرحومة منه

وكلاهما في الرجولية وفيه ايماء واشارة على ان تصديق جميع الانبياء
والمرسلين المقاصد من هذه الامر المقبولة عند الله تعالى والملائكة والناس
والاخلاص في الاعمال والاعتقاد على وفق الكتاب والسنة ولم يتيسر
لامم قبلهم الحمد لله على التوفيق واستغفر الله من كل تقصير وروى
عن ابي هريرة رضه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان
في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما
مائة عام رواه الترمذي وقال حديث حسن والطبراني في المعجم
الاوسط الا انه قال ما بين كل درجتين مسيرة خمسمائة عام وروى
عن ابي هريرة رضه قال قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها
فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها
المسك وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها
ينعم ولا يبأس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه رواه احمد بن
حنبل في مسنده واللفظ له والترمذي والبزار والطبراني في الاوسط
وابن حبان في صحيحه قوله ملاطها المسك بكسر الميم وهو الطين الذي
يجعل بين لبنة الذهب والفضة وروى عن ابي سعيد الخدري رضه قال
خلق الله تعالى الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك
وقال تعالى لها تكلمي فقال قد افلح المؤمنون فقالت الملائكة طوبى لك منزلة
الملوك رواه الطبراني وروى البزار ولفظه انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله عز وجل احاط حائط الجنة لبنة من ذهب
ولبنة من فضة ثم شقق فيها الانهار وغرس فيها الاشجار فلما نظرت
الملائكة الى حسنها قالت طوبى لك منازل الملوك اخرجه البيهقي وروى
عن عبد الله بن عمر رضه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الكوثر
نهر في الجنة حافتاه اي جانباه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت

بيان صفة الجنة من ملاطها وترابها

تربته

تربته اطيب من المسك وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج رواه ابن
ماجه والترمذي رح وروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في تفسيره
قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قال هو نهر في الجنة عمقه وبعده
في الارض سبعون الف فرسخ ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من
العسل شاطئاه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت خص الله نبيه صلى الله
تعالى عليه وسلم قبل الانبياء رواه ابن ابي الدنيا وروى عن انس رضه
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينما انا اسير في الجنة اذا انا بنهر
حافتاه قباب اللؤلؤ فقلت ما هذا يا جبرائيل قال هذا الكوثر الذي اعطاك
ربك قال فضرب الملك بيده فاذا طينه مسك اذفر رواه البخاري
رح وروى عن ابي هريرة رضه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم انهار الجنة تخرج من تلال او من تحت جبال المسك رواه ابن
حبان في صحيحه وروى عن حكيم بن معاوية القشيري عن ابيه رضه
قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه يقول في الجنة بحر للماء وبحر
لبن وبحر العسل وبحر الخمر ثم تشقق الانهار منها بعد رواه البيهقي رح وبعضه
قوله تعالى في سورة النبأ ان للمتقين فرط الوقاية بالاجتناب عن الوقائع الشنيعة
والمعايب الشينية موافقا بالشريعة والسنة السنية والطريقة العلية
على ما قرر في معنى التقوى لغة واصطلاحا متزينا بزواهر الاعمال المتدخرة
بما يليق في الحال والمآل كما هو شان اهل الحال في الاولى والاخرة عند مالك
يوم الدين في العاقبة مفازا فوزا وظفرا ونجاة مما فيه اشد العذاب
واحد العقاب او موضع فوز على ان المراد منه اسم المكان كما ان المراد من الاول
المصدر ويعضده هذا المعنى قوله حدائق جمع حديقة وهي البهجة
والشان واعنابا اي بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة وكروما محوطة
بالجدران بدل من مفازا وكواعب جمع كاعبة وهن الجواري والنساء فلكت

وتكعبت ثديهن وهن النواهد والابكار اترابا اى مستويات فى السن والميلاد
وكاسا دهاقا اى صافية مترعة مملوءة يقال ادهق الحوض اذا ملاه او متتابعة من
كلما نشأت حضرت من غير انفكاك ولا انتظار لان اهل الجنة لهم ما يشاؤن
عند ربهم ولهم ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وهم فيها خالدون على هذا
الحال والشان اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب ولا تعب
لا يسمعون فيها اى فى الجنة او فى الكاس لغوا اى كلاما باطلا لا طائل تحته
ولا كذابا اى تكذيبا حيث لا يكذب بعضهم بعضا كما هو حالهم فى الدنيا وقيل
هو الكذب اى لا ينطقون الكذب اذا تكلموا على سرر مصفوفة بلغو من الهذيان
والكذب جزاء من ربك مصدر موكد منصوب فانه فى قوة ان يقال جوزى
المتقون جزاء كائنا من ربك والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ
الى الكمال شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضمير الخطاب له صلى الله تعالى عليه وسلم
مزيد التشريف ومديد التعريف عطاء اى تفضلا واحسانا منه تعالى اذ لا يجب
عليه تعالى شىء بل كل ما يعطى عباده من فضله وعنايته واحسانه خاصة
للمؤمنين المتقين خائفين راكعين واضعين اعز الاعضاء على اخس
الاشياء ساجدين مقرين بان العبد عاجز وادنى ورب العزة الماجد
والاعلى عاملا بقوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن حسابا
صفة عطاء بمعنى كافيا على انه مصدر اقيم مقام الوصف او بولغ فيه من احسبه
الشىء اذا كفاه حتى قال حسبى فقال احسبت فلانا اى اعطيته ما يكفيه وقيل
على حسب اعمالهم جزاء بقدرها وقرئ حسابا بالتشديد على انه بمعنى المحسب
كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما الرحمن بدل من ربك
على قراءة الجر وقرئ بالرفع اهل الحجاز على الاستيناف فالرحمن خبره وعلى قراءة
الجر صفة له وقيل صفة للاول واياما كان ففى ذكر ربوبيته تعالى للكل
ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزاء وقوله تعالى لا يملكون منه خطابا

مطلب صفة اهل الجنة وصفة خمرها وعدم الكذب

استيناف

استيناف مقرر لما افادته الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله
تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير ان يكون لاحد قدرة عليه بالتكلم به
الا باذنه ولا قدرة لاحد ان يشفع لمن احبه الا باذنه وقرئ برفعهما فقيل على
انهما خبران لمبتدا مضمر وقيل الثانى نعت للاول وقيل الاول مبتدا والثانى
خبره وقوله لا يملكون خبر آخر او هو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل لا يملكون
حال لازمة وقيل الاول مبتدا والرحمن مبتدا ثان ولا يملكون خبره والجملة
خبر للاول وحصل الربط بتكرير المبتدا بمعناه على راى من يقول به والاوجه
ان يكون كلاهما مرفوعا على المدح او يكون الثانى نعتا للاول وقوله لا يملكون
استينافا على حاله ففيه ما ذكر من الاشعار بمدار الجزاء والعطاء كما فى
البدلية لما ان المرفوع والمنصوب مدحا تابع لما قبله معنى وان كان منقطعا
عنه اعرابا وقرئ بجر الاول على البدلية ورفع الثانى على الابتداء والخبر
ما بعده او على انه خبر لمبتدا مضمر وما بعده استيناف او خبر ثان او حال
من ضمير لا يملكون والمراد نفى قدرتهم على ان يخاطبوا الله تعالى بشىء من زيادة
العذاب والثواب ونقصهما من غير اذنه تعالى على ابلغ وجه واكده وقيل
ليس فى ايديهم مما يخاطب الله تعالى به ويأمر به فى امر الثواب والعقاب
خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون
وروى عن ابى امامة رض ان الرجل من اهل الجنة يشتهى الشراب من شراب
الجنة فيجيء الابريق فيقع فى يده فيشرب ثم يعود الى مكانه رواه ابن ابى
الدنيا موقوفا باسناد جيد وروى عن زيد بن ارقم رض انه قال جاء
رجل من اهل الكتاب الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا ابا القاسم
تزعم ان اهل الجنة يأكلون ويشربون قال نعم والذى نفس محمد بيده ان
احدهم ليعطى قوة مائة رجل فى الاكل والشرب والجماع قال فان الذى يأكل
ويشرب يكون له الحاجة وليس فى الجنة اذى قال صلعم تكون حاجة احدهم

مطلب احوال اهل الجنة واكلهم وشربهم

رشحاً يعبق اى يخرج العرق من جلودهم كريح المسك فيضمر بطنه اى يلطف
جسمه رواه احمد والنسائى رح وروى عن عبد الله بن مسعود رض انه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انك لتنظر الى الطير فى الجنة فتشتهيه
فيجئ مشويا بين يديك رواه الامام البيهقى والبزار وابن ابى الدنيا رحمهم
وروى عن ميمونة رضى الله عنها قالت سمعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول
ان الرجل ليشتهى فى الجنة فيجئ مثل البختى حتى يقع على خوانه لم يصبه دخان
ولم تمسه نار فيأكل حتى يشبع ثم يطير رواه ابن ابى الدنيا رح وروى
عن ابى سعيد الخدرى رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان فى
الجنة طائرا له سبعون الف ريشة يجئ فيقع على صحيفة الرجل من اهل
الجنة فينتفض اى يتحرك فيقع من كل ريشة لون من طعام ابيض من الثلج
والين من الزبد واعذب من الشهد اى العسل ليس منها لون يشبه صاحبه ثم
يطير رواه ابن ابى الدنيا رح وروى عن ابن عباس رض انه قال الرمانة من رمان
الجنة يجتمع حولها بشر كثير يأكلون منها فان جرى على ذكر احدهم شئ
يريده وجده فى موضع يده حيث يأكل وروى عنه ايضا ان الثمرة من ثمر
الجنة اثنى عشر ذراعا ليس لها عجم اى النواة يقال له بالتركى چكردك رواه
ابن ابى الدنيا وروى عن ابى امامة رض عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
انه قال ما منكم من احد يدخل الجنة الا انطلق به الى طوبى فتفتح له اكمامها
جمع الكم اى قشرها فيأخذ من اى ذلك شاء ابيض اى من الثوب وان شاء
احمر وان شاء اصفر وان شاء اسود مثل شقائق النعمان وارق واحسن
رواه ابن ابى الدنيا رح قوله اكمامها جمع الكم وهو قشرها اى ثمرتها الحلل فيأخذ
منه بما شاء او من الاثواب من اى لون شاء وروى عن ابى سعيد الخدرى رض
عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الرجل ليتكئ فى الجنة سبعين سنة
قبل ان يتحول ثم تأتيه امرأة فتضرب منكبه فينظر وجهه فى خدها اصفى

مبحث حكاية المزيد لاهل الجنة

من المرأة

من المرأة وان ادنى لؤلؤة عليها لتضئ ما بين المشرق والمغرب فتسلم فيرد السلام
ويسئلها من انت فتقول انا من المزيد وانه ليكون عليها سبعون ثوبا ادناها
مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك
وان عليها من التيجان ان ادنى لؤلؤة منها لتضئ ما بين المشرق والمغرب
رواه احمد بن محمد بن حنبل رح وروى عن ابى هريرة انه قال دار المؤمن
فى الجنة لؤلؤة فيها اربعون الف دار فيها شجرة تنبت الحلل فيأخذ الرجل
باصبعه واشار بالسبابة والابهام سبعين حلة منتطقة باللؤلؤ
والمرجان رواه ابن ابى الدنيا موقوفا رح قوله منتطقة وهى ثوب تلبسها
المرأة وتشد وسطها ثم ترسل الاعلى الى الركبة والاسفل يجر على الارض
وليس لها شدة يقال استنطق الرجل اذا لبس المنطق وهو كل ما شددت به
الوسط وروى عن شريح بن عبيد رض انه قال كعب رض لو ان ثوبا من ثياب
لبس اليوم فى الدنيا لصعق من ينظر اليه اى مات وما حملته ابصارهم رواه
ابن ابى الدنيا وروى عن انس رض مرفوعا ولو اطلعت امرأة من نساء اهل الجنة
الى الارض لملأت ما بينهما ريحا ولاضاءت ما بينهما ولنصيفها على رأسها
اى خمارها خير من الدنيا وما فيها رواه البخارى ومسلم رحمهما وروى عن سعيد بن
عامر انه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو ان امرأة من نساء
اهل الجنة اشرفت لملأت الارض ريح المسك ولاذهبت ضوء الشمس والقمر
رواه الطبرانى والبزار قوله اشرفت اى لو خرجت الى الدنيا واظهرت وعرضت
نفسها فى الدنيا وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لو ان حوراء اخرجت
كفها بين السماء والارض لافتتن الخلائق بحسنها ولو اخرجت نصيفها اى خمارها
لكانت الشمس عند حسنه مثل الفتيلة لا ضوء لها ولو اخرجت وجهها لاضاء
حسنها ما بين السماء والارض رواه ابن ابى الدنيا وعن انس بن مالك رض
انه قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لو ان حوراء بزقت فى البحر لعذب ذلك

البحر من عذوبة ريقها رواه ابن ابي الدنيا وروى عن علي رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد اي لا نهلك ونحن الناعمات فلا نبأس اي لا نحزن ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له رواه الترمذي وروى عن ابي امامة رض عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ما من عبد يدخل الجنة الا عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين تغنيان بأحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بمزامير الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه رواه الطبراني والبيهقي وروى عن انس بن مالك رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الحور في الجنة يغنين يقلن نحن الحور الحسان هدينا لازواج كرام رواه الطبراني وابن ابي الدنيا وروى عن انس بن مالك رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيقول لهم اهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وانتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا رواه مسلم رح قوله لسوقا هو معروف يذكر ويؤنث والتأنيث افصح والمراد به هنا مجمع يجتمع فيه اهل الجنة كما يجتمع اهل الدنيا في السوق وقد حفت به الملئكة واحاطت به بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيأخذون بما يشتهون من غير شراء وهذا نوع من الالتذاذ قوله يأتون كل جمعة اي مقدار كل اسبوع وليس فيها حقيقة الاسبوع لفقد الشمس والقمر والليل والنهار قوله فتهب ريح الشمال بفتح الشمال وهي جهة تقابل القبلة قال الشارح القاضي عياض رح في شرح هذا الحديث وانما خص هذا الريح بالذكر لانها ريح المطر عند العرب وكانوا يرجون به السحاب الباقي قوله فتحثو اي تنثر تلك الريح انواع العطر وروى عن علي بن ابي طالب رض

عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال في الجنة لسوقا ما فيها شراء ولا بيع الا الصورة من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها رواه الترمذي وابن ابي الدنيا كما في قوله تعالى فيهن اي في الجنات التي وعد المتقون لما عرفت انها للخائفين من الثقلين ولكل خائف بحسب تعدد عمله وقد اعتبر الجمعية وحمل التثنية في قوله جنتان على الاماكن والقصور منها وقيل حمل في الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين وقوله فيهما عينان والفاكهة والفرش قاصرات الطرف اي نساء يقصرن ابصارهن على ازواجهن ولا ينظرن الى غيرهم ويقلن في ازواجهن ما ارى شيئا احسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجتك لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان اي لم يجامعهن ولم يمسهن الانسيات احد من الانس والجنيات احد من الجن قبل ازواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف وبقوله متكئين وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرئ بضم الميم والجملة صفة للقاصرات واضافتها لفظية او حال منها لتخصصها بالاضافة فبأي آلاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بالآلاء وانهما الثقلان والفاء لترغيب الانكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وسوق الآلاء الموجبة للايمان والشكر حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الاضافة الى ضميرهم لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ والمعنى تكذيبهم لآلائه تعالى كفرهم بها اما بانكار كونه نعمة في نفسه كتعليم القرآن وما يستند اليه من النعم الدينية واما بانكار كونه من الله تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة في نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة اليهم باسناده الى غيره تعالى استقلالا او اشتراكا صريحا او دلالة فان اشراكهم الهتهم به تعالى في العبادة من دواعي اشراكهم لها به تعالى فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما ان دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الايمان شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة اي فاذا كان الامر كما فصل فبأي

زوجي

قرد بين افراد الآلاء مالكيكما ومربيكما ابتلك الآلاء تكذبان مع ان كلا منهما آتٍ
بالحق وشاهد بالصدق روى عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا
الله ورسوله اعلم قال يقول هل جزاء من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة (اي ما جزاء)
رواه البغوي في المعالم ويعضده قوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان
استيناف مقرر لمضمون ما فصل قبله اي ما جزاء الاحسان في الاعمال الصالحات
الا الاحسان بالدرجات العاليات وما جزاء من خاف من الله تعالى سرا وعلنا
موافقة حركاته بالشريعة الغراء والسنة البيضاء الا هذه النعم العليا
والجنان المأوى والدرجات القصوى فباي الآلاء ربكما تكذبان اي فباي
نوع من انواع نعم خالقكما وكرم مالككما بتلك النعم الداعية في مقابلة الا
عمال الفانية تنكران وتكفران ايها الثقلان من الانس والجان وتخصيص
التكذيب في مقام التكفير انما هو لدلالة الآلاء الممدوحة بين العباد
المذكورة على وجوب الايمان ووجود الاذعان في الانس والجان على التوجه
المنتهي بوحدانية الملك الاعز الاحمى الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه
مرمى الذي وسع كل شيء علما واسبغ على المتقين الخائفين نعما غمارا ومن دونهما
جنتان مبتدأ وخبر اي ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمتقين
الخائفين جنتان اخريان لمن دونهم من اصحاب اليمين فالاوليان جنة
النعيم وجنة عدن والاخريان جنة الفردوس وجنة المأوى مدهامتان
من ادهام اذا صار على لون خضر تميل الى السواد من شدة الوان الخضرة
في تلكما الجنتان صفة لجنتان وسط بينهما لما ذكر من التنبيه على ان
تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق بالتوبيخ اي خضراوان تميلان
الى السواد من شدة الخضرة فيه حيث تجلو البصر كما هو شأن الاخضر
وتدفع ما خطر بالبال مما يتكدر في الحال والمآل وفيه اشعار بان الغالب

خبر الاول هو فقط بالجنان الملذة والدرجات العاليات وبعليا

على هاتين

على هاتين الجنتين الرياحين من النباتات ذي الرائحة الطيبة والصفاء
الظاهرية الروحانية الباطنية المنبسطة على الاتراب العنبرية
والارضية العبقرية كما كان على الاوليين الاشجار الانوارية والفواكه
الرمانية المتلذذة المتنوعة كل اكلة منها ليست تشابه الاخرى فباي الآلاء
ربكما تكذبان حيث لم يقدر احد اتيان مثلها واعطاء نظيرها ولم ير
مثلها ولم تسمع الاذان ولم تخطر على قلب البشر فكيف تنكران آلاء واليكما
وارزاق عاليكما واعطاء مالكما ايها الثقلان من الانس والجان وانتم من ذوي
العقول من الاعيان ولم تميزوا عن سائر الحيوان مع انكما مستغرقان نعم ربكما
ظاهرة وغيرة خالقكما بديانة الاسلام وصيانة الاذعان وامانة الايمان
والايقان باطنة فيهما عينان نضاختان اي فوارتان بالماء مملوتان
بالخير لا منقطعتان والنضخ بالخاء المعجمة اكثر من النضح بالحاء المهملة وهو
الرش والنفوذ فباي الآلاء ربكما تكذبان بحمل الامثال من اول السورة الى آخره
على التاسيس او لكن من التاكيد بقرينة السياق اذ في الاول قواعد بدون الثاني
على انه يخطر شائبة التكرار والعبث فسبحان الله عما يقول الظالمون وتعالى علوا
كبيرا اللهم الا ان يكون في ضمن العوائد المتضمنة انواع الفوائد فيهما فاكهة
ونخل ورمان عطف الاخيران على الفاكهة عطف جبرائيل وميكائيل
على الملائكة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء عند الامامين من
تلاميذ الامام الاعظم رحمه وهما امام يعقوب المكنى بابي يوسف الشيرازي
ثم الاصفهاني ثم البغدادي والامام محمد بن الحسن الشيباني وهو استاذ
امام الشافعي ادريس الهاشمي رحمهم والرمان رطبا وكذلك ليستا منهما
عند الامام الاعظم حيث لم يحنث قال ابو ح رح انهما ليستا من الفاكهة
فلو حلف رجل ان لا ياكل فاكهة فاكل ثمرة او رمانا لا يحنث وكذا الحكم
عنده في العنب خلافا لصاحبيه وغيرهما فباي الآلاء ربكما تكذبان

ايها الثقلان فهذا الحال ليس من شأن ذوى العقول فتفكروا لا اله الا الله تعالى
فآمنوا به ولا تشركوا به شيئا فباى عقل تعقل وان لم تعقلوا وباى عين تبصران
وباى اذن تسمعان فباى فم تشكران فلو ازيلت تلك النعم الظاهرة والباطنة
حيث لم تقدروا واحدها ولم تعدوا اعدادها اذ لا تحصى فمن حصر على ما فيهم
عصى فيهن خيرات صفة اخرى لجنات كالجملة التى قبلها والكلام فى جمع
الضمير كالذى مر وخيرات مخففة من خيرات لان خير الذى بمعنى اخير
لا يجمع وقرئ على الاصل حسان اى حسان الخلق والخلق فباى آلاء ربكما
تكذبان وقوله حور مقصورات فى الخيام قصرن فى صدورهن يقال امرأة
قصيرة وقصورة اى مخدرة مستورة مقصورة الطرف والعين على ازواجهن
حيث لا ينظرن الى غير ازواجهن والخيام جمع خيمة وهى من لؤلؤة مجوفة
ستين فرسخا فى فرسخ لها اربعة مصاريع من ذهب فى كل زاوية منها اهل ما يرون
الآخرين يطوف عليهن ازواجهن ووقعوا الحق خيماة سنة لا يقطعهم
الا ووقعوا فى لذة الصفاء فكلما تشتهى الانفس الاخرى وقعوا فى الانفس
من الاولى فباى آلاء ربكما تكذبان ايها الثقلان الغافلان فبأى النعم
كافران فالشكر والعرفان يتوقف على وجوب وجود الايمان بكمال الاتقان
واتم الاذعان فكيف تكفران على هذه النعم الجلية فى الاعيان لم يطمثهن
انس قبلهم من الانسيات ولا جان من الجنيات احد من الاحاد وفرد
من الافراد ولم يجامعهن قبلهم ولا بعدهم بل يقصرن النظر على ازواجهن
والكل يشكرون الله تعالى على ما انعم عليهم وهم يعتقدون على ان هذه النعم
العلية لا توجد فى الدنيا والآخرة الا مقصورة علينا واكرمنا الله تعالى
الينا فباى آلاء ربكما تكذبان فباى الآء اعظم النعم مما اسبغت عليكما
ظاهرة وباطنة فكيف تكفران فلا تشكران ايها الثقلان فحق العبد
شكران متكئين نصب على الاختصاص لا على الحال لانقطاع عما قبله

تسمعان بيان

اى نائمين

اى نائمين على رفرف وهو اما اسم جنس او اسم جمع وآحاده رفرفة قيل هو ما تدلى
من الاسرة من غالب الثياب وقيل هو ضرب من البسط وقيل الوسائد وقيل
النمارق وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط
رفارف وروى عن سعيد بن جبير رضى الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة
وروى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما جمع رفرفة وروى عنه انه فضول المجالس
والبسط وقال الضحاك وقتادة هو مجالس خضر فوق الفرش وقال ابن كيسان
هى المرافق وقال ابن عيينة الزرابى الكثيرة الالوان وهى الطنافس الجساد
وعبقرى اى منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شئ
عجيب والمراد الجنس ولذلك وصف بالجمع حملا على المعنى وهى جمع عبقرية
كأن رفرف على احد الوجهين وقرئ على رفارف خضر بضمتين حسان ولم
يقل حسن اذ فيه معنى الجماعة ويقال العبقرى كل شئ بولغ فى وصفه وعباقرى
قرئ كمدائنى اسم بلدة فباى آلاء ربكما تكذبان قوله تبارك اسم ربك
تنزيه وتقديس له تعالى وفيه تقرير لما ذكر فى السورة العزيزة من الآلاء
الفائضة على الانام اى تعالى اسمه الجليل كما تعالى ذاته المتحلى بالجميل الذى
من جملته ما صدرت به السورة من اسم الرحمن المنبئ عن افاضة الآلاء
المفصلة ورفع ما يليق بشانه من الامور التى هى النعم الجليلة التى اعطاها
عباده الكافرين فى الدنيا الدنيئة غير معادلة الى ريش لجنحة فضلا عمن
يحبه ويدخل مع الطاعات ويخلص فى عمله بما يؤمر ويحبهم ويدخلهم
مدخلا كريما ووبخ عليهم بكفرانهم وتكذيبهم فاذا كان حال اسمه بملابسة
دلالته عليه فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل
مقحم كما فى قول الشاعر كما مر فى اول كتاب ثم اسم السلام عليكما ذى الجلال
والاكرام وانما وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتفريد وقرئ
ذو الجلال على انه نعت للاسم وروى عن عائشة الصديقة رضى الله عنها انها

قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا سلم من الصلوة لم يقعد الا مقدار
ما يقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام
وروى عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل
اهل الجنة الجنة فيشتاق الاخوان بعضهم الى بعض فيسير سرير هذا الى سرير
هذا وسرير هذا الى سرير هذا حتى يجتمعا جميعا فيتكئ هذا ويتكئ هذا فيقول احدهما
لصاحبه اتعلم متى غفر الله لنا فيقول صاحبه نعم يوم كنا في موضع كذا وكذا
فدعونا الله فغفر لنا رواه ابن ابى الدنيا والبزار وروى عن على بن ابى طالب
رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان في الجنة شجرة يخرج
من اعلاها حلل ومن اسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت
لا تروث ولا تبول لها اجنحة خطوها مد البصر فيركبها اهل الجنة
فتطير بهم حيث شاؤا فيقول الذين اسفل منهم درجة يا رب بما بلغ عبادك
هذه الكرامة كلها قال فيقال لهم كانوا يصلون بالليل وكنتم تنامون وكانوا
يصومون وكنتم تأكلون وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون وكانوا يقاتلون
وكنتم تجبنون اى تبعدون رواه ابن ابى الدنيا وروى عن عبد الرحمن
بن ساعدة رضى الله عنه قال كنت احب الخيل فقلت يا رسول الله هل في الجنة
خيل فقال ان ادخلك الله الجنة يا عبد الرحمن كان لك فيها فرس من ياقوت له
جناحان يطير بك حيث شئت رواه الطبرانى ورواته ثقات وروى
عن ابى ايوب خالد بن زيد رضى الله عنه قال اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اعرابى
فقال يا رسول الله انى احب الخيل افى الجنة خيل فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان دخلت الجنة اوتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت
ثم طار بك حيث شئت رواه الترمذى وروى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه
انه قال اذا سكن اهل الجنة اتيهم ملك فيقول ان الله تعالى يأمركم ان تزوروه
فيجتمعون فيأمر الله تعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل

سرير الجنة تسير رضا جماعة كي تشاء علما

فيوضع

يوضع
مائدة الخلد قالوا يا رسول الله وما مائدة الخلد قال زاوية من زواياها اوسع
مما بين المشرق والمغرب فيطعمون ثم يسقون ثم يكسبون فيقولون لم يبق الا
النظر في وجه ربنا فيتجلى لهم فيخرون فيقال لهم لستم في دار عمل انما انتم
في دار جزاء رواه ابو نعيم وروى عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابيه عن ضيفى
اليمامى قال سئله عبد العزيز بن مروان عن وفد اهل الجنة قال انهم يقدمون
اى يركبون على نجائبهم الى الله تعالى كل يوم خميس فتوضع لهم اسرة كل انسان منهم
اعرف بسريره منك بسريرك هذا الذى انت عليه فاذا قعدوا عليه واخذ
القوم مجالسهم قال الله تعالى اطعموا عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى قد طعموا
وشربوا وفكهوا اكسوهم فيجئ ثمرات شجر لخضر ولصفر ولحمر وكل لون لم تنبت
الا الحلل فتنشر عليهم حللا وقمصا ثم يقول عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى
قد طعموا وشربوا وفكهوا وكسوا وطيبوهم فيتناثر عليهم المسك مثل المطر
ثم يقول عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى قد طعموا وشربوا وفكهوا وكسوا
وطيبوا لاتجلين عليهم حتى ينظروا الى فاذا تجلى لهم فنظروا اليه نضرت
وجوههم ثم يقال ارجعوا الى منازلكم فتقول لهم ازواجهم اى من الحور العين
خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها فيقولون ذلك ان الله جل
ثناؤه تجلى لنا فنضرت وجوهنا اى سرت سرورا رواه ابن ابى الدنيا موقوفا
وتبين قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة فالتنوين للتعظيم والتكثير اى
وجوه عظيمة قدرها عند الله تعالى وكثيرة بذدها يوم التلاق وهى وجوه
المؤمنين المخلصين المتقين بهيئة متهللة وهيبة متكبرة تشاهد
عليها نضرة النعيم على ان وجوه مبتداء وناضرة خبره ويومئذ منصوب
بناضرة وناظرة وقوله تعالى الى ربها ناظرة خبر ثان للمبتدا او نعت
لناضرة والى ربها متعلقة بناضرة كما قيل من ان حق الصفة ان تكون
معلومة الانتساب الى الموصوف عنه السامع وحيث لم يكن ثبوت النضرة

للوجوه كذلك فحققه ان يخبر به ومعنى كونها ناظرة انها تراه تعالى مستغرقة
فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا كيفية
ولا على جهة ولا على اشارة بهذا دون هذا وليس هذا فى جميع الاحوال حتى
ينافيه نظرها الى غيره فاهل الاعتزال خذلهم الله تعالى انكروا واولوا بالانتظار
الى انعامه واحسانه فردهم اهل السنة والجماعة بان الانتظار لا يسند الى
الى الوجه بالحديث الصحيح الناطق بمعنى الاية الكريمة المفسر لها وهو ما روى
عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ادنى
اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة
الف سنة واكرمهم على الله عز وجل من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ
صلى الله تعالى عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة قال الامام المجاهد مسرورة
وقال ابن زيد ناعمة وقال مقاتل بيض يعلوها النور وقال السدى مضيئة
وقال الفراء مسترة بالنعيم فيقال نضر الله وجهه وقال الله تعالى تعرف
فى وجوههم نضرة النعيم وقال الحسن رض النضرة فى الوجه والسرور فى القلب
الى ربها ناظرة قال ابن عباس وكبار الصحابة كلهم ينظر الى ربه عيانا
بلا حجاب وقال الحسن الوجوه تنظر الى الخالق وحق لها ان تنظر وتنضر
وهى تنظر الى الخالق رواه البغوى فى المعالم فديننا مبنى على النقول لا على
قدر العقول فاتفق علماء اهل الدين باجمعهم رح على ان النظر حقيقة
فيها ولا يعاد الى المجاز لا لاعتقاد لاستحالة والحال ان النظر الى ذاته وجماله
عز شانه وبهر برهانه مقطوع بالايات المحكمة والاحاديث الصحيحة
المحكوة كما فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انكم سترون ربكم رواه البخارى
رح وقالوا انكار ما ثبت بالنص القاطع المحكم كفر وتفسيره صلى الله
تعالى عليه وسلم بهذا الحديث قاطع لا يحتمل الغير من المتشابهة فمن لم يرض
عن صاحب الشريعة بشريعته وتفسيره بالمشافهة والمطابقة وبالاتفاق

اصحابه

اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم وبصحته واعتقادهم على هذه المرتبة العلية
والمناصب الجلية المرغوبة عند كل المحدثين من اهل السنة والمفسرين المعتقدين
من اصحاب المجتهدين والجماعة موافقا لاعتقاده ومطابقا لمسلكه وسيرته
ومذهبه وعترته صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى اله وانصاره وحمل معناه الى
ما يقتضى هواه الباطل وقاعدته العاطلة كفر وارتد عن دينه وحرف
معنى الكتاب القديم والسنة الكريمة فنعوذ بالله تعالى من شرور انفسنا ومن
شرور الملحدين الخارجين عن الدين والباقين فى الضلال المبين اللهم
اهدنا الى الحق والى صراط مستقيم بحرمة من انزل عليه القرآن العظيم وبعضهم
قوله تعالى ان الابرار يشربون شروع فى بيان حسن حال الشاكرين اثر بيان
سوء حال الكافرين المنطوى قوله انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا
حالان من مفعول هديناه اى مكنا الانسان بعد الخلق من نطفة مشيجة
مخلوطة من الماءين ولكل منهما اوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظة
والخواص المتباينة لان ماء الرجل ابيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة
اصفر رقيق فيه قوة الانعقاد يخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة
من ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة رواه الامام القرطبى
حديثا مرفوعا فيه فجعله سميعا بصيرا مريدا معاملة الابتداء ليتمكن
استماع الايات التنزيلية ومشاهدة العلامات التكوينية فهو كالمسبب
من الابتلاء فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء التعقيبية المرتبة
بقوله انا هديناه السبيل بانزال الايات ونصب الدلائل البينات
ومكنا الانسان واقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية فى حالتيه
جميعا اما هى للتقسيم والتفصيل اى هديناه الى ما يوصل اليها جميعا او مقسوما
اليهما بعضهم شاكرا بالاهتداء وبعضهم كفورا بالاعراض عنه وقيل اى
عرفناه السبيل شاكرا بالائتمار بالاوامر والانتهاء عن النواهى او كفورا

النظر الى جمال الله على حسب مقاماتهم

ولا يصاد
ولا يعاد

على وصف السبيل بوصف سالكه مجازاً وايراد الكفور للاشعار بان الانسان
قلما يخلو من كفران ما وانما المؤاخذ عليه الكفر المفرط والابرار جمع بر او بار
كرب وارباب وشاهد واشهاد قيل هو من يبر خالقه ويطيعه بالائتمار
عن الاوامر والانتهاء عن النواهي وقيل من يؤدي حقوق الله ويوفي النذور
وعن الحسن رضي الله عنه البر من لا يؤذي الذر يشربون من كاس هي زجاجة اهل
الجنة اذا كانت فيها خمر الجنة وتطلق على نفس الخمر ايضا فمن على الاول
ابتدائية وعلى الثاني تبعيضية او بيانية كان مزاجها اي ما يمزج به كافوراً
اي ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده
والجملة صفة كاس وقوله عيناً بدل من كافوراً وروي عن عبادة رضي الله عنه
تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه
وبرده فكانما مزجت بالكافور فعيناً على هذين القولين بدل من محل
من كاس على تقدير مضاف اي يشربون خمراً خمر عين او نصب على الاختصاص
وقوله يشرب بها عباد الله صفة عيناً اي يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة
بها وقيل ضمن يشرب معنى يتلذذ وقيل الباء بمعنى من وقيل زائدة ويعضده
قراءة ابي بن كعب رض يشربها عباد الله وقيل الضمير للكاس والمعنى
يشربون العين بتلك الكاس يفجرونها اي يجرونها حيث شاؤا من منازلهم
وقصورهم تفجيراً اي اجراء سهلاً كثيراً لا يمتنع عليهم بل يجري جرياً بالقوة
ولا يندفاع حيث احبوا كما يفجر الرجل في الدنيا نهره في داره حيث احب
والجملة صفة اخرى لعيناً وقوله يوفون بالنذر استيناف سوق لبيان
ما لاجله رزقوا ما ذكر من النعيم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبئ عنه
الابرار اجمالاً كانه قيل ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية والجنة
العالية فقيل يوفون بما اوجبوا على انفسهم فكيف بما اوجبه الله تعالى
عليهم عن عائشة الصديقة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها انها قالت قال

النبي

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من نذر ان يطيع الله تعالى فليطعه رواه
البغوي في المعالم لانه تعالى لا يرضى العصيان كما لا يرضى الكفر والطغيان
ويخافون يوماً اي من عذاب يوم كان شره وعذابه وخوفه وفيه مجاز
بالاسناد الى الظرف مستطيراً فاشياً منتشراً في الاقطار غاية الانتشار
من استطار الصبح اذا امتد وانتشر اي اذا السماء انشقت وانتثرت الكواكب
والشمس اذا كورت وسيرت الجبال وفزعت الملائكة من العواقب وغارت
المياه واذا دكت الارض دكاً دكاً وجاء ربك والملك صفاً صفاً وجيء
يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى ويطعمون الطعام
على حبه اي كائنين على حب الطعام والحاجة اليه كما في قوله تعالى
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون او على حب الاطعام بان يكون ذلك
بطيب النفس او كائنين على حب الله تعالى او اطعاماً كائناً على حبه تعالى
وهو الانسب لما سيأتي من قوله تعالى لوجه الله مسكيناً ويتيماً واسيراً
اي اسير كان فانه صلى الله تعالى عليه وسلم يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض
المسلمين فيقول احسن اليه او اسيراً مؤمناً فيدخل فيه المملوك والمسجون
وقد سمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الغريم اسيراً فقال غريمك اسيرك
فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة قول هو في موقع الحال
من فاعل اي قائلين ذلك بلسان الحال او بلسان المقال ازاحة لتوهم
المن المبطل للصدقة وتوقع المكافات المنقصة للاجر وروي عن ام
المؤمنين عائشة الصديقة رضها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل
بيت ثم تسأل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ما قالوا فاذا ذكر دعا لهم
دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصاً عند الله تعالى لا نريد منكم
جزاء مكافات على ذلك في الحيوة الدنيا ولا شكوراً اي ثناء وشكراً
وتعظيماً بالمنعم بسبب كونه منعماً بانواع الاكرام بحيث يقابل الاحسان به

مع

اجور المطعمين في الجنان بل نريد الباقية على ما كسبنا في الدنيا الدنية الفانية
وروى عن عبد الله بن عمر رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من اطعم اخاه حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه باعده الله من النار سبع
خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام رواه صاحب الفردوس
والطبراني في المعجم الكبير وروى عن ابي سعيد الخدري رح سعيد بن
مالك رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ايما مؤمن اطعم مؤمنا
على جوع اطعمه الله تعالى يوم القيمة من ثمار الجنة وايما مؤمن سقى مؤمنا على ظمأ
سقاه الله يوم القيمة من الرحيق المختوم وايما مؤمن كسا مؤمنا على عري كساه الله
تعالى يوم القيمة من حلل الجنة رواه الترمذي رح وروى عن ابي هريرة رض
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من اصبح اليوم منكم صائما قال
ابو بكر رض انا فقال من اطعم اليوم منكم مسكينا قال ابو بكر الصديق رض انا
قال صلى الله تعالى عليه وسلم من اتبع منكم اليوم جنازة قال ابو بكر رض انا فقال
من عاد منكم اليوم مريضا قال ابو بكر رض انا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم
ما اجتمعن هذه الخصال قط في رجل الا دخل الجنة رواه ابن خزيمة في صحيحه
قال القاضي عياض رح معناه دخل الجنة بلا محاسبة والا فمجرد الايمان
يكفي بمطلق الدخول وروى عن عبد الله بن عمر رض انه قال ان في الجنة
غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها قال ابو مالك الاشعري
لمن هي يا رسول الله قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لمن اطعم الطعام
وافشى السلام وصلى الليل والناس نيام رواه ابن حبان في صحيحه وروى
عن ابي هريرة رض ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله تعالى عز وجل
ليدخل بلقمة الخبز وقبضة التمرة ومثله مما ينفع المسكين ثلثة الجنة
الآمر به والزوجة المصلحة والخادم الذي يناول المسكين وقال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله الذي لم ينس خدمنا رواه الامام الطبراني

في المعجم الاوسط وروى عن ام المؤمنين عايشة الصديقة رض انها قالت
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى ليربي لاحدكم التمرة كما يربي
احدكم فلوه او فصيله حتى يكون مثل جبل احد فيوضع في ميزانه يوم القيمة
في الجبوة القلوب وعن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيمة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال
يا رب كيف اعودك وانت رب العالمين قال اما علمت انه استطعمك عبدي
فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي قال يا ابن آدم
استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين قال
استسقاك عبدي فلان فلا تسقه اما علمت انك لو سقيته لوجدت ذلك
عندي رواه الامام مسلم في صحيحه والبغوي في المصابيح رح قوله يا ابن
آدم مرضت اراد به مرض عبده وهو الجوع اشد الامراض اعاذنا الله تعالى
من جميعها خاصة منها فانه يهلك الناس في اقل الازمنة وانما اسنده
الى ذاته تعالى تشريفا لعبده الصالح الصابر قوله وانت رب العالمين اي
انت يا رب منزه عن الجوع وجميع النقايص بل انت خالق الجوع والشبع
فلم ترد لم يجع ولم يشبع لاحد قوله لوجدتني اي وجدت رضائي وجزائي
من العشرة الى سبعمائة والى ما شاء الله لقوله انما يوفى الصابرون اجرهم
بغير حساب قوله اما علمت ان الضمير للشأن قوله لوجدت ذلك عندي
اي الاجره وثوابه قوله اما حرف تنبيه وانما قال في العيادة لوجدت ذلك
عندي اشارة الى ان الله تعالى اقرب الى المنكسر الفقير وارشاد الى ان العباد
اكثروا بانهما كما يؤيده قوله تعالى في سورة الحشر والذين تبوءوا الدار والايمان
كلام مستانف مسوق لمدح الانصار الذين اتصفوا بالاخلاق الحميدة
والخصال الجميلة فمن جملتها محبتهم النبي المختار والمهاجرين الابرار ورضاهم
باختصاص الفيء بهم احسن رضى واكمله ومعنى تبوءهم الدار انهم اتخذوا

المدينة والايمان مباهين بهما وتمكنين فيهما اشد تمكن على تنزيل الحال
منزلة المكان وفيه تجوز وقيل ضمن التبوء معنى اللزوم وقيل معناه اخلصوا
الايمان فيها وقيل تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني
والمضاف اليه من الاول وعوض منه اللام وقيل سمى المدينة بالايمان
لكونها مظهره ومنشاه والمعنى اى والسكان الذين هم الانصار في المدينة
تبوؤا الدار وهي المدينة وتوطنوا فيها واتخذوها دار الهجرة واسلموا فيها
وآثروا الايمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بسنتين من قبلهم من قبل قدوم المهاجرين وقد آمنوا وفيه مجاز اولى
اذ الايمان ليس بمكان التبوء على المعاني الاول ومن قبل تبوء المهاجرين
ويجوز ان يجعل اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه على المعاني
الاول عبارة عن اقامة كافة حقوقه التي منه جعلها اظهارا رعاية
شعائره واحكامه ولا ريب في تقدم الانصار في ذلك على المهاجرين
عجزهم عن اظهار بعضها الا عن اخلاصه قلبا وقاليا اذ لا يتصور
تقدمهم عليهم في ذلك يحبون من هاجر اليهم خبر للموصول اى يحبونهم
من حيث مهاجرتهم اليهم لمحبتهم الايمان ولا يجدون في صدورهم
في نفوسهم وقلوبهم حاجة اي شيئا محتاجا مما اوتوا اما اوتى واعطى
المهاجرون من الفيء وغيره بطيب الانفس يقال خذ منه حاجتك
اى ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة كالطلب والحسد والغيظ لان هذه
الاشياء لا تنفك عن ذوى النفوس الناقصة على طريق الكناية وذلك
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط
الانصار الا ثلاثة نفر سماك بن خرشة وسهل بن حنيف وحارث بن
صمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم
في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولا نقسم لكم شيئا

من الغنيمة

من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من ديارنا واموالنا ونؤثرهم بالغنيمة
ولا نشاركهم فيها من طيب انفسنا لانهم اخواننا في الدين الذين سبقونا
بالايمان وشرفوا ديارنا بالديانة والامانة وتركوا ديارهم بصدقهم
في ايمانهم فنزلت ويؤثرون على انفسهم اى يختارون ويقدمون المهاجرين
على انفسهم في كل شيء من اسباب المعايش التي يقاتل عليها وتخرب الديار
حتى ان من عنده امرأتان كان ينزل على احديهما ويزوج احديهما اليهم
وهذا من نهاية الديانة ولا مرمى بعده من اظهار الاخوة ولو كان بهم
خصاصة اى حاجة وفاقة مما يؤثرون اخوانهم بنعيم اموالهم وديارهم
ومن يوق شح نفسه ومن منع بخل نفسه واستعملها على الانفاق معالجة
على الوفاق اذ الاشياء لا تعالج ولا تنكشف الا بالاضداد والشح بضم الشين
وبكسرها وقد قرئ بهما ايضا البخل واللئام واضافته الى النفس لانه غريزية
فيها مقتضية للحرص على المنع الذي هو البخل اى ومن يوق بتوفيق الله تعالى
شحها بانواع الاكرام على العباد واصناف الاحترام على السادات
فتخلص عما يامره النفس الامارة من السوء وخالفها فيما يغلب عليها
من حب المال ومن بغض الانفاق فاولئك اشارة الى من باعتبار
معناها العام الشامل للمذكورين انتظاما اوليا هم المفلحون الفائزون
بكل مطلوب بالظفر والدخول فيه والناجون عن كل مكروه بالخلاص
والبعد عنه والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار خاصة باعتبار
المورد وعامة باعتبار الموعد فمن يتصف بخصالهم الحميدة واخلاقهم الجميلة
الموعودة بالجنة والدرجات موافقا لقوله تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات
جنات عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ان رجلا اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال يا رسول الله اني مجهود فبعث الى نسائه فقلن ما معنا الا الماء
المجهود الجائع البطن
فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من يضيفه هذا فقال رجل من الانصار

انا فانطلق به الى امرأته فقال اكرمي ضيف رسول الله صلعم فقالت ما عندنا
الا قوت الصبيان فقال هيئي طعامك واصبحي سراجك ونومي صبيانك
اذا ارادوا عشاء فهيأت طعامها واصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم
قامت كانها تصلح سراجها فاطفأته فجعلا يريانه انهما ياكلان فباتا طاويين
فلما اصبحا غدا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال رسول الله
صلعم ضحك الله الليلة او عجب من فعالكما فانزل الله عز وجل ويؤثرون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة رواه البغوي في المعالم رح وروي
ان رجلا فقال لعبد الله بن مسعود رض اني اخاف ان اكون قد هلكت
فقال وما ذلك قال اسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم
المفلحون وانا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء فقال عبد الله بن
مسعود رض ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله عز وجل في القرآن ولكن الشح
ان تاكل مال اخيك ظلما وذاك البخل وبئس الشيء البخل رواه البغوي
رح وروي ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال ليس الشح ان يمنع الرجل
ماله انما الشح ان يطمع عين الرجل فيما ليس له وقال سعيد بن جبير
من اخذ الحرام ومنع الزكوة وقيل الشح هو الحرص الشديد الذي يحمله
على ارتكاب المحارم و قال ابن زيد رض لم ياخذ شيئا لشيء نهاه الله
تعالى عنه ولم يدعه الشح الى ان يمنع شيئا من شيء امره الله تعالى به
فقد وقاه شح نفسه كذا في المعالم للامام البغوي رح وروي عن جابر بن
عبد الله رض ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتقوا الظلم
فان الظلم ظلمات يوم القيمة واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان
قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم رواه البغوي رح
في المعالم وروي عن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد الفصل

السابع في بيان فضيلة شهر رجب المرجب والرغائب في ابتداء الجمعة
منه والصيام والقيام فيه وما يجوز في ليلة الرغائب وما لا يجوز وفضيلة
المعراج قيل هي ليلة سبع وعشرين من ربيع الاول او ربيع الآخر او شوال او رمضان
والاصح انه في ليلة سبع وعشرين من رجب فليلة المعراج افضل في حق النبي
صلعم من ليلة القدر كما ان ليلة القدر افضل في حق الامة من ليلة المعراج
كذا في الكتاب المعراجية لنجم الغيطي من حفاظ الاحاديث وما وقع فيه
لنبينا ورسولنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من الاكرام والاحترام وانه سيد
الانبياء وسيد الاصفياء صلوات الله تعالى عليه وعليهم اجمعين وامته خير
الامم ويكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليهم شهيدا قال الله تعالى
في سورة التوبة ان عدة الشهور اي مبلغ عددها من عد يعد وهو المعتاد
بها السنة المحسوبة من غير زيادة ولا نقصان من حيث المبلغ من العدد
والعدة بالتشديد مصدر عد يعد عدة ويقال لما يهيئ للسفر من الزاد
والراحلة والسلاح من لوازم الارتحال للسفر عدة بضم العين والتاء في آخره
كما في قوله تعالى ولو ارادوا الخروج قالوا اعتذارا كنا نريد الخروج لكن
لم نهيئ له بحيث لا يمكننا الاستعداد وقد قرب الرحيل فقيل تكذيبا لهم
ولو ارادوه لاعدوا له اي للخروج في وقته عدة اي اهبة من الزاد والراحلة
والسلاح وغير ذلك من الماكل والمشرب والملبس مما لا بد منه فيه وقرئ عده
بحذف التاء والاضافة الى ضمير الخروج كما قال واخلفوك عد الامر الذي وعدوا
اي عدته وقرئ بكسر العين وبالاضافة واما بالتخفيف فمن وعد يعد وعدا
وعدة وابدلت التاء من الواو في المعتل الفاء من المصدر عند البلغاء كما ان التاء
الاولى جاءت للتاكيد في المصدر والتوحيد والمبالغة والتكثير عند الفقهاء
في حكمه معمول مصدر وهو عدة فالتاء مصدرية مع تشديد الدال الا انه مضاف
بخلاف مصدر وعد فانه عدة بتخفيف الدال والتاء فيه ليست مصدرية

بل عوض عن الواو المحذوفة في المصدر الثاني مع أن العين فيهما مكسورة وهو
يعمل عمل فعله متعدياً كان أو لازماً تابعاً لفعله في العمل كما أن الفعل تابع
في الاشتقاق أي اثنى عشر خبر أن شهراً من المحرم والصفر أو تمييز للتأكيد
كما في قولك عندي من الدنانير عشرون ديناراً والمراد الشهور القمرية
إذ عليها يدور تلك الأحكام الشرعية وإن كانت الشمسية أيضاً اثنى
عشر شهراً في كتاب الله أي كائنة في اللوح المحفوظ المكتوب فيه كل شيء
من الأزل إلى الأبد مجملاً معلقاً بعضه ومبرماً آخره حيث يقبل المحو والإثبات
مصدراً لقوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وأما بالنسبة إلى علم الله
الأزلي الأبدي فلا يقبل المحو والإثبات ولا الزيادة والنقصان لأنه
من صفاته القديمة الأزلية وإلا فيلزم حدوثه وكونه محلاً له فسبحانه
تعالى أن يتبدل من صفة قديمة إلى حادثة مصوناً عن التغير والسهو
والغلط فذاته تعالى مع صفاته العالية قديمة أزلية وأبدية لا يشبه
الأشياء ولا تشبهه في شيء من الوجوه فليس كمثله شيء نعم الله أكبر وجل
لا إله إلا الله والله أكبر فلله الحمد نحن من الموحدين المهللين فلا إله
غيره وإنما خصت الشهور موصوفة باثني عشر لأنهم كانوا ربما جعلوها
ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت باعتبار اسم آخر الشهور نسيئاً آخر
بتسمية مجدداً غيرها مبنياً على اعتبار المعتبر مصطلحاً بينهم في الأزمان
الآتية وذلك أن العرب كانوا يعتقدون تعظيم الأشهر الحرم وكانت
عامة معايشهم من الصيد والتجارة تشق عليهم المنع والكف في ثلاثة أشهر
حرم سرداً وهي ذو القعدة ذو الحجة والمحرم ورجب المرجب فرداً وربما
وقع الحرب في بعض أشهر الحرم فيكرهون نسيئتهم وتأخيرهم وأخروا
تحريم ذلك الشهر إلى شهر آخر وتحريم المحرم إلى صفر وتحريم الصفر إلى الربيع
وهكذا في جميع الشهور حتى استدار التحريم على السنة كلها ليتسع الأوقات

على الأصح في مذهب البصريين صح

فتزيد

فتزيد الأعمال في الحروب والتجارات فقام الإسلام ورجعت كل الشهور
والأيام والدهور والأعوام إلى مواضعها كما وضعها الله فيها في الأزل
اثنى عشر مثبتاً في كتاب الله فالكتاب على هذا علم للوح المحفوظ مع احتماله
مصدراً فعاد الحج إلى ذي الحجة بعد ما كانوا أزالوه من محله بالنسيء الذي
أحدثوه في الجاهلية والتأخير الذي جعلوه للحروب والتجارة وقد وافقت
حجة الوداع في ذي الحجة وكانت حجة أبي بكر الصديق رضي الله عنه قبلها في
ذي القعدة قبل نهي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوافق حج النبي بعده
في ذي الحجة فوقف بعرفة يوم التاسع وخطب يوم العاشر بمنى وأعلمهم
أن شهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الأمر إلى ما وضعه الله
تعالى عليه وأمرهم بالمحافظة لئلا يتبدل في مستأنف الأيام والمراد فيما
أثبته وأوجبه في حكمه لاثني عشر مثبتة في كتاب الله وقوله يوم منصوب
بأمر ثابت في نفس الأمر منذ خلق الأجرام والأزمنة يوم خلق السموات
والأرض متعلق بما في الجار والمجرور في الظرف المستقر من معنى الاستقرار
أو بالكتاب على أنه إن جعل مصدراً فالمعنى أن هذا أمر ثابت في نفس الأمر
أو في الكتاب منذ خلق الله تعالى الأجرام الفلكية والحركات الزمانية والعناصر
الأرضية وروي عن أبي بكرة رضي الله عنه أنه قال قال النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم في خطبته في حجة الوداع ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق
السموات السنة اثنى عشر شهراً منها أربعة حرم أي من تلك الشهور الاثني
عشر ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مفرد الذي
بين جمادى وشعبان أي شهر هذا فقلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى
ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم
هذا في بلدكم هذا وستلقون ربكم فيسئلكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا
بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليبلغ الشاهد الغائب

الفلكية والأجسام العنصرية والملكية والكرسية والسماوية والعمرية صح

فلعلّ من يبلغه ان يكون اوعى له من بعض من سمعه الا هل بلغت قالوا نعم قال
اللهم اشهد رواه البغوي في المعالم والمصابيح ذلك اي تحريم الاشهر
الحرم الاربعة المعينة المشهورة المعدودة وما في ذلك من معنى البعد لتفخيم
المشار اليه وتفخيم قدر من فعله دينه الدين القيم المستقيم دين ابراهيم
وابنه اسمعيل صلوات الله على نبينا وعليهما وكانت العرب قد تمسك به
وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويكرهون القتال فيها حتى انه
لو لقي رجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجم ولم يباشر حرمة لهذه الاشهر الحرم
ورعاية او الدين هنا بمعنى المحاسبة ومنه قوله عليه الصلوة والسلام الكيس من دان
نفسه اي حاسبه قبل الموت متهيئا لها ولما بعدها وسموا رجبا الاصم حتى
احدثوا النسيء والتاخير فغيروا وكل السنة لاجلها فلا تظلموا فيهن انفسكم
فان من تعدى حدود الله فهو ظالم لنفسه بهتك حرمتهن وارتكاب
ما حرم فيهن وانما الضمير المؤنث بالنون دون التاء لانه جمع القلة بخلاف
جمع الكثرة فانه بالتاء تقول العرب الجذوع انكسرت لانه جمع الكثرة كالشهور
وذهب الجمهور على ان حرمة القتال فيهن منسوخة وان الظلم ارتكاب المعاصي
فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وروى عن عطاء انه لا يحل
للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت
وقيل يؤيد الاول انه صلى الله تعالى عليه وسلم حاصر الطائف وغزى هوازن
بحنين في شوال وذي القعدة وفيه نظر لان غزى هوازن بحنين في
شوال فلا تاييد فيه واما محاصرة الطائف فقيل انه صلعم حاصرها
بقية الشهر المذكور فلما دخل ذو القعدة انصرف عنه واتى الجعرانة واحرم
منها بعمرة فعليه الاعتماد وكذا في المفصلات وقاتلوا المشركين كافة
كما يقاتلونكم كافة جميعا وهو مصدر كف عن الشيء بمعنى منع كانه
كفوا ان يخرج منهم باتفاقهم او ان الجميع مكفوف عن الزيادة والتجاوز

رفع

رفع موقع الحال فالاول للاول والثاني للثاني واعلموا اي كونوا على تعليمه
ويقين ان الله مع المتقين اي معكم بالنصر والامداد فيما تباشرونه من القتال
وانما وضع المظهر موضعه ثناء لهم بما لهم من التقوى وما وعد فيه وتخويفا
للقاصرين عليه واعلاما بانه مدار النصرة والاكرام وسبب الاعانة والا
حترام لان اكرم المؤمنين عند الله لاتقى في السر والعلانية والايام والاعوام
كل الساعة وقيل فيه بشارة للمتقين حيث نصروا واعينوا في الدارين ولا
ينصر الاعداء في الكونين وروى عن انس رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان في الجنة نهرا يقال له رجب اشد بياضا من اللبن واحلى
من العسل من صام يوما من رجب سقاه الله تعالى من ذلك النهر رواه البيهقي
في شعب الايمان من اصحاب السنن الاربعة وروى عن انس رضي الله عنه انه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان
شهر امتي رواه الديلمي رح وروى عن عايشة رضي الله عنها انها قالت يا رسول الله
كيف يحشر الناس يوم القيمة قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حفاة
عراة فقالت عايشة الصديقة رضي الله عنها واسوأتاه واهتك ستراه يومئذ
ان النساء مع الرجال حفاة عراة فقرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكل امرئ
منهم يومئذ شان يغنيه اي لكل واحد من المذكورين من فرار المرء من
اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه شغل شاغل وخطب هائل يكفيه
في الاهتمام يشغله به اما فرار الكل من الافراد للاجتناب والحذر عن المطالبة
او للبغض عن المتابعة كما قال الله تعالى في كتابه العزيز في سورة آل عمران
يوم تجد كل نفس من النفوس المكلفة بالاعمال الشاقة التي عرضها الله تعالى
على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها لثقلها الشاقة بما عملت
من خير محضرا عند كل النفوس التي فعلتها وفيه من التهويل ما ليس
في هذا اليوم حاضرا وما عملت من سوء عطف على ما عملت والاحضار معتبر

فولد واسوأتاه واهتك ستراه ويا سيداه لبث الهاء فيها للكناية فلا مرجع لها بل للوقف والاستعداد لحرفه احدى الوقف وا حال الوصل

والجناية جناية الامانة الكبرى من الاوامر والنواهي المبنية على ما هي ... غفل وا قتصد

فيه ايضاً الا انه خص بالذكر في الخير للاشعار بكون الخير مراداً بالذات وكون
احضار الشر من مقتضيات الحكمة الالهية عامل الظرف تود اى تتمنى تود
يوم تجد صحايف اعمالها من الخير والشر او اجزيتها محضرة لو ان بينها وبينه
امداً اى بين ذلك اليوم بعيداً عنه لغاية هوله وعذابه وشدة خوفه وعقابه
وفي اسناد الوداد الى كل نفس سواء كان لها عمل سيئ او لا بل كانت مختصة
في الخير من الدلالة على كمال فظاعة ذلك اليوم وهول مطلعه ما لا يخفى
اللهم انا نعوذ بك من شر ذلك اليوم والهول ولقنا نضرة وسروراً
ويجوز ان يكون انتصاب يوم على المفعولية باضمار اذكروا وقوله تود حال
من كل نفس او استيناف مبني على السؤال اى اذكروا يوم تجد كل نفس
ما عملت مما ينافيه حاضراً لدا رين محضراً وادة ان بينها وبين ذلك العامل
امداً بعيداً واما جواب السؤال كانه يقول السائل فماذا يكون اذ ذاك اليوم
فقيل تود كل نفس او قوله تجد مقصود على الاول وقوله تود خبر ما عملت
من سوء ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت فيجوز كونها
شرطية لكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانها حكاية حال ماضية واوفق
للقرأة المشهورة قوله ويحذركم نفسه اى من ذاته العظيمة وجلالته
الدائمة تكرير لما سبق من الهول والتحذير واعادة له لئلا يغفلوا عنه
لا للتاكيد فقط بل لافادة ما يفيده قوله والله رؤف بالعباد من ان
تحذيره من شدة رحمته وبليغ رحمته الواسعة او ان رافته بهم لا يمنع
تحقيق ما حذروا وان تحذيره لا يمنع رافته ايضاً بل هما متحققان
والجملة على الاول اعتراض وعلى الثاني حال وتكرير الاسم الجليل للمهابة
كما روى عن ابن عباس وعن سودة من الزوجات المطهرات ام المؤمنين
انها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبعث الناس حفاة
عراة غرلاً قد الجمهم العرق وبلغ شحوم الاذان فقلت يا رسول الله واسوأتاه

هو الفقيه ... عن صاحب الاذن

ينظر بعضهم الى بعض فقال قد شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شان
يغنيه رواه البغوي وعن قتادة رضي الله عنه قال يفر قابيل من اخيه هابيل
ويفر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من امه ويفر ابراهيم على نبينا وعليه
صلوات الله التامة من ابيه آزر ولوط عليه السلام من صاحبته وامرأته
ويفر نوح عليه السلام من ابنه رواه البغوي في المعالم رح فليس من قبيل
هذا الفرار فرار الرجل من اصحابه واقربائه لئلا يروه على ما هو عليه
من سوء الحال اى لكل انسان فرداً فرداً اشغال تشغله فلا يقدر احد
ان الالتفات على احد من قريبه او بعيده ولا يسئل عن احوالهم
لهم امر بل شانه وحاله يغنيه عما سواه فقالت عايشة الصديقة
يا رسول الله هل يحشر احد يوم القيمة كاسياً قال نعم الانبياء صلوات الله
وسلامه على نبينا وعليهم اجمعين واهلوهم وصائموا رجب وشعبان
ورمضان على الولاء وكل الناس يوم القيمة جياع يا عايشة واهل بيتهم
وصائموا رجب وشعبان ورمضان فانهم شبعان لا جوع لهم ولا عطش رواه
امام الهدى ابو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين وروى عن انس رضي
انه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا دخل رجب اللهم
بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان رواه ابن عساكر والبخاري
رح وروى عن ابي سعيد الخدري وهو سعيد بن مالك رضي انه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان رجب شهر الله الاصم رواه
الامام الزندوستي في روضة العلماء قيل في وجه التسمية بالاصم
ان شهر رجب بعد ما مضى صعد الى السماء يقول الله تعالى هل يجلونك
ويعظمونك فيسكت رجب حين تتكلم الشهور والايام والاعوام
ويخبرون بما فعل فيهن ولا يتكلم رجب حتى يسئله ثانياً وثالثاً فيقول
الهي انت ستار العيوب وغفار الذنوب ولا يغفرها جميعاً الا انت

وجه التسمية ... لاصم

وقلت فى كتابك العزيز معلماً لحبيبك مبلغاً لامته مخاطباً بالتبليغ
ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم واعزرت لعبادك ان يستروا
عيوب غيرهم وسمانى رسولك ونبيك بالاصم وانا اصم سمعت طاعتهم
ولم اسمع معصيتهم فظهر شفاعته لمن اكرم بالصيام والقيام والعبادة
والطاعة وقيل انما سمى بالاصم لان كراماً كاتبين يكتبون الحسنات
من فى يمينه والسيئات من فى شماله فى سائر الشهور ويكتبون الحسنات
فقط فى هذا الشهر ولم يسمع صوت قلم السيئات وقيل لم يسمع فى هذا الشهر
غضب الله تعالى لاحد فيه ولم يعذب احداً فيه قط كذا فى روضة العلماء
رح وروى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم من صام يوماً فى سبيل الله بعد الله وجهه عن النار خريفاً اى سنة رواه
البغوى فى المصابيح وروى عن عايشة الصديقة رضى الله عنها قالت يا رسول الله
انك منذ حدثتنى بصوت منكر ونكير وضغطة القبر لا يهنؤنى طعام
ولا شراب فقال يا عايشة صوت المنكر والنكير فى اسماع المؤمنين كالاثمد
فى العين وضغطة القبر كالام الشفيقة يشكو اليها ولدها الصداع فتقوم
اليه فتغمز رأسه غمزاً رقيقاً ولكن يا عايشة ويل للشاكين فى الله يضغطون
كما يضغط البيضة تحت الصخرة وقال اسود من الصحابة رضى قلت لها يا ام
المؤمنين الم تسئلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عما يخفف عنه عذاب
القبر قالت قلته فقال اربعة اشياء قراءة القرآن فى كل حين وزمان
واكرام اليتيم فى كل مكان وصوم ايام البيض فى رجب وشعبان والصلوة
فى جوف الليل بنور الليل يورث رضاء الرحمن ثم قال يا عايشة ان الله تعالى
ليغفر فى رجب وشعبان ورمضان مغفرة يتطاول اللعين ان يصيبه
من مغفرته يا عايشة رجب شهر التوبة فمن تاب فيه قبلت توبته فقولى
كل يوم اللهم تب علينا انك انت التواب الرحيم وقال الاسود رضى قلت لها

ولم تبكين

ولم تبكين وقد سمعت مثل هذا الحديث قالت اخاف من درك الشقاء
كذا فى زهرة الرياض وروى عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل رجب اجتمع عنده اصحابه كل يوم وليلة
فقال ذات يوم الا اخبركم عما بشرنى به جبرائيل البارحة قالوا نعم يا رسول الله
قال اذا اراد الله ان يقبض اليه احد الخمسة الاصناف يامر رضوان بان
يفتح ابواب الجنة فانه يصعد الى السماء الملئكة بروح العبد الصالح فيقوم
رضوان وسط الجنة ويقول الخزنة الجنة افتحوا للروح يصعد به الملئكة
ابواب الجنة ويفتح ابواب القصور وابواب الخيام فيخرج منه الحور العين
ويتلقون ذلك الروح بالروح والراحة وهن اللواتى ذكرهن فى كتابه
حور مقصورات فى الخيام فلا يبقى ملك مقرب ولا روح من ارواح الانبياء
الا يطلع لروح العبد واشتاقت اليه فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال
يا رسول الله هل نعد من اعداد هذه الخمسة واين هم فقال النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم نعم قال يا عمر من عمل مثل عمله كان فى درجته قال عمر اخبرنى يا رسول الله
فقال النبى صلعم اولهم من احب رجب ودخل تائباً وعمل عملاً صالحاً لا يخرج
من الدنيا حتى يشرب من نهر رجب والثانى الشهيد لا يخرج من الدنيا حتى يشرب
من نهر العسل والثالث من احب الجمعة لا يخرج من الدنيا حتى يشرب من نهر
اللبن والرابع العالم الناصح لا يخرج من الدنيا حتى يشرب من نهر الكوثر
والخامس المشتاق الى لقاء الله تعالى لا يخرج من الدنيا حتى يشرب من نهر الجنة
ذكره ابن ملك فى ذخر العابدين قال العلماء رحمهم مثل هذه الاشهر كمثل رجل
اراد ان يدخل الحمام ينزع لباسه فى البيت الاول ولبس ازاره فى البيت
الثانى ويغتسل ويطهر عن ذنبه فى البيت الثالث ايها الاخوان المؤمنون
نزعنا لباس المعصية عنا فى رجب ولبسنا ازار التوبة فى شهر شعبان بالجهد
والرفاء واغتسلنا وتطهرنا عن جميع الذنوب فى شهر رمضان وقال بعضهم

شهر رجب كالوضوء وشهر شعبان كاللبس للعريان وشهر رمضان كالصلوة
المفروضة للمؤمنين من الاعيان فمن لم يتوضأ ولم يلبس لباس ستر العورة
كيف يدخل مسجدا جامعا للصلوة مكشوف العورة غير متوضأ فكيف يصلي
وكيف يكون حاله وقال بعضهم شهر رجب شهر الزراعة وشعبان شهر
السقاية ورمضان شهر الحصاد والسعاية فمن لم يزرع ولم يسق الحراثة
فكيف يحصل له الحصاد والحصول فلا بد لكل مؤمن ان يزرع ببذر الاعمال
الصالحات وان يسقي بدموع العين في خوف عدم الوقوع في الدرجات
العاليات مع اعتراف العجز بقصور اداء المأمورات بكمال العجز
وكونه من اعجز العجزاء فكيف يصل معه الى حضوره العلي الاعلى ان عامله
بعفوه وكرمه فنعماهي وان عامله بعدله وجلاله فكيف يكون حال
فيقرأ كثير الاوقات اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني اللهم
انا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة اللهم احسن
عاقبتنا في الامور كلها واجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة لاسيما
في الاشهر الحرم وقال الله تعالى في حقها فلا تظلموا فيهن انفسكم غيرها
مخصصا بها وروى عن ابن عباس رضي الله عنه قال ان ارواح الاقرباء
من الاموات يقولون يا ربنا ائذن لنا بالنزول الى منازلنا حتى نرى
اولادنا واهالينا فانا اكرمناهم في حال حيوتنا بانواع الاكرام
واطعمناهم باصناف الطعام وكيف يكرموننا فينا وذلك في كل الليالي
المباركة من ليلة الجمعة خاصة في رجب وليلة يوم الاثنين الذي
ولد فيه خير البرية وايامهما وليلة المعراج من يوم السابع والعشرين
من رجب المرجب وليلة البراءة من نصف شهر شعبان وليلتي
العيدين ويومهما ويوم الجمعة عامة فاذن لهم الرب الكريم فيخرجون
من قبورهم ويقفون على ابواب البيوت والكوة من قصورهم ويقولون

ح مع ان العبودية لازمة للعباد لحكم الالوهية فلا يقدر العبد ان يسئل شيئا الا لاتقياء وعن المؤمنين المتقين ح

[illegible]

ايها

ايها الابناء والاخوان كنا معكم مدة اعمارنا فقد زرعنا وحصدنا فوجدنا
وحفظ ربنا فانه لا يضيع اجر من احسن عملا وان زرعتم حصدتم
يوما من الايام تكونون امثالنا ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله
وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا
واستغفروا الله انكم مكثتم في بيوتنا ورزقتم من اموالنا وسكنتم في مساكننا
فان اكرمتم وجدتم اكراما وان اسأتم وجدتم عذابا جزاء وفاقا فان احسنتم
احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها لان من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها
فما الله يريد ظلما للعباد لان كل نفس بما كسبت رهينة يوم تجد كل نفس
ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا
فارحموا علينا في هذه الليالي المباركة والايام المتعالية بتلاوة القرآن
ولقمة الطعام وكسوة الايتام هل من احد منكم يذكروننا ويترحم علينا
كما رحمنا عليكم في الدنيا ويذكر غربتنا فنحن في ضيق قبورنا وانكم في وسع
قصورنا فيا من قسم اموالنا وابتذل ايتامنا هل منكم احد يتفكر في فقرنا
واحتياجنا وانكم اغنيتم باعز اموالنا واحسن نساءنا كتابنا مطوي وكتابكم
منشور وليس في اللحد انيس فارسلوا النائر فوق جليس فلا تنسوا الفضل كما هو حال
الافضل فانا نحتاجون اليكم ما دمتم في حيوتكم فان متم كنتم مثلنا فتفكروا
حولنا قبل كونكم مثلنا فان وجدوا واوتوا ثوابا رجعوا مسرورا ودعوا في
رقي بدعائهم له ووقعوا في السعادتين ومن لم يجد ولم يؤت رجعوا داعيا عليهم
بدعائهم يقلع الجبال فخرب وخسر خسرانا كما يرجعون محزونا ومحروما كذا
في كتب الاخبار وروى عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من صام من رجب يوما فكانما عبد الله جميع عمره صائما
قائما وكان له بكل يوم يصومه مثل ذلك فان صام رجبا كله نودي من السماء
ابشر يا ولي الله بالكرامة العظيمة وسقاه الله عند موته بشربة فيموت

ريّان ويدخل في قبره ريّان ويخرج من قبره ريّان ويرد الجنة ريّان وآواه الله
في الجنة منزلاً يرضاه ذكره ابن ملك في زخر العابدين وروى ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال ندب الى الصوم من الاشهر الحرم ورجب احدها
والله تعالى اعلم رواه ابو داود في سننه الصحيح وقال قتادة رض العمل الصالح
اعظم اجراً في الاشهر الحرم كما ان الظلم فيهن اعظم من الظلم فيما سواهن
وان كان الظلم على كل حال من الاعوام والشهور عظيماً فان قيل ان الانسان
اذا ظلم ظلم غيره فلم قال الله تعالى فلا تظلموا فيهن انفسكم ولم يقل غيركم
قلنا لا نسلم انه لا يظلم نفسه كما قال الله تعالى في الآية الاخرى ومن يتعدّ
حدود الله فقد ظلم نفسه لان من عمل صالحاً فلنفسه وان كان يتعدى نفعه
او ضرره الى الغير صورة لانه ينتفع به في الجنة ويدخل الدرجات ويكتب
بالعابدة الباقية وكذا من اساء فعليها اى فيقع على نفسها وان كان اولاً
وبالذات يقع على الغير فيدخل الظالم بظلمه النار والمظلوم بدله الجنة
ان اراد الله تعالى فينقص ثواب الظالم ويستحق العقوبة فاى ظلم اشد منه
على نفسه فالحاصل ان الظالم يظلم نفسه في الحقيقة في الآخرة وراجعاً
وعذابه وان كان مثل مثقال ذرة وسئل عن سعيد بن جبير رض عن صوم
رجب فقال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول كان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يصوم حتى يقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم الظاهر ان مراد
سعيد بن جبير رض بهذا الاستدلال لانه لا نهى عنه ولا ندب فيه لعينه
بل حكمه كسائر الشهور من السنة ولم يثبت فيه نهي ولا ندب ولكن الاصل
في الصوم ان يكون مندوباً اليه في نفسه ما لم يمنع مانع شرعي كالايام
الخمسة في السنة وكاحد منها في يوم عيد الفطر واربعة منها في ايام العيد
الاضحية كما يؤيده ما نقل من سنن ابي داود آنفاً وروى عن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان رجباً شهر الله

بحث تخصيص صيام ايام الحرم مع فضلها

الاصم

الاصم من صام يوماً من رجب ايماناً واحتساباً استوجب رضوان الله الاكبر
كذا في حيوة القلوب رح وانما ذلك الشهر بالرجب لكونه معظماً عند الله تعالى
لانه من الاشهر الحرم مقبولة عنده كما وقع في الكتاب العزيز ولان معنى
الرجب في اللغة التعظيم كما يقال الشجرة اذا اثمرت ثمرة كثيرة هذه الشجرة
رجب اى كثيرة الاثمار مقبولة عند ذوى الابصار ويقال لثمرة الجوارح
من الصلوة والقيام والزكوة والصيام والشهادات والعبادات في كل الايام
من الشهور والاعوام من الدهور في شهر الرجب لكثرة وجودها في مقابلة
الاعمال الظاهرة ووفرة بدورها في مناوبة الاعمال الباطنة وكون
ذرتها ذروة وجنتها آفية وانما تنسب الى الله تعالى رجب شهر الله بالاضافة
مع ان الشهور كلها مخلوقة لله تعالى تخصيصاً بهذا الشهر للتعظيم بشانه والتكريم
لمن سلم واجتهد وقام وعبد وللايماء بان مكرم هذا الشهر العظيم
بالقيام والصيام مكرم ومحترم عند الله الا ترى ان العبادة اذا وقعت في مكان
مقبول كالكعبة المكرمة والمدينة المنورة فهي لا يقاس الى غير الامكنة للاحاد
الواردة فيها والآيات النازلة فصلوته وصيامه الواقعة كذا وكذا الايام والا
عوام والدهور والشهور والآنات والساعات والاوقات وانما قال الاصم
على انه صفة الشهر لانه لم يسمع فيه غضب الله على قوم من الامم الماضية
فيه بخلاف سائر الشهور ولانه لا تشهد يوم القيمة على العصاة بذنوبهم
عند الرب كما يشهد سائر الشهور بما يصنع العبد من الخطايا وذلك حق
رباني لان الله تعالى قد شرع في حق الزنى اربعة شهود حتى يجب الرجم
والجلد على الزاني والزانية فاذا شهدت ثلاثة لا يجب الحد ما لم تتم الاربعة
فكذلك قد وضع الله تعالى في عباده اربعة شهود الحرم حتى تقبل شهادتهن
في حق العباد العاصية ويحكم عليهم بدخول النار بشهادة اربعة الاشهر
الحرم وهي رجب فرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم سرد فاذا شهدت الاشهر

بحث شهادة الشهور الاربعة الحرم وعدم قبولها اذا نقص عن النصاب

الثلثة بذنوب العبد وفسقه ولم يشهد واحد منها لا يدخل النار ولا يحكم عليه كما في شهادة الزنى لنقصان نصاب الشهادة كما روي اذا كان يوم القيمة يقول الله تعالى للملائكة ائتوني بالشهور الاربعة فيأتون اليه بهن فيقول الله تعالى لهن ما تقولون في حق عبادي فيقلن له الهنا وسيدنا انت اعلم منا حال عبادك ان فلان ابن فلان قد اطاعك وفلان بن فلان قد عصاك وكان شهر رجب ساكت من بينهن فيقول الله تعالى لم لا تكلم يا شهر رجب فانك من الاشهر الحرم مثلهن ولا يتكلم حتى يسئل الله له ثانيا وثالثا فيقول شهر رجب الهي انت ستار فامرت خلقك بان يستروا عيوب الناس ولقد سماني رسولك بالاصم وانما سمعت طاعتهم ولم اسمع معصيتهم فيقضي الله تعالى بشفاعة رجب وردت شهادة الشهور الثلثة لنقصان نصاب الشهادة وهي الاربعة ولم توجد الشهادة من رجب بل مال الى الشفاعة اللهم اكرمنا بشهادة الشهور الاربعة وشفاعة رجب المرجبة قوله ايمانا اي تصديقا بقول الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم قوله واحتسابا اي طلبا للثواب من الله تعالى لا من خوف الناس ولا استحياء منهم بل من خوف الله تعالى من عذابه وعقابه واستحياء منه تعالى قوله استوجب رضوان الله يستعد و تعالى ويستحق بالجمال على الكمال بعين الراس ولا يحصل هذا الا بالشروط الثلثة وهو التصديق بقول رسول الله صلعم وطلب الثواب من الله تعالى والاجتناب من المعاصي فاذا لم يوجد واحد من الثلثة لم ينل الى هذه الدرجة العالية وهو رضوان الله الاكبر وان كان الشهور عظيما في ذاته ويؤيده ما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجب من الاشهر الحرم وايامه مكتوبة على باب السماء السادسة فاذا صام الرجل منه يوما بتقوى الله نطق الباب ونطق ذلك اليوم يعني يقولان اللهم اغفر فيقول الله تعالى قد غفرت فاذا لم يصم بتقوى الله لا يستغفر

مزاده

من الله تعالى ولم يغفر له فثبت ان العبد يستحق الرضوان الاكبر بصوم واحد من رجب بشرط التصديق والاحتساب والاجتناب عن المحارم فاذا لم يكن له ايمان واحتساب واجتناب عن الكذب والبهتان وغيرهما من المناهي لا يترتب له الثواب ولا يصل الى المطلوب فيا ايها الاخوان ان اردتم الخروج مع الايمان فاكرموا هذا الشهر بالصيام والقيام والصلوة والزكوة وانواع العبادات حتى يأتي اليقين والموت والتوبة والانابة والاستغفار على ما سلف من العصيان والذنوب الكثيرة والعيوب الوفيرة حتى يبقيكم الله عند الموت ببشارة نهر رجب لا يظمأ بعده ابدا كما روي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان في الجنة نهرا يقال له رجب ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل من صام من رجب يوما سقاه الله يوم القيمة من ذلك النهر رواه البيهقي في شعب الايمان وروي عن ثوبان رضي الله عنه قال كنا نمشي مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمررنا بمقبرة فوقف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم بكى بكاء شديدا ثم قال يا ثوبان ان هؤلاء يعذبون في قبورهم سمعت انينهم فرحمتهم ودعوت لهم فخفف عنهم العذاب ثم قال يا ثوبان لو صام هؤلاء يوما من رجب وقاموا ليلة منه ما عذبوا في قبورهم فقلت يا رسول الله صيام رجب يوما وقيام ليلة يرفع عذاب القبر قال النبي صلعم يا ثوبان والذي بعثني بالحق نبيا ما من مسلم ولا مسلمة يصوم يوما من رجب ويقوم منه ليلة وكلاهما يريد بها وجه الله تعالى الا كتب الله له عبادة سنة صيام نهارها وقيام لياليها كذا في حيوة القلوب وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صام يوما من رجب غفر الله تعالى له بكل يوم خطيئة سبعين سنة ويقضي الله له سبعين حاجة من حوائج الدنيا والاخرة وكانما اعتق سبعين رجلا من ولد اسمعيل

والطغيان

وكانما ختم القرآن في كل يوم سبعين مرة وكانما ربط الفرس في سبيل الله
سبعين سنة وكانما بنى سبعين مسجدًا وكانما بنى سبعين قنطرة كذا
في حيوة القلوب رح وروى عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال قال رسول
صلى الله تعالى عليه وسلم من صام في رجب يومًا كان كمن صام مأة سنة
وقام مأة سنة كذا في حيوة القلوب وروى في الخبر ان الشيطان يتمثل
بصورة الاب والام واعز الاحباب عند نزع روح المؤمن فيجيء عند رأسه مع
قدح فيه ماء مع الجمد فيحركه فيكون المؤمن المحتضر عطشان بحيث لو شرب
ماء البحر كله واكل جمد العالم كله لم يحصل له تحول ولم يكن ريان لشدة
العطش واحتراق الكبد فيجد الشيطان في ذلك الوقت فرصة في طريق
نزع ايمان المؤمن فيحرك الماء في القدح مع الجمد ثانيًا عند اليمين فيقول
المؤمن العاطش لم اعطني من هذا الماء والجمد لشدة العطش في واحتراق
الكبد مني ولا يدري المؤمن الضعيف انه شيطان لا ابوه يقصد نزع
ايمان المؤمن الذي به يدخل الجنة وينال به الدرجة العلية ويستوجب به
الرضوان الاكبر ويتنعم بنعمة العلية ويشم الرائحة الجلية فيقول الشيطان
يا ابني او بنتي انا احبك واموالي فيك مبذولة واكرامي مجرور واحساني موفور
من حال صغرك الى هذا الان فاي شيء طلبت مني ولم اعطك ولي منك حاجة
ان اعطيتني بها وانا ابوك من الاول الى الآخر ولي حقوق الابوة عليك فالله تعالى
لا يغفر الولد ما لم يرض الوالد فان سمعت قولي وانا اساعد مطلوبك
فيقول الفقير وما هو يا ابي فقال الملعون يا ابني انت تعرف ان الاب ارحم
على الابن وازيد من شفقة الابن على ابيه فرجائي منك ان تقول ما اقول حتى
ارضيك ويغفر الله لك فقال الابن اي شيء هو فقال قل لا صانع للعالم حتى
اعطيتك ما طلبت مني وانا احبك ولم اتحمل على عطشك واحتراق الكبد منك
والابوة مشكل لا ارضى بذرة الجفاء على الابن المطيع وانت مطيع لي من صغرك

لهذا الوقت

الى هذا الوقت فكيف في هذا الحال فان وفق العبد ولم يرض بما يقول له فينتقل
الى جانبه الآخر ولم يجبه فيجيء الملعون اليه ويحرك القدح مع الماء ويقول
الكلام كما قال في الاول فيسمع قوله الذي يقول له وينقلب الى جانبه الآخر
فيجاهد الملعون بمجاهدته ومكاذبته ومخادعته لا يتحمله ولا يصبره الا من
اراده الله تعالى باسعادته وحفظه عن شقاوته باكرام هذه الاشهر الحرم
بالصيام والقيام والعبادات الظاهرة والاطاعات الباطنة فيتنزل
عليه الملئكة ويضربون الملعون ويخلصونه من انواع حيله من انكار
الدين والكتب المنزلة والانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم ويبشروا بعدم
الخوف والخشية ودخول الجنة ونيل الجمال ويقولون نحن رفيقكم في الحيوة
الدنيا واولياؤكم في القبور ما دمتم والمحشر ما كنتم والجنة ما دخلتم والدرجات
ما سكنتم ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور
رحيم ويطردون الشيطان الى سواد الهند قال الفقير المؤلف تجاوز الله
عن ذنوبه الكثيرة وعيوبه الوفيرة قد وجدت عند موت ولدي الصغير
المنير فنظر الى جانبه يومًا وليلة ولم يفهم ما يتكلم ثم جاء عقله وملك
نفسه فقلت له يا ابني لم تنظر الى جانبك كثيرًا ولم تقرأ ما اقرأتك
فقال لي يا ابت قعد عندي رجل على صورة الكافر وكسوته وكلفني ما لا يجوز
كله وخفت منه ومن قوله وقلت له يا ابني اني علمتك الكتاب والقرآن
وانواع الاوراد والاذكار فلو قرأت وكلمة منها لفر ذلك الملعون من عندك
لانه شيطان فاقرأ معي حتى يفر من عندك ويضربه الملئكة فشرعت
القراءة ملقنا له فباشر معي بقراءة الاخلاص والمعوذتين والفاتحة
وتوبة الاستغفار ثم قال لي فضربه الملئكة وفر من عندي ثم قال اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدًا عبده ورسوله فسلم روحه بلا فاصلة
عقب الشهادة فاخبر في ما شاهد من حال الملعون كما اخبر فليس الخبر

كالمعاينة اللهم انا نسئلك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة واحسن عاقبتنا فى الامور كلها واجرنا من خزى الدنيا ومن شر الشيطان وحيله فى الدين والدنيا وعذاب الآخرة وحكى ان امرأة كانت فى بيت المقدس فاذا دخل شهر رجب كانت تلبس الصوف وتصلى وتقرأ كل يوم اثنى عشر مرة قل هو الله احد فلما مرضت اوصت الى ابنها بان يدفنها مع ثوبها التى لبستها فى شهر رجب فكفنها ابنها فى ثياب مرتفع فرأى امه فى منامه فقالت انا غير راضية عنك لانك لم تعمل بوصيتى فانتبه الشاب من نومه فزعا ورفع صوفها وذهب الى قبرها فنبش قبرها فلم يجدها فى قبرها فتحير وسمع نداء من فوقه اما علمت يا شاب ان من اطاعنا فى رجب بالصلوة والصوم والتوبة والاستغفار على ما مضى من الذنوب لا نتركه فريدا وحيدا فقال الشاب اين امى قيل فى الجواب انها عند مليك مقتدر فى جوار الرحمن كذا فى حيوة القلوب وروى عن مكحول الشامى رضه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان فى رجب ليلة للعامل فيها كعبادة الف سنة وهى سبعة وعشرون من رجب وهى ليلة اسرى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى المعراج كذا فى حيوة القلوب وروى عن على بن ابى طالب رضه انه قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من صام سبعة وعشرين مضت فى رجب غفر الله له ذنوب ثلاث وستين سنة وهى الليلة التى بعث فيها نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وكلم الله فيها موسى تكليما وانقذ الله عيسى عليه السلام من اليهود ورفعه الى السماء وقد اجتمعوا على قتله كذا فى روضة العلماء وروى عن انس بن مالك رضه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا وضع الميت فى قبره واهيل عليه التراب يقول اهله واولاده واسيداه واشريفاه ويقول له الملك الموكل على عذابه استمع ما يقولون فيقول نعم فيقول له انت كنت السيد وانت كنت الشريف

فيقول الميت هم يقولون ذلك يا ليت سكتوا فيضغطه القبر ان يضيقه فيختلف اضلاعه وهو يقول فى قبره وا عنفت سولاه واكسر عظماه واذل مقاماه مقام من عصى ربه حتى يجى تلك الليلة التى احياها من رجب يقول الله تعالى للملك الموكل على عذابه ارفع العذاب عن عبدى هذا لانه كان يحيى هذه الليلة من رجب رجاء عفوى ورحمتى وغفرانى فاشهدكم يا ملائكتى انى قد غفرت له باحياء هذه الليلة كذا فى حيوة القلوب وروى عن ابى سعيد الخدرى رضه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صام ثلثة ايام من رجب جعل الله بينه وبين النار حجابا طوله مسيرة سبعين عاما وفى رواية جعل الله بينه وبين النار خندقا كما بين السماء والارض كذا فى حيوة القلوب وروى عن مقاتل رح انه ان من وراء جبل قاف ارضا بيضاء كالفضة سعتها مثل الدنيا سبع مرات مملوة من الملئكة فلو سقطت ابرة لسقطت عليهم وبيد كل ملك منهم لواء مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله يجتمعون كل ليلة الجمعة فى شهر رجب حول جبل قاف يتضرعوا الى الله تعالى ويدعون بالسلامة والمغفرة الى الامة المرحومة فيقول لهم الرب عز جلاله وجل شانه ولا اله غيره ماذا تريدون يا ملائكتى فيقولون ربنا انت تعلم ما فى قلوبنا وتعرف ما فى صدورنا نريد من كرمك ان تغفر لصائمى رجب من امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول الله تعالى فاشهدوا بانى قد غفرت لهم بحرمة حبيبى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وحكى انه كان رجل فى عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويقال له سويد بن عامر وكان من اهل الهوى شهيرا بالفسق والفجور فشكى اهل المدينة الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من فسقه وطغيانه فامر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مناديا ينادى فى المدينة بان يقول ايها الناس لا تودوا سويد بن عامر ولا تنالجوا

ولا يضيقوا ولا تسلموا عليه فلما سمع اهل المدينة ذلك الخبر من المناد
اخرجوه منها وكان سويد يدور حولها يا للتحير والتذلل اذا اتيه الموت
في تلك الحالة فدفن اقرباؤه خفية بغير غسل ولا كفن ولا صلوة فبلغ
خبر موته الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال سحقا سحقا اى بعدا
لسويد بن عامر بعدا ثم بعدا فنزل جبرائيل عليه السلام فقال يا رسول الله ان الله
تعالى يقرئك السلام ويامرك ان تغسل سويد بن عامر وتكفنه وتصلي عليه
فتعجب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شأنه فقال يا جبرائيل كان سويد بن عامر
فاسقا فاجرا بماذا وجد هذه الكرامة والغفران من الله تعالى فقال يا جبرائيل
يا رسول الله ان الرب عز وجل يقول الرب انا اعلم لا انت والمشية لي في امر
عبادي لا لك وانا غافر المذنبين لا انت وانا اعلم اسرار العباد وانت لا تعلم
وكان سويد بن عامر يعمل المعاصي ولكنه اذا دخل شهر رجب امتنع عن المعاصي
فيعمل عملا صالحا لوجهي حرمة لشهري فاني قد غفرت ذنوبه وذنوب من
يصلي عليه فصل عليه حتى تزيد له الرحمة على الرحمة كذا في حيوة القلوب
وروى عن سعيد الخدري رضه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم من صام يومين من رجب لم يصف الواصفون من اهل السماء والارض
ماله عند الله تعالى من الكرامة رواه الامام البيسنوي صاحب الحيوة القلوب رح
فان قلت كيف لم يصف الواصفون من اهل السموات والارضين قلنا في الجواب
الاعمال الصالحات من الباقيات المترتبات تزيد ساعة فساعة واهلهما
من الفانيات تغنيان آنا فآنا فلا يصل الفاني الى الباقي ولم يحصل له
الوقوف على كيفية الباقي امدا مديدا فكيف يصف المجهول والوصف بالعلم
والوقوف بالرؤية والسمع كما روى عن ابي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه
انه قال قال الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر بله اى سوى ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم

رواه

رواه البغوي في المصابيح كما قال الله تعالى في سورة الم السجدة فلا تعلم
نفس من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن عداهم ما اخفي لهم
اى لاولئك الذين عددت نعوتهم الجليلة من قرة اعين مما تقربه وتسر
سرورا غير منتهي ولا مرجي وقرئ ما نخفي لهم وقرات اعين والعلم بمعنى المعرفة
وما موصولة او استفهامية علق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اى جزاؤا
جزاء او للجزاء بما كانوا يعملونه في الدنيا من الاعمال الصالحات والعبادات
الخالصات قيل هؤلاء اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم وادخلهم الجنة
ثم انسلهم الرضوان حين رأيهم في الغرف ولا شجار كيف دخلتم بغير اذني
وباي امر فهتف هاتف يا رضوان انهم يخفون اعمالهم ويحفظونها عن الرياء
والسمعة وادخلتهم اخفاء وسترا جزاء بما كانوا يعملون لان الجزاء من جنس العمل
وروى عن انس بن مالك رضه انه قال لقيت معاذ بن جبل رضي فقلت له من اين
جئت يا معاذ قال من عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قلت ما سمعته
عليه الصلوة والسلام قال سمعت من قال لا اله الا الله خالصا مخلصا دخل
الجنة ومن صام من رجب يوما يبتغي به وجه الله دخل الجنة فدخلت على رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وقلت ان معاذا اخبرني بكذا فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم صدق معاذ وانا قلت ذلك ثلاثا رواه الامام البيسنوي في حيوة
القلوب رح روى عن عبد الله بن مسعود رضه انه قال كنا جلوسا عند النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اذ اشرف علينا رجل حسن الهيئة وطويل القامة ولم نر
مثله في الطول والعرض فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلم نعرف لغته
ورد السلام بلغته فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من اين انت وما قصتك
قال يا رسول الله انا رجل من قوم عيسى عليه السلام وخدمت مريم حتى
بلغت مبلغ النساء وخدمت عيسى عليه السلام حتى بلغ مبلغ الرجال وقرأت
عنده التورية والانجيل فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما بلغ بك هذا العمر

فان بيني وبين عيسى عليه السلام ستمأة سنة فقال الرجل تمنيت من الله تعالى
ان الحقني بك وبامتك لما رايت في الكتب المتقدمة من فضلك وفضل امتك
وسئلت عن عيسى عليه السلام ان يشفع لي الى الله تعالى ان يبلغني اليك فدعا
حتى بلغت ما بلغت ثم جعل الرجل ان يحدث مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال كان عيسى عم يوما يمشي وانا معه اذ جئنا بجبل عال يتلألؤ نوره
بكثرة الجواهر فدعا الله تعالى فاخرج الكلام من فيه حتى راينا انفسنا على
الجبل ثم سئل الله تعالى ان ياذن للجبل حتى تكلم بخبره وسبب لمعانه فاذن الله
تعالى له فقال يا روح الله ما تريد مني قال اخبرني في خبرك فقال ان فيّ
رجل يحب محمدا عليه السلام وامته فمن اجله بلغت هذه الكرامة والشرافة
فدعا عيسى عليه السلام الى الله تعالى وقال اخرج هذا الرجل حتى اطلع حاله
فانفلق الجبل وخرج منه شيخ حسن الوجه طويل القامة فقال عيسى عليه
السلام ايها الشيخ الحسن الوجه من اي قوم انت قال الشيخ انا رجل من قوم
موسى صلوات الله على نبينا وعليهم كلما ذكر فضل محمد وفضل امته في التورية
تمنيت ان يرزقني الله تعالى بملاقاته وقلت يوما يا رجال كان بيني وبين محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم امد بعيد فادخلني في هذا الجبل فقال له عيسى عليه
السلام منذ كم سنة تعبد الله في هذا الجبل قال منذ ستمأة سنة فقال عيسى
صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم اجمعين يا رب اليس على وجه الارض
عبد اكرم عليك من هذا الرجل فقال الله تعالى يا عيسى من صام من امة محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم يوما من رجب فهو اكرم علي من هذا الرجل الذي عبدني
ستمأة سنة كذا في حيوة القلوب رح ويؤيده قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار
لفي عليين استيناف مسوق لبيان محل كتاب الابرار بعد بيان سوء حال
الفجار متصلا ببيان سوء حال كتاب الفجار وفيه تاكيد للردع المفهوم من قوله
كلا ووجوب الارتداع وكتابهم ما كتب من اعمالهم وعليون علم لديوان الخير

الذي

الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع من علا
على امكنة عالية وذروة شامخة على فعيل من العلو سمي بذلك اما لانه سبب
الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة
حيث يسكن الكروبيون تكريما لحاله وتعظيما لماله والابرار جمع بر او بار
كارباب جمع شاهد قبل هو من يبر خالقه ويطيعه في كل ساعات وشهور
وايام ولا يعصيه في الاناث والدهور والاعوام ويتمثل بامتثال الاوامر ويؤدي
حقوق الله ويوفي النوادر وهم الذين يسكنون في الدرجات العاليات ويتنعمون
بانفس الاطعمة في الاشجار التي تجري من تحتها الانهار في غرف الرافعات
ويشربون من كاس من زجاجة الجنة من النور اذا كانت فيها خمر الجنة ويطلق
على نفس الخمر الذي كان مزاجها ماء كافور في البياض فحفظهم الله تعالى شر
ذلك اليوم بسبب التقوى في الحيوة الدنيا الفانية وادخلهم الى الدار الباقية
مع الكرامات العالية ولقيهم سرورا واعطاهم حبورا نضرة الوجوه للابرار
بدل عبوس وجوه الفجار وجزيهم الله تعالى بما صبروا على مشاق الطاعات
ومهاجرة هوى النفس في اجتناب المحرمات بالجنة ولبسة الحرير روى
عن ابن عباس رضه انه قال ان الحسن والحسين مرضا فعادهما النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم في ناس معه فقالوا لعلي رض لو نذرت على ولدك فنذر علي
وفاطمة رض وفضة جارية لهما ان برءا مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام
فشفيا وما معهما شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري ثلاثة اصوع
من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوا
بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت
محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله تعالى من موائد الجنة
فاثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام
بين ايديهم وقف عليهم يتيم فاثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا

قصة عيادة النبي صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين
ونذر علي وفاطمة رضي الله عنهما
وقصة صومهما

مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي رض بيده الحسن والحسين رض فاقبلوا الى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع
قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم وقام فانطلق
معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها
فساءه ذلك فنزل جبرائيل عليه السلام وقال خذها يا محمد هنأك الله في اهل
بيتك فاقرأه يوفون بالنذر استيناف مسوق لبيان ما لاجله رزقوا من نعيم
النعيم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبئ عنه اسم الابرار اجمالا كأنه قيل ماذا يفعلون
حتى ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما اوجبوه على انفسهم فكيف
اوجبه الله تعالى عليهم ويخافون يوما كان شره مستطيرا اي كان عذابه فاشيا
منتشرا في الاقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار
بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون الطعام على حبه اي كائنين على حب الطعام
والحاجة اليه او على حب الاطعام بان يكون ذلك بطيب النفس ورضائها
او كائنين على حب الله تعالى او اطعاما كائنا على حبه تعالى وهو الانسب لما سياتي
من قوله تعالى مسكينا ويتيما واسيرا اي اسير كان فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او اسيرا مؤمنا
فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الغريم
اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله في موقع
الحال على ارادة القول من فاعل يطعمون اي قائلين ذلك بلسان الحال او بلسان
المقال ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافات المنقصة للاجر
ويبقى ثواب الصدقة الخالصة عند الله تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا
اي شكرا وهذه الجملة تاكيد لما قبله من قوله انا نخاف من ربنا يوما اي من عقوبة
يوم عبوسا من هول العذاب وشدته وفيه تجوز حيث اسند العبوس الى الظرف
وهو صفة للظروف كما في يوم صائم وليل قائم وفيه استعارة تخييلية

وتخييلية

وتخييلية حيث شبه الوجوه لاسد العبوس في الشدة والضراوة قمطريرا
شديد العبوس فقالوا فلذلك نفعل بكم ما نفعل رجاء ان يقينا ربنا بذلك
شر ذلك اليوم وعذابه وقيل هو تعليل لعدم ارادة الجزاء والشكر اي انا نخاف
عقاب الله تعالى ان اردناهما لا انا ناتمر بما امر الله بقوله تعالى قل لا اسئلكم عليه
اجرا ان اجري الا على رب العالمين ولكن لا نريد به الا رضاء الله تعالى رجاء
ان يثيبنا بالجنات العاليات كما وعدها لعباده المؤمنين والمؤمنات خاصة
في الاشهر الاربعة الحرم من الصيام والقيام وانواع الخيرات واصناف الحسنات
فان الحسنات يذهبن السيئات وان الله يبدل سيئاتهم حسنات فنعم
المولى ونعم النصير فاليه المرجع والمصير فوقيهم الله وحفظهم شر ذلك
اليوم وشدة عذابه وحدة عقابه بسبب خوفهم في الحيوة الدنيا وتحفظ
انفسهم عنه قبل الوقوع والتدارك باستطاعتهم كما هو احوال اصحاب العقول
تفكر الخروج قبل الولوج وينغص بعد الوقوع فرغما لا يخلصه لفوت
الاثر وفقدان زمانه ولقيهم اي اعطاهم الجنات والدرجات بدل عبوس الفجار
وشدة عذابهم روى ان الكافرين يعبسون وجوههم حين عاينهم بما استحق لهم
يومئذ حتى ليتسيل من بين اعينهم عرق مثل القطران فاحسنهم واكرم
المؤمنين عندهم نضرة وسرورا حسن الوجوه وشعشعها وفرحا في قلوبهم
في مقابلة العبوس ليزيدهم سرورهم ويتضاعف عذابهم فلو آمنوا لكانوا
مثل المؤمنين ونالوا بما نالوا في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا وروى
عن نافع عن ابن عمر رضيهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال يحشر
الناس يوم القيمة كما ولدتهم امهاتهم حفاة عراة فقالت لهم عائشة الصديقة
ام المؤمنين رضيها يا رسول الله الرجال والنساء معا قال نعم فقالت واسوأتاه
ينظر بعضهم الى بعض فضرب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يده على منكبيها
وقال يا بنت ابن ابي قحافة شغل الناس يومئذ عن النظر لكل امرئ منهم

يومئذ شأن يغنيه و يشغلهم ما كسبت ايديهم وشخصوا بابصارهم الى السماء
موقوفين حساب الآخرة اربعين سنة لا يأكلون ولا يشربون فمنهم من يبلغ
العرق قدميه ومنهم من يبلغ ساقيه ومنهم من يبلغ بطنه ومنهم من يلجمه
العرق من طول الوقوف ثم تقوم الملئكة حافين من حول العرش فيأمر الله تعالى
منادياً ينادي اين فلان بن فلان ويخرج ذلك المنادي رجلاً فيؤخذ من حسناته
فتدفع الى من ظلمه يوم لا دينار ولا درهم الا اخذ من الحسنات ورد من السيئات
ولا يزالون يستوفون من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فيؤخذ من سيئاتهم
فترد عليه فاذا فرغ من حسابه قيل له ارجع الى امك الهاوية فانه لا ظلم اليوم
ان الله سريع الحساب اي سريع المجازات فلا يبقى يومئذ ملك ولا نبي
ولا شهيد الا ظن لما يرى من شدة الحساب اذ لا ينجو احد الا من عصمه الله
تعالى وروى عن معاذ بن جبل وعن ابي بردة رض انه قال لا تزول قدما عبد
حتى يسئل عن اربعة عن عمره فيما افناه وعن جسده فيما ابلاه وعن عمله
فيما عمل به وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه رواه الترمذي وامام
الهدى ابو الليث في تنبيه الغافلين رح عن ابي بردة رض وروى عن عمر بن
الخطاب رض انه دخل المسجد وكعب الاحبار يحدث الناس وينعجهم
فقال له عمر رض خوفنا يا كعب فقال كعب رض والله ان لله ملائكة قياماً
من يوم خلقهم الله تعالى ما ثنوا اصلابهم اي ما اقاموا اصلابهم عن الركوع
وآخرين سجداً ما رفعوا رؤسهم حتى ينفخ في الصور فيقولون جميعاً سبحانك
اللهم وبحمدك ما عبدناك حق عبادتك وبحق ما ينبغي لك ان تعبد
والذي نفسي بيده ان جهنم لتقرب يوم القيمة لها زفير وشهيق حتى اذا قربت
ودنت زفرت زفرة فلم يبق مما خلق الله من نبي ولا شهيد الا جثاه
على ركبتيه ساقطاً يقول كل نبي وصديق وشهيد رب لا اسئلك الا نفسي
وحتى نسي ابراهيم اسمعيل واسحاق فيقول يا رب ان الخليل ابراهيم فلو كان

قوله وكعب الاحبار جمع حبر بالحاء المهملة وهو عمق البحر وفيه تجوز منه

يا ابن الخطاب

يا ابن الخطاب يومئذ عمل سبعين نبياً لظننت ان لا تنجو فبكى القوم حتى
صاحوا فلما سمع عمر ذلك وبكى بكاء شديداً حتى ابتلت لحيته كأنه لم يبشر
الجنة ثم ملك نفسه فقال يا كعب يكفينا هذا الخوف والشدة وهذا اوله
نعوذ بعناية الله تعالى من منتهاه وعقباه مما كان في النار من انواع العذاب
واصناف العقاب فبشرنا بما بشرك النبي المختار عليه من صلوات الغفار
بجنات الستار فقال كعب رض ان العبد اذا اخلص بما عمل من الفرائض
والنوافل ملتبساً بالتقوى ومتزيناً بظواهر الشريعة الغراء معترفاً بقصوره
مجتنباً عن عصيانه وكسوره وقع في وعد الله العزيز الحكيم من الجنة والغرفات
والنعم والدرجات فان رحمته وسعت كل شيء من المؤمنين والمؤمنات وان الله
يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم وان له تعالى ماة رحمة بواحدتها يرحم
الدنيا من المخلوقات والموجودات فابقى عنده تسعة وتسعين ليوم القيمة
ويوم لاحتياج لاحبائه ولصدقائه وطالبي جنانه وجماله فوالله لو تعلمون
كنه الرحمة وحقيقة المغفرة للمؤمنين المطيعين والمتقين المنقادين ما يكتم
ورجيتم مغفرة اخوانكم بشفاعتكم الف العشرة بالكلمة الواحدة ايها المؤمنون
عليكم بتقوى الله وطاعته وتدارك الذخيرة ليوم لا ريب فيه والاجتناب
عن المعاصي والذنوب ليوم تظهر فيه السرائر والعيوب فان الجنة اعدت
للمتقين وسعرت النار للطاغين الكافرين فقيامتك اذا امت قامت
اولاً في نزع الروح وسكرات الموت وثانياً في القبر من السؤال والجواب
والهيبة والعذاب والخشية وثالثاً في الحشر باي زمرة حشرت ورابعاً
في العرصات في اي رتبة وفرقة وخامساً في التوقف مقدار خمسين
الف سنة باي حال وسادساً في الرجوع باي طريق اشرفت وسابعاً
في الصراط باي مرور مررت وثامناً في طريق باي سبيل تمر وتاسعاً
باي درجة تعلو او باي دركة تسفل فنعوذ بالله الرحمن من شرور انفسنا

ومن شرور الشياطين كما قال مغيرة بن شعبة رضي انكم تقولون القيمة وانما
قيامة احدكم موته وما بعده لان الانسان اذا مات فقد عاين امر القيمة
من الجنة والنار وملائكة الرحمة والعذاب فندم على اي حال كان من زيادة
العبادات والطاعات ونقصانها ان كان سعيدا نظرا الى مزاعاته ومن
فوتها نظرا الى ما يستحقه مما يليه ففات وقت التقرب الى رحمة الله الغني
الكريم ولم يقدر على عمل فات فاحضر للجزاء وفاقا ليوم لن زرع حصد ان
ودع كسد فالتوفيق من الله تعالى كذا في تنبيه الغافلين وروى عن انس بن
مالك رضي موقوفا عليه في الرواية قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من صام شهر رجب استوجب على الله تعالى ثلاثة اشياء مغفرة لجميع ما سلف
من ذنوبه وعصمة فيما بقي من عمره وامانا من العطش يوم العرض الاكبر
فقال شيخ ضعيف في المجلس يا رسول الله اني اعجز عن صيامه كله وان احب
صيام كل الايام فيه وغيره من سائرها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم صم يوما من اوله ويوما من وسطه ويوما من آخره فانك تعطي ثواب
من صامه كله ولكن لا تغفلوا من اول ليلة الجمعة فانها تسمى الملائكة الرغائب
والرغائب جمع رغبة والرغبة لعطاء الكثير وذلك انه اذا مضى ثلث الليل
لا يبقى ملك في جميع السموات والارض الا ويجتمعون حول الكعبة فيقول الله
تعالى يا ملائكتي سلوني ما شئتم فيقولون ربنا حاجتنا اليك ان تغفر
لصوام رجب فيقول الله تعالى قد فعلت ذلك كذا في المحيط البرهاني جمع
القلوب للامام السنوبي رح واما صفة صلوة الرغائب على الاختلاف من المشايخ
يحكى المجتهدين على صفة مخصوصة تختص بهذا الشهر من صلوة الرغائب
والبرات والقدر فينبغي ان لا يلتفت الى ما اكتب الناس في الرجب وغيرها
فلا يغرنك شيوعه وكثرة وقوعه في البلاد العظام لعدم وقوعها في الاصحاب
والتابعين ولا في عصر المجتهدين بل حدث في المائة الرابعة فلذا لم يعرفها

بحث صلوة الرغائب وآخرها وكراهتها
وبيان بدعيتها

المتقدمون

المتقدمون ولم يتكلموا فيها وقد ذمها العلماء المتاخرون وقالوا بانها بدعة
على الجماعة الكثيرة بحيث لم تقع من صاحب الشريعة ولم يفعلها الاصحاب
العظام على الهيئة المجتمعة ولكن اذا صليها كل واحد كما صلى سائر النوافل
فلا شبهة في الجواز في صلوة النافلة فهذه فرد من افرادها كما سيجي تفصيله
فانتظر فانا عاملون والاحاديث الواردة فيها موضوعة هكذا نقلوا فقالوا
اثنى عشر ركعة بست تسليمات بحيث يصوم بعض الناس اول خميس من رجب
ويصلونها بعد صلوة المغرب قبل العشاء في اول ليلة الجمعة بعد الافطار
وهو الصحيح المختار وقبل الافطار ويقرؤ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة
انا انزلناه ثلثا وسورة الاخلاص اثنى عشر مرة ويسلم في كل ركعتين كما
هو المختار في كل النوافل عند الامامين في الليلة وعند الشافعي في الليالي والايام
وعند الامام الاعظم في الليلة فقط واما نوافل الايام اربعة عنده رح ثم
قال المصلي المتنفل في الصلوة المتنفلة قبل التهجد صل على محمد النبي الامي
وعلى آله وصحبه وسلم ثم يركع ثم يسجد ويقول في سجوده سبحان الله الملك القدوس
سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبعين مرة ايضا ثم يسجد ثانيا ويقول
فيها ما يقول في السجود الاولى ثم يسئل الله حاجته في الدين والدنيا والاخرة
ثم يرفع رأسه فقد تم صلوته واختلف العلماء في رؤية هلال رجب
في ليلة جمعة قال بعضهم تؤخر الصلوة الى الجمعة الاخرى لقوله صلى الله تعالى
عليه وسلم من صام اول خميس من رجب ثم صلى ليلة الجمعة اثنى عشر ركعة
اعطاه الله تعالى لكل ركعة مائة قصر في مقعد صدق بلا ريب ولا شك وقال
بعضهم يصلونها فيها ولا يؤخرونها وان لم يكن الخميس من رجب لقوله
صلى الله تعالى عليه وسلم لا تغفلوا عن صلوة ليلة الجمعة الاولى من رجب ومن
صلى فيها صلى الله تعالى عليه وسلم وملئكته الى السنة القابلة ومن صلى عليه
رب العرش لا يخرج من الدنيا الا مع الايمان ولا يعيش في الدنيا الا مع

بحث صفة صلوة الرغائب وشبهتها على الاخبار والاثار

الاسلام ولا يحشر يوم القيمة الا مع الابرار وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
الرجب اسم نهر في الجنة وله اثنى عشر شعبا ومن صلى في ليلة الجمعة الاولى
من رجب اثنى عشر ركعة يقابل الله تعالى لكل ركعة بكل شعب هذه الحكمة
في كونها اثنى عشر انتهى اعلم ان لله تعالى على عباده حق الربوبية لانه تعالى
قال في كتابه العزيز في سورة الذاريات وما خلقت الجن والانس من غير
سبق من العدم وهو شأن الرب الجليل وتقديم الجن عليه لتقدم الاول
في الخلقة على الثاني الا ليعبدون ويعرفون وحدانيتي وهذا الكلام خاص
بمؤمني الفريقين او عام لهما اي لم اخلقهما الا لحكمة العبودية اللازم تركها
عليهما باختيارهم لينالوا الشرف والكرامة بعبادتهم وطاعتهم مع التوحيد
مستعدين لها ومتمكنين منها اتم استعداد واكمل تمكين مع كونها مطلوبة
منهم بتنزيل ترتيب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتيب الغرض على ما هو
غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعا كيف
لا وهي رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وانما الذي لا يليق بجنابه عز وجل
تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعله لافضائه
الى استكماله بفعله وهو تعالى الكامل بالفعل من كل وجه ازليا وابديا
واما بمعنى نهاية كمالية يفضي اليها فعل الفاعل الحق فغير منفي من افعاله تعالى
بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة
الازلية والسرمدية ويكفي في تحقيق معنى التعليل على ما يقول الفقهاء
ويتعارفه اهل اللغة من هذا المقدار وتحقق مدلول اللام وما ارادة الفاعل
فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض
تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول الى الغاية مع تعاضد
المبادي وتاخذ المقدمات الموصلة اليها لا يمنع كونها غاية كما في قوله تعالى
كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره وقيل المعنى

الا ليؤمنوا

الا ليؤمنوا بعبادتي كما في قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وقيل المراد
سعداء الجنسين من الجن والانس كما ان المراد بقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم
كثيرا من الجن والانس اي اشقياؤها ويعضده قراءة من قرأ وما خلقت الجن
والانس من المؤمنين وقال مجاهد واختاره البغوي رح معناه الا ليعرفون
ومداره قوله صلعم فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزا مخفيا فاحببت ان
اعرف فخلقت الخلق لاعرف ولعل السر في التعبير عن المعرفة بالعبادة على
طريق اطلاق اسم السبب على المسبب للتنبيه على ان المعتبر هي المعرفة الحاصلة
بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة فللعباد ان يعرفوا الرب
ويجتهدوا في العبادة خاصة ان يغتنم الاوقات الشريفة والازمان العزيزة
من الايام والدهور والليالي والشهور وخاصة في الاشهر الحرم كلها صيامها
وقيامها والشهر الرجب احدها على ما رواه البيهقي من ابي قلابة من كبار التابعين
من الصيام واما الصلوة المخصوصة فلم يثبت عن النبي واصحابه والرغائب
كذلك فان الصلوة المخصوصة من الرغائب والبرات وصلوة القدر خاصة
مع الجماعة لم يطلع عليها المتقدمون الى القرن الرابع من المائة الرابعة من الهجرة
النبوية وانما احدث ووضع الاحاديث ابن جهم وصرح العلماء المتأخرون
بموضوعيتها وبدعيتها لانا نعرف الدين من العلماء المتقين المعتمدين فتلك
الصلوة لم يصلها النبي ولا احد من اصحابه ولا التابعون الى القرن الرابع
ولا المجتهدون ولم يلتفت المجتهدون في بيانها واجتهادها وانما اجتهادهم
ببيان الفرائض والواجبات وسنن الهدى التي امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بها
واوحي اليها وانها من لوازم الدين وامر النبي صلعم بتبليغها وفعلها واما النوافل
من هدايته تعالى لمن اتبع رضوانه فمن جاهد فانما يجاهد لنفسه ومنفعة
فانما يحصده فلا شبهة في الصلوة النافلة في الليالي المباركة الواقعة
في الاوقات المباركة خاصة في الاشهر الحرم وليلة القدر في رمضان

مبحث بدعة صلوة الرغائب والقدر وغيرها
دون الاهتمام بسائر النوافل المأثورة في الشهور الفاضلة

وغيرها وهذه النوافل في نفسها مباحة لهذه الامة المرحومة وهدية من الله
الكريم الى النبي الرحيم واحدى النوافل المعمولة بين الصلحاء السالكين
والعلماء العاملين المخلصين على مسلك تلك النوافل المشهورة فيهم وانما انشأ
الى القدر وغيرها تعظيما لها فلا شبهة ولا ريب في ادائها واباحتها لما لم
تختلط فيها الكراهة والبدعة وانما البحث في جماعتها اهل يجوز ادائها
مع الجماعة بلا كراهة ام لا فقال صاحب خزانة الفتاوى التطوع بجماعة
في غير رمضان مكروه وقال في شرح الكافي فلو صلى التطوع بجماعة الاثنين
لا يكره وذكر في فوائد شمس الائمة الحلوائي ان كان سوى الامام ثلاثة
لا يكره قال هنا عبارة الخزانة وذكر في المحيط البرهاني ولا يكره الاقتداء
بالامام في النوافل مطلقا فروى عن عبد الله بن مسعود رض موقوفا انه قال
ما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن كذا في المحيط فالاقاويل كثيرة
عند الفقهاء فالاولى للحق ان يتبع اذ فيه شائبة البدع التي لم تشهد
عن القرون الاولى ولا الثانية ولا الثالثة ثم ظهر الفساد في الاعتقادات
والعبادات والطاعات لما روي عن جابر رضي الله انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى
هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة
كذا في صحاح المصابيح وعن عرباض بن سارية انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة
الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم
ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة كذا في المصابيح
وروي عن غضيف بن الحارث رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ما من امة ابتدعت بعد نبيها في دينها بدعة الا اضاعت مثلها
من السنة رواه الطبراني في المعاجم الثلاثة قوله ما من امة ابتدعت فلفظ

مطلب كراهة الاقتداء في النفل بالجماعة

من بيان للمثل والابتداء والظرف فيه متعلق باضاعت ومثاله كمن صلى
فريضة من الفرائض في بيته بغير عذر فانه صاحب بدعة مكروهة على ما
صرح في الكتب الفقهية فانه سنة مؤكدة من سنن الهدى وهي الصلوة
مع الجماعة في المسجد ومن صلى الرغائب والقدر وغيرها فاضاع السنة القولية
وهي نهيه صلعم عن محدثات الامور فقد فعل بدعة قبيحة مما لم يصدر عن نبيه
مع النهي عنه كما ان فعله سنة كذلك تركه مع وجود المقتضي وعدم المانع
سنة وروي عن حذيفة بن اليمان انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم لا يقبل الله لصاحب بدعة صوما ولا حجا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا
ولا عدلا يخرج من الاسلام كما يخرج الشعر من العجين رواه ابن ماجه قوله
لا يقبل الله تعالى لصاحب بدعة صوما ولا حجا الخ فدل هذا الحديث الصحيح على ان
صاحب البدعة بسبب البدعة لا تقبل منه الاعمال الصالحة اذ البدعة تفسد
سائر العمل كالخل اذا وقع في العسل والرياء اذا اختلط افسد ولو كان الخل قليلا
والعسل كثيرا كما قال اهل الاصول اذا صدر من الراوي كذب واحد لا تقبل
منه الرواية الكثيرة لخوف الكذب لعدم اجتنابه عن الذنب كالمختار الكذاب
البصري ومن قواعد الاصول اذا وقع الاختلاف بين السنة والبدعة يورث
الشبهة فترك السنة اولى من فعلها لاحتمال البدعة الجاذبة الى النار فهذه
من هذه القبيلة فضلا عن كونها بدعة ظاهرة اذ لم يثبت كونها سنة في زمان
الصحابة والتابعين الى القرن الرابع لا استحالة الضلالة كما عرفت من كما
يخرج الشعر من العجين لان بدعة اداه الى الكفر لا استحالة الضلالة وليس
في قلبه شيء من الايمان سوى ما اظهره للناس من الاسلام وروي عن ابي هريرة
رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكون في آخر الزمان دجالون
كذابون يأتونكم من الاحاديث بما لم تسمعوا انتم ولا آباؤكم فاياكم وفي آخر
الزمان يرى العلماء والمشايخ ويقولون للناس نحن علماء ومشايخ نعلمكم

مطلب ظهور رجال دجالين في آخر الزمان

دينكم ويرشدكم الى الحق الذي جاء به نبيكم وهم كذابون يحدثونكم بالاحاديث الكاذبة ويعلمونكم اعتقادات فاسدة ويبتدعون لكم عقايد باطلة فاحذروا عنهم ولا تقربوا منهم لئلا يضلونكم عن سواء السبيل كذا في الهداية التي هي شرح الطريقة رح فان قلت كيف التوفيق بين قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كل بدعة ضلالة وبين قول الفقهاء ان البدعة قد تكون مباحا كاستعمال المنخل والمواظبة على اكل لب الحنطة والشبع منه وقد تكون مستحبا كالمنارة المعلية والمدارس المعلية وتصنيف الكتب الارائية وقد تكون واجبا كنظم الدلائل لرد شبه الملاحدة المائلة الضالة عن الحق ويسمون الباطنية لادعائهم ان النصوص ليست على ظواهرها بل لها معان باطنية لا يعرفها الا المعلمون المتصوفون ومرادهم كتم الشريعة ولجراء مرامهم من الامور الشيطانية النفسانية قلنا للبدعة لها معنيان الاول لغوي عام يتناول جميع المحدثات مطلقا سواء كانت عادة وعبادة لانها اسم من الابتداع الذي هو عبارة عن الاحداث كالرفعة من الارتفاع والخلفة من الاختلاف وهذه هي المقسم في عبارة الفقهاء واصطلاحهم حيث يقصدون بها ما احدث بعد الصدر الاول سواء كان قولا او فعلا او اعتقادا او غيره وهو زمان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع اصحابه وعترته رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والثاني شرعي خاص وهو الزيادة في امر الدين او النقصان منه الحادثان في زمان الخلفاء العضود بعد الصحابة بغير اذن من الشارع لا قولا ولا فعلا لا صريحا ولا اشارة فلا يتناول العادات اصلا وان كان الخاص لا يوجد الا بقيد يتميز به العام اذ الزيادة في الاسلام والنقصان منه لا تشتملهما بل تقتصر على بعض الاعتقادات وبعض صور العادات فهذه هي مراده صلى الله تعالى عليه وسلم بدليل قوله عليه صلوات الله وسلامه تحية مباركة فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين وبدليل قوله صلعم انتم اعلم بامر دنياكم وبه

انقسام البدعة من الافعال ... منه وليس
في بيان ...

قوله

قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد فالبدعة في الاعتقاد ظاهرة اذا اطلقت لاهل البدعة والمبتدع والهوى فبعضها كفر وبعضها ليست بكفر ولكنها اكبر من كل كبيرة في العمل حتى القتل والزنا وليس فوقها الا الكفر والخطاء في اجتهاد الاعتقاد ليس بعذر بخلاف الاجتهاد في الاعمال فانه معفو ماجور اذ الاعتقاد اساس الدين والاعمال فروعه فاذا الخطاء في الاعتقاد وكان مما يكفر به فاعمال الكافر مردودة وضد هذه البدعة الكائنة في الاعتقاد الباطل اعتقاد اهل السنة والجماعة اي المطابق لكتاب الله العزيز وسنة رسوله الكريم الموافق لما جاء به عقيدة سائر الانبياء والمرسلين وهو ما ذهب اليه الشيخ ابو منصور الماتريدي الحنفي والشيخ ابو الحسن الاشعري الشافعي رح وما وقع بينهما من الخلاف فالاكثر لفظي فالمآل واحد واما البدعة في العبادات وان كانت دونها فلكنها ايضا منكر وضلالة لا سيما اذا صادمت وعارضت سنة مؤكدة وهي ما واظب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من جنس العبادة مع الترك احيانا مرة او مرتين وعدم الانكار على تاركه بلا ترك منه اذ بالانكار مع عدم الترك اصلا يثبت الوجوب لان المواظبة بلا ترك او مع الانكار دليل الوجوب ومع الترك مرة او مرتين او مع عدم الانكار على من تركه دليل السنة وقال الائمة الاصوليون في بيان وجه دلالة المواظبة بدون الترك او مع الانكار على تاركه على ثبوت الوجوب انه لو لم يكن واجبا لتركه النبي صلعم مرة تعليما للجواز ولم ينكر على تاركه لانه بعث شارعا ونبيا لامور الدين فلا يتصور منه الاخلال بالبيان في موضع الحاجة تدبر فانه بحث شريف كالاعتكاف فان ما واظب عليه الخلفاء الراشدون المهديون من بعده عليه الصلوة والسلام ايضا من سنة الهدى يرشدك اليه قول صاحب الهداية في بحثه للتراويح والاصح انها سنة لانه واظب عليها الخلفاء الراشدون وقال صلى الله تعالى عليه وسلم

الاعتبار زيادة سنة الهدى وهي مؤكدة
وعليها ... سنته

عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى فان قلت
ما الفرق بين السنة المؤكدة والمستحبة قلنا ان كان مواظبته عليه السلام اكثر
وتركه اقل الا اقل فهى سنة مؤكدة وان كان عكسه فهى سنة مستحبة كسنة العصر
والعشاء الاوليين وكلتاهما سنة الهدى فاقامتهما تكميل للفرض والدين
واما البدعة فى العادة كاستعمال المنخل فى العادة واكل لب الحنطة فليس
فعلها ضلالة لانها ليست بامر دينى فتركها اولى لما فيه من اتباع السلف
الصالحين فاجتماعهم حتى ليس بضلالة وضد البدعة فى العادة السنة
الزائدة فلا يتعلق بتركها كراهة واساءة بخلاف سنة الهدى وهى التى
واظب عليها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على سبيل العادة لا على وجه العبادة
من جنس العبادة كالابتداء باليمين من اليد والرجل فى الافعال الشريفة
كالاكل والشرب ودخول المسجد واخذ المصحف والكتب الشرعية وباليسار
فى الافعال الدنية الخسيسة كالدخول فى الخلاء والحمام والاستنجاء والا
متخاط والخروج من المسجد والبيت ونحوها فظهر من هذا التقسيم ان
البدعة بالمعنى الاعم اللغوى على ثلاثة اصناف بدعة فى الاعتقاد وبدعة
فى العبادات وبدعة فى العادات مرتبة فى القبح فاذا عرفت هذا فاعلم ان
المنارة لاعانة اعلام وقت الصلوة المراد بها والمدارس والتصانيف لاعانة
التعليم والتبليغ وهما واجبتان لرد البدعة والذب عن الدين فالكل ماذون
فيه بل مامور فيه من الشارع بطريق الوجوب ان كان الامر للوجوب والاستحباب
لقوله تعالى فى سورة المائدة تعاونوا على البر والتقوى قيل البر متابعة الامر
والتقوى مجانبة النهى وقيل الاول الاسلام والثانى السنة العلية فعلى
هذا رتبة الاعانة ظاهرة الى ما هى له ففرض ان فرضا وسنة وواجبة ان كانتا
ومستحبة ان كان مستحبا ولقوله تعالى فى سورة التوبة ولينذروا قومهم الاية
قال المفسرون رح المراد من الانذار تعليم الدين والارشاد الى سبيل الصواب

اى يعلموهم

قوله واقسام البدعة على ثلاثة اقسام بدعة فى الاعتقادات والعبادات والعادات ... الموجود

اى يعلموهم القرآن واحكامه اذا رجعوا اليهم لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين
رواه البغوى فى المعالم قال الامام القتادة رح فى تفسير قوله تعالى فى سورة
آل عمران واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
هذا ميثاق عهد الله من اهل العلم فمن كان عالما فيعلم غيره ولا يكتمه فيهلك
فابنية المدارس وامثالها لاعانة الدين واظهار الحق المبين فعدم وقوعه
فى الصدر الاول اما لعدم الاحتياج والقدرة او التفرغ له بالاشتغال
بالاهم كالجهاد وفتح البلاد وتطهير الدين عن شائبة الكفر والضلالة ولو تفكر
فى كل ما قيل فيه بدعة حسنة ومن حسن العبادة وجدت فيه اذنا من الشارع
تارة او دلالة ثم اعلم ان فعل البدعة اشد ضررا من ترك السنة بدليل ان الفقهاء
قالوا اذا تردد فى شئ من المسائل انه سنة ام بدعة بحيث لا يميل احد من الطرفين
بيان فتركه واجب فمن هذا ترك الامام الاعظم بعض الاحاديث بحيث تردد
فى صحته ولم يتيسر له الترجيح فتركه ولم يقل انه حديث او غير حديث لعدم
الدليل واما ترك الواجب هل هو اشد ضررا من فعل البدعة او على العكس
فيه اشتباه حيث صرحه الفقهاء من الاصوليين فيمن تردد فى شئ من المسائل
بين كونه بدعة وواجبا انه يفعله كما قال من الفقهاء الشيخ الامام الطاهر بن
احمد البخارى رح فى كتاب خلاصة الفتاوى مسئلة تدل على خلاف ما صرح
الفقهاء انه قال اذا شك فى صلاة انه هل صلاها ام لا فان كان ذلك الشك
فى الوقت فيجب عليه ان يعيدها لان الظاهر انه لم يصلها وان خرج الوقت
فلا شئ فيه اذ الظاهر انه صلاها لدوامه على الصلوات وان لم يتركها
ما افنده كذلك لامارة حاله وعلامة ماله ولو كان الشك فى صلوة العصر
فيقرء فى الركعة الاولى والثالثة ولا يقرء فى الثانية والرابعة انتهى
وتعيين الاوليين للقراءة فى الفرض واجب وقد امر بتركه حذرا عن احتمال

قوله بدليل ان الفقهاء هذا دليل عقلى ونقلى اما الدليل العقلى فلان فعل البدعة يستلزم ترك السنة اذ لا يكون ... ولان الدين ... فى الشرع ... وباعتبار انه ثابت فى الشرع دليل نقلى

وقوع التنفل بعد العصر وهو بدعة مكروهة فالتفصيل في هذا المقام ان القراءة
فرض في جميع ركعات النفل لان كل الشفع منه صلوة برأسها والقيام الى الثالثة
كتحريمة مبتدأة فاذا لم يقرأ في الركعة الثانية من الشفع الاول يبطل ولكن
يصح شروعه في الشفع الثاني عند الامام الاعظم ابح رح لبقاء التحريمة واذا
لم يقرأ في الركعة الاولى من الشفع الثاني يبطل هو ايضا فيخلص عن وقوع النفل
بعد العصر ولا يلزم عليه القضاء لانه لم يشرع فيه قصدا بل شرع فيه ظنا انه
عليه ولم يصله فان من شرع على ظن الوجوب لا يلتزم شيئا بل يسقط عنه
ما عليه فاذا انعدم الالتزام انعدم الوجوب ثم هذا التوجيه على تقدير انه
صلى العصر في الواقع واما على تقدير عدم صلوته فصلوته صحيحة لوجود القراءة
في الركعتين منه فذاك كاف في الصحة ولكنه يكون تاركا للواجب وهو تعيين
الاوليين للقراءة فاحفظه وكن من الشاكرين فاعن فيه من صلوة الرغائب
وصلوة البراءة والقدر وامثالها من الجماعات الكثيرة في العبادات البدنية
المحضة بالصفة التي لم تكن في زمن الصدر الاول من الصحابة والتابعين
رضيهم اذ لو كان وصف العبادة في الافعال المبتدعة يقتضي كونها بدعة حسنة
واللازم باطل وكذا الملزوم لما وجد فيها البدعة المكروهة على ما صرح الفقهاء
في تصانيفهم مثل جماعة صلوة الرغائب وجماعة البراءة وجماعة القدر والتصلية
والترضية والتأمين في اثناء الخطبة والنغمات الواقعة فيها وفي الاذان وقراءة
القرآن والجهر بالذكر امام الجنازة والعروس والحج وغير ذلك من البدعة المنكرة
الواقعة في العبادات وليس لاحد ان يقول انها من الحسنة التي تعهد في الصدر
الاول لان ما ثبت حسنه يعرف بالادلة الشرعية البينة الصحيحة فبقي
عموم العام حتى لا يكون بدعة او بقي خصوص العام فيما عدم المخصوص
فلم يوجد الدليل على هذا المرام فمن ادعى فعليه البيان على التمام وعادة
البلاد وفعل الكثير من العباد ليس مما يصلح ان يكون معارضا لكلام رب

هذا جواب سؤال مقدر منه

العالمين

العالمين وهو صاحب الشريعة من رب العالمين والدليل الشرعي المخصوص
بالكتاب والسنة واجماع الامة مختص باهل الاجتهاد ومن ليس منهم من العباد
الزهاد فهو في حكم العوام ولا يعتد زهده وتقواه الا بالموافقة للاصول المقيدة
والكتب المعتبرة وما قررنا من قواعد الاصول وحررنا من فوائد الوصول دلت
عليها السنة من الاحاديث النبوية واجماع الامة الحنفية المصرحة في كتبهم
المفصلة على اجتهادهم ومع هذا يدل عليها قوله في سورة الشورى ام لهم
اي ا لهم شركاء من الشياطين والاستفهام للتقرير والتقريع اي الهم آلهة
من دون الله من الشياطين الكاذبة والملاعين الكافرة شرعوا وبينوا لهم
بالتسويل والتزيين الصور الكاذبة من الدين الفاسد والشرك الكاسد
وانكار البعث والعمل لاجل جلب الدنيا بان يشركوا الاوثان واضافتها
اليهم لانهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى عن ذلك علوا كبيرا واسناد الشرع
لانها سبب ضلالهم كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا من الناس وتماثيل من
الضلالة لهم ما لم يأذن به الله اي ما لم يأمر ولا يأذن به فان الدين دين الله
باذن الله بوسائط رسل الله على عباد الله بالطاعات والعبادات والاعمال
الصالحات الموافقات على مراد الله وعلى مراد رسل الله فحاشا ثم حاشا
ان يأذن الله بالاعمال الباطلة على عباده الصالحين والى الجنة والجمال
طالبين ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتأخير الجزاء والعلم بان
الفصل يكون يوم القيمة عن هذه الامة لقضي بينهم اي بين الكافرين والمؤمنين
او بين المشركين وشركائهم بالعذاب العاجل والبلاء الواجل والعقاب
الآجل فقطع دابر القوم الذين ظلموا ولحقوا بما عجلوا ولكن الله تعالى اجل لهم
بما استحقوا واخرهم بنبيه محمد الورى عليه صلوات العلى فلا تحسبنهم
بمفازة من العذاب وان الظالمين المشركين الكافرين المضلين لهم عذاب
اليم وقرئ بالفتح عطفا على كلمة الفصل اي ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب

الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم غالب في العذاب
الآخرة ترى الظالمين المشركين يوم القيمة والخطاب لكل احد ممن يصلح له
للقصد الى ان سوء حالهم غير مختص برؤية راء دون راء مشفقين خائفين
مما كسبوا من السيئات المدخلات الى غضب الله تعالى وعذابه وهو اى وبال
كسبهم وجزاؤه واقع بهم ولاحق عليهم وواصل لهم لا محالة اشفقوا او لم يشفقوا
والجملة حال من ضمير مشفقين او اعتراض والذين آمنوا اى صدقوا بالقرآن
وعملوا الاعمال الصالحات على ما فرض الله تعالى لهم من اداء المأمورات واتمامها
واجتناب المنهيات وانتهائهم واستبدالهم في روضات الجنات اى مستقرون
في اطيب بقاعها وانزه بساتينها لهم ما يشاؤن من المطالب العلية
اللائقة والمقاصد الجلية الفائقة حيث لا يصلون من غيرهم اليه وتملكهم
عند ربهم مما يشتهون من فنون المستلذات حاصل لهم عنده تعالى ظرف
للاستقرار العامل في قوله لهم وقيل ظرف لقوله يشاؤن ذلك اشارة الى ما
ذكر من حال المؤمنين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار
اليه هو الفضل الكبير الذي لا يقادر قدره فلا يعده عاد ولا يبلغ غايته
فلا يحيط حاد ذلك الفضل الكبير ذلك الذي يبشر الله عباده اى يبشرهم به
فحذف الجار ثم العائد الى الموصول كما في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا
او ذلك التبشير الذي يبشره الله تعالى عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات وقرى
يبشر من ابشر قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى روى انه اجتمع
المشركون فقال بعضهم لبعض اترون ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم يسأل
ما يتعاطاه اجرا فنزلت اى لا اطلب منكم ما انا عليه من التبليغ والبشارة
نفعا ولا اجرا الا ان تودوني لقرابتي منكم او تودوا اهل قرابتي وقيل الاستثناء
منقطع والمعنى لا اسألكم نفعا واجرا قط في التبليغ ولكن اسأل منكم
المودة والقربى مصدر كالبشرى والزلفى بمعنى القرابة وروى عن ابن عباس

رضيهما

رضيهما انه سئل عن قوله الا المودة في القربى فقال سعيد بن جبير وهو آل محمد
فقال ابن عباس رض انه لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة فقال الا ان
تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة وروى عن ابن عباس رض في معنى الآية
الا ان تودوا الله ورسوله وتقربوا اليه بطاعته وهو قول الحسن واختلفوا
في قرابته قيل هم فاطمة وعلي وابناهما وروى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من
قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما وروى
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي وآذاني
في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فانا
اجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيمة وروى عن زيد بن ارقم رض قال قال
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله واهل بيتي اذكركم الله
في اهل بيتي قيل لزيد بن ارقم رض من اهل بيته قال هم آل علي وآل عقيل وآل
جعفر وآل عباس رواه البغوي رح وقيل القربى التقرب الى الله تعالى والتودد
اليه بالطاعة والعمل الصالح وبه قال الحسن وقرئ الا مودة في القربى ومن
يقترف حسنة اى يكتسب حسنة كانت فيتناول مودة ذي القربى تناولا
اوليا وعن السدي رح انها المرادة قيل نزلت في الصديق رض ومودته فيهم
نزد له فيها اى في الحسنة التي اقترفت حسنا بمضاعفة الثواب وقرى
يزد اى يزد الله فيها وقرئ حسنى ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفيقه
الثواب والتفضل عليه بالزيادة روى عن معاذ بن جبل رض انه قال حين بعث
الى اليمن يا رسول الله اوصني قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اخلص دينك
يكفك العمل القليل رواه الحاكم وروى عن ثوبان رض انه قال سمعت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يقول طوبى للمخلصين اولئك مصابيح الهدى تنجلي
عنهم كل فتنة ظلماء رواه البيهقي رح قوله تنجلي عنهم من الانجلاء اى تنكشف
وتنور كل ظلمات القيمة ومنه تبين ان كل عمل يصدر من بني آدم ان كان خيرا

صالحا بحيث لم يخالطه رياء ولا سمعة بل عمله لرضاء الله تعالى فينقلب ذلك
العمل نورا منيرا فيكون من المخلصين المتنورين بحيث يسعى نوره بين يديه وجميع
جوانبه وهو في النور وإذا كان عمل شيئا فيبقى في الظلمات فنور القيمة وظلمانية
يذهب من الدنيا مع صاحبه فلذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم الظلم ظلمات
يوم القيمة رواه البخاري فللظلم أنواع كيفا وكما لازما ومتعديا فأسوء الظلم
نفسه بارتكاب الفواحش وغيره بأنواع المظالم والمعايب فيعذب في ظلمة
سوداء فيلزم على العاقل أن يتنور بنور الإيمان والأعمال الصالحات ثم يرحل
معه إلى ما أمره الله تعالى من دخول الدرجات في الجنات العاليات ويجتنب
عمله من أي العمل الموافق بالكتاب والسنة وإجماع الأمة من الأصحاب والتابعين
والمجتهدين العالمين العاملين ومن أي العمل هو ابتدعه الجاهلون المبتدعون
والمعاندون المتنسكون فلذلك قال عبد الله بن مسعود رض إياكم وما يحدث
من البدع فإن الدين لا يذهب من القلوب مرة ولكن الشيطان يحدث لكم
بدعا حتى يذهب الإيمان من قلوبكم فعلى هذا ينبغي للمؤمن أن يسئل ما أراده
من الأعمال أهل العلم إن لم يعرف لقوله تعالى فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون
بأنه هل يجوز هذا العمل وفي أي كتاب محله ومن أي مذهب معتمدا ملا ومن
أي فتوى قوي لم ضعيف وأن لا يعتمد على فتوى كل عالم بل أن يعتمد على العلماء
العاملين المخلصين المتقين كالإمام الأعظم أبي ح وما يقوم مقامه في العلم
والعمل وأن لا يغفل عن التفحص حال نفسه وحال من تعلمه فإن اقتضى السفر بأن لا يجد
العلماء فارتحل إليه وإن كان بلدته بعيدا ليعلم ما لزم من علم حاله من الاعتقاد
الواجب والأعمال الواجبة عليه وعلى أهله وأولاده ممن يلزم تعلمه وتفقهه فإذا
طرء شبهة في الاعتقاد وغيره في الليلة ولم يجد كتابا عنده ولم يقدر على عالم
وكان تأخيرها مما لا يجوز فيجب الاعتقاد عليه في هذه الليلة إلى الصباح بأن يجد
كتابا أو عالما وتنحل تلك الشبهة بأن يقول اعتقد ما هو حق وصواب عند الله تعالى

بحث علاج دفع الشبهة في الليلة ثم عملا بالاعتقاد

ويتبرأ

ويتبرأ عن مخالفة فيبيت على هذه الاعتقاد ثم بعد صلوة الصبح يجب
عليه أن يحلها أو يسئل على أهل العلم إن كان لا يعلمها بالسعي البليغ وذلك
شئ أما فرض إن كان فرضا أو واجب إن كان واجبا أو سنة إن كان سنة
لأن العلم تابع للمعلوم حتى أمر بأمره تعالى في سورة التحريم يا أيها الذين آمنوا قوا
أنفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات وأهليكم بأن تأخذوهم بما تأخذون
أنفسكم نارا وقرئ أهلوكم عطفا على واو قوا فيكون أنفسكم عبارة عن أنفس
الكل على تغليب المخاطبين أي قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم نارا فعلى القراءة الأولى
الرجل مأمور بحفظ عياله وأولاده وما يلزم لنفقته عليه وتكميل إسلامه
والتعليم بالعلم الذي يلزم منه من جهة الدين في الأولى والأخرى ومأجور إن
أدى ولا مسؤول ومقهور وأما على القراءة الثانية فالكل مأمور بنفسه على
ما يقتضيه النص كالأمانة ثابتة بنص آخر وهو قوله تعالى وتعاونوا على البر
والتقوى فهذا يشتمل الأجانب فضلا على الأقارب وقودها الناس والحجارة
أي نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب وأمر المؤمنين باتقاء هذه النار
المعدة للكافرين كما نص عليه في سورة البقرة بقوله العزيز واتقوا النار
التي أعدت للكافرين للمبالغة في التحذير عليها ملائكة أي تلي أمرها وتعذيب
أهلها وهم الزبانية تسعة عشر رئيسهم مالك فالكل رؤساء تحت أيديها
عدة كثيرة جسيم في الجسمانية بحيث يسع في كل كف واحد سبعون
ألفا بالاتفاق وما تجمع الف على رواية من أهل النار فيلقين المتكبرين سنة
بغير مضيع غلاظ شداد في الأقوال وحديد الأفعال أو غلاظ الخلق وشديد
الخلق أقوياء على الأفعال الشديدة وهي عبادتهم كالصلوة والركوع والسجود
في سائر الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم أي أمره على أنه بدل اشتمال من الله
أو فيما أمرهم به على نزع الخافض أي لا يمتنعون من قبول الأمر يقلبون أهل
النار في النار ويدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين ألفا في النار

ولم يخلق الله فيهم الرحمة بل التعذيب عبادتهم فكل العابد يجب كثرة عبادته
ليكون مرضيا عند ربه فيلتزمون ما امرهم الله من غير مرحمة وشفقة ويفعلون
ما يؤمرون ويودون ما يؤمرون به من غير تمنّ قبل ولا توانٍ فاذا عرفت معنى هذا النص
القديم وفهمت مراد الله تعالى بامر العباد بصيانة انفسهم واهليهم من كونها وقود
النار فلا نجاة الا بشريعة الله تعالى وسنة رسوله وهو بالتعلم من العلماء والتمسك
من سنن الفضلاء وهم مرشد واهل الجنة كما ان اهل البدع مرشدي اهل
النار فلا يغررك تقلبهم في البلاد باحداث انواع البدع بين جهلة العباد
فكثرة اهل الضلالة لا تدل على كونهم على الحق بل على الوبال فالحذر من هذا النمط
الهالك وكن ما بالأذى الحق مستيقظا الخلاص مهجتك وسائلا لاعز درجة منجيك من الهالكين
وقد قال الامام فضيل بن عياض رح الزم طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين
واياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين وقال ابن مسعود رضي الله عنه انتم
في زمان خيركم المتسارع في الامور وسيأتي زمان بعدكم خيرهم في البدع من البدع
والشبهات اذ لا يجوز ان يقلد الانسان في دينه الا من هو معصوم وهو
صاحب الشريعة او من صاحبه بالخير وهم القرون الاولى والثانية
والثالثة الذي اقتضت حكمة الشارع ان يختص كل قرن منهم بفضيلة
فالقرن الاول خصهم الله تعالى بمزية لا سبيل لاحد ان يلحقهم فيها فانه تعالى
خصهم برؤيته نبيه بمشاهدة نزول القرآن عليه والهمهم حفظه بحيث
جمعوا جملة واحدة وحفظوه بان لا يترك حرف واحد منه ويشروه
لمن بعدهم فحفظوا احاديث نبيهم في صدورهم واثبتوها على ما ينبغي
فحصل لهم في اقامة الدين حظ وفير وضبط كثير لا يمكن الاحاطة به
مع المجاهدة بالكفرة الفجرة العندة هل هذه الا عناية الله تعالى وكرامته لهم
بحرمة نبيه ونشر آفة دينه فجزاهم الله خير الجزاء ثم عقبهم التابعون
فجمعوا ما كان من الاحاديث النبوية ومسائل الدينية وتلقون بالاحكام

بمعانيها والتفسير بمبانيها من منابع العلوم واصحاب الفهوم حتى يرتحل
احدهم في طلب معنى الحديث ومبانيه والمسئلة الواحدة ومعانيه مسيرة
شهر وشهرين وحفظوا امر الشريعة وكملوا احكم الطريقة المستقيمة
بكمال حفظ واتم ضبط فحصل لهم في اقامة هذا الدين المبين ايضا فضل كبير
وحظ وفير ثم عقبهم تابعو التابعين الذين ظهر فيهم العلماء المجتهدون
والفقهاء المستخرجون المرجوع اليهم في حوادث الازمان فوجدوا بالاستنباط
لها في القرآن والاحاديث النبوية والادلة المجملة بدلالة وامارة
وصراحة واشارة موافقة بمقتضاها ومطابقة بمباديها ومنتهاها
واستنبطوا منها احكاما كثيرة على مقتضى الاصول وعينوا وجوه الدلائل
والاصول وايسروها لمن بعدهم ولخصوها لمن عقبهم فانتظم حال الامة
الاحمدية واستقر مال سنة المحمدية فحصل اقامة الدين فكمل الله تعالى دينه
برسوله واصحابه واعوانه القرون الثلاثة فلما ارتحلوا من الدنيا الفانية
بما كسبت ايديهم الى العقبى الباقية فجاء من بعدهم بتعلق الارادة العلية
بوجود البرية من العلماء الجلية فتفحصوا من الآيات البينات الباهرة
والعلامات النيّرات الظاهرة مقتدا بالاجتهاد ومتبادلا
وسعه بالاستنباط والاعتياد فلم يجدوا اما فتشوا من المسائل الا وجدوا
اجتهاد من قبلهم على اكمل الحالات فلم يتيسر لهم الا ان يحفظوا من المجتهدات
كثرة اعينهم فلم يبق لهم الا الاتباع والتقليد بالقواعد والاستفادة
بالفوائد من العوائد ولم يظهر لهم فقه غير فقههم من الاحكام الثابتة
عنهم على مقتضى اصولهم مقبولا عند العلماء المتبحرين كما كان مرعوبا
عند الفضلاء والمتمسكين بادلة الثابتة الشرعية من النقلية والعقلية
نسمي العلماء المستنبطون فيها من القرن الرابع والخامس والمستخرجون
اجتهاد الاول اصحاب الترجيح ان قدروا على ترجيح احد الادلة على

بعد الاولين من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين
لانهم اهل الحق والقادرين
والقائلين بالحقية

على ادلة الاخرى في القوة والضعف والناسخ والمنسوخ وانواعها وان لم يقدروا
عليه فهم المقلدون لاحد من الائمة الاعلام فيلزم عليه ان يلتزم حول امامه
ومذهبه ويطمئن على اجتهاده لانهم من المتقنين الذين حفظوا انفسهم
من المؤمنين ويطلبون اجر من تبعهم الى يوم الدين وهم من اعلام العلماء العا
فحسن الظن فيهم واجب وان كانوا في البشرية كاحاد المسلمين لانهم لم يجوزوا
في الخطاء الصادر منهم بالنسبة الى غيرهم واما بالنسبة الى انفسهم فهم
معيب حتى يجب العمل عليهم على رأيهم لتقرره عندهم ولو اجرا واحدا فليسوا كسائر
المخلصين فيلزم على مقلد احدهم ان يعتقده ويقول ان ما قال امامي حق
واجتهاده احق بالاتباع وان احتمل الخطاء بالاضافة الى الغير وغيره خطاء
وان احتمل الحق فيجب على كل احد ان يختار امامه على غيره ويعتقد انه من اهل
الحق والسنة واهل الاصابة واصحاب الجماعة لا تحسن الظن واجب في المؤمنين
خاصة على العلماء وخاصة على المجتهدين كما ان سوء الظن حرام عليهم خاصة
على المجتهدين وخاصة على ايمائهم امامك منهم فانهم ورثة الانبياء وكلا لهم
فسوء الظن كغيره على الله وانبيائه واقرب اليه في وكلائهم فضلا على الحرم
صلوات الله تعالى على نبينا وعليهم ورضي الله تعالى عنهم اجمعين وتيسر ناستفاعتهم
اليقين فلذا انسد طريق باب الاجتهاد بعد القرون الثلاثة لتكثر الكذب
وتوفر الجهل في القرون الاربعة وان جاز الاجتهاد للعلماء الراسخين اليوم
التنا دخوفا عن شر السفهاء العليم اللسان وردوعا عن اجراء المبتدعين
الهالكين من الانسان فالتقليد بمجرد حسن الظن وانما يجوز لمن كان
مجتهدا عدلا لا لمن كان مقلدا عادلا وظالما فلا يجوز العمل بكل كتاب
صنف بعدهم الا ان يكون للاصول موافقة لاصولهم اذا غلب الكذب
والفسق في الناس الذين عدوا من الخواص بينهم ظاهرا وقد كانوا مستورين
الفسق مع الفسقة وذا الوجه في من شروط الاجتهاد العدالة والتقوى

حتى كان امينا في امانة الاجتهاد ومرجحا جانب الصدق والامانة بين
نوعي العباد حتى قال بعض الافاضل من علماء الاصوليين شروط مشايخ
الاسلام في الاجتهاد ثلاثة الكمال في دينهم والفضيلة في العلوم النقلية
والقدرة عليه على غيرهم والعدالة والصدق في قولهم واجتهادهم فاعلم ان من
قواعد الاصول قاعدة مقررة لا بد لكل مؤمن ان يعرفها وهي ان المسئلة الفقهية
الاعتقادية اذا نقلت ينبغي ان ينظر فيها فان كان ماخذها معلوما
مشهورا بالكتاب والسنة واجماع الامة فلا نزاع فيها لاحد لان الحق
حق بالقبول خصوصا عن الفحول وان لم يكن الماخذ معلوما بل كانت من الامور
الاجتهادية فان كان ناقلها مجتهدا يلزم على من كان مقلدا ان يتبع امامه ولا يلزم
على المقلد ان يطلب عنه دليلا لان كلام المجتهد انه هو دليل له وان لم يكن
ناقلها مجتهدا بل كان مقلدا فان نقلها من المجتهد واثبت نقله منه يلزم الاتباع
ثم فيها ايضا لظهور الحق وان لم ينقلها من المجتهد بل نقلها من قبل نفسه
وتقليد اخر واطلق فان بين فيها دليلا شرعيا موافقا لاصول الفقهاء المشهورة
المعتبرة ولم يوجد فيها الاختلاف يجوز العمل فيها بقوله مستدلا منه
منه الدليل على ما نقله وان لم يبين فيها دليلا لم يقل به احد فلا يلتفت
الى قوله اصلا اذ صرح في الاصول بان ما لا يعرف صحته لا يصح اتباعه
وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه لانه كان على هذا التقدير نظريا
يحتاج الى الاستدلال فلا يعتمد على القول المجرد لا اذا كان بديهيا فلا
كالشمس في السماء فصلوة الرغائب ونحوها على الهيئة المخصوصة من المبتدعات
المنكرات في العبادة المبتدعة وضع احاديثها وهيئتها ابن جهم خروي
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما اخبر ان الجماعة الذين كانوا يجلسون
بعد المغرب وفيهم رجل يقول كبروا الله كذا وسبحوا الله كذا وكذا واحمدوا الله
كذا وكذا فيفعلون فحضر عبد الله بن مسعود رض حين اخبر عندهم فلما سمع

بيان القواعد الكلية الاصوليين لمن اشتبه في المسئلة المنقولة

قوله على الهيئة المخصوصة فالمقيد احترازا بذلك اذ لا باس في صلوة النوافل على راسها اتمما شهر كان وليلة لا بد و ان لم يكن علما منهم الكلام

ما يقولون قام من بينهم فقال انا عبد الله بن مسعود رض فوالله الذي لا اله غيره لقد جئتم ببدعة ظلماء او لقد فقتم على اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم علما اي ما جئتم به اما ان يكون بدعة ظلماء او انكم لو فقتم على الصحابة وتداركتم ما فاتهم لعدم تنبههم له او لتكاسلهم عنه فغلبتموهم من حيث العلم والعمل بطريق العبادة على زعمكم ايها المبتدعون فهذا التهكم والانتهار من هذا الفاضل من فضلاء الاصحاب يشعر انه بدعة من حيث الهيئة المخصوصة في الذكر لما مر مع التغنيات فضلا عن بدعة العبادة البدنية المحضة بصفة لم يعرفها احد من الاصحاب العظام ولم يرووا ما رووه فيها في قواعد اصول العلماء من اهل السنة اذا تردد في شيء انه من السنة او من البدعة فتركه اولى لا لزم من فعله لاحتمال مع ان صاحب البدعة اشد عذابا وضررا من صاحب المعصية لان الثاني يعرف ارتكابه فيضعف ويرجى توبته بخلاف الاول فانه يعتقد انها عبادة فيصر ويدوم فلا يتوب ولا يستغفر فان قلت ان الحديث الذي شاع بين الناس من قول ابن مسعود رض وهو قوله ما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المؤمنون قبيحا فهو عند الله قبيح فهل يصح هذا الاستدلال عنهم قلنا ذكر بعض المحدثين من الفضلاء ان هذا الاستدلال لا يصح منهم والحديث دليل عليهم لا لهم لان بعض الحديث موقوف على ابن مسعود رواه احمد بن حنبل والبزار والطبراني وابو نعيم هكذا ان الله تعالى نظر الى قلوب العباد فاختار محمدا فبعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد فاختار له اصحابا فجعلهم انصار دينه ووزراء نبيه فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح ولا شك ان اللام في قوله المسلمون اما للعهد كالاصحاب او لاستغراق خصايص الجنس كالمجتهدين الذين هم الكاملون في صنعة الاجتهاد والديانة صرفا للمطلق الى الكمال لان المطلق عند عدم القرينة ينصرف

الى الكم

قوله لقد فقتم بضم الفاء وسكون القاف من فاق يفوق كتبتم من تاب يتوب فاصله افوقتم كا بعير فاعل بما اعل قل فهو امر حاضر جمع مذكر كا قلتم فصار فقتم اي تمكنتم اعلى علما على اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم

الى الكامل وهو المجتهد فيكون المعنى ما رآه الصحابة واهل الاجتهاد حسنا فهو عند الله حسن وما رآه الصحابة واهل الاجتهاد من ائمة اهل السنة والجماعة كالائمة الاربعة الكاملة قبيحا فهو عند الله قبيح واما الذي ادعى الاجتهاد فهو ان كان من القرون المشهودة لهم بالخير والاصابة فاجتهاده موافق للحق بالاتباع واما ان كان من القوم الذين ضل سعيهم في الدارين فاجتهاده مخالف باطل كالرافضي واهل الاعتزال والقدرية والجبرية وهم الكذابون المفترون والى الضلالة مائلون خاصة من غلاتهم كالامامية العلوية الذين يبغضون الشيخين ويفترون عليهما انواع الكذبات والمفتريات فعليهم غضب الله في الدارين خاصة منهم الطوسي الحقير لظهوره اثر نطق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما روي عن عمران بن حصين انه قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم خير القرون قرني الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب فلا تعتمدوا اقوالهم وافعالهم رواه البخاري ومثله قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تجتمع امتي على الضلالة فان المراد بالامة اهل الاجتماع على الهدى من ائمة المجتهدين الذين ليس فيهم فسق ولا ضلالة ولا بدعة اصلا لان الفسق يورث التهمة ويزيل العدالة وهم العادلون وصاحب البدع يدعو الناس الى الضلالة ولا يكون في الامة الامينة المعتمدة مع ان اضافة الامة الى ياء المتكلم للعهدي الذي يجري كما في اللام من المعاني الاربعة كما في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم امتي من استن بسنتي كذا في شرح المصابيح قال صاحب مجمع البحرين في شرحه ان رجلا يوم العيد في الجبانة اراد ان يصلي قبل صلوة العيد فنهاه علي بن ابي طالب رض فقال الرجل اني اعلم ان الله تعالى لا يعذب على الصلوة فقال علي بن ابي طالب رض واني اعلم ان الله تعالى لا يثيب على فعل حتى يفعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويحث عليه فيكون صلوتك عبثا والعبث حرام فلعله تعالى يعذبك به ومخالفتك رسوله فصلوة الرغائب وامثالها مترددة بين السنة والبدعة فيتعين تركها ولا يحل لاحد فعلها لا نفرق

ولا جماعة فان الجماعة بدعة ايضا فى هذه الصورة الغير الصادرة عن خير القرون
والذين يلونه ثم الذين ومايرى فيهما من زمن افشاء الكذب وهم اهل البدعة
والضلالة وبما اتفقوا من الفقهاء ان التطوع على سبيل التداعى مكروه
واما لو اقتدى الى ثلثة من غير التداعى فمختلف فيها وفى الاربعة يكره بالاتفاق
سواء كان على سبيل التداعى ام لا سوى الامام البرهانى فانه جوزه على الاطلاق
وفى الاربعة فى غير التداعى وقد ثبت فى اصول العلماء من اهل السنة ان الاداء
بالجماعة فيما شرعت فيه الجماعة كالمكتوبات والجمعة والعيدين والتراويح
والوتر فى رمضان اداء كامل وفى غيرها عيب ونقصان بمنزلة الاصبع
الزائدة وتلك الصلوة المبتدعة على هذه الصورة ليست منها فتكون
الجماعة فيها عيبا ونقصانا ولو بعد النذر لان النذر فى التنفل بالجماعة مكروه
ومعصية فالنذر بالمعصية لا يجوز ولا يلزم الوفاء لما روى الامام البخارى
عن عايشة الصديقة رضى الله تعالى عنها وعن ابيها انها قالت قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من نذر ان يطيع الله تعالى فليطعه ومن نذر ان يعصى الله
فلا يعصيه فهذا الحديث يدل على ان النذر انما يجب الوفاء به اذا كان فى طاعة الله
تعالى والمراد فى طاعة الله فى الحديث ما ليس بواجب ولا معصية والنذر ايجاب
المباح الشرعى عليه فلا ينعقد فى الواجب ولا فى المعصية بل اذا وقع فيها
يحرم الوفاء به ويلزم الكفارة كما فى اليمين لان حكمه حكم اليمين عند كثير
من العلماء المجتهدين منهم ابو حنيفة واصحابه رحمهم بدليل ما روى عن عايشة
رضيها انها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من نذر نذرا فى معصية
فكفارته كفارة يمين وكذا روى مثله عن ابن عباس رضيهما فان قلت
صلوة التسبيح ثابتة بالحديث الصحيح فهل يجوز اداؤها بالجماعة بعد النذر
فى هذه الليلة فالجواب من عند العلماء المجتهدين على الاصح لا لان الجماعة
فى النوافل مكروهة كراهة تحريم لكونها بدعة لدينية المحضة فالنذر

فيها مكروه ايضا مثله فلا يجوز ارتكابه لا سيما مع وجود تخصيص الوقت لانه
نهى عنها لقوله لا تختصوا ليلة الجمعة بصيام من بين الايام رواه ابو هريرة
فيجب اتباع الحق على الحق وان لم يدركوا ما فيه من المصالح الخيرية ويجب
الاحتراز عن البدع والمحدثات وان لم يفهموا ما فيهما من المفاسد الشريرة لان
كل بدعة تجذب صاحبها الى النار كما ان الثوابت بالاحاديث الصحيحة فى الاذ
ربة العلية تجذبه الى دار المقام من الديار فعلم من هذا التقرير ان اكثر النوافل
نكرها بالتخصيص فنشاء منه الفساد العظيم فان الله تعالى خصص ما خصصه
من المكتوبات الموقتة والواجبات المعينة واطلق النوافل والمجاهدة
فيها كيف ما يشاء ليظهر قدر العبد وليعترف ما فعله بالنسبة الى امتثاله
فمن اراد ان يعرف قدره واعتباره عند الله تعالى فلينظر ما قدمت لغد وكيف اعتبر
امر الله تعالى وتعظيمه وعبوديته لان الدنيا مزرعة الاخرة فمن زرع
حصد فكل نفس بما كسبت رهينة اذ التخصيص لا ينبعث الا عن الاعتقاد
بانه انما الموافقة اهل الدنيا اينالا بما عندهم او لخوف اللوم او اتباع
العادة ونحو ذلك فالكل يشتمل المفاسد من الرياء والبدع وارتكاب
المراسيم بتيقنه انه غير مشروع فى الدين المحمدية والسير الاحمدية فيكون
فاسقا ان لم يعتقد ومبتدعا ان اعتقد فعلى كلا التقديرين يكون فاسقا
ظالما او مبتدعا باطلا فان الله لا يحب الظالمين وللفاسقين المبتدعين
يكون مشاقا لله العلى وللرسول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاستحسانه
ما كرهه صاحب الشريعة ونهى عنه وهو الاحداث فى الدين والزيادة
لما روى عن ابى هريرة رضه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
كل امتى يدخلون الجنة الا من ابى قيل ومن ابى قال من اطاعنى دخل الجنة
ومن عصانى فقد ابى رواه البخارى قوله من اطاعنى ان تمسك بسنتى
وعمل بشرعى يدخل الجنة بمقتضى الوعد ومن ابى بعد ما امن بى وامتنع

عن التمسك واتبع هواه وابتدع في الشريعة ما يخلّها او يغيّرها ولا يرضى صاحبها بها خاصة مع اعتقاد فاسد يناقض اهل السنة لا يدخل الجنة دخولا اوليا ان لم يكفر باعتقاده او لا يدخل ابدا ان كفر فنعوذ بالله من شرور انفسنا وروى عن جابر رضه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه كانه منذر جيش يقول صبّحكم ومسّاكم ويقول بعثت انا والساعة كهاتين ويفرق بين اصبعيه السبابة والوسطى ويقول اما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد عليه الصلاة والسلام وشر الامور محدثاتها وكل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة رواه مسلم رح في صحيحه قوله وشر الامور محدثاتها اى الزيادة في الشريعة بعد تكميل الله تعالى بقوله اليوم اكملت لكم وتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فالبدعة هي الزائدة في الدين وهي ضلالة وخذلان فكل من كان ضالا ومضلا ومخذولا فهو في النار كما بيناه وروى عن ابي سعيد الخدري رضه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من اكل طيبا وعمل في سنة وامن الناس بوائقه دخل الجنة قالوا يا رسول الله ان هذا في امتك اليوم كثير قال وسيكون في قوم بعدي رواه الحاكم في المستدرك فان قلت قد وجد التلاوة والاذكار والاخلاص قال العلماء من المجتهدين المبتدعة من الصلوة وغيرها بدعة لا ريب فيها ومعصية عند الله ورسوله واختلاط التلاوة والقراءة والاذكار وغيرها من قبيل خلط العبادة بالمعصية والمنهى عنه فهو معصية كبيرة شديدة من الاولى لان الذكر والتلاوة وغيرهما حقها ان يعظم شانها ويحترم حق الاحترام لما لها فهو في الحقيقة تعظيم لصاحبها وهو الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فالاكرام والتعظيم فرض وواجب على كل من امن بشريعتهما والبدعة ومحلها مكروهة وفاسدة ومفسدة في بعض الامكنة كما يجب الاحتراز عنها يجب

فهل

العبادة فهل يجوز في المحل النجس العبادة والتلاوة والاذكار ولا يجوز ادّ سورة وسعى فهذا المحل نجس معنى كالخلاء في عدم جواز مثالها لا ريب ولا شك فيه عند من كان ذوى العقول بادى العاقل وترك الفرض والواجب من التعظيم والتكريم لا يجوز بل منهى عنه فاستحلاله خطر عظيم يخاف عليه من الكفر لما يجب توقيره وتعظيمه روى عن عبد الله بن عمرو رضه انه قال قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليأتين على امتي كما اتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من اتى امه علانية ان كان في امتي من يصنع ذلك وان بني اسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة وتفرق امتي على ثلثة وسبعين ملة كلهم في النار الا واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال ما انا عليه واصحابي رواه الامام الترمذي وروى عن انس رضه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لي يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال يا بني وذلك من سنتي ومن احب سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة رواه الترمذي وروى عن انس بن مالك رضه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من رغب عن سنتي فليس مني رواه مسلم رح قوله فليس مني ان كان عن انكار واستحقار واستنكاف لان السنة ما ثبت بالدليل القطعي من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كالفرض من دليل الله تعالى بخلاف الواجب فانه من الادلة المحتملة بالمعاني المختلفة فلذا لم يكفر منكره ولكن يستحق العذاب لتركه لا احتمال وان كان اعراضه عن تكاسل فلا يكفر فعلى هذا الاحتمال معناه فليس من عامل سنتي ومستحق شفاعتي فانه فاسق وليس بكافر فيجب على كل مؤمن ان يجتنب عن البدعات التي ظهرت في شريعة الله تعالى ويعرف موافقة عمله فيها بنفسه ان قدر او بالسؤال عمن اقتدر من العلماء المخلصين ولا يستنكف عنه ويطلع الكتب اللغة ويترك البدعة الباطلة فالبدعة المشهورة عشرة الاول

بحث البدع المشهورة وهي عشرة على ما انفصل

ن

التلاوة بالاجرة سيما بالنقود الموقوفة بالتلاوة والذكر والدعاء والتسبيح
والصلوة ومنه التلاوة وامثالها الجر للمال والثاني طعام الميت وايقاد
الشموع في المقابر والجهر بالذكر امام الجنازة والعروس والحاج ونحوها
والبناء على القبر وتزيينه والبيتوتة عنده بلا احتياج والثالث الجماعة
في النفل وتدخل فيه صلوة الرغائب والبرات والقدر وصلوة التسبيح
والرابع ترك تعديل الاركان للسرعة والنقر كنقر الغراب والخامس
مسابقة الامام ومخالفته فيما اقتداه والسادس عدم تسوية الصفوف
في الصلوة حيث يتولد منه النفاق والشقاق فيبقى الامور اللازمة
معطلة كالاتفاق على الجهاد والجماعة في الصلوة الخمسة وما اشبهها
مما يلزم فيه الاتفاق ويحصل به الامور العظام بالوفاق ففات وجوده
بالمخالفة والنفاق الحاصلة من عدم تسوية صفوف الصلوة على ما صرح
في المفصلات والسابع التغني في التلاوة والاذكار سيما الغناء في الذكر
والرقص والاضطراب بانواع الالحان والنغمات والثامن التصلية والترضية
ونحوهما عند الخطبة التي يجب السكوت فيها عند الامام الاعظم والتاسع
التصدق على المسرف والسائل في المسجد واللاعب واتخاذ الطعام للرقص
والتغني وللشهرة وللرياء والسمعة والعاشر اجتماع النساء وتوحيدهن
بالجهر مع ان استماع اصواتهن من الحرام وخلوتهن في بيت الاجنبي وخروجهن
للتهنية والعيادة والتعزية والزيارة للقبور والدعوة للاجنبي وقراءتهن
مولود النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالجهر بحيث يسمع الرجال من خارج
على ما ذكرت في المطولات كالطريقة المحمدية وشروحه وانما بسطت
المباحث في البدع الظاهرة بالادلة المزيلة من الاصول والفروع ومن اقوال
الائمة المقبولة من العلماء والمجتهدين من الفحول ليعتمدوا ويجتنبوا عن اقوال
المزخرفة من المفتيين الماجنين والمبتدعين المتنسكين الكاذبين خاصة

اذا كان

اذا كان متصورا بصورة العلماء ومتلونا بصبغة الزهداء وهم شياطين
الانس اشد ضررا من شيطان الجن فواحد منه اذا دخل في البلدة التي كان
اهلها جاهلين ولم يوجد فيهم من علماء الدين فيفتح تلك البلدة في اقل الزمان
عنوة من غير ضرب وحرب اسهل من فتح قرال الكفار اللعين واتبعهم
بالوهم ولادهم لحوا ناراعيدا ولعينا ومريدا مريدا اللهم اجعلنا من اهل
السنة والجماعة وامتنا على السنة السنية واحفظنا من سوء القرين في العقائد
والاعمال من الشيطان اللعين وادمنا على الصراط المستقيم صراط الذين
انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والمتقين
والعابدين الزاهدين ذلك الفضل من الله وهو يجيب الدعوات من الداعين
المخلصين والحمد لله رب العالمين الفصل الثامن في ليلة المعراج وفضلها
اختلف العلماء في وقتها بعد البعثة وقبل الهجرة النبوية بسنة فقال
بعضهم في شهر رمضان ليلة سبع وعشرين من لياليها وقيل في شهر شوال
في تلك الليلة منها وقيل في شهر ربيع الاول في تلك الليلة منها وقيل في شهر
ربيع الاخر في تلك الليلة منها واصح الاقوال انه وقع في شهر رجب ليلة
سبع وعشرين لما روى ابن الجوزي من كبار حفاظ الحديث في كتابه
المسمى بالتبصرة عن ابي هريرة رضي مرفوعا وموقوفا انه قال من صام يوم سبع
وعشرين في رجب كتب الله له صيام ستين شهرا رواه ابن الجوزي في
التبصرة ويؤيده ما روى عن مكحول الشامي رضي مرفوعا انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان في رجب ليلة اجر العامل فيها كعبادة الف سنة
وهي سبعة وعشرون من رجب وهي ليلة اسرى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
الى المعراج كذا في حيوة القلوب وحديث الاسراء ثابت بالاحاديث الصحيحة
والايات البينات عند كرام الاصحاب وعظام العلماء من المجتهدين
رضي الله عنهم جماعة منهم علي بن ابي طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود

من كبار الصحابة رضي الله عنهم صح

وجابر بن عبد الله وابو هريرة وابو سعيد الخدري وابي بن كعب وحذيفة بن اليمان وام هاني اخت علي رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فكلهم قالوا انه صلى الله تعالى عليه وسلم بنفسه الى السموات حتى انتهى الى قاب قوسين او ادنى بدليل سورة لم ترج وبدليل قوله تعالى لتركبن طبقا عن طبق قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه من طبق سماء الدنيا الى السابعة والى فوقها ومن هذا تبين وظهر ضعف قول من قال فانكار المعراج من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى كفر وانكار ما بعده ابتداع لا كفر لعدم النص القاطع من الايات فهذا القول مرجوح لان قوله تعالى لتركبن طبقا عن طبق معناه ما قاله ابن عباس سلطان المفسرين فالركوب عبارة عن العروج اذ المراد منه ما يلزمه وهو قطع المسافة والوصول الى المطلب الاعلى والمقصد الاقصى وفيه مجاز اولى من التجوزات وعدد المعراج على ما بينه ابو نعيم من الحفاظ المعدودة من الروايات المقبولة عندهم في كتابه التخريج اربعة وثلثون معراجا فواحد منها جسماني في اليقظة وهي هذه المحاجة الضيقة في قلوب المشركين المعاندين والمقايسين الغافلين عن عظمة الله وقوته وقد تترددت المستبعدة عروج السموات والعرش والكرسي في اذن الوقت من الليلة محاقة تطبيق قدرة المخلوق الى قدرة الخالق وتوفيق حال القديم الى حال الحادث العاجز في كل الانشاء والابداع مع عدم التفكر في كيفية رفع السموات وما فوقها بغير عمد فوقهم وكيفية بسط الارضين بغير اعتماد على الشيء وكيفية طيران الطيور في جو السماء وما يمسكها ويقبضها الا الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة القادر على كل شيء خالق الموجودات والسموات وما بينهما وما فوقها وخالق الارضين وما تحتها وفوقها وهو المبدئ والمعيد والمحيي والمميت وحده لا شريك له ولا نظير له ولا ضد له في حكمه ولا ند له في تدبيره في ملكه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ليس كمثله شيء كل شيء هالك

الا وجهه

كما قال شارح الفقه الاكبر المشهور بالملا القاري منه

الا وجهه الكريم وذاته العظيم العليم وهو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو اللطيف الخبير لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فسبحان الذي اذا اراد ان يقول له كن فيكون موجودا بديع كل شيء عنده معدوم فاذا ثبت بالنص عروج السموات بهذه الاية القديمة فما معنى عدم النص القاطع وما هذا الا غفلة ولا يخاف عليه من الانكار وبدليل الحديث الطويل من رواية الامام البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لما كذبني قريش قمت في الحجر الاسمعيل فجلى الله لي ورفع في مقابلتي بيت المقدس فطفقت اخبرهم عن اياته وانا انظر اليه وقال البخاري رح حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن انس بن مالك عن مالك بن صعصعة ان نبي الله حدثهم عن ليلة اسري بي بينما انا في الحطيم وربما قال في الحجر الاسمعيل مضطجعا اذ اتاني ات فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه الى اخر الحديث الطويل الذي في صحيح البخاري فاول من صدق في المعراج ابو بكر الصديق رض فمن صدق فامامه ابو بكر الصديق رض فيحشر في لوائه يوم القيمة واول من كذبه فابو جهل اللعين فمن انكره فامامه هو ويحشر معه في النار التي هو معه فيها وقال بعض العلماء في المعراج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خمس مراكب الاول البراق من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى والثاني المعراج كالسلم الى سطح البيت وهو آلة العروج من النور او من اللؤلؤ او من الذهب او من الفضة على اختلاف الروايات من رواة الاحاديث والثالث اجنحة الملئكة من سماء الدنيا الى السابعة من عظمائهم وكرمائهم عليهم والرابع اجنحة جبرائيل الى السدرة المنتهى والخامس الرفرف وهو بساط اخضر قد سد ما بين الافقين الى قاب قوسين او ادنى كذا في كتاب قصص الانبياء لنور الدين الفاضل القرماني رح ثم الدليل القاطع عليه قوله تعالى سبحان الذي وهذا التنزيه لمبالغة المبالغة من الوجوه

بديع كل شيء

المدلة التي وجدت فيها معنى اللغة مع الاصطلاح اذ العام لا يوجد الا
في ضمن الخاص من الوجوه المدلة التنزيه البليغ من جهة الاشتقاق من
التسبيح وهو قعر الارض وابعاده فيها وليس وراءه مرمى فلذا قال بعض المفسرين
فلفظ سبحان كلمة دالة على التنزيه البليغ بحيث لا يوجد فيه التناقض
من كل قبيح من الاضداد كبلغ وبليغ وسبح وسبّح في مبالغة المبالغة
فلذا يلزمه الاضافة الى اسماء الله او الضمير الراجع اليه كسبحان الله وسبحان
ربي الاعلى وسبحانك فكان المضاف اليه ذاته واسمائه الاعلى من النزهات
بابلغ الوجوه ومنها التنزيه البليغ من جهة النقل الى التفعيل والتكثير في المبالغة
الذاتية اذ هو علم مصدره وهو التسبيح فاصله التسبيح من سبّح وانما ذكر اسمه
وعلمه دونه لوصف الله تعالى ذاته وصفاته بالبراءة من كل عيب ونقص الذاته
المبالغة منزلة فعله خاصة يضيفه الاعداء من المشركين بوسيلة الاسراء
وتعجبوا من الامر الذي حصل من السير الاعلى فكان قاب قوسين او ادنى بجهة
المعنى لا من جهة المبنى اذ لم يجئ من بنائه فعل مع مصدره مع ما فيه من
التعجب والغرابة ويؤيده ما قال ابو حيان في صحيحه في سبب نزولها ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم لما ذكر حديث الاسراء كذبوه للتعجب من الامر في بعض
الليل مع انه لو وقع من اول الليل الى الصباح من السنة الى آخرها لم يصدقوه
فضلا عن بعض لقياسهم فعل الله تعالى افعال العباد وتعنتهم حسدا
لما آتيه الله تعالى رسوله كما بيّنه الله قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم المراد الحسد دونه فانزل الله تعالى سبحان الذي اسرى
بعبده سير رسوله محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم والاسراء اسم سير الليل خاصة
فقوله ليلا تاكيد لقطع مجاز السير خفية كما ان قوله تعالى يطير بجناحيه
بعد قوله ولا طائر لقطع مجاز السير السريع والتنوين للتنكير للتقليل مدة
الاسراء فانه كما يدل على البعضية في الافراد يدل على البعضية في الاجزاء

قوله ابو حيان بفتح الحاء المهملة وتشديد الياء من حفاظ المحدثين صاحب الصحيح وهذا ابن حبان بكسر الحاء المهملة والتشديد

فدل

فدل على ذلك قول الشيخ عبد القاهر من العلماء البيانيين في دلائل الاعجاز
ان التنكير في حيوة في قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة للدلالة على التنكير
على ان لك الحيوة بعض حيوة المهموم بقتله والثاني هو المراد تشهد لذلك قراءة
من الليل اي بعضه هو جزء من اجزائه وهذا الاسراء كان جسمانيا فلذلك كذب
قريش لاستبعادهم به بالقياس الى انفسهم الجبنية وحالاتهم القليلة وفي
عبارة العبد اشارة الى ذلك ورواية عائشة الصديقة محمولة على انواع المعراج
لا الحقيقة عدد المعراج على ما اخرجه ابو نعيم الحافظ في تخريجه اربعة وثلثون
مرة واحدة منها جسمانية في اليقظة وهي هذه وثلثة وثلثون منها
بالروحانية فلذلك اختلف الروايات يقتضي بعضها جسمانيا وبعضها يقتضي
كونها روحانيا خاصة ما روته عائشة الصديقة ام المؤمنين رضها بقولها
ما فقدت رسول الله صلى الله عليه من فراشه وامثاله فهذه الرواية الجسمانية
وقعت في مكة قبل سنة من الهجرة فعائشة الصديقة رضها بنت صغيرة
عند ابيه ابي بكر الصديق رض ولم يتزوجها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بعد فلما هاجر الى المدينة تزوجها فكيف يصح رواية الجسمانية وانما صادفت
رواية الروحانية في المدينة حين التزوج في امثاله الباقية من المعارج
الروحانية هكذا صرح حفاظ المحدثين خاصة ابو نعيم في تخريجه وكذا
صرح القاضي عياض في الشفاء من المسجد الحرام اي من الحرم لعينه او من
الحرم كلها وسمى بالاحاطة بالمسجد ولانه حرم الله تعالى فيه ما يحل فعله
في سائر الامكنة كقطع الاشجار وصيد الحيوانات واجراء القصاص والحدود
وغيرها مما يصرحها الفقهاء في كتبهم قال ابن عباس رض الحرم كله مسجد اراد
انه سير من مسجد مكة بعينه او من الحرم كلها فالى الاول ذهب الحسن وقتادة
والى الثاني عامة المفسرين بقولهم اسري رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من دار ام هاني اخت علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي رضهما

بيان عدد المعراج والاختلاف فيما يطلق عليه المعراج

ومكة والحرم كلها مسجد وقد روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انا في المسجد الحرام في الحجر الاسمعيل او من دار امهاني اخت علي رضي بنت ابي طالب رضيهما بين النائم واليقظان اذ اتاني جبرائيل بالبراق فذكر حديث الاسراء قوله الاسراء اصله اسرايا من باب المفاعلة فقلبت الياء همزة كما هي قاعدة في علم الاشتقاق في الواو والياء من الناقص كسريا ودعوو كقي وعلو كلها تقلب همزة في المصدر سواء استعملت في المجرد والمزيد كالاكتفاء والادعاء والعلاء والاستعلاء وكذا ما يماثله من الاصول والفروع الى المسجد الاقصى بيت المقدس وانما سمي به لانه ابعد مسيرة اربعين يوما من المسجد الحرام اذ لم يكن وراءه مسجد يعبد الله فيه الذي باركنا حوله اي كثرنا فيه انواع الثمار واجرينا الانهار وجعلناه مقر الانبياء الكرام والصالحين العظام ومهبط الملئكة المقربين الفخام ومنه يحشر الناس يوم القيمة والالتفات من الغيبة الى المتكلم لتعظيم البركات والايات والمراد بالحول البلدان التي اطرافه من دمشق واردن وفلسطين وغيرها وفيه ايماء ان هذه البلدان مباركة مملوة بالبركات في كل الاشياء دنيويا كان او اخرويا من الكسب والتجارات والعبادات والطاعات والكرامات والسعادات وانما سيرنا عبدي وسندنا صفيا اي محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم في اقل الزمان سير عجايب الملكوت وغرايب الفلكوت وسر الجبروت لنريه اي عبده محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم من اياتنا اي من علامات العجيبة قدرتنا الجلية وعنايتنا القديمة الدالة على اسرار الوحدانية في تلك الليلة المباركة في السموات العاليات والجنان الوالية وتمثيل الانبياء العظام على صورتهم والوقوف على مقام الكرام على كراماتهم وسرعة سير البراق وقطع مسيرة شهر في برهة من الزمان في الافاق ليتقوى قلبه ويترك الروع حين التبليغ عن تخويف قومه وهكذا وقع المعراج

في جميع

في جميع الانبياء صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم اذ الاخبار مع المعاينة ابعد من المغايبة لحصول هيئة للموجودات على ما هي عليه من الاشكال النورية في قلوبهم المجوهرة بالمعارف الالهية والاسرار الربانية التي لا يتيسر الا للانبياء المرسلة وليس الخبر كالمعاينة فامورهم من التبليغ اصعب المصاعب خصوصا على الكفرة العنيدة والفجرة الشديدة فايدهم الله تعالى القدرة الالهية والجسارة الاعلى حتى يبلغوا اوامر الله تعالى على ما امرهم واتيهم من المعجزات العلية والكرامات الجلية وصدور الاشياء المنكرة فيغلبون عليهم كما اوتي موسى صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه العصا بانواع المعجزات العظيمة واوتي عيسى عليه السلام الاحياء والابراء بانواع المرضى والاكمه والابرص واوتي نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم معجزات جميع الانبياء من ابي البشر آدم الى نبينا صلوات الله تعالى وسلامه على نبينا وعليهم اجمعين مع الزيادة عليهم بثلاثمائة الوف والزيادة عليها على ما صرح حفاظ الاحاديث على ما سيجيء فغلب على قوم الاشداء على الشرك والكفر والضلالة فحاربهم محاربة كثيرة وضاربهم مقاومة وفيرة فايدهم الله بالقوة القدسية والقدرة الانسية الالهية فامن من كان سعيدا في العناية الازلية بصرف الارادة الجزئية وكفر من كان شقيا في الارادة الابدية بترك الاختيار السببية فغلبوا جميعا ونصروا طرا وتجزوا بوعد الله تعالى لهم بقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم اي هلاكا وخيبة في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالاحتراق في النار من تعس اذا عثر وسقط واضل اعمالهم فتفكر خاصة في رسولنا ونبينا وحبيبنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم انه امر بمحاربة الكفار الشديدة ومجادلة الفجار العنيدة بالسيف القاطع والحديد القاطع فكيف هو من الجسارة من بينهم وانما اوتي السيف اليه دولة عزم وكيف هو من اشد

البلاء من المحاربة فظهر سر قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اشد البلاء على الانبياء
ثم على الاولياء ثم الامثل فالامثل رواه ائمة الستة وظهر سر قوله
صلى الله تعالى عليه وسلم يبتلى العبد على حسب دينه كذا رواه الحافظ الامام الترمذى
فى سننه وقال الشراح ان كان دينه اقوى فبلاؤه اقوى على جسده وان كان دينه
اوسط فبلاء المؤمن اوسط وان ادنى فادنى وان لم يكن له دين وتقوى لم يكن له
بلاء لسد رجا فان الدنيا جنته فلا حظ له فى الاخرة الا اخذ حظه فى الدنيا
كما هو حال الكفرة الفجرة ثم كما ان الدنيا سجن المؤمن المتقى المتفكر
حالا له وحال عباده فلا راحة فيه انما راحته فى الجنة الموعودة له بقوله
تعالى فى سورة آل عمران وسارعوا الى مغفرة من ربكم اى اسباب المغفرة من الطاعة والامتثال
بالاوامر كما امروا والانتهاء عما نهى ونهوا من الصوم والصلوة والحج والزكوة
والشهادة وترك المعاصى المانعة بالدخول الا بعد التوبة النصوح من الجناية
والكذب واخذ الرشوة واللعب والزنا والقتل والحسد والبغى والكفر
والبدعة الضلالة وانواع المعاصى ثم التحلى بالاعمال الحسنة والتخلى
عن الافعال السيئة المانعة بدخول الاولين الا بالعفو والشفاعة او بالاحراق
فى النار بين اهالى الشقاوة مقدار ذنوبهم ولو ذرة فهى مانعة لدخوله
معها لانها دار طاهرة لا يدخلها الا طاهر فلو نظرت الى اهلها لم توجد
فيهم ذرة من العيوب فكلهم طاهرون عنها اما بالعفو والمغفرة او بالشفاعة
او لنهاية الاحتراق بين اهل الشقاوة حتى تستعد الى الجنة فكيف تقصد
العروج بغير جناح او سلم فكذا دخول اصحاب المعاصى ولو ذرة وجنة
بالنسبة الى المتكاسل العاصى
عرضها السموات والارض مبتداء او خبر فى محل الجر على انه صفة جنة اى
عرضها مثل عرضهما وانما خص العرض بالذكر لانه اقل من الطول فما بال
المراد وصفها بالسعة فقيل كل جنة من الجنان عرضها كعرض السموات
والارض لو وصل بعضهم ببعض فهذا حث على اجتناب المحرمات والشرع

باعمال

باعمال الحسنات قبل فوت الاوقات التى هى رؤس اموال التجارات كما كان الاحوال
بين اهل الدنيا من اهل التجارات وكذا الحال فى اهل السعادات اعدت اى
هيئت نعمها ودرجاتها وحورانها وغلمانها واطعمتها والبستها من الخلعة الوافرة
والتيجان المنورة الفاخرة نزلا من غفور رحيم للمتقين الكاملين ولملوك
العالمين العالين الى الذروة الاعلى وقال الله تعالى فى سورة آل عمران ايضا
واتقوا النار التى هى الموقدة وتطلع على الافئدة وانها عليهم مؤصدة فى عمد
ممددة اعدت اى هيئت وخلقت ونزلت مع الخدمة وطعمتها من شجرة
زقوم ومن ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع واشربتها من حميم وغساق
وزبانيتها غلاظ شداد لا يرحمون لاهلها ولا يشفقون وعباد تهن
تشديد العذاب لهم ويتقربون الى الله تعالى بالتعذيب وهو عين العبادة لهم
كالمرهودين فلا يعصون الله ما امرهم بالترك والتخفيف والمرحمة عليهم
ويفعلون ما يؤمرون فان التعذيب المامور عندهم كالصلوة والحج والزكوة
وكلمة الشهادة عند الانبياء والاولياء كما يتقربون فالكل من الملئكة
مامورون بنوع منه فكذا انهم مامورون بالتعذيب وهو عبادتهم فلو تركت
العبادة المامورة ليعصى المامور لترك العبادة المامورة فكذا التعذيب
والتشديد عبادة فى حقهم فلا يعصون بما امر الله لهم ويحفظون ما يؤمرون
زيادة فيعتبرون به كما يعتبر الزهاد والوراع فى زيادة زهدهم وتقواهم
ويؤيد قولنا قوله تعالى فى آية اخرى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون للكافرين بالله واياته ورسله وكتبه واليوم الاخر والقدر
والبعث بعد الموت وقال بعض المفسرين فى معنى هذه الاية اتقوا العمل الذى
ينزع به الايمان عند الموت فيستحقون به الخلود فى النار كالكفار وقد جاء
فى ذلك آثار كثيرة منها قصة ثعلبة وروى ابو بكر الوراق عن ابى حنيفه
رح انه قال اكثر ما ينزع الايمان به ونزعها انزعا ظلم العباد كذا فى تفسير

شهاب الدين السيواسي الشهير بعيون القاسيون قطهر سر صلحاء العلماء الاكرمين كيف حالهم من الاعداء من الافك والافتراء وصفاوهم من الاحباء فالثاني بالنسبة الى الاول كالعدم في القلة فهذه الشجاعة منهم ليس الا من المعاينة في المعراج وايتاء القوة القدسية والقدرة الانسية منه تعالى مصداق قوله تعالى لنريه من آياتنا اي ان الله تعالى هو السميع بلا آلة اذن اقوال عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقومه بما اريناه الآيات الكبرى والعلامات العظمى واقوال اهل مكة من المجادلة البلوى البصير افعال عباده بلا آلة البصر حيث دل عليه الحصر فبداء الله تعالى بعبادة التنزيه بقوله سبحان وختم بحصر الاشارة بالسميع والبصير بالتاكيد والتحقيق وضمير الفصل وتعريف المسند ايماء الى انه عالم الغيب والشهادة وارادة التعليم التنزه لعباده حتى توجهوا الى توحيده بالاخلاص كما امر وابرز فاذا قدر للمتعلق بنصب المتعلق بطريق الامر بان قل تعالى سبحوا سبحان الذي اكمل عليكم نعمته ظاهرة وباطنة باسراء نبيه وارشادكم بسببه لانه عليم بذات الصدور ومن قبل الهداية والسعادة فاهتدى ومن ضل وسعى في خراب الاخرة فاستحق قال الامام السيوطي رح جلال الدين في كتاب انموذج اللبيب ان جميع المعجزات الانبياء من آدم اب البشر الى عيسى والى ذاته صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم صدرت منه وانفجرت عنه وزادت عليها ثلثة الاف سوى القرآن ففيه ستون الف معجزة تقريبا وخصائصه بلغت مزيته على غيره الفا ومائة واثنى عشر جدا ومعراجه زاد على غيره ثلثة وثلثين لان معراجه صلى الله تعالى عليه وسلم اربعة وثلثون واحد منها جسمانية في اليقظة وثلاثة وثلثون في الروحانية بالنوم فكل من الافراد لا يعادله غيره فضلا عن جميعها كما خرج ابو نعيم من حفاظ الحديث في تخريجه والقسطلاني في المواهب كالاخبار في قصة المعراج كثيرة فاقتصرنا الى الصحيحين حدثنا شيخنا وشيخ

المشايخين

المشايخين محمد بن حسن المعروف بابن همات الشامي عليه الرحمة من الله الهادي قال حدثنا عبد الله بن سالم البصري الساكن في حرم الله قال حدثنا شمس الدين بن علاء الدين البابلي قال حدثنا ابو النجا سالم السنهوري قال حدثنا المسند النجم الغيطي قال حدثنا شيخ الاسلام القاضي زكريا قال حدثنا شيخ السنة الحافظ بن حجر القسطلاني والعسقلاني قال حدثنا الاستاذ ابراهيم بن احمد التنوخي قال حدثنا ابو العباس احمد بن ابي طالب الحجار قال حدثنا السراج حسين بن مبارك الزبيدي الحنبلي قال حدثنا ابو الوقت عبد الاول بن عيسى بن شعيب الهروي قال حدثنا ابو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي قال حدثنا ابو محمد عبد الله بن احمد السرخسي قال حدثنا محمد بن يوسف بن مطر الفربري قال حدثنا امير ائمة الحديث ابو عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابراهيم بن مغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي صاحب الصحيح البخاري قال حدثنا هدبة بن خالد قال حدثنا همام بن يحيى قال حدثنا قتادة عن انس بن مالك وهو عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهم ان نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ليلة اسري به بينما انا في الحطيم وربما قال في الحجر لاسمعيل مضطجعا اذ اتاني آت وفي رواية اخرى عن البخاري عن ابي ذر رض انه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرج عني سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل عليه السلام وروي في تفسير الاصفهاني انه صلى الله تعالى عليه وسلم بات في بيتي ام هاني اخت علي بن ابي طالب رضيهما كانت عنده عند ابي طالب وتحته وكان يجيء الى بيتها في اكثر الاوقات وكانت ليلة مظلمة فيها رعد وبرق وصاعقة ومهابة وخوف اذ سمع صوت جبريل ففرج سقف بيتها فنزل جبريل ومعه ميكائيل في احسن صورة وذوابته سبعون فرقة محلى باللؤلؤ وقد لبس الحلل الخضراء مكتوب على صدره لا اله الا الله محمد رسول الله ومعه سبعون الفا من الملائكة

هذه السلسلة تتصل الى مسانيد المحدثين من سلسلة الفقير بين المؤلف غفر له

قوله سقف بيتي واتما نسب البيت الى نفسه مع انها بيت ام هاني بنت ابي طالب اخت علي لكثرة بيتوتته فيها لمودة عمه ابي طالب وبنته ام هاني وابنه علي رضوان الله تعالى عليهم اجمعين

المقربين فاخرجه من البيت الى المسجد فوضعه في الحطيم وبه اثر النعاس فشق صدره من ثغرة نحره الى شعرته اي عانته قال الراوي مالك بن صعصعة وسمعته يقول من قصة الى شعرته فاخرج قلبي ثم اتيت بطست من ذهب مملوة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم اعيد وفي رواية الى اسفل بطنه فاستخرج قلبه فغسل بماء زمزم لتصفيته وتربيته لمعرفة ما يعجز العقول عن معرفته وللتقوي عن مشاهدة عجايب الملكوت مملوا حكمة ايمانا فملي قلبه اي جعل فيه حكمة تحصل بها كمال الايمان وذو امر فيتبين بمجاز او بحمل الحقيقة وهو سر من اسرار الله تعالى فتجسيد المعاني جائز عند علماء اهل السنة بخلاف اهل الشيعة كما ان سورة البقرة تجيء يوم القيمة كانها ظلة والموت على صورة الكبش فتذبح عند اهل العرصات وكذا الاعمال الحسنة على صورة الحسنة والسيئة على صورة القبيح وامثاله في الاحاديث مشحونة مع ان المجاز ابلغ من الحقيقة على ما حققه اهل المعاني والبيان فيشهد له مقالة اهل البيان ثم اعيد وملي به صدره وعروة حلقه ثم اطبق وختم بين كتفيه عند المعراج لا قبله ولا بعد على ما صرحوا اهل الحديث وحفاظهم رح اقول وهذا الشق وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم في حال صباه عند امه حليمة السعدية لما روي عن خالد بن معدان رض بفتح الميم وسكون العين المهملة والدال المهملة من الكلاعي يروي عن ابن عمر وثوبان ومعاوية رضي عنهم وكان يسبح كل اليوم الف تسبيحة اخرج له الائمة الستة وابن اسحق ابو المغازي من اجل التابعين والدارمي رحمهم انه قال ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك اي عن شانك وابتداء امرك وقد روي نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس والنس بن مالك رضي عنهم فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نعم انا دعوة ابي ابراهيم يعني قوله ودعائه ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى يعني قوله

يا بني اسرائيل

يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد ورأت امي حين حملت بي انه خرج منها نور اضاء له قصور بصري بضم الباء وسكون الصاد المهملة والراء مقصورة من ارض الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر اي قبيلة معروفة ممدوحة بالبلاغة والكمال والشجاعة والنوال وافتخر بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث آخر فقال فبينا انا اي بين وقت من الاوقات مع اخ لي اي رضاعا من حليمة بنت ذويب زوجة الحارث بعد ما ارضعته ثويبة جارية ابي لهب وله اخ واخت من الرضاعة فكلهم تشرفوا بالاسلام على اصح الاقوال وهي من قبيلة السعدية خلف بيوتنا نرعى بهما لنا بفتح الباء وسكون الهاء والميم ولد الضان اذ جاءني وفي رواية اخرى ثلاثة رجال عليهما ثياب بيض بطست من ذهب بالشين المعجمة والمهملة لغة فيه من ذهب مملوة ثلجا فاخذاني فشقا بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سودا فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه رواه القاضي ابو الفضل في الشفاء وفي هذا الحديث دليل انه معصوم قبل النبوة وبعدها عن الآثام والنقايص وفي حديث آخر منه رح ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلاء ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر الآخر يده على مفرق صدري فالتام وفي رواية اخرى ان جبريل قال قلب وكيع اي شديد فيه عينان تبصران واذنان تسمعان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم زنه بالف من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو زنته بامته لوزنها وقال في الحديث الآخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك ما اكرمك على الله ان الله

مطلب في استصعاب البراق والحكمة فيه

معك وملئكته وقال في حديث ابي ذر رض فكانما ارى لامري النبوة معاينة
رواه ابو الفضل في الشفاء ثم اتيت بدابة طويل ابيض دون البغل فوق الحمار
يقع حافره عند منتهى طرفه فقال الجارود وهو الى جنبي هو البراق يا ابا
حمزة قال انس نعم يضع خطوه عند اقصى طرفه وفي رواية عن انس رض ان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اوتي بالبراق ليلة اسري به فاستصعب عليه
فقال له جبريل بمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض
عرقا رواه ابو الفضل رح وفي رواية القسطلاني في المواهب وقال البراق
وعزة ربي لا يركبني الا النبي الهاشمي القريشي محمد بن عبد الله فقال صلى الله
تعالى عليه وسلم انا محمد رسول الله فارتعش البراق وارفض عرقا اقول فلعل
السر في الاستصعاب ان الفوز بالمطالب العلية والمقاصد الجلية لا تتيسر
الا بانواع الآلام والكرب واصناف تجرع الهموم والمشاق والتعب خاصة فيما
يبتلى العبد على حسب دينه رواه الترمذي فان كان اعلى فمشاقه اعلى كما
اخواتها وسط والادنى فان لم يكن له دين فلم يكن له مشاق لان الدنيا
الدنية جنته حتى سأل رجل من النصارى الفقير الزمن الاعمى العاري
عن الامام الاعظم نعمان بن ثابت رحمه الله قلت الدنيا سجن للمؤمن وجنة
للكافر فكيف يكون سجنا عليك وجنة على فانك تلبس خلعة عالية وتطعم
نعمة والية وتمرح جوارحك وتزيد جوائزك وتلذ بلذائذ مختلفة
متنعمة فكيف حالك وحالي في المحن والمشقة والجوع والفقر وعلة الزمن
والعمى فقال الامام الاعظم رحمه الله تعالى في الجواب الصواب ملهما منه تعالى
فحالك بالنسبة لحالك هذا في النار كالجنة فان اهل النار يغبطون
حالك لو كان فيهم فيها وحالي بالنسبة الى الحال الذي لو كنت في الجنان متلبسا
بانواع الحلل ومتزينا بزي اهل الحلل ومتنعما بالنعم المتلذذة والصحبة
المتجددة والحور المتزوجة والغرف العالية متكئين على السرر والارائك

والفرش

والفرش المرفوعة والاكواب الموضوعة والزرابي المبثوثة فاذا حالي هذا
ادنى من حال اهل السجن لو نسب اليهم وروى الزهري عن ابن شهاب الدين فلما
اراد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الركوب عليه تنفر واستصعب فقال جبريل
يا براق ما تستحيي فوالله ما ركبك منذ كنت قط نبي اكرم على الله من محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم فارتعش البراق وانصب عرقا حياء منه صلعم خفض حتى
لصق بالارض فركبه واستوى عليه قال جبريل له اعصيت ربك قال لا
ولكن اريد ان يشفع لي ويركب علي يوم القيمة ثم سار مسرعا يضع رجله
عند منتهى ما يرى بصره اذا اتى على جبل ارتفعت رجلاه واذا اهبط
ارتفعت يداه وجبريل يمسك بركابه وميكائيل بزمامه وفي رواية ثم طار
في الهواء فبينما هو في مسيرة قال جبريل يا رسول الله انزل فصل وصلى
ركعتين فقال اتدري اين صليت قال لا قال على جبل سينا حيث كلم الله
موسى عليه السلام تكليما ثم سار وقال يا محمد انزل وصل ركعتين قال
اتدري اين صليت قال لا قال هذا بيت مولد عيسى بن مريم اخيك عليك
وعليه السلام وفي رواية قال اتدري اين صليت قال الله اعلم قال صليت
بمدين عند شجرة موسى رواه الامام جلال الدين السيوطي في الدر
وروى عن انس رض فلما سار النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع جبريل عليه
السلام مر بعجوز على جنب الطريق فقال ما هذا يا جبرائيل قال سر يا محمد
فسار ما شاء الله ان يسير فاذا هو شيء يدعوه متنحيا عن الطريق يقول
هلم فقال له جبريل سر يا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واتى مر بجماعة فقالوا
السلام عليك يا اول السلام عليك يا آخر السلام عليك يا حاشر فقال
جبريل اردد عليهم السلام الحديث وفي آخره فقال له جبريل اما العجوز
التي رأيت جانب الطريق فلم يبق من الدنيا الا ما بقي من عمر تلك العجوز
والذي دعاك ابليس والعجوز الدنيا اما لو اجبتها لاختارت امتك

اى متبعدا

الدنيا على الاخرة واما الذين سلموا عليك فابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام
والصلوة على نبينا وعليهم على التمام وفى رواية ثم مر بموسى وهو يصلى فى قبره
قال انس رض ذكر كلمة فقال اشهد انك رسول الله ثم مر على قوم يزرعون
ويحصدون فى يوم واحد كلما حصد واعاد كما كان فقال لجبريل ما هذا قال
هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة الى سبعمائة ضعف
كما قال الله تعالى فى سورة النساء وما انفقتم من شيء اى ما تصدقتم بطيب
النفس من الحلال الطيب مما رزقكم الله تعالى لرضائه تعالى وفى الانفاق
شرطان الاول ان يكون من الحلال الطيب اذ الحرام مردود لا يقبله الله
تعالى ولو كان بحج او زكوة وغيرهما فاضاعة مال الغير لا يجوز بل الواجب
عليه ان يرده الى صاحبه الاول فهذا الرد افضل ثوابا من الاتلاف والانفاق
اذ هذا يشتمل على ضرر كثيرة اتلاف مال الغير وعذابه فى الاخرة صورة
ومعنويا وايذاؤه الى صاحبه بالفقر والفاقة وايذاء المؤمنين حرام
اشد الحرمة وارتحال الاخرة بغير الدين وهذا اشد العذاب واشنعه
وان يكون كافرا بطلب الثواب فى مقابلة ايتائه مستحلا بالحرام والشرط
الثانى ان يكون بطيب النفس بمحبة رضاء الله تعالى كما قال صلى الله
تعالى عليه وسلم تصدقوا ولو بشق تمرة رواه البغوى فاذا لم يوجد
بطيب النفس فاعطاؤه اما للرياء والسمعة واما للحجاب واما للاستكبار
فكلها اشد عذابا وضررا فكان من الظالمين لنفسه ولغيره فهو
اى الله تعالى يخلفه اى يعوضه فى الدنيا ببركة الاموال وتزايدها وفى
العقبى باعطاء الثواب والدرجات العاليات فى الجنات الرافعات
او يعوضه بالقناعة بحيث لا يحتاج فى الدارين الى الغير وهو خير
الرازقين اى اعلاهم ومولاهم هو تعالى لان كل ما اوتى ورزق من غيره
من سلطان الى جنوده او سيد الى عبيده واما امر او رجل الى عياله واولاده

فهي كلها

فهي كلها مما آتيهم الله تعالى من فضله فيرزقهم على ايدى هؤلاء لربط نظام
الدنيا واطاعتهم بهم موافقا على مراد الله فى الازل وليتناولوا اسبابهم لا على
مقاصدهم لا قصدى فى العقبى ثم اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على قوم ترضخ
رؤسهم بالصخرة كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء
فقال ما هؤلاء يا جبرائيل قال هؤلاء الذين تثاقل رؤسهم عن الصلوة المكتوبة
ثم اتى على قوم بين ايديهم لحم نضيج فى قدر ولحم آخر نيء فى قدر خبيث فجعلوا
ياكلون من النيء الخبيث ويدعون النضيج قال ما هذا يا جبرائيل قال هذا
الرجل من امتك تكون عنده المراة الحلال الطيبة فياتى امراة خبيثة
فيبيت عندها والمراة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فياتى رجلا
خبيثا فيبيت عنده حتى تصبح ثم اتى على قوم تقرض السنتهم وشفاههم
بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك
شيء قال ما هذا يا جبرائيل قال هؤلاء خطباء الفتنة ثم مر بقوم مشافرهم
كالابل يلتقمون جمرا فيخرج من اسافلهم قال هم الذين ياكلون اموال اليتامى
ثم اتى على قوم على اقبالهم وادبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الانعام ياكلون
الضريع والزقوم ورضف جهنم فقال ما هؤلاء يا جبرائيل قال الذين
لا يؤدون زكوة اموالهم وما ظلمهم الله ثم مر بقوم بطونهم كامثال
البيوت فيها حيات وعقارب ونيران كلما نهض احدهم خر قال هم
اكلة الربوا ثم مر بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيطعمون قال انهم الهمازون
اللمازون ثم اتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل يريد ان يرجع من حيث
خرج فلا يستطيع قال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها
فلا يستطيع ان يردها ثم اتى على رجل جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها
وهو يزيد عليها قال جبريل هذا الرجل من امتك تكون عليه امانات الناس
لا يقدر على ادائها وهو يريد ان يحمل عليها وروى عن انس رض انه قال قال

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما عرج بي مررت باقوام لهم اظفار من نحاس
يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء جبرئيل قال الذين يأكلون لحوم الناس
ويقعون في اعراضهم رواه ابو داود والجلال السيوطي في صدر الصدور
ثم اتى على وادٍ فوجد ريحا باردة طيبة وريح مسك وسمع صوتا فقال ما هذا
يا جبرائيل فقال هذا صوت الجنة تقول رب آتني ما وعدتني فقد كثرت
غرفي واستبرقي وحريري وسندسي وعبقريي ولؤلؤي ومرجاني وفضتي
وذهبي واكوابي وصحافي واباريقي ومراكبي وعسلي ومائي ولبني وخمري فآتني
ما وعدتني فقال الله تبارك وتعالى لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة
من آمن بي وبرسولي وعمل صالحا ولم يشرك بي ولم يتخذ من دوني اندادا ومن
خشيني فهو آمن ومن سألني اعطيته ومن اقرضني جزيته ومن توكل علي كفيته
انني انا الله لا اله الا انا لا اخلف الميعاد قد افلح المؤمنون وتبارك الله
احسن الخالقين قالت الجنة رضيت ثم على وادٍ فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا
منتنة فقال ما هذا يا جبرائيل قال هذا صوت جهنم تقول يا رب آتني ما وعدتني
فقد كثرت سلاسلي واغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وغساقي وعذابي
وقد بعد قعري واشتد حري فآتني ما وعدتني فقال الله تعالى لك كل مشرك
ومشركة وكافر وكافرة وكل جبار عنيد لا يؤمن بيوم الحساب قالت جهنم
قد رضيت ثم قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم مضينا حتى اتينا بيت المقدس
فلما انتهيت اليه اذا بالملئكة قد نزلوا من السماء يتلقونني بالبشارة
والكرامة من رب العزة يقولون السلام عليك يا اول يا آخر يا حاشر
قال قلت يا جبرائيل ما تحيتهم اياي قال انك اول من تنشق عنه الارض وعن
امتك واول شافع واول مشفع وانك آخر الانبياء على رسولنا وعليهم
الصلوات والسلامات وان الحشر بك وبامتك وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد رأيتني في جماعة من الانبياء

ابتهال جبرائيل عليه السلام

فحانت الصلوة فأممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار
فسلم عليه فالتفتت فبدأني بالسلام ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل
وربط فرسه الى صخرة فصلى مع الملئكة فلما قضيت الصلوة قالوا يا جبرائيل
من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل
اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا
ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم وذكر كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى
وعيسى وداود وسليمان على نبينا وعليهم الصلوة والسلام ثم ذكر كلام
النبي صلعم فقال وان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم
اثنى على ربه وانا اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة
للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل امتي
خير امة وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الآخرون
وشرح صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا
وخاتما فقال ابراهيم صلعم بهذا فضلكم محمد صلعم رواه ابو الفضل القاضي
عياض في الشفاء رح ثم جاوزناهم حتى انتهينا الى باب المسجد فانزلني
جبرئيل وربط البراق بحلقة باب مسجد بيت المقدس التي كانت تربطه
الانبياء بخطام عليه من حرير الجنة وفي رواية بالحجر الذي ثمه يربطون به
فخرقه جبرئيل باصبعه فثقبه ثم ربطها ثم دخل هو عليه الصلوة
والسلام وجبرئيل وصلى كل واحد منهما ركعتين ولقي هناك ارواح
جميع الانبياء عليهم السلام متشكلين بصورهم الشريفة التي كانوا عليها
في الدنيا الا عيسى عليه السلام وقد قيل في ادريس ايضا عليه السلام
والحال انهم جلوس فقالوا مرحبا بالنبي الامي واذا فيهم شيخ قلت من هذا
يا جبرائيل قال ابوك ابراهيم وهذا موسى وهذا عيسى فاذن مؤذن
فاقيمت فقاموا صفوفا ينتظرون من يؤمهم فاخذ جبرئيل بيدي حتى قدمني

وفي رواية فاخذ جبريل عليه السلام بيده عليه الصلوة والسلام فقدمه
فصلى بهم صلوة العشاء فرضا وفي رواية نفلا وقيل في رواية بل صلى بهم
بعد العود من المعراج وقيل الاقرب انها الصبح ويحتمل العشاء وهذا على
رواية الصلوة قبل العروج واما على رواية الصلوة بعد العروج فيكون
الظاهر صلوة الصبح وقال ابن كثير رح في تفسيره صلى بهم ببيت المقدس
قبل العروج وبعده فان في الحديث ما يدل على ذلك ولا مانع منه انتهى
وقال ابن كثير وهذا هو الظاهر اللايق لانه صلى الله تعالى عليه وسلم
كان اولا مطلوبا الى الجناب العلي الكبير ليفرض الله تعالى عليه وعلى امته
ما يشاء ويريد من الصلوة المفروضة ولما فرغ مما اريد به اجتمع هو
واخوانه من الانبياء العظام على نبينا وعليهم صلوات الله وسلامه على التمام
وهو يسئل جبريل عنهم فردا فردا وهو يخبره بهم ثم اظهر شرفه عليهم بالتقديم
اياه مقام الامامة التي يشعر كونه المقتدى والمصطفى من بينهم ثم خرج
واخذه العطش اشد ما اخذه فجاءه جبريل باناء من خمر واناء من لبن
فاختار اللبن وفي رواية من ماء وفي رواية من عسل فقال اخترت الفطرة
وانما خيرني في الشرب بايهما اردت امتحانا من الله تعالى هكذا في صحيح
مسلم وفي البخاري واناء من ماء وروى بثلاثة لبن وخمر وعسل وروي
باربعة لبن وخمر وعسل وماء ولعل هذا هو الاظهر حيث عرض عليه
من الانهار الاربعة الموعودة في الجنة واختاره اللبن لانه مغن عن غيره
بخلاف غيره وقيل العسل اشارة الى زهرة الحيوة الدنيا ولذاتها وحلاوتها
والماء اشارة للغرق في التكثير ولذا قيل لو اخترته لغرقت وامتك
باستغراقهم في جميع الاموال التي تؤدي الى سوء الحال ونقصان المال
واما الخمر فاشارة الى جميع الشهوات الدنيوية المهلكة وانما قال جبريل
اخترت الفطرة لكون الايمان ابيض وظاهرا واستقامة واسهل

الهضم

قوله عرض عليه الاشياء الاربعة وقد اختار اللبن حكي بالفتح والخلف فيه

لهضم واسهل المرور والدخول الى الجنة فلذا غذيت الصبيان باللبن دون
غيره ثم اتي بالمعراج عن يمينه ويساره ملئكة من جنة الفردوس وهو آلة
العروج والصعود واضافته لليلة المعراج لادنى ملابسة والمحل المأمور
بالعروج عشر سبع منها الى السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع
الى المستوى الذي يسمع فيه صريف اقلام بايدي سفرة كرام بررة في تصاريف
الاقدار الالهية من اللوح المحفوظ والعاشر الى العرش العظيم قاب قوسين
او ادنى وقال النبي المختار عليه صلوات الغفار لم ار شيئا احسن من آلة
المعراج وهو الذي تعرج عليه ارواح بني آدم حين مات ان كان من السعداء
ولحسنه ترى الميت يمد اليه عينيه طامحا الى السماء عجبا منه به
وفي رواية وضعت سلم من ذهب ومرقات من فضة فعرج هو وجبريل
صلوات الله على نبينا وعليه وفي رواية صعد بالبراق بحيث قطع من الارض
الى السماء سبع خطوات فالصحيح ان البراق كان مربوطا على الباب للعود
الى مكة على رواية ابن كثير وغيره فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى اتى السماء
الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد
ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا فيها
آدم عليه السلام فقال هذا ابوك آدم فسلم عليه فسلمت فرد السلام
ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح وفي رواية ابي ذر رضي قالوا
مرحبا به واهلا فنعم المجيء جاء فاستبشر به اهل السماء ففتح فلما وصل فاذا
آدم عليه السلام قاعد على يمينه اسودة جمع سواد اي المخلوقات الكثيرة
وعلى يساره اسودة اذا نظر على يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى ورأى
صلى الله تعالى عليه وسلم فيها ملائكة خلقوا من ماء وريح عليهم ملك يقال له
الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقولون سبحان ذي الملك والملكوت
وروي انه صلى الله تعالى عليه وسلم حين عرج به الى السماء رأى ملئكة في موضع

قوله الى المراتب عشرة وما رأى عنده آدم عليه السلام يا مطلع

شرف يمشي بعضهم تجاه بعض فسئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل الى
اين يذهبون فقال جبريل لا ادري الا اني اراهم منذ خلقت ولا ارى واحدا
منهم قد رايته قبل ذلك ثم سئلا واحدا منهم منذ كم خلقت فقال لا ادري غير
ان الله تعالى يخلق في كل اربع ماة الف سنة وقد خلق منذ خلقني اربع ماة
الف كوكب فسبحان من لا اله سواه ما اعظم قدرته وما اوسع ملكوته
خرجه ابو السعود في اول تفسير سورة البقرة في بحث الملئكة ثم صعد الى السماء
الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبرائل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد
ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجيء فلما خلصت اذا يحيى وعيسى
وهما ابنا خالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا
بالاخ الصالح ودعوا لي بخير وفي رواية ورأى النبي صلى الله تعالى عليه ملئكة
على الوان شتى قائمون صفوفا رافعين اصواتهم بالتسبيح يقولون سبحان
ذي العزة والجبروت وان فيها ملكا نصف جسده من نار ونصفه من ثلج
فلا النار يذيب الثلج ولا الثلج تطفئ النار وهو يقول يا من الف بين
الثلج والنار الف قلوب عبادك المؤمنين ثم صعد الى السماء الثالثة
فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل
اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا يوسف
قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح
والنبي الصالح وفي رواية فاذا هو احسن خلق الله قد فضل الناس بالحسن
كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب ورأى فيها ملئكة ذوي اجنحة ووجوه
شتى واصوات شتى رافعين اصواتهم بالتسبيح يقولون سبحانك انت الله
الحي الذي لا يموت وهم صفوف قيام كانهم بنيان مرصوص لا يعرف احدهم
لون صاحبه من خشية الله تعالى ثم صعد بي حتى اتى السماء الرابعة فاستفتح
قيل من هذا قال جبريل فقال ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم

قال مرحبا به

قال مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اليه فاذا ادريس قال هذا
ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح
وفي رواية وفيها ملئكة يضعفون على ملئكة الثالثة وكذا كل سماء اكثر
عددا من السماء التي تليها وفيها ملئكة قيام وركوع على الوان شتى من العبادات
يبعث الله الملك منهم الى امر من امور فينطلق الملك ثم ينصرف فلا يعرف
صاحبه الذي الى جنبه من شدة العبادة وهم يقولون سبوح قدوس ربنا
الرحمن الذي لا اله الا هو ثم صعد بي حتى اتى السماء الخامسة فاستفتح
قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال
نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا هارون قال هذا هرون
فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح
وفي رواية وفيها ملئكة يزيدون على ملئكة اربع سموات وهم سجود وركوع
لم يرفعوا ابصارهم من خشية الله تعالى يوم القيمة قالوا ربنا لم نعبدك حق
عبادتك ثم صعد بي حتى اتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال
جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم مرحبا به فنعم المجيء
جاء فلما خلصت فاذا موسى عليه السلام قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت
عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما جاوزت
بكى قيل له ما يبكيك قال ابكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته
اكثر ممن يدخلها من امتي وفي رواية وفيها جند الله الاعظم الكروبيون لا يحصى
عددهم الا الله لهم ملك له سبعون الف جند وكل ملك منهم جنوده سبعون
الف ملك وهم الذين يبعثهم الله تعالى في امر اهل الدنيا رافعين اصواتهم
بالتسبيح والتهليل فنصف لحيته بيضاء ونصفه سوداء تكاد تضرب
الى سرته من طولها وحوله قوم من بني اسرائيل وهو يقص عليهم فجعل يمر بالنبي
والنبيين معهم الرهط والقوم والنبي والنبيين ليس معهم احد ثم من سواد

قوله لان غلاما بعث بعدي آه
خرج تعظيم واكرام وتكريم واحترام
كالاب المشفق اذا احب ولده صغير
الغلام فقال يا غلام او كبير
بالنسبة وقال يا غلامي
فاظهر مودته واعلم
محبته فكذا هو
صلوات الله على
نبينا وعليه فحاشا
ثم حاشا من حكمه
لانهم معصومون
يعرف قدرهم
اعلى من الامة
فلا يرضى
الى التعظيم
الاولى في
مسلم

علامة المحب مع المحبوب الشوق والتعظيم

فقال من هذا قيل موسى وقومه ولكن ارفع رأسك فاذا بسواد عظيم من ذى الجانب فقيل له هؤلاء امتك وسوى هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب فاذا موسى عليه السلام ثم دعى موسى عليه السلام له صلى الله تعالى عليه وسلم بالخير وقال يزعم الناس انى اكرم على الله من هذا النبى صلى الله عليه وسلم بل هذا اكرم على الله تعالى منى فلما جاوزه بكى موسى عليه السلام ثم صعد بذلك السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبرائيل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجى جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا ابوك ابراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا لابن الصالح والنبى الصالح وفى رواية وقال يا بنى انك لاق ربك هذه الليلة وان امتك آخر الامم واضعفها فان استطعت ان يكون حاجتك فى امتك فافعل وفيها من الملائكة ما يزيدون على ما تقدم وعليهم ملك مقدم على سبعمأة الف ملك كل ملك منهم جنوده مثل قطر السماء وتراب الثرى والرمل والسهل وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق فى السموات والارض ويخلق الله تعالى كل يوم ما يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو ورأى صلى الله تعالى عليه وسلم نهرا عليه جام الياقوت واللؤلؤ والزبرجد وعليه طير خضر انعم طير رأى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال جبريل هذا الكوثر الذى اعطاكه الله تعالى فاذا فيه آنية من الذهب والفضة يجرى على رضراض من الياقوت والزمرد وماؤه اشد بياضا من اللبن فقال صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذت من آنية فاغترفت من ذلك فشربت فاذا هو احلى من العسل واشد رايحة من المسك من شرب منه لا يظمأ ابدا وما رواه ثابت عن انس بن مالك رضى الله عنه انه قال عليه الصلوة والسلام وابراهيم عليه السلام رجل اشمط جالس عند باب الجنة على كرسى مسندا على ظهره الى البيت المعمور ومعه نفر

بحث الكوثر الذى خص به من بين الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم اجمعين

من قومه

من قومه حتى دخل الجنة فاذا فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فرأى على بابها مكتوبا الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر فقال يا جبرائيل ما بال القرض افضل من الصدقة قال ان السائل يسئل وعنده ما يكفيه والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة رواه الامام من الحفاظ نجم الدين الغيطى تغمده الله تعالى بغفرانه ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبرائيل قال اما الباطنان فنهران فى الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ثم فرضت على الصلوات خمسين صلوة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بما امرت قال امرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمسين صلوة كل يوم وانى والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاسئله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عنى عشرا وفى رواية الامام البغوى حط عنى خمسا فى كلها فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوة كل يوم فقال مثله فرجعت وامرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بما امرت فقلت امرت بخمس صلوات كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وانى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فسئله التخفيف لامتك قال سألت ربى عز وجل حتى استحييت ولكنى ارضى واسلم قال فلما جاوزت نادانى مناد امضيت فريضتى وخففت عن عبادى رواه البخارى وفى رواية على كل ورق سدرة المنتهى ملك فغشيها الوان لا يدرى ما هى فلما غشيها من امر الله تعالى ما غشيها تغيرت وفى رواية تحولت ياقوتا وزبرجدا فما يستطيع

بحث فرضية الصلوة ووضعها وبعضها ووصف السدرة المنتهى ومسكن الملائكة

احد ان ينعتها من حسنها ثم رأى جبريل عند سدرة له ستمأة جناح منها قد سد
الافق تتناثر من اجنحة التهاويل من الدر والياقوت مما لا يعلمه الا الله وفي
رواية كل ورقة منها تغطي هذه الامة غشيها انوار الله تعالى والملئكة والخلايق
كما قال الله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى قالوا وهي شجرة في اقصى الجنة ينتهي
اليها اعمال العباد وعلم الملئكة او الرسل وخلفها غيب لا يعلمها الا الله تعالى
ولم يجاوزها الا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما قاله صاحب تفسير
التيسير عمر النسفي ابو المعين والامام القسطلاني في المواهب رح وقيل عظمها
بحيث اظلت السموات والجنة وروي في الحديث ليسير الراكب في ظل الفنن اي البرزة
منها مأة عام ويستظل في الفنن منها مأة الف راكب ثم رفع الى البيت المعمور
يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل
فاخذت اللبن فقال هي الفطرة التي انت عليها وامتك كامر وفي رواية
اخرى على التفصيل وهو مسجد في السماء السابعة بحذاء الكعبة بحيث لو خر
لخر عليها يدخله كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا منه لم يعودوا اليه ابدا وروي
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والا
رضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل عليه السلام كل سحر ويغتسل
فيه فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينقص فيخلق الله تعالى من كل
قطرة ونقطة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك يدخله منهم كل يوم سبعون
الف ثم لا يعودون اليه الى ان تقوم الساعة ثم ظهر بمستوى سمع فيه صريف
الاقلام بايدي سفرة كرام بررة الساكنة في بيت العزة في سماء الدنيا التي
تؤمر باستنساخ من ليلة القدر ما هو كائن الى السنة الآتية من اللوح المحفوظ
ثم ادخل الجنة ورأى ما فيها من النعم العلية والغرف الجلية والعجايب
الملكوتية والغرايب الفلكوتية والسرائر الجبروتية ليتقوى بها ويحتج
على امته ويباحث على من جادل وانكر عليه ثم عرض عليه النار ليعلم اهلها وعلا

ثم انطلق بجبريل حتى اتى بي على الحجاب الاكبر عند سدرة المنتهى وقال مقاتل
رح هي شجرة تحمل الحلل والثمار من جميع الالوان لو ان ورقة وضعت منها في
الارض لاضاءت لاهل الارض وطوبى التي ذكرها الله تعالى في سورة الرعد
وسورة النجم بقوله عندها جنة المأوى قال عطاء رح عن ابن عباس رضي الله عنهما
جنة يأوي اليها جبريل والملئكة وقال مقاتل والامام الكلبي يأوي اليها ارواح
الشهداء فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها روي عن ابي العالية
عن ابي هريرة وغيرهما انهم قالوا غشيها نور الخلاق وغشيها الملئكة من حب
امثال الغربان حتى يقعن على الشجرة قال فكلمه عند ذلك فقال له سل
وروي عن الحسن رض انه قال غشيها نور رب العرش فاستنارت ويروى
في الحديث رأيت على كل ورقة منها ملكا قائما يسبح الله تعالى ثم فرضت
صلوات الخمس علي كما مر وهو المقام الذي وقف جبريل فيه عنده ثم قال له جبريل
تقدم يا رسول الله واني لا اقدر على المشي مقدار انملة فقلت لجبريل لا بل
تقدم انت يا جبريل فقال يا رسول الله لا ينبغي لاحد غيرك ان يجاوز هذا المقام
والمكان وانت اكرم على الله مني فقال لجبرائيل في مثل هذا المقام يترك الخليل
خليله فقال ان تجاوزت لاحترقت بالنور فقال النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم يا جبرائيل هل لك حاجة الى ربك فقال يا رسول الله سل الله تعالى
ان ابسط جناحي لامتك على الصراط حتى يجوزوا عليه ثم زج به الى النور
زجا فخرق به سبعين الف ستمأة حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجابا غلظ
كل واحد خمسمأة عام وروى ابو نعيم في دلائله عن ابن مسعود رضي الله
تعالى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه انتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء
السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي
ما يهبط من فوقها فيقبض منها كما قال الله اذ يغشى السدرة ما يغشى قال
الامام النووي من حفاظ المحدثين ومقتضى تسميتها بالمنتهى انها

الاختلاف في محل السدرة وكلام النووي
ودول ان يتفق عليه
من الاخر توجيه
منه

في السمآء السابعة وهو قول الاكثرين فلذا صحح في بعض النسخ المعتمدة في السماء
السادسة بلفظ السابعة وقد يمكن الجمع بينهما بأن اصلها في السادسة
ومعظمها في السابعة وفي الرواية الاخرى من حديث انس رض انها فوق السمآء
السابعة قال الامام ابو الفضل القاضي اليحصبي رح في كتابه لشرح المسلم ان
ان خروج النهرين الظاهرين النيل والفرات من اصلها معناه بأن
مبداها في الارض ومعظمها في السمآء السادسة وانتهاؤها ونورها في السابعة
كذا ذكره شارح الشفاء علي القاري في شرحه ومعنى الاية يغشاها ما يغشى
فغشيها فراش من ذهب بفتح الفاء على صورة فراش وهو ما يلقي نفسه
في ضوء السراج وعليها ملائكة مأمورات بأخذ ما صعد به من الاعمال
والارواح اليها واليها ينتهي ما يهبط وينزل من فوقها من العرش بواسطة
الملائكة المقربين والايصال الى من قضي له من المقضيات الالهية قال ابن
عباس رضي الله عنهما وانما سميت بالسدرة المنتهى لانها تنتهي علم الملائكة والمخلوق
ولم يجاوزها احد الا النبي الهاشمي محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
والله سبحانه اعلم بما فوقها وروى عن ابي هريرة رض من طريق ربيع ابن انس
وهو من حفاظ المحدثين وهو اخ مالك بن انس رض فقيل له هذه السدرة
المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك خلا عن سبيلك اي مضى على سنتك
اي معنى وعمل
واستن بشريعتك وهي السدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء
غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار
من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وفي رواية
الترمذي مائة وسبعين وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها
الملائكة فقال الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم سل انت يا حبيبي ويا رسولي
كافة للناس بشيرا ونذيرا فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انك يا رب
اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما

ص [illegible] النبي صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible]

واعطيت

واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت
سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والشياطين والرياح واعطيته
ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التورية والانجيل وجعلته
يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما
سبيل فقال له الله صلى الله تعالى عليه وسلم ربه قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب
في التورية محمد حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم
الاولون وهم الآخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا
انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا واعطيتك
سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز
تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي رواية مسلم
عن ابن مسعود رض انه قال فاعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثا
من الفضائل المختصة به اعطى الصلوات الخمس واعطى خواتيم سورة البقرة وغفر
لمن لا يشرك بالله شيئا من امته المقحمات اي غفر له المدخلات في النار من
الذنوب الكبيرة غير الشرك وقال الله تعالى في كتابه العزيز ما كذب الفؤاد ما رأى
اي ما كذب قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأى بعينه في تلك الليلة
بل صدقه وحققه هذا المعنى على قرآءة التشديد من التكذيب واما على
قرآءة التخفيف من الكذب فمعناه ما كذب فؤاد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
الذي رآه بل صدقه وذلك ان جبرائيل كان يأتي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
صورة الآدميين كثيرا على صورة دحية الكلبي هو رئيس السلاطين وهو
احسن صورة كما يأتي الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم اجمعين فسأل النبي
صلعم ان يريه نفسه على صورته التي جبل عليه فأراه نفسه مرتين مرة
خلق
في الارض ومرة في السمآء فاما في الارض ففي الافق الاعلى من جانب المشرق
والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبرئيل من المشرق فسد الافق

قوله المقحمات
اي المدخلات ومنه قوله تعالى
فلا اقتحم العقبة وقوله
تعالى الى الاذقان فهم
مقمحون
منه

[illegible] النبي صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible]

الى المغرب بين السماء والارض عند اول البعث فاذ ثرعند خديجة الكبرى
رضها فخر رسول الله مغشيا عليه فنزل جبريل في صورة الآدميين فضمه
الى نفسه وصدره وجعل يمسح الغبار عن وجهه فلما افاق قال رسول الله
صلعم يا جبرائيل ما ظننت ان الله تعالى خلق احدا على مثل هذه الصورة فقال
يا محمد انما نشرت جناحين من اجنحتي وان لي ستمائة جناح وكل جناح
ما بين المشرق والمغرب فقال صلعم ان هذا العظيم فقال جبرائيل عليه السلام
وما انا في جنب خلق الله الا يسيرا ولقد خلق الله اسرافيل عم له ستمائة
جناح كل جناح منها قدر جميع اجنحتي وانه ليتضاغر احيانا من مخافته تعالى
حتى يكون بقدر العصفور الصغير كذا في المعالم والتيسير واختلفوا فيما
رآه فقال بعض العلماء الراسخون راى جبريل في صورته مرتين في السماء
والارض عند الوحي ابتداء له ستمائة جناح وهو قول ابن مسعود وعايشة رضهما
وقال الآخرون من العلماء المجتهدين راى الله تعالى بعينه البصر وهو قول
انس والحسن وعكرمة وغيرهم ويؤيده ما روى عن ابي ذر الغفاري رضه انه
قال سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا رسول الله هل رايت ربك
قال صلى الله تعالى عليه وسلم نور اني اراه اي بلا كيف ولا كيفية رواه الامام
البغوي في المعالم وفي رواية رواه البزار عن علي بن ابي طالب انه قال قال
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اتى الحجاب الذي يلي الرحمن اي عرش الرحمن
فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يا جبرائيل هذا من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق
مكانا وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك
الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم
قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا الله
لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله

حي على الصلوة حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم فقدمه فام اهل السماء فيهم آدم ونوح وقال ابو جعفر محمد بن علي بن
الحسين راويه اكمل الله لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم الشرف على اهل السموات
والارض قال القاضي عياض في الشفاء رضي الله تعالى عنه ما في هذا الحديث
من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والبارى
عز اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه
على ابصار خلقه بصائرهم وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء
كقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب
واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه من ملئكة
عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجايب ملكوته وجبروته
ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملك الذي خرج من ورائه ان هذا
الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل على ان هذا الحجاب لم يختص
بالذات ويدل عليه قول كعب الاحبار في تفسير سدرة المنتهى قال اليها
ينتهي علم الملئكة وعندها يجدون امر الله تعالى لا يجاوزها علمهم واما قوله
الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف اي يلي عرش الرحمن او امرا ما من عظيم
اياته او مبادي حقايق معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى واسئل القرية اي
اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي وانا اكبر فظاهره انه
سمع في هذا الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء حجاب كما قال الله تعالى
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب اي وهو لا يراه انه حجب
بصره عن رؤيته فان صح القول بان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم راى ربه
فيحتمل انه في غير هذا المواطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى
رأى فالله تبارك وتعالى اعلم كذا بينه شارح مسلم فيه وفي كتاب الشفا
رحمة الله تعالى عليهم اجمعين ولله دره فلما وقع المعراج لرسول الله صلى الله تعالى

قوله الحجاب الخ اي ان معنى الحجاب وهو تعالى منزه عن الحجاب لانه محيط بكل الخلق وقادر على السموات والارض وما بينهما وما فوقهما فالكل محجوب عن [illegible] منه

عليه وسلم قالت قومه قريش كابي لهب وابي جهل وسائر اكابرهم قد تركت
دين آبائك وخرجت من الطريق وتقول شيئا من ذات نفسك فانزل الله
تعالى تصديقا لحبيبه وتكذيبا للكفرة الفجرة العندة والنجم اذا هوى المراد
بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب له او جنس النجوم وهويه غروبه وقيل
طلوعه يقال هوى هويا بوزن قبول اذا غرب وهوى هويا بوزن دخول اذا علا
وصعد واما النجم من نجوم القرآن فهويه نزوله والعامل في اذا فعل القسم فانه
بمعنى مطلق الوقت منسلخ من معنى الاستقبال كما في قولك آتيتك اذا احمر
البسر وفي الاقسام بذلك على نزاهته صلعم عن شائبة الضلال والغواية
من البراعة البديعية وحسن الموقع ما لا غاية وراءه اما على الاولين فلان
النجم شانه ان يهتدى به الساري الى مسالك الدنيا كانه قيل والنجم الذي
يهتدى به السائل الى سواء السبيل وفي هذا تشبيه بليغ بل ابلغ ما ضل صاحبكم
اي ما عدل عن طريق الحق الذي هو مسلك الآخرة ومرضي الرب في العاقبة
وما غوى وما اعتقد باطلا قط اي هو في غاية الهدى والرشد وليس مما
يتوهمون من الضلالة والغواية في شيء اصلا اذ كل اناء يترشح بما فيه فبامتلاء
قلوبهم بالشرك والضلالة والغواية يزعمون زعما باطلا ان تخلا فيه كذلك
فان قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم مشحون بالحكمة الربانية والنبوة الالهية
فما يترشح منه الاحكام الالهية والانباء الربانية وان الكلام صفة المتكلم
واما على الثالث فلانه تنويه بشان القرآن كما اشير اليه في مطلع سورة يس
وسورة الزخرف وتنبيه على مناط اهتدائه صلى الله تعالى عليه وسلم ومدار
رشاده كانه قيل والقرآن الذي هو علم في الهداية الى مناهج الدين ومسالك
الحق اليقين ما ضل عنها محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما غوى والخطاب لقريش
وايراده صلى الله تعالى عليه وسلم بعنوان صاحبيته لهم للايذان بوقوفهم على
تفاصيل احواله الشريفة واحاطتهم خبرا ببراءته مما نفي عنه بالكلية وباتصافه

بغاية الهدى

بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له وم ومشاهدتهم لفضائل محاسنه
العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوى على الوجه الاخير ظاهر
واما على الاولين فلان النجم لا يهتدى به الساري عند كونه في وسط السماء
ولا يعلم المشرق من المغرب وعكسه ولا الشمال من الجنوب وعكسه وانما يهتدى
عند هبوطه او صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلي جبريل
من الافق الاعلى ودنوه منه عليهما السلام وهذا هو اللائق بشان التنزيل الجليل
واما حمل هويه على انتثاره يوم القيمة او على انقضاض النجم الذي يرجم به
او حمل النجوم على النبات وحمل هويه على سقوطه على الارض وظهوره منها فمما لا
يناسب المقام كما لا يخفى على اولي الافهام وما ينطق عن الهوى وما يصدر
نطقه بالقرآن عن هويه ورايه اصلا فان المراد استمرار نفي النطق واستمراره
عن الهوى لا نفي استمرار النطق كما لا يخفى على اهل النطق ان هو ما الذي
ينطق به من القرآن الا وحي من الله تعالى نجوما موقتا وقوله يوحى صفة مؤكدة
رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددي علمه شديد القوى
اي ملك شديدة قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة في ابداء
الخوارق ويناديك دليلا على شدة قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء
الاسود الذي تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها
وجعل عاليها سافلها وصاح بقوم ثمود صيحة فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه
على الانبياء وصعوده في اسرع من رجعة الطرف ورفع قطعة من ارض
فلسطين من الشام واطرافها مع مياهها وكرومها ثم طاف الكعبة سبع طوف
وهي على جناح جبريل عليه السلام ثم وضعت على ما دعي عليه من المحل فسميت
الارض التي وضعت عليها طائفا لطوافها البيت على جناحه فاي خلق
يطيق على هذا ويقدر فذلك من اقداره تعالى فانظر كيف قدرة الله تعالى
لا يقدر عليه احد الا هو له ما في السموات والارض وما بينهما وحده لا شريك له

ذو مرة وحصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه وعمله لا يمكن تغيره
ونسيانه فاستوى عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله تعالى
ما اوحى بيان بكيفية التعليم اى فاستقام على صورته التى خلقها الله
تعالى عليها دون الصورة التى كان يتمثل عليها كلما هبط بالوحى وذلك
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احب ان يراه فى صورته التى جبل
عليها وكان رسول الله صلعم بجبل حراء فطلع له جبريل عليه السلام
من المشرق فسد الارض من المغرب وملأ الافق فخر رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فنزل جبريل فى صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل
يمسح الغبار عن وجهه فلما افاق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا جبريل
ما ظننت ان الله تعالى خلق احدا على مثل هذه الصورة فقال يا رسول الله
انما نشرت جناحين من اجنحتى وان لى ستمائة جناح وكل جناح ما بين
المشرق والمغرب فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا العظيم فقال
جبريل عم وما انا فى جنب خلق الله الا يسيرا ولقد خلق الله تعالى اسرافيل
عليه السلام له ستمائة جناح كل جناح منها قدر جميع اجنحتى وانه ليتصاغر
احيانا من مخافة الله تعالى حتى يكون بقدر العصفور الصغير كذا فى
تفسير التيسير كما مر تفصيله وروى عن ابن عباس انه قال سأل النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم عن جبريل عن اسرافيل فقال جبريل ان اسرافيل خلقه الله تعالى
يوم خلقه لا يرفع طرفه بينه وبين الرب سبعون نورا ما منها نور يدنو
منه الا احترق فبين يديه اللوح المحفوظ فاذا اذن الله تعالى له فى شىء
من السماء او من الارض ارتفع ما فى ذلك اللوح الى جنبيه فينظر فيه فان
كان من عملى امرنى به وان كان من عمل ميكائيل امره به وان كان من عمل ملك
الموت امره به رواه البيهقى فى الشعب وفى رواية ان الدنيا بين يدى
ملك الموت كالمائدة الصغيرة يقبض من هنا وهنا فاذا كثرت عليه

الارواح

الارواح يدعوها فتجيب وما من اهل بيت الا يطوف عليه فى كل يوم مرتين
ويقال مع ملك الموت سبعون من ملئكة الرحمة وسبعون من ملئكة العذاب
فاذا قبض مؤمنا فعليها ملئكة الرحمة فيبشرونها بالرحمة والجنة ويرفعوا
الى اعلى عليين واذا قبض كافرا دفعها الى ملئكة العذاب فيبشرونها بالعذاب
ثم يردونها الى السجين كذا فى تفسير الشيخ شهاب الدين السيواسى وقيل
ما رأى احد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام على نبينا الكل التحيات وشمل الصلوات
غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه رآه فيها مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء
وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الامر وقوله تعالى وهو بالافق الاعلى
اى افق الشمس حال من فاعل استوى ثم دنى اى اراد الدنو عن النبى عليهما
الصلوات التامات والسلامات العامات فتدلى اى استرسل من الافق
الاعلى مع تعلق به فدنى من النبى عليهما يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه
من السرير وادلى دلوه والدو الى الثمر المعلق فكان اى مقدار امتداد ما بينهما
قاب قوسين اى مقدارهما فان القاب والقيب والقاد والقيد والقيس
المقدار وقيل فكان جبريل عم كما فى قولك هو منى مقعد الازار او ادنى
اى على تقديركم كما فى قوله تعالى او يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال
وتحقيق استماعه لما اوحى اليه بنفى البعد الملتبس فاوحى اى جبرائيل الى عبده
اى عبد الله تعالى واضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما فى قوله تعالى ما ترك
على ظهرها ما اوحى اليه ربه عز وجل وانما ابهم الموحى اليه تعظيما لشانها
من الامور المعظمة التى لا تفى به العبارة او فاوحى الله تعالى حينئذ بواسطة جبريل
عليه السلام ما اوحى وقيل فيما اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء عليهم
الصلوة والسلام حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك وروى عن سعيد
بن جبير اوحى اليه الم يجدك يتيما فآوى الى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل
ان انت القاسم بين الجنة والنار وقيل كن آيسا من الخلائق فليس بايديهم شىء

واجعل صحبتك معى فان مرجعك الى ولا تجعل قلبك معلقا بالدنيا فانى
ما خلقتها لك وقيل وهبت اليك ثلث امتك واهب لك الثلثين يوم القيمة
ليظهر قدرك وعزتك بين الخلايق فى العرصات فقال الله تعالى يا حبيبى
امتك يطيعون برضائى ويعصون بقضائى فاغفر وانا رحيم وقال تعالى
ما اعطيت لامتك مالا كثيرا حتى لا تقسى قلوبهم وما جعلت فيهم موت الفجاءة
حتى لا يحرموا عن التوبة وجعلت آخر الامم حتى لا يلبسوا فى القبر كثيرا وقال تعالى
على طريق الشكاية فانى لم اكلف امتك عمل الغد وهم يطلبون منى رزق
الغد وارزاق الشهور واموال الدهور ولا ادفع ارزاقهم الى غيرهم وهم يدفعون
اعمالهم الى غيرى وانا المعبود بالحق وهم مخلوقى وهم المغيثون ويأكلون رزقى
ويشكرون لغيرى ويخونون امرى ويصالحون خلقى وانا المعز وهم يطلبون
العزة من سوائى وانى خلقت النار لكل كافر وهم يجتهدون ان يوقعوا انفسهم
اليها وان الجنة ازلفت للمتقين وبرزة الجحيم للكافرين الغاوين فقال الله
تعالى يا حبيبى اى شئ طلبت منى فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يا رب طلبت
القربة لامتى وقال الله تعالى وعزتى وجلالى وانا احب القرب من امتك
ويجاز رحمتى وجنتى قد فاصت ونعم جناتى قد هيئت ووسعت وهم يسألون
منى من طلب قربى ورضائى فليجتهد بامرى ونهيى وليشتغل بذكرى
وفكرى وعلامة ذلك ان لا يميل الا الى ولا يطيع الا الى اذ لا طاعة للمخلوق
فى معصية الخالق فاذا لا يسمع الا كلامى كذا فى قصص نور الدين القرمانى
رح ما كذب الفؤاد اى فؤاد محمد وقلبه صلى الله تعالى عليه وسلم ما راى اى
ما رآه ببصره من صورة جبرائيل عليه السلام اى ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك
ولو قال ذلك بما لم يسمع من شانه الا على فيلزم الكذب لانه عرفه بقلبه وتيقنه
كما رآه ببصره وبصيرته والانبياء عليهم الصلوة والسلام معصومون عن الكذب
ومبرؤن عن الافك وهم الامناء عند الله وعند كرام الناس فلا يبحث من السفهاء

من الكفرة

من الكفرة العندة والفجرة الحسدة وقرئ ما كذب اى بل صدقه ولم يشك
فيما راه بحقيقته افتمارونه على ما يرى اى تكذبونه وتجادلونه على ما يراه معاينة
بالقياس الى انفسكم فان ما رآه من الاحوال المتكاثرة ما هو الا باقدار الله تعالى
والقائه واصطفائه بين امثاله للارادة العلية من الازلية الابدية فكيف
يقاس بقدرة الله القديم لياتى على قدرة الانسان العديم الفانى وهل هذا
الا مضمون قوله العزيز ام يحسدون الناس على ما اتيهم الله من فضله فنعوذ بالله
العلى الكبير من شر حاسد اذا حسد من اللئيم الفجير واشتقاقه من مرى الناقة
كان كل من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرئ افتمرونه وتغلبونه فى المرى
من ماراته ولما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى كما يقال غلبته على كذا وقيل
افتمرونه اى فتجحدونه من مراه حقه ولقد رآه نزلة اخرى اى وبالله لقد رأى
جبرائيل فى صورته مرة اخرى من النزول نصبت المنزلة نصب الظرف الذى هو
مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكمها وقيل تقديره ولقد رآه
نازلا نزلة اخرى فنصبها على المصدر عند سدرة المنتهى وهى شجرة نبق فى السماء
السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كاذان الفيول تنبع
من اصلها الانهار التى ذكرها الله تعالى فى كتابه العزيز يسير الراكب فى ظلها
سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء او الانتهاء كانها فى منتهى الجنة
وقيل اليها ينتهى علم الخلايق واعمالهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهى
اليها ارواح الشهداء وقيل ينتهى اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها
كما قيل اضافة السدرة الى المنتهى اما اضافة الشئ الى مكانه كقولك
اشجار البستان او اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة
عندها منتهى العلوم او اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور
اى سدرة المنتهى اليه وهو الله تعالى عز وجل قال الله تعالى الى ربك المنتهى
عندها جنة المأوى اى جنة التى يأوى اليها المتقون وارواح الشهداء

وبالجملة حالية قيل الاحسن ان يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع
على الفاعلية وقوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى ظرف زمان رآه لا لما
بعده من الجملة المنفية كما قيل فان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها
والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشي او بمعنى الاتيان يقال فلان
يغشاني كل حين اي يأتيني والاول هو اللائق بالمقام وفي ابهام ما يغشى
من التفخيم ما لا يخفى وتأخيره عن المفعول للتشويق اليه اي ولقد رآه عند
السدرة وقت ما غشيها مما لا يكتنهه الوصف ولا يفي به البيان كيفا ولا كما
وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة
او للايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد قيل يغشاها الجم الغفير
من الملئكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور
الناس الكعبة وقيل يغشيها سبحات انوار الله عز وجل حين يتجلى لها كما تجلى
للجبل لكنها كانت اقوى من الجبل واثبت حيث لم يصبها ما اصاب من الدك
وقيل يغشيها فراش او جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك
وروي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال رأيت السدرة يغشيها فراش
من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وعنه صلى الله تعالى
عليه وسلم يغشاها رفرف من طير خضر ما زاغ البصر اي ما مال وما عدل
بصر رسول الله صلى الله تعالى عما رآه وما طغى وما تجاوزه مع ما شاهد
هناك من الامور المعظمة المتحيرة مما لا تعد ولا تحصى بل اثبته اثباتا صحيحا
متيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها
وقدر على تبيان حقايقها لقد رأى من آيات ربه الكبرى اي والله لقد رأى
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من الآيات التي هي كبراها وعظماها حين عرج به
الى السماء فارى من عجايب الملك والملكوت ما لا يحيط به نطاق العبارة ويجوز
ان يكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف اي شيئا عظيما من آيات

جواب القسم المحذوف والتقدير

ربه وان يكون

ربه وان يكون من مزيدة ومن الآيات الكبرى ما اعلمه الله تعالى احوال اهل
السعداء ومقاماتهم من الغرف العاليات من الجنات الموعودة لهم باكسابهم
المعولة فرادى فرادى والحور المقصورات خيما خيما واري له صلى الله تعالى عليه وسلم
دركات الاشقياء بعدا قعرا والزبانية الموكلة عليهم جسيما وطلعه على ما كان وما
يكون من احوال الانسية والجنية في الدنيا والعقبى مما تكون من العجايب الملكوتية
والغرايب الفلكوتية بحيث لا يفي البيان نطاق مآله واللسان وفاق حاله
وشأنه فسبحان ما اعظم جلالته وما اكبر عظمته روى عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم انه قال رأيت ليلة المعراج عند سدرة المنتهى ملكا لم ار مثله طولا
وعرضا طوله مسيرة الف الف سنة وله سبعون الف رأس وفي كل رأس سبعون
الف وجه وفي كل وجه سبعون الف فم وفي كل فم رأس سبعون الف زاوية من
نور وعلى كل زاوية الف الف لؤلؤة معلقة بقدرة الله تعالى وفي جوف كل لؤلؤة
بحر من نور وفي ذلك البحر حيتان طول كل حوت مقدار مائتي عام مكتوب على ظهرهن
لا اله الا الله محمد رسول الله وذلك الملك واضع احدى يديه على رأسه والاخرى
على ظهره وحين يسبح بانواع التسبيح واصناف السنة الفصيح اهتز العرش
بحسن صوته وجمال ادائه وسئلت جبرئيل عليه السلام اي خلق هذا فقال
هذا ملك خلق قبل آدم بالفي عام فقلت اين كان هذا الى هذه الغاية قال
ان الله خلق مقاما يقال له مرج عن يمين العرش وكان هذا في ذلك المقام
والملجأ هنا لاستقبالك ولتبشر امتك فسلم عليه فسلمت ولم يسمع سلامي
لاشتغاله بخوف عظمة الله والاستغراق بالتسبيح والتهليل فانفعل جبرئيل
بانفعاله لعدم رد سلامي فقال بالهيبة العظيمة والصيحة الفخيمة ايها الملك
المشتاق الى رؤية سلطان الكونين وبرهان الثقلين فانه لولاه لما خلقت
ونحن فانه ولي النعم لخلقتنا وكريم الشيم لدولتنا وادرك السلام
قبل احتراقنا بانفعاله وانكساره فلاجله جئت واستقبلت فبسط الملك

بين ذرية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible]

بعد خطاب جبرئيل بالهيبة فلو صاح بهذه الصيحة لهلكت اهل الدنيا
خامدين جاثمين فتفكر فى قوة قوى ذلك الملك بحيث تحمل ولم ينتقص منه
شى فبسط الجناحين الاخضرين اللايقين له حتى ملأ السموات والارضين وضمنى
الى صدره كالام الى ولده بانواع التعظيم واصناف الاعتذار الكريم وقبلنى
وقال ابشرك يا رسول الله فان الله تعالى قد غفر لك ولامتك وجعلك سيد
الانبياء وسند الاصفياء وامتك خير الامم ولا يدخلون الجنة ما لم تدخلها
ولا يدخل الامم الا بعد امتك وهم سلطان الامم كما انت سيدهم بكمال الايمان
وتمام الاذعان وخلوص الاعمال فى آنات الايام والشهور وساعات الاعوام
والدهور فالكرامات العلية فى الدارين لك والسعادات الجلية فى الكونين
لامتك فرايت صندوقتين بين يديه على كل صندوق مائة الف قفل من النور
وسئلت جبرئيل من الصندوقتين اى شئ فيهما وما الحكمة فقال لا ادرى سله
يا رسول الله فسئلته ما فيهما براءتان من الصالحين من امتك احديهما براءة
الاملاك والغرف وغيرهما من نعيمها واخريهما براءة الخلاص من عذاب النيران
وانا شاهد عليهما فلاجله خلقت ولحفظه امرت فاقعد على الصراط
واسلمهما على صاحبهما فالدولة الابدية والسعادة السرمدية لك وبسببك
لامتك كذا فى حيوة القلوب وزهرة الرياض

الفصل التاسع

فى ثواب ليلة البرات فى نصف شهر شعبان وصيامه وقيامه قال الله سبحانه
وتعالى فى سورة الدخان حم مقسم به وحروف القسم محذوف لما يدل ان القرآن
من اعظم المعجزات خاصة فى اوائل الرموزات فى السور كالم وكهيعص
وغيرها حتى عجز العلماء المتقدمون عن ادراك سرها فقال الامام الاعظم نعمان
بن ثابت الكوفى رحمه الله علمه عند الله لا نه سر من اسرار الله فاقسم الله تعالى الذاته العلية
وصفاته الجلية وما فيه عظمة فى علم الغيوب الالهى لم يعرفه العباد كهذه الرموزات
وقال بعض المفسرين من علماء المتاخرين الحاء اشارة الى الحق الله تعالى

واليم اشارة

واليم اشارة الى محبة عباده اى بحق الحى القيوم وبحق محبتى لعبادى الصالحين
ان لا اعذب اهل محبتى والكتاب المبين والواو للعطف عطف المقسم به
على المقسم به لانه يأخذ حكمه ان كان حم مقسما به والا فللقسم على انه مقسم به
ابتداء على ان معنى الرموزات لم يعرف عند العلماء المتقدمين فصلا عن
القسم او عطفا على حم مقسما به او على تقدير البدل عند غيرهم وكونه مجرورا
باضمار باء القسم المحذوف على ان مدار العطف مناسبة وجهة جامعة
المغايرة فى العنوان ومناط تكرير القسم مبالغة اللطيفة فى تاكيد مضمون
الجملة القسمية على مذهب المتاخرين وفيه مذهب المتقدمين والمتاخرين
على الترتيب والترصيف المذكور على ما قرر مرة وكرر كرة مرارا وكرارا فانظره
واعمله على مقتضى المذهبين وقوله انا انزلناه جواب القسم مكررا والمراد
بالكتاب القرآن البين فى ذاته لما انزل عليهم لكونه بلغتهم واساليبهم او المبين
المظهر الحق المتميز لطريق الهدى من طرق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج
اليه فى ابواب الديانة ورجوع الضمير المنصوب اليه يؤيد انه من اعجاز العرباء
والفصحاء من ارباب العقل والفراسة واصحاب الفهم والدراية والكياسة انه
من عند الله العلى فى ذاته وصفاته لا من عند البشر العاجز فى فهم حاله ومبانيه
وشانه ومعانيه اذ لا يشتبه على ذوى البلاغة معاينة طريق اعجازهم
مع البلاغة العظمى والفصاحة الكبرى فى ليلة مباركة هى ليلة القدر
وقيل ليلة البرات ووجه بعضهم انه ابتدئ فيها انزاله واتم ليلة القدر
انزاله فيها جملة واحدة من اللوح المحفوظ بايدى سفرة كرام بررة الى بيت
العزة من السماء الدنيا واملاءه وجمعه جبرئيل على السفرة الساكنة فى بيت
العزة الذين امروا ابتداء بالاستنساخ من اللوح المحفوظ ثم كان جبرئيل
ينزله على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نجوما فى ثلث وعشرين او خمس وعشرين
على ما روى القاضى ابو الفضل فى كتاب الشفاء عن ابن عباس انه مكث

فى دفع التنزيل بين الليلتين

بعد النبوة بمكة خمس عشرة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى
شيئاً وثمان سنين يوحى اليه هذا على كونه صلى الله تعالى عليه وسلم عاش خمساً
وستين سنة ووصفها بالبركة لما ان نزول القرآن مستتبع للمنافع الدينية
والدنيوية باجمعها او لما فيها من تنزل الملئكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم
النعمة وفصل الاقضية واعطاء تمام الشفاعة لامته الموعودة ليلة
المعراج بعد الثلث لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل يزيد في هذه
الليلة ماء زمزم زيادة ظاهرة قيل اعظم الليالي بركة ليلة اقيمت
فيها المناجات للرب الغفور واشد الليالي بركة يكون قلب العبد فيها
حاضراً ومشاهداً لتجليات الرب بتنعم انوار الوصلة ووجدان نسيم
القربة وروى عن ابن عباس وانس وواثلة بن الاسقع رضي الله عنهم انهم قالوا
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انزل الله تعالى صحف ابراهيم عليه
السلام في اول ليلة من رمضان وارسل التورية لست خلون من رمضان
وانزل الزبور لاثني عشر خلون من رمضان على تقدير كون النزول جملة
واحدة في ليلة القدر وانزل الانجيل لثمان عشر من رمضان وانزل
الفرقان لاربع وعشرين خلون من رمضان من اللوح المحفوظ الى سماء
الدنيا جملة واحدة كذا رواه احمد بن حنبل في المسند والطبراني في المعجم
الثلث وصاحب الفردوس في مسنده وقيل انزاله في ليلة النصف من
شعبان كما هو المفهوم من هذه السورة ولهذه الليلة اربعة اسماء الليلة
المباركة وليلة البراءة وليلة الرحمة وليلة الصك انا كنا منذرين
مخوفين من العقاب ومبشرين بالمغفرة فيها والثواب استيناف مبين
لما يقتضي الانزال كانه قيل انا انزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير
بالعقاب والتبشير بالمغفرة والثواب وهذا عادته واظهار الربوبية
وقيل جواب للقسم وقوله انا انزلناه اعتراض وقيل جواب ثان بغير عاطف

على طريق

على طريق البدل كما كان في المقسم به روى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها
وصوموا نهارها فان الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس اي رحمته الى سماء الدنيا
فيقول الا من مستغفر فاغفر له الا من مسترزق فارزقه الا كذا الا كذا حتى
يطلع الفجر رواه ابن ماجه كذا في مشكوة المصابيح قوله فان الله تعالى ينزل فيها
اما من النزول من الثلاثي المجرد او من الانزال من المزيد فيه كما يؤيده القراءة
بضم الياء وكسر الزاء كما ان الاول بفتح الياء فمعناه على هذا من المتشابهات
لا يعرفه الا الله العلي العظيم المنزه عن الحركات والامكنة وعلى القراءة
الثاني من المحكمات اي ينزل رحمته على عباده المؤمنين كما هو الحال في جميع
الاحوال من انزال الامطار والكتب الالهية والملئكة وغيرها فيها يفرق
اي في ليلة القدر او ليلة النصف من شعبان يفصل ويميز ويكتب على
ما تقتضيه الارادة الازلية والاختيارات الابدية كل امر حكيم اي محكوم
بوقوع هذه الاشياء المقدرة جملة استينافية كما قبله فان كونها
تفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة والموافقة لها يستدعي ان ينزل
فيها القرآن الذي هو من عظامها وقيل صفة اخرى لليلة وما بينهما
اعتراض وهذا تأكيد لكون انها ليلة القدر لدلالة قوله تنزل الملئكة والروح
فيها باذن ربهم من كل امر و معنى يفرق يكتب ويفصل كل امر حكيم
محكوم بالوقوع من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم من هذه الليلة
الى الاخرى من السنة القابلة وروى عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن
الاخنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع الآجال من شعبان
الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له ولقد اخرج اسمه في الموتى وروى
ابو الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله يقضي الاقضية في ليلة النصف
من شعبان ويسلم الى اربابها في ليلة القدر رواه البغوي في المعالم وح

وقيل يبدأ في استنساخ ذلك الامور من اللوح في ليلة البرآة ويقع الفراغ
في ليلة القدر على ما مرّ انفا فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة
الحروب الى جبرائيل وكذا الزلازل والخسف والصواعق ونسخة الاعمال الى
اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم القدر ونسخة المصائب
الى ملك الموت عليهم السلام وقرئ يفرّق بالتشديد وقرئ على البناء الفاعل
اي يفرق الله تعالى كل امر حكيم محكوم وقرئ نفرق بنون العظمة امرا من عندنا
نصب على الاختصاص اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى
حكمتنا وهذا بيان لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية ويجوز
كونه حالا من كل امر لتخصصه بالوصف المذكور او من ضميره في حكيم وقد
جوز ان يراد به مقابل النهي ويجعل مصدرا مؤكدا ليفرق لاتحاد الامر
والفرقان في المعنى او لفعله المضمر لما ان الفرق به او حالا من احدى ضميري
انزلناه اي آمرين او مامورا انا كنا مرسلين بدل من انا كنا منذرين وقيل
جواب ثالث وقيل مستانف وقوله تعالى رحمة من ربك غاية للارسال
متاخرة عنه على ان المراد بها الرحمة الواصلة الى العباد وثابتة متقدمة عليه
على ان المراد مبدؤها اي انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب
الى العباد لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لاجل افاضة رحمتنا
عليهم او لاقتضاء رحمتنا السابقة ارسالهم ووضع الرب موضع الضمير
للايذان بان ذلك من احكام الربوبية ومقتضياتها واضافته الى ضميره
صلى الله تعالى عليه وسلم لتشريفه او تعليل ليفرق او لقوله تعالى امرا
على ان قوله رحمة مفعول للارسال كما في قوله تعالى في سورة الفاطر ما يفتح الله
للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له اي يفرق فيها كل
امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا ولا ريب ان
كلا من قسمة الارزاق وغيرها والاوامر الصادرة عنه تعالى من باب الرحمة

فان الغاية

فان الغاية بتكليف العباد تعريضهم للمنافع الكلية وقرئ رحمة بالرفع
اي تلك الرحمة لما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم هل تدرين ما هذه الليلة يعني النصف من شعبان قالت
ما فيها يا رسول الله فقال النبي صلعم يكتب فيها كل مولود من بني آدم في هذه
السنة وفيها يكتب كل هالك من بني آدم في هذه السنة وفيها ترفع اعمالهم
وفيها تنزل ارزاقهم فقالت عائشة يا رسول الله ما من احد يدخل الجنة
الا برحمة الله تعالى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما من احد يدخل الجنة الا برحمة الله
تعالى قلت ولا انت يا رسول الله فوضع يده صلعم على هامته فقال ولا انا
الا ان يتغمدني الله تعالى برحمته قاله لها ثلث مرات رواه الامام البيهقي
وكذا في مشكوة المصابيح رحمهم وقوله تعالى انه هو السميع العليم تحقيق لربوبيته
تعالى وانها لا تحق الا لمن هذه نعوته رب السموات والارض وما بينهما بدل
من ربك او عطف بيان او نعت وقرئ بالرفع على انه خبر آخر او استيناف
على اضمار مبتدإ ان كنتم موقنين اي ان كنتم من اهل الايقان في العلوم
او ان كنتم موقنين في اقراركم بانه تعالى رب السموات والارض وما بينهما او اذا
سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين
فاعلموا ذلك قال الامام الزندوسي صاحب الروضة من جليل حفاظ المحدثين
في كتاب روضة العلماء رح ان هذه الليلة تسمى ليلة البرآة لانها تعطى
فيها السعداء والاشقياء فتعطى للسعداء والاصفياء في كل سنة فيها الا ان
الشقي يتحول سعيدا او بالعكس للارادة الجزئية المعلقة في اللوح
المحفوظ الموافقة للارادة الازلية في العلم الازلي انه بريء من عذاب
النار والسلاسل والاغلال وانواع العقاب في دار البوار من الكفرة والفجار
وانجو من عذاب القبر وعذاب المحشر وخوف الصراط بالنجاة والمرور بالسلامة
وتمكن في دار القرار بالحور والغلمان والتاج السعادة والخلعة الفاخرة

يعني تحول الشقي سعيدا او بالعكس فيها فانه
انما يكون بالارادة الجزئية
المعلقة

والنعم العلية والغرف الجلية والدرجات فى الجنات العاليات وغيرها مما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر خاصة رضوان الله الاكبر والجمال
مع الكمال يسرنا الله تعالى واياكم بحرمة نبيه ذات الرفعة والكمال آمين ويعطى
للاشقياء براءة انه استحق عذاب النار وعقابه وماء الحميم والعقارب والحيات
وتمكن فى الدركات واستغرق انواع العقوبات من العذاب الاليم من غير رحمة
الراحم لان عبادة اهل النار من الزبانية وخدامهم تعذيب اصحابها بالقوة
القاهرة من غير اهمال والشجاعة الهالكة بالاهتمام التام والانتقام العام
فهم يبكون ويتضرعون وهم غلاظ شداد لا يسمعون ولا يرحمون بل يزدادون
عذابهم ويبادرون عقابهم لينال الدرجات كالزاهد العابد يهتمون
العبادات لكى ينالوا الدرجات فى الجنات فكذا الزبانيون يعذبون بالسعى
البليغ كيلا يعصون الله بما امرهم فمراد الله تعالى تعذيبهم لدلالة الخلق
من الله على هذه الغلظة والشدة ورضاؤه فيه فلذا خلقهم غلاظا شدادا
صما وبكما لئلا يرحموا ولا يشفقوا ولا ينظروا الى احوالهم المتشتتة وغمومهم
المعذبة المتفرقة فاذا الجوارح من السمع والبصر اذا علمت وسمعت ونظرت
تترحم صاحبها ولم تتكاسل فى مأمورتها والا فلو رحموا فيقتضى عصيانهم
فى امورهم المأمورة فهم متنزهون عن العصيان فيما امرهم الله تعالى فلا يعصون الله
ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فان للعبودية انواعا فكل المأمورين
عابد بما امر والمراد اجراء العبودية بما يليق فكما يليق بالزاهد العبادة
فى المساجد كذلك يليق للزبانيين التعذيب بالسعى البليغ ليظهر بها
العبودية المأمورة لهم فاذا فهم المآل من الزاهد والعابد فالاهتمام واجب
على المؤمن الكامل ان يهتم بعمل اهل الجنات ويجتنب عن عمل اهل النار فلا
ينفع بعد فوت الفرصة التضرع والبكاء فالعاقلون يتحملون بمشاق الدنيا
ليتخلصوا عن مشاق العقبى ويتزينون بزينة الاعمال الصالحات من الصلوة

بيان حال اهل النار وتعذيب الزبانية

والحج

والحج والزكوة والصيام والقيام والصدقات من الفرائض والنوافل ما استطاعوا
فان اوقات الانسان من الايام والشهور والاعوام والدهور قيم الدرجات
العاليات فى الجنان الرافعات كما ان الدراهم والدنانير قيم امتعة الدنيا من
الملبوسات والمأكولات والمشروبات وغيرها مما يحتاج به الانسان ويتعيش به
ويكفى للعاقل حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع له
فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان المفلس من امتى من يأتى يوم القيمة بصلوة
وصيام وزكوة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم
هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت
حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح
فى النار رواه مسلم والترمذى رح فضلا عمن لا يصلى ولا يزكى ولا يعبد
ولا يزهد ايها الاخوان ان الافلاس مشكل فى الدارين اما فى الدنيا فهو معلوم
لكل فقير احتاج الى الشىء اشد الاحتياج كالاكل والشرب واللبس وغيرها
ولم يقدر على تحصيله فكيف حاله ومشاقه ووجعه ومع هذا يمكن التدارك
فى الدنيا او يرجى نيله اما بالسؤال عمن يرجى اعطاؤه او بالهبة وبالظلم وغيرها
مع قطع النظر عن الجواز وعدمه واما فى العقبى والآخرة فانه اشكل واصعب
اذ هو يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم
يومئذ شأن يغنيه واشغال وافكار وخوف تغنيه فالاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو بان يقولوا انا كنا لكم حبيبا وتبعا وفعلنا بما فعلتم اقتداء بكم
واخوانا لكم فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء كما قال الله تعالى فى سورة
زخرف الاخلاء اى المتحابون فى الدنيا على الاطلاق وفى امور الدنيوية
يومئذ اى يوم اذ تأتيهم الساعة بعضهم لبعض عدو لانقطاع ما بينهم
من علائق الخلة والتحابات لظهور كونها اسبابا للعذاب الا المتقين فان خلتهم

بيان حال الاخلاء فى الاخرة والبعض

فى الدنيا لما كانت فى الله تعالى تبقى خلتهم على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار
خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على معنى الاول متصل وعلى معنى الثانى
منقطع يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادى به
المتقون اين المتحابون فى الله يومئذ تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم الذين آمنوا
باياتنا صفة للمنادى او نصب على المدح وكانوا مسلمين اى مخلصين وجوههم لنا
جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو آمنوا روى عن قتادة رح
انه قال قال على بن ابى طالب رض فى هذه الاية خليلان مؤمنان وخليلان
كافران فمات احد المؤمنين فقال يا رب ان فلانا كان يأمرنى بطاعتك
وطاعة رسولك ويأمرنى بالخير وينهانى عن الشر ويخبرنى انى ملاقيك
يا رب فلا تضله بعدى واهده كما هديتنى واكرمه كما اكرمتنى فاذا مات
خليله المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن احدكما على صاحبه فيقول نعم الاخ
ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت احد الكافرين فيقول يا رب ان فلانا
كان ينهانى عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرنى بالشر وينهانى عن الخير
ويخبرنى انى غير ملاقيك فاذا مات خليله الكافر جمع بينهما فقال ليثن احدكما
على صاحبه فيقول بئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب رواه الامام البغوى
رح وروى عن مقاتل رض انه قال اذا بعث الله الناس فزع كل واحد فينادى
مناد يا عبادى فيرفع الخلائق رؤسهم على الرجاء ثم يتبعها الا الذين آمنوا
الاية فينكس اهل الاديان الباطلة رؤسهم ذكره ابو السعود رح فى تفسيره
فييأس الناس منها غير المسلمين فيقال لهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم
المؤمنات تحبرون اى تسرون سرورا يظهر حباره واثره على وجوهكم
او تتزينون من الحبرة وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما بليغا والحبرة
المبالغة فيما وصف بالجميل وتتنعمون بانواع الجنان العاليات يطاف
عليهم بعد دخولهم الجنة حسبما امروا به بصحاف من ذهب واكواب كذلك

قوله الخليلان ينفعان من المؤمنين وينفعان
من الكافرين

والصحاف

والصحاف جمع صحفة قيل هى كالقصعة وقيل اعظم القصاع الجفنة ثم
القصعة ثم الصحفة ثم المكيلة والاكواب جمع كوب وهو كوز وهو اناء مستدير
مدور الرأس لا عروة له وفيها اى فى الجنة ما تشتهيه الانفس من فنون الملاذ
وقرئ ما تشتهى وتلذ الاعين اى تستلذه وتقر بمشاهدته وقرئ وتلذه
وانتم فيها خالدون اتمام للنعمة واكمال للسرور فان كل نعيم له زوال بالاخرة
مقارن للخوف لا محالة والالتفات للتشريف وروى عن عبد الرحمن بن
سابط رض انه قال قال يا رسول الله افى الجنة خيل فانى احب الخيل فقال
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء ان تركب فرسا
من ياقوتة حمراء فتطير بك اى فى الجنة شئت الا فعلت فقال اعرابى يا رسول الله
افى الجنة ابل فانى احب الابل فقال يا اعرابى ان يدخلك الله الجنة اصبت
فيها ما اشتهيت ولذت عينك رواه البغوى فى المعالم وروى عن ابى
هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانى جبريل ليلة
النصف من شعبان فقال يا رسول الله تفتح فيها ابواب السماء وابواب
الرحمة قم فصل وارفع يديك الى السماء فقلت يا جبريل وما هذه الليلة
فقال يا محمد هذه ليلة تفتح فيها ثلثمائة باب من ابواب الرحمة فيغفر الله
تعالى لجميع من لا يشرك بالله تعالى شيئا الا ان يكون ساحرا او كاهنا او مدمن
الخمر او مصرا على الزنا او مشاحنا او عاقا لوالديه فان هؤلاء لا يغفر لهم
حتى يتوبوا فاذا تابوا تاب الله عليهم ويقبل توبتهم ولو مكثوا الى ان يغفر
قبل توبتهم قال فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى البقيع فصلى وسجد
فبينما هو ساجد يبكى وهو يقول فى سجوده اعوذ بعفوك من عقابك
واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك جل ثناؤك ولا احصى ثناء عليك
كما اثنيت على نفسك فلك الحمد حتى ترضى فلما كان ربع الليل نزل جبرائيل
عليه السلام فقال يا رسول الله ارفع رأسك الى السماء فرفع رأسه فاذا ابواب

والاستفهام محذوف
اى افلا تشاء

فضيلة ليلة النصف شعبان وفتح ابواب السماء
ودعوة النبى عليه
السلام

الرحمة مفتوحة فاذا على الباب الاول ملك ينادى طوبى لمن ركع فى هذه الليلة
واذا على الباب الثانى ملك ينادى طوبى لمن سجد فى هذه الليلة واذا على الباب
الثالث ملك ينادى طوبى للذاكرين فى هذه الليلة وعلى الباب الرابع ملك
ينادى طوبى لمن دعى ربه فى هذه الليلة وعلى الباب الخامس ملك ينادى طوبى
لمن بكى من خشية الله تعالى فى هذه الليلة وعلى الباب السادس ملك ينادى
طوبى للمسلمين فى هذه الليلة وعلى الباب السابع ملك ينادى هل من سائل
فيعطى سؤاله وهل من داع فيستجاب له دعاؤه وهل من تائب فيتاب
عليه وهل من مستغفر فيغفر له ذنوبه الكثيرة وعيوبه الوفيرة التى لم
تغفر فى وقت من الاوقات الى هذه الليلة المباركة فقال النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم يا جبرئيل الى متى ابواب الرحمة مفتوحة فقال يا جبرئيل عليه
السلام من اول الليل الى طلوع الفجر ثم نادى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وامر اصحابه ان يقوموا كل ليلة النصف من شعبان من انواع العبادات
والطاعات من الصلوة والتوحيد والاستغفار والنوافل والتلاوة وغيرهم
بشرع ولم تكن بدعة وقال ان لله عتقاء فى هذه الليلة اكثر من شعر غنم
بنى كلب وفيها رفع الاعمال من السنة الى السنة وفيها تقسيم الارزاق
كذا فى الروضة ويؤيده ما روى عن اسامة بن زيد رضى الله عنه قال كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يصوم شعبان ويقول ذلك شهر بين رجب ورمضان
يغفل الناس عنه وفيه يرفع اعمال العباد اى فى ليلة البرات فى نصف
شعبان الى الله تعالى فاحب ان يرفع عملى وانا صائم وروى عن ابى هريرة
رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شعبان شهرى ورمضان شهر
امتى شعبان هو المكفر ورمضان هو المطهر وعن انس رضى الله عنه قال قال النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم اتدرون لم سمى شعبان قالوا الله ورسوله اعلم
قال لانه يتشعب فيه خير كثير ثم قال صلعم اتدرون
قالوا الله ورسوله اعلم قال انه يتشعب فيه خير كثير ثم قال صلعم اتدرون

ويسمى

ويسمى رمضان رمضان قالوا الله ورسوله اعلم قال النبى صلعم لانه يرمض
الذنوب اى يحرقها كذا فى الروضة وفى رواية اعطى فيها رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من تمام الشفاعة وذلك الشفاعة وذلك انه صلى الله تعالى عليه
وسلم سئل امته فى ليلة الثالث عشر من شعبان فاعطى الثلث منها ثم سئل
الليلة الرابع عشر فاعطى الثلثين ثم سئل الليلة الخامس عشر فاعطى
الجميع من عناية الله تعالى ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة ذكره ابو الليث
العلامة فى تفسيره بحر العلوم رح واما الصلوة التى تسمى صلوة البرات على
الهيئة المخصوصة والجماعة الكثيرة المبتدعة صلوتها مع الجماعة فبدعة
منكرة لا اصل له ولا ثبوت له فى الكتب الستة الصحيحة المعتبرة عند
العلماء المجتهدين المحدثين والفضلاء المفسرين المعتقدين وهم اتفقوا
على كراهة الجماعة فى النوافل كلها ما عدا التراويح والخسوف والكسوف
مطلقا ومقيدا بالثلثة او الاربعة سوى الامام لعدم وقوعها فى عصر
الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين بل ظهرت بعد المائة
الرابعة من الهجرة النبوية صلى الله تعالى عليه وسلم من الصلوات الابدية فى
الوسيلة المحمودية وشرفنا بشفاعته المقبولة فى ارتفاع الدرجات
الزيدية فانها ابدعت فى المسجد الاقصى سنة ثمان واربعين واربع مائة
على ما ذكره الامام الطرطوسى رح ان رجلا نابلسيا الحسن الصوت والتلاوة
والبدع الصلاح والحلاوة قدم بيت المقدس فقام يصلى ليلة البرات
فى نصف شعبان فتبعه واحد ثم الاثنان ثم الثالث فما اتمها الا وقد
حصل جمع كثير وجم غفير وجاء فى العام القابل فصلى معه خلق وفير حتى
امتلأت بيت المقدس ثم شاعت فى المساجد والاطراف فى مساجد
المقدسة فانتشرت فى البلدان واستقرت عادة بين الجهلة المتمسكة فى
الاعيان كما هو الحال فى سائر البدعة ثم اعتقد كثير من العوام الصوفية

بحث الصلوات المبتدعة كصلاة البرات
والصلاة الرغائب وغيرهما

غير القادرين تفريق بين السنة والبدعة فاعتقد البعض انها سنة واعتقد
الاخر انها واجب بل فرض فذاوموا عليها وافتروا على صاحب الشريعة ولم
ينتهوا بنهي العلماء من اهل السنة فبالغوا فيها على قواعد اهل البدعة فاصروا
مع عدم المبالات فى فوت الفرض والواجب والسنة الشريفة ولا يعرفون
ما يحصل فيها من الثواب الممدوحة او من العقاب المذمومة فجاسروا عليها
فى المساجد الى يومنا هذا فى المعابد فويل للذين يشاهدونها ولم يمنعوا
عنها ما داموا قادرين عليها او بما اشاؤا فاعلين ولم تقيدوا على نهيها
وروى عن ابى بكرة نفيع بن الحرث رضى الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال الا انبئكم باكبر الكبائر ثلثا الاشراك بالله تعالى وعقوق
الوالدين وشهادة الزور وكان متكئا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته
سكت ولا افتراء على الله تعالى وعلى رسوله قال الله تعالى ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون رواه البخارى
ومسلم وروى عن مغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ان كذبا على ليس ككذب على احد فمن كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار
رواه البخارى ومسلم رحمهما الله اعلم ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض على كل
احد مطلقا على رواية وهو طريق التقوى اذ اماتوا فيه مات شهيدا وعلى رواية
مقيدا بوجود قدرة المنع عليه اما بالضرب والحرب او باسماع كلام باى
طريق كان فاذا عجز عن المنع وان لم يقدر عليه باى طريق كان فسقط
عن العذاب فتوبة الافتراء والبهتان لا يكون الا بثلثة اشياء عزم على تركه
واستحلاله ان امكن وتكذيب نفسه عند السامعين كما امر الله تعالى فى قوله
تعالى فى كتابه العزيز سورة آل عمران ولتكن منكم امة يدعون الى الخير فامرهم الله
تعالى بتكميل الغير وارشاده اثر امرهم بتكميل النفس وتهذيبها من الاوامر
والنواهى تثبيتا للكل على مراعات ما فيها من الزم الاحكام بان يقوم بعضهم

يوجبها

يوجبها ويحافظ على حدودها وحقوقها ويذكرها الناس كافة ان قدر
والجمهور على اسكان لام الامر عند ملاقات الواو والواصلة والفاء وقد قرئ
بالكسر على الاصل وهو ان كان من كان التى هى التامة ومن تبعيضية متعلقة
بالامر او بمحذوف وقع حالا من الفاعل وهو امة ويدعون صفتها اى لتوجد
منكم امة داعية الى الخير والامة هى الجماعة التى يؤمها فرق من الناس اى
يقصدونها ويقتدون بها او هى من كان التى هى من افعال الناقصة فامة
اسمها ويدعون خبرها اى لتكن منكم امة داعين الى الخير واياما كان فتوجيه
الخطاب الى الكل مع اسناد الدعوة الى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكل
على كفاية وانها واجبة على الكل لكن بحيث ان اقامها البعض سقطت
عن الباقين ولو اخل بها الكل اثموا جميعا لا بحيث يتحتم على كل افراد الانسان
عالما او جاهلا صغيرا او كبيرا قادرا او عليلا على ما ينبئ قوله عز وجل
وما كان المؤمنون لينفروا كافة الاية ولانها من عظايم الامور وعزايمها
التى لا يتولها الا العلماء القادرون باستدلالها واحكامها ومراتب
الاحتساب وكيفية اقامتها فان من لا يعلمها يوشك ان يامر بمنكر وينهى
عن معروف ويغلظ فى مقام اللين ويلين فى مقام الغلظة وينكر على من لا
يزيده الانكار الا التمادى والاصرار وقيل من بيانية كما فى قوله تعالى
وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات الاية فالامر فى قوله ولتكن
منكم من كان الناقصة فالمعنى كونوا امة يدعون الاية كقوله تعالى كنتم
خير امة اخرجت للناس الاية ولا يقتضى ذلك كون الدعوة فرض عين فان
الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطابات العامة والدعاء الى الخير
عبارة عن الدعاء الى ما فيه صلاح دينى او دنيوى فعطف الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر عليه بقوله تعالى ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
مع اندراجهما فيه من باب عطف الخاص على العام لاظهار فضلهما واحقيتهما

[illegible] كون كلمة من [illegible] [illegible]

على سائر الخيرات كعطف جبريل وميكائيل على الملئكة على نبينا وعليهم الصلوة
الدائمة والسلامات القائمة وحذف المفعول الصريح من الافعال الثلثة
اما للايذان بظهوره اى يدعون الناس ويأمرونهم وينهونهم واما للقصد
الى ايجاد نفس الفعل كما فى قولك فلان يعطى ويمنع اى يفعلون الدعاء الى
الخير والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واولئك اشارة الى الامة المذكورة
باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الفاضلة وكمال تميزهم بذلك عن
عداهم وانتظامهم بسببه فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى
البعد للاشعار بعلو طبقاتهم وبعد منزلتهم فى الفضل والافراد فى كاف
الخطاب اما لان الخطاب كل من يصلح للخطاب واما لان التعيين
غير مقصود اى اولئك الموصوفون بتلك الصفات الكاملة هم المفلحون
اى هم الاخصاء بكمال الفلاح وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة
ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او هم مبتدأ خبره
المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحين اما للعهد او للاشارة
الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وروى عن ابن عمر رض ان رجالا
يؤمر بهم الى النار ويؤمر بجلسائهم ايضا فيقولون ما لنا فيقال لهم كنتم تأمرونه
الكنتم تنهونه فيقولون لا فيقال اذهبوا به الى النار رواه صاحب المجالس
الرومى رح فهذا امر خطر قلما تقع السلامة عنه لان كثيرا من المنكرات
تظهر فى كل زمان فلا تغير بل يقع السكوت عنها لاستيناس النفوس
فلذلك قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى رواية ابى سعيد الخدرى رض
لا تصاحب الا مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقى فانه صلى الله تعالى عليه وسلم
حذر المؤمن فى هذا الحديث بمصاحبة من ليس بتقى وعن مخالطته لان
الصحبة والالفة توقع المحبة والمودة فى القلب ثم فيكون لما قال
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه ابو هريرة رض يحشر المرء على

دين خليله

دين خليله فلينظر احدكم من يخالل يعنى يريد ان يعرف حال حشره مع نفسه
وخليله فلينظر الى خليله وصديقه فان كان صديقه صالحا فهو يحشر مع
الصالحين بلا ريب وان كان صديقه فاسقا فهو يحشر فى زمرة الفاسقين
لكون الطبائع مجبولة على الاقتداء والتشبه اذ الطبيعة تسرق وصاحبها
لا يدرى ومشاهدة المنكر تهون امر المعصية فى القلب خاصة اذا كرر ويذهب
تنفرها عنها بل يرغبها فيها لرسوخ الكرات فى المرات فلا يوجد ضعف الايمان
بانطفاء القلب عن الايمان ولوازمه ويؤيده ما ورد من حديث ابن مسعود رض
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما وقعت بنو اسرائيل فى المعاصى
نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا ولم ينزجروا فجالسوهم فى مجالستهم واكلوا معهم
وشاربوا معهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن
مريم كما قال الله تعالى فى سورة الاعراف فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة
خاسئين اى اذلاء مبعدون عن رحمة الله تعالى التى جعل للتائبين نجاتا من
النار وهلكة وخسارة للتاركين من الفجار وجعلهم من الملعونين الكفار
ذلك بما عصوا من اوامر الله ونواهيه بعدم الائتمار والاجتناب وكانوا يعتدون
فان اصحاب السبت واصحاب المائدة لما اعتدوا اوامر الله ورسله فقال داود
صلوات الله على نبينا وعليه اللهم العنهم اية وشار الخلق فمسخوا قردة
واما اصحاب المائدة فانهم لما اكلوا منها ولم يؤمنوا ويصدقوا فقال عيسى
صلوات الله وسلامه على سيد الانبياء وسندنا وعليهم اللهم العنهم كما لعنت
اصحاب السبت فاصبحوا خنازير فذلك بما عصوا الله ورسله وكانوا يعتدون
ويتجاوزون حد ما امروا به وروى عن انس بن مالك رض انه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دوروا مع القرآن حيث دار قالوا يا رسول الله
ارايت ان لم نطق ذلك فقال كونوا كحوارى عيسى بن مريم شقوا بالمناشير
فى الله وصلبوا فى جذوع النخل فى الله فقالوا يا رسول الله ارايت ان لم نطق

بخ حكاية بنى اسرائيل [illegible]

بحث التأكيد في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

ذلك قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لقتل في طاعة الله خير من حيوة في معصية الله
ان بني اسرائيل ملكتهم ملوك بعد انبيائهم ففجروا واصقتهم وعملوا فيهم بغير الحق
فلم يمنعهم ذلك من جودهم وضاحكوهم واكلوهم وشاربوهم فضرب الله
بقلوب بعضهم على بعض ولعنوا على لسان داود وعيسى بن مريم لتأمرن
ولتنهون عن المنكر وليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو عليكم خياركم
فلا يستجاب لهم رواه الامام الواحدي في تفسيره الوسيط ففي الاحاديث
الصحيحة دليل على ان مجرد النهي لا يكفي في الخروج عن الاثم بل لا بد
من البغض في الله والهجر في الله ان لم ينتهوا عما فعلوا من المنكرات لما روي
عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس منا
من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا ولم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر
ولما روي ايضا عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه
فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان رواه الامام امير المحدثين
مسلم القشيري النيسابوري رح في صحيحه وفي هذا الحديث دلالة ونص في
كون الوجوب على الامر على الترتيب على كل شخص وهو قول اكثر العلماء من المجتهدين
وهو المختار للفتوى وقال بعضهم التغيير باليد على الامراء ذوي القدرة
والحكام العلماء من عندهم وباللسان على العلماء المخلصين وبالقلب على
العوام المنتقصين وهو المروي عن ابي حنيفة نعمان الكوفي رحمه الله فلذا
اوجب الضمان في كسر المعازف جمع معزف بكسر الميم وفتح الزاء المعجمة على وزن
المنابر والمنبر وهو آلة اللهو كالطنبور والطبل والمزمار وامثالها ان كان لها
قيمة في اصل المادة قبل التصنيع بالهيئة المخصوصة ان كانت من الاخشاب
مثلا فيعتبر قيمة الخشب قبلها من غير اعتبار صلاحيتها اللهو بعد الكسر
وكان بغير اذن الامام فاذا اذن بكسره فلا لانه مأمور بانواع السياسة

بحث انواع الامر بالمعروف وكلام في القسم

والطاعة

والطاعة ولا يشترط كونه عاملا بما امر به في الاصح لا قوالا ومنتهيا بما نهى
عنه وروي انه صلى الله تعالى عليه وسلم يسئل عن خير الناس فقال آمرهم
بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم اي للرحم وروي عنه صلى الله
تعالى عليه وسلم انه قال من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه
وخليفة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وخليفة كتابه وعنه صلى الله تعالى عليه
وسلم انه قال والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن
الله ان يبعث عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وعن علي بن
ابي طالب رضي الله عنه مولية الغالب انه قال افضل الجهاد الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر رواها ابو السعود العلامة العمادي في تفسيره رح فالامر
بالمعروف في الوجوب والندب تابع للمأمور به واما النهي عن المنكر فواجب
كله لان جميع ما انكره الشرع حرام عن المعاصي فيجب انكار المعصية جميعا
اذ غضب الله مستور فلا يعرف وقته في اي عصيان فعله صاحبه
وفي اي وقت يجيء فالمعاصي بالاضافة الى ما فوقها صغيرة وبالاضافة
الى تحتها كبيرة فتحير الفضلاء بالتمييز بينهما ولو صدرت الرواية
في التمييز بينهما اذ الكل عبارة عما كره في الشرع فلا يرضاه صاحبه
نزول العذاب عند عدم الرضاء والغضب كما ان رضاءه تعالى مستور
باي عمل يحصل وفي اي وقت يوفق ويكتب وباي رجل يدخل في النار
او الجنة فيجب على المؤمن العاقل الكامل ان يجتنب عن المعاصي المدخلة
المنكرة غير مستكبر ولا مستصغر على انه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة
مع الاستغفار فلا يعرف بايهما يغفر ويعذب ومن العقايد المتفقة
ان العذاب جائز على الصغاير ولو مع اجتناب الكبائر عند الائمة الاربعة
من اهل السنة والجماعة ولم يثبت تغايرهما بالذات بالنسبة الى عدم
الرضاء كما عرفته آنفا لانهما اخوان اضافيان فكل ذنب صغير فهو

بحث ان الصغائر والكبائر من الامور الاضافية عند
العلماء المتقين وفي تحقيق جناب
عن الكبائر

كبيرة وبالعكس فلذا انفرد اهل التقوى في الغار وشاهق الجبال لئلا يقع في الوبال فاكبر الكبائر الشرك بالله الواحد الكبير المتعال فاعاذنا الله تعالى من ذلك في الحال والمآل واصغر الصغائر حديث النفس من الافكار الفاسدة والآراء الكاسدة وما بينهما من الوسائط بحيث يصدق عليهما الامران من الصغيرة والكبيرة فاذا عرف الاتحاد الذاتي والتغاير العرضي لم يعرف ولم يتميز بينهما فلهذا قيل في عدد الكبائر سبع او سبعون او سبعمائة وغير ذلك من الاختلاف بين ساداتنا وائمتنا من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وكذا اختلفوا في حدهما بعد ما ذهب جماهير العلماء الى انقسام المعاصي الى الصغائر والكبائر فلما انقطع كميتهما وكيفيتهما بان لم يحصل علم اليقين بحديهما وجب الاجتناب عن انواع المعاصي ليوجد التقوى بالمعنى الخاص وهو ترك ما لا بأس حذرا عما به بأس فيؤيده قولنا ما روى عن عطية بن عروة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا عما به البأس رواه الامام الترمذي وحسنه وابن ماجه والامام الحاكم في المستدرك وصححه فيجب على كل مؤمن ان يجتنب عما ان يوقعه في المعاصي فمن شاهد المنكر وقدر انكاره فلم ينكره فهو منهم لرضائه مع الاقتدار وعدم الخوف عن عقاب القهار فمن المنكرات ان يصلي النوافل بالجماعات الكثيرة ليلة الرغائب والبرات والقدر وغيرهما غير ما اذن له الشرع على هيئة مخصوصة لم يصدر عن صاحب الشريعة الغراء والطريقة البيضاء والسيرة السمحاء عليه صلوات الله اعلاها وتحيات الله انماها وعن اصحابه العظام واتباعهم الفخام واشياعهم الكرام نعم اذا احيى هذه الليالي المباركة بانواع العبادات واصناف الطاعات كالصلوة والصلوات الشريفة والاذكار والاوراد المنيفة والتوبة والانابة وتلاوة القرآن آناء الليل واطراف النهار

بيان معنى التقوى والمتقين

مع الخشوع والخضوع والاستغفار واطعام العلماء بانواعه واكرام الصلحاء باصنافه واحترام الغرباء باحسانه فهذه السيرة سيرة نبينا وطريقة سيدنا وسندنا ومعتاد رسولنا وقرة اعيننا افضل الكائنات واحمد الارض والسموات من الثرى الى الثريا والى العرش وما فوقه من العلى المبعوث بالهدى والهداية والمنعوت بقامع الضلالة والغواية صلى الله تعالى عليه وسلم تصلية وفيرة وتسليما كثيرا عدد معلوماته ما دام الايمان والغواية وما سعد السعادة والهداية ويؤيده ما روى عن شهاب الدين صاحب تفسير العيون السيواسي رح انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى في هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله تعالى اليه مائة ملك ثلثون يبشرونه بالجنة وثلثون يؤمنونه من عذاب الله وثلثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان كذا في تفسير القاضي وعيون التفاسير وغيرهما وقال بعض العلماء من المجتهدين انما يقال لها ليلة البرات لان من ادركها واحياها بانواع العبادات الخالصة والطاعات الصالحة كتب له في ديوانه براءة من النار ويجمع فيها كتب اعمال العباد من الخير والشر فينظر اليها ويطرح منها اللغو من الكلام كاكلت وشربت وغير ذلك فيوصل الكلام بعضها الى بعض ثم يطوى فاذا لم يكن فيها توبة واستغفار من ذنوبهم فهو السوداء المظلمة واذا كان فيها التوبة والاستغفار فهو النورية المتلألئة وكذا الحال في كل ليلة النصف من شعبان الى يوم القيمة فاذا خرج روح المؤمن الذي اعتادها في كل سنة قلدت تلك السجلات الى عنقه ويختم عليها ويجعل معه في قبره كما قال الله سبحانه عز وجل في سورة الاسراء من كتابه العزيز بقوله العزيز وكل انسان الزمناه طائره في عنقه اي عمله من الخير وما قدر له من سعادة الدارين والشر وما قدر له شقاوته على ما اقتضته الاسرار الالهية والحكم الربانية موافقة لصرف العبودية نحو المأمورات المقضية في عنقه ورقبته وذمته هكذا روى عن الامام

بيان اتصاف كتب الاعمال وملازمته

السدي والامام قتادة والحسن رحمهم وقال الامام المجاهد رح الحكم مكتوب
في ورقة معلقة في عنقه فيما اشاء من المشية الازلية وصرف الارادة
الجزئية على مقتضى الاوآمر المنزلة المأمورة المعمولة والمبرو وكنو في المقام
من التجوز من حيث تشبيه طيران الكتب بالطير في الشرعة الموافقة
كانت طيّرتا اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشامون بسنوح
الطائر وبروحه استعير لما هو سبب للخير والشر عن قدر الله وعمل العبد
وانما خص العنق بالذكر لان الالزام فيها اشد وقال بعض العلماء رح
هذا من مجرى الكلام على عادة الفصحاء العدنان حيث ينسبون الاشياء
اللازمة الى الاعناق ونخرج الى قراءة النون له اللام فيها للاختصاص لى
كان كتابنا الموعود مختصا بالانسان يوم القيمة اي يوم وقت موته فانه
القيمة الصغرى كما روآه العلامة الشهير في تفسيره بانه قال قال النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته كذا في تفسير العلامة ابن كمال
كتابا اي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية
يحدث في النفس احوالا متشتتة ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه
بانه مفعول او حال من المفعول المحذوف وهو ضمير الطائر ويؤيده قراءة
يعقوب ويخرج من خرج وقرئ ويخرج اي الله عز وجل يلقاه من لقي يلقى
اي يراه وقرئ وابن عامر على بناء المفعول من لقيته كذا من التفعيل بضم
الياء وتشديد القاف اي يعطيه منشورا اي مفتوحا منيا كان او عالما
لكشف الغطاء فيما يأتيه وما اضاعه مما مضى من آثار عمره وكسب
جوارحه مما حالته نفس اللوامة الطيبة السعيدة فتقع في ارضاء الاحسانية
فتغشاه فعامله بصفته الجمالية كما استمر عادة الله على هذه الحال
او بصفته الجلالية فادركه غضبه كما جرت على اعدائه الموعودة وهما
صفتان للكتاب ويلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله قال الحسن

بحث كيفية اهل السعادة والشقاوة وعلامة حالهما
من الصحف وعند قيام القيامة

البصري رح يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان فهما عن يمينك
وعن شمالك فاما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك واما الذي عن شمالك
فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك
حتى يخرج لك يوم القيمة وروى عن الحفاظ الامام الازهري رح الاصل
في هذا ان الله تعالى لما خلق آدم صفي الله عليه السلام علم المطيع من ذريته
والعاصي فكتب ما علمه منهم اجمعين وقضى سعادة من علمه مطيعا وشقاوة
من علمه عاصيا فطار لكل منهم ما هو صائر اليه عند قضائه وابداعه
في علم الله الازلي وحكمه الابدي مشحونا بالحكم الالهية ومملوا بالاسرار
السلطانية كيف ما شاء وفعل ويشاء ويريد فلا يسئل عما يفعل
ويريد اذ الله عز عزيز وغالب على امره كما هو عادته على فعله ولا لتزام
العنق من بين سائر الجوارح ليثبت بين عينيه ليسر من يسره ويغتنم
بعلو الدرجات مع الزيارات وينظر اليه في كل الساعات ويعرف بعناية الله
على عباده المطيعين الممتازين بينهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر فيقع في السرور راغبا منشرح الصدور
راضيا ويشكر على ما انعم الله تعالى عليه انعاما لا استحقاقا من النعم
الظاهرة العلية والطاهرة الجلية قبل ان يقع ويستغرق فيها واما من
كان من اصحاب الشمال فيغتنم كلما اطلع على ما في الكتاب من الدركات
في العذاب في القبر والعرصات والسلاسل والاغلال في الجحيم والغسلين
وضرب الزبانية بالمقمعة الحديد بنية العبادات الوفيرة والطاعات
الكثيرة وصب ماء الحميم فلا يشرب بدلاء الضالون المضلون والطاغون
الباغون ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه الاشد
من الاولين ليكون مغموم البال ومهموم الحال فيقع في اشد قبل ان يتم
ويجد روى عن حذيفة بن اسيد رض انه قال قال سمعت رسول الله

بحث كيفية تولد الولد في بطن امه وكيفية احواله المختلفة

صلى الله تعالى عليه يقول ان النطفة التي تخلق منها تطير في المرأة اربعين
يوما واربعين ليلة ولا يبقى منها شعر ولا بشر ولا عرق ولا عصب
الا اذا دخلت فيه حتى انها لتدخل بين الظفر واللحم فاذا مضى لها اربعون
يوما واربعون ليلة اهبطها الله الى الرحم فكانت علقة اربعين يوما
واربعين ليلة ثم تكون مضغة اربعين يوما واربعين ليلة فاذا تمت لها
اربعون بعث الله اليها ملك الارحام فيخلق الى يده لحمها ودمها وشعرها
ثم يقول لصور فيقول يا رب ما اصور اذكر ام انثى جميل ام دميم اجعد
ام سبط اقصير ام طويل ام ابيض ام ادم امرنا قص اسوي ام غير سوي
فيكتب من ذلك ما يأمر الله به ثم يقول اي رب اشقي ام سعيد فان كان
سعيدا نفخ فيه بالسعادة في آخر اجله ثم يقول اكتب اثرها ورزقها
ومصيبتها وعملها بالطاعة والمعصية فيكتب من ذلك ما يأمر الله
تعالى به ثم يقول الملك يا رب ما اصنع بهذا الكتاب فيقول علقه في عنقه
الى قضائي عليه ويؤيده ما روى شهاب الدين السيواسي في تفسيره
عيون التفاسير انه ما من مولود الا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها
اشقي ام سعيد وفي الآثار ان الله يأمر الملك بطي الصحيفة اذا تم
عمر العبد فلا ينشر الى يوم القيمة فاذا بعث يقال له اقرأ وروى عن
قتادة رضي سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئا لان الاعمال هناك متمثلة
بصورها وهيئاتها يعرفها كل احد من حسنها وقبحها على ان تجسيم المعاني
جائز عند اهل السنة والجماعة وكذا حال وزن الاعمال على الرواية
الراجحة كما بينه العلامة ابن كمال في تفسيره لا على سبيل الكتابة
بالحروف حتى لا يعرفها الامي وهذا الوجه ارجح وفاقا لرواية قتادة
رضي واكثر من عكسه اقرأ كتابك مقول القول على ارادته اي يقال له
ما في صحيفتك مكشوفا ومفتوحا غطاؤه من المجترحات السيئة والمكتسبات

السيئة

قوله لا يعرفها ... بالصورة ... والقبح

السيئة فيفرق الكل اميا كان او قارئا في الدنيا الدنية باعطاء الملكة
بالقراءة عن الكتب المكتوبة كما اعطى لبعض عباده وقال الامام قتادة
رضي سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئا في الدنيا على ما اقتضته الحكمة
الالهية بما وضعها الله وتمكينه على الطبائع البشرية من الابتلاء
والالتزام فالاعمال الحسنة والسيئة متمثلة بصورها وهيئاتها
يعرف كل فرد اعمالها من حسنها وقبح صورها على ان تجسيم المعاني
جائز عند اهل السنة والجماعة كما قالوا في وزن الاعمال بالميزان على الرواية
الراجحة كما بينه احمد بن كمال العلامة في تفسيره لا على سبيل الكتابة بالحروف
ولا يعرفها الامي اذ الحكمة فيه الزام الكل على ما فعل من الحسن والقبح
والتأسف على الاضاعة والندامة على الصناعة فلا يقول احد لم يملي فلان
اذ حصل له عين اليقين انما استحق بما استعد سواء كان الجنة او النار
وعليه اكثر العلماء من المفسرين والفضلاء من المجتهدين رحمهم وكفى
بنفسك اليوم اي يوم الحسرة والمحاسبة الباء مزيدة للتأكيد وفيه ايماء
واشارة الى الصوق ذلك الوجه والوصف ولزومه لها وانما قدم الظرف
لتخصيص الحكم المذكور بذلك الوقت عليك حسيبا اي حاسبا وكافيا
نصب على التمييز على وزن فعيل بمعنى مفعول كالجليس والشريك بمعنى المفعول
الله سبحانه اعدل العادلين بحيث فوض المحاسبة على العباد وجعله
حسيب نفسه ليعلم عدل الله على العباد وليرى وجوب استحقاقه الى الجنة او
النار ليسروا او ليبكوا وتعديته بعلى لتضمنه بمعنى الشهادة وتذكيره
على الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال فكأنه قيل كفى بنفسك رجلا
حسيبا وتقديم الصلة للاشارة الى ان لكل امرئ يومئذ شان يغنيه

عن الالتفات لغيره ويشغله بحيث لا يعرف غيره ولا نفسه انه من الحال
والنساء هذا فيمن لا يبالي ولا يميز الطيب عن الخبيث ولا الحلو والحامض
ولا الاعمال الصالحات ولا الطالحات واما فيمن عرف قدره وقدر الايمان
والاسلام وعظم قدره واحترم صدره فهو في العزة الممدوحة واللذة
الممدوحة في الدرجات العاليات في الجنات الرافعات مع الحور والغلمان و
الوصيفة والولدان مقصورات في الخيام من الايام وكن الاعوام مصونا
عن الغل والغش في سرر مرفوعة من الفرش اللهم الحقنا بهم ويسر لنا
من اهتدى اي من استن بسنن الرسول عليه صلوات الله وسلامه وقبل
الهدى بهدى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بصرف الارادة الجزئية والاختيارات
الخيرية وشرف بشرف الاسلام بقبول الهداية بعد التيقن بعرفان
الاذعان بان الاصنام التي عملت بالايدي مبتدعة مخلوقة بخلق الله واقدار
من اي شيء كانت ولم تقدر دفع الاذى اذا تجنس ودفع الجزاء اذ
فكيف تخلصك عن غضب الله وعذابه وباي شيء عبد مع انه جماد لا يسمع
ولا يغني من شيء فالمعبود بالحق حق على عباده بالخلق والتربية والترزيق
وغيرها مما لا يعد ولا يحصى من النعم العظمى فلاداء حق شكره عبد وصلى
مع القصور الكثيرة والكفور الوفيرة فالحق احق ان يتبع فانما اهتدى بمن
الهداية فانما يهتدي لنفسه فاللام للاختصاص اي جزاء الاهتداء وثواب الاقتداء
والاقتفاء باثر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خاص لنفسه ولا يتعدى لغيره
فلاجله يغفر ذنوبه ويكفر عيوبه ويتخلص عن العذاب الدائم والعقاب
القائم فلو لم يكن كذلك لهلك ودام فيهما ومن ضل اي لم يقبل الهداية و
لم يطع الله والرسول فبقي في الضلالة والكفر وبعد عن الهداية فانما يضل

عليها

عليها اي فوبال الضلالة وضرر كفره وعذاب عصيانه على نفسها اذ
لا تزر وازرة وزر اخرى فالغير لا ينتفع بانتفاع هدايته كما لا يتضرر
بوزر ضلالته فلا دلالة فيما ذكر عليه من تحمل وزر الغير الا فيما صح
بالنص القاطع ولا صحة لقولهم فان الله تعالى عفو وغفور اذا ما يشاء
قدير فلو اخذ الناس ما ترك على ظهر الارض من الدواب قط ولكن
يؤخرهم الى اجل مسمى فيؤاخذ في الكفر والشرك ويعفو عما دونه ان يشاء
من الانسان واما غيره من سائر الدواب انما خلق لاجله كما في قوله عز و
جل في سورة النحل والانعام خلقها لكم وقوله في سورة البقرة خلق لكم
ما في الارض جميعا اي ما استثني عنه فلو اخذ الظالم بظلمه لانقطع التناسل
والتناسب اذ ما من فرد من الافراد الا وله ظلم كثير ووزر وفير ولكن
اوعد بتاخير يوم التناد باجل معلوم بحيث لا يتقدم ولا يتاخر وايضا
ان المراد بالظلم المضاف اليهم مما صدر عنهم ولا تزر وازرة وزر اخرى اي
ولا تحمل نفس وزر الفرد فضلا عن الكل وعليه نفس اخرى بل انما تحمل وزرها
فان الله عز علمه بلسان الرسل وامره ونواهيه ولم يؤاخذ نفسا بذنوبها
قبل الاعلام والتبليغ كما قال عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
يعلم امتها اوامره ونواهيه وطريق السعادة والشقاوة فاختلف العلماء
في هذه المسائل فذهب الاكثر ان هذا الحكم خاصة في الدنيا الدنية وقال
الاخرون في الدارين كليهما كما ذكر الامام القرطبي في تفسيره فعلى هذا التقدير
لا دلالة فيه على انه لا وجوب قبل الشرع اما على الاول فظاهر واما على الثاني
فلانه لا يلزم من تعليق مجموع الحكمين على البعثة تعليق كل منهما عليها وانما
نفي الكينونة دون البعث للاعلام والاخبار عن عادته القديمة لا الوعد فعدم

مقطوع به الوقت البعثة وكلمة حتى لبيان غاية الأمن عن العذاب لا عن
عدم العذاب حتى يتعين العذاب عند البعثة ولما ذكر الله تعالى انه لا يعذب
احداً حتى يبعث اليه رسولاً يبين علة هلاكهم بعد ذلك وهي مخالفة الرسل
المبعوث اليهم فقال واذا اردنا ان نهلك قرية اي اذا تعلق ارادتنا في
الازال لاهلاك قرية بما فيها في وقت مخصوص امرنا اي وجد الامر
منا قبل ذلك الوقت مترفيها اي متموليها ومتنعميها وانما خصهم بالامر
مع عموم الامر للفريقين بدلالة ان الكلام في بيان سبب استحقاق اهل
القرية لعذاب الاستيصال لانهم الرؤساء المتبوعون ولانهم مأمورون
بنوعي العبادة البدنية والمالية ففسقوا فيها اي فوجد الفسق وهو
الخروج عن طاعة الله في القرية من الاهالي كلهم لما نبهت ان الاهالي بجميعها
مأمورون كلهم لكنه اكتفى بذكر الرأس عن جميع الاعضاء كما اكتفى بذكر الملائكة
عن الجن في قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا مع ان ابليس الجان مع
الملائكة معهم وقرئ أمّرنا بصيغة الماضي للغائب المفرد بمعنى كثرنا كما قال
البلغاء امر القوم اذا كثروا امرهم فصارت الحركة بالتصيير
الفعل متعدياً ويؤيده قراءة آمرنا بالمد وأمّرنا بالتشديد
فيها وفيه دلالة على ان هلاك نفس القرية ايضاً داخلة تحت المراد
فلا مجاز في لفظ القرية كما لا مجاز في لفظ الارادة والامر فحق عليها اي
على القرية بما فيها القول وهو وعيد الله الذي اخبره رسولهم فلم
ينزجروا عن قوله فدمرناها تدميراً اي واهلكنا اصحاب القرية اهلاكاً
بحيث لم يتخلص فرد ولا شخص وذلك معنى التدمير وهو محو الاثر و
طمسه لما روي عن ام حبيبة رض بنت ابي سفيان رض عن زينب بنت جحش
رضها انها قالت ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دخل عليها فزعاً يقول لا اله الا الله

ويل للعرب

ويل للعرب من شر قد اقترب فتح الله اليوم من ردم يأجوج ومأجوج
مثل هذه وحلق باصبعه الابهام والتي تليها قالت زينب قلت يا رسول الله
انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبيث رواه الامام البغوي رح

الفصل العاشر

في فضيلة رمضان وفضيلة صيامها وقيامها واجر من صامها وعذاب
من ترك الصيام والقيام قال الله تعالى في سورة البقرة يا ايها الذين آمنوا
آمنوا كتب عليكم الصيام اي فرض وقدر صيام شهر رمضان على ان اللام
عوض عن المضاف اليه فلا ينافي كونه للعهد كما وكيفاً مختلفة فيهما وانما اتى النداء
بحرف تدل على البعيد والاوسط والقريب لاظهار مزيد الاعتناء على المؤمنين
الذين اقروا بوحدانية الله تعالى وصدقوا بنبوة رسله خاصة بالانبياء خاتم
رسله الاصفياء بيقين لا يزول بتشكيك المشكك وبالاعمال تبلغ
الدرجات بتحمل مشاق المأمورات يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله
بالاعمال الصالحات والقلب السليم بحيث فرض وقدر الصيام اكراماً لهم و
القيام ارضاء لنبيهم فانه صلى الله تعالى عليه وسلم سر بعبده وبامته
وافتخر بهم ولو بالسقط تفضلاً عن العلماء العظام والفضلاء الكرام
عند الانبياء والمرسلين صلوات الله على نبينا وعليهم اجمعين والصيام والصوم
مصدران وهو بمعنى الامساك عما تنازع اليه النفس في اللغة ومنه قوله تعالى
اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا وقيل هو الامساك عن الشيء
مطلقا ومنه صامت الريح عن الهبوب والفرس عن العدو اي امسكت في اللغة
ايضا واما الصيام في الشريعة هو الامساك من الصبح الصادق الى الغروب مع
النية والمنع عن المفطرات المخل للصيام مما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين

وعامة امتحانا بمعاملة الأحباب والزاما لمن لم يطع ولم ينل الحاجات
الموعودات حين نال المطيعون كما هو عادة الله الأزلي من الأزل
الى الأبد كما يؤيده قوله العزيز كما كتب في حيز النصب على انه نعت
للمصدر المؤكد اى كتبا كائنا كما كتب وعلى انه حال من المصدر المعرفة
المشتق من كتب والمشتق منه اى كتب عليكم الصيام الكتب مشبها
بما كتب قبله فلفظ ما على الوجهين مصدرية او على انه نعت لمصدر
من لفظ الصيام سوى عامله اى صوما مماثلا للصوم المكتوب
كما وكيفا كالصيام عيسى على نبينا وعليه افضل الصلوات واكمل التسليمات
ممن قبلكم فما موصولة او على انه حال من الصيام اى حال كونه مماثلا
لما كتب مطلقا على الذين من قبلكم من الأنبياء واممهم من لدن آدم ابي البشر
صفي الله الى رسولنا وحبيبنا وحبيب الله محمد على نبينا وعليهم الصلوات
الدائمة بدوام الله والتسليمات القائمة بقيام الله وان اختلف كما وكيفا
كما تعين وقتا ويوما من المفطرات والامساك فكان صيام آدم
عليه السلام ستا وثلثين يوما من كل شهر ثلثة ايام تسمى ايام البيض
وهي الثلثة عشر والاربعة عشر والخمسة عشر وسبب فرضيته ووجه
تسميتها كما وقع في الحديث انه لما اكل آدم عليه السلام من الشجرة المنهية
اوحى الله تعالى اليه يا آدم اهبط من جواري فانه لا يجاورني من عصاني
للحكمة البالغة من الاسرار التي بينة فهبط آدم الى الارض مسودا
اى منخفضا عن الرتبة فبكت الملائكة وقالوا يا رب خلقت خلقا
ثم حولت بياضه سوادا فاوحى الله تعالى اليه يا آدم صم لربك اليوم
فصام فوافق ذلك اليوم يوم البيض الثالث عشر من الشهر مطلقا فذهب

ثلث السواد

ثلث السواد ثم اوحى الله تعالى اليه يا آدم صم لي الرابع عشر فصام
فاصبح وثلثاه ابيض ثم اوحى الله تعالى اليه يا آدم صم لي هذا اليوم
وهو الخامس عشر فصام فاصبح كله ابيض كما في الجنة اى فنال تمام درجته
عند الله الكبير المتعال فلذلك سميت تلك الأيام البيض ثم قال الله تعالى
يا آدم من صام هذه الأيام من كل شهر من اولادك التائبين الى يوم الدين
فكانما صام الدهر كله اى مدة اعماره على ما قدره الله في ازل الآزال
بين الأفراد ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الأنصاري رضي الله عنه قال قال النبي
٤٧ صلى الله تعالى عليه وسلم من صام رمضان ثم اتبعه ستا من شوال
كان كصيام الدهر وكذا ابو هريرة رض رواه مسلم والنسائي وابن ماجه
والطبراني في المعجم فسئل ابو هريرة عن معناه وحكمته تعالى
ابو هريرة رض في الجواب تعالوا احاسبكم واعلمكم حكمته البالغة فان الله
تبارك قال في كتابه العزيز في آخر سورة الأنعام من جاء بالحسنة فله عشر
امثالها فلكل يوم من ايام الشهور عشر فصار ايام رمضان ثلثمائة يوم
بضرب العشرة الى الثلثين وصار ايام الستة ستين يوما على الحساب
المذكور فحصل من الضرب الأول عشرة اشهر ومن الثاني شهران فتم
سنة كاملة فاذا صام ستة ايام البيض عقيب رمضان متصلا كان
او منفصلا في شوال مضى عمره بصيام الدهر ونال اجر من صام
من البلوغ الى الموت وقد وقع في الأثر انه صلى الله تعالى عليه وسلم حين جاوز
الجنان ليلة المعراج رأى اكثر اهاليها الذين يصومون الأيام البيض
من كل الشهور فثبت فضيلة الأيام البيض فيلزم على المؤمن ان لا يتغافل
عنها في الشهور القمرية والدهور العمرية ما دام عمره وقام وجوده

مثل الغداة وكثر العشي واما صيام موسى صلوات الله على نبينا
وعليه فايام عاشوراء من المحرم فكان رمضان هذه الايام المباركة
محض ولتعين مقام الفرضية فكان صيامه لنا سنة افضل من سائرها
لقيام فرضيته عند الله له ولسنيته لرسولنا محمد عليه افضل الصلوات واكمل
التسليمات عنده تعالى فكانت فضيلتها مضاعفة اجر الفرضية المنسوخة
واجر السنية المسنونة وكذا امثالها فالتشبيه في قوله كما كتب في مطلق
الفرضية والامساك لا التقييدية من كل الوجوه من الكمية والكيفية
والوقتية والايامية والشهودية على ان التشبيه يقتضي وجه الشبه من وجه
ولا يقتضي من كل الوجوه فكيفية وجود التشبيه في الفرضية فقط واما
صيام عيسى صلوات الله على نبينا وعليه فقد روي انه كصيامنا كما
وكيفا ووقتا وشهرا فصام امته ازمنة كثيرة فربما وقع في الحر ولم يصبروا
على عطشانه وربما يقع في البرد فلم يصبروا ايضا على وجع البرودة كما هو
حال الشهور القمرية فشق عليهم في السفر والحضر والتصرف في المعاش بالاياب
والذهاب فارادوا التحريف والتسويف واجمعوا على رهبانهم ورؤسائهم
ووعدوا لهم الرشا والربا على ان يبدلوا السنة القمرية الى السنة الشمسية
وايامها الايام الشمسية للثبوت في محله بخلاف القمرية فانه في كل سنة تنقص
عشرة ايام سنة الحساب القمرية ويلزمه الحساب الشمسية فاخذوا
الحمل والشتوة وحرفوها وغيروها الى الشهور الشمسية ونقلوها الى الفصل الربيع
بين الصيف والشتاء وزادوا فيه عشرة ايام دفعا لجناياتهم وكفارة لذنوبهم
فصار صومهم اربعين يوما من الشمسية فصاموا عليه اياما كثيرة وكانوا كافرين
باستحلال التحريف واعتقاد البدعة التي وضعوها عبادة بغير وضع صاحب الشريعة

وكذا

وكذا حال كل بدعة اعتقدها حلالا في كل شريعة خاصة في الشريعة المحمدية
والنيرة الاحمدية فهي مردودة ثم مرض ملكهم فاشتد وجعه و
واشتكى الرهبان فجعلوا نذرا لله ان برئ ملكهم وخلص منه ان يزيدوا
عشرة ايام فبرئ فزادوا عشرة ايام فصار ايامهم خمسين صياما وفي رواية
زادوا اسبوعا فصاموا اياما طويلة ثم مات ملكهم وجاء آخر مكانه فاتم
الاسبوع للتشكر فصار ايام صيام رمضان خمسين يوما فكان صيام النصارى
كصيامنا كيفا وكما ثم بدلوها فلعنة الله على من بدل الكتاب والاحكام
للدنيا الدنية فخيرية الامة المرحومة لاجتنابهم عن التحريف والبدعة والعمل
بآية على ما اجتهده المستنبطون واستخرجه المجتهدون وروي عن مجاهد رح
انه لما اصابهم الموتان بفتح الميم موت الانسان وبالضم موت سائر الحيوانات
كالبغل والبقر والمعز والغنم فقالوا ازيدوا في صيامكم للاندفاع فزادوا عشرا
قبل رمضان وزادوا عشرا بعده فصار خمسين يوما وقيل ان النصارى لما
فرض عليهم صيام رمضان كما فرض علينا كيفا وكما فلم يزالوا يزيدون يوما بعد يوم
حتى بلغوا الخمسين فلذا اكره صيام يوم الشك في شريعتنا وان لم يتصور
التحريف حماية عن تشبه القوم فان الله تعالى ارسل الرسول وانزل الكتاب من السماء
لقوله عليه الصلوة والسلام من تشبه بقوم فهو منهم
اليهم الى ان يحرفوا فاذا حرفوا كذبهم فانذرهم بالعذاب وانزل الكتب بعدهم الى ان
بعث رسولنا ونزل كتابنا عليه وكفل بتبليغه وعدم تحريفه امته وحفظ كتابه عن
التبديل والتغيير وقال في كتابه [illegible] انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون اي عن التبديل والتغيير كما كان في الكتب السماوية كلها لكن كتابنا هذا الفرقان
فانه محفوظ بحماية الله وحفظه وعنايته على العلماء الآمرين والفضلاء الناهين
لما كان هذه الامة خير الامم وكتابهم ناسخ الكتب السماوية وعلماؤه كانبياء بني اسرائيل

كما وقع في الاثر علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل لما انبأته تعالى بهم على التقوى كما يؤذن به قوله العزيز لعلكم تتقون عن المعاصى الظاهرة والباطنة والصغيرة والكبيرة واكبر الكبائر الكفر والشرك والفسوق والعصيان فان الصيام من افضل العبادات والقيام فيها من اكمل الطاعات ويكسر الشهوة الداعية الى اشد السيئات فتحفظون جوارحكم عن الآثام التى تبعدكم عن الرحمة والجنة والغفران فعلى هذا لا يمكن التقوى ولا يتيسر الا بالمجاهدة الدائمة والمحادلة القائمة فى الايام والشهور والاعوام والدهور آناء الليل واطراف النهار على مقتضى وضع كلمة لعل فانها لانشاء توقع امر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول اما يستعمل فى المحبوب فيسمى ترجيا واما يستعمل فى المكروه فيسمى اشفاقا فذلك المعنى المقصود قد يعتبر تحقيقه بالفعل اما من جهة المتكلم كما فى قولك لعل الله يرحمنى وهو الاصل الشايع فى الاستعمال لان معنى الانشائية قائمة به واما من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المخاطب فى التلبس التام بالكلام الجارى بينهما كما فى قوله تعالى وسبحانه فى سورة طه فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقد يعتبر تحققه بالقوة بنوع من التجوز وضرب من الاستعارة ايذانا بان ذلك الامر فى نفسه منبع ومخبر للتوقع ومنبع بحيثية مصححة له من غير ان يعتبر هناك توقع بالفعل من متوقع اصلا فان روعيت فى الآية الكريمة جهة المتكلم يستحيل ذلك المعنى وارادته لامتناع التوقع من الله الذى عالم الغيب والشهادة فيها فيصار اما الى الاستعارة بان يشبه طلب من عباده التقوى مع انهم مأمورون بها التماما لاسبابها برجاء الراجى من المرجو منه امرا هيّنا الحصول فى كون متعلق كل منهما من الطلب والرجاء مترددا بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول فيستعار له كلمة لعل استعارة تبعية حرفية للمبالغة

على قوة الطلب وقرب المطلوب من الوقوع واما الى الاستعارة التمثيلية بان يشبه خلقه تعالى اياهم مستعدين للتقوى وطلبه اياها منهم وهم متمكنون منها جامعون لاسبابها وينتزع من ذلك هيئة منتشبة لهيئة منتزعة من الراجى ورجاؤه من المرجو منه شيئا سهل المنال ويستعمل فى الهيئة الاولى ما هو حقها ان يستعمل فى الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلية واما جعل المشبه اداة فى الاستعارة والتمثيل فامر مبنى على قاعدة اهل الاعتزال القائلة بجواز تخلف المراد عن ارادته تعالى عما يقولون علوا كبيرا فالجملة اما حال من فاعله الحقيقى اى انما فرض وكتب عليكم الصيام طالبا منكم التقوى او من مفعول له بطريق التغليب لانهم المأمورون بالعبادة اى انما كتب وفرض عليكم مطلوبا منكم التقوى او علة له فان كتب عليهم بمعنى الحكمة ولاجل التقوى كانه قيل انما كتب لتتقوا او كى تتقوا وهذا اما بناء على تجويز افعاله معللا بالاغراض الراجعة الى العباد والحكم الالهية بالاضافة الى الله الكبير المتعال وثمرتها راجعة اليهم وهو المعنى كما ذهب اليه كثير من المحققين من فضلاء المتكلمين واما تنزيلا لترتب الغاية على ما هى ثمرة له وهى المعنى منزلة ترتب الغرض على ما هو ثمرة له وغرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة جليلة من غير ان يكون هى علة غائية لها بحيث لولاها لما اقدم عليها وهذا مما لا نزاع فيه وفى ايثاره تتقون على تعبدون مع الموافقة لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ايذانا للمبالغة على ايجاب العبادة بالتشديد فى الزامها لما ان التقوى منتهى الجهد فاذا الزمتهم كان ما هو ادنى الزم وان روعيت جهة المخاطب فلعل هناك فى معناه الحقيقى

والجملة حال من ضمير المفعول كأن المعنى انما كتب عليكم راجين للانتظام
في زمرة المتقين الفائزين بالهدى والفلاح على ان المراد بالتقوى مرتبتها
الثلثة التي هي التبتل الى الله تعالى بالكلية والتنزه عن كل ما يشغل سره
عزّ اقدسه وهي اقصى غايات العبادات التي يتنافس فيها المتنافسون وما
دونها من مرتبتي التوقي عن العذاب المخلد والتجنب عن كل ما يؤثم
الادنى وهو التحرز عن الكفر والاوسط وهو التجنب عن كل اثم
من فعل او ترك كما هو مقتضى التقوى من الافاقية والانفسية التي
فيها فليعمل العاملون كما ورد في الحديث فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء
كذا في البخاري قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين امر الشبان الاصحاب بالنكاح
ان قدروا لكثرة التوالد والتناسل ووفرة الاسلام واهل التعاقل والا
فعليه بالصوم فانه يكسر الشهوة اذ له وجاء وضعف وكسر فاذا كسر
استصفى العقل واستقل في اموره اذ هو رئيس الاعضاء وحاكمها المتبوع
فالكل تابع له فيجاهد الكل حين جاهد العقل على ما يناسب له فالآن يناسبه
الذكر والقلب يناسبه الذكر بضم الذال المعجمة وهو التفكر في آلاء الله
ونعمه الظاهرة والباطنة فلعلّ النعم الظاهرة الاقرار بتوحيد الله وحده
لا شريك له ولا نظير له ولا مثل له ولا ضد له ولا ند له واعلى النعم الباطنة
التصديق بما اقر له من وحدانية الله دائما ازليا ابديا ونبوته على حاله وجعله
خاصة لذاته العلي الاعلى ممنوعا عما يشبهه شيء ويماثله شيئا وهذا ركنان عند
عند الماتريدية واعظمه التصديق بالاتفاق واما الاقرار فهو شرط له
او شطر على مذهب الامام الاعظم رح كما ان ركن الايمان ثلاث عند الامام
الشافعي رح الاقرار باللسان والتصديق بالجنان والاعمال بالاركان فلذا جعل
القلب رئيس الاعضاء كما ان التصديق رئيس الايمان ركنا لاشتماله عليه وسائر

من وحده الله

الاعضاء تشتغل

الاعضاء تشتغل بما يناسبها وضعا واما اذا كان الرئيس مغلوبا بالهوى
تتبع سائرها اليه بما امره بالاتباع للهوى فضلت وتطغى فتكون من
اصحاب الضلالة والطغيان كما ان الاول من اصحاب السعادة والهدى
كما كان احباب الله واصدقاؤه في السيرة الاولى بصرف الارادة الجزئية
والاختيارات الخيرية وبالمجاهدة الكبرى ان في ذلك لعبرة ثم لمن يختبئ في الدولة
الابدية والسعادة السرمدية لمن يذكر ما يلاقي في الآجلة بما اجترحه
في العاجلة فان في ذلك لعبرة لاولي النهى فهذا التوفيق عظيم لمن قارن باهل التقوى
بامانة العقل فيكون ممن اهتدى فما ناله الا المتقون النائلون بمشاهدة
الجمال مع الصديقين والشهداء والصالحين في الحال والمآل آمنا عن الفزع
الاكبر وسليما عن العذاب الاوفر وقال البعض لعلكم تتقون الاخلال باداية
لاصالته وتصلون بذلك رتبة التقوى اياما معدودات اي مؤقتة
بعدد معلوم وقلائل فان قليلا من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا
والمراد بها اما رمضان كما هو الظاهر من السباق وما وجب في بدء
الاسلام ثم نسخ به من صوم عاشوراء والايام البيض من كل شهر ثلثة
ايام بدل رمضان وانتصابه ليس بالصيام كما قيل لوقوع الفصل بينهما باجنبي
وهو يمنع العمل لضعفه عند البصريين بل منصوب بالامر المطوي لقرينة المهدد
الذي دل عليها صوموا اياما الخ فعلى هذا اما على الظرفية كما هو الظاهر واما
على المفعولية للاتساع وقيل منصوب بقوله كتب على احد الوجهين وفيه
ما فيه لان الايام ليست محلا له بل للمكتوب فلا تتحقق الظرفية ولا المفعولية
المتفرع عليها اتساعا فمن كان منكم مريضا اي يضره الصوم اذا صام او
على سفر مستمر على سفره وفيه ايماء الى ان من سافر في اثناء اليوم

لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ح

لم يفطر فعدة اى فعليه عدة ايام الصوم فى حال السفر والمرض من ايام اخر
ان افطر فحذف الشرط والمضاف ثقة على الظهور واحالة على تفطن
العلماء من ارباب النحو وقرئ بالنصب على انه مفعول الامر المطوى اى فليصم
عدة وهذا على سبيل الرخصة دون العزيمة وقيل على الوجوب و
واليه ذهب الظاهرية وبه قال ——— ابو هريرة رضى

وعلى الذين يطيقونه اى وعلى المطيقين بالقيام او على المريضين طاقتهم وقدرتهم
بالشيخوخة والعجز عن القيام فهمزة الافعال للازالة فلا تكلف ان افطروا
ولا تؤاخذ فيها اذ لا تكليف الا بالوسع وهو فائت منهم عليهم اعطاء
فدية وهى طعام مسكين الذى هو نصف صاع من بر وحنطة او صاع
من شعير او تمرة على الاتفاق من ائمة الحنفية او زبيب على اختلاف من الامام
الاعظم عند اهل العراق ونصف صاع من الزبيب فى رواية اخرى عنه
عند اهل الحجاز ومد فى رواية عنه فاعلم انه اختلف العلماء المجتهدون
فى انها وبل هذه الآية الكريمة ولحكامها فذهب الاكثر الى انها منسوخة
وهو قول ابن عمر وسلمة بن الاكوع وغيرهما رضى الله عنهم وذلك انهم كانوا
فى بدء الاسلام مخيرين بين الصوم والفدية لئلا يشق عليهم ويثقل
بالاعتياد لانهم لم يتعودوا الصوم بعد فى الايام الكثيرة والاعوام الوافرة
فحصل الائتلاف وتذوقوا امنة الايمان كما كان فى الاسلاف ثم نزلت آية
العزيمة ونسخت الرخصة بقوله العزيز فمن شهد منكم الشهر فليصمه
وعن قتادة رضى الله عنه انه قال هى خاصة فى الشيخ الفانى والعجائز الكبيرة الذين
يطيقان الصوم مع العسرة والمشقة رخصة لهما الا فى الكل فرخص لهما ثم
نسخ وقال الحسن ثم نسخ بهذه الآية فليصمه فثبتت الرخصة لمن لا يطيق

وذهب جماعة

وذهب جماعة الى ان الآية محكمة غير منسوخة فالمعنى على هذا التقدير و
البيان وعلى الذين كانوا يطيقونه فى حال الشباب وعجزوا فى الشيخوخة
والكبر فعليهم الفدية واعطاء ما يطعم به المسكين بدل الصوم وهذا
قول سعيد بن جبير فالآية محكمة وعلى هذا ذهب ائمة الحنفية بناء على ان
العجز مانع التكليف ولا يكلف الله نفسا الا وسعها سواء طرء العجز
على الشباب لعلة من العلل وعلى الشيخوخة فان عاد قدرته وجب القيام
والا يكفيه الفدية فهذا المذهب اصح لموافقته لاحكام الله تعالى فى كل الاحكام
عند ظهور الاعذار الشرعية وقرئ يطوقونه اى يكلفونه ويقلدونه و
يتطوقونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصله يتطيقونه
من تفعيل من الطوق فادغمت الياء فى الواو وبعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان
وما بها ديار وفيه وجهان احدهما بمعنى يطيقونه والثانى يكلفونه او
يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار
والفدية فى غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا يطيقونه اى يصومونه
بالجهد ومبلغ الوسع فمن تطوع خيرا اى زاد على الفدية المقدرة شرعا
نفعا للفقراء وشفقة للضعفاء فهو خير له اى مختار عند الله ومقبول له
وان تصوموا خير لكم ايها المطيقون والمطوقون بالجهد والمشقة او
المرخصون فى الافطار من المرضى والمسافرين وذلك التخيير لكم عند الله الكريم
من الفدية او من تطوع الخير او منهما او من التاخير الى ايام اخر والالتفات
من الغيبة الى الخطاب للترغيب والتنشيط ان كنتم تعلمون ما فى صومكم وصبركم
من النعم العالية فى الدرجات العالية فى الجنات الوالية مع تحقق المبيح
للافطار وجواب الشرط محذوف اعتمادا على الظهور اى اخترتم الصوم على الافطار

وسارعتم اليه وقيل ان كنتم من اهل العلم والتدبير علمتم ان الصوم الباعث
الى الرضاء والبادى الى الجمال خير من الافطار وروى عن ابى هريرة رضه انه
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صام رمضان ايمانا و
احتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه رواه البخارى ومسلم وابو داود والنسائى
قوله ايمانا اى معتقدا ومصدقا حق اليقين وعلم اليقين بان الله سبحانه وتعالى
اوحى الى نبيه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم بلغه الى امته انه هو الوحى الالهى مامور
بالتبليغ الى امته فبلغهم وحملوا حين الاستماع وخلصوا فى الاعمال وصاموا و
ورووا الى من بعدهم الى يوم القيام بالتعليم والاجتهاد فهم صادق فى قولهم
كالسماء فوقنا والارض تحتنا بل اصدق من تلك الاشياء التى خلقن من لونه
والاحجار والاشجار والوحوش والطيور يصدقن ويقلن انك لرسول الله [illegible]
من صدقك وقد خاب من كذبك فنقول للمخبر صادق آمنا وصدقنا عليه
قوله واحتسابا اى طالبا من الله الجليل الاجر الجزيل تحصيلا لرضائه لا خوفا من الحد
ولا من استحياء من الامثال فهذا معنى الايمان والاحتساب فى الحديث الصحيح
تدبر فيما قلنا واعمل بمقتضاه فاعلم ان للصوم ثلث درجات الاولى
الصوم العموم والثانى صوم الخصوص والثالث صوم اخص
الخصوص اما صوم العموم فهو ان يحفظ بطنه عن الاكل والشرب و فرجه عن الجماع
ولم يبال الغيبة والكذب والافتراء والبهتان ولم يبال الحلال والحرام والجواز
وعدم الجواز ولم يحفظ سمعه وجميع اعضائه من العين والفم والانف والايدى
والارجل ولم يبال عما يغضبه او يكرهه لما روى عن ابن عمر رضه انه قال قال رسول
صلى الله تعالى عليه وسلم رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ورب قائم
حظه من قيامه السهر اى عدم النوم والراحة رواه الطبرانى فى المعجم الكبير [illegible]

عن ابى هريرة رضه

عن ابى هريرة رضه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من لم يدع
قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى ان يدع طعامه وشرابه رواه
البغوى وروى عنه رضه ايضا كم من صائم ليس من صيامه الا الظماء وروى
عن ابى هريرة رضه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كفى بالمرء
اثما ان يحدث بكل ما سمع وروى عنه ايضا انه قال صلى الله تعالى عليه وسلم
لا يحل الكذب الا فى ثلث رجل كذب امرأته ليرضيها ورجل كذب فى الحرب فان الحرب
خدعة ورجل كذب بين المسلمين ليصلح بينهما وفى رواية والمرأة تحدث زوجها
رواه الامام البغوى فى المصابيح وروى عن مجاهد رح عن الحديث الصحيح اكرموا
الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم الا عند الجنابة والغائط رواه امام الهدى
ابو الليث الزاهد وشهاب الدين فى تفسيريهما وروى عنه ايضا انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلا من نتن ما جاء به
كذا فى المصابيح وروى عن انس رضه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذب والنظر
بشهوة كذا فى المطالب وروى عن ابى امامة الباهلى رضه انه قال قال النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم ان الرجل ليؤتى كتاب حسناته منشورا قال فاين حسنات كذا وكذا
عملتها البارحة فيقول له محيت باغتيابك الناس رواه الفقيه ابو الليث
وروى عن الحسن البصرى رح ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث الحسن
اليه طبقا من الرطب وقال بلغنى انك اهديت الى حسناتك فاردت ان اكافيك
عليها فاعذرنى فانى لا اقدر ان اكافيك بها على التمام وروى ايضا ان ابراهيم
بن ادهم زاهد الخراسانى رح انه اضاف اناسا فلما قعدوا على الطعام جعلوا يغتابون
رجلا فقال ابراهيم ان الذين كانوا من قبلنا كانوا يأكلون الخبز قبل اللحم وانتم بدأتم

بالحجم قبل الخبز كذا في تنبيه الغافلين وروى عن ابي هريرة رض اسمه عبد الله
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس الصيام من الاكل
والشرب والجماع اي خاصة في التطوع انما الصيام من الغيبة والكذب والنميمة
والنظر الى محاسن المرأة اي الاجنبية والامرد من الغلمان يحصرها سواء في الاوزار
وروى عن انس رض بن مالك رض عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اربع يفطرن الصيام وينقضن الوضوء ويهدمن العمل الغيبة والكذب و
النميمة والنظر الى محاسن الاجنبية وهن يسقين اصول الشر كما يسقي الماء
اصول الشجر كذا في حيوة القلوب فالحاصل ان كل عبادة من الصيام والقيام
والصلوة والزكوة والحج وغيرها من الفرائض من الواجبات والسنن والمباح
والمستحبات وسائر النوافل من العبادات ان كانت لوجه الله تعالى فشرطها
في القبول ان تكون خالية من هذه العيوب الظاهرة والباطنة مقارنة بالنية
الخالصة حتى تلحق بالهدف والاجابة عند رب العالمين فيبلغ من الانعام
والاحسان الى اقصى النهاية يحصل له الاجر الجزيل في انعاب النفس اللوامة
المطمئنة المخاطبة بين الانفس بارجعي الى ربك راضية مرضية والا
فلم ينج عن النار الموقدة المؤصدة فلذلك في العلماء رحمهم الله كم
من صائم مفطر وكم من مفطر صائم فالمعنى على الاول وان صام
فلم يجتنب عن العيوب الظاهرة والذنوب الباطنة فهو مفطر وعلى الثاني
وان اكل وشرب واجتنب عن العيوب والذنوب فهو صائم اي نائل
اجر من صام واحترز عن المعايب المزيلة في عباده كلها خالية عن العيب
فان قلت فما يقول الفقهاء في صحة صوم العموم وقبوله
ورده قلنا ان العلماء في الشريعة الغراء بالافتاء على صنفين الصنف

الأول

دون البواطن

الاول العلماء اهل الفتوى فهم يبنون احكامهم على الظواهر مما يحصل
الصيام والقيام ويثبت وينتقض منه على قواعد الشريعة والفتوى
رعاية الاصول لما يصح صيامه وقيامه وينتقض بعدمه على ما بينه الاصوليون
من قواعد الشريعة وفوائد الطريقة من وجود الشروط وعدمها
فافتوا بوجودها وابوا بعدمها فهم علماء اهل الفتوى والصنف الثاني العلماء
من اهل التقوى وهم يبنون احكامهم على المعاني الموصلة الى اقصى المرام
ويدققون في رعاية التقوى في الافعال الصادرة عنهم والحركات الجارية
منهم فاذا اسلم ما باشروا من المعايب الظاهرة والملاثم الباطنة فافتوا
الصنف الاول بصحته وقبوله فلا يتجسسون ولا يزكون عن المفسدات
الباطنة كالغيبة والنميمة والكذب والافتراء والبهتان والتغني
والتمني وفضول الكلام والنظر الى محاسن الاجنبية بالشهوة المهلكة
واستماع الملاهي واكل الحرام والافطار بالشبهات فافتوا بصحة الصيام
والقيام وهم العلماء العاملون المتشرعون بموافقة ظواهر الشريعة
من اهل الفتوى بخلاف الصنف الثاني فانهم عاملون بظواهرها وبواطنها
وينظرون الى حقايقها ويدققون في بواطنها فان وافق اعمالهم ظواهرها
وبواطنها كليهما حكموا بصحتها وان طابق احديهما دون الاخر فافتوا
بفسادها وان صححوها الصنف الاول وافتوا بصحتها نظرا الى نهاية
العاقبة من العبادات هو رضاء الله بالاتحاد والتخلق باخلاق الله
من الاتحاد كما ورد في الحديث تخلقوا باخلاق الله فالامر هنا للوجوب
فالنظر الى احد الجانبين من الظواهر او البواطن وترك الاخر فلا يوافق التخلق
مع ان الوجوب يستحب على كل مؤمن بتمامه دون الاكتفاء بطرف آخر

وهذا الاكتفاء من حيل الاعداء للعلماء و الاغفال عن البواطن فيجب
على كل مؤمن ان يجاهد في تكميل الوجوب باتمام تخلق الله و الاجتناب عن
وينقلب عن الاوصاف البشرية الناقصة ويتصف بالاوصاف الملكية
وان لم يدرك الكل ولكن لا يترك الكل فان الملائكة لا تأكل مثلنا ولا
تشرب ولكن غذاؤهم غذاء التسبيح حين جوعتهم بقولهم سبحان الله
وبحمده سبحان الله العظيم وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وغيرهما من التسبيحات الصادرة
عن صاحب الشريعة فالعلماء اختلفوا هل لهم اجر موعود حين اغتذوا به
فالاصح انهم ماجورون اذا نووا بالتسبيح و التغذي في ضمن التسبيح غير
مانع لاجره لان الاعمال بالنيات ونيتهم التسبيح والتقديس وان
وجد في ضمنه التغذي كمن تلا سورة الملك بعد العشاء بنية الاجر
فهي كما نواها وان حصل الغناء في ضمنه فاذا اكمل الفتوة ونال التقوى
وائتمر باوامر الله وانتهى بنواهي الله وتخلق باخلاق الله انقلع عن الاخلاق
البشرية واتصف باوصاف الملكية موافقا في الخلق والخلق ظهرت
منه خوارق العادة كطي المكان والطيران في الهواء ووجدان الاطعمة
والكسوة والاشربة والاخبار عن الغيب باخبار الله واعلامه كرامة
له ومعجزة لنبيه فان رتبة الادميين بين مرتبة الحيوان السفلية
ومرتبة الملائكة العلوية فوقع بينهما مستعدين لهما فان صرف الارادة
الجزئية والاختيار الخيرية بالتوفيق الازلية والعناية الابدية الى الكمالات
العلوية بالانسلاخ عن طبايع البشرية بالمجاهدة الجلية واكتساب الشئون
اللدنية فرتبته مرتبة العلوية فينكشف الغطاء فوقه وهي السموات

النبع

النبع للجنان كالارضين مع الجبال الرواسي والاشجار المثمرة غطاء
النيران فاذا كان يوم القيمة ينقلب كل الغطاء الى جنين لمغطى عليه من الحيات
الاحجار وثمار الاشجار ينقلب الى ما هو حبين لمغطى عليه من النيران
والجنان فمرتبة اهل الجنان من خصيهم اعلى من مرتبة الملائكة من الخواص
كما ان مرتبة العوام من الجانبين تحت مرتبة العوام منهما عند اهل السنة
والجماعة وان انغمس في الشهوات في الدنيا الدنية فرتبة اهل السعادة
علوية واهل الشقاوة سفلية كالبهايم بل ادنى منها اذ البهايم لا
لا تدخل النيران كما لا تدخل الجنان اذ لم تكلف بالمشاق بخلاف
الادميين فانه يؤمر وينهى ويسئل ويخاف عليه كما ورد في الحديث
من تشبه بقوم فهو منهم رواه البغوي رح فالسعادة السرمدية
والدولة الابدية لمن تشبه بالملائكة وتخلق باخلاقها وتزين
باوصافها وعدد بعددها بالعبادات الصالحات والطاعات الدائمة
الخالصات القائمات في الليالي والايام والشهور والدهور والاعوام
يكفي في التشبه وجود وجه التشبه ولو في فرد من الافراد فاذا وجد
ولي من اولياء الله في بلدة واحدة فيعفو الله تعالى عن كثير من فسقتهم
بالقول الشريف كما قال الله عز وجل في سورة الشورى بقوله
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وفي آية
اخرى فيها بقوله العزيز او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير
وقال الله تبارك في سورة الزمر بقوله العزيز لا تقنطوا من رحمة الله
ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم واما
صوم الخصوص فهو ان يصوم ويحفظ صومه عن العيوب الظاهرة

وجوارحه عن الآثام المغايرة وقلبه عن خطرات الوسواسية
كما يحفظ بطنه عن أكل الحرام والشرب وما يفطر الصيام فهذا
كمال الصوم مما يرضاه الله وأمره في كتابه العزيز بقوله العزيز
فمن شهد منكم أي حضر فيه الشهر أي شهر الصيام فاللام
عوض عن المضاف إليه ولم يكن مسافرا وإنما وضع الظاهر موضع
الضمير تعظيما لشأنه وتحريضا إليه لمن له انتساب إليه ولا ينافي كونه
للعهد بل يؤكده ويؤيده وللمبالغة في البيان والفاء للتفريع والترتيب
أو لتضمن المبتدأ معنى الشرط وزائدة للتأكيد على تقدير كون
شهر رمضان مبتدأ والموصول صفة له وهذه الجملة خبر له
وقيل هي جزائية كأنه قيل لما كتب عليكم الصيام في هذا الشهر
فمن حضر فيه فليصمه أي فليصم فيه بحذف الجار وإيصال الفعل إلى المجرور
مع أنه من اللوازم في الفصاحة والبلاغة اتساعا وقيل من شهد
منكم هلال الشهر فليصمه على أنه مفعول به كقوله شهدت
الجمعة أي صلوتها فيكون ما بعده مخصصا له كأنه قيل ومن كان
مريضا وإن كان مقيما أو على سفر وإن كان صحيحا فعدة
من أيام أخر أي فليفطر فإن الحرج مدفوع بالنص القاطع في الدين
أي فيلزم عليه صيام عدة أيام أخر لأنهما ممن شهد الشهر فالصيام
يجب عليهما إذ لم يصوما فيه ولعل التكرير لذلك أو لئلا يتوهم
نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بهذا الترخيص والتيسير بكم
اليسر في الدين إذ لم يكن في الشريعة المحمدية والسيرة الأحمدية
حرج ملة إبراهيم حنيفا ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم يسروا

ولا تعسروا

لا كما كان في التنوين المتمكن التي توجد في الاسم ولم يفرق عنه من التنوينات الخمسة المبينة في علم المعاني ومقدما من علم النحو صح

ولا تعسروا وكذا في شرح الشفاء لخاتم المحدثين علي القاري رحمه الله فلذا
قال عز وجل ولا يريد بكم العسر لزيادة رأفته ونهاية شفقته
لأجل سعة رحمته ولتكملوا العدة معطوف على العلة المستفهمة من سياق
النظم الجميل من كلام الرب الجليل بإظهار الرحمة على الأمة المرحومة
وسعة الرحمة وعفو العيوب الموعودة كما عذب على الأمم المسبوقة
بالكب على الجبهة والترذيل في الأمثلة وبالنسخ والفسخ والمسخ
على الصورة الرديئة من الخنازير والقردة فالمعنى وإنما أراد بكم
اليسر وعدم العسر ليسهل عليكم العبودية ولتعلموا مقداركم عند
ربكم ممتازا عن غيركم لأنكم سيد الأمم وكريم جيد لهم كما كان نبيكم
سيد الأنبياء وسند الأصفياء الفاضلون الواصلون ولتكملوا العدة أي
عدة ما فاتكم ولتعظموا المراعات من قضاء ما فاتكم من الأمور المعهودة
كما أديت في الأوقات المشهودة وأنتم ترجون أداء شكر هذه النعمة
الجميلة لتنتظموا سلك الدرر المنظومة وتختلطوا بسمط غرر
المرغوبة لتكونوا من الشاكرين الواصلين ولا تكونوا من الكافرين
العاصين وكلمة لعل موضوعة للإنشاء لتوقع أمر متردد بين الوقوع
وعدمه مع رجحان الأول إما في المحبوب فتسمى ترجيا نحو لعل الله يرحمني
وإما في المكروه فتسمى إشفاقا وإيعابا (?) وذلك المعنى قد يعتبر بحقيقته
بالفعل إما من جهة المتكلم كالمثال المذكور آنفا وهو الأصل الشائع في الاستعمال
لأن الإنشاء ومعانيه قائمة بالمتكلم وإما من جهة المخاطب تنزيلا له
منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام الثابتة الجارية بين المتكلم والمخاطب
كما في قوله العزيز في كتابه العزيز في سورة طه مخاطبا لموسى وهارون

فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى فان اصل هذا الكلام يقتضي ان [illegible]
من طرف المخاطب وهو موسى وهرون عليهما السلام بان قالا آمنا او [illegible]
بينهما بان قلنا لفرعون بما امرنا به ربنا قولا لينا من غير عنف عنده
لعله يتذكر في اموره الباطلة فانصف لنا وآمن بربنا وكتابنا او بما امر
به له وترك الالوهية الكاذبة في دعواه او يخشى من غضب الله تعالى له
بما ادعاه وافرط عليه كما غضب على من سواه فيما ادعاه من شدائد [illegible]
مع انهما اشد اموالا واملاكا من فرعون وملائه لانهما يملكان من قاف
الى قاف مع ان الاول ملكه بعوضة التي لم يخطر في بال احد ولا يرى في
حال فرد وقد يعتبر تحققها بالقوة بنوع من التجوز ايذانا بان ذلك
الامر في نفسه منبئ ومخبر للتوقع ومتصف بحيثية مصححة له عن
ان يعتبر توقع الفعل اصلا فان اريد في الآية الكريمة جهة المتكلم يجعل
ذلك المعنى وارادته لامتناع التوقع لعلام الغيوب وعالم الغيب والشهادة
فيصار اما الى الاستعارة التمثيلية من تشبيه الهيئة الحاصلة من المتكلم
الى الهيئة الحاصلة من المتشبه وعلى تجويز تعليل افعاله بمعنى الحكمة الالهية
والاسرار الربانية واغراض راجعة الى العباد فهي حكمة بالغة بالنسبة
الى الله الكبير المتعال كما ذهب اليه اكثر اهل السنة والجماعة ولما تقرر
لترتيب الغاية على ما هي ثمرة له وهي المغيا منزلة ترتيب الغرض على ما
هو ثمرة له وغرض له وهي علة غائية لها بحيث لولاها لما اقدم عليها وهذا
مما لا نزاع فيه فتدبر واحفظه فانه بحث شريف لا يوجد الا نادرا وهذا
مما خصني الله تعالى به فادع لنا وكن من الشاكرين لقوله عليه الصلاة والسلام من لم يشكر

لم يشكر الله

لم يشكر الله صدق رسول الله وصح فيمن رواه والحكمة البالغة
فيه ان كل النعم الظاهرة والنعم الباطنة من آلاء الله الواصلة انما تحصل
لعباده الذين اتقوا ربهم بالاصالة لهم وايصالها الى غيرهم بالتبعية للذين اتقوا
ارتاموا من النبي الامي الذي خلق الاولين والآخرين والموجودات والمصنوعات
من الانس والجان والوحوش والجبال والطيور والعيال والاحجار
والحيوان والجبال والاشجار والسموات وما فوقها وما فيها من الملائكة
المقربين والارضين وتحتها وفوقها وما بينهما من الموجودات المصنوعات
المزينين من الثرى والكواكب المشرقة والشمس والقمر والنجوم
المنيرات وغيرها الى الثريا كلها من نور سيد الانام الذي انعم الله
عليه من الصلوات الدائمة والتسليمات القائمة بدوام الله الازلي و
بقاء الله الابدي بالاصالة الاولى وغيره من الانبياء بتبعية صلوات
على نبينا وعليهم اجمعين فرتب امته المرحومة ونبه النبي المختار المصطفى
والممتاز المجتبى عليه افضل الصلوات واكمل التحيات فعلى تلك الامة المرحومة
شكر النعمة الموروثة فشكرها محمودة وممدوحة وواجبة معروفة
لان النعم كل فرد فرد من الضعفاء وجب عليه ما يجب على السعداء الكبراء فيجب ما
على الضعفاء وجوب اعظاء البلغاء من السادات من الشكر الممدوح والوصف المحمود
ثم الشكر في مقابلة النعمة من الادنى النعمة من الاعلى فظهر سر قوله صلى الله عليه
وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله لعدم الفرق بين الشكرين في وجوب الاداء
امتثالا لاوامر الله اذ من يطع الرسول فقد اطاع الله وتعظيما لعظمة الله
ولتكبروا الله وتوقروه كما هو حقه وتمجدوه كما ينبغي له وان لم يكن
له قدرته لكن يجب على كل مؤمن ان يعظمه ويعترف قوته ما استطاع اليه من

مع ان الادنى النعم عليه لضعفه وانه ينقص عليه ايثار السخاء على الفناء موافقا لنوائبه ولو يخرون على النعم [illegible] صح

والارادة الجزئية والاختيار الجزئية مامورا من الله مختارا في صرفها بقدر الله غير مضطر في امره اذ لولا ذلك لما خلقه حين خلقه ان وافق التدبير التقدير

فلا يلزم فيها الحدوث اذ انه تعالى ليس بزماني ولا مكاني ولا جسماني و

هذه الاشياء بالنسبة الينا فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فكذلك

معنى قول العلماء المتكلمين وعلم الله الملي تابع للمعلومات فلا يلزم كونه تعالى

محلا للحوادث فعلم الله تعالى ومعلومه قديم بالنسبة اليه تعالى لا بالنسبة

الينا لانا زماني ومكاني وعلمنا ومعلومنا حادث فالله سبحانه وتعالى

قديم ذاته وصفاته ازلي وابدي فمعنى قولهم علم الله تعالى تابع

لمعلومه والموجود والمعدوم معلوم له في ازل الآزال وابد الآباد لانه

لا اول له ولا آخر له فالكل معه وهو عنده فاذا تعلق ارادته الازلية

بكون بعض الاشياء موجودا في حين من الاحيان المتعلق ارادته بوجوده فقضى وقدر فظهر وجوده في العالم و

اذا لم يتعلق ارادته الازلية بوجوده لم يوجد في العالم وان كان يعلم الموجود

في حال وجوده موجودا وكذلك يعلم المعدوم معدوما ويعلم ايضا انه اذا

وجد كيف يكون موجودا كما يعلم انه حال عدمه معدوما فكيف يكون ايضا

على ما هديكم عليه من كمال ذاته القديمة وصفاته الكاملة وكونه ازليا

وابديا وخالقا وكون ما سواه من الموجودات مخلوقا ومحتاجا ومفتقرا

اليه اذ الله العلي الاعلى والكبير المتعال وهو الغني والمصنوعات كلها

مفتقرة ومحتاجة اليه سبحانه وتعالى من الثرى الى الثريا من الارضين

الى السموات العلى والعرش الاعلى وما بينهما وتحتها وفوقها وما يلزمهما من

الازل الى الابد وهذه العقايد الاسلامية كونها حقا وواجبا على كل مؤمن

يسعد بوجودها وعلمها ويشقى بعدم عرفانها وهدايتها فالشكر واجب عليه

قال ولعلكم

قال ولعلكم تشكرون في مقام العلل للافعال المحذوفة فيد لعليها

سبق ولهذه الامور شرع ما امر من الشاهد بصوم رمضان

وامر المرخص له بمراعات عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر

فقوله تعالى ولتكملوا العدة علة الامر بمراعات العدة وقوله ولتكبروا

علة ما علم من كيفية القضاء وقوله ولعلكم تشكرون علة الترخيص

والتيسير وتعديته فعل التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد فكانه قال ولتكبروا

الله حامدين على ما هديكم ويجوز ان تكون معطوفة على علة مقدرة

مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملونه ولتكملوا الخ ويجوز عطفها على اليسر

اي يريد بكم لتكملوا الخ كما في قوله يريدون ليطفؤا ومعنى التكبير تعظيمه تعالى

عليه بالحمد والثناء عليه وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير عند الهلال

ولفظ ما يحتمل المصدرية والموصولية اي على هدايته اياكم وعلى الذي هديكم

وقرئ ولتكملوا بالتشديد من التفعيل واما صوم الخصوص اخص فهو ان يصوم

بشرايطه بالتفتيش وكل دقايق الايام وساعاته الى وقت الافطار وبدقايق

اناته وصحته وفساده وافطاره من الحلال والحرام الى الاستحداد وبكل انفاسه

واقواله وحركاته وافعاله وباي نية ينوي على ما يرضاه به تعالى و يشتغل

بما ينبغي بصيامه وقيامه من دقايق الفتوى من اقوال الفقهاء وارق التقوى

من افعال العلماء بما يليق واحرى في الدنيا والآخرة متيقنا عين اليقين

متيقنا علم اليقين ومؤاخذا نفسه بما قدمته ومجتنبا عنها بما احضرته

بعد الملاحظة في المساء من سبق الخير والشر بايهما اكثر واغلب من الافعال

الحسنة والسيئة والاقوال السنية والسيئة يوم ينظر المرء ما قدمت

يداه وحاسبها محاسبة يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا

بالاذكار الخفية والاوراد الجلية والتلاوة الترتيلية والمطالعة التفسيرية في الآيات البينة والاحاديث الجميلة والتذكير والتدريس والمعاملة بفضلاء العلماء والمكالمة بالمناسبة في الدنيا والعقبى والموقنة للدنيا والعقبى والاحتناب عن السفهة والجهلة فان المرء مع من احب

من سوء يتودد لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وبجانب النفس الامارة
في صيامها وقيامها وعباداتها وطاعاتها وانابتها وتوبتها فانها
عدوة لصاحبها امارة بالسوء ليلا ونهارا ولم تزده الا ضررا
ما لم تنقلب وتصير الى المطمئنة ولا يعتمد عليها حين الانقلاب
الى النفس اللوامة بعد الامارة اذ لها اعين تنظر اليها مرة بعد مرة
وكرة بعد كرة ما لم ترجع بالكلية الى المطمئنة وتكون صاحبة الخطاب
بارجعي الى ربك راضية مرضية ويخاف من العاقبة ويبكي على ما فاته
من العبادة والطاعة ويسارع الى الاطاعة لبقية الساعة من عمره
الباقية كما قيل ثمار الاشجار لم يقبل ولم يطعم بكمال اللذة و
والامتياز عن امثالها الا بعد التربية بالصناعة الغريبة المشهورة
بين الاساتيذ وانضمام الاغصان اليها والاوراق بها ونقال الى
اشلق بالجنس الى الجنس فكذا العبادات والطاعات لا يقبل عند الله
الا بتربية الاعضاء الثمانية وهي الثلثة بما صدر عنه صادق في نيته
ام كاذب غيره والثاني القلب بما يتفكر فيه من الاذكار ومعانيها
والاوراد ومبانيها خالصا ام خالطا مخلصا مخلطا والثالث السمع
كذلك والرابع البصر وهو النظر الى عجائب الملكوت وغرائب الفلكية
فعلى كل الفرد منها يستنبط قدرة الله وعظمته وجلال الله وكماله
ويستشهد منه الله تعالى وتبارك قادر على كل شيء صادق في وعده
ولا يخلفه احد صمد يستغني عن العالم وهو تعالى قديم بوجوده ابدي
وما سواه معدوم عارض فالجملة يحتاج الى كرمه ومغفرته وعفوه
وعنايته فلولا العفو واللطف لم يدخل فرد ولم يلج احد الجنان والله

اذ من خوب هلاك

اذ من خوب هلاك كما وقع هكذا في الاثر والخامس الفم مما يأكل و
يتناول ويشرب من الحلال ام من الحرام فللاول محاسبة وللثاني عقاب
فالاول يلحق الى الثاني لانه من لوازمه لما مر آنفا والسادس اليد والسابع
الرجل والثامن البطن فان صاحب هذه الاعضاء الثمانية يجب عليه
ان يزكيه كل فرد من عمله لينفعه ويغفره واذا صدر منه الخير يسارع له
ان يوافق الفتوى مع التقوى ويزيد الامس بزيادة الغد من الشهور والايام
والدهور والاعوام مع ارتقاء الفتوى وارتفاع التقوى في المعاملة و
المجاهدة والمحاربة والمجادلة خاصة في البطن عن الحرام والمتشبهات كما جاء
في الخبر لو صمتم حتى تكونوا كالاوتاد وصليتم حتى تكونوا كالحنايا الى القوس
ما ينفعكم الا بحفظ بطونكم عن الحرام ثم عن خلاف الشرع في جميع احوالكم مما
يصدر عن اعز اصدقائكم من الاعضاء الثمانية فانها احب الاصدقاء
لصاحبها في الدارين ان جاهد صاحبها وحاربهن في جميع الاوقات وان لم
ولم يبال بهن ما فعلن وبما اشتغلن فهن اعداء العدو لصاحبهن خاصة اذا
وافقهن النفس الامارة بالسوء ولا ترضيهن الا بالايلاج الى النيران
والبعاد هن عن الجنان فالمؤمن يعيش ليلا ونهارا مع الاصدقاء
من الاعضاء ومع الخصماء من الاعداء ومن التوفيق ان يحافظ
نفسه من شرور الاعداء مع الاصلاح والائتلاف والانقلاب
عن العداوة الى الصداقة والانصاف فاذا انقلب العداوة الى الصداقة
تكون الاعداء صديقا معينا الى العبادة فتقبل الله الاعمال الصالحات
من العبادات والطاعات والخيرات والحسنات صومه وقيامه و
حجه وزكوته وصلوته وشهادته بالعفو والعناية واللطف

بشرط ترك الاستكثار من الحلال والاجتناب عن الحرام في الافطار
وغيره من الاحوال من العيوب الظاهرة والباطنة وحكي عن الحسن
البصري انه سئل عن الصوم بان الله سبحانه وتعالى هل يقبل صيامنا
وقيامنا وهما معيوبان قال اذا لم يكن معيوبا فيقبل بكرمه وفي الخبر
اذا صعد الملك الموكل بالصوم الى الحضور المعنوي فيقول الله تعالى له
مع انه عالم الغيب والشهادة اكرمك عبادي وعظموك واطعموك وسقوك
فيقول الصوم يا رب انت علام الغيوب نعم يا رب ان عبادي حفظوا
جوارحهم عن الآثام الظاهرة والمعايب الباطنة تعظيما لي وتكريما لي
وخوفا منك رجاء رحمتك وطالبا مغفرتك وراغبا الى جنتك وجمالك و
انزلوني في اشرف مواضعهم من انفسهم واطعموني بالصلوات
بالصلوات الخمس والتراويح وسقوني بالتسبيح والتهليل والتحميد و
والتكبير والتمجيد فيقول الله عز جلاله وتبارك جماله وتعالى ثناؤه
ولا اله غيره اني اعلم من عظمك ومن لم يعظمك اما من عظمك بحفظ
جوارحه عن الآثام والمعايب الظاهرة والباطنة طالبا لرضائي وراجيا
لعطائي فاني احفظه من اشد العذاب واحد العقاب المهيئ للاعداء
في النيران واما من انزلك في اشرف المواضع من نفسه باعتقاد حقيته
في قلبه وتعظيم تلاوة فيك وصيام جوارحه بما يناسب بكل من الاعضاء
في اوقاتك والافطار بالحلال بنفسه ولجنسه من المؤمنين وانا انزله في اشرف
المواضع في جيراني واما من اطعمك بالصلوات الخمس وقيام التراويح
داعيا الى التعديل في الاركان والخضوع والخشوع وختم القرآن فانا اجمعه في دار الخلد
بالنعمة الابدية والسعادة السرمدية واما من سقاك بالتسبيح والتهليل

والتحميد

والتحميد والتكبير والتمجيد فانا اسقيهم شرابا طهورا ولا ارضى
ان يسقيهم الحور والولدان بل اكون ساقيه بالذات بلا كيف ولا كيفية
كما روي اذا دخل اهل الجنة الجنة فيظهر الله سبحانه بقدرته العظيمة
قدحا من الغيب من غير ان ياخذه احد فيجيء كالطير فيقع في كف اولياء الله
مختوم من مسك مكتوب على الختام هذا شراب طهور من رب غفور
فيرد كل من الولي ختامه بيده ويشرب بكل من احتاج اليه من اولياء الله
والمراد من اشرف المواضع الاعضاء الثمانية المحفوظة عن الآثام و
يؤيده قوله تعالى في سورة النور يوم منصوب على الظرفية للفعل
المحذوف اي اذكر لامتك يوم تشهد عليهم اي على صاحب الجوارح الذي كونه
السنتهم وايديهم وارجلهم بانطاق الله تعالى بقدرته وعظمته مما فعل
صاحبها في السر والعلانية غافلا عن نظر الله ورؤيته وعن الملائكة
من الكرام الكاتبين على اليمين الكاتب بالخير الضابط على ملائكة الشمال
الكاتب بالشر باذن منه في اليمين بعد مكث سبع ساعات النجومية
الموافقة بالساعات الشرعية على طريقة قوله العزيز في كتابه العزيز
ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله وان كان نطلق
على طرف العين ايضا فتخبر كل جارحة من وجوده على وفق ما فعله صدر
عنه من افعال القبيحة المسؤولة المنكرة بما كانوا يعملون الذي به من اللمعة
المبعدة عن الرحمة ظاهرة وباطنة في الدنيا الدنية الفانية عما فلا
عما وجد في العقبى الباقية وعذب في النار الموقدة وهذه ثابتة بعد الختم
على الافواه الكاذبة فيتكلم الجوارح الصادقة بانطاق الله وقدرته الباهرة
بم فعل وبم فعل وكيف جرح موافقا لما فعل ومطابقا لما شغل فيذل

والذنوب المفعولة والعيوب المكتوبة والمعايب المسؤولة بعد انكار صاحبه عند الله يوم الحشر والقيامة صح

وهذه الأحوال الغريبة والأهوال العجيبة التي لا يحيط بها خطة المقال
ولا تأمل العقول في الحال والمآل ولذا جعل الله سبحانه مقسماً به و
معتبراً فيه وأقسم عليه بطريق العطف على المقسم به في كتابه العزيز
في سورة والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود
كما قال الإمام العلامة عبد الله بن سهل التستري رح في تفسير هذه
الآية العزيزة المراد من الشاهد الجوارح المذكورة ومن المشهود
هو صاحبها مع الآثام المشهود عليها بعد إنكار صاحبها وختم الأفواه
الكاذبة المنكرة فيجب على كل مسلم ومؤمن الاهتمام بسبق ساعاته ودهوره
وأيامه وشهوره بالخيرات والحسنات والأعمال الصالحات مخلصاً
فيها ومجتنباً عن السيئات القبيحات مُنفراً عنها فرار الغنم من الذئب
ليوم لا ينفع فيه الجنود والعساكر والكنوز والجواهر ويستعد بالسنة
العلية ويتشرع بالشريعة السنية وينظر ساعة بعد ساعة ويحاسب نفسه
طاعة بعد طاعة ويزكيها عن الدنس والآثام والمعايب المؤدية للخجل
بين الأنام فيا حسرتا ويا ندامتا لمن نسي الرحمن والجنان والفضل والإ
والافتراق عن فرق السعداء والتزاق لكروه الأشقياء فنال ما ينال الظالم
من العذاب الأليم وحال في ما سال في الماء الحميم وترك النعم المهيئ للمتقين
في جنات النعيم على سرر مصفوفة وزوج بحور عين روى عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من سن في الإسلام سنة حسنة يعمل بها من بعده
كان له أجرها ومثل أجر من يعمل بها من غير أن ينقص أجورهم شيئاً ومن سن
في الإسلام سنة سيئة يعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل
بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً رواه البغوي رح وروى

مُحيياً بالحسنات كالغيبة والبهتان صح

عن أبي موسى الأشعري رض

عن أبي موسى الأشعري رض أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
أعظم الناس أجراً في الصلوة أبعدهم فأبعدهم ممشى والذي ينتظر
الصلوة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجراً من الذي يصلي ثم ينام رواه
البغوي رح روي عن مسروق رض أنه قال ما خطى عبد خطوة إلا
كتب له حسنة أو سيئة أي إن سعى بها إلى الخيرات وأسباب الحسنات
كتب له الحسنة وإن سعى بها إلى أسباب المعاصي كتب له بها سيئة و
خطيئة كما قال الله تبارك في كتابه العزيز في سورة يس إنا نحن نحيي الموتى
بيان لشأن عظيم ينطوي على الإنذار والتبشير انطواء إجمالياً أي نبعثهم
بعد مماتهم وعن الحسن رض والإحياء في الآية استعارة أي نخرج الكفرة مما
ابتليهم من الشرك والكفر نهديهم إلى الإيمان كأنهم من الموتى في حال الكفر و
الشرك بحيث لم يتيسر لهم من النعم المتهيئة للمؤمنين كما لم يتيسر للموتى
شيء من الأشياء فنحييهم بالإيمان فتيسر لهم النعم الأبدية فنال
بما نال الأحياء الله يحيوا بما أحياهم الله من فضله فهذه عدة كريمة وعناية
عظيمة متهيئة للمؤمنين المخلصين في الدين والديانة والإيمان و
النجية لأن الدين النصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين ونكتب ما قدموا
ما أسلفوا من الأعمال الصالحات أم من الطالحات وآثارهم
التي خلفوها وأبقوها من بعدهم من الخيرات الجاريات والحسنات
الخالصات والباقيات الصالحات كالمياه الجاريات والمساجد المعمورة
والقناطير والخنوط للمسافرين والبيوت للمجاورين والكتب من العلوم
النافعة والفنون الكافية والعيون الجارية الشافية من العلماء العاملين
المخلصين الذين ألفوا الكتب المعتبرة والزبر المفرزة من بين المؤلفة

والاموال الموقوفة والرباطات وغير ذلك من وجوه البر والاحسان
ومن الضبط والربط بنصب قواعد دفع الظلم والعدوان وبآثار
الشر والفساد من العصيان فيما بين العباد من انواع الشر التي
احدثوها وسنوها لمن بعدهم من المفسدين وقيل هي آثار المشائين
الى المساجد ولعل المراد انها من جملة الآثار التي هي عبارة عما صدر
من الخير والشر لان من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها فمن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره كما يؤيده
قوله العزيز وكل شيء احصيناه وبيناه وكتبناه على التفصيل والاكمال
في امام مبين وهو اللوح المحفوظ اصل عظيم الشان اصل جميع ما كان وما يكون
لما هو في نفسه مظهر ومعلم لجميع الاشياء بما كان وما يكون روي
عن ابي مسعود الغفاري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم انه يقول لو يعلم العباد ما في رمضان لتمنت امتي ان تكون
السنة كلها رمضان فقال رجل من خزاعة يا نبي الله حدثنا ما في رمضان
فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الجنة لتزين لرمضان من راس الحول
الى الحول فاذا كان اول يوم من رمضان هبت ريح من تحت العرش
يقال لها المثيرة فصفقت ورق الجنة اي ضربتها فتصطفق اي
فتضطرب فيسمع لذلك طنين اي صوت لم يسمع السامعون احسن منه
فتنظر الحور العين الى ذلك فيقلن يا رب اجعل لنا من عبادك في هذا
الشهر ازواجا تقر اعيننا بهم وتقر اعينهم بنا قال فما من عبد يصوم
يوما من رمضان اي فضلا عن الغير الا زوج له ماة زوجة من الحور
في خيمة من درة مجوفة كما وصف الله تعالى في سورة الرحمن حور مقصورات

في الخيام

في الخيام اي مستورات لا تنظرن الى غير ازواجهن فالخيام جمع خيمة من لؤلؤة
مجوفة في ستين فرسخا في فرسخ لها اربعة آلاف مصراع من ذهب في كل دار وبنا
منها اهل لا يرون الآخرين يعطى على كل امرأة منهن سبعون حلة منها
ليس حلة على لون الاخرى ويعطى سبعون لونا من الطيب ليس منها
ريح على ريح الآخر لكل امرأة منهن سبعون الف وصيفة لحاجتها
مع كل وصيفة صحفة من ذهب فيها لون طعام يجد لآخر لقمة منها
لذة لم يجدها لاوله ولكل امرأة منهن سبعون سريرا من ياقوتة
حمراء موشحا بالدر على كل سرير سبعون فراشا بطائنها من استبرق
وفوق كل فراش سبعون اريكة ويعطى زوجها مثل ذلك سريرا من ياقوتة
حمراء موشح بالدر عليه سواران من ذهب هذه بيوم صامه
من رمضان سوى ما عمل من الحسنات رواه ابن خزيمة في صحيحه
والبيهقي من طريقه وابو الشيخ في الثواب قوله تقر اعيننا اي يبرد
الحرارة الغريزية والمحبة الجبلية الخلقية مع وصول المراد وهذه كناية
عن شدة السرور ويؤيده برودة دموع العين اذا بكى من الصفاء
ولتنوير العين ويجليها انورها واذا بكى من الغم وكثرة الهم يكون دموع
العين حارة تضرها وتعميها قوله ومع كل وصيفة غلاما كان او جارية
وليؤيد تخصيص نزول الكتاب تخصيصه بقوله العزيز في سورة البقرة
شهر رمضان مبتدأ او خبر للمبتدأ المحذوف اي ذلك شهر رمضان
وقرئ بالنصب على تقدير اضمار اي صوموا شهر رمضان او منصوب بالمذكور
من قوله وان تصوموا او مخصوص على البدلية من اياما معدودات مأخوذ
من رمض مصدرا اي احترق من الرمض فاضيف الشهر اليه وجعل علما و

ومنع عن الصرف للعلمية والألف والنون المزيدتان كما قيل ابن دأية للغراب
وقوله عليه افضل الصلوات واعلاها واكمل التسليمات واذكاها من صام رمضان
ورد على حذف المضاف للأمن عن الالتباس وانما سمى بذلك لارتماض
نفوس الصائمين وذنوب القائمين بالجوع والعطش ولانجاز الوعد
للصائمين والقائمين بالعفو والرحمة والغفران وكفارة الذنوب الكبيرة
والعيوب الوفيرة والرضوان باعطاء الدرجات بالأعمال الصالحات في الجنان
ولا يبعد نقل أسماء الشهور عن اللغة القديمة وقت تسمية الأسماء في
الأيام واشتهر على ذلك مرور الأيام وكرور الأعوام الذي انزل فيه القرآن
خبر المبتدا على الوجه الأول وصفة الشهر على الوجوه الباقية ومعنى انزاله
اى ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر وأتم ليلة البراءة
على ما اختلف فيه المفسرون على ما اقتضاه الآية الأخرى في سورة الدخان
من قوله العزيز انا انزلناه في ليلة مباركة وهي ليلة البراءة على ما اتفق
عليه المفسرون ودفع التناقض بينهما بالابتداء في ليلة القدر مصرحا
مفصلا والانتهاء ليلة البراءة مجملا وموجزا فانه لجملة واحدة الى بيت العزة
في سماء الدنيا مسكنا للكرام البررة بأيدي سفرة بحيث يؤمرون بالاستنساخ
من اللوح المحفوظ جميعها ثم امر جبرئيل عليه السلام وقت الحاجة نجوما
بعد نجوم موقتا حسبما يقتضيه المشية الالهية والارادة العلية آية
بعد آية وسورة بعد سورة الى سلطان الانبياء وبرهان الأتقياء
محمد المصطفى واحمد المجتبى عليه اكمل صلوات الله اجمعها واحسن تسليمات
اكتمها او انزل في شأن شهر رمضان القرآن الحكيم والفرقان الكريم
وهو قوله العزيز كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم وروى

داود الطائي

داود الطائي وهو تلميذ الامام الاعظم نعمان بن ثابت شريك الامام
يعقوب المكنى بابي يوسف رح عن الامام الشعبي رح قال قلت له شهر رمضان
اى هذه الآية العزيزة اما كان ينزل في سائر السنة وايامها قال بلى ولكن
يعارض جبرئيل محمدا اى يقرء على محمد ومحمد يقرؤ عليه في رمضان
كثيرا وقليلا ما نزل اليه فيحكم الله ما يشاء بينا وينسخ ما يشاء اى من القرآن ويثبت
وينسخ وروى عن ابى ذر رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
انزلت صحف ابراهيم عليه السلام في ثلث ليال مضين من رمضان
ويروى اول ليلة من رمضان وانزلت توراة موسى عليه السلام في ست ليال مضين
من رمضان وانزل انجيل عيسى عليه السلام في ثلث عشرة مضت من رمضان
وانزل زبور داود عليه السلام في ثمان عشرة مضت من رمضان وانزل
القرآن على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم في الرابعة والعشرين لست بقين
بعدها رواه البغوي رح هدى للناس اى حال كونه هداية للناس في العالم و
بينات اى حال كونه ظاهرات من الآيات البينات من الهدى والفرقان
من هداية الله مرشدة الى الحق وفارقة بين الحق والباطل بما فيه من عجايب
المعجزات وغرايب المحكمات ورغايب الكرامات وروى عن
عبد الرحمن بن عوف رض من العشرة المبشرة رضهم انه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان شهر رمضان كتب صيامه
على المسلمين وسن قيامه فمن صامه ايمانا واحتسابا يخرج من ذنوبه
كيوم ولدته امه رواه النسائي قوله وسن قيامه المراد منه سنية
التراويح المؤكدة نفسها والمستحب جماعتها فان الصائم اذا صلى التراويح
في ليالى رمضان فاحيى الليالى كلها الا انها متممة مكملة بالنقصان الذي

وقع في صيام رمضان ونهاره وسبب لقبول الصيام مع الكمال فان السنن
السنية والوحي لعلينا انما بعثت واوحيت لتتميم المقصود وتكميل
المكسود في الفرائض الاوقاتية التي لا تخلو عنها البشرية ما دامت الوسوسة
في الخواطر الفاسدة والافكار الكاسدة وذلك من قوة الايمان فهذا
من النعم المستورة لانها من اشد المحاربة مع الاعداء المقابلة فمن مات
فيها مات شهيدا بل سيد الشهداء لان خير الاعمال احمزها
فهذه نعمة جليلة وعزة خفية لا يعرفها الا العارفون ولا يعقلها
الا الكاملون ولم يطلع عليها الا الاخص الخواص من الناس فالتراويح
سنة للرجال والنساء على الاعيان بحيث توارثها الخلف عن كافة
السلف من لدن فرضية رمضان على النبي المصطفى والرسول المجتبى
عليه صلوات الله وسلامه وبركاته وعلى اصحابه المقبولة واحبابه
المرغوبة عليهم الرضوان والرحمة والغفران بعد الهجرة الى المدينة المنورة
في السنة الثانية فالصيام قبل رمضان فرضية عاشوراء والايام البيض
من كل شهر ثلثة ايام من اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر
ثم نسخت تلك الايام بنزول اية فرضية رمضان فبقيت تلك الايام
في افضل السنية لانه معظم ولهم درجة المرضية بالنسبة الى سائر
السنن ويؤيده ما رواه الامام المسلم رح في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم افضل الصيام بعد رمضان
شهر الله المحرم وافضل الصلوة بعد الفريضة صلوة الليل رواه الامام
مسلم رح فان صلوة الليل فرض على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في ابتداء
الاسلام بقوله العزيز في كتابه العزيز ومن الليل فتهجد به نافلة لك

اى زائدة على سائر

اى زائدة على سائر الصلوات سوى الصلوات الفرائض الخمس وبقوله العزيز
يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا ثم نزل
اية التخفيف فصار الوجوب منسوخا في حق الامة بالصلوات الخمس فبقي
الاستحباب في حق احاد الامة وفي الوجوبية في حق النبي عليه السلام انه الصلوات
عدد معلومات الله وكنوز التسليمات مداد كلمات الله ويؤيده ما روي
عن ام المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها وعن ابيها واخواتها واخوانها
ولجدادها انها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلثة هن فريضة
علي النبي صلوات الله عدد معلومات الله وتسليمات الله عليه وسنة لكم الوتر
الوتر والسواك وقيام الليل رواه الامام البغوي في المعالم فان قلت
ان الله سبحانه غفر لذنبه ما تقدم وما تاخر فما وجه التكليف
قلت انه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون اولا وثانيا ان رفع الدرجات
موعود للانبياء عليهم الصلوات الابدية والتسليمات الاحدية لنفسه العالية
وللامة الكاملة شاكرا للنعم الجليلة والشفاعة لامته المقبولة ليكون
من اكمل الشاكرين واتم المشكورين ويكون عبدا شكورا كما كان الكريم غفورا
ولما روي عن المغيرة بن شعبة رض انه قال لقد صلى رسول الله تعالى
حتى انتفخت قدماه فقيل اتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم افلا اكون
عبدا شكورا رواه البغوي رح واما بحث التراويح فنفسها سنة مؤكدة
للامة المرحومة رجالا كانوا او نساء ممن فرض عليهم الصيام وسن القيام
دون جماعتها لانعدام المداومة منه ووجود الامر الناقل لها بقوله الكريم
صلوا في بيوتكم في رواية حين طلبوا خروج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن الحجرة

روى عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه قال قال
رسول الله صلى الله تبارك وتعالى عليه وسلم ان الله تعالى فرض صيام رمضان
وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه ايمانا واحتسابا خرج من ذنوبه
كيوم ولدته امه رواه الامام النسائي في صحيحه فاذا علمت
هذا فاعلم ان الله سبحانه اهدى هديتين في شهر رمضان
لعباده الصائمين على وجه الفرضية الصيام من جانب ذاته العالية
والقيام من عند رسوله الكريم من سنية التراويح الشريفة فمن
قبل هدية الله من فرضية الصيام واجتنب عما يخله ويفسده ولحق
ارضاء صاحبه وتملك وخدع واكرم الهدية البهية بالاخلاص والآداب
وهدية رسوله بالتسنن السنية والتكريم العلية اظهارا للخلوص و
الخشوع والخضوع في الطاعة وعظم السنة الجلية والهدية الرفيعة
بالقيام بما يليق باوامر الله والقيام بالختمات المترتلة وجودة القراءة
بما يليق صار ممنونا مغفورا وجاء منفوعا مقبولا وفي الدارين
مرغوبا مشكورا خاصة في وقت الافطار معصوما طهورا وبين الملا
عليا وليا لا يزال كونه محسودا مغبوطا فينبغي للمؤمن العاقل ان يتفطن
بهذه النعم الجلية والنعيم العلية ولا يغفل عن نيل هذه الكرامة السنية
والسعادة السرمدية ولا يفوت دقيقة دقيقة وساعة رفيعة
فان رفعة الذات باتصاف الاوصاف الكمالية والتخلق باخلاق الجمال
فالتوفيق من الله العزيز والترزيق بالرزق اللذيذ فلا ينال الا بالتوفيق
العزيز ولا يملكه الا الشريف العزيز والدليل في اثبات
التراويح وسنيتها المؤكدة دون جماعتها ما روى في الكتب المعتبرة

ما روى ان النبي

ما روي ان النبي عليه صلوات الله الاعلى وتسليمات الله الاقصى العليا لما اتخذ
في حجرة العالي صومعة لاداء السنة اذ الفرائض انما اديت في الجامع
لان المساجد انما بنيت لاداء الفرائض دون السنة فلما نزلت الآية الدالة على
فرضية صيام رمضان واوحى النبي صلى الله عليه ان يصلي التراويح لاصحابه
المقبولين واحبابه المرغوبة فصلى التراويح بعد اداء العشاء الى ثلث ليالي
ليلة الرابع صلى العشاء ودخل صومعته المذكورة لاداء السنة فصلى فيها
ولم يخرج منها لاداء التراويح مع اصحابه لكثرة اقبالهم ووفرة استكثارهم
الى ان يملأ المساجد وصفتها واطرافها وجوانبها الى ان يملأ اسواق المدينة
شوقا الى الجماعة العظمى فلما تظهر محبتهم وفهم مودتهم رجالا كانوا او نساء و
خاف ان يفترض عليهم ويعصو بكسلانهم بعد بعد مرور الازمنة و
كرور الاوقات فلم يخرج لاداء التراويح لهم ومكثوا كثيرا وظنوا انه نام
تنحنح بعضهم للايقاظ وقال بعضهم بالنداء الاعلى الصلوة الصلوة
اي نحن نريد الصلوة اوقم الينا الصلوة يا رسول الله فلم يزالوا ينتظرون
له وهو صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج النبي من الصومعة المبنية من الحصير
فقال ما زال بكم الذي رايتكم من صنيعكم حتى خشيت ان يكتب عليكم ولو كتب
عليكم ما قمتم فصلوا ايها الناس في بيوتكم فان افضل صلوة المرء في بيته
الا الصلوات المكتوبة الى ان توفي رسول الله عليه افضل الصلوات والتحيات
ثم الامر على ذلك فصلوا التراويح في البيوت في زمن خلافة ابي بكر الصديق
جماعة وباول خلافة عمر رضي عنهم كثيرا ثم الهم عمر الفاروق رضي وقال
انما ثبت سنية اداء التراويح بفعل النبي صلى الله عليه وسلم والترك في الجماعة
خوفا للفرضية فبعد انقطاع الوحي وتوفية النبي صلى الله عليه وسلم لا يجيء جبرئيل ولا

بعد إكمال الدين والإسلام لقوله العزيز في كتابه العزيز في سورة المائدة
اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام فلم يقدر
عليه أحد أن يزيد وينقص فاجتهد عمر رض في ثبوت الجماعة لوقوعها
وفرضيتها خوفا التراويح بأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رض لفضلاء
الأصحاب كأبي بن كعب وعثمان بن عفان وغيرهم بأن يكونوا إماما لسائر
ويصلي كل في جانب المسجد فاقتدى بهم سائر الناس من الأصحاب ثم
مستحسنين أمره ومستحبين سنته ومنهم عثمان بن عفان وعبد الله
بن مسعود وابن عباس وأبوه وطلحة وزبير وغيرهم من الأنصار و
وفضلاء المهاجرين وكبراء الناصرين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وما
أحد منهم وما رده فرقة منهم بل وافقوه في أمره واستحسنوا في اجتهاده وقوله
ووصى كل من الحاضرين على الغائبين مستحسنا في وجوهه وأدلته وفضائل
ذروصيته ورقيته وصيانته والتفضل على المواظبة واتحدوا على الموافقة و
داوموا على التحضيض إعانة على البر والتقوى وعدم ترك الجماعة في القرب
والقصوى حتى إن علي بن أبي طالب رض وكرم الله تعالى وجهه أثنى على عمر بن
الخطاب رض في خلافته ودعى له بالخير فقال نور الله مضجع عمر
كما نور مساجدنا لما روي عن سلمان الفارسي رض أنه قال خطبنا النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال أيها الناس قد أظلكم شهر
عظيم وأشهر فعليكم شهر مبارك فيه ليلة القدر خير من ألف شهر
جعل صيامه فريضة وقيامه تطوعا أي سنة مؤكدة من تقرب فيه إلى الله
تعالى بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فريضة
كان كمن أدى سبعين فريضة وهو شهر الصبر وشهر المواسات

وشهر يزاد

وشهر يزاد فيه رزق المؤمن من فطر فيه صائما كان له مغفرة لذنوبه
وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص له من أجره
قلنا يا رسول الله ليس كلنا ما نجد ما يفطر الصائم فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يعطي الله هذا الثواب من فطر صائما على مذقة من لبن أي من شربة
لبن أو تمرة أو شربة من ماء ومن أشبع صائما سقاه الله من حوضي
شربة لا يظمأ في المحشر أي مقدار خمسين ألف سنة على محاسبة أي يوما
من أيام الآخرة عند الرب كألف سنة حتى يدخل الجنة وهو أوله رحمة و
أوسطه مغفرة وآخره عتق من النيران رواه الإمام البيهقي والإمام
السيوطي في كتابه بدور السافرة وروي عن ابن عمر رض من نور
في مساجد الله نورا نور الله له في قبره ومن أراح فيه رائحة طيبة
أدخل الله عليه في قبره ريحا من رياح الجنة ومن علق فيه قنديلا يوكل
به ملكان يعودان في قبره حتى يبعث رواه السيوطي في شرح الصدور
وروي عن أبي سعيد الخدري رض أنه قال قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
شهر رمضان سيد الشهور وأعظمها حرمة ذي الحجة رواه الإمام الواحدي
في تفسير الوسيط وروي عن أنس بن مالك رض أنه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لما حضر شهر رمضان قال
سبحان الله ماذا تستقبلون وماذا يستقبلكم قالها ثلاثا قال
عمر بن الخطاب رض وحي نزل أو عدو حضر قال لا ولكن الله يغفر
في أول ليلة من رمضان لكل أهل هذه القبلة رواه الإمام الواحدي
في الوسيط وروي عن أبي أوفى رض أنه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح ودعاؤه مستجاب

من أيام الدنيا وسنته صح

وعمله مضاعف رواه الامام العلامة الاوحدي في تفسيره

الوسيط رح ود وى عن عرباض بن سارية رضي الله عنه انه قال
صلى بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم ثم اقبل
علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت فيها العيون اي سالت دموعها

ووجلت منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كانها موعظة مودع فماذا
تعهد الينا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اوصيكم بتقوى الله
والسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم فسيرى

اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين
تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل
محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار رواه البزار

ود وى عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ليس عبد مؤمن يصلي ليلة رمضان الا كتب الله تعالى له بكل سجدة
الفا وخمسمائة حسنة وبنى له بيتا في الجنة من ياقوتة حمراء رواه الامام
البيهقي في شعب الايمان مسئلة كل شفع صلوة في مذهب الامام الاعظم رح

وهي عبارة عن صلوة ذات الركعتين بخلاف الامام الشافعي فان عنده صلوة
ذات ركعة واحدة شفعة صحيحة فكل شفع هل تحتاج الى النية مجددة

ام لا قال بعضهم

ام لا قال بعض العلماء من المجتهدين يحتاج
كل شفع الى النية المجددة لانها صلوة واحدة وعبادة

مفردة برأسها فكل صلوة فريدة برأسها تحتاج الى نية مجددة
لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما الاعمال بالنيات
كذا في المصابيح للامام البغوي رح والبخاري في صحيحه وقال الامام

قاضيخان في فتاواه والاصح انه لا يحتاج اليها لكون الكل من التراويح
بمنزلة صلوة واحدة فالنية الواحدة تكفي للكل في التابع والمتبوع
للمصلي التراويح كلها بتسليمة واحدة وقعد على رأس كل ركعتين
قدر التشهد جاز وهو الصحيح وكذا في المنية مسئلة

والامام والجماعة يأتون بالثناء في كل تكبيرة الافتتاح فان فاتت
لا تقضى لا منفردا ولا بالجماعة لان القضاء من خواص الفروض
وانما يقضى الواجب لانه ما حرم كالفرض وانما اطلق لفظ الواجب

للالتباس في المعاني المفهومة وان تفاوت في استقلال ماخذ الفرض
وتقضى سنة الفجر عند الامام محمد بن حسن الشيباني عند الفوت
قبل التكلم بعد الطلوع قدر رمح او رمحين لشدة تأكيدها وعدم
فاعلا اداؤه وعدم تركه في السفرية والحضرية بخلاف سائر السنن

الموكدة فضلا عن السنن المستحبة مسئلة

فان فاتت ترويحة او ترويحتان او اكثر هل تقضى قبل الوتر
او بعد الوتر فذكر فى الذخيرة اختلف مشايخ المجتهدين
قال بعضهم يوتر مع الامام ثم يقضيها وقال البعض الاخر
عكسه وهذا اولى لان تاخير الوتر الى ثلث الليل مستحبة فكذا هاهنا

مسئلة من صلى العشاء وحده فيجوز له
ان يصلى التراويح مع الامام ولو تركوا بالجماعة فى الفرض لا يجوز لهم التراويح
بالجماعة لانها تابعة بالفرض فاذا فات المتبوع فات العائد الى التابع فلم يبق
التابعية حتى تجوز الجماعة مسئلة ومن فاتته التراويح

يجوز له الوتر مع الامام قال الامام الزيلعى
الفاضل العلامة المدفون فى اليمن رح فى شرح الكنز تكثير الجماعة اولى
سواء كان فى التراويح او فى غيرها اذ فى التكثير تعظيم لشان الصلوة وشان الجماعة
مع رعاية تعديل الاركان والخضوع والخشوع والاطمينان وفى عكسه تنقيص لشانها

مسئلة فيجب على الامام ان يراعى حال الجماعة
فى التطويل والتقصير خصوصا اذا كان فيهم عليل وشيخ كبير وعجوز
فرعايتها واجبة فيقرؤ ما لا تنفر الجماعة ولا تؤذيها فان التاذى حرام
على كل مؤمن لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من اذى جاره فقد اذانى ومن

اذانى فقد

اذانى فقد اذى الله كذا فى الطريقة المحمدية رح وذكر فى التجنيس ان صلحاء
من الائمة المرحومة اعتادوا الختم فى الصلوات الخمس خاصة
فى تراويح رمضان المبارك وبدل الختم من سورة الفيل الى
اخر المعوذتين مرتين وهذا احسن التدبير رعاية
لطبايع جميع الناس من الجماعة شابا او شيبة شيخا او عليلة
اذ يوجد التكثير فى الجماعة ولا يوجد التنفير والتنقيص
فى الجماعة و رعاية الوجوب

وكذا التنفر من الكراهة واجب فى هذا الزمان اذ المتدين
قليل والمتدنى كثير فالمختار اذ يوجد

ذ جماعة خيار الائمة المرحومة حسبما
ينبغى بمقتضى الحال فى الحال والمآل بحيث ينتقص السؤال

وقال الامام مقتدى الانام وحيد دهره وفريد عصره استاذ الامام المرغيناني على الصوفي لعلامة تغمده الله تعالى بغفرانه وليسرنا

شفاعته وادخلنا جنانه معهم في الفردوس الاعلى وجعلنا رفيقهم في مشاهدة الجمال على الكمال ابد الابدين ودهر الداهرين بعد عصمتنا عن شرور الشيطان وغرور العصيان وبعد تمكيننا لكسب رضاء الرحمان من لم يعرف

حال جماعته وشان الائمة في ازمنته فهو جاهل غير عارف للفقهاء مع ان التعابة واجبة في حالاتهم فلا يليق الى الاقتداء لعدم الخلق عن الاداء وهو حرام باتفاق الاراء ثابت بالنص القاطع كالنيف الساطع فالرعاية على ما قال الائمة المختار ان يقرأ باذنى السنة وقليلا

وهو ثلث آيات قصيرة مثل سورة الكوثر وقوله تعالى وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر الى او آية طويلة مثل آية الكرسي وهذه رتبة الجواز ولا ينقص من هذه الرتبة اذ التصحيح والتعليل يشترك ان فيها فيكون الاقل من هذه الرتبة كراهة تحريم تشتمل ترك الواجب الذي يجب اعادتها ان تركت

التحريمية عند

التحريمية عند الائمة على الاتفاق وقال بعضهم يقرأ في التراويح ما يقرأ في العشاء لانها تبع لها وقال بعضهم يقرأ في كل ركعة من عشرين الى ثلثين وقال بعضهم يقرأ في كل ركعة عشر آيات وهي رواية الحسن بن زياد عن ابي حنيفة رحمهما وهو الاصح لان فيه تخفيفا على الجماعة وبه تحصل الرعاية والسنة وهو الختم مرة واحدة في رمضان لان عدد ركعات في رمضان ستة مأة في ثلثين ليلة وآيات القرآن ستة الاف فاذا قرأ في كل ركعة عشر آيات يحصل الختم مرة كذا في فتاوى قاضيخان رح وذكر في الهداية وغيرها السنة فيها الختم مرة فلا يترك لكسل القوم اقول اذا تخلل لكسل واما اذا تخلل العذر من الاعذار الشرعية فيترك ويكتفي باقل رتبة ما في السنة لحرج المدفوع واذا كان امام مسجد حيث لا يقدر على الختم فله ان يتبع الغير وكذا لو كان لحانا لا بأس بترك مسجده فان الفقهاء رحمهم الله قالوا لا ينبغي للجماعة ان تقدموا رجلا لحانا مغنيا لحسن صوته ونغماته واجرائه بما تجري النغمات به قصدا واما اذا صار فلحذاس المقامات من غير قصد وروية مراعيا بالتجويد والترتيل غير مغير المخارج الحروف فلا بأس اذ اصوات المخافات منقسمة الى المقامات حتى الى الحمار مع انه لا يدري ولا يقصد بخلاف حال اهل الهوى والضلالة فانهم يقصدون ويغيرون ويقيسون التلاوة على النغمات المستجمعة ويكونون ملعونا بوقوعهم تحت الحديث رب تال يلعنه القرآن مع اختلاط الرياء والسمعة ولم يتقوا من صاحبه ولم يستحيوا من الملائكة المستمعين القائلين باللعن والدعاء عليه فاذا وقعوا في لعنهم صاروا ملعونا وفي دعائهم عليهم لم يفلحوا ابدا الا اذا تاب بالتوبة النصوح ورجع عن حاله اللهم انا نسئلك التوفيق والهداية وافض علينا خزانة رحمتك وعنايتك واعصمنا من اهل الهواء والضلالة يا هادي المضلين اهدنا

الصراط المستقيم وروى ان اباحنيفة رح كان يختم في شهر رمضان
احدى وستين ختماً ثلاثين في الليالي وثلثين في الايام وواحد في التراويح
وروى عنه ايضاً انه صلى ثلثين سنة صلوة الفجر بوضوء العشاء وباحث
في مسجد كوفة اربعين سنة من العلماء المجتهدين والفضلاء المحدثين المباحثين
من تلاميذه وغيرهم حتى قيل انه رح باحث في مسئلة واحدة دقيقة
مقدار شهر الحال لا يبقى لها شبهة دقيقة ذرة من الذرات ثم امر بالكتابة
والحفظ والعمل والتعليم فكل اجتهاده هكذا ولم يقع هذا في فرد سواه
في باب الاجتهاد ويعلم تفسير القرآن والاحاديث النبوية وينقح
في الروايات ويروى عن فضلاء الاصحاب واقواهم دينا ويقول فضل
تدريس التفسير والاحاديث النبوية وثمرته لا يظهر الا باخراج الاحكام
الشرعية والمسائل الفروعية والاستنباط بالادلة القوية من الزوائد
المتدينة والمباحثة بالعلماء المتبحرة المدققة والا فلا فائدة لها كالا
شجار الغير المثمرة كذا صرحه الامام عمر الحلبي من تلاميذه في المناقب رح
وكذا يكره تعجيل الاذكار بحيث عجز الامام الجماعة ان يتم التسبيحات والصلوات
والتشهد بل ينبغي له ان لا يزيد في المأثورات على ما بينه الفقهاء في كتبهم
ويجتنب عن الادعية الغير المأثورة لانها من كلام الدنيا تفسد الصلوة
وان كانت مناسبة لحاله وانما جوازها اذا صدرت من صاحب الشريعة
صراحةً واشارةً كما قال الامام الطحاوي في كتابه ويجتنب عن كلام التي
قراها في الصلوة ولم تصدر تلك الكلمات عن صاحب الشريعة فانها
تفسد الصلوة لانها من كلام الدنيا اذا وقعت في الصلوة تفسدها
ولا يترك المصلي عن التكاسل في الصلوة وعنها لانه علامة النفاق
الا اذا عجز بشيء من الاعذار كالمرض وغيره يصلي ويقرأ بما يستطيعه
للحرج المدفوع فلو نام في القعدة كلها ثم انتبه يفرض عليه ان يقعد

قدر التشهد

التشهد ثم يسلم فان لم يقعد فسدت صلوته لترك الفرض وهو القعود
قدر التشهد وما حصل من القعود في النوم ليس باختياره فوجوده كعدمه
اذ القصد والاختيار شرط في اداء الفروض والواجبات والسنن وغيرها
من الاعمال المأمورات لان الاعمال بالنيات فاذا انتفت بالعمد والسهو
بطلت الاعمال لفقدان الشرط وانتفاؤه يقتضي انتفاء المشروط في الكلية
والجزئية وهذه المسئلة تكثر وقوعها لا سيما في التراويح والناس عنها
غافلون كذا في الفقه الحلبي رح كما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من آمن بالله ورسوله واقام الصلوة
وصام رمضان كان حقا على الله ان يدخله الجنة كذا في المشارق للامام
الصغاني رح فمعنى كان حقا على الله يجيء على المعنيين الاول بمعنى الوجوب
الذي لا يترك والثاني بمعنى الجدير واللائق والمعنى الثاني هو المراد
من الحديث دون المعنى الاول من الوجوب بناء على وعده وعدم تخلفه
عنه والا فلا يجب على الله تعالى شيء من الاشياء والا فيوجب كونه تعالى
مأمورا من غير آمر فالمأمور يقتضي ان يكون مثوبا ومأجورا وهو ينافي
الالوهية لانه تعالى آمر على الموجودات من الارضين وما فيها من السموات
الى العرش العلي فالاشياء كلها منقادة الى حكمه وامره ومتعبدة له لانه
مبدع الكل من العدم والمحيي والمميت وهو الدائم الباقي وما سواه فان
والمأمورات تصدر من جنابه العلي الاعلى الى عباده العاجزة الفانية
والسعادة السرمدية بالعناية الازلية فالجنة مع نعمها الباقية ملكه
والعباد مع عباداتهم الفانية ملكه والاحسان والرحمة والانعام والعناية
صفته فكلها اعدت للمتقين من عذابه الموعود والخائفين من عقابه
المرفود فالاول وجوده فوجود الكل منه وعدم الجميع وفنائه منه
فهو تعالى اول الاولين وآخر الآخرين وحده لا شريك له وفي الحديث

ايماء واشارة الى ان ما وعد الله تعالى لعباده المؤمنين كالواجب في عدم التخلف وكالواصل الى الموعود له لتحقق الوقوع كما اذا ادى المضارع بصيغ الماضي نزل وقد افلح مقام المستقبل الذي يتوقع وجوده في قوله العزيز قد افلح المؤمنون وقد افلح من تزكى عند اهل السنة والجماعة خلافا لاهل الاعتزال خذلهم الله فانهم اوجبوا على الله وقالوا كل ما يصلح على العباد واجب على الله تعالى كالصوم والصلوة والحج والزكوة والشهادة وارشاده اليه وادخال الجنة في مقابلته فهذا مذهب باطل ومسلك عاطل اذ في اثبات الوجوب لجزء وثواب للمؤتمر وتوبيخ وعذاب للمنتهي ومتبع بالاجوبة والنقوض الثلثة الاول ان الترك ان امتنع عليه تعالى الفعل كان مجبورا لا مختارا وان لم يمتنع احتاج فعله الى مرجح موجب لا يكون من العبد دفعا للتسلسل ويلزم الجبر والثاني لو وجد فعله مع اختياره كان عالما بتفاصيله فيختلط بالسكنات المتخللة للحركة البطيئة وعرف احيازها والثالث لو اختار العبد وناقض مراده مراده تعالى لزم جمعهما او دفعهما او الترجيح فلا مرجح فان قدرته وان كانت اتم لكنه بالنسبة الى هذا المقدور على سواء وكل ما لزم من الايراد بو اطل فلا مساغ الى الخلاص وهذا يستلزم الامور الفاسدة المانعة للالوهية من كونه تعالى تحت القهر وهو القاهر فوق عباده ويلزم العجز وعلم الحاجة تعالى عن ذلك علوا كبيرا وهو القادر المبدع يفعل ما يشاء لمن يريد ويحكم على عباده بما شاء ويريد فكل الموجودات تحت قهره يحيي ويميت وهو الصمد المستغني عن العالم فالرب لها والكل مربوب له ومرزوق محتاج لديه وهو الدائم الباقي وما سواه هالك وفان واليه ترجع الامور وهو عالم الغيب والشهادة عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ويؤيده قوله تعالى في سورة آل

عمران

تنبيه مذهب اهل السنة وابطال مذهب اهل الاعتزال

عمران قل أؤنبئكم فالاستفهام للتقرير اي اخبركم بخير من ذلكم اي من الذي زين للناس من حب الشهوات من مستلذات الدنيا الدنية الفانية المزينة بما هو خير باق مما مالت اليه طبايع البشرية والشهوات الردية بذكر ما عنده تعالى من حسن الدرجات في الاعمال الصالحات فالخطاب للجميع وابهام الخير لتعظيم شانه ومآله والتشويق الى حاله اذ الخير لا يوخر والهلاك في التسويف للذين اتقوا اي خافوا من الشرك والمعاصي والتزين بزينة الدنيا الشاغلة عما يقرب به رضاء الرب واتقوا لحق تقاته ما استطاع اليه بالمجاهدة الكثيرة عند ربهم استيناف مبين لما في الابهام وتقرير ان ثواب الله خير من الدنيا وما فيها من الشهوات المستلذات اذ الدنيا وما فيها ملعونة الا ذكر الله جنات تجري من تحتها الانهار هذا ان اريد بالجنات نفس الاشجار كما هو الظاهر واذا اريد بها مجموع الارض معها فهو باعتبار جريانها الظاهرة ويجوز ان يتعلق اللام بخير وارتفاع جنات على الابتداء او على الفاعلية للظرف عند من لا يشترط الاعتماد الجار على الاشياء الستة على ما بين في محله فالجملة مبينة للخير ويؤيد قراءة من جرها بدلا من خير والمراد بالخير والتقوى ما هو مشتمل على الانواع الثلثة التي ادناها اتقاء الكفر واعلاها هو التبتل الى الله الكبير المتعال بشراشره والاعراض عما سواه على ما ينبئ عنه الاوصاف العديدة وصنائع الخيرية من النعوت الآتية والثبات عليها في الحالات المرضية فعند منصوب على الحالية من جنات ومتعلق بما تعلق به الجار من معنى الاستقرار والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضمار الى ضمير المتقين لاظهار مزيد الالطاف الخفية من النعم الجليلة في الدرجات العلية خالدين فيها حال مقدرة من المستكن في الجار المستقر فيه معنى الظرفية الى مقيمين فيها ابدا الآبدين ودهر الداهرين لا ينعزل عنها كما عزل من مناصب الدنيوية الفانية

ولاعتبارات الابنية وازواج مطهرة من الاضداد تطلق على المذكر
والمؤنث ويتميز بالقرآين والقيود المبنية اى زوجات طاهرة من العيوب
الظاهرة كالحيض والنفاس واتيان الخلاء والامتخاط من العيوب الباطنة
كالحسد والغضب والحقد واللدد والنظر الى غير ازواجهن من الاحوال
البدنية والاهوال القدمية الطبيعية فان الشبر من الجنة خير من
الدنيا وما فيها كما وقع فى الخبر كذا ورضوان من الله والتنوين للتعظيم
فالجار متعلق بمحذوف صفة له مؤكدة مما افاده التنوين من الفخامة
اى رضوان اى رضوان لا يحصى قدره وعده ولا يقادر حق كائن
من الله العظيم ذى الفضل العظيم وقرئ بضم الراء اى وكسرها رضى الله
تعالى عنه وهو من كبراء النعم وسعداء الامم والله بصير بالعباد وباعمالهم
الصالحة وافعالهم الصادرة المبعوثة من الدنيا الفانية الى العقبى
الباقية والمحضرة الموجودة من التوفيق الربانية الذى يكون المرسلة
خيرا واجره اعظم فنعوذ بالله العظيم ذى الفضل العظيم من عكسه
وما نجد من عذابه وعقابه اللهم تبنا اليك وتوكلنا عليك فنحن عبادك
المعذور وانت الرب القدير اليك ابنا واليك المصير ولا سواك رب فلنا
قدير انت مولينا فاغفر لنا انك على كل شئ قدير فيثيب على استحقاقه
من المجاهدة الخيرية ويعاقب على معاملته الشرية حسبما يليق بها
او بصير باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم ما ذكر وهيئ لهم ما وعد وفيه
اشعار لاظهار عفوه العلى من قصور عباده الخفى والجلى بتسمية العباد
الذين من شأنهم المبادرة الى العبودية الواجبة فى ذمتهم ولو تقليدا
اذ لا يتمكن سوى اظهار العجز بذلهم **وروى** عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول لاهل الجنة
يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك فيقول

بحث خطاب الرب لاهل الجنة وفضيلة الشتاء وعدد الكبائر على الاختلاف

هل رضيتم

هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا رب وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا
من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون يا رب اى شئ افضل
من ذلك فيقول احل عليكم رضوانى فلا اسخط بعده عليكم ابدا **رواه** الامام
البغوى فى المعالم رح **وروى** عن ابى سعيد الخدرى رض ايضا انه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان شهر رمضان شهر امتى يمرض مريضهم
فيعودونه فاذا صام مسلم لم يكذب ولم يغتب وفطره طيب سعى الى العتمة
حافظا على فرائضه خرج من ذنوبه كما تخرج الحية من سلخها **رواه**
ابو الشيخ رح **قوله** الى العتمة بفتح العين المهملة وسكون التاء الفوقية وفتح
الميم وتاء وهو عبارة عن وقت الغروب **قوله** من سلخها وهو جلد الحية وقشرها
وروى عن ابى هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات
ما بينهن من الصغائر اذا اجتنب الكبائر **رواه** الامام مسلم فى صحيحه
وروى عن ابن عباس رض انه قال الكبائر عشرون الاشراك بالله واليأس
عن روح الله والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله وعقوق الوالدين
وقتل النفس بغير حق وقذف المحصنة واكل مال اليتيم ظلما والفرار
من الزحف واكل الربوا والسحر والزنى واليمين الكاذبة ومنع الزكوة
والغلول من المغنم اى الخيانة وشهادة الزور وشرب الخمر وترك الصلوة
متعمدا وقطيعة الرحم والجنف اى الخيانة فى الوصية **وقال** الامام ابو منصور
الماتريدى رح كبائر الشرك ستة الاشراك بالله والجحود بالانبياء
والجحود ببعضهم وجحود العبادات واستحلال المحرمات وتحريم المحللات
فكل ذلك كبائر الشرك فاذا اجتنب عن كبائر الشرك صار ما دونها
موعودا له بمشيئة المغفرة ان شاء عذبه عدلا منه تعالى وان شاء عفى عنه
احسانا وكرما منه تعالى **وقال بعض** العلماء ان عدد الكبائر بالاضافة

الى ما تحتها وعد الصغاير بالنسبة الى ما فوقها والا فالمعصية من حيث
هي خروج عن الاطاعة وتبعيد النفس عن المغفرة والجنة وتقريبها
لغضب الرب فلذا ذهب اكثر العلماء من المذاهب الاربعة من اهل السنة
والجماعة ان الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه معصومون عن الكباير بالاتفاق
وعن الصغاير قبل النبوة بالحفظ وبعدها بالعصمة وان اختلف منهم
بعض الفقهاء من المتكلمين والمحدثين في الصغاير قبلها وبعدها على
معنى ترك الاولى فيهم حتى اطلقوا ازلة احترازا عن معنى المعصية وما
يلزمها فهم محفوظون عنها قبلها بالحفظ وبعدها بالعصمة لتعلق العلم
الازلي انهم كانوا من الانبياء وامتازوا عن امثالهم من البشرية الغير
المصونة فانهم وان كانوا في الصور منهم لكنهم غيرهم في المعنى الازلي حتى
اجابوا العلماء رحمهم عما صدر عنهم مفهوما من ظواهر الادلة المفيدة
بصدورها عنهم وهو الحق واحق ان يتبع وهو مذهب العلماء السالفين
من المجتهدين ومسلك الفضلاء الصالحين من التابعين الى يوم الدين
اذ انهم مختارون بالنبوة ومرسلون بالكتب والسنة فهم مقتدى الله
لسائر الانام في اقوالهم وافعالهم المستحسنة المرضية فلو صدر عنهم
ما فيهم على حقيقته من الادلة الظاهرة والاحاديث البارعة توجب
الاقتداء على الاثم فكيف يقتدى ما فيه عدم الرضاء واما المباحات
كتكثير الزوجات المطهرات المأذونة له الى التسعة على الاتفاق او اكثر
منها مراعيا حقوقها في كل الليالي فمن المعجزات المصدقة وجائز
الوقوع من الانبياء كداود وابنه سليمان وغيرهما صلوات الله وسلامه
على نبينا وعليهم اجمعين فجائز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح للمنصوبين
بالعهد مأذون فيها وايديهم كايدي غيرهم مسلطة عليها اذ انه على سائر
الاحاد في كونها معجزة الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت

صدورهم

صدورهم من انوار المعرفة واصطفائهم بتعلق بالهم بالله وصل واستغراقهم
بالعظمة والدار الاخرة ولا ياخذون من المباحات الا لضرورة حالهم
مما يتعوقون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم ودنياهم فكيف وقد وقع
في الخبر ان لاحدهم قوة اربعين رجلا فلا يقاس على سائر احاد الانام في جميع
الاحوال فلهذا التحق طاعة فصار قربة فيا ذلك من هذا عظيم فضل الله
خاصة على نبينا وعلى سائر الانبياء صلوات الله وسلامه على نبينا
وعليهم بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم
المباعدة واما السهو في الافعال الخارجة عن التبليغ فغير مناقض
النبوة والمعجزة المصدقة بل هو من لوازم البشرية واما السهو في امر
التبليغ فهو ممتنع في حقهم فلا يجوز لهم اصلا فكما قال الله عز وجل
في كتابه العزيز في اخر سورة طه بقوله العزيز ولقد عهدنا الى ادم
اي ولقد امرناه والعهد الامر يقال عهد اليه اذا امره فاللام جواب
للقسم المحذوف اي اقسم قسما لقد امرنا اباهم من قبلهم كما امرنا ووصيناه
الا ياكل من الشجرة وتوعدناه ان لا ياكل منها من قبل ان اكله وقيل توعدنا
اياه في ذلك الزمان المتقدم فنسي عهدنا وخالفه وتركه سهوا لا قصدا
ولا عمدا بعدم التفكر بالاشتغال البشرية والتزوج الانسانية وبعدم
الالتفات الى تواعدنا وامرنا وعهدنا ووعيدنا لاقتضاء الاسرار
الالهية واحكام الربانية في ازل الازلية ولم يعتن به على ما شغله ولتثبت
ارادة الله فيما فعله كما هو الحال في الارادة القسرية اذ هي يكون لكل ارادة
بما شاء فلا يسئل عما يفعل فيما يشاء ولم نجد له اي لادم عزما اي جزما
وصبرا عما نهي عنه وثباتا على الامر والعهد على الشيء الذي صدر منه
سهوا وخطاء ولم يتعمد اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان
ولم يستطع تغريره بالحلف وانواع الحيل فقيل اول الناسي والنسيان

لم يكن مرفوعاً فيؤاخذ وانما رفع عنا اكراماً لنبينا وحرمة شفيعنا محمد عليه اكمل الصلوات وعليهم اجمل السلام والتحيات وقيل انه ظن انه نهي تنزيه لا تحريم فنسي فؤاخذته وقوله لم يجد ان كان من الوجود الذي بمعنى العلم فعزماً مفعوله وان كان من الوجود المناقض للعدم فلفظ له حال من عزماً او متعلق بيجد كما روى الامام البخاري رح في صحيحه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني ثم رواه ابن مسعود رض كذا في صحيح مسلم ايضاً وروي عن مالك بن انس رض ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رحم الله فلاناً لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن كذا في الموطاء وروي عن مالك بن انس رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اني لا انسى او انسى لاسن كذا في الموطاء ايضاً قيل فلفظ او هنا لشك من الراوي والاصح للتقسيم والتوزيع لا للشك كما ذهب به عبد الله بن نافع وعيسى بن دينار اي انسى انا او ينسيني الله الي ليكون شريعة على امتي من بعدي كنومة الوادي يوم الخيبر عن صلوة الصبح ثم القضاء مع الجماعة فلو لم يقع لم تعلم هذه المسئلة عنده وقوعه وكما ترك الصلوة الاربع يوم الخندق الظهر والعصر والمغرب والعشاء على ما رواه البخاري ومسلم رح خوف الاعداء عن المدينة واهلها فاشتغل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بطاعة العليا يخاف عن فوتها بطاعة حاضرة فلهذا ادعى على الكفار بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم شغلونا عن صلوة الوسطى ملاء الله قلوبهم وقبورهم ناراً كذا في شرح الشفا لعلي القاري رح وبه احتج الى تأخير الصلوة عند الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهذا سر قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لاسن او ينسيني الله فان قلت وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي كذا في النووي رح قلت له حالان حال

الاستغراق وحال العادة البشرية فاكثر حاله في الاستغراق فلا تنام قلبه وقد يندر منه غير ذلك ويقع نادراً ويؤيده ما قلنا انه صلى الله تعالى عليه وسلم نام حتى سمع غطيطه وصلى الصلوة ولم يتوضأ الا ان قلبه في العادة لا يستغرق النوم حتى يقع الحدث فتوضئ فلم يوجد ولم يتوضأ في اكثر الاوقات بعد الغطيط واما ما رواه ابن عباس رض وضوءه بعد نومه في بيته فلاحتمال الحدث الاخر والحمل على الندرة كما ذكر واذا عرفت معنى الكبائر والصغائر بالنسبة الى ما فوقها وبالاضافة الى ما تحتها وما يلزمهما من تبعيد الرحمة وتقريب النيران فيجب على كل مؤمن ان يجتنب عنها اذ الرضاء والغضب مستوران لا نعرف انه تعالى باي عمل يرحم ويغفر وباي معصية يغضب ويحرق ويدخل عبده نار الشدة غضبه وعقابه ويدخل جنانه العاليات ودرجات الرفيعات وباي معصية يغضب ويدخل الدركات السافلات فيجب على كل مؤمن ومؤمنة اشد الوجوب الذي في مقابلته عذاب شديد وعقاب عنيد لا ينسى الله تبارك في كل الاوقات مشتغلاً بانواع العبادات ومتعبداً باصناف الطاعات بالخشوع والخضوع في الايام والدهور والاعوام والشهور متباكياً على ما فاته ومتشاكراً فيما اتيه واقاضه ولم يترك الذرة منها اذ الرضاء لم يعرف في اي طاعة ولو ذرة قليلة رجاء ان يقع فيه ومجتنباً عن المعاصي والعيوب والمعايب والذنوب ولو مرة اذ الغضب ايضاً لم يعلم في اي ذنب ولو من جاه كليلة مخافة ان يورد فيه فيرجو بكل الطاعات ثوابه ويخاف عن كل المعاصي عقابه فرب طاعات لا تفيد ولا تمنع عذاب الذرة كما ان الشيطان اخرج عن الجنة بعد مكثه الف سنة على حساب يوم واحد كالف سنة من سنة الدنيا ورب العصيان لا يزيل مغفرة المرة فاهل التقوى يخشون الله تعالى

كل خشية لا يزالون عن الطاعات مع البكاء قليلها وكثيرها وعن قبولها
وضياعها وعدمها ويفعلونها بشرائطها متحدة بالاخلاص ابتداؤها
وانتهاؤها ومتعرفا بانها آخر العبادات وانتهاء الاوقات لتكون سببا
لخلاصه ومكرما عند ربه كما قال الله عز وجل في سورة الحجرات ان اكرمكم
عند الله اتقيكم ولباس التقوى خير من البسة المفاخر وما هذه الحيوة الدنيا
الا لهو ولعب عند التفاخر اذ الوحظ حقيقة الحال في الدراهم والدينار
من اي شيء حصل ومما اتى في كيسك من الايدي الى الايدي وفيما توكل
فيها وتوزيع والى ما يروح منك الى غيرك وهو يحترم عليها في كيسه وصندوقه
اشد من حراستك ويتعب في كيسها اشد من تعبك ومثاقل
الدنانير لا تؤكل ولا تلبس الا بمبادلة الخبز والالبسة وهي عبارة عن
الاقطان الخارجة من بركة الارض او بركة الاشعار الحاصلة من الجلود
الحيوانية فالكل من هذه من ضمان الله على ما قبل خلقه خمسين الف سنة
على ما وقع في الخبر من المخبر الصادق في الدنيا والاخرة وهو تعالى لا يخلف
وعده ووعيده ومن علامة اهل السعادة ان يتأمل فيما ذكر ويتفكر
فيما خلق وذكر وعمل بمقتضاه اناء الليل واطراف النهار اذ ما من دابة في الارض
الا على الله رزقها ويعلم مستقرها وهو تعالى منزه عن الذهول والنسيان
فيرزق العباد والكثير منهم في العصيان فضلا عمن اطاعه في الازمان
والشهور وصلى وصام في الاوان والدهور رجاء الوسيلة الى الدولة
الابدية واجتنب عن الآثام والمعايب والآلام والمصائب خوفا
عن الشقاوة السرمدية وطهر انفسهم عن الفة خلاف جنسه من
اهل الشقاوة من الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس
من الجنة والناس اذ علامة اهل الاخلاص كثرة الاستيناس بالناس
فهذا في النهاية علامة النفاق وامارة الشقاق وترك الوفاق اذ كثرة

الالفة

الالفة مع كل الناس لا تحصل الا بالامتزاج في كل الملاقاة من الامواج
من الاشياء الطاهرة وغير الطاهرة فمن المعلوم ان كل الناس من المؤمن
الكامل والفاسق الجاهل والاحباب الصادق والاعداء الحاذق والكفار
الغني والفجار الغبي اذ اختلط الكل بالكل واتفقوا في الصبح والمساء فلا
يمكن هذا الحال الا باتفاق المآل بلا ائتمار ولا انتهاء بنفاذ امر كل واحد
منهم على ما ينبغي لتفرقوا بلا مهل فلا يأتلف ولا ينبغي بل تنازعوا
وتشاتموا بل هم اضل سبيلا فكيف يتخذ نهارا وليلا كما قال الله تعالى
في سورة الم السجدة افمن كان مؤمنا بوحدانية الله وكتابه الذي انزل
على رسوله خاصة ورسله عامة من الانبياء والرسل وما انزل عليهم
من الاحكام في الكتب المنزلة من الاوامر والنواهي وما فيها من المأمورات
والمنهيات بالتصديق والاذعان والانقياد بالجنان كمن كان فاسقا
اي خارجا عن طاعة الله بعدم الايمان والائتمار والانتهاء وعدم الخوف
عن عذاب الله وعقابه في النار يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله
بقلب سليم فالهمزة للانكار والافراد محمول على اللفظ من كان اتيان
الجمع في قوله عز لا يستوون محمول على معناه العموم اي بعد ظهور ما بينهما
من التباين الكلي وهو ان يتوهم ان كون المؤمن الذي حكيت اوصافه
الجميلة من الاعمال الخالصات من انواع الخيرات والعبادات الصالحات
من اصناف الحسنات المقبول عند الله والملائكة ذوي الاحترام والناس
والجان واهل الجنان من الحور والولدان فالكل يتمنون من الله المتعال
ان يكونوا امثالهم في الحال والمآل فمع هذه الخصال الحميدة والاوصاف
الجميلة هل يتصور من كان من ذوي العقول والبصائر ان يستوي
كل من الفريقين من المؤمنين المتقين المخلدين في الجنان العاليات
ومن الفاسقين الكافرين المعاندين مستحقين بانواع العذاب واصناف

العقاب فى الدركات السافلات تحاشاه لا يستوون عند الادنى فضلا عند
اولى الالباب الاعلى والمولى العلى الاعلى فان الخير متميز عن الشرير كما ان النجز
متميز عن المتجس وان الاحسان ممدوح والاساءة مذموم الا من خذلهم الله
من الكافرين المعاندين الاعمى فلهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها
اولئك كالانعام فطبع على قلوبهم ولعنهم واعد لهم عذابا عظيما فلا يميزون
بين الاعلى والادنى والسمين والهجين والتميز من ثمرة حقيقة الايمان
وانما صرح ثانيا عدم الاستواء مع انه مفهوم اولا من انكار الاستفهام
لنفى المشابهة بالمرة على ابلغ الوجه وآكده لبناء التفصيل الآتى عليه بقوله
اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى فانها مأوى
الحقيقى والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة وقيل المأوى الجنة من الجنان
واسم الجنة من الجنان المطلقة الثمانية فهذا تفصيل لمراتب الفريقين
فى الآخرة بعد ذكر احوالهما فى الدنيا والتميز بينهما فيها كالشمس فى وسط
النهار فلا يبعد ان يكون فيه رمز الى ما ذكر من التجافى عن المضاجع التى
هى مأويهم فى الدنيا مرتحل عنها فالعاقل يرتحل قبل الارتحال كرها وتهيئة له
الى المأوى الحقيقى طوعا نزلا اى ثوابا واجرا متهيئا من الالبسة الفاخرة
الدائمة الغير البالية والاطعمة اللذيذة الغير المتغيرة والاشربة
من الانهار اللبنية والمائية والعسلية المصفية والزوجات المطهرة
المصونة من العيوب الظاهرة والباطنة والدرجات العاليات الدائمة
من انواع الاكرام واصناف الاحترام متزايدة فى كل الاوان ولكل الزوجات
سبعون الفا من الوصايف اى الجوارى الخادمات والولدان المخلدين
والنزل فى الاصل مصدر نزل وهنا ما يهئ المطعم للنازل والضيف
من الاصدقاء والاضياف من الاطعمة والاشربة والالبسة المتعمة بانواع
الاكرام المناسب للضيف والمضيف وانتصابه على الحالية اى حال كونهم

متهيئا

متهيئا اكلهم واشربتهم والبستهم وخدامهم بالاكرام والاحترام ليست
عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر بقلب بشر انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب بما كانوا يعملون اى بسبب اعمالهم او على اعمالهم فى الدنيا
الفانية للعقبى الباقية باشتراء الدار الباقية بالدار الفانية على
مقتضى اثر الوعد للمؤمنين المخلصين والا فما تقابل الفانية جميعها
على ذرة من الباقية فلم يكن بينهما جهة جامعة سوى العناية الربانية
بين العابد والمعبود بنسبة ازلية الرحمانية فاعتبروا يا اولى الابصار
كيف كرم الكريم لعبيده اللئيم وكيف معاملة اللئيم فى اداء رحمة الرحيم
واما الذين فسقوا اى خرجوا من طاعات دبر الا على الذى هيئ الدرجات
والدرجات فى الجنان للمتقين المخلصين بالجنان والدركات السافلات
للكافرين للمعاندين من النار الموثوق لقوله تعالى فمأويهم النار بدل الجنان العاليات
اذ الدرجات العلى فيها والدركات السفلى فيها على حسب سعى اصحابهما
وان كان الدخول بالفضل على الاصدقاء والغضب على الاعداء فعلو الدرجات
مع سعة الدار وقعر الدركات مع لدغة اهل البوار على مجاهدة اصحاب
السعادة ومحاودة ارباب الشقاوة طابق النعال بالنوال ووافق النعال
بالملال كلما ارادوا ان يخرجوا منها اى من النار حين رمت امواجها ولهيبها
يرتفعون الى طبقاتها العليا حتى اذا قربوا من ابوابها وارادوا ان يخرجوا
منها فيضربهم لهب الامواج الشديدة فنزلون الى قعرها الف الف سنة
فى النيران والتحمين فيهوون فيها الى ما شاء الله وهكذا يفعل بهم فيها ابدا
وكلمة فى الآية المذكورة للدلالة على الاستقرار الجيد وفيها ايماء مع
الزبانية من تارجين تضربهم دفعا عن الخروج بنية العبادة فى الولوج
والعروج والخروج اذ زهدها واثمارها وتقويها وانهارها انما حصلت
بها لا فى غيرها وانما كانت هذه الاعادة من بعض الطبقات ودجلتها

فى المؤمن دون الكافرين والمنافقين لانهم فى اسفلها فالكل من الملائكة العلوية
السماوية والملئكة السفلية الارضية نوع من العبادة وامر من العناية
فالكل مامورون ويفعلون مايؤمرون ويجاهدون فيها جهد البليغ
ولايتكاسلون طالبة رضاء خالقهم وراضية عما امر وامتثالهم وخوفا
عما يغضب به عليهم فيناسب المجاهدة على الكل بحسب اتمامهم فيما امرهم
ومناسبة مجاهدة الزبانية باشد الضرب والعذاب واحد الحرب
والعقاب فهم غلاظ شداد لايستمعون الصيحة والانين والالداد
وقيل لهم من طرفهم تشديدا عليهم غيظهم وزيادة فيهم مجاهدتهم فى تعذيبهم
وقطعا لامالهم من الخروج اذا رمت اللهب فى الاموج نحو الباب
مستغرقا فى انواع العذاب واصناف العقاب ذوقوا عذاب النار الذى
كنتم به اى بعذاب النار التى توعدون بها بالسنة الانبياء والمرسلين
المبعوثين بالكتب المنزلة من السماء والمعجزة المتنوعة بالانبياء
تنزيلا ممن خلق العلى الرحمن على العرش استوى تكذبون عنادا واستمرارا
فى الدنيا ونسيان هذه الايام العسيرة فى الاعوام اليسيرة الممكنة
دفعها بالايمان والتوبة والتقوى وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه
قال سمعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اذا استيقظ المؤمن فى شهر
رمضان وتحرك فى فراشه وتقلب من جانب الى جانب آخر فذكر الله
تعالى يقول له ملكان موكلان قم بارك الله قم رحمك الله فاذا قام يدعو له
الفراش فيقول اللهم اعطه الفرش المرفوعة فاذا لبس يدعو له اللباس
ويقول له اللهم اعطه الحلل فى الجنة واذا احتذى يدعو له نعلاه
ويقول اللهم ثبت قدميه على الصراط واذا تناول الاناء يدعو له الاناء
ويقول اللهم اعطه اكواب الجنة واذا توضأ يدعو له الماء ويقول
اللهم طهره من الذنوب والخطايا واذا قام بين يدى الله تعالى

يدعو له البيت ويقول اللهم وسعه عليه لحده ونور حفرته وانزل
الرحمة عليه وينظر الله تعالى عليه بالرحمة ويقول الله تعالى له عبدى منك
الدعاء ومنى الاجابة ومنك السؤال ومنى النوال كذا فى زهرة الرياض
رح وغيره وروى عن جابر بن عبد الله رديف النبى رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اعطيت امتى فى شهر رمضان خمسا لم يعطهن
نبى قبلى اما اولها فانه اذا كان اول ليلة من شهر رمضان ينظر الله تعالى
اليهم ومن نظره الله تعالى اليه لم يعذبه ابدا واما الثانية فلان خلوف
افواههم حين يمسون اطيب عند الله من ريح المسك واما الثالثة
فان الملائكة يستغفرون لهم فى كل يوم وليلة واما الرابعة فان الله
تعالى يامر جنته فيقول لها استعدى وتزينى لعبادى اوشك
ان يستريحوا من تعب الدنيا الى دارى وكرامتى واما الخامسة فانه
اذا كان آخر ليلة من رمضان غفر لهم جميعا فقال رجل من القوم اهى
ليلة القدر فقال لا الم تر الى العمال الذين يعملون فاذا فرغوا من اعمالهم
وفوا اجورهم رواه الامام البيهقى رح قوله اوشك اى اسرع السير
وقرب ومنه قولهم يوشك كذا ويؤتين قوله تعالى فى سورة النساء ومن يعمل
من الصالحات اى شيئا منها بعضها فان الكل من المكلفين لا يكلفهم الله
بجميعها لعدم القدرة وخروجه عن وسعه اذ لا يكلف الله نفسا الا
وسعها من ذكر او انثى فى موضع الحال من المستكن فى يعمل ومن للبيان
او من الصالحات اى كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال
شرط اقتران العمل بها فى استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به
دونه فيه اى والحال انه مصدق بالثواب فى دار الجنان والعقاب فى
جزاء داعى الجنان فاولئك يدخلون الجنة اشارة الى من يعنون العناية
بالاتصاف بالايمان والاعمال الصالحات فالافراد باعتبار لفظه

قوله يمسون من المساء اى يدخلون وقت الافطار فى المساء وهو ضد الصبح منه

كما ان الجمع باعتبار معناه وما فيه من معنى البعد اشعار بعلو الدرجة
وارتفاع رتبة المشار اليه وبعد شرف المنزلة به وقرئ يدخلون مجهولا
ايضا من الادخال ولا يظلمون نقيرا اى لا ينقصون شيئا حقيرا من
ثواب اعمالهم فان النقير علم القلة والحقارة وهو النقرة فى ظهر النواة
فاذا لم ينقص من ثواب المطيع فبالحرى ان لا يزاد عقاب العاصى المؤمن
فكيف لا والمجازى هو ارحم الراحمين فذكر انتفاء الظلم فى حق الفائزين
فقط تفضيلا لهم وهو من قبيل الاكتفاء كما هو فى قوله سرابيل تقيكم
الحر اى والبرد وروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة
عند لقاء ربه كذا فى المصابيح رح قال الشراح معنى الفرحة عند الافطار
وهو على نوعين النوع الاول فرحة العوام وهو ان الله سبحانه حرم
ما احل الله لعباده من امواله الطيبات من وقت كشف الصبح وشفقه
الى وقت الغروب من الاكل والشرب والوقاع ومما يحل الصيام والقيام
فاحتاج القوى من الطبايع البشرية الى الارواء والاشباع والجماع
متبعة مما تالف احد عشر شهرا من القوة الايامية فطار عليها
الضعف الى ما لا قدرة له فى الحركات ولا استطاعة له الى التقلات
فلما دنى وقرب وقت الافطار والاشباع والارواء والوقاع وقرع سمعه
نداء الاذان مع دخول الوقت والاوان فحثت القوى الطبيعية
واشتهاءات الانسانية بما تتلذذ وتشتهيه النفسانية من انواع
المقصود واصناف نعم المعبود التى ائتلفت بها مدة المدينة واستلزمت
مدة العدينة فسرت بمرتبة مخصوصة بها ولو ارادها لا تجدها
فى غيرها بخاصة الاوقات المباركة والايام المبادقة فتستر بسرر
مرفوعة تشبه باكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة

للصائم فرحتان والبستان بالجنان

فهذا

فهذا من سرور العوام شاكرا على نعم الله تعالى واحسانه وما نالوا الهامع اداء
رعاية اكرامه بدعوة الصائمين والصائمات وتفطيرهم عليها بصفائه
واخلاصه فى الاحسان والانعام والافطار والاطعام مع البشاشة
والترود والملاطفة زائدة على انواع البر والاحسان كما هو حال اكمل
الانسان باتمام السنة السنية وكمال المنة العلية فاولئك هم خير
البرية واما النوع الثانى فهو فرحة الخواص بل تشتمل على الخص الخواص
بملاحظة ان الله عز وجل وعد المؤمنين الصائمين والصائمات
بلسان النبى رسولنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بانواع الدرجات
والاحسان فى الجنان واصناف الجنات مع اتم النعم واعم النعيم واعلى
الغرف والولدان والحور والرضوان فى اتعاب النفوس البشرية مع المجاهدة
الكبرى بالصيام والقيام بما تتاذى به من الامنية العليا والمحاربة
الصبرى مع الاعداء من الشيطان الصغرى فسبحانه وتعالى جل لا شريك له
لا يخلف وعده وانا مؤمن بوحدانيته وكتبه ورسله واليوم الآخر
والقدر والقضاء وخلق خيره وشره والبعث بعد الموت وانا مؤتمر
باوامره ومنتهى بنواهيه وان لم اكن اهلا بما يليق عظمته وجلالته
من العبادات المامورة والطاعات المامولة متحملا على الذنوب الوفيرة
والعيوب الكثيرة بالنسبة الى والاضافة على واما بالنسبة الى رحمته
تعالى فليست قطرة من البحار اذ الذرة من بحر الخزائن تدفع وتغفر بها
العامة فضلا عن الخاصة مع ان الادلة من النصوص البديعة القواطع
والاحاديث الصحيحة السواطع فى تبشير الصائمين والصائمات بالاجود
الكثيرة من النعم والدرجات والكرم فى الجنات العاليات وتم الاحسان
ولقاء الجمال باكمل الرضوان فهذه المرتبة العلية والنعمة الجلية لا تحصل
الا بالائتمار ولا تتيسر الا لمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى

وانتهى بالانتهاء وادرك رمضان وعرف قدره واكرم صيامه بالصيانة
من العيوب الظاهرة والباطنة باشتغال العبادات والاوراد خاصة
بتلاوة الكلام القديم في الدهور والايام والشهور والاعوام
مجتنبا عن الكذب والافتراء والغيبة والبهتان وعن احاد الذنوب
والعصيان مكرما على ما فعله من الصيام والقيام باعلى السنن ان قدر
على الاتمام ومحترما بتعظيم القراءة بالترتيل والخضوع في اداء الفرائض
والواجب والسنن والمستحبات مع الخشوع عن ترك الفرصة باداء العبادات
الخاصة في الاوقات المباركة كما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس عبد مؤمن يصلي ليلة رمضان
الا كتب الله له بكل سجدة الفا وخمسمائة حسنة وبنى له بيتا في الجنة من
ياقوتة حمراء رواه الامام البيهقي رح في شعب الايمان وروي عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من آمن بالله ورسوله
واقام الصلوة وصام رمضان كان حقا على الله ان يدخله الجنة رواه
الامام الصغاني في المشارق رح وورد في الخبر ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم قال رايت ليلة المعراج عند سدرة المنتهى ملكا لم ار مثله طوله وعرضه
وله سبعون الف فم وفي كل فم سبعون الف لسان وفي كل لسان يسبح الله
تعالى فاذا سبح اهتز العرش بحسن صوته وهيبة عظمة شانه باعزاز الله تعالى
واكرامه بين امثاله باعطاء قوته وسئلت جبرائيل عليه السلام عنه
اي خلق هذا فقال خلق قبل آدم على نبينا وعليه افضل الصلوات واكمل
التحيات بالفي عام وكان ذلك الملك في مرج عن يمين العرش في الجنة وعلى
ذلك المرج لك ولامتك فامر ذلك الملك من ذلك المكان الى هذا المقام
لاستقبالك ولتشوق عليك ولفرط محبته اليك فسلم عليه فسلمت
ولم يسمع سلامي ولم يرد علي لاشتغاله بالتسبيح فنادى جبريل بالعلى

صوته

صوته وقال يا ايها الملك انه سلطان الانبياء وبرهان الملائكة والاتقياء
وهو محمد المصطفى عليه وعليهم اكمل الصلوات اعلاها واجمل التحيات اسنيها
فبسط ذلك الملك جناحين اخضرين حتى امتلأت السموات والارضون
وضمني الى صدره كما ضمت الوالدة ولده والمحب محبوبته وقبلني وقال
ابشر يا رسول الله ويا نور عرش الله ويا روح الملائكة المقربين ويا
روح الانبياء والمرسلين والاولياء الصديقين والشهداء الصالحين
وحسن اولئك رفيقا وحبيبا فان الله تعالى قد غفر لك ولامتك بصيام
رمضان وقيامه فرايت صندوقين بين يديه وعلى كل صندوق مائة
قفل من نور وسئلت جبريل عن صندوقين وعما فيهما ولمالهما فقال
جبريل سله منهما بنفسك يا رسول الله فسئلته عما فيهما فقال ان في احد
هذا الصندوقين براءة الصائمين بما يستحقه من درجات الجنة
ونعيمها على قدر كل عبادة العابد من الصائمين والقائمين وفي الصندوقة
الاخرى براءة العتق من دركات السفلى من عذاب النيران لمن يستحقه
بالترك والخيانة لو فعلت واني شاهد عليهما اقسمهما عند الصراط
وابشر صاحبهما بالسلامة ولامانة فالدولة الابدية والسلامة
السرمدية لك ولامتك فالطوبى لك والبشرى لامتك ويؤيده قوله
تبارك عز وجل في آخر سورة الكهف ان الذين امنوا بالايمان الاجمالي
فضلا عن الاسلام التفصيلي فردا فردا وهو الاقرار باللسان شطرا
وشرطا والتصديق بالجنان شطرا واصلا بان الله تعالى واحد وحق الذات
بان لا شريك له ولا نظير له ولا ضد له ولا ند له ولا حد له اي الذي
ليس لوجوده منتهى ولا وراء له مرئي الظاهر بلا دلالة الدالة على ظهور
وجوده وجود السموات الى العرش الاعلى والباطن باعتبار ذاته وصفاته
وجود العرضيات بوجود الاشياء لا تخيلا ولا توهما وهو محيط

بكل الاشياء وليس لاول دون اوليته وهو اول الاول والاخر دون آخريته
وهو آخر الاخر وهو القاهر فوق الاشياء الموجودة من العلوية والسفلية
ومبدعها على ما يشاء ولا يقدر احد ان يقول ما شاء لما شاء فيفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد لما يشاء الوهيته قديمة وربوبيته قبل المربوب دائمة
لم يسبق عليه احد من الملائكة والانس والجان وهو قبل القبل وبعد البعد
فسبحان الذي بيده الملكوت وفي حكمه الفلكوت لم يبق للموجودات الا

ولا اوقات ولا امكنة ولا فرد من الافراد صح

الاطاعة عامة وللمؤمنين والمؤمنات الا الاخلاص في العبادات الموقتات
خاصة وتليق بذكر الجوارح فرادى وكل الاعضاء طرا كما قال في كتابه
العزيز في سورة الاحزاب بقوله العزيز يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا
كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا اي في جميع الدهور والايام والشهور والاعوام
آناء الليالي واطراف النهار فلا مساغ للنسيان رب الانسان ولو آنا
عند اهل التقوى لان الجوارح مأمورة بالعبادات والطاعات بعضها
موقتة وبعضها غير موقتة فالموقتة معلومة بتعيين الشريعة الغراء
كالصلوة والحج والزكوة والمحاربة والحج واما غير الموقتة فغير متعينة
كالذكر والتسبيح والفكر والتهليل والصدقة النافلة وعلم العلماء وعدل
الامراء واعطاء حق جميع الاعضاء وشكر النعم خاصة منها نعمة دين الاسلام
وشكر الصحة والعافية والراحة والسلامة والاموال والانفس والثمرات
والدار والجار والخدام وشكر التخلص عن البلية البدنية والاموالية
والاولادية وما اشبه ذلك من النعم التي لا يعدها عاد ولا يحدها حاد
بل تعرف اكثرها اذا ازيلت لان النعمة مجهولة اذا ازيلت عرفت فاذا كانت
لا يعرفها صاحبها فيلزم على المؤمن المخلص ان يتفكر نعم الله تعالى ظاهرة
وباطنة ليلا ونهارا ولم يزدهم الا شكرا خفيا وجهارا اذ لم يات عليه
زمان الا بنعمها التي لم يتمكن شكرها الا بالاعتراف عن عدمه حتى قيل

ان نعم الله

ان نعم الله لا يعدها عاد ولا يمكن شكره الا باعتراف فهو عين الشكر شكر
طرفة العين لا يؤدى بتمام الاعمار فضلا عن الغير في الليالي والنهار
فالعبادات باللسان وذكره والتصديق بالجنان وفكره غير موقتة يجب
على كل مؤمن ان يذكر باسم ربه ويتفكر بقلبه عجائب الملكوت وينظر بعينه
غرائب الفلكوت بل الحكم الالهية في الارتفاع هو الاراءة وان لم يره فيريه
وفي انبساط الارض الاراءة وان لم يره فيريه عند انخفاض الرأس وكذا اعمال
سائر الجوارح حتى ذهب كبراء الصوفية اذ غفلت اللسان عن الذكر والقلب
عن الفكر وغفلت العين عن الاعتبار وغيرها عن الانتهار من اكبر الكبائر
وكفران النعمة دون شكرها وهجوم العذاب الشديد الموعود بالنص المورود
والايمان التفصيلي ايضا بان محمدا رسول الله ارسل الى الناس كافة بشيرا
ونذيرا بالمعجزات الظاهرة والكرامات الباهرة مبلغا ما انزل اليه من ربه
نشرت المشارق بنور الايمان وشهادة الاشجار اذا امر صلى الله عليه وسلم
تقلع وتوحيد الاحجار تتقطع والطيور في جو السماء اقررن والوحوش
في الصحراء صرن وظهرت الاصوات من الجهات الست بان يقلن لا اله الا الله
محمد رسول الله ولم يبق من الموجودات الا تشهدن في الكفار كلهم سمعن
اذا وفقوا في الايمان يدخلن فاذا كانت الاحجار والاشجار اقررت والوحوش
والطيور لمدت مع انها ليست بمأمولة ولا مأمورة بالاذعان فكيف من يرى
المعجزات الباهرات والعلائم الظاهرات ويسمع الاصوات من الموجودات التي
ليست من شأنها ان تؤمن بالصوت الاعلى ولم يؤمن عنادا ولم يعبد ولم يشكر
اعتمادا فويل لهم بما كسبت ايديهم واما المؤمنون اقروا باللسان وصدقوا
بالجنان مع الاذعان بالادلة النقلية المذكورة والادلة العقلية
المدلولة بالخواص الظاهرة والباطنة بالنظر الى الكواكب الزينة والسبعة
السيارة من العجائب الملكوتية والغرائب الفلكوتية بحيث لا يشتبه

حال احد الى حد ولا حركاته الى حركات امثاله كما لا يشبه سيما احد لا في الانشاع والصوت والمرور والنعت والعبور والخلق والخُلق ولا الاوصاف ولا الاجناس ولا الانواع ولا الاصناف ولا الارزاق ولا الاجسام ولا الاعمال والشجاعة والسعادة والشقاوة ولا الامال والسماحة والدناءة ولا الايام والشهور والدهور ولا الاعوام والسموات السبع كل منها بخواصها والارضيات السبع بذواتها وعرضياتها وغيرها فطبايع الكل من الموجودات مختلفة بجبليتها وعرضيات الجمل من المصنوعات متشتتة بخلقيتها كما ان الحواصل منها متفرقة وكما ان الشتاء الملزومة للايام التي دارت فيها غير الصيف اللازمة للاعوام التي جرت لهما كما ان الايمان في قلب المؤمن من غير الاشراك في قلب الكافر اذ الكل من المذكورات مملوة بالاسرار الالهية والانوار الرحمانية والاحكام البالغة تستنبط منها وحدة السبحانية والاستقلال السلطانية له الملك وله الحمد في الاولى والاخرة وحده لا شريك له بالوحدة الذاتية الازلية فلا يكون مثل هذا بالوحدة الاضافية العددية فتعالى عن ذلك علوا كبيرا فلذا قال الامام رحمه يجب على كل مؤمن بالغ ان يستدل بهذه الاشياء الوحدة الذاتية لله تعالى الكبير والاستقلال في ملكوته وجبروته فلا شريك له في ذاته وصفاته ولا نظير له في افعاله وصنعه كما يجب بالادلة النقلية فالايمان حاصل من الدليلين النقلية والعقلية حتى دخل تحت قوله العزيز ان الذين امنوا وعملوا الصالحات الخالصات عن شوائب الريب والشبهة والرياء والسمعة خالصة لذاته الكريم ولايقة لوجهه العظيم لينالوا انعامه الجميل وجزاء الجزيل وعن المنجز وكرمه المبرز وهم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله كانت لهم في علم الله الازلي ووعده الابدي فيما سبق جنات الفردوس نزلا اي منازل متهيئة وهو اعلى الجنة بالدرجة واصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل فيها نعم لا تبلى والبسة لا تفنى

وحور عين

وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون واشجار ملتفة بالاشجار المثمرة المنورة والروضة المستحسنة التي تنبت ضروبا من النباتات العالية والنزل في الاصل عبارة عما يهيى الضيف المطعم لضيفه الراحم المكرم كما ان الله عز وجل هيى لمن امن بوحدانيته بلسان رسوله وكتبه وصدق بما جاء به وعمل بمقتضاه بالاخلاص على مراد الله ومراد رسله وفيه استعارة تمثيلية وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا سألتم الله فاسئلوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة رواه الامام البغوي رح في المعالم قال كعب الاحبار رض ليس في الجنان جنة اعلى من جنة الفردوس ربوة الجنة واوسطها وافضلها وارفعها وقال كعب الاحبار رض الفردوس هو البستان الذي فيه الاعناب وقال الامام مجاهد رح الفردوس رومية اسم البستان وقال عكرمة هي الجنة بلسان الحبش وقال الزجاج هي بالرومية منقول الى اللفظ العربية جمعه فراديس خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا اي لا يطلبون التحويل والانتقال لانهم لا يرون فيها الا ما بر غبتهم في الاقامة فلا ينقلون عنها اذ لا يجدون اطيب منها واحسن منها حتى ينازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود اذ هي كناية عنه قال ابن عباس رض لا يريدون ان يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار الى دار اذا لم يوافق طبيعته فهذا ليس كذلك بل فيها احسن ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين لكمال نعيمها وتمام شيمها بانواع اللذات الابدية واصناف النعم الازلية بحيث لا تتغير بمرور الايام والشهور وكرور الاعوام والدهور قال ابن عباس رض قال طائفة اليهود عليهم من الله ما يستحقون من العذاب الموعود يا رسول الله تقول نحن اوتينا الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد اوتينا على التورية وفيها علم كل شيء

قوله [illegible]

قوله الاحبار على وزن افعال جمع حبر بالحاء المهملة الساكنة والباء الموحدة المحلة وهو عمق البحر وفيه استعارة تحقيقية وترشيحية مسمه

فانزل الله تعالى هذه الآية العزيزة الزاما لطائفة اليهود لان التوراة قليلة
بالنسبة الى سائر الموجودات من السماوية والارضية وما فوقهما وتحتهما
فما اوتوا من العلوم قليلة بالاضافة الى العلوم الازلية اذ ما من شيء
من الاشياء العلوية والسفلية من المصنوعات الا وقد تندرج في علمه
الازلي لانه عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال في كل الاحوال والمآل
وجهل الانسان العالم غالب على علمه بل لم يوجد وقوفه على شيء من الاشياء
المميزة على زعمه في تحقيق الحال وتدقيق المآل فلهذه الاسرار الالهية
والاحكام الربانية قال عز وجل وما اوتيتم من العلم الا قليلا وهذا
الخطاب شامل لمن يقول انا عالم من الانس والجن والملائكة لانهم قالوا
حين الامتحان في عرض الاسماء لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم
الحكيم سوى علم الله الازلي فان علمه حضوري منزه عن التصورات
والتصديقات التي لا تستحصل الا بصرف الجهد البليغ من التعلم والتعليم
والتحصيل والتفهيم في الايام والشهور والاعوام والدهور ومع هذا لا يخلو
عن احتمال الصدق والكذب وعلم المخلوق هكذا في الحال وان كان
علامة عصره بالنسبة الى الامثال واما بالنسبة الى الاعلى فعلمه عين جهله
وعلم جميع المخلوقات بالاضافة الى الله العليم العلام الغيوب كذلك عين
الجهل اذ حقائق كل الاشياء معلومة له تعالى ومجهولة لغيره وان عد من العلماء
والبلغاء بالاضافة الى ما سواه فاشار الى هذه المعاني الخفية بقوله قل
لو كان البحر مدادا لكلمات ربي اي جنس البحر لعلمه وكتبه والمداد في الاصل
يطلق على الشيء الجائي الممد المتصل بحيث امتد اتصاله ولا ينفصل
امتداده ابدا كنعم الله ورحمته وامطاره وارزاقه وانعامه واحسانه على عباده
المخلصين في الدارين ثم صار اسما لكل ما يمد به الشيء على العموم ويراد به
هنا الحبر وهو اسم خاص لما في المحبرة لنفد البحر اي لفني جنس ماء البحر

ولم يوجد

ولم يوجد شيء منه اصلا باسره لان كل جسم متناه قبل ان تنفد كلمات
ربي فانها اي صفاته غير متناهية لا تنفد ولا تفنى كعلمه ورحمته وارزاقه واكرامه
لعباده ومخلوقاته ومصنوعاته وموجوداته تحت السموات والارض وفوقها حتى
الاوراق في الاشجار والاثمار فلا تنقطع ولا تحتاج الى غيره تعالى وكذا
لو زيد المداد من القراطيس والكتاب والاقلام لتناهيها قبل نفاد كلام الله
المصون ان يكون جسما وجسمانية اذ النفاد من لوازمه وقرأ حمزة والكسائي
بالياء وقال الامام مجاهد رح معنى الآية العزيزة فلو كانت ابحر الدنيا
مدادا لكلمات الله وعلمه الازلي والاشجار في الدارين اقلاما والسموات
والارضين والجنان والنيران كلها قرطاسا والمخلوقات من اهالي
السموات والارضين من الانس والجن والملائكة والربانية كلها كتابا
فيكتبون في الايام والشهور والاعوام والدهور لفنيت قبل نفاد
علم الله وكلماته لعدم تناهيها فلا يلزم تحقق نفادها بعد نفاده
اذ لا يجوز الحكم بمخالف الاشياء فلذلك يقع الطلاق الواحد
لا الثاني اذا قال لغير المدخول بها انت طالق واحدة قبل واحدة
لارتفاع العمل عن المخالف عند الائمة الحنفية بخلاف الشافعي
رح فانه يعمل بمخالف الاشياء لكن يشكل معنى الآية العزيزة عنده
فيلزم المحذور من لزوم المخالف مع انه رح معترف بعدم نفاد
علم الله وكلماته اللهم الا ان يقال انه محمول على الاكثر تحرزا
عن مثل هذه الهجنات العظيمة نعوذ بالله تعالى ولو جئنا بمثله
مددا اي بمثل جنس البحر الموجود مددا واضعافا غير زائدة لنفد
ايضا والكلمات الربانية غير نافدة ضرورة ان كل ما يدخل
تحت الجسم متناه المقدار اذ الكل بالاجل المسمى اذ الكل عنده
بمقدار فلا بد لنا من النفاد بخلاف ذات الله وصفاته فانه

محيط بالاشياء فلا حد له ولا نهاية له فانه يستحيل نفاده ومدده تمييز مثل المداد وقرئ بكسر الميم جمع مدة وهو ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ بمثله مدادا اي ان تلك الحكمة التي اوتيتم من العلم خير كثير ولكنه قطرة من بحار كلمات الله تعالى ويؤيده قوله تعالى في سورة لقمن ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله قال ابن عباس رضي الله عنه علّم الله تبارك وتعالى رسوله التواضع لامته والمحبة لهم لئلا يرتفع درجة عنده تعالى فامره بقوله قل انما انا بشر مثلكم في العجز عن احاطة كلماته الا انه تعالى اصطفاني من بينكم وارسلني اليكم رسولا شاهدا عليكم كافة للناس بشيرا ونذيرا واني فارقتكم بنزول الوحي علي كما انه تعالى ارسل الرسل قبلي يقرؤن كتابهم على امتهم من الناس وما كنت بدعا من الرسل يوحى الي من الله العلي الكبير انما الهكم اله واحد بالوحدة الذاتي الذي لا شريك له وانما ارسلت به اليكم وتميزت بذلك عنكم فاهو تعالى الا متفرد في الالوهية فلا نظير له في الوحدة في الذات والصفات ازليا ابديا اول الاولين لا اول له وآخر الاخرين ولا منتهى له فآمنوا به ووحدوه ولا تشركوا به شيئا اصلا فمن كان يرجو لقاء ربه والرجاء توقع الخير في المستقبل وهو الطمع لكنه يستعمل في الامور المحمودة وفرق بين الرجاء والاغترار بان الرجاء يكون لمن مهد اسباب المرجو ولا اغترار لمن اخل بها والمراد من اللقاء النيل الى ما وعد من الدولة الابدية والسعادة السرمدية وقيل الرجاء يجيء بمعنى الامل والخوف جميعا كما في قول الشاعر فلا كل ما ترجوه من الخير كائن ولا كل ما ترجو من الشر واقع فعلى هذا المعنى اي يامل حسن لقائه بعد وصاله او يخاف سوء لقائه ومعاملته في شرطية تجزؤه قوله فليعمل عملا صالحا بحيث يليق بالعبودية الى المعبود والموافقة الى المقصود

يرضى به

يرضى به عنه وان لم يمكن لم يتمكن منه لعظمة المعبود بالحق وعجزه العابد لاحق لكن يجب عليه بالمامورية اداء الشكر في النعم العلية خاصة في نعم الايمانية والاسلامية وعامة في الصحة والعافية البدنية واللذة السنية الدنياوية والعقباوية التي لا تعد ذا ازاد العاد ولا تحد حين حد الحاد ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يخلص فيها ويخصصها به ويعصمها عن الرياء في السمعة في الظاهر والباطن لان الرياء اخفى من دبيب النملة فلا يميزه الا من وفقه الله تعالى بالتوفيق الاعلى والرفيق الاسنى بالمجاهدة في الايام والشهور والمحاربة في الاعوام والدهور فهيهات في اخوان زماننا باشتغال الاموال والاولاد وشماتة الاعداء والاكياد ذاهلا عما يطلب منه تعالى من النعم والدرجات في الاعمال الصالحات في الدار الباقية مكتسبا في الدار الفانية كما روي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده لا شريك له واقام الصلوة واتى الزكوة والله عنه راض رواه ابن ماجه والحاكم وروي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال حين بعث الى اليمن يا رسول الله اوصني فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اخلص دينك يكفيك العمل القليل رواه الحاكم وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من اخلص لله اربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه رواه رزين رضي في كتابه وروي ان جندب بن زهير رضي الله عنه قال قال الرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اني اعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه احد سرني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له صلى الله تعالى عليه وسلم وروي عن ابن كهيل رضي انه قال سمعت جندبا انه يقول قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من سمع اي اراد السمعة في عمله الخير سمع الله به ومن يرائي اي اراد اراءة عمله

الى غير الله غير متق ولا مخلص بريا الله كذا فى المعالم وروى عن الامام البغوى
رح عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر
قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
الرياء كذا فى المعالم وروى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول انى اغنى الشركاء عن الشرك
من عمل عملا اشرك فيه غيرى فانا منه برئ هو للذى عمله رواه الامام البغوى
رح فى المعالم فالاية جامعة لخالص العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص
فى الطاعة وقرئ بالتاء ولا تشرك فيه التفات من الغيبة الى الخطاب
من الصنايع البيانية ثم من الخطاب الى الغيبة فى ربه وروى عن عبد الله
بن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصيام والقرآن
يشفعان للعبد فيقول الصيام يا رب انى منعته الطعام والشهوات بالنهار
فشفعنى فيه ويقول القرآن يا رب انى منعته النوم بالليل فشفعنى فيه
فيشفعان كذا فى المصابيح ويوميق قوله تعالى فى كتابه العزيز فى آخر سورة
الانفال يا ايها النبى حسبك الله فالجملة مبتداء وخبرى كفاية الله حاصلة
ولمن تبعك ومعهم من الله منهم على تقدير والعطف على لفظة الجلال انزلت
فى بيداء فى غزوة بدر قبل الحرب وروى عن سعيد بن جبير رضى الله عنه اسلم
مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم
عمر رضى الله عنه فى اربعين رجلا وقيل الاية نزلت فى اسلام عمر رضى الله عنه حين كمل الاسلام
اربعين رجلا من المسلمين وظهر الاسلام بمكة باسلامه فالسورة مدنية الا
هذه الاية اى يكفيك معينا وناصرا فى جميع امور الدارين بانتشار دينك
الغراء وطريقتك البيضاء باعطاء المعجزات الباهرة والكرامات الظاهرة
اولا وبالذات ليك حسبما يقتضيه الحال وثانيا بالعرض الى من تبعك فى الحال
والمال الى مشارق الارض ومغاربها مملوة بنور الايمان والاحكام الشرعية

ولبسو

ولبسوا الاذعان والحكام المرضية والسلاطين العادلة بالمجاهدة
البارعة والغنايم الكثيرة والغزوات الوفيرة غالبة على الاعداء الفجرة
والكفرة مصداقا لقوله العزيز الا ان حزب الله هم الغالبون على حزب
الشيطان هم الخاسرون فالحمد لله الذى جعلنا من المؤمنين المتقين
الغالبين عليهم ما دامت الاحكام العدلية فى ايدى الحكام الشرعية وبعصمته
عما يؤذيك ويقصدك من الكفرة الفجرة باطفاء نور الله والاهلاك
بالحروب والقتال وباعلاء كلمات الله واعلان دين الله واظهاره على
الدين كله وابطال اللات والعزى التى اشرك بها المشركون ولو كره
الكافرون وارتفاع الدرجات العاليات بالاعمال الصالحات وادخال
الجنات الرافعات بالفضل والكرم والعقايد الطاهرات مع النعم الجليلة
من الالبسة الجميلة والاطعمة اللذيذة والخدمة الفائقة والحوراء
الرايقة اذ ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزيه
الجزاء الاوفى من مشاهدة الجمال ومعاينة الكمال فيجب على كل مؤمن ان يتفكر
فيما اوتيه الله فى دين الله من الاعانة والنصرة والكفاية والعصمة من الاولى
الى الانتهاء لينال الاجور الاعلى فى الدنيا والعقبى ومن اتبعك من المؤمنين
اى ويكفى ايضا لمن آمن بك وبما انزل اليك من الكتاب المجيد الذى لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد بالكفاية التى بها
يكفيك كفاية حاصلة مرادك ومرادهم ايضا مثلك فهذا المعنى على كون الواو
عاطفة على الضمير المجرور واما على كون الواو عاطفة على لفظة الجلال
المرفوع فالمعنى يكفيك الله ونصرته ونصرة الذين آمنوا بك وتبعك من
الفرائض والواجبات والسنن والمستحبات والمحاربة فى السفر والمعاونة
فى الحضر بحيث يفدون فيك اموالهم وانفسهم ويقاتلون بهما فى سبيل الله
ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله بحيث يقاتل الوالد مع الولد وبالعكس

اذا آمن احدهما دون الآخر كابى بكر الصديق رض بابنه عبد الرحمن قبل
اسلام ابنه وكام حبيبة بنت ابى سفيان من زوجات المطهرة قبل ايمان
ابيه وللاخ بالاخ وللاخوة مع الاخوة وللاعمام بالاعمام اذا اشترفا حدهما
بالاسلام فكذا سائر المعاونة فى مصالح الدارين والمكالمة فى منافع
الكونين فجاهدوا فى الله ونالوا اجزاء الله بوعده وخافوا غضب الله
بوعيده ويحتمل ان يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه كما فى قول الشاعر
فحسبك والضحاك سيف مهند اذا كانت الهيجاء وانشجر القنا
اى يكفيك الله بالنصرة والاعانة مع المؤمنين المخلصين وهم المنصورون
والمؤيدون بسبب الايمان والاتباع باهل الاذعان والاخلاص بالايقان
والانقياد كنصرتك على اعدائك واعانتك على اصدقائك فى حالك
ومآلك والغلبة عليهم والتجمع معهم فى الاولى والاخرى والدنيا والعقبى
وفى هذه الآية العزيزة تبشير للمؤمنين المتقين بانهم لا يزالون عن النصرة
والمعاونة والنصرة والعاقبة فى الدارين والمنافع الدنيوية والاخروية
فى الكونين اولئك هم المؤمنون النائلون مقاصدهم حقا لهم مغفرة من
الرب الرحيم ورزق ودرجات من الغفور الكريم فيلزم على كل مؤمن
ان يخاف من الله العلى العظيم بان رحمته واسعة وعذابه اليم شديد
وجنته عالية وجهنمه عظيم حديد فيها ملئكة غلاظ لا يرحمون
ذرة ولا يسمعون لمرة عباداتهم تعذيبهم باشد العذاب وتعريفهم باحد
العقاب لا يتركون ساعة فيفعلون ما يؤمرون ويخافون تخفيف عذابهم
فلا يعصون الله فيما يشتغلون بمجاهدتهم عبادتهم وتقربهم الى ربهم كسائر
العبادين بازدياد لا نفع وباضرار لا قطع فلكل الملائكة من العباد
المعينة فللزبانية ان عبادتهم المعينة من الله الكريم على العصاة والكفرة
اللئيم تعيين شدة العذاب وحل العقاب لاهل الشقاوة من العصاة

اهل الجنان

الفجرة فيجاهدون فى التعذيب والتأليم رجاء نيل الاجر والسعادة
بوجودهم وجسدهم من النار وصفاؤهم وطعامهم النار وراحتهم فيها كالخدمة
واهلها من الحور العين والولدان واطفال المسلمين والمشركين كان تعيشهم
الجنة وراحتهم فيها ولباسهم واطعمتهم منها فان اهل الجنة من الحور العين والولدان
عباداتهم وعزتهم الخدمة المتعينة للمخدومين فالكل يرجو الرضاء من الرب
الرحيم فى مقابلة الخدمة والاكرام والاحترام لصاحبهم فكذا الزبانية
هم الملائكة المعينون لاهل النار بالتعذيب والتضريب فراحتهم فيها باجراء
الامر وسعادتهم فيها بالائتمار والطيران بشرر النيران كطيران اهل
الجنان من الدرجات الى الدرجات كما هو المتجلى فى كل الاشياء بما يناسبه كدود
الاثمار فراحته فيها فاذا اخرج مات وكالسمكة فى الماء فانها اذا اخرجت لما
اعلى اعالى المقام وفيتم وخوطبها بالاقامة فيها لاختارت الماء ولا تلتفت
اليها فكذا احوال الزبانية وان لم يجوز العقول لقصرها ولعدم علمها
الا سر الله المتعال فمثل هذه الاشياء لا تعرف ولا تتميز الا بميزان الشريعة
والعقول المتفكرة الثاقبة وهو ان الشئ اذا امر وائتمر فجوزى عند الائتمار
وعذب لدى الانتهار فابد فيما وجد واقيم فسعادة ذلك المؤتمر بما وفى
بعهد الله وامره فى ذلك المقام ونعمته وعزته فيه ونقمته وذلته
بالنقض ولم يف فيه كاهل الجنة واهل النار وحال خدامهم مع ان
الآثار واردة فى حقهما وصفاتهما وخدمتهما والبستهما واطعمتهما
والاثمار والانهار وامثالها فى جميع الحالات والمقالات اللهم يا هادى
المهديين ويا مضل المضلين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين وروى
عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يخرج الصائمون من قبورهم ويعرفون بريح صيامهم من افواههم وهى اطيب

عند الله من ريح المسك يتلقون بالموائد والاباريق مختمة افواهها بالمسك
فيقال لهم كلوا فقد جعتم حين شبع الناس واشربوا فقد عطشتم حين روى
الناس واستريحوا فقد اعييتم حين استراح الناس قال فياكلون ويشربون
ويستريحون والناس في الحساب في عناء وظماء رواه الامام المنذري
في كتاب الروضة وورد في الخبر اذا كان يوم القيمة يجي شهر رمضان
في احسن صورة من النور فينظر الى صورته وصورة من عداه فنوره يتشعشع
وتشوقر تيلالمع فيسجد بين يدى الله تعالى حمدا للسبحان وشكرا للرحمن فيقول الله
تعالى يا شهر رمضان ارفع راسك وسل حاجتك وخذ بيد من عرف حقك
وقدرك فيرفع راسه من السجدة وذهب الى العرصات فيشفع لمن عرف
قدره وعظم شانه وادى حقه واكرم بما يناسبه وصلى تراويحه على كمال
السنة بالخضوع في الركوع والخشوع في تسبيحات السجود فيتنورون في العرصات
كما تنور في شهره في الدنيا فياخذ رمضان بيد من اكرمه وعظمه من اطراف
العرصات وجوانبه ممن يشبهه في النورانية فلم يبق احد ممن يكرمه في الحيوة
الدنيا الا عرفه من نوره فيشفعهم من بين امثالهم في العرصات وساير الناس
من الذين لم يكرموا فيها وهم في العذاب والعقاب فيبكون وينادون يا شهر
رمضان كنا نصوم فيك وصلينا التراويح فاشفع لنا كما شفعت امثالنا
وخلصتهم عن العذاب والظلمات فيقول لهم انتم كاذبون في اقوالكم فلو كنتم
صادقين لا شبهكم الله لنا ولمن اكرمني بشعشعة الانوار الحاصلة
من الاكرام والاحترام وانتم في الظلمات المظلمة والصورة المسودة بالاحترام
ثم ايامي بالكذب والغيبة والبهتان والفسق والفجور والطغيان في الجوامع
والمساجد وترك الاطعام والانعام والاحسان وقسمتم اوقاتي وايامي على ساير
الايام ولم تبالوا لافطاركم من الحلال والحرام واهنتم صيامي وقيامي
وتركتم اكرامي واحساني ولم تذكروا بوصاياتي قال فيشفع لكل من عرف حقه
في اليوم الحساب وشفاعتي في الكرام

ثم يقف

بحث فضيلة شفاعة رمضان وشفاعته لمن اكرمه واحسن صحبته

ثم يقف بين يدى الله تعالى فيقول الله تعالى له ماذا تريد يا شهر رمضان
فيقول يا رب انت عالم الغيب والشهادة وما اريد ان تتوجهم بتاج الكرامة
والخلعة السعادة ليمتازوا بين الامثال فيتوج الله تعالى كلهم بتاج الكرامة
والخلعة السعادة فيؤذن لهم ان يشفعوا كل واحد منهم سبعين الفا من اقربائهم
واصدقائهم بالاكرام مع الاحترام مثله من اصحاب النار فيقف معهم بين
يدى الله تعالى كالاول فيقول الله تبارك تلطفا ماذا تريد يا شهر رمضان
ام تتوجه مع احبابك الى درجاتهم الموهوبة وماذا تريد فقال يا رب اريد
ان تزوج لكل احد منهم بالف من الحور العين ليانسوا وليستالفوا معهن
لانهم خلصوا من سجن الدنيا ومع كل واحد منهن سبعون الف وصيفة من
وصايف اهل الجنان فيقول الله تعالى قد فعلت لك ولم يذهب ثم يقول الله
تعالى يا شهر رمضان ماذا تريد فيقول شهر رمضان يا رب اريد ان تنزلهم
في جوار رسولك خاتم لما آمنوا انا داد تعشقهم يوما فيوما ويطلبون الزيادة
ساعة فساعة ولم ينالوا هذا المطلب الاعلى في الدنيا الفانية يقول الله
تعالى قد فعلت لك ولم يذهب فقال يا شهر رمضان ماذا تريد
بعد فيقول يا رب قد قضيت حاجتي واكرمتني بقبول شفاعتي فيهم
فاين ما وعدتهم في مقابلة صيامهم وقيامهم واكرامهم لي فيعطي الله
تعالى ويعطي لكل واحد منهم ماة الف مدينة من ياقوت حمراء وزبرجد
خضراء وفي كل مدينة الف الف قصر مفروشة بالخلعة العلى ومملوة
بالحور والولدان مصداق قوله العزيز في سورة الزمر انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب فيركبون البراق وامامهم شهر رمضان فصار فوق
سيد الانبياء في العرصات مجاهدا لخلاص امتهم وشفاعة اصدقائهم
فسلم شهر رمضان على النبي صلوات الله وسلامه عليه فقال يا نبي الله
اني شفعت لهم وخلصتهم عن خوف النيران وعذابه فشفع لامتك المخلصين

ثم لاقينا وصاحبنا فى الفردوس الاعلى ثم افترقا وتوجهوا نحو مطالبهم الاعلى
ومقاصدهم الاسنى مسرورا بكرم الرب الاعلى مخاطبا لهم بقوله فلو لم
تفكرتم هذا اليوم ولا الاخطتم شفاعتى وكرامى فى مقابلة اكرامكم وغفلتم
عن تفكر معنى قوله تعالى يوم تجد منصوب بتود اى تتمنى كل نفس او منصوب
بفعل مقدر اى اذكر يوم تجد كل نفس ما عملت بالاخلاص للمامور به فى العبادات
والطاعات البدنية والخيرات والحسنات المالية كما هو حال السعداء
فى العبودية المرضية فى الدنيا الدنية المزرعة الموعودة فيها النعم
العلية كما فى قوله العزيز وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
من خير اى ثواب من غير نقص بيان لما بمعنى الذى اى تجد حاضرا محضرا
اى مكتوبا فى صحفهم يقرؤنه حين اوتى كتابهم على ما كان وعلى اى وجه
كان وقع بين يديه كمن وجد مفقوده وسره بسرور وحين كان محتاجا
اشد الاحتياج ويؤيده فى الاية الاخرى فى سورة النساء قوله تعالى
تبارك ولا يظلمون فتيلا اى لا ينقص من حقهم قدر فتيل وهو كناية
عن ادنى شيء وهو فى الاصل وسخ يفتل بين الاصبعين او شق النواة
فيقرء السعداء كتابهم ويظهرون قراءتهم باحسن قراءة ويتبهاون ولا
يقنعون بذلك وحده حتى يقول القارى منهم لاهل المحشر هاؤم اقرؤا
كتابيه انى ظننت انى ملاق حسابيه فهو فى عيشة راضية فى جنة
عالية فهذا حال السعداء واما الاشقياء فانهم اذا نظروا فى كتبهم
فيقفون ما وعد لهم من العذاب وانواع العقاب يأخذهم الخوف والخشية
فى دركات جهنم وحبسة اللسان والحياء والحجاب والرعشة فلا يظهرون
قراءتهم فلا يخرجون اصواتهم فقراءتهم كلا قراءة فلو لم يؤمروا بها لما
قروا ويؤيده قوله وما عملت من سوء عطف على ما عملت وما مبتدأ بمعنى
الذى عملته النفس من الذنوب الكثيرة والعيوب الوفيرة فالتنوين

للتكثير

ولا يجوز

للتكثير ليشعر له تود فالجملة خبر للمبتدأ منصوب المحل بتجد ان يكون ما
شرطية لان قوله تود لم يسمع فيه الجزم الذى هو المختار من القراءة
وقرئ ودت فعلى هذا يصح ان يكون ما شرطية ولكن الحمل على الخبر
ونحو لانه حكاية كائنة واوفق للقراءة المشهورة اى تحب النفس لو ان
بينها اى بين النفس وبينه اى وبين السوء الذى عمل امدا بعيدا
اى مسافة واسعة كما بين المشرق والمغرب ويحذركم الله نفسه منصوب
على نزع الخافض اى يخوفكم الله تحذيرا من ذاته العظيم وعذابه الاليم
وانما كرر التحذير من نفسه مقدما ومؤخرا فى الايتين لئلا يغفلوا
عنه ويكونون بين الخوف والرجاء غالبا الخوف فهم على رجائهم ما داموا
فى الحيوة واذا حضر علامة الموت كالشيب او المرض فينبغى ان يغلب
الرجاء على الخوف خوفا عن فرصة الاعداء فيحسن الظن بربه بانه وعد
المؤمنين ان يغفر ذنوبهم ويستر عيوبهم جميعا ولو امتلأت السموات
والارضون وغيرهما كما ورد فى الحديث الصحيح الذى رواه واثلة رضى
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث القدسى قال الله
تعالى انا عند ظن عبدى بى ان ظن خيرا فله وان ظن شرا فله رواه الامام
احمد بن حنبل فى مسنده وابن حبان فى صحيحه وورد بقوله العزيز
فى سورة الزمر قل يا عبادى الذين اسرفوا نزلت فيمن اسرف على نفسه
بالكفر وكثرة المعاصى من القتل وغيره ولو بلغت الى السماء على
الاطلاق وقيل نزلت فى شان الوحشى فى حال الكفر حين قتل عم
النبى عليه الصلوة والسلام بسيد الشهداء ثم ندم ومال الى الايمان
وخاف ان لا يغفر له وايسوا من رحمة الله فدعاهم الله تعالى الى الايمان
ووعدهم العفو والمغفرة ونهاهم عن القنوط وهو اشد الكفر وسوء
الظن اليه وهو من كبر الكبائر فان ايمان المؤمن اوسع من البحر السبعة

المحيطة بالدنيا تغسل صاحبه مادام فيه ما عدا الشرك وما دونه معفوة
فنبه على هذه العنايات الخفية للعباد المرضية بقوله على انفسهم لانه
عندهم من الجوارح الخادمة لهم لعوائدهم والساعية لعوائدهم اذ قنطوا
وطلبوه من ربهم الغفور والعفو الشكور فانه تعالى يعلم طالب الجنان
العاليات والدرجات الرافعات من النعم الجليلة الابدية والكرم العلية
السرمدية فانهم وان لم يعرفوا اقدارهم عند ربهم بحسب البشرية فيعلم
ربهم قدرهم بحسب الربوبية فلذا هيئ لهم ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر كما هيئوا لربهم القبائح الرديئة والمعاصي
الرديئة مع الائتلاف بالاعداء الرحمانية والانفاس الامارة والشيطان
عن انتساب الرب وكرمه المرجوة لا تقنطوا من رحمة الله بوفرة الذنوب الكثيرة
وكثرة العيوب الكثيرة الوفيرة فانها وان كانت كبيرة بالنسبة الى
اقداركم البشرية الضعيفة لكنها بالاضافة الى الرحمة الواسعة ذريها
تكفيها وقرتها تغسلها وتطيبها من عنايته للعباد المقبل اليه بشدة
حرص التبديل الى الحسنات المرضية فان العباد لم تتخلص عنها ما دام
في البشرية والمقارنة الى النفس الامارة والاعداء الشيطان مع العبودية
العجزة عين العيوب لا تصلح العرض الى حضور المعبود وهو الكبير
المتعال لكن امرهم بها وسيلة عفوه ورجاء النوال ان الله يغفر الذنوب
جميعا عفوا ولو بعد بعد صغايرها وكبايرها على الاطلاق انه هو الغفور
الرحيم لمن تاب واناب واطاع باطاعة الاحكام وهذا مقام التعليل
على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة والمغفرة وتقديم حرف النداء
يقتضي عموم المغفرة بالاضافة التشريفية الى ياء المتكلم ووصف الاسراف
على انفسهم والنهي عن القنوط عن الرحمة مطلقا فضلا عن المغفرة واطلاق
ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على انه المستغني والصمد والمنعم

على الاطلاق والتاكيد بالجميع فجميع هذه التاكيدات تدل باسرها
على انه تعالى فعال لما يريد غفار الذنوب ستار العيوب سوى الكفر والشرك
فاذا تاب عنهما اثابهما ويغفر ما دونهما قال ابن مسعود رض ان ارجى آية
في كتاب الله هذه الاية فلا اشعار هذه الصفات الجليلة والنعوت الجميلة
امرهم بالرجوع والانابة والاخلاص والعبادة وانيبوا الى ربكم اي ارجعوا
اليه بالتوبة النصوح عن المعاصي المذمومة الكريهة واقبلوا الى رضائه
اقبالا بحيث يوافق الظاهر بالباطن ويطابق ما في الضمير الى الفاظكم
واسلموا له اي اخلصوا في الاعمال اللايقة لرضائه الازلية ولوجهه الابدية
ما دامت الفرصة في ايديكم وهي غنيمة لكم قبل فوت الاوقات فلا فائدة
التوبة لديكم بعد مضي الاوان عند معاينة المقام المهيئ للعصاة
فالكل يسلمون ويخلصون فلا مخلص لهم فالمخلص في هذه الحيوة الدنيا
من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون ثم لا تنصرون
اي لا تمنعون عن العذاب ولا ترحمون عن الذنوب والعقاب ان لم تتوبوا
قبل نزوله قيل هذه توصية من الله الرؤف الرحيم ونصيحة لاتمام
التوبة وتحصيل المغفرة منه وروى عن انس بن مالك رض انه قال سمعت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول والذي نفسي بيده لو اخطاتم
حتى تبلغ خطاياكم ما بين السماء والارض ثم استغفرتم لغفر لكم والذي
نفس محمد بيده ولو لم تخطئوا لجاء الله تعالى بقوم يخطئون ثم يستغفرون الله
فيغفر لهم رواه ابو يعلى البغدادي واحمد بن حنبل وصاحب الفردوس
رحمهم وروى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر رواه ابن ماجه
والترمذي رح وقال حديث حسن قوله ما لم يغرغر من غرغر يغرغر
كزلزل يزلزل اي ما لم يبلغ روحه ولم يرتق مآله اذ في هذه الدرجة

وفي قوله تعالى [illegible] بلغت ذنوبك عنان السماء [illegible]

يرى المقام فينسد باب التوبة كما قال الله تبارك وتعالى في آخر الانعام يوم
يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل الآية وروي
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال دخلت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
على رجل من الانصار وهو في سكرات الموت فقال النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم تب الى الله قال فلم يعمل لسان الرجل فاومأ بعينيه نحو السماء
فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل يا رسول الله ما اضحكك
على التبسم قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا المريض لما لم يعمل
لسانه بالتوبة اومى بقلبه الى السماء وندم بقلبه قال الله تعالى قال
للملائكة عبدي عجز عن التوبة بلسانه فندم بقلبه فلا اضيع ندمه
اشهدكم يا ملائكتي اني قد غفرت له ذنوبه اكثر من زبد البحر رواه
الطبراني وروي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل
عن اعلم اهل الارض فدل على راهب اي عالم يعلم المسائل فاتاه فقال انا
قتلت تسعة وتسعين نفسا فهل لي من توبة فقال لا فقتله فكمل به
مائة ثم سأل عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال انا قتلت مائة
نفس فهل لي من توبة فقال نعم من يحول بينه وبين التوبة انطلق الى
ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع
الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى نصف الطريق اتاه الموت
فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة
العذاب انه لم يعمل قط خيرا وقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا بقلبه الى الله
تعالى فاتيهم ملك في صورة آدمي فصلح بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين
فالى ايتهما ادنى فهو له فقاسوا فوجدوا ادنى الى الارض التي اراد فقبضته
ملائكة الرحمة وفي رواية الى القرية الصالحة اقرب بشبر فجعل من اهلها

وفي رواية فاوحى الله تعالى الى هذه ان تباعدي والى هذه ان تقربي رواه
البخاري ومسلم وابن ماجه وروي عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اذا تاب العبد من ذنوبه انسى الله تعالى حفظته ذنوبه
وانسى ذلك جوارحه ومقامه من الارض وانسيه مقامه من السماء حتى
يلقى الله يوم القيمة وليس شيء من الخلق يشهد بذنبه رواه الامام
الاصبهاني رح وروي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ما من احد من امتي يريد من شهوات الدنيا فتركها
من مخافة الله تعالى امنه يوم القيمة من الفزع الاكبر وادخله الجنة
بفضله رواه الامام الطبراني في الاوسط وروي عن انس بن مالك
رضي الله عنه ترك سيئة واحدة افضل من مائة حجة نافلة ومن عتق مائة رقبة
ومن حضور مائة غزوة في سبيل الله تعالى رواه الطبراني رح كما قال الله
تبارك في سورة التحريم يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله فارجعوا اليه
عن الذنوب القبيحة والعيوب الكريهة المتأخرة من دخول الجنات
الموعودة والمدخلة الى النار الموقدة ان لم يشفع له ولم يغفر له فان
ذرة الذنوب مانعة لدخولها ومهيئة فيها ما دامت فان الجنة دار
طاهرة لا يدخلها الا الطاهر وفيها الطاهرون فلبقيت فيهم ذرة
من دنس الذنوب فهي آخر الامر يحرق في النار ان لم يغفر ولم يشفع مقدارها
ثم يدخل طاهرا هكذا امر الله في عباده ودأبه فالتوبة للعباد واجبة
في كل الازمان والساعات والدهور والايام والاعوام والشهور
لعدم الخلاص عن القصور والكسور التي تقتضي التوبة والرجوع عما هو
فيه من الاعمال المأمورة كالصلوة وغيرها فضلا عن الاعمال الدنيوية
المقتضية الحل والحرمة والفساد والكراهة في الكسب والتجارة
والاولاد والعيال والامانة في العادة والعبادة فلا يغفل عنها

ان التائب من الذنب كمن لا ذنب له بشرط ان يكون توبته توبة نصوحًا اى
بالغة فى النصح وهو صفة التائب فانه ينصح نفسه بالتوبة ووصفت به
على الاسناد المجازى مبالغة او فى النصاحة وهى الخياطة كانها تنصح
ما خرق الذنب وقرئ ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر
والشكور او النصاحة كالشباية والثبوت تقديره ذات نصوح او تنصح
نصوحًا او توبوا نصوحًا لانفسكم وسئل على بن ابى طالب رضى عن التوبة
النصوح فقال يجمعها ستة اشياء الندامة على الذنوب الماضية واعادة
الفرائض ورد المظالم واستحلال الخصوم والعزم ان لا يعود وتربية
النفس فى طاعة الله كما رباها فى المعصية فالحاصل ان التوبة عبارة
عن الرجوع عما فعله الى جلب رضاء الله تعالى واستعداده لما هى له من النعم
الابدية فى الجنة العلية فهذا لا يحصل الا بالبكاء على الاعمار الماضية
فى الافعال المكروهة الباعثة بدخول الدار المهيئة لعذاب الاعداء
وبعده عن الدار العالية للاصدقاء وبالخوف من مقام ربه وهجران
اخوان الاصدقاء ومجاورة سوء القرين من الشياطين وان يعزم ان لا يعود
بعدها كما لا يعود اللبن فى الضرع وان يلازم صحبة احباء الله وعباد الله
الى ان يموت فهذا علامة قبولها وتكفير السيئات بل تبديلها الى الحسنات
كما قال الله تعالى فى آخر سورة الفرقان الا من تاب وآمن وعمل صالحًا
فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورًا رحيمًا فلذا بشر
عباده بتقريب وقت كفارة ذنوبهم بقوله عسى ربكم ان يكفر عنكم
سيئاتكم اطماعًا من الله تعالى لعباده وتعليمًا لهم ان يكونوا بين الخوف
والرجاء من غير ترجيح اى توبوا الى الله على طمع ان يكفر الذنوب الكثيرة
والعيوب الوفيرة بدوام توبة النصوحة ويدخلكم جنات تجرى من تحتها
الانهار هذا معاملة الرب على المربوب جريًا على عادة الملوك واشعار

مطلب معنى التوبة النصوح بستة شروط

بانه تفضل

بانه تفضل والتوبة غير موجب وان كانت سببا لتملك المسبب بمشيئة الله
وارادته يوم لا يخزى الله النبى فيما اراد لكم من الشفاعة العظمى والامانة
الكبرى ظرف ليدخلكم وفيه تعريض لاهل الكفر والفسوق وقوله
والذين آمنوا معه مبتدا خبره جملة قوله نورهم يسعى اى يضئ اذا ركبوا
على الصراط او عطف على النبى احادًا وتعريضًا وما بعده استيناف
جواب عن حالهم وشانهم بين ايديهم اى امامهم وبايمانهم اى عن ايمانهم
وعن شمائلهم يقولون على الصراط حين راوا ان نور المنافقين قد طفى
خاف المؤمنون على نورهم على عادة البشرية وان كانوا معتقدين
حال ايمانهم ربنا اتمم لنا اى احفظ لنا نورنا عن الطفو واغفر لنا
ما مضى من الذنوب انك على كل شئ قدير على اتمام النور ومغفرة الذنوب
وغيرهما من الاعانة والعناية على ما احتاج العباد فى الدارين وقيل يتفاوت
انوارهم على حسب اعمالهم فيسئلون اتمامه تفضلا وهذا الدعاء ليس
للتقرب حقيقة لان القيمة ليست دار التقرب لكنهم اظهروا حالهم
كحال المتقربين خوفا عن زوال ما هو حاصل لهم من الرحمة فلذا يسمى تقربا
وروى عن الحرث بن سويد رضى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول الله افرح بتوبة عبده المؤمن
من رجل نزل فى ارض دوية مهلكة مع راحلته عليها طعامه وشرابه
فوضع راسه فنام فاستيقظ فقد ذهب راحلته فطلبها حتى اذا اشتد
عليه الحر والعطش ما شاء الله فقال ارجع الى المكان الذى كنت فيه
فانام حتى اموت فوضع راسه ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها
زاده وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته
وزاده رواه البخارى ومسلم رح قوله الدوية بفتح الدال المهملة وتشديد
الواو والياء جميعًا هى ارض الفلاة القفر والمفازة وروى عن ابن عمر

رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما من بلدة تاب فيها رجل الى الله تعالى الا رحم الله اهل تلك البلدة ودفع العذاب عن مقابر المسلمين من مشارق البلدة ومغاربها اربعين يوما رواه ابو يعلى البغدادي رح حكي ان موسى عليه السلام خرج يوما للاستسقاء مع ستة الف رجل من قومه وفيه سبعون نبيا غير العلماء والفقهاء فجعلوا يدعون والسماء لا تزداد الا صفاء والشمس الا حرا فقال موسى عليه السلام الهي لم لم تقبل دعاء عبادك فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام فقال ما حبست قطر سمائي بخلا ارزاقي ولكن عبرة وتاديبا للخلق وان فيكم عبدا يبارزني بالمعاصي منذ اربعين عاما فقل له حتى يخرج من بينكم وانا اجيب دعائكم فنادى موسى عليه السلام بقوله اخرج ايها العاصي من بيننا فلم يخرج احد فقال موسى دلني عليه حتى اخرجه فقال الله عز وجل انا ستار العيوب وغفار الذنوب لا يليق بكرمي ان افضحه فنادى موسى عليه السلام ثانيا وثالثا فلم يخرج احد فعلم العاصي انه مطلوب وجعل راسه في جيبه وقال الهي انا مقر بخطيئتي سترت ذنوبي في الاعوام فما فضحتني بين الانام فتبت اليك من جميع ذنوبي فاطلع الله على سره فوجده صادقا فارسل الله عليهم الغيث رحمته واسقيهم بفضله وقال موسى عليه السلام الهي اسقيتنا وما رأينا احدا يخرج من بيننا فاوحى الله تعالى اليه ان العبد الذي منع المطر من ذنوبه قد تاب الي فاسقيتكم بتوبته وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان اول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت ابواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت ابواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي مناد يا باغي الخير اقبل ويا باغي الشر اقصر ولله عتقاء من النار وذلك يكون كل ليلة من رمضان كذا في المصابيح قوله صفدت اي شدت وربطت

قوله والسماء لا تزداد الا صفاء الخ عبارة عن عدم السحاب المطر منه

بالسلاسل

بالسلاسل وسلسلت الشياطين كما في رواية اخرى والاغلال لتطرح في لجج البحار وفي رواية اخرى ايضا لئلا توسوس على الصائمين والقائمين لتلقي المعاصي ليحرموا مما اعد الله لهم في الصيام والقيام وتغليق الابواب وتفتيحها لاكرام الصائمين واحترام القائمين في مقابلة اكرام الهدايتين والرعاية بهما قوله ومردة جمع مارد وهو الشرير الخارج عن الاطاعة ويقال ان المقيدة بالسلاسل هي المتمردون في الشرور من جنسهم ولغيرهم قال ابو الفضل القاضي عياض رحمه المراد من فتح ابواب الجنة حصول اسبابه من التوفيق الى كثرة الطاعة فيكون مجازا اولينا كما ان الاول حقيقة وكذا المراد من تغليق الابواب انتفاؤها من الذنوب الكثيرة والعيوب الوفيرة من التجوز ويجوز ان يراد الحقيقة ايضا حتى ان من مات في شهر رمضان من المؤمنين يكون من علامة اهل الجنة فيأتيه من روحها فوق ما يأتي غيره او هو كناية عن تواتر نزول الرحمة والمغفرة لان الباب اذا فتحت يخرج ما في البيت متواليا فان قلت فالحكمة ان بعض الانسان يعصي فوق ما غيره فيقع في العصيان زيادة فيها على سائر الايام اجيب بان الشياطين انما كانت مغلولة عن الصائمين المراعين شروط الصيام والقيام والكافين عن الشر فيها فاما الشر لم يقع منهم لان من ينصر دين الله فالله ينصره بانواع توفيقه وايصال مرامه بتيسير عسرته كما قال الله تعالى في كتابه العزيز في سورة محمد ان تنصروا الله بالاعانة على اجراء احكام الله واعلاء كلمات الله في دينه ورسوله وابطال الشرك والبدع وازالة الاوثان والاصنام والكفر والضلالة بين الانام ينصركم على اعدائكم وييسر لكم ما اعسركم ويفتح ما اغلق عليكم من المواد المشكلة والمعاضل المغلقة من حيث لا يحتسب واما كثرة العصيان مع تغليق الشياطين فان النفوس الخبيثة من الناس وكلام الشياطين نقائص تقام مقامها في الافادة والامداد من العصيان والوسوسة للانسان وكالة منها

واصالة منظر فيها لان النفس الامارة بالسوء تصاحبها وهو لغيره فظهرت
الفسوق والعصيان فوق سائر الازمان وهي سبيل النيران فبئس المصير
وروى عن ابن عباس رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صام
اول يوم من رمضان غفر له ما تقدم من ذنبه واستغفر له كل يوم سبعون
الف ملك من صلوة الغداة الى توارى الشمس رواه البيهقي رح قوله غفر له
ما تقدم من ذنبه قال الفقهاء رحمهم الله المراد منه غفران الصغيرة وقيل
ويجوز ان يخفف الكبائر اذا لم يكن صغيرة وروى عنه ايضا انه قال صلى الله
تعالى عليه وسلم من صام اليوم الخامس من شهر رمضان اعطاه الله ثواب المجاهد
رابطا ومن رابط يوما في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق
كل خندق كسبع سموات وسبع ارضين رواه الطبراني في المعجم الاوسط
وروى عن ابن عباس رض انه قال قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من صام اليوم
السادس من شهر رمضان اعطاه الله ثواب معتكف ومن اعتكف يوما
ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلث خنادق ابعد مما بين
الخافقين رواه الطبراني في الاوسط ورواه البيهقي بهذا اللفظ ابعد
مما بين افق المشرق والمغرب وروى عنه من صام اليوم الثالث عشر
من شهر رمضان اعطاه الله ثواب الغازي وثواب الغازي خير
من الدنيا وما فيها غدوة في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها او روحة
في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها رواه البخاري ومسلم رح قوله
غدوة بفتح الغين المعجمة وسكون الدال المهملة السير في اول
النهار الى الزوال قوله والروحة بفتح الراء المهملة والحاء المهملة هي
السير من الزوال الى آخر النهار وروى عن ابي هريرة رض انه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قلد سيفا في سبيل الله قلده
وشاحا في الجنة لا يقوم له الدنيا منذ خلقها الله الى يوم يفنيها رواه

من قلد سيفا في سبيل الله قلده الله يوم القيمة

ابو محمد

ابو محمد ابن حبان رح وابو منصور الديلمي رح قوله وشاحا بكسر الواو
وفتح الشين الممدودة يقال له الطرف او وعاء الحمائل ينسج من اديم
عريضا ويرصع بالجواهر وانواع الزينة وروى عن الحسن البصري
رح انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لله تعالى في كل
ليلة من شهر رمضان ستمائة الف عتيق من النار فاذا كان آخر ليلة
من رمضان اعتق الله بعدد من مضى فاذا كان يوم الفطر اعتق الله
بعدد الاول والاخر رواه الامام البيهقي رح وروى عن سلمان بن
عامر رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا افطر
احدكم فليفطر على تمر فانه بركة فان لم يجد تمرا فالماء فانه طهور
رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وقال
الترمذي حديث حسن صحيح وروى عن انس رضي الله انه قال
كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يفطر قبل ان يصلي على رطبات
فان لم تكن رطبات فتمرات فان لم تكن تمرات حسى حسوات من ماء رواه
ابو داود والترمذي وقال حديث حسن ورواه ابو يعلى الموصلي رح
انه قال كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يحب ان يفطر على ثلث تمرات
او على شيء لم تصبه النار واما تعجيل الافطار فروى عن سهل بن سعد
رض انه قال قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يزال الناس بخير ما عجلوا
الفطر رواه مالك والبخاري ومسلم والترمذي وروى عن ابن حبان
رح انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تزال امتي على سنتي
ما لم تنتظر بفطرها النجوم رواه ابن حبان في صحيحه وروى عن ابن خزيمة
وهو يروي عن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قال الله تعالى عز وجل ان احب عبادي الي اعجلهم فطرا رواه احمد بن
حنبل والترمذي وابن حبان في صحيحه وروى عن ابي يعلى بن مرة رض

انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث يحبها الله تعالى تعجيل
الافطار وتاخير السحور وضرب اليدين احديهما على الاخرى في الصلوة
رواه الامام الطبراني في الاوسط وروى عن ابي هريرة رض انه قال
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يزال الدين ظاهرا ما عجل
الناس الفطر لان اليهود والنصارى يؤخرون رواه ابو داود وابن ماجه
وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما وعند ابن ماجة لا يزال الناس بخير
وروى عن انس بن مالك رض انه قال ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يصلي صلوة المغرب حتى يفطر ولكن يفطر قبله ولو على شربة
من ماء رواه ابو يعلى وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحيهما واما ثواب
السحور فروى عن انس بن مالك رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم تسحروا فان السحور بركة رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي
وابن خزيمة قوله السحور بفتح السين وهو ما يؤكل وقت السحر لاجل الصيام
وروى عن عمرو بن عاص رض انه قال قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فصل ما بين صيامنا وبين صيام اهل الكتاب اكلة السحور رواه مسلم
وابو داود والترمذي والنسائي وابن خزيمة وروى عن سلمان الفارسي
رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم البركة في ثلاثة في الجماعة
والثريد والسحور رواه الطبراني في المعجم الكبير ورواته ثقات وفيهم
ابو عبد الله البعيري وهو لا يدرى من هو وروى عن ابن عمر رضيهما
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله وملئكته يصلون على
المتسحرين رواه الامام الطبراني في الاوسط وابن حبان في صحيحه
وروى عن ابن عباس رضيهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم استعينوا بطعام
السحر على صيام النهار والقيلولة على قيام الليل رواه ابن خزيمة في صحيحه
وروى عن عبد الله الحرث عن رجل من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

وهو يتسحر فقال انها بركة اعطاكم الله تعالى اياها فلا تدعوها ابدا اى
فلا تتركوها رواه النسائي باسناد حسن وروى عن عبد الله بن عمر
رضيهما انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تسحروا ولو بجرعة
من ماء رواه ابن حبان في صحيحه وحكى ان موسى صلوات الله على نبينا
وعليه ناجى ربه فقال الهي هل اكرمت احدا مثل ما اكرمتني اسمعتني كلامك
فقال الله تعالى يا موسى ان لي عبادا اخرجهم في آخر الزمان واكرمهم بصيام
شهر رمضان وانا اكون اقرب اليهم منك يا موسى فاني كلمتك بيني وبينك
سبعون الف حجاب فاذا صام امة محمد ارفع تلك الحجاب وقت افطارهم
كذا في زهرة الرياض رح وحكى ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام
اني اعطيت لامة محمد نورين كيلا يضرهم ظلمتان فقال موسى يا رب
وما الظلمتان قال الله تعالى ظلمة القبر وظلمة القيمة وقال موسى عليه
السلام فما النوران فقال الله تعالى نور شهر رمضان ونور القرآن كذا
في زهرة الرياض رح قال الفقيه ابو الليث رح روينا عن ابن عمر رضيهما
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاعمال عند الله سبع عملان
موجبان وعملان بامثالهما وعمل بعشر امثاله وعمل بسبعمائة وعمل
لا يعلم ثواب عامله الا الله عز وجل فاما الموجبان فمن لقي الله يعبده مخلصا
لا يشرك به شيئا وجبت له الجنة ومن لقي الله قد اشرك به وجبت له النار
واما العملان بامثالهما فمن عمل سيئة فلا يجزى الا بمثلها ومن اراد
ان يعمل حسنة فلم يعملها جزى بمثلها واما العمل الذي بعشر امثاله فهو من عمل
حسنة جزى عشرا واما العمل الذي بسبعمائة فهو من انفق ماله في سبيل الله
بكل درهم سبعمائة حسنة واما العمل الذي لا يعلم ثوابه الا الله فهو من
صام مخلصا فلا يعلم ثوابه الا الله تعالى كذا في تنبيه الغافلين وغيره
ويؤيده ما ورد في الحديث القدسي حاكيا عن الله تعالى حيث قال النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وانا اجزى به يوم القيمة كذا في حيوة القلوب قوله وانا اجزى به وانما اضافه الى ذاته القديم اظهارا لعباده المخلصين الزيادة في اكرامه وتوفير ثوابه بحيث لا تقدر عاد في الانعام ولا تحد حاد في الاحترام لان الكريم اذا اخبر انه يتولى بنفسه تعالى الجزاء الاوفى اقتضى عظم قدر الجزاء وسعة العطاء ولعل وجهه انه لم يعبد احد بالصيام الا الله تعالى عصر من الاعصار بخلاف سائر العبادات فان الكفرة من اصحاب الاصنام يتقربون بها بصورة الصلوة والصدقة والقربان اولان الصوم لا يرى حتى يراءى فيه بخلاف سائر العبادات فانها ترى في اعين الناس فاحتمل الرياء والسمعة الا ان كان مخلصا فيها فالاعمال الظاهرة يشكل ان يخلصها من الخطر الا بتوفيق العلي الاعلى اذ كسب الاعمال اسهل لحفظه وتسليمه الى صاحبها اصعب فكذا الايمان كسبه ايسر وتسليمه قبل التبديل والتحريف اعسر كما قيل كسب الامول ايسر وانما المشكل في الحفظ وصرف الرضا اولان الصوم يكسر وسائل العصيان وهي الشهوات النفسانية الحاصلة من اعتبار الجسمانية من الماكولات والملبوسات مع ارتكاب انواعها والتزام اصنافها غير مبال المحاسبة وعدم تمييز المجانسة عن المحاسنة مع تخلل الاباس وتزيين الالتباس فتلك الوسائل مكسورة بالصيام ومملوة بالقيام فانه يكسر سلم الشيطان وباي شيء اعظم يتقرب به الى الاحسان اولان الصوم لا يدفع يوم القيمة عند المخاصمة بدل الحقوق الى الخصماء كما دفع غيره جاء في الخبر اذا كان يوم القيمة يجيء العبد مع ثواب الصلوة والزكوة والحج والشهادة وثواب الصيام فيظن اهل الحشر حين انه نبي من الانبياء او ولي من الاولياء وله خصماء وذو الحقوق فيطلبون منه فيجيء صنف منهم يا ربنا انه ضربني وشتمني واخذ اموالي وهتك عرضي وقتلني او قتل

ولادى

وما اشبههما قال الله تعالى احكم الحاكمين واعدل العادلين وامر عباده بالعدالة في كتابه العزيز في سورة المائدة سماعون للكذب خبر لمبتدأ المحذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين من المنافقين الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا عطف على الذين قالوا او الضمير للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اي من اليهود قوم سماعون وقوالون للكذب لما يفترون على الله ورسوله بتحريف الكتاب وتبديل نعوت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فعلى هذا اللام في قوله للكذب اما مزيدة للتاكيد لتقوية العمل او لتضمين السماع معنى القول اي قائلون لما يفتريه الاحبار او اللام لام كي اي للتعليل والمفعول محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيها اي لان يقولوا سمعنا منه كذا وكذا وانما كرر للتاكيد اكالون للسحت اي الحرام كالرشى من سحته اذا استاصله وكانوا ياكلون الرشى فان جاوك اي اهل الكتاب اذ تخاصموا اليك فانت بالخيار ان شئت فاحكم بينهم او اعرض عنهم فانت مخير بينهما وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول الامام الشافعي رح والاصح وجوبه لانا التزمنا الدفع والذب عنهم ودفع الظلم وجب ان قدر القاضي يقدر على الحكم البتة كما كان واجبا عند ابي ح رح مطلقا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط اي بالعدل والاحسان على مقتضى البرهان والعدل الذي امر به السبحان واقسطوا واعدلوا هو اقرب للتقوى ان الله يحب المقسطين العادلين فيحفظهم عما كانوا ويعظمهم بالقعود على الكرسي المجوهر عند الامثال امينا من الفزع الاكبر يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله العلي الكبير والولي الكريم نعم المولى ونعم الرحيم وروى نافع مولى عبد الله عن ابن عمر رضي الله عنهما ان اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكروا له ان رجلا وامراة زنيا فقال

فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما تجدون فى التورية فى شأن الرجم
فقالوا نحممهما اى يسود وجوههما ويجلدان فقال عبد الله بن سلام رضى
كذبتم ان فيها آية الرجم فأتوا بالتورية فنشروها فوضع احدهم يده على
آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال عبد الله بن سلام رضى يا رسول الله
فيها آية الرجم فامر بهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالرجم فرجما قال ابن
عمر رضى الله عنهما فرأيت الرجل يحنو على المرأة يقيها الحجارة رواه امام الهدى
ابو الليث رح وروى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال المقسطون
عند الله تعالى على منابر من نور فياخذ وكل اصحاب الحقوق من ثواب الصلوة
والزكوة والحج وسائر العبادات من الخيرات والحسنات من الاعمال الصالحات
فلم يبق له من الثواب الا ثواب الصيام فاخذ المدعى يريد اخذ ثواب الصيام
فلم يرضه وقال تعالى الصوم لى فليس له ولا اذن لك ان تاخذ ثم يقول الله
تعالى للطالب ارفع راسك فانظر فيرفع رأسه الى السماء فيقول يا رب
ارى مدائن من ذهب وفضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ يقول
العبد يا رب لاى نبى هذا واى صديق هذا واى شهيد هذا فيقول الله
تعالى لمن اعطى ثمنها فيقول العبد يا رب ومن يملك ذلك فيقول الله انت
تملك فيقول العبد بماذا فيقول الله تعالى بعفوك عن اخيك يقول العبد
يا رب قد غفرت عنه فيقول الله تعالى خذ بيد اخيك فادخله الجنة
رواه الامام البغوى فى المعالم والحافظ الحاكم فى المستدرك رح وقد
ورد فى الخبر اذا اهل هلال رمضان صاح العرش والكرسى والملائكة
واهل السموات والارضين حتى الحيتان فى الابحار فيقولون طوبى لامة محمد
عند الله تعالى من الكرامات العظمى والسعادات الكبرى من الدولة العلية
الابدية والرحمة الجلية السرمدية والنعمة الدائمة والجنة القائمة
بصيامهم مع الصيانة وقيامهم مع الديانة والسهر مع المحافظة والسحر

مع المراجعة والمناوبة ولا استغفار مع المناوبة والندامة ويؤيد ما روى
عن نافع رئيس القراء مولى ابن عمر رضى الله عنهما انه قال كان عبد الله بن عمر رضى الله عنهم
يحيى الليلة ثم يقول يا نافع اسحرنا اى ادخلنا السحر من الصباح فاقول
لا فيعاود الصلوة فاذا قلت نعم فقعد وهو يستغفر الله ويدعو حتى يصبح
رواه البغوى رح وروى عن ابى هريرة رض ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال ينزل الله الى السماء الدنيا اى رحمته كل ليلة حين يبقى ثلث
الليل فيقول الله تعالى انا الملك من الذى يدعونى فاستجيب له من الذى
يسئلنى فاعطيه من الذى يستغفرنى فاغفر له رواه الامام البغوى فى المعالم
رح وحكى عن الحسن البصرى رح ان لقمان قال لابنه يا بنى لا تكونن
اعجز من الديك يصوت بالاسحار وانت نائم على فراشك رواه البغوى
فى المعالم رح واما فى ذم من لم يصمه من غير عذر فما روى عن ابى هريرة رضى
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من افطر يوما من رمضان
من غير عذر ولا مرض لم يقضه صوم الدهر كله وان صامه رواه الترمذى
وروى عن ابى امامة الباهلى رض انه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يقول بينا انا نائم اتانى رجلان فاخذا بضبعى واتيانى جبلا
وعرا فقالا لى اصعد فقلت انى لا اطيقه فقالا انا سنسهله لك فصعدت
فقلت انى لا اطيقه فقالا انا سنسهله لك فصعدت حتى اذا كنت
فى سواء الجبل اذا سمعت باصوات شديدة قلت ما هذه الاصوات قالوا
هذا عواء اهل النار ثم انطلقا بى فاذا مررت بقوم معلقين بعراقيبهم
مشققة اشداقهم تسيل من اشداقهم دم قال قلت من هؤلاء قال الذين
يفطرون قبل تحلة صومهم رواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحه
قوله قبل تحلة صومهم اى قبل حلول وقت الافطار وفى رواية من اكل
فى رمضان بشهرة عيانا متعمدا لو عمر يقتله لان صنعه دليل

قوله بضبعى اسم تصغير من بضع
منه

لاستحلال وهو كفر رواه البزار الفصل الحادي عشر
في ثواب صوم ست من شوال روى عن ابي ايوب الانصاري خالد بن زيد
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صام رمضان ثم
اتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر رواه الامام مسلم وابو داود والترمذي
والنسائي وابن ماجه والطبراني وزاد قال قلت بكل يوم عشرة
ايام قال نعم ورواته ثقات صحيح قال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه [illegible]
فصوم رمضان يكون كصيام ثلثماءة يوم وستة ايام كصيام شهرين
يوما كما قال الله تعالى في سورة الانعام من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
من الثواب في كل يوم يعني من جاء بالايمان فله بكل عمل عمله في الدنيا
من الخير فله عشر امثالها من الثواب فكل يوم يقوم مقام عشرة ايام
اقول فعلى هذا تبشير لمن عرف قدر عمره وساعاته وامضاها في
رضاء الكريم فله سعادة ابدية ودولة سرمدية على محاسبة
الادنى بالعشر في الواحد فكيف اوسطها الى سبعماة وكيف اعلاها
بغير حساب الحمد لله على التوفيق ونستغفر الله من كل تقصير اللهم
ثبت قلوبنا على الايمان ولا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا يا ذا الفضل
والاحسان وروى عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من صام رمضان واتبعه ستا من شوال خرج من ذنوبه
كيوم ولدته امه رواه الطبراني في الاوسط وروى عن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صام
رمضان واتبعه ستا من شوال حرم الله جسده على النار واعطاه
تعالى بكل يوم ثواب اربعين شهيدا من ثواب شهداء بدر وبنى له
بكل يوم مدينة في الجنة وروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صام ستة ايام

متواليات

متواليات من شوال تابعا لشهر رمضان كان افضل من عبادة الف سنة
الصيام فيها ولا يدرك احد ثوابه الا من عمل مثل عمله او زاد عليه وروى
عن علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من صام من شوال
ستة ايام كان كمن صام رجبا وشعبان ورمضان فان مات مات
شهيدا وكتب الله تعالى له بكل يوم يصومه من شوال عبادة الف سنة
الصيام فيها وروى عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من صام من شوال ستة ايام اعطاه الله تعالى
ثواب الامة كلها وبنى له بكل يوم صام من شوال مدينة في الجنة رفيق
حمزة سيد الشهداء ورفع الله عنه العطش والجوع يوم القيمة وروى
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من
صام من شوال ستة ايام بعد الفطر غفر الله له باول يوم صيامه
ذنوب اربعين سنة وزوجه الله تعالى اربعين زوجة من الحوراء
واعطاه الله تعالى كتابه بيمينه والبسه الله تعالى اربعين حلة ورفع له
اربعين درجة وباليوم الثاني اعطاه الله تعالى ثواب سبعين حجة وعمرة
وباليوم الثالث اعطاه الله تعالى ثواب مائة شهيد وزوجه مائة زوجة
من الحور العين وزار قبره كل يوم مائة ملك يكتبون الحسنات الى يوم
القيمة وباليوم الرابع قضى الله له سبعين الف حاجة من امر الدنيا
والاخرة ويستغفر له كل يوم سبعون الف ملك وباليوم الخامس استجاب الله
دعائه وغفر ذنوبه ورفع عنه عذاب القبر وبيض الله وجهه يوم
تبيض وجوه اوليائه وباليوم السادس كتب الله له ثواب صوم ستين
الف سنة فان مات بين ذلك مات شهيدا فاختلف العلماء في كيفية
الصيام فقال بعضهم ينبغي له ان يصوم متفرقا حتى لا تكون تشبها
بالنصارى حيث اتصلوا برمضان اياما اخر الى خمسين وحرقوا

احكام الانجيل وتغير واشريعة الله تعالى فقال الفقيه الجامع فلا بأس
بالتتابع لان يوم الفطر كفى فاصلا بينهما وقيل الافضل ان يكون تصيام
الستة متوالية عقيب يوم الفطر فان فرقها او اخرها الى آخر الشهر
او قريبها حصلت فضيلة الاتباع اذ لا تعين بين الايام في الحديث كذا
وفي يوم كذا فحيوة القلوب واما ثواب صوم المطلق فقد روى عن ابي هريرة
رضي انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو ان رجلا صام يوما
تطوعا ثم اعطى ملاء الارض ذهبا لم تستوف ثوابه دون يوم الحساب
اي قبله رواه ابو يعلى والطبراني وروى عن ابي سعيد الخدري رضي انه
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما من عبد يصوم يوما في سبيل الله
الا باعد الله بذلك اليوم وجهه من النار سبعين خريفا رواه البخاري ومسلم
والترمذي والنسائي قوله خريفا والمراد به السنة كلها من قبيل ذكر الجزء
وارادة الكل لانه اول السنة من الربيع وانما خص منها لانه زمان كمال الثمار
على الاشجار وحصاد الزرع وحصول سعة العيش وروى عن ابي الدرداء
رضي انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صام يوما في سبيل الله
جعل الله بينه وبين النار خندقا كما بين السماء والارض رواه الترمذي
والطبراني في الاوسط والصغير وروى عن معاذ بن جبل رضي انه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صام يوما في سبيل الله في غير
رمضان بعد الله تعالى من النار مائة عام بسير المضمر الجواد رواه ابو يعلى
البغدادي المالكي قوله المضمر خفة اللحم والجواد السابق بامثاله بحيث
لا يقبل المساواة من الخيل الاسبق وروى عن ابي امامة الباهلي رضي
انه قال قلت يا رسول الله مرني بعمل فقال صلى الله تعالى عليه وسلم عليك
بالصوم فانه لا عدل له قاله ثلاث مرات رواه النسائي وابن خزيمة في صحيحه
قوله لا عدل له اي لا مثل له وروى عن سلمة بن قيس رضي ان رسول الله

صلى الله

صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صام يوما ابتغاء وجه الله باعده الله من
جهنم كبعد غراب طار وهو فرخ حتى مات هرما رواه ابو يعلى والبيهقي
والطبراني وروى عن علي رضي الله انه قال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا اصبحت صائما فقل عند افطارك اللهم لك صمت وبك آمنت
وعليك توكلت وعلى رزقك افطرت يكتب لك اجر صائم من غير ان ينقص
من اجرهم شيء الفصل الثاني عشر في ثواب احياء ليلة القدر كما قال الله
تعالى في كتابه العزيز انا انزلناه في ليلة القدر تنويه بشان القرآن الكريم
واجلال لمحله باضمار المؤذن بغاية فخامته المغنية عن التصريح بدكانه
حاضر في جميع الاذهان وباسناد انزاله الى نون العظمة المنبئ عن كمال
العناية وتفخيم وقت انزاله بقوله تعالى وما اي اي شيء او الذي اعلمك
ما شانها ومقدار عظمتها عند الله وثوابها لمن احياها ادريك مبتدا وليلة
خبره فالجملة مفعول ثان لادرى ليلة القدر لما فيه من الدلالة على ان
علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدريها الا علام
الغيوب فلا تدرى كنهها ولا تشاهد حقيقتها ولا تسع في القلوب
درايتها الا من اقدره الله تعالى وعلمه به كما يشعر قوله تعالى ليلة القدر
خير من الف شهر فانه بيان اجمالي لشانها اثر تشويقه صلى الله تعالى
عليه وسلم الى درايتها وفي اظهار ليلة القدر في الموضعين من التاكيد
المعظم ما لا يخفى والمراد بانزاله فيها اما انزال كله الى السماء الدنيا كما روي
انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا
واملاءه جبريل عليه السلام على ايدي السفرة والكرام البررة الكاتبين
في بيت العزة في سماء الدنيا ثم كان ينزل على النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة واما ابتداء انزاله كما نقل عن
الشعبي وقيل المعنى انزلناه في شان ليلة القدر وفضيلتها كما في قوله

الآتية

عمر رض خشيت ان ينزل فی قرآن فلا ننسب ان یجعل الضمير حينئذ
للسورة التی هی جزء من القرآن لا للکل واختلفوا فی وقتها فاکثرهم
علی انها فی شهر رمضان فی العشرة الاواخر فی اوتارها واکثر
الاقوال انها فی السابعة والعشرین منها ولعل الستر فی اخفائها
تعریض من یریدها للثواب الکثیرة فلا بأس من تفصیل اقوال
المحدثین والفقهاء المجتهدین لیحصل التیقن ویجتهد الساعی
بالتفطن قال محمد بن علی بن ابی طالب الحنفیة رضی الله تعالی
عنهم لیلة القدر تکون فی سبع سنین مرة واحدة وقال عبد الله
بن مسعود رض ان لیلة القدر فی کل لیالی السنة کما روی عن
عاصم وهو عن زر رض قلت لأبی بن کعب رض یا ابا المنذر اخبرنا
عن لیلة القدر فقال قال ابن مسعود رض من یقم الحول یصبها
رواه البغوی ولا تکون له وقت معین ویؤیده ما روی عن السلف
الصالحین فالکل یراه فی وقت غیر ما یراه الاخر وما شاهده الفقیر
المص یوم التاسع والعشرین فنحن عند معلوماته حق الحمد
یلیق بذاته فلهذا ذهب ابو حنیفة رحمه الله تعالی رحمة واسعة
الی ان الرجل اذا قال لامرأته انت طالق فی لیلة القدر فانها
لا تطلق حتی تمضی وقت التکلم من السنة الواحدة وقال الامام
محمد بن الحسن انها تکون فی شهر رمضان ولکن تدری فی لیلة
منها وقعت وقال بعضهم فی اول لیلة رمضان وقال بعضهم
الحادی والعشرون من شهر رمضان وقال اکثر الصحابة علی
انها لیلة السابعة والعشرین من شهر رمضان کما روی عن
عائشة ام المؤمنین رض انها قالت کان رسول الله صلی الله تعالی
علیه وسلم یجاوز فی العشر الاواخر ویقول تحروا لیلة القدر

قوله الحنفية مرفوعة بانها صفة محمد وانما سمي بها لانها قبيلة امه تشريفا له منسوبه

في العشر الاواخر

فی العشر الاواخر من رمضان رواه الترمذی والبغوی رحمهما
وایضا روی عنها انه صلعم یجتهد فی العشر الاواخر ما لا یجتهد فی غیرها
وایضا روی عنها انها قالت قال النبی صلعم تحروا فی الوتر من العشر
الاواخر من رمضان روی عن ابی بکرة رض انه قال سمعت من النبی
صلعم یقول التمسوها فی العشر الاواخر من تسع یبقین وسبع یبقین
وخمس یبقین وثلاث یبقین او اخر لیلة رواه البغوی وقال الامام البغوی
محیی السنة رح انما ابهم الله تعالی هذه اللیلة المبارکة علی الامة الساعیة
الصالحة المجاهدة لیجتهد واکل اللیالی طمعا فی درکها وقوعا فی
امورها المنصوصة ولا تخیبها کما هو شأن اصحاب البطلة وارباب
العطلة کما اخفی وابهم ساعة الاجابة یوم الجمعة وابهم الصلوة الوسطی
فی الصلوات الخمس والاسم الاعظم فی اسمائه الحسنی ورضوان فی الطاعات
العلی لیجتهدوا فی جمیعها ولیجتنبوا عن سخطه واخفی قیام الساعات
لما ذکر من العلل ولینتبهوا عن الغفلة والکسل وروی عن عبد الله بن
مسعود رض انه قال ان هذه السورة ثلاثون کلمة والشهر ثلثون یوما
من اول السورة الی هی فلیلة القدر ذکرت ثلثة فاضرب التسعة الی الثلثة
فحصل منه سبعة وعشرون حرفا وهی کنایة عن لیلة القدر فهذا دلیل
علی ان لیلة القدر تکون لیلة السابع والعشرین ویؤیده ما قال ابو
اسحق الرازی رح ان حروف لیلة القدر تسعة وقد ذکر الله تعالی هذه
اللیلة فی هذه السورة ثلاث مرات وضرب التسعة الی الثلث یصار سبعة
وعشرون فصار هذه دلالة علی ان لیلة القدر تکون فی لیلة سبعة
وعشرین من رمضان وقال ابو یزید البسطامی رح رأیت القدر فی مدة
عمری مرتین فی لیلة السابعة والعشرین قال المؤلف الفقیر رضی الله
عنه وعفی عن قصوره وعمن دعی له بالدعاء ولحسن بتلاوة الاخلاص

مع الفاتحة ان القدر عبارة عن انكشاف السماء كالوادي بين السماء
والارض بحيث لا يتحمل البشر على النظر والاطلاع على ما فيه كالاشجار
يخررن سجدا والاوراق والاشياء ترتعشن ويتصوتن والديك والكلاب
وجميع الحيوانات يسكتن ويخرسن ولا يقدر احد على التكلم الا من وفقه الله
تعالى وطلب مطلوبه منه تعالى اللهم يسر لنا مرارا وكرارا وحكى
ان الكفار اغاروا بلدة من بلاد الاسلام فلم يجدوا فيها الا معلما مع الصبيان
والقوهم في بئر فاذا كان شهر رمضان يسمعون في تلك البئر صوت
ذلك المعلم مع الصبيان في الليلة السابعة والعشرين من شهر
رمضان بقراءة القرآن من اول الليلة الى طلوع الفجر فعرفوا انها ليلة
القدر منه ويؤيده ما روي عن النبي صلى الله تعالى عليه انه قال ان في
الجنة غرفا يقال لها عالية وفيها جارية يقال لها غالية فاذا كان
ليلة السابعة والعشرين من شهر رمضان تنزل الى صحن الجنة
مع جواريها وخدمها وحليها وحاجباها كالاهلة وعيناها
كالكواكب الدري لو تفلت في البحر تفلة لعذب ماؤه ولو نظرت الى
الخلائق لماتوا اسرع من طرفة عين وعلى راسها تاج مرصع بالوان
الجواهر فيقول الحور العين طوبى لطالبيك لمن انت فتقول انا
للمستيقظين في ليلة السابعة والعشرين من شهر رمضان كذا في حقائق
القلوب وروي ايضا ان رجلا جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال يا رسول الله اني شيخ كبير فمرني بليلة لعل الله يوفقني فيها
ليلة القدر قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا شيخ عليك بالسابعة
والعشرين من شهر رمضان كذا في حقائق القلوب للامام العلامة
المحشي على مختصر المنتهى الشهير بالسنوبي رح وروي عن عمر رض
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قام ليلة سبع وعشرين

من شهر رمضان

من شهر رمضان الى الصبح فهو احب الي من قيام ليالي شهر رمضان كلها
فقالت فاطمة يا ابت ما يصنع الضعفاء من الرجال والنساء الذين لا يقدرون
على القيام فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا فاطمة والذي بعثني بالحق
نبيا ما من رجل ولا امراة يضعف على القيام تلك الليلة ثم يضعون الوسائد
فيتكئون عليها او يقعدون ساعة من ساعات تلك الليلة ويدعون الله تعالى
الا كان ذلك احب الي من قيام شهر رمضان كلها وقد فاتتهم تلك الليلة ورد
والاقوال فيها كثيرة وهذه الاقاويل اقرب الى الصواب لانه موافق باشارة
كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وسبب نزولها
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوما جالسا بين اصحابه رضي الله تعالى
عنهم فذكر رجلا من بني اسرائيل يقال له يوشع بن نون خليفة موسى عليه
السلام وفي رواية شمعون لغزي مع الكفار وجاهدهم الف شهر
ولم يخرج السيف والسلاح وكان يصوم نهاره ويقوم ليله ومع ذلك
يضرب السيف في سبيل الله ولم يخف لبدء فرسه ويقهر اعداء الله
تعالى بما اعطاه الله تعالى من القوة والجسارة والمقاتلة والمغامرة فضاقت
قلوب الكفار وعجزوا عن المقاومة وسلكوا طريق الحيلة وبعثوا
جاسوسا الى امرأته وهو يحببها بالاموال العظيمة والدنانير الوفيرة
والدراهم الكثيرة وطشت من الذهب مملوة بها لتاخذ تلك المراة
المنافقة بعلها في النوم وتربط يديه وتجلسه في بيته وتخبرهم
ويهلكوا ويستريحوا منه وهي منافقة لا يدري بها زوجها فله عادة ان
ينوم بعد صلوة المغرب بمقدار ساعة بعد افطاره فلما جاء شمعون على
عادته من الغزا وافطر وصلى صلوة المغرب فنام فاخذت تلك المراة
حبلا من ليف قوي فربطت يديه فاحكمتهما فلما انتبه من نومه
فقال من فعله فقالت المراة انا التجربة قوتك هل يقدر زوجي

ان يكسره ويخلصه فلما خرق يديه مع اسمه تعالى فجعل الحبل قطعاً قطعاً
وقال اني حبيب الله لا يقاوم شيء فاخبرت الكفار بذلك الحال والمال
فبعثوا اليها سلسلة من حديد ففعلت المرأة مثل ما فعلت في الاول
بعد مجيئه على عادته في المساء فقطعت قطعاً وسئلها واجابت مثل الاول
ثم اخبرت الكفار بما قطعها فتحيروا في امره وتفكروا في حيله فجاء
ابليس على صورة آدمي فقال لهم يا ايها القوم ما حيلته الا ان تسئلوا
امرأته اليه باي شيء يضبطه ولا يقدر على قطعه فسألت المرأة المنافقة
عنه فقال ذوائبك وكانت لها ثمانية ذوائب اي ثمانية قطعة من
شعر رأسها فلما نام شمعون على عادته الليلة جاءت المرأة فقيدت
رجليه باربعة من ذوائبها وباربعة يديه من ذوائبها وهي كثيرة طويلة
تمر على الارض ثم اخبرت الكفار فجاؤا وذهبوا به الى بيت مذبحهم كان
اربعة مائة ذراع في اربعمائة ذراع فعمادها واحد فربطه على ذلك
العماد ثم قطعوا اذنيه وعينيه وشفتيه ولسانه ويديه وكلهم
اجتمعوا في تلك البيت فصبر ولم يجزع فاوحى الله تعالى اليه باي شيء
تريد اصنع عليهم وانتقم منهم فقال شمعون اريد ان تعطيني من القوة
واحرك عمود هذا البيت الذي هم فيه فهدم عليهم فاعطاه الله
اعضائه المقطوعة مع القوة لا يعادله شيء فحركه تحريكاً شديداً
فوقع السقف عليهم واهلكهم جميعاً وامرأته معهم فانجيه منهم ثم رد الله
تعالى جميع الاعضاء المقطوعة فعبد الله تعالى الف شهر قام ليلها
وصام نهارها وضرب السيف في سبيل الله وغلب عليهم بالقتل والاسر
فسمع اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واشتاقوا حاله اشتياقاً
وقالوا ليست لنا من القوة والجسامة مثل حاله فنفعله وندرك ثوابه
وعمره فانزل الله جبريل بهذه السورة العزيزة التي انزل عليه صلى الله

تعالى عليه

تعالى عليه وسلم في ليلة القدر وثوابها لمن احياها بانواع العبادات واصناف
الطاعات خير وزيادة في الثواب من عبادات الحسنة والمجاهدات
الخالصة لشمعون من الف شهر من صيام النهار وقيام الليالي في الاعمار
والمحاربة مع الكفار بشرف نبوتك وخيرية امتك فالليلة فيكم
افضل من عبادة السلف كلهم تنزل الملائكة والروح فيها اي في ليلة القدر
استيناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة قال بعض
العلماء الروح عظيم من الملائكة واشرف منهم واقرب الى رب
العالمين معنى يا وقيل هو ملك ما خلق الله عز وجل بعد العرش
خلقاً اعظم منه وروى عن ابن عباس رض انه قال اذا كان
يوم القيمة قام هو وحده صفاً وسائر الملائكة كلهم صفاً واحداً
بالنسبة الى الروح وروي عنه ايضا ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال الروح جند من جنود الله ليسوا ملائكة لهم رؤس وايد
وارجل يأكلون الطعام ثم قرأ الاية يوم يقوم الروح والملائكة
صفاً الخ وهذا قول مجاهد وابي صالح رحمهما وقالوا ما ينزل من السماء
ملك الا ومعه ملك منهم وهم اشراف الملائكة رواه البخاري رح
وقيل هم الحفظة على الملائكة وقيل هو جبريل عليه السلام قوله صفاً
اي مصفوفاً وقيل صفان والروح صف واحد ومتعدد والملائكة
صف وقيل صفوف وهو الاوفق لقوله صفاً صفاً وقيل يقوم الكل
صفاً واحداً وروي عن عبد الله بن مسعود رض انه قال قال رسول
صلى الله تعالى عليه وسلم الروح خلق من الملائكة اعظم من السموات
السبع ومن الارض السبع والجبال وهو في السماء الرابعة يسبح
كل يوم اثني عشر الف تسبيحة فيخلق الله بكل تسبيحة ملكاً يجيء يوم
يوم القيمة وحده صفاً مع الملائكة من تسبيحه صفاً وسائر الملائكة صفاً

اى تتنزل الملائكة والروح فى تلك الليلة من كل سماء الى الارض والسماء
الدنيا باذن ربهم متعلق بتنزل والحد وفى حال هو من الفاعل
المستتر فى الظرف المستقر اى ملتبسين باذن ربهم اى بامره من كل امر
اى لاجل كل انسان قيل لا يلقون فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا
عليه وقرئ بفتح الهمزة اى لكل امر من الخير والبركة والسعادة
والسلامة وقرئ بكسر الهمزة اى لكل امرء او امرأة وسلم
مسلم فى ليلة القدر فلذا قال تبارك وتعالى شانه سلام هى
اى ما هى الا سلاما اى لا يقدر الله تعالى فى هذه الليلة الا السلامة
والخير وفيها ايماء الى ان تقديم الخبر النكرة على المبتدأ المعرفة يفيد
حصر السلامة التى لها اصناف من المقدرات الالهية فى تلك الليلة
وغير ما ليست محصورة بها دون ان يكون فيها للعموم فيها او ما هى الا
سلام من قبيل رجل عدل مبالغة فى كثرة السلام لكثرته فيها على
آنفا حتى مطلع الفجر بفتح اللام اى وقت طلوعه وقرئ بالكسر على انه مصدر
كالمرجع والمصير اى اسم لما انعطف به فيما بين المشرق والمغرب ولفظ حتى متعلق
تتنزل اعلا ... فيما بين الله تعالى وحكمه اى لكتبهم فى محل تنزلهم او بالنفس
بان لا ينقطع فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقيل متعلق بسلام
بناء على ان المصدر وفصله بينه وبين معموله بالمبتدأ مغتفر
للجار وروى عن انس بن مالك رض انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم احياء هذه الليلة بالتلاوة والدعاء والتضرع والتسبيح
خير من احياء ليالى الف شهر ليس فيها ليلة القدر كما قال
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] ليلة القدر [illegible] احتسابا
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر [illegible] المطلوب فان قلت
ان ليلة القدر غير معلومة فاين [illegible] قلت لعل الحكمة

فى السنة التحريض على احياء جميع ليالى شهر رمضان كما ذهب اليه الامام الاعظم رح
حتى قال فى اجتهاده من علق الطلاق الى ليلة القدر ولم يقع الطلاق حتى
جميع ليالى رمضان فيقع يوم العيد لاحتمال وقوع الاخر مع الاختلاف
فيها فاذا تمت انقطع الاحتمال لانها مختلفة فى ليالى رمضان فاذا تمت انقطعت
ووقعت الطلاق لان العام لا يوجد الا فى ضمن الخاص وقال
بعض المجتهدين رح ان ليلة القدر اكثر منها جهة من الف شهر ليست
فيها ليلة القدر كما هو مقتضى المبانى عند اهل المعانى اذ الاول بمنزلة الابوين
فى السببية والثانى بمنزلة الولد فى المسببية بالنسبة اليهما كالتمر والحلو
مختلفة الثمرة فى الكبر والصغر واللذة من الحلاوة والحموضة والعفص لتفاوتها
بالحالات العارضة من الهياكل والصورة والعوارض والهيئة وقال
الآخرون ان الروح ملك عظيم الجثة لو التقمت السموات والارضين وما فيها
كانت له لقمة واحدة ولا يراه سائر الملائكة الا ليلة القدر تنزل ليهنئها
لخدمة المؤمنين والمؤمنات الذين يشتاقون اليها ويعرفون قدرها و
جلالتها وينالون بما وعدها الله فى جزائها وقال بعض المفسرين رح
ان المراد منه عيسى بن مريم روح الله ومخلوقه فهو ينزل مع الملائكة الا
ليطلع كيفية المتقين من الامة المرحومة وامته المسبوقة فكانوا خير الامم
لانهم افضل من اليهود والنصارى فكيف النسبة بينهم وبين امتى وهم كانوا
خير الامم فان امتنا اهل مجاهدة المجاهدين منهم فيها وعلم تحريفات
وتغيرات سنته من امته والصيانة والمجاهدة من الامة المحمدية فدعا
لهم بزيادة الحسنات ودعا على امته لن يذيقه العذاب والعقاب من الخسران
صلوات الله على نبينا وعليهم وقال الآخرون ان المراد به نزول الرحمة اذ انه
تعالى يبعث جبريل مع تلك الرحمة الكافية على جميع ما فى الارض ليلة القدر
يقسمها على عباده المؤمنين شرقا وغربا بعدا وقربا فزادت وتفضلت
فيقول جبريل يا رب قد فضلت الرحمة عن الاحياء فما تأمرني فقال الله

كما بين الانجيل ولم يتبع فكانهم
مع الزيادة فى الضيانة فضلا
عن التبديل والخيانة
ع

الله تعالى يا جبرئيل اقسم الباقي على الاموات منهم فضلاً وتفضلاً منهم
فقال جبرئيل يا رب قد فضلت عنهم فما ذا تأمرني فقال الله تعالى يا جبرئيل
خزائني مملوة برحمتي فاقسم الباقية على اطفال الكفرة في ديارهم فاقسم
جبرئيل عليه السلام على الذين يتشرفون بالاسلام ويموتون على الايمان و
ازل الآزال وابد الآباد بالعلم الالهي في تقدير الازل وقال البعض المراد
ارواح الاموات من الاقرباء والاولاد والآباء والاجداد والامهات
والجدات السابقة من ابي البشر آدم الى يومنا هذا صلوات الله تعالى
وعليهم ورحمة الله تعالى عليهم رحمة واسعة فانهم يقولون يا ربنا ائذن لنا
بالنزول الى منازلنا حتى نرى عيالنا واولادنا وانسابنا واشياعنا
واصهارنا واخواننا لنا حالهم وشانهم وكيفيتهم فنظامهم فاذن الله تعالى
لهم فينزلون الى منازلهم ومساجدهم وينظرون الى حالاتهم العجيبة
وشاناتهم الغريبة فلما وقفوا احوالهم ونظروا اولادهم مشتغلين بالحيل
الشيطانية وخدعة النفسانية مشتغلين بانواع المكايد واصناف
الموالد من الاعداء الظاهرية والخصماء الباطنية من الكفرة الفجرة و
الحسدة والنفس الامارة بالسوء والشيطان اللوامة فيتحسرون
على انفسهم بالندامة ويبكون اشد الجزع والعبرة فيقفون قدامهم
وينظرون الى بيوتهم ويرون الغير في بيوتهم يدعون التملك منها
وقد اكلوا اموالهم ونكحوا ازواجهم وضربوا اولادهم فيقولون ايها
الغافلون عن احوال آبائهم وشانات اجدادهم وحالات انفسهم
تفكروا في آبائكم الذين بنوا داركم وسكنوا فيها وتوالدوا وتناسلوا
وظنوا انهم تملكوا ملكا لم يحل عنهم فماتوا فجاءة وتركوها لكم بغتة
وينظرون اليكم والآن تروهم فتفكروا الموت والبلى وترك الاموال
والخلاء فان كل نفس ذائقة الموت البتة فهي شربة يشرب بها كل احد
فتشرب الشربة البتة فلو لم يشرب احد لم يشرب به محمد رسول الله واحمد

الصلوات ونهيئوا اللوازم العقبى وتداركوا احوالكم قبل فوت الاوقات
وقوانين فارحموا لانفسكم بالانصاف والمحاسبة وحاسبوها قبل المحاسبة
لانفسكم ولآبائكم وامهاتكم بارسال الثواب والقراءة وحسن المعاملة
فانكم ورثتم فينا باكل اموالنا ولبس لباسنا والذ المعيشة فلم لا ترحمونا
ولم تسترونا بين الاقران كما يسترون اولادهم فينا فارحمونا في القبور
كما رحمناكم في الدنيا والصدور خاصة في هذه الليلة وهي ليلة السرور
لنكون مسرورين في امثالنا كما جعلناكم مسرورا في الصغار والكبار يا بنا
بالاكرام والمعام الطعام فاذا انصفوا فقرؤا القرآن واعطوا الصدقات
ووهبوا ثوابه الى آبائهم وامهاتهم واقربائهم سرت الارواح مسرة
كثيرة ودعوا اليهم دعوة وفيرة فمن مالك دعاء الارواح مالك الاكسير
فاي شيء اعظم من مسرة الثواب لانه مقابلة الجنات العاليات والدرجات
الرافعات فيبدل الله مساكنهم ودرجاتهم وخلعتهم وحورائهم وانهارهم
واذا ايسوا منها بعدم ارسال الهدية وايصال البديعة فدعوا عليهم
فدعاء الموتى يصير الذرة جبالا والحبة قبة وسماء واما الدعاء عليهم
فيجعل النعماء عدما والقبة حبة لمن اراد عمارة الدين والدنيا والآخرة
فليدع الموتى وليقرأ لروحهم ومن طلب خرابة الدين والدارين فليترك ابويه
واقرباءه فيكون فقيرا وحقيرا وذليلا في الكونين فماذا الله تعالى منه ذلك
ثم يأتي الارواح الى قبورهم وينظرون الى لحومهم وشحومهم وجلودهم
قد تمزقت وبليت والى اعضائهم الموزونة المربوبة في الخلقة الفاخرة
والآلات الاطعمة قد تفرقت وابتربت وعيونهم قد سالت وخدودهم قد جابت
فيبكون بكاء شديدا ويتضرعون الى الله تضرعا مديدا فيهم يرجعون
كيف يتصور هذه الحالات العجيبة من التكلم والنظر والتعقل والفكر فانه بعد
تفني صحة الوجود ووجود الهيكل والعناصر كما في الحيوة والوجود
الاغراق استعرشانه قادر على كل شيء فانه يخلق للكل صورة كما في الحيوة الدنيا

فيرى الأرواح على هياكلها الأصلية من الهيئة المعلومة والشبيهة المنعوتة
في حال حيوتها المقبولة إذا تحلت بالإيمان والشهادة وعلى صورة المكروهة
إذا انسلخت على عكس الإسلام كالقردة والخنازير من أهل الشقاوة فمن سعادة
الأحباء أن يرى في الرؤيا الصالحة على الصورة الصالحة النورانية ومن شقاوة
الأعداء على الهيئة المنفورة الشيطانية فهذه الأسرار من الله العزيز العلام
أن يرى أمثال الإنسان علمها قدره بالتعليق الصرف لإرادات الجزئية
موافقة لتقدير الملك المنان للأنام فالعبد يكسبه والله يقدره فيرى حاله
في المنام وهي الكرامة العلية للمؤمنين والسعادة الجلية للمسلمين الذين لهم
البشرى في الحيوة الدنيا الفانية المعتبرة بالرؤيا الصالحة لإعلام شأن النعيم
الباقية فلنرجع إلى ما نحن فيه ثم للملائكة النازلين أربعة ألوية الأولى
لواء الحمد والثانية لواء الرحمة والثالثة لواء الكرامة والرابعة
لواء المغفرة فينصبون لواء الحمد بين السماء والأرض ليشهدوا أهلهما على
من يحمد الله المنان في نعمة الإيمان والإسلام بين الأنام وعلى ما يلزمهما من
الإحسان والإنعام من الصحة والعافية والراحة والسلامة وخاصة على ما
يشاهدون من الملائكة المنزلة والمنافع المعتبرة والأجور الموعودة من الله
المعتمدة فأعلمهم الله تعالى أحوال المؤمنين من العبادات والثناء والدولة
العلياء فتشهد الملائكة تحت لواء الحمد على العلماء الحامدين والفضلاء القانتين
والصلحاء الشاكرين فيقولون يا ربنا أنت علام الغيوب وستار العيوب إن فلان
بن فلان من عبادك الصالحين وفلانة بنت فلانة قد حمدك في نعمتك وشكرك
في دولتك الأبدية وسعادتك السرمدية ليلة القدر وأحياها إلى طلوع الفجر
فرأينا أحوالهم وسمعنا أصواتهم ونشهد بحالاتهم فتقبل الله شهاداتهم
وشفاعتهم ويغفر ذنوبهم الكثيرة وعيوبهم الوفيرة فيرفع درجاتهم بما
وعد لهم الله في كتابه الفرقان إنجازاً لوعده وإبرازاً لكرامته فإنه لا يخلف الميعاد
وينصبون لواء الرحمة فوق الكعبة ليشهدوا يوم القيمة على من كان يحجه

وتشفيعا

وتشفيعا النفسية النفيسة ولإعطائها الرحمة في مقابلة الخدمة من بطش اليد
والرجل وسمع الأذن وبصر العين وحفظ الفؤاد وشبع البطن وغيرها
من الخدمة الواقعة لحاجتهن فلا تحوجونا إلى الغير فيعرف قدرهم فأكرموهم
باستعمالهن في العبادات الصالحات والطاعات الباقيات ولم يستعملوهن
في القباحات المنكورات ولآبائهم وأمهاتهم وإخوانهم وأخواتهم وأعمامهم
وعماتهم وأخوالهم وخالاتهم وأقربائهم وأحبائهم وأصدقائهم ولمن لهم
حق التربية عليهم من العناية والإعانة والأدعية والأطعمة والألبسة وتحليق
الرؤوس وتنقية الوجود وختان القلفة من الأقارب والأجانب والقابلة فولادة
تأليم السرة إلى دفن الرقعة وحفظ المهد والرضاع فالملائكة المنزلة تشهد
عليه بأنهم يحفظون حقوقهم وأظهروا عقوقهم فيغفر لهم الله بشهاداتهم ويكرمهم بكرامته
وينصبون لواء الكرامة فوق الصخرة في البيت المقدس ليشهدوا على من
كان له الإكرام على الفقراء ذوي الاحترام والمساكين من أولي الكرامة والاحترام
ليلة القدر وما من مؤمن ومؤمنة يكرم ليلة القدر لتحصيل رضاء الرحمن وجلب
أدعية العلماء والصلحاء والفضلاء والفقراء فإذا كان يوم القيمة أعلم الله الملائكة
المنزلين على المؤمنين المشفقين فيشهدون لهم عند الله تعالى فيغفر لهم
بالرحمة الواسعة ويرحمهم بالمغفرة الساترة المأمولة من الله الكريم والنجيح
والمصير وينصبون لواء المغفرة على الروضة المطهرة في المدينة المنورة
لتشهد تلك الملائكة على من عمل صالحاً واقتدى بآثار النبي وسنن بسننه
العلية عليه أفضل الصلوات وأكمل التسليمات وشفق ورحم بما أمر الله به من
إعطاء اليتامى وإطعام المساكين وإعطاء العلماء وإنعام الطلباء وإكرام الفضلاء من
الهدايا المسنونة والإعانة المأمولة على الفقراء المتعففة فأعلمهم الله
بأنا شاهدوه يوم القيمة فيشهدون لهم عند الله وليشفعون لهم الكريم
فيغفر الله لهم ويؤتيهم من فضله ويتوب عليهم ويدخلهم الجنان مع الدرجات
ويعطيهم الولدان مع الحور الطيبات فأولئك لهم المطالب الأعلى والمقاصد

الأسنى في الجنان وتخلصهم عما يخافون من دركات النيران اللهم طول
اعمارنا واوصلنا الى انواع المقاصد ليلة القدر آمالنا وتبرلنا
بشفاعة الملائكة الذين هم اصحاب الالوية الاربعة وادخلنا الجنان بحول
الاولين وخلصنا عن النيران بشفاعة الاخرين بحرمة ليلة القدر وليلة
البدر في شهر رمضان وقد ورد في الخبر اذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة
والروح وسكان سدرة المنتهى وجبرئيل معهم راياتهم فيها ولا تدع
بيتا من البيوت ولا مؤمن ولا مؤمنة الا يدخلون عليهم ويسلمون من كان
جالسا منهم يسلمون عليهم الملائكة ومن كان ذاكرا قائما فيسلم عليهم جبرئيل عليه السلام
ومن كان مصليا فيسلم عليهم رب العزة وعلامة ذلك يهتز وجوده و
رق قلبه واقشعر جلوده ودمع عينه فهذا وقت الدعاء فيجاب دعوته
ولا يسلمون على تارك الصلوة ومانع الزكوة وقاطع الرحم ومدمن الخمر
وعاق الوالدين والمصادم اى الذى لا يتكلم لغرض الدنيا فوق ثلثة ايام
وللنصاب الخبيثين ولا يدخلون في بيت فيه كلب الا المعلم فانه من الجوارح
الاصلية للصيد والماشية ولا يدخلون في بيت فيه مسكر او الة لعب
ولهو كالطنبور والشطرنج او الكمانچة من اللغويات والغيبات فاذا طلع
الفجر ينادي جبرئيل الرحيل الرحيل فيجتمع الملائكة عنده فيقولون
يا جبرئيل ما فعل الله للامة المرحومة والجماعة المغفورة فيقول قد غفر لمحسنيهم
وجعلهم شفيعا لمسيئهم ثم يصعد جبرئيل مع الملائكة فيطوفون
ما بين السماء والارض قدر ساعة واحدة وهو مسيرة خمسمائة عام
ثم وثم حتى انتهوا الى السماء السابعة فيعود جبرئيل عليه السلام الى مقامه
في السدرة المنتهى ويدخل سائر الملائكة الى مقامهم فيها وتقول السدرة
لسكانها الى اين ذهبتم فيقولون الى وجه الارض كلها عند امة محمد فتقول
لهم ما صنع الرب عز وجل بهم فيقولون اخبرنا جبرئيل بان الله تعالى
قد غفر لهم ولمحسنيهم شفعا لمسيئهم فتهتز السدرة بالتسبيح والتكبير

والتكبير

والتكبير والشكر بما اعطاه الله تعالى للامة المرحومة والجماعة المغفورة
من منزلة الكرامة العلية فسمعتها الجنة المأوى وهي ظلة عليها
فتقول انها السدرة المنتهى لم اهتززت فتقول اخبرني سكاني
عن جبرئيل عليه السلام ان الله تعالى قد غفر لامة مرحومة بجميعها
محسنهم وشفعهم لمسيئهم فاهتزت الجنة المأوى بالتسبيح والتهليل
والشكر بما آتاه الله تعالى لهم فسمعتها جنة النعيم وهي ظلة عليها
فتقول يا جنة المأوى لم صحت فتقول اخبرني سدرة المنتهى
عن سكانها ان الله تعالى قد غفر لهم وشفع محسنهم لمسيئهم فسبح
جنة النعيم لجنة المأوى بالتقديس والشكر بما اعطاه الله للامة
المرحومة وكذا جنة عدن في الحالات وسمعت الكرسي كذلك فسمع
العرش الاعلى فقالت كذلك فاهتزت وصاحت فقال الله تبارك
وتعالى لم صحت واهتززت يا عرشي وهو اعلم بذلك فتقول يا رب اخبرني
الكرسي عن جنة عدن وهي عن جنة النعيم وهي عن جنة المأوى وهي
عن السدرة المنتهى وهي عن سكانها وهي عن جبرئيل صلوات الله على نبينا
وعليه السلام وهي عنك يا رب وانت ارحم الراحمين فقال الله عز شانه
وجل ثناؤه ولا اله غيره ومحمد رسوله وحبيبه وسيد الانبياء وسند
الاصفياء وبرهان الاتقياء وخاتم الانبياء صلوات الله وسلامه عليه
عليهم فقال الله عز اسمه واني قد غفرت لهم وجعلت محسنيهم شفيعا
لمسيئهم فصدق جبرئيل وصدقت السدرة وسكانها وصدقت
جنة المأوى وجنة النعيم وصدقت جنة عدن وصدق الكرسي وصدق
العرش قد غفرت لهم محسنهم ومسيئهم واعطيتهم ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وانا ارحم الراحمين لعبادي
اغفر لهم وآتيتهم جناتي ودرجاتي ونعيمي فيها وحوري وقصوري
والكرامي لهم فلو لم يذنبوا لجاء قوم آخر ليذنبوا واستحقوا بمغفرتي

وأكرمهم بأنواع الأنعام وأحبرهم بأصناف الاحترام فتلك الجنة
التي أعدت للمتقين والإعزاز والإكرام أعدت للمخلصين فلا نصيب
منها ولو ذرة للمشركين الكافرين المعاندين فعلمه في أزل الآزال
فيتعلق بهم أنهم تدنسوا بدنس الذنوب الكثيرة وتلطخوا بالآثام
الوفيرة فبحمه تطهروا بالمغفرة الموعودة فإنه قال تعالى في كتابه العزيز
بقوله العزيز إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ولا يخلف
الله الميعاد اللهم أكرمنا بهذه الكرامة العلية والسعادة الجلية و
احفظنا عن المحاسبة الشديدة وهذه الحالة العجيبة عدالة منك و
والقسط عنك متصفا بك لعبادك فإننا من ضعفاء مخلوقاتك فلا [illegible]
إلا العفو والعناية منك والتوفيق والهداية الموعودة والمغفرة المعهودة
عنك وأنت تعلم السر والأخفى والمقصد الأعلى والمطلب الأسنى
وقد [illegible] بعض العلماء من المجتهدين والصلحاء
من المتبحرين رحمهم الله في الأسرار الإلهية والأنوار السبحانية في
الملائكة الربانية ليلة القدر بالجمعية العظام والحمية الفخام
فيها وحالتهم بها دون غيرها إلحاحا لهم وإلزاما عليهم حيث قالوا في
خلق آدم صفي الله أبي البشر وأم جنس الإنسان مبدء الخير ومعدن
الشر عند قوله تعالى لهم إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها
من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك
قال إني أعلم ما لا تعلمون بحيث شاهدوا رأى العين في هذه الليلة
العظمى العبادات الكبرى متزينا بأنواع الخشوع والطاعات
المتنوعة بأصناف الخضوع داعيا إلى الله العلي الكريم ودعاء [illegible]
عن العذاب الأليم وباكيا على الآثام الماضية ومستوجبا عن الآلام
الباكية ومتقيا بآثر خطوات الشيطان وإغواء النفس الأمارة
بالسوء متوسلا بالتوبة والندامة مخلصا له الدين ومخلصا

عن عذاب يوم الدين

عن عذاب يوم الدين نيرونهم قائمين ساجدين وراكعين محيين
متبتلا مقام التهجد بالدموع ومتغنيا بالتسبيح والتهليل في الركوع
عارضا قصوده إلى الرب الرحيم متولا من الرب الرحيم متعوذا
من شر الشيطان الرجيم فلما شاهدوا في تلك الليلة هذه الحالة العجيبة
مع المجاهدة بالنفس الأمارة بالسوء والأهواء المسلطة من أنواع
الكدورات الدنيوية وأصناف الورودات الأخروية فإنه ضعفت الملائكة
وندموا على ما قالوا له سبحانه بقولهم سبحانه تعالى أتجعل فيها من يفسد
ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك فاستغفروا لهم واستغفروا عنه
وتشفعوا فيهم وجاهدوا في إعانتهم وقد قالوا صدق الله العظيم الكريم في قوله
إني أعلم ما لا تعلمون ثم زادوا محبة وشفقة واستغفرت الملائكة لهم
استغفارا معه واستعصام محبة كما كان معاملة السلاطين الكرام بهم
إذا رأى الأنام زيادة دورهم بما لم يتيسر للغير من الألبسة المرغوبة
والفرش المرفوعة والأطعمة المتلذذة والزرابي المبثوثة ثم دعوا الإ[illegible]
إلى الدور المزينة والأطعمة المتلذذة والأشربة المتلونة من جهة الضيف
والذم الحيف وأما الأسرار في السلامة على الأمة المرحومة إذا ناله [illegible]
في قلب النبي وقد ورد في صدد الرسول الأمي عليه من الصلوات أعلاها
ومن التسليمات والتحيات أسناها وأنماها بأنه بماذا يعامل الله النبي في أمته
المرحومة رحمته المعهودة وسنته المطبوعة على ما يرضاه من العفو الجميل و
الأجر الجزيل وأعلى أعقاب الكونين وأسنى أرباب الدارين فكأنه قال
عند مآل المحشر من أرباب يوم القيمة يا حبيبي سيد الأرباب ويا
سيد الأصحاب عليك بأفضل صلواتي التي صليت بها بدائي القديم و
بأكمل تسليماتي التي سلمت بها في الأبدي العديم مثله والمنزه عن الشبيه
كنوه لا تخف ولا تكن مغموما فإن عوني معك وتصرفي بمن معك
من الأمة المرحومة ولا تكن مهموما فيهم فإن خزائن رحمتي مملوة و

ونعيم جنتي موفورة وهي انما خلقت لارضاء عبادي من المتقين المخلصين
وانت يا حبيبي سيد الانبياء والمرسلين عندي وسند الاصفياء
عندهم وامتك خير الامم الماضية المرحومة لدي عند الاولين
والآخرين وآتيت هذه الليلة المباركة من عندنا الآن ولهم وارفع درجات
في الجنان العاليات لهم ولمن تبعك وآمن بك وسلام من الملائكة المقربين
سوى درجات الانبياء عليهم الصلوات التامات والتسليمات العامات
تسليم الملائكة عليهم فيها وهذه دولة لم يتيسر لفرد من الافراد وشخص
من الاشخاص الا لامتك وكذلك حالهم في الدرجات وفي نزول الملائكة
فانهم لم ينزلوا في دار الدنيا مع انواع التعظيم واصناف التكريم الا لا
وعلى هذه الامة المرحومة ممن تبعك بالوحي والرحمة والسلامة والبشارة
والزيارة لاجل كل الامور من الخير والبركة وهذه الاكرام اكرام الانبياء
وليس للامم حظ لهم الا لامتك بحرمتك وكما يلك التاريخ لتعريفه من فوائد
من الانبياء صلوات الله الاعلى والتسليمات الانمى على نبينا اولاً وبالذات
بالاصالة وعليهم ثانياً وبالعرض بالتبعية اجمعين والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث عشر

في صلوة يوم العيد وثواب الاضحية فيه وعذاب من لا يعرف قدره
ويمضيه باللعب واللهو والتغويات من الفطر في رمضان والغيبة بدل العبادات
والطاعات ولم يتأمل ان الصوم هل قبل ام لا فاعطي الجنان او رد و
ادخل في النيران كما قال الله تعالى في كتابه العزيز
في آخر سورة المائدة واذا وحيت الى الحواريين عطف على ما قبله من اخوات
الواقعة ظروفاً للنعمة التي امرها وبذكرها وهي لو كانت في الحقيقة
التعيين ما يعيد الجمل التي اضيف اليها تلك الظروف من التأييد
بروح القدس وتعليم الكتاب والحكمة وسائر الخوارق من العادات

المعدودة

المعدودة لكنها المغايرتها بها بعنوان ينبئ عن غاية الاحسان
امر بذكرها من تلك الحيثية وجعلت عاملة في تلك الظروف لكنها
المغايرة الاعتبارية في تحقيق ما اعتبر في مدلول كلمة اذ من تعدد
النسبة فانه ظرف موضوع لزمان نسبتين ماضيين واقعتين
فيه احديهما معلومة الوقوع فيه دون الاخرى للمخاطب فيراد افادة
وقوعها فيه ايضاً له فيضاف الى الجملة المفيدة للنسبة الاولى ويجعل ظرفاً
معلوماً للنسبة الثانية ثم قد يكون المغايرة بين النسبتين بالذات
كما في قولك اذكر احساني اليك اذا احسنت الي تريد تنبيه المخاطب على وقوع
احسانك اليه وقت وقوع احسانه اليك وهما نسبتان متغايرتان
بالذات وقد يكون بالاعتبار كما في قولك اذكر احساني اليك اذ منعتك
عن المعصية تريد تنبيهه على كون منعك منها احساناً اليه لا على احسان
آخر واقع ح ومن هذا القبيل عامة ما يقع في التنزيل من قوله تعالى
يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم الخ وقوله تعالى
تبارك في سورة المائدة ايضاً يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم الخ ومعنى ايحائه
سبحانه وتعالى اليهم في كتاب الانجيل على لسانه صلوات الله الكاملة
والتسليمات الشاملة على نبينا وعليه وعليهم وقيل الهمه اليهم كما في قوله
في سورة القصص واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه
فالقيه في اليم الخ وقوله ان في ان آمنوا بي وبرسولي مفسرة لما في الايحاء
معنى القول وقيل مصدرية وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة
للتنبيه على كيفية الايمان به كأنه قيل آمنوا بوحدانيتي في الربوبية
والالوهية وبرسالة رسولي ولا تزيلوه من حيزه حطاً ولا رفعاً
وقوله سبحانه قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام
كأنه قيل فماذا قالوا حين اوحي اليهم ذلك فقيل قالوا آمنا اي اذكر

وحدانيته تعالى وبرسالة رسوله كما يؤذن به قولهم واشهد بأننا
مسلمون اي مخلصون في ايماننا من اسلم وجهه لله اذا ادخل في سلامة الله
ذاته وفي رضاء الله صفته وما يرضيه باتصاف الاخلاق الحميدة
والاجتناب عن الذميمة وهذا القول منهم بمقتضى وحيه تعالى وامره
بذلك نعمة جليلة كسائر النعم الفائضة عليه عليه السلام وكذلك نعمة على والدته
عليه السلام ايضا وروى انه عليه السلام مهما علم انه سيقوم بذكرهما تلك
النعم العظام جعل يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد ويقول
لكل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اينما امسى بات و
اصبح قام اذ قال الحواريون كلام مستأنف مسوق لبيان بعض ما
جرى بينه وبين قومه منقطع عما قبله كما ينبئ عن الاظهار في موضع
الاضمار واذ منصوب بمضمر خوطب به عليه السلام بطريق التلوين و
الالتفات لكن لا لان الخطاب السابق لعيسى عليه السلام فانه ليس للخطاب
وانما هو حكاية عن الخطاب بل لان الخطاب لمن خوطب بقوله واتقوا
الله الاية فتأمل كانه قيل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم عقيب حكاية ما صدر
من الحواريين من المقالة المعدودة من نعم الله تعالى الفائضة على عيسى
صلوات الله على نبينا وعليه اذكر للناس وقت قولهم الخ وقيل هو ظرف
لقالوا فاريد به التنبيه على ان ادعاءهم الايمان والاخلاص لم يكن عن تحقيق
وايقان ولا يلائمه النظم الكريم يا عيسى هل يستطيع ربك ان ينزل
ربك فاختلف العلماء المفسرون والفضلاء المحققون بانهم كانوا
مؤمنين ام شاكين وهو كفر فقال بعضهم انهم كانوا شاكين في قدرته
وهو انكار لغوبية وقدرته تعالى المندرج تحت كلامه وهو على كل شيء قدير
الذي يفيد اضافة اداة السور المنكر على شيء منكرا الافراد كما يفيد المعرف
الاصناف فكانوا كافرين في ابداع قدرته و ايجابه بناء على ما ذكروا
فصدق عيسى عليه السلام كاذبين في دعوى الايمان والاخلاص على مقتضى

هل الاستفهام

هل للاستفهام اذا لم يكن للتقرير وقال الاخرون انهم
كانوا مؤمنين بناء على ان حمل المبادى وحملها على ما يكون السؤال
للتثبيت والاطمينان لا للشك وازاحته فعلى هذا يكون السؤال
بها عن الفعل دون القدرة والاقتدار عليها والتعبير عنه بلازمه
مجاز اولى كثير الوقوع في كلام الفصحاء خاصة وكلمات البلغاء العدنان
وقيل الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة دون ما يقتضيه
القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك على ان المزيد بمعنى المجرد كما ان
استجاب بمعنى اجاب وقرئ هل تستطيع ربك اي سؤال ربك ان ينزل
علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله من امثال هذه المزخرفة اذ هي
ثمرات الشك والريبة وهي كفر ثم ان الالسنة تتكلم بما يكثر في الفؤاد
مترجمة بما فيها فلو كثر الايمان لتتكلم بمتعلقه فعلم منه ان الشك و
الريبة كثرت في الصدور فلاجله قالوا هذه المزخرفة المتولدة
من الحصول ما في الصدور خاصة بعد اظهار انواع المعجزات و
الكرامات الخارقة عن العادات فلو تمكنت وما اثرت فيها لما صدرت عنها
مصدرت المقالة المتولدة عن التصديق بوقوعها وتنفي الريب والشك في القلب
والقالب كما يفيد هذا المضمون المنيف قوله الشريف ان كنتم مؤمنين
مصدقين بكمال قدرته العزيز بعد معاينة المعجزات الجلية الغالبة
ثمراته والالسنة المتواترة اذ السموات السبع والعرش العلى خلقت بين
الكاف والنون بقوله كن فيكون الاجرام الفلكية والعرش الاعظمية
بل ملاقات السماء الى النون اذا اراد الله وجود شيء وتمكنه بغير عمد ولعمري
يراها الرائي بلا اشتباه وكذا الاجرام الارضية وما فوقها وتحتها معلقة
فاين انزال المائدة الجزئية بالنسبة اليها كالعدم فمن تفكر في المذكورات التي
اشتملت على الكليات استحيى من الله العلي الكبير ان يشك واذا
اذا تعلقت القدرة على هذه الكليات العظيمة لما عجزت عن تعلق ما دونها

من الأدنى القليل والأدنى الجليل بالنسبة الى اولى النهى وذوى المنتهى بعد
التأمل المرمى من الادنى الى الاعلى كما وقع في الاثر تفكروا في آلاء الله
ولا تفكروا في ذات الله فان لكل ابتداء انتهاء الا الله الملك الاعلى
فانه لا اول له وهو اول الاول ولا آخر له وهو آخر الآخر فالعقول
قصيرة لا تنتهي الى ما لا نهاية له فالنعم من آلاء الله بالنسبة الى الابدى
الذى لا آخر له فكيف يتصور الارتقاء المشتمل على الانتهاء وهذا
لا يتصور الا في النعم المنتهية والآلاء المرتقية وان وقع وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها في بعض المادة المنتهاة نظرا الى قوة الابدية و
قدرة الازلية اذ المفعول حادث فله انتهاء بالنسبة الى حدوث المفعول
وان حصل بتعلق الفعل من الله العزيز القديم بذاته العظيم وصفاته
القديمة واقداره واعطائه الى انبيائه واوليائه المستغنية من [illegible]
الموجودات والمستعلى عن المصنوعات بالاسرار الالهية والانوار
الربانية **وهذه** قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وقراءة على بن ابى طالب [illegible]
وقراءة الصديقة الكبرى ام المؤمنين بنت الصديق الاكبر رضى الله
عنه وعن بنته وعن [illegible] وعن ابيه [illegible] واتباعه المشرفين و
اشياعه المقربين الى يوم الدين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين **وكذا** قراءة
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل وسعيد بن جبير
رضي الله عنهم **فالمائدة** الخوان المشتمل على الاطعمة اللذيذة والانفس لتنفيس
بخلاف الخوان فانه اعم منه سواء كان فيها ولا فيها عموم وخصوص مطلق
ونظيره قول البلغاء فانهم يقولون شجرة مطعمة وآنية [illegible]
قال ابو عبيدة والمائدة فاعلة بمعنى مفعولة
وآتيناه اى معطية كالمنية فاعل به كما عن له قال اتقوا الله استيناف
مبتغه سوال انشاء عما قبله كانه قيل فماذا قال لهم عيسى بن مريم
حين طلبوه ونحوه في [illegible] منهم واظهروا بما اضمروه فقيل لهم قال

اتقوا الله ان

اتقوا الله ان كنتم مؤمنين فان الايمان والتقوى كليهما مما يوجب الاجتناب عن [illegible]
الامثال المقترحة والتصحيح اعتقاده والاخلاص بما فيه من العبادات
الصالحة والاعمال الخالصة المنافية عن الامثال المطلوبة والاشياء المسؤلة
المشتملة على اظهار ما اضمر من المزخرفات وعلى تكليف ما اريد من
المذبذبات **وقيل** انما امرهم بالتقوى ليصير ذلك
ذريعة الى المقاصد العلية والمطالب الجلية في الدارين ووسيلة
الحصول للكرامة السنية ووصول المطالب الرفيعة لان اكرم الموجودات
عند الله اتقيهم واجرم المصنوعات اشقيهم من كان يحب لقاء الله يحب الله
لقاءهم ومن كان يكره لقاء الله فيكره الله لقاءه ومن يكرم ومن
اذى حقه فيكرم الله ويعينه في الدارين كما قال الله تعالى
في سورة الطلاق بقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم
مسلمون في سورة آل عمران وقوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه
الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون في سورة المائدة قالوا
نريد ان ناكل منها استيناف مما سبق اى نريد ان نعيش وناكل من المائدة
المنزلة من السماء فهذه الكلمات تمهيد عذر وبسط كلام لما دعاهم
الى السؤال اى فرادنا من السؤال اليها الا الشبهات في قدرة الله تعالى
وافتدائهم على التنزيل فانها [illegible] بانواع المعجزات واصناف الخوارق
من العادات تما مرادنا التشكر على نعم الله والراية في صحة النبوة العالية
المتضمنة بالايمان وثمراته الكاملة والتقوى المشتملة باكرام الله [illegible]
بين الاولين والآخرين من الانبياء العظام والاولياء الكرام ونريد منها
اكل التبرك والحاجة عند الاحتياج لتكون وسيلة الى العبادات الصالحات
والباقيات الصالحات خير عند رب العزة وخالق الكرامة ثوابا وخير
عقبا للتشكر عليها وتطمئن قلوبنا وتؤكد الطمانينة الذي تستقر في قلوبنا

من كمال قدرة الله الناشئ من عظمة جلالة الله وهيبته وان كنا مؤمنين
قبل ذلك فان انضمام علوم المشاهدة الى العلوم الاستدلالية مما يوجب
انضمام الطمأنينة في القلوب والسكينة عليها وليس قوة علم المشاهدة
بالمعاينة كقوة علم الاخبار من المغايبة اذ ليس الخبر كالمعاينة فعين
اليقين اقوى من حق علم اليقين وحق اليقين فنعلم علما يقينيا بحيث
لا يجول حوله اثر الشبهة اصلا وقرئ على بناء المجهول ان قد صدقتنا
ولفظ ان هي المخففة من ان وضمير الشان محذوف ومرجع كما بين
عما بعده من الكلام الآتية بمنزلة التفسير والبدل عنه اي فنعلم انه قد
تصدق في دعوى النبوة المرسل فينا وان الله يجيب دعوتنا وان
كنا عالمين بذلك قبله ونكون عليها من الشاهدين اي لنشهد عليه
عند الغائبين الذين لم يحضروا ولم يسمعوا باذنهم ولم يروا باعينهم من
بقية بني اسرائيل الذين وفقوا الايمان واحتجوا الارشاد وذلك لاجل
الايمن حضر وشهد مجلس السعادة وسمع وعاين الحق كالشمس في وسط النهار
فلذا صار الاصحاب كالنواة مختار الخلف اذ ليس الخبر كالمعاينة كما وقع هكذا
في الاثر ليزيد المؤمنون بشهادتنا ايمانا وطمأنينة ويقينية فاسلم
بها من لم يحضر ولم يقف احوال المعجزات خاصة الحالات الكائنة
في نزول المائدة وما حصل من الشفاء والبلاء من المسخ والقردة
نزول العذاب الموعود عند شاهد ومشهود فلم ينفعهم الندامة والا
بعد الوقوع او الشاهدين راي العين بالبصر والبصيرة دون الشهادة
باسماع الخبر والظرف متعلق بالشاهد ان جعل اللام للتعريف ولفظ
للبيان لما يشهد وان جعلت موصولة كما نقيل على اي شئ نشهد
فقيل عليها فان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول وحان منك
او متعلق بمحذوف يفسره قوله من الشاهدين قال عيسى بن مريم
لما ان لم يجد نصحا في ذلك وانهم لا يقلعون عن ابرام على اسئلة

واستدل آمها

واستدل امها واد الالزام بالنصوص الساطعة والحجة القاطعة
والخلف السلف من العلماء وتبعهم الخلف من الفضلاء في الحواريين
فقال الامام المقاتل وحسن جمعهما انهم كانوا قصارين في زمن عيسى
صلوات الله على نبينا وعليهم وهم يغسلون الثياب فقال لهم انما تحنا
تصنعون فقالوا نطهر الثياب فقال لهم الا ادلكم بغسالة هو انفع
لكم من هذا فقالوا نعم قال لهم تعالوا حتى نطهر انفسنا من الذنوب
الكثيرة والعيوب المانعة الى دخول الجنة فامنوا به وبايعوه وانما
سموا بذلك لتحويرهم الثياب وتبييضهم من نحو داذا بيض كثيرا لطيفا
وقال الامام مجاهد رح من افاضل التابعين والامام السدي المغربي
انهما قالا فانهم يصطادون السمكة قال عليه السلام الا ادلكم على انفع
الاصطياد من هذا فقالوا نعم قال فاصطادوا انفسكم وخلصوها
من دنس الابليس وحيلته فبايعوه وامنوا به وقال الاخر كانوا ملاحين
وقال الامام عطا الخراساني رح ان مريم بنت عمران رضي الله عنها
سلمت ابنه عيسى عليه السلام الى الصناعة المتفرقة وكان آخر ما سلمته الحواريين
وكانوا صباغين فدفعت مريم اليهم ابنه عيسى عليه السلام الى رئيسهم
ليتعلم منها على الصباغة فاجتمع عنده ثياب فاقتضى السفر الى الآن او
قال الاستاد الرئيس الى عيسى عليه السلام انك تعلمت هذه الحرفة والصناعة
وانا اريد السفر فلا ارجع الى عشرة ايام وهذه اثواب مختلفة الالوان
وقد اشرت على كل واحد منها بعلامة الوانها من الصباغة المطلوبة
فلا تخرجها من الدن حتى ارجع كيلا تخطأ فيها فاذا جئت اخرجته لاني
عرفته فخرج الاستاد على السفر ولم يصب عيسى عليه السلام وطبخ
الالوان المختلفة في دفعة واحدة مع انها تحتاج الى الدفعات عدد
الالوان فادخل جميع الثياب فيها وقال كوني باذن الله على ما اريد منك
من الالوان المختلفة المقصودة فجاء الرئيس الاستاد من سفره وراى

ان كلها في الحب الواحد فقال الرئيس الاستاد لعيسى عليه السلام ما فعلت
فقال اصبغت الاثواب المختلفة الالوان بصبغ واحد في حب واحد مع
انها تحتاج الى الدفعات في الالوان المختلفة فقال الاستاد افسدت
الثياب كلها لاقتضاء عدد الاثواب دفعات الصباغة على مقتضى عدد
المصبوغة ولا يحصل من لون واحد الا واحد فكلها على اصباغ والوان
واذا اختلطت في الحب الواحد فسدت كلها والمطلوب اختلاف الالوان
فقال الاستاد له اذا لم تصدقني في صنعتي وحرفتي فقم ترى بعينك
فقام عيسى عليه السلام مع استاده على رأس الحب فكشف غطاءه
فاخرج ثوبا وهو احمر على مطلوب صاحبه واخرج آخر وهو اصفر ايضا
واخرج آخر وهو اسود واخرج آخر وهو اخضر فكلها على مطالبهم و
اقتراحاتهم من الالوان المختلفة فتعجب الرئيس الاستاد الحواري و
ان هذا صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون
فقال الرئيس لمن حوله من الناس تعالوا فانظروا الى هذا من اعجب العجائب
واغرب الغرائب حصول الالوان المختلفة من لون واحد فاذا فعل احد
افسد الثياب فهل هذا الا نبي او رسول من الله العزيز الرحيم
الينا ومعجزة له اذ هو خارق العادة ولا يفعله الا نبيه لقدرته او
رسوله لاقتداره فامن هو ومن حوله من سائر الحواريين فبالغوا
وآمنوا به فعلى هذا التقدير من حور اذا صفا وصفوة فطابق الاسم
جملة لصفوة ايمانهم عن اختلاط النفاق والاجتناب عن الريب و
الشك والنفاق وقال ابن مبارك الحور عند الفصحاء اشد
البياض يقال رجل احور اذا كان وجهه ابيض نورانيا عند ظهور اثر العبادة
خاصة اثر صلوة التهجد كما قال الله عز وجل في سورة الزمر افمن شرح الله
صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقال الله عز في سورة البقرة
تعرفهم بسيماهم وهذا بالنسبة الى الدنيا واما في الآخرة كما قال سبحانه

في سورة آل عمران

في سورة آل عمران يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وكذا يقال
حورا اذا كان بياض عينيه اشد واكثر فان المؤمن اذا اخلص في ايمانه
وصدق المؤمن به واخلص في اعماله من التصديق والاقرار والاعتماد
بالاوامر والانتهاء بالانتهاء ترشح اثر الايمان من جبينه فاذا جاهد في الايام
والشهور والاعوام والدهور فتنكشف الغطاء عن الاعين والصدور
فيسمع ما لا يسمع احد ويرى ما لم يره فيظهر المضمرات من المغيبات
فنال ما تمناه وجال حول ما يرجاه فتلمع نور الايمان على وجهه كما تلمع
في قلبه كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري
يوقد من الشجرة وهذه النورانية لا تحصل بالاغتسال في كل ساعة الف الف مرة
في كل واحدة بالدلك الف الف كرة وهل هذا الا نور الايمان ولا يمكن الا
المؤمن بالصدق والاخلاص في الايمان فكان مصداقا لقوله عز وجل
المؤمنون حقا وعلى هذا فالحواريون من امة عيسى عليه السلام هم الاصفياء و
الاخلصاء الذين اقروا بالسنتهم وصدقوا بقلوبهم قال سألوا نزول المائدة
عنه عليه السلام من السماء اطمينانا وللاشهاد لمن لم يحضره من الغائبين
فكانوا سببا لايمان الخلف فخرج عيسى عليه السلام من عندهم وقام ولبس صوفا
وصلى ركعتين ومن عادته اذا خرج اتبعه خمسة آلاف وزادوا او اقل منها فمنهم اصحاب
ومنهم المريض ومنهم زمن وبعضهم اعمى ومفلوج وغيره من العلل المتفرقة
فكلهم يحتاجون الى دعوته المباركة ولبعضهم ينطقون ويستهزؤن كما هو حال الكفرة
الجحدة العندة كابي جهل الملعون زاده الله عذابه كما زاد الكفر لرسولنا محمد
عليه وعليه افضل الصلوات واكمل التحيات ولم يجد ما كلهم ونفقتهم فجاعوا
وسألوا المائدة وهي الخوان الذي فيها اطعمة كثيرة فامرهم بالصوم ثلثين يوما
فاذا تموا فقال لهم لا تسألوا خبا الا وفي لكم فسألوا المائدة فصلى ركعتين ووضع
على ثيابه وطأطأ رأسه خاشعا لله وغض بصره وتضرع وبكى حتى سالت
الدموع على جنبيه وصدره وهو يدعو ويتضرع ثم قال عيسى بن مريم عند ذلك

دعيا ربه قضاء بما طلبوا منه وتسكينا لما تشكوه او اطمأنوه بقوله
اللهم ربنا اي يا ربنا وانما نادى مرتين المرة الاولى بوصف الالوهية
الجامعة لجميع الكمالات الربانية القديمة والمرة الثانية بوصف الربوبية
المنبئة عن انواع التربية في الدهور والايام المتوالية والشهور
والاعوام المترادفة اظهارا لغاية التضرع والرجاء ونهاية ابتغاء الجزاء
واعطاء المرام للمستدعاء انزل علينا وانما قدم الظرف على المطلب الاعلى
والمقصد الاقصى اظهارا للمأمول على المسؤول وهو تسكين الشكوك عنهم
واتمام الاطمينان في قلوبهم مع كثرة الاقبال الى الامال في الحال والمآل
مائدة من السماء وهي الخوان الذي فيه انواع الاطعمة واصناف الاشربة
والخوان اعم من المائدة سواء كانت فيها الاطعمة اولا والمتعلق اما مذكور
وهو قوله انزل او محذوف ظرف فاستقر صفة للمائدة اي كائنة
نازلة منها تكون لنا عيدا في محل النصب على انه صفة المائدة واسم كان
ضميرا عائدا الى المائدة وخبر يكون اما عيدا او قوله لنا حالا منه او من ضمير
تكون عند من يجوز اعمالها في الحال واما لنا وعيدا حال من الضمير
في لنا لانه وقع خبرا فتحمل ضميرا او من ضمير تكون عند من يرى ذلك
اي يكون يوم نزولها عيدا لعظمه وانما اسند ذلك الى المائدة لان
شرف اليوم مستعار من شرفها وقيل العيد السرور العائد
فلذلك سمي يوم العيد عيدا لتقرر السرور فيه وقرئ تكن بالجزم
على جواب الامر كما في قوله عليه السلام فهب لي من لدنك وليا يرثني خلا (سورة مريم)
ان قراءة الجزم هناك متواترة وههنا من الشواذ لاولنا وآخرنا
بدل من قوله لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا الاولى
من اصحاب الابصار من ذوي الاعتبار وروي ان المائدة نزلت يوم الاحد
فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل عيدا للرؤساء منا والاتباع لهم و
قيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقيل لاولنا وآخرنا بمعنى الامة والطا

وآية منك

وآية منك عطف على قوله عيدا والجار متعلق بمحذوف وظرف مستقر
صفة آية اي كائنة منك دالة على قدرتك الكمال وجمال نبوة من نزل
وارزقنا اي بالمائدة ونزولها وتسكين قلوب قومه عن الريب والشكوك
والابا على نبوته وحقية الكتاب الذي انزلته اليهم برسالته والشكر على النعم
الظاهرة والباطنة انت مولينا وانت خير الرازقين فيه تذييل جار
مجرى الدليل اي انت خير من يرزق لان الجميع مرزوق برزقك لانك
خالق الارزاق وبه تستغني عن العالمين والكل مفتقر اليك انت معط بلا عوض
ومنعم بلا غرض وفي اقباله عليه السلام بتكرير النداء المخبر بكمال الفقر
والابتهال وجمال الاستدلال في الحال والمآل بالابلاغ من الامور المقتضية
الى قرين الاجابة والقبول دلالة واضحة على انهم كانوا مؤمنين وان سؤالهم
لحكمة الاطمينان كما وقع عن اجداد الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم اجمعين
ومعنى حكمة الاطمينان التخلص عن الاضطراب مع تقوية الايمان وحصول
التصديق فيه بكمال وجود الاذعان كمن شد حبله بالحبل المتين مع السلسلة القوية
الامين ليطمئن اشد المتانة بعد الثقة والشجاعة القلبية والغالبية كما ان
الحكمة من معارج الانبياء ليحصل لهم قوة الايمان ولا يشكلون بالخوف و
الاخافة من قبل الاعداء ومن وسوسة الشيطان الم تر انهم رسلوا افرادا
ووحدى الى الكفرة العندة والملوك الجبرة وحيدا فريدا ولا يخافون
من وعيد الاعداء ولا يميلون بزخارف الدنيا بالوعد ولا يرجعون عن الحق
لظهور غاية الحق بانواعها بالقلب والقالب ولا يخافون عن المقاتلة والمحاربة
لحصول كمال الشجاعة في احوال المعارج باصنافها بالبصر والبصيرة والموعود
بالاعانة والنصرة كالنمرود وفرعون وابي جهل اللعين زاد الله عذابهم فوق
ما زاد حيث قال رسولنا ونبينا محمد عليه اكمل الصلوات واجل التسليمات
وعليهم فرعوني اشد من فرعون موسى اذ قال فرعون موسى عليه السلام آمنت
انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل حين موته وقال فرعوني حين قطع

ابن مسعود رض رأس الخبيث فقطع يا ابن مسعود رأسي مع منكبي ليهب
محمد من رأسي فهذا مخصوصة من فرعون موسى اذ كان مؤمنا
وامتثل له بالنص وإن كان ايمانه ايمان يأس بعد معاينة عذابه وهو مردود
لا مقبول عند الائمة الثلثة من الامام الاعظم والشافعي والمالكي رحمهم
الا عند الامام احمد الحنبلي من ائمة اهل السنة رح فانه ذهب بايمان فرعون بالنص القاطع فلذا
ذهب صاحب الفصوص الى مذهب امام احمد الحنبلي رح فانهم يخطئون عند
المتكلمين فلنرجع الى بحثنا فانه لــــــــسنا بذلك وهذا استيناف
كما تقدم وسلف اني منزلها اي المائدة المطلوبة والخوان المسؤل
ورد الاجابة من الله العزيز الكريم بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير
مع كون الدعاء منه عليه السلام بصيغة الافعال لاظهار كمال اللطف
وجمال الاحسان كما في قوله العزيز قل من ينجيكم منها ومن كل كرب الى قوله
لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين مع ما فيه من مراعاة
ما وقع في عبارة السائلين وفي تصدير الجملة بكلمة تفيد التحقيق و
جعل خبرها تحقق للوعد وايذان بانه عز وجل منجز له لا محالة غير
صارف ينبئه ولا مانع يلويه واشعار بالاستمرار عليها اي اني منزلها
مرارا عليكم وكرارا لديكم وقرئ بالتخفيف من الانزال وقيل الانزال
والتنزيل بمعنى واحد فمن يكفر بعد اي بعد انزالها منكم متعلق
بمحذوف وظرف مستقر وقع حالا من فاعل يكفر فاني اعذبه
عذابا اسم مصدر التعذيب وقيل مصدر بحذف الزوائد وانتصابه
على المصدرية بالتقديرين المذكورين وجوز ان يكون مفعولا على
الاتساع وانها تعليلية فالجملة التحقيقية قائمة مقام التعليل اي
فلاني اعذبه بسبب كفره بعد معاينة مثل هذه المعجزات الباهرة
والكرامات العالية الدالة على تحقيق دعواه بالتعذيب الشديد لا اعذبه
احدا من العالمين في محل النصب على انه صفة لقوله عذابا والضمير للاي

اعذبه تعذيبا

اي اعذب به تعذيبا بذلك العذاب الشديد الموعود الحديد فردا من جميع افراد
العالمين وشخصا من اشخاص الظالمين من عالمي زمنهم ومن فوقهم
اشد من هذا قبل عالمهم او من العالمين جميعا ان حمل اللام على الجنس
كما حمل على العهد على المعنى الاول وروي انهم لما سمعوا هذا الوعيد
الصادق المعلوم مثاله من الزبر المنزلة خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا
فقالوا لا نريدها فلم تنزل وبه قال ــــــ الامام مجاهد والحسن رحمهما
والصحيح الذي قاله جماهير الامة من اهل السنة والجماعة ومشايخ
الملة الحنفية فاختلف العلماء واكثر الفقهاء في نزول وصفة المائدة
ومدتها مرارا وعدتها كرارا من الاصحاب العظام ومن التابعين الكرام
رضي الله عنهم ورحمهم فروي عن عمار بن ياسر رض عن النبي صلى الله تعالى عليه
انه قال ان المائدة نزلت مقيمة ما لم تخونوا وما لم تدخروا فما مضى يوم
حتى خانوا وادخروا الغد فمسخوا قردة وخنازير وروي عن ابن عباس رض
انه قال ان عيسى صلوات الله على نبينا وعليه امر لهم ان تصوموا ثلثين
يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطيكم الله فصاموا ولما فرغوا قالوا
يا عيسى انا لو عملنا عملا فقضينا في مقابله فنسئل المائدة فاقبلت الملائكة
بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات جمع حوت حتى
وضعوها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم فلما رجعوا الى
اهلهم والحديث فضحك منهم من لم يشهد وقالوا ويحكم ويحكم
انما سحر عيسى عليه السلام اعينكم فمن اراد الله به خيرا اثبته على بصيرته
ومن اراد كفرا ورضيه فرجع الى كفره فمسخوا خنازير وليس فيهم صبي
ولا امرأة فمكثوا بعد ذلك ثلثة ايام ثم ماتوا وروي عن عطاء بن رباح
عن سلمان الفارسي رض انه قال لما سأل الحواريون منه عليه السلام فلبس عيسى
عليه السلام الصوف وبكى بكاء شديدا وقال اللهم اجعلني من الشاكرين
اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا

وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين
غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم
وهي تهوي اليهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين
اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة واليهود ينظرون
الى شيء لم يروا مثله ولم يجدوا ريحا طيبا اطيب من ريحه فقال عيسى عليه السلام
ليقم احسنكم عملا فيكشف عنها ويذكر اسم الله عليها فقال شمعون
رئيس الحواريين يا رسول الله ويا روح الله انت اولى منا فقام عيسى عليه السلام
وتوضأ وصلى صلوة طويلة وبكى بكاء شديدا كثيرا ثم كشف عنها
الغطاء والمنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هي
سمكة مشوية ليس عليها فلوس ولا شوك لها تسيل من الدسم وعند رأسها
ملح وعند ذنبها خل وحولها من انواع البقول ما عدا الكراث واذا خمسة
ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع
جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله ويا رسول الله هذا
امن طعام الدنيا او من طعام الاخرة من الجنة فقال عيسى عليه ليس شيء مما ترون من طعام
الدنيا ولا من طعام الاخرة من الجنة ولكن شيء افتعله الله وابدعه
بالقوة العلية والقدرة الالهية فكلوا مما سألتم يمددكم ربكم ويزدكم
من فضله ولا تدخروها للغد واشكروا نعمة الله عليكم فكونوا من الشاكرين
ولا تكونوا من الكافرين المعاندين فقالوا يا روح الله فكن اول من يأكل منها
فقال معاذ الله ان نأكل منها فيأكل منها من سألها فخافوا ان يأكلوا منها
فدعى عيسى عليه السلام الفقراء والمساكين والمرضى والابرص والجذام
والمقعد والزمن والمبتلى بانواع العلل فتقربوا منها وقال لهم كلوا
بذكر اسم الله من رزق الله فأكلوا منها وهم الف وثلثماية رجل وامرأة
وقيل خمسة آلاف رجال من الفقراء والزمناء من اصحاب العلل
لهم منها شباع من الجوع وشفاء من انواع العلل فبرؤا منها فاذا السمكة باقية

على هيئتها ولم يؤكل

على هيئتها ولم يؤكل منها ذرة ولا حبة فقال شمعون يا رسول الله لو اريتنا
من هذه الاية العظمى والعلامة الكبرى اية اخرى لكانت القلوب مطمئنة
فقال عيسى عليه السلام يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت السمكة ثم
قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية على هيئتها الاولى ثم طارت المائدة
الى السماء صعودا بعد الزوال كما نزلت وقت الضحى وهم ينظرون اليها
حتى توارت وغابت فلم يأكل منها مريض بانواع الامراض وعليل باصناف
العلل الا عوفي واستشفى ولا فقير وحريج الا اغني واستغنى فندم
من لم يأكل منها من الاغنياء لزيادة الغناء والفقراء للاستغناء وغيرهم
وكانت المائدة تنزل ضحى يوما بعد يوم وتطير بعد الزوال يوما بعد يوم كما قد
ثمود على سبيل المبادلة الى اربعين يوما فلما كانت اليوم الثاني من نوبة
النزول فاجتمعت الاغنياء والفقراء فكانوا ينتظرون الى نزول المائدة
فلما كانت وقت الضحى شرعت المائدة نازلة فأكلوا كلهم من الاغنياء والفقراء و
الامراء والضعفاء من الصبيان والنساء من المحتاجين وغيرهم فأكلوا
ماشاؤا حتى فاء الفيء من الزوال ثم طارت المائدة على ما شاهدوها مرارا
وجربوها كرارا ولم يمرض احد من الاكلين ولم يفتقر فرد من المطاعمين
الى اخر اعمارهم ثم اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا عيسى ما ندفت ورزق في
الفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك الامر من الله العلي الاعلى على الاغنياء
حتى شكوا وشككهم فقراء الناس وشكوا ايضا فاظهروا كفرهم وقالوا اترون
المائدة التي نزلت من السماء حقا ويحكم وقالوا انما سحر عيسى عليه السلام اعينكم
وجحدوا بعد اكلها ومشاهدة ثمراتها من الاكل والتبريء والغناء والاستغناء
فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اني شرطت ان من كفر بعد نزولها فاني
اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فمسخ الله تعالى منهم
ثلثماية وثلثين رجلا فباتوا من ليلتهم على فرشهم فاصبحوا خنازير و

صبي ولا امرأة ليسعون في الطرق والكنائس فلما دنوا النار
فزعوا الى عيسى صلوات الله على نبينا وعليه دائمة وسلامه عليهما
قائمة بدوام الله وقيامه وبكوا وليطوفون اطرافه وهو يدعو
باسمائهم فيشيرون برؤسهم ويبكون ولا يتكلمون فعاشوا
ثلثة ايام ثم هلكوا جميعا وقيل اربعة ايام وقيل سبعة ايام
ثم دعا عليهم ان يقبض ارواحهم فاصبحوا ولا يرى منهم احد منهم
الى اين ذهبوا او بلعت الارض ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم يشربوا
وكذا حال كل ممسوخ وفي هذه القصة عبرة لاولى الابصار
فيجب الاعتماد على الله الكبير القهار وعلى رسله الذي ارسلهم
بالمعجزات الباهرة والشريعة الباقية الى يوم الآخرة والا
الى اعتقاد اهل السنة والجماعة مع الاعمال المامورة مع الجهاد
الموعودة في مدة الحيوة ولم يضيع ذرة الاعمار العزيزة الا
مع التاسف والبكاء للماضية مع الغفلة فان هذه المصيبة وان
تقع على هذه الامة المرحومة بحرمة نبينا محمد الرحمة على الكافة
بشيرا ونذيرا في الدنيا الدنية عليه افضل افاضل الصلوات و
اكمل كامل التحيات وعلى من تبعهم من الآل والاصحاب والعترة
والاحباب الى يوم الدين رضي الله تعالى عنهم اجمعين لخاصة علي
والخنين من الامة المقربة في الدارين بكراماته العلية ومعجزاته
الجلية المخصوصة لكنه يخاف في الآخرة عن مثل هذه المصائب للروح
حسبما قضاء الاثر الوارد فاذا امعن النظر على وجوه الظلمة و
وجوه ارباب الديانة والسعادة يشاهد التبدل والتغير و
الحسن والتنور لان الجزاء من جنس العمل ان خيرا فخير وان شرا
فشر يشاهد اهل النظر واولي الابصار فلم ينتبه من الحالة الا اهل
البصيرة من الاخيار فمن سعادة المومن الكامل ان يولف بما وافق هذه

ومشربه

ومشربه بمذهب البيض ومشربه جليسه كما وقع في الاثر من موافقة
الصلحاء والاطعام على اهل التقى لان المرء على دين خليله فلينظر
من يخالله ويحشر معه اذ تبديل الاخلاق واجب على كل مؤمن
فلا تحصل الخصال الحميدة الا من حسن القرين كما كان عكسها من سوء
القرين فلذا امرنا بتخلق اخلاق الله فذلك لا تكتسب الا بمقارنة
وكلاء الانبياء من العلماء المتقين والصلحاء المخلصين الذين هم
لم يتقربوا اليهم الا من المتجانسين المستعدين من الذين انعم
الله عليهم من اذل الارذال المجاهدين باموالهم وانفسهم الحق
الآجال المتبعين باثارهم والمتنورين بانوارهم وذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء وهو ذو الفضل العظيم واما
الذين ذمهم في كتابه العزيز وهم الذين اضاعوا اعمارهم في الايام و
الشهور والاعوام والدهور ويتخذون اللعب واللهو
في ايام العيد عيدا لسرورهم بدل البكاء والحزن على مضي
ايام الرحمة في الصبح والمساء ونفاوة سلطان الشهوة رضيا بها و
فيامها وعلى عدم التفكر ان عبادة العبد العاجز لا يليق بعظمته
الالوهية مع كثرة القصور ووفرة الكسور ومع هذا لم يعرف
انها هل قبلت ام لا فان قبلت معها فنعم المطلوب وان ردت فعند
مديونا عاصيا محزونا فالى اي الاحوال تحمل الامور فلا حبيب ولا
غافر الذنوب ولا ملجا ولا منجا غير الستار العيوب فعصيت
اوامره ولم تجتنب نواهيه وليس لك رب غيره اذ لا اله سواه
وكنت من حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون فان
انتبهت عن الغفلة والتجأت الى الله وتجانبت عن اعداء الله فكنت من
احزاب الله الا ان حزب الله هم المفلحون وذلك لا يوتى الا لمن داوم
باداء الفرائض المامورة مع الخضوع والخشوع في القراءة والركوع والسجود
واداء النوافل المامورة مع البكاء والابكاء ملاحظا بتوفيق الله وعنايته

مع اعتراف القصور ودوام الاستغفار في الليالي والنهار فكلها من فضل الله
واكرامه اياه في الايام والشهور والاعوام والدهور بحفظ الالهامات
الربانية وسر الوحي الصمدانية غير مراد ولا مسموع ولا اعلام الغير
اذ هي من عطاء الله لعباده العلماء والعباد الصلحاء وسر من اسرار الله
فيجب حفظها الا لمن اعتبر واقتفى باثره فسترها من سبل الاحوز
ويؤيده ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم كل عين باكية يوم القيمة الا عين غضت عن محارم الله
وعين سهرت في سبيل الله وعين تخرج منها دموع مثل رأس
الذباب من خشية الله رواه الاصبهاني رح وايضا روي عن ابي هريرة رضي
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يلج النار رجل
بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله
ودخان جهنم رواه الترمذي في سننه وروي عن زيد بن ارقم رضي
انه قال قال رجل يا رسول الله بم اتقي النار قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بدموع عينيك فان عينا بكت من خشية الله لا تمسها النار ابدا رواه
ابو الدنيا والامام الاصبهاني رح وروي عن انس رضي انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله حتى تصيب الارض
من دموعه لم يعذب يوم القيمة رواه الامام الحاكم وقال صحيح الاسناد
ويؤيده قوله تعالى في آخر سورة النجم افمن هذا الحديث اي
القرآن الذي انزل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واخبر بما في علم الله الازلي
ما كان وحكمه الابدي بما يكون من حوادث الدارين في الكونين ولا رطب
ولا يابس الا في كتاب مبين من علوم الاولين والآخرين بحيث لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصيها اي افتنكرون من هذا الحديث الذي اشتمل عليه القرآن
وتكفل الفرقان تعجبون عند الاستماع وتعرفون فصاحته وبلاغته
التي لا توجد في كلام الفصحاء ولا تقدرون عليه البلغاء باقصر سورة
فضلا على الكل ومع هذا العجز تنكرون لاجل الحقد والحسد كما كان حال الامم

السالفة

السالفة المهلكين بعذابي والمرتكبين آثارهم كمدين الصالح
وقوم لوط وثمود كما ترون في الاياب والذهاب ولم تتأثروا
باهوالهم ولم تعتبروا بما وقع عليهم وكنتم اعداء على رسولي كما كانوا
بالتكذيب والانكار اذ ليس الخبر كالمعاينة وتضحكون استكبارا
واستهزاء ولا تتفكرون عاقبة الامر مع انكم تنظرون احوالهم
وتخافون مما وقع عليهم ومن هذا الا من الحماقة والنفسانية ولا
تبكون حزنا على تفريطكم في شأن رسولي بما فيه من الوعيد الذي قرأه
عليكم واخبر بما يقع فيكم اذ لا خلف في وعدي ووعيدي بان يحيق
ما يحيق عليهم من الامم المكذبة رسلهم كما كذبتم رسولي وحملتم ما جاء
عنه من المعجزات الباهرة والكرامات الظاهرة التي ورثت من آدم
عليه السلام الى ان ينتهي لرسولي محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات (على السحر والجنون)
واستحققتم باشد انواع الغضب واحد اصناف العذاب والعقاب
فانتبهوا ايها الكافرون انما خلقتكم ليعبدون وما خلقتكم للاهلاك
وانا ارحم الراحمين اليكم ان آمنتم وصدقتم وتوبوا الى ربكم وتقربوا لي
بالتوبة والندامة والبكاء قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون
اذ لا ينفع نفسا ايمانها آنها تحين فآمنت كل نفس عند الوقوع يوم الموعود
وانتم سامدون اي لاهون ومعرضون استكبارا في الارض بغير الحق
من سمد البعير اذا رفع رأسه او مغنون لتشغلوا الناس عن الاستماع
حين التبليغ متعمدا ومتمردا ان كان من سمد الذي اذا تغنى واستمع
الناس للاشتغال على لغة قبيلة حمير كما يؤيده قول العرب في الآية الاخرى
في سورة سجدة حم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم
تغلبون اي تمنعون نص استماعهم كما هو حال ابي جهل الملعون وما يتبعه من الكفر
بمنعهم عن الانصات والايمان على العموم حين امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالتبليغ
يوما فيوما وساعة فساعة وللمؤمنين الى الطالبين بان ما انزل اليهم ليزدادوا
ايمانهم كلمة بعد كلمة وحرفا بعد حرف في القرآن المنزل وفيه مجاز اولي

من فكر الملزوم وارادة اللازم كما يشعر به قوله والغوا اى باللغويات وانشاد
انواع التغنيات بادخال الاصوات لاختلاف الافكار من النحاة بحيث لا يتبين
المبنى ولا يعرف المعنى ليعرض فيهم الكلال بكثرة الصياح والاشتغال يجتمع
المشركون حين التبليغ ويرفعون اصواتهم بانواع النغمات والتغنيات
حتى فرغ النبي عن القرآن الجهرية في صلوة الظهر والعصر مع مبنى الصلوات
وفرضها قراءة القرآن جهرا في كلها ثم اوحى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم
واخفى القراءة في تلك الصلوتين فان المشركين ليس لهم مشغلة فيهما بخلاف
سائرها فانهم مشغولون ولا يجيئون الى تبليغ المجالس فكان الاخفاء شريعة
لنا الى يوم القيام في تلك الصلوتين دون غيرهما من المغرب والعشاء وصلوة
الصبح وانما فعلوا ليطفؤا نور الله بافواههم وليضبطوا امثالهم من المشركين
فيقولوا ارفعوا اصواتكم حين التبليغ لعلكم تغلبون على قراءته
في اثنائه فيسكت ويفرغ ويميل الينا ومعنى سامدون
الخاشعون والجامدون من السمود يقال سمد اذا تجمد
من هيبة الله وعظمته فالجملة حال من فاعل لا تبكون
خلا ان مضمونها على الوجه الاخير قيد للمنفي والانكار متوجه
الى نفس البكاء مع وجود السمود والوجه الاول وفي تحقيق
المقام فتدبر والفاء في قوله العزيز فاسجدوا لله واعبدوا
لترتيب الامر وموجبه على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن
بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال التذلل
والخشوع وجمال الصداقة والخضوع فالمعنى اذا كان الامر كذلك
فاسجدوا لله الذي بانه ارسل رسوله بالهدى ودين الحق الذي
عرفتم حقيقته كما تعرفون ابناءكم وان السجود التلاوة فاسجدوا
عند الاستماع ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين او
صلوا الفرائض من قبيل قوله واركعوا مع الراكعين مجازا ولي
بذكر الجزء وارادة الكل واعبدوا له اذ مبنى الخلق وابداع الموجودات

لتعريف ذاته

لتعريف ذاته العظيم وصفاته القديم والتوحيد بمقتضاه والتقديس
برضاه كما قال في كتابه العزيز في سورة والذاريات وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون استيناف مؤكد للامر مقرر لمضمون التعليل
فان كونهم مخلوقا لعبادة الله تعالى مما يدعو اليه النبي عليه افضل الصلوات
واكمل التسليمات بتذكيره وتبليغه موجبا عليهم التذكر والاتعاظ واتقاء
الجن على الانس لتقدم الزماني ومنع لقهم لعبادته مستعدين لها متمكنين
منها اتم استعداد واكمل تمكن مع كونها مطلوبة منهم تنزيل ترتيب الغاية
عليها منزلة ترتيب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى
لما لا نزاع فيه جدا كيف لا وهي رحمة منه تعالى وتفضل على عباده المفتقرين
واما الذي لا يليق بجنابه العلى الاعلى تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل
بحيث لولاه لم يفعله لافضائه الى استكماله بفعله وهو تعالى الكامل بالفعل
في الازل في جميع الاشياء واما بمعنى النهاية والكمال ينتهى بها فعل الفاعل
الحق ففيه منفي من افعاله تعالى بل الكل جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا
الاصل يدور وصفه تعالى بالحكمة الالهية ويكفي في تحقق معنى التعليل
على ما يقوله الفقهاء ويتبادر في اهل اللغة على هذا المقدار وبه يتحقق
مدلول اللام واما ارادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم
من عدم صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض
عن الوصول الى الغاية مع تعاضد المبادي ولو اخذ المقدمات الموصلة
اليها لا يمنع كونها غاية كما في قوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس
من الظلمات الى النور وقيل معناه الا ليؤمروا بالعبادة ويأمروا به مع الاخلاص
كما قال عز وجل وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء و
قيل المراد تمييز السعداء والاشقياء من الجنسين كما قال الله عز وجل
في سورة الاعراف ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس اي الاشقياء
ويعضده قراءة وما خلقت الجن والانس من المؤمنين وقال المجاهد من افاضل
التابعين واختاره الامام البغوي رحمهما الله في المعالم الا ليعرفون ومداره

هذا الحديث القدسي الذي لفظه لفظ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناه من الحق
المنزل على فؤاده وقلبه من الموحى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بما يحكيه عن رب
العزة جل حكمته وعلت كلماته ولا اله سواه بقوله كنت كنزا
مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف كذا في المعالم
للعلامة حسين البغوي رح ولعل السر فيه ان التعبير بالعبادة
عن المعرفة على طريق التجوز من اطلاق اسم السبب على اسم المسبب
للايماء والاشارة على المقصد الاقصى والمطلب الاعلى من المعرفة
هي الحاصلة من لذائذ السلوك الاكبر والعزائز من الفتوحات
الكبرى والمراقبة مع صفوة القربة المعنوية من المشاهدة العظمى
لا ما يحصل لغيرها من الجهلة الكذبة والكفرة الفجرة العنيدة كما
نقل من الفلاسفة السفسطية من حكماء الملة كمكاشفات الرهبنا واظهار
الامعة المتنوعة وغيرهما من الرهبانية والخوارق العادة الشيطانية
فانها تبطل عند رؤية اهل الشريعة اذ جاء الحق وزهق الباطل من نفوذ
العلماء الرحمانية تمييزا بينهما والخالق هو الله عند ربط المسبب الى السبب
كالشروط المعلقة الى الجزاء للاسرار الالهية من التعليقات الازلية
والعلم الازلية عند صرف الارادة الجزئية في ام الكتاب كما روي عن ابي
الدرداء رض الله قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خمس من
جاء بهن دخل الجنة من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن و
ركوعهن وسجودهن ومواقيتهن وصام رمضان وحج البيت ان استطاع
اليه سبيلا واعطى الزكوة طيبة بها نفسه رواه الطبراني في المعجم الكبير
باسناد جيد وروي عن ابي هريرة رض الله قال ان اعرابيا اتى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني على عمل اذا عملته دخلت الجنة
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تعبد الله لا تشرك به شيئا
وتقيم الصلوة المكتوبة وتؤتي الزكوة المفروضة وتصوم رمضان
قال والذي نفسي بيده لا ازيد على هذا ولا انقص منه فلما ولى قال النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم

صلى الله تعالى عليه وسلم من سره ان ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا
رواه البخاري في صحيحه قوله من سره اي من اراد ادخال السرور
الكامل في قلبه وبتلذذ من النظر الى وجه من اهل الجنة او روي عن عمرو
بن مرة الجهني رض الله قال جاء رجل من قضاعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وصليت الصلوات
الخمس واديت الزكوة وصمت رمضان وقمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مات على هذا كان من الصديقين والشهداء رواه البزار
باسناد حسن وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه وروي عن الحسن رض
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حصنوا اموالكم بالزكوة وداووا
امراضكم بالصدقة واستقبلوا امواج البلاء بالدعاء والتضرع
رواه ابو داود في صحيحه والامام الطبراني في المعاجم رحمهما الله وذكر
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما حدث هذا الحديث لاصحابه العظام ثم
مر نصراني عليه وسمع هذا الحديث من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فذهب الى داره وحاسب امواله وادى زكوته وقال الصدق النبي
عليه افضل الصلوات واكمل التسليمات ويسير اموالي مع شريكي الذي ذهب
الى التجارة في المدينة والطريق غير امين من قطاع الطريق فامنت و
واسلمت عند سماعي سلامتها منهم وان ضاع اموالها كان ظني بحارث
وقاتلته بالسيف فلما مضى الزمان وورد المكتوب عن شريكي
عن احواله واحوال القافلة التي هو معها فكتب في مكتوبه اعلم ايها
الشريك قد من الله علينا في هذه السنة وخلصني واموالنا
عن شرهم بحيث لا يحتسب اذ قطع قطاع الطريق القافلة اموالها و
اشياءهم بالكلية لكن اني فارقتهم في المحل الفلاني بعروض العلة
على قدم جملي فتاخرت عنهم يوما فتقدموني ولا ينظروني الى ان
الهمت وغنمت بالتاخر عنهم لكنه لطف عظيم في حقنا وهل هذا
الا نعمة ونعمة الينا من الله العلي الاعلى وثمرة الادعية التي نلنا اليها

وهل هذا الأثمرة اتفاقي او اتفاقك والا لما يمكن لخلاص منهم
وحقيقتنا لحال هذا فلا تلتفت الى ما سمعت فينا والآن كان صادق
منهم اذ لم يبق احد الا اصيب بالاموال والانفس فلما وردت المكتوب
المشتمل على ما كتب فقال بشر بكم صدق الله وصدق رسول الله فلا
بعد الاتفاق فجاء ذلك الرجل الحاضر الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال يا صديق الله ويا حبيب الله انت رسول الله وصادق وبار
في جميع حالاتك خاصة انت رسول الله في هذا الزمان الى يوم القيام
كافة للناس بشيرا ونذيرا قد افلح من آمن بك وصدقك وقد خاب
من خانك وكذبك كما بك حق ومعجزاتك اكثر من ان تحصى مع شهادة
الاحجار والاشجار والوحوش والطيور من صدقك فقد فاز فوزا
عظيما فالاحوال الواقعة والكيفيات العارضة هكذا وهكذا ونحن
في نفسي كذا وكذا فبما هدت صدقك وانا رجعت اليك فاعرض
على الاسلام والايمان وطهرني عن دنس الشرك والعصيان و
الطغيان اذ لا كفر بعد الايقان ولا كذب بعد الايمان فلقن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم كلمتي الشهادة والتوحيد فقال اشهد ان
لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فاسلم واحسن اسلامه
وقد كان من الله لاصحاب رضهم كذا في حيوة القلوب قال الامام
ابو الليث السمرقندي رح في تنبيه الغافلين من منع الزكوة منع الله
عنه حفظ المال ومن منع الصدقة منع الله عنه العافية ومن منع
العشر منع الله بركة ارضه ومن منع الدعاء منع الله عنه الاجابة
لان القدر لا يندفع الا بالدعاء فيتعلقان بين السماء والارض فمنع الدعاء
نزول البلايا والقضايا فلم ينزل عليه كذا وقع في الاثر ومن تهاون
بالصلوة منع الله منه عند الموت كلمة التوحيد والشهادة فنعوذ
بالله تعالى من ذلك وروي من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ادى
زكوة ماله تامة يسمى في سماء الدنيا سخيا وفي الثانية جوادا

وفي الثالثة

وقد ورد في الخبر ان الاسلام يجيء يوم القيمة على احسن الصورة فيمر على المؤمنين فيقولون اي مؤمن هذا
ثم يمر على صفوف الصديقين فيقولون انه صديق هذا ثم يمر على النبيين فيقولون اي نبي هذا

وفي الثالثة مطيعا وفي السماء الرابعة بارا وفي الخامسة مطيعا
وفي السادسة مباركا محفوظا وفي السابعة مغفورا كذا في الجواهر
القلوب للامام العلامة الخشنجي رح وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما
انه كان قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بني الاسلام على خمس
شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واقام الصلوة
وايتاء الزكوة وحج البيت وصوم رمضان رواه البخاري ومسلم رحهما
وقال بعض العلماء رحمهم مثل صائم رمضان كالغواص في البحر والتقاط اللآلي
كالجواهر المتنوعة من الدرر والياقوت الاحمر والالماس والزبرجد الاخضر
القيمة في الاثمان والمحفوظة في الصندوق فالغواص اذا غوص يخرج
تارة درا وياقوتا من البحر فيصير من الاغنياء الذين لا ينفد ولا لآلي
ولا ينفد وسائر الناس وقد يخرج حجرا من الاحجار لا تقابل درة
فيكون الغواص فقيرا ومفلسا بين امثاله الى ان صادفه وفي الغيم ايضا
والا فيموت مفلسا في الدارين وكذلك صائم رمضان وصيامه
فان كان ذا حفظ بالافطار من الحلال والمحافظة جوارحه كلها
لسانه من الغيبة وعن الغيبة التي هي اشد من الزنا فهو كالغواص الذي
صادف بالجواهر القيمة فهو معمور في الدنيا والعقبى بين الامثال
فلا يضيع الرب الكريم اجوره الموعودة بل يوفي بغير حساب واما
اذا صام وامسك عن الاكل والشرب ولم يراع المحافظة ولم يجتنب عما
يحله ويفسده من زنا العين وزنا اللسان وسائر الاعضاء اذ لكل منها
حظ ونصيب من الزنى كما وقع في الاثر بل عن الكفر والشرك فضلا عما
يليه من الذنوب الكثيرة والعيوب الوفيرة ويصلى ويدخل في
فيكون مفلسا في الدارين واذا كان غره الغرور من الشياطين الحجر
عن البحر والغفران فيا حسرتا ويا ندامتا اللهم متعنا فيضا
ولا تخيبنا عن جزائك فتحنا من النيران يا ذا الكرم والاحسان روي
انه اذا انسلخ شهر رمضان واهل هلال شوال فنادى منادي من قبل الرحمن

فطوبى لمن قبل صيامه وقيامه وويل لمن كان نصيبا منه جوعا وقيامه سهرا وبكت السموات والارضون مصيبة لامتى فقيل يا رسول الله اى مصيبة هى فقال النبى المختار عليه افضل صلوات الغفار واكمل تسليمات الستار الدعوات فيه مستجابة والصدقة فيه مقبولة والحسنات فيه مضاعفة والعذاب مرفوع من اهل القبور فاى مصيبة اعظم من هذا لامتى رواه جابر رضي الله عنه كذا فى خوتة القلوب وروى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اعطيت امتى فى شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبى قبلى اما الواحدة فانه اذا كان اول ليلة من شهر رمضان ينظر الله تعالى اليهم ومن نظر الله تعالى اليه لم يعذبه ابدا واما الثانية فان خلوف افواههم حين يمسون اى يبلغون الى المساء وقت الافطار اطيب عند الله من ريح المسك واما الثالثة فان الملائكة يستغفرون لهم فى كل يوم وليلة واما الرابعة فان الله تعالى يأمر جنته فيقول لها استعدى وتزينى لعبادى اوشك اى قرب ان يستريحوا من تعب الدنيا الى دارى وكرامتى واما الخامسة فانه اذا كان آخر ليلة اى من ليالى رمضان يغفر الله لهم يوم القيمة رواه الامام البيهقى اى كما غفر وقت الافطار كل يوم من ليالى رمضان الف الف عتيق من النار مع الاستحقاق الى العذاب والعقاب سوى ايام الجمعة الاربعة ولياليها فانه اعتق فيها على راس كل ساعة من ساعات الجمعة الف الف عتيق من النار فى ايام الجمعة فى اربعة وعشرين ساعة من ساعات النجومية الموافقة لساعات الشرعية كما قال الله عز وجل فى سورة التوبة بقوله العزيز ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله وكما قال الامام العلامة ابو المعين عمر النسفى رح فى تفسير التيسير فى سورة يونس فى قوله العزيز لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون المراد من الساعة فى الآية المذكورة الساعة النجومية الموافقة فى ساعة الشرعية كما ذكرنا آنفا لا النجومية التى هى عبارة عن الآن

وان وافقت

وان وافقت استعمالها فيها وبالعكس روى عن ابى سعيد الخدرى رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان شهر رمضان شهر امتى يمرض مريضهم فيعودونه فاذا صام مسلم لم يكذب ولم يغتب وفطره طيب سعى الى العتمة حافظا على فرائضه خرج من ذنوبه كما تخرج الحية من سلخها اى من جلدها رواه ابو الشيخ رح قوله الى العتمة بفتح العين المهملة وسكون التاء الفوقية وآخره ميم مع تاء الكوفي المصدر على وزن المرة والجهة المساء الذى يجوز الافطار وقت الغروب وروى عن ابى هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن من الصغائر اذا اجتنب الكبائر رواه مسلم فى صحيحه رح وحكى انه قد جاء فى الخبر اذا جاء ليلة العيد من الفطر وسميت بها ليلة الجائزة لكثرة عطاء الله على الصائمين فيبعث الله تعالى فى كل البلاد بالرحمة والمغفرة والبشارة بالجنان العاليات والغرف العاليات منها يهبطون على الارض فيقومون على افواه السكك فينادون بصوت يسمعها جميع الخلائق الا الجن والانس فيقولون يا امة محمد اخرجوا الى عبادة الرب الكريم الجميل فيعطيكم الاجر الجزيل ويغفر ذنوبكم ويستعيذكم فى مقابلة الصيام وموضع القيام فاذا خرجوا وبرزوا الى المصلى بانواع التحزن بمعنى موسم المغفرة ومحل الرحمة والتفكر بقبول الصيام والقيام مع انواع القصور واصناف الكسور ام لا فان قبل فبفضله وعفوه اذ اعمال العاجز عند ديوان دركاه الالوهية عظيمة فلا يليق ايصال العجز والنقصان الى العظمة الرب ذى الاكرام والاحسان خاصة فى اداء صلوة العيد فى الديوان العالى مع التجار وطلب العفو والمغفرة والذنب الخطا بانواع التعظيم فى الذهاب واصناف التكريم فى الاياب بالتسليم الجليل والتكبير الجميل متفكرا حال الابناء من القبور متدبرا

بانشراح الصدور ومهد الأحوال عين احوال الانبعاث من القبور وعند
العرصات كم رجال يسترون بجنابة الملائكة والباسهم خلعة الجبار قبل
الدخول الى الجنان اظهاراً للمؤمنين وعدا وليحسا نابين الامثال فيتسرون
ويستبشرون بين اخوانهم واقرانهم وكم رجال في الغم والهم ولا يجدون
الألبسة الجديدة بل الخرقة المبتذلة فكذلك الآخرة فعزة من سعد و
ذلة من شقي فلم يراع حقوق الصيام والقيام فلم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً
فهو فقير في الدارين ومتكبد في الكونين فمن عظم الله في اداء الاوامر
واجتناب النواهي فالله تعالى اكرمه في الدارين ومن اهان شرائع الله لم
يمل بمتنعاته فاذله الله في الكونين فمن زرع حصد ومن لم يزرع كسد فيقول
الله تعالى عز وجل تبشيراً للملائكة المقربين يا ملائكتي ما جزاء الاجير
اذا اكمل واتم اعماله وسعى سعياً بليغاً في مؤداه اذا اطاع سيده والقاد
موكليه فتقول الملائكة جميعاً الهنا وسيدنا فاغفر لنا بما قلنا في آدم
ابي البشر صلوات الله على نبينا وعليه فان عبادك الصائمين جاهدوا في ايامهم
وبذلوا وسعهم نحو رضاك ظاهراً وباطناً لئلا يحرموا عن اجورك الموعود
ليلاً ونهاراً وتركوا الاكل والشرب مع الالفة والانسية مدة الدهور د
عن الشهود واتعبوا انفسهم مؤتمرين باوامرك وخالفوا اعدائك في الحال
واتبعوا شرايعك في المآل فهل هذا الا في انجاز مواعدك وابراز فوائد
جزائهم اليوم اذ توفيهم اجورهم وتزيد فضلك واحسانك وتغفر قصورهم
وتستر عيوبهم وتدخلهم الجنان الموعود وتوصلهم الى الغرف ومنازل
الجمال وتقبل استغفارنا فيهم وادعيتنا لهم فان وعدك الحق وانت ارحم
الراحمين واحكم الحاكمين خاصة منهم من يخشى الله رب متاع اعماره وعلى
اعماله فيقول الله تعالى لهم يا ملائكتي فاني اشهدكم فاني جعلت ثوابهم
الحاصل في مقابلة الصيام والقيام رضائي ومغفرتي وانا ارحم الراحمين و
اعفر الغافرين فجنائي مع النعم العظمى موعودة لهم والحور والغلمان
مخلوقة لهم فيا عبادي اني انا الغفور الرحيم لعبادي الصالحين وان عذابي

ومتى آمركم

ومتى آمركم فانتم ائتمرتم بالاخلاص فاسئلوا اليوم مني فوعزتي وجلالي
لا تسئلوني شيئاً الا اعطيتكم لان الجنة اعدت للمتقين من اصدقائي
كما ان النار اعدت للكافرين من اعدائي وهيئت الجنان الثمانية مع النعم
الباقية والنعيم الرابحة اذ كنتم في الدنيا الدنية من الصائمين المخلصين
والقائمين المتقين فاليوم ارفع اصدقائي وادخلهم جنتي فادخلوا
يا عبادي جنتي وحكي وروي عن وهب بن منبه رض انه قال
ان ابليس ينادي لاولاده ويرن لهم فكلها تجتمع عليه فيقولون يا ابانا
مالك ترن وتصوت فينا من غضبك حتى تهلكنا قال لا ولكن الله تعالى
غفر لهذه الامة في هذا اليوم فلم يبق لاحد الا غفر فعليكم ان تشغلوهم باللذات
النفسانية المهلكة فيغضب الله عليهم ولا يغفر منهم احداً ابداً فقالوا له
يا ايها الاب الكبير لا تخف ولا تحزن فانا نزين لهم الهوى المهلكة والنفس الامارة
بالسوء المردودة فانها تخبرنا بان معصيتنا يخذله ويمنعه عن الرحمة والمغفرة
من الفسق والفجور والعصيان والطغيان فانها جاسوسة لنا منه من الاول
الى الانتهاء فنحن نجاهد معها ظاهراً وباطناً من طرف العيال والاولاد والاموال
والالفة والكسب والتجارة والاكل والشرب فنسوقهم على الكفر والعصيان ونبرده
عن مجالس العلماء والصلحاء فلا يسمع كلمات الحقة حتى يعمل بمقتضاها فنغلب يوماً
فيوماً فانه يطيعنا البتة اما في الايام والشهود والسنة فالتكرارات
حاضرة لدينا ونصنع على صور الحباب من الكفرة واليهود والنصارى و
سائر الملل الشتى من اعداء الله مظهر المحبة والمودة والتلقين
الى الاديان المختلفة من صحاف الكفرة والبقال واهل التجار
من الامثال في الاموال والاحوال والسرور والاهوال فيموت
على مودتهم في الحيوة الدنيا ويحشر معهم في العقبى اذ المرء
مع من احب ولو تجرى كما وقع في الحديث فلينظر كل احد
من يخالل فانه على دينه كما وقع هذا ايضاً في المصابيح فيا كبيرنا
لا تزن ولا تحزن ولا تتأسف فان الليالي حبالى فلكل امرء شان يعنيه

فاذا سمع الملعون الابدى هذه الكلمات الخبيثة المفسدة قال الآن زالت الاحزان وتقر العينان من اثر الاولاد الفتان التى هى حاز فى النيران فالغيرة الجنسية والحمية الانسية لكم ايها الاولاد فانى اضللت كثيرا من اقطاب بيس بكثرة المجاهدة ووفرة المعاملة الم تروا ان بلعم الباعور كان قطب وقته وطار معه من تلامذته اكثرهم فى الهواء فمع هذه الكرامة التى لم ينل كثير من اقطاب الاولياء فهو قائم مقام الف الف الاولياء لنيله القوة القدسية باسم الاعظم وبركاته الافخم فينطق مع الوحوش والطيور والجمادات فانه انقض ظهرى ولشوح فما امتى فجاهدته مع اصعب الحيل ونشد الملل فانه لم يرفع لحق بمرتبة اليقين كانه يراه فلم اقدر اغوائه واضلاله الا بيد امراته الكافرة سهل الحصول فكان رفيقى فى النيران فالحيل المصنوعة والخدعة المنتهى منجانب الالعنة من الامثال وطرفة الاعين فى الحال او فى حال السكرات فى المآل الا من عصمه الله فى حال حيوته وظلال بارباب السعداء واصحاب العرفاء فانه يموت كما يعيش ويحشر كما يموت كذا وقع فى الحديث فاذا لا نتقرب اليه بطرد الملائكة العظام والافلاك تخلصه منجلينا وقت السكرات فانه لا يملك نفسه فانه بسكرات اذ يسبق وقت الحيوة لسكرة الدنيا وما يناسبه من احوال سكرة الدنيا فالجزاء من جنس العمل ان عرف قدر نفسه وايمانه وعظمها والزمها فانتمره فهو يموت على من احسن الحال بريئا عن النكر ولحوة الاعداء فعامله الله جزاء وفاقا مجتمعا حوله الملائكة على صورة العلماء العاملين والصلحاء السالكين يلقنهم كلمتى الشهادة وتطهرهم النيا لمين منال الى الرحمة والجنان والنعم والاحسان وان كان حاله فى الحيوة على عكسه فيموت مجتمعا حوله اهل النيران كذا فى بلاد الجنان دع وعلى كلا التقديرين اذا قبر فى اللحد يجيء المنكران فيسئلان عن دينه ونبيه فان كان من اهالى السعداء فيجيبهما بتلقين الملائكة فى حال حيوته مع الاعمال الخالصة وان كان من الاشقياء فيجلع عن الجواب ويعذب

واطول من هذا

واطول من هذا فلفظه هكذا رويا عنه انه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر مثله الى ان قال فرفع رأسه فقال استعيذ بالله من عذاب القبر مرتين او ثلاثا ثم قال ان العبد المؤمن اذا كان فى انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كان وجوههم كالشمس معهم كفن من اكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ويجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول ايتها النفس الطيبة اخرجى الى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج فتسيل كالقطرة فى السقاء فاذا اخذها لم يدعها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها ويضعوها فى ذلك الكفن والحنوط ويخرج منها ريح كاطيب نفحة مسك فيصعدون بها فلا يمرون على ملاء من الملائكة الا قالوا ما هذه الريح الطيبة فيقولون هذا روح فلان بن فلان باحسن اسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا فيستفتحون له باب سماء الدنيا فيفتح لهم فيشيعونها من كل السماء الى السماء التى تليها حتى ينتهون الى السماء السابعة فيستفتحون له باب السماء السابعة فيفتح لهم ثم يمرون بها فى بحر من نار ثم فى بحر من نور ثم فى بحر من ظلمة ثم فى بحر من ماء ثم فى بحر من ثلج ثم فى بحر من برد نقيض البحر طول كل بحر منها الف عام حتى ينتهون بها تحت عرش الرحمن فينادى من الحضرة القدسية من هذه النفس التى جئتم بها فيقولون هذا روح فلان بن فلان فيقول الله تعالى اكتبوا كتاب عبدى فى عليين واعيدوها الى الارض فى جسده فياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان من ربك فيقول ربى الله فيقولان وما دينك فيقول دينى الاسلام فيقولان ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيقولان له ما يدريك فيقول قرأت كتاب الله

وآمنت به وصدقته فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى
فافرشوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيأتيه من ريحها وطيبها
ويفتح له فى قبره مد بصره قال ويأتيه رجل حسن الوجه وحسن
الثياب طيب الريح فيقول ابشر بالذى يسرك هذا يومك الذى
كنت توعد فيقول من انت فيقول انا عملك الصالح فيقول يا رب اقم
الساعة حتى ارجع الى اهلى واولادى وان العبد الكافر اذا كان فى انقطاع
من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه ملائكة سود الوجه معهم المسوح
فيجلسون مد البصر ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول
ايتها النفس الخبيثة اخرجى الى سخط من الله وغضب منه فينزعها
منه كما ينزع السفود من الصوف المبلول فاذا اخذها لم يدعها فى يده
طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ويخرج منها ريح خبيثة
انتن من ريح جيفة فيصعدون بها الى السماء فلا يمرون على ملا
من الملئكة الا قالوا ما هذه الريح الخبيثة فيقولون هذا فلان بن
فلان باقبح اسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهى به الى السماء
الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فى سورة الاعراف ان الذين كذبوا وكفروا بآياتنا الدالة على صدق
رسولنا من المعجزات الظاهرة كانزال القرآن الحكيم الذى لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو تنزيل من حكيم حميد حيث
عجزوا عن اتيان اقصر سورة مع الفصاحة الجبلية والبلاغة
العنصرية وخوارق العادات من شق القمر وتكلم الاشجار والاحجار
والاجابة الى دعوتها والوحوش والطيور وانواعها حيث لا يعدها
عاد ولا يحدها حاد كالشمس فى وسط النهار واستكبروا عنها
فلا يبعد ان يكون عطف العلة على المعلول لانهم يعرفون حقية

النبى

النبى صلى الله عليه وسلم وحقية الكتاب المنزل من الله تعالى كما يعرفون
ابنائهم وانما كذبوا للاستكبار والحسد كما ينبئ قولهم لولا نزل هذا
القرآن على رجل من القريتين عظيم المال والمنال وبسبع الامتعة
والجاه فلذا امر بقوله بالتعوذ ومن شر حاسد اذا حسد لا تفتح لهم
ابواب السماء اى لا يصعد بارواحهم عند الموت الى السماء بل يهبط
بها الى سجين تحقيرا لهم كما يستحقرون الايمان واصحابه فى الدنيا
ولا يدخلون اى لا يدخل المكذبون المستكبرون المعاندون الجنة
حتى يلج الجمل اى البعير الجسيم فى سم الخياط اى فى ثقب الابرة
الصغيرة ابدا وفى كون الجمل مما ليس من شأنه الولوج وحاله الدخول
مبالغة فى الاستبعاد وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل
كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب
وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وقرئ فى سم المخيط
وهو الخياط اى ما يخاط به كالحزام والمحزم اى الجنة طاهرة ومن
فيها طاهرون حتى ان كان معه ذرة من الدنس يمتنع الدخول
فيها ما لم يطهر منها اما بالعفو والمغفرة من الله الرحيم الكريم وبالشفاعة
او باحتراق مقدار ذنوبه مع الاتصاف بنور الايمان فكيف وهم المكذبون
الكافرون فهذا مستبعد جدا كدخول الجمل العظيم فى سم الابرة الصغيرة
وهذا من غاية حمقهم ونهاية جهلهم وثمرة شدة حسدهم وحدة
تهالكهم وكذلك اى مثل ذلك الجزاء الفظيع وهو حرمان الجنات
الموعودة للمطيع نجزى جنس المجرمين وهم داخلون فى زمرتهم
دخولا اوليا خاصة اعداء سيد الانبياء والمرسلين صلوات الله
على نبينا وعليهم اجمعين لهم من جهنم مهاد والتنوين للعظمة وهم فيها
كالذرة بالنسبة الى عظم النار وان كانت اجسام الكفرة كالجبال

ابواب السماء [illegible]

[illegible]

ولا أحد كأنهم ليسوا فيهم ومن تجريدية ومن فوقهم غواش غاشية وغطية
ولحف تغشاهم منها والتنوين بدل من الاعلال عند سيبويه وللتصرف
عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف وتركما في قوله وله الجوار المنشآت
وكذلك اي مثل ذلك الجزاء الشديد من النار نجزي الظالمين انفسهم
بترك الايمان واختيار الشرك النجس بدله واستبدال منتهى الايمان
وهو الجنات العاليات مع النعيم الابدية والدرجات الرافعات مع الدولة
السرمدية والجمال مع الكمال الى استبدال نهاية الشرك النجس وهي
النار الموقدة التي تطلع على الافئدة انها عليهم موصدة في عمد ممددة
وانما عبر عنهم تارة بالمجرمين وتارة بالظالمين اشعارا بانهم
بتكذيبهم الايات البينات والمعجزات النيرات اتصفوا بكل واحد
من ذينك الوصفين القبيحين وذكر المجرم مع الحرمان عن دخول
الجنة والظلم مع التكذيب بالنار للتشبيه على انه اعظم الجرائم
الكبيرة وروي عن ابن عباس رض لمن يفتري على الله ان وجهه
مسودة ويحشر على هذا كما قال الله تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا
على الله بنسبة الولد والشريك اليه تعالى وجوههم مسودة جملة اسمية في
موضع الحال لان الرؤية المفهومة من ترى الرؤية بالعين لا بالقلب
وكان سواد الوجه اما حقيقة كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه واما كناية عن الفضاحة والجهالة فيهم وكلاهما واقعان وصحيحان
قد يكون قبل دخول النار وبعده وقد يكون حقيقة وقد يكون مجازا
كناية عن الذلة والخسارة والخيبة والفضاحة فلننتزع الى ما نحن
فيه من احوال الكفرة فيقول الله تعالى اكتبوا كتابه في سجين في الارض
السفلى ثم اعيدوها في جسده فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان
فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان له

وما دينك

وما دينك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان له ما هذا الرجل الذي
بعث فيكم فيقول هاه هاه لا ادري فينادي مناد من السماء كذب عبدي
فافرشوا له من فراش النار وافتحوا له بابا الى النار فيدخل عليه من حرها
وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه ويأتيه رجل
قبيح الوجه وقبيح الثياب منتن الريح فيقول ابشر بالذي يسوءك
هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من انت فيقول انا عملك الخبيث
فيقول يا رب لا تقم الساعة وفي رواية يأتيه آت قبيح الوجه والثياب
منتن الريح فيقول ابشر بهوان من الله وعذاب مقيم فيقول من انت
فيقول انا عملك الخبيث كنت بطيئا من طاعة الله سريعا في معصية
الله فجزاك الله شرا ثم يضرب بمرزبة ملك العذاب ضربة فيصير ترابا ثم يعيد الله
تعالى روحه كما كان فيضربه ضربة اخرى فيصيح صيحة يسمعها كل الخلائق سوى
الثقلين ثم يفتح باب من النار ويمهد له فراش رواه احمد
في مسنده وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انه قال ما من مسلم يموت يوم الجمعة وليلة الجمعة الا وقاه الله فتنة القبر
رواه الترمذي وغيره وقال الترمذي رح حديث غريب وليس
اسناده بمتصل وروي عن ابي هريرة رض عن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم انه قال ان الميت اذا وضع في قبره انه يسمع خفق نعالهم حين تولوا
مدبرين فان كان مؤمنا كانت الصلوة عند رأسه وكان الصيام عن
يمينه وكان الزكوة عن شماله وكان فعل الخيرات من الصدقة والاحسان
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر عند رجليه فيؤتى من قبل رأسه
فتقول الصلوة ما قبلي مدخل ثم يأتي عن يساره فيقول الزكوة ما قبلي
مدخل ثم يأتي من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والاحسان
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما قبلي مدخل فيقولان آلهنا وسيدنا

انت قلت سلوه ولا طريق لنا الى عبد فيقول الله تعالى سلوه عن دينهم
فيسئلان فيقول العبد في الجواب يا ملائكة الله انى بدلت الكتمان
لا الاعتقاد فيقول بلسان فصيح ربي الله ومحمد رسول الله كذا في حيوة
القلوب وروى عن جابر بن عبد الله رديف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا دخل منكر ونكير فيقولان له اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس عند
الغروب فيقال له ارايتك اى اخبرت عن هذا الذى كان فيكم ما تقول
فيه وماذا تشهد عليه فيقول دعونى حتى اصلى صلوتى قبل غروب الشمس
فيقولون انك ستفعل اخبرنا عما نسئلك فيقول هذا الرجل محمد
اشهد انه رسول الله وانه جاء من عند الله فيقال له على ذلك حييت
وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث ان شاء الله ثم يفتح له باب من ابواب
الجنة فيقال هذا مقعدك منها وما اعد الله لك فيها فيزداد غبطة
وسرورا ثم يفتح له باب من ابواب النار فيقال له هذا مقعدك وما اعد الله لك
فيها لو عصيته فيزداد غبطة وسرورا ثم يفتح له في قبره سبعون
ذراعا وينور له فيه كما يشعره قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا اى بالايمان
الدين القيم والصراط المستقيم بالقول الثابت اى بقول لا اله الا الله
ومحمد رسول الله مع اللوازم واللواحق من الاوامر والنواهي في الحيوة
الدنيا اى قبل الموت وفي الاخرة اى يثبتهم بعد الموت عند السؤال
في القبر وعند البعث ايضا بانهم سئلوا عن اعمالهم فاجابوا من غير تحير
من اهوال يوم القيمة وان الكافر اذا اوتى من قبل راسه لم يوجد شيء
ثم اتى عن يمينه فلا يوجد شيء فيقال له اجلس فيجلس مرعوبا خائفا
فيقال ارايتك هذا الرجل الذى كان فيكم ماذا تقول فيه وماذا تشهد
عليه فيقول اى رجل هذا وما اسمه فيقال محمد فيقول لا ادري سمعت
الناس قالوا قولا فقلت كما قال الناس فيقال له على ذلك حييت وعليه

يثبت الله الذين آمنوا

مت وعليه تبعث

مت وعليه تبعث ان شاء الله تعالى ثم يفتح له باب من ابواب النار فيقال
هذا مقعدك من النار وما اعد الله لك فيها فيزداد حسرة وثبورا
وهلاكا ثم يفتح له باب من ابواب الجنة فيقال له هذا مقعدك منها
وما اعد الله لك فيها لو اطعته فيزداد حسرة وثبورا ثم يضيق
عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه كما قال الله تبارك في سورة طه
ومن اعرض عن ذكري عن الهدى الذاكر لي والداعي الي وهو القرآن
الهادي فلم يؤمن به لاستكباره ولم يتبعه بل اتبع هواه فاضله الشيطان
على ما رضيه عنه وكان تابعا اليه قبل التبعية فاستحب العمى
على الهدى فاشترى المعيشة الفانية على الباقية الواسعة فان له
في الدنيا الدنية معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به فلذلك
يستوي فيه التذكير والتانيث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان
مجامع همته ومطامح نظرته مقصورة على اعراض الدنيا وهي متهالك
على ازديادها ومتخائف من انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب لرضاء الله
والتابع لشريعة الاله فان خير الزاد له في الدارين وحسن المعاشرة
والمعيشة المفاخرة له في الكونين بخلاف الكافر المعرض عن قبول
احكام الله المستنبطة من كتاب الله المأخوذة من رسول الله فان له
في الدارين عند الكونين خذلانا وضنكا ومشقة لا يتخلص عنها
ابد الآبدين ولا يفرغ دهر الداهرين فيضيق الله تعالى عليه بشوم
الكفر والكفران وملازمة الفسق والعصيان فلو ملك الدنيا لم تيسر له
البركة ولم يخل عن الحرمان كما قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة
والمسكنة فان الله ينزل البركة على اهل الايمان بالتقوى والايمان
ويؤيده قوله تعالى في سورة الاعراف ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقوله تعالى في آية اخرى

لا كلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل المعيشة هي الضريع والزقوم
في النار وقيل عذاب القبر ونحشره يوم القيمة اعمى اي فاقد البصر
كذا قال ابن عباس كما في قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
عميا وبكما وصما وقيل اعمى عن الحجة والهدايت كما قال مجاهد والاصح
ما فسر اولا ويؤيده قوله قال رب لم حشرتني اعمى اي فاقد عين الرأس
التي بها ارى الاشياء ليلا ونهارا في حال حيوتي ما دمت في الدنيا وقد
كنت بصيرا فيها بها وقيل يحشر بصيرا من قبره فاذا سيق الى المحشر
عمي بصره فهذا ناظر الى قوله لم حشرتني كما ان الاول ناظر الى قوله
وقد كنت بصيرا قال الله تعالى جوابا له كذلك اي مثل ذلك فعلت
انت ثم فسر بقوله اتتك اياتنا واضحة نيرة بحيث لا يخفى على احد
فنسيتها اي عميت عنها وتركتها ترك المنسي الذي لا يذكر اصلا
وكذلك اي مثل ذلك النسيان الذي كنت فعلته في الدنيا اليوم
تنسى اي عومل عمل المقابل تترك في العمى والعذاب جزاء وفاقا من قبل
قوله تعالى ومكروا ومكر الله لكن لا ابدا كما قيل بل الى ما شاء الله تعالى ثم
يزيله عنه فيرى اهوال القيمة ويشاهد مقعده من النار ويكون ذلك
عذابا فوق العذاب وكذا البكم والصمم يزيلهما الله تعالى عنهم لقوله تعالى
اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا وكذلك اي مثل ذلك الجزاء الموافق
للجناية نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات والشرك والتبعية
الى اوامر اعداء الله وترك اوامر الله وسنة رسول الله ولم يؤمن بايات
ربه محمد عم والقرآن الذي انزل عليه بل كذب بها واعرض وفرقا
الغير عن الذنب ولعذاب الآخرة على الاطلاق او عذاب النار المعهود
اشد وابقى اي ادوم من ضنك المعيشة مما يعذبهم به في الدنيا او منه
ومن الحشر على العمى واما من اشرف بتنور الاعمال الصالحات

حشر الكفار اعمى

وتأثر العبادات

وتأثر العبادات الصالحات بالنيات الفايقات ولا اشتغال في الايام
والشهور والاعوام والدهور خائفا من الرب الكريم راجيا بما وعد
للمؤمنين المجاهدين والصديقين الخائفين من العذاب والعقاب
الاليم فانه يصادف جوزه الموعودة في الدرجات المرفوعة من الاكواب
الموضوعة والنمارق المصفوفة والزرابي المبثوثة ويقول الحمد لله الذي
صدقنا وعده واورثنا ارضه من الدرجات الرفيعات في الجنات العاليات
فهذا من فضله الكريم وعنايته العظيم ليس من استحقاقنا بل هي
من ثمرات وعد لمن وحد نافعا لنا منتهى عبادتنا مقتضى ما اعطانا
خير وابقى وما اكرمنا ادوم وليس بمنتهى روى عن المقداد رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يدني الشمس يوم القيمة
من الخلق حتى يكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق
فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى حقويه اي الى خاصرتيه
ومنهم من يلجمه العرق الجاما واشار رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم بيده الى فيه رواه مسلم رح وروى عن ابي مسعود رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليلجمه العرق يوم القيمة فيقول
يا رب ارحمني ولو الى النار رواه الامام الطبراني في المعجم الكبير وفي الخبر
اذا اجتمع الخلائق كلهم الجن والانس وغيرهم في صعيد واحد فبينما هم
وقوف اذا سمعوا حسا اي صوتا شديدا من السماء فهال لهم اي خوفهم ذلك
فتنشق السماء وتنزل ملائكة السماء الدنيا واخذوا مصافهم فقال لهم
الناس افيكم ربكم اي امر ربنا بالحساب قالوا لا وهو يأتي ثم ينزل اهل
السماء الثانية فيقومون صفا خلف اهل السماء الثانية ثم تنزل
ملائكة الرابعة فيقومون صفا خلف اهل السماء الثالثة ثم تنزل
ملائكة الخامسة فيقومون صفا خلف اهل السماء الرابعة ثم تنزل

احوال القيمة في العرق

يوم تنزل الملائكة صفوفا

ملائكة السادسة فيقومون صفا خلف اهل السماء الخامسة ثم تنزل ملائكة
السماء السابعة وتقومون حافين حول العرش وحول اهل الدنيا والثانية
والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة ثم يأمر الله تعالى مناديا
ينادي اين اصحاب المظالم فلا يبقى يومئذ ملك مقرب ولا نبي مرسل
ولا شهيد الا ظن من هيبة اليوم ان لا ينجو احد روى عن عقبة بن
عبد الله رض ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لو ان رجلا
يجر اى يسقط على وجهه من يوم ولد الى يوم يموت في مرضات الله تعالى
لحقره يوم القيمة اى رأى عمله حقيرا لشدة ذلك اليوم رواه الطبراني
رح ورواته ثقاة وروى عن معاذ بن جبل رض انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لن يزول قدم عبد يوم القيمة حتى يسئل عن اربع

السؤال عن اربع

خصال عن عمره فيما افناه وعن شبابه فيما ابلاه وعن ماله من اين
اكتسبه وفيما انفقه وعن علمه ماذا عمل به رواه البزار والطبراني
باسناد صحيح وروى عن عائشة الصديقة رضي الله عنها عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم من نوقش الحساب اى عوسر عليه في الحساب بحيث
لا يترك قليل ولا كثير الا يسئل عنه عذب فقلت اليس يقول الله
تعالى في سورة الانشقاق فاما من اوتي اى اعطي كتابه بيمينه وهو المؤمن
فسوف يحاسب حسابا يسيرا والحساب اليسير هو ان يعرض عليه اعماله
فيعرف الطاعة والمعصية ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية
فهذا هو الحساب اليسير لانه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له
لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر فيه ولا الحجة عليه فانه متى طولب
لذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح بين الخلائق يوم الندامة ويتحسر
يوم الخسارة ويندم يوم القيمة وينقلب المؤمن المحاسب بالحساب
اليسير والمعفو عن العسير الى اهله من الحور العين والولدان والغلمان

الساكنين

الساكنين في غرف اصحاب العليين المنتظرين اليهم بانتظار اليقين
والى فريق من المؤمنين الذين يحبونه ويحبهم حبا لله العلي الاعلى وهو
بينهم في الدرجات القصوى متوليا على الدول المنتهى مسرورا وراى
مفرحا بما اعد الله له من الدولة الجليلة والنعم العلية من البهجة
والغرف والبهجة والملبسة والمأكلة والخدمة والمشربة والدرجة
الرفيعة والمسيرة اللطيفة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
انما ذلك العرض وليس احد يحاسب يوم القيمة الا هلك رواه
مسلم والبخاري وابو داود والترمذي روي في حديث قال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يدعى احد يوم القيمة فيعطى كتابه بيمينه
ويمد له في جسمه ستون ذراعا ويبيض وجهه ويجعل على رأسه
تاج من لؤلؤ فينطلق الى اصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم
ائتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى يأتيهم ويقول ابشروا لكل
منكم مثل هذا واما الكافر فيدعى احدهم فيعطى كتابه بشماله ويسود
وجهه ويمد في جسمه ستون ذراعا ويلبس على رأسه تاج
من نار فينطلق الى اصحابه فيرونه من بعيد فيقولون نعوذ بالله من شر
هذا اللهم لا تأتنا بهذا حتى تأتيهم فيقول ابعدكم الله تعالى فان لكل
رجل منكم مثل هذا رواه ابو عيسى الترمذي وقال حديث حسن غريب

صدقة الفطر واجبة

واما صدقة الفطر فواجبة عند ابي حنيفة رحمة الله تعالى رحمة واسعة
لتعدد الادلة المتغايرة المتعينة منها تارة الفرضية فوق الوجوب
كما ذهب اليه الامام الشافعي رح وتارة الوجوبية تحت الفرض كما يومي
روايته جرير رض عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال شهر رمضان
معلق بين السماء والارض ولا يرفع الا بزكوة الفطر رواه ابو حفص
الكبير من تلاميذ امام الاعظم رح فالتعليق يدل على الوجوبية

لا الفرضية فان الفساد الواقع فى الفرض يفسده جزء كان اوكلا فلا يعود الى الصحة ولا ينقلب الى الفرضية بالاتفاق بخلاف الواجب فانه يعلق فاذا تدارك ينقلب الى الصحة فهذا ايضا بالاتفاق فالتصريح لا يقابله الايماء ولا الاشارة وان كانتا من الادلة عند عدمه واما ما وقع فى رواية ابو داود وابن ماجه والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال فرض رسول الله صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين فمن اديها قبل الصلوة فهى زكوة مقبولة ومن اديها بعد الصلوة فهى صدقة من الصدقات فالمراد عندنا منه معناه اللغوى وهو التقدير يقال فرض اذا قدر وعين له شئ وصرح فى هذا انه لا ينقلب اداؤها بل يشعر الفرضية على مذهبه فاذا تعدد الادلة القاطعة المقتضية كل منها ما يناسبها يرد فيجب النظر الى المرجح عند عدم الترك والا فيستدل بغيرها عند الوجود على ما يقتضيه قواعد الاصول ليسهل الى الحقيقة الوصول فلكل وجهة هو موليها يوفق عليها اموليها فيجب على كل حر مسلم ملك نصابا فضلا عن مسكنه وثيابه الثلاثة واثاثه ومتاعه وسلاحه وكتابه ويؤديها عن نفسه واولاده الصغار وعبيده للخدمة لانهم اذا كانوا للتجارة لا يجب عليهم صدقة الفطر خلافا للشافعى رح وعن مدبره وعن ام ولده لا عن زوجته ولا ولده الكبير الفقير للشافعى ومكاتبه اى لا يؤديها المولى عن مكاتبه وعبده او عبيد مشترك بين الاثنين لا فطرة على واحد منهما عند ابى حنيفة رح وقال ابو يوسف ومحمد رحمهما على كل واحد منهما بحصته وتجب عن العبد حال كونه مبيعا بالخيار على البائع ان فسخ البيع والا فعلى المشترى لا على من له الخيار خلافا لزفر

نصف

نصف صاع من بر او دقيق او سويق والزبيب والبر متساويان من حيث ان كلا منهما يوكل ان بجميع اجزائه فعند ابى حنيفة رح نصف صاع منهما وقالا الزبيب كالتمر والشعير منهما صاع وقال الشافعى رح يجب من البر صاع لقول ابى سعيد الخدرى رض كنا نخرج زكوة الفطر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صاعا من طعام وشعير ومن تمر ومن اقط ومن زبيب والمراد من الطعام الحنطة ودليلنا ما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال امر فى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم زكوة الفطر بنصف صاع من حنطة او صاع من تمر وهذا مذهب كبار الصحابة من العبادلة الاربعة عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص وهم معتبر الاصحاب وافضلهم فى حال حيوتهم وللاصوليين المستنبطين بعد مماتهم فالواحد لا يقابلهم كيف وهم الشمسيون فى النجوميين وعلى التسليم فحديثه محمول على التبرع بالزيادة وكلامنا فى الوجوب فى الصاع وهو كيل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثمانية ارطال كل رطل عشرون استارا وكل استار ستة دراهم ونصف درهم فالرطل فى زمن ابى حنيفة رحمه الله تعالى رحمة واسعة وادخله فى الجنان الفاسحة كان ماة وثلثين درهما وفى زمن يعقوب وهو ابو يوسف بن ابراهيم رح ماة وخمسة تسعين درهما فاذا قابلتهما نجد كل واحد منهما الفا واربعين درهما فالصاع ما يسع فيه الف واربعون درهما وهو صاع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى زمن عمر رض فكان قد فقد فاخرجه الحجاج فى زمنه فلذا يسمى صاعا حجاجيا هذا اذا اعطى بالصاع ولو اعطاها بالوزن

اُقط بفتح الهمزة وكسر القاف اسم طعام

يجوز ايضًا لانه اذا كان بالوزن فيجوز الاعطاء بالوزن وذكر محمد
في الجامع الصغير ان دقيق البر وسويقه كالبر الا ان العلماء
قالوا الاولى ان يراعى فيهما القدر والقيمة احتياطا للنصف الاثار
الواردة فيهما والمعتبر في الخبز القيمة ولا يراعى فيه القدر اذ لم
يرد فيه اثر والاصل في هذا الباب ان ما هو منصوص عليه لا يعتبر
فيه القيمة وانما يعتبر فيه القدر حتى لو ادى بدل نصف صاع
من بر نصف صاع من تمر لا يجوز وان كان التمر اكثر قيمة واما
ما ليس بمنصوص فانما يلحق بالمنصوص باعتبار القيمة لا بالقدر
واعلم انه لا بد لكل مؤمن ان يعلم من مسائل صدقة الفطرة
المبينة في المفصلات على ما ينبغي وهي غير مذكورة في المختصرات
واكثر الناس عنها غافلون كما في فتاوى قاضيخان وهي ان لا يعتبر
فيها وصف النماء كما اعتبر في غنى الزكوة ونصابها فاذا كانت له دار
الملك لا يسكنها فيؤاجرها يعتبر قيمتها في الغنى وكذلك اذا اسكنها
وفضل عن مسكنها شيء يعتبر قيمته الفاضل في الغنى لان ما مسته
حاجته الاصلية لا بد ان يكون مشغولا بها لا بكل ما يحتاج اليه بعد
شهر او سنة او يحتملها فادخره احتياطا اذ ما من مال الا وقد يقع
الحاجة اليه وقتا ما ولو بعد الموت حتى لو كان في دار باجارة فاشترى
قطعة ارض بمائتي درهم وبنى فيها دارا يسكنها فهو غني بها لانها
فاضلة عن حاجته الاصلية الحالية وانما يحتاج اليها في المستقبل
ومن كان له دار فيها بيتان صيفي وشتوي لا يكون بها غنيا ولو كان
فيها ثلثة بيوت يعتبر قيمة الثالث في الغنى وصاحب الثياب
لا يكون غنيا بثلث احديها للبذلة وثانيها للمهنة وثالثها للجمع
والاعياد والايام المباركة وكذا الفرش فلو زادت على الثلاثة من الثياب

والفرش

والفرش واللحاف بغير قيمتهن في الغنى فلو بلغت النصاب قبل صلوة
العيد ولو بساعة يجب عليه صدقة الفطر ويحرم اخذ الزكوة لغناه
والغازي لا يكون غنيا بفرسين وان كان له ثلثة افراس يعتبر
قيمة احدها في الغنى ولغير الغازي يكفي الواحد وما زاد عليه من الفرس
والحمار لاهل الدهقان او غيره يعتبر قيمته في الغنى وكذا الزيادة
على الخادم الواحد ولو كانت له كتب النحو والصرف والمنطق والادب
والطب والتعبير يعتبر نصابا وكذا الكتب من التفاسير والاحاديث
والفقه لاهله وما زاد على نسخة واحدة بحيث لا يحتاج الى غيره
يعتبر قيمته وكذا المصاحف لمن يحسن القراءة وكذا الزراع لا يكون
غنيا بثورين وان زاد عليهما ثور واحد يعتبر قيمة الواحد في الغنى
وكذا الكرم يعتبر قيمته في الغنى وكذا الحبان اذا كانت له حنطة
او ملح يعتبر قيمتهما في الغنى وكذا القصار اذا كانت له اشنان
او صابون يعتبر القيمة ومن كانت له قوت سنة يساوي نصابا ففيه
اختلاف الفقهاء والظن ان لا يعد من الغنى ذكره الامام الاوزجندي
قاضيخان في فتاواه وكذا المرأة ان كانت لها حلية من الجواهر
واللآلي وغيرها يعتبر قيمتها خلافا للشافعي كما انها لا زكوة لحليها
كذلك لا صدقة الفطر والاضحية دون الزكوة لانه ليس في الحجر نماء
ويحرم عليه السؤال واخذ الصدقة والمستحب في صدقة الفطر ان
يؤديها قبل صلوة العيد ويجب بطلوع الفجر الصادق يوم الفطر
فمن مات قبله او اسلم او ولد بعده لا يجب فطرته وصح تقديمها بلا فرق
بين المدة وندب اخراجها قبل صلوة العيد وقال الامام الحسن الكرخي
الا تعجل قبل صلوة بيوم او يومين يجوز والصحيح انه يجوز السنتين
وهو رواية الحسن عن ابي حنيفة وذكر لسنة السنة والسنتين

اتفاقا بل يجوز مطلقا ولو ادى عن عشر سنين او اكثر وقال خلف بن
ايوب اذا دخل رمضان يجوز وقبله لا وهكذا ذكره الامام محمد بن الفضل
ولا يسقط بتاخيرها لا داء كذا في خلاصة الفتاوى ولا تسقط بتأخيرها
لانها معلقة بالذمة دون المال ويجوز تقديمها عن وقت وجوبها
بلا تفصيل فيه بين مدة ومدة في الصحيح فهذا ثمرة كونها في بعض
الوجوبية ويجب اداء فطرة واحد على واحد حتى لو تفرقت
الى الفقيرين لا تجوز لان سبب الوجوبية الاغناء في حديث اغنوهم
فلا يستغني لو تفرقت ويجوز دفع الجماعة دفعة الى واحد لصادفة
الكل على الفقر والاحتياج ويحتمل الغناء بعده ولا يجوز دفعها
الى الاصول والفروع والمماليك والذي يجب نفقته عليه ولا يجوز
دفع الزكوة له ويجوز الى فقراء اهل الذمة مع الكراهة خلافا للشافعي
بخلاف الزكوة فانه لا يجوز دفعها اليهم بالاتفاق لكونها فرضا
ومما يجب على المؤمن المكلف صلوة العيد وخطبته كما انها في الفرض
فرضت وفي الواجب يجب خطبته والسنة كالخسوف والكسوف
وهي ركعتان في كل ركعة من الاولى والثانية ثلاثة تكبيرات
واجبة من الزوائد فجملتها ستة فيكبر اولا حين الدخول الى الصلوة
وهي تكبيرة الافتتاح فرض في كل صلوة فيقرأ سبحانك اه مع
عقد اليدين كسائر الصلوة ثم يكبر ثانيا مع ارسال اليدين ورفعها
سنة كما ان في التكبيرات فيقف قدر التسبيح ثم يكبر ثالثا
هكذا مع الرفع والارسال فيقف قدر التسبيح ثم يكبر رابعا
مع الرفع وعقد اليدين كسائر الصلوة فيقرأ الفاتحة مع السورة
فهذه التكبيرات الثلاثة الزائدة فيما عدا الفرض واجبة في الركعة
الاولى يرفع اليدان وترسل في الاوليين وترفع وتعقد في الثالثة

التكبيرات الزوائد سوى افتتاح التكبير

ثم تقرأ

ثم تقرأ الفاتحة والسورة ثم يركع مع التكبير ويسجد ثم يقوم الى الركعة
الثانية فيقرأ الفاتحة مع ضم السورة فعند تمامها يكبر مع رفع اليدين
والارسال فيقف قدر التسبيح بينهما ثم يكبر ثانيا كذلك مع الرفع
والارسال ثم يكبر ثالثا مع رفع اليدين والارسال فهذه الثلاثة من الزوائد
في الركعة الثانية واجبة كما في الركعة الاولى فيرفع اليدين على وجه
السنة في الكل بالتكبيرات الواجبة في الركعتين فتم تكبيرات صلوة
العيد هنا ثم يكبر رابعا للركوع فهذا التكبير للركوع كسائر الصلوة
في الركوع سنة وهو الاصح لان التكبير المخصوص لصلوة العيد قد تم
على مذهب الامام الاعظم فلذا قيل فيها تكبيرات الزائدة على سائر الصلوة
الفرضية والواجبة وقيل ان هذا التكبير للركوع في الركعة الثانية واجب
ايضا لاخذه حكم مقارنه وهو الواجب وهذا ضعيف لا تترتب شيء
بمقارنة الفرض كمقارنة تكبيرات ركوع الاولى في فروض الصلوة الخمسة
وبالعكس ومقارنة تكبير ركوع الثالث في تكبير الوتر الواجب في جميع
الصلوة الفرضية والوجوبية فلم ياخذ هذه التكبيرات حكم مقارنهن
فباي سند وحجة اخذ هذا التكبير في العيد حكم مقارنه وما هو المخصص به
دونهن وفيه اختلاط المذهب الحنفية بالمذهب الاخر فان تكبيرات
الركوع سنة في مذهب الامام الاعظم في جميع الصلوات وواجب
في مذهب امام مالك في جميع الصلوات سواء كان فرضا او واجبا
او نافلة وهو يجوز وتعداد التكبير والركعات والاعلام بهذا العدد
في مذهبه ليس من لوازم الصلوات اصلا فلو عد لكان التعداد في
جميع الصلوات المفروضة والواجبة والنافلة سيان بل المفروضات
احرى بالتعيين فلم يقل احد من المجتهدين في المذاهب الاربعة
فلم يكلف المصلي بتعداد تكبيرات الظهر مثلا او غيره واعتقده

على انه يلزمه ادخال البدعة في القول والاعتقاد فيها في مذهب الامام
الاعظم رحمه الله تعالى لان البدعة ما هو لم تصدر عن اصحاب الشريعة
والمذاهب ولو خص ببعض دون بعض كالشعة لكان ذلك عبثا
وكذبا صريحا وافتخارا ظاهرا على مذهبه ابتلى اكثر اهل البلاد في صلاة
العيد بشيعة تكبيرات العيد والاعلام بها والحال انه لا اكثر منها فما
التخصيص بها فاذا احتاج الجماعة الى الاعلام فالمؤذن يعلن بالتكبير
والنداء لا غير فان صلوة تعلن بتعداد التكبير والركعة حتى تعلن
صلوة العيد بالتعداد بالتكبيرات والركعات فيلزم على المؤمن اجتناب
عن الكذب والبدعة في جميع الاحوال فضلا في الصلوة من العبادات
وما يلزمها نعم اذا كثر الجماعة فالاعلام لازم ومن سنن العيد
الاغتسال قبل صلوة العيد والسواك والطيب ولبس احسن الثياب
المباحة بان يكون جديدا او غسيلا لا حريرا فانه حرام على الرجال
حتى الصبيان فان وباله على الوالدين ومن سننها ان يحيى ليلة
العيدين فان ذلك حيوة الابدية والسعادة السرمدية لما روي
انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من احيى ليلة العيد لم يمت قلبه حين
يموت القلوب رواه الامام الزندوسي في الروضة فقال المحدثون
في معناه انه لا يحب الدنيا كمحبة اهل الدنيا بل كمحبة الزراع ما
للزرع والحصاد وقيل لا يتحير في حالة النزع والقبر ولا في القيمة
ومن السنة ان يتنظف بقص الشارب وقلم الاظفار وحلق العانة
ونتف الابط ونحو ذلك مما يحتاج اليه ومن السنة ان يفطر قبل صلوة
عيد رمضان ويفطر بعد صلوة عيد الاضحى لما روي عن انس رض
انه قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يغدو يوم الفطر حتى تاكل تمرات
وياكلهن وترا ثلثا او خمسا وسبعا وانما اسرع بافطاره بعد الفطر

في سنن العيد

اظهار

اظهارا المخالفة بين هذا اليوم واليوم الذي قبله ليكون مخالفة الفعل
شعرة لمخالفة الحكم ومن السنة مخالفة الطريق في الاياب
والذهاب لما روى عن جابر رضي الله عنه انه قال كان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم اذا كان يوم العيد خالف الطريق اي يذهب بطريق ويعود
في اخر ليتبرك اهلهما وليستفيد فيهما وليتصدق وليزور قبور اقاربه
وليشهد الطريقان وليزداد المنافقون غيظا الى غيظهم ولئلا
يكثر الازدحام وليزداد اجره بازدياد الخطوات وروي عن ابن
مسعود رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صاموا
شهر رمضان وخرجوا الى عيدهم يقول الله تعالى للملائكة ان كل صائم
يطلب اجره وعبادي صاموا شهرهم وخرجوا الى عيدهم يطلبون
اجرهم اشهدكم اني غفرت لهم فينادي مناد يا امة محمد ارجعوا فقد
بدلت سيئاتكم حسنات ذكره ابن ملك في زخر العابدين وروي عن
عبد الله بن عباس رض قال سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا كان
ليلة الفطر وسميت تلك الليلة الليلة الجائزة اي اذا كان غداة
الفطر يبعث الله الملائكة في كل بلاد فيهبطون على الارض فيقومون
على افواه السكك فينادون بصوت يسمع جميع ما خلق الله تعالى الا الجن
والانس فيقولون يا امة محمد اخرجوا الى رب كريم يعطي الاجر الجزيل
ويغفر الذنوب العظيم فاذا برزوا الى مصلاهم يقول الله تعالى للملائكة
يا ملائكتي ما جزاء الاجير اذا عمل عمله فيقول الملائكة الهنا وسيدنا
جزاؤه ان توفيه اجره فيقول الله تعالى فاني اشهدكم اني جعلت ثوابهم
من صيامهم وقيامهم رضاي ومغفرتي فيقول الله تعالى يا عبادي
سلوني فوعزتي وجلالي لا تسئلوني اليوم لدينكم ودنياكم
الا اعطيتكم رواه امام الهدى ابو الليث في تنبيه الغافلين الا كله

السحت ويعتبر احوال الناس في الخروج الى المصلى الذي كالمحشر
في العرصات من انبعاث الناس على هيئات متفرقة وتشكلات منتشرة
بعضهم ملبس منظف راكب على فرسه مع خدمه وحشمه وبعضهم
ماشي ملطخ اقدامه ومتحلق اثوابه وبعضهم فريح ومسرور وبعضهم
مغموم ومجرور فلكل منهم شأن يغنيه كما في القيمة وجوه يومئذ
مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة
لما روى عن معاذ رضه انه قال سئلت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
عن قوله تعالى يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يا معاذ سئلت عن امر عظيم فدمعت عيناه ثم قال
يا معاذ يحشر من امتي يوم القيمة عشرة اصناف اشتاتا قد ميزهم الله
تعالى من جملة المؤمنين فيكون بعضهم على صورة الخنازير فيكون بعضهم
على صورة الخنازير وبعضهم على صورة القردة وهم القتاتون وبعضهم
منكوسون يسحبون على وجوههم وهم اهل الرياء وبعضهم عمي يترددون
وهم الذين يجورون في الحكم وبعضهم لا يعقلون صما وبكما كالمجانين
وهم الذين يعجبون باعمالهم وبعضهم يمضغون السنتهم فيسيل القيح
من افواههم وهم العلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم
وبعضهم مغلولة ايديهم وارجلهم وهم الذين يؤذون الجيران وبعضهم
مصلوب على جذوع من النار وهم الذين يتبعون الشهوات ويمنعون
حقوق اموالهم من الزكوة والصنف التاسع يسحبون في ثياب القطران
وهم اهل الكبر والخيلاء والصنف العاشر وهم اشد نتنا من الجيف
وهم الزناة كذا في تفسير القاضي البيضاوي وكتاب خلاصة الحقايق
فاما الاول على صور الخنازير وهم اكلة السحت وهو المال الحرام
مطلقا لانه في اللغة كل ما لا يحل كسبه من سحته اذا استأصله

نكتة اعتبار احوال الناس في صلوة العيد

[illegible]

يقضمون

محرم

محرم بيلانه مسحوت البركة كما في قوله تعالى سماعون للكذب خبر المبتدأ
المحذوف وانما كرر في الآية العزيزة ذكر قبل هذا تأكيدا لما قبله
وتمهيدا لما بعده من قوله تعالى اكالون للسحت بضم السين والحاء
المهملة كما قرأ ابن كثير وابو جعفر والكسائي وقرأ الآخرون بسكون
الحاء واصله الهلاك والشدة كما في الآية الاخرى بقوله تعالى فيسحتكم
بعذاب اي فيهلككم في شدة العذاب نزلت في حكام اليهود ككعب بن
الاشرف اذا اتاهم احد برشوة جعلها في كمه فيريها اياه ويتكلم بحاجته
فيسمع منه ويحكم له ولا ينظر الى خصمه فيستمع الكذب
ويأكل الرشوة فيحق الباطل ويبطل الحق على قول الحسن وقتادة ومقاتل
والضحاك وقال ابن مسعود رضه هو الرشوة في كل شيء وقال من يشفع
شفاعة يرد بها حقا او يدفع بها ظلما فاهدى له فقبل وهو سحت
فقيل يا ابا عبد الرحمن وما كنا نرى ذلك الا الاخذ على الحكم فقال الاخذ
على الحكم كفر لكنه ليس داعيا في دفع الظلم بخلاف الاخذ فانه مرتشي
ملعون كما قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون
فالمراد بالسحت اما الرشى التي كان يأخذها المبطلون على ابطالهم
وتحريفهم او ما كان يأخذه فقراؤهم من اغنيائهم بشهادة الزور واما
مطلق الحرام في المأكل والمشرب والملبس مع ان الناس كلهم مامورون
بامر به الانبياء باكل الحلال الطيب في قوله تعالى في سورة البقرة
يا ايها الناس كلوا مما في الارض اي بعض ما فيها من اصناف المأكولات
التي من جملتها ما حرمتموه افتراء على الله من الحرث والانعام قال ابن
عباس رضه نزلت في قوم من ثقيف وبني عامر بن صعصعة وخزاعة
وبني مدلج حيث حرموا على انفسهم ما حرموا من الحرث والانعام
والبحائر والسوائب والوصائل والحام في زمان الجاهلية قال ابن

نكتة وعيد في الرشوة

تحقيق [illegible]

عباس رضي الله عنهما البحائر جمع بحيرة وهي الناقة اذا ولدت خمسة ابطن
بحروا اذنها وشقوها وتركوها على رأسها فلم يحملوها ولم يركبوها ولم يمنعوها
الماء والكلاء ثم نظروا الى خامس ولدها فان كان ذكرا نحروها فاكله
الرجال والنساء وان كان انثى بحروا اذنها وتركوها وحرم على النساء لبنها
ومنافعها وكانت منافعها خاصة للرجال فاذا ماتت حلت للرجال والنساء
وقال ابو عبيدة رض السائبة البعير الذي يسيب وذلك اذا مرض احد
او غاب نذر ان شفاني الله وردّ غائبي فناقتي هذه سائبة فلا تحبس
عن مرعى ولا ماء ولا يركبها احد فكانت بمنزلة البحيرة وقال علقمة رض
السائبة هي العبد يسيب على ان لا ولاء عليه فلا عقل ولا ميراث
وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انما الولاء لمن اعتق فالسائبة بمعنى
المفعول اي المسيبة واما الوصيلة فمن الاغنام اذا ولدت الشاة
في الاغنام اذا ولدت الشاة سبعة ابطن نظروا فان كان السابع ذكرا
ذبحوه فاكل منه الرجال والنساء وان كان انثى تركوها في الاغنام وان كان
ذكرا وانثى استحيوا الذكر لاجل الانثى وقالوا وصلت اخاها فلم يذبحوه
وكان لبن الانثى حراما على النساء فان مات شيء منها اكله الرجال والنساء
واما الحامي فهو الفحل اذا ركب ولد ولده ويقال اذا انتج من صلبه
عشرة ابطن قالوا احمي ظهره فلا يركب ولا يحمل ولا يمنع من كلاء ولا ماء
فاذا مات اكله الرجال والنساء فروي عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال البحيرة
التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها احد من الناس والسائبة كانوا
يسيبونها لاصنامهم لا يحمل عليها روي عن ابي هريرة رض انه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رايت عمرو بن عامر الخزاعي يجر
قصبه في النار وكان اول من سيب السوائب وروي عن محمد بن ابراهيم
التيمي عن ابي صالح السمان عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم

عليه وسلم لاكثم بن جون الخزاعي يا اكثم رايت عمرو بن لحي بن قمعة بن
خندف يجر قصبه في النار فما رايت من رجل اشبه برجل منك
وذلك انه اول من غير دين اسمعيل ونصب الاوثان وبحر البحيرة وسيب
السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي ولقد رايت في النار يؤذي
اهل النار بريح قصبه فقال اكثم ايضرني شبهه يا رسول الله فقال
صلى الله تعالى عليه وسلم لا انك مؤمن وهو كافر رواه البغوي في المعالم
قوله قصبه جمعه اقصاب اي الامعاء في بطن الانسان فلما حرموا على
انفسهم هذه الاشياء الخمسة التي احلها الله تعالى لعباده فلذا امرهم
بالاكل بقوله تعالى كلوا مما في الارض ولا تتركوها على ما فعلوا الجهال
من عند انفسهم بعد ما تبين لكم الله في الكتاب بلسان رسوله حلالا
طيبا حال من الموصول اي كلوا حال كونه حلالا او مفعول لكلوا على ان من
ابتدائية وقد يجوز كونه صفة لمصدر مؤكد اي اكلا حلالا ويؤيد الاول
قوله طيبا فانه صفة له ووصف الاكل به غير معتاد وقيل نزلت في قوم
من المؤمنين حيث حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وردّه قوله
عز وجل ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقتدوا بها في اتباع الهوى
فانه صريح على ان الخطاب للكفرة كيف لا وتحريم الحلال على نفسه
زهدا ليس من اتباع خطوات الشيطان فضلا عن كونه تقولا وافتراء
على الله تعالى فانما الذي نزل فيهم ما في سورة المائدة من قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الخ وقرئ خطوات الشيطان
بسكون الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ
بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها على الواو وبفتحتين على انها
جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين تعليل للنهي اي
ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الولاية لمن يغويه

فلذلك سمى وليا فى قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت انما يامركم بالسوء والفحشاء
استيناف لبيان كيفية عداوته وتفصيل لفنون شره وفساده وانفصال
معاملتهم بدرف ذلك والسوء فى الاصل مصدر ساءه بسوءة سوء
ومساءة اذا احزنه يطلق على جميع المعاصى سواء كانت من اعمال الجوارح
او افعال القلوب على الاشتراك كلها فى اغتماس صاحبها والفحشاء
اقبح انواعها واعظمها اساءة وان تقولوا على الله عطف على الفحشاء اى
وبان تفتروا على الله بانه حرم هذا او ذاك ومعنى ما لا تعلمون انه
تعالى امر به وتعليق امره بتقولهم وقوعه منه تعالى لا بتقولهم عليه ما لا
يعلمون عدم وقوعه منه تعالى مع ان حالهم ذلك للمبالغة فى الزجر
فان التحذير من الاول مع كونه فى القبح والشناعة دون الثانى
تحذير عن الثانى على ابلغ وجه واكده وللايذان بان العاقل يجب
عليه ان لا يقول على الله تعالى ما لا يعلم وقوعه منه تعالى مع الاحتمال
فضلا عن ان يقول عليه ما لا يعلم عدم وقوعه منه قالوا وفيه
دليل على المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى
اليه ظنه المستند الى مدرك شرعى فوجوبه قطعى والظن فى
طريقه لان ظنهم اذا استند انقلب الى العلم اليقينى فلذا يجب العمل
برايه عليه ويحرم الاقتداء الى غيره روى عن عبد الله بن مسعود رضى
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا وقعت لقمة من الحرام
فى بطن ابن آدم يلعنه كل ملك فى السموات والارض ما دامت تلك
اللقمة فى بطنه فاذا تاب تاب الله عليه فان مات على تلك الحالة
فمأويه جهنم رواه البيهقى والحاكم وغيرهما وفى رواية عنه لم يقبل منه
صلوة اربعين ولم يستجب له دعوة اربعين صباحا وروى عن ابى
هريرة رضى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان
لا يبالى المرء ما اخذ من الحلال ام من الحرام رواه البخارى والنسائى
وروى عن عبد الله بن مسعود رضى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم استحيوا من الله حق الحياء قال قلنا يا نبى الله انا لنستحيى والحمد لله
قال ليس ذلك ولكن الاستحياء ان تحفظ الرأس وما وعى وتحفظ البطن
وما حوى وتذكر الموت والبلى ومن اراد الاخرة ترك زينة الدنيا فمن
فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء رواه الترمذى رح قوله وما وعى
اى جمع ان تحفظ العين عما لا يجوز النظر به والاذن عما لا يجوز الاستماع به
واللسان عما لا يجوز التكلم به والفم عما لا يجوز الاكل والتكلم به قوله وان
تحفظ البطن وما حوى اى وما معه من الفروج والامعاء من ادخال
الحرام فيها وقال بعضهم معنى وما حوى اى معى وهو واحد الامعاء اى ان
تحفظ بطنه وامعاءه من لقمة الحرام ويؤيده ما ورد فى الحديث المؤمن
يأكل فى معى واحد والكافر فى سبعة امعاء وهذا مثل لان المؤمن
لا يأكل الا من الحلال وهو قليل بالنسبة الى الحرام لانه يتقى من صرف
الحرام وشبهه والكافر لا يبالى ما اكل ومن اين اكل وكيف اكل وحال
المؤمن كمعى واحد فى القلة واحوال الكفار كالامعاء المختلفة فملا روى
عن انس بن مالك رضى انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم طلب الحلال واجب على كل مسلم رواه الطبرانى وروى عن عبد الله
بن مسعود رضى ان النبى صلى الله تعالى عليه قال طلب الحلال فريضة
بعد الفريضة رواه الطبرانى والبيهقى وروى عن ابى سعيد الخدرى
رضى انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من اكل طيبا وعمل
فى سنة وامن الناس بوائقه قال صلعم وسيكون فى قرون بعدى رواه
الترمذى وحكى عن زاهد خراسان ابراهيم بن ادهم رح انه كان بمكة
فاشترى من رجل تمرا فاذا هو بتمرتين على الارض ما بين رجليه ولم يعرف

قوله فى معى واحد يعنى فى الحلال وفى سبعة امعاء يعنى فى الحرام

وامن الناس بوائقه دخل الجنة فقالوا يا رسول الله ان هذا اليوم فى امتك لكثير

من اين وقعت على الارض امن تمرة البائع ام من التمرة التي اشتراه فرفعهما
فاكلهما فرجع الى البيت المقدس وفيها قبة وسكن فيها يوما ثم خرج بعد
العصر من كان فيها فاخفى ابراهيم نفسه ولم يره القيم فبقي فيها في تلك
الليلة فدخلت الملائكة القبة وقالوا هنا جنس آدمي وريحه فقال
واحد منها هو ابراهيم بن ادهم زاهد خراسان فاجابه آخر وقال يصعد
منه كل يوم الى السماء عمل متقبل الا ان طاعته موقوفة منذ سنة ولم
يستجب له دعوة منذ سنة قال ولم ذلك قال بتمرتين اللتين اكلهما
من الحرام فاشتغل ابراهيم تلك الليلة بالصلوة حتى طلع الفجر فرجع
الخادم وفتح باب القبة فخرج ابراهيم وصلى الغداة في بيت المقدس
فتوجه الى مكة حتى اتى الى باب ذلك الحانوت فاذا هو بفتى يبيع التمرة
فقال السلام عليك يا فتى قال وعليك السلام ما الحاجة يا شيخ قال
ابراهيم بن ادهم كان ههنا شيخ في العام الاول فاخبره واين هو قال
كان ذلك والدي فارق الدنيا قال فقص ابراهيم قصة التمرتين فقال
الفتى يا ابي قد جعلتك في حل في نصيبي وفيهما نصيب اختي ووالدتي
قال بارك الله فيك فاين والدتك واختك في التمرتين فقال اما في الدار
وقال اين دارهما قال في سكة كذا وكذا فاعلمه الدار فجاء ابراهيم الى باب
تلك الدار وقرع الباب فخرجت عجوزة متكئة على العصا فسلم ابراهيم
عليها فردت عليه السلام وقالت ما الحاجة يا شيخ فقص ابراهيم
عليها قصة التمرتين فقالت جعلتك في حل في نصيبي ودعت
بنتها حتى جعلته في حل قال ففرح ابراهيم ثم توجه الى بيت المقدس
حتى اتيها ودخل القبة واخفى نفسه عند غروب الشمس حتى اغلق
الخادم باب القبة وبقي ابراهيم فيها فلما غاب الشفق نزلت الملائكة
فقال ملك من الملائكة في القبة جنس آدمي وريحه وقال آخر هو ابراهيم

بن ادهم زاهد خراسان وهو مثلنا في الطاعات بل هو افضل منا واكثر
عبادة فقال الآخر لم يتقبل له العمل ولا اجيب له دعوة منذ سنة
بتمرتين الا انه سقط ما كان عليه منهما وجعل صاحبهما في حل فتقبل الله تعالى
ما كان موقوفا من طاعته واستجاب دعوته ورضي عنه ورفعه الى
درجته التي كانت له فبكى ابراهيم فرحا وقال يا نفس كلي طيبا تعيشي حميدا
وتبعثي يوم القيمة حميدا وكان لا يفطر بعد ذلك الا في كل سبعة ايام
مرة وحكي عن ابي يزيد البسطامي وهو قرية من قرى همدان انه عبد الله
تعالى سنين كثيرة حتى خرج من همدان الى الحج فنذر ان يصلي ركعتين في كل
خطوة الى مكة وهكذا سائر عباداته ولم يجد حلاوة العبادة من الايام
فقال يا اماه قد جهدت جهدا وبذلت سعيي بذلا ولست اجد حلاوة
العبادات وكرامة الطاعات كما وجد ابناء جنسي من الاولياء العظام
ولا ادري ما سبب هذا فتفتشت نفسي ولم اجد فيها اي شيء يذهب الحلاوة
من قلبي فانظري انت يا اماه هل تناولت شيئا من الحرام حين كنت
في بطنك قال فتفكرت وقالت يا بني حين كنت في بطني فصعدت
يوما على السطح الاعلى فوقعت بصري على اجانة فيها اقط فاشتهيت كما تشتهي
الحامل وتناولت من ذلك بقدر النملة وصاحبها لا يدري فلا ادري
ما صنعت شيئا غير ذلك فقال ابو يزيد البسطامي يا اماه ما هذا الا
ذلك وذهب الى الجار واخبره بذلك فجعلها في حل ثم قال ابو يزيد البسطامي
وجدت حلاوة العبادات ونلت سعادة الكرامات فبلغت ما بلغ الاولياء
بعنايات الله تعالى وروي عن علي بن ابي طالب رض انه قال من نظر الى الحرام
ولم يتمن ان يكون له لم يجد حلاوة العبادة اربعين يوما ومن نظر وتمنى
ان يكون له لم يجد حلاوة العبادات اربعين سنة فكيف يكون حال من طلب
وتناول واشبع بطنه في جميع اعماره كذا في حيوة القلوب وروي عن علي

فتفكر زمنا ولم يجد في كسبه شبهة فجاء الى امه يوما صح

ابي طالب رضي انه قال كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فطلع علينا رجل من اهل العالية فقال يا رسول الله اخبرني باشد
شيء في هذا الدين والينه فقال الينه شهادة ان لا اله الا الله وان
محمدا عبده ورسوله واشده يا اخا العالية انه من اصاب مالا
من حرام فلبس منه جلبابا يعني قميصا لم تقبل صلاته حتى ينحي ذلك
الجلباب عنه رواه البزار وروي عن ابن عمر رض انه قال من اشترى
ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم حرام لم يقبل الله تعالى له صلوة مادام
عليه قال ثم ادخل اصبعيه في اذنيه ثم قال صمتا ان لم يكن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم سمعته يقوله رواه احمد بن حنبل وحكي
عن فضيل بن عياض انه كان يحب ان يفطر مع ابنه علي الزاهد
فاجتنب ابنه عن طعامه ولم يأكله من ذلك اربع سنين ثم
تشفع بالعز احيانا من الاولياء فاجابه ليلة من ليالي رمضان
فلما صلى المغرب خرج ابنه علي بن فضيل الزاهد من المسجد
سريعا وتوجه الى منزل ابيه وهو ينظر اليه وتوجه مع ابيه الى
منزله فوضع ابوه المائدة بين يديه فاخرج ابنه علي الزاهد
من كمه خبزا من شعير فوضع بين يديه على المائدة وشرع يأكل
خبز نفسه ولا يتناول من خبز ابيه ولا من سائر اطعمته فلما
شبعا قال له والده فضيل يا بني افرحتني بقدومك داري
واحزنتني بامتناعك عن طعامي فلم فعلت كذا فقال يا ابت انك
تعيش من لبن شاة لك وكانت له شاة يحلبها ويبيع بعض
لبنها ويشتري بثمنها خبزا ويطبخ بعض لبنها مرقة فقال له
ابنه يا ابت طعامك حلال لك وحرام علي فاني رأيت شاتك
هذه يوما في زرع رجل قد اكلت شبعا منذ اربع سنة فاخاف

ان يكون

ان يكون بقي في بطنها قوة ذلك الزرع وانت لا تعلم ذلك فهو حلال لك
وحرام علي فلذلك لم اتناول من طعامك قال فبكى فضيل وقال يا بني
انك تبعثني الى النار ولم تبال ثم ان فضيلا باع تلك الشاة وتصدق
ثمنها وجلس متوكلا على الله بغير زاد ولا قوة فرزقه الله تعالى من حيث
لا يحتسب فكان شانه اوسع من الاول وحكي ان شقيق بن ابراهيم البلخي
رح من تلاميذ الامام الاعظم ومعتمده قال كان لابي حنيفة رح سبعين
ثوبا من ثياب خز وكل عبده بشيرا ليبيع ذلك الثياب فقال له ان في الثياب
ثوبا معيبا فاذا بعته بين للمشتري ذلك العيب الذي في ثوب كذا
قال الراوي فباع بشير ذلك الثياب كله فرجع الى الكوفة فقال له
ابو ح رح هل بينت ذلك العيب في ثوب كذا فقال له عبده بشير نسيت
قال فتصدق ابو حنيفة رح بجميع ما اصابه من تلك التجارة الاصل
والربح جميعا فكان نصيبه ثلثين الفا وقال قد دخل الشبهة فلا حاجة
لي فيه فيفهم منه ان تقواه رحمه الله في ذروة الاعلى لان الاكرم
يوم القيمة عند الله الا تقى لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم ويؤيده
ما روي عن جابر رض عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اتقوا
الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيمة واتقوا الشح فان الشح اهلك
من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم رواه
مسلم وغيره قوله ظلمات يوم القيمة قال القاضي عياض المغربي
في شرح هذا المقام قيل هو ظاهره فيكون ظلمات على صاحبه لا
يرشد بسبيل بحيث يسعى نور المؤمنين بين ايديهم وبايمانهم ويحتمل
ان الظلمات هنا الشدائد وبه فسر قوله تعالى في سورة الانعام
قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اي شدائدهما ويحتمل انها عبارة
عن الانكال والعقوبات قوله واتقوا الشح فان الشح اهلك آه

قال القاضي عياض رح يحتمل ان المراد بر هلاك الذاهبين وقال جماعة
الشح اشد البخل وابلغ في المنع من البخل وقيل هو البخل مع الحرص وقيل
البخل في افراط الامور والشح عام وقيل البخل بالمال خاصة والشح
بالمال والمعروف وقيل الشح الحرص على ما ليس عنده والبخل بما عنده
وروى عن ابي هريرة رض عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من كانت
عنده مظلمة لاخيه من عرضه او من شيء فليتحلله اليوم من قبل ان لا
يكون له دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته
وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه وحملت عليه رواه
البخاري رح قوله مظلمة بفتح الميم وكسر اللام على وزن مغفرة اسم
ما اخذه الظالم مصدر ميمي بمعنى الظلم والغفران قوله لاخيه اي
في الدين قوله من عرضه اي من تحقيره وتنقيص عرضه بين الامثال
قوله فليتحلله امر غائب من تحلل للوجوب اي ليطلب من اخيه حله
قوله من قبل اي من قبل مجيء يوم القيمة لان الدينار والدراهم لا توجدان
فيه بل يوخذ بدلهما وهو مفوض اليه تعالى قوله ان كان له عمل الخ
استيناف جواب سؤال عمن قال فكيف الحال اذا لم يكن له دينار ولا درهم
اللذين اخذهما في الدنيا قال اخذ من عمله بقدر مظلمته ان وجد له
عمل ولم يبطله ما يمحوه في الكفر والردة معاذ الله تعالى فان كسب
الاعمال اسهل وحفظها الى لقاء الله تعالى اصعب من كسبها كما ان كسب
الاموال اسهل وحفظها اصعب وكما ان صبر بلاء الفقر شديد لكن صبر
بلاء الغناء اشد منه اصعبه منه فكذا الايمان وثمراته وحفظها
قوله وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه فان قلت
لا مساوات هنا بل هذا عدل من الله العظيم الكريم تخفيفا عنه وتحقيقا
للعدل ومعنى الآية لو قال لاخيه افعل هذا ولا تخف عن وزره فانا احمله

فهذا القول باطل لانه لا يؤخذ بمجرد قوله ولا يؤاخذ به روى عن ابي
هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتدرون
من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع له فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ان المفلس من امتي من ياتي يوم القيمة بصلوة وصيام وزكوة
وياتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا
وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى
ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار رواه مسلم
والترمذي رح قال المؤلف الفقير ليس شيء اعظم من ذنوب الظلم
لانما كان بينه وبين الله تعالى مرجو ان يتجاوز عنه لانه ارحم الراحمين
فانه تعالى اذا عامل بعفوه يغفر الذنوب جميعا خاصة اذا خلص بحقه
تعالى ولم يتخلط شيء من حقوق العباد فيها تخلا في حقوق العباد فلا علاج
سوى ارضاء الخصوم اظهارا للعدل بين العباد لكن واحقاقا للحق
بين المتخاصمين فينبغي للمومن ان يجتنب عن ذرة الظلم فان وقعت
فيه بالغفلة يلزمه ان يتحلله قبل ان ياتي هذا اليوم ويتخاصم
عند حضور المولى العادل ويتوب عن مثله فاذا لم يقدر عليه
بموت المظلوم يلزمه ان يتحلل بوارثه والا فيتصدق ويهب ثوابه
للمظلوم ويدعوله ويرجو من الله العلي الاعلى عفوه ويرضيه
فانه يرجى ان يتحلله بذلك كما قال ميمون بن مهران رح ان الرجل
اذا ظلم انسانا فاراد ان يتحلل عنه ففاته ولم يقدر عليه
فاستغفر له في دبر كل صلوة ويشترك في ادعيته فمامول ان يخرج
ويتخلص من مظلمته قال المؤلف رح فينبغي لكل مومن يريد العفو
والمغفرة من الله العفو الغفور ان يعفو عمن ظلمه ويستر عيب
من كشف عيبه ويستغفر لجميع المومنين شرقا وغربا ويدعوهم

ان لم يكن حق الكفرة وحق الخصوم ان لم يكن ففي ذلك تفصيل ان لم يكن لها محل التوبة فلا علاج للاكفاء الا بالعذاب فالنار فيجب الاحتراز منهما صح

بالادعية الخيرية واهداء الثواب للارواح الطيبة ليجد ما يطلب
من عفو الله وينال ما يرغب من مغفرة الله وشفاعتهم فيه في يوم
لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وروى عن ابن مسعود
رضي الله عنه قال اذا كان يوم القيمة جمع الله تعالى الاولين والاخرين
ثم يؤتى بالعبد وينادى على رؤس الاولين والاخرين هذا فلان
بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال له ان هؤلاء
حقوقهم فيقول يا رب من اين وقد ذهب الدنيا فيقول الله تعالى
للملائكة انظروا في اعماله الصالحة فاعطوهم منها الى اصحاب
الحقوق فان بقي له مثقال ذرة من حسناته قالت الملائكة يا ربنا
بقي له مثقال ذرة من حسناته فيقول الله تعالى ضعفوها لعبدي
وادخلوه بفضلي ورحمتي الجنة وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة
الهنا فنيت حسناته وبقي الطالبون فيقول الله تعالى خذوا من سيئاتهم
فاضيفوا الى سيئاته ثم صكوا له اي ضربوا له ضربا الى النار
ومصداق ذلك قوله تعالى في سورة النساء ان الله لا يظلم فردا
من الافراد ولا احدا من الاحاد مثقال ذرة المثقال على وزن
مفعال كالمقدار من الثقل كما انه من القدر وانتصابه على انه
نعت للمفعول قائم مقامه سواء كان الظلم بمعنى النقص او بمعنى وضع
الشيء في غير موضعه اي لا ينقص من الاجر الموعود ولا يزيد في العقاب
الوعيد شيئا مقدار ذرة او على انه نعت للمصدر المحذوف نائب
منابه اي لا يظلم ظلما مقدار ذرة وهي النملة الصغيرة او كل جزء
من اجزاء الهباء في الكوة وهو الانسب بمقام المبالغة قال قلته
في الثقل اظهر من قلة النملة وعن ابن عباس رضي الله عنه ادخل يده في التراب
ثم نفخ فيه فقال كل واحد من هؤلاء ذرة وان تك حسنة اي وان تك

مثقال

مثقال ذرة حسنة انما انث لتانيث الخبر والاضافة الى الذرة وحذف
النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال
وقرئ حسنة بالرفع على ان كان تامة يضاعفها اي يضاعف ثوابها جعل
ذلك مضاعفة لنفس الحسنة تنبيها على كمال الاتصال بينهما كانهما
شيء واحد وقرئ يضعفها وكلاهما بمعنى واحد وقرئ نضاعفها بنون
العظمة على طريق الالتفات روى عن عثمان الهندي رضي الله عنه قال
لابي هريرة رض بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قال
ابو هريرة رضي الله عنه لا بل سمعته صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يعطيه الفي الفي
حسنة ثم تلا هذه الاية الكريمة والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت من
لدنه اي ويعط صاحبها من عنده تعالى على نهج التفضيل زائدا على ما وعده
في مقابلة العمل اجرا عظيما اي عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لكونه تابعا
للاجر مزيدا عليه فكيف اذا جئنا محلها اما الرفع على انه خبر لمبتداء
محذوف واما النصب بفعل محذوف على التشبيه بالحال كما هو مذهب
سيبويه او على التشبيه بالظرف كما هو مذهب الاخفش اي فكيف
حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم او كيف يصنعون
اذا جئنا يوم القيمة من كل امة من الامم بشهيد يشهد عليهم بما كانوا
عليه من فساد العقايد وقبايح الاعمال وهو نبيهم كما في قوله تعالى
في الاية الاخرى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والعامل في الظرف
مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وعظم الشان او الفعل المقدر ومن
متعلقة بجئنا وجئنا بك يا محمد على هؤلاء اشارة الى الشهداء المدلول
عليهم بما ذكر شهيدا تشهد على صدقهم لعلمك بعقايدهم لاستجماع
شرعك لمجامع قواعدهم وقيل الى المستهزئين المكذبين المستفهم

عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما تشهد سائر الانبياء على
اممهم وقيل المؤمنين كما في قوله تعا لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا وروى عن ابن عباس رضيهما انه قال قال رسول الله
صلى الله تعا عليه وسلم من اعان ظالما بباطل ليدحض به حقا فقد برئ
من ذمة الله تعالى ورسوله رواه الطبراني والاصبهاني قوله ليدحض
اي ليبطل به حقا وروى عن اوس رضه انه قال سمعت رسول الله صلى الله
تعا عليه وسلم يقول من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم انه ظالم فقد خرج
من الاسلام رواه الطبراني في الكبير وهو حديث غريب وفي رواية
من اعان ظالما فقد القى الاسلام وراء ظهره وقال الامام النووي من تبسم
في وجه ظالم او وسع له في مجلسه او رغب في عطائه فقد قطع عرى
الاسلام وكان من اعوانه واخوانه وقيل من دعى الظالم بالبقاء فقد احب
ان يعصى الله في ارضه كذا في حيوة القلوب للامام الشيتوني رح ويؤيده
قوله تعالى في آخر سورة هود ولا تركنوا اي ولا تميلوا ادنى الميل الى الذين
ظلموا اي وجد منهم الظلم في الجملة ومدار النهي هو الظلم والجمع باعتبار
جمعية المخاطبين وما قيل من ان ذلك للمبالغة في النهي من حيث انهم
جماعة مظنة الرخصة في مداهنتهم انما تتم لو كان المراد النهي عن
الركون اليهم من حيث كونهم جماعة وليس كذلك وقال الامام السدي
في تفسيره لا تداهنوا الظلمة ولا تطيعوهم والركون ميل القلب بالرضا
باعمالهم مع المحبة كما فسره ابن عباس رضيهما فتمسكم وتصيبكم
بسبب ذلك النار واذا كان حال الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم ما
في الافضاء الى مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم
والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على مصاحبتهم ويلقي شراشره على
مؤانستهم ويترقى بزيهم ويمد عينيه الى زهرتهم الفانية ويغبطهم

بما اوتوا

بما اوتوا من القطوف الدانية وهو في الحقيقة من الجنة طفيف ومن
جناح البعوضة خفيف بمعزل من ان يميل اليه القلوب فقد ضعف
الطالب والمطلوب والاية ابلغ ما يتصور في النهي التي هي العدل
فان الميل الى احد طرفي الافراط والتفريط ظلم على نفسه او غيره وقرى
لا تركنوا على لغة تميم وعلى صيغة البناء للمفعول من اركن من الافعال
وما لكم من دون الله من اولياء اي من انصار ينقذونكم من النار والجملة
نصب على الحالية من قوله فتمسكم النار ونفي الاولياء ليس بطريق ان يكون
لكل احد منهم اولياء حتى تصدق مع ان يكون له ولي بل لما كان لكم
بطريق انقسام الاحاد على الاحاد لكن لا بمعنى نفي استقلال كل منهم
بنصره بل على معنى نفي ان يكون لواحد منهم نصير بقرينة المقام
ثم لا تنصرون من جهة الله سبحانه اذ قد سبق في حكمه ان يعذبكم
بركونكم اليهم ولا يبقي عليكم وثم لتراخي رتبة كونهم غير منصورين
من جهة الله تعا بعد ما اوعدهم بالعذاب واوجبه عليهم ويجوز
ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله
تعا معذبهم وان غيره لا ينقذهم قيل ثم انهم لا ينصرون اصلا
روى عن انس بن مالك رضه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما فقال انس بن مالك رضه انصره
ظالما فقال تمنعه من الظلم فذلك نصرة اياه رواه البخاري رح
قال اهل المعارف في كتاب الله الظلم على ثلثة اوجه ظلم يغفره الله
تعا وظلم لا يغفره الله تعا وظلم يقضى الله تعا فاما الظلم الذي يغفره الله
تعا هو الظلم فيما بينهم وبين ربهم من ترك الصلوة والصوم والزكوة
والحج والجهاد اذ لا يختلطه حقوق العباد بل هو حق الله صرفا
فانه كريم رحيم يتجاوز عنه اذا اراده فالعباد كلهم يلتجؤن اليه

قوله ظالم على نفسه او غيره

قوله الظلم على ثلثة اقسام

اذ العباد المكلفون بهذه العبادات الشاقة البدنية والطاعات المالية
البشرية لا يؤديها العجزة الا مع العجز والاعتراف وهي لا تليق على
اضافة الله تعالى بها مع عظمته الاعلى وجلالته العلي الاسنى فكيف
يرجو العناية في مقابلتها والدرجات في حذائها بل يخاف انه لم يعبده
على ما يأمره ولم يقضه على ما يليقه فكيف وهو الكبير المتعال
فعنده الكل من السموات السبع والكرسي والعرش والجنان والحور
والغلمان والفرش والسدرة المنتهى وسكانها والارضين وما تحتها
وما فوقها ليس مثقال ذرة وان كبيرا عند الموجودات والمصنوعات
فمن قدر ان يقول اني صليت وصمت وزكيت وحججت على مراد الله
وأديت وقضيت على ما اراد الله بالعظمة الالهية والجلالة الربانية
وكان الموجودات والمصنوعات بالنسبة الى ذاته العلية وصفاته
الجلية كالذرة بل كالعدم لكونها من العجزة ولو كبيرة في نفسها كالعرش
والفرش وانما امر بالمامورات لالزام العباد واسكات الخصماء فالكرم
عنده لعباده والفضل لديه لمن اكرمه واتقى واعتقه وابقى وبدل
سيئاته حسنات واضعفها مضاعفة بالعنايات والجنان العاليات
لعبدة العباد على الاستطاعة وجهده وسعه قدر الطاقة وسبحان
الذي يهب لعباده المؤمنين الدرجات الرافعات وعدلهم الجنان
العاليات بادنى بهانة اظهارا للربوبية للعجزة المربوبية من حيث
لا يحتسب ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا يخطر في قلب احد
من الاحاد ولا في فؤاد فرد من الافراد وهو تعالى لا ينتقص من خزانة
الكرم مثقال ذرة من النعم وليس لهم رب غيره يفعل ما يشاء ولا اله
غيره فالعباد له لا لغيره ويحكم ما يريد ويجز بما وعد لهم من المؤ
المتقين كما قال السفيان الثوري رض الكبائر فيما بينك وبين العباد

والصغاير

والصغاير ما كان بينه وبين الله تعالى لان الله تعالى كريم يغفر الذنوب
لمن يشاء خاصة وعامة واحتج ذلك بما روى عن انس بن مالك
رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينادي مناد من العرش
يوم القيمة يا امة محمد ان الله تعالى قد عفى عنكم جميع المؤمنين والمؤمنات
تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي كذا في حيوة القلوب رح واما الظلم
الذي لا يغفر وهو الشرك سواء كان جليا او خفيا فالجلي مشهور كالاوثان
والاصنام واما الذي هو الخفي بل اخفى من دبيب النملة فهو الرياء
والسمعة فان صاحبه لم يغفر بالمرتبة كما ان الاول ما لم يؤمن بالايمان
الكامل واما الثالث من الظلم فهو الذي يحكم الله تعالى به يوم القيمة بين
بين العباد كظلم المغتاب بالغيبة والمخبر بالبهتان وقتل النفس
بغير الحق والضرب والشتم وغير ذلك من حقوق العباد بالعدالة ولا
تساقط بينهم حتى تراضوا روى عن معاذ بن جبل رض انه قال حين بعث
الى اليمن يا رسول الله اوصيني قال اخلص دينك يكفيك العمل القليل
رواه الحاكم وروى عن ثوبان رض انه قال سمعت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يقول طوبى للمخلصين اولئك مصابيح الهدى تنجلي عنهم
كل فتنة ظلماء رواه البيهقي رح وروى عن ابي فراس رض انه قال نادى رجل
فقال يا رسول الله ما الايمان قال الاخلاص وفي رواية قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم سلوني عما شئتم فنادى يا رسول الله ما الاسلام
قال اقامة الصلوة وايتاء الزكوة قال فما الايمان قال الاخلاص قال
فما اليقين قال التصديق رواه البيهقي رح وروى عن ضحاك بن
قيس رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تبارك
وتعالى يقول انا خير شريك فمن اشرك معي شريكا فهو لشريكي يا ايها الناس
اخلصوا اعمالكم فان الله لا يقبل من الاعمال الا ما اخلص له ولا تقولوا

[illegible]

[illegible]

[illegible]

هذه لله وللرحم فانها للرحم وليس لله منها شيء ولا تقولوا هذه لله ولوجوهكم
فانها لوجوهكم وليس لله فيها شيء رواه البزار والبيهقي رح وروي عن
عبادة بن الصامت رض انه قال يجاء بالدنيا يوم القيمة فيقال ميزوا
ما كان لله فيماز ويرمى سائره في النار رواه البيهقي رح وروي عن
ابي الدرداء عن النبي صلى الله تعالى عليه انه قال الدنيا ملعونة ملعون
ما فيها الا ما ابتغي به وجه الله رواه الطبراني وروي عن ابن عباس
رض ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من اخلص لله اربعين
يوما ظهر ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه رواه رزين العبدي وكما
سئل سعيد بن جبير عن الاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله لله
تعالى ولا يشرك به في دينه ولا يرائي بعمله احدا وقال يحيى بن معاذ
الاخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم وقال
الفضيل بن عياض ترك العمل من اجل الناس رياء كما ان العمل لاجل
الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله عنهما وقال بعض العارفين
هو ان يساوي عمل العبد في الاخلاص في الظاهر والباطن ولا يجب
ان يحمد على عمله وهذا هو الحقيقة في الاخلاص وروي عن عبادة رض
انه قال دخلت يوما على شداد بن اوس رض في مصلاه وهو يبكي فقلت
يا ابا عبد الرحمن ما الذي ابكاك قال حديث سمعته من رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم قلت وما هو قال بينما انا عند رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم اذ رايت بوجهه امرا ساءني فقلت فداك ابي وامي يا رسول الله
ما الذي ارى بوجهك قال امرا اتخوفه على امتي الشرك والشهوة الخفية
قلت وتشرك امتك من بعدك قال يا شداد اما انهم لا يعبدون شمسا
ولا وثنا ولا حجرا ولكن يراؤون الناس باعمالهم قلت يا رسول الله الرياء
شرك قال نعم قال فما الشهوة الخفية قال يصبح احدهم صائما

فتعرض له شهوة من شهوات الدنيا فيفطر رواه الحاكم رح وروي عن شداد
بن اوس رض انه قال سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه يقول من صام
يرائي فقد اشرك ومن صلى يرائي فقد اشرك ومن تصدق يرائي فقد
اشرك رواه البيهقي وروي عن محمود بن لبيد رض انه قال خرج النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال ايها الناس اياكم وشرك السرائر قالوا يا رسول الله
وما شرك السرائر قال يقوم الرجل فيصلي ويزين صلوته جاهدا لما يرى
من نظر الناس اليه فذلك شرك السرائر رواه ابن خزيمة في صحيحه
وروي عن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم اذا زين الرجل بعمل الاخرة وهو لا يريدها ولا يطلبها لعن في السموات
والارضين رواه سليمان الطبراني وروي عن الجارود رض انه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من طلب الدنيا بعمل الاخرة طمس وجهه
ومحق ذكره واثبت اسمه في النار رواه الطبراني في المعجم الكبير رح
وروي عن انس بن مالك رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم اذا كان اخر الزمان صارت امتي ثلث فرق فرقة يعبدون الله تعالى
خالصا وفرقة يعبدون الله رياء وفرقة يعبدون الله ليستاكلوا به
اموال الناس فاذا جمعهم الله يوم القيمة قال الله تعالى للذي يستاكل باموال
الناس بعزتي وجلالي ما اردت بعبادتي فيقول وعزتك وجلالك
اردت ان استاكل به اموال الناس قال الله تعالى لم ينفعك ما جمعت
انطلقوا به الى النار ثم يقول للذي يعبد رياء بعزتي وجلالي ما اردت
بعبادتي فيقول بعزتك وجلالك اردت رياء الناس قال الله تعالى
لم يصعد الي شيء من عبادتك انطلقوا به الى النار ثم يقول للذي
كان يعبد خالصا بعزتي وجلالي ما اردت بعبادتي قال بعزتك
وجلالك انت اعلم بذلك مني اردت به ذكرك ووجهك

قال صدق عبدي انطلقوا به الى الجنة رواه الطبراني في الاوسط كما
قال الله تعالى في اخر سورة الكهف ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اي
صدقوا وحدانية الله في قلوبهم وجعلوها وعاء للايمان كما جعلوا
السنتهم مبشرة له واظهروا واثمر آثره بمرادا لهم كما ان الاشجار
المباركة الطيبة بازهارها وزينت بانعامها وامروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر اظهارا للاخوة في الدنيا واضمارا للشفاعة في
العقبى كما هو الاحرى لاهل الاخرى من اهل الفتوى واصحاب التقوى
كانت لهم في الازل في علم الله الازلي موافقة حركاتهم الى التقدير
الازلية والتدبير الابدية جنات الفردوس وهو ربوة خضر
في الجنة اعلاها واحسنها يقال لها في لسان اهل الجنة سرة
الجنة واصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل نزلا اي منازل
مهيئة لهم ويقال لما هيئ للضيف اظهارا للاكرام المضيف
خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا تحولا لانهم
لا يرون فيها الا ما يرغبهم في الاقامة الابدية والتخليد
السرمدية كما انه هنا كناية عن التخليد على ما قال بعضهم وعدم
الانتقال منها اذ لا يجدون اطيب منها حتى ينازعهم اليه
انفسهم عن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم اذا سألتم الله فاسئلوه الفردوس فانه اوسط
الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة
رواه البغوي قال كعب رض ليس في الجنان جنة اعلى من جنة
الفردوس فيها الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر قال
الامام قتادة رح الفردوس ربوة الجنة واوسطها وافضلها
وارفعها وقال مجاهد هو من الالسنة الرومية وقال عكرمة

بلسان

بلسان الحبش وقال الزجاج هو الرومية منقول الى العربية جمعه
فراديس وهي البقعة الملتفة بالاشجار المستحسنة التي تنبت فيها
ضروب الثمرات والنباتات وانواع الغرف العاليات قل لو كان البحر
اي جنس البحار مدادا لكلمات ربي لمتعلقات علمه الازلي ومعلوميه
السرمدي وحكمه الابدي والمداد ما يكتب به وما يمد به الشيء لانه اسم
الة كالحبر للدوات والتسليط للسرج وهو الزيت في لسان العرب
والتسمية بلسان اهل اليمن لنفد البحر وفني جنس الماء فيه باسره لان كل
جسم متناه والله سبحانه وتعالى وصفاته محيط للاشياء ومنزه عن
الجسمية والمكانية والزمانية موجود بوجود قديم فكذا صفاته
قديمة وغير متناه لان التناهي والفناء صفة الحوادث وهو تعالى
قديم مع صفاته الاعلى وجلاله الاسنى قبل ان تنفد كلمات ربي
فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه وحكمته ولو جئنا بمثله اي
بمثل ماء جنس البحر مددا زيادة عليه ومعونة اليه لان مجموع
المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون
الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد
قبل ان ينفد غير المتناهي لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومددا
بكسر الميم جمع مدة وهو ما يستمده الكاتب ونصب مددا على التمييز
قل انما انا بشر مثلكم لا ادعي في علمي الاحاطة على كلماته المحيطة
بكل الموجودات والمصنوعات وانا من الموجودات المحاطة والمحاط
ليس يتيسر له الاحاطة فلذا امرني ربي بقوله العزيز في كتابه
العزيز وقل رب زدني علما وما اوتيتم من العلم الا قليلا وما اوتي
الي من الحكمة بالاضافة الى علمه تعالى وحكمه اقل قليل لقوله تعالى
وما اوتيتم من العلم الا قليلا لا يجب لا يقبل النسبة اليه ولذا كان

بالإضافة الى الامثال كالاجر لم يعطه الى غيري من البشر من حيث
يوحى الى انما الهكم اله واحد اى ما هو الا منفردة فى الوحدانية ولا
الوهية لا شريك له فى ذاته الاعلى ولا نظير له فى صفاته الاسنى
وانا اعرف بشريتى مع النبوة والرسالة والتبليغ كافة للناس
شرقا وغربا بعدا وقربا بشيرا للمؤمنين المخلصين ونذيرا للكافرين
المتعندين بمنة تعالى واصطفائه على من بينكم واجتبائه تعالى
عليكم بالتوحيد الالهية انتقالا من جدى خليل الرحمن دينا قيما
ملة ابيكم ابرهيم الحادى والثلثين من الاباء والاجدادية وانما
تمتزى به فيكم فامنوا به وبرسوله الذى وعد فى كتابكم كما امركم
فيه ووحدوه ولا تشركوا به من الاوثان الباطلة واخلصوه من الاعمال
الصالحات والعبادات الخالصات فمن كان يرجو لقاء ربه ويأمل
حسن ملاقاته بالاكرام وانواع الاعزاز والتوقير والاحترام
بعد الموت ويخاف رؤيته باشد العذاب وامد العقاب فى مقابلة
الجزاء لانه اذا خلى وطبعه ولم يمت الى يوم القيام لم ينفك عن الاعمال
الفائقة والافعال اللائقة مادام النور فى الظلام فكذلك الجزاء
بالخير ولا بد من جنس العمل اذ كل نفس بما كسبت رهينة فليعمل عملا
صالحا يرضى الله به وهو الايمان الخالص مع الاعمال الخالصة
لوجه الله تعالى وهو محسن فله اجره غير ممنون ويوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب ولا يشرك بعبادة ربه احدا اى لا يرائى فيها
ولا يبتغى بها الا وجه ربه خالصا له ولا يخلط بغيره بان يطلب
منه اجرا قبل الطلب من الله تعالى يوم الجزاء والحساب بجزم المعطوف
للعطف على الجزاء روى عن جندب بن زهير قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم انى لا اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرنى فقال ان الله

لايقبل

قوله الحادى والثلثين باعتبار ما مضى بينه وبين نبينا من الرجال المسلسلة المضبوطة منه

لايقبل ما شورك فنزلت تصديقا له وروى عن ابى هريرة رضى
ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال قال الله تعالى انا اغنى الشركاء
عن الشرك فمن عمل لى عملا اشرك فيه غيرى فانا منه برئ وهو للذى
اشرك رواه ابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه والبيهقى رح انه قال
ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر
يا رسول الله قال صلى الله تعالى عليه وسلم الرياء رواه البغوى وروى
عن ابى الدرداء رضى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حفظ عشر آيات من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال
وفى رواية عن سهل بن ابى رضى عن ابيه انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ اول سورة الكهف وآخرها كانت له
نورا من قدمه الى رأسه ومن قرأها كانت له من الارض الى السماء رواه
البغوى

الفصل الرابع عشر

فى وجوب الاضحية وثواب
الذبح وكيفية الذبح والتعظيم وثمرة قبولها كما قال الله تعالى
فى سورة الحج ليشهدوا متعلق بقوله تعالى يأتوك رجالا اى مشاة
جمع راجل كقيام جمع قائم وقرئ بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديده
ورجالى كعجالى اى يحضروا منافع عظيم الخطر كثيرة العدد او نوعا
من المنافع الدينية والدنيوية المختصة بهذه العبادة واللام فى قوله
تعالى لهم متعلق بمحذوف هو صفة للمنافع اى منافع كائنة لهم
ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وفى جعله
غاية للاتيان ايذان بانه الغاية القصوى دون غيره وقيل هو كناية
عن الذبح لانه لا ينفك عنه فى ايام معلومات على ايام النحر
كما ينبئ قوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الانعام فان المراد بالذكر
على ما وقع عند الذبح لا مطلق الذكر وقيل هى عشرة ذى الحجة الشريفة

وقد علق الفعل بالمرزوق وبين بالبهيمة تحريضا على التقرب
وتنبيها على الذكر فكلوا منها التفات الى الخطاب والفاء فصيحة
عاطفة مدلولها على مقدر قد حذف للاشعار بانه امر محقق
غير محتاج الى التصريح به كما فى قوله فانفجرت اى فاذكروا اسم الله عليها
فكلوا من لحومها والامر للاباحة وازاحة ما كانت عليه اهل الجاهلية
من التحرج او للندب الى مواساة الفقراء ومساواتهم واطعموا البائس
اى الذى اصابه بؤس وشدة الفقير اى المحتاج وهذا الامر للوجوب
وقد قيل به فى الاول ايضا ثم ليقضوا تفثهم اى ليؤدوا ازالة وسخهم
او ليحكموها بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد
عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر فى حجهم وقيل
مواجب الحج وقرئ بفتح الواو وتشديد الفاء من التوفية وليطوفوا
طواف الركن الذى به تمام الحج فانه قرينة قضاء التفث وقيل
طواف الوداع بالبيت العتيق اى القديم فانه اول بيت وضع
للناس كما كان محله اول خلق من الارض ثم انبسطت منه الى سائرها
او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه
فقصمه الله عز وجل كما فى ابرهة اليمانية اصحاب الفيل واما الحجاج
الظالم الثقفى فانما قصده اخراج ابن الزبير رض لا التسلط
عليه للهدم ذلك اى الامر ذلك وهذا وامثاله يطلق
للفصل بين الكلامين او بين وجهين كلام واحد ومن يعظم
حرمات الله اى احكامه وسائر ما لا يحل هتكه بوجوب مراعاتها
والعمل بموجبها اى ومن يكرم ما اكرمه الله وما امره بوجوب اكرامه
من الانبياء عليهم الصلوات وقيل الحرم ما يتعلق بالحج من التكاليف
وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام فهو خير له

اى فالتعظيم

اى فالتعظيم خير له ثوابا عند ربه فى الآخرة لوجود الاطاعة منه
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير من لتشريفه
وللاشعار بعلية الحكم واحلت لكم الانعام وهى الازواج الثمانية
من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر
اثنين احلت للمؤمنين وحرم اهل الجاهلية قبل البعث كلها بعد
الذبح على الاطلاق الا ما يتلى عليكم تحريمه بالآية التالية تحريمها
استثناء متصل منها على ان ما عبارة عما حرم منها العارض كالميتة
وما اهل به لغير الله والجملة اعتراضية جيء به تقريرا لما قبله من الامر
بالاكل والاطعام لقوله تعالى فكلوا منها واطعموا ودفعا لما عسى يتوهم
ان الاحرام يحرمه الصيد والاستثناء منقطع اذ المتلو بآية التحريمية
فى سورة المائدة بقوله تعالى حرمت عليكم الميتة ولحم الخنزير وما اهل
لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع
الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام اذ المتلو
كلها ليس من جنس الانعام فاجتنبوا الرجس اى القذر فهذا على قول
الامام الزجاج والرجس بمعنى الرجز وهو العذاب والعقاب المتهيئ
للمشركين اى سبب الرجس والعذاب من الاوثان اى اتركوا عبادتها
بيان للرجس لانه يعم الاوثان وغيرها ووجه التسمية بكون الاوثان رجسا
هو التشبيه البليغ اى انفروا عنها كما تنفر طباعكم من رجس القذر
او العذاب فانها مما يجب الاجتناب عنها واجتنبوا قول الزور
اى الكذب والبهتان وهو قولهم هذا حلال وهذا حرام للافتراء
على الله وهذا تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور
والانهماك فى الغواية وهو كذب الضلالة بعد الهداية وكأنه
لما حث على تعظيم الحرمات اتبع ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه

من تحريم البحاير والسوايب ولافتراء على الله تعالى بانه حكم ذلك انه حرم
او حلال وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قام النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم خطيبا فقال يا ايها الناس عدلت شهادة الزور بالشرك
بالله تعالى ثلاثا وتلا هذه الاية والزور من الزور وهو الانحراف
الذي هو القلب والصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع
وقيل بقول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك
هو لك تملكه وما ملك وهذا شرك محض ونهاية حماقة حيث
سلبوا الشرك اولا فمعناه انت واحد في الازل والابد وانت خالق
الاشياء من العالم والكائنات وما غيرك مخلوقك وملكك فلا محل
للاستثناء بعد الاعتراف بان الكائنات من الموجودات والمخلوقات
من المصنوعات كلها لله تعالى فلا معنى لا شريك هو لك فسبحان الله
عما يصفون وله الحكم في الاولى والاخرة واليه ترجع الامور اللهم
يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك وشريعة حبيبك حنفاء لله
اي مائلين عن كل دين زائغ الى الدين الحق مخلصين لله في التلبية
والاجتناب عن معصية الله غير مشركين به اي شيئا من الاشياء
فيدخل في ذلك الاوثان دخولا اوليا وهما حالان من واو فاجتنبوا
ومن يشرك بالله جملة ابتدائية مؤكدة لما قبلها من الاجتناب
عن الاشراك واظهار الاسم الجليل لاظهار كمال قبح الاشراك
كظهور قبح العبد المملوك المستغرق بانواع نعم سيده ولا هانة
في مقام شكر نعمه فمثله في الدنيا فكانما خر من السماء لانه سقط
من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير اي تسلبه بسرعة
وتذهبه او تهوي به وتسقطه الريح وتذهبه من السماء العالي
في مكان سحيق بعيد متلف وهو وادي الضلالة والبعد من رحمة

وجنانه

[illegible]

وجنانه المهيئة له لولاه لو لجه بحيث طرح الشيطان في الضلالة
لا رافة معه كما انه سحق عن الرحمة سحق ذلك المشرك مثله واو
للتخيير كما في او كصيب او للتنويع ويجوز ان يكون من باب تشبيه
المركب فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا
شبيها باحد الهلاكين فشبه الايمان بالشجرة العالية التي اتصل
رأسها الى السماء فالمؤمن تمكن عليها فاذا سقط عنها وخر من السماء
الى حضيض الارض وهو السجين وهو مكان الكفار والفجار كحاله
كحال الفجار وفيه استعارة تمثيلية كما في قوله العزيز وسع كرسيه
السموات والارض ذلك اي الامر هو المذكور من اجتناب الرجس وقول
الزور وامتثلوا ذلك واطيعوا لله ولرسوله فيما امره ونهيه ولا تخالفوهما
لئلا تكونوا كالمخالفين ومن يعظم شعائر الله وهي الهدايا المقلدة
في معالم نسك الحج ليعرف انها هدايا معلومة لا يتعرض لها في التعظيم
كما ينبئ قوله والبدن جعلناها لكم من شعائر الله وهو الاوفق لما بعد
وتعظيمها اعتقاد التقرب بها من اجل القربات وان يختار حسانها
وسمينها وصحيحها وذكورها ويطعمها ويسقيها ولا يضربها ولا يؤذيها
ويحسن ذبحها ويكرمها بانواع الاكرام وينعمها باصناف الاحترام
في الحيوة ويحفر لدمها وعظامها واشعارها وما يخرج منها او يقسمها
ثلاثا كما فعل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في كل شيء منها ثلثها صدقة
وثلثها هدية للفقراء وثلثها للاغنياء وثلثها للاولاد والعيال
هذا على السنة فلا تحصل الا بهذا التثليث وان كان الهبة كلها
الى الفقراء جائزة لكن لا تحصل السنة الهدي فانها اي فان تعظيمها
المامور من الله من افعال ذوي تقوى القلوب فحذف هذه المضافات
والعائد الى من او المعنى فان تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب وتخصيصها

[illegible]

بالاضافة لانها مركز التقوى التى اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها
فى سائر الاعضاء لانها سلطان الوجود ومحل العقل المحمود روي عن جابر
بن عبد الله رضى الله عنه انه قال فى حجة الوداع ساق رسول الله صلى الله عليه
وسلم مائة بدنة فنحر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة وستين
بدنة ونحر علي رضى ما بقي ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تؤخذ
بضعة من كل بدنة فجعل فى قدر فاكلا من لحمها ومن مرقها رواه
البغوي رح وعن ابي هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من وجد سعة ولم يضح فلا يحضر مصلانا رواه الحاكم وفى رواية
احمد بن حنبل وابن ماجه فلا يقربن مصلانا اي لا يدخل مساجدنا ففى هذا
الحديث تهديد عظيم مؤكد بعدم الحضور فى رواية وبعدم التقرب
الى مجمع المؤمنين فضلا عن الاضافة الى النون التشريفية وفضلا
عن الدخول فهذا العنوان جزاء من ترك الفرض عن عمد باى وجه كان
ولهذا ذهب الامام الاعظم والهمام الافخم رح الى وجوبية الاضحية
مستدلا من هذا الحديث الاصح المشددة وروى عن ابى امامة رضى
الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خير الاضحية الكبش
وخير الكفن الحلة رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه الا انه قال
الكبش الاقرن واما الامام يعقوب الانصاري صاحبها فى المشهور بكنيته
بابى يوسف والامام محمد من اجل تلاميذ الامام الاعظم والامام الشافعي
من تلاميذ امام محمد رحمهم الله تعالى ذهبوا الى ان الاضحية سنة مؤكدة
كما ذهب اليها الطحاوي حيث قال سمعت ابا الفضل احمد بن محمد
الحمداني رح انه يقول ايها الناس من كان له سعة فليضح ويعتبر
مني ولا يهمل ولا يتكاسل فانى كنت ذا مال وثروة كثيرة مقدار
ثلاثين الف دينار فاهملت وتكاسلت من الاضحية عشر سنين

مطلب خير الاضحية والكفن

على الولاء فصرت فقيرا كما ترى ولم اعرف سبب فقري بعد اصبت
حتى رايت ليلة برباط قرية بيروزه فى المنام كان آتيا اتاني فقال لي
يا ابى الفضل لم تشكر الله بشاة اضحية فى كل عام فابتلاك الله بذل
الفقر فكان ابو الفضل ينادي كلما مر على جماعة يا ايها الناس عليكم
بالاضاحى فانها سبعة لعيالكم ومرضاة لربكم وشكر لنعمتكم ومركبكم
على الصراط كذا فى الروضة وروي عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عظموا ضحاياكم فانها على الصراط
مطاياكم وفى رواية استفرهوا ضحاياكم فانها مطاياكم على الصراط
رواه عبد الملك بن ابى محمد الجويني الملقب بامام الحرمين فى كتاب
الحديث وصححه ابن كمال العلامة فى شرح حديث الاربعين ورواه
الديلمي فى مسنده قوله ضحاياكم جمع اضحية يجاذ ولى سمي بها باعتبار
ذبحه وقت الاضحى يقال ضحى بكبش وغيره اذا ذبحه وقت الضحى
من ايام الاضحى ثم كثر استعماله فيطلق على الذبيح فى آخر النهار
ونصفه كذا فى المغرب قوله استفرهوا اي اطلبوا الجيد والسمين
الصحيح والحسان الاقرن وفى الصحاح الجوهري يقال للبقر
والحمار فارهة ولا يقال للفرس فارهة ولكن يقال رابع وجواد وروي
عن ام المؤمنين عايشة الصديقة رضى الله تعالى عنهما وعن والديها
قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما عمل ابن آدم من عمل
فى يوم النحر احب الى الله تعالى من اهراق الدم وانه ليأتي يوم القيمة
بقرونها واشعارها واظلافها وان الدم ليقع من الله تعالى بمكان
قبل ان يقع من الارض فطيبوا بها انفسا رواه ابن ماجه والترمذي
والامام البغوي فى المصابيح قوله من اهراق الدم اي اراقته فاستعملنا
على الفصاحة كما وقع فى هذا الحديث الصحيح قوله انه بكسر الهمزة

مطلب فقر ابى الفضل

مطلب فى عظم حديث الاضحية وشرحه ورواية

لانه وقع بعد القول ومقوله والضمير يرجع اما الى المضحى بره والى الآية
الدم وهو عبارة عنه فالمعنى واحد قوله بقرونها جمع قرن وهي
عبارة عما نبتت العظام على يمين الرأس وشماله في المشهور قوله
واشعارها جمع شعر بفتح الشين المعجمة وهي عبارة عن الاشعار
التي نبت على اظهر الدواب والاغنام وغيرها مما البسه الله بقدرته
وجدده في كل سنة حفظا عن البرودة في الشتاء والحرارة في الصيف
فتبارك الله احسن الخالقين قوله واظلافها جمع ظلف وهو ظفر
الدواب قوله فطيبوا بها نفسا جواب للشرط المحذوف اي اذا علمتم
ان الضحايا من اجل القربات واعظم العبادات في ذلك اليوم المبارك
الى الله تعالى يقبله قبل ان يقع الى الارض ويجزيكم بجزاء اوليائه
فليكن انفسكم بالتضحية غير كارهة لكثرة قيمتها ووفرة مشقتها
بل لتقل نفسكم لو كانت لي دراهم كثيرة ودنانير وفيرة لاشتريت
الضحايا الكثيرة وذبحت لرضاء ربي فنلت اضعاف هذه الاجور
الموعودة المهيئة عند الله تعالى لخالص عباده الذين يؤثرون على انفسهم
رضاءه تع ولو كان بهم خصاصة فاكون من الصادقين المفلحين
الموصوفين في كتابه العزيز كما يؤيده ما روى عن ابي سعيد الخدري
رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا فاطمة قومي الى اضحيتك
فاشهديها فان لك باول قطرة تقطر من دمها ان يغفر لك ما سلف
من ذنوبك قالت فاطمة يا رسول الله النا خاصة اهل البيت او لنا
وللمسلمين عامة قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بل لنا وللمسلمين
رواه البزار وابو الشيخ وابن حبان في كتاب الضحايا والامام ابي الهدى
ابو الليث في التنبيه وفي رواية ابن عطية عن ابي القاسم الاصفهاني
وهو عن علي بن ابي طالب رض ولفظه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

قال يا فاطمة

قال يا فاطمة قومي فاشهدي اضحيتك فان لك باول قطرة تقطر
من دمها مغفرة لكل ذنب اما انه يجاء بدمها ولحمها فيوضع ميزانك
سبعين ضعفا فقال ابو سعيد يا رسول الله هذا لآل محمد خاصة
فانهم اهل لما خصوا به من الخير او لآل محمد وللمسلمين عامة قال لآل محمد
خاصة وللمسلمين عامة رواه ابن عطية في تفسيره وروى عن زيد بن
ارقم رض قال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما هذه
الاضاحي سنة ابيكم ابراهيم قالوا فما لنا فيها يا رسول الله فقال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بكل شعرة حسنة قالوا فالصوف
ابكل الصوف من افراد الاشعار قال النبي صلى الله تعالى بكل شعرة
من الصوف حسنة رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد وكذا في مشكوة
المصابيح وروى عن وهب بن منبه رض انه قال ان داود صلوات الله
على نبينا وعليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين قال يا الهي ما ثواب
من ضحى من امة محمد قال الله تعالى ثوابه ان يعطيه عطية بكل شعرة
على جسدها عشر حسنات وامحى عنه عشر سيئات وارفع له عشر
درجات قال داود الهي ما ثوابه اذا عقد قوائمها الثلث قال سهل الله
عليه عقبة الميزان قال داود ما ثوابه اذا شق بطنها قال اخرجه
من القبر آمنا من الجوع والعطش وفزع يوم القيمة وله بكل شعرة
قصر في الجنة وجارية من الحور العين وله بكل لحم طير في الجنة
كامثال البخت وهو مركب من ذوات الاجنحة خطوها مد البصر
يركبها اهل الجنة فيطير بها حيث يشاء واما علمت يا داود ان الضحايا
تمحو الخطايا وهي المطايا يوم القيمة لامة محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم كما قال الله تعالى في سورة مريم في كتابه العزيز
يوم نحشر منصوب على الظرفية بفعل مؤخر من قوله ويكونون عليهم

يحتمل ان الحاصل اهل التقوى في النظر
والعمل

صِدْقاً او بما بعده من قوله ولا يملكون الشفاعة فقد حذف للاشعار
بضيق العبارة عن حصره وشرحه لكمال فصاحته مايقع فيه من الطامة
الكبرى التامة والدواهي العليا العامة او بفعل مقدر مقدم اى اذكر
وعظ لعبادي يوم يجمع المتقين المتصفين بصفة التقوى بكل
الجوارح المأمورة المناسبة لها فرادى وللموافقة وحدها من النظر
المعتبر الى السموات العلى والكواكب المنيرة المختلفة المقتدى بغير عمد
وساق من الآفاق على الوفاق مجتنباً عن عبث النظر عما يحل فى الخطر
مستدلا به على وحدانية ذات الله وكمال صفات الله بحيث لا يمكن
الاشتراك لفرد من الافراد كما لا يتمكن الاشتباه لذاته تعالى
فى احد من الآحاد فيجب الاطاعة والانقياد الى هذا الرب الجليل القدرة
وجميل العناية على المؤمنين المتقين فى كل الاحوال والمعتبرين بجميع
الجوارح عما وضعها الله تعالى فيما خلقت له وامرت فيه كما عرفت من العين
النظر فاعترف من الاذن ما خلقت له وكذلك سائر الاعضاء التى
خلقت لخدمة الوجود فى العبادات والطاعات والاعمال الصالحات
والافعال الخالصات للمعبود الذى قال لهم نحشر المتقين بنون العظمة
تعظيما لشانه وتفخيما لعباده بما انعم عليهم ولم ينعم على غيرهم من الجمع
والحشر من القبور او بعد الحساب الى الجنة الموعودة عند ربهم الكريم
الرحمن برضوانه الاكبر وكرامته الانور على الابرار وانما عنعن بعنوان
الرحمن الذى هو من اسمائه الحسنى وصفاته العليا لانه من الرحمة
وهى من صفات الذاتية القديمة وهى ارادة ايصال الخير ودفع الشر
فيما لايزال وارادة الله تعالى ازلية فعلى هذا يكون المعنى اذكر يوم نجمع
المتقين من عبادى فى الدرجات العاليات من الجنات الرافعات
مرتبة فى ازل الآزال لا نكرم عليهم وننعمهم بما انعمت على اوليائك

وهيهات لهم نزلا لاصدقائه وقال الآخرون من العلماء المتكلمين
والعظماء المجتهدين بان الرحمن من الرحمة وهى من صفات فعل الله
تعالى وهى ايصال الخير ودفع الشر مطلقا فعلى هذا كان المعنى يوم نجمع
عبادى الذين انعمت عليهم وجعلتهم من المتقين بانواع جلائل النعم
واصناف عظائم الكرم لينالوا جميع السعادات الدنيوية والكرامات
الاخروية آخذين لها وفدا اى مبشرا الى اهله الجنة وساعيا الى
الدرجات وراكبا على ضحاياه كحال الوفاد الى الملوك الدنيوية منتظرين
الى الخبر والبشارة متهيئين عندهم الكرامة بالدراهم والدنانير
المستحقة لهم جمع وافد كركب جمع راكب والوفد هو ياتى بالخبر
والبشارة كما يقدم الوفاد الراكب على الجود الفرس ليستبشر الملوك
الذين ينتظرون الخبر متهيئا عندهم الكرامة الكبيرة والدنانير الوفيرة
والمناصب العلية والملابس الرفيعة التى لا يقدرها الا الملوك كما هو
المشاهد وفى اختيار هذا الاسم العالى بين الاسماء الحسنى تبشير
بان المتقين يدخلون الجنة بدخول الاول ساريين الى مغفرة الله
ورضوانه والى جناته ودرجاته والى حورائه ولذاته والى ما اعد الله لهم
من النعم الدائمة والكرم الباقية والدولة الابدية والسعادة السرمدية
والتبشير الى اهل الجنة بملاقات اصحاب الغرفة كما يسرع الوفاد
لملوك الدنيا الدنية عند خصاصة العجلة اللهم اجعلنا من المتقين
الذين قالوا هذه النعم العلية من بين المؤمنين وروى عن ابن عباس
وعن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهم او يسر لنا شفاعتهما انهما
قالا فى معنى وفدا اى ركبانا على نوقهم ونجائبهم وضحاياهم رحالها
الذهب وسروجها يواقيت وروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما من ايام العمل الصالح فيهن احب الى الله

تعالى من هذه الايام العشرة قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال
ولا الجهاد في سبيل الله الا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك
بشيء وروى عن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ما من ايام احب الى الله تعالى ان يتعبد له فيها من عشر ذي الحجة
يعدل صيام يوم منها بصيام سنة وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة
القدر كذا في المصابيح للحافظ حسين البغوي رح وروى عن علي بن
ابي طالب رض انه قال ان العبد اذا ضرب اي وضع على الارض وذبحه
فاول قطرة تقطر من دمه كانت كفارة لذنوبه ورفع الله له بكل
شعرة على الاضحية درجة في الجنة وفي تلك الدرجة خيمة من لؤلؤ
مجوفة فيها الحور العين ويركب على قربانه يوم القيمة ويكون وفد
الرحمن في عطائه ونصرته كذا في تفسير كنز الياقوت وفي رواية
عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من ضحى اضحيته فاذا خرج من
قبره يراه قائما على راس القبر فاذا شعره من قضبان الذهب
وعيناه من يواقيت الجنة وقرناه من الذهب فيقول من انت لاني
شيء انت ما رايت شيئا احسن منك فيقول انا قربانك الذي قربت
في الدنيا ثم يقول اركب على ظهري فيركب عليه ويذهب بين السماء
والارض الى ظل العرش كذا في كنز الياقوت وروى عن عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صام يوم التروية
فكانما عبد الله تعالى اثنتي عشرة الف سنة وفي رواية اخرى من صام
يوم التروية ويوم عرفة كتب الله تعالى بعدد نجوم السماء صوما وزوجا مثلها
من الحور العين ومن صبر يوم النحر حتى يصلي وجبت له شفاعتي يوم القيمة
وروى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صام يوم النحر
الى ان يصلي فكانما عبد الله تعالى ستين الف سنة وفي رواية كيف رض

يوم الاضحى

يوم الاضحى اربع ساعات منه تعدل لصوم مائة الف سنة كذا في التا
تارخانية رح وحكي عن قطب الزمان احمد بن اسحق رح انه قال فكان
اخي محمد بن اسحق فقيرا فكان مع فقره يضحي كل سنة شاة فلما توفي
صليت ركعتين ورجوت الى الله تعالى ان اري اخي في مناجاتي فقلت
يا رب ارني حال اخي محمد في منامي بحيث اسئله حاله واستبشر عنده
رقوني ونمت على الوضوء فرايت في المنام كان القيمة قد قامت
وحشر الناس من قبورهم فاذا رايت اخي راكبا على فرس اشهب وبين يديه
نجايب فقلت يا اخي ما فعل الله بك قال قد غفر لي ربي فقلت بماذا
قال بسبب درهم تصدقته الى امرأة فقيرة في سبيل الله فقلت ما هذه
النجايب قال ضحاياي في الدنيا والتي اركبها اول اضحيتي ضحيتها فقلت
والى اين قصدت قال الى الجنة ثم توارى عني فلم اره بعد ذلك كذا في حيوة
القلوب وروى عن علي بن ابي طالب واسمه عبد المناف وانما اشتهر
بكنيته وذلك اذا علا طلب الخير خدمة رسولنا صلى الله عليه وسلم
وهو سعى سعيا بليغا في حال حيوته وحفظه بحفظ الله تعالى بتعيين
اربعين رجلا واكثر في اكثر الاوقات الى النبي في الليالي والايام والشهور
والاعوام حفظا بليغا ولم يتعرضوا الكفرة مراعاة لاكرامه الى مماته
فلما مات ظهر واعداوتهم ونووا اهلاكه عليه الصلوة والسلام حتى
نزلت اية العصمة بقوله تعالى والله يعصمك من الناس فلم يخف عليه الصلوة
والسلام منهم ونصره الله تعالى نصرا عزيزا فلم يحتج الى حفظ الناس فهذه الكنية
من عند الله تعالى معجزة لنبيه الاكرم ورسوله المحترم صلى الله تعالى عليه
وسلم فكان لابي طالب فضل الخير في ابتداء حاله وفقده في انتهائه
على راي المتقدمين اما على راي المتاخرين بعضهم الامام القرطبي وغيرهما انهم
ذهبوا الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعى لاحيائهم ثم قام ولداه وعماه

ابو طالب وجداه عبد المطلب من القبر فآمنوا وكانوا من الموقنين
ثم ماتوا على ايمانهم وهذا على مقتضى الحديث الذي رويته ام المؤمنين
عايشة الصديقة رضيها كذا في التذكرة للفاضل الامام القرطبي
رح انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا ايها الناس ضحوا
واحتسبوا الاجر بدمائها فان الدم وان وقع في الارض فانه يقع من حرز الله
تعا رواه الطبراني في الاوسط قوله واحتسبوا اي ارجوا بوعد والجوز
وما وعد فيه من عند الله بسبب الاضحية وجريان دمائها فطيبوا بها
نفسا ولا تكرهوها لانه يوم تجد فيه كل نفس ما عملت من خير محضرا
وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا للمشاهدة شدة
العذاب وموافقة حلة العقاب فان الله تعا لا يضيع اجر المحسنين
قوله يقع من حرز الله وحفظه وحراسته قبل ان تقع على الارض
كما وقع في حديث آخر هكذا وروى عن حسن بن علي بن ابي طالب
رضه انه قال قال رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم من ضحى طيبة نفسه
محتسبا لاضحيته كانت له حجابا من النار رواه الطبراني في الكبير
وروي عن وهب بن منبه رضه انه قال ان داود النبي صلى الله على نبينا
وعليه وسلم الهي ما ثواب من ضحى اضحية من امة محمد فقال الله تبارك
وتعظم اني اعطيته بكل شعرة عشر حسنات وامحو عنه عشر سيئات
وارفع له عشر درجات قال الهي ما ثوابه اذا عقد قوايمها لتلك قال الله
تعا اسهل عليه عقبة النيران قال ما ثوابه اذا شق بطنها قال اخرجه
من القبر آمنا من الجوع وفزع القيمة وعطشه وله بكل لحم لحم طير في الجنة
كامثال البخت وبكل شعرة قصر في الجنة وجارية من الحور العين
ومركب من دواب الجنة كذا في الازهار ويؤيده قوله تعا ذلك اي الامر
هو المذكور من اجتناب الرجس وقول الزور وما عاثله ومن يعظم

شعائر الله

شعائر الله الشعائر جمع شعيرة وهي العلامة ومنه اشعر البدنة اذا اعلمه
انه هدي والمراد بها الهدايا لانه معالم الحج وتعظيمها ان يختار
باعظام الاجرام والاجساد حسانا وسمانا غالية الاثمان ويترك
المكايد في شراها فقد كانوا يغالون في الهدي والاضحية ويكرهون
المكاسد فيهن وروي عن عمر رضه انه اهدى نجيبة طلبت منه
بثلاث مائة دينار فسأل رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم ان يبيعها
ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال صلى الله عليه وسلم
بل اهدها وروى ان النبي صلى الله تعا عليه وسلم اهدى مائة بدنة
فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وكان ابن عمر عبد الله رضه
يسوق البدن مجللة بالعباطي فتصدق بلحومها وجلالها ويعتقد
ان طاعة الله تعا في التقرب بها وقيل شعائر الله دين الله او فرائض
الحج ومواضع نسكه فانها اي فان تعظيمها بحذف المضاف
دلالة يعظم على التعظيم لان كل فعل يدل على مصدره وماخذ
اشتقاقه وعلية صدور الفعل له كما في قولك ضربت زيدا للتاديب
اي صدر الضرب لتحصيل علة التاديب وهكذا جميع الافعال الصادرة
عن الفاعل المعلم المتذكر بخلاف المجانين الخارج فعله عن الارادة
من تقوى القلوب اي من افعال ذوي تقوى القلوب منهم وانما قدرت
هذه المضافات لاستقامة المعنى لانه لا بد من عائد من الجزاء
الى من الشرطية ليربط به وليصح وانما اختير القلوب من بين الجوارح
لانها منشأ التقوى ورئيس الاعضاء اذ كل الافعال الانسان تتبع
ونشئت منها وسائر الاعضاء خادمة فاللسان ترجمانه اذ الاسرار
فيها مستورة مغيبة لا تعرف الا اذا ترشح عليه فيتكلم بما فيه
فيعرفه السامع ما فيها فكذا الايدي تبطش والاقدام تمشي والحلقوم

يتصوت ولا اذان تسمع ولا عين تبصر وكذا سائرها تطمع فمنشا الكل
القلب وهو متبوع وسائر الاعضاء تابعة له وخذ مترفا اذا طهر طهر
سائره ورجس رجس كله وقرئ من تقوى القلوب اى التعظيم والاحسان
والاستحسان حين اشتراء الهدى لكم فيها منافع اى فى البدن منافع
التناسل والصوف فيها او بارها واشعارها وركوب ظهورها الى اجل مسمى
اى الى وقت انقضاء الحج والنحر ثم محلها اى وقت نحرها منتهية الى
البيت العتيق اى ما يليه من الحرم الذى ينحر فيه الهدايا عندها او ينتهى
اليه وهو جميع الحرم من اطراف مكة لانه فى حكم البيت ولفظ ثم يحتمل
التراخى فى الوقت فى الرتبة اى لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر
ودينية بعده اعظم منها وهو على الاولين متصل بحديث الانعام والمعنى
على الاول المنافع الدنيوية والتجارات فى الاسواق الى وقت المراجعة
ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة
وعلى الثانى المنافع الدينية يرجون بقبولها وترفع الاعمال ويوصلها
الى ما وعد الله تعالى من ادخال الجنات والدرجات وغيرها من الاجور
التى توفى بغير حساب لهم روى عن ابن عباس رض انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ما عمل آدمى فى هذا اليوم افضل من دم يهراق الا
ان يكون رحما رواه الطبرانى فى المعجم الكبير وقد ورد فى الخبر اذا حشر
المؤمنون من قبورهم يقول الله تعالى الملائكة لا تمشوا عبادى راجلين
بل اركبوهم نجائبهم فانهم اعتادوا الركوب فى دار الدنيا الفانية ايما واحسانا
عليهم فى دار العقبى الباقية فانى علمتهم بعلم ازلى انهم آمنوا بى وبكتابى
وبرسولى واوامرى بالائتمار ونواهى بالانتهاء وعظمونى ورسولى
ارسلته وبعثته بانواع التعظيم بايثار امرى على امورهم وانتهاء نهيى
فوق غاياتهم مدخرا الى اليوم الموعود مستحسنا ظنهم الى الظن المرغوب

المشهود دعا لهما باذن ربهم لا يخلف الموعود متهيئا عنده انه رحيم ودود
فحال العبد تقصيرات وفيرة وحال الرب عفو ورحمة كثيرة فى دار
الدنيا والاخرة فلهذه الحكم الالهية خلق خاصة فى دار الدنيا لانهم
كانوا فى الابتداء فى اصلاب آبائهم وكان ذلك مركبهم ثم بعد ذلك
بطون امهاتهم مركبهم تسعة اشهر فحين ولدتهم امهاتهم فحجور امهاتهم
مراكبهم سنتين ثم اذا ترعرعوا فاعناق آبائهم مراكبهم ثم الخيول والبغال
والحمير مراكبهم فى البرارى والسفاين والزورقات والبحار فاعناق
اخوانهم مراكبهم اذا ماتوا وقاموا من قبورهم لا تمشوهم راجلين فانهم
اعتادوا الركوب فلا يقدرون المشى وقدموهم نجائبهم وهى ضحاياهم
يركبون فيستقدمون ويسرعون الى مغفرة ربهم ورضوانه وجناته
ودرجاته وحوراته وغلمانه وولداته وجماله الكمال فى الحال والمآل لقوله
العزيز ولكم فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فالسعداء يكرمون
بانواع التعظيم من الابتداء الى الانتهاء ففهم من هذا الوعد الكريم ان السفر
بعيد والراكب سعيد فيلزم بها ان المراكب ان تكون اقوى لئلا يتاذى
بالاياب والذهاب والمشى والسرعة والطيران فى الهوى فظهرت
اسرار الامر بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عظموا ضحاياكم فانها يوم القيمة
مطاياكم وفى رواية عن ابى هريرة رض على الصراط مطاياكم وروى
عن عائشة الصديقة رضها عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال
ما من يوم اكثر من ان يعتق الله تعالى فيه عبدا من النار من يوم عرفة
وانه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة فيقول ما اراد هؤلاء كذا فى صحاح
المصابيح قال شراح الحديث فى قوله عليه الصلوة والسلام ما اراد
هؤلاء اشارة الى الواقفين بعرفات اى اى شىء يريد هؤلاء الحجاج فان ارادوا
رحمتى ومغفرتى فقد غفرت لهم ورحمتهم كذا فى المظهر والمشارق وشرحه

وفي هذا الحديث دلالة صريحة على فضل يوم عرفة على سائر الايام وثمرته
تظهر في هذه المسئلة ان من قال بطلاق امرأته في افضل الايام فلا تطلق
الا في يوم عرفة وقيل تطلق يوم الجمعة لقوله عليه الصلوة والسلام
خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة والاصح الاول فيحمل الثاني
على افضل ايام الاسبوع ما لم يكن فيها يوم عرفة توفيقا بينهما كذا
في شرح المشارق لابن ملك رح كذا في النهاية للامام الحرمين رح عبد
الملك بن ابي محمد الجويني استاد الامام الغزالي علامة وقتهم صاحب
التصانيف الكثيرة رحمهم الله تعالى رحمة واسعة ويسر لنا شفاعتهم
العظمى بعنايته الوافرة فلزم على المضحي ان يشتري اعظمها واسمنها
واحسنها لان هذا المعنى مدلول قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما كان
مدلول قوله تعالى في كتابه العزيز ومن يعظم شعائر الله كما ذهب اليه
بعض المفسرين لانه اجل القربات واكمل العبادات في يوم النحر الدم
كما مر في الاحاديث الصحيحة المنقولة المعدودة ولا اجل ولا اكمل
لا يوجد الا في الاكمل من الكلية الضحايا ان تكون اعظم الجسد واقوى
الاعضاء وابهى الاثمان والدنانير كما لا يشترى بالاقل الخلل
فلا تشترى ايضا الدرجات المقبولة عند الله تعالى لقوله تعالى في سورة
آل عمران لن تنالوا البر من ناله نيلا اذا اصابه والخطاب للمؤمنين
وهو كلام مستانف في تماسيق لبيان ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم
اثر بيان ما لا ينفع الكفرة ولا يقبل منهم اي لن تبلغوا حقيقة
البر الذي يتنافس فيه المتنافسون ولن تلحقوا بزمرة الابرار ولن تنالوا
بر الله وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته حتى تنفقوا في سبيل الله
عز وجل رغبة مما عندكم مما تحبون ومن تبعيضية ويؤيده قراءة
بعض ما تحبون وقيل بيانية وما موصولة وموصوفة اي مما تهوون

ويجبكم

ويجبكم من كرايم اموالكم واحبها اليكم كما في قوله تعالى انفقوا من طيبات
ما كسبتم ومما يعمها وغيرها من الاعمال والبرهجة على ان المراد بالانفاق
مطلق البذل وفيه من الايذان بعزة منال البر ما لا يخفى وكانت
السلف رضي الله تعالى عنهم اذا احبوا شيئا جعلوه لله تعالى الاثر انه لما نزلت
جاء ابو طلحة رض وقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحا وانها
صدقة لله ارجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت
فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بخ بخ ذلك مال رابح وقد
سمعت ما قلت فيها اني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل
يا رسول الله فقسمها ابو طلحة في اقاربه وبني عمه رواه البغوي وروي
عن مجاهد انه قال كتب عمر بن الخطاب رض الى ابي موسى الاشعري رض
ان يبتاع له جارية من سبي جلولا من مداين كسرى يوم فتحت فدعى بها
فاعجبته فقال ان الله عز وجل يقول في كتابه العزيز لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون فاعتقها عمر رواه البغوي رح وروي عن حمزة بن
عبد الله ابن عمر رض قال خطرت على قلب ابي عبد الله بن عمر رض هذه الاية
فقال ابي ابن عمر رض فذكرت ما اعطاني الله عز وجل فما كان شيء اعجب
الي من فلانة هي حرة لوجه الله عز وجل وقال لولا اني لا اعود في شيء
جعلته لله لنكحتها رواه البغوي وقال الحسن رض كل انفاق يبتغى
به المسلم وجه الله تعالى حتى التمرة ينال بها البر وقال عطاء
لن تنالوا اشرف الدين والتقوى حتى تتصدقوا وانتم اصحاء اشحاء
اي تخشى الفقر مع قوة نيل العيش وروى الضحاك رض عن ابن عباس
رض ان المراد منه اداء الزكوة وروي ان عمر بن عبد العزيز رح كانت
زوجته جارية بارعة الجمال وكان عمر راغبا فيها وقد طلبها منها مرارا
فلم تعطها اياه ثم لما ولي الخلافة فامرته زينتها وارسلتها اليه

اي فاقتسمها اسم موضع ببجه ذات اشجار وماء بارد منه

فقالت قد وهبتكها يا امير المؤمنين فلتخدمك قال من اين ملكتها قالت جئت بها من بيت ابي عبد الله ففتش عن كيفية تملكه اياها فقيل انه كان على فلان العامل ديون فلما توفي اخذت من تركته ففتش عن حال العامل واحضر ورثته وارضاهم جميعا باعطاء المال ثم توجه عمر بن العزيز بعد تكميل تدقيق التفتيش والتملك الى الجارية الحسنى وكان يهويها هوى شديدا فقال انت حرة لوجه الله تعالى فقالت لم يا امير المؤمنين وقد ازحت عن امرها كل شبهة قال لست اذن ممن نهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وما تنفقوا من شيء فلفظ ما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف هو صفة لاسم الشرط اي شيء تنفقوا كائن من الاشياء فان المفرد في مثل هذا الموضع واقع موقع الجمع وقيل محل الجار والمجرور النصب على التمييز اي شيء تنفقوا طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله به عليم تعليل لجواب الشرط واقع موقعه اي فيجازيكم بحسبه جيدا كان او رديا فانه تعالى عليم به وبكل الاشياء ما كان وما يكون تنفقونه علما كاملا بحيث لا يخفى عليه شيء من ذاته وصفاته وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل وفيه من الترغيب في انفاق الجيد والتحذير عن انفاق الردي ما لا يخفى على ذوي البصائر واختلف المفسرون المتقدمون رحمهم الله في البر قال ابن مسعود رض هو الجنة وهكذا قاله ابن عباس رض ومجاهد وقال مقاتل بن حيان هو التقوى وقال الحسن رض ان تكونوا ابرارا وقال عبد الله بن عمر رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا واياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار

بيان معنى البر

ومايزال

وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا رواه البغوي في المعالم رح وروى عن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب فان الله تعالى يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي احدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل رواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه قوله بعدل تمرة بكسر العين وسكون الدال المهملتين بمعنى المثل وبالفتح من العدالة والمراد الاول قوله الا الطيب اي الحلال العاري عن الشبهات في الاصل والوصف في حال الكسب قوله بيمينه اي بحسن قبوله ورضاه قوله فلوه بفتح الفاء المعجمة وضم اللام وتشديد الواو وهو ولد الفرس والناقة قوله حتى يكون مثل الجبل المراد منه التعظيم لذاتها او يبارك الله فيها ويزيدها من فضله حتى يثقل كالجبل في الميزان كما يومئ قوله تعالى في سورة البقرة يمحق الله الربوا اي يذهب بركته ويهلك اصل المال الذي دخل فيه الربوا ولا يقبل منه الفعل من الخير واصل المحق النقص والهلاك والازالة من اصله كان لم يوجد ويربي الصدقات اي يزيدها ويبارك فيها ويضاعف الثواب في الاخرة الى العشرة في الواحد وسبعمائة والى ما شاء الله بغير حساب وروي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال سألت جبريل عن الصدقة فقال يا رسول الله ان الصدقة على اربعة اوجه الواحدة بعشرة والواحدة بسبعين والواحدة بسبعمائة والواحدة بسبعة آلاف اما الواحدة بعشرة فهو ان يدفعها الى الفقراء واما الواحدة بسبعين فهو ان يدفعها الى ذي الرحم واما الواحدة بسبعمائة فهو ان يدفعها الى الاموات والواحدة بسبعة الاف فهو ان يدفعها الى طالب العلم ويؤيده قوله تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم ويتصدقون بها في سبيل الله اي في وجوه الخيرات وامور الحسنات من الواجبات والنوافل من الصدقات

بيان الطيب الحلال

بيان انواع الصدقة

بحث تضاعف الدرجات في الصدقات

كمثل حبة لا بد من تقدير مضاف في احد الجانبين اي مثل نفقتهم كمثل
حبة او مثلهم كمثل ذي حبة انبتت سبع سنابل اي اخرجت ساقا
تتشعب منها سبع شعب لكل واحد منها سنبلة وفي كل سنبلة
مائة حبة كما يشاهد ذلك في الذرة والدخن في الارض المغلة بل اكثر
واسناد الانبات الى الحبة مجاز في الاسناد او لى كالاسناد الى الارض
والربيع وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها حاضرة بين يدي
الناظر والله يضاعف تلك المضاعفة او فوقها الى ما شاء الله تعالى
لمن يشاء بان يضاعف بفضله على حسب حال المنفق لانه يعلم السر والجهر
من اخلاصه ونيته فلذلك تفاوتت مراتب الاعمال في مقادير الثواب
من الجنان العاليات والدرجات الرافعات حتى تفاوت النظر الى الجمال
في القلة والكثرة والدوام بحيث لا يزال ولا يطلب الجنان والعين
والخلعة السعادة الابدية والتاج السرمدية سواه والحق ان لذات
الجنان ونعيمها والحور العين والولدان والمطاعم والمشارب وغيرها
مما لا يعده عاد ولا يحصي حاد بحيث ما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ان يسئله منه تعالى حين سئله مطالبه ورجاء
مقاصده بالاضافة الى الجمال كانه لم يكن شيئا موجودا ولا يميل اليه
احد وعده معدوما والله واسع حيث لا يضيق عليه شيء من الاشياء
وهو قدر القادرين وخالقهم فيستحقق ما وعدكم من المضاعفة ما شاء
لمن يشاء وخلاف ما ينفقون في الدنيا والعقبى عليم مبالغ في العلم
فيعلم انفاقكم مع النية الصالحة والصالحة فلا يكاد يضيع اجر كم
فانه لا يضيع اجر المحسنين ومن السعادة الابدية ان يدخل في زمرتهم
او يعلم ما سيكون من المغفرة والفضل فلا يخلف وعده وانه لا يخلف
الميعاد وهذه الجملة تذييل ومقرر لمضمون ما سبق قبله روي عن انس

بن جريج رض

بن جريج رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصدقة تسد
سبعين بابا من السوء رواه الطبراني في الكبير رح وروي عن معاذ بن
رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصدقة تطفي الخطيئة
كما تطفي الماء النار رواه الترمذي رح وروي عن انس بن مالك رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الصدقة لتطفي غضب الرب
وتدفع ميتة السوء رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي
حديث غريب حكي عن الشيخ ابي حفص النيسابوري المعروف بسمرقندي
وهو الصحيح بلا ايراد
وهو يقول سمعت ابا النصر السمرقندي انه قال كان رجل وله امرأة
وابنان فتوفي رجل وخلف لامرأته وابنين مائة دينار وعشرين درهما
ولم يكن في تلك المدينة ربح ولا بيع ولا تجارة فقصدت امرأته
مع ابنيه بلدا آخر للتجارة والربح فخرجت مرأة مع ابنيه الى الطريق
فذهبوا وكان مع المرأة ثلثة ارغفة فتصدقت المرأة لرضاء الله فاذا
جاء ذئب واخذ ولدها الصغير ثم مضيا حتى ركبا سفينة فغرقت
السفينة وغرق اهلها وبقيت المرأة على لوح حتى خرجت من البحر
وسارت حتى بلغت الى المدينة وقد وقع ما كان عندها من الذهب
والفضة في البحر وغلب عليها الجوع فتقدمت الى الخباز لتشتري الخبز
فرأت رجلا كان يد ابنها في يده فقعدت عند ابنها وتعلقت به
وقالت هذا ابني قد ضيعت في البحر فاختلفا ثم مضيا الى القاضي
فادعت المرأة ان هذا ابني وادعى الرجل ان هذا عبدي وغلامي وسئل
القاضي لهما اين ضيعت ولدك فقالت المرأة في البحر الفلاني حيث
غرقت سفينتها فضاع الابن مني وقال القاضي للرجل من اين لك
هذا الغلام فقال الرجل انا ملاح وجدت هذا الصبي على لوح فاخذته
فامر القاضي برد الابن الى امه ثم رجعت المرأة مع ابنه الى الخباز

لتدفع الجوع منها ومن ابنه وتوجهت لتأخذ الخبز فالتفتت فاذا هي
رأت ابنها الصغيرة الذي اخذه الذئب في الطريق وتعلقت يد ابنه
عند رجل وادعت انه ابني فاختلفا ومضيا الى القاضي فادعى الرجل ايضا
انه غلامي وادعت المرأة انه ابني فقال القاضي للمرأة ابن صنيعت ولدك
فقالت خرجت من البلد الفلاني فجاء ذئب واخذ ابني وقال للرجل من اين
ملكت الغلام وقال رجل انا رجل صياد فرأيت ذئبا معه هذا الصبي
فصلت عليه الكلاب فغلبوه واخذته منه فامر القاضي برد الولد اليها
فرجعت المرأة مع الصبيان واخذت الخبز واشترت سمكتين فشقت
جوف احدهما فخرج جوهر احمر وشقت جوف الآخر فخرجت منها مأة
دينار التي ضاعت في البحر وباعت الجوهر ثلثين الف دينار فنامت من
ليلتها فرأت كان قائلا يقول يا حرة هذا خلف ثلثة ارغفة
في الدنيا وما عند الله خير وابقى وافضل واكثر مما اعطيته في الدنيا
كذا في حيوة القلوب ويؤيده ما روى عن البغوي انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان
فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا
تلفا كذا في المصابيح رح قوله خلفا وهو بفتح اللام افضل البدل
من المبدل منه وبسكون اللام اسوء البدل منه قوله تعالى فخلف من بعدهم
خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا يقال نعم
الخلف بفتح اللام وبئس الخلف بالسكون قوله تلفا اي ما يتلف به
من الحرق والغرق وغيرهما من المصائب التي اذا اصابت اتلفت ما تصيبه
فحفظنا الله تعالى من مصائب الدارين والمعايب الكونين بحرمة النبي
الامين فهذه المصائب للمؤمن نعمة عظيمة ووسيلة الى الدرجات في الجنان
في المعنى وان كانت نقمة في الظاهر اذ اشد البلاء على الانبياء ثم على الاولياء

ثم الامثل

ثم الامثل فاي مصيبة اشد مما اصابت الانبياء صلوات الله على نبينا
وعليهم كذبح يحيى عليه السلام وكقطع ابيه زكريا عليه السلام
مع قطع الشجرة حكاية عجيبة وغيرهما مما يوذون به في ايدي الكفرة
مع انهم مكرمون عند الله العلي الكريم وان كانت تلك المصائب كريهة
في الصورة فلا تقبل النفس اليها لكنها نعمة على اصحابها المخصوصة
بارتفاع الدرجات وانطفاء الدركات ومكفرات السيئات وانعدام
الخطيئات لان الدنيا دار دنية سجن للمؤمن بخلاف الكفرة فان هذه
الا جنته لهم فاذا زالت كان غضبا لهم لانعدام نصيبهم في العقبى
فكانوا اخسر الدارين في الكونين فنعمة المؤمن بعضها ظاهرة لا ريب
فيها كالصلوة والزكوة والعبادات وبعضها مستورة لا يراها كل عين
بل يراها اخص عيون الخصوص كما فيها آخر فيه فكانت المصائب عين
نعمة واجبة شكرها للمؤمن المتيقظ اللهم انك عفو تحب العفو
فاعف عنا بعفوك واغفر لنا بكرمك وحكى الشيخ ابو حفص النيسابوري
سمعت من العلماء الاعلام الاستاد ان عجوزة في وقت داود صلوات الله
على نبينا وعليه خرجت الى الرحى ومعها منوان من البر جعلت ثلثة ارغفة
لتأكلها فاستقبلها سائل فقالت تصدق عليه بهذه الارغفة
وانا اصوم اليوم لرضاء الله تعالى فدفعت الارغفة اليه وصامت وطحنت
البر ورجعت فهاجت ريح شديد وصب الدقيق من راسها فاغتمت
العجوزة لذلك فذهبت الى داود عليه السلام واخبرته بالقصة
فقال داود فماذا تريدين الآن قالت ان تحكم بيني وبين الريح
فقال داود الحكم مع الريح شديد فخذي الف درهم واذهبي فاخذت
الف درهم وذهبت وصادفت سليمان ابنه عليهما الصلوة والسلام
فقال لها ماذا فعلت فاخبرته بالقصة فقال ارجعي الى داود واطلبي

الحكم مع الريح فان حقك بقى فيه وما اعطاه لك فضلة فاستاله
احقاق حقك لانه نبى حتى يقدر عليه فرجعت فرادها الف درهم
اخرى فرأيها سليمان ايضا فسئلها وارسلها اليه فاعطاها فلا زال
يزيد الفا ويردها سليمان ايضا فاستدعا داود ابنه سليمان
وقال له يا بنى لم ارسلت العجوزة الى ثم وثم ود فعتها بالفضل والاحسان
وقال ابنه سليمان عليهما الصلوة والسلام يا ابت الحكم واجب حقها
والصدقة فضل والواجب اولى من الفضل وهذا محل الحكم لا الفضل
واستدعى داود الريح وخاطبها فى ذلك فاحالت الريح الى الخازن واحال
الخازن الى جبريل واحال جبريل الى ميكائيل واحال ميكائيل على الله
تعالى بعد الاسولة على الكل فانزل الله تعالى جبريل الى داود صلوات الله
على نبينا وعليهم وقال ان الله تعالى قال انى لم افعل فعلا قط الا بالحكمة
فاعلم يا داود ان الفارة نقبت سفينة فى البحر الفلانى فكادت
تغرق اهلها فامرت الريح حتى استكبته ذلك الدقيق وحملت اليهم
حتى سدوا تلك السفينة فكان سبب نجاتهم فابعث الان رجلا
من طرفك الى اهل تلك السفينة حتى يخرجوا الثلث من اصل مالهم
وليدفع الى العجوزة قال فبعث داود رجلا فاخرجوا الثلث من مالهم
فبلغ ثلثماة الف دينار فقال داود للعجوزة هل علمت شيئا الله تعالى
فاخبرته بالقصة فاقبل داود على القوم وقال اتجروا مع الله تعالى
فان من يتجر مع الله لا يخسر ابدا كذا فى حيوة القلوب وروى عن
سعيد بن مسعود الكندى انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ما من رجل يتصدق فى يوم وليلة الا حفظه الله تعالى من ان يموت
من لدغة او هدمة او موت بغتة كذا فى حيوة القلوب وحكى ان
شابا وشابة دخلا على سليمان عليه السلام فالتمسا ان يعقد عليهما

عقد النكاح

عقد النكاح ففعل وخرجا من عنده مسرورين فتعجب سليمان عليه
السلام من سرورهما فحضر ملك الموت وقال يا نبى الله لا تتعجب
عن سرورهما فانى قد امرت ان اقبض روح هذا الشاب بعد خمسة
ايام فجعل اى شرع سليمان عليه السلام الى ان يراعى حال الشاب حتى
ذهبت خمسة ايام ثم خمسة اشهر لم يمت ذلك الشاب فتعجب من ذلك
ثم دخل عليه ملك الموت فسئل سليمان عليه السلام عن ذلك فقال
ملك الموت يا نبى الله انى قد امرت ان اقبض روحه بعد خمسة ايام
كما ذكرت لك فلما خرج من عندك لقيه سائل فدفع اليه درهما
فدعى له بالبقاء وطول عمره فامرت بتاخير الامر ببركة صدقته كذا
فى حيوة القلوب فان قلت الاجل معلوم فالكل ميت باجله فلا يتاخر
ساعة اذا جاء ولا يتقدم ساعة كما فى قوله تعالى فى سورة يونس لكل امة
اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فكيف
تصح هذه المنقبة العلية وكيف يجوز نقلها واعتقادها خاصة
وانها عامة اقول ومن الله التوفيق والهداية
والتدقيق بالاعانة وهو نعم المولى ونعم النصير قد تظاهرت الايات
البينات والاحاديث الواضحات على زيادة الكائنات ونقصانها بالنسبة
الى ما كتب فى اللوح المحفوظ الحادث وما اطلع بررة الملائكة الكرام
البررة فيه لا بالنسبة الى علم الله الازلى القديم بحيث لا يتبدل ولا
يتغير بل هو تعالى ذاته وصفاته قائم على شانه الازلى ودائم على حاله
الابدى وانما التبدل من حال الى حال والتغير من شان الى شان للكائنات
الحادثات والمخلوقات المصنوعات مما سوى الله تعالى لان كل واقع
فى الكون يقبل التزايد والتناقص بالنسبة الى الصفة حدوث التجليات
التكوينية فطاعات العباد وعصيانهم ان نظر اليهما من حيث ما علم الله

اللوح المحفوظ

قوله ساعة المراد منها الساعة النجومية التى هى اسم لجزء من اجزاء اليوم والليلة التى هى اربعة وعشرون ساعة بل هى عبارة عن ادنى ما يقدر من الوقت لا الساعة النجومية ... عن النقص النفى ... الايام

تعالى بعلمه الأزلي وقوع تلك الأفعال الحسنة والسيئة منهم فإن هذا
العلم من حيث أنه تعالى متصف بالذات القديمة لا يقبل الزيادة والنقصان
بل هو ثابت على ما كان محيط بكل الموجودات وكذا علم العمر والرزق وعلم
السعادة والشقاوة بخلاف الصفات الثابتة للمخلوقات المكتوبة
في اللوح المحفوظ الإجمالي من صفات أفعالهم فإنها تقبل الزيادة والنقصان
والتغير والتبدل في الإحسان والطغيان كما رتب درجات الجنان
ودركات النيران على الأعلى فلذا أرسل الأنبياء والرسل صلوات الله
وسلامه عليهم بالأوامر والنواهي والترغيب على كثرة الأعمال والإحسان
والترهيب عن القبائح والعصيان بالجنان والنيران على رتبة الدرجات
والدركات العلوية للأعالي والسفلية للأسافل في الدارين فلو لم يكن
للعبد إرادات الجزئية الكسبية واختيارات الخيرية للمجاهدة الممدوحة
المناصب والمقبولة المحمودة المواهب لما أرسلوا وترغبوا إلى الجنان وتهولوا
بالنيران فإذا أحيل كل الأشياء إلى علم الله الأزلي ولم ينظر إلى ما صدر من
العباد من الإرادة والكسب والاختيارية والتعب يلزم حاشا وكلا
أن الإنزال والإرسال أن يكون عبثاً لا طائل تحته فاللازم باطل لقوله
تعالى في سورة المؤمنين أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ولقوله في سورة
الدخان وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما
إلا بالحق فللعباد كسب بالاختيارات الجزئية مأمور ومنهي مرغب
بالجنان ومرهب بالنيران وما صدر عن العباد يحتمل التزايد والتناقص
وسبباً للمجاهدة جارية فيما كتب عن اللوح المحفوظ على طريق التعليق
من تبدل السعداء إلى الأشقياء وبالعكس كما في العقائد الشقي يكون
سعيداً وبالعكس وكذا العمر والرزق حتى قال الإمام الرازي العلامة
في كثير المحل في مواضع متعددة من تفسيره الكبير كل ما كان في اللوح

بحث زيادة العمر والرزق

المحفوظ على طريق التعليق إن جد العبد وجد وإلا فلا وكذا إن باشر
العبد بما كان سبباً لطول عمره وكثرة رزقه لطال عمره وكثر رزقه
بوعد الله تعالى إياه بسخان وأتقن التدبير التقدير للإرادة والصرف و
خالفه بعض العلماء كالإمام الغزالي وإمام الحرمين عبد الملك بن أبي
محمد الجويني فإنهم قالوا كل ما في اللوح المحفوظ معلق على الشروط
إلا أربعة الأجل المعلوم والرزق المقسوم والسعداء والأشقياء ويؤيده
الأول ما روي عن عمر رض أنه قال في دعائه في الطواف اللهم إن كنت
كتبتني شقياً عندك فامح واكتبني عندك سعيداً فإنك تمحو ما تشاء
وتثبت رواه ابن جرير وابن مردويه في تفسيرهما فيتبدل الشقي في اللوح
سعيداً وبالعكس كما بينا في فضل البرات وقال الإمام الكلبي في تفسير
هذه الآية يمحو الله ما يشاء ويثبت أي يمحو من الرزق ويزيد فيه ويمحو
من الأجل ويزيد فيه فقيل له من حدثك بهذا فقال أبو صالح عن جابر
رض وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن علي بن أبي طالب رضي عنه أنه قال
سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قوله تعالى يمحو الله ما يشاء
ويثبت فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لأقرن عينيك بتفسيرها
ولأقرن عين أمتي بعدي بتفسيرها الصدقة على وجهها وبر الوالدين
واصطناع المعروف تحول الشقاوة سعادة وتزيد في العمر وتقي
مصارع السوء رواه ابن عساكر في تاريخه وروي عن أبي هريرة رضي
أنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من سره أن
يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه رواه البخاري
في تاريخه والبيهقي في شعب الإيمان وروي عن علي رضي أنه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من سره أن يمد الله في عمره
ويوسع في رزقه ويدفع ميتة السوء ويستجاب دعاؤه فليتق الله

وليصل رحمه رواه الحاكم والبيهقي في شعب الايمان وكذا رواه
معمر بفتح الميمين وهو ابو عبيدة بن المثنى من حفاظ الرواة رحمه الله
تعالى رحمة واسعة عن عطاء الخراساني روى عن عمرو بن عوف رض
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان صدقة المسلم تزيد
في العمر وتمنع ميتة السوء اي الخروج من الدنيا بلا ايمان فنعوذ بالله منه
رواه الطبراني رح وروى عن ابن عمر رض انه قال ان المرء يصل رحمه
وما بقي من عمره الا ثلثة ايام فينسأ الله ثلاثين سنة وانه ليقطع الرحم
وقد بقي من عمره ثلثون سنة فيقصره الله الى ثلثة ايام رواه ابو الشيخ
وقال الامام التفتازاني رح في شرح المقاصد ولنا الايات والاحاديث
الدالة على ان كل هالك مستوف اجله من غير تقدم ولا تأخر واما الاحاديث
المشعرة بالزيادة في العمر كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يزيد في العمر
الا البر فخبر واحد لا يعارض القطعي اي الدال على ان الاجل واحد لا يزيد
ولا ينقص بالنسبة الا المقدر وهذا في علم الله الازلي وقد يقال ان المراد
بالزيادة بحسب الخير والبركة او بالنسبة الا ما اثبته الملائكة من اللوح
في صحيفتهم فقد يثبت فيها الشيء مطلقا في اللوح المحفوظ وهو في علم الله
مقيد ثم يؤل الى موجب علم الله تعالى سواء كانت الاشياء موافقة الى اللوح
او لا فيوجد على ما عليه واليه الاشارة بقوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت
وام الكتاب وهو اللوح المحفوظ انتهى كلام التفتازاني في شرح المقاصد
قوله فخبر واحد قال الفاضل المحشي قره كمال قلنا في الجواب ان هذه
الاحاديث مشهورة فلا نسلم انها من الاحاد لانه شاع بين المحدثين
لفظها ومعناها والسنة احاد الناس وعوامهم حتى بين السئلة في الاسواق
ان الصدقة ترد البلاء وتزيد العمر وهذه الشهرة بين الجميع تدل
على انها بانواعها كثيرة ومشهورة ومن علايم الشهرة اشتهارها بلا اسناد

فعلم الله

علم الله لا يقبل الزيادة والنقصان لانه على هذا يلزم ان يكون ذاته
القديم محلا للحوادث والعوارض بالقلة تارة والكثرة تارة فتعالى
عن ذلك علوا كبيرا بخلاف ما في اللوح فانه كاللوح حادث يقبلهما
فرادنا ما في اللوح وما قلته ناظر الى علم الله ويؤيده قوله او بالنسبة
الى ما اثبته الملائكة من اللوح والاستنساخ السفرة البررة وهذا
زاد بحثنا ولا يضرنا وكذا يؤيدنا قوله واليه الاشارة بقوله يمحو الله
ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من شيء
من الاشياء الذاهبة والثابتة الا وهو مكتوب فيه كما هو مراد الله
ويؤيد ما قلناه من ان المقدرات الالهية الموجودة في علم الله الازلي
لا تقبل الزيادة والنقصان لانهما من علايم الحوادث وامارة العوارض
فيلزم ذات الله ان يكون محلا للحوادث وهذا من اثار الحوادث والعوارض
فتارة تزيد وتارة تنقص على ما اقتضاه الحال وهو تعالى قديم بذاته
الازلية وصفاته الابدية على حال واحد يعلمه ذاته منزها عن التغير
والتبدل بخلاف ما في ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ فانه حادث كسائر
المصنوعات الحادثة التي تقبل الزيادة والنقصان والتبدل والتغير
من الاعمال والاعمار والارزاق والسعادة والشقاوة المكتوبة على طريق
التعليق في الوجود والعدم والبقاء واللقاء والهلاك والملاك والزيادة
والنقصان والاحسان والعصيان والاطاعة والطغيان وغير ذلك
مما علقه الله تعالى على ما اراده اذ الارادة تابعة للحكمة الالهية وهو
المدبر للاشياء موافقة على ما اقتضته الحكم الازلية اذ كل الاشياء
تدور على الحكم المعتبرة في الازل والابد وهل هذا الا حال الاحد
الصمد منزها عن اللعب والعبث والكبد فتبارك الله احسن الخالقين
في الازل والابد ولا يسئل عما فعله احد من الاحاد وفرد من الافراد

واليه ترجع الامور فى المبدأ والمعاد نعم المولى ونعم النصير للعباد
خاصة من عباده العباد قال ابو السعود العمادى محمد بن الشيخ العمو
الاسكليبى خاتم المفسرين المجاهد فى سبيل الله بالمحاربة على اعداء الدين
والساعى فى امور الدولة العثمانية وامور عباد الله المسلمين تغمده الله بغفرانه
وجعلنا رفيقه فى اعلى عليين فى تفسير هذه الاية الكريمة موافقا لما نحن
فيه من قوله تعالى يمحو الله ما يشاء اى ينسخ ما يشاء ويريد ويغيره تغييرا
ونسخا من الاحكام لما تقتضيه الحكمة الالهية والارادة الازلية
بحسب الوقت ومصالح العباد رغبة للاطاعة ورهبة عن القبائح
ويثبت بدله ما فيه المصلحة لامور العباد فى معاشهم ومعادهم
لما كان وما يكون شفقة لحالهم ورحمة لمآلهم فنعم المولى الرفيق وارحم
الراحمين من الاباء والامهات والبنين والبنات فضلا عن الاجنبيين
والاجنبيات او يبقيه على حاله غير منسوخ بل مبقى على ما كان او يثبت
ما يشاء اثباته مطلقا اعم منها ومن الانشاء ابتداء او يمحو من ديوان
الحفظة الذين ديدنهم كتبة كل قول وعمل ما لا يتعلق به الجزاء
ويثبت الباقى او يمحو سيئات التائب ويثبت مكانها الحسنة او يمحو
قرنا ويثبت آخرين او يمحو الفاسدات او يمحو الرزق ويزيد فيه او يمحو
الاجل والسعادة او الشقاوة وبه قال ابن عمر وابوه وابن مسعود
عبد الله من العبادلة الاربعة المقبولة روايتهم والمرغوبة درايتهم
وهم عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وعبد الله
بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم حتى بنى علماء المجتهدين وفضلاء المتكلمين
وفقهاء المتشرعين اقوالهم واجتهادهم على رواياتهم الصحيحة ودراياتهم
السليمة عن الشبه الواردة على سائرهم لعلو كعبهم وسمو رفعتهم
عند صاحب الشريعة الغراء واتخذوا قواعدهم مبنية عليها

بحث
ذكر العبادلة

وفوائدهم ملتفتة عليها وهم من كبار الصحابة وعظام اصحاب الدراية
والرواية رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والقائلون بهذا المسلك
الاصح والمذهب الانفع يتضرعون بانفسهم الى الله تعالى ان يجعلهم
سعداء بعد ان يجعلهم اشقياء وكتبهم فى ام الكتاب لموافقة التدبير
على مطابقة التقدير وهذا المعنى المقرر فى معنى الاية الكريمة
وتضرعهم بهذا رواية جابر بن عبد الله رديف النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم والانسب فى هذا المقام تعميم كل من المحو والاثبات
ليشمل الكل من الاشياء المكتوبة فيه والاستنساخ بايدى
السفرة البررة المتمكنة فى سماء الدنيا فى المحل المخصوصة لهم
وابتداؤهم بالاستنساخ من ليلة البرات وتكميلهم ليلة القدر او على
العكس دفعا لمعارضة الايتين المذكورتين فى سورة القدر
وسورة الدخان ووجه المفسرون على ما ناسبوه ويدخل فى ذلك
مراد الانكار دخولا اوليا وقرئ بالتشديد من التثبيت فالعجب
من بعض المفسرين ان يذكروا على الاطلاق ولا يميزوا بين علم
الكتاب وبين ام الكتاب اذ الجميع متفق على المذهب الاول وهو علم
الكتاب الذى عبارة عن علم الله وصفاته الازلى فلا يقبل المحو
والاثبات والتبدل والتغير لانه يلزم البطلان على هذا التقدير
المذكور انفا واما على مسلك ام الكتاب فهو عبارة عن اللوح المحفوظ
الحادث فهو يقبل المحو والاثبات والتغيرات والتبدلات كما هو
حال المخلوقات فى جميع الحالات الواردة والذاهبة على ما اقتضته
الحكم الالهية والعبر السلطانية رحمة للعباد وشفقة لاهل السعادة
فالمراد من العلم المضاف الى الكتاب هو علم الله المحيط بكل الاشياء
القديم الازلى والمضاف اليه من معلوماته فلا يجرى فيه ما يجرى

بحث
الفرق بين ام الكتاب وعلم الكتاب

فى الحوادث والعوارض وهو حقيقة لا مجاز فيه بخلاف قرآن الكتاب اذ فيه تجوز وتشبيه بليغ فبينهما فرق عظيم ومنشأ الاختلاف عدم التفرقة والا فلم يختلف احد من اهل السنة والجماعة فى عدم قبول المحو والاثبات فى علم الازلى بخلاف المسلك الثانى فانه فى خلاف المسلك الاول فى الحدوث ولعدم حتى قال الامام النسفى رح فى متن العقايد السعيد قد يشقى وبالعكس وكذا قاله جمهور المفسرين والمتكلمين والمحدثين حتى قال الامام النسفى فى كتابه التمهيد وهذه المسائل الاربعة من السعادة والشقاوة وزيادة الرزق والاجل ونقصانهما من المعلقات عند كبائر الاصحاب كعمر وابنه عبد الله وابن عباس وابن مسعود وغيرهم وهو الحق وبالاتباع احق لانهما ثابتة بالنصوص القرآنية والسنة بقوله العزيز فى سورة الفاطر فى كتابه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب وبقوله تعالى فى سورة الزمر قل الله اعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم وبقوله فى سجدة حم افمن يلقى فى النار خير ام من يأتى امنا يوم القيمة اعملوا ما شئتم وبقوله فى سورة الكهف فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وغيرها فان الله تعالى ذاته وصفاته قديمة ازلية فهذا التعليق ثابت فى ازل الازال وابد الاباد تدل على المشية والتعليق فى علم الله الازلى وهو يعلم حقيقة الحال الى ما يئول ودقيقة المآل الى ما يتفرع لكن الحكم الالهية تابعة للارادة وهى تابعة للعلم وهو تابع للمعلوم فلا منافات بينهما كما تقرر فى علم الكلام فارجع البصر كرتين والا فلا يخلص عن مذهب الجبرية وهذا لا يرضى لانه ينفى الارادات الجزئية والاختيارات الخيرية المثبتة بالنص القاطع وهذا المذهب الجبرية يشتمل على فسادات عظيمة كعبث انزال الكتب الالهية والرسل والاوامر والنواهى من الائتمار والانتهاء وعدم الصلوة والزكوة والحج والشهادة وغيرها من تكليفات الله لعباده اذ النفى يستلزم نفى هذه الاشياء

المذكورة

المذكورة المنوطة عليها وهذه ضلالة كبرى اذ السعيد على هذا المعنى اذا كان سعيدا فى الازل يدخل الجنة باى وجه كان سواء آمن ولا او صلى وصام او يحج او لا فى كفر ولا والشقى اذا كان شقيا فى الازل على هذا المعنى فلا ينفعه الايمان ولا الصلوة ولا الزكوة ولا الحج ولا الشهادة لكونه شقيا فى الازل فهذا مذهب الجبرية وهذا كفر وضلالة اذ لا يعلم احد ما فى علم الله الازلى وانما يعرف احوال المخلوقات المامورات بالايمان وعدمه والطاعات وعدمها والائتمار بالاوامر والانتهاء عن الزواجر فثبت على مذهب اهل السنة فى ضمن الائتمار والانتهاء صرف الارادات الاختيارية الغير المخلوقة لعدمها اى لعدم تعلق الخلق لانها من المعدومات لا من الموجودات بقرينة التكليف ولا التزام الاوامر وانتهاء النواهى كلها توجد بصرف الارادة المتضمنة للابتلاء الموهوبة من عناية الله تعالى المخيرة لهم بقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر اى لا ابالى بايمان من آمن لان فائدته ونفعه له بدخول الجنات والغرف فى الدرجات وتزوج الحور ونعيمها وتلبس الحلل وتيجانها وتنعم اطعمتها وتشرب مياهها ولا ابالى بكفر من كفر وضرره له بدخول الدركات السفلى من العذاب وتعذيب العقارب وحياتها وتلبس القطران وتيجانها من النار وتحمم شرابها من غساقها من انواع اشد العذاب واصناف احد العقاب فلا ينفعنى ايمانهم كما لا يضرنى كفرهم وضلالتهم وهذا العنوان يقتضى استقلال العبد بفعله وصرف كيف شاء فعلم من هذا التخيير لفظا والتعليق ضمنا ان علمه الازلى تعلق لعباده فكان العبد وفعله من المعلقات ففعل العبد من الحوادث والعوارض المعلقات بفتح اللام يقبل التزايد ان جاهد والتناقص ان كسل واهمل فللعباد اختيارات جزئية مفهومة من النص القاطع فانكاره كفر وضلالة

قوله اى لا ابالى تفسير للاية العزيزة اى كما قال الله تعالى بقول لا ابالى الايمان المؤمن والكفر الكافر لانى منصون عن النفع والضر لكن رضائى فى الاول دون الثانى منه

وغواية فهذه المجنات اللئيمة والفساد الخبيثة كلها انشأت من نفي الارادات
الجزئية الموهوبة للعبد وكرماً منه تعالى والتزام المذهب الجبرية الموصلة
الى الكفر والغواية الابدية في الدرك الاسفلية النيرانية فيجب على
من تسنن بالسنة العلية من مذهب اهل السنة والجماعة ان يلتزم
على ما التزمه كبرآء الاصحاب من الطرق العلية عند اولى الالباب ومن
السير الجليلة من العقايد الجميلة الموافقة للاية الكريمة من يهدي الله
وماله من مضل ومن يضلل الله فماله من هاد ثم اعلم ان من ذكر التعليق
في الاجل من كبار ائمة المفسرين كثير لا تعد ولا تحصى فمنهم الامام
العلامة فخر الملة والدين الرازي عليه رحمة البارى سبحانه قال في التفسير
الكبير في قوله تعالى وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعاً
حسناً الى اجل مسمى يفهم من هذه الاية العزيزة ان للعبد اجلين صورة
بالاضافة الى التعليق الى افعاله وان كانا عبارة عن اجل واحد في علم الله
الازلي لانه لو اشتغل بالاستغفار والتوبة والعبادات الصالحات
والاعمال الخالصات لكان اجله بمقتضى تعليق الوقت ولو اشتغل
بغير ما علق له لكان اجله غير وقت الاشتغال لكنه تعالى يعلم بعلمه الازلي
بانه يشتغل بما امر فلا جرم كان عالماً بان اجله ليس الا في ذلك الوقت
المعين لان التعليق علم ازلي لا يعرف الا بافعال العباد الحادثة المعلقة
منه تعالى وهكذا حال جميع المعلقات بفتح اللام الحادثة المعلومة من افعال
الظاهرة الكائنة في اللوح المحفوظ واجلا واحداً بالاضافة الى علم الله
الازلي غاية ما في الباب لا يعرف الوحدة والتعدد الا بعد الصرف
او عدمه فهذا الحال ثمرة تبعية علم الانسانية لمعلوميتهم وكذا قال
ابن كمال العلامة قوله في تفسير قوله تعالى في سورة الانعام ثم قضى اجلا
واجل مسمى وانما تعدد الاجلين بالاضافة الى ما في كتبه في اللوح المحفوظ

والى ما عنده

والى ما عنده تعالى من العلم الازلي الذي هو صفاته تعالى فيجوز التجاوز
بالتزايد والتناقص عما في اللوح المحفوظ لكونه معلقاً بالشرائط
الذي هو حادث وسبب للتزايد كالبر وصلة الرحم وللتناقص بعدم
وجوده كالوضوء للصلوة ولا يجوز التجاوز عما عنده لقدمه ولعدم
المحو والاثبات فيه لتعريه عن الحدوث انتهى وقال القاضي البيضاوي
عليه رحمة البارى في تفسير هذه الاية والارزاق والاجال وان كانت
متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير انتهى
ولا نعم مراده بقوله لكنها مسماة ان صرف العبد ارادته واختياره
بمشية الله تعالى وارادته العلية فارادة العبد مخلوقة وصرفه ليس
باختياره وانما هو بخلق الله تعالى ابتداء قبل الصرف فصرفه ضروري
واما المذهب الحق مذهب ابي منصور الماتريدي وهو ان الارادة
ليست بمخلوقة لانها معدومة موهوبة من الله العلي الكريم حتى يكون
العباد كاسبين ومامورين بامره العالي ويندرج تحت قوله تعالى
ان الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون واسناد العمل الى العباد انما كان
بسبب الكسب والعمل فاذا كانت الارادة مخلوقة فما معنى الاسناد لان ما
تعلق ارادة الله بوجوده فيوجد البتة فلا فائدة في الاسناد اليهم ومع
بانه فلا يخلو عن الجبر المتوسط دون المحض لاختلاط العمل في الاعمال
فيكون مما نحن فيه بالاختلاط وان لم يكن بالنسبة الى الجبر بخلاف
المذهب المنصور فان الكسب قبل العمل بالارادة الموهوبة المعدومة
وان كان مؤخراً ما الوصف الموجود ان خلق والا فلا لعدم اقتضاء الخلق
الا اذا وافق التدبير بالتقدير فينكشف سر قوله العزيز في سورة الانبياء
ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون وقوله في سورة الملك خلق
الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملاً قال مولى شهاب الدين السيواسي

في تفسيره هذه الآية العزيزة اي يعاملكم معاملة الاختبار ويعلمكم
فيما بين الموت والحيوة انتهى وقال العلامة خاتم المفسرين ابو السعود
العماد عليه رحمة البارى اى خلق موتكم وحيوتكم على ان الالف واللام
عوض عن المضاف اليه ليعاملكم معاملة من يختبركم ايكم احسن عملا
فيجازيكم على مراتب متفاوتة بحيث تفاوت طبقات علومكم واعمالكم
فان العمل غير مختص بالجوارح فلذا فسره صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله
ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان لكل
من القلب والقالب عملا خاصا به كان الاول اشرف من الثاني وكذا الحال
في علمه كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد اثر ذي
اثير وانما طريقها النظر والتفكر في بدايع صنع الله تعالى والتدبر في آياته
المنصوبة في الانفس والآفاق فان الحكمة من خلقهما الاحسان العمل مع ان
نفس العمل لا يتحقق بدون الحيوة الدنيوية وتقديم الموت لكونه ادعى
الى احسان العمل انتهى قول يثبتى هذا صرف العبد ارادته الى منتهى سعيه
ليحسن في عمله ويعلو في درجاته فان درجات الجنان منوطة الى درجات
الاعمال فكذلك المثبتى في دركاته من النيران فلا مرتبات هذا لا يكون
الا بصرف الارادات والاختيارات الجزئية والخيرية الموهوبة للعباد الغير
المخلوقة لانعدام الوجود وانما يتعلق بالوجود لا العدم ليتميز العباد
يوم التناد باعمالهم الحسنة والسيئة والمجاهدة والمعاطلة وقال المحشي
العلامة السعدي على تعلق الارزاق في مثل قوله تعالى ان استغفروا ربكم
وتعلق الاعمار في مثل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم صلة الرحم تزيد في العمر
لكنها مسماة بالاضافة الى علم الله الازلي فلا تعدد فيه ولا تغير كما بيناه
مرارا واما بالاضافة الى ما كتب في اللوح فيقبل التعدد والتغير على ما اقتضته
التعلقات الحادثة المخلوقة بعد صرف الارادة الموهوبة المعراة عن الجبرية

وقال الامام العلامة محمد بن جرير رح في تفسير قوله تعالى يمحو الله ما يشاء
ويثبت عامة في كل الاشياء الموجودة كما يقتضيه ظاهر النظم الجميل
من كلام الرب الجميل ان الله تعالى يمحو من الرزق ويزيد فيه وكذا في الاجل
والسعادة والشقاوة والايمان والكفر وهذا مذهب عمر بن الخطاب وعبد الله
بن عمر وعبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم وكثير من الصحابة رضوان الله
تعالى عليهم اجمعين وقال الامام الترمذي في تهذيبه ان كتاب ابن جرير
رح لم يؤلف مثل تفسيره في التفاسير كما قال كذا ابن خزيمة ما اعلم
على الارض اعلم من محمد بن جرير الطبري وذكر الامام الذهبي في كتاب
العبر قال ابو حامد الاسفرايني الفقيه رح لو سافر رجل الى الصين
ليحصل تفسير محمد بن جرير رح لم يكثر سفره وقال الفاضل حسن
جلبي في حاشية التلويح فابو جعفر محمد بن جرير الطبري هو الامام
البارع في انواع العلوم وله كتب كثيرة مصنفة من العلوم العقلية
والفنون النقلية خاصة تفسيره فلو اجتمع العلماء لم يقدروا عليه
انه صنف اربعين سنة يكتب في كل يوم اربعين ورقة فقال في تفسيره
ايضا يمحو من الرزق ويزيد فيه ويمحو من الاجل ويزيد فيه فقيل له من
حدثك بهذا فقال ابو صالح رض عن جابر بن عبد الله رديف النبي
وهو عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى وقال الامام عمر النسفي في تفسيره
هذه الآية يمحو الشقاوة ويثبت السعادة وبالعكس انتهى وقال الامام
ابو البركات احمد النسفي في متن العقايد والسعيد قد يشقى والشقي
قد يسعد انتهى وقال المحشي مولانا احمد القريمي معلم الى الفتح المدفون
في الجامع الذي عند راس يوقش محمد اغا في حاشيته المقبولة على شرح
العلامة التفتازاني رح وتحقيق هذا المقام ان السعادة المكتوبة
في اللوح وكذا عند الحفظة تتبدل عند مشايخ اهل الحق خلافا لبعض

تفسير ابن جرير الطبري

الاشاعرة والقدرية وقال الامام العمادي ابو السعود خاتم المفسرين
رح في سورة نوح في قوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم اي بعض ذنوبكم
وهو ما سلف في الجاهلية فان الاسلام يجبه ويؤخركم الى اجل مسمى
وهو الامد الاقصى الذي قدره الله تعالى لهم بشرط الايمان والطاعة
وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فان وصف
الاجل بالمسمى وتعليق تاخيرهم بالايمان والطاعة صريح في ان لهم اجلا
آخر لا يجاوزونه ان لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى ان اجل الله اي
ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر اذا جاء وانتم على ما انتم عليه من الكفر
لا يؤخر فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه
الذي هو بقاؤكم على الكفر فلا يجيء ويتحقق شرط التاخير الى الاجل المسمى
فتؤخروا اليه ويجوز ان يراد به اتيان العذاب المذكور في قوله تعالى من قبل
ان يأتيهم عذاب اليم فانه اجل موقت له حتما وحمله على الاجل الاطول مما
لا يساعده المقام كيف لا والجملة تعليل للامر بالعبادة المستتبعة
للمغفرة والتاخير الى الاجل المسمى فلا بد ان يكون المنفي عند مجيء الاجل
هو التاخير الموعود فكيف يتصور ان يكون ما فرض مجيئه وهو الاجل
المسمى لو كنتم تعلمون اي لو كنتم تعلمون شيئا لسارعتم الى ما امرتكم به انتهى
وقال المحشي على تفسير القاضي في هذه الآية شهاب الدين رح يعني لعلا
معلقا بالايمان بان يكتب في اللوح المحفوظ انهم ان آمنوا امتد عمرهم الى
مدة كذا والا استوصلوا واهلكوا قبله وقد علم الله من يؤمن فيمتد
عمره ومن لم يؤمن فيهلكه قبله وما في علمه الازلي لا يتغير وقال المحشي
المزبور في محل آخر فيجوز لاحد ان يكون معمرا اذا عمل عملا وينقص من عمره
اذا لم يعمله بناء على ما ورد من الاحاديث الصحيحة المشهورة عند
المحدثين لفظا ومعنى الدالة على زيادة الاعمار ببعض الاعمال المعلقة

وهذا لا يلزمه التبدل والتغير في علم الله تعالى لانه في حال التقدير الازلي
مبرم ومعلق ايضا فما كان في علمه الازلي وقضائه المبرم لا محو فيه
ولا اثبات فيه فكانت تلك المعلقات من المبرمات في علم الله الازلي
لعلمه على ما كان فلا يضره التعليق اذ ما هو لعناية احوال العباد وسترها
في طريق المعاد وهذه نعمة جليلة عائدة الى صلاح العباد وترغيبهم
الى الطاعات وانواع العبادات وهذا مما عرف من العلماء المجتهدين
والعظماء المحدثين المفسرين كالامام الاعظم نعمان بن ثابت وتلاميذه
من يعقوب الاصفهاني الشهير بكنية ابي يوسف والامام محمد وابي منصور
الماتريدي وتلاميذه الى يومنا هذا وذهب بهذا المسلك الحق وبالاتباع
الحق تخليصا انفسهم عن الجبر المستلزم الفساد العظيم كثير من افاضل
الاشاعرة كالامام الرازي فخر الملة والدين والامام الملقب بامام
الحرمين عبد الملك الجويني وتلاميذهم وامثالهم تطهيرا لمذهبهم
عن دنس الجبرية الموجبة كون الانزال والارسال والترغيب والترهيب
عبثا بحيث لا فائدة فيها على هذا التقدير كما مر آنفا فسبحان الله عما
يصفون ويلزم مما يقولون علوا كبيرا وقال الامام الكواشي من الاشاعرة
في هذه الآية العزيزة ان الله تعالى وعد لقوم نوح ان آمنوا ان يعيشوا
مثلا الف سنة واذا لم يؤمنوا بدا ان يعيشوا تسعمائة فقيل لهم آمنوا تعمروا
الف سنة ثم اخبر الله تعالى ان الاجل اذا جاء لا يؤخر انتهى ومثله
في التفسير الكبير للامام فخر الملة والدين كثير بل هو مملوء في كل المواضع
وهو من زبدة الاشاعرة وذكر الامام البيضاوي الشيرازي والامام
ابو السعود العمادي في قوله تعالى في سورة الفاطر وما يعمر من معمر
اي من احد وانما سمي معمرا باعتبار مصيره بالمجاز الاولي وما يمد
من عمر احد ولا ينقص من عمره اي من عمر احد على طريقة قولهم لا يثيب الله

قوله كالامام الرازي
بيان لقوله وذهب
بهذا المسلك كثير
منه

عبدٌ ولا يعاقبه لا يمحو لكن لا على معنى لا ينقص من عمره بعد كونه زائدا
بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصا وقيل الزيادة والنقص في عمر
واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكتب فيه ان حج
فلان فعمره ستون والا فاربعون واليه اشار النبي المصطفى والحبيب
المجتبى عليه من الصلوات اعلاها ومن التحيات انميها الصدقة والصلة
تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وقيل المراد بالنقص ما يمر من عمره
وينقص منه فانه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب
تحت ذلك ذهب يوم وذهب يومان وهكذا حتى يأتي على آخره
وقرئ ولا ينقص على البناء للفاعل ومن عمْره بسكون الميم الا في كتاب
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اللوح وقيل علم الله الازلي عز وجل وقيل
صحيفة كل انسان ان ذلك اي ما ذكر من الخلق وما بعده مع كونه
محارا للعقول والفهوم على الله يسير لاستغنائه عن الاسباب فكذلك
البعث انتهى وقال ابو المعين عمر النسفي في تفسير التيسير في قوله
يمحو الله ما يشاء ان السعادة والشقاوة تتبدلان لكن بالنسبة الى اللوح
المحفوظ لا بالنسبة الى علم الله الازلي فانه لا محو فيه ولا اثبات
ولو قلنا بان الشيء لا يصير سعيدا او بعكسه يؤدي الى ابطال
الكتب وبعث الرسل فهذا كفر وضلالة كذا ذكره في بحر الكلام
من العقايد له وقال عمر النسفي ابو المعين فيه ايضا ان السعادة والشقاوة
والاجل والرزق من جملة المعلقات عند كبائر الاصحاب كعمر بن
الخطاب وابنه عبد الله وعبد الله بن مسعود وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم
حتى روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال يمحو الشقاوة بر الوالدين والصدقة المعروفة انتهى
وقال الامام الحافظ القرطبي رح في تفسير هذه الاية من قوله تعالى

يمحو الله

يمحو الله ما يشاء ويثبت انه يكتب في اللوح المحفوظ ان عمره فلان كذا
سنة ثم يمحوا عند عدم الشرط ويثبت عند وجوده وقال الامام
الحافظ حسين البغوي رح في تفسيره المعالم في تفسير هذه الاية
روينا عن عمر بن الخطاب وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما انهما قالا
في تفسيره يمحو السعادة والشقاوة ويمحو الرزق والاجل ويثبت ما يشاء
ورواه عن عمر رض انه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم
ان كنت كتبتني من اهل السعادة فاثبتني فيها وان كتبتني من اهل الشقاوة
فامحني فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب ومثله
روي عن ابن عمر وابن مسعود وغيرهم من اكابر الصحابة والتابعين رضي الله عنهم
وقال الامام العلامة في الاصول والفروع ابو البركات احمد النسفي
في تفسيره المدارك في سورة نوح من قوله تعالى ويؤخركم الى اجل مسمى
ان الله تعالى وعد قوم نوح ان آمنوا ان يعمرهم الف سنة وان لم يؤمنوا
اهلكهم على رأس تسعمائة فقيل آمنوا يؤخركم الى اجل مسمى اي تبلغوا
الالف الموعود ثم اخبر ان الالف اذا جاء لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت
انتهى وقال الامام احمد النسفي ايضا في قوله تعالى يمحو الله ما يشاء على الاطلاق
يمحو في ديوان الحفظة ما يشاء ويثبت غيره او يثبت من حان اجله
وعكسه انتهى والاقوال التي رويناها من ائمة الاعلام مقبولة عند
العلماء العلام فيكفي قول احدهم فضلا عن اجمعهم فهم في الشريعة
النبوية والطريقة المصطفوية كالشموس السماوية والكواكب
النيرة الكمالية فانهم اجتمعوا على ما اجتمع عليه من كبار الاصحاب
واتفقوا ما اتفق عليه اولو الاجتهاد وذوو الالباب فلما سمعت
اقوالهم الجلية فاستمع ما يقرء عليك من اقوال المحدثين المشتهرين
من العلماء المستنبطين شهرة القمر في الكواكب ادخلهم الله تعالى

قوله حان اجله اي وقت

معنانى اعلى المراتب فى الجنات العاليات من الدرجات الرافعات فهم
ابن حجر الحافظ العسقلانى شارح البخارى الشيخ الاسلام فى الحديث
الذى رواه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وهو قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
كتب الله مقادير الخلايق قبل ان يخلق السموات والارض كذا فى مشكوة
المصابيح فى باب الايمان وقال شارحه افضل المحدثين واكرم
المفسرين رح اى قدر وعين مقادير هم تعيينا بتا لا اثباتى اجمالا فبالنسبة
الى ما فى علمه القديم الازلى المعبر عنه بعلم الكتاب حيث لا محو فيه
ولا اثبات فيه او معلقا كان يكتب فى اللوح فلان يعيش عشرين سنة
ان حج وخمسة عشر ان لم يحج وهذا هو الذى يقبل المحو والاثبات المذكورين
فى قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت اى ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت
ما يقتضيه حكمته وعنده ام الكتاب اى اصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ
اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه على الاجمال تارة والتفصيل تارة اخرى
اذ المحو والاثبات فيه موافقا لما فى علمه الازلى المبرم كذا ذكره ابن حجر
فى شرحه اقول فى كلام مرخفا اذ المعلق والمبرم كل منهما مثبت فى اللوح
وانما المعلق بالنسبة الى اللوح فتغيره وتبدله ناظر الى التردد فيه
بالنسبة الى علم الله الازلى فهو مبرم عالم فى كنه حقايق الاشياء فلا يشوبه
التغير والتبدل والمحو والاثبات اليه واذ فهم التعليق منه ظاهرا كما فى الايات
المذكورات التى هى صفة ازلية فى الذات الابدية كما فى قوله العزيز فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر وقوله العزيز ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
كانت لهم جنات الفردوس نزلا الخ فكون الجنات نزلا معلق بالايمان
ان آمن دخل والا فلا فى الازل الا ان الظاهر الكتة مبرم فى الحقيقة
لانه تعالى يعلم السر واخفى والغيب والشهادة بالعلم الاعلى فما علق فى اللوح
بالنسبة الى المخلوق وان صح ان يكون مبرما فى علم الله الازلى منزها

تفصيلا لاشيا
اجمالا وتفصيلا

ع

عن الريب

عن الريب والشك فاذا كان كذلك فهو عين العلم الازلى مبرما فالتعليق
والارتياب بالنسبة الى المخلوق قال خاتمة المحدثين على بن سلطان
القارى عليه رحمة البارى فى كتابه التبيان والتحقيق ان الله سبحانه
وتعالى قدر المقدورات قبل خلق الموجودات على وفق ما تعلق علمه بالمكونات
ويعبر عن علمه بعلم الازلى الذى لا يتغير ولا يتبدل فيه ثم خلق اللوح
المحفوظ والقلم الملحوظ وامر القلم بان يكتب ما كان وما سيكون فكتب
القلم فيه بعض الاشياء مجملا وبعضها مفصلا وبعضها مطلقا
وبعضها معلقا فهذا الاعتبار يجوز الزيادة والمحو بالنسبة الى المنقوش
فى اللوح فلذا قال الله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت واما بالنسبة الى العلم
القديم الازلى فقد جف القلم بما هو كائن واما فى صحف الملائكة
التى استنسخت من اللوح مما يحدث فى كل سنة من اولها الى آخرها
فى ليلة القدر وكما انه يكتب عند نفخ الروح فى كل ولد آدم من رزقه واجله
وعمله والسعيد والشقى فهذا كله جزئيات مما فى اللوح المحفوظ كما ان
اللوح المحفوظ جزئى من علم الله المحيط بالكليات والجزئيات والموجودات
والمعدومات ثم يكتب الكرام الكاتبون اعمال العباد والجزاء يوم الميعاد
فتقابل كتابتهم بما فى اللوح المحفوظ فلا زيادة ولا نقصان فسبحان
من دبر امر العباد على وفق المراد وهذا من جملة اسرار القدر والقضاء
ما ضل وغوى فيها الجهلاء وتحير فيها الفحول والعقلاء ولم يتخلص
عنه فضلاء العلماء الا بقولهم لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون انتهى
ويؤيده قوله تعالى فى سورة الانفال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
جواب للعين نضر بن الحارث حين قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وروى

مطابقا لما فى اللوح المحفوظ
الذى فى علم الله

ع

ان هذا اللعين حين قال ان هذا الا اساطير الاولين فقال له النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ويلك انه كلام الله تعالى فقال ذلك فبين الله تعالى حكمة المهل
وموجب عدم الاتيان العذاب ويوقف اجابة دعائهم عليهم واللام لتاكيد
النفي والدلالة على ان تعذيبهم بعذاب ووجود النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
مانع بالحكم العلية مادام فيهم وكذلك وجود الاصحاب المستغفرين الباقين
بعد هجرة النبي صلعم من المؤمنين المستضعفين الغير القادرين على الهجرة معه
صلعم فبينه تعالى بقوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ونفي
العذاب منسحب ومعلق الى الاستغفار اي ولو لم يكن فيهم المؤمنون
المستغفرون يعذبوا لانهما اذا موافيهم وجودك فهم لم يعذبوا فحتى خرجوا
لجاءهم العذاب بغتة فلما خرجوا منها اسلط الله نبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم
ففتحوا بلدتهم مكة وخربوا وقتلوا وافضحوا بين امثالهم جزاء وفاقا
فالنفي تعلق الى استغفار الكفار اي ولو كانوا ممن يؤمنون ويستغفرون
من الكفر والشرك والضلالة لم يعذبهم في الدارين وذهب الى هذا التفسير
جمع غفير من المفسرين وجم وفير من المحدثين حتى كان منهم ابن عباس سلطان
المفسرين ودعا له النبي صلعم بقوله اللهم فقهه في الدين فكان كذا فعلى
هذا يكون عذابهم واجالهم وتاخرهم معلقا به كما في قوله تعالى في سورة الفتح
لو تزيلوا اي تفرقوا وتميز المؤمنون بخروجهم من بين الكافرين لعذبنا
الذين كفروا من اهل مكة منهم عذابا اليما فخلاصهم منه بسبب من بينهم
من المؤمنين المستغفرين ففي هذه الاية بشارة عظيمة لاهل الايمان
بانهم ما داموا في الاستغفار خلصوا من العذاب في الدارين وهذا التعليق
اظهر من الشمس حيث علق العذاب على التزيل والتفرق فهذا لا يحتاج
الا بصرف الارادة والمحو والاثبات في الاشياء على ما كتب في اللوح المحفوظ

ولا اثبات

والله تعالى بعلمه كيف يكون لعلمه الازلي فلا محو فيه ولا اثبات وقال
من العلماء المحدثين المتبحر بن عبد اللطيف الشهير بكنية ابن ملك
عليه رحمة رب الملك في شرحه للمشارق في قوله صلى الله عليه وسلم من سره
ان يبسط له في رزقه وينسأ له في اثره اي يوخر في اجله فليصل رحمه
من المشارق فان قيل الاجال والارزاق مقدرة لا تزيد ولا تنقص
بالنصوص الدالة عليها فما وجه الحديث ومعناه اجيب بان الاشياء
قد تكتب في اللوح المحفوظ متوقفة ومتعلقة على الشروط كما يكتب
ان وصل فلان رحمه فعمره سبعون سنة والا فخمسون ولعل الدعاء والكسب
من جملتها وهو المعنى المقصود من قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت
لكن هذا بالنسبة الى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ لا بالنسبة
الى علم الله الازلي اذ لا محو فيه ولا زيادة وقال ابن ملك ايضا في قوله
تعالى صلى الله عليه وسلم ان الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده
فاختار ذلك ما عند الله الحديث واعلم ان التخيير غير مختص بنبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم وان هذا التخيير انما يفيد اذا كانت الاجال
معلقة واما اذا كانت مقطوعة ومبرمة ففائدة التخيير لم يظهر
اللهم الا ان يحمل على الاكرام لهم والتطييب لقلوبهم والطلب على الرضاء
ومعلوم انهم لا يختارون الدنيا على ما في الاخرة انتهى وذكر علي القاري
رح في شرح هذا الحديث اي مقدار ما اراد من طول العمر والبقاء في الدنيا
فاختار ذلك العبد ما عند الله تعالى لانه خير وابقى انتهى وقال الامام
برهان الاسلام الزرنوجي من تلاميذ صاحب الهداية الفقيه رح
في كتاب تعليم المتعلم وما يزيد في العمر الا البر انتهى رواه ثوبان كذا في المصابيح
والمشكوة قال الشارح قيل الاجال والارزاق معلومة ومقدرة لا تزيد
ولا تنقص بالنصوص الدالة عليهما فما وجه معنى الحديث فاجيب عنه

بان الاشياء قد تكتب في اللوح المحفوظ متوقفة ومعلقة على الشروط
كما يكتب ان فلانا فعمره سبعون سنة ان حج ووصل والا فخمسون سنة
وهو المعنى في قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت انتهى وروى عن ثوبان رض
ايضا قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرد القدر الا الدعاء
ولا يزيد في العمر الا البر وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه رواه ابن
ماجه وروى عن انس رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من احب ان يبسط له في رزقه وينسأ له في اثره فليصل رحمه رواه
البخاري ومسلم انتهى وقال على القاري في شرح المشكوة في شرح هذا الحديث
الاول اي لا يرد القضاء المعلق الا الدعاء المستجابة المحققة ولا يزيد في العمر
الا البر قال شارح المصابيح الشهير بالتوربشتي رح يحتمل ان يكون المراد
بالقدر امر الدعاء اي لولا الدعاء لكان مقدرا ويكون المراد بالعمر ما لولا
البر لكان عمره قصيرا وهو القضاء المعلق في اللوح المحفوظ المكشوف
لملائكته لا القضاء المبرم المتعلق به علم الله الازلي المعبر عنه بعلم
الكتاب فيكون الدعاء والبر سببين من اسباب ذلك وهما مقدران
ايضا كتقدير حسن الاعمال وسيئها الذين من اسباب السعادة والشقاوة
مع انهما مقدران ايضا انتهى وقال في شرح الحديث الثاني من قوله عم
ان يبسط له رزقه اي يوسع له في رزقه وينسأ له في اثره اي يؤخر
اجله والاثر الوقت المعينة لوجود الموجود وانما سمي بالاثر لانه يتبع
العمر كما يقال جاء في زيد وعمر في اثره قال الامام المقتدى الشافعي
رح في تاخير الاجل سؤال مشهور وهو ان الاجال معلومة والارزاق
مقسومة مقدرة لا تزيد ولا تنقص بدليل قوله تعالى فاذا جاء اجلهم
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وهو نص قاطع فاجاب العلماء
عنه بوجوه الوجه الاول ان هذه الزيادة بحسب الخير والبركة يعني

متن لا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر

انه يكتب

انه يكتب في العمر القليل العمل الكثير فيكون واحد الف مثلا كما
قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وهذا الجواب
ساقط لكونها امرا مبهما فلا يناسب السؤال ولا يكون موافقا له والبحث
في كون الاجال معلقة فلا يسمن السائل ولا يغنيه وانه ناظر الى مذهب
من ذهب ان الاشياء الموجودة في اللوح المحفوظ كلها معلقة على الشروط
الداعية الا الاربعة الاجل المعلوم والرزق المقسوم والسعادة والشقاوة
بخلاف كونها معلقة والسؤال المبني عليها والوجه الثاني ان هذه الزيادة
والنقصان بالنسبة الى ما كتب في اللوح المحفوظ معلقة على الشروط
فيظهر للكرام والبررة المستنسخة منه ان عمر فلان ستون سنة
الا ان يصل رحمه فان وصلها زيد له اربعون سنة فصار عمره مائة سنة
وقد علم الله تعالى ما سيقع له من ذلك بعلمه الازلي الذي لا يعرض عليه
المحو والاثبات وهذا المعنى في الحديث المذكور معنى النص القاطع بقوله
تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت فعلى هذا المعنى لا يستلزم التقدم والتاخر
في العلم الازلي الذي لا يقبل المحو والاثبات وانما هما بالنسبة الى علم
الملائكة الذين امروا بالكتب من ليلة القدر الى السنة القابلة
من الكرام البررة والسفرة من المقدرات الالهية المعلقة وجودها
الى الازمنة الاتية على الشروط المترددة على قدر فهمهم وهذه الامور
المعلقة مبرمة في علم الله الازلي حيث لا ترديد ولا تعليق وان فهم
من الايات التعليق ظاهرا لكنه في الحقيقة مبرم ومقطوع فانه يعلمه
على ما هو كائن فالنزاع لفظي لكنه يجب فهمه اذ لو بقي في المبرمية
ولم يعلق في اللوح يستلزم المفاسد العظيمة كلها لا يليق الاعتقاد
الموحدين المكلفين المجاهدين من عبثية ارسال الرسل وانزال الكتب
وتكليف الاوامر والنواهي والوعد والوعيد والترغيب والترهيب

نعوذ بالله تعالى من المذاهب الباطلة والجبرية العاطلة المنكرين للامور
الالهية للعباد لاخرويتهم والوجه الثالث ان ما كتب في اللوح هو عين
ما كان في علم الله الازلي والتعليق انما نشأ من الترديد في الشروط
بالنسبة الى علم الملائكة السفرة البررة المستنسخة وهو تعالى يعلمه
في الازل والابد انه كيف يكون ويقع من العبد اذ هو عالم الغيب والشهادة
الكبير المتعال لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات العلى والارض الثرى
انتهى اقول وانما هو لتوسيع النعم وتكميل الكرم على عباده المؤمنين
المكلفين بعبادات الامم من اهل الطاعات واظهار خيرية الامة
المقبولة عند اهل العرصات وسرور النبي المختار المجتبى والاتقى الممتاز
المصطفى بين الانبياء العظام والاولياء الكرام صلوات الله وسلامه
على نبينا المسرور ربنا وعليهم اجمعين والجواب الرابع من موهبة الالهية
من حيث يظهر فوائد البعث والانزال وتكليف التكاليف الشاقة
المتنوعة على العباد وتخليص عقايدهم عن مذهب الجبرية الردية
وفوائد الاعمال الحكمية بالسعادة والشقاوة معرضاً عما امر الله تعالى
ونهى العباد واحال السعادة والشقاوة على كسب العباد فلو لم يكن معلقاً
لما ظهر جهد المجاهدين بالاعمال الصالحات والعبادات الرافعات
وفوائدها من اعطاء الجنات من الوعد الكريم والوعيد عند عدم المأمور
من الرب العليم فكن من الشاكرين الداعين على العلماء المفسرين والفخماء
المحدثين بحيث بينوا معاني الآيات العظام بالاجتهاد واستنبطوا
منها ومن الاحاديث الكرام درر الفوائد والتقطوا غرر العوائد من
زبرة دقايق فحول العلماء وعمدة حقايق اصول الفخماء فكل فرد مما ذكر
في هذا الكتاب المستطاب كجبل الاحد بل اكبر فانظر في كتبهم المحررة
وحرر ساقك في التماس عقايدهم وجلب قواعدهم وحفظ فوائدهم
متنعماً

متنعماً من المأدبة الجليلة ومتبسماً بالصفاء الجميلة فادع الى الفقير
المؤلف بالادعية الخيرية المتلقفة خاصة بالاخلاص والفاتحة
لان الشكر واجب في نعمة وافية ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله اللهم
اجعلنا بكل نعم من الشاكرين واحشرنا معهم في درجات جناتك من الخالدين
الذاكرين مع الذين انعمت عليهم من الصديقين والشهداء والصالحين
وارزقنا فيها ابتلاءً فيهم ابد الآبدين ودهر الداهرين قال
الامام العلامة استاذ العلماء وبرهان الاصوليين الشهير بالصابوني
في شرح الكفاية على البداية في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم صلة الرحم
تزيد العمر يعني كان في علم الله تعالى لولا هذه الصلة لكان عمره كذا ولكن
علم بعلمه الازلي انه يصل رحمه فيكون عمره زائداً من ذلك ويعيش
الى هذه المدة لا محالة بالنسبة الى ما كتب في اللوح المحفوظ من التعليق
انتهى وهذا عين ما بينه المفسرون وصوره المحدثون فيما سبق من اول
البحث الى هنا من تحريرات انيقة وتقريرات بديعة من تعليق الاجل
والارزاق والسعادة والشقاوة من كل الاشياء المصنوعة والاشباح
المخلوقة كما ذكرنا تكراراً وبيّنا امراراً لان عادة الله العلي الاعلى ان يربط
المسببات الى الاسباب الظاهرة في الدنيا والاخرة كالامطار للنباتات
والصيف للثمرات والوالدين للولد والمعدود للعدد والمعلم للمتعلم
والكتب للعلم والاموال للصدقات والاعمال لنيل الدرجات وارسال
الانبياء للامة عليهم الصلوات والتحية وقس على هذه التقريرات
سائر الاسباب نحو المسببات فكان اكثر الاشياء التي ربطها الله تعالى
في علمه الازلي الى الاسباب هكذا فهو في الحقيقة بخلقه تعالى وابداعه
وانشائه الا ما اراد وجودها بعلمه الازلي من غير ربط السبب كخلق آدم
الى البشر بغير الوالدين وعيسى عليهما الصلوات بغير الوالد والسموات

كذا في الحديث صح

ولارضين والملائكة فى السماء والعرش والكرسى من غير مادة وعاية من الاولين والاخرين كما قال الله سبحانه فى كتابه العزيز تلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون وقال الله تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً وقال تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للكافرين نارا وامثالها كثيرة فى الايات البينات والاحاديث لواضحات فوعد المؤمنين المجاهدين الدرجات فى الجنات لمراعاته الاسباب اذ يقدر ذلك كسب المعالى فى الاسباب بخلق الله تعالى عندها بمقتضى حكمته اذ صادفت ووافقت التقدير عند ارادة التدبير الذى ليس بموجب ولا مقتضى عند اولى الالباب بل اذ وافق التقدير الازلى بعلمه الابدى فعلمنا ان ما حصل لنا بخلق الله تعالى وتقديره فى ازل الازال منوطاً الى ربط الاسباب الظاهرة فى الدنيا والاخرة فلولاها لما حصل لنا اهل المرام فى الدنيا والعقبى من السعادات المأمورة بها كل فرد من الافراد وكل احد من الاحاد حتى الانبياء والملائكة والناس اجمعين فظهر اسرار ارسال الرسل بالكتب الالهية والحكم الربانية وانواع السبل وعين تعليقا الامور موافقة للمأمور بالشرايع المتنوعة والشمائل المتفرقة ليجد كل نفس ما عملت مقدار عمله عن الربانية الجلية وما قدرت مثقال ذرة من السعادة السرمدية من اهل السعيد والشقاوة الابدية من الشقى قال الفاضل المحشى شهاب الدين فى قوله تعالى فى سورة الفاطر فيجوز ان يكون احد معمراً اذا عمل عملاً معلقاً عمره به وينقص من عمره اذا لم يعمله لانه كالشرط يلزم من وجوده وجود المشروط وانتفائه انتفاؤه فلذا جاز الدعاء بطول العمر وكثير الرزق والسعادة والشقاوة كدعاء موسى صلوات الله على نبينا وعليه على فرعون وقومه بقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وقال الفاضل خاتمة المفسرين ابو السعود

وتفسيره

فى تفسيره فى هذه الاية وما يعمر من معمر اى من احد وانما سمى معمرا باعتبار مصيره مجازاً اوليا اى وما يمد من عمر احد ولا ينقص من عمره اى من عمر احد على طريقة قولهم لا يثيب الله عبداً ولا يعاقبه الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائداً بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصاً وقيل الزيادة والنقص فى عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت فى اللوح مثل ان يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون والا فاربعون واليه اشار صلى الله تعالى عليه وسلم الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان فى الاعمار الا فى كتاب عن ابن عباس رضى الله عنه اللوح المحفوظ وقيل علم الله الازلى عز وجل وقيل صحيفة كل انسان ان ذلك اى ما ذكر من الخلق وما بعده مع كونه محاراً للعقول والافهام على الله يسير لاستغنائه عن الاسباب الظاهرة والاعوان المأهرة وهن للعجزة من المخلوقات لله عز وجل فالكل يحتاج اليه تعالى فى الوجود وما لزم له فانه تعالى مصمود اليه وحده لا شريك له فالاشياء كلها مملوكة له وهو مالك الملك والملكوت والعزة والجبروت وقال الفاضل المذكور وهذا المسلك ما عرف من السلف ونقل من ائمة المجتهدين الماتريدية الحنفية فى المذهب والاعتقاد من الخلف الموافق لاعتقاد فضلاء الاصحاب كابن عباس وابن عمر وابيه وابن مسعود وغيره من كبار الصحابة والتابعين ونعمان ابن ثابت وتلاميذه القائمة مقامه فى اجتهاد مصالح الدين من كتاب الله الكريم واحاديث الرسول الرحيم فانهم يثبتون الارادات الجزئية والاختيارات الخيرية للعباد المنوط اليها ارسال الرسل مع الكتب الالهية والحكم الربانية والاوامر المأمورة والنواهى المنهية المنتهرة بسبب الاسباب الظاهرة مربوطة بالمسببات المقدرة من اعمال العباد وافعال الطاعات من الصوم والصلوة والحج والزكوة بعد التصديق

بالجنان ولا اقرار باللسان اما بكونه شطراً او شرطاً على ما ذهب اليه اعظم
الائمة وافخم الامة استاذ العلماء عمدتهم وبرهان الصلحاء زبدتهم
قطب دائرة الكرامة غوث واصلة العناية شمس الدين المحمدية شرقاً
وغرباً ونور الشريعة الاحمدية بعداً وقرباً اعلم فضلاء المجتهدين في زمانه
الى يوم القيمة انهم كملاء المستخرجين كل يوم وليلة الا وهو الامام المقتدى
في الاصول والفروع المهتدى في الوصول والشروع الائمة كلهم اتباعه كما
اقر الامام الشافعي رح فقال الناس كلهم عيال نعمان بن ثابت واتباعه
الكوفي مولداً والبغدادي موطناً الرابع من اولاد نوشروان العادل عليه
من الرحمة اعلاها ومن النعمة في الجنان ابهيها فانهم ذهبوا واتفقوا على
ان الارادة الجزئية والاختيارات الخيرية ثابتة للعباد معدومة غير
موجودة ومخلوقة وبها امر ونهي وبعث الانبياء والرسل بالكتب الالهية
والاحكام الربانية من ائتمار الاوامر وانتهاء النواهي ووعد الجنان للمطيعين
ووعيد النيران للطاغين وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين
فالمأمورات والمنهيات لا تحصل الا بصرف العباد الارادة وكسبها
وليس للارادة الجزئية والاختيارات القلبية وجود في الخارج فلا يوجد
لم يكن موجوداً ولا مخلوقاً وانما وهبها الله تعالى لعباده المكلفين بانواع
التكاليف الشاقة لمعاملة اصحاب الخيرة وارباب الغيرة كما قال في كتابه
الكريم ليبلوكم ايكم احسن عملاً وقال ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا
ترجعون فهذا الاختبار والابتلاء انما هو لالزام العبيد يوم المحاسبة
والا هو تعالى عالم الغيب والشهادة في الازل والابد ولا يعزب عن علمه مثقال
ذرة في السموات العلى والارضين الثرى وما فوقهما وما تحتهما من الاعلى
والادنى فلا يكون مريدها خالقها وانما المخلوق ما حصل من تدبيرها
وتفكرها من الذهاب والاياب واللبس والاعطاء والاخذ والبيع والاشتراء

والحلم

[Margin: [illegible]]

[Margin: ٧ حتى تحتاج الى الخلق وتعلق اذ الخلق عبارة عن ايجاد المعدوم ولا وجود لها في الخارج صح]

والحلم والغضب والترغيب والترهيب والاعانة والاهانة على ما يقتضيه
الحال ويقتضيه المآل من اللوازم الدينية والدنياوية واللوازم الصورية
والمعنوية بحيث تقتضي وجود الملحوظ او عدمه وقد جعلها الله تعالى شرطاً
عادياً لخلقه وجود المسببات او عدمها بصرف العباد فهي تتعلق بكل من
الضدين الرحمانية والشيطانية والسعادة والشقاوة وكون افعال العباد
موجوداً في علم الله الازلي وارادته الابدي وتقديره وكتبه في اللوح المحفوظ
لا يستلزم كون صدورها من العبد بالجبر اذ التقدير تابع للعلم والعلم تابع
للمعلوم وشان التابع ان لا يؤثر في المتبوع ولا يعرف العبد وحاله من الاطاعة
الرحمانية والاهانة الشيطانية الا بعد صرف الارادة الجزئية وبذل
الاختيارية من وسعه المكلف بالاوامر الشاقة والنواهي المادة بهذا الحال
حال المعلوم وشان المعقول من المفهوم عن الصرف والاختيار والمتبوع
وعدم تأثيره فيه فلم يلزم الجبر على العقائد الماتريدية المنصورية كما وقع
على اصحاب الاشعرية من الجبر المتوسط بحيث انهم لا ينكرون الارادة
الجزئية ولا يثبتون بها شيئاً بل يقولون وجودها مخلوقة كسائرها في وجودها
وعدمها فانهم وقعوا في الاوسط بين الاقرار والانكار فاذا وقعوا في الجبر
المتوسطة التي ثبت بالنصوص القديمة من قوله تعالى في سورة الكهف
فمن شاء الايمان فليؤمن ومن شاء الكفر فليكفر قلت بطاردهم من عندي
من غير امر من الله العليم والوحي من ذي العرش العظيم موافقاً لهواكم ومطابقا
لهواكم وروي ان هذه الآية الكريمة نزلت حين طلب رؤساء الكفار طرد
فقراء المسلمين من مجلسه كصهيب وعمار وخباب وغيرهم وقالوا له صلى الله
تعالى عليه وسلم اطردهم حتى نجالسك فاذا اسلمنا اسلم سائر الناس كلهم
وما يمنعنا من اتباعك الا هؤلاء لانهم من الفقراء فلا يصلحون لصحبتنا
لانا من رؤساء القوم فلا مناسبة بالجلوس معهم فامر الله تعالى بالصبر

[Margin: [illegible]]

[Margin: واما اهل السنة والجماعة من اصحاب الماتريدية فانهم بحث قالوا فهو امر بين الشيئين اما بين التفويض و الجبر فالاول يتعلق بمذهب اهل الاعتزال والثاني رد لمذهب الجبرية وكلاهما فخير الامور اوساطها صح]

معهم فان الصبر مفتاح الفرج فان بعضهم يؤمنون وبعضهم يقتلون
بسيفك ولا واصبر نفسك مع الذين كصهيب وعمار وخباب وغيرهم
من الاصحاب المجاهدين والاحباب الصمدية يدعون ربهم في كل الاوقات
من الشهور والايام والساعات من الدهور والاعوام وثابتين على قوة الاسلام
وداعين على شجاع الايمان على الدوام صبحا ومساء بالغداة والعشي
وقيل المراد الصلوات الخمس وصلوة الفجر والعصر يريدون بعبادتهم
وطاعاتهم في السفر والحضر والصفاء والجفاء والمقابلة بالمصافحة والمقاتلة
بالمحاربة المرغوبة رضاء الله تعالى بكل القيام في الايام والاعوام وجهه ورضائه
في كل الاعمال في الحال والمآل ولا يميلون الى الاشياء التي يميلها وطلبها اتباع
من اعراض الدنيا الدنية واعراض الحمقى الردية ولا تعد عيناك
اي ولا تجاوز ولا تصرف بها عنهم لرثاثة حالهم من الفقر والفاقة
نظرا الى زي الاغنياء وهم عند ربك من الفقراء وعسى ان ينقلب
غناؤهم الى الداعين المخلصين بل يملكون رقابهم بالسبي والغارات
والغلبة والاسر بعد بعد من الاوقات والمؤمنون انتعبوا في ابتداء
حالهم فكيف لا وهم هجروا الى الاطراف تاركين اموالهم وديارهم
وما ملكت ايمانهم ثم ان الله عز وجل انجز وعده لهم وابرز وعيده
للكفار فغلبوا عليهم كلما حاربوا وملكوا اموالهم وديارهم ربما قاتلوا
فكانوا من الاغنياء كلهم فكثيرهم لا يعلمون عدد الدنانير والدراهم
حتى انتقل منهم عمرو بن عاص رض فاتح مصر فرعون فبقى منه الف
ملو جلد الابل بالدنانير ولم يتعرض ابنه عبد الله الزاهد من العبادلة
الاربعة من رواة الحديث من زهده وتقواه واعراضه عن الدنيا
المذمومة واقباله الى العقبى الممدوحة وتركه على حاله فبقيت تلك
الدنانير ثم اعلموا عمر بن الخطاب رض وهو امير المؤمنين في المدينة

فاخذها

فاخذها الصرف حوايج الغزاة والفقراء كذا قاله شارح الشفاء على القاري
ح في شرحه تريد زينة الحيوة الدنيا حال من ضمير قوله ولا تعد
ولا تطمح في كلامهم بالطرد عن مجلسك النور الهادي من اغفلنا قلبه
عن ذكرنا اي القرآن المنزل عليهم بالاحكام والاوامر والنواهي والتوحيد
بالخذلان الذي هو مطلوبهم بصرف ارادتهم وكسبهم واتبع هواه
بالكفر والضلالة والغواية ونيل منتهاه وكان امره فرطا بضم الفاء
والراء من التفريط والاسراف اي كان حاله دائما التجاوز نفخة الاسراف
والتفريط فهذا حال من نبذ الحق ولم يبال ما وقع فيه وما فعل له
ولم يتفكر فاي شيء وقع في قلبه فعل وتكلم ولم يخف عن الغضب
والعذاب والنصب والعقاب لغاية حمقه ونهاية جهله وكفره وضلالته
مثل مثل نضر بن الحارث من اشداء الكفار واحد اهل النار دعى عليه
بجهله وكفره بقوله فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم
فاتاهم عذاب الله بسيف نبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا هم
ينصرون وملك رقابهم وديارهم واموالهم واسروا ازدراريهم
من الاولاد والنسوة واعتقهم بعد السؤال كيف تظنون باني ما افعل
في مقابلة ما فعلتم لي ولاصحابي واموالي وما تقولون فيما بينكم
بعد استحقاقكم بانواع البلية باني فاعل بكم فقالوا جميعا طرا خيرا
اخ كريم ففهم صلى الله تعالى عليه وسلم عجزهم وطلب الكرم من لطفه
المبذول على الجميع فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم
اذهبوا فانتم الطلقاء اي المعتقون من الاسر فاعتقهم رسول الله بعد
تملكهم باسرهم صلى الله تعالى عليه وسلم وقد لاطف النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم بابي سفيان بقوله ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ويقرب دخول
الاسلام ان تعلم ان لا اله الا الله فقال ابو سفيان بابي انت وامي

يا رسول الله ما احملك واوصلك واكرمك فانا مثلنا اصحابك وقتلنا
عمك حمزة الشهيد واخرجناك عن بلدتك واردنا قتلك الف مرة
فاكرمتنا في هذه المقابلة انت اخ كريم وابن اخ كريم ما احملك واوصلك
اي رحمك واقربائك ثم اسلموا جميعاً واحسنوا اسلامهم وجاهدوا معهم
فكانوا من الشهداء رواه القاضي عياض في الشفاء فلما نزلت هذه الاية
فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله الذي جعل في امتي من امرت
ان اصبر نفسي معهم ثم امر الله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يقول الحق
الذي ارسل به فقال وقل هو الحق اي ترك طرد المؤمنين وهو الحق من ربكم
لا طردهم فانه باطل فمن شاء الايمان فليؤمن ومن شاء الكفر فليكفر
فلست بطاردهم من عندي فاعملوا ما شئتم فاسند المشيئة الى العبد
المكلف بالايمان والاسلام وما لزمه من الصلوة والصيام والزكوة
والحج والشهادة بالاداء والقيام غير مخلوقة مكسوبة وموهوبة للعباد
اظهاراً للطفه لهم وابرازاً بنعمه عليهم والزاماً لعباده بما صدر منهم
بما كسبته ايديه ولجزائه بجزاء الوفاق لديه لانهم يجزون من جنس
عملهم بما عملت ايديهم فلولا ثمرة مشيئة العباد لما قال الله تعالى بما كسبت
ايديهم وبما عملت ايديهم وبما كانوا يكسبون وبما كانوا يعملون ولما قال
من عمل صالحاً فلنفسه ومن اساء فعليها ولما وعد للمؤمنين المخلصين
والاخلاص من الكسب ولما اوعد للكافرين المعاندين والمعاندة والمكابرة
من كسب العباد ولما حرض على الاعمال الخالصة بقوله فليعمل العاملون
فليتنافس المتنافسون فلزم ووجب من هذه الادلة الظاهرة القطعية
والبارزة الساطعة ان يقول العبد ويعتقد ان الارادة الجزئية المثبتة
بالايات القاطعة والاحاديث الساطعة موهوبة للعباد معدومة
غير مخلوقة قابلة للتعلق بالخير والشر ان الخلق في الاشياء عبارة من ايجاد

وايداعها

تنبيه ان الارادة الجزئية ... على سبيل التاكيد والتوضيح

وايداعها فلا يوجد لا يكون موجوداً ولا مخلوقاً ولا يكون مريدها
خالقها بل كاسبها وخلق ثمرتها من الله تعالى وقد جعلها الله تعالى شرطاً عادياً
لخلقه تعالى افعال العباد وكون افعال العباد عند حصولها في القلب بعلم الله
الازلي وارادته وتقديره وكتبه في اللوح المحفوظ لا يستلزم كون صدور
الاختيارات القلبية من العباد بالجبر كما اذا علم زيد جميع ما يفعله
عمرو يوماً من الايام فاراده زيد وكتبه في قرطاس ان عمرواً يفعل كذا
وكذا في ذلك اليوم الذي اراده فهل يكون عمرو في فعل نفسه مجبوراً
من زيد وهل يجوز من عمرو ان يقول لزيد فعلت ما فعلت في ذلك اليوم
الذي اردته لعلمك وارادتك وكتبك اياه فان عمرواً فعله باختياره
وارادته لصفاء حاله لا لاجل علم زيد وارادته وكتبه فلا يتصور
في فعل العمرو الجبر من طرف زيد بل لا يعرف عمرو حال زيد من ارادته
وكتبه فكذا فيما نحن فيه فاعلمه وكن من الشاكرين اذ تقدير الله تعالى
من الصفات التابعة لعلمه الازلي الذي هو التابع لمعلومه الابدي
ومن شان التابع ان لا يؤثر في المتبوع كما هو المعلوم لا ايجاباً ولا سلباً
ولا ينعكس امر الاصالة والتبعية وتفصيل البحث ان الله تعالى علم بعلمه
الازلي ان ابا جهل يموت على الكفر مثلا وقدره وعاد امره ولا يحكم انه
يموت على الكفر في الواقع لانه علم موته وعلقه على ارادته اذا اراد الايمان
مات عليه وان اراد الكفر فخلقه تعالى على ما اراده فمات عليه ومع هذا
علم حاله وشانه باي حال يموت لكنه لم يحكمه فان العلم تابع للمعلوم
عند اهل السنة والجماعة على معنى انهما متطابقان وصل المطابقة
انما يظهر من حال المعلوم فحصل العلم بانه كان كذا فلانه لو لم يكن كذا
لم يكن كذا الا يرى ان صورة الفرس مثلا على الجدار انما كانت على الهيئة
المخصوصة من الشكل والشمائل وهو في نفس الامر كذا ولا يتصور ان ينعكس

اذ العلم تابع للمعلوم في نفسه حقيقة لا يوجب وجود المعلوم ... كان

وان يمكن ان يعلم الله ... فان الارادة لكن المعلوم لم يعلم ما لم يعرف ارادته باختيار ... ان يجب عليه الحكم مع انه لم يتعلق على الارادة

لحال بين الصورة وذو بهاة العلم بان زيداً سيقوم غداً انما يتحقق اذا
تحقق هو في نفسه بحيث يقوم فيه دون العكس فلا دخل للعلم في وجو
الفعل وامتناعه وسلب القدرة والاختيار والا لزم ان لا يكون الله
فاعلاً مختاراً فاللازم باطل وكذا الملزوم لانه يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد وهذا مذهب الحكماء الغير الاسلاميين وهو باطل جداً اذ يلزم على
هذا ان يكون ذات الله تعالى مضطراً في حاله فلم يوجد على هذا المذهب الباطل
قدرته على شيء اراده لانه وقع ما وقع ولم يبق له حال سوى ما وقع عليه فمذ
مذهب الحكماء الكفرة مذهب باطل مناف للكتاب والسنة فالله تعالى مختار
في فعله وحكمه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لقوله تعالى وربك يخلق ما يشاء
ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون لانه تعالى عالم الغيب
والشهادة وعالم بافعاله وجوداً وعدماً فمن كونه مختاراً في خلق الاشياء
انه كما يعلمه بعلمه الازلي يتعلق ارادته الازلية ويتولى عليها حكمه الازلي
الذي تعلق الى ما يكون بتقديره وتدبيره فيحصل وجود ذلك الشيء بجميع
هذه الصفات القديمة التي وجد متعلقها في الازل ولا بد على ما قدره
ودبره وعلمه وان كان وجود الاشياء حادثاً والا فلا يقتضي علمه
تعالى وجودها وحده من غير حكمه وتقديره على ما اقتضته الحكمة العلية
والارادة الجلية فان مجرد العلم لا يقتضي الوجود ما لم ينضم اليه
الحكم والتقدير عند وجود المقدر للمعلوم والا فيلزم ان لا يوجد المعدوم
في علم الله الا موجوداً والمعلوم تابعاً للعلم واذ كان بنسبة التعلق بينهما
لاستلزم امر الفساد العظيم من عبثية الارسال والانزال والاحكام
والاعمال الجاريتين الانام الى يوم القيام ما دام النور في الظلام كما مر
انفاً ان علم زيد بحال عمرو في الغد لا يقتضي وجود فعل عمرو بل هو
بكسبه وصرف ارادة وجود فعله وانما حكمناه بوجود المعلوم وعلمناه

بمجرد التعلق بفتح اللام فاذا علمت ما قرأناك وتقررت ما قررناك
فاعلم ان علمه تعالى وحكمه وتقديره لا يخرج احد طرفي الممكن عن حد الامكان
وحيز القدرة من العبد فالعبد مختار بالكسب والارادة الجزئية غير
مجبور على الافعال والترك الذي امر بالفعل بالمأمورات والانتهاء عن
المنهيات غير مضطر في الاعمال التي يعلمها الله تعالى منه بعلمه الازلي
على وفق ما ذكرنا من القواعد الكلامية التي استنبطها الائمة الحنفية
الاعظمية من الادلة القطعية من الآيات الكريمة والاحاديث البديعة
ثم ان الله تعالى ما ذهب اليه الجبرية ووقع فيه بعض اصحاب الاشاعرة من الجبر
المتوسط لاقرارهم بالارادات الجزئية وانكارهم ثمرتها لقولهم بمخلوقيتها
وبيان وجودها وعدمها فلذا وقعوا في الوساطة بين الجبر المحض وعدمه
باقرارها وانكار ثمرتها ويؤيد الماتريدية ما روي ان سارقاً اوتي على عمر
رض في زمن الخلافة فسأله عمر رض فقال ما حملك على السرقة فقال السارق
قضاء الله وقدره فقال عمر كذبت وافتريت على الله تعالى بل صرفت الارادة
الجزئية اردتها وعملت بمقتضاها واخرجت من العدم وخلقها الله تعالى
بعد صرفك فلو لم تردها لم يخلقها الله تعالى وهذه الارادة تحتها الجنان
الثمانية والنار السبعة وعدها الله واوعدها على ما تقتضي الارادة
الجزئية فامر بالجلادة وقطع اليد وقال انما جلدتك لكذبك على الله
وافتريت على قضائه وقدره وقطعت يدك لسرقتك من مكان المحرز
ولم يقدر الله ما لم تصرف ارادتك الجزئية الشرطية العادية وان علم
ذلك في الازل ويؤيده ايضاً ان علمه تعالى وحكمه وتعليقه لا يخرجان
العبد الى حيز الاضطرار ولا يسلبان عنه الاختيار كما قال بعض
الاشاعرة فوقعوا في الجبر المتوسط وحكي محاربة معاوية في الصفين
مع علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه فقال له اخبرنا يا امير المؤمنين

تنازع الناس في علي بن ابي طالب رض

عن مسيرنا الى الشام كان بقضاء الله تعالى وقدره فقال له نعم فقال الشاب
والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا فقال على رضى ويحك يا اخا
اهل الشام لعلك ظننت قضاء حتما لازما وقدرا خاتما جازما فلو كان
كذلك على ما قلته لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد
ولا امر من الله تعالى بالمامورات والنهى بالمنهيات وما كان المحسن
اولى بثواب الاحسان من المسيء بعقوبة الذنب من المحسن فتلك مقالة
عبدة الاوثان وحزب الشيطان وخصماء الرحمن لان الله تعالى جعل
عباده تخييرا وامرهم تبشيرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسيرا ولم يكلف عسيرا
وارسل رسولا بشيرا ونذيرا ولم يرسل الانبياء لعبا ولم ينزل الكتاب
عبثا ولا خلق السموات باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا
من النار كذا فى الهداية الصمدية فى شرح الطريقة المحمدية فان قيل
من طرف الاشاعرة وهم الذين قالوا ان العبد مختار وفى اختياره مضطر
لانه مخلوق الله تعالى فيتوجه على الماتريدية المنصورية انهم اثبتوا للعباد
اختيارات جزئية غير مخلوقة ولا اضطرار فيها فان فسر فيها وقت
تدبيره على تقدير الله تعالى فى ازل الازال مؤخرا ثمرة التاخير الى الاجل
الموعود الذى لا يتاتى فجف القلم بعدم الوجود فيخلق الله عقيبها كسب
العبد للامور مقدما اذا اتى وان كان ذلك الكسب مؤخرا وصفا بالنسبة
الى التقدير الازلى فيلزم ان يكون لذلك الاختيار اختيار آخر فيدور ويتسلسل
وهما باطلان فالجواب ان الارادة صفة قابلة تتعلق باحد الضدين
فترجيح احدهما امر محقق فى ذاته ولا تحتاج الى صفة اخرى كما هو ظاهر
فى ارادة الله تعالى فان ارادته قديمة متعلقة فى ازل الازال بان يوجد
كل الاشياء الموجودة فى الاوقات المتعلقة بفتح اللام المعلقة الى الشروط
العادية للخلق فلا تحتاج الى المرجح فلا دور ولا تسلسل بلا ارتجاج

الذاتية

الذاتية فهذا الجواب جواب للسؤال الذى صدر من اصحاب الاشاعرة من اهل
السنة من المناقشة التى فى صورة النقض هذا ان كان المختار قصدا
واصالة واما ان كان ضمنا وتبعا فلا يلزم ان يكون له اختيار سابق
وجودا مغايرا من الذات ولا اختيار بل يكون اختيار المقصود اختيارا
لنفسه ضمنا والتزاما كما يشهد له الوجدان والترجيح بلا مرجح جائز عند
المتكلمين فى الفاعل المختار باحد المتساويين لان الارادة شانها
الترجيح والتخصيص بلا شيء اصلا وانما الممتنع الترجح بلا مرجح فيجوز
ان تتعلق الارادة بشيء بلا مرجح وداع فلا يرد علينا سؤال ان تتعلق
الارادة لا بد له من مرجح فان كان من خارج يلزم الايجاب والاضطرار
وان كان من نفس المريد تنتقل الكلام عليه ان المرجح اما ان يكون بالاختيار
واما ان يكون بالاضطرار واياما كان فيلزم اما الدور او التسلسل
على الشق الاول او الايجاب على الشق الثانى فكلاهما باطلان واما اكثر
الاشعريين من اهل السنة والجماعة وهم يقولون كما قال الائمة الحنفية
المنصورية الماتريدية كالامام الفخر الرازى لعلامة وامثاله رح واما
البعض الاخر منهم يقرون الجبر المتوسط وهو سناد اختيار العبد الى خلق الله
تعالى ايجاده ولا اضطرار عليه وان كان مختارا وفى اختياره ايجاب
واضطرار فهذا المسلك غير مسلك الجبر المحض فانهم يسندون هذا الاختيار
الى الله تعالى بالخلق والاضطرار من العبد فيه ايضا فانى فاثرة فى قولهم
فنحن مختارون فى افعالنا ومضطرون فى اختيارنا فانه جبر محض وانما
كان قولهم فنحن مختارون احترازا عنه فلا محيص ولا خلاص عن هذه الوسوسة
مع مخالفتهم لعقايد الاصحاب والتابعين من السلف الصالحين فانهم قالوا
لا جبر ولا تفويض بل هو امر بين الامرين فان قول السلف لا جبر للاحتراز
عن المذهب الجبرية ولا تفويض للاحتراز عن مذهب المعتزلة فانهم يقولون

العبد خالق فى فعله فكان المذهبين باطلان وانما وقع الاشاعرة
بسلب الاختيار عن العبد المكلف به اذ هو مدار التكليف فاذا كان العبد
مضطرا فلاى وجه كلف ولاى حكمة ارسل وانزل وامر ونهى فاعلم
الجبر الى قسمين الاول جبر محض وهو اسناد جميع افعال العباد المكلفين
الى الله تعا وخلقه وتقديره فى ازل الازال فلا علاقة للعبد فى افعاله
وجميع حالاته وانما فعل بالايجاب والاضطرار كارتعاش المرتعش حيث
انه مضطر فيه ولا اختيار له ونسبة الفعل اليه كنسبة الى محله كمحل
ضرب زيد لا نسبته الى الفاعل فلا فرق عندهم بين ان يقول جاء زيد وطال
زيد ورئيسهم جهم بن صفوان وهم يستدلون بالدليل العقلى والنقلى
اما دليلهم العقلى فانهم يقولون لو سلمنا ان العبد ان كان مختارا فى فعله
غير مضطر ولا ملزوم يلزم علينا ثلاثة مفاسد اما الاولى والثانية فلانه
فان المرتعش ولو اراد تسكينه واراد الله تعا تحريكه فلو حصل المرادين يلزم
جميع النقيضين ولو لم يحصلا يلزم ارتفاعهما ولو حصل مراد احدهما
لزم الترجيح بلا مرجح لغرض ان تعلق القدرتين فى تاثير المقدور سيا
واما الثانية من الادلة النقلية كما قال الله فى كتابه العزيز فى سورة
الزمر الله خالق كل شىء فالكل اداة السور بحيث يشمل جميع الاشياء المخلوقة
كالافعال الصادرة من العباد داخلة فى الشيئية فالاختيارات الصادرة
عن العبد مخلوقة فى الازل فلا علاقة للعبد بل هو مضطر غير مختار فالجواب
عن الدليل العقلى بانا لا نسلم مساوية القدرتين اذ قدرة الله تعا قديم
ازلية وقدرة العبد حادثة عارضة فلو اجتمعت القدرتان بالجهة
المتباينة اى بالخلق والكسب فيكون مراد الله وفق التدبير التقدير
فلا يلزم اجتماع النقيضين فلا يلزم المحذور باختيار الشق الاول
لاختلاف الجهة فلا يضرنا اجتماعهما وانما يضرنا لو اتحدتا فى القدرة

بحث ان الجبر على قسمين مخصوص ومتوسط

بحث استدلال اهل الجبر بلزوم ثلاثة مفاسد

فليس هنا

فليس هنا اجتماع فى الحقيقة وان كان فى الصورة واما الجواب عن الدليل
النقلى فانا سلمنا ذلك ان الاشياء الموجودة بخلق الله تعا وارادته وتقديره
والارادات الجزئية والاختيارات القلبية امر معنوى ليس لها وجود
خارجى حتى تعلق الخلق وانما الخلق عقيب الصرف فلا نسلم دخولها
تحت الخلق فلو لم يكن للعبد كسب بالاعضاء وعمل بالايدى فى السراء
والضراء لما اسند الله الاعمال والافعال الى العباد بقوله تعالى او رثتموها
بما كنتم تعملون وبما كانوا يكسبون ويكتبون الكتاب بايديهم ولو كان العبد
كالجماد بحيث لم يصدر منه شىء اختيارى اصلا لم يكلف الله له بالاوامر
والنواهى الحاصلة بالكسب والمجاهدة ولم يمدح المحسن فى احسانه الموعود
بالدرجات ولم يذم المسىء فى اساءته الموعود بالدركات فطائفة الجبرية
كالانعام بل هم اضل بحيث لم يعرفوا كسب اكلهم بالاطعمة ودفع عطشهم
بالاشربة واكتساء وجودهم بالالبسة والصحة والسقامة فى الراحة والرحمة
بل احمق من الحمار اذا خاف من الطين لم يسر اليه ابدا وان ضرب شديدا
لو فان حاله مع حمارته بالة فى شانه ومناله وقت كل شعيره بمد نهقه ونكاره
صوته بعد كسبه فانهم يطلبون مكاسبهم وبالكسب يهيئون معايشهم
ويسئلون من ذوى القدرة من الاطعمة والاشربة والحذر والالبسة
وييئسون اذا لم يحصلوا ويغتمون اذا لم يدركوا ولم يتنصحوا من حالهم
الباطلة ولم يتيقظوا من شانهم العاطلة ولم ينفعلوا من مذاهبهم الباطلة
بين الامثال والاقران من اهل المذاهب الحقة من اقوالهم المزخرفة التى
لم يرتكبها اهل الملل المتفرقة فليس لهم دراك واذعان كما يذهن الجماد
والاسفار فويل لهم فى مذاهبهم من العقايد الرديئة كما انهم فى الدارين
الرذيلة اللهم احفظنا من سيئاتهم وصودتهم فهم ينكرون الاوامر
والنواهى مما امره الله ونهيه والاحسان والاساءة الموعودان فى الدرجات

بحث بطلان مذاهب

بحث ابطال الجبرية

والدركات من الثواب والعذاب ويعطلون الشرايع التي انزلت بالانبياء
والمرسلين ولا يميزون المحسنين عن المسيئين ويفترون على الله الكذب
من الاحتراس ولا ابرام ولا يضر عندهم كفر الكافر اذا قدر دخول الجنة
في الازل ولا ينفع ايمان المؤمن عندهم اذا كان من اصحاب النار فنعوذ بالله
تعالى من امثال هذه الضلالة من الابتداع والغواية وأما القسم الثاني من
الجبرية مذهب الاشاعرة من اهل السنة وهم القائلون بالجبر المتوسط
فانهم يقولون ان للعباد اختيارات فانهم في افعالهم مختارون لكن
بالاضطرار من الله تعالى فنحن مختارون في افعالنا ومضطرون في اختيارنا
فهذا معنى الجبر المتوسط وهذا مخالف بقول الصحابة والتابعين اذ لا فرق
بين الجبر المحض والمتوسط في سلب ارادة العبد في الشرع في الحقيقة
اذ الارادة الجزئية الاختيارية مدار التكليف فلو لم يكن العبد في ارادته
اختيارية بل كان اضطرارية كما يقولون فبأي شيء تميز المحسن من المسيء
كما قرر في الجبر المحض فانه لا اختيار ولا اضطرار من العبد فالمدارية انما
تظهر اذا كان العبد مختارا باختياره في ان التصرف فيكون نجاة لخير الامور
اوساطها فلذا قال الامام الاعظم رح ناقلا عن الاصحاب والتابعين
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين بقولهم لا جبر في عقايد الحقة ولا تفويض
بل هو امر بين الامرين فالاول للاحتراز عن مذهب الجبرية المحضة الذي
فصلناه للنصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين لرجاء العفو والمغفرة
واما القول الثاني من قول السلف ولا تفويض فانه للاحتراز عن مذهب
المعتزلة فانهم يفوضون الافعال الصادرة كلها من العباد اليهم ويقولون
العبد يوجد فعله ويخلقه كيف ما يشاء فرئيسهم ابو علي الجبائي
فرغبهم على مذهبهم الباطل وردهم على قولهم ان العبد يخلق فعله وكان
سلفهم يقول يوجد ولا يتجاسرون الى ان يقول يخلق ثم ظهر ابو علي الجبائي

من بينهم

من بينهم فاطلق الخلق ورغبهم عليه فهذا مذهب باطل ايضا فانهم
يستدلون بدلائل اربعة الاول التفريق بين الحركة الاختيارية والا
ضطرارية ويفوضون الاول الى ايجاد العباد والثاني الى الله تعالى والثاني
انهم يقولون لو لم يكن العبد خالقا لفعله لما كلفه الله من الاوامر والنواهي
ولما مدح المحسن على الاحسان الموعود بالدرجات المحمودة وذم المسيء
على الاساءة المذمومة في الدركات المرعوبة فلزم بطلان تلك الاشياء
والثالث فانهم يقولون لو لم يكن العبد خالقا لفعله لزم ان يكون الله
قائما وقاعدا واكلا وشاربا فاللازم باطل والرابع قوله تعالى فتبارك الله
احسن الخالقين وقوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير فيدل
هذه الادلة على ان الخالق غير الله موجود ويقولون ان فعل العبد على ضربين
الاول على طريق المباشرة كتحريك اعضائه وضربه وقتله وكسره والثاني
على طريق التوليد الذي حصل من مباشرته كالالم الحاصل من الضرب والموت
الحاصل من القتل وانكسار الحاصل من الكسر ويقال له التوليد لتولده
عن المباشرة والعبد يخلقهما سواء كان بطريق المباشرة او بطريق التوليد
فهذا المذهب باطل وشرك اذ لا خالق غير الله فالاشياء كلها مخلوقة لله
تعالى وحده لا شريك له فلا يطلق على المخلوق الخالق فهذا الكلام من جهلهم
وعنادهم وصلابتهم على حماقتهم والجواب لهم عن الاول ان الفرق بين
الحركتين واضح فان حركة الاختيارية بصرف الارادة الاختيارية من العبد
المختار المكلف اذ التكليف سبب لصرف الارادة الجزئية فان وافق الشرع
والتقدير فهو طاعة يثاب وان لم يوافق الشرع ووافق التقدير على موجب
الصرف وخلقه ومعصية يعاقب وان لم يخلق الله تعالى بعد الصرف
في بعض المواد لانه غير موجب ومقتضي الوجود اذا لم يوافقهما فلا يثاب
ولا يعاقب ما لم يخلق بحرمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صيانة لامته

بالعفو عن نية المعصية خاصة للامة المرحومة متميزا عن الامم السالفة
بخلاف الخير المحض فانه اذا نواه فلم يخلق فانه مثوب ومأجور بنيته اذ
نية المؤمن خير من عمله كما وقع في الاثر كراما لحبيبه ورسوله ونور
عيننا وشفيعنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واحتراما لامته المرحومة
المغفورة وصرف الارادة كاف فلا يلزم التاثير والايجاد والمدح
على المحسن والذم على المسيء باقيان فلا يلزم تعطيل المكلفات واما
الحركة الارتعاشية فلا شك انه من الله تعالى ولا مدخل له من العبد
فهذا الجواب يكفي عن السؤال الاول والثاني منهم **واما الجواب** عن الثالث
منهم فلا نسلم كونه تعالى قائما وقاعدا وآكلا اذ يقال القائم لمن يتصف
بصفة القيام والقاعد لمن يتصف بصفة القعود ومع هذا لم يطلق
عليه خالق القيام والقعود فلا ينتقض القائم والقاعد بغير الخالق
كما لا يقال على خالق البياض والسواد الابيض والاسود فهذا جهل
محض من حيث لا يتميز بين الذات والصفات **واما الجواب عن الرابع**
فالخلق في الآية الكريمة بمعنى التصوير لا الخلق المراد من اخراج العدم
الى الوجود اذ هذا المعنى مخصوص لله تعالى اذ المصورون والممثلون كثير
فاحسنهم هو الله تعالى حقيقة وسائر تعالى من المصورين ممثل ومشبه
ومقلد بتصويره تعالى ومع هذا كثير فالله تعالى احسنهم باعطاء الروح
فالمصورون من المخلوقين لا يقدرون وهذا من قبيل صبغة الله ومن احسن
من الله صبغة اي صبغة الصبغة من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهي
الحالة التي يقع عليها الصبغ عبر بها عن الايمان بما ذكر على الوجه الذي
فصل لكونه تطهيرا للمؤمنين من اوصاف الكفر وحلية تزينهم من آثاره
الجميلة كما ان شأن الصبغ كذلك بالنسبة الى الثوب وقيل انه للمشاكلة
التقديرية فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم من ماء اصفر يسمونه

المعمودية ويزعمون انه تطهير لهم ويتحقق نصرانيتهم واضافتها الى الله
عز وجل مع استناده فيما سلف الى ضمير المتكلمين للتشريف والايذان
بانها عطية منه سبحانه لا يستقل العبد بتحصيلها فهي اذن مصدر
مؤكد لقوله امنا داخل معه في حيز قولوا انتصب عنه انتصاب وعد الله
عما تقدم لكونه بمثابة فعله كانه قيل صبغنا الله صبغة وقيل هو منصوب
بالاغراء اي الزموا صبغة الله ومن احسن من الله مبتدأ وخبر والاستفهام
للانكار صبغة نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدأ والتقدير
ومن صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما اي لا صبغة
احسن صبغته على معنى انها احسن من كل صبغة فكان مدار التفضيل
على تعميم الحسن للحقيقي والتنزيلي المبني على زعمهم فلم يلزم منه ان يكون صبغة
غيره تعالى حسن في الجملة فيمكن من طرف اهل السنة ابطال دعواهم
ان خلق العبد فعله باطل لان الخلق يستلزم العلم الكلي بحال مخلوقه
كما نشاهد في خلق الله تعالى اذ الخلق عبارة عن ايجاد المعدوم واعطائه
الوجود مع اللوازم في الدارين بداله ولا اقدار من الغير وهذا يتوقف
على القصد الجزئي وهو يتوقف ايضا على التصور الجزئي وهو يتوقف
على العلم الكلي الذي هو عبارة عما لزم للمخلوق من الازل الى الابد فهذا
مخصوص لله تعالى وحده لا شريك له لانه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة
من الازل الى الابد كالكاتب الذي يكتب القرطاس فحين الكتابة لا يعرف
بما يكتب من حركات الاعصاب والعظام ولا شعار والروح هل فيه
مدخل لجميع الروح في الوجود ام بعضه فمن لم يقدر بالعلم الجزئي وكيف
يقدر بالعلم الكلي مع انه لم يعلمه الا الله الذي هو عالم الغيب والشهادة
فدعواه باطل لاستلزامه المحال فكل ما هو يستلزم المحال باطل اما الصغرى
فمسلم الثبوت اذ الخلق لا يوجد الا بالعلم الكلي فلا يوجد الا في الله العلي

بحث بيان معنى الخلق
المتوقف على العلم
الكلي

الكبير فتسليمة الصغرى تستلزم صحة الكبرى لانها محوله عليها فاذا
صحت المقدمتان صحة النتيجة فثبت بطلان دعواهم ومذهبهم
فضلا عما دل على بطلانه قوله تعا الا يعلم من خلق اى بالجزئيات والكليات
المتعلقة بالموجودات والمصنوعات وقوله تعا والله خلقكم وما تعملون
سواء كان لفظ ما مصدرية او موصولة فالاول يفيد اضافته فى التقدير
لاستغراق فى الاعمال والثانى يفيد العموم فى الاعمال والمعمول مع ان تقديم
المسند اليه على الفعل المسند يفيد الحصر فعلى هذا يكون المعنى انما الخلق
مقصور على الله فلا يقدر عليه احد فبطل مذهب المعتزلة من كل الوجوه
لان الانسان وعمله مخلوق لله تعا فلا معنى للخلق سوى المذكور وروى ان
رجلا معتزليا جاء الى على بن ابى طالب رضى الله تعا عنه فقال يا امير
المؤمنين انا مستقل فى ايجاد الخير والشر فقال له على رض اقدرتك مع الله
تعالى لايجاد ام لا فان قلت مع الله فانت فى دعوى الشركة وان قلت منفردا
بدون الله فانت فى دعوى الالوهية فى كل الحال ان تبت فتكون من المؤمنين
والا فتكون من الكافرين فيجب القتل عليك فتاب وكان من المؤمنين
وروى عن جعفر الصادق رض فجاء اليه رجل من المعتزلة فامره ان
يقرأ سورة الفاتحة فاذا تلا اياك نعبد واياك نستعين فقال له انت
رجل معتزلى تقولون ان العبد يخلق فعله فكيف تستعين من الله
ولم تخلقه فبهت واستغفر وتاب فان قلت هل يلزم التكفير والشرك
كعبدة الاوثان بقولهم العبد خالق فعله قلنا الكفر والشرك انما يلزمه
اذا كان مرادهم به كعبدة الاوثان بانه يخلقه بلا آلة كخلق الله تعا
واما اذا كان مرادهم ان العبد سبب لايجاد فعله بالالة المخلوقة لله
تعا واقدار الله له باتيان الاسباب كقطع السكين بيد العبد والا فلا
يقدر العبد والالة والخلق من الله تعا ايجاد المعدوم بقوله كن فيكون

فانهم

فانهم يعرفون ان قدرة الخلق بهذه الرتبة مخصوصة لله تعا فلا يقدره
العبد فعلى هذا لا يلزمهم الشرك ولا الكفر لكنهم من المبتدعة اذ السلف
يتقون من الله تعا ان يطلقوا مثل هذه الكلمات الباطلة ويتأدبوا باداب
الشريعة فيما وراء الله عنهم فان اللايق للمؤمن الموحد ان لا يكفر اخيه المؤمن
لايمانه اقتضى كفره فالحمل على الصلاح واجب حيثما امكن فبالغوا فى
تكفيرهم علماء ما وراء النهر وافرطوا وقالوا انهم اشد من المجوس يكفرون
بالشرك الواحد والمعتزلة يكفرون بالاشراك العديدة فى الافعال
المتعددة لكن الحق جوابنا وهو الاحق ان يتبع فنعوذ بالله من شرور
انفسنا ومن علامة كوننا من اهل السنة ان لا يكفر اهل القبلة بما لم
يقتض التكفير خذ هذا فكن من العاملين فان سئلوا لاهل السنة بقولهم
لما اراد الله كفر الكافر وفسق الفاسق فهم مجبورون على ما فعلهم فكيف
يصح ان يامرهم بالايمان والطاعة قلنا فى الجواب انه تعا علق الارادة
على كفرهم وفسقهم كما اراد ارادتهم على ايمانهم وطاعتهم ان صرفوا والا فلا
ومع هذا يعلم حالهم وصرفهم او عدم صرفهم فلا يلزم الجبر اذ العلم تابع
للمعلوم كما ان الارادة تابع للعلم فلا يلزم المحال لان الارادة الجزئية
قابلية لتعلق الضد فلذا استحقوا العذاب والعقاب بالصرف والكسب
وهما مدار التكليف فلذا لا يكلف المجانين لانعدام سبب الصرف وهو
العقل المميز فان سئلوا ما الحكمة ان الله تعا لا يريد الكفر من الكافرين
والفسق من الفاسقين وهم يزعمون ان الله تعا لا يخلق القبيح ويقولون ان
خلق القبيح قبيح فالله منزه عنه فالحسنات منه تعا والسيئات منا فالجواب
ان القبيح صفة لمن يتصف وما تعلق وجوده بالارادة الجزئية فالخلق به
بكسب العبد بالصرف ليس بقبيح بل اجراء التعلق الازلى فالكفر والفسق
مخلوق غير مرضى موافقا بالشرط العادى لخلق المسببات وقال الاستاد ابو اسحاق

بحث الزام علي وجعفر الصادق المعتزلي

بحث تكفير المعتزلة وعدمه

بحث سؤال اهل الاعتزال

تحقيق كلام الاستاذ ابو اسحق الاسفرائني

الاسفرائني رح ان الافعال حاصلة بتعلق مجموع القدرتين اقول ان كان مراده انه تعالى يخلق بسببية العبد وكسبه لا باستقلاله بالتاثير فهذا حق لكن فيه سوء تعبير وان كان مراده بالاستقلال في التاثير فهذا ليس بحق بل باطل لا يليق به لان توارد العلتين المستقلتين في المعلول الواحد على ما تبين في المفصلات وقال الاستاذ القاضي ابو بكر المالكي الباقلاني رح قدرة الله تعالى متعلقة في اصل الفعل وقدرة العبد متعلقة على صفة الفعل العبد ان تعلقت تلك الصفة لفعل العبد بما يرضيه الله ويحبه فهي الاطاعة من العبد وان لم يكن كذلك فهي معصية العبد فهذه يثاب بالجنة ويعاقب بالنار كاللطم اللاطم لليتيم فان ذات اللطم قدرة الله فيه وصفته قدرة اللاطم ان كان مراده التربية والاحسان فيثاب العبد بالجنة والا وان كان مراده الظلم والتعدية فيعاقب بالنار والظاهر من مذهب القاضي ان فعل العبد لا يؤثر في الخلق والايجاد وانما هو من لوازمه كالصفة لها بل لهذه القدرة سببية للتخليق ان وافقت التقدير فظاهره موافق لمذهب الماتريدية لكنه لا يخلو عن المحذور المتعدد الاول يفهم منه الوجود قبل صرف العبد بوجود الذات لانه تابعة لها فيلزم عليه ما يلزم على الجبرية والثاني انه ان اراد ما اراده المعتزلة فيتوجه عليه ما توجه على المعتزلة والثالث ان العبد يكون مطيعا او عاصيا فلا معنى له ان يقول ان هذه وصف لقدرة العبد لانه من الامور الاعتبارية فلا يلزمه كما يلزم اصل الصفة للذات لانه صفة له فالحاصل انه لا يخلو من الهجنات الردية بالنسبة الى المذهب المنصور

تحقيق مذهب الفلاسفة

وقال الحكماء الاسلامية والفلاسفة الربانية ان الله تعالى خلق الارادة للعبد وسائط لخلقه وآلة له فالله تعالى علة لوجود الموجود والموجودات معلول له كما قال الافلاطون العالم الكروي والارض

مركزه

مركزه والافلاك قوسي والحوادث سهام وبدن الانسان هدف والرامي هو الله تعالى وحده لا شريك له فاين المفر فيدل كلامه ان يقول انما الله اله واحد خالق لجميع الممكنات فلا خالق غيره وقدرة العباد من قبيل الشروط والالات العادية ويؤيده قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه حين سمع قول افلاطون فاين المفر فاجاب علي رض حين سمعه بقوله فالمفر هو الله تعالى فهذا المذهب القديم للفلاسفة لكن بعض المتاخرين منهم قالوا ان ارادة العبد مخلوقة لله تعالى لكن يقتضي وجود المقدور على مراده كما قال المعتزلة لكنهم اعقل منهم لاسنادهم الخلق الى الله تعالى مع عدم الخلق ان تكون شرطا واله عاديا للخلق كما قال اهل السنة ولا يسندون الى انفسهم مع انهم لجتهدوا بعقولهم ووافقوا بالكتاب

تحقيق مذهب امام الحرمين

وقال عبد الملك صاحب المواقف محمل امام الحرمين الجويني رح كما قال الفلاسفة الاسلامية الربانية من غير فرق حتى اخطاءه الامام التفتازاني في شرحه للمقاصد ان امام الحرمين صرح في كتابه الارشاد خلاف ما صرحه في المواقف وهو ان جميع الاشياء بقدرة الله تعالى ولا مدخل للعبد فيه فوجود قدرة العبد كعدمه ثم كلام الارشاد فالظاهر انه من الاشاعرة الواقعة في الجبر المتوسط بان العبد مختار في الفعل ومضطر في الاختيار فعلى هذا كان الاختيارية مخلوقة على ما في الاول فالامام الحرمين محمد بن عبد الملك الجويني الشافعي من الاساتذة العلامة التي افتخر بها الامام الغزالي رح فسوء الظن حرام فضلا عن هذا الاستاذ فالحمل على الصلاح كما حملناه فالاشاعرة يثبتون مذهبهم بهذه الايات العزيزة من قوله تعالى وما تشاؤن اي لم تقدروا مشية الاستقامة مستتبعة لها في وقت من الاوقات الا ان يشاء الله الى الاوقات ان يشاء الله تعالى لها رب العالمين مالك الخلق ومربيهم

قوله اخطاءه اي حمله على الخطاء وادخله منه

ادلة الاشاعرة ومعناه عندهم وعند الماتريدية

مع

اجمعين فالعبد لم يشاء استقامته ما لم يشاء الله بها وبارادة
العبد موافقا بعد الخلق في ازل الآزال ومشية العبد وان وجدت فيه
فلا ينفعه عند وجود مشية الله لان مشية العبد مخلوقة
بموافقة مشية الله في التقدير الازلية فهو ليس لشيء وجوده كعدمه
وان كان العبد مأمورا بها فظهر الجبرية بخلقية ارادة العبد والتوسط
باقرار الاختيار فيلزم عليهم ان يقول العبد مختار في فعله ومضطر
في اختياره لانه مخلوق عليه فصدور الخير من العبد بتوفيق الله كما ان
صدور الشر بخذلانه وقال ائمة الهدى ابو منصور الماتريدية رح
وما تشاؤن اي لم تقدروا على الاستقامة والمشية بها الا ان
يشاء الله تصور ارادتكم وشوق السبب الى ارادتكم فلا يلزم من خلق تصور
العبد وشوقه خلق ارادة العبد وصرفه بل يمكن العبد ترك ارادته
الجزئية لمانع من الموانع مع بقاء التصور والشوق فيه فلبيان هذا المعنى
حذف المفعول من قوله الا ان يشاء الله مؤيدا بالمذهب الماتريدية
والشوق المخلوق من العبد ليس عين الارادة الجزئية حتى يلزم ان تكون
الارادة مخلوقة والجبر بل هي من قبيل الحال الذي به يقدر صرف جانب
المقدور مع افتراق الشوق عن الارادة لمانع وبالعكس كالنفرة مع ترك
الفعل فانهما يجتمع مرة ويفترقان ووجود احدهما دون الاخر وبالعكس
ايضا فالقدرة مع الفعل لا قبله فانه مدار التكليف فيلزم وجوده عند
التكليف وهو معنى الاستطاعة وهي بالنسبة الى العبد كسب والى الله
تعالى خلق وايجاد وهي تارة تنسب الى الله تعالى بقوله والله خلقكم وما تعملون
وتارة تنسب الى العبد بقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم فمعنى
اقيموا الصلوة اي باشروا بصرف الارادة وانا اخلق عقيبه وقس على هذا
سائر الاوامر والنواهي والتكاليف لان الكف والامتناع من قبيل الافعال

لا تحفظه

لا تحفظه عن المعاصي من الافعال فانتفاء الافعال يستلزم انتفاء
الاجر والثواب كنظر الاعمى الى الوجه الجميل والعنين من عدم الزنا لانه محض عدم
فليس من الافعال الاختيارية بل من الاضطرارية فلا ثواب له ولا عقاب له
فحاصله ان صرف الارادة الجزئية والاختيارات الفعلية مشروط باربعة
اشياء الاول الوجه الملائم لتصوره وهو عبارة عن الجزئية التي تنبعث
منها الشوق للارادة الفعلية لان الشوق الجزئية لا يحصل من الكلي
كالتفرق في محله والتصور الجزئي ليس من جانب المتصور لوجوده من غير اختياره
والثاني وجود انبعاث الشوق من ذلك التصور الجزئي وهل هذا الا
بايجاد الله تعالى من حيث انه يزيد مرة وينقص اخرى فالتصور ان لاحظ
على الوجه الملائم ودام عليه يزيد الشوق وينتهي الى كماله وان اعرض
ولم يدم فيقل ويعرض الضعف عليه والثالث ان يقصد الفعل الاختياري
بوجوده والرابع يلزم تحريك الاعضاء الذي هو سبب العادي لحصوله فاذا
وجدت الشروط الاربعة موافقة لتقدير الله تعالى معلقا في اللوح المحفوظ
لحصول وجوده وجد ذلك بخلق الله تعالى من غير تاثير فعل العبد لا اشتراكا
ولا استقلالا لا في اصل ذلك الفعل ووصفه لكن العبد كاسب مأمور به
ان وافق رضاه تعالى موعود به ولا يجري عليه جزاء وفاقا فهذا المذهب
الماتريدية سالم عن الجبر والقدرية سواء كان متوسطا كما يلزم الاشعرية
المحضة العدم تعلق الخلق على الارادة الجزئية ولا الاختيارات القلبية اذ هي
معدومة حالا والخلق للموجود وهو سبب للعباد مأمورة بالكسب وصرف
الارادات المأجورة في مقابلتها هذا معنى قوله تعالى خلق الموت والحيوة
ليبلوكم ايكم احسن عملا اي خلق الله موتكم وحيوتكم فيكم ليعاملكم معاملة
من يختبركم ويلزمكم يوم القيمة بامتثالكم فايكم احسن عملا وصرفا وكسبا
ويجازيكم على المراتب المتفاوتة بحسب تفاوت طبقات علومكم واعمالكم

بحث الارادة الجزئية اربعة شروط

بحث العبد كاسب والله خالق

فيه اشعار بان اللام عوض عن المضاف اليه منه

بحث التفضيل بالاستعارة التبعية

وتفاوت مراتب جناتكم وجنانكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح فلذلك
فسره صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ايكم احسن عملا واورع عن محارم الله
واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به فكما
ان الاول اشرف من الثاني وكذلك الحال في عمله كيف لا والعمل بدون
معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد لا يجدي اثرا وانما طريقها النظر
والتفكر في بدايع صنع الله تعالى والتدبر في اياته المنصوبة في الانفس والآفاق
وانما كان ذلك لتفكر في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب ضرورة
ان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل اهل الارض وهو
حاصل بالتفكر الدقيق وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام
لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه
اذ فيه تجربة تتضمن العلم البتة ولم يحصل دونه اذ من لم يذق لم يعرف
لان القضية المجربة علم تحصل بها المعلومات المسلمة ولذلك اجري
بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل
مع ان الابتداء شامل لهم باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا
لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصد الاصلي
من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق اهل الايمان والطاعة
في الباقين ايضا لكمال تعاضد الموجبات له واما الاعراض عن ذلك فبمعزل
من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام في سلك الغاية للافعال
الالهية وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح ومبال له
من الترغيب والزجر في الترقي الى معارج العلوم ومعارج الطاعات بسائر
نقايضها كما لا يخفى وهذا التفاوت من المعارج يقتضي مأمورية العبد
وكسبه بحسبها بالارادة الجزئية والاختيارات القلبية التي هي موهوبة
للعبد ومخير بالكسب والصرف ليظهر الاعمال بالاعمال والمعارج بالافعال

وذلك يقتضي

بحث الحسن والقبح العقليين والشرعيين

بحث التفرقة بين الحسن والقبح عند الاشاعرة والماتريدية بالعقلية والشرعية

وذلك يقتضي التفويض الى العبد المأمور والتخيير بالجزاء الموفور
فاذا كانت الارادات مخلوقة وكان المختار في اختياره مضطرا على
ما ذهب الاشاعرة فهو يوجد البتة على التقدير الازلي فما ثمرة الصرف
وما ثمرة التفاوت في المعارج وباي عمل يكون العبد محمودا ومذموما
ومأجورا وموعودا اذ الكل من الله تعالى كما ذهب اليه الاشاعرة من غير
كسبه فالحق احق ان يتبع فاعلم ان افعال العباد كلها بتقدير الله وارادته
وقضائه وكتبه في اللوح المحفوظ اما موافقة لرضائه وقضائه كاقامة
الصلوة وايتاء الزكوة وحج البيت والصوم والشهادة وامثالها سميت
الطاعات والعبادات موعودة في مقابلتها بالجنات والدرجات
رضائه ومحبته واما مخالفة لرضائه ومحبته كترك الافعال المأمورة
واختيار الاعمال المذمومة كالزنا وفعل اللواطه والقتل والظلم وغيرها
مما لا يرضيه الله تعالى فسميت هذه بالمعاصي والطغيان من القبائحات
التي هي موعودة في مقابلتها بالعذاب والعقاب في الدركات لعدم
رضائه ومحبته فيذم صاحبها في الدنيا ويعاقب في العقبى فالاول
من الحسنات لوجود الطاعة فالحسن والقبح صفتان للفعل اما عقلي
واما شرعي لكن لهما ثلاثة معان الاول بمعنى الكمال في الصفة والنقصان
كحسن العلم وقبح الجهل والثاني بمعنى الملايم للغرض والمنافر له فيقال
للملايم حسن وللمنافر قبيح وقد يطلق الملايم لما فيه المصلحة اللازمة
والثاني لما فيه المفسدة الجازمة والثالث ما يتعلق بالمدح والثواب
والذم والعقاب فالمعنيان الاولان عقليان بالاتفاق عند الاشعرية
والماتريدية والمعنى الثالث شرعية عند الاشعرية لان الفعل من حيث
هو فعل لا يقتضي بذاته المدح والذم حتى يثاب ويعذب بل الشارع
رغب بعض الافعال ووعد في مقابلتها الثواب ونهى عن بعضها واوعد في

في مقابلتها العذاب والعقاب فلذا وصف ما وافق الامر والرضاء بالحسن
والحسنة وما يخالفه بالقبح والقبيحة واما عند الماتريدية فالمعنى الثالث
عقلية كما كان الاولان عقليين اذ الفعل وما يحسنه او يسيئه مدركهما
اذ كل فعل في حد ذاته قبل الشريعة متضمن الحسن كحسن الصدق والصدقة
وشكر النعمة والعزة ومتضمن القبح كقبح الكذب وكفران النعمة وبعضه لا يعلم
حسنه ولا قبحه الا بعد ورود الشريعة كحسن صيام آخر اليوم من رمضان من جهة
الثواب وقبح صيام يوم عيد من اول شوال فاذا وجد في ذات الفعل الحسن
فامر به الشرع واذا وجد في ذاته القبح فنهى عنه الشرع ففي هذه المسئلة من العقلية
لمعنى الحسن وافق المعتزلة بمذهب الماتريدية لكن الفرق بين الماتريدية وبين
المعتزلة فالماتريدية يقولون فالحسن العقلية والقبح العقلية مدار للامر
والنهي فالعقل سبب للائتمار والانتهاء والمعتزلة يقولون فالعقل حاكم
معلوم بديع قطع النظر عن حكمه فالاول الحق لان العقل وان كان مدركا
لكنه بالتبعية لا بالاستقلال لان الحكم للشريعة لا للعقل فهذا من مسائل
التوليد من المعتزلة كما عرفت حالهم فيما سبق فالاشعرية يقولون في هذه
المسئلة ان الاشياء الحسنة يلزم ويلائم للارادة العقلية فالاول منها
قصد القلب وهو يجيء تارة ويذهب تارة اخرى ولا يمكث فيقال له
الهاجس والثاني منها يجيء ويمكث ولا يتردد في الفعل فيقال له الخاطر والثالث
يجيء ويتردد في الفعل فيقال له حديث النفس والرابع منها يجيء ويترجح
الفعل فيقال له الوهم والخامس يجيء ويجزم الفعل ويقوى قصده فيقال له
العزم المصمم بحكم العقل فالاولان من الخمسة اعني الهاجس والخاطر ليسا
باختيار الانسان فلذا لا يؤاخذ الله فيهما وكذلك لا يؤاخذ في الثالث
من حديث النفس ما لم يكن بميل النفس وهيجانها وشهوتها بالامر الاختياري
كما ورد في الحديث الذي سنذكره قريبا ان شاء الله واما الرابع منها الوهم

الذي يكون

قوله الهاجس جمعه هواجس وهو اثر التفت الاداة بالسوء

الذي يكون تارة اختياريا وتارة اضطراريا فلا يؤاخذ في الاضطرارية
دون الاختيارية واما الخامس منها فالعزم المصمم في القلب ان كان
بعدم فعله من خوف الله تعالى وعذابه فيكون مجاهدا مع الاعداء مثابا به
لامتناعه عن وسوسة الشيطان بعد تقرره وتصميمه وعدوله عن موافقته
ورجوعه الى الله الغني الكريم العفو الحليم العليم وهل هذا الا ديانة
مجاهدة والعبد مأمور بهما في مقابلتهما موعود بهما واما اذا كان ترك
العزم المصمم للرياء وحياء من الناس فاختلف العلماء في هذه الصورة
فالاصح عند الامام الغزالي انه في العزم المصمم المتروك من جهة الشا
هذه يؤاخذ ويعذب كما في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم من السوء
والعزم عليه بان تظهروه للناس بالقول والفعل او تخفوه بان تكتموه
منهم ولا تظهروه باحد الوجهين ولا يندرج فيه ما يخلو عنه البشر
من الهواجس والخواطر واحاديث النفس التي لا عقد ولا عزيمة فيها
اذ التكليف بحسب الوسع يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على
منكري الحساب من المعتزلة والروافض وتقديم الجار والمجرور على الفاعل
للاعتناء به واما تقديم الابداء على الاخفاء على عكس ما في قوله عز وجل
ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله فلما ان المعلق بما في انفسهم
ههنا هو المحاسبة والاصل فيها الاعمال البادية واما العلم فتعلقه بها
كتعلقه بالاعمال الخافية كيف لا وعلمه سبحانه وتعالى بمعلوماته
متعال من ان يكون بطريق حصول الصور بل وجود كل شيء في نفسه
في اي طور كان علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا الحال لا يختلف الحال
بين الاشياء البارزة والكامنة خلا ان مرتبة الاخفاء متقدمة
على مرتبة الابداء اذ ما من شيء يبدى الا وهو مضمر قبل ذلك في النفس
فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية

فيغفر بالرفع على الاستيناف اى فهو الله الغفور ان اراد فيغفر الذنوب
جميعا بفضله لمن يشاء ان يغفر له و يعفوا عمن يرضاه ويعذب بعدله
من يشاء ان يعذبه حسبما يقتضيه مشيته المنبئة على الحكم والمصالح
وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه وقرئ بجزم
الفعلين عطفا على جواب الشرط وقرئ بالجزم من غير فاء على انهما
بدل من الجواب بدل البعض والاشتمال ونظيره الجزم على البدلية فى
قوله متى تاتنا تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا
وادغام الراء فى اللام لحن والله على كل شئ قدير تذييل مقرر لمضمون
ما قبله فان كمال قدرته تعالى على جميع الاشياء موجب لقدرته تعالى
على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من العذاب والمغفرة فان قلت
النظم الجليل يتناول الهواجس والخواطر الفاسدة فالمواخذة بها تجويز
تكليف ما لا يطاق وهو غير جائز اذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها
قلت ومن الله التوفيق يمكن الجواب عنه على خمسة الجواب الاول ان الخواطر
على قسمين الاول هو الذى يوطن الانسان نفسه عليه ويعزم على ادخاله
فى الوجود فلهذا الوجه يكون مواخذا بالعزم والتصميم عليه والى هذا
اشار القاضى رح بقوله فى تفسيره والعزم عليه فيدخل فى المحاسبة
والمواخذة والمثابة والمغافرة والمعاقبة والقسم الثانى من الخواطر
ما نسخ فى قلوب الانسان مع انه يكرهه ولا يقدر على دفعه كما ان القوة
المتصرفة من الحواس الخمسة الباطنة المعلومة من علوم الحكمة وهى قوة
محلها مقدم التجويف الاوسط من الدماغ صور المجموع من الحواس الظاهرة
والباطنة هكذا

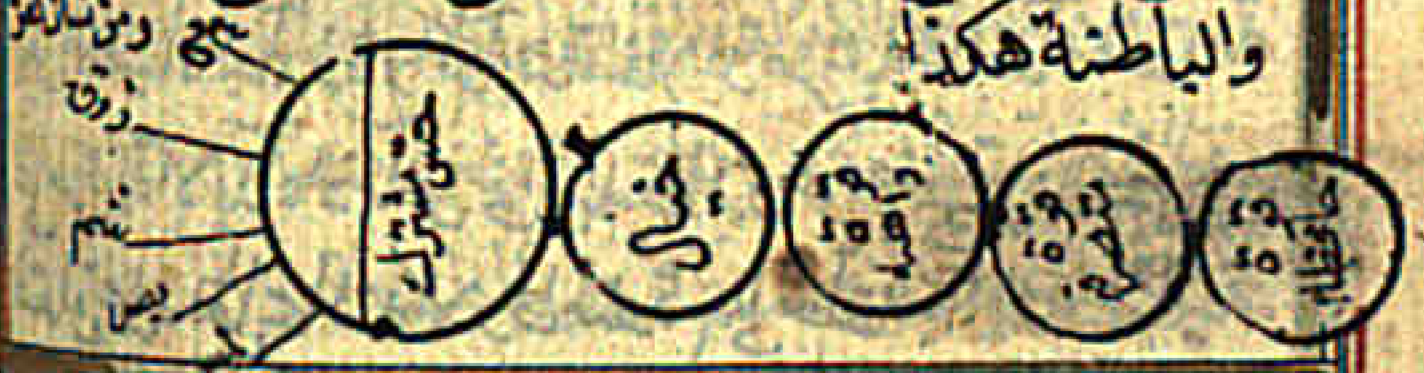

ومن شان القوة المتصرفة التصرف فى الصور والمعانى بالتركيب والتفصيل
تركب الصور بعضها ببعض مثل ان نتصور الانسان ذا راسين وجناحين
وتفرق بعضها عن بعض مثل تصور الانسان عديم الراس وتارة تركب
المعانى بعضها ببعض مثل تصور زيد مع سخاوته وتركب بعض الصور
ببعض المعانى مثل تصور سواد عمرو مع عداوته وجمال بكر مع صداقته وهذه
القوة يستعملها العقل تارة والوهم تارة اخرى فبالاعتبار الاول تسمى
مفكرة لوجوده فى المواد الفكرية وبالاعتبار الثانى تسمى متخيلة
لتصرفها فى الصور الخيالية واختصاص القوى المذكورة بمواضعها المعينة
مستفاد من اختلال لها العروض لآفة لتلك المواضع ووجودها فى غيرها
فلهذا الوجه لا يكون العبد مواخذا به للحرج المدفوع لقوله عز وجل ليس
عليكم فى الدين من حرج واليه اشار الفاضل البيضاوى بالواو العاطفة
ويؤيده ما روى عن ابن عباس رضى الله عنه رب الناس انه قال لما نزلت
هذه الاية جاء ابو بكر وعمر وجم غفير من الاصحاب رضوان الله تعالى عليهم
اجمعين فقالوا يا رسول الله كلفتنا من العمل ما لا نطيق فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فلعلكم تقولون كما قال بنو اسرائيل سمعنا
وعصينا قولوا سمعنا واطعنا واشتد ذلك عليهم فمكثوا ذلك حولا
فانزل الله تعالى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فنسخت هذه الاية
عنى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى قد عفى عن امتى
ما حدثت انفسهم ما لم يتكلموا به و تعملوا به وفى رواية عن ابى هريرة
رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تجاوز عن امتى
ما وسوست به نفسها ما لم تتكلم وتعمل به رواه البغوى والفخر الرازى
رح فى تفسيرهما فان قلت ان قوله عز وجل لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
يدل على ان النفس تواخذ بكل ما صدر عنها مع ان النسخ انما يرد على الامر

والنهي وهنا ليس كذلك اقول وجب علينا افادة معنى النظم الجليل والا بلوغ
في مبناه ولو لحقه في معناه والجواب عنه في حل المعضلات ورد الاشكالات
على وجوه ومن الله التوفيق والعناية والارشاد والهداية واعلم ان العلماء
رحمهم الله بالغفران وادخلنا معهم في غرف الجنان اختلفوا في اللغة بين الكسب
والاكتساب هل فرق بينهما ام لا فذهب الامام الواحدي بانه لا فرق
عند اهل اللغة بينهما من حيث يقام احدهما مقام الاخر واستشهد بقول
ذي الرمة في هذا المصرع الفى اباه بذاك الكسب يكتسب ولقرآن ناطق
ايضا لقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة فانه يدل على اقامة كل واحد
منهما مقام الاخر مع صحة المبنى والمعنى ومنهم من فرق بينهما لان
الاكتساب اخص من الكسب لان الكسب ينقسم الى الكسب لنفسه ولغيره
والاكتساب لا يكون الا لنفسه خاصة لدلالة المبنى على انفعال المعنى
ويؤيده ما ذهب اليه شهاب الدين في تفسير هذه الاية من قوله وخص
الكسب بالخير والاكتساب بالشر اذ تحصيل الخير ليس باشتهاء النفس
بخلاف الاكتساب فانه انما يكون بانجذاب النفس في تحصيله واجتهادها
في تكسيبه فجعل مكتسبا فجعل لها بالكسب فهذا التفريق منه والتوزيع
يشعر ان كل واحد منهما غير الاخر فمعنى النظم الجليل على الاتحاد بعدم الفرق
لها ما كسبت اي للنفس ما عملت من عمل الخير وعليها ما اكتسبت من تحصيل
عمل الشر ومضرته وعلى الاختلاف بعدم الاتحاد في محلها اي على النفس
المحصلة بانواع الشاقة ما اكتسبت اي تحملت بمشاق تحصيل المنهيات
وانجذاب الشرور وترك السعادات فعلى كلا المعنيين ان النظم الجميل
لا تدل الا على ان النفس تؤاخذ بما عملت واعملت بالعزم المصمم اذ الاعمال
والاعمال لا يوجدان الا بالعزيمة وقوله ان النسخ انما يرد على الامر
والنهي بالحصر في حيز المنع كيف والله سبحانه نسخ قوله لكم دينكم

بحث الفرق بين الكسب [illegible]

ولي دين

ولي دين بقوله العزيز وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة مع ان المنسوخة
ليست بامر ولا نهي بل هو خبر وان كانت الناسخة امرا وما نحن فيه
ان المنسوخة ويؤيده ما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما انزل على رسول
صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الاية الى قوله يحاسبكم به الله فاشتد ذلك
على اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ثم بركوا على الركب وقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق
الصلوة والصيام والجهاد والصدقة وقد انزلت عليك هذه الاية
ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتريدون ان تقولوا
كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا
غفرانك ربنا واليك المصير هذا قول ابن مسعود وابن عباس وابن عمر
واليه ذهب محمد بن سيرين ومحمد بن كعب وقتادة والكلبي وروى عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الله تجاوز عن امتي
ما وسوست به انفسها ما لم تتكلم او تعمل به رواه البغوي في المعالم فعلى
هذه الرواية فالاية منسوخة الجواب الثاني انه تعالى يؤاخذ العبد بها لكن
مؤاخذته على العموم دنيويا كان او اخرويا على رواية عائشة الصديقة
رضي الله عنها انها قالت سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذه الاية
والمحاسبة فقال يا عائشة هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه العبد
بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى الشوكة والبضاعة يضعها في كمه
فيفقدها فيروع لها اي يخاف فيجدها في ضبنه حتى ان المؤمن يخرج
من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير رواه البغوي وروى عن انس
بن مالك رضي الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
واذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد بعبده
الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيمة رواه الامام البغوي

بحث [illegible]

البضاعة الربح
الحاصل لصاحب التجارة
في البيع
والاشتراء
منه

رح وما روى عن عايشة رضى الله عنها قالت سألته صلى الله تعالى عليه
وسلم عن تلك الاية وعن قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به فقال صلى الله
تعالى عليه وسلم هذه معاتبة الله تعالى العبد بما يصيبه من الحمى
والنكبة الى قوله كما يخرج التبر الاحمر من الكير **رواه** الترمذى رح
وما وقع فى صحيح الترمذى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يصيب عبدا
نكبة فما فوقها او دونها الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وقرأ صلى الله
تعالى عليه وسلم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير
رواه الترمذى رح فدلت هذه الروايات على ان الاية غير منسوخة
لكن محاسبة الله على العموم **والجواب الثالث** انه تعالى يحاسبكم به الله
ومن جملة تفسير المحاسبة ان يكون المحاسب عالما لما فيه فيرجع معنى
الاية الكريمة الى كونه تعالى عالما بجميع ما فى الضمائر والسرائر لانه تعالى
بكل شىء عليم وعلمه محيط على الاشياء لانه يعلم السر واخفى وعالم
الغيب والشهادة كما ذهب اليه ابو المعين عمر النسفى فى تفسير التيسير
ففيه مجاز اولى من قبيل قوله تعالى انى ارانى اعصر خمرا وهذا المعنى
كثير فى الايات الكريمة والاحاديث النبوية وكلام البلغاء وعند
الفصحاء من ذكر الملزوم وارادة اللازم ومن المسبب الى السبب من طرق
التجوز الاولى فعلى هذا لا يكون الاية الكريمة منسوخة **والجواب
الرابع** انه تعالى ذكر بعد هذه الاية العزيزة فيغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء فيكون الغفران لمن كان كارها لورود تلك الخواطر ولا بد منها
البتة لمقتضى قوله العزيز الذى يوسوس فى صدور الناس وقوله تعالى
فى سورة ق ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه والكمال
المجاهدة فى دفعها وكراهة ورودها وهو الجهاد الاكبر فلو مات
صاحبها من المؤمنين على هذه الحالة الشاقة لمات على الشهادة فكان

شهيدا فشهادته اكبر من شهادة السيف لان المسبب يتعلق بالسبب كما
بينه الامام العلامة السمرقندى فى تفسير بحر العلوم رح فيكون العذاب
نصيبا لمن كان يصر على تلك الخواطر الفاسدة والاراء الكاسدة مستحسنا لها
غير مبال لعاقبتها مع ان المؤمن مأمور بالمجاهدة بتطهير البواطن والظواهر
بالشريعة البيضاء والله تعالى اعلم بالسرائر بالطريقة الغراء فعلى هذا لا يكون
الاية العزيزة منسوخة **والجواب الخامس** انه تعالى هدد العباد بانه يلزم
عليهم الاجتناب عن الصغائر والكبائر وبذل المجهود وبقدر وسعهم واستطاعتهم
كما هو مأمور عليه بقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فان الله تعالى عز وجل
رهب عباده لسئل عما خطر من الحوادث القلبية والخواطر الفؤادية
فضلا عن الشنايع وقبايح المواقع من البواطن والظواهر من الامور الشوايع
لكنه تبارك وتعالى لما علم فى ازل الازال ان الخواطر لتنصب على البال
كالامطار المتعاقبة الشديدة فى الحال ولا استطاع لهم ان يدفعوها
فى الحال والمال عفى الله عنهم ما نشأ منها على البال لعدم التكليف بما لا وسع
بدليل قوله العزيز لا يكلف الله نفسا الا وسعها فذلك عين الكرم من الكريم
ومعاملة الاختبار من العليم الزاما للعباد فهذا المعنى من التجوزات بالمجاز
الاولى للاجتناب من ثمرات التقوى كما هو ظاهر عند اولى النهى فعلى
الاجوبة الاربعة الماضية لا تكون الاية العزيزة منسوخة محمولة
على التجوز ومن المعلوم ان المجاز ابلغ من الحقيقة وما قيل انها منسوخة
لفظا لعدم التكليف ضعيف جدا لان من له ادنى توغل فى فن
الاصول خاصة على اصول على البزدوى رح يعرف ان النسخ انما يحتاج
اليه اذا دلت الاية على تعين حصول العقاب على تلك الخواطر وذلك
ممنوع على ان النسخ فى الخبر لا يصح بخلاف نسخ الامر والنهى ويؤيد
الاجوبة المذكورة ما ذكره شارح المصابيح من ان الوسوسة الضرورية

قوله ومعاملة الاختبار وانما اضيف المعاملة اليه لانه عبارة عن التجربة وانه تعالى يعلم السر واخفى فهذا للالزام منه

هى التى لا يمكن دفعها مما يجرى ابتدآء فى القلب من غير ان يقدر الانسان
على الدفع كما هو حال الهواجس والحوادث والخواطر معفوة عن جميع الامم
السالفة والاختيارية فى القلب مثل ان يجرى حب امرأة ويديم على ذلك
الحب ويقصد الوصول الى تلك المرأة وما اشبهها من المعاصى بشرط
ان لا يصدر عنه ذلك الفعل الشنيع المركوز المحفوظ فى الصدور والمرموز
وهذا النوع الاختيارى هو المعفو من هذه الامة المرحومة خاصة تشريفا
لسلطاننا سلطان الانبياء وتكريما لبرهاننا برهان الاتقياء محمد
المصطفى عليه صلوات الله وتحياته واحتراما لخيرية الامم لانه الشاهد
على التبليغ يوم العرصات الضعيفة النقية والنقية عليهم الرحمة
والمغفرة واعلم ان اعتقاد الكفر والبدعة والشرك وسوء الظن
فى حق اخوان المؤمنين ان ظهر فى القلب فتركه وندم عليه قبل الاطلاع
لم يؤاخذ به لانه من الخواطر الفاسدة والآراء الكاسدة تجرى فى القلوب
مع الكراهة والكمال ان يجاهد فى دفعها ويعامل بضدها مثل ان يذكر
فى الايام وليا لها باضعاف اوقاتها وان اصر باختياره واعتقد
باستحبابه ولم يجاهد على دفعها بل طلب حصولها وان يصل اليها يكون
مؤاخذا بكسبه وسعيه فان اعتقاد الكفر كفر وكذا البدعة المؤدية
الى الكفر والشرك واما سوء الظن المنهى عنه فى كتاب الله العزيز بقوله العزيز
فى سورة الحجرات يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن الاية فى حق
المؤمنين مع انه حرام وحسن الظن واجب على كل مؤمن لهتك عرضه
الذى كدمه ووجوب حمية الاخوة التى آخاها الله تعالى فى كتابه الذى
انزل على نبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله تعالى فى سورة الحجرات
ايضا انما المؤمنون اخوة فى الدين والولاية والانتساب الى الاصل
الواحد وهو الايمان الموجب للحيوة الابدية والدرجات السرمدية على ان اللقاء

في قوله

فى قوله فاصلحوا بين اخويكم للايذان بان الاخوة موجبة لصلاح
الاحوال فى كل الطرفين وايضا ان وضع المظهر مقام المضمر للايماء فى تأكيد
وجوب الاصلاح مبالغة دون الافساد والتخصيص عليه وتخصيص
الاثنين بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح والرعاية على اظهار الصلاح
فيما فوق ذلك بطريق الاولوية لتضاعف الفتن والفساد فيه كما يوهم
وان بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله فى كل ما تأتون وما تذرون من الامور
التى جرت بينكم ولعو ملت عندكم فى جملتها اما امرتم به من الاصلاح
ولا تعصوه فيما امركم به ولا تخالفوه ابدا لعلكم ترحمون راجين ان ترحموا
على اتقائكم وتغفروا بصيانة دينكم وعرض اخوانكم لما روى عن
ابى سالم وابنه سالم رضى الله عنهما ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال المسلم اخو المسلم
لا يظلمه ولا يشتمه من كان فى حاجة اخيه كان الله فى حاجته ومن فرج
عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة يوم القيمة ومن ستر مسلما ستره الله
يوم القيمة رواه الامام البغوى فى المعالم فمن استحل ما فى اعتقاده
من سوء الظن يكفر لانه استحلال الحرام فنعوذ بالله تعالى من شرور انفسنا
وسوء قريننا لانه من شياطين الانس اشد من شياطين الجن بحيث
لا يفر اذا اصابكم كما يفر اخوه الملعون قال الامام قاضيخان والبزازية وصاحب
الخلاصة رحمهم الله ان الرجل اذا قصد الاثم وعزم عليه فمات قبل الفعل
يأثم على عزيمته دون رتبة اظهار الفعل كمن نوى على الزنا وعزم عليه
لكنه مات قبله يأثم على ما نواه دون اثم زناه وكذا عزيمة جميع الآثام
اختاره الامام الغزالى والفخر الرازى والاصح عند الاكثر بانه ليس
الاثم فى مقابلة العزيمة ما لم يصدر عنه بالعمل لما روى عن ابى هريرة
رض ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله تجاوز عن امتى ما وسوست
به انفسها ما لم تتكلم وتعمل به رواه البغوى فالعزيمة عدت من الخطرات

الفاسدة مالم تعمل وتوجد به في الخارج مع انه مخصوصة لهذه الامة المرحومة
ولقوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وانما قيدت مؤاخذة النفس
بالكسب ولفظ على للمضرة اشارة الى ان الخطرات تعفى مالم تعمل كذا قال
الامام البخاري في رواية هذا الحديث ومع هذه الادلة القاطعة اتفقوا
على ان الرجل اذا اعتقد الكفر او البدعة او الكبر والعجب يكفر ويبتدع
ويتكبر ويعجب ويأثم في مقابلة هذه الاشياء المكروهة ويؤاخذ بها
وهذه الاشياء من المستثنيات من المذهب الذي قاله الاكثر من العلماء
رحمهم الله ان لا مؤاخذة على الخطرات الفاسدة مالم تكلم او تعمل به وهذا مبني
حق وبالاتباع احق بمقتضى الادلة القطعية من الآيات البينة والاحاديث
السنية فلو اخذ يلزم الادلة ان يكون حاشا من اللغو وغير معمولة فاللازم
باطل وكذا الملزوم فلو قيل ان ما عفي من الخواطر مالم يعزم عليه وان لم
يعمله فهذه الرتبة معفوة عن جميع الامم السالفة فما وجه التخصيص
من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم مرويا عن ابي هريرة رضي ان الله تجاوز عن امتي
ما وسوست به انفسها مالم تتكلم او تعمل به رواه البخاري والبغوي مع
انهم في الخواطر مشتركون واكرام هذه الامة بعفو رتبة العزيمة والعصمة
على العمل فمن التوفيق ان لا يساعد الوقت العمل به احترامًا لهذه الامة واكرامًا
لنبي العامة بشيرًا ولرسول الكافة نذيرًا فمعفي الخطرات مع العزيمة
مالم يخرج الى الفعل فظهرت خيرية هذه الامة من الوجوه المتشتتة فمن
منها ويجب على ما ذكره الغزالي والفخر الرازي من قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم
او تخفوه يحاسبكم به الله ان المراد منها كتمان شهادة الشاهدين باخفائها
وابدائها او المراد محبة الولد المؤمن لابيه الكافر او مطلقا كما يفهم من سبب
النزول والوداد اي يحاسب المؤمن على محبة الكفار سواء اظهر او اخفى
والمراد بالمحاسبة على العموم دنيويا كان او اخرويا وليس مخصوصا بالعذاب

في النار

في النار بل ما يصاب في الدنيا من المصائب كالحمى والوجع والمرض والموت
والفقر ونحوها مما يتأذى بها المؤمن والاخبار والاعلان بها فهذا ايضا
من معاني المحاسبة على ما قررناه انفا فلا ريب ان كمال العبودية لا يوجد
الا بتخلية البواطن عن الاخلاق الذميمة وبتحلية الظواهر بموافقتها
بالاخلاق الحميدة مطابقا بالكتاب والسنة السنية وبجتنابا عن البدعات
الرذيلة الردية فهذه مناهج الانبياء ومعارج الرسل العظام ومناصب الاولياء
ومواهب القطب الفخام فيجب على جميع المؤمنين من المسلمين ان يصرفوا الارادات
الجزئية والاختيارات القلبية بالكسب والمجاهدة والتعب والمتابعة
لينالوا الرضوان الاكبر ويتباعدوا عن الخذلان الاخسر ويدخلوا الدرجات
في الجنات وينالوا الحور من المقصورات ويظهروا ثمرة الاطاعات من الخيرات
والاعمال الصالحات من العبادات كما هو المراد من ارسال الرسل العظام وانزال
الكتاب وخلق الخلائق الكرام من اولي الالباب ليعرفوا وحدانية الله الكبير
المتعال وليتحلوا البواطن وليتخلوا الظواهر وليتدبروا اياته الالهية و يتفكروا
في الاية الرحمانية وليشكروا على نعمه الجلية وليدخلوا على جنانه العلية
ولينظروا الى جماله الاجلى بفضله وعنايته الاعلى مع اهل الايمان في الفردوس
الاعلى اللهم اجعلنا من المؤمنين المخلصين مع الذين انعمت عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والعلماء المجاهدين بالعفو والعافية والمغفرة
في الاخرة وادخلنا في زمرتهم بحرمة نبيك المصطفى ورسولك المجتبى
واجعلنا من المغفورين بنيل الشفاعة الكبرى والعفو في الدنيا والعقبى
امين يا رب العالمين فاعلم انك اذا اردت ان تعرف الخواطر وتميز الخير منها عن الشرية
فتلك اربعة ميزان الاول ميزان الشرع ان وافق الشرع فهو خير والا فشر
والثاني ميزان سيرة العلماء الصالحين المجتهدين فان وافق سيرتهم
فخير والا فشر والثالث ميزان النفس الامارة فنعرضها ان تنفرت

منه بحسب الطبيعة فانه خير لانها بطبيعتها مائلة الى الشر امارة بالسوء
للنص القاطع والرابع وان كانت ميلها اليه من خوف الله تعالى ومن رجاء رحمته
عند غلبة الخوف فهذا الميل ليس بنفس الطبيعة فلا يعتمد عليه بل يجب
على المؤمن المجاهد ان لا يغفل عن حيلها الا انها جاسوسة الشيطان ووكيله
عنه في الاوقات الكثيرة والاثبات الوفيرة بل هو يكلها في كل الامور ولا
يتقرب عنه فمن له مؤاخاة غني فلا حاجة له عند وجوده لرعاية الاخوة
الشيطانية احفظ هذا كاعلم ان حيل الشيطان في منع العبد عن الطاعة
والعبودية سبعة الاول اشغاله بالافكار الدنيوية وانساؤه بالآراء
الاخروية والثاني تأخيره عن الاعمال الا ازمته في الدار الاخرة والثالث
التعجيل في الاعمال الصالحات تاركا التأني ناويا الزيادة الاعمال والرابع
ادخال الرياء والسمعة فيها فلا يبالي ما يفعل من له يعمل ولما يفعل والخامس
العجب في عمله بان لم ير احسن من عمله عمل الآخر والسادس القاء المذهب
الجبرية بانه ان كتب الله فيك السعادة الازلية فلا حاجة لك الى المجاهدة
وان كتب الله الشقاوة فلا فائدة لك في الاعمال والمجاهدة وهذا المذهب
باطل ناف فائدة الارسال والانزال والاوامر والنواهي بل السموات والارض
وما بينهما وما فوقهما وما تحتهما اذ يفهم منه العبثية واللعبية فسبحانه
وتعالى عما يصفون والسابع القاء الوسوسة انك وعملك مقدر وان
لا تخالف التقدير ان اراد رحمته رحمك والا فلا فان كان العبد موفقا من الله
تعالى يقول في الاول الدنيا فانية والاخرة باقية فالانسان كما كان محتاجا
الى الدنيا مع انها فانية كذلك محتاج الى ذخائر العقبى فانها باقية ليس لها
نهاية كما كانت للدنيا مع انا مأمورون بها اظهارا للعبودية بالادلة
القطعية فنشتغل الباقية ونترك الفانية مع انه تعالى كفيل ارزاقنا ما دمنا
فيها ويعلم حالنا ومآلنا ومستقرنا فنتوكل عليه في كل امورنا كما هو امره فينا

بقوله تعالى

الجواب عن الحيل الشيطانية

بقوله تعالى في سورة ابراهيم وعلى الله فليتوكل المؤمنون وبقوله تعالى ومن يتوكل
على الله فهو حسبه ويجيب العبد الموفق عن الحيلة الثانية ان الله تعالى
عين لكل وقت عملا ولكل يوم عملا فاذا اخرت عمل هذا الوقت واليوم الى الآخر
فاتى وقت لعمل عمل الآخر لان ما يأتي فلعمل آخر وهذا وقته مع اني لم اعلم
اجلي فاذا جاء لا يؤخر كما لا يقدم فلا اجد وقتا حتى اعمل ما مضى وما بقي
كما يجيب عن الحيلة الثالثة ان العجلة من الشيطان والتأني من الرحمن
الخضوع والخشوع لا يمكن الا مع التأني والتفكر والخوف والخشية مع ان
العمل القليل في السنة خير من عمل كثير في بدعة فالعجلة من البدعات كما
روى عن العرباض بن سارية رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها
بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة
وزاد في حديث جابر رض بمعناه وكل ضلالة في النار رواه مسلم في صحيحه
والقاضي عياض في الشفاء والجواب عن الرابع اني اطلب الجنة والدرجات
والنعمة في الغرفات من الله العليم القدير فلا يقدر ناس ان يعطيني مما
طلبه ولا يقدر دون الضر والنفع حتى يفيد رياي فبأي وجه اترك
الاعمال الصالحات التي ينفعني اعمل شيئا يضرني في الآخرة مع ان المؤمن
لا يكون مقبولا عند الله تعالى حتى يكون من المخلصين لقوله تعالى وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والجواب عن الخامس اني وعملي مخلوق الله
تعالى فلولا التوفيق منه تعالى لم اقدر على هذه الاعمال مع هذا وانا من العاجزين
والصادر عن العاجز عين العجز اذ الكل يعمل على شاكلته فالرب اعلم بمن هو اهدى
فان كان مقبولا فهو السعادة الكبرى وفضل منه اللهم اجعلنا من اهل
السعادة في الدارين وان كان عملي مردودا فهو من الشقاوة الطامة والخسران
العظيم في العاقبة اللهم لا تجعلنا من اهل الشقاوة والخسران في الكونين

والجواب عن السادس فانا عباد وما خلقنا الا لحكمة العبودية وما
بناه الا لهذا فنحن مكلفون بالاعمال الشاقة مأمورون بصرف الارادات
الجزئية والاختيارات القلبية مختارون في اعمالنا مخيرون في افعالنا
نحن ذرع حصد والسعادة والشقاوة متعلقتان بالايمان والاعمال الحسنة والكفر
والفجور والطغيان فالسعيد يتحول شقيا وبالعكس كما قال المتكلمون في
الشقي قد يسعد والسعيد قد يشقى لانهما متعلقان في ام الكتاب على اصح
المذهب كما هو في مذهب اهل السنة والجماعة وان لم يقبل علم الله الازلي
المحو والاثبات مع ان العبودية تلزم على العباد فهو تعالى انما وعد الجنة
للمؤمنين الذين يعملون الصالحات نزلا خالدين فيها واوعد النار للكافرين
الذين يعملون الكفر والعصيان فهو لا يخلف الميعاد والجواب عن الحيلة التاسعة
انا من معاشر اهل السنة والجماعة فليس في مذهبنا جبر محض ولا جبر متوسط
بل لا جبر في العقايد الحقة ولا تفويض بل هو امر بين امرين فنحن مختار
في ارادتنا ان وفقنا الله تعالى نطيعه في امره فندخل الجنة بوعده وفضله و
ان خذلنا الله نعصيه ونستحق عقابه فان عفانا فانه كريم فبرحمته
وفضله ووعده وان عذبنا فبعدله ووعيده فبهذه الاجوبة السابعة
يتخلص المؤمن عن حيل الشيطان ومكره ووسوسته فانه عدو لا
يدخل المؤمن في الغوى والبغضاء فلولا التوفيق والعناية لما خلص
المؤمن عن الغواية والضلالة اللهم اهدنا الصراط المستقيم صراط
الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا الفصل الخامس عشر في الذكر ولواحقه وثوابه
وحرمة الذاكر ودرجاته عند الله الملك المنان اعلم ان ذكر الذاكر على
اربعة اقوال احدها ان القراءة في الصلوة على ما ذهب اليه عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما فلهذا ذهب الامام الاعظم رح ان يقرا في نفسه بحيث

يسمع ما يقول

يسمع ما يقول او ينصت ويستمع من الامام ان كان في صلوة الاسرار لفريضة
الظهر والعصر وجوبا على ما ذهب الامام ان الجماعة واجبة خلافا للامامين
فان عندهما سنة مؤكدة واما عند مالك والشافعي ففرض الكفاية وعند احمد
الحنبلي ففرض العين فيكون الامام الاعظم رحمه الله واجبا لكونه مستفهما من قوله
تعالى اركعوا مع الراكعين مع انه ما معنى اخر فذلك عين معنى الواجب على قواعد
الاصول لا فرضا لاحتمال معنى هذه الاية العزيزة من قوله تعالى في سورة الاعراف
واذكر ربك في نفسك الى غيره والخطاب خاص الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
مورد او عام حكما حتى اذا جهر المصلي سهوا في صلوة الاسرار يلزم عليه
سجدة السهو واذا جهر عمدا يكون صلوته ناقصة فيجب الاعادة عليه فلا
يصلحها سجدة السهو لانها شرعت لتتميم النقصان من السهو لا من العمد
وثانيها انه القراءة خلف الامام سرا في نفسه كما رواه قتادة رح من التابعين
ان النبي صلى الله تعالى عليه اذا قرا في الصلوة المكتوبة وقرا اصحابه خلفه فنزلت
قوله تعالى واذا قرئ القران فاستمعوا له استماع تحقيق وقبول من المنافع الجليلة
والمواعظ العلية التي ينطوي عليها القران ويتضمنها الفرقان وانصتوا
في خلال القراءة وراعوا لها الى انقضائها تعظيما للحق لانتفاع وتكميلا
لشان الاستماع لعلكم ترحمون اي راجين الرحمة التي تفوزون بها
وتنالون منه تعالى وهي اقصى ثمرات الاستماع والقبول في ضمن الانتفاع
وهو المطلب الاعلى والمقصد الاسنى والمامول الاقصى وهذا ايضا دليل
الاستماع والانصات خلف الامام في الصلوة السرية والجهرية لكن
الامام الشافعي رح جوز قراءة الفاتحة للماموم اهتماما لشانها وللتهديد
الوارد في حقها لما روي عن هشام بن زهرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى صلوة لم يقرا فيها بام القران فهي خداج
ثم خداج فهي خداج غير تمام رواه الامام البغوي في المعالم قلنا في الجواب

انه يكفيه كونه مأموما فتلاوة الامام قائمة مقام تلاوة المأموم في الفاتحة
وضم السورة فما وجه التخصيص بام القرآن فانه تعالى ذكر الامر في الكتاب
في الصلوة بقوله اقيموا الصلوة في كثير من المواضع فما اهتمام كبير بهذا
مع ان جمهور الصحابة رضي الله عنهم اتفقوا على انه في استماع المؤتم فلهذا ذهب
الامام الاعظم عليه الرحمة والغفران ان انصات المأموم واجب في كل
الصلوة في الفاتحة وضم السورة للبدل القائم مقام الاصل فما وجه التخصيص
مع المراد المجموع وهذا من قبيل ذكر الجزء من التجوز والثامن لا قول الاربعة
ذكر الله تعالى باللسان ما استمع دون رفع الصوت كما ذهب اليه امامنا
وسيدنا وسند الائمة الامام الاعظم نعمان بن ثابت الكوفي رح مستنبطا
من قوله تعالى وتبارك تضرعا وخيفة اي متضرعا الى الله تعالى بطلب الحاجات
وعرض انواع الاحتياج وخائفا عن عذابه وعقابه في دار البوار الجاج
ودون الجهر من القول الا ما استثنى وخص بالاجماع مثل الاذان والاقامة
والخطبة وقراءة القرآن في بعض الاحيان والمواعظ في الاوقات الشريفة
وتكبيرات التشريق في الاوقات الثمانية على قول الامام الاعظم في فجر يوم
عرفة او الاوقات الثالث والعشرين الى عصر الرابع من ايام العيد الاضحى
على مذهب الامامين لاستعلام الناس ولتعظيم مواقيت الحج متفكرا في
معاني مبناه ومتذكرا بكلامه دون الجهر فانه اقرب الى حسن التفكر وقال
الامام مجاهد وابن جريج امر الله تعالى العباد ان يذكروه ويسبحوه ويهللوه
ويحمدوه ويقرؤه بالاخفاء ما استمعوه والتضرع دون رفع الصوت
والصياح في الذكر والتسبيح والتهليل بالغدو والاصال متعلق باذكر
اي في وقت الغدوات والبكرة والعشيات والمساء وهو ما بين العصر
والمغرب وانما قيد بالصبح والعشاء مجازا اذ المراد دوامه ولفضلهما
على غيرهما والاصال جمع اصيل وقرئ بالايصال من الافعال بمعنى الفعلاء وهو

مع ان حديث الحث يحتمل ان يكون وروده متقدما على النزول فلهذا اجتهد الامام الاعظم هكذا والاخفا من حديثه من الاحاديث الشريفة ودليل من الادلة تقتضيه عقليه ولا يحتمل عدم التصادف فضلا احتمال التقدم او الصحة في الروايات او يحتمل الخبر الواحد فلهذا تركه مع ان اجتهاده من اقوى الدلائل ودوا آتنا علي وافضل درايته وروايته رحمه الله تعالى في الفردوس الاعلى معنا وبشرنا بانواع السرور ومشاهدة جماله الاسنى من الملك الاقصى امين بحرمة من له الوسيلة الاعلى صح

مصدر اصل

مصدر اصل اي دخل في الاصيل موافق للغدو ولا تكن من الغافلين
الذين يغفلون عن ذكر الله وعن قراءة القرآن وتدبرها والرابع من الاقوال
ذكر القلب باستدامة الفكر لئلا يغفل عن ذكر الله تعالى وفي الخطاب
بهذا الذكر قولان احدهما المستمع بالقرآن اما في الصلوة واما في غيرها
او الخطبة قاله ابن زيد واختلفوا ان الذكر بمجرد القلب افضل او باللسان مع
حضور القلب على ما ذهب فخر الرازي الامام العلامة في تفسير الكبير
في مواضع الكثيرة ما استمع فقال بعضهم ان ذكر القلب افضل لانه من اعمال
السر لا يطلع عليه الا الله الذي يعلم السر والجهر مصون عن الرياء والسمعة
ومنهم من قال ان الذكر باللسان مع حضور القلب بحيث يسمع نفسه ومن عنده
فان العمل يكثر باستعمال اللسان فاقتضى زيادة الاجر بكثرة الاجير وهذا
هو الاصح كما ذهب اليه الفخر الرازي في تفسير الكبير ايضا اذ الاخفاء
باللسان ادخل في الاخلاص من رفع الصوت موافقا للادلة القطعية بقوله
تعالى ودون الجهر قال القاضي عياض ابو الفضل رح الذكر نوعان ذكر بمجرد
القلب بتفكر عظمة الله وجلالته وربوبيته لكل الموجودات وقوته
وقدرته ونعمته وعزته وانواع احسانه في عباده وسمواته وملائكته ورسله
وكتبه ومعانيها وارضيه واشجاره واحجاره وما يرتجي به من النعم والاكرام
والنعيم والاحترام اجمالا وان لم يقيد على التعداد والتفصيل وهذا النوع
من ارفع الاذكار مرتبة والنوع الثاني الذكر باللسان مع حضور القلب
اخفاء كما قال الله تبارك وتعالى في سورة الاعراف ادعوا ربكم اي اعبدوا
ربكم الذي قد عرفتم ذاته الجليلة وصفاته الجميلة من كتابه اذ الدعاء
طلب الخير من الله تعالى وهذه صفة العباد وقيل المراد به حقيقة الدعاء
وهو السؤال والطلب اذا عرف الحاجة الى ذلك المطلوب مع العجز عن التحصيل
وعرف انه ربه سميع الدعاء ومجيب الدعوات ويعلم حاجته وعجزه ويوصل

عبده الى الموصوله ويقدر بالقدرة التى قد نبذ رتها على العرش الاعلى
والسموات العلى والملائكة المقربين يعبدون ولا يستكبرون عن عبادته
مع عظام قدرتهم ولا يستنكفون عنها تذللا والمؤمنون اولى بها
تضرعا وخفية اى ذوى تضرع وذوى سر واخفاء فان الاخفاء
دليل الاخلاص انه اى الله سبحانه لا يحب المعتدين اى لا يجيب دعاء
المجاوزين لما امروا به فى كل الاشياء فيدخل فيه الاعتداء فى الدعاء دخولا
اوليا وقد نبه به على ان الداعى يجب فى دعائه ان لا يطلب ما لا يليق به
كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح فى الدعاء والاسهاب
فيه او الدعاء بما لا يحل او باللعن والخزى او بالشر وعن الحسن البصرى
رح انه قال بين دعوة السر وبين دعوة العلانية سبعون ضعفا
ولقد كان المسلمون من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
يجتهدون فى الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين
ربهم ائتمارا بامره وانتهاء بنهيه الا ترى انه تعالى مدح عبده زكريا
ورضى عنه واثنى على ما فعله من ندائه ودعائه خفيا وروى ان عبد الله
بن مغفل رض انه سمع ابنه يقول اللهم انى اسئلك القصر الابيض
عن يمين الجنة اذا دخلتها فقال يا بنى سل الله الجنة وتعوذ به من النار
فانى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انه سيكون فى هذه الامة
قوم يعتدون فى الطهور والدعاء وقال ابن جريج المراد من الاعتداء رفع
الصوت والنداء بالدعاء والصياح رواه البغوى فى المعالم وروى عن ابى
موسى الاشعرى رض انه قال لما غزى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
خيبر اشرف الناس على واد فرفعوا اصواتهم بالتكبير فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غائبا
انكم تدعون سميعا قريبا رواه الامام البغوى فى المعالم والبخارى ومسلم

قوله اربعوا

قوله اربعوا اى ارفقوا وقيل اسكتوا عن الجهر فانه قريب مجيب يسمع دعائكم
وندائكم يقال اربع على نفسك اى انتظر وربع كمنع وقف وانتظر ذكره
الامام الطيبى فى شرح المشكوة وذكر الامام البرهانى صاحب المحيط
فى الواقعات انه قد قيل لابن مسعود رض ان قوما اجتمعوا فى مسجد يهللون
ويصلون على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويرفعون الاصوات فذهب
اليهم ابن مسعود رض وقال ما عهدنا هذا على عهد رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وما اريكم الا مبتدعين فما زال يذكر ذلك حتى اخرجهم
من المسجد انتهى وروى عن انس بن مالك رض انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل يا رسول الله وما رياض
الجنة قال حلق الذكر كما انى لا اقول لكم حلق القصاص ولكن حلق الذكر
رواه البغوى فى المصابيح وفى رواية الترمذى وما رياض الجنة قال المساجد
قيل وما الرتع يا رسول الله قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر رواه الترمذى قوله حلق الذكر جمع حلقة والحلق مثله كحلقة قراءة
الدرس والذكر على الاداب والتعليم وتعلم القران والموعظة فى المساجد
الشريفة والمنابر اللطيفة بالنية الخالصة الموصلة الى الرحمة والجنة
مجتنبا عن الرياء والسمعة لما روى عن معاذ بن جبل رض انه قال حين
بعث الى اليمن يا رسول الله اوصينى قال صلى الله تعالى عليه وسلم اخلص
دينك يكفيك العمل القليل رواه الحاكم رح وروى عن ثوبان رض انه
قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول طوبى للمخلصين اولئك
مصابيح الهدى تنجلى عنهم كل فتنة ظلماء رواه الامام البيهقى رح وروى
عن ابى امامة رض انه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال ارايت رجلا غزى يلتمس الاجر والذكر ما له فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم لا شىء له فاعادها ثلث مرات يقول رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم لا شيء له ثم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله عز وجل
لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وابتغي به وجهه رواه ابو داود والنسائي
رح روي عن ابي فراس رضي الله عنه قال نادى رجل فقال يا رسول الله ما الايمان
قال الاخلاص وفي رواية قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سلوني عما شئتم
فنادى رجل يا رسول الله ما الاسلام قال اقام الصلوة وايتاء الزكوة
قال فما الايمان قال الاخلاص قال فما اليقين قال التصديق رواه
البيهقي رح وروي عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما ابتغي به وجه الله
رواه الطبراني باسناد لا بأس به وروي عن عبادة بن صامت
رضي الله عنه قال يجاء بالدنيا يوم القيمة فيقال ميزوا ما كان لله تعالى
فيماز ويرمى سائره في النار رواه البيهقي رح وروي عن ابي موسى
الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو ان رجلا
في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله لكان ذاكر الله افضل منه وفي رواية
ما صدقة افضل من ذكر الله رواهما الطبراني وعن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سئل اي العباد افضل
درجة عند الله يوم القيمة قال الذاكرون الله كثيرا قال قلت يا رسول الله
ومن الغازي في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه للكفار والمشركين
حتى ينكسر واختضب دما لكان ذاكرون الله افضل منه لانه قال الله
تعالى في سورة العنكبوت ولذكر الله اكبر كذا في حيوة القلوب وتوبين
قوله تعالى اتل ما اوحي من الكتاب تقربا الى الله تعالى بقراءته وتذكرا للمعاني
تضاعيفه من المعاني وتذكيرا للناس وحملا لهم على العمل بما فيه
من الاحكام ومحاسن الآداب ومكارم الاخلاق واقم الصلوة اي
داوم على اقامتها بالجماعة وكان امره عليه الصلوة والسلام باقامتها

بحث الاخلاص

متضمنا للامر لاقترانها بالقرينة النهي عن الفحشاء والمنكر فانه صلى الله تعالى
عليه وسلم وان كانت صلوته وعبادته لارتفاع الدرجات وللوسيلة
الى المقام المحمود لكنه معصوم عن الفحشاء والمنكر قبل النبوة وبعدها على
الاتفاق عللّ بقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر كانه قيل وصلّ
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهيها عنهما انها سبب للانتهاء
عنهما لانها مناجات لله تعالى فلا بد ان يكون مع اقبال تام على طاعته
واعراض كلي عن معاصيه قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما في منتهى ومزدجر
عن معاصي الله تعالى فمن لم تأمره صلوته ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلوته
من الله تعالى الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر
فصلوته وبال عليه وروي عن انس رضي الله عنه فتى من الانصار كان يصلي
مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا ارتكبه
فوصف له عليه السلام حاله فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان صلوته ستنهاه
فلم يلبث الا تاب وحسن حاله ولذكر الله اكبر اي وللصلوة اكبر من سائر
الطاعات وانما عبر عنها به كما في قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله للايذان بان
بانها من ذكر الله تعالى هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات للنبي
ولانه ناهية عن السيئات لافراد الامة وقيل ولذكر الله تعالى عند الفحشاء
والمنكر وذكر الله نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر في الزجر عنهما وقيل
ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته وروي عن ابن عباس
رضي الله عنه قال معنى قوله ولذكر الله اكبر اي ذكر الله اياكم افضل من ذكركم
اياه وهو قول مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ويروى ذلك مرفوعا عن موسى
بن عقبة عن نافع عن ابن عمر رض عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال
ابن عطاء في قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر من
ان يبقى معه معصية والله يعلم ما تصنعون منه ومن سائر الطاعات

بحث ولذكر الله اكبر

فيجازيكم بها احسن المجازات روى عن ابي الدرداء رض انه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند
مليككم وارفعها في درجاتكم وخير من اعطاء الذهب والورق وان تلقوا
عدوكم فتضربوا اعناقهم قالوا وما ذلك يا رسول الله قال ذكر الله رواه
البغوي في المعالم رح وفي رواية عنه ان اعرابيا قال يا رسول الله اي
الاعمال افضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله رواه
البغوي وروى عن ابي هريرة رض انه قال كان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال سيروا
هذا جمدان سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله
كثيرا والذاكرات رواه البغوي وعن ابي هريرة رض وابي سعيد الخدري
رض انهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقعد قوم يذكرون الله
الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وتنزلت عليهم السكينة وذكرهم الله
فيمن عنده رواه البغوي رح وروى عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا
ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته
في ملأ خير منهم وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي
ذراعا تقربت اليه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة رواه البخاري ومسلم
والترمذي والنسائي وابن ماجه رحمهم قوله في نفسه اي في خلوته بالاخلاص
والتوحيد والتفكر والتدبر بالطهارة واستقبال القبلة بانواع التعظيم
واصناف التكريم بالبكاء والابتكاء والحزن والتحزن قوله في ملأ اي
في جماعة من المسلمين المخلصين قوله شبرا وهو تفريج اصابع قوله
ذراعا وهو بسط اليد قوله باعا وهو مد اليدين قوله هرولة وهو نوع
من العدو والتجاوز في السير فوق السير فهذه كلها من المتشابهات لا يجوز

التوغل

التوغل والاشتغال بحقيقته فنؤمن باصله انه حق ولا نشتغل بوصفه
كسائر المتشابهات بل المفهوم منه انه تعالى ارحم على عباده واكرم على الحبائر
من اصدقائه فاذا اخلص العبد في العبودية مطابقا بكتابه الكريم
وموافقا لسنة رسوله الرحيم عفى قصور العبد وادخله الجنات وبدل
سيئاته الى الحسنات لان نية العبد ان يعبد على الوجه الذي
يرضى بربه ويبعد عما يبغضه فنية المؤمن خير من عمله وهو تعالى
عليم بذات الصدور في كل الامور ولطيف بعباده يرزق من اراد
من اوليائه كما يريد ما روى عن عبد الله بن بشر رض ان رجلا
قال يا رسول الله ان شرائع الاسلام قد كثرت علي فاخبرني بشيء
اتشبث به قال لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله رواه الترمذي
واللفظ له وقال حديث حسن غريب وابن ماجه وابن حبان في صحيحه
والحاكم وقال صحيح الاسناد قوله رطب بالفتح خلاف اليابس وهو عبارة
عن التتابع من غير الغفلة وكثرة الذكر وروى عن انس رض انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ما من احد يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
صدقا من قلبه الا حرمه الله تعالى على النار كذا في المشارق قوله صدقا
احترز به عن ذكر المنافق لانه وان شهد كان من الكاذبين لخلوه
اعتقاده وخوفه عن السيف والاغارة قال شراح الحديث تختلف العلماء
في معناه انه لا يدخل النار اصلا لان اخلاص المؤمن في هذه الشهادة
ينور قلبه بنور الايمان فاذا استقر نور الايمان في القلب وتمكن
باصوله وفروعه فينفتح له الكوة من العين فيرى ما لا يراه غيره ومن الاذن
فيسمع ما لا يسمعه غيره ومن الفم فيتكلم بالحكمة البالغة بحيث لا يقدره
احد ومن اليد فيأخذ ما لا يقدر عليه فرد ومن القدم فيمشي على ما يمشيه
شابه من الولي ومن الانف فيشم رائحة الجنة كشم العلي فلما ارتفع

هذه الدرجات العلى لم يصدر عنه الذنوب الكبيرة السفلى فاذا اجتنب
عنها فيكفر عنه الصغاير فمات معصوماً محسوب قبل ان يحاسب فيدخل
الجنة بفضل الله وعنايته دخولاً اولياً فيحرم عليه النار اللهم اجعلنا
من هذه الزمرة في غرف الجنة بحرمة من ارسلته بالنبوة على هذه الامة
المرحومة آمين بحرمة الفاتحة وقال بعض العلماء هذا الحديث في حق
من اسلم وتاب عن كفره فمات قبل ان يعصي لان عصاة المؤمنين
تعذب في النار بالادلة القطعية وان لم يخلد فيها وقال بعضهم في تاويله
ورود هذا الحديث قبل نزول الفرائض وقال بعضهم يراد بالتحريم تحريم
الخلود على هذه الامة المرحومة قال الامام افضل المتأخرين من افاضل
العلماء المتواصلين واورع المتصوفين الشهيد الشهير بنجم الدين الكبرى
نفعنا الله تعالى بشفاعته العظمى ويسر لنا المجاورة في الفردوس الاعلى
في بعض مصنفاته الطرق الموصلة الى الله العلي الاعلى والى جنانه العلى
بعدد انفاس الخلايق والطريق الاقرب اليه والارشد الاوضح طرقا
الذي نبين لك ان شاء الله تعالى واما الطريق الكثير الذي بعدد الانفاس
محصور على ثلاثة انواع النوع الاول طريق ارباب المعاملات بكثرة الصوم
والصلوة والحج والجهاد والشهادة والزكوة وغيرها من الاعمال الظاهرة
والاذكار الباطنة وهذا طريق الاخيار فالواصلون بهذه الوسائل
في الازمنة الطويلة اقل من القليل والنوع الثاني اصحاب المجاهدات
في تبديل الاخلاق وارباب الرياضات في تصفية القلب وتجلية
الروح وتخلية النفس بعمارة الباطن بعد التعمير بالشرايع الخالصات
وهذا طريق الابرار فالواصلون الى المطالب العلية والمقاصد
الجلية اكثر من الاول كما سئل ابو منصور رح عن ابراهيم الخواص رح في اي
مقام روضت نفسك فقال في الجواب روضت نفسي في مقام التوكل منذ

ثلاثين سنة

ثلاثين سنة فقال ابو منصور افنيت عمرك في عمارة البواطن فاين انت
من الفناء من الله وفيه والثالث طريق السايرين الى الله فهذا طريق الشطار
من اهل السلوك بالمحبة الواصلة والجذبة الدائمة الفاصلة فالواصلون
بهذه الوسائل في البدايات اكثر من الاولين في النهايات فهذا المسلك
المختار مبني على الموت قبل الفوت بالارادة العلية وصرف الاختيارات
الجزئية حتى يكون مصداقا بالاثر الوارد من النبي المختار عليه من الصلوات
الاخيار والتحيات الابرار بقوله موتوا قبل ان تموتوا وهي محصورة على عشرة
اصول الاول التوبة والرجوع الى عناية الله وكرمه بصرف الارادة والفراغ
من الاشتغال الواردة بالترك كلية كما ان الموت رجوع بغير الارادة
والفراغ من الموانع الواردة كما في قوله ارجعي الى ربك راضية مرضية
وهذا رجوع عما يحجبك عن الله من المراتب الدنيوية والاخروية
وخروج عن المطالب المرغوبة سوى الله حتى عن الوجود كما قيل وجودك
ذنب ونبع له فلا يقاس بغيره والاصل الثاني التزهد عن الدنيا
وهو الخروج عن لذاتها قليلا كان او كثيرا كالموت وحقيقته
ان تزهد عنهما في الدارين سواه كما ورد في الاثر الصحيح الدنيا حرام
على اهل الاخرة والاخرة حرام على اهل الدنيا وهما حرامان على اهل الله
تعالى سواه والاصل الثالث التوكل على الله وهو ترك الاسباب والمسبب
مفوضا اموره بالكلية على الله ثقة واعتمادا عليه كما ان الحي بالموت
كذلك لقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي يكفيه في الدارين
والاصل الرابع القناعة بما وجد منه تعالى ولا يلتفت عما في ايدي
الناس وملكه كما كان حاله في الموت الا ما اضطر من الحوايج الانسانية
فيحصر على ما لزم ولا يلتفت الى ما زيد والاصل الخامس العزلة عن الالفة
والانقطاع عن المخالطة كما كان حاله بالموت في القبور الا عن الخدمة

للمشايخين والاساتيذ المشفقة المرتبية فانهما كالغسال للميت فينبغي عنده
كالميت فيسلم نفسه ويرضى بما فعلا به فيغسلانه بماء الولاية وزلال
الالهية عن الجنايات الاجنبية ولوث الحدوث واصل العزلة عزلة الحواس
بالخلوة من التصرف في المحسوسات فان كل آفة وبلاء وفتنة ابتلى الروح بها
وكانت تقوية النفس وتربية صفاتها ودخلت في دوزنة الحواس وبها
تبعت النفس الروح الى اسفل السافلين وقيدت بها واستولت عليه فالخلوة
العزلة عن الحواس تنقطع مدد النفس عن الدنيا والشيطان شغلها واعانة الهوى
والشهوة كما ان الطبيب الحاذق يامر اولا بالاحتماء عما يضره تدبيره
في علة مرضه فينقطع بذلك عنه مدد المواد الفاسدة التي انبعث به
المرض وتنفي به المواد وقد قيل الحمية رأس كل دواء يعالج بالمسهل
المطهرة تنفي عنه المواد الفاسدة وتتقوى القوة الطبيعية والحرارة
الغريزية ليزول عنه المرض والعلة بدفع الطبيعة ويحصل الصحة
فالمسهل للذاكر الذكر الدائم بعد الاحتماء وتنقية المواد الفاسدة
والاصل السادس ملازمة الذكر وهو الخروج عن ذكر ما سوى الله
مما في الدارين من العلائق والعوائق ولا يوجد ذلك الا بالنسيان نسيا
منسيا كما قال الله تعالى واذكر ربك اذا نسيت اي غير الله كما كان هو الموت
والتنقية المسهلية بالذكر وهو كلمة لا اله الا الله وهي معجون مركب
من النفي والاثبات فبالنفي يزيل المواد التي يتولد منها الامراض القلبية
وقيد الروح بها وتقوية النفس وتربية صفاتها وهي الاخلاق الذميمة
النفسانية واوصاف الشهوات الحيوانية وباثبات الا الله تحصل صحة
القلب وسلامته عن الرذائل من الاخلاق الذميمة والانحراف مزاجه
الاصلي وتنوره بنوره وحيوته بنور الله واسلامه فيتجلى الروح بنور
الحق وتجلى ذاته وصفاته وزالت عنه ظلمات صفاتها كما كان حاله

يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار الذي يتجلى
جلاله كل الموجودات موافقا على النص القاطع ومطابقا على السيف
القاطع فاذكروني اذكركم فيتبدل الذاكرية بالمذكورية وبالعكس
فيفنى الذاكر في الذكر ويبقى المذكور خليفة له فاذا طلب الذاكر وجد
المذكور واذا طلب المذكور وجد المذكور فاذا ابصر تجلى بصرته فاذا ابصرته
بصر تجلى فهذا الكلام لا يفهمه الا اهله وفيه تجوز لمن جاوز المقام
حقيقة لمن حقق الكلام الاصل السابع التوجه الى الله بكلية
الوجود عن كل داعية ومانعة تدعو الى غير الله كما هو بالموت فلا يبقى له
المطلوب والمحبوب ولا مقصود ولا مقصد الا الله المقصود ولو عرض
عليه المقامات العاليات والدرجات الرافعات التي لا يملكها الا محبوب الله
لا يلتفت اليها بالاعراض عن جمال الله ولو لحظة قال الجنيد البغدادي
رح لو اقبل صديق على جمال الله الف الف سنة ثم اعرض عنه لحظة فما
ناله اكثر مما ضاعه الاصل الثامن الصبر وهو الخروج عن حظوظ
النفس بالمجاهدة كما هو بالموت والثبات على فطامها عن مالوفاتها ومحبوباتها
وتزكيتها والاستقامة على الصراط المستقيم بتصفية القلب وتجلية
الروح كما قال الله تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا
باياتنا يوقنون الاصل التاسع المجاورة بالمراقبة وهي الخروج
عن حوله وقوته كما هو بالموت مترقبا مواهب الحق نزلا من عند الله الحق
متعرضا لنفحات الطاعة معرضا عما سواه مستغرقا في بحر هواه مشتاقا
الى لقائه يحبس لديه وروحه يستعين به من اين الى اين ومنه يستغيث اليه
حتى يفتح له باب الرحمة التي لا ممسك لها وتغلق عليها اعدآئه فلا يفتح له
وتنور بنور ساطع من الله وكرمه وعن النفس تزول ظلمة النفس
الامارة في لحظة ما يزول بثلثين سنة بالمجاهدة والرياضات

كما قال الله تعالى الا ما رحم ربي وتبدل سيئاتهم حسنات وهم الابرار
وحسناتهم سيئات المقربين الاصل العاشر الرضاء وهو الخروج
عن رضاء نفسه بالدخول في رضاء الله بتسليم الاحكام الازلية والتفويض
الى التدبير الابدية بلا اعراض ولا اعتراض كما بالموت كما قال بعض الواصلين
وكلت امري الى مقصودي ومحبوبي ان شاء احياني وان شاء اماتني فمن يموت
بارادته عن هذه الاوصاف الظلمانية فيحياه الله بنور عنايته الازلية
كما قال الله تعالى امن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها اى من كان ميتا في اوصاف الظلمانية
في شجرة الابدانية والقوالب الانسانية جعلناه مسرورا بانواع اكرام
الالهية واصناف احترام الربانية وجعلنا له نورا يمشي به في الناس بالكرامة
الابدية والفراسة السرمدية ويشاهد احوالهم كمن مثله في الظلمات ليس
بخارج منها فقال قطب الاقطاب الشيخ نجم الدين الكبرى بعد بسط الاصول
العشرة قدس سره العزيز الشريعة كالسفينة والطريقة الحقة والوصلة
كالبحر والحقيقة كالدر والياقوت فمن اراد نيل الدر والياقوت والتربح
من البحر يركب السفينة ثم يشرع ويسير في البحر ثم يستغرق ويسبح فيها
بالمجاهدة الكثرة والمحاربة الدائرة وصل الى مطلوب ومقصود الغرر ونال
بما يتمناه فمن لم يركب ولم يقصدها لم يصل الى مطلوبه ولم ينل الى مقصوده
وطلبها بتركها عبث فاول الواجب على طالب الحق التشبث بالشريعة
الغراء والطريقة المحمدية البيضاء بالايمان بالله وكتبه ورسله وملئكته
واليوم الاخر وبالقدر خيره وشره والبعث بعد الموت والائتمار بالاوامر
والانتهاء عن النواهي والطهارة الكاملة والصلوات الخمسة الموقتة
القائمة الدائمة مدة الحيوة الفانية والصيام والزكوة الزاكية والحج
والشهادة المدخلة في الجنان العالية الابدية السرمدية والتقوى المقربة

او حسنات الله

الحسنات الله والقاطعة المحافل الرفيعة وهذا عين الطريقة العلية
المأثورة المأخوذة من العلماء العلامة الفهامة كالمذاهب الاربعة من الفتوى
والسلوك الى مسلكهم من التقوى وكالمسالك للابرار المجتنبة عن الدنيا الدنية
الفانية والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم اجرا عظيما في الدنيا
والاخرة ثم لفظ الحقيقة عبارة عن الوصول الى نعم الله المتهيئة من الجنة
والجمال ومشاهدة نور التجلي الالهية على الكمال وهو المقصد الاقصى والمطلب
الاعلى اللهم اجعلنا اماما للمتقين من الذين انعمت عليهم ورفيقا مع الصديقين
والشهداء والصالحين امين قيل الصلوة من العبادات قربة ووصلة وخدمة
فالخدمة هي الشريعة والقربة الطريقة والوصلة هي الحقيقة وهذه
الخصال الثلثة من الصلوة كما قيل الشريعة والطريقة ان تحضره والحقيقة
ان تشهده كما قيل الخلوة هي الانقطاع من الخلايق والتوجه الى الخالق
لانه سفر النفس الى القلب ومنه الى الروح ومنه الى السر ومنه الى الخالق
ومسافة هذه السفر بعيدة جدا بالنسبة الى النفس وقريبة جدا بالنسبة
الى الله تعالى فطهارة الشريعة وطهارة الطريقة بالتخلية عن الهوى
فلو رأيت شخصا تطير في الهوى يمشي في البحر ويأكل النار وغير ذلك
مما يشبه الكرامات وهو يترك فرضا واحدا من فرائض الله وسننا عن
سنة النبي صلى الله عليه وسلم فاعلم انه كذاب في دعواه بل هو سحار فليس
له كرامات قال امام الائمة فخر الرازي في تفسير الكبير ويشترط
للذكر اربعة اشياء التصديق والتعظيم والجلالة والحرمة فيجب وجودها
في الذاكر فمن ليس له تصديق فهو منافق ومن لا تعظيم له فهو مبتدع
ومن لا جلالة له فهو مراء ومن لا حرمة له فهو فاجر وفاسق انتهى قال الامام
غزالي حجة الاسلام اكرمه الله تعالى واكرمنا بدخول دار السلام في احياء
العلوم فاعلم ايها المؤمن الموحد ان للتوحيد مراتب الاولى ان يقول الانسان

قف

باللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه اى لا يدرى ما يتكلم بكثرة الاشتغال
الدنيوية او يقول باللسان من خوف السيف مع الانكار من قلبه كتوحيد
المنافقين فهذا التوحيد مردود لا شئ له فى مقابلته ولا يتخلص عن خلود
النار للنفاق ولا ينتفع المشغول لغفلته كما هو اللازم للذاكرين الذكر
والثانية ان يصدق معناً كما هو الواجب فى حق المسلمين من حيث الاعتقاد
فيدخل الجنة لايمانه واعتقاده والثالثة ان يشاهد المراتب المعنوية
من المشاهدات العلية بواسطة الانوار الاذكارية وهذا مقام المقربين
والرابعة ان لا يرى من الاشياء الا الله الواحد القهار وهو مشاهدة
الصديقين وتسميه الصوفية الفناء فى الله من حيث انه لا يرى الا الله
الواحد الصمد فلا يدرى نفسه فكانه قلبه حى ووجوده ميت لا يدرى
من عن يمينه ولا عن شماله وهو المستغرق فى الله من حيث انسلخ عن لوازم
البشرية ظاهرا وباطنا واشتغل بما اشتغله الملائكة المقربون
مع الغلبة عن العوائق الشهوانية والعلائق الشيطانية فلذا كان
افضل من الملائكة السبحانية للمجاهدة الاختيارية وقال ابو يزيد البسطامى
الهمدانى عليه رحمة البارى حقيقة التوحيد ان لا يرى غير الله ولا ينظر
الا الله ولا يسمع الا من الله ولا يفهم الا عن الله ولا ينطق الا بالله وينسلخ
من نفسه كما ينسلخ الحية من جلدها فلا يبقى فيه الا الله ولا يكون له
همة سوى الله فاذا لم يحل فى القلب الا جلال الله وجماله صار مستغرقا به
استحق واستعد بانواع عناية الرب الجليل وهذا المقام من الانسان
للاقطاب كما انه من الملائكة للمقربين فان قلت كيف يمكن هذا المقام
فى غير الملائكة وغير الانبياء عليهم الصلوة والسلام مع كثرة العوائق
ووفرة العلائق وغلبة الاشياء عن نظره مع الجبلة والخلقية عليها
قلت لما كان مستعدا للتجلى من الله العلى العظيم صار فى حال كالشمس

اذا طلعت

بحث قول ابو يزيد البسطامى فى حقيقة التوحيد وسره

اذا طلعت استترت النجوم والكواكب عن الرؤية وغابت عن النظر وهذا المقام
يحيره العقلاء ويعجز عنه درك العظماء وانما يدرك بعناية الله
اللطيف على العبد المجاهد العفيف بالذوق حتى قيل ان من قال لم يعرف
ومن لم يقل عرف وليس المراد من فناء الله وخروج العبد مطلقا بل المراد فناء
جهة عوائق الانسانية وعدم المبالاة حين ظهور عناية الربانية عند
تجلى الحالات اذ لكل المقرب واسطة وسبيل الهداية والله هو الهادى
ومنه العناية اللهم اجعلنا من الذين حررنا حالهم وسطرنا شانهم
كاستعداد قطعة الفحم المجاورة للنار فانها تقبل النارية ولا يقادية
بحسب الاستعداد فرب فحم لم يقبل الايقاد فبقى على حاله وبعضه يحترق
بنفسه بالمنفخة الواحدة والثانية والثالثة قليلا او بعضه اعلى منه
وهكذا احوال المراتب وبعضه تشتعل قليلا قليلا مع تزايد الازمنة
وتشتعل فى رتبة لم يمكن التقرب اليه حتى يطفؤ بعناية بحسب استعداده
فلذلك لا يمكنه الا بكمال المحبة ذات الله ورسوله وائتماره بالاوامر وانتهائه
بالنواهى والتسنن بالسنة السنية والتشرع بالشريعة العلية
قال الامام شهاب الدين السهروردى فى العوارف ان الحالات الصادرة
عن الانسان ثلثة لانه ان امن وتشرع بالشريعة المحمدية فصدر
عنه الخوارق للعادة كالطيران فى الهواء وطى المكان وظهور الطعام
والدراهم والدنانير فى الجيب والكيس وامثالها مما لم يعرف بالعقل والكياسة
فتلك الحالات العلية كرامات جلية لمن كان مؤمنا ومؤمنة باعانة الله
وملائكته اليه والحالة الثانية ان الكافر والفاسق اذا صدرت عنه
تلك الحالات المذكورة مع انه كافر لا ايمان له او فاسق فاجر لا ديانة له
ولا طاعة له لله ولرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فهذه الحالات استدراج
باعانة الشيطان واد راجه الى ما يطلبه والحالة الثالثة ان المجانين

انا اعرف لان من عرف لم يقل سم

بحث الاحوال الصادرة من الانسان على ثلاثة اقسام

قد يصدر عنهم هذه الحالات المذكورة مع انه لم تدر ما الايمان
ولا الكفر لانهما يتميزان بالعقل فتلك الحالات الصادرة عنهم تسمى معونة
لان الله تعالى خلق المخلوقات مع الارزاق فلكل وجهة وعلة وسببية
في طريق الكسب بعقولهم فلهم الفم والسن للاكل والمضغ وسائر الجوارح
والاعضاء فالكل يحتاج الى ما لزمها فاعانهم الله بالكلمة المصيبة والحالة
المخترعة من فيهم فاصابت بحال الناس وكشفت عن الاشكال فالقى الله الرحم
والشفقة الى قلوب الناس فاطعموهم وكسوهم بحيث لو خلوا لم يقدروا على
الاكتساب والارتباح اذ لا عقول لهم فانه رب العالمين فلكل تربية اخرى
من الحكيم الاسرارية ان كل عضو من الحواس الخمسة الظاهرة والباطنة وغيرها
فلها تعيين خدمة مستقلة لا تحتاج بها الى غيرها استخدم بها الوجود
المجتمعة كان بحيث يرى الوجود مطلوبه والسمع بحيث يسمع مطلوبه
وكذا الانف بحيث يشم مطلوب الوجود وكذا الفم والسن وسائر الجوارح
فكل قد ادت خدمته وما لزم للوجود بحيث يندفع احتياجه باعانتهن
مستقلة ففيه اسرار سبحانية وانوار الهية وهي انه سبحانه وتعالى جعل المؤمنين
والمؤمنات اخوة في الدين وشرع الاعانة فيه وامر بها لهم فقال تعاونوا على البر
والتقوى فوجب لكل المؤمنين ان يعاونوهم مستقلة ان امكن او مجتمعة
كما في المحاربة مع الكفار كما ان الاعضاء تخدم منفردة ومجتمعة للوجود
وكذا البواطن كحال الظواهر حتى يظهر الخوارق الصادرة عن اولياء الله
ويكون مظهرا على ما ناولهم فكان من خير الناس من ينفع الناس وانفعهم
للناس فيدخلون الجنة بغير حساب اللهم اجعلنا من المتقين ومن المؤمنين
المعاونين ومن الداخلين الجنة بغير حساب آمين يا ايها الذين آمنوا
اذكروا الله بما هو اهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس ومن
الاوصاف الجليلة القديمة ذكرا كثيرا بان لا ينسيه ابدا في جميع الاوقات

ولا ايام والشهور والاعوام وسبحوه اي نزهوه عما لا يليق به من النقايص
الغير اللايقة او صلوا له بكرة اي اول النهار كصلوة الصبح واصيلا اي
آخر النهار او صلوا صلوة العصر قال الامام الكلبي المراد بالاصيل صلوة الظهر
والعشائين اي المغرب والعشاء وقال الامام المجاهد المراد سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله وتخصيصهما
بالذكر ليس لقصر عليهما دون سائر الاوقات بل لابانة فضلهما على سائر
الاوقات لانهما مشهودين بالذكر كافراد التسبيح به من بين الاذكار مع
اندراجه فيها لكونه العمدة فيها وقيل كلا الفعلين متوجهة اليهما كقولك
قم وصل يوم الجمعة وقال ابن عباس رضي ان الله تعالى لم يفرض على عباده
فريضة الا جعل لها حدا معلوما ووقتا موقوتا ثم عذر اهلها في حال العذر
الا الذكر فانه لم يجعل له حدا معلوما ولم يعذر احدا في تركه الا مغلوبا
على عقله وامرهم به في الاحوال كلها بحيث يقول هذه الكلمات الظاهرة
وغيرها والطاهر وغيره والمحدث وغيره على العموم فقال فاذكروا الله قياما
وقعودا وعلى جنوبكم بالليل والنهار والبر والبحر والصحة والسقم والسر
والعلانية روى عن ابي هريرة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنهما انهما
قالا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قال العبد لا اله الا الله
والله اكبر يقول تبارك وتعالى صدق عبدي لا اله الا انا وحدي واذا قال
لا اله الا الله لا شريك له قال صدق عبدي لا اله الا انا ولا شريك لي
واذا قال لا اله الا الله له الملك وله الحمد قال صدق عبدي لا اله الا انا لي الملك
ولي الحمد واذا قال لا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله قال صدق عبدي
لا اله الا انا ولا حول ولا قوة الا بي قال ابو اسحق فقلت لابي جعفر ما قال
من رزقهن عند موته لم تمسه النار رواه ابن ماجه في صحيحه عن ابي
هريرة رضي انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كلمتان خفيفتان

على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله
العظيم رواه البخاري وابن ماجه في صحيحيهما روى صاحب صحيح
البخاري رح ان لله ملائكة سياحين في الارض يتبعون مجالس الذكر فاذا وجدوا
مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا باجنحتهم حتى يملؤا
ما بينهم وبين سماء الدنيا فاذا تفرقوا عرجوا وصعدوا الى السماء قال
فيسئلهم الله عز وجل وهو اعلم من اين جئتم فيقولون جئنا من عند عباد لك
في الارض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسئلونك
قال وماذا يسئلوني قالوا يسئلونك جنتك قال وهل رأوا جنتي
فيقولون لا اي ربي قال وكيف لو رأوا جنتي قالوا ويستجيرونك قال ومم
يستجيرونني قالوا من نارك يا رب قال وهل رأوا ناري قالوا لا قال
فكيف لو رأوا ناري قالوا يستغفرونك قال فيقول قد غفرت لهم واعطيتهم
ما سئلوا واجرتهم مما استجاروا قال فيقولون رب فيهم فلان خطاء انما
مر فجلس معهم رواه البخاري في صحيحه وزاد الامام الترمذي في رواية
فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا الى بغيتكم قال فيحفونهم
باجنحتهم وزاد ايضا بعد قوله ويسبحونك ويمجدونك قال وهل رأوني
فيقولون لا والله ما رأوك قال فيقول كيف لو رأوني قال فيقولون لو رأوك
كانوا لك اشد عبادة واشد لك تحميدا واكثر لك تمجيدا واكثر لك تسبيحا
رواه الترمذي وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي انه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله سيخلص رجلا من امتي على رؤس الخلائق
يوم القيمة وينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر
ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب
فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة
فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله احضر وزنك

فيقول

فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات قال فانك لا تظلم
قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات
وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء رواه الترمذي وابن ماجه
والحاكم وابن حبان في صحيحيهما وقال الترمذي حديث غريب وقال
الحاكم حديث صحيح على شرط مسلم وقال معاذ بن جبل رضي ما من شيء انجى
من عذاب الله من ذكر الله رواه الترمذي واللفظ له وابن ماجه والحاكم
في المستدرك وقال صحيح الاسناد وقال عمر رضي افضل من ذكر الله باللسان
ذكره الله عند امره ونهيه قال عبد الله رضي هذا الذي قاله عمر مروي عن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واراد معاذ بحديثه الاكثار والله تعالى اعلم
وليس مراده ما يقع من اهل الغفلة والاستغراق في الدنيا مما لا يخلوا
منه احد واراد عمر رضي الذكر بالقلب وهو احضار الانسان قلبه بالخوف
والخشوع واستحضار اطلاع الرب تعالى في السر والعلانية وعلمه بجميع
احواله وبجميع تصرفاته في الدارين وانه تعالى لا يخفى عليه خافية ولا
يستتر عنه مستور فلذلك كان الذكر بالقلب افضل من الذكر باللسان
قال ابن ابي جمرة رضي قد تقرر من قواعد الشرع ان اعلى العبادة وانجاها
من عذاب الله ذكر الله فجعل لنا اجل العبادات في حركاتنا وسكناتنا
منها فرض ومنها ندب والندب بعضه اكد من بعض فلا ناكل ولا نشرب
ولا نلبس ثوبا ولا نجرده ولا ندخل فراشا ولا ندخل منزلا ولا نخرج
منه ولا ندخل موضع الحاجة ولا نخرج منه ولا ننكح ولا نواقع ولا
نصطاد صيدا ولا نذبح شيئا ولا ناكل اللحم ولا نسافر الى موضع
ولا نباشر شيئا ولا نتكلم بكلام الا بذكره عز وجل فمن الفرائض اذا
لم نذكر حرم علينا اكله كذبح القربان بغير ذكر اسم الله لقوله ولا تاكلوا
مما لم يذكر اسم الله عليه وقراءة القرآن لقوله اقرأ باسم ربك والقيد

وامثاله وبه تنحل المشكلات وتسهل المصعوبات وتتقبل الحاجات
في الاسرار والعلانيات فلذا روى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل يقول انا مع عبدي اذا هو ذكرني وتحركت
بي شفتاه رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك
وروى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال ايها الناس ان لله سرايا من الملائكة تحل وتقف
على مجالس الذكر في الارض فارتعوا في رياض الجنة قالوا واين رياض
الجنة يا رسول الله قال مجالس الذكر فاغدوا وروحوا في ذكر الله وذكروه
انفسكم من كان يحب ان يعلم منزلته عند الله فلينظر منزلة الله عنده
فان الله ينزل العبد حيث انزله العبد من نفسه رواه الحاكم في المستدرك
وقال صحيح الاسناد وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عتق عشر رقاب وكتبت له
مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه
ذلك حتى يمسي ولم يات احد بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك
رواه البخاري وغيره وهذه الفضيلة معتبرة بعد اداء الفرائض كالصلوة
والزكوة والحج والصوم والشهادة وعليهن اذا اداء جميع المندوبات لا تقوم
في مقام الفريضة الواحدة فضلا عن المتعددة فلذلك لم يأخذ العلماء
المجتهدون ولم يميلوا اليها حتى يكملوا فروضهم التي هي الاصل في الدين
ثم اخذ ومثل ما ذكرنا بعد تكميل فرائض الله الذي امرها لعباده المؤمنين
اذ النوافل بعد اداء الفرائض كما انها بعد الايمان فنسئل الله التوفيق
والعفو لاداء فرائضه والاهتمام في تكميلها ونعوذ به ان يعاملنا بعدله
ومحاسبته اذ لا طاقة لنا ان نعبده بحق العبادة ونجر بحقوق العبودية

لانتناهى العجز

لانتناهى العجز التي لا يصدر عنها الا العجز والقصور بحيث لا تليق الى
ذاته المتعالى في حسب هلاك كما ورد في الحديث فعدالته عبارة عن
المحاسبة التي هي للفرائض والنعم التي ابتليها العبد من الصحة والعافية
والراحة والسلامة والاكل والشرب وتربية النفس والاولاد والعيال
والقرب والانفاس واللباس وامتعة البيت والجواري وما لزمه من حق
ذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين والرقاب والجار ذي
الالصاق وغيرها مما يسئله الله العبد عنه من حين البلوغ تحت التكليف
الى ساعة الموت فلا يتحمل احد ان يجاب عنه وان يتخلص منه الا من عامله
تعالى بعفوه وستره وكرمه ومغفرته وعصمته عن محاسبته اللهم اجعلنا
من المعفوين بعفوك ومن المغفورين بمغفرتك فعلامة اهل التوفيق والمغفرة
انتم اعماره وتصح اعماله مع الخوف والخشوع والخشية والخضوع مع البكاء
سرا والابتكاء جهارا فيختفي في الخلوات ويستتر في الملوات فاذا ذكر
لم يعرفه احد واذا انسى لم يذكره فوذا الشهرة آفة مانعة مبعدة عن الرحمة
الواسعة وتزيين الظواهر علامة لغلبة حب الشهوات وتخريب البواطن
مع عمارة البواطن علامة لاهل الكرامة وارباب الولاية واصحاب الكمال
في الدنيا والاخرة فلنعم الرجل من عرف قدره ولم يضيع حقه ولم يتعد طوره
وقرن اهل الله وتبعد عن معاصي الله ويؤيده ما روى عن علقمة بن عبد الله
رضي الله عنه قال نام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على حصير فقام وقد اثر
في جنبيه فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك فقال ما لي وللدنيا ما انا في الدنيا
الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها رواه الترمذي وقال ابو عيسى
هذا حديث حسن صحيح وروى عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وان
ابعد الناس من الله القلب القاسي رواه الترمذي رح وقال حديث حسن

غريب وروى عن كعب الاحبار رضى انه قال كان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم اذا ذهب الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله اذكروا جاءت
الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه قال ابى بن كعب رض قلت
يا رسول الله انى اكثر الصلوة عليكم فكم اجعل لك من صلاتى فقال
ما شئت قال قلت الربع قال ما شئت فان زدت فهو خير لك قال
قلت فالثلثين قال ما شئت فان زدت فهو خير لك قال اجعل لك صلوتى
كلها قال اذا تكفى همك ويغفر ذنبك قال ابو عيسى الترمذى هذا حديث
حسن وروى عن انس رضى انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من كانت الاخرة همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا
وهى راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه
شمله ولم ياته من الدنيا الا ما قدر له رواه الترمذى وروى عن ابى هريرة
رض عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله يقول يا ابن آدم تفرغ لعبادتى
املاء صدرك غناء واسد فقرك والا تفعل ملات يدك شغلا ولم اسد
فقرك رواه الترمذى وقال حديث حسن وروى عن انس رضى انه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ايها الناس اتقوا الله حق تقاته واسعوا
فى مرضاته وايقنوا من الدنيا بالفناء ومن الاخرة بالبقاء واعملوا لما بعد
الموت فكانكم بالدنيا لم تكن وبالاخرة لم تزل ايها الناس ان من فى الدنيا
ضيف وما فى يده عارية وان الضيف مرتحل والعارية مردودة الا وان
الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر والاخرة وعد صادق يحكم
فيها ملك قادر فرحم الله امرا نظر لنفسه ومهد لرمسه ما دام رسنه
مرخا وحبله على غاربه ملقا قبل ان ينفذ اجله فينقطع عمله رواه الثعلبى
فى رياض الصالحين رح وروى عن ابن عمر رضى انه قال خطبنا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم خطبة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب

فكان مما

قوله عن كعب الاحبار جمع حبر بالحاء المهملة وهو قمر الاحبار وفيه تشبيه بليغ من التجوز كرجل عدل اى ذو عدل منه

قوله تكفى همك اى تكفى بهذه الصلوات المزبورة والادعية المرعية العديد من المهمات المقصودات فى الدارين منه

فيما يهمك من امر دنياك واخرتك فيكم

فكان مما ضبطت ايها الناس افضل الناس من تواضع عن رفعة وزهد
عن غنية وانصف عن قوة وحلم عن قدرة الا وان اكيس الناس عبد اخذ
من الدنيا الكفاف وصاحبه فيها العفاف وتزود للرحيل وتاهب للمسير
الا وان اعقل الناس عبد عرف ربه فاطاعه وعرف عدوه فعصاه وعرف
دار اقامته فاصلحها وعلم سرعة رحلته فتزود لها الا وان خير الزاد
ما صحبه التقوى وخير العمل ما تقدمته النية واعلى الناس منزلة عند الله
اخوفهم منه رواه الامام الثعلبى فى كتابه وروى عن ابى الدرداء رضى انه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ايها الناس ان اكيسكم اكثركم للموت
ذكرا واحسنكم له استعدادا الا وان من علامات العقل التجافى عن دار
الغرور والانابة الى دار الخلود والتزود لسكنى دار القبور والتاهب
ليوم النشور رواه الامام الثعلبى رح وروى عن عاصم رضى انه قال قدمت
على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى وفد من بنى تميم فقال اغتسل بماء
وسدر ففعلت ثم عدت اليه فقلت يا رسول الله عظنا موعظة ننتفع
بها فقال يا قيس ان مع العز ذلا وان مع الحيوة موتا وان مع الدنيا اخرة
وان لكل شئ حسيبا وعلى كل شئ رقيبا وان لكل حسنة ثوابا
ولكل سيئة عقابا وان لكل اجل كتابا انه لا بد لك يا قيس من قرين
يدفن معك وهو حى وتدفن معه وانت ميت فان كان كريما اكرمك
وان كان لئيما اهانك ثم لا يحشر الا معك ولا تبعث الا معه
ولا تسئل الا عنه فلا تجعله الا صالحا فانه ان كان صالحا لم تانس الا به
وان كان فاحشا لم تستوحش الا منه وهو فعلك رواه الامام الثعلبى رح
وروى عن عبد الله بن مسعود رضى انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم استحيوا من الله حق الحياء قلنا يا رسول الله انا نستحيى والحمد لله قال
ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء ان تحفظ الراس وما وعى

وتحفظ البطن وما حوى وليتذكر الموت والبلى ومن اراد الاخرة ترك
زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء رواه الترمذي
رح كما يؤيده قوله تعالى فاذكروني فالفاء للدلالة على ترتيب الامر
على ما قبله من موجباته قال ابن عباس وسعيد بن جبير في تفسيره اذكروني
بطاعتي اذكركم بمغفرتي وثوابي واعانتي وهذا تحريض على الذكر
والطاعة وتكميل قصور البشرية وتتميم كسور الانسانية بالانسية
بأصحابه ولا يتلاف بارئا بربع الاشعار بما يوجبه ولا يما على ما يوقظه
وقيل اذكروني في النعمة والرخاء اذكركم في الشدة والبلاء كما وقع في قصة
يونس عليه السلام في قوله تعالى اذ ابق اي يونس عليه السلام حين هرب
من قومه بغير اذن ربه الى الفلك المشحون والسفينة المملوة فساهم من المساهمة
والمقاسمة كما جعل بالقرعة اي قاسم اهله وقارعوا فكان من المدحضين
المغلوبين بالقرعة واصله المزلق من مقام الظفر روي انه عليه السلام
لما وعد قومه بالعذاب حين كفروا ولم يؤمنوا به فخرج من بينهم قبل ان يأمره
تعالى به فركب السفينة فوقفت فقالوا فيها عبد ابق فاقترعوا فخرجت
القرعة عليه فقال عليه السلام انا الآبق ورمى بنفسه في الماء فالتقمه
الحوت وابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة واتى بما يلام
عليه او مليم نفسه فقال تعالى فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله
كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين فانه عليه السلام
كان كثير الصلوة في الرخاء للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل
ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشأنه ومن اقبل عليه في السراء
اخذ بيده عند الضراء فنبذناه بالعراء بان حملنا الحوت على لفظه
بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روي ان الحوت سار مع السفينة

بحث يونس عليه السلام

رافعا رأسه يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح به ولم يفارقهم حتى
انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا او روي ان الحوت
قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف في مقدار لبثه فقيل اربعون يوما
وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلثة وقيل لم يلبث الا قليلا ثم اخرج
من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه روي انه حين ابتلعه وحي الله تعالى
الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما وهو سقيم مما ناله
فصار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه مظلة عليه
شجرة من يقطين وهو كل ما ينبسط على الارض ولا يقوم على ساق كشجرة
البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثرون
على انه الدبا غطته باوراقها من الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه
انه قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انك تحب القرع قال اجل هي شجرة
اخي يونس وقيل هي التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه
وافطر على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه
فيشرب من لبنها وارسلناه الى مائة الف الذين هم قومه وهو هرب وابق منهم
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسالة يونس عليه السلام كان بعد ان اخرجه
من بطن الحوت بدليل قوله تعالى فنبذناه بالعراء ثم ذكر بعده وارسلناه
الى مائة الف او يزيدون واتفق الاخرون انها كانت من قبل بدليل قوله
وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون وروي عن قتادة انه ارسل
الى قوم نينوى من ارض الموصل قبل ان يصيبه ما اصابه والمراد ارسال
السابق ارسل اولا فاخبر انه من المرسلين على الاطلاق ثم اخبر انه
قد ارسل الى امة جمة وكان توسيط تذكير وقته هربه عليه السلام الى الفلك
وما بعده لتذكير سببه وهو ما جرى بينه وبين قومه من انذاره اياهم
عذاب الله وتعيينه لوقت حلوله وتعللهم وتعلقهم لايمانهم بظهور

حكاية يونس عليه السلام

قصة يونس عليه السلام

اماراته كما روى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل
فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما افتقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا
المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس على نبينا وعليه افضل
الصلوات واكمل التحيات اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان راينا اسباب
الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلثون اغامت السماء غيما اسود ها
يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم
فلما راوا ذلك فطلبوا يونس فلم يجدوا فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد
بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان
وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات واختلط
الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا الى الله تعالى قالوا آمنا
بما جاء يونس عليه السلام فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء وكان
يونس عليه السلام قد خرج من بينهم واقام ينتظر العذاب وهلاك قومه
فلم ير شيئا وكان اهل زمانه يقتلون من تكلم وكذب فلما نظر ابليس ذلك
غمه وحزن فتشبه بصورة الشيخ حتى اتى على الجبال الذى كان فيه يونس
عليه السلام وقال له يونس من اين اقبلت قال من نينوى فقال هل اتى اهلها
من العذاب الموعود قال لا قال على اى حال تركتهم قال تركتهم يطلبون
رجلا يقال له يونس انه قال ان العذاب ياتيهم الى ثلثة ايام بوحى من الله
فلم ياتهم الاخير فيطلبونه للقتل فقال يونس كيف ارجع الى قوم كذبونى
وارادوا قتلى فذهب مغاضبا الى قومه فلم يدر ايمانهم وسبب كشف العذاب
وكره ان يدخل بينهم وكان سبب غضبه ظهور خلف وعده وخاف ان يسميه
بالكذب وعن ابن عباس رض انه خرج مغاضبا لقومه فاتى بحر الروم
فاذا سفينة مشحونة فركبها فلما لججت السفينة الحاجتى كادان يغرقوا
فقال الملاحون هنا رجل عاص وعبد آبق وهذا من رسوم السفينة اذا كان

فيها عبد

فيها عبد آبق لا تجرى ومن رسومنا ان نقترع فى مثل هذا فمن وقعت عليه
القرعة القيناه فى البحر لان يغرق واحد خير من ان تغرق السفينة بما فيها
فاقترعوا ثلث مرات فوقعت القرعة فى كلها على يونس عم فقام يونس
وقال انا الرجل العبد الآبق فالقى بنفسه فى الماء فابتلعه حوت ثم جاء حوت
آخر اكبر منه فابتلع هذا الحوت فاوحى الله تعالى الى الحوت لا تؤذ منه شعرة
فانى جعلت بطنك سجنه ومسجده وحرزه ولم اجعله طعاما وقوتا
وقال ابن مسعود رض فلما ابتلعه فاهوى به الى قرار الارض السابعة وفى
بطنه اربعين ليلة فسمع تسبيح الحصى فنادى فى الظلمات ان لا اله
الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فاجاب الله له فامر الحوت فنبذه
على ساحل البحر وهو كالفرخ فانبت الله عليه شجرة من يقطين وهو الدباء
فجعل يستظل تحتها ووكل به وعلة يشرب من لبنها فيبست الشجرة فبكى
عليها فاوحى الله اليه تبكى على شجرة ولا تبكى على مائة الف او يزيدون فخرج
يونس الى قومه وارسل غلاما الى الملك المؤمن فاجلس الغلام مكانه فصار
الغلام ملكا اربعين سنة مقامه رواه البغوى وعن ابن مسعود رض سبب
قبول توبتهم انه ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه
اساس بنائه فرده الى صاحبه وروى عن الفضيل بن عياض رح انهم
قالوا فى مناجاتهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل
افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله فكشف عنهم فآمنوا بعد
ما شاهدوا علائم حلول العذاب ايمانا خالصا فصرفناه عنهم وخلصناهم
ومتعناهم الى حين الى وقت انقضاء آجالهم فى الحيوة الدنيا وابقيناهم
متمتعين باموالهم بما قدره الله سبحانه لهم فخلص يونس بن متى عن سجن
بطن الحوت وظلماته بهذا الذكر الجليل والتسبيح الجميل كما روى عن ابى هريرة
رض اوحى الله تعالى الى الحوت ان خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما

فاخذه ثم هوى به الى مسكنه فى البحر فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس
حسًّا فقال فى نفسه ما هذا فاوحى الله تعالى اليه ان هذا تسبيح دواب البحر
فسبح هو فى بطن الحوت بهذا التسبيح فسمع الملائكة تسبيحه وقالوا يا ربنا
نسمع صوتًا ضعيفًا بارض غريبة وفى رواية صوتًا معروفًا من مكان مجهول
فقال الله تعالى ذلك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فقالوا العبد
الصالح الذى كان يصعد اليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح قال
نعم فشفعوا له عند ذلك فامر الحوت فقذفه فى الساحل كما قال الله تعالى فنبذناه
بالعراء فذلك قوله فى سورة الانبياء فاستجبنا له فانجيناه دعوته بهذا
التسبيح المبارك والتهليل المبارك ونجيناه من الغم من تلك الظلمات
المتجنبة فى بطن الحوت وكذلك ننجى المؤمنين اذا دعونا واستغاثوا
الينا حين ابتلوا الغموم من الكرب العظيم والهموم من الصعب الضخيم كما قال
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له
رواه القاضى فى تفسيره وروى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدى بى
وانا معه حين يذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى
فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منهم رواه مسلم عن قتيبة ورواه البخارى
عن عمر بن حفص عن ابيه عن الاعمش ويؤمن قوله فى سورة الاسراء
تسبح له بقراءة التاء والياء اى يقدسه تعالى تنزهه مما هو من لوازم
الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال ونطاق المال بحيث تدل
اجرام السموات السبع واجسام الارض ومن فيهن حقيقة الدلالة على
وجود الصانع القديم المنزه عن اعدام العدم وعلى الواجب لذاته الصمد
بصفاته والمستغنى عن العالم وحده لا شريك له ولا نظير له سبحان
الملك المعبود دونه الفقراء يحكم بين الموجودات و يفعل ما يشاء

فعال لما يريد

فعال لما يريد بحيث يقبض ويبسط ويريد وان من شيء من الاشياء
السماوية وما فوقها والارضية وما تحتها الا يسبح ملابسًا بحمده
من الملائكة الابرار والمقربين والحيوانات والناميات والانس والجن
اجمعين كما روى عن قتادة وعكرمة ومقدام بن معدى كرب وابن عباس
رضى الله عنهم ان التراب تسبح ما لم يبتل فاذا ابتل ترك التسبيح والخرزة ما لم ترفع
من موضعها فاذا رفعت ترك التسبيح وان الورقة تسبح ما دامت على الشجرة
فاذا سقطت ترك وان الماء يسبح ما دام جاريًا فاذا ركد ترك وان الثوب
يسبح ما دام جديدًا فاذا وسخ ترك وان الوحوش والطيور تسبح اذا صاحت
فاذا سكنت ترك التسبيح حتى صرير الباب ونقيض السقف وقال مجاهد
ان كل الاشياء تسبح لله عز وجل حيًّا كان او جمادًا وتسبيحها سبحان الله
وبحمده رواه البغوى فى المعالم فان قلت يلزم الجمع على هذه الرواية بين
الحقيقة والمجاز فان تسبيح الملائكة والثقلين حقيقة والجمادات
والناميات مجاز فهذا لا يجوز قلنا التسبيح المجازى بلسان الحال حاصل
فى الجميع فوجب الحمل عليه ولكن لا تفقهون تسبيحهم اى لا تعلمون حقيقة
تسبيحه لانه ليس بلغتكم ايها المشركون المعاندون فيا الدار الفانية مغرورون
وعن الدار الباقية غافلون ولا يستوضح الدلالة عليكم ما دمتم
مشركين ولا ينفتح الغلاف ما كنتم معاندين فان انوار الايمان مشعشعة
من كوات الفم والانف والعين والاذان فيرى ما لم يره غير المؤمن ويسمعه
ويذوقه ويشمه الموقن فاذا عمى فكيف يرى وصم فكيف يسمع وكذا الحال
فى البواقى فانتم محتاجون الى رواق التراق حتى تستعد والى النظر الصحيح
وتميز المريض عن الصحيح والحال ان هذا التسبيح مما يفقهه كل ذى
عقل ونظر صحيح تمييز العليل عن الكليل انه كان حليمًا غفورًا بحيث لم يعجل
عقوبة من كان كافرًا ومشركًا وقيل توبة من رجع عنه وكان مؤمنًا خالصًا

وروى ابو داود والترمذي عن اصحاب السنن الاربعة من قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه
ثلاث مرات او خمس مرات بحيث رواه ابن حبان والطبراني في المعجم الاوسط والترمذي ايضا غفر له وان كان
عليه مثل زبد البحر او فر من الزحف

وعليه اكثر الروايات و
اصحاب الدراية منه ومنهم الغازي رحمه الله نبه كان
المحقق ثبت
وواما ما
نقل عن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عليه وعمر وبعد
وروى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه
قال رسول الله من قال بعد الغداة ثلث مرات استغفر الله
من قال بعد صلاة الغداة ثلث مرات استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم
العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه غفر له ذنوبه وان كان
واتوب اليه غفر له ذنوبه وان كانت اكثر من
مثل زبد البحر رواه العسقلاني في مسنده

صح

مسبحا وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن
سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم رواه البخاري رح قال المؤلف غفر الله
بغفرانه المؤلف انما كانت هذه الخصال في هذه التسبيح لان فيهما احمد الله وثناءه
من وجهين الاول المدح والاثبات لذاته الابدية والحمد بالصفات الثبوتية
الثمانية والصفات الذاتية الستة المندرجة تحتها الصفات الثبوتية
التي يدل عليها التحميد والثاني التمجيد على كونه تعالى منزها ومقدسا عن الصفات
السلبية التي تدل عليه لفظ التسبيح والتعظيم المفهومات من قوله سبحان الله
العظيم فسبح ذات الله وصفاته بكمال التسبيح وجمال التحميد قوله الصفات
الذاتية وهي ستة الوجود والقدم والبقاء والوحدانية والمخالفة للحوادث
والقيام بنفسه واما الصفات الثبوتية فهي ثمانية عند اهل السنة المنصورية
الماتريدية وهو مذهب الامام الاعظم رح وهي الحيوة والعلم والسمع والبصر
والارادة والقدرة والكلام والتكوين واما عند الاشاعرة فسبعة فالمختلف
فيها التكوين فبحثهما في علم الكلام فليرجع اليه اللهم اجعلنا من المسبحين
بهذا التمجيد ولجرنا من النار بحرمة هذا الثناء والتسبيح وروى عن عبد الله
بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال ان العبد اذا قال سبحان الله قالت الملائكة
اللهم اغفر لعبدك وروى ايضا ان من قال سبحان الله فانه يؤتى بذلك
التسبيح يوم القيمة ويوضع في ميزانه سبع سموات وسبع ارضين في كفة
اخرى فيترجح التسبيح على السموات والارضين والاخر من العبد اذا قال هذه
الكلمات فيوضع ثوابه في كفة ميزانه ويوضع في كفة اخرى طبق واحد
من اطباق السموات فيستوي والاخر من العبد اذا قال هذه الكلمات فيوضع
ثوابه في كفة الميزان ويوضع في كفة اخرى فلا يترجح تدرجاح بعوضة
فاما الاول الذي يترجح على السموات والارضين هو الذي يتفكر في قدرته

تعالى بانواع

تعالى بانواع صنايع وتدبر في خلق السموات والارضين وما فيهما وفوقهما وتحتهما من
الانجم والكواكب السيارة ومن الانعم والخلايق المتفرقة وطلوع الشمس من مطالع
القرين مواقفها موقتة بالساعات بحيث لا تتفاوت بالاوقات شرقا وغربا
بعدا وقربا على موافقة جرى الافق والاقطار من اختلافات الايام والاعوام
والليالي والنهار ووجوه الناس باصنافها وطبايعهم باصنافها والاصوات
المختلفة بحيث لا يشتبه والمقامات المتفرقة والطبقات العلوية والدركات
السفلية وتشتت الغناء مع انواع العناء وتفتت الصفاء مع اصناف
الجفاء وكثرت العبادات مع قلة القباحات والداعي بالخير مع الناعي
بالشر وتفاوت الايام للاعوام والشهور للدهور من اول الموجودات
من الدنيا الفانية وآخر المصنوعات الى العقبى الباقية من الجنان ودرجاتها
والنيران ودركاتها مع الصفاء والنعم الدائمة والجفاء والنقم القائمة
فلكل رجال وارتحال من شان الى حال فسبحان الذي بيده ملكوت الجبروت
وملكوت القهروت ثم قال بعد هذه الملاحظة الكثيرة والمداومة الوفيرة
سبحان الله فهذا التسبيح يترجح ما حصل عنه من الثواب العظيم على السموات
السبع والارضين وخلق الله تعالى من كل ذلك التسبيح شجرة عليها الاوراق
والملائكة بعدد ايام الدنيا واعوامها ودهور الاكوان وشهورها فلا يزالون
يسبحون وامر الله تعالى بكتب ثوابه الى ديوان ولي النعمة لهم بسبب رفعة
الاولة لهم اداء لشكر السبحان وحمدا على النعمة للرحمن في كل حين وآن
فلو لم يسبح ذلك العبد بهذه الافكار المبادرة والاراء المسارعة
ما خلقوا ويسبحون وترتقي الدرجات بين الامثال في غرف الجنان
العاليات واما الثاني الذي يستوي ثواب تسبيحه في كفة الميزان
مع طبقة واحدة من السموات والارضين ان يذكر بغير التفكر الذي
سبق لكنه يعلم ان الله تعالى هو القادر على كل شيء لا يعزب عن علمه مثقال

بحث الثواب في مقابلة التسبيح بالتفكر والتذكر

ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر وهو محيط بكل شئ
وقدير على كل شئ ثم قال بعد هذا سبحان الله وبحمده فيستوي
في الميزان مع الطبقة الواحدة لا غير وخلق الله تعالى من ذلك التسبيح طيرا
اخضر ترعى في الجنان ويأكل من ثمارها ويشرب من انهارها فاذا اراد الله
ان يقبض روح هذا العبد يقول ذلك الطير اللهم خلقتني من تسبيح ذلك
العبد فصير روحه في جوفي فلا يزال روحه ان يكون في جوفه الى يوم القيمة
كما كانت ارواح الشهداء في جوف الطير الاخضر على ما بين في الاحاديث
واما الثالث الذي هو يقول بغير فكر ولا علم بل قال بلسانه بما ليس في قلبه
فهذا كحال المنافقين الذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم بل هي
مملوة بالافكار الفاسدة والاوداء الكاسدة غافل عما يقول ولا يهتم بما يتكلم
ويحول فلا يترجح تسبيحه عند الله على قدر جناح بعوضة كما وقع في الخبر ثلثة
اشياء لا توزن عند الله قدر جناح بعوضة احدها الصلوة على نية العادة
دون العبادة والثانية الذكر بالغفلة من غير تفكر القدرة والعاقبة والثالثة
الصلوة والسلام على نبينا ورسولنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من غير
تعظيم وعزة وحرمة كما عظمه الله تعالى وامرنا بالتعظيم والتكريم له فيجب
على المؤمن المصلي المتجلي والذاكر المتجلي كانه عند حضور مولاه فلو كان
يذكر ويصلي عنده وعند رسوله فكيف يعظمه ويعززه ويوقره كذا
حاله في حالة الصلوة والذكر في الدنيا بل ينوي ان هذا الذكر والصلوة
غنيمة وفرصة ولم اعلم ان العمر يصله مرة اخرى بل الموت يجيء ولم يتيسر لي
هذه النعمة والشغل بوسيلة الجنة كما وقع في الخبر هلك المسوفون
فتمم ازدياده وكرر اذكاره واباله وشدد حاله مع الطهارة واستقبال
القبلة مشغولا بها ومملئا قلبه بنورها ومطمئنا بذكرها وفكرها ومسلما
حاله الى مولاه ومفوضا امره الى رباه فبهذه النية يتابد المومن في الجنة

ونعيمها

في تعظيم الذكر والتسبيح والصلوة كما ينبغي في الحضور

فيجب على المؤمن المصلي المتجلي والذاكر المتجلي بيانه

ونعيمها اذ الاعمار موجل والاعمال موقتة ومعجل والجنة ونعيمها مؤبدة ومخلدة
يراد بالخلود المؤيد الا بالنية الخالصة الابدية اذ لو عمر ولم يمت
كان في الجنة لكان على هذا الحال مع اشتغال العبادات والطاعات
والذكر والفكر مع توغل البال بالخوف والخشوع والخشية والخضوع
كما ورد في البخاري نية المومن خير من عمله رواه البزار في مسنده والطبراني
في المعجم حتى قال بعض الشارحين رح ان نية المومن تبلغ الى حيث لا يبلغ
عمله لانه لا نيته ان يعبد الله تعالى ولو عاش الف الف سنة بل عاش ولم يمت
ما كان في الجنة لم ينفك على العبادات والطاعات والاعمال الصالحات
بالخيرات والحسنات وهذا لان نية المجردة من المومن خير من عمله المجرد
عن النية اذ النية شرط لقبوله فانتفاء الشرط يستلزم انتفاء المشروط
كشرط الوضوء للصلوة المشروطة به وقال بعضهم ان العمل بالنية تحته فردان
الاول فعل والثاني نية فالقصد واقع لاحد الفردين على الاخر لان في كل
منهما اجرا واجر النية اكثر من اجر الفعل الواقع اذ لم يبلغ الفعل الى ما بلغت
اليه النية على ما عرفت انفا ويدل على ما ذكرناه ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وعده بثواب على حفر بئر ماء فنوى عثمان رض ان يحفرها فسبق اليها
رجل كافر فحفرها قبل عثمان رض فقال صلى الله عليه وسلم نية المومن خير
من عمله رواه البخاري ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم لشخص اسلم اسلمت
على ما اسلفت وروي عن ابي هريرة رض انه قال ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة غفرت له ذنوبه وان كانت
مثل زبد البحر رواه مسلم رح وروي عن ابي هريرة رض ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال من قال حين يصبح مائة وحين يمسي مائة سبحان الله
وبحمده لم يأت احد يوم القيمة بافضل مما جاء به الا احد قال بمثل ما قال
او زاد عليه بقول سبحان الله العظيم وبحمده كذا في حيوة القلوب وروي

النية الخالصة [illegible]

عن اسحق بن عبيد الله بن ابى طلحة عن ابيه عن جده وهو زين سهل الا
رضى انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده
مأة مرة كتب الله له مأة الف حسنة واربع وعشرين الف حسنة قالوا
يا رسول الله اذا لا يهلك منا احد قال بلى ان احدكم ليجيء يوم القيمة بالحسنات
لو وضعت على جبل اثقلته ثم يجيء المظالم فياخذون تلك الحسنات
ثم يتطاول انعام الرب بعد ذلك برحمته رواه الحاكم رح كما جاء فى الخبر
انه قال صلى الله تعالى عليه وسلم يؤتى بالعبد يوم القيمة ومعه من الحسنات
كامثال الجبال الرواسى فينادى مناد من كان له مظلمة على فلان فليجيء
فياخذ فيجيء اناس فياخذون من حسناته حتى لا يبقى له من الحسنات
شيء ويبقى العبد حيران فيقول الله تعالى ان لك عندى كنزا لم اطلع عليه
ملائكتى ولا احدا من خلقى فيقول يا رب ما هو فيقول الله تعالى نيتك التى
كنت تنوى من الخير لك سبعة صنعفا وان الرجل ليكتب له بحسن نيته
الصدقة والصلوة والزكوة والحج والعمرة وان لم يعمل بعملها اذا صدقت
نيته وخلصت سريرته فى ذلك كذا فى حيوة القلوب وروى عن انس بن
مالك رضى انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لله تعالى بحرا
من نور حوله ملائكة من نور وبايديهم حراب من نور يسبحون حول
ذلك البحر وتسبيحهم سبحان ذى الملك والملكوت سبحان ذى العزة
والجبروت سبحان الحى الذى لا يموت سبوح قدوس رب الملائكة
والروح من قالها فى يوم مرة او فى شهر مرة او فى سنة مرة او فى
عمره مرة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولو كانت ذنوبه
مثل زبد البحر او مثل رمل عالج رواه منصور الديلمى فى كتاب مسند
الفردوس روى عن سمرة بن عازب رض عن النبى صلعم انه قال افضل
الكلام اربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وفى رواية

عنه

عنه احب الكلام الى الله تعالى اربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر لا يضرك بايهن بدأت رواه مسلم رح وفى رواية عنه افضل الذكر
بعد كتاب الله تعالى وهذه الاربع انما كانت احب لاشتمالها على جملة انواع
الذكر من التوحيد والتحميد والتنزيه والتمجيد كما ورد فى الخبر عن ابن
عباس رض انه قال لما خلق الله تعالى العرش قال لبعض الملائكة احملوا عرشى
فذهبوا ليحملوا به فثقل عليهم فلم يطيقوا لخلق امثالهم ثم قال احملوا
فلم يطيقوا فقال الله تعالى لو خلقت اضعافكم الى يوم القيمة لم تقدروا
على حمله الا ان تقولوا سبحان الله فقالت الملائكة سبحان الله فتيسر
عليهم حمله فجعلوا يقولون طول الدهر سبحان الله الى ان خلق الله تعالى آدم
عليه السلام فلما عطس الهمه الله تعالى ان يقول الحمد لله فقال الله تعالى يرحمك
ربك ولهذا خلقتك يا آدم فقالت الملائكة هذه كلمة جليلة لا ينبغى لنا
ان نتغافل ونضمها الى هذه فقالوا على طول الدهر سبحان الله
والحمد لله الى ان بعث الله نوحا عليه السلام فكان اول من اتخذ
الاصنام قوم نوح فاوحى الله تعالى الى نوح عليه السلام ان يأمر قومه
ان يقولوا لا اله الا الله فمن اجابك الى هذا فله رضائى وانى اهون
عليه سكرات الموت وانور عليه ظلمات القبر واذيل عنه اهوال
القيمة واجوزه على الصراط وادخله الجنة فقالت الملائكة هذه
كلمة جليلة ثالثة نضمها الى هاتين الكلمتين فجعلوا يقولون الى طول
الدهر سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله الى ان امر الله تعالى ابرهيم
عليه السلام بذبح الولد فلما فداه بالكبش قال الله اكبر فرحا بذلك
فقالت الملائكة هذه كلمة رابعة جليلة نضمها الى هؤلاء الكلمة
العظيمة الجليلة فجعلوا يقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر فلما حدث جبرئيل الى رسول الله صلوات الله تعالى على نبينا

وعليه بهذا الحديث فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تعجبا لا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقال جبريل له ضم هذه الكلمات
المباركة الى هؤلاء الكلمات المباركة كذا في حيوة القلوب وجاء في بعض
الروايات ان اول من قال سبحان الله جبريل فمن قال في الدنيا مرة كان
جبريل عليه السلام شفيعه يوم القيمة واما الحمد لله فاول من قاله
آدم عليه السلام فلما بلغ روحه الى خيشومه عطس فقال الحمد لله
فقال الله تبارك وتعالى لذلك خلقتك يا آدم فمن قال في الدنيا الحمد لله
كان آدم عليه السلام شفيعه في العقبى واما لا اله الا الله فاول
من قاله نوح عليه السلام فمن قال في الدنيا مرة لا اله الا الله كان
شفيعه يوم القيمة واما الله اكبر فاول من قاله ابراهيم عليه السلام
فمن قال في الدنيا مرة الله اكبر كان شفيعه يوم القيمة واما لا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاول من قاله رسولنا ونبينا محمد
رسول الله صلعم ولد تامة قام على قوايمه من الايدي والارجل وتوجه نحو
القبلة ثم وقع بصره الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله واني محمد
رسول الله فاضاء الى المشرق والمغرب فاجتمعت الشياطين والجن
وازدحموا ابواب السماء والملائكة ملئت حرسا شديدا وشهبا اي حفاظا
اقوياء بالشهب المحرقة والكواكب المضيئة فالهمه الله تعالى اليه فقال
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فصارت الشياطين معزولة
من ولاية السماء وعروجها واستماعها ومرجومة بها الى يوم القيمة فمن قاله
في الدنيا مرة كان شفيعه يوم القيمة كذا في حيوة القلوب وروى
في الخبر عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم رأيت ليلة المعراج بحرا لا يعلم مقداره الا الله تعالى على شاطئ
البحر اي جانبه ملكا على صورة طير كلما قال العبد سبحان الله تحرك

من مكانه

من مكانه واذا قال الحمد لله بسط جناحيه وله سبعون الف جناح
واذا قال ولا اله الا الله طار واذا قال والله اكبر اوقع نفسه في ذلك
البحر واذا قال ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم خرج من ذلك
البحر فيقبض جناحيه الى نفسه فيقطر من كل جناح سبعون الف
قطرة فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا يسبحون له ويهللون له
الى ان ينفخ في الصور وفي رواية ويستغفرون لقائلها كذا في حيوة
القلوب رح كما يومي اليه قوله تعالى في سورة الرعد الذين آمنوا بدل من اناب
فان اريد بالهداية قبل هذه الاية الهداية المستمرة فالامر ظاهر
لظهور كون الايمان مؤديا اليها وان اريد احداثها فالمراد بالذين
آمنوا الذين صار امرهم الى الايمان كما في قوله تعالى هدى للمتقين
اي الصائرين الى التقوى ولان الايمان لا يؤدي الى الهداية نفسها
او خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين آمنوا او منصوب على المدح وتطمئن
قلوبهم بذكر الله اي تستقر وتسكن بكلام المعجزة الذي لا ريب فيه
انسا واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خوفه
وخشيته او بذكر دلايله من عظم الاثار الدالة على وجوده الباقي
وصفاته الدائمة من عنايته الظاهرة وهدايته الباطنة والعدول
الى الصيغة المضارع لافادة دوام الاطمينان وتجدده حسب تجدد
الحالات وتعدد العلامات وتعدد البينات الا بذكر الله وحده
لاستغراق عظمته الالوهية بالافكار السبوحية والآراء الرجوتية
تطمئن القلوب وتتخلص عن الهواجس النفسانية والخواطر الشيطانية
دون غيره من الامور التي تميل اليها النفوس الانسانية من الدنيوية
وفيه ايذان بان الكفرة ليست القلوب لهم تنفعل به وانما افئدتهم
هواء حيث لم يطمئنوا بذكر الله تعالى لشركهم وهي مملوءة بما هو من لوازمه

من الهويات النفسانية المائلة اليها والتعبيات الهوائية الحائرة لها
ولم تتفرغ عنها حتى تتحلى بالبر وتتخلى عنه وقيل تطمئن قلوب المؤمنين
بذكر رحمته وفكر مغفرته بعد الاضطراب والخشوع والانقلاب
من الخوف والخضوع لانهم موعودين بها اذ لا نصيب للكفار عنها
ما داموا في حالهم وما ماتوا بحالهم كما في قوله تعالى في سورة الزمر افمن
شرح الله صدره اي وسع الله قلبه للاسلام اي لقبول التوحيد و
احكام من الاوامر والنواهي والائتمار بها والانتهاء عنها فهذه الاية ايضا فيه
جارية مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى باولي الالباب
وشرح الصدر للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد فانه محل القلب
الذي هو منبع للروح التي تتعلق بها النفس القابلة للاسلام فانشراحه
مستدع لانشراح القلب واتساعه واستنارته بنوره فانه روي عنه
صلعم انه قال اذا دخل النور في القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك
فقال صلعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب قبل
نزوله واصل الكلام اكل الناس سواء فمن شرح الله صدره ثم جيء
الهمزة لتاكيد الانكار وتذكيره لما طال الكلام ثم وضع موضع
الضمير لمزيد تشديد الانكار والاستبعاد والتنبيه على ان المحكوم عليه
بمنزلة الواقع في الحال كانه قيل اكل الناس سواء فمن شرح الله على انها
شرطية دخل عليها الهمزة لانكار مضمونها ثم تبعا بعضها على جملة مستتبعة
لها مقدرة بعد الهمزة ليتعلق الانكار والنفي بمضمونهما معا اي خلقه
متسع الصدر مستعدا للاسلام فبقي على الفطرة الاصلية ولم يتغير
بالعوارض المكتسبة القادحة فيها فهو بموجب ذلك كائن على نور
من ربه وهو اللطف الالهي الفائض عليه عند المشاهدة بالايات
البينات والمعجزات الباهرات التكوينية والتنزيلية والتوفيق

للاهتداء

للاهتداء بها الى الحق كمن قسى قلبه وحرج صدره بسبب تحويل الفطرة
الاسلامية في الجبلية بسوء اختياره واستولى عليه ظلمات الغي
والضلالة فاعرض عن تلك الايات بالكلية لعدم التذكر بها والاعتبار
عنها لم يغتنمها فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي من اجل ذكره
الذي حقه ان تنشرح له الصدور وتطمئن بها القلوب اي اذا
ذكر الله تعالى عندهم او اياته اشمأزوا من اجله وازدادت قلوبهم قساوة
كقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم وقرئ عن ذكر الله اي عن قبوله
اولئك الاشقياء الموصوفون والبعداء المتصفون بها في ضلال
عن الحق مبين قيل نزلت الاية في حمزة وعلي رضي الله عنهما وابي لهب وولده
وعمار بن ياسر رض وابي جهل وذويه لعنهم الله الله نزل احسن الحديث
وهو القرآن الكريم روي ان اصحاب رسول الله صلعم ملوا ملة فقالوا له
لو حدثتنا حديثا وعن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما قالوا لو حدثتنا
فنزلت والمعنى ان فيه صيغة محمودة عن سائر الاحاديث في ايقاع
الاسم الجليل مبتدأ وكلمة نزل وبناءه من تفخيم احسن الحديث ورفع
محله والاستشهاد على حسنه وتاكيد استناده اليه تعالى وانه من عنده
لا يمكن عن غيره والتنبيه على انه وحي معجز مما لا يخفى كتابا بدل من احسن
الحديث او حال منه سواء اكتسب من المضاف اليه تعريفا او لا فان مساغ
مجيء الحال من النكرة المضافة اتفاقي ووقوعه حالا مع كونه اسما لا
صفة اما لاتصافه بقوله تعالى متشابها او لكونه في قوة مكتوبا ومعنى
كونه متشابها تشابه معانيه في الصحة والاحكام والابتناء على الحق
والصدق واستتباع منافع الخلق في المعاد والمعاش وتناسب الفاظه
في الفصاحة وتجاوب نظمه في الاعجاز مثاني صفة اخرى لكتابا
او حال اخر منه وهو جمع مثنى بمعنى مرة ذو مكرر لما ثنى من قصصه

وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل
لانه ثنى فى التلاوة وقيل هو جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير
والاعادة كما فى قوله تعالى فارجع البصر كرتين اى كرة بعد كرة ونونه
صفة لكتاب باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن سور وآيات ويجوز
ان ينتصب على التمييز من متشابها كما يقال رأيت رجلا حسنا
شمائلا اى شمائله والمعنى متشابهة مثانيه تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم قيل صفة لكتابا او حال منه لتخصصه
بالصفة والاظهر انه استيناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة
فى سامعيه بعد بيان اوصافه فى نفسه ولتقرير كونه احسن
الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد اذا انقبض تقبضا
شديدا وتركيبه من القشع وهو الاديم اليابس قد ضم اليه الراء
ليكون من صيغ الرباعيات وليدل على المعنى الزائد يقال اقشعر
جلده ووقف شعره اذا عرض له خوف شديد من منكر هائل والمراد
اما بيان افراد خشيتهم لطريق التمثيل والتصوير او بيان حصول
تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا
بالقرآن وقوارع آياته وعند صابتهم هيبة وخشية تقشعر منها
جلودهم واذا ذكروا رحمة الله تبدلت خشيتهم رجاء وهيبتهم رغبة
وذلك قوله تعالى ثم تلين جلودهم اى تطمئن وتسكن قلوبهم
الى ذكر الله ورحمته لزوال الخشية ومجئ الرجاء والمغفرة بمكانها
بعد الاقشعرار كما تقشعر جلودهم عند الوعيد باية العذاب وتلين
عند الوعد باية الرحمة والمغفرة الموعودتين للمؤمنين وانما اقتصر
بذكر الله من ذكر الرحمة لما تحقق ان رحمته سابقة على غضبه
فاذا ذكر الله تعالى لم يخطر بالبال الا كونه تعالى رحيما لعباده المؤمنين

وغفوراً

وغفوراً لاصدقائه المخلصين كما قيل ان الذكر بهذه الصفة
لاوليائه وبهذه العناية شأن اصفيائه فلذا لم يخطر بالبال
الا هذا الحال ذلك هدى الله اى الكتاب الذى هو انزل احسن
الحديث من سائر الكتب لانها نسخت به وفرض العمل بما فيه من الاوامر
والائتمار والنواهى والانتهاء موافقا للوعد الصادق الفائق وموافقا
للوعيد اللاحق اللائق تقشعر وترتعد وتنقبض منه ومن سماع الآيات
القرآنية الدالة عليها وتخشى جلود الذين تتغير اشعارهم كما ظهر عند
الوجل وشدة الخوف والخشية يخشون ربهم خوفا واجلالا لله تعالى
وانما خصت الجلود وحدها لان ذكر الخشية هنا لكون القلوب
محل الخشية التى من عوارضها وهذا يعنى الهداية التى يهدى به
اى بالقرآن بسبب توفيقه وارادته فى الازل وتعليقه فى الازال
من يشاء الى دينه القويم وصراطه المستقيم من عباده الصالحين
المتشبثين باحكام الله فى كل الايام والشهور والاعوام والدهور
العابدين فى جميع الاوقات والزاهدين بكل الساعات المشغولين
باداء الفرائض والواجبات وسنن الهدى والمستحبات من الاعمال
الصالحات والخيرات والحسنات فاولئك هم الذين يبدل الله سيئاتهم
حسنات ومن يضلل الله عن دينه بصرف ارادة العبد مالم يرضه الله
ونهيه عنه وخذلانه لعبده لعدم قبول توفيقه فهو فى ضلال بعيد
فما له من هاد بحيث لا يقدر احد ان يخرجه من تلك الضلالة القديمة
روى عن عمران رضى انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ايستطيع
احدكم ان يعمل كل يوم مثل احد عملا قالوا يا رسول الله ومن يستطيع
ان يعمل كل يوم عملا مثل احد قال كلكم يستطيعه قالوا يا رسول الله
ماذا قال سبحان الله اعظم من احد والحمد لله اعظم من احد ولا اله الا الله

اعظم من احد والله اكبر اعظم من احد ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم اعظم من احد رواه النسائي والبزار ورجالهما ثقات واسناده
صحيح وروي عن ابي اوفى رض انه قال قال اعرابي يا رسول الله اني قد
عالجت القرآن فلم استطعه فعلمني شيئا حتى يكون لي من الثواب اذا
قلته مثل ما يكون من قراءة القرآن فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم فقال لها الاعرابي وعدها بالاصابع وقال
يا رسول الله هذا لربي فما لي قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم
اغفر لي وارحمني وعافني واهدني وارزقني ومضى الاعرابي فقال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذهب الاعرابي وقد ملأ يديه خيرا
رواه ابن ابي الدنيا وروي عن ام هاني رضيها انها قالت مر بي
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم فقلت يا رسول الله قد كبرت
وضعفت مرني بعمل اعمله وانا جالسة قال سبحي الله ماة تسبيحة
فانها تعدل لك ماة رقبة وتعتقها من ولد اسمعيل واحمدي الله
ماة تحميدة فانها تعدل لك ماة فرس مسرجة ملجمة تحملين
عليها في سبيل الله وهللي الله ماة تهليلة قال ابو خلف احسب
انه قال تملاء ما بين السماء والارض وكبري الله ماة تكبيرة فا
فانها تعدل ماة بدنة متقبلة وقولي لا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم لا يرفع لاحد عمل افضل مما يرفع لك الا ان ياتي مثل ما اتيت
رواه احمد باسناد حسن والنسائي وابن ماجه روي عن عمرو بن
شعيب رض عن ابيه عن جده انه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سبح الله ماة بالغداة وماة بالعشي كان كمن حج ماة مرة
ومن حمد الله ماة بالغداة وماة بالعشي كان كمن حمل على ماة

قرين

بحث فضيلة الذكر

فرس في سبيل الله او قال ماة غزوة ومن هلل الله ماة بالغداة
وماة بالعشي كان كمن اعتق ماة رقبة من ولد اسمعيل ومن
كبر الله ماة بالغداة وماة بالعشي لم ياتي في ذلك احد باكثر
مما اتى الا من قال مثل ذلك او زاد على ما قال ومن قال ماة بالغداة
وماة بالعشي ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم كان كمن
وجد كنزا من كنوز الجنة رواه البخاري ومسلم رح وورد في الخبر
عن ابن عباس رض انه قال جاء اسرافيل عليه السلام الى النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فقال يا محمد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم بعدد ما علم الله وزنة ما علم الله
وملء ما علم الله فمن قالها مرة واحدة كتب الله له ست خصال
الاول كتب الله من الذاكرين الله كثيرا والثاني كان افضل ممن ذكر الله
بالليل والنهار والثالث كان له غرسا في الجنة والرابع تحاتت
ذنوبه كما تحاتت ورق الاشجار اليابسة والخامس نظر الله اليه
بنظر العناية والسادس من نظر الله اليه لم يعذبه ابدا كذا في حيوة
القلوب وروي في الخبر عن ابن مسعود رض انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لقيت ابراهيم عليه السلام ليلة اسري بي
فقال يا محمد اقرا امتك مني السلام واخبرهم ان الجنة طيبة التربة
عذبة الماء وانها قيعان اي مستوية فليكثروا من غرسها وان غرسها
سبحان الله والحمد لله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم كذا في حيوة القلوب قال اصحاب التحقيق وارباب التدقيق
حلاوة الذكر ظاهرة وكرامتها باهرة عند اصحاب الذكر بحيث
يحصل لذة اطعمة الجنة في فمه ويرى الحور والغلمان من الخدمات
يعانق الذاكرين ويسرن امامهم بالخلعة الفاخرة ويسمع

بيان اربعة عشر خصلة ذميمة

اصواتهن ويدخل الجنة وينظر اليهن و يطعمن لهم ويلاطفن ويجرين
بعض المشكلات فهذه الحالات كثيرة الوقوع للذاكرين والذاكرات
الا على من هو متصف بالاخلاق السيئة من اربعة عشر خصلة
وهي مذمومة واصحابها مردودة البخيل والحريص والحسود وآكل الحرام
وصاحب البدعة والحقد والعجول والمتكبر وسيء الخلق والكسلان
والمرائي ومحب الجاه والشهوات وصاحب الهوى فهم بهذه الخصال
الذميمة يكونون اعداء الله واصدقاء الشيطان خصوصا الجامع
كلها فانه واحد فهو من احباب جميع الشياطين كبيرهم وصغيرهم
عتيقهم وجديدهم واقواهم واضعفهم غنيهم وفقيرهم فالكل
يثنون عليه ويكلون في بعض الامور اليه فهو يراعي المودة ويرتجي
من وكيله الوكالة وتجمع الفسقاء عنده ويذم الصلحاء لديه
فكان ضالا ومضلا وهذا الحال من اقوى حال اقوياء الشياطين
وهو رئيسهم وانجدهم وكان من اعظم مجالسهم واجسم محافلهم
فكان معهم في لياليهم كما كان في الليل والنهار كما في كتاب الترغيب
والترهيب كما قال الله تعالى ان في خلق السموات جملة مستانفة
سيقت لتقرير ما سبق من اختصاصه تعالى بالسلطان القاهر والقدرة
التامة صدرت بكلمة التأكيد اعتناء بتحقق مضمونها وانشائها
على ما هي عليه في ذواتها وصفاتها من الامور التي تحار في فهم اجلائها
العقول والارض على ما هي عليه ذاتا وصفة واختلاف الليل والنهار
اي في تعاقبهما في وجه الارض وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب
طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض
او في تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه وازدياده
باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة

وفي اختلافهما

بيان الليل والنهار

وفي اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما في الطول والقصر
فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها
الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما في انفسهما
فان كرية الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا
وفي مقابله نهارا او في بعضها صباحا وفي بعضها ظهرا او عصرا وغير
ذلك قيل الليل اسم يفرق بين واحده وجمعه بالتاء كتمر وتمرة والليالي
جمع جمع والصحيح انه مفرد ولا يحفظ له جمع والليالي جمع ليلة وهو
جمع غريب كانهم انه ليلاة كما في كيكة وكياكي كانها جمع كيكاة والنهار
اسم لما بين طلوع الفجر والغروب قاله الراغب وقال ابن فارس هو
ضياء وغبار ما بينهما وتقديم الليل على النهار اما لانه الاصل فان
غرر الشهور تظهر في الليالي واما لتقدمه في الخلقة حسبما نبئ عنه
قوله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار اي نزيله عنه فيخلقه لآيات
اسم ان دخلته اللام لتاخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا
اي لآيات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها دالة على تعاجيب شؤون
التي من جملتها ما مر من اختصاص الملك العظيم والقدرة التامة
سبحانه وعدم امكان التعرض لفرد من فراعنة الموجودات وكثرة
الفلك والامطار وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء
والارض لما ان المقصود ههنا بيان استبداده تعالى بما ذكر من الملك
والقدرة فاكتفى بمعظم الشواهد الدالة على ذلك واما هناك فقد
قصد في ضمن بيان اختصاصه تعالى بالالوهية بيان اتصافه
تعالى بالرحمة الواسعة فنظمت دلائل الفضل والرحمة في سلك
دلائل التوحيد فان ما فصل هناك من آيات رحمته تعالى كما انه
من آيات الوهيته ووحدانيته لاولي الالباب اي لذوي العقول

المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم المتجردين عن العلائق
النفسانية المتخلصين عن العوائق الظلمانية المتأملين في احوال
الحقائق واحكام النعوت المراقبين في اطوار الملك واسرار
الملكوت المخبرين عن سرائر الجبروت والفلكوت المتفكرين في
بدائع صنائع الملك الخلاق المتدبرين في ودائع حكمه المودعة
في الانفس والآفاق الناظرين الى العالم بعين الاعتبار والشهود
المتفحصين عن حقيقة سر الحق في كل موجود المتدبرين على تسبيحه
وذكره غير ملتفتين الى شيء مما سواه الا من حيث انه مرآة
لمشاهدة جماله دالة الملاحظة على صفات كماله فان كل ما ظهر
في مظاهر الابداع وحضر محاضر التكوين والاختراع سبيل سوى
الى عالم التوحيد دليل قوي على الصانع المجيد ناطق بآيات
قدرته فهل من سامع واع ومخبر بانباء علمه وحكمه فهل له من داع يكلم
الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب مقولهم يحاور تارة باوضح
عبارة ويلوح اخرى بالطف اشارة مراعيا في الجواب افهامهم وتصرفهم
وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فتأمل في هذه
الشؤون والاسرار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار روى عن ام المؤ
عايشة الصديقة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال هل لك يا عايشة ان تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله
لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت
فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل
يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله تعالى واثنى عليه وجعل
يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الارض
فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرأى يبكي فقال له يا رسول الله

يبكي

تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال
فلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا ابكي وقد انزل الله تعالى علي في هذه
الليلة ان في خلق السموات والارض الآية ثم قرأها ثم قال ويل لمن قرأها
ولم يتفكر فيها وفي رواية ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وروى
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه انه رقد عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وانه استيقظ فتسوك ثم توضأ وهو يقول ان في خلق السموات
والارض حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين فاطال فيهما القيام
والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى انفخ ثم فعل ذلك ثلث مرات
ست ركعات كل ذلك يستاك ثم يتوضأ ثم يقرأ هؤلاء الآيات
ثم اوتر بثلث ركعات ثم اتاه المؤذن فخرج الى الصلوة وهو يقول
اللهم اجعل في بصري نورا وفي سمعي نورا وفي لساني نورا واجعل من خلفي
نورا ومن امامي نورا واجعل من فوقي نورا ومن تحتي نورا اللهم اعطني
نورا ورواه كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما وزاد اللهم اجعل في قلبي
نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن شمالي نورا رواه الامام
البغوي رح الذين يذكرون الله الموصول اما موصول باولي الالباب
مجرور على انه نعت كاشف له بما في حيز الصلة واما مفصول
عنه مرفوع او منصوب على المدح ومرفوع على انه خبر لمبتداء
محذوف وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر هو المقدر قبل قوله
تعالى ربنا وفيه من تفكيك النظم الجليل ما لا يخفى واياما كان
فقد اشير بما في حيز الصلة ان المراد بهم الذين لا يغفلون عن ذكر الله
تعالى في عامة اوقاتهم وايامهم وشهورهم وتمام ساعاتهم واعوامهم
ودهورهم لاطمينان القلوب بذكر المحبوب واستغراق سرائرهم
في مراقبة المطلع المرغوب لما ايقنوا بان كل ما سواه فائض منه

وعائدا اليه فلا يشاهدون حالا من الاحوال فى انفسهم فاليه اشير
بقوله عز وجل قياما وقعودا وعلى جنوبهم وفى الافاق واليه اشير
بما بعده ولانهم يعاينون فى ذلك شانا من شؤنه تعالى فالمراد ذكره تعالى
مطلقا سواء كان ذلك من حيث الذات او من حيث الصفات والافعال
وسواء قارنه الذكر اللسانى او ذكر القلبى فليس مرادهم به تفسير
الاية وتحقيق مصداقها على التعيين وانما ارادوا به التبرك بنوع موافقة
لها فى ضمن الاتيان بفرد من افراد مدلولها كما روى عن على ابن ابى طالب
وابن عباس رض والنخعى وقتاده رضيهم هذا فى الصلوة يصلى قائما وان لم
يستطع فقاعدا وان لم يستطع فعلى جنب لما روى عن عمران بن حصين
انه قال سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صلوة المريض فقال
صل قائما وان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب رواه الامام
البخارى وقال سائر المفسرين المراد به المداومة على الذكر فى عموم الاوقات
والساعات والايام والاعوام والدهور والشهور لان الانسان لا يخلو
عن هذه الحالات الثلاث المذكورة فى النظم الجليل فيؤيد هذا المعنى
سباق النظم الكريم وسياقه فلكل وجهة هو موليها كما يؤيده قوله تعالى
فى سورة النساء فاذا قضيتم الصلوة اى اديتموا صلوة الخوف
على الوجه المبين فيما قبل هذه الاية من قوله تعالى فلتقم طائفة اخرى
منهم معك الخ واذا فرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم
اى فداوموا على ذكره تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه فى
جميع الاحوال حتى فى حال المسابقة فى القتال والمسارعة فى الحل والمال
والمثابتة فى مقامكم فى نهار الايام والليالى كما فى قوله تعالى فى سورة
الانفال اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون
اى اذا حاربتم جماعة من الكفرة وانما لم يبين كفرهم لظهور ان المؤمنين

[illegible]

قوله الذكر اللسانى بكسر الذال المعجمة تخصص بما صدر من اللسان من الكلمة الطيبة واما بالضم تخصص بما صدر من القلب مع الفكر منه

لايحاربون

لا يحاربون الا الكفرة مع ان اللقاء غالب فى القتال معهم فاثبتوا
فى مواطن الحروب ايا ما كانت واذكروا الله فى تضاعيف القتال والجدال
ممدين على الذكر ودرجاته ومتفكرين على دركات الفرار وعذابه
مستعينين به على نصرته ومترقبين فيه على انهزام الاعداء وعنايته
راجين منه فلاحكم وفائزين بمرامكم من المطالب العلية والمقاصد
الجليلة والدرجات الرفيعة فى الجنان النعيمة من الله العلى الكريم
ذى الجلال والجمال والعرش العظيم والقيام والقعود جمع قائم وقاعد
كنيام ورقود جمع نائم وراقد وانتصابهما على الحالية من ضمير يذكرون
اى يذكرون الله قائمين وقاعدين وقوله تعالى وعلى جنوبهم متعلق
بمحذوف ومعطوف على الحالين اى وكائنين على جنوبهم مضطجعين
والمراد تعميم الذكر وتحقيق الاحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص
الذكر بها بل لانها الاحوال المعهودة والاوقات المعروفة التى لا يخلو
الانسان عنها غالبا كما روى عن عائشة الصديقة رضيها انها
قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يذكر الله على احيانه
جمع حين اى فى كل الحين رواه البغوى رح ويتفكرون فى خلق
السموات والارض عطف على يذكرون منتظم معه فى حيز الصلة
فلا محل له من الاعراب وقيل محل النصب على انه معطوف على الاحوال السابقة
وليس بظاهر وهو بيان لتفكرهم فى ذاته تعالى اثر بيان تفكرهم وتذكرهم
فى نعمائه على الاطلاق التى لا تعدها عادة ولا تحدها احاد على الانطباق
واشارة الى النتيجة التى تؤدى اليها من معرفة احوال المعاد حسبما
نطقت به السنة الرسل وايات الكتب فكما انها ايات تشريعية هادية
للخلق الى معرفته تعالى ووجوب طاعته كذلك المخلوقات ايات تكوينية
مرشدة لهم الى ذلك فالاولى منبهات لهم على الثانية ودواعى الى الاستشهاد بها

كهذه الاية الكريمة ونحوها مما ورد في مواقع غير محصورة من التنزيل والثانية
مؤيدات للاولى وشواهد دالة على صحة مضمونها وحقية مكنونها
فان من تامل في تضاعيف خلق العالم على هذا النمط البديع قضى بانصاف
خالقه تعالى بجميع ما نطقت به الرسل والكتب من الوجوب الذاتي والوحدة
الذاتية والملك القاهر والقدرة التامة والعلم الشامل والحكمة البالغة
وغير ذلك من صفات الكمال وحكم بان من قدر على النشائه بالامثال بحتذيه
او قانون ينتحيه فهو على اعادته بالبعث اقدر وحكم بان ذلك ليس الا لحكمة
باهرة هي جزاء المكلفين بحسب استحقاقهم المنوط باعمالهم وعلومهم
واعتقاداتهم التابعة لانظارهم فيما نصب لهم من الحجج والدلائل والامارات
وسائر اعمالهم المتفرعة على ذلك فاذا العمل غير مختص بعمل الجوارح بل شامل
باعمال القلب وهي اشرف الافراد بحسب الاحاد لما ان لكل من القلب والقالب
عملا خاصا به ومن قضية كون الاول اشرف من الثاني كون عمله ايضا
اشرف من عمله كيف لا ولا عمل افضل بدون معرفته تعالى التي هي اول
الفروض والواجبات على العباد والغاية القصوى من الخلق على ما انطق
قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليعرفون
ما هم عليه من الفطرة الازلية والعهد والخلقة الانسانية كما عرب
عنه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث القدسي كنت كنزا مخفيا
فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف وانما طريقها النظر بالامعان
والتفكر فيما ذكر من شؤونه تعالى بالاذعان فلذا قالوا وانما كان ذلك
التفكر افضل واجره ازيد واجزل لما روي ان المقداد بن اسود قال
دخلت على ابي هريرة رض فسمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تفكر ساعة خير من عبادة سنة ثم دخلت على ابن عباس فسمعته يقول
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تفكر ساعة خير من عبادة سبع

سنين ثم دخلت على ابي بكر رض فسمعته يقول قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة قال المقداد رض فقد دخلت
على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرته بما قالوا فقال صدقوا ثم قال
ادعهم الي فدعوتهم فقال عليه الصلوة والسلام لابي هريرة رض كيف
تفكرك وفيما ذا قال ابو هريرة رض تفكري في قوله تعالى ويتفكرون
في خلق السموات والارض الاية قال عليه الصلوة والسلام تفكرك خير من عبادة
سنة ثم سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن تفكره فقال ابن عباس رض تفكري
في الموت وسكراته فقال صلى الله تعالى عليه وسلم تفكرك خير من عبادة سبع
سنين ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم لابي بكر الصديق رض كيف تفكرك
فقال تفكري في النار وفي اهوالها واقول يا رب اجعلني يوم القيمة من العظم
بحال تملأ النار بجسدي ولا تعذب من امة محمد في النار فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم تفكرك خير من عبادة سبعين سنة ثم قال صلى الله
تعالى عليه وسلم ارأف امتي ابو بكر الصديق رواه الامام النيسابوري في
تفسيره رح فيلزم على المؤمن المنصف ان يتفكر في خمسة اشياء حتى
ينال فضلة التفكر واجره تماما فيها من العجائب العجيبة والغرائب
الغريبة والدلائل الجليلة والشمائل العلية من الصورية والمعنوية
اولها في العلامات الدالة على الوحدانية في السموات والارضين
من الشمس وطلوعها من مشرقها وغروبها من مغربها وايابها وذهابها
وقطع مسافة خمسمائة في الساعة القليلة وسيرها بحال ظن انها
لا تسير ومع هذا كيف تصل فيما لا يمكنه الوصول بالسريعة وارتفاعها
بحيث لا يمكن الوصول اليها وتمكنها بغير عمد ترونها والسحاب المسخر
بينهما ووجودها في لحظة وعدمها في لمحة والامطار التي تنزل منها
فحصلت امتعة الدنيوية كلها كالاطعمة بانواعها والالبسة

باصنافها والاشربة الحلوية والحموضية والدراهم والدنانير وانواع ما يحتاج
اليه اهله من الاشجار والازهار والاثمار والانهار والنباتات والحيوانات
من الدرى الى الثريا ونفقاتها من السفليات الى الملائكة العلويات من
تحتها الى فوقها ومنها الى السدرة الى العرش ومن الكرسى الى الفرش وما بينهما
وما فوقهما واختلاف الليل والنهار وتكويرهما بحيث تختفى الليل فى النهار
وبالعكس من الدهور والايام وكر الشهور والاعوام لا تحتاج بطول المرور
الى التعمير كما هو الحال فى سائر الابنية ولا تحوج الى العونة كما هو المبين
فى شان الامكنة وجريان المياه من الاحجار الصلاد التى لا يتجوزها العقول
منها ابتداؤها اليها تعيد فضلا عن الابحر والانهر مع اختلاف الهيئات
الموضوعة لكل الافراد المتنوعة والاصوات المتشتتة والطبايع المختلفة
والجوارح المتفرقة المناسبة للاعمال المتوافقة ولكل الاعمال رجال
ولكل المضمار رجال والكل من الانواع يغتدى بغذاء لا يتيسر للغير
كما ان غذاء الملائكة بالتسبيحات والتحميدات والتهليلات وغذاء جياع
البطون والهواء لاكثر الحيوانات واليبسة اكثرها اشعارها كما ان لباس
الانسان ما ينسج منها ومما نبت من الارض من اقطانها وكذلك فى العالم
الكلية والجزئية المخصوصة بشخص ونمر ولكل وجهة هو موليها
من الاطاعات والانقياد والعبادات والطاعات من الاعمال الصالحات
فهذه كلها من اسرار الله وعلى العباد من نعم الله لا يعدها عاد ولا يحدها
حاد فسبحان الله الملك القدوس يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئله
من يشاء من فضله وهو فعال لما يشاء ويريد ومع هذه الصفات العجيبة
الدالة على الالوهية والنعات المبينة على الوحدانية المقدس عن الضد
والند والامثال والشركة والمعرفة على القدرة الظاهرة والقوة الباهرة
بحيث لا اول له ازلى فى الازال ولا اخر له ابدى فى الاباد فالكل فان

ويبقى ذاته الابدى وما سواه فى الزوال متصف بصفات الكمال
وبرى عن النقايص والزوال دائم بجلاله القديم الذى اتصف به
وهو الصمد فالكل يحتاج اليه غنى عن العالمين وهم عاجزون عن عبوديته
يعترفون بالعجز عنها صلوه وصاموا وعبدوه وقاموا سوى التوحيد الذى
وحدوه به حين نظروا الى السموات وما فيها من البدايع الفلكية والصنايع
الملكية وتفكروا فى الالاء والنعم التى تنزل مع الامطار متشتتة وتخرج
من الارض من الاطعمة والاشجار المتفرقة وتحيروا فى توصيف ذاته الاعلى
وله العظمة والكبرياء فى الارضين والسموات العلى فقالوا تعجبا بقدرته الازلية
العزيزة وقوته الصمدية الابدية احكاما بما اعطاه الله تعالى من معرفة
ذاته المتعال والتوحيد له فى الحال والمال والجمال فقال ربنا ما خلقت
هذا باطلا وكلمة هذا اشارة الى السموات والارض وما بينهما وما تضمنهما
بنوع من التعظيم وضرب من التكريم كما فى قوله تعالى ان هذا القرآن يهدى
للتى هى اقوم والتذكير لما انهما باعتبار تعلق الخلق بهما فى معنى المخلوق
والخلق على تقدير كونه بمعنى المخلوق وباطلا اما صفة لمصدر مؤكد
محذوف او حال من المفعول براى ما خلقت هذا المخلوق البديع العظيم
الشان عبثا عاريا عن الحكمة خاليا عن المصلحة كما ينبئ عنه اوضاع
الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكر فيه بل منتظما لحكم جليلة ومصالح
عظيمة من جملتها ان يكون مدارا لمعاش العباد ومنارا يرشدهم الى معرفة
احوال المبدا والمعاد حسبما افصحت عنه الرسل السبحانية والكتب الالهية
كما تحققه مفصلا والجملة بتمامها فى حيز النصب بقول مقدر وهو على
تقدير كون الموصول نعتا لاولى الالباب استيناف مبين لنتيجة التفكر
ومدلول الايات ناشئ مما سبق فان النفس عند سماع تخصيص الايات
المنصوبة فى خلق العالم باولى الالباب ثم وصفهم بذكر الله تعالى والتفكر

في محال تلك الآيات تبقى مترقبة لما يظهر منهم من آثارها واحكامها كانه
قيل فماذا يكون عند تفكرهم في ذلك وما يترتب عليه من النتيجة الفكرية
في الصنايع السبحانية فقيل يقولون عند الحيرة والفكر عند التذكرة
كيت وكيت مما ينبئ عن وقوفهم على سر الخلق المؤدي الى معرفة صدق
الرسل وحقية الكتب الناطقة بتفاصيل الاحكام الشرعية على التفصيل
الذي وقفت عليه هذا وانما جعله حالا من المستكن في الفعل كما اطبق
عليه الجمهور نعما لا يساعد على جزالة النظم الكريم لما ان ما حيز الصلة
وما هو قيد له حقه ان يكون من مبادي الحكم الذي اجري على الموصول
ودواعي ثبوته له كذكرهم لله عز وجل في عامة اوقاتهم وتفكرهم في خلق
السموات والارض فانهما مما يؤدي الى اجتلاء تلك الآيات والاستدلال
على المطلوب ولا ريب في ان قولهم ذلك من مبادي مدحهم ومحاسن
مناقبهم وفي ابراز هذا القول في معرض الحال دون الخبر اشعار بمقارنته
لتفكرهم من غير تردد في ذلك في قوله تعالى سبحانك اي تنزيها لك
مما لا يليق بك من الامور التي من جملتها خلق ما لا حكمة فيه اعتراض
مؤكد بمضمون ما قبله وممهد لما بعده من قوله تعالى فقنا عذاب النار
فان معرفة سر خلق العالم من الاسرار الالهية وما فيه من الحكمة
البالغة والغاية الحميدة والقيام بما تقتضيه من الاعمال الصالحة
وتنزيه الصانع تعالى عن العبث من دواعي الاستعاذة مما يكون من وجهين
احدهما الوقوف على تحقق العذاب والفاء لترتيب المدعو اعني الوقاية
على ذلك كانه قيل واذ قد عرفناه واطعنا امرك ونزهناك مما لا ينبغي
الى عظمتك وجلالك فقنا عذاب النار الذي هو جزاء الظالمين
الذين لا يعرفونك من صنايع الاجرام الفلكية والصنايع الالهية
التي تدل على عظمة بانيها اذ الانتقال من الاثر الى قوة المؤثر وقدرته

خاصة

خاصة الصنايع السبحانية والبدايع الربانية كما انه لا مثل له لذاته
لا مثل له لصفاته فقال ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته مبالغة
في استدعاء الوقاية وبيان لسببه وتصدير الجملة بالنداء للمبالغة
في التضرع والوقاية والتاكيد لاظهار اليقين بمضمونها والايذان
بشدة الخوف واظهار النار في موضع الاضمار لتهويل امرها
وذكر الادخال في مورد العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غايته
وفظاعته قال الامام الواحدي في تفسيره للاخزاء معان متقاربة
يقال اخزاه الله اي ابعده وقيل اهانه وقيل اهلكه وقيل فضحه وقال
ابن الانباري الخزي لغة الهلاك بتلف او بانقطاع حجة او
بوقوع في بلاء والمعنى فقد اخزيته خزيا لا غاية وراءه كقولهم من ادرك
مرعى الصمان فقد ادرك اي المرعى الذي لا مرعى بعده وفيه من الاشعار
بفظاعة العذاب الروحاني ما لا يخفى وقوله تعالى وما للظالمين من انصار
هذا تذييل لاظهار فظاعة حالهم ونهاية خلود عذابهم بفقدان
من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم تاكيد الاستدعاء ووضع
الظالمين موضع ضمير المدخلين لذمهم والاشعار بتعليل دخولهم
النار بظلمهم ووضعهم الاشياء في غير موضعها وجمع الانصار بالنظر
الى جمع الظالمين اي ما لظالم نصير من الانصار والمراد به من ينصر
بالمدافعة والقهر فليس في الآية دلالة على نفي الشفاعة على ان المراد
بالظالمين هم الكفار المعاندون والعمياء المبارزون فهذه الفائدة
الثانية للتفكر فيهما باعتبار الآلاء والنعماء والثالثة باعتبار
التخلص من العذاب والعقاب بالخزي والخذلان كما يدل عليهما
قوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته والفوائد الرابعة من التفكر
في خلقهما الايمان بالله تعالى ورسوله المنادي في الحضر والسفر وهو

يحصل بالتأمل ويقول ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان حكاية
لدعاء آخر لهم مبني على تأمل الادلة السمعية والبراهين العيانية والحجج
القطعية بعد حكاية دعائهم السابق للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
على التفكر في الادلة العقلية وتصدير مقدمة الدعاء بالنداء لاظهار
كمال الضراعة والابتهال والتأكيد للايذان بصدور المقال عنهم بوفور
الرغبة وكمال النشاط والمراد بالنداء الدعاء وتعديتهما بالى
لتضمنهما بمعنى الانتهاء وباللام لاشتمالهما بمعنى الاختصاص والمراد
بالمنادي هو الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتنوينه للتفخيم وايثاره
على الداعي للدلالة على كمال اعتنائه بشأن الدعوة وتبليغها الى الجميع
لانه ارسل كافة للناس بشيرا ونذيرا فلذا تقتضي برفع الصوت مراعيا
للعقول الثلثة من الادميين وينادي صفة لمناديا عند الجمهور كما في
قولك سمعت رجلا يقول كيت وكيت ولو كان معرفة لكان حالا منه
كما اذا قلت سمعت زيدا يقول كذا وكذا ومفعول ثان لسمعنا عند الفارسي
واتباعه وهذا اسلوب بديع يصار اليه للمبالغة لتحقيق السماع والايذان
بوقوعه بلا واسطة عند صدور المسموع عن المتكلم وللتوسل الى تفصيله
واستحضار صورته وقد اختص النظم الكريم بمزية زائدة على ذلك
بحيث عبر عن المسموع عنه بالمنادي ثم وصف عنه بالنداء للايمان
على طريقة قولك سمعت متكلما يتكلم بالحكمة لما ان التفسير بعد الابهام
والتقييد بعد الاطلاق اوقع عند النفس واجدر بالقبول لدى الانفس
وقيل المنادي هو القرآن العظيم ان آمنوا بربكم اي آمنوا على ان التفسيرية
او بان آمنوا على انها مصدرية بما هو متولي اموركم ومالككم ومبلغكم
الى الكمال فاطلاق الايمان ثم تقييده تفخيم لشأنه فآمنا اي فامتثلنا
بامره فاجبنا نداءه فاتوا دعوة الداعي على ما اختاروا وتركوا ما يضرهم

وابقوا

وابقوا ما ينفعهم في رضاء الله تعالى ورسوله ونالوا ما وعدهم الله ورسوله
في كتابه العزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
عزيز وخلصوا عما اوعدهم بالعذاب الشديد وكفرت سيئاتهم وذنوبهم
الوفيرة وعيوبهم الكثيرة ووقعت دعاؤهم في حيز القبول بانواع الحسنات
وتبدل السيئات بها في البدول لهذه الفائدة الخامسة من تفكر السموات
والارض وما بينهما وفوقهما وتحتهما متضرعين بقولهم فاغفر لنا ذنوبنا
اي كبائرنا فان الايمان يمحو ما قبله والفاء لترتيب المغفرة والدعاء بها
على الايمان به تعالى والاقرار بربوبيته فان ذلك من دواعي المغفرة والدعاء
وكفر عنا سيئاتنا اي صغائرنا فانها مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا
مع الابرار اي المخصوصين بصحبتهم ومغتنمين بالفتهم ومعدودين من
زمرتهم وفيه اشعار بانهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله
لقاءه والابرار جمع بار او بر كاصحاب وارباب ربنا وآتنا ما وعدتنا
على رسلك حكاية الدعاء الآخر لهم مسبوق بما قبله معطوف عليه لتأخر
التحلية عن التخلية وتكرير النداء لما مر مكررا والمراد بالموعود الثواب وعلى
اما متعلقة بالوعد كما في قولك وعد الله الجنة على الطاعة اي وعدتنا
على تصديق رسلك او بمحذوف وقع صفة لمصدر مؤكد محذوف اي وعدتنا
وعدا كائنا على السنة رسلك وقيل التقدير منزلا على رسلك او محمولا
على رسلك ولا يخفى ان تقدير الافعال الخاصة في مثل هذه المواقع
تعسف وجمع الرسل مع ان المنادي هو الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
لما ان دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم لا سيما في باب التوحيد وما اجمع
عليه الكل من الشرائع منطوية على دعوة الكل فتصديق الكل داخل في تصديقه
صلى الله تعالى عليه وسلم كيف لا وقد اخذ منهم الميثاق بالايمان به صلى الله تعالى
عليه وسلم كما في قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب

وحكمة الاية وكذا الموعود على لسانه من الثواب موعود على السنة الكل
وايثار الجمع لاظهار كمال الثقة بانجاز الموعود بناء على كثرة الشهود ولا تخزنا
يوم القيمة قصدوا بذلك تذكير وعده تعالى بقوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي
والذين آمنوا معه مظهرين لهم ممن آمن معه رجاء للانتظام في سلكهم
يومئذ وقوله تعالى انك لا تخلف الميعاد تعليل لتحقيق ما نظموا في سلك
الدعاء وهذه الدعوات وما في تضاعيفها من كمال الضراعة والابتهال ليست
لخوفهم من اخلاف الميعاد بل لخوفهم من ان لا يكونوا من جملة الموعودين بتغير
الحال وسوء الخاتمة والمآل فرجعها الى الدعاء بالتثبيت والمبالغة في التعبد
والخشوع والميعاد الوعد وروي عن ابن عباس رضي الله عنه البعث بعد الموت ورد
في الخبر من حزبه امر اي عرضه وحزنه فقال خمس مرات ربنا ربنا ربنا ربنا
ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الاية قال ابو سليمان الداراني
رح ان التفكر في الدنيا حجاب عن الاخرة وعقوبة لاهل الولاية والتفكر
في حق الاخرة يؤتي الحكمة ويحيي القلوب ويقال الخلاق الابدال عشرة اشياء
سلامة في الصدر وسخاوة في المال وصدق في اللسان وتواضع في النفس
وصبر في الشدة وبكاء في الخلوة ونصيحة للخلق ورحمة للمؤمنين وعبرة
من الاشياء وتفكر في الاشياء الخمسة المذكورة في الاية والتفكر فيما سوى
ذلك يورث وسوسة فلذا قال بعض الحكماء لا تفكر في ثلثة اشياء
احدها الفقر لان التفكر فيه يكثر الهم والغم ويزيد الحرص الى الدنيا والثاني
في طول العمر فان التفكر فيه يورث الحرص على جمع الاموال وعدم التوكل
على الله تعالى والثالث في ظلم من ظلمك فان التفكر فيه يغلظ قلبك ويكثر
غيظك وحقدك وروي عن مكحول الشامي رض فينبغي لكل مؤمن اذا اوى
الى فراشه ان يتفكر فيما صنع في يومه فان عمل خيرا كثيرا غلب على شره
حمد الله تعالى على توفيق ذلك واستغفر لما عصيه ونوى الرجوع عنه ابدا

لان حاله من شان اهل الجنة اذا ازداد ثوابه وثقلت ميزانه فهو في عيشة
راضية في جنة عالية فتمحى سيئاته او بدلت بالحسنات وان زاد
شره على خيره فثقلت موازينه فامه هاوية فاستغفر عنه وتاب الى الله
تعالى فعل توبة نصوح كي ارسل لحيته هل يلحقه اذ هذا الحال حال اهل
النار لو كان في العرصات هكذا في الفرصة غنيمة اذ لا يقبل التوبة في المنزل
اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم فقالوا ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا
نعمل صالحا انا موقنون فلا فائدة لهم في هذا الرجوع في العرصات فللمؤمن
توبة ورجوع ما لم يغرغر وان كان حال المتفكر بينهما بان يساوي او يترجح
لاحدهما من الخير والشر فاستغفر وابتكى عن حاله اذ هذا الحال حال اهل
الاعراف اذا ساوت حسناته وسيئاته فيحبس على جسر جهنم فيبقى في شدة
الحرارة والدخان والاعراف هي السور الذي بين الجنة والنار وهي جمع عرف
وهو اسم للمكان المرتفع ومنه عرف الديك لارتفاعه على ما سواه من جسده
وقال الامام السدي رح انما سمي ذلك السور اعرافا لان اصحابه يعرفون
الناس واختلف في الرجال الذين اخبر الله عنهم انهم على الاعراف فقال حذيفة
اليماني وابن عباس رضي الله عنهما هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم وقصرت
سيئاتهم عن دخول الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هناك
حتى يقضي الله بينهم ما شاء ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته وهم آخر
من يدخل الجنة وروي عن ابن مسعود رض عنه انه قال يحاسب الناس
يوم القيمة فمن كانت حسناته اكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت
سيئاته اكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثم قرا فمن ثقلت موازينه
فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم
ثم قال ان الميزان يخف بمثقال حبة او يرجح قال ومن استوت حسناته
وسيئاته كان من اصحاب الاعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا اهل الجنة

واهل النار فاذا نظروا الى اهل الجنة نادوا سلام عليكم واذا صرفوا ابصارهم
الى اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فاما اصحاب
الحسنات فانهم يعطون نورا يمشون بين ايديهم وبايمانهم ويعطى كل عبد
يومئذ نورا فاذا اتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة فلما
رأى اهل الجنة ما لقى المنافقون قالوا ربنا اتمم لنا نورنا فاما اصحاب
الاعراف فان النور لم ينزع من بين ايديهم ومنعتهم سيئاتهم ان يمضوا
بقى فى قلوبهم الطمع اذ لم ينزع النور من بين ايديهم فهنالك يقول الله تعالى
لم يدخلوها وهم يطمعون وكان الطمع النور الذى فى ايديهم ثم ادخلوا الجنة
وكانوا آخر اهل الجنة دخولا وروى عن شرحبيل بن سعد ان اصحاب الاعراف
قوم خرجوا فى الغزو بغير اذن ابائهم فقتلوا فاعتقوا من النار بقتلهم فى سبيل الله
وحبسوا من الجنة بمعصية ابائهم فهم آخر من يدخل الجنة رواه الامام مقاتل
فى تفسيره وروى عن الامام مجاهد انهم اقوام رضى عنهم احد الابوين
دون الآخر يجلسون على الاعراف الى ان يقضى الله بين الخلق ثم يدخلهم
الجنة وروى عن عبد العزيز بن يحيى الكنانى هم الذين ماتوا فى الفترة
ولم يبدلوا دينهم وقيل هم اطفال المشركين وروى عن الحسن رضى هم
اهل الفضل من المؤمنين علوا على الاعراف فيطلعون على اهل الجنة واهل
النار جميعا رواه الامام البغوى رح فى المعالم وروى عن ابى هريرة رضى الله
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لله ملائكة يطوفون فى الطرق
يلتمسون اهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى حاجتكم
قال فيحفونهم باجنحتهم الى السماء فاذا تفرقوا عرجوا الى السماء قال
فيسئلهم ربهم وهو اعلم بهم منهم من اين جئتم فيقولون جئنا من عند
عبادك فى الارض قال فيسئلهم ربهم وهو اعلم بهم منهم ما يقول عبادى
قالوا يسبحونك ويحمدونك ويهللونك ويمجدونك قال فيقول هل

داود

رأونى قال فيقولون لا والله ما رأوك قال فيقولون لو رأوك كانوا اشد
عبادة واشد تمجيدا واكثر تسبيحا قال فيقولون فما يسئلون قال يسئلونك
الجنة قال يقول وكيف لو رأوها قال يقولون لو انهم رأوها كانوا اشد
عليها حرصا واشد طلبا واعظم فيها رغبة قال فمم يتعوذون قال
يقولون من النار قال يقول هل رأوها قال يقولون لا والله يا رب ما رأوها
قال يقول فكيف لو رأوها قال يقولون لو رأوها كانوا اشد منها فرارا
واشد لها مخافة قالوا ويستغفرونك قال فيقول فاشهدكم انى قد غفرت لهم
قال يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة قال هم القوم
وفى رواية هم الجلساء لا يشقى جليسهم رواه البخارى قوله ان لله ملئكة
اى نوعا منهم وهم السياحون فى الارض حالهم وشانهم الطاعة ومسكنهم
السموات فان الله تعالى خلق كل شئ فقدره على ارادته الازلية المقتضية
الحكمة البالغة والمصلحة الراجحة والفوائد المزيدة قوله يطوفون
فى الطرق اى فى جنس الطريق الذى مر عليه الناس والجن والملائكة
خبر لمبتدأ محذوف اى هم يطوفون او صفة للملائكة باضمار قد اى انه
تعالى ملائكة طوافون سياحين على طرق الارض قد يسعون لالتماس اهل
الذكر لان الله تعالى امر لعباده بالذكر الكثير الذى لم يوقته بوقت دون
وقت بل يشتمل جميع الاوقات والساعات والايام والاعوام والدهور
والشهور ولو دقيقة وآنا بخلاف سائر العبادات من الصلوة والزكوة
والحج والشهادة وصيام رمضان حتى ذهبوا ائمة سادات الصوفية
وقاداتهم على كفر من غفل بسبب شئ اشتغل اذ لا يصل الى لطف الله ولا
يتيسر له الحصول بما له عند الله الا بالذكر والفكر مراعيا الآداب الشرعية
من مذهب اهل السنة وارتباط اهل الطريقة من مسلك اهل الجماعة
كما قال امام ائمة الهدى جنيد البغدادى عليه رحمة الهادى الطرق كلها

مسدودة لا يصلها ولا يتيسر الوصول اليها الا لمن اقتفى اثر النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم من القول والفعل والاعمال والاخلاص مما جاء من النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فمن اختلطها ذرة لا تقبل بل تكون مردودة لكن احدث
في الصلوة ركعة اخرى او قراءة آية من القرآن او ركوعاً اخر او سجدة اخرى
او ذرة ليست صدرت عن صاحب الشريعة الغراء وكذا الحج والزكوة
والصيام والقيام من البدعة التي احدثها وكذا الذكر والفكر والخوف والخضوع
والخشوع مما ليس عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يكون مردوداً وان فعله
الف الف سنة لمخالفة الشرع القويم والصراط المستقيم لما روى
عن عائشة الصديقة ام المؤمنين رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد رواه البخاري
ومسلم وابو داود وابن ماجه وفي رواية من مسلم صاحب الصحيح رح من عمل عملا ليس
عليه امرنا فهو رد رواه مسلم رح وروى عن محمد بن مسلم الشهير بالزهري من اجل
التابعين واكابر المحدثين من حفاظ الاحاديث رح دخلت على انس رض وهو
يبكي فقلت ما يبكيك قال لا اعرف شيئاً مما ادركت الا هذه الصلوة
وهذه الصلوة قد ضيعت رواه البخاري رح وروى عن حذيفة بن اليمان
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقبل الله تعالى لصاحب
بدعة صوماً ولا حجاً ولا عمرةً ولا جهاداً ولا صرفاً ولا عدلاً يخرج
من الاسلام كما يخرج الشعر من العجين رواه ابن ماجه والطبراني
وهذا يشمل البدعة في الاعتقاد وهو اشد البدعة لان الاعتقاد
اساس الدين على ما جاء به صاحب الشريعة مع ان البدعة فيه موصلة
الى الكفر لانها اما ينسحب ويحل الاعتقاد في القلب واما ينسحب
الى اقرار ما في البال في الحال والمآل مع الاختلال المؤدي الى الكفر
ويشمل البدعة في العبادات والاعمال الصالحات المودعة من قبل

صاحب

صاحب الشريعة واهتم فيها المجتهدون بالاستنباط وادت تفتح بها سادات
المتصوفون بالاحتياط ليلاً ونهاراً ساعاتاً وشهوداً ودقايق دهوراً وخافوا
من عظمة الله وعذابه وهربوا من غضب الله وعقابه يوم لا ينفع
مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم من الفنون ويوم تبلى السرائر
فما لاحد من قوة ولا ناصر فالسعادة الابدية والدولة الصمدية لمن اتى
بالعبادات المودعة والطاعات المحمودة العارية عن البدعات المردودة
ونال الى المطالب العلية وفاز امثاله بنيل الدرجات السنية بالرحمة
من الله العلي الاعلى والشفاعة من سيد الانبياء وسند الاصفياء لعدم
ظهور الخيانة الى الشريعة الاسنى والشقاوة لمن ظهر عاداته مختلطة
بالبدعة السيئة وضربت على وجهه بالرد الرديء ولم ينظر اليه بنظر
الرحمة لانعدام وجود البدعات ومغضوبية اهلها واستحقاق عذاب
الدركات من يفعلها فيخذل في العرصات بين الاولين بخذلان لا يتحمله
الاولون والاخرون من الادميين فويل ثم ويل لمن سمع النصوص ولم
ينتبه ويحرم عند الصلب كاللصوص فيجب على كل مؤمن منصف
ان يجتهد في الطاعات والاعتقاديات والاعمال الصالحات ويتعلم
حلوه ويتميز من شره ويتخلى عما يخفيه من الصلوة والزكوة والصوم
والحج والشهادة والاوراد والاذكار المجردة عن البدعة المذكورة المذمومة
موافقة لمن صلى وصام نبينا وذكر وتفكر رسولنا ومطابقة
لما اجتهده العلماء المستنبطون والفضلاء المجتهدون وكتبه الصدور
في الكتب البدور تاركاً مجادلة المكابرين ومكابرة المجادلين اذ هذا
اورث من كفر الكافرين واشراك المشركين ابي جهل اللعين الجاهلين
لانه كلما وقف على الحق المؤيد بالايات البينات ازداد كفره وعناده
المؤيد بالمعجزات الظاهرة اشتعل شركه وفساده فهذه الصفة الرديئة

من اوصاف اصحاب النار الموقدة فاللايق لاهل السعادة ان يتمايزين
اوصاف اهل الشقاوة بتطبيق افعاله الى الكتاب وتوفيق اعماله الى السنة
خير اولى الالباب ويتحلى بزينة علويات الشريعة بعد ان يتخلى عن سفليات
البدع الرذيلة بان يراجع ارباب العلوم العالية واصحاب الفنون الرائقة
متشبثا بقوله العزيز فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فهذا توفيق
من الله العلى العزيز اذ النفس الامارة بالسوء مصاحبة للانسان مادام حيا
فاستصحب بعد موته لمن حيي حيا فهي دارت الاقطار وصحبت الفجار كما انت
بالنمرود والشداد وابي جهل العناد وفرعون ذي الاوتاد فصاروا كلهم
نمرودا وشدادا شديدا وابا جهل عنيدا بليدا وكادت ان تقربك وتسعى
ان تجعلك مثلهم وان تمثل امرها وتطيع بايمائها واشارتها فينبغي للمؤمن
ان يخاف من شرها ويستعين بالله تعالى من اضلالها واغوائها ويتعلم طرق
الشرايع ويتبعهم ايابها وذهابها ويتبشر بصلحاء العلماء وخلصاء
الفهماء بامور الاسلامية من الافعال والاعمال والاعتقادات الايمانية
ويعتقد بما اعتقده النبي المصطفى ويعمل بما عمل به الرسول المجتبى واتفق عليه
الاصحاب العظام واجتهد به اولو الالباب الاعلام من المجتهدين الكرام
صلوات الله وسلامه عليه وعلى من تبعهم اليه خاصة منهم الامام الاعظم
ابو حنيفة الكوفي كالشمس في وسط النهار من بينهم لعلو الاجتهاد في اصابة
الحق لديهم فانه ذهب ان رفع الصوت بالذكر حرام سوى المستثنيات
كالاذان والاقامة والخطبة وتكبيرات التشريق في العيد وذهب
في رواية انه مكروه بكراهة التحريم كذا صرح الامام محمد رح في السير
الكبير استدلالا من قوله تعالى في سورة الاعراف واذكر ربك في نفسك
تضرعا وخيفة ودون الجهر بالغدو والاصال واتفق عليه اكثر العلماء
المحققين من الفضلاء المدققين من تفاسيرهم المقبولة كالقاضي

البيضاوي والامام الكواشي والقاضي عضد الدين العلامة والامام البغوي
محيي السنة والعلامة النسفي كابي المعين في التيسير وابي البركات في المدارك
والعلامة ابن الكمال والعلامة زمخشري وشهاب الدين السيواسي
في عيون التفاسير وشهاب الدين القوجوي الشهير بشيخ زاده في
حاشية البيضاوي وشهاب الدين المحشي على البيضاوي واتفق
الفقهاء الحنفية في كتبهم المرغوبة كالعلامة قاضيخان والواقعات
للصدر الشهيد والحقايق لابن ملك والاختيار للمختار وملتقى الابحر
والمجتبى الفقيه وتحفة الملوك والتسهيل وشرح الكبير للحلبي والاشراق
لابن المنذر وجامع الفتاوى ومنتخب المرصاد والغنية والقنية وفتاوى
تاتارخانية وشرح تحفة والقهستاني والعلامة القسطلاني والفتاوى
البزازية وعمدة الفتاوى والذخيرة والجواهر ونصاب الاحتساب
واتفق المحدثون ايضا كصاحب المصابيح والمشكوة والمفاتيح الطيبي
والمبارق والمشارق وغيرها مما بينه الائمة الحنفية والشافعية والمالكية
خاصة شدد الامام مالك في الذكر فوق ما هم فيه حتى انه لم يرض بتلاوة
القرآن الا بقدر التسبيح فضلا عما دونه وروى عن الحسن البصري
رح ان الله تعالى يعلم القلب التقي والدعاء الخفي ان كان الرجل لقد جمع
القرآن وما يشعر به جاره وان فقه الفقه ولا يشعر الناس به وان كان
ليصلي الصلوة الطويلة الخفية والجهرية وما يشعر به قرينه والله
لقد ادركنا قوما من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورضي الله تعالى
عنهم ومن كبار التابعين رحمهم الله تعالى يعملون انواع الاعمال الصالحات
ويقرؤن الاذكار المأثورة سرا ويجتهدون في الادعية ولم يسمع لهم
صوت الا همسا بينهم وبين ربهم متشبثين بقوله ادعوا ربكم الذي
قد عرفتم قدرته الجليلة وقوته العلية وعظمته الكبيرة بالانتقال

من الاثر الى جلالة المؤثر ومن الملزوم الى عظمة اللازم وهو المعبود الذي
لا يستنكف الكبرياء ولا يستكبر العظماء عن عباده تضرعوا اليه
تضرعا اي حال كونكم متضرعا ومتذللا كما تضرعوا بعظم الاجساد والشان
ويخافون عذابه على اعدائه في كل حال وآن كائنين ذوي تضرع وخوف
كما كنتم ذوي اخفاء وخيفة اي حال السر فان الاخفاء دليل الاخلاص
مع ان صاحب الشرع امر به والنبي صلى الله عليه وسلم ثم عمل به واتفق
اصحابه الكرام واحبابه العظام بالاقتداء في كل الشهور والاعوام والدهور
والايام وقوله تضرعا وخفية كلاهما نصب على الحال اي ادعوه تضرعا
وتذللا واستكانة قيل اراد به الاعتداء به بالجهر قال ابن جريج من الاعتداء
برفع الصوت والنداء بالدعاء والصياح فيها ويؤيده ما روي عن ابي موسى
الاشعري رضي الله عنه انه قال لما غزى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خيبر
اشرف الناس على واد فرفعوا اصواتهم بالتكبير فقال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون
سميعا قريبا وهو معكم رواه البغوي في المعالم والبخاري ومسلم رح
قوله اربعوا اي اسكتوا عن الجهر كذا قال الامام الطيبي في شرح المشكوة
قال في القاموس ربع كمنع وقف وانتظر ومنه اربع عليك وعلى نفسك
اعلم ايها الاخ المؤمن المرغوب عند الله ورسوله فانصف ان الله سبحانه
وتعالى امر لعباده الموقنين بالتضرع والتذلل والاستكانة والاخفاء
في الدعوات وكذا امرهم بقوله المتضمن بمعنى النهي والزجر دون الجهر
اي لا تجهروا فيها بالنداء والصياح فانه تعالى يعلم السر واخفى مع ان الاخلاص
والقبول في الاخفاء وحصول مراد العبد لا يكون الا به وشكره لا يوجد الا
معه وهو ارحم الراحمين بحيث علق الاجابة بالدعوة المأمورة كما يدل عليه
قوله تعالى ادعوني استجب لكم ونهي نبيه ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم

اصحابه الكرام واحبابه العظام حين شرعوا التكبير بقولهم الله اكبر الله اكبر
لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد مع انهم عظموا ذكر الله وذكر رسوله ولم يقصروا
في التعظيم في شانه وصفاته ولم يحرفوا الكلم عن مواضعه ولم يتغنوا
بها مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم يحبهم ويحب سرورهم في كل الدهور
وعباداتهم في كل الشهور فنهيهم وزجرهم ومنعهم عن الذكر العظيم
والتكبير الفخيم فلو لم يكن في ذكر تكبير الله واسمائه وتعظيم ذاته
وصفاته بانواع الخلوص في الغزو والمقاتلة واصناف التقرب في الطاعات
والمعاملة مع انه تعالى في كتابه العزيز وصفهم واثنى عليهم ووعدهم الجنات
العاليات فكيف يزجرهم عما رضي عنهم مولاهم بقوله اربعوا وقوله
لا تدعون اصم وفي هذا تعذير بليغ وتحذير شنيع وكذلك قوله تعالى
من الايات المذكورة فيما قبله مشتمل بالامر بالذكر على مراده العظيم
والنهي والزجر المنبئ عن العذاب الاليم فالعبد ان اقتدى وائتمر بالاوامر
واجتنب وانتهى عن النواهي والزواجر فهو مأجور عند ربه ومثاب ومشفع
عند رسوله في المرجع والمآب بنيل المطالب العلية في الدارين والمقاصد
الجلية في الكونين وان اقتدى شهوته وهواه وترك شريعة الغراء والطريقة
السمحاء الذي هو طريق سلطان الانبياء وبرهان الاتقياء وسند الاصفياء
والاولياء محمد المصطفى عليه من الصلوات الدائمة بدوام الله تعالى والتحيات
القائمة بقيومية الله تعالى فكان خائبا وحسيرا وخائنا الى الله تعالى ورسوله
وشريعتهما فكان جهده في العناد والغواية وسعيه بانواع الشقاق وفي الفساد
والضلالة خاصة اذ استحقر العلم والكتاب واهان العلماء وعباداتهم وعقايدهم
المأخوذة المستنبعة من الادلة القطعية والبراهين الساطعة والحجج
البينة المبرهنة فوقع في قوله تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم
مما يكسبون فكان معذبا مع اعداء الله الكافرين مع انه منصوب باعز المنصوبا

واجل المقبولات من قوله لا اله الا الله محمد رسول الله وتلف هذه الدولة العلية
والسعادة السنية بخيانته لصاحب هذه الدولة بعدم عنايته لقوله
ولى رسوله ولى امرهما وكتابه وعلمائه وصاحب مذهبه كما قال سند سادات
الصوفية سيدنا جنيد البغدادي عليه رحمة الهادى الطرق كلها مسدودة
لا يصل صاحبها على المطالب الاعلى والمقاصد الاسنى الا من اقتفى اثر النبى
صلى الله عليه وسلم فتدبر وكن على الفكر وكن على البصيرة والبصر قبل الموت
ثم اده صلى الله تعالى عليه وسلم هدايتهم الى صراط مستقيم كما روى عن عرباض
بن سارية رضى انه قال صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم
ثم اقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت فيها العيون ووجلت
منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كانها موعظة مودع فماذا تعهد
الينا قال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا
فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء
الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات
الامور فان كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار
رواه البزار فى صحيحه وانما اجال التمسك بسنته مما فعله وقاله صراحة
وايماء واشارة من الاعمال الصالحات والعبادات الرافعات والخصال
الحميدة والاسوة الحسنة من الاخلاق الجميلة على ما اوحى اليه وانزل
عليه وعمل بمقتضاه لرضاء ربه واقتدى به اصحابه العظام واحبابه
الكرام من زبدة الانام ووافق العمل بالعلم وطابق المرام بالمرام ولذا احال
التمسك بسنتهم وقال وسنة الخلفاء الراشدين المهديين لاعتماده
صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم فى كل الاحوال وبكلاءتهم فى كل امور الحال
والمآل وحرض على الاخذ بالعض والنواجذ والسعى البليغ واهتم بالاجتناب
عن البدع الشنيع لطويل شفقة لامته المقبولة ما دام موافقها ورحمة

لاخوانه

لاخوانه المرغوبة ما لتستنوا بها وحذرهم بعد امره الذى للوجوب المتضمن
للنهى عنهم كانه قال ولا تمسكوا بخلافهم ثم اكده بالتحذير فقال واياكم
ومحدثات الامور اهتماما لشان الشريعة واصحابها فى كل الايام ولياليها
فلذا ذهب الائمة الاربعة خاصة امامنا وسندنا الامام الاعظم تاج
ائمة الدين وعالج يوم الدين الى ان الامر البليغ والزجر المنيع يقتضى وجوب
الاخفاء وفرضية الاسرار فى الدعوات المأثورة المأمورة والاذكار
المرضية المرغوبة وتحريمية الجهرية الردية المنهية حيث قالوا فى اصولهم
الشئ اذا ذكر واكد يدل على الفرضية فى المأمورات بحيث لا يعارضه شئ
فى معناه فان عارضه ولا يعرف ايهما ارجح لعدم المرجح يدل على الوجوب
لتردد المعنى فى المبنى لان ادنى درجة الاختلاف يورث الشبهة فسقط
عن الدرجة فان كان دونه فى الرجحان ان كان فى المنهيات فيدل على الكراهة
التحريمية باعتبار الصيغة فلذا قال الامام الهمام نعمان بن ثابت الكوفى
مع اتفاق تلاميذهم ان الذكر فرض والاخفاء واجب والجهرية مكروه
كراهة التحريم لتأكد الامر والمنع والزجر والتشديد فى النهى عن الجهر
فلذا دار الشئ بين السنة والبدعة فترك السنة لخوف البدعة وعدم النص
واذا دار بين الوجوب والبدعة فعل الواجب لذكره فى المبنى وان احتمل
المعنى ولذا التخيير دونه ولعدم ذكرها فهذه القواعد اتفق عليها الاصوليين
كالامام البزدوى والفخر الرازى وغيرهم من الثقة المعتمدة كما بينها الامام
محمد فى الجامع الصغير والكبير فيجب على المؤمن الموحد ان يراعى كتاب ربه
وسنة رسوله وصاحب مذهبه ومسلكه ليكون كاملا فى ايمانه وثابت
القدم فى مذهبه واذا دار الشئ بين ائمة الفقهاء المجتهدين المستنبطين
من الادلة القطعية من الآيات الالهية والاحاديث النبوية وبين ائمة
الصوفية الصافية المستغرقة فى الله بحيث لا يميز من عن يمينه ولا عن شماله

فانه حصل له ذوق الذكر ولذته معفو عنه الهفوات والسقطات في اداء حاله
ولا يكون حالا لغيره فالعمل لقول ائمة الفقهاء والاقتداء به لازم دون غيرهم
فان الوصول الى المعاني والحصول الى المباني عند الفقهاء المجتهدين والعلماء
المستنبطين دون غيرهم لان حالهم للعالم واجتهادهم لبني ادم متعدية
الى الغير وحال الثاني حال لانفسهم بحيث لا يتعدى الى غيرهم لكنهم ان سعيت
كسعيهم بالاذكار والعبادات الموافقة بالكتاب والسنة ووقفت بما وافقوا
ونلت بما نالوا فالله تعالى يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم فان كل
من ائمة المجتهدين اجتهادا في الاعمال والاذكار ظاهرا او باطنا صورة
ومعنويا وكرامة وانما من قلد مجتهدا مذهبه وعمل بما فيه صار من عظماء
الاولياء ومن حكماء الاصفياء بكمالات الاولياء صار من اولياء الله برعاية
مذاهبهم المستنبطة من الكتاب ثم لهم خوارق العادة في حالهم لا تتعدى
الا فيمن تجاوز من حاله الى هذه الحالة فهذه الحال ايضا حاله فالشريعة
في الكل مثاله فاذا كان الامر كذلك فتلازم مذهبك وتوافق حقايقه
فاعمل بمقتضاه وناظر دقايقه ثم تهتدي الكرامة الحاصلة والولاية
الواصلة فهذه الحال حال لا يعبر عنه كدخول الجنات ورؤية الحور العين
والغلمان وتشم الرايحة الطيبة وتذوق الاطعمة اللذيذة وتسمع
الاصوات خاصة في القبور فاهل الحال يخبر عن زيارة الصدور ويبين مشاهدة
احوال الموتى واهوال اهل الشقي وطي المكان في اقل الازمان وكثرة الدراهم
في الكيس والجيب ووفرة الاخبار والعلامات عن الغيب وغيرها من الكرامة
الابدية والسعادة السرمدية اللهم ثبت اقدامنا في شريعتك الغراء
وطريقتك البيضاء من الصراط المستقيم في رضاك القويم القديم
نعم يحصل بعض هذه الاشياء للكفرة الفجرة والعندة الفسقة اللئيمة
استدراجا بمقتضى رياضتهم واعانة شيطانهم خيرا انه الشريعة

مراد المصنف من الاشياء الكفرة والفجرة والفسقة

وقد يوجد

وقد يوجد فيمن ادعى الاسلام ولم يأتمر باوامرها مع مقارنته النواهي
والفسق والملاهي مع ان هذه الحالة صادرة عنه مرة بعد اخرى فهذه
استدراج عن علامة اهل الشقاوة ويظن انه من اهل السعادة فلا يجتنب
عن الغواية والضلالة بل يذم اهل الايمان بما يعمل ويصلي ويصوم ويحج
ويزكي ويتبعه الضعفاء ويفسد الاغنياء بل يقتدي به اكثر الناس
بحيث يختارون الموت على هذه الضلالة لظنهم منهم انها كرامة وسعادة
ولا يعتبر الكتاب والاحاديث ويبغضون العلماء الصلحاء ويفترون
الاولياء ويذمون ما مدحه الله من اوليائه ويمدحون ما ذمه الله من اشقيائه
يدخلوا في مصداق قوله تعالى في سورة التوبة المنافقون والمنافقات
والتعرض لاحوال الاناث للايذان بكمال عراقتهم في الكفر والنفاق بعضهم
من بعض اي متشابهون في الدين والنفاق لا في دين الاسلام والاخلاص
لتكذيبهم ايات الله ورسوله فيما بينهم في الستر والسرائر وحلفهم بالله
كذبا انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يأمرون بالمنكر اي بالمعصية
والكفر ويبعدون عن الايمان كبعد الغراب وينهون عن المعروف
اي عن الطاعة والايمان عكس حال المؤمنين ويقبضون ايديهم اي يمسكونها
عن المبرات والخيرات والانفاق في سبيل الله فان قبض اليد كناية
عن البخل والشح نسوا الله اي اغفلوا عن ذكره وكسلوا عن طاعته وخرجوا
عن طاعته فنسيهم اي جازاه الله تعالى بمجازاة الناس فان الجزاء من جنس العمل
ليكون موافقة اعمالهم النسيان الذي ينسلخ المرحمة والشفقة فالافادة
بالمقابلة للمشاكلة والا فالله تعالى منزه عن النسيان الدال على النقيصة
وفيه مجاز او لي حيث يذكر الملزوم ويراد به اللازم لان الانسلاخ
عن الرحمة والانقطاع عن المغفرة والجنة يلزمه فان الشخص اذا نسي
من غير تخلية الناسي ينقطع عما يرجوه وينسلخ عما يعطوه عامله الناس

كانه لم يعارفهم ابدا اى فيسلخهم الله من عنايته ويقطعهم الله من هدايته
ورحمته فحرموا وخذلوا بخذلانه فالتعبير للمشاكلة كما فى قوله ومكروا
ومكر الله والله خير الماكرين الخارجون عن امره اصلا وفرعا لان الفسق
هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن كل خير والاظهار فى موضع الاضمار
لزيادة التحقيق وتقرير فسقهم وفسادهم واظهار ضررهم الملحوظ فى سرائرهم
وضمايرهم وايقاظ نبيه ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم عن اسرارهم
وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم على البصيرة كما فى قوله تعالى وعد الله المنافقين
من الرجال والمنافقات من الاناث والكفار من الفريقين المجاهرين
كفرهم ولا يخافون عذاب ربهم نار جهنم خالدين فيها اى مقدرين الخلود
فيها ابد الابدين دهر الداهرين هى اى النار الخلود التى هيئت لهم حسبهم
اى كافيتهم جزاء وفاقا لكفرهم ولعنهم الله اى طردهم وابعدهم من رحمته
فى الدنيا والاخرة لاهانتهم مع التعذيب ملحقين بالشياطين لان الكفر
مؤثر فى السر والعلانية وفى اظهار اسم الجلال ايذان بان لهم عذابا
شديدا اشد عقابا واليما ولهم عذاب مقيم والتنوين للتنوع اى نوع
من العذاب غير عذاب النار اما فى الدنيا فلا ينفك عنهم من تعب النفاق
وحمل الشقاق والخوف من سيوف المؤمنين الى يوم التلاق ومن الفضاحة
بنزول الايات البينات فى حقهم ومن الفضاعة بالاطلاع على ما فى قلبهم
من الافكار الفاسدة والاكفار الكاسدة واما فى الاخرة فما هى لهم
مما فى ارادة الله من العذاب فوق الغاية فى القبور والعرصات والنار بعد
القيمة انه لا يحب المعتدين اى المتجاوزين الحد فى الدعاء برفع الصوت
والصياح الممنوع من قبل الشارع الفتاح مع انه امر لعباده بالستر
والاخفاء والتذلل والاستكانة والوقاء وروى عن ابن جريج رضى الله عنه
قال والمراد من الاعتداء رفع الصوت والصياح فانه مكروه بكراهة التحريم

ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون فى التمرد والفسق صح

وبدعة بحيث لم يفعله الاولون من الصحابة والتابعين وحسب الرجل
ان يقول فى دعائه اللهم انى اسئلك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل
واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل لما روى عن النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم انه قال سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرأة
ان يقول اللهم انى اسئلك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك
من النار وما قرب اليها من قول وعمل رواه صاحب الكواشى والكشاف وقال
بعض المفسرين المعتدون هم الذين يسئلون منازل الانبياء لما روى ان
عبد الله بن مغفل رض سمع ابنه يقول اللهم انى اسئلك القصر الابيض
عن يمين الجنة اذا دخلتها فقال يا بنى سل الله الجنة وتعوذ به من النار
فانى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول سيكون فى هذه الامة
قوم يعتدون فى الطهور والدعاء رواه البغوى فى المعالم وروى عن ابى
هريرة رض ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مر به وهو يغرس غرسا
فقال يا ابا هريرة ما الذى تغرس قلت غراسا الا ادلك على غراس خير من هذا
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يغرس لك بكل واحدة
شجرة فى الجنة رواه ابن ماجه رح فى صحيحه وروى عن ابن عباس رض
عن جويرية انها قالت مر بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين صلى
الغداة او بعد ما صلى الغداة وهى تذكر الله فرجع حين ارتفع النهار وقال
حين انتصف وهى كذلك فقال لقد قلت منذ قمت عليك اربع كلمات
ثلث مرات هى اكثر وارجح او اوزن مما قلت سبحان الله عدد خلقه سبحان الله
رضى نفسه سبحان الله زنة عرشه سبحان الله مداد كلماته رواه ابن
ماجه فى صحيحه وروى عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اربع كلمات افضل الكلام لا يضرك بايهن بدأت سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر رواه ابن ماجه فى صحيحه وروى

عن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قال
سبحان الله وبحمده مائة مرة غفر له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر رواه
ابن ماجه في صحيحه وروى عن عبد الله بن بشر رض انه قال سمعت النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يقول طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا
رواه ابن ماجه في صحيحه وروى عن عبد الله بن عباس رضيهما انه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل
هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب رواه ابن ماجه في صحيحه
وروى عن ام المؤمنين عايشة الصديقة رضيها انها قالت قال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اجعلني من الذين اذا احسنوا استبشروا
واذا اساؤا استغفروا رواه ابن ماجه في صحيحه وروى عن ابي ذر رض
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا ادلك على كنز من كنوز الجنة
قلت بلى قال لا حول ولا قوة الا بالله وفي رواية عن حازم بن حرملة رض انه
قال مررت بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لي يا حازم اكثر من قول
لا حول ولا قوة الا بالله فانها من كنوز الجنة رواهما ابن ماجه في صحيحه
وروى عن ابي هريرة رض انه قال قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من لم
يدع الله غضب عليه وروى عن نعمان بن بشير رض انه قال قال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ان الدعاء هي العبادة وروى عن ابي هريرة رض عن النبي
صلى الله عليه وسلم ليس شيء اكرم على الله من الدعاء روى الثلثة ابن ماجه
في صحيحه وروى عن عبد الله رض عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اني
اسئلك الهدى والتقى والعفاف والغنى وفي رواية عن ابي هريرة رض
كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اللهم انفعني بما علمتني وعلمني
ما ينفعني وزدني علما والحمد لله على كل حال واعوذ بالله من عذاب النار
وروى عن انس بن مالك رض انه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

انه كان يقول صح

يكثر

يكثر ان يقول اللهم ثبت قلبي على دينك فقال رجل يا رسول الله تخاف
علينا وقد آمنا بك وصدقناك بما جئت به فقال ان القلوب بين اصبعين
من اصابع الرحمن يقلبها روى ابن ماجه الاحاديث الثلثة في صحيحه
وروى عن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض رواه الحاكم
وقال صحيح الاسناد ورواه ابو يعلى رحمهما وروى عن جابر بن عبد الله رض
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحيي من عبده
ان رفع اليه يديه ان يردهما ليس فيهما شيء رواه ابو يعلى رح وروى عن ابي
هريرة رض ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ليس شيء اكرم على الله
من الدعاء رواه الترمذي وروى عن جابر رض ان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قال ما من عبد مسلم يدعو بدعاء الا آتاه الله ما سئله او ذخر له
في الاخرة خيرا منه وكف عنه من السوء بمثله ما لم يدع باثم او قطيعة
رحم رواه الترمذي وروى عن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب
دعاء من قلب غافل لاه رواه الترمذي رح وروى عن عبادة بن صامت
رض ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما على الارض مسلم يدعو الله
الا آتاه الله اياها او صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع باثم او قطيعة
رحم فقال رجل من القوم اذن نكثر قال الله تعالى اكثر اي اجابة رواه الترمذي
رح وحكي عن الليثي انه قال رايت عقبة بن نافع ضريرا ثم رايته بصيرا
فقلت له بم رد عليك بصرك فقال رايت قائلا يقول لي في المنام
قل يا قريب يا مجيب يا سميع الدعاء رد علي بصري فقلته فرد علي بصري
وقال الكتاني رح رايت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام فقلت له
يا رسول الله ادع الله تعالى ان لا يموت قلبي فقال لي النبي صلى الله تعالى عليه

وسلم قال كل يوم اربعين مرة يا حي يا قيوم يا لا اله الا انت كذا في حيوة
القلوب وروى عن انس بن مالك رضه انه قال مر النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم بابن عباس وهو يصلي ويقول اللهم اني اسئلك بان لك الحمد لا اله
الا انت يا منان يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام فقال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقد دعى الله باسمه الاعظم الذي اذا دعى
اجاب واذا سئل به اعطى رواه احمد واللفظ له وابن ماجه وابو داود
والنسائي وابن حبان في صحيحه وزاد هؤلاء الاربعة يا حي يا قيوم
وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وزاد الحاكم في رواية له اسئلك الجنة
واعوذ بك من النار رواه الحاكم وروى عن معاوية بن ابي سفيان رضه
انه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من دعى بهؤلاء الكلمات
الخمس لم يسئل الله شيئا الا اعطاه لا اله الا الله والله اكبر لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم رواه الامام الطبراني في الكبير
باسناد حسن وروى عن سعيد بن مالك رضه انه قال هل ادلكم على الاسم
الاعظم الذي اذا دعى به اجاب واذا سئل به اعطى الدعوة التي دعى بها
يونس عليه وعلى نبينا الصلوة والسلام حين ناداه في الظلمات ان
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ايما مسلم دعى به في مرضه
اربعين مرة فمات في مرضه اعطي له اجر شهيد وان برئ وقد غفر له
رواه ابو منصور الديلمي في كتابه مسند الفردوس وروى عن بريدة الاسلمي
رضه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم اني
اسئلك اني اشهد انك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد
ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال والذي نفسي بيده لقد سأل الله
بالاسم الذي اذا دعى به اجاب واذا سئل به اعطى رواه الترمذي وابو داود

وابن ماجه

وابن ماجه في صحيحه والحاكم الا انه قال فيه لقد سألت الله باسمه
الاعظم رواه الحاكم رح وروى عن اسماء بنت يزيد رضها ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قال الاسم الاعظم في هاتين الايتين والهكم
اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وسورة الفاتحة وسورة آل عمران
الم الله لا اله الا هو الحي القيوم رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه
في صحيحه وروى عن ام الدرداء رضها انها قالت حدثني انه سمع
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا دعى الرجل لاخيه بظهر الغيب
قيل سبعين دعوة مستجابة ويوكل الله تعالى ملكا يقول امين ولك مثل
ما دعوت رواه ابو منصور الديلمي في الفردوس وروى عن عبد الله بن
عمرو بن العاص رضه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان اسرع الدعاء
اجابة دعوة غائب لغائب رواه ابو داود ويؤيده قوله تعالى في سورة
البقرة واذا سئلك عبادي نزل حين سأل بعض اصحاب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فقال الله تعالى وتبارك
ايماء الى سرعة اجابة الدعاء واعلاما الى اكرام حصول المقاصد ووصول
المطالب للمؤمنين المتضرعين بالثناء منهم اذا سئلك يا حبيبي وصديقي
عبادي عني وعن حالي وشاني وما هيئت لعبادي في الدارين فاني قريب
اي فقل لهم اني قريب باحاطة علمي غيبا وشهادة ولا يعزب عنه مثقال
ذرة كمن قرب مكانه فاذا دعى اسرعت تلبيته فلا حاجة الى التنادي
والتناجي بل كل ما يخطره لدي مع اني اعلمه وهو لم يخلق فقد رتبت
في الازل من الحال الى المآل من النوال والمنال والسرور والملال
والهداية والضلال مربوطة بالاسباب الظاهرة والاختيارات
الجزئية المتعلقة فليسارعوا وليجاهدوا والا اني اجيب دعوة الداع
واسمع الاجابة اذا دعان في اي وقت يدعوني وبأي خير يرجوني بجد

اليآء اكتفاء بالكسرة وتدقرئ باثباتها فليستجيبوا لي اي ليجيبوا الي
اذا دعوتهم بما ينطق كتابي ورسولي الى الايمان والتوحيد والاذعان
كما اني اجيبهم اذا دعوني بعطايهم العلية ومناصبهم الجلية في الدنيا
والاخرة وليؤمنوا بي وليصدقوا رسولي بما اوحيته وانزلته وليقتدوا به
وليأتمروا بما امرهم ولينتهوا عما نهيهم وليفعلوا ما يؤمرون لعلهم
يرشدون اي ناجين الهداية وتاركين الغواية والضلالة اذ وعدوا
في الاول بما وعد المخلصون واوعدوا في الثاني بما وعد المفلسون
المخسرون وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب
دعاء من قلب غافل لاه رواه الترمذي رح وروى عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ثلث دعوات مستجابات لا شك
فيهن دعوة الوالد ودعوة المظلوم ودعوة المسافر رواه ابو داود
والترمذي واعلم ان العلماء من فضلاء المجتهدين وعظماء المحدثين
وكبراء المفسرين اشترطوا القبول للدعاء شروطا كثيرة وقيودا وفيرة
منهم من قال شرائط الدعاء اربع حفظ القلب عن وساوس الشيطان
والافكار الفاسدة والامور الكاسدة فيدعوا بقلب سليم وحفظ اللسان
عن الغيبة والكذب والنميمة وكثرة الكلام فيما لا يعنيه وعما لا يعنيه
كما وقع في الحديث اكثر الناس ذنوبا اكثرهم كلاما فيما لا يعنيه كذا
في حيوة القلوب وحفظ العين عن النظر الى ما لا يحل وحفظ البطن
من الحرام والشبهات ومنهم سهل بن عبد الله التستري من كبراء المتقين
وعظماء المفسرين وفخماء المتصوفين رحمهم الله تعالى ويسر نا شفاعته يوم
الدين انه قال ان شروط الدعاء سبعة التضرع والخوف والرجاء
والمداومة والخشوع والعموم واكل الحلال وقال ابن عطاء ان للدعاء

ارکانا

اركانا واجنحة واوقاتا واسبابا فان وافق اركانه قوي وان وافق اجنحته
طار في السماء وان وافق مواقيته جاز من حجاب السموات كلها حتى
يثبت في تحت العرش وان وافق اسبابه كان مقبولا عند الله تعالى فاما
اركانه حضور القلب والاستكانة والخشوع واما اجنحته الصدق
فيما يرجوه ويتضرعه موقنا اجابته غير شاك في قبوله لوعلم باجابته
وهو لا يخلف الميعاد واما مواقيته الموعودة الاسحار واما اسبابه
للاجابة فكثرة الصلوة على سيدنا ونبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
بدوام ذاته الجليلة وقيام صفاته العلية قبل الشروع الى الدعاء وبعده
كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لبلال الحبشي رضي الله عنه اذكرني في ابتداء
دعائك وانتهائه ان شئت الاجابة اي صل علي قبل دعائك وبعده كذا
في حيوة القلوب وذكر ابو الخير الامام الجزري في كتاب حصن الحصين
رح ان للدعاء اثنى عشر ادبا للاجابة فالاول الاوقات الشريفة كيوم
عرفة من السنة وشهر رمضان من الشهور ويوم الجمعة من الاسبوع
ووقت السحر من الليالي والثاني الاحوال الشريفة مثل حال الزحف
في القتال وعند نزول الغيث وعند الاقامة في الصلوة المفروضة
وبين الاذان والاقامة وبين الظهر والعصر في اليوم الاربعاء وفي حال
السفر والمرض وعند الافطار وعند ختم القرآن وعقيب تلاوة
القرآن والثالث استقبال القبلة ورفع اليدين وروى عن ابن
عباس رضي الله عنه قال اذا سألتم الله فاسئلوه ببطون اكفكم ولا تسئلوه
بظهورها وامسحوا بها وجوهكم والرابع ترك التكلف في الدعاء
وترك التسجع فانه اقرب للاجابة والخامس خفض الصوت بين الجهر
والمخافتة والسادس الايقان بالاجابة كما قال النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة والسابع الالحاح بالدعاء

كما ورد في الحديث ان الله يحب الملحين في الدعاء وفي الخبر ان العبد
ليدعو الله وهو عليه غضبان فيعرض عنه ثم يدعوه فيعرض عنه
ثم يدعوه فيعرض عنه ثم يدعوه فيقول الله تعالى للملائكة ابى عبدى ان يدعو
غيري وقد استجبت دعائه والثامن الاستفتاح بذكر الله تعالى
والاعتصام بقوله تعالى عليه وسلم من بدأ بالدعاء قبل الثناء لا يستجاب
دعاؤه والتاسع الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبله وبعده
كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الدعاء محجوب ما لم يصل على
والعاشر عند شرب ماء زمزم وعند البيت وعند صياح الديك
والحادي عشر عند اجتماع المسلمين في مجالس الذكر وعند قول
الامام ولا الضالين والثاني عشر وهو الاصل في الاجابة هو الاقبال
الى الله تعالى ظاهرا وباطنا والاجتناب عن المحارم ورد المظالم انتهى
كلام حصن الحصين وقد حكي عن السفيان الثوري رح انه قال
بلغني ان في بني اسرائيل وقع قحط سبع سنين حتى اكل بعضهم بعضا
ولم تبق الاطفال والكلاب ولا الجيفة الا قد اكلوا وكانوا يخرجون
الى الجبال ويتضرعون الى الله تعالى كل يوم فاوحى الله تعالى الى انبيائهم
قل لهم لو مشيتم على اقدامكم الى حتى جثتم على ركبكم ويكل السنتكم
عن الدعاء فاني لا اجيب لكم داعيا ولا ارحم بكم باكيا حتى تردوا المظالم
الى اهلها ففعلوا فانزل الله تعالى عليهم المطر فخلصوا كذا في حيوة القلوب
وحكي ان ابراهيم بن ادهم زاهد الخراساني رح مر في اسواق البصرة فاجتمع
الناس اليه فقالوا يا ابا اسحاق ان الله عز وجل قد قال في كتابه العزيز
ادعوني استجب لكم ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا فقال يا اهل
البصرة ماتت قلوبكم في عشرة اشياء اولها عرفتم الله فلم تؤدوا حقه والثاني
قرأتم كتاب الله ولم تعملوا به والثالث ادعيتم حب رسول الله صلى الله تعالى

مبحث ... الدعاء

حكاية سفيان الثوري

عليه

عليه وسلم وتركتم سنته والرابع ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه والخامس
قلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها والسادس قلتم نخاف الله والنار والقيتم
انفسكم فيها لعدم الائتمار باوامره والانتهاء بنواهيه والسابع منه ان الموت
حق ولم تستعدوا له والثامن اشتغلتم بعيوب اخوانكم ونبذتم عيوبكم
والتاسع اكلتم نعمة ربكم ولم تشكروها والعاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا
من احواله واهواله اذ الساعة الواحدة في الذكر والطاعة والتوبة بالانابة
افضل من مكثه في الارض الف الف سنة لانهم انقطعوا عن العبادات
وكانوا مجزيين عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر فانهم يطمعون الرجوع
الى الدنيا لرفع الدرجات ان كان سعيدا ودفع الدركات ان كان شقيا
بزيادة الاعمال الصالحات والتوبة النصوح بالنيات الخالصات وروي
عن ابي سعيد الخدري رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اكثروا ذكر الله حتى يقولوا انه مجنون رواه الحاكم والبيهقي في شعب
الايمان وروي عن ابي الجوزاء انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اكثروا ذكر الله حتى يقول المنافقون انكم مراؤن رواه البيهقي في شعب
الايمان وروي عن عبد الله بن مغفل رض انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من قوم يجتمعون يذكرون الله الا ناداهم مناد من السماء
قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات رواه البيهقي ونوع
قوله تعالى في سورة محمد فاعلم انه لا اله الا الله اي اذا علمت ان مدار السعادة
هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الاشتراك والكفر والغواية
والضلالة فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه
والاخلاص بمقتضاه واستغفر لذنبك وهو الذي ربما يصدر عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم من ترك الاولى وانما عبر عنه موليه بالذنب
نظرا الى منصبه الجليل بين الامثال والخليل كيف لا وحسنات الابرار

سيئات المقربين مع ان عتاب العظماء اعظم كما ان ما بهم افخم فوجاء
تبارك وتعالى ارشاده صلى الله تعالى عليه وسلم الى التواضع وهضم النفس
واستقصار العمل واته صلى الله تعالى عليه وسلم امر بالاستغفار مع انه مغفور
ما تقدم وما تاخر ليستن به امته لنفسه ولاخوانه المؤمنين والمؤمنات
من الامة المغفورة وللمؤمنين والمؤمنات اى لذنوبهم بالدعاء وترغيبهم
فيما يستدعى غفرانهم وفى اعادة صلة الاستغفار تنبية على اختلاف
متعلقيه جنسا وفى حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
اشعار بعراقتهم فى الذنب وفرط افتقارهم الى الاستغفار كما روى
عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
استكثروا من قول لا اله الا الله والاستغفار فان الشيطان قال اهلكت
الناس بالذنوب واهلكونى بلا اله الا الله والاستغفار فلما رايت
ذلك اهلكتهم بالاهواء حتى يحسبون انهم مهتدون فلا يستغفرون
كذا فى بحر العلوم من تفسير العلامة التمرتاشى رح وايضا قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن
ومؤمنة حسنة كذا فى بحر العلوم وروى عن انس رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قال العبد المسلم لا اله الا الله
خرقت السموات حتى تقف بين يدى الله تعالى فيقول الله تعالى اسكنى
اسكنى فتقول كيف اسكن ولم تغفر لقائلى فيقول الله تعالى ما اجريتك
على لسانه الا وقد غفرت له كذا فى تفسير العلامة من بحر العلوم
والله يعلم متقلبكم فى الدنيا فانه مراحل لا بد من قطعها الاجماله
ومثويكم فى العقبى فانها مواطن اقامتكم فلا يامركم الا هو بما هو
خير لكم فيهما فبادروا الى الامتثال بما امركم به فانه المهتم لكم فى القافلة
وقيل العلم جميع احوالكم فلا يخفى عليه شىء منها وقال الامام مقاتل وابن

جرير يعلم متصرفكم لاشغالكم بالنهار ومثويكم ماويكم الى مضاجعكم
بالليل وقال عكرمة رح متقلبكم من اصلاب الآباء الى ارحام الامهات
ومثويكم مقامكم فى الارض من البيوت الفانية الى القبور البالية والجنة
العالية والنار السافلة فلا يخفى عليه الامور فى الدنيا والاخرة وروى
عن ابى هريرة رضى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان لله تبارك وتعالى
عمودا من نور بين يدى العرش فاذا قال العبد لا اله الا الله محمد رسول الله
بقلب خالص اهتز ذلك العمود فيقول الله تبارك وتعالى اسكن فيقول كيف
اسكن ولم تغفر لقائلها فيقول الله تعالى انى قد غفرت له فسكن عند ذلك
رواه البزار وهو حديث حسن وروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال لما خلق الله
تعالى العرش وهو اعظم مخلوق فاضطرب اربعة وعشرين الف عام فاظهر الله
تعالى عليه اربعة وعشرين حرفا وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله
فسكن العرش اربعة وعشرين عاما حتى خلق الله اول ما خلقه وامره بالتوحيد
فقال لا اله الا الله محمد رسول الله فاضطرب العرش فقال الله تعالى اسكن
فقال لا حتى تغفر لقائلها فقال الله تعالى انى آليت اى اقسمت على نفسى
قبل ان اخلقك بالفى عام ان لا اجريها على لسان عبد من عبادى بصدق
عن قلبه الا غفرت له كذا فى حيوة القلوب وحكى ان يونس بن متى صلوات الله
على نبينا وعليه لما ذهب مغاضبا من بين قومه حين دعاهم الى الاسلام
ولم يؤمنوا فدعى عليهم وخرج من بينهم اذ ظهر سحاب الغضب والقهر
مع الرعد والبرق والبرد وقالوا دعى علينا يونس فان دعائه تعجل واراد وا
ان يفروا ويتفرقوا الى تلك الجبال وكان فيهم شيخ كبير مؤمن راهب
زاهد فقال يا قوم لا تنفروا ولا تفرقوا ولا تفهموا انكم لا تهربون من غضب الله
وانكم محبوسون بين السماء والارض وعليكم كتابة لا اله الا الله محمد رسول الله
على جبهتكم وكفكم وتوجهوا الى ذلك السحاب فانه ينصرف ولا يضركم

بحث اول ما خلق الله تعالى العرش

بحث القصة الاولى من الرهبت لقوم يونس فيجاء من العذاب

٥

بحرمة هذه الكلمات فان جميع الاشياء مأمورة الى التعظيم لذاته واسمائه فمن وجدت فى قلبه يحرم على النار ولا تحترقه ومن وجدت بطيبه لا يعيبه الغضب والعذاب والسحاب والعقاب فخوسيد الانبياء فالكل تحت لوائه وامته سيد الاولياء تشهد على الامم والانبياء اذا احتاجوا يوم النداء فكتبوا هذه الكلمات الطيبات المنجيات على ظواهر جباههم واكفافهم فنجوا من غضب الله حين اظهرها الى السحاب من النار كذا فى حيوة القلوب رح ايها الاخوان المؤمنون المخلصون اعتبروا من هذه القصة المباركة الطيبة ان قوم يونس لما كتبوا هذه الكلمات المنجية المباركة على ظواهر ابدانهم خلصوا عن عذاب ربه فى الدنيا فكانوا آمنين عن الهلاك بمجرد ايمانهم وبظهور الحقية لهم فمن كان من امة محمد وسنة جماعة وذكر الله تعالى ذكرا كثيرا ليلا ونهارا وانتقشت هذه الكلمة الطيبة على لوحة قلبه وظهرت آثارها بالعبادات العلية والطاعات الجلية وائتمر بالاوامر وانتهى بالنواهى فكان من المخلصين فكيف لا يكون امينا بين الانبياء والمرسلين اللهم اجعلنا من الذاكرين المتأدبين والعابدين المتدينين والمخلصين المتفكرين ولا تخرجنا من الدنيا الا مع الايمان والاسلام وارزقنا الجنة والجمال مع سيد الانام محمد وآله العظام واصحابه الكرام عليه وعليهم صلوات الله وسلامه ورحمة الله وبركاته ورضوانه وروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه قال ان كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله اربعة وعشرون حرفا مساويا النصف الاول الى النصف الثانى بعدد حروفها المهملة الليل والنهار ايضا اربعة وعشرون ساعة فاذا قال العبد تلك الكلمات الطيبة المباركة بالاخلاص من غير ريب وبقطعة موافقا هذه الكلمات المركبة من الحروف المهملة غير المعجمة فى ساعة واحدة من تلك الساعات

يقول الرب عز وجل عبدى غفرت ذنوبك صغيرها وكبيرها وجهرها وخفائها وعمدها وخطائها بحرمة قولك لا اله الا الله محمد رسول الله وانما كانت كلماته سبعة لتسد ابواب النار السبعة فمن قالها فى آخر كلامه لا اله الا الله محمد رسول الله دخل الجنة كما فى الحديث فتسد النار وابوابها فى حقه فلذا كانت سبعة قال الامام العلامة فخر الرازى انما كانت اربعة وعشرين حرفا ليكون بعدد ساعات اليوم والليلة اذ هى اربعة وعشرون ساعة فمن قالها بالاخلاص كتب له فى كل حرف عبادة سنة وغفر له ذنوب ساعات اليوم والليلة كذا فى تفسير الكبير رح قال الامام السمرقندى رح من قال لا اله الا الله محمد رسول الله هدمت عنه سبعة آلاف سيئة كل كلمة تكفر الف سيئة فيقاس عليها عشرة امثالها من الحسنة فان زاد الله تعالى بكرمه وعن محاسبة سبحانه فلا نهاية لها انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب كذا فى كتاب الاربعين للسمرقندى فان قلت ان نصف هذه الكلمات منفية ونصفها مثبتة دالة على نفى الاله مطلقا والاثبات بالاستثناء ان كان متصلا فعلى هذا التقدير لا اله ان كان عبارة عن ذاته تعالى يلزم استثناء الشئ عن نفسه وان كان عبارة عما يشتمل الحق والباطل يلزم الكذب لكثرة الاباطيل وتقديم النفى قبل وجود المنفى قلنا ان الجواب الصواب مبنى على المذهبين الاول على مذهب الامام الاعظم نعمان بن ثابت الكوفى عليه رحمة الهادى ان المراد من لا اله المنفى الاصنام والاوثان الباطلة المعبودة على زعم الكفرة الفجرة وان المراد من المثبت بالاستثناء المنقطعة هو الله المعبود بالحق والخالق المطلق وبالعبادات الحق والطاعات الخالصات يستحق فيكون الا بمعنى لكن وغير اى لا اله للعالمين بموجود ولا مستحق المعبودية من الاصنام والاوثان والاباطيل

أشركها المشركون وعبدها الكافرون اذ هن عن المخلوقات والمخترعات
بايدى الكفرة العندة والفجرة اللددة لكن الله الذى خلق السموات
والموجودات والمصنوعات موجود ومستحق للعبادات اللائقة لذاته
القديمة والفائقة لجلالته وعظمته العلية وغيره تعالى الاشياء مخلوق
ومامور بعبادته ومفتقر الى عنايته الازلية وكرامته الابدية تبارك له الملك
وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت اذ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك
ذو الجلال والاكرام وانما ذهب الامام الاعظم بقرينة الامثال فى الآيات
والاحاديث الصحيحة كما فى قوله تعالى لا اله الا انت سبحانك انى كنت من
الظالمين وقوله تعالى هو الله الذى لا اله الا هو فالضمير المنفصل راجع
الى لفظة الجلال مثبتا بالا وهو غير المنفى بلا وقوله تعالى وما ارسلنا من
قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وفى قوله تعالى
لو كان فيهما آلهة الا الله اى غير الله لفسدتا وقوله تعالى والهكم اله واحد
لا اله الا هو الرحمن الرحيم والضمير راجع الى اله واحد لا الى قوله لا اله
فهذه القرائن الظاهرة تقتضى ان لا يدخل ما بعد الا فيما قبلها مع انه فيه
جناية عظيمة كما ستقف ان شاء الله تعالى خاصة فى الحديث الذى يقرء
بعد الافتتاح على المذاهب الاربعة من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم سبحانك
اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وفى رواية وجل ثناؤك
ولا اله غيرك واكثر الاحاديث انما وردت لتفسير معنى الآى فارجع النص
الى صحيح البخارى وصحيح مسلم وصحيح ابن ماجه وغيرها من الكتب الستة
المبينة معنى الآيات بالاحاديث الصحيحة فلذا رجح امام الائمة ومقتداء
اهل السنة والجماعة الاستثناء المنقطع على المتصل فى هذه الآية
الدالة على التوحيد ووجه بوجه هو عين الكرامة من انه صيانة المؤمن
عن الكفر وتحببه فانه اذا كان الاستثناء متصلا اتفقا المختصر لا اله

ولو بتيسيره

ولو بتيسير له قوله الا الله يكفر معاذ الله لانه مات منكرا بذات الله وصفاته
ولو تيسر له الاثبات لوصول الموت قبله ولم يتخلص مذهب الامام الشافعى
عليه الرحمة والغفران عن هذه الهجنة العظيمة والبلية الردية فضلا عن
التثبت اذ الكل يقع فيه اذ المثبت داخل فى المنفى لعمومه على الحق والباطل
لم يوجد الاثبات على تقدير الاستثناء المتصل الذى هو المخرج عن المتعدد
وان دل البرهان البرهان على استحالة التعدد لكن باعتبار المفهوم الكلى
على كثيرين وان كان معناه خاصا به تعالى عما يشركون على ما يجئ
لقائل المذهب فتبصر فلا يجوز الوقف على المنفى من غير الاثبات ولذا روى
عن الامام الشبلى رئيس الصوفية رح انه يقول الله وحده وحده لا شريك له
بدل قوله لا اله الا الله خوفا عن الموت وعدم الاثبات على مقتضى مذهبه
لا يتصور تقديم المنفى قبل الاثبات فان قلت لم اختير اسم الجلال
من بين الاسماء الحسنى قلت انه علم للذات المستجمع لجميع الصفات والاسم
الاعظم لما ذهب اليه اكثر العلماء موافقا للاحاديث الصادرة فيه
المبينة فى محله مع انه يمحو الكفر عن الكافر دون غيره من الاسماء القديمة
حين اسلم بقوله لا اله الا الله ولو لم يوجد فيها لا يحصل الاسلام حتى
لو قال اشهد ان لا اله الا الرحيم والا الملك والا القدوس وغيرها
لا يحصل الايمان ولا الاذعان والاسلام لانه لا يمتنع الشركة لان التوحيد
الحقيقية انما تحصل باسم يدل على الذات ولا يوصف به غيره تعالى
وهو اسم الجلال جلت عظمته كمسماه وان كان فيه شائبة الوصفية
لكن لما غلب عليه من وصف الالوهية بحيث لا يستعمل فى غيره تعالى
وصار كالعلم له مثل الثريا والصعق اجرى مجراه فى اجراء الوصف عليه
وامتناع الوصف به بغيره وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لانه ذاته
من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقى ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوصة

على تقدير الاستثناء المتصل
على هذا التقدير
صح

لما افاد ظاهر قوله وهو الله فى السموات معنى صحيحاً ولان معنى الاشتقاق
هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر فى المعنى والتركيب وهو حاصل
بينه وبين الاصول المذكورة وقال بعض المدققين من العلماء المحققين
اعلم ان هذا الاسم الجليل مخصوص بخواص لا توجد فى سائر اسماء الله
تعالى الخاصة الاولى انك ان حذفت الالف من قولك الله يبقى على صورة
لله وهو مخصوص بسبحانه وتعالى كما فى قوله تعالى ولله ملك السموات والارض
والخاصة الثانية وان حذفت من هذه اللام الاولى بقيت على صورة له
كما فى قوله له مقاليد السموات والارض والخاصة الثالثة وان حذفت
اللام الباقية كانت على صورة هو وهو يدل عليه قوله وهو الله فى السموات
وفى الارض والخاصة الرابعة اذا قلت الله فقد وصفته بجميع الصفات
القديمة اللائقة كلها واما اذا قلت الرحيم فقد وصفته بالرحمة فقط
والخاصة الخامسة الايمان والاسلام انما يحصل بذلك من بين الاسماء
الحسنى جلت عظمته كسماه ويمحى بالكفر والضلالة والشرك والغواية
دون سائرها كما بينا انفا هذا وكن من الشاكرين قال الامام العلامة
الفخر الرازى رح فى كتابه لوايح البينات واحتج القائلون بكونه اسماً
اعظم من وجوه الاول انه لم يطلق على غيره تعالى قال تعالى هل تعلم له
سمياً والثانى انه الاصل فى اسمائه تعالى لانه المستجمع لجميع ما وجد فيها
من الصفات الجميلة القديمة والنعوت الجليلة الابدية وسائرها
توجد فيه كما قال الله تعالى ولله الاسماء الحسنى والثالث قوله عز وجل
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن فالاول اعرف للاستجماع والرابع ان لهذا
الاسم خاصة لا توجد فى غيرها وهى انه اذا دخل عليه حرف النداء لم يسقط
منه حرف التعريف بل تبقى على حاله مع كون همزة التعريف قطعاً دون
وصل كقولنا يا الله خاصة بخلاف غيرها فيقال يا رحمن وفيه اشارة

خفية

خفية الى ان الذاكر مع ذكره دائم بحيث لا يزول عنه مطلوبه والى ان
من المعرفة ليست تزول عنه وحصول للعارف مع سلطان السلاطين
من اعظم الوسائل الى المغفرة والجنة النعيم فى استجلاب العناية والسعادة
من الملك الكريم والغرض من النقل ان اللايق للمؤمن الموحد ان يذكر محبوبه
باسمه الجميل ويصل مطلوبه وصال الخليل وان لا يفارق من هذه الاسم
الاعظم بقلبه ولسانه فى جميع الدهور والايام والشهور والاعوام ليكون
من الذاكرين والذاكرات فاعد الله لهم مغفرة واجراً عظيماً فى الجنات
العاليات والمذهب الثانى ان الاستثناء متصل وهو مذهب
الامام الشافعى رح والمراد من الاله المنفى فى هذه الاية وما ضاهاها
مما يشتمل على التوحيد هو العموم والشمول مما يعبد ويطاع حقاً كان
او باطلاً للجنسية على الافراد الكلية بحسب المفهوم الكلى وان قطعه
البرهان القطعى عن الشركة وخلصه بالتوحيد والمراد من لفظ الجلال
هو العلم للذات المستجمع لجميع الصفات فما بعد الا من لفظة الجلال المثبت
داخل فيما قبلها من مفهوم الاله المنفى الكلى بحسب المفهوم الشامل للحق المعبود
بالحق والا باطل من الاصنام والاوثان العاطلة وان كان شموله على زعم
الكفرة الفجرة فعلى هذا فالاستثناء متصل مخرج من المفهوم الكلى
الشامل على الحق والباطل فالمعنى على المذهب الثانى لا اله من جنس الاله
المنفى الا الله المعبود بالحق المثبت بالا من جنس المعبود المطلق فعلى هذا
المعنى لا يجوز التوقف على المنفى لانه انكار مطلقاً والتوقف قبل الاثبات
كفر فمن تكلم المنفى ومات قبل الاثبات يخاف عليه وان اجيز عند الامام
مالك رحمه الله بان قال المحتضر كلمة النفى مع المنفى ومات قبل الاثبات
فهو مؤمن لان نيته اثبات الوحدانية ولم يساعد عمره فكانه اثبت لان
نية المؤمن كعمله بل خير منه كما وقع فى حديث البخارى بخلاف ما اذا توقف

كما صرح به السعد الدين فى اول المطول فى الجواب المطر مح

على المنفي من غير عذر قبل الاثبات لفظاً ومعنى فرآده انكار بقرينة عدم
الاثبات من غير عذر من الاعذار الشرعية فهذا كفر وارتداد اعاذنا الله
تعالى من ذلك بحرمة سيد الانبياء وسند الاصفياء محمد المصطفى صلى الله
تعالى عليه وسلم دائماً ابداً وامد الآبدين بخلاف المذهب الاول من الحنفية
فانهم ابطلوا ابتداء الاوثان والاصنام الباطلة والاوهام العاطلة
وفصلوا في بطلانهن مقدار شهر او سنة مثلاً ثم شرعوا اثبات المعبود
بالحق فلا بأس في التأخير لعدم دخول المثبت في المنفي فذلك لا يمكن
الا بالاستثناء المنقطع وما معنى المتصل قلت معنى المنقطع ان يكون
المذكور بعد الا غير داخل في الاول بل ذكر على سبيل الاستفسار بان
يكون الا بمعنى لكن لاستدراك الجواب عن السؤال الناشئ عن المنفي بان
قال لا ينبغي ان يعبد الاصنام الباطلة والاوثان العاطلة لانهن
اخترعن من الايدي وهن محتاجة في انتظامهن الى العامل الحادث
وهو مخلوق ايضاً فكيف يعبد المخلوق كما قال الله تعالى حكاية والله
خلقكم وما تعملون وقال الله تبارك وتعالى قل افتعبدون من دون الله
ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون
لكن الله الذي خلق الموجودات ازلياً لم يسبق له شيء من الاشياء
فوجودها من ابداعه واختراعه فظهورها معلقة موقتة بآثار الارادة
العلية المتعلقة بحدوث وجودها وقتاً من الاوقات المعينة
لا تتأخر عنها ولا تتقدم عليها كالاجل المعلوم والرزق المقسوم
منوطة على الارادات الجزئية الغير المخلوقة والاختيارات الخيرية
الموهوبة للعباد المأمورة المكلفة بتكاليف الشاقة له ملك السموات
والارض ابدياً لا آخر له قديم بقدمه موصوفاً باوصاف الجميلة
الكمالية ومبرأ عن النعوت الرديئة النقصانية ومعبوداً بالحق

فالكل

الاستثناء المتصل

فالكل مأمور باوامره ومنزجر بزواجره يسبحون الليل والنهار لا يفترون
ولا يستنكفون عن عبادته ولا يستكبرون والله الغني والكل
فقير وهو الصمد الاحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد واما
معنى الاستثناء المتصل فهو المخرج من المتعدد مثل قولنا الا رجال فيها
الا زيد فان المستثنى منه عام يشتمل على الجميع بوجه من الوجوه ان
حكم على النفي استثنى عنه بوجود المستثنى وكذا عكسه فالاول عام كما
ان الثاني خاص فعلى هذا التقرير لا اله فيما عني فيه عبارة عن المعبود
حقاً كان او باطلاً وقولنا الا الله خاص علم لذاته العلية الابدية
المستجمع لجميع صفاته الجليلة القديمة الازلية فلوجود الجهة الجامعة
الكلية وان انقطعت الشركة بالادلة القطعية يصح الاستثناء
وان كانت رتبة المتصل اسفل من المنقطع لما يلزم منه لا شك ان هذا
الكلام محتوي على النفي والاثبات فالمنفي كل فرد من افراد حقيقة الاله
الكلي مفهومه الفرضية وان لم توجد في الحقيقة الا الله الموجود الحق
والمثبت من تلك الحقيقة فرد واحد وهو الله الاحد الصمد قصر
الصفة على الموصوف وحقيقة الاله هو الواجب الوجود المستحق
للعبادة للموجود ولا شك ان هذا المعنى كلي يقبل بحسب المفهوم ومجرد
الادراك ان يصدق على كثيرين كما هو حال الكلي ولكن البرهان القطعي
دل على استحالة التعدد فيه وان معناه خاص بالله العلي المنزه
عن الضد والند والولد فالاسم الجلال ليس بمعنى الاله حتى يكون
كلياً بل هو علم لذاته العلي الكبير بحيث لا يقبل التعدد ذهناً ولا
خارجاً ولو كان بمعنى الاله لزم استثناء الشيء من نفسه وعدم وجود
التوحيد من هذه الكلمة المشرفة المعينة لاثبات التوحيد فاللازم
وكذا الحال في كونه جزئياً فلزم التناقض في الكلام باثبات الشيء

ونفيه فالحاصل ان المعاني المقدرة في هذه الكلمة باعتبار معنى الاستثناء
والمستثنى بحسب العقل اربعة ثلثة منها باطلة والرابع ينقسم الى
قسمين احد قسميه باطل والصحيح هو الاخر فالثلثة الباطلة ان يكونا
جزئيتين او كليتين والاول جزئيا والثاني كليا او عكس الثالث
وهو ان يكون الاول جزئيا والثاني كليا ففي الاحتمال الرابع لو كان المراد
بالكلي الذي هو الاله مطلقا سواء كان حقا او باطلا لم يصح لما يلزم
عليه من الكذب بنفي جنس المعبود لوجود كثرة المعبود الباطل من
الاوثان والاصنام ولا يلزم ايضا ان يكون المستثنى باستثناء المتصل
ان يكون معبودا بالحق لان المخرج من الانواع المختلفة لا يعلم من اي
نوع كان فان كان المراد بالاول المعبود بالحق صح الكلام وتم المرام لكن
يكون المتعدد المستثنى منه بحسب الفرض المحض فاذا لا يصح من هذه
الاقسام كلها الا ان يكون الاله كليا بمعنى المعبود بالحق والاسم الجلال
علما للفرد الموجود منه فالمعنى على هذا لا مستحق العبودية موجود الا
الفرد الخاص الذي هو خالق العالم فاذن ان القصر في هذه الكلمة حقيقي
من قصر الصفة وهي الالوهية على الذات الموصوف بها بانه لا يتجاوز
المعبودية الى غيره تعالى لان هذه الكلمة الطيبة لرد اعتقاد الشرك
والغواية والكفر والضلالة وقطع ساس البدع التي ابتدعها اهل
الضلالة والطغيان من الاصنام والاوثان فلا يتجاوز هذه الصفة
الى غيره تعالى ونجوز ان توجد لذلك الموصوف صفات متعددة
ذاتية وسلبية فلا يجوز ان يكون قصر تعيين ولا قلب قال العلامة
التفتازاني رح في بعض مؤلفاته ان هذه الكلمة الشريفة المعنية
لاثبات التوحيد والالوهية اليه تعالى وان كانت تدل على اثبات
التوحيد والالوهية له تعالى ولكن لا تدل على نفي امكان الالوهية

بيان سؤال سعد الدين التفتازاني وجواب المصنف

اذ نفيها في الخارج لا يدل على نفي الامكان اقول هذا السؤال من هذا
الاستاد ابعد من الثرى الى الثريا اذ التوحيد نفي الشركة وقطع ساس
الكفر والضلالة فان المراد اذا انتفى وجود من هو غيره فلزم نفي امكان غيره
لان الامكان من اعراض الوجود فاذا انتفى الذات انتفى عرضه لعدم
انفكاك اللازم عن الملزوم دون العكس لاحتمال التعدد فيجوز للملزوم
الواحد ان يكون لوازم كثيرة فلو سلم فلا يضرنا عدم الدلالة على نفي
الامكان لانه ليس المقصود ههنا لان مدعى الخصم من الكفار وجود
الاخر وهو منتف دون تجرد الامكان الذي هو من مقولة العرض
الذي هو لا يقوم الا بقيام ذويه لان من اقر بانحصار وجود الالوهية
فيه سبحانه وتعالى قال بامكان غيره يكفر ولان المعدوم في جميع
الحالات الدنيوية والاخروية لا يمكن الالوهية للعدمية اللازمة
لان من قال لا اله الا الله يلزمه ان يعترف ان وجود الغير غير ممكن
بالادلة العقلية والنقلية لان الالوهية ووجوب الوجود متلازمان
لان نفي الامكان من غيره يستلزم وجوده تعالى اذ لا بد من تمام الامكان
من وجد فان قلت اذا كانت جملة لا اله الا الله خبرا فلا بد لها من
رابطة يربطها لان الجملة من حيث هي جملة مستقلة يلزمها من الرا
تلك الرابطة اما ضمير كما في قولنا لا اله الا هو او اسم من اسمائه تعالى
كالاسم الجلال كما في قولنا لا اله الا الله يفهم منه ذاته تعالى الدلالة الاسم
على مسماه من غير سبق ذكر فالمرتبط به كالمرتبط بالضمير الظاهر ولا
ان يكون مع اسمها وخبرها المحذوف جملة وليست فيها رابطة والمستثنى
خارج منها لانه لو كان كذا او لم يكن من تمامها لتناقض الكلام اذا كان
في صورة الاستثناء المتصل كما تقرر على المذهب الثاني وقد علم مما ذكرنا
اعراب هذه الكلمة ومعناها على تقدير كون الا ادات الاستثناء وذكر

الشيخ عبد القاهر مختارا لمذهب الحنفية بان الا بمعنى غير صفة لاسم لا
والتقدير لا اله غير الله في الوجود وقال الامام الدماميني في شرح المغني
ميلا الى مذهبه الشافعية وليس له مانع يمنعه من جهة الصناعة
النحوية وانما يمتنع من حيث المعنى وذلك لان المقصود من هذا الكلام
اثبات امرين نفي الالوهية من غير الله تعالى واثباتها له تعالى وهذا انما يتم اذا كا
الا فيه للاستثناء المتصل لانا نستفيد النفي والاثبات بالمنطوق
واما اذا كان الا بمعنى غير فلا يفيد الكلام بمنطوقه الا نفي الالوهية
عن غير الله تعالى واما اثبات الالوهية له تعالى فلا يفيد التركيب المذكور ح
قلنا ارتفاع النقيضين لا يجوز لانه لما نفيت عن الغير فلزمت اثباتها له
تعالى ولا يلزم ارتفاعهما على ان دلالة المفهوم ادل من المنطوق كما ان لسان
الحال انطق من لسان المقال اذ الدلالة اما بالصراحة كما هو في منطوق
الكلام منطويا على الحدث ومشتملا على الازمنة والفاعل المعين على مذ
او غير معين ان كان فعلية او مقصودا على الثاني ان كان اسمية واما
بالاشارة ان كان لازما قريبا له واما بالايماء ان كان بعيدا منه على
ما بين في محله مع ان المذهب الاول برئ من القيل والقال كما سمعت
بعضه اعلم انه قد وقع الاختلاف في خبر لا اله الا الله فذهب الامام
العلامة الفخر الرازي رح الى عدم التقدير لانك اذا قدرت الوجود
مثلا كان نفيا لوجود غيره وعند عدم التقدير يكون نفيا لماهيته
ونفي الماهية اقوى في التوحيد لخلوصه عن الاشكالات الواردة
على التقادير ويتوجه الاعتراض عليه بان في عدم التقدير مخرقا للاجماع
الائمة النحوية لانهم اتفقوا على انه لا بد من الخبر على ان بني تميم اوجبوا
الخبر وان جاز حذفه كما تقرر في محله وبان الكلام لا بد فيه من النسبة
التامة وهي لا تحصل الا بالخبر قال عصام الدين رح في حاشية البيضاوي

ان الامام

ان الامام العلامة الزمخشري رح صنف في هذا البحث رسالة في غاية الايجاز
وبالغ في الاستغناء عن الخبر وما راينا احدا الا هو متحير في تعقله وقد
هدانا الله تعالى الى ذلك الخبر فنقول الك قس لا اله الا الله على قولنا انما الله
هو ليظهر لك انك كما لا تحتاج في قولنا انما الله هو لا تحتاج فيه ايضا
اذ المعنى واحد فاصل لا اله الا الله هو الله فلما اريد قصر الالوهية
على الله تعالى ونفيها عن الغير ادخل حرف النفي على الخبر وحرف الاستثناء
على المبتدا فقدم الخبر على المبتدا فقيل لا اله الا هو اشارة الى انه تعالى
عالم الغيب ثم ابرز لان الضمير عين مرجعه فقيل لا اله الا الله
ايذانا بانه تعالى عالم الغيب والشهادة واقرب الى عبده من حبل الوريد
وتقلب المسند والمسند اليه وقصر الصفة على الموصوف فهذا التحقيق
بالهام الله الكريم وذهب بعضهم الى ان خبر لا محذوف ولكن اختلف
في تشخيص المحذوف فانه هل يقدر الوجود او الاستحقاق كالفاضل
الدواني في اثبات الواجب ووجه اختياره هذا ان المقصود قصر استحقاق
العبادة وهذا المعنى لا يحصل الا بتقدير الاستحقاق في الخبر وذهب
بعضهم الى تقدير موجود ممكن اي لا اله موجود ممكن الا الله ثم اعلم
ان هذه الكلمة الطيبة المباركة واللطيفة المنجية جعلت اسما لمفهوم
واجب الوجود لذاته المستحق للعبودية لمعبوديته الازلية والابدية
بلا ريب ولا شك لان المنطقيين باسرهم قسموا المفهوم الى الكلي والجزئي
فعروض الكلية هو المعلوم دون الصور العقلية التي هي علوم ودون
الموجودات الخارجية التي هي اشخاص فانا اذا راينا زيدا مثلا وحصل
في اذهاننا مفهوم الحيوان مثلا كان هناك امور ثلثة زيد وهو شخص
موجود في الخارج لا يمكن ان يوصف بالكلية والصورة العقلية
لمفهوم الحيوان وهي ايضا لا تتصف بالكلية لانها صورة جزئية

فى نفس جزئية كما هو المعلوم والثالث مفهوم الحيوان وهو غير صورته العقلية
لانه معلوم لا علم وصورته العقلية هى علم لا معلوم وهو الموصوف بالكلية
والاشتراك فظهر من هذا ان امتناع عروض الاشتراك بين كثيرين
للموجودات الخارجية وكذا للصور العقلية لا يدل على عدم صحة تفسير
الكلية بالاشتراك وانما يدل لو كان الموصوف بالكلية احدى هاتين
وليس كذلك وما ذكره بعضهم من ان الكلية بمعنى المطابقة تعرض للصور
العقلية مع انها صورة جزئية فى نفس جزئية يستلزم ان يكون امر واحد
من جهة واحدة كليا وجزئيا ايضا فلا يكون مفهوما الكلية والجزئية متنافيين
وذلك مما لم يقل به احد ولو استدل على عدم صحة تفسير الكلية بالمطابقة
بالمعنى المذكور بان المطابقة بهذا المعنى تعرض للصور العقلية والكلية
لا يمكن عروضها لتلك الصور لتلك الصور لكونها جزئية حالة فى نفس
جزئية لكان صوابا والى الحق مآبا واعترض عليه بانه ان اريد بانه
جعل اسما لمفهوم الواجب الوجود يكون كليا فلا يفيد التوحيد
لذاته الواحد الاعلى والتالى باطل والمقدم مثله لان العلماء المحققين
من المتكلمين المدققين اتفقوا اتفاقا وفاقا ان كلمة لا اله الا الله
كلمة التوحيد بالادلة القطعية والعقلية وان اريد انه جعل
اسما للذات المتشخص يلزم ان يكون ذو العلم معلوما وذا لا يمكن
لغيره تعالى اقول يمكن ان يراد الشق الثانى ويقال ان الاسم الموضوع
العلم بالتشخصات كما قال عصام الدين فى كتابه الاطول فبقى
ان العلم لو كان موضوعا للتشخص بعينه لما صح وضعه لما لم يعلم
تشخصه والوضع لما لم يعلم تشخصه كثير اذ الاباء يسمون ابنائهم
المتولدة فى غيبتهم باعلام وتاويله بانه تسميته صورة ولم
بالتسمية حقيقة بعيد وان الواضع فى اسم الله عز اسمه كذا انه

يشكل

يشكل لعدم الملاحظة بعينه وتشخصه حين الوضع ولعدم العلم
بالوضع له بتشخصه للمخاطبين به وانما يفهم منه معين متشخص
فى الخارج بعنوان منحصر فيه الا ان يراد بالشئ بتشخصه كونه متعينا
بحيث لا يحتمل التعدد بحسب الخارج ولا يطلب له تجويز الشركة
لظهور الوحدة الحقيقية انتهى ونقول سلمنا ان العلم بالمتشخصات
لازم لواضع العلم لكن لا نسلم ان يكون الواضع غيره تعالى فلا يجوز ان
يكون ذاته تعالى الحال انه لا واضع فى الاشياء الا هو الكبير المتعال
فاذا قيل ان الواضع لاسمائه الاعلى كما قال الله تعالى فى كتابه العزيز وعلم
آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة وقال ابن عباس رض ومجاهد
وقتادة رح علم الله تعالى لآدم عليه السلام اسم كل شئ حتى القصعة
ما كان وما يكون الى يوم القيمة فضلا عن اسمائه الحسنى كذا قاله محيى
السنة البغوى رح ويؤيده ما قيل فى التجريد وشرحه ان محل الخلاف
انما هو الاجناس وان الاشخاص كلها بوضع الله تعالى بغير خلاف كاسماء الله
القديم واسماء الملائكة واسماء الانبياء وغيرها لتقديره الازلية وموافقة
تسمية الاباء والامهات ليه انتهى ويمكن ان يراد الشق الاول ويدفع
مضرته بالعناية بانه اسم لمفهوم واجب الوجود من حيث تحققه
فى ضمن فرد من افراد الماهية فى الخارج ولا يضرنا كلية الماهية كما فى
تعريف الشمس فانه كلى لمفهوم الشمس منحصر فى فرد واحد فلا يلزم التعدد
وحده لا شريك له وانما قدم النفى عن التشريك على اثبات التوحيد
اشعارا بانه تعالى واحد والتوحيد صفته الازلية وتعظيما الارادة ذكره
بالضمائر موحدا قبل اللفظ الدال على اثبات التوحيد موافقة للحال
ومناسبة للمآل اذ هو الواحد الغفار لاهل التوحيد يوم جزع الفجار
وهو الله لا اله الا هو القهار ولان الغرض فى تقديم النفى على الاثبات نفى

نفي الربوبية عن غيره فالنفي اولا ثم الاثبات ثانيا اقوى واكد في الاثبات
من عكسه كما ان قول القائل ليس في البلد عالم غير فلان اقوى في باب
المدح واكد من قوله فلان اعلم البلد وورد في الخبر ان القبر ينوح
ويقول كل يوم خمس مرات بخمس كلمات اولها انا بيت الوحدة فاجعلوا لي
مونسا من قراءة القرآن وثانيها انا بيت الظلمة فنوروني بصلاة الليل
وثالثها انا بيت الاحجار والتراب فاحملوا الي فراشا من الطاعات ورابعها
انا بيت الافاعي والعقارب فاحملوا الي ترياقا من التقوى وخامسها
انا بيت سؤال منكر ونكير فاكثروا على قول لا اله الا الله محمد رسول الله
فانه افضل الذكر ليمكنكم ان تجيبوهما وان الله تعالى فرض على عباده
العبادات موقتة الا الذكر بهذه الكلمة الطيبة المنجية المباركة
فانه لم يجعل له حدا معلوما ولا وقتا محدودا بل امر بالتكثير في جميع
الفرائض والواجبات والسنن والمستحبات في كل الساعات والاوقات
والايام والاعوام والشهور والدهور في دقايق الاحوال وحقايق الاهوال
كما قال الله تعالى في سورة الاحزاب يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا
اي ذكرا دائما على كل حال بالثناء عليه بما هو اهله من انواع الذكر واصناف
الفكر كالتكبير والتهليل والتقديس والتحميد والتمجيد اذ روي عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يصدأ هذه القلوب كما يصدأ الحديد قيل يا رسول الله
فما جلاؤه قال تلاوة القرآن وكثرة ذكر الله وذكر الموت وروي ايضا
انه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس شيء من العبادات افضل من ذكر الله رواه شهاب
الدين في تفسير العيون وسبحوه اي نزهوا الله تعالى عن الانداد في الذات
القديمة الواحدة والصفات الذاتية والثبوتية العديدة القديمة
من الوجود والبقاء والقدم والوحدانية والمخالفة للحوادث والقيام بنفسه
ومن الحيوة والسمع والبصر والارادة والقدرة والكلام والتكوين بالاذعان

النقلية

النقلية والاتقان الفوآدية للتنفس فيها من الادلة العقلية باحساس
الحواس الظاهرة من الموجودات الدالة على الوحدة الابدية ومن الادلة
النقلية البديعة المؤيدة بالمعجزات العلية والمصدقات الجلية الصادرة
عن صاحب الشريعة المتفردة في القلوب المطمئنة كالشمس وضحيها
والليل اذا يغشيها فاذا انتقشت الفوائد واكتسبت العوائد واطمئنت
الجوارح واعظمها وارتفعت الروائح وفحمها واشتاقت السرائر باظهارها
اذ الجملة تقتضيه والخلقية العلية باخراج المنافع لستديمه كالاشجار
المثمرة والاحجار المنبسطة للثمر والانبياء عليهم الصلوات والكرامات
والمعجزات والاولياء العنايات قولوا له التسبيح باللسان شرطا وشطرا
على ما ذكر مرارا كسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم قيل هذه الكلمات الطيبة يقولها الطاهر والحائض
والجنب وقيل معناه صلوا له مجازا ولي من قبيل ذكر الجزء وارادة الكل
كما في قوله واركعوا مع الراكعين اي صلوا صلوات الخمس مع المصلين
بالجماعة بكرة اي في الصبح واصيلا اي في الظهر والعصر والمغرب
والعشاء هو الذي يصلي عليكم بالرحمة والمغفرة وستر عيوبكم يوم القيمة
وملائكته بالدعاء والاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد
بالصلوة المشترك وهو العناية باصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار
من الصلو وقيل الرحم والانعطاف المعنوي ماخوذ من الصلوة المشتملة
على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة
ودعاؤهم للمؤمنين الترحم عليهم وهو سبب الرحمة من حيث انهم مجابوا
الدعوة ليخرجكم من الظلمات الى النور اي انما يفعل ذلك بكم ليخرجكم
من ظلمات المعصية المبعدة عن الرحمة والجنة او الكفر الى نور الايمان
والطاعة او من النار الى الجنة برحمته ودعاء ملائكته وكان الله

بالمؤمنين الموحدين المستغرقين في الرحمة والدعاء والاستغفار رحيما
بادخالهم الجنة باعتناء صلاح امرهم واعتبار قدرهم واستعمل ذلك
في الملائكة المقربين وروى عن ابن عباس رض في قوله تعالى فما بكت
عليهم السماء والارض ان المؤمنين اذا مات بكى عليه من الارض الموضع
الذي كان يصلي فيه ويذكر الله فيه رواه محمد بن جرير في تفسيره
روى عن شداد بن اوس رض عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال
ارفعوا ايديكم فقولوا لا اله الا الله ففعلنا فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم اللهم انك بعثتني بهذه الكلمة وامرتني بها ووعدتني
عليها الجنة انك لا تخلف الميعاد ثم قال ابشروا فان الله تعالى
قد غفر لكم رواه الحاكم وروى عن انس رض انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لان اجلس مع قوم يذكرون الله بعد صلاة
الصبح الى ان تطلع الشمس احب الي مما طلعت عليه الشمس ولان اجلس
مع قوم يذكرون الله بعد العصر الى ان تغيب الشمس احب الي من الدنيا
وما فيها رواه البيهقي وابن ابي الدنيا رح روى عن ابن عباس رض انه
قال ان رفع الصوت بالذكر اي بالاذكار التي امر بها النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم في قوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة
ودون الجهر من القول بالغدو والاصال من غير تغيير ولا تغن ولا
دور ولا رقص ولا تحريش ولا تحريق بل ذكروا مقدار اسماعهم
باجراء صفات الحروف وتفكر المعاني الدالة على الخضوع والخشوع
من غير سفه ولا مقارنة اهل الهواء مستغرقين بحيث لا يميزون
من على يمينهم ولا من شمالهم قلوبهم احياء ووجوههم اموات اذا نودوا
لم يسمعوا واذا دعوا لم يجيبوا فهذا حال الاستغراق واذا رأوهم من الاجانب
يقولون انهم لمجنون لما روى عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال

رسول الله

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اكثروا ذكر الله حتى يقولوا انه مجنون
رواه الحاكم والبيهقي في شعب الايمان حين ينصرف الناس من المكتوبة
اي عقيب الصلوات المفروضة كان على عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال ابن عباس رض كنت اعلم اذا انصرفوا بذلك رواه الشيخان وروى
عن عمر بن الخطاب رض عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال
من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير كتب الله له الف الف درجة وبنى له
بيتا في الجنة رواه الحاكم رح فالافضل في الذكر الاسرار والاخفاء
لانه اقرب الى الاجابة ولذا مدح الله تعالى زكريا عليه السلام واثنى عليه
بقوله اذ نادى ربه نداء خفيا ومن ثمه يستحب الاخفاء في الاستعاذة
والبسملة في الصلوات كلها لانها ذكر ودعاء بالاتفاق قال الفقهاء
في مجموع النوازل وفتاوى سراجية والتجنيس وعمدة الابرار والمزيد
وفتاوى قاضيخان في باب الاذكار من حرمة المسجد ان لا يرفع فيه
الصوت ان خاف على نفسه من الرياء لان الاخفاء الاولى في كل
العبادات وان لم يخف فالاظهار مقدار الاستماع فوق الاسرار
كتلاوة القرآن للاستماع لترغيب سائر الغافلين فمن قواعد اصولهم
الشيء اذا دار بين الخلوص والرياء فتركه الزم لانه يورث الشبهة
فادنى الشبهة يكون علة لتركه فضلا عن الكل ومن وقع في الشبهات
لقد وقع في الحرام كما وقع في الحديث الصحيح عن النعمان بن بشير
كذا في الصحيحين فلذا اذا اشتبه في شيء انه سنة ام لا فتركه
لازم لانه يورث وقوعه في البدعة والحرام وان جوزه البعض فعليكم
بالسواد الاعظم لان اكثر الفقهاء وهم استنبطوا عن اقوى الادلة
اتفقوا عليها خاصة صاحب مذهبنا وامام الائمة الامام الاعظم عليه

الرحمة والمغفرة ذهب على كراهة الذكر بالجهر بل على حرمته فى اصح الاقوال
وكذا الامامان كذا فى السير الكبير للامام محمد بن الحسن الشيبانى فمن لم
يصدق لامامه يلزم الخروج عن مذهبه مع انه يدعى انه على مذهبه كمن
ادعى الغناء وهو فقير فيلزم على الحاكم زجره وروى عن عبد الله بن
عروة بن الزبير رضى الله عنه قال قلت لجدتى اسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنها
كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم
القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم
قالت قلت لها ان اناسا اليوم اذا قرئ عليهم القرآن خر احدهم مغشيا
عليه فقالت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم كذا فى تفسير المعالم
وروى عن سعيد بن عبد الله رضى الله عنه ان ابن عمر رضى الله عنه مر برجل من اهل العراق
ساقط فقال ما بال هذا فقالوا اذا قرئ عليه القرآن او سمع ذكر الله
سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط ان الشيطان يدخل
فى جوفه كذا فى المعالم قال صاحب الاختيار فى باب صلوة العيد ولابى
حنيفة رح ان رفع الصوت بالذكر بدعة مخالف للامر فى قوله واذكر ربك
فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول الآية فيختص بالاجماع
مثل الاذان والاقامة والخطبة وقراءة القرآن والوعظ وتكبيرات
التشريق فانها من المستثنيات وذكر فى شرح الكبير للمنية فى فصل
صلوة العيد والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه كره رفع الصوت عند قراءة
القرآن والجنازة والزحف والتذكير فما ظنك به عند الغناء الذى
يسمونه وجدا انتهى فمن الاصول الشرعية ان الشيء اذا تعارض بين
الفقهاء وبين المشايخ الصوفية يرجع الى اقوال الفقهاء وقتا ولهم
ان الفقهاء استنبطوا الاحكام عن الادلة السمعية القوية القطعية
فيجب على اقتداء الامام فى المذهب والمشرب اذ التقليد يوجب ذلك

فلا يعرف

فلا يعرف كيفيات المشايخين رحمهم ذهب الاتمار حالات على مقتضى
احوالهم من المجاهدة والرياضة مع انهم ليسوا بصاحب مذهبنا فحالهم
ليس متعديا عنهم ولا حال لنا فلا يعرف حالهم وحال المقلد مسؤل
عن تقليد الامام ويؤيد ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه امر بقطع الشجرة
التى بايع الصحابة تحتها فى بيعة الرضوان لما راى ان الناس يجتمعون
تحتها ويصلون عندها وكذلك لما راى انهم قد عكفوا على مكان قد صلى
فيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عكوفا عاما فنهاهم عن ذلك وقال
تريدون ان تتخذوا اثار انبيائكم مساجد واصل هذا ان العبادات
المشروعة التى تتكرر بتكرر الاوقات قد شرع الله فيها كفاية العباد
واكمل دينه ورضى عنه فاذا احدثت على هذه كانت تلك زيادة
على ما شرعه الله تعالى للعبادة فالزيادة على ما اكمل واتم نقص واختلال
فيه ويقع فيه فساد عظيم الى يوم القيمة غايته وقوع الفتنة
والدين القيمة الخالصة عن البدعة الخبيثة لان الزماد زمان
الفساد والاكثر مائل الى العناد والحسد واللداد فكل آن تزداد وتزيد
البدع مع اماتة السنة السنية والشريعة العلية واحياء البدعة
الردية والسيئة الرذيلة مع ضعف الايمان والاسلام بترك قراءة
العلوم النقلية فى الانام وتزايد الفنون العقلية لرياسة الايام
ورب نائب يكون قاضيا ومدرسا وحاكما واماما ومقتدى للانام
وشيخا وخطيبا بلا علم وعمل وتقوى فاذا قرأت عليه الشرائع كلها
فلا تثمر الا الخصومة والنفاق والشكوى والشقاق فكيف لا فانهم
لا يجتنبون عن الكذب والحرام والنميمة والحسد والبهتان والاثام
والزنا واللواطة فى ساعات الايام والشهور وانات الاعوام والدهور
فيفتخرون بينهم ويتباهون عندهم بكثرة الاموال من حقوق الايتام

والمظالم فلا تنام كانهم لم يسئلوا عنها يوم تبلى السرائر فاذا رفعوا
احوالهم من العبيد والجرائر وظنوا انهم ليسوا من المؤمنين الموقنين
بل انهم من المجانين لا يعرفون دنياهم وعقباهم فاذا رءاهم الاجزان
من العلماء المتقين والصلحاء المؤتمرين افتروهم بافتراء لا يليق
هو على الملل السائرة فضلا عن العالمين المخلصين ويتخاصمون
على علماء اهل السنة والجماعة ويتباغضون على الامرين المؤتمرين
والناهرين المنتهرين بل يفترون بانواع الخصال الذميمة ويبهتون
باصناف الفعال الرذيلة بل يقصدون بتعزيبه وتعذيره وتفنيد
فلا يمكن لاحد ان يأمرهم باوامر الله الا بطريقة الايماء والاشارة
وينهيهم بنواهي الله الا بالرمز والبشارة مع بذل الهوى واتباع الشهوات
وترك الاعمال الصالحات فاذا وجدوا الاشياء المناسبة من الفسوق
والفجور والعصيان تبادروا الى اجراء مذاقهم من الزنى واللواطة
من اعمال اهل الطغيان فالكل على مراتبهم يساعدونهم ويداهنونهم
اما اقتداء وارتضاء واما اجتنابا وارتداعا فلهذا كثرت اهل البدع
والضلالة فيتزايدون في بدعاتهم تزايدا ويتسارعون في ضلالاتهم
تمازجا وتمايدا فلذا نبه الشيخ العارف بالله محي الدين الاندلسي
عامله الله بغفرانه ورضوانه في اول فصوص الحكم من لم يبلغ مرتبتنا
ولم يفهم كلامنا فلا يطلع كتابنا الا انه حالنا وحال من اشبهنا
فهم من كلامنا انه يحجب المؤمنين ويصونهم عن وقوع الورطة كحال
الخضر وحال موسى عليهما السلام فان اكثر اهل الحال يقفون شيئا
لا يقف الجالس عندهم ويسمع صوتا ويرى صوتا ويرى ما لا يسمع
ولا يرى من معه فكيف يقاس الحال على الحال وكل هذا مرغوب مطلوب
ان وافق الشرع القويم والصراط المستقيم اذ مبنى الكل الشريعة الغراء
والطريقة

والطريقة البيضاء ولذا قال سلطان الصوفية جنيد البغدادي عليه
رحمة الهادي الطرق كلها مسدودة الا من اقتفى اثر الرسول صلى الله
عليه وسلم فاذا رأيت احدا تطاير في الهوى فانظر الى حاله ان كان مؤمنا
خاشعا وعابدا صالحا يأتمر بالاوامر وينزجر بالنواهي والزواجر فاحكم
بانه كرامة وسعادة للباس المؤمنين المتقين اكرمنا الله تعالى بهذه
الكرامة العلية والسعادة الجلية واذا رأيت رجلا تطاير في الهوى
ووقفت على حاله انه لا يصلي ولا يأتمر ولا ينزجر ولا يخشى عن الله الذي
خشعت الجبال وتصدعت فكانت هباء منثورا كطور السيناء
عند تجلي الله بحيث جعلت دكا دكا فاحكم ان التطاير من هذا
الرجل استدراج وضلالة فلا تعتبر على تطايره واخباره وخوارق
عاداته ويؤيده ما قال الامام السهروردي البغدادي رح في العوارف
ان الحالات الصادرة عن الانسان ثلاثة اما الكرامة فهي تصدر
عن المؤمن الكامل لاكرام الله له في الدنيا بين الامثال في بدل العبادة
الخالصة والمحبة الصالحة باعانة الملائكة ترغيبا لغيره على حاله
ومآله وترفيعا بل بمثاله واما استدراج فهو يصدر عن الكفرة العندة
والفجرة الفسقة باعانة الشيطان الطاغية اهانة له بسوء الاعداء
في الدارين واشارة ان الشيطان لا يبعد عنه في الكونين فنعوذ بالله
تعالى من شرور انفسنا واعدائنا والثالث معونة فهو يصدر عن المجانين
حيث اعلمه الله تعالى حالك واقدره بالتكلم عليك عما هو مطلوبك
فاذن انت تكرمه وتلبسه وتستره اظهارا لا سراره المكتوبة تحت
قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا اذ لم يخلق الله له
اسباب المعيشة لعدم عقلهم حتى كسبوا بالتجارات المتنوعة سوى
هذه الحالة العطية والمعونة فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء

كما لا تعتبر على تطاير الطيور
في جو السماء ولا تقول
انها ولي لعدم الشرع
مع انها افلح منه لعدم
خوف دخول النيران
صح

عن زيد بن ارقم رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من قال لا اله الا الله محمد رسول الله مخلصا دخل الجنة قيل وما
اخلاصها يا رسول الله قال ان يحجزه عن محارم الله تعالى رواه الطبرانى
فى الاوسط وفى الكبير الا انه ان يحجزه عما حرم الله تعالى عليه قوله ان
يحجزه اى يمنعه عما لا يحل له فى الكتاب والسنة بعد الايتمار
بالاوامر والتحلى بما زينه الله تعالى والتخلى عما انزجره الله ونهره
وروى عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم رايت رجلا من امتى اتى الى باب الجنة فغلقت الابواب
فجائته شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاخذت بيده
فادخله الجنة رواه الطبرانى رح وحكى ان ابراهيم الواسطى من
الاقطاب رح حج فى سنة ووقف بعرفات وفى يديه سبعة احجار
فقال لهن ايتها الاحجار اشهدوا بانى اقول اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا عبده ورسوله فنام تلك الليلة فرأى فى منامه قد قامت
القيمة وانه قد حوسب فوجب له النار فذهبوا به الى باب النار
فاذا حجر من تلك الاحجار القت نفسها على باب النار فاجتمعت
ملائكة العذاب على رفعه فلم تقدروا ثم ساقوه الى باب اخر فاذا عليه
حجر اخر من السبعة فلم يقدروا رفعه حتى ساقوه الى سبعة ابواب
وقد كان على كل باب حجر من تلك الاحجار فيقول كل واحد منهم نشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ثم ساقوه الى العرش فقال الرب
تبارك وتعالى عبدى شهدت الاحجار فلم يضيعوا حقك وانا شاهد
على شهادتك فكيف اضيع انا حقك وانا شاهد على شهادتك
ثم قال الله تعالى ادخلوا الجنة فلما دنى من باب الجنان فاذا ابوابها
مغلقة فجاءت شهادة ان لا اله الا الله ففتحت الابواب كلها فدخلها

مطلب فى ان الشهادة وشفاعتها خاصة

الرجل كذا فى حيوة القلوب رح وروى عن عبادة بن صامت انه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله حرم الله عليه النار لا يعذب بها كذا فى حيوة
القلوب قال العلماء المجتهدون والفضلاء المحدثون ان هذا يخالف
النصوص الدالة على ان بعض عصاة المؤمنين معذبون مقدار ذنوبهم
ان لم ينالوا الشفاعة ولم تيسر لهم العفو والمغفرة لان دار الجنة
طاهرة ولم يدخل فيها الا الطاهر فمن كان له مثقال ذرة شرا يره
ولم يدخلها معها ما لم ازيلت عنه اما بالعفو والمغفرة والشفاعة
او بالاحتراق بالنار وطلبوا التوفيق بينهما فقال بعضهم هذا فى حق من تاب
عن كفره فمات قبل العصيان وقال الاخرون هذا الحديث قبل نزول
الفرائض وقال ابو الحسن حسن البصرى رح فى بعض مصنفاته معناه
من قال هذه الكلمة الطيبة وادى حقها وفرائضها والاقرب ان المراد
بالتحريم الخلود اقول لا بخل فى الفياض فانه كريم بحيث لو جمع كرم
العالم بحيث لم يبق احد الا معه انواع الاكرام واصناف الاحترام
فهو عند ذرة كرم الله تعالى وانعامه واحسانه على عباده ليس بذرة
الذرات مع ان العباد وعمله من مخلوقاته تعالى فانه تعالى وعد فى كتابه
العزيز بالعفو والمغفرة وقال ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور
الرحيم واكد وعلق بسبعة اشياء فلا يبعد ان يغفر جميع المؤمنين
وانيا وعلى ان شاء اذ لا مانع لعطائه مع انه تبارك اعطى لحبيبه
امته جميعا فانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا معقب لحكمه
وهو الكبير المتعال يرحم المخلوقات فى الدنيا برحمة واحدة وتسع
وتسعون تلبوم القيمة فانظر ثمرة الرحمة الواحدة فى الدنيا كيف كان
عبادة العابدين وكرامة الاولياء ومعجزات الانبياء واكرام المكرمين

واحسان المحسنين وصدقة الصادقين وضيافة المضيفين وغرسها
وقس عليها ثمرات الباقية من تسع وتسعين فالحمد لله حمدا يوافي نعمه
ويكافي مزيده وروى عن انس رضه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخرج من النار من قال لا اله الا الله محمد رسول الله وكان في قلبه
من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله محمد
رسول الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار
من قال لا اله الا الله محمد رسول الله وكان في قلبه ما يزن ذرة
رواه البخاري وزاد في رواية قتادة عن انس رضه من ايمان مكان خير
قوله وكان في قلبه من الخير المراد به حصة المؤمن من الرغبة والرهبة
الباعثة له على العمل في الدنيا من الخير ما يزن ذرة هذا مثل من الضرب
في معرفة مقدار شيء من القلة وليس المراد الوزن المعروف على رواية
دون رواية وروى عن ابن عباس رضه انه قال لما خلق الله تعالى
العرش وهو اعظم مخلوق فاضطرب اربعة وعشرين الف عام فاظهره الله
تعالى عليه اربعة وعشرين حرفا وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله
فسكن العرش اربعة وعشرين الف عام حتى خلق الله اول الخلقة وامره
بالتوحيد فقال لا اله الا الله محمد رسول الله اضطربت العرش فقال الله
تعالى اسكن فقال لا حتى تغفر لقائلها فقال الله تعالى اني آليت اي اقسمت
على نفسي قبل ان اخلقك بالفي عام ان لا اجريتها على لسان عبد
من عبادي بصدق عن قلبه الا غفرت له ويؤيده ما روى عن ابي
هريرة رضه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الله تبارك وتعالى
عمودا من نور بين يدي العرش فاذا قال العبد لا اله الا الله محمد رسول الله
بقلب خالص اهتز ذلك العمود فيقول الله تبارك وتعالى اسكن
فيقول كيف اسكن ولم تغفر لقائلها فيقول الله تعالى اني قد غفرت له

فسكن

قصة [illegible] دحية الكلبي [illegible] الاسلام

فسكن عند ذلك رواه البزار وقال حديث حسن وحكي عن ابي بكر الصديق
رضه ان اميرا من امراء العرب يقال له دحية الكلبي كان ملكا كافرا
من العرب واشجع امرائه وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحب
اسلامه لان قومه كثيرون من اهل بيته وكانوا يسلمون ان اسلم فلما
اراد دحية الاسلام اوحى الله تعالى الى رسوله بعد صلوة الفجر يا محمد
اني قد قذفت نور الايمان على قلب دحية فهو يدخل عليك الآن
فلما دخل دحية المسجد رفع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رداءه على
ظهره وبسط على الارض واشار دحية على ردائه فلما رأى كرم النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بكى دحية ورفع رداءه وقبله ووضعه
على رأسه فقال يا رسول الله اعرض علي الاسلام فقال النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قل لا اله الا الله محمد رسول الله فلما قال واسلم وبكى
بكاء شديدا فتعجب الاصحاب فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لم تبكي ولمحبتك الاسلام ولامر آخر قال يا رسول الله انما ابكي
لامر عظيم وزجر شنيع فقال يا رسول الله انعم فيخرج مني وعزتي
وشوكتي بين الامراء فاني قتلت سبعين بنتا من بناتي قتلا حراما
لئلا يقال فلان صهر دحية فقال يا رسول الله اتصدق بمالي
او اذبح نفسي او مواشي من الابل والخيل والبقر والغنم جميعا كفارة
لذلك الذنوب فسكت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فنزل جبريل فقال
يا رسول الله لما قال دحية خالصا لا اله الا الله محمد رسول الله
غفر له ما سبق من ذنوبه جميعا كبيرة كانت او صغيرة عمدا كانت
او سهوا لان الحسنات يذهبن السيئات ولان الله تعالى يغفر الذنوب
جميعا فضلا عن قوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات كذا
في زبدة القلوب وروى عن انس رضه انه قال قال رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم ما من عبد قال لا اله الا الله محمد رسول الله مخلصاً من
قلبه في ساعة من ليل ونهار الا طمست ما في الصحيفة من السيئات
حتى تسكن الى مثلها من الحسنات رواه ابو يعلى قوله طمست اي محيت
وروي عن ابي ذر رضي انه قال قلت يا رسول الله علمني عملاً يقربني
الى الجنة ويباعدني من النار قال اذا فعلت سيئة فاتبعها حسنة
قلت أمن الحسنات قول لا اله الا الله قال نعم من احسن الحسنات
كذا في حيوة القلوب رح وقد روي عن وهب بن منبه رضي انه قال
ان لله اربعة آلاف اسماً الفاً يعلمه اسرافيل والفاً يعلمه ميكائيل والفاً
يعلمه جبرائيل والفاً في الكتب المنزلة ثلثمائة في التورية وثلثمائة
في الانجيل وثلثمائة في الزبور ومائة الا واحدة في القرآن واذا قال
العبد لا اله الا الله فقد ذكر الله بجميع اسمائه كذا في حيوة القلوب
رح وروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال يخرج من النار
رجل من هذه الامة بعد سبعة آلاف سنة فيصيح بعد اربعة آلاف
سنة يا الله الف سنة ثم يصيح الف سنة يا حنان يا منان ثم يصيح
الف سنة يا حي يا قيوم فيقول الله تعالى يا مالك ان عبدي فلاناً
يدعوني من قعر جهنم هل تعرف مكانه فقال لا فيقول الله تعالى
انه في الوادي الفلاني من قعر جهنم وفي ذلك الوادي بئر وفي ذلك
البئر صندوق وهو فيه قدمه الي فيصيح مالك الى النار فتاكل
بعضها بعضاً من هيبته فاخرجه من وقد النار واشتعل النار
باعضائه ويقول يا شقي ان الله عز وجل يدعوك فيقول لمالك
اي العذاب اشد في جهنم فقال السعير والسقر فيقول يا مالك
اجعلني نصفين فالق نصفي السعير ونصفي السقر ولا تقدمني
بين يدي الله تعالى فيقول يا مالك لا بد من ذلك وهو يرتعد كالسمك

فضيلة كلمة التوحيد

في الشبكة

في الشبكة فيقدم بين يدي الله تعالى فيقول الله تعالى يا عبدي الم اخلق لك
سمعاً وبصراً فيعرق حياء من الله تعالى من قرنه الى قدميه فيقول يا رب
ما كان ظني بك هذا فيقول الله تعالى ما ظنك قال ظني ان تخرجني من النار
ولا تعيدني اليها فيقول الله تعالى صدق عبدي هل تدري لم اخرجتك
من النار فيقول لا يا رب فيقول الله تعالى انك قلت في يوم كذا لا اله
الا الله محمد رسول الله فاليوم اخرجتك من النار لاجل ذلك فيقول الله
تعالى ادخلوه الجنة فيقول يا رب ان الجنة قسمها انبياؤك واولياؤك
فلا اجد المكان فيقول الله تعالى ان لك في الجنة مثل ما طلعت عليه الشمس
عشرة بسبع مرات قال الراوي فيغسل في نهر يقال له نهر الحيوان فيخرج
وجهه كالقمر ليلة البدر فيتمنى اهل النار من الكفرة والفجرة ان يقولوا مرة
واحدة لا اله الا الله محمد رسول الله حتى ينجوا من العذاب وحكي عن ابي حفص
الكبير رح انه قال كان للنبي جار يهودي وله ابن شاب كثير الدوران
حول النبي واصحابه فغاب يوماً فاستخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من حاله
فقيل له انه قد مرض فقال النبي عليه الصلوة والسلام ان له علينا حق
الجار تعالوا حتى نعوده فاجتمع الصحابة ودخلوه مع النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فاذن الشاب قائم على فراشه وهو سكرات الموت فعرض النبي
صلعم الشهادتين فكان الشاب ينظر الى ابيه فقال له ابوه ان شئت
فقل ما يلقنك فحول الشاب وجهه الى القبلة وقال بالخلوص اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً عبده ورسوله ففارقت روحه
عن جسده فاخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في تجهيزه وتكفينه
وامر بحمل جنازته الى مقابر المسلمين وشيع جنازته وكان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم يمشي على اصابع رجليه فسئل عن ذلك فقال نزلت الملائكة
من السماء الى الارض لتشييع جنازة هذا الفتى حتى لا اجد مكاناً اضع

حكاية ابي حفص الكبير

اسلام غلام اليهود وسعادته

قدمى على الارض لكثرتهم فقيل لم ذلك فقال لانه قال فى آخر عمره مرة
واحدة لا آله الا الله محمد رسول الله مخلصًا من قلبه كذا فى حيوة القلوب
رح وروى عن ابى هريره رضى انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم حضر ملك الموت رجلًا فنظر فى كل عضو من اعضائه فلم يجد له حسنة
ثم شق عن قلبه فلم يجد شيئًا ثم فك عن لحيته فوجد طرف لسانه يقول
لا آله الا الله فقال وجبت لك الجنة بقولك رواه ابو منصور الديلمى
رح وحكى عن ابى حفص الكبير رح انه قال سمعت الامام الاستاد
ابى الحسن على الترسى رح انه قال كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جالسًا
فى مسجده واصحابه حوله فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل الآن
علينا رجل طعامه كطعام الابل فاذن دخل رجل صغير الجسم نحيف البدن
فقال يا رسول الله اعرض على الاسلام فعرض عليه فاسلم فخرج فلم يلبث
ساعة حتى قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قوموا الى جنازة ذلك الرجل
فقيل له ماذا اصابه فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عثرت اى سقطت
ناقته وقضى عليه فقام فى تجهيزه وتكفينه وصلى عليه ودخل النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم قبره ليدفنه بيده الشريفة فلما خرج من قبره
فاذا هو اصفر وتخرق طرف ردائه فقيل له فى ذلك فقال حين دخلت
القبر رأيت فيه بابًا مفتوحًا من الجنة والحور يستقبل مع كل واحد
منهن غرائب من تحفة الجنة والهدايا وتقول كل واحد لى ادع الله
ان يجعلنى من خدمه فحين اردت الخروج فاذا واحد عدت واخذت
بطرف ردائى فخرقته فقيل بم بلغ هذه المنزلة من الله تعالى فقال النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله مرة واحدة لا آله الا الله محمد رسول الله
مخلصًا من قلبه كذا فى حيوة القلوب رح كما قال الله فى سورة ابراهيم
فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل انا لننصر رسلنا وكتب الله

لاغلبن

لاغلبن انا ورسلى واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثانى
ايذانًا بانه تعالى لا يخلف الوعد اصلًا لاضافة المخلف المنفى الى الوعد
فاذا لم يخلف وعد احدًا فكيف يخلف رسله لقوله تعالى فى آية اخرى
ان الله لا يخلف الميعاد فى نزول العذاب بكفار مكة سواء عجلوا به ولم
يعجلوا فليس من شأنه خلاف الوعد احدًا من الآحاد وفردًا من الافراد
فكيف يتصور خلفه للذينهم خير الانام واضافه مخلف الى الوعد من
قبيل الاتساع ان الله عزيز اى غالب على اعدائه لا يماكره احد ولا يدفعه
فرد ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض انما ظرف لانتقام
او بدل من يوم يأتيهم او نصب باذكر مقدرة ولا يجوز ان ينتصب بمخلف
لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده اى اذكر يا محمد يوم تغير الارض غير
الارض اى بغيرها وهو ارض جديدة لم تكن عليها بنو آدم بيضاء نقية
لم يعمل منها الفساد والمعاصى وتكون من فضة خالصة وهى كالصحائف
وقيل تبدل بخبزة بيضاء فيأكل المؤمنون من تحت اقدامهم حتى يفرغ
عن الحساب لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم تكون الارض يومئذ خبزة واحدة
يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفؤ احدكم خبزته فى السفر نزلًا لاهل الجنة
كذا فى عيون التفاسير لشهاب الدين السواسى عليه رحمة الهادى فلا يلزم
من التبدل الاول ان يكون الحاصل ارضًا وسماء ومن الثانى ان لا يكون
الارض نارًا والسموات الجنة على ما اشعر به قوله كلا ان كتاب الابرار
لفى عليين وقوله ان كتاب الفجار لفى سجين لقرينة قوله نزلًا لاهل الجنة
فالتبديل اما فى الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله
تعالى بدلناهم جلودًا غيرها واما التبديل من صفة الى الصفة ومن هيئة
الى هيئة وهو تسيير جبالها وتسوية اوديتها وقطع اشجارها وجعلها
قاعًا صفصفًا كقولك بدلت الحلقة خاتمًا اذا اذبتها وغيرت شكلها

وعليه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ولا ية تحتملها
وقال الامام ابو منصور الماتريدي في التاويلات يحتمل تبديل اهلها
فعلى هذا في الاية تجوز الاولية من ذكر الظرف وارادة المظروف
من قبيل واسئل القرية اي تبدل اهلها ان يكون كلهم خاضعين ه
مستسلمين في ذلك اليوم وان كانوا في الدنيا من الكافرين المتكبرين
فالاولياء يكونون في النعيم المقيم واعداء الله في العذاب الاليم
والعقاب المقيم والسموات غير السموات اي تبدل بسماء جديدة من
ذهب بلا شمس وقمر وسائر النيرات وهذا من تغيير الذات وقيل تبدل
حالها وصفتها ايضا بتكوير شمسها وخسوف قمرها وانتثار نجومها
وكونها مرة كالدهان اي كالاديم الاحمر ومرة كالمهل اي كالصفر
والنحاس المذاب وانشقاقها وكونها ابوابا ومطوية كالسجل وقيل
جعلت الارض نيرانا والسموات جنانا لما روي عن علي رض تبدل
ارضا من فضة وتبدل السموات بذهب وعن ابن مسعود رض والارض
من يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطى عليها احد خطيئة وروي
عن سهل بن سعد رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحشر
الناس يوم القيمة على ارض بيضاء كقرصة النقي ليس فيها علم لاحد
رواه البغوي في المعالم رح وعن ابن عباس رض هي تلك الارض
وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة رض انه قال
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال تبدل الارض غير الارض فتبسط
وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا وبرزوا اي خرجوا
من اجداثهم وقبورهم لله الواحد القهار اي لمحاسبته ومجازاته
وتوصيفه بالوصفين بالوحدة والقهر للدلالة على ان الامر في غاية
الصعوبة والشدة لان الملك اذا كان لمالك واحد غلاب قهار فلا مره

لقوله تعالى ان كتاب الابرار لفي عليين وان كتاب الفجار لفي سجين صح

فلا استغاث

فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار عن عذابه وعقابه وترى المجرمين
اي المشركين من رؤية العين يومئذ مقرنين في الاصفاد اي مسدودين
اي في القيود جمع صفد وهو القيد متعلق بمقرنين او حال من ضميره
وقال الراغب الصفد والصفاد الغل وجمعه اصفاد وفي الصحاح الصفاد
ما يصفد به من قيد وغل ويوثق به الى قرن بعضهم مع بعض بحسب
مشاركتهم في العقايد والاعمال وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان الكفرة
قرنوا بالشياطين وبالاغلال والسلاسل على ايديهم وارجلهم الى
الرقاب فترموهم الى النار والمومنين قرنوا بالحور العين لقوله تعالى
واذا النفوس زوجت اي على ما يقتضي حالهم من الاعانة الموهوبة
الموعودة لكل الفريقين من السعداء والاشقياء فكل نفس بما كسبت
رهينة ترى ذرة الخير وذرة الشر سرابيلهم جمع سربال وهو القميص
من قطران فيه ثلث لغات فتح القاف مع كسر الطاء وسكونها وكسر
القاف مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من الابهل وهو شجرة فيطبخ
فيهنا به الابل الجرب فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل
فيه النار بسرعة فيطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه كالقميص
ليجتمع عليهم لذع القطران وحراقته ووحشة لونه ونتن ريحه مع
اسراع النار في جلودهم فتضطرم عليهم نارا لان من شانه ان يسرع به
اشتعال النار وروي عن يعقوب قراءة قطران والقطر النحاس
والصفر المذاب والاني المتناهي حره فحذف الياء اكتفاء بالكسر
والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين وانما جيء بها جملة
اسمية لان سرابيل القطران الجامعة الاذى والالم والعذاب الشديد
افظع من الصفد واما تغشى فلتجديد الاستحضار المقصود في قوله
وترى لان الثاني اهول والاول في بيان حالهم في الموقف الى ان يكبتهم

فى النار والآخرين لبيان حالهم بعد دخولها وانما اوثر الفعل المضارع
فى قوله وتغشى اى تعلو وتتغشى لانهم لم يتوجهوا الى الحق ولم يستعملوا
فى تدبره مشاعرهم وجوههم النار لاستحضار الحال وتجدد الغشيان
حالا فحالا وانما تتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا
فى التدبر مشاعرهم وحواسهم التى خلقت فيها لاجله كما تطلع النار
على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره
قوله تعالى افمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله تعالى يوم
يسحبون فى النار على وجوههم ليجزى الله اللام فيه لام كى متعلق
بقوله وبرزوا اى الحكمة الالهية من الابراز ليعاقب الله كل نفس
مجرمة غافلة اسيرة فى ايدى الشياطين ولم تتفكر عاقبة الامر
ولم تقارن على الامر الاوجر ولم تبال حاله ومآله ما كسبت من خير
وشر لانه اذا تبين ان المجرمين معاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين
يثابون لطاعتهم وانما حصل هذا المعنى بالتعلق الى البروز وانما اذا
قدر للمتعلق بقولنا وانما يفعل ذلك بهم فالجزاء ينحصر على الشر
دون الخير فالسلامة اولى من المحذوف بشهادة اضافة لفظ كل
نكرة الى نكرة استغراقية ودعاء ابراهيم صلوات الله على نبينا وعليه
لنفسه وذرياته والمؤمنين بالمغفرة يوم يقوم الحساب قبل هذه
آية العزيزة ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله تأمله ولا تتبع
ولا حساب عن حساب فاذا حاسب فمحاسبته سريع برى عن التراحم
تعالى لما يريد فيفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد روى عن عبد الله بن
حرث رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان فى النار
حيات كامثال البخت تلسع احديهن لسعة فيجد حموتها اى حرها
سبعين خريفا اى سنة وان فى النار عقارب كامثال البغال

الموكفة

الموكفة تلسع احديهن لسعة فيجد حموتها اربعين سنة رواه احمد
والطبرانى وروى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى
جوفه فيسلت اى يأخذ ما فى جوفه حتى يمرق اى يخرج من قدميه وهو
الصهر وهو الذى يذاب به ويراد منه فى قوله تعالى يصهر به اى يذاب
ما فى بطونهم من الامعاء والاحشاء وقرئ بالتشديد والجلود
بالرفع عطف على ما انما لمراعاة الفواصل وللاشعار لغاية شدة
الحرارة بالايهام ان تأثيرها اثرها فى الباطن اقدم من تأثيرها فى الظاهر
مع انه ملابستها على العكس والجملة حال من الحميم ثم يعاد كما كان
رواه الترمذى والبيهقى رحمهما وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص
رضى لو ان من اهل النار اخرج الى الدنيا لمات اهل الدنيا وحشة منظره
ونتن ريحه قال بكى عبد الله بكاء شديدا رواه ابن الدنيا وروى
عن ابى سعيد الخدرى رضى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال
ان مقمعا من حديد وضع فى الارض فاجتمع له الثقلان ما اقلوه
من الارض رواه احمد وابو يعلى والحاكم رح وفى رواية احمد وابى يعلى
قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لو ضرب الجبل بمقمع من حديد جهنم
لتفتت ثم عاد رواه احمد فى مسنده قوله بمقمع اى بمطرقة وقيل
بسوط من حديد جهنم وروى عن الحسن البصرى رح انه قال قال عتبة
بن غزوان رض على منبرنا هذا يعنى منبر البصرة عن النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم انه قال ان الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فيهوى
فيها سبعين عاما وما تفضى الى قرارها قال وكان عمر يقول اكثروا
ذكر النار فان حرها شديد وان قعرها بعيد وان مقامعها حديد
رواه مسلم والترمذى وروى عن انس بن مالك رضى انه قال قال رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يتلو هذه الاية من قوله عز وجل يوم تبدل الارض غير الارض والسموات الخ قلت يا جبريل كيف يكون الناس يوم القيمة قال يا رسول الله يكون على ارض بيضاء لم يعمل عليها ذنب قط ثم يؤتى بجهنم يوم القيمة من تحت الارضين السابعة وحولها سبعون الف صف من الملائكة كل صف سبعون الف ملك ولها اربعة قوايم كل قائمة منها مسيرة الف عام وله ثلثون الف راس على كل راس سبعون الف زمام يتعلق بسبعون الف ملك يجرون بازمامها الى المحشر فتزفر زفرة اى صاحت صيحة كاول نهيق الحمار يسمعه اهل المحشر من خمسماة عام يتعلق الملئكة بالعرش كل ملك يقول يا رب لا اسئلك الا نفسى وتكون الجبال كالعهن المنفوش قلت يا جبريل ما العهن المنفوش قال الصوف المندوب اى المحلوج وتذوب الجبال من مخافة جهنم وحرها وترى كل امة جاثية على ركبتهم يقول نفسى نفسى الا محمدا يقول امتى امتى حتى توقف بين يدى الله تعالى فيقول الله تعالى لها يا جهنم تكلمى فتقول لا اله الا الله وعزتك لانتقمن اليوم ممن اكل رزقك وعبد غيرك لا يجاوزنى الا من عنده جواز قلت يا جبريل ما الجواز يوم القيمة قال ابشر يا رسول الله فان امتك على الجواز الا من شهد ان لا اله الا الله محمد رسول الله جاز عن جسر جهنم فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله الذى الهم امتى شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله كذا فى حيوة القلوب وحكى اذا كان يوم القيمة يتعلق ابليس بعاص من العصاة فيقول الشيطان انك من شيعتى وممن تبعنى فجره الى النار فقال الرب تعالى انى سمعت منه بالابتداء اى من عهد الميثاق الاقرار بربوبيتى حتى قلت الست بربكم قالوا بلى والانبياء عليهم الصلوات يسمعون منه

التوحيد حين دعوه فى الدنيا والملائكة يسمعون منه التوحيد حين نفخ الروح فى الابتداء منه التوحيد وفى الوسط التوحيد وفى الانتهاء التوحيد فمعصيته وقعة بينهما لا تغلب على توحيده اذهب يا ملعون اذهب ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك بالكلية بعبادة الاوثان والاصنام ونسينى فانه وحدنى فلا ييئسنى فلا سلطان لك عليه كذا فى حيوة القلوب اعلموا ايها الاخوان ان ربنا الغفور رحيم وهذا الستر من اسرار قوله عز وجل ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم لانه تعالى قال واخبر ابتداء المغفرة بجميع الذنوب الوفيرة والعيوب الكثيرة مع المؤكدات الظاهرة بقوله العزيز ان الله بالنون المؤكدة واظهار اسم الجلال المستجمع بجميع الصفات الجميلة من انواع العفو والمغفرة بجميع المؤمنين من غير تفريق فرد منهم وتصريح اسم المغفرة وهى الستر والمحو من ديوان الملائكة ومكاتبهم واذا كشفوا الاظهار وبما عملوا بين الانبياء عليهم الصلوات التامات الموعودة والسلامات العامات المشهودة وبين المخلوقات الغير المعدودة للافتخار يوم الجزاء فلم يجد واما كتبوا او فهموا عفو ذنوب العبيد فهذا اعلى الكرم من الله العلى العظيم والغفور الرحيم الهى اجعلنا من زمرة المتقين الموعودين واتيان صفة جمع التكثير بقوله الذنوب وهو فى اصح الاقوال يطلق على ما فوق جمع القلة المستعملة الى العشرة واوزان القلة مضبوطة بالاربع على الاتفاق وهى وزن افعل وافعال وفعلة وافعلة وزاد ابن الحاجب المالكى المدفون فى بلدة اسكندرية مع الامام الجلى الطمطرانى صاحب التفسير الغير المنقوط وهو زاد الوزنين فى كتاب الكافية وهما الفاعلون والفاعلات فهذه الاوزان محدودة دون اوزان جمع الكثرة فانها غير معلومة ومحدودة حتى عجز الحذاق عن التعداد لوفورهم

الى الاوزان بعد التحديد الى ثلثماءة او الف او غيرهما فقالوا علمها عند الله
العليم القدير وبيانه سبحانه بصيغة المبالغة بالغفور الرحيم
مع انه لا حد ولا نهاية لذاته تعالى وعلمه وعطائه خاصة اذا بالغ بعظمته
واحسانه بالعطاء وايتانهما باللام المفيدة للاستغراق وباتيانها ثالثا
بالنون المشددة المؤكدة بعد التوكيد وفصله بضمير الفصل بين المسند
والمسند اليه وهو الدال على القصر والحصر قصر الصفة على الموصوف وفي هذا
المقام تجوز اولى من الملزوم الى المعاني اللازمة فكانه تبارك يا عبادي
لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون كبيرة كانت او صغيرة دون
الشرك والكفر تسلية لعباده المحزونين المغمومين بان قولهم ذنوبي
كثيرة وعيوبي وفيرة فلو عاملني ربي بمعاملة العدالة فكيف حالي
ومآلي فكانه قال له عبدي ذنوبك بالنسبة اليك وان كانت كثيرة
لكنها بالنسبة الى بحر رحمتي ليست قطرة وسعت رحمتي كل شيء وذنوبك
داخلة في كل شيء المحاط بالرحمة وانه تعالى اكد كما قلنا آنفا قوله العزيز
بان المؤكدة المحققة ثانيا وثالثا بضمير الفصل بين اسم ان وخبره
وهو للتاكيد عند اهل المعاني ورابعا بصيغة المبالغة في التاكيد
والتحقيق وخامسا ايتان المسند معرفا وسادسا التوصيف بمبالغة
المبالغة المخصوصة للمؤمنين الذين ذكروا الله ذكرا كثيرا وامتثلوا
باوامره وانتهوا بنواهيه ولم ينسوه ابدا واقعا في مصداق قوله
العزيز فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وروى عن ابي
سعيد الخدري رض انه قال جاء رجل من خضاعة الى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد شهدت ان لا اله الا الله
وانك رسول الله وصليت الخمس وحججت البيت وصمت الشهر واديت
الزكوة فما انا يا رسول الله اذا مت على هذا فقال النبي صلى الله تعالى عليه

وسلم

بحث فضيلة الصلوات

وسلم من مات على هذا كان من الصديقين والشهداء الفصل
السادس عشر في محبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وثواب الصلوات
والتحيات كما قال الله في سورة الاحزاب ان الله وملائكته وقرئ
وملائكته بالرفع عطفا على محل اسم ان عند الكوفيين وحملا على
حذف الخبر ثقة بدلالة ما بعده عليه على رأي البصريين وان كان
مغايرا بين الخبرين يصلون على النبي لان اختلاف صفة المباني
يدل على اختلاف المعاني فح قوله يصلون يكون خبرا عن الملائكة
بحذف الخبر عن المعطوف عليه واما على قراءة النصب في ملائكته
يكون خبرا عن الله وملائكته كليهما بالعدد المشترك يعني ما
اسند الى الله تعالى من الرحمة والى الملائكة من الاستغفار والاسترقاع
والى المؤمنين من التضرع والابتهال الى الله تعالى في اللغة بان يعلوا
شريعته فمن آمن وعمل بمقتضاها يرفع درجته في الملاء الاعلى
والادنى سماويا وارضيا عرشيا او كرسيا او فرشيا سواء كان
ماثورا بغير الصلوات ام لا فالاضافة للتشريف والادنى الملابسة
مع افادته الاستغراق من غير استثناء اي يعتنون باظهار شرفه
وتعظيم شانه قيل الصلوة من الله تعالى الرحمة ومن الملائكة
الاستغفار ومن المؤمنين الدعاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما اراد ان الله
تعالى يرحمه والملائكة تستغفرونه والمؤمنين يدعون له ويتبركونه
وقال ابو العالية صلوات الله تعالى عليه ثناؤه عليه عند الملائكة
وصلاتهم استغفارهم وصلاة المؤمنين دعاؤهم له فينبغي
ان يراد بها في يصلون معنى مجازي عام ليكون كل واحد من المعاني
المذكورة المفهومة من المباني فردا حقيقيا له اي يعتنون بما فيه
خيره وصلاحه في الامر ويهتمون باظهار شرفه وتعظيم شانه وذلك

من الله سبحانه بالرحمة تجوزاً ومن الملائكة والمؤمنين بالدعاء والاستغفار
يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا انتم بذلك فانكم اولى به بكمال
الانتساب اليه بالحيثية المخصوصة فانكم امته وهو في منزلة الاب
الرحيم للامة كما ان الابن يدعو لابيه حمداً لله المتعال وشكراً بمقابلة
النعم الدائمة في الدنيا والآخرة اذ الانبياء صلوات الله وسلامه على نبينا
وعليه ابو امته وهو لا يرضى الا عمن اتصف بالسنة السنية فلذا
عطف عليه قوله وسلموا اي اخضعوا له خضوعاً وأتمروا بما امركم
خصوصاً ممتازاً عن الغير ليسلمكم الله تعالى عن اهوال الدارين ولتنالوا
عما قصدتم من السعادات في الكونين تسليماً بالخضوع والخشوع
مع انواع الاكرام واصناف الاحترام اذ الكل مجزي بما لديه عند ربه
وقيل قولوا اللهم على محمد وعلى آل محمد وسلم وحيوه بتحية وروي
عن الحسن رض لما نزلت هذه الآية قالت الصحابة رضي الله عنهم فما لنا يا رسول الله
فانزل الله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته اه قال العلامة الامام
القشيري رح في تفسيره انه سبحانه وتعالى اراد ان يكون للامة المرحومة
عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انتساب دعوة ويدعو ضمنه كما انه عليه
الصلوة والسلام يذبهم بالشفاعة العظمى والكرامة الكبرى فامرهم
بالصلوة والسلام عليه ثم كافيهم بما لديه كما اشار اليه بما روي
عن انس بن مالك رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يا ايها الناس ان انجاكم يوم القيمة من اهوالها ومواطنها اكثركم
على صلوة في دار الدنيا رواه ابو منصور الديلمي رح والآية العزيزة
دليل على وجوب الصلوة والسلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم
مطلقاً من غير تعرض لوجوب التكرار وعدمه وقيل يجب ذلك
كلما جرى ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم كما ذهب اليه الامام الطحاوي

الرحمة للامة

ولثناء الله رح لما روي عن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي رواه الترمذي
قوله رغم انف رجل اي لحقه ذل وحقارة في الدارين وفيه تخويف
عظيم لمن ترك بحيث دعى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على من سمع اسمه
الشريف ولم يصل عليه ودعاؤه مستجابة بلا شك فالاجتناب عنه
لازم ولما روي عن عبد الله بن جراد رض انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم نادى جبريل من تلقاء العرش فقال يا محمد الرحمن عز وجل
يقول لك من ذكرت بين يديه فلم يصل عليك دخل النار رواه صاحب
الفردوس وروي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من سره ان يلقى الله غداً راضياً فليكثر الصلوة علي
رواه ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس وروي عن انس رض
بن مالك رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان
يوم القيمة جاء اصحاب الحديث بايديهم المحابر جمع محبرة يقال له دويت
فيأمر الله تعالى جبريل ان يأتيهم فيسألهم فيقولون نحن اصحاب الحديث
فيقول الله تعالى لهم ادخلوا الجنة فقد طال ما كنتم تصلون على نبي
رواه صاحب الفردوس وابو منصور رح وحكي ان وهب بن
منبه رح انه قال مكتوب على العرش بارادة الله تعالى ولطفه من اذنب
ذنباً فلا يغفر له الا بالصلوة والسلام عليه ومن عمل حسنة فلا تقبل
منها الا بالصلوة والسلام عليه ويقال ان بعض الصالحين نسي
الصلوة والسلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في التشهد فغلبت
عيناه فرأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام فقال صلى الله
تعالى عليه وسلم نسيتنا بالصلوة علينا فقال يا رسول الله اشتغلت
ثناء الله ونسيت الصلوة عليك فقال عليه الصلوة والسلام ما علمت

ان العبادة لا تصل الى ربنا الا بالصلوة والسلام علينا ويؤيده ما في الاخبار ان الدعاء والعمل محبوسان بين السماء والارض لا يصعد منهما شيء الى رب العزة حتى يصلى علي كذا في حيوة القلوب وروى عن ابن مسعود رضه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم علي صلوة رواه الترمذي وروى الامام ابو محمد بن عبد الله بن فضل رح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا في المسجد فدخل عليه شاب فقام اليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاجلسه الى جنبه اعلى من ابي بكر الصديق رض وحسب النبي ابا بكر رض تاذى منه بذلك فاعتذر اليه فقال يا ابا بكر انا اجلسته اعلى منك لانه ليس في الدنيا احد يصلي علي اكثر منه فانه يقول كل غداة وعشي اللهم صل على محمد بعدد من صلى عليه اللهم صل على محمد بعدد من لم يصل عليه اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما امرتنا بالصلوة والسلام عليه اللهم صل على محمد كما ينبغي الصلوة والسلام عليه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما تحب ان يصلى ويسلم عليه فلذلك اجلسته اعلى منك يا ابا بكر كذا في حيوة القلوب وحكي ان ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله على نبينا وعليه راى الجنة في منامه عرضها كعرض السموات والارض فيها اشجار من نور واوراقها من نور واثمارها من نور وفي كل ورقة مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله امة مذنبة ورب غفور فقال ابراهيم صلوات الله على نبينا وعليه يا رب لمن هذه قال الله تعالى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته فقال يا رب اجعل لي منها نصيبا فقال الله تعالى يا ابراهيم ان اردت ان يجعل منها لك نصيبا فاكثر من الصلوة والسلام على محمد فانه لا نصيب منها الا لمن يصلي عليه كثيرا كذا في حيوة القلوب وروى عن انس بن مالك رضه قال قال

رسول الله

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زينوا مجالسكم بالصلوة والسلام علي فان صلوتكم وسلامكم علي نور لكم يوم القيمة رواه صاحب الفردوس وروى عن ابي كاهل رضه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا ابا كاهل من صلى علي كل يوم ثلث مرات وكل ليلة ثلث مرات حبا لي وشوقا الي كان حقا على الله ان يغفر له ذنوب تلك الليلة وذنوب ذلك اليوم رواه الطبراني وابن ابي عاصم رح وقال الطبراني في رواية ذنوب حول وروى عن انس بن مالك رضه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قال العبد اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم خلق الله تعالى من تلك الكلمة ملكا له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورجلاه في تخوم الارضين ورأسه تحت العرش فيقول الله تعالى له صل على عبدي كما صلى على حبيبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهو يصلي عليه الى يوم القيمة رواه صاحب الفردوس وابنه منصور الديلمي في مسند الفردوس رح ويؤيده ما روى عن ابي هريرة رضه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اسري بي في السماء دخلت في الجنة على رضوان رضى فقام فاخذ بيدي فجلس عندي عندي ورأيت في الجنة شجرة عظيمة وعلى رأسها طيور ومن تحتها عين فسألت الرضوان عن تلك الشجرة والطير والعين فقال يا محمد هذه شجرة اسمها التحية وعلى رأسها طير اسمها طير الصلوات ومن تحتها عين اسمها عين الطيبات فاذا قال العبد اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم مخلصا من قلبه اسمع الله ذلك الطير فينزل من تلك الشجرة فيغمس في العين ثم يخرج فينفض جناحيه فتقطر من كل جناح سبعون قطرة فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا يسبحون له ويهللون له الى يوم القيمة فكان ثواب ذلك

التسبيح والتهليل لذلك العبد المصلى كذا فى حيوة القلوب رح وروى
عن ابى هريرة رض ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اعطيت خمسا
لم يعطهن احد قبلى وفى رواية عنه فضلت على الانبياء بست واوتيت
جوامع الكلم ونصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت لى الغنائم ولم تحل
لاحد قبلى وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتى ادركته
الصلوة فليصل وارسلت الى الخلق وكان النبى صلى الله عليه وسلم يبعث
الى قومه وبعثت الى الناس عامة وختم بى النبيون وفى رواية عن جابر
واعطيت الشفاعة كذا فى المعالم فى تفسير تلك الرسل الخ وورد فى الخبر
من قال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم تخلص خلق الله تعالى من نفسه
غمامة بيضاء وهى تطير الى بحر الرحمة فتنزل عليها فتاخذ منها الماء ثم
تطير الى السماء فيامر الله تعالى اليها ان تمطر فامطرت مطرا فاى قطرة
تقطر على المؤمن ملاء الله فى قلبه نورا واى قطرة تقطر على الكافر
يرزقه الله تعالى بالايمان واى قطرة تقطر على وجه الارض تخرج عنها
نبات تاكل منها الدواب فكانت كلها سمينا واى قطرة تقطر فى الماء
فاذا ايشربه المؤمن يجد حلاوة الايمان واذا شربه الفاسق يرزقه الله
بالتوبة والهداية ويغفر ذنوبه وان كان اكثر من رمل عالج واى قطرة
تقطر على الدواب يرزقه الله تعالى قربانا او وليمة لوجه الله تعالى واى قطرة
تقطر على الجبال خلق الله تعالى منها معدن ركاز واى قطرة تقطر
فى البحار خلق الله تعالى منها الدر كذا فى حيوة القلوب رح وروى عن ابى
سعيد الخدرى رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ايما رجل
لم يكن عنده صدقة فليقل فى دعائه اللهم صل على محمد عبدك ورسولك
وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فانها صدقة

وقل

وقال عليه الصلوة والسلام لا يشبع مؤمن من خير حتى يكون منتهاه الجنة
رواه ابن حبان فى صحيحه وروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قال جزى الله عنا محمدا بما هو اهله
اتعب سبعين كاتبا الف صباح رواه الطبرانى فى المعجم الكبير والاوسط و
روى عن انس بن مالك رض عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
انه قال ما من عبدين متحابين فيستقبل احدهما صاحبه ويصليان
على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا لم يفترقا حتى يغفر لهما ذنوبهما
ما تقدم منها وما تاخر رواه ابو يعلى رح وحكى ابو حفص عمر بن الحسن
النيسابورى رح انه قال سمعت ان امرأة جاءت الى الحسن البصرى
رح وقالت يا استاذ قد توفيت لى ابنة فاريد ان اريها وافقا حالها
فى المنام فعلمنى شيئا حتى حصلت مرادى فقال الحسن صلى اربع ركعات
واقرئى فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وسورة الهيكم التكاثر
مرة وذلك بعد صلوة العشاء ثم اضطجعى وصلى على النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم حتى ترقدين ففعلت فرأتها فى المنام وابنتها
فى العقوبة والعذاب وعليها لباس القطران ويداها ورجلاها
مغلولة من النار وفى عنقها سلاسل من النار فلما انتبهت جاءت
الى الحسن رح فاخبرته فقال لها اذهبى وتصدقى لعل الله عز وجل
يعفو عنها فلما نام الحسن ذلك الليلة رأيها فى المنام كانه فى روضة
من رياض الجنة فرأى سريرا منصوبا وعليه جارية حسنى وعلى
رأسها تاج من نور فقالت يا حسن اتعرفنى قلت لا قالت انا ابنة
تلك المرأة التى امرتها بالصلوة فقال الحسن وصفت لى حالك
بغير هذه الحالة فقالت الجارية هى كما قالت والدتى فقال لها
الحسن بماذا بلغت هذه المنزلة قالت كنا سبعين الف نفس

في العقوبة كما وصفت والدتي فعبر واحد من الصالحين في قبورنا
وصلى على النبي مرة صلى الله تعالى عليه وسلم وجعل ثوابها لنا فاعتقنا الله
تعالى من العقوبة وبلغ نصيبي ما قد شاهد ترى بركة الصلوة والسلام
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كذا في حيوة القلوب رح وروي عن سعيد بن
عمير الانصاري رض وكان بدريا انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم من صلى علي صلوة واحدة صلى الله تعالى عليه عشر صلوات
ورفع له بها عشر درجات ومحى عنه بها عشر سيئات رواه البزار
والطبراني والنيسابوري رحمهم قوله صلى الله تعالى عشر صلوات رحمة
رحمة بتضعيف اجره بالاضعاف المضاعفة وارتفاع الدرجات
فوقها لقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي من الثواب
والدرجات وروي عن ابي طلحة رض ان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم جاء ذات يوم والسرور يرى في وجهه فقال يا رسول الله انا لنرى
السرور في وجهك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم انه جاءني جبريل
فقال يا محمد اما يرضيك ان ربك عز وجل انه لا يصلي عليك احد
من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت
عليه عشرا قال بلى رواه ابن حبان والنسائي والدارمي في مشكوة
المصابيح وروي عن انس رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم اكثروا الصلوة علي يوم الجمعة فانه اتاني جبريل آنفا عن ربه
عز وجل فقال ما على الارض من مسلم يصلي عليك مرة واحدة الا
صليت انا وملائكتي عليه عشرا رواه الطبراني وروي ابن وهب
بسنده ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صلى علي عشرا فكانما
اعتق رقبة قال اعتق الله بكل عضو منها حتى الفرج بالفرج
كما ثبت في حديث رواه ابن عاصم في كتاب الحديث وقد ورد في الخبر

ان سليمان

ان سليمان بن داود صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهما جمع الانس
والجن والسباع والوحوش والطيور يوما من الايام وجعل الانس
بين يديه والجن والسباع عن يمينه والطيور عن يساره فقال لهم
لو كانت هذه المملكة لاحدكم فتصدق بها على الفقراء والمساكين
كم يكون له من الاجر عند الله تعالى قالوا لا يعلم عدده الا الله تعالى فقال لهم
سليمان بن داود عليهما الصلوات ان الله تعالى يخرج نبيا في آخر الزمان
كان اسمه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وكان له امة اذا صلى عليه مرة
كان له افضل من ان يتصدق كل يوم هذه المملكة كذا في حيوة القلوب
رح وقد ورد في الخبر ان السماء كانت تفتخر على الارض قبل مولود النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت تقول ان العرش والكرسي والقلم واللوح
والملائكة في التسبيح والتحميد والتكبير والركوع والسجود في والشمس
والقمر والنجوم وعجايب الملكوت وغرايب الفلكوت في وانت يا ارض
خالية عن هذه الحكم الظاهرة الفلكوتية والطاعات والنعم الباهرة
الملكوتية والعبادات فالارض تنكس راسها الى ان يولد السلطان العالم
والبرهان لبني آدم فلما ولد سيد العالم ونبي الانس والجن من بني آدم
رفعت الارض راسها مفتخرة بنبي العالم كافة بشيرا ونذيرا عامة
فقالت يا سماء الغالبة علي قد ولد نبي مبارك على ظهري والعرش
والكرسي واللوح والقلم ونورهن من نوره والشمس والقمر والنجوم
والكواكب السيارة وانوارهن من نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى
ظهري بعثته ودعوته وشريعته وروضته المطهرة فسمع الله
افتخارها على السماء بحبيبه ورسوله فقال لها حيث افتخرت به
جعلت تراب شرقك وغربك طهورا له ولامته وجعلت شرقك
وغربك مساجدا له ولامته كذا في حيوة القلوب رح اقول قد ظهرت

من هذه النكتة العلية ان الارض اذا افتخرت بها صارت طهورا ومساجدا
فكيف المؤمن الموحد اذا عرف قدره عند الله وعند الناس والملئكة
والوحوش والطيور والانس والجن والاحجار والاشجار واخلص نيته واسلامه
وعمل بمقتضى شريعته وافتخر بايمانه واسلامه وتوفيقه وعزته عند الله
والملئكة والانس والجن وصلى عليه صلوات وتزين بنورها فكيف يتعزز
بعزة الدارين ويتنور بنور الكونين **وروى** عن انس بن مالك رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زينوا مجالسكم بالصلوة والسلام
على فان صلوتكم وسلامكم على نور لكم يوم القيمة **رواه** صاحب الفردوس
وحكى عن عبد الله بن مبارك من افضل الحفاظ وهو من تلاميذ الامام الاعظم
وهو موصوف بالفسق والفساد فرايته ليلة فى منامى بين يدى النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم فقلت يا نبى الله هذا العبد من الفسقة فكيف وضعت
يدك فى يده فقال قد عرفت ولكن اردت ان اشفع له من الله تعالى قلت
يا نبى الله باى وسيلة بلغ تلك المنزلة قال بكثرة الصلوة على قال عبد الله
بن مبارك فلما اصبحت اذ اتى ذلك الرجل باكيا فلما دخل على وسلم
وجلس بين يدى قال يا عبد الله بن مبارك مد يدك فقد اسلمنى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الليلة فاخذ يدى ونبهنى لاتوب على يدك
فلما تاب سئلته عن رؤياه فقال اتانى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فى هذه الليلة فاخذ بيدى فقال لى قم لاشفع لك الى ربى لاجل كثرة
صلوتك على وقت وانطلقت مع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه
الى حضرة رب العالمين وشفع الى من الحضرة فقال لى انطلق الى عبد الله بن
مبارك وخذ يده وتب من ذنوبك الكثيرة فتنبهت **كذا** فى حيوة القلوب
رح كما قال الله تعالى فى سورة الاحزاب هو الله الذى امركم بالاوامر ونهيكم
عن النواهى يصلى عليكم بالرحمة والغفران على ذنوبكم المبتعدة عن درجات

الجنان وملائكته المقربون وغيرها بالاستغفار والاهتمام بما يصلحكم
فى دنياكم وعقباكم من عقوبة النار باقامة الخيرات والحسنات
والكمالات فى الدرجات مما يستعد المؤمنين والمسلمات فى الدارين
بين الكونين والعناية بذلك مستعارة من الصلوة التى هى الشرف
والكمال لهم فلهذا اعلاه بقوله العزيز ليخرجكم من الظلمات اى من
ظلمات الكفر والمعاصى المانعة لدخول العاصى الى النور اى الى نور
العبادات والطاعات الموعودة فيهما الجنات والدرجات ومن النار
الى الجنة التى هى عين النور برحمته ودعاء ملائكته ولما كانت الملئكة
واسطة الفيض كان لهم مدخل فى الامدادات النورية الكمالية وقيل
هى الرحمة والرافة والتعطف المعنوية استعيرت من الصلوة المشتملة
على الانعطاف العائد على المريض والمرأة على ولدها ثم نقل بكثرة
الاستعمال الى الترحم والترؤف المعنويين ومنه قوله تعالى صلى الله عليك
اى ترحم وترأف ولان الملائكة وسائط الرحمة ومستجاب الدعوة
فى الاستغفار لهم نسبت الرحمة اليهم كما نسبت الى الله سبحانه على ان
الاستغفار ترحم ويؤيده قوله تعالى وكان بالمؤمنين رحيما بادخالهم
الجنة الموعودة الموروثة لهم بحيث اعتنى بصلاح امرهم واناقة قدرهم
واستعمل فى ذلك الملائكة المقربون فضلا عن غيرها **وروى** عن انس بن
مالك رضى الله عنه قال لما نزلت قوله سبحانه ان الله وملئكته يصلون
على النبى الخ **قال** ابو بكر الصديق رض ما خصك الله يا رسول الله بشرف
الا وقد اشركنا فيه فانزل الله تعالى هذه الاية تشريفا للنبى صلى الله
تعالى عليه وسلم وتسلية لاصحابه العظام خاصة للصديق الفخام
واحبابه الكرام عليهم رضوان ذى الاكرام على ذوى الاحترام **وروى**
عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

بمعنى الصلوة
بمعنى الاستغفار

من صلى على صلوةً صلى الله عليه عشراً وحطت عنه عشر خطيئات
ورفعت له عشر درجات كذا فى المصابيح قوله من صلى على عشر صلوات
اى من دعى لى بالشوق والمحبة بزيادة الشرف الذى جعلنى الله به
لايقاً ومستحقاً بكرم ودود وامر ما دام الايام والشهور والاعوام
والدهور فى الدارين بين الامثال والاقران فى الكونين فهذه الادعية
الخيرية وان كانت لاظهار المحبة واثمار المودة له صلى الله تعالى
عليه وسلم لكنها راجعة الى نفسه لانه تعالى عظمه وكرمه فى الكائنات
بالكرامات السنيات والسيادات والمعجزات فوعده وعداً بما يليق
لذاته اذ المطلوبات حاصلة لديه فلا يخلف الميعاد فمنافع الدعاء من الداعى
الا راجعة لنفسه فلذا حطت الخطيئات عنه ورفعت الدرجات له
وروى عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم انى رايت البارحة عجباً رجلا من امتى يزحف على الصراط
مرة ويحبو مرة فجائته صلوته فاخذت بيده فاقامته على الصراط
حتى جاز رواه الطبرانى والحكيم الترمذى والديلمى والحافظ ابو موسى
المدنى رحمهم الله قوله انى رايت البارحة اى اقرب ليلة مضت قوله عجباً
اى شيئاً يتعجب منه قالوا وما هو يا رسول الله قال رايت رجلا قوله
من امتى اى امة الاجابة لا امة الدعوة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم
بعث كافة للناس فدعاهم الى الاسلام جميعاً باللسان والمكاتب مع
ارسال الرسول من طرفه فالسعادة فسعد من قبل وشقى من ادبروا استكبر
فجميع الناس فى المشارق والمغارب كانوا امة الدعوة فاذا آمنوا كانوا
امة الاجابة فبينهما عموم وخصوص مطلقاً اذ الكل من امة الاجابة
دعوة وليس بالعكس قوله يزحف على الصراط مرة اى يمشى على الصراط
احياناً ولكن لا يستطيع التجاوز عنه ولا يصل الى الجنة كالريح والرعد

والبرق

والبرق كما كان لبعض المؤمنين اللهم اجعلنا من المارين كالبرق الخاطف
كما اريتنا حالنا كالبرق فى المنام مع الشفاعة للانام قوله ويحبو من حبى
اذا اراد المشى وسقط على استه كما يقال حبى الصبى على استه اذا سقط
على مقعده قوله فجاءته صلوته اى صلواته التى صلى بها على النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم بالمحبة والشوق والمودة والاشتياق مع كثرة البكاء
ورقة الالفاظ العجيبة المفيدة للمحبة والمعلمة بكون المصلى امة
صادقة ومؤمناً عاشقاً لان الكلام صفة المتكلم فاذا كان حاله كذلك
يقبلها الله ويعرضها الملائكة على النبى صلعم فيدعو له فخلق الله تعالى
منها الاجساد النورانية والاشباح الجنانية فتشفع لصاحبها يوم القيمة
لان تجسد المعانى جائز عند اهل السنة والجماعة بخلاف المعتزلة
عليهم ما يستحقون فانهم ينكرون الميزان والصراط ونالوا بما ينالون قوله
حتى جاز اى قطع الصراط ومضى الى الجنة بشفاعة الصلوات سالماً
وغانماً ومسروراً ومغفوراً وروى عن عبد الرحمن بن ابى ليلى رح
انه قال لقينى كعب بن عجرة رض انه قال الا اهدى لك هدية ان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف
نسلم عليك وكيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك
على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك
حميد مجيد رواه البخارى ومسلم رح وروى عن ابى حميد الساعدى رضى
انه قال قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد
وعلى ازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى
ازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد رواه البخارى
ومسلم وروى عن ابى مسعود رض انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان لله ملئكة سياحين فى الارض يبلغونى من امتى السلام رواه مسلم
رح وروى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم البخيل الذى ذكرت عنده فلم يصل على رواه الترمذى وقال
حديث صحيح وروى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فليقل اللهم صل على محمد النبى الامى وازواجه امهات المؤمنين
وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد رواه ابو داود
رح وروى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ما من احد يسلم على الا رد الله على روحى حتى ارد عليه السلام
رواه ابو داود والبيهقى فى الدعوات الكبيرة وحكى ابو حفص عمر بن
ابى الحسين النيسابورى رح المعروف بالسمرقندى سمعت الاستاد
رح قال سمعت ابى رحمه الله قال رجل حججت فى سنة كذا فرايت رجلا
فى الحرم لم يزل يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حيث ما كان
فى الحرم والبيت والعرفات ومنى كلها فقلت يا ايها الرجل هذه بيت
الحرام لكل مقام مقال من الادعية المتنوعة والاذكار المتفرقة
فما بالك لم تشتغل بالادعية اللائقة لكل المقام ولا بالصلوة
التى يصلى فى الاركان والمقام الا انك تصلى على النبى المختار
فى جميع مقام الادعية والاذكار فقال ذلك الرجل ان لى قصة
عظيمة وحصة فخيمة اذا قلت لك فانصفت لى واجزت بقولى
وصلواتى فقلت اخبرنى بها فقال ذلك الرجل خرجت من خراسان
ناويا الى حج البيت الحرام ومعى والدى فبلغت الكوفة فاعتل ابى
هناك وجاء اجله فتوفى فغطيت وجهه بازار فلما كشفت عن وجهه
اذا صورته كصورة الحمار فحزنت لذلك حزنا شديدا فقلت كيف
اظهره للناس فى هذا الحال وانا بعيد عن الاهل والاولاد والعيال

وقد صار

وقد صار والدى هذا بهذه الصورة فبكيت بكاء شديدا ثم نعست
ساعة عنده فرايت فى منامى كان قد دخل علينا رجل نورانى وكشف
على وجهه وقال لى ما هذا الغم العظيم والحزن الاليم فقلت كيف لا اغتم
مع هذا الحال والمحنة وابى فى هذه الصورة المكروهة فقال لى ابشر
يا فتى ان الله عز وجل قد ازال عنك هذه المحنة ورد ابيك الى احسن
الصورة قال فانطلقت الى عند ابى فاذا وجهه كبدر القمر فقلت له
من انت يا راحم الغرباء فقال انا المصطفى المختار سيد الاخيار صلى الله
تعالى عليه وسلم قال فلزمت طرف ردائه وقبلت قدامه وقلت له بحق الله
العظيم اخبرنى عن سر هذه القضية فقال وآلدك هذا اكل الربوا
ولا يجتنب عنه ومن حكم الله ان من اكل الربوا يجعل صورته كصورة
الحمار اما فى الدنيا واما فى الاخرة ولكن كان من عادة والدك
ان يصلى على كل ليلة قبل ان يضطجع مائة مرة فلما عرضت له
هذه الحالة السيئة جاء فى الملك الموكل على صلوته فاخبرنى بحاله
فسالت الله تعالى ان يدفعه فشفعنى فشفعته واعطاه صورة
احسن من صورته الاولى فاذا فهمت حالى سمعت كلامى اشتغلت
بالصلوة والسلام عليه اذ ليس الخبر كالمعاينة ولاجل هذه القضية
نويت ان امضى عمرى بالصلوة والسلام عليه سوى اوقات الفروض
من العبادات النافلة كذا فى حيوة القلوب رح ولو حلف رجل
ان يصلى عليه بافضل الصلوات فطريق البر عن هذا الحلف اذ يصلى
بهذه الصلوة وهى ان يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كلما ذكره
الذاكرون وكلما سهى عنه الغافلون هكذا صوبه الامام النووى
فى روضة الاحاديث كذا فى كتاب القول البديع للامام السخاوى
رح وروى عنه ان من اراد ان يرى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

فی المنام فلیقل اللهم صل علی محمد وعلی آل محمد کما امرتنا ان نصلی ونسلم
علیه اللهم صل علی محمد وعلی آل محمد کما هو اهله اللهم صل علی محمد
وعلی آل محمد کما تحب وترضی له فمن صلی علیه بهذه الصلوات الشریفة
عددا وترا رآه فی منامه ویزید معها اللهم صل علی روح محمد فی الارواح
اللهم صل علی جسده فی الاجساد اللهم صل علی قبر محمد فی القبور
کذا فی کتاب قول البدیع للامام السخاوی وروی عن عمر بن الخطاب
رضه قال ان الدعاء موقوف بین السماء والارض لا یصعد منها شیء
حتی تصلی علی نبیک رواه الترمذی ومشکوة المصابیح وروی عن عبد الله
بن عمرو بن عاص رضه قال من صلی علی واحدة صلی الله علیه وملئکته
سبعین صلوة رواه احمد باسناد حسن وروی عن عمار بن یاسر رضی الله
تعا عنه انه قال قال رسول الله صلی الله تعا علیه وسلم ان الله تعا وکل
بقبری ملکا اعطاه اسماع الخلایق فلا یصلی علی احد الی یوم القیمة
الا ابلغنی باسمه واسم ابیه هذا فلان بن فلان قد صلی علیک رواه
البزار وابو الشیخ بن حبان قال قال رسول الله صلی الله تعا علیه وسلم
ان لله تبارک وتعا ملکا اعطاه اسماع الخلایق فهو قائم علی قبری
اذا مت فلیس احد یصلی علی صلاة الا قال یا محمد صلی علیک فلان بن فلان
قال النبی صلی الله تعا علیه وسلم فیصلی الرب تعا وتبارک علی ذلک الرجل
بکل واحدة عشرا رواه الطبرانی فی الکبیر وروی عن انس رضه قال
قال رسول الله صلی الله تعا علیه وسلم من صلی علی فی یوم الف مرة لم یمت
حتی یری مقعده من الجنة رواه ابو حفص بن شاهین رح وروی عن
ابی الدرداء رضه قال قال رسول الله صلی الله تعا علیه وسلم اکثروا
من الصلوة علی یوم الجمعة فانه مشهود تشهده الملائکة وان احدا
لن یصلی علی الا عرضت علی صلوته حتی یفرغ منها رواه ابن ماجه باسناد

جید

جید وروی عن ابی امامة رضه قال قال رسول الله صلی الله تعا علیه
وسلم اکثروا علی من الصلوة فی کل یوم جمعة فان صلوة امتی تعرض
علی فی یوم کل جمعة فمن کان اکثرهم علی صلاة کان اقربهم منی منزلة
رواه الامام البیهقی باسناد حسن وروی عن ابی بن کعب رضه من افاضل
الاصحاب انه قال قلت یا رسول الله انی اکثر الصلوة علیک فکم
اجعل لک من صلوتی فقال ما شئت قلت الربع قال ما شئت فان زدت
فهو خیر لک قلت فالثلثین قال ما شئت فان زدت فهو خیر لک
قلت اجعل لک صلوتی کلها قال صلی الله تعا علیه وسلم اذا تکفی همک
ویکفر لک ذنبک رواه الترمذی قوله انی اکثر الصلوة علیک یعنی
ان لی ایاما وشهورا واعواما ودهورا وکم اصرف من تلک الساعات الشریفة
والازمنة البهیة فی الدعاء لک بالصلوة المأمورة وفی الحقیقة هذه
الادعیة الخیریة راجعة الی بوسیلة المحبة الیک یا رسول الله
صلوات الله وسلامه علیک فقال ما شئت کیف ترید الانتساب الی
ای الصلوة تکون بوسیلة الی المطلوب
من مراتب وسیلة المحبة قوله اذا تکفی همک یعنی ان صرفت جمیع وقات
عمرک سوی القرآن فی الی وسیلة شفاعة المغفرة ودخول الجنان العلیة
من الدرجات الرفیعة اعطی الله مرادک ومقصودک فی الدارین قوله
ویکفر لک ذنبک ای یعامل لک بالعفو والمغفرة لا بالعدل والمؤاخذة
والمحاسبة اذا الصلوات علیه وسیلة العفو والشفاعة وروی عن وهب
بن منبه رضه قال مکتوب علی العرش من اذنب فلا یغفر له الا بالصلوة
والسلام علیه صلی الله تعا علیه وسلم حتی ورد ان بعض الصالحین نسی
الصلوة والسلام علی النبی صلی الله تعا علیه وسلم بعد التشهد فغلبت
عیناه فرأی النبی صلی الله علیه وسلم فی المنام فقال نسیتنا بالصلوة
علینا فقال یا رسول الله اشتغلت ثناء الله تعا ونسیت الصلوة علیک

فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اما علمت ان العبادة لا تصل الى ربنا
الا بالصلوة علينا كما روى عن عمر بن الخطاب رضى ان الدعاء موقوف
بين السماء والارض لا يصعد منها شيء حتى تصلي على نبيك رواه الترمذي
في السنن والخطيب التبريزي في مشكوة المصابيح وفي رواية ان الدعاء
والعمل محبوسان بينهما لا يصعد منهما شيء الى رب العزة حتى يصلي
علي كذا في حيوة القلوب فان قيل ما الحكمة في توقف الاعمال والادعية
في القبول الى الصلوات والسلامات على النبي المختار مع ان العبد
بالعبادات والطاعات والخيرات والحسنات مامور بها والارادات
الجزئيات والاختيارات الخيريات مصروفة فتتم الامرية والمامورية
والعبودية ولم يبق شيء منها قلنا انه صلى الله تعالى عليه وسلم وسيلة
لخلق الكائنات في العالم المصنوعات ورحمة لهم في امورهم الدنيوية
وشؤنهم الاخروية والمقصد الاقصى من العبادات والمطلب الاعلى
من الانقياد والاطاعات مقبوليتها ومرغوبيتها وقرينها في خير القبول
ونيلها بالحصول واستجابتها فوق المامول فذلك لا يتيسر الا بالوسائل
والذرايع كما انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان وسيلة لذواتهم كان
وسيلة لما صدر عنهم من الحالات لهم والعوارض المستحسنة المطلوبة
لهم اذ هو صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة للعالمين فالصادرات عن العباد
من افراد العالم اذ العالم يطلق على الموجودات الالهية والمصنوعات
السبحانية سوى الله عز وجل كما هي ارث لنا من ابينا آدم صفي الله
وعلى نبينا وعليه صلوات الله من قبول توبته حين رأى اسم محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم في الجنة واركانها واوراق اشجارها فدعى الله تعالى
بحرمة صاحب الاسم الاسنى والعلم الاعلى في اركان الجنة وازهار البهجة
كذا في الشفا حتى قال العلماء المدققون والحكماء المحققون عليهم الرحمة

والغفران

والغفران في معنى الصلوات اللهم صل على محمد اي استجب دعوته
في امته كما استجبت لجده ابراهيم خليل الرحمن وهو معنى قوله كما صليت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ومن المعلوم الموعود ان الدعاء بوسيلته
صلى الله تعالى عليه وسلم لا ترد لان الجزاء من جنس العمل وقد ورد في الخبر
ان جبريل عليه السلام جاء يوما الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال
يا رسول الله اني رايت عجبا قال قل يا جبرئيل قال لما بلغت الى جبل
قاف سمعت انينا وبكاء فذهبت اليه ورايت ملكا وقد كنت رايته
قبل ذلك في السماء على سرير وحوله سبعون الف ملك صفوفا يخدمون
ذلك الملك وكان كل نفس يتنفس يخلق الله تعالى منه ملكا فالآن
رايت ذلك الملك على جبل قاف منكسر الجناح وهو يبكي فلما رأني
قال اشفع لي يا جبرئيل قلت ما زلتك قال كنت على سريري ليلة
المعراج فمر بي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فاشتغلت بالذكر والتهليل
والتسبيح والتمجيد فغفلت عن التعظيم بالقيام والاستقبال
فعاقبني الله تعالى بهذه العقوبة وجعلني في هذا المكان كما ترى فتضرعت
الى الله تعالى وشفعته فقال الله تعالى يا جبرئيل قبلت شفاعتك وقل له
حتى يصلي على حبيبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عشر مرات فقلت له
فصلى ذلك الملك عليك عشر مرات فعفى الله عنه البلاء وانبت الله
جناحه ببركة الصلوات الشريفة عليك والادعية المنيفة فيك
قال وكذا اذا اشتغل المؤمن الموحد المذنب بالصلوة والسلام عليك
في الليل والنهار عفى الله عنه جميع ذنوبه الكثيرة وعيوبه الوفيرة
ببركة الصلوة والسلام عليك كذا في حيوة القلوب رح فلذا ورد
في الخبر كان محرما على بني آدم الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
عشر مرات فمن لم يرد الصلوة على محمد مع انه مامور بها فكانه يقول لم يكن

حواحلالاً لابينا آدم عليه السّلام واقرّ على نفسه انه ولد من غير
رشيد بل يخاف عليه من الكفر لانه انكر الاية المشتملة عليها فنعوذ
بالله من شرور انفسنا وشرور الشياطين من الانس والجن وروى عن ابي
هريرة رضي انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما من احدٍ
يصلّي ويسلّم على يوم الجمعة الا ردّها الله تعالى على روحي حتى اردّ
عليه الصّلوة والسّلام رواه احمد وابو داود وروى عن عمار بن ياسر
رضي انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انّ الله وكّل بقبري
ملكاً اعطاه الله اسماع الخلايق فلا يصلّي على احد الى يوم القيمة
الا بلغني اسمه واسم ابيه هذا فلان بن فلان قد صلّى عليك رواه
البزّار وابو داود رح وروى عن ابي امامة رضي انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اكثروا من الصّلوة على كلّ يوم جمعة فمن كان
اكثركم على صلوة كان اقربكم منّي منزلة رواه البيهقي وفي رواية
انه قال صلّوا على ليلة الغرّاء واليوم الازهر قيل يا رسول الله وما
ليلة الغرّاء واليوم الازهر قال ليلة الغرّاء ليلة الجمعة واليوم
الازهر يومها ومن صلّى على كلّ يوم الجمعة اربعين مرّة محى الله
عنه ذنوب اربعين سنة وفي رواية عن ابي هريرة رضي انه قال
قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم الصّلوة على نور فمن صلّى
على في يوم الجمعة ثمانين مرّة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة
رواه صاحب الفردوس رح وروى عن اوس بن اوس رضي
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انّ افضل ايامكم يوم
الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصّعقة
فاكثروا على من الصّلوة فانّ صلوتكم معروضة على قالوا يا رسول الله
وكيف تعرض صلوتنا عليك وقد ارمت فيه اي فنيت تحت الارض

وفي رواية

وفي رواية بليت فقال صلى الله تعالى عليه وسلم انّ الله عزّ وجلّ حرّم على
الارض ان تاكل اجساد الانبياء رواه احمد وابو داود وابن حبّان
في صحيحه فان قيل ما الحكمة انّ الله عزّ وجلّ حرّم على الارض لحوم
الانبياء عليهم السّلام والشهداء والعلماء المخلصين قلنا انّ الارمام
والابلى لتطهير نفوس المؤمنين على الذّنوب المانعة للدّخول الى الجنة
والوسيلة الى النّار وهذا من عناية الله لعباده المؤمنين الموحّدين
المذنبين بتطهيره بابلاء ثرو امره الى الارض باكله فمن البداهة
انّ الانبياء عليهم السّلام معصومون والشهداء والعلماء المغفورين
انهم طاهرون قبل اكل الارض فلا حاجة له ولا تاكلهم الارض كما يرى
كثيراً وحكي انّ رجلاً كان دعا قليلاً من الصّلوات على النّبي صلّى الله تعالى
عليه وسلم فرأى ذلك الرّجل النّبي صلّى الله تعالى عليه وسلم في المنام فلم
يلتفت اليه فقال يا رسول الله انت على غضبان فقال لي لا فقال
فلم لا تنظر الي فقال لانّي لا اعرفك فقال كيف لا تعرفني فانّي رجل من
امّتك فقال انّك لا تذكرني في الصّلوات وانّ معرفتي بامّتي بقدر
صلواتهم على ثمّ انتبه الرّجل واوجب على نفسه ان يصلّي على محمّد
صلّى الله تعالى عليه وسلم كل يوم مائة مرّة ففعل ذلك ثمّ رآه بعد ذلك
في المنام فقال انّي اعرفك الآن واشفعك غداً كذا في حيوة القلوب
وروى عن ابي هريرة رضي انه قال قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم
من صلّى على كلّ يوم خمسمائة مرّة لم يفتقر ابداً اي لا يصير فقيراً في الدنيا
رواه صاحب الفردوس وروى عن انس رضي انه قال قال رسول الله
صلّى الله تعالى عليه وسلم من صلّى عليّ في كلّ يوم الف مرّة لم يمت حتى يرى
مقعده من الجنة رواه من الحفّاظ ابو حفص بن شاهين وروى
في الخبر ما من مؤمن الا معه خمسة املاك ملكٌ عن يمينه يكتب له الحسنات

وملك عن يساره يكتب عليه السيئات وملك بين يديه يدله الى
سبيل الخيرات وملك من خلفه يدفع عنه العاهات وملك فوق
رأسه موكل على الصلوات فاذا صلى على رجل او امرأة من امتي اخذها
من فيه اصلة ثخنه فابدل الياء من الميم كما يجوز في حروف فلا بد ان يأتي به
قبري ويقول هذه صلوة فلان بن فلان قد صلى عليك هذا اذا لم يكن
يوم الجمعة واما اذا كان يوم الجمعة رد الله تعالى صلوة عباده وسلامهم
الى روحه بنيته بالذات لما روى ابو هريرة رض عنه صلى الله تعالى
عليه وسلم ما من احد يصلي ويسلم علي يوم الجمعة الا ردها الله تعالى
على روحي حتى ارد عليه الصلوة والسلام رواه احمد وابو داود وروى
عن علي بن ابي طالب اسمه عبد مناف رض انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان ملائكة خلقوا من النور لا يهبطون على الارض
الا في ليلة الجمعة ويومها بايديهم اقلام من ذهب ودواة من فضة
وقراطيس من نور لا يكتبون الا الصلوة علي رواه المجمري وروى
عن انس بن مالك رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
صعد المنبر فقال امين ثم صعد الثانية فقال امين ثم صعد الثالثة
فقال امين ثم استوى فجلس فقال له معاذ بن جبل رض يا رسول الله
امنت ثلث مرات فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما صعدت
الدرجة الاولى اتاني جبريل عليه السلام فقال اللهم لا ترحم لمن ادرك
شهر رمضان ولم يجتهد الغفران حتى يغفر الله تعالى فقلت آمين
وصعدت الثالثة فقال اللهم لا ترحم لمن ذكر محمد بين يديه
فلم يصل عليه فقلت له آمين رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحه
وورد في الخبر ان ام المؤمنين عائشة الصديقة رض قالت فقدت
ابرتي ليلة كنت اخيط بها ثوب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وطفئ

المصباح

المصباح وهو في المسجد فلما اتى من المسجد ودخل البيت وجدت ابرتي
في ضوء نور وجهه فقلت يا رسول الله ما اضوء نور وجهك قال ويل
لمن لا يراني بهذا النور يوم القيمة فقلت يا رسول الله هل يكون احد
لم يرك يوم القيمة بهذا النور فقال من سمع اسمي فلم يصل علي لم يرني
يوم القيمة بهذا النور كذا في حيوة القلوب رح وحكى ان يهوديا ادعى
سرقة جمل في زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من رجل مسلم مخلص وكان كاذبا
في دعواه فتحاكما الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانكر المسلم وقال انه ملكي
فاشهد اليهود على سرقته باربعة من المنافقين فحكم النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم بقطع يد مسلم ورد الجمل الى اليهود فتحير المسلم ورفع رأسه
الى السماء وقال الهي انت اعلى واعلم انه ملكي ودعوى اليهود كاذبة وشهوده
شاهد الزور واني مظلوم ثم قال المسلم حكمك حكم يا رسول الله ولكن استخبر
عن هذا الجمل فانه يجيبك بحرمة صدق نبوتك ونور رسالتك فسأل
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الجمل وقال لمن انت يا جمل فاجاب الجمل بلسان
فصيح وقال يا رسول الله انا ملك حلال لهذا المسلم وهؤلاء الشهود منافقون
ودعواه كاذبة وهذا المؤمن مؤمن مخلص في دينه وصادق في قوله فحكم
الجمل للمسلم وردهم فقال ايها الرجل المسلم اخبرني ماذا فعلت اليوم
حتى انطق الله تعالى الجمل لاجلك واظهر كذبهم وصدقك فقال الرجل
يا رسول الله ان قصوري كثيرة وكسوري وفيرة غير اني اعرف قدر
الاسلام وحقايقه ورتبة الايمان ودقايقه واحب العبادات
واكرم الطاعات مع اعتراف العجز بان الاعمال الصادرة عني عبارة عن
التقصيرات غير لايقة الى حضور رب الموجودات ولا استحقاق لي
من الدرجات الا انه تعالى وعد كرما منه واحسانه للمؤمنين والمؤمنات من نعم
الجنات من الحور والولدان والغلمان من انواع الكرامات واصناف العنايات

فلا يخلف الله الميعاد وان لم اكن لها اهلا فى وقت من الاوقات غير انى
لا انام بالليل حتى اصلى عليك عشر مرات فقال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم نجوت ايها المسلم من قطع اليد فى الدنيا ومن العذاب فى الاخرة
ببركة الصلوة والسلام على كذا فى جوة القلوب رح اغتنموا ايها الاخوان
واعتبروا يا اولى الالباب من اهل الاتقاء ان المحبة والمودة لرسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لا تحصل الا بالاستنان من السنة السنية ✧
ولا تنتاب بالصلوات والسلامات العلية فرتبة العرفان لديه صلى الله
تعالى عليه وسلم معروفة بما عندك وعرفانه عليه الصلوة والسلام اليك
بمقدار اجتهادك وبذل وسعك اذ بقدر الكد تكتسب المعالى فى
المقدار عند الله عز وجل وعند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا بالميزان
الحالى فالارزاق مقسومة والاجال معلومة والجنة واهاليها زينت
والنار واهاليها سعرت واتى الاحاديث اثرت فكل نفس وحدت ما عملت
والفرصة غنيمة والايام والدهور بها اوهاو الاعوام والشهود نماؤها
فالسعادة الابدية لمن اتعظ بالموعظة الحسنة وجهد وسعها
والشقاوة المذلة لمن آثر الدنيا على الاخرة ووجد مطليها وروى عن جابر
بن عبد الله رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى
على فى اليوم مائة مرة قضى الله تعالى له مائة حاجة سبعين منها الاخرة
وثلثين فى الدنيا رواه امام الهدى فى تنبيه الغافلين رح وروى
فى الخبر عن انس بن مالك رض انه قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم صلى بنا صلوة الصبح ورجع وقد استند الى المحراب ورفع يديه
وهو يدعو ونحن آمنون والخلايق كلهم فى استماع ذكر الله ودعاء
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اذ سقط نحلة بين يديه وفتحت
اجنحتها فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الهى انطقها حتى اسمع ماذا تقول

فانطقها

فانطقها الله بقدرته فتكلمت بلسان فصيح فقالت نحلة يا رسول الله
انا نقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم فقال النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم يا نحلة من اى شئ تجعل الشمع ومن اى شئ تجعل العسل فقالت
نحلة يا رسول الله انا نأكل من زهرة البساتين وهى حق صاحبها وعلينا
حرام من غير اذنه فنقعد من ذلك الشمع فلذلك يحرق بالنار واما العسل
من زهرة البرية وذلك حلال علينا فلما امتلأت الكاس بالماء نصلى
عليك مائة مرة فيتبدل الماء الى العسل من بركة اسمك الرحمن وذاتك
الرحمة فايما مسلم من امتك يصلى عليك مائة مرة فيتبدل ذنوبه الى
الحسنات كما فى العسل كذا فى مطالع الانوار وروى عن الحسن رض انه
قال سمعت ابا هريرة رض انه قال ما من احد يصلى على النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم مرة واحدة الا يقيض الله له ملكا يبلغ تلك الصلوة الى قبر النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم اسرع من طرفة عين فيقول الملك يا رسول الله
ان فلان بن فلان او فلانة بنت فلانة اقرأك السلام فيقول النبى
صلى الله عليه وسلم بلغه منى عشرا وقل له لو كان من هذه العشرة
واحدة عليه لدخلت الجنة كالسبابة والوسطى وحلت له شفاعتى
قال ثم يصعد الملك حتى ينتهى الى العرش فيقول يا رب ان فلان بن
فلان وفلانة بنت فلانة صلى على حبيبك ونبيك محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم مرة واحدة فيقول له تبارك بلغه عنى عشرا وقل له
لو كانت من هذه العشرة واحدة ما مستك النار ابدا ثم يقول الله
تعالى عظموا صلوة عبدى على نبيى واجعلوها فى عليين ثم يخلق الله
تعالى من صلوته بكل حرف ملكا له ثلثمائة وستون رأسا وفى كل رأس
ثلثمائة وستون وجها وفى كل وجه ثلثمائة وستون لسانا يتكلم بكل
لسان ويثنى على الله تعالى بثلثمائة وستين نوعا لا يشبه نوع نوعا

يكتب ثواب ذلك كله للمصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى يوم القيمة
كذا في روضة العلماء للامام الزندوستي رح وهو ثقة حتى نقل عنه
صاحب خلاصة الفتاوى مسائل كثيرة في المواضع الكثيرة ولا يخفى
على المتتبعين فلذلك نقل عنه مؤيدا بصحة الحديث رضي الله تعالى
عنه وعن جميع اخوان المؤمنين وحكي عن نافع مولى ابن عمر رئيس القراء
وهو عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا كان يوم القيمة يؤمر برجل من امتي الى النار فاذا اشرف على النار
بكى فيقول يا ملائكة الرحمن اين امرني ربي فيقول الى النار فيقول
دعوني ابكي على نفسي قال فيقولون قد تركت البكاء في دار الدنيا
فاليوم لا ينفعك بكاؤك فيقول يا ملائكة الجبار انا من ولد آدم
ولا صبر لي على حر النار وبردها انا من امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وما كان رجائي من ربي هذا ان لا يعذبني مع اليهود والنصارى
فيقولون هو ذا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بين يدي الجبار نادبه ولا
هويت في النار مع من هوى فينادي فيجيء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
فيقول يا ملائكة الرحمن ردوا العبد معي الى كفتي الميزان فيقولون
يا رسول الله انا نحن عبيد مامورون ولم نؤمر بذلك قال فيخر النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ساجدا فيقول اللهم ان ملائكتك قد جادلوا
بيني وبين رجل من امتي فيقول عز وجل ردوا العبد مع محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم الى كفتي الميزان قال فيدخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يده في حجره ويخرج صحيفة بيضاء فيها كتاب من نور فيضعها في الميزان
فيثقل الميزان بعد خفته فيؤمر بالعبد الى الجنة فيتلقاه النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم على باب الجنة فيقول بابي انت وامي ما احسن
وجهك واطيب ريحك من انت فيقول انا نبيك وتلك صلواتك التي

صليت

صليت في الدنيا ثقل الله ميزانك فيكب ذلك الرجل على رجل النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ويقول يا محمداه لولا انت وصلوتي عليك
هويت في النار مع من هوى كذا في الروضة وروي عن ابي امامة رضي
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون
ملكا يذبون عنه اي يدفعون ما لا يقدر عليه من ذلك بالبصر
سبعة املاك يذبون كما يذب الذباب عن العسل في اليوم الصائف
وانما المائة وستون فامر عرفه النبي صلى الله تعالى عليه بنور النبوة
من عجايب المخلوقات حكي عن ابراهيم بن ادهم زاهد الخراساني
رح انه قال حملت جنازة فقلت بارك الله في الموت فقال قائل
من الشر بر وما بعد الموت فدخل في قلبي رعب منه فلما دفن الميت
جلست عند القبر متفكرا فاذا خرج من القبر شخص احسن الناس
وجها واطيبهم ريحا وانقاهم ثيابا وهو يقول يا ابراهيم قلت لبيك
من انت يرحمك الله تعالى قال انا القائل لك من الشر وما بعد الموت
قلت ومن انت قال انا السنة التي احياها صاحبي اكون لصاحبي هذا في
الدنيا حافظا وعليه رقيبا وفي القبر نورا ومونسا وفي القيمة
سابقا وقائدا الى الجنة كذا قاله الامام السيوطي في شرح الصدور
ويؤيده قوله تعالى ان الذين يؤذون الله بترك اوامره وبعدم انتهاده
عن نواهيه ونواهي ورسوله بعدم استنانه بسنته السنية
وطريقته العلية وترك الصلوة والسلام عليه ومحبته له ولمن احبه
واقربه بالاتباع والاقتداء على سيرته الحسنة واسوته العلية في جميع
حالاته المرضية في العسرة واليسرة والميمنة والميسرة لعنهم الله
في الدنيا بالقتل والاسر والقلة والضيق والعسر وعدم الحفظ عن المضار
وتسليط الاعداء وعدم الاقتداء الى الشريعة الغراء والطريقة البيضاء

حكاية ابراهيم بن ادهم

والنسائي الاخرة في الاولى ولاخرة بادخال النار بانواع العذاب واصناف
العقاب بالتبعيد عن الرحمة واللعن عن المغفرة واعد لهم عذابا مهينا
بحيث يهانون به ويستحقرون فيه ولا يرحمون كما لا يرحمهما الا يطيعهما
بايدي الزبانية التي عبادتهم تعذيب الكفار بالاجتهاد وتعقيب
العصاة بالازدياد وهم غلاظ شداد لا يقربون رضا الله بعدم
الترحم بهم ويرجون عناية الله باهانتهم واستحقارهم وروى عن
الحسين بن علي رضي انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان البخيل كل البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي رواه الترمذي
والنسائي وروى عن ابن بريدة عن ابيه رضي عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لا تجفوني بعد موتي قيل يا رسول الله وما الجفاء بك بعد
موتك قال ذكرت عنده فلم يصل علي فقد جفاني كذا في حيوة
القلوب رح ويؤيده ما روى عن ابي هريرة رضي انه قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي
رواه الترمذي رح وروى عن عبد الله بن جراد رضي انه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ناداني جبرئيل من تلقاء العرش
فقال يا محمد الرحمن عز وجل يقول لك من ذكرت بين يديه فلم يصل
عليك دخل النار رواه صاحب الفردوس رح قوله من تلقاء العرش
اي من نفس العرش وذاته وحكى عن ابن مسعود رضي انه قال عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يؤمر باناس من امتي الى الجنة فيضلون الطريق
فيقفون متحيرين ومتذللين الى ان يهديهم الله عز وجل الى الجنة
فقيل يا رسول الله منهم فقال الذين اذا ذكرت بين ايديهم لم يصلوا
علي من السهو والغفلة كذا في حيوة القلوب وروى عن ابي هريرة رضي
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرى وجهي ثلث العاق

وآكدته

بوالديه وتارك سنتي ومن ذكرت عنده فلم يصل علي كذا في حيوة القلو
ب رح وفي الخبر ان الله تعالى وكلني ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم
وصلى علي الا قالا ذلك الملكان اللهم صل عليه كما سمع اسم حبيبك
وصل عليه واذا سمع اسمي ولم يصل علي قالا اللهم اتركه كما ترك الصلوة
على نبيك محمد عليه من الصلوات اعلاها ومن التحيات انميها ما دام
بقاؤك وجل عظمتك وعلا ثناؤك واكرمنا برحمتك والبسنا
بخلعتك وشرفنا بجنتك وجمالك يا ارحم الراحمين انت مولانا
فانصرنا بعفوك واحفظنا عن غضبك الحمد لله على التوفيق
واستغفر الله من كل تقصير

سورة الماعون وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

وروى عن ابي بن كعب رضي انه قال قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ
سورة ارأيت غفر الله له ان كان مؤديا للزكوة وهذه السورة مكية
عند ابن عباس رضي الله عنهما ومدنية عند الواقدي وقال مقاتل بن حبان
نصفها الاول مكي ونصفها الثاني مدني وهي سبع آيات وخمس
وعشرون كلمة ومائة واثنى عشر حرفا وانتظام السورتين انهما في ذكر
العبادات والعبودية ارأيت الذي استفهام في الصورة واستعظام
التعجب في المعنى اريد به تشويق السامع الى معرفة من سيق له الكلام
والتعجب منه والخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل لكل
عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرئ رايت بلا همزة والغاصد رايت
بهمزة الاستفهام ليسهل الامر وقرئ ارايتك بزيادة كاف
الخطاب يكذب بالدين من دان اذا حاسب ومنه ذلك الدين القيم
كما في الحديث الكيس من دان نفسه اي حاسبها لكل الايام والدهور

ولا عوام والشهود كما ورد حاسبوا قبل ان تحاسبوا اى بالحساب والجزاء
والاحكام والايمان والاسلام وتوحيد الله ان كان من الديان تتعزز شانه
وجل سلطانه والموصول للجنس او العهد كما يظهر مما بعده قال ابن عباس
نزلت فى عاص بن وائل وقال ابن جريج فى ابى سفيان وروى عطاء عن
ابن عباس رضى الله عنهما انه فى رجل من المنافقين وقيل وهو والد خالد بن الوليد
من الاصحاب رضى وله عشرة اولاد كلهم شرفوا بالاسلام الا ثلاثة على ما
صرحوا وهذا خالد بن الوليد ارسله نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى
الالف من الكفار فيغلبهم بهمة نبيه وقتلهم واسرهم بما شاء ومثله
على بن ابى طالب وطلحة رضى الله عنهم اسد الله الغالب وخدموا فى شريعة الله
بالخدمة العلية فيسر لنا الله شفاعتهم وجعلنا رفيقهم فى دار الجنان
بحرمة نبينا محمد عليه من الصلوات اعلاها ومن التحيات اسناها او
فى الوليد بن مغيرة وقال الضحاك فى عمرو بن عائذ وقيل فى عامر بن
وائل والفاء فى قوله فذالك الذى يدع اليتيم جواب شرط محذوف
على ان ذلك مبتدا والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذى يكذب
بالدين الذى ثبت فى الابد والازل بالقرآن الذى انزلته عليك
وبينت فيه ما كان وما يكون من المحاسبة والمجازاة والايمان
والاسلام ان لم تعرفه فاعلمك فهو الكافر المعاند الذى يدفع اليتيم
دفعا عنيفا ويزجره زجرا قبيحا من دع اى من المضاعف المدغم
اذا دفع بالقهر والجفوة من الارث ولا يحسنه ولا يواسيه ولا يكرمه
بالاطعام وانما وضع الاسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه
موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم بالشقاوة والضلالة والتنبيه
بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته فى الشر والفساد روى
ان ابا جهل اللعين كان وصيا لليتيم فجاءه يوما عريانا يسأله ماله

يعنى ابا جهل

فدفعه

فدفعه دفعا شنيعا وقهره قهرا عنيفا وبحرم جدا وسئله لحما
فقرعه بعصاه فقال له من اكابر قريش اذهب ايها اليتيم الصبى
المغدور الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو خير البرايا يعينك ويشفع لك
ليحصل مالك من ذلك الظالم الغدار فجاء ذلك اليتيم المغدور
الى النبى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والتمس منه ذلك ومن عادته الشريفة
والاخلاق الحميدة انه صلى الله تعالى عليه وسلم ما كان يرد محتاجا فضلا
عن الايتام فذهب معه صلى الله تعالى عليه وسلم الى ابى جهل اعدا الله
واعدائه فقام ابو جهل قياما له مرتعشا منه ورحب وعظم له تعظيما
كثيرا وتكريما كبيرا واحتراما وفيرا خلاف عادته وتمام رأى من المهابة
والنبوة والفخامة والمعجزة فطلب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع ذلك
اليتيم فجاءت اكابر قريش فعيروه فقالوا اصبوت وتمايلت الى دين
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وتركت الاصنام فقال ابو جهل اللعين لهم
فى الجواب لا والله ما صبوت ولكن رايت عن يمينه وعن يساره حربة
خفت ان لم اجبه ولم اكرمه يطعنها فى وقرئ يدع اليتيم بالتخفيف
من ودع بمعنى يترك لا من المضاعف بمعنى يقهر ويعنف وقيل الموصول
على عمومه ولا يحض نفسه واهله وغيرهم ولا يجتهد ويرغبهم
من الموسرين المقتدرين المغرورين على طعام المسكين واطعام
ذوى الفاقة شحا وبخلا لعدم ايمانه بالدين والمحاسبة والجزاء اذ من آثاره
منع المعروف وايذاء اليتيم الضعيف فلو آمن بالكتاب ووحد الله
تعالى وتيقن بكماله خاف من عذابه ولم يجترئ على الشرك والمعاصى
فما عليه حاله وماله وفى هذا تحذير عظيم ووعيد فخيم لمن اتصف
بهذه الاوصاف الردية والاخلاق الرذيلة التى استدل بها على الشقاوة
الابدية فاذا كان حال من ترك ذلك الاطعام والترغيب على الاكرام

اى حمايلت ونبت وتقلبت وغضبة الصبى التمايلة كل شىء سحه

هذا المعنى ناظر الى كونه من المضاعف كما ان الاول ناظر الى كونه من ودع

مع القدرة العلية والفاء في قوله تعالى فويل الخ اما الربط مابعدها
بشرط محذوف او للسببية والجزائية من باب وضع المظهر في موضع
المضمر الراجع الى الواحد الذي اريد به الجنس والعهد كانت قيل اذا كان
ماذكر من عدم المبالات باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين
وموجبات الذم والتوبيخ على اليقين فويل للمصلين الذين وانما وضع
موضع الضمير ليتوسل بذلك الى بيان ان لهم قبايح اخر غير ماذكر
في هذه السورة عن صلاتهم ساهون اي غافلون غير مبالين بها وانما ذكر
المسند اليه مع كون شرطه ان يذكر معرفة للاستغناء عن التعريف
كسماء وملائكة فالويل عبارة عن التحير والهلاك وذكر في شرح
التاويلات للامام ابي منصور الماتريدية من تلاميذ الامام الاعظم
ايد مذهب استاذه من العقايد الحقة عند اهل السنة والجماعة
عليهما وعلى جميع العلماء رحمة الله تعالى عليهم اجمعين انه عبارة عن شدة
العذاب في النار وقال بعضهم الويل اسم وادٍ في النار خاصة بهذا
الموضع فمعناه ان فيها موضعا يتبوء لمن كان حاله كذلك من المجاز
الاولى من اطلاق وصف الحال على المحل قال الامام الكمي رح في تفسيره
فالويل مصدر لم يستعمل منه الفعل متروكا لان فائه وعينه من حرف
العلة فهذا يؤيد ماذهب اليه ائمة البصريين من ان الافعال
مشتقة من المصادر فلو كان بالعكس كما ذهب اليه الكوفيون من ان
المصادر مشتقة من الافعال فانتفاء الملزوم يستلزم انتفاء اللازم
بدون العكس وروى عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ويل وادٍ في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين
خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال عطاء بن يسار رح الويل وادٍ في
جهنم لو ارسلت فيه الجبال لذابت من شدة حره وقيل انه وادٍ من صديد

فاصل

في اصل جهنم فالمعنى فالويل الموعود بالوعيد الشديد للمصلين
من المؤمنين الذين اشتغلوا بالاشغال الفانية فصلوا بالافكار
المانعة عن حضور القلب في مقام العبودية غافلين عن حقيقتها
غير مبالين عن وبالها اذ حقيقة الصلوة المفروضة عبادة عبارة
عن الترك فيما سواه من الافتتاح الى الانتهاء لانها موصلة بين العبد
وبين كرم الرب بالقرب المعنوي وهي لا تحصل الا به فكيف حال
من تركها راسا بل هي مفاصلة بين الحبيب والمحبوب وروى عن
مصعب بن سعد رضي عن ابيه رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم عن معنى المصلين الذين عن صلاتهم ساهون قال
اضاعة الوقت فعلى هذا يراد منه المؤمنون خاصة وقال ابن عباس رضي
المراد هم المنافقون اذا غابوا عن الناس يتركونها واذا حضروا عندهم
يصلونها كما يؤيده قوله تعالى الذين هم يراؤن من الاراءة والمرائي هو الذي
يرائي اعماله الى الناس وهم يرونه ويتعجبون في شانه حين يدخلون
في جملة المصلين صورة ويظنون انهم منهم وهم ليسوا منهم في الدارين
بل هم منافقون فيما بينهم لا موافقون فيما معهم اذ الرياء والسمعة
من علامة النفاق والاخلاص من علامة الوفاق كما قال الله تعالى
في سورة النساء ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم هذا على طريق
المشاكلة من قبيل ومكروا ومكر الله والا فالله تعالى حاكم بحكم ما يريد
كما يفعل ما يشاء فلا معقب لحكمه متصف بالكمال من الازل الى الابد
منزه عن النقايص والزوال وهذا كلام مبتدء يبتنى لبيان طرق اخرى
من قبايح اعمالهم اي يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان
وابطان نقيضه والله فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم
في الدنيا معصومي الدماء والاموال واعد لهم في الآخرة الدرك الاسفل

بحث علامات النفاق

من النار وايثار صيغة المفاعلة فى الكيفية فان الفعل متى غولب
فيه بولغ فيه قطعا او فى الكمية كما فى الممارسة والمزاولة فانهم
كانوا مداومين على الخدع والخداع الذى يوهم صاحبه خلاف ما يريد به
من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب او يوهم المساعدة على
ما يريد هو به ليغتر بذلك فينجو منه بسهولة بطريق الخ فكلا هما
مناسب للمقام فانهم يريدون بما صنعوا ان يطلعوا على اسرار
المؤمنين وان يدفعوا عن انفسهم ما يصيب سائر الكفرة من المعاندين
واياما كان فنسبته الى الله تعالى اما طريق الاستعارة والتمثيل
لافادة كمال شناعة جنايتهم اى يعاملون معاملة الخادعين واما على
طريقة المجاز العقلى بان ينسب اليه تعالى ما حقه ان ينسب الى الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم لمكانته عنده تعالى كما ينبئ قوله تعالى ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله وقوله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله
كما افاده كمال الشناعة واما لمجرد التوطئة والتمهيد لما بعده
وابقاء صيغة المخادعة على معناه الحقيقى بناء على زعمهم الفاسد وترجمة
عن اعتقادهم الكاسد كانه قيل يزعمون انهم يخدعون الله والله
يعاملهم معاملة المخادع او على جعلها استعارة تبعية او تمثيلا
لما ان صورة صنعهم مع الله تعالى والمؤمنين وصنعة الله تعالى معهم
باجراء احكام الاسلام عليهم وهم عنده لخبث الكفرة واهل الدرك
الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول صلى الله تعالى عليه
وسلم والمؤمنين بامر الله تعالى فى ذلك مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة
صنيع المتخادعين كما قيل تماما لا يرتضيه الذوق السليم اما الاول
فلان المنافقين لو اعتقدوا ان الله يخدعهم بمقابلة خدعهم له
لم يتصور منهم التصدى للخدع واما الثانى فلان مقتضى المقام

ايراد حالهم خاصة وتصويرها بما يليق بها من الصورة المستهجنة
وبيان ان غائلتها راجعة اليهم من حيث لا يحتسبون كما يعرف قوله
تعالى وهو خادعهم وقوله تعالى وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون
واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل
يراؤن الناس من الاراءة اى ليحسبوهم انهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة
بمعنى التفعيل كنعم وناعم ولا يذكرون الله الا قليلا عطف على يراؤن
اى لا يذكرونه سبحانه الا ذكرا قليلا وهو الذكر بكسر الذال باللسان
فانه بالاضافة الى الذكر بضم الذال بالقلب قليل او الا زمانا قليلا
او لا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون الا بمرائى من الناس وذلك
قليل وقيل لا يذكرون الله فى الصلوة الا قليلا عند التكبير والتسليم
مذبذبين بين ذلك حال من فاعل يراؤن او منصوب على الذم وذلك
اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام اى مرددين
بينهما متحيرين قد ذبذبهم الشيطان وحقيقة المذبذب ما يذب
ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد اخرى وقرئ بكسر الذال اى مذبذبين
قلوبهم او دينهم او رأيهم وهو بمعنى متذبذبين كما جاء صلصل بمعنى
تصلصل ويؤيده ما فى مصحف عبد الله بن مسعود رضى متذبذبين
وقرئ مدبدبين بالدال الغير المعجمة وكان المعنى اخذ بهم تارة فى دبة
اى طريقة واخرى فى اخرى لا الى هؤلاء المنسوبين الى المؤمنين
ولا الى هؤلاء المنسوبين الى الكافرين ولا صائرين الى الاولين ولا صائرين
الى الاخرين فمحله النصب على انه حال من ضمير مذبذبين او على انه بدل
منه او بيان وتفسير لمذبذبين ومن يضلل الله اى ادخله بالارادة
الجزئية وصرف الاختيارات الجزئية نحو الضلالة فالهمزة فى الافعال
للدخول لعدم استعداده للهداية والتوفيق طالبا بالضلالة العميق

ثم لا جبر ههنا لان العبد مختار والله تعالى خالق فالكل ميسر لما خلق له
بالصرف والاختيار معلقا لاحد الطرفين فلما قرأ رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم هذه الاية فاما من اعطى واتقى اى اعطى حقوق ماله من الزكوة
والانفاق عدلا وصرفا فرضا ونافلة واتقى وخاف محارم الله التى نهى
عنها وصدق بالحسنى من الخصال الحسنة والايمان والاسلام وما يلزمهما
من الائتمار والانتهار او بالكلمة الحسنى وهى كلمة الشهادة والتوحيد
او بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهى الجنة
فنيسره لليسرى اى فسنهيئه للخصلة التى تودى الى يسر وراحة
كدخول الجنة ومباديه من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها
واما من بخل اى بماله فلم يبذله فى سبيل الله من الخيرات الحسان والاعمال
الصالحات الموصلة الى درجات الجنان واستغنى فيما عنده كانه مستغن
عنه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الاخرة وكذب بالحسنى اى
ما ذكر من المعانى المتلازمة فسنيسره للعسرى اى للخصلة المؤدية
الى العسر والشدة كدخول النار ومقدماتها لصرف ارادته الجزئية
وترجيح احد الطرفين على الاخر معلقا فى ام الكتاب ان فعل يخلق والا فلا
وكذا الحال فى جميع الامور المعلقة فى الازل على ما سبق تفصيله مرة اخرى
بعد كرة اخرى ولعل تصدير القسمين بالاعطاء والبخل مع ان كلا
منهما ادنى رتبة مما بعدهما فى استتباع التيسير لليسرى والتيسير
للعسرى للايذان بان كلا منهما اصل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما
من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء فلما قرأ النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم هذه الاية المشتملة على صرف الارادة الجزئية المعلقة
بوجودهما اطمئنوا وخلصوا عن اشتباه الجبرية فطريق الهداية والضلالة
بكسب العبد وخلق الرب فى الازل معلقا فى اللوح المحفوظ كما يعلمهما

هذه الاية

هذه الاية العزيزة والكتاب الكريم فكل ميسر لما خلق وعلق بارادة
الهداية واختيار الضلالة فلا جبر اصلا ومن يضلل الله باستعداده
الى الضلالة فلن تجد له سبيلا موصلا الى الحق والصواب فضلا عن
ان يهديه اليه والخطاب عام لكل من يصلح له كائنا من كان فالمؤمنون
الكاملون يخلصون فى ايمانهم واعتقادهم واعمالهم ويصرفون ارادتهم
فادخلهم الله الجنة ورزقهم الجمال اللهم يسر لنا ما وعدتنا بتيسير
ارادتنا نحو رضاك ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد
والمنافقون لا يخلصون فى ايمانهم واعمالهم بل يراؤن ويخادعون الله
ورسوله والمؤمنين وخلصوا عما خافوا فى الدنيا من القتل والاسر
والغارات كما هو معنى معاملة المخادعة من الله ورسوله والمؤمنين
استدراجا لهم فى امورهم الدنيوية ويمنعون الماعون اى الزكوة
المفروضة على المؤمنين لنفاقهم وريائهم وعدم اخلاصهم فى دينهم
وما يتعاوره عادة فان عدم المبالات باليتيم والمسكين حيث
كان وعدم المبالات بالصلوة التى هى عماد الدين والرياء التى هى
شعبة من الكفر ومنع الزكوة التى هى قنطرة الاسلام وسوء المعاملة
مع الخلق احق بذلك وهذا قول على ابى طالب وقول ابن عمر رضيهم
والحسن وقتاده وضحاك رضيهم وقال عبد الله بن مسعود وابن عباس
وابو مالك وابراهيم النخعى رضيهم الماعون وهو كل ما يتعاطاه الناس
ويتعاوره فيما بينهم كالفاس والقدر والقصعة والابرة والماء
والدلو والكلاء ونحوها وهى رواية عن سعد بن جبير وابن عباس
وعائشة الصديقة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وقال عكرمة رض
اعلى الماعون الزكوة وادناها امتعة البيوت وقال رئيس اهل اللغة
والمعانى الامام قطرب فى تفسيره اصل الماعون يستعمل فى القلة

كما فى قول الفصحاء ماله منعة اى شئ قليل فسمى الصدقة والزكوة والمعروف ماعونا لقلته بالنسبة الى الاموال الكثيرة المتميز عنها وكما يقال فى رجل ما عنده سعة ولا منعة اذا كان اوسط الحال من الاموال وقال الامام الزجاج رح انه يستعمل فى الاوسط وقيل هو عبارة عما يكرم المضيف الضيف كما روى عن ابى سلمة وعن ابى هريرة رضى الله عنهما انهما قالا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه رواه البخارى وروى عن عقبة بن عامر رض انه قال قلنا يا رسول الله انك تبعثنا فننزل بقوم لا يقروننا اى لا يضيفوننا فماذا ترى فقال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان نزلتم بقوم فامروا لكم بما ينبغى للضيف فاقبلوا فان لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذى ينبغى لهم رواه البخارى اى طعام ثلثة ايام فلذا اهتم فى الشريعة مقدار ثلثة ايام فى حق الضيف بما ينبغى له حتى ذهب بعض العلماء ان الامر للوجوب كما كان قوله فخذوا منهم حق الضيف الخ خاصة حال اضطرار الضيف اما لضيق الوقت ومخاطرة السبيل واما العدم فقد اداه الى التجاوز او لغيره من الاعذار وذهب بعضهم الى انه للاستحباب كما فى قوله تعالى وابتغوا من فضل الله لمن كان حاله على السعة فالاولى ان ينظر الى حال الضيف والاوقات فان كان الاضطرار لاى وجه كان فواجب والا فمستحب وقيل الماعون الطاعة والانطاعة يقال اعطت الناقة ماعونها اى طاقتها وطاعتها وقال عبد الرحمن السلمى الماعون التحلى والتزين ببذل المال على الخلق لجلب رضاء الرحمن كما فعله ابو بكر الصديق رض حين تصدق ثمانين الف دينار اربعين الفا بالليل سرا واربعين الفا بالنهار وعلانية فقال له النبى

صلى الله تعالى عليه وسلم ماذا ابقيت لنفسك قال فى الجواب الله ورسوله نزلت قوله تعالى وتبارك الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية الى قوله ولاهم يحزنون قال الامام القشيرى رح فيدخل فى هذا البحث بذل فيه نفع الخلق بما هو ممكن ومستطاع كترك الجاه والتعليم والنصيحة والمساعدة والمعاونة والمساهلة فى المعاونة فاذا علم حال المكذبين بحقوق الله وحقوق اليتامى والمساكين والصلوة وجب على المصدقين المخلصين ان يراعى حقوق الله وحقوق ما امر الله تعالى به فى كتابه العزيز خاصة على الصلوات المفروضة فى الاوقات الخمسة وبشر فى الفلاح العظيم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم بقوله تعالى قد افلح المؤمنون الفلاح الفوز بالمرام والنجاة من المكروه وقيل البقاء فى الخير فالهمزة للدخول كابشر اذا دخل فى البشارة وكلمة قد هنا للافادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت تصورة ان المتوقع للمؤمنين ثبوت الفلاح لهم لا للاخبار بذلك فالمعنى قد فاز المؤمنون بكل خير وبقوا فيه ونجوا من كل ضرر فان ايمانهم وما تفرع عليه من اعمالهم الصالحة من دواعى الفلاح بموجب الوعد الكريم خلا انه ان اريد بالفلاح حقيقة الدخول فى الفلاح لا يتحقق الا فى الاخرة فالاخبار به على صيغة الماضى للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت وان اريد كونهم بحال تستتبعه البتة فصيغة الماضى فى محلها والمراد من المؤمنين اما المصدقون بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها فقوله تعالى الذين هم فى صلوتهم خاشعون وما عطف عليه صفات مخصصة لهم وقال عمرو بن دينار رح الخشوع فى الصلوة هو السكون وحسن الهيئة

والهيبة وقال ابن سيرين ان لا ترفع بصرك عن موضع السجدة
تفكراً من عظمة الله وهيبته وخوفاً عن اداء فرض على الوجه الذى
لا يليق بالمؤمنين ولا لوجه الله العظيم وتذكراً حضوره عنده يوم
تبلى السرائر هل مضى عمره بالعبادة او القباحة او العادة على ما فعله
العوام فانهم كالهوام يتبعون شهواتهم من اكلهم وشربهم ولم يبالوا
من الحلال المأمور او من الحرام المنهور فالمراد من الصلوة التقرب
للمعبود واجراء العبودية اللائقة للعباد ليوافق على ما اراد الله
من المعرفة والتوحيد فى الكثرة والوحدة خاصة فى الصلوة التى تنهى
عن الفحشاء والمنكر قالوا ان قبلت صلوته لم يصدر عنه ذنب من
الذنوب والا فيخاف عليه انه لم تقبل منه الصلوة ولم يتقرب الى الله
تعالى هذا من امارة الخذلان واما المكملون بما يتفرع عليه كما ينبئ عنه
الصلوة فهى صفات موضحة او مادحة لهم بحسب اعتبار ما ذكر فى حيز
الصلة من المعانى مع الايمان اجمالا او تفصيلا والخشوع الخوف
مع التذلل اى خائفون من الله تعالى متذللين له ملزمين ابصارهم
مساجدهم كما روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا صلى رفع بصره
الى السماء فلما نزلت هذه رمى ببصره نحو مسجده وانه رأى مصلياً
يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وروى
عن ابى ذر رضى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا يزال الله عز وجل
مقبلا على العبد ما كان فى صلوته ما لم يلتفت فاذا التفت اعرض عنه
رواه البغوى والذين هم عن اللغو اى عما لا يعنيهم من الاقوال والافعال
معرضون اى فى عامة اوقاتهم كما ينبئ عنه الاسم الدال على الاستمرار
فيدخل فى ذلك اعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلوة دخولا اوليا
وما دار اعراضهم عنه ما فيه من الحالة الداعية الى الاعراض عنه لا مجرد

الاشتغال

الاشتغال بالجد فى امر الدين كما قيل فان ذلك ربما يوهم ان لا يكون
فى اللغو نفسه ما يزجرهم عن تعاطيه وهو ابلغ من ان يقال لا يلهون
من وجوه جعل الجملة الاسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير
عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك
ليدل على تباعدهم عنه رأساً مباشرة وسببياً وميلاً وحضوراً
فان اصله ان يكون فى عرض غير عرضه والذين هم للزكوة فاعلون
وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع فى الصلوة للدلالة على انهم
بلغوا الغاية القاصية من القيام بالطاعات البدنية والمالية
والتجنب عن المحرمات وسائر ما يوجب المروة اجتنابه وتوسيط
حديث بينهما لكمال ملابسة الخشوع فى الصلوة والزكوة مصدر
لانه الامر الصادر عن الفاعل لا المحل الذى هو موقعه ومعنى الفعل
تدم بحقيقته ويجوز ان يراد بها العين على تقدير المضاف والذين هم
لفروجهم حافظون اى ممسكون لها فالاستثناء فى قوله تعالى
الا على ازواجهم من نفى الارسال الذى ينبئ عنه الحفظ اى لا يرسلونها
على احد الا على ازواجهم وفيه ايذان بان قوتهم الشهوية داعية
الى ما لا يخفى لهم وانهم حافظون لها من استيفاء مقتضاها وبذلك
يتحقق كمال العفة ويجوز ان يكون على بمعنى من واليه ذهب الفراء
كما فى قوله تعالى اذا اكتالوا على الناس اى حافظون لها من كل احد
الا من ازواجهم وقيل هى متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير
حافظون لها من جميع الاحوال الا حال كونهم والين او قوامين على
ازواجهم وقيل بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون
على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين وحمل الحفظ
على القصر عليهن ليكون المعنى حافظون فروجهم على الازواج

لايتعدّيهنّ ثم يقال غير حافظين الا عليهنّ تأكيد على التأكيد
تكلّف على تكلّف وما ملكت ايمانهم اى سراريهم غير عنهنّ
بما اجرى لهنّ بمملوكيتهنّ مجرى غير العقلاء لانوثيتهنّ المنبئة عن
القصور وقوله تعالى فانهم غير ملومين تعليل لما يفيده الاستثناء
من عدم حفظ فروجهنّ منهنّ فانهم غير ملومين على حفظها منهنّ
فمن ابتغى وراء ذلك الذى ذكر من الحدّ المتّسع وهو اربع من الحرائر
وما شاء من الاماء فاولئك هم العادون اى الكاملون فى العدوان
المتناهون فيه وليس فيه ما يدلّ حتمًا على تحريم المتعة حسبما نقل
عن القاسم بن محمّد فانه قال انها ليست زوجة له فوجب ان لا تحلّ اما
انها ليست زوجة له فلانهما لا يتوارثان ولو كانت زوجة له
لحصل التوارث لقوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم فوجب
ان لا تحلّ لقوله تعالى الا على ازواجهم لان لهم ان يقولوا انها زوجة له
فى الجملة واما انّ كلّ زوجة ترث فهم لا يلوّنها واما ما قيل انه لو اريد
لو كانت زوجة حال الحيوة لم يفد وان اريد بعد فالملازمة ممنوعة
فليس له معنى محصّل نعم لو عكس لكان له وجه والذين هم لاماناتهم
وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحقّ والخلق
راعون اى قائمون عليها حافظون لها على وجه الاصلاح وقرئ
لامانتهم والذين هم على صلوتهم المفروضة عليهم يحافظون يواظبون
عليها مع الاداء فى اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما فى الصلوة من التجدّد
والتكرّر وهو العسر فى جمعها وليس فيه تكرير لما انّ الخشوع فى الصلوة
غير المحافظة عليها وفصلهما للايذان بانّ كلّا منهما فضيلة مستقلّة
ولو قرنا بالذكر لربّما توهّم انّ مجموع الخشوع والمحافظة فضيلة
واحدة اولئك اشارة الى المؤمنين الموصوفين بالصفات المذكورة

والايثار

والايثار على الاضمار للاشعار بامتيازهم بها من غيرهم ونزولهم
منزلة المشار اليهم حسًّا وما فيه من معنى البعد للايذان بعلوّ
طبقاتهم وبعد درجاتهم فى الفضل والشرف اولئك المنعوتون
بالصفات الجليلة والسمات العلية هم الوارثون الذين يرثون الفردوس
بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقهما وتفسير لهما بعد ابهامها
تفخيمًا لشأنها وترفيعًا لمحلّها وهى استعارة لاستحقاقهم الفردوس
باخلاص اعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه بالانجاز
لعدم التخلّف بالابرازهم فيها خالدون اى فى الفردوس والتأنيث
باعتبار انه اسم للجنّة او لطبقتها العليا وهو البستان الجامع
لانواع الثمرات واصناف الاكلات روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم ما منكم من احد الا وله منزلان
منزل فى الجنّة ومنزل فى النار فان مات ودخل النار ورث اهل
الجنّة منزله وذلك قوله اولئك هم الوارثون رواه الامام البغوى رح
وروى عن مجاهد رح انه قال لكلّ واحد منزلان منزل فى الجنّة ومنزل
فى النار فاما المؤمن فيبنى منزله الذى فى الجنّة ويهدم منزله الذى
فى النار واما الكافر فيهدم منزله الذى له فى الجنّة ويبنى منزله الذى فى النار فكانه يؤول
امر الميراث الى الوارث رواه البغوى فى المعالم رح وروى فيه ايضا انّ الله
تعالى خلق ثلثة اشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التورية بيده وغرس
جنّة عدن بيده ثم قال وعزّتى وجلالى لا يدخلها مدمن خمر ولا ديّوث
كذا فى المعالم اقول الحديث من المتشابهات اصله معلوم صحيح ولا نقدر
على وصفه مع الايمان لانه مجهول لنا كما انّ اصله صحيح معلوم لنا
فلا نشتغل بما هو مجهول لنا بل مجرّد الايمان كاف فيها روى عن عمر بن
الخطاب رضى الله عنه قال كان اذا انزل على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم

الوحي يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة وفي رواية نزل عليه
يومًا فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا
واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا
ثم قال لقد انزل علينا عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح
المؤمنون عشر آيات رواه احمد بن حنبل رح وعلي بن المديني وجماعة عن عبد
الرزاق وقالوا واعطنا ولا تحرمنا وارضنا وارض عنا رواه البغوي
في المعالم رح وروي عن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان اول ما يحاسب به العبد يوم القيمة من عمله صلوته
فان صلحت فقد افلح وانجح وان فسدت فقد خاب وخسر رواه الامام
الترمذي في صحيحه وروي عن عمر بن الخطاب رض انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم الصلوة عماد الدين فمن اقامها فقد اقام الدين
ومن تركها فقد هدم الدين رواه الامام البيهقي في شعب الايمان
وروي عن معاذ رض عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأس الامر الاسلام
وعموده الصلوة رواه الترمذي رح وروي عن ابن عمر رض انه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة
ان لا اله الا الله وان محمدًا عبده ورسوله واقام الصلوة وايتاء
الزكوة وحج البيت وصوم رمضان رواه البخاري وغيرهما من اصحاب
السنن ففرضت الصلوة الخمسة على المؤمنين والمؤمنات باداءها في
اوقاتها ووجب على المصلي ايضًا ان يراعي تعديلها وهو تسكين
الجوارح في الركوع والسجود والقومة بينهما والقعدة والجلسة بين
السجود واتمام هذه الاشياء قال ائمة الفقهاء من المذاهب الاربعة
من اهل السنة والجماعة ان الركوع والسجود لا خلاف في فرضيتهما
بالاتفاق ففساد الفرض الجزئي يقتضي فساد الصلوة الكلي ووجوب

اعادتها ليحق الحق بكلماته ويقطع آثار الشبهات بدليل انه على ما بينه
العالمون من ائمة المجتهدين في كتبهم المقبولة وسطورهم المرغوبة
قالوا واما تعديل الصلوة فواجب فهي عبارة عن تسكين الجوارح
حتى تطمئن المفاصل وادناه مقدار تسبيحة وهو فرض وركن
عند الامام يعقوب من اكبر تلاميذ الامام نعمان الكوفي المكنى بابي
يوسف الشيرازي ثم الاصفهاني ثم البغدادي رح وعند الامام
ابي عبد الله الشافعي رح واما عند امامنا الاعظم نعمان الشهيد بن
ثابت المكنى باسم بنته حنيفة المحدثة المجتهدة الغالبة على اخيها
حماد بن نعمان فلذا كني بابي حنيفة دون بابي حماد عليهم رحمة الله تعالى
وعند محمد بن الحسن الشيباني من اعلم تلامذته [illegible] على تخريج
الجرجاني من تلامذة الامام الاعظم وواجب على تخريج الكرخي
من تلامذه كذا في الهداية للامام علي المرغيناني من تلامذة الامام
قاضيخان رح قال صاحب النهاية في شرح الهداية فوجه قول
الجرجاني ان هذه الطمأنينة مشروعة لاكمال ركن فتكون سنة
كما كان الطمأنينة في الانتقال واما وجه قول الامام الكرخي رح
ان الطمأنينة مشروعة لاكمال ركن وهي مقصودة بنفسها فتكون
واجبة قياسًا على القرءة بخلاف الانتقال فانه ليس بمقصود وانما
المقصود امكان اداء ركن آخر فقلت بالفرق ليظهر التفاوت بين الطما
وذكر في كتاب صلوة الاثر ان قول محمد مثل قول ابي يوسف رح
وسئل عن محمد بن الحسن الشيباني رح عن ترك الاعتدال في الركوع
والسجود فقال اني اخاف ان لا تجوز صلوته صرح ابن همام في كتابه
قال صدر الاسلام ابو اليسر من الفقهاء رح من ترك الاعتدال في الركوع
والسجود تلزمه الاعادة فاذا اعاد يكون الفرض الثاني دون الاول

كذا في قاضيخان وذكر شمس الائمة السرخسي رح انه تلزم الاعادة
ولم يتعرض ان الفرض هو الثاني والاول انتهى وقال ابن همام كمال الدين
في شرح الهداية فلا شك في وجوب الاعادة اذ هو الحكم في كل صلوة
اديت مع الكراهة التحريمية وتكون جابرًا للاولى لان الفرض لا يتكرر
ما لم يفسد وجعله الثاني يقتضي عدم سقوطه بالاول وهو لازم
ترك الركن لا الواجب واما الانتقال من الركوع الى السجود وهو ركن
ايضًا وان كان مقصودًا لغيره اذ لا يتحقق ما بعدهما من الاركان
الا به واما رفع الرأس منهما فقال في التاتارخانية اختلف الروايات
عن ابي حنيفة رح ذكر في بعضها ان رفع الرأس منهما فرض واما عوده
الى القيام من الركوع والجلسة بين السجدتين ليسا بفرض عند محمد
رح انتهى واما القومة عن الركوع فالقيام عقيبه والجلسة بين
السجدتين فرض عند ابي يوسف رح وسنة مؤكدة عندهما رح
وفي رواية واجب وهو الاصح لانه لو ترك شيئًا منها عمدًا اثم
فوجب اعادتها وان ترك سهوًا فوجب عليه سجدتا السهو ويؤيد
قواعد الاصول وهي ان الوجوب تثبت بامور منها مواظبة النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بغير ترك مع الانكار على التارك ومنها الاية
الظنى الدلالة ومنها خبر الواحد فكلها متحققة فيهما ويدل
على قولنا قوله تعالى اقيموا الصلوة مرارًا في المواضع المتعددة من اقام
العود اذا قومه وسوّاه وازال عنه اعوجاجه فصار قويمًا يشبه
القائم كذا صرحه القاضي البيضاوي وغيره في تفسيره فالامر
للوجوب فان قلت هذا العنوان يدل على الفرضية لا الوجوب قلنا
نعم لو تعين له وانحصر به وقد فسر الاقامة بالدوام عليها والمحافظة
والتشمر لادائها فلما احتملت غير تعديل الاركان لم تكن قطعية

الدلالة

الدلالة فتثبت الوجوب لرجحانه على غيره ويؤيد ما قاله صاحب
الكشف الاقامة من القيام والهمزة للتعدية فمعناه يجعلون
الصلوة قائمة على الاستواء او قويمة مزيلة اعوجاجه لكنه بالمعنى
الثاني اكثر استعمالا انتهى ويؤيد كونه واجبًا ما رواه الائمة الستة
عن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
المسجد فدخل رجل فصلى وسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فرده وقال ارجع فصل فانك لم تصل فرجع فصلى كما صلى ثم
جاء فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرده وقال ارجع فصل
فانك لم تصل فقال والذي بعثك بالحق ما احسن غيره فعلمني
فقال اذا قمت الى الصلوة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن
ثم اركع حتى تطمئن راكعًا ثم ارفع حتى تعدل قائمًا ثم اسجد
حتى تطمئن ساجدًا ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا وافعل ذلك
في صلوتك كلها وهذا يدل على ان تعديل الاركان وطمانينة القومة
والجلسة واجب كذا صرح في الاختيار وروى عن البراء بن عازب
رض كان ركوع النبي صلعم وسجوده وجلوسه بين السجدتين واذا
رفع رأسه من الركوع ما خلا القيام والقعود قريبًا من الاستواء
رواه البخاري ومسلم رح وهذا يدل على المواظبة وهي دليل الوجوب
باتفاق اهل الاصول وقال الامام النووي من الشافعية رح فيه
دليل على تخفيف القراءة والتشهد واطالة الطمانينة في الركوع
والسجود وكان قوله قريبًا من الاستواء دل على ان بعضًا كان فيه
طول يسير على بعض وذلك في القيام ولعله ايضًا في التشهد
واعلم ان هذا الحديث محمول على بعض الاحوال والاوقات والا فقد
ثبت الاحاديث بتطويل القيام وفي هذا الحديث الصحيح

مطلب

دلالة على اعلى مراتب طمانينة القومة والجلسة وهو ما يسع فيه قراءة
الفاتحة تقريبا اذ لا بد في القيام من قراءة الفاتحة وثلاث آيات
وانما اطلنا المقام بروآية الاحاديث الصحيحة الدالة على الفرضية
تارة والوجوبية تارة ونقلنا اقوال الفقهاء العظام من المسائل
العلية لينتبه المصلي كيف يصلي واي صلوة وقيام وركوع
وسجود وخضوع وخشوع وقومة وجلسة وطمانينتهما وقراءة القرآن
وتجويدها وترتيلها فاكثر الناس تركوا القومة والجلسة والطمانينة
فيهما كالشريعة المنسوخة فضلا عن غيرها فاذا ترك الفرض فيهما
فسدت الصلوة واذا ترك الواجب ان كان عمدا تجب الاعادة وان سهوا
فعليه سجدتا السهو وان ترك السنة المؤكدة كما في مذهب الامام
محمد بن الحسن الشيباني رح فتجب عليه الاعادة لان ترك السنة
المؤكدة مكروه بكراهة التحريمية وما اديت معها تجب الاعادة
على ما بينه الفقهاء فاذا امضت ايام على هذه العبادة الرديئة ظنا
انه يصلي كان تارك الصلوة مدة عمره او ناقصا ومستحقا للعذاب
الموعود فيها في قوله عز وجل فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم
ساهون قال ابو العباس رح ليس في القرآن وعيد اصعب الا وعد
لطيف الا في هذه الآية وقال عطاء بن دينار رح الحمد لله الذي
قال عن صلاتهم ولم يقل في صلوتهم وكذا روي عن انس بن مالك رضي
مثله فقالوا فالمراد من السهو في الآية سهو ترك لا سهو نسيان ولذا
قال بعضهم دون في لانه لا يكاد يخلو منه المؤمن لان الانسان محل النسيان
ومن ثمة اثبت الفقهاء في كتبهم باب سجود السهو لا سجود العمد
والترك فان الاول متمم للنقصان فلذا شرع لتكميله دون الثاني
فان العمد ينقص الصلوة فتجب اعادتها فاذا لم يعدها استحق العذاب

لتركه الواجب فالعفو هو الله الغفور الرحيم جميعا قيل ان كان العمل
الصالح فريضة فحقه الاعلان به فلا يكون عامله مرائيا ان كان
عاملا ومخلصا عابدا لانه مامور به وان كان تطوعا فحقه الاخفاء
حذرا عن الرياء ان خاف الا ان يكون العامل منتهيا بالارتياض في دينه
فاظهاره افضل لاقتداء غيره واما لو اظهر شيئا للثناء بالصلاح
كان مرائيا فكان علامة للنفاق لعدم الوفاق بين الظاهر والباطن
والمؤمنون انما امروا بالاخلاص فيما صدر عنهم من الاعمال والاقوال
بالابدان والاموال فهذه ثمرة الدين المميز المرائي من المخلص والنفاق
من الوفاق لان كلا منهما امر شرعي فيهما كالماء الطاهر وغير الطاهر
من الجنب اذ الافعال والاقوال ترجمان القلوب اذ المرء لا يقدر ان
يقول ويفعل بما هو ليس في قلبه لان كل ما يظهر في الخارج مما ينبع
من القلب ولهذا لا يقدر الانسان على المجهول كما هو حال اصحاب
ذوي العقول فاللائق للمؤمنين ان يأتمروا بالاوامر وينتهوا عن الزواجر
والنواهي كما قال الله سبحانه وتعالى وما امروا الا ليعبدوا الله جملة حالية
مفيدة لغاية قبح ما فعلوا اي والحال انهم ما امروا بما امروا في كتابهم
الا لاجل ان يعبدوا الله مخلصين له الدين اي جاعلون دينهم خالصا له
لا جاعلون انفسهم وما صدر عنهم خالصة له تعالى في الدين القيم
حنفاء اي مائلين عن جميع العقايد الزائغة والروابط الفاسدة
الى دين الاسلام الحقة اللائقة الضمينة الى دخول الدرجات
وولوج الجنات من النعم الباقية والنعيم الدائمة فسبحان من ابدلها
بدل الفانية من الدنيا الدنية ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ايتمارا
بامر الله تعالى وانتهاءا عما نهره الله تعالى بالاتباع الى الشريعة
الاسلامية بجميع الاحكام الايقانية التي هما من جملتها العمادية

وذلك دين القيمة اشارة على ماذكر من الاخلاص فيه وما فيه من معنى
البعد للاشعار بعلو رتبة المخلصين وبعد منزلة المتقين في دين
الملة القيمة وقرئ الدين القيمة على تأويل الدين بالملة القيمة
وروى عن ابي سعيد الخدري رض انه قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان فان الله
تعالى يقول في سورة التوبة انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم
الآخر رواه الترمذي وقال حديث حسن وروى عن ابي هريرة رض انه
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلوة الرجل في جماعة تضعف
على صلوته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا وذلك انه اذا
توضأ فاحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلوة
لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة وحط عنه خطيئة فاذا
صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه يقولون اللهم ارحمه
وفي رواية اخرى اللهم اغفر له اللهم تب عليه ما لم يؤذ فيه ما لم
يحدث فيه اي ما لم يتكلم باللغو رواه البخاري واللفظ له ومسلم
وابوداود والترمذي وابن ماجه وروى عن ابن مسعود رض قال
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علمنا سنن الهدى الصلوة في المسجد
الذي يؤذن فيه رواه مسلم رح وابوداود والنسائي وابن ماجه
وروى عن عمر بن الخطاب رض انه قال سمعت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى ليتعجب من الصلوة في الجميع
رواه احمد في مسنده باسناد حسن قوله ليتعجب فيه تجوز من المجاز
الاولى اذ المراد لازمه وهو الرضا عنه من اهل تلك الصلوة جميعا
وروى عن عثمان بن عفان رض انه قال سمعت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يقول من توضأ فاسبغ الوضوء ثم مشى الى صلوة

نصليها مع الامام غفر له ذنبه رواه ابن خزيمة في صحيحه وروى
عن ابي امامة الباهلي رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ولو لم يعلم المتخلف عن الصلوة في الجماعة ما لهذا الماشي اليها لأتوها
ولو حبوا على يديه ورجليه رواه الطبراني قوله ولو حبوا والحبو ما فعل
الصبي الضعيف يمشي على يديه ورجليه ولا يقدر على المشي بالاقدام
بالقيام يعني ان المتخلف عن الجماعة ولو يعلم ما يعطى له من الاجر والفضل
في الجنان العاليات من الدرجات الرافعات مع النعم الابدية والسعادة
السرمدية لجاء الجماعة في المسجد ولو حبوا ان لم يقدر المشي على قدميه
كما قال الله تعالى في سورة المائدة يا ايها الذين آمنوا نداء للمؤمنين المقبولين
باعمالهم الحسنة واقامة الصلوة المفروضة مؤتمرين بالاوامر المطلوبة
منتهين عن النواهي المردودة واشارة الى بعد درجاتهم وعلو مراتبهم
اظهارا لكرامته واشفاقا الى عفو قصور عبادة عباده وان لم تكن
لائقة لعظمته تعالى ولكن يعامله معاملة العفو والمغفرة بجلالة الوهيته
وسعة رحمته واري طريق وسيلة المغفرة ودخول الجنة بقوله
اتقوا الله لتنالوا النعم الابدية والدولة السرمدية بالجنة وخدمها
والرفعة على رتبها من وقي يقي اذا فرط في الديانة والصيانة وهو في الشرع
عبارة عن كمال الاطاعة والانقياد في الاوامر الالهية والنواهي السبحانية
بالائتمار والانتهاء بما ينفعه وعما يضره في الآخرة وهو على ثلثة
مراتب الاولى التوقي والاجتناب عن الكفر والشرك المخلد في العذاب
والمؤبد في العقاب مع الايمان والاذعان وعليه قوله تعالى في سورة
الفتح والزمهم كلمة التقوى اي كلمة الشهادة بالاقرار والتصديق
بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله محمد رسول الله
وقيل كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد والثبات عليه واضافتها الى التقوى

لانها سبب التقوى واساسها او كلمة اهلها وهذه ادنى المراتب
والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك حتى الصغاير عند
البعض وهو المتعارف باسم التقوى فى الشرع القويم والطريق القديم
وهو المقصود بقوله تعالى فى سورة الاعراف ولو ان اهل القرى آمنوا
وهى مكة وما حولها من القرى وقيل جنس القرى المنتظمة لما ذكر منها
انتظاما اوليا اى لو آمن اهل القرى كقوم عاد وهود وصالح وما اشبههم
واتقوا وتجنبوا عن الكفر والشرك والمعاصى الباقية او اتقوا
بما انذروا به قومه على السنة الانبياء المرسلين عليهم بعد الايمان
بما اوحى اليهم معتبرين بما جرى عليهم من الابتلاء بالضراء والسراء
ولم يصروا على ما فعلوا من القبايح المذمومة ولم يحملوا ابتلاء الله
تعالى على عادات الدهر وقال ابن عباس رض وحدوا الله واتقوا الشرك
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض اى لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم
من كل جانب ما اصابهم من فنون العقبات التى بعضها من السماء
وبعضها من الارض وقيل المراد المطر وقرئ لفتحنا بالتشديد للتكثير
ولكن كذبوا اى ولكن لم يؤمنوا ولم يتقوا وقد اكتفى بذكر الاول لاستلزامه
للثانى فاخذناهم بما كانوا يكسبون من انواع المعاصى وهذا الاخذ
عبارة عن الاخذ بغتة لا عن الجدب والقحط وهذه الرتبة من المراتب
الثانية للتقوى وهو الاوسط واما الثالثة من المراتب لها وهو
الاعلى وهو ان يتنزه عما يشغل سره من الحق وينقطع عن الدنيا
الدنية ويتبتل الى الاخرة والى الله تعالى بشراشره وهو التقوى الحقيقى
المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته وابتغوا اليه الوسيلة اى
اطلبوا الى ما تتوسلون به وتتقربون به اليه لان مجامع التكاليف
محصورة على نوعين لا ثالث لهما فالنوع الاول ترك المنهيات واليه

اشار بقوله

اشار بقوله تعالى اتقوا الله والنوع الثانى التقرب الى الله تعالى بالعبادات
المأمورة والطاعات المسنونة واليه اشار بقوله تعالى وابتغوا اليه
الوسيلة بما يتوسل به اليه من مراعات رضائه من فعل الاعمال الصالحات
من الخيرات والحسنات وترك المعاصى من الفضاعات السيئات
بالانقياد اليه والاطاعة بما لديه ويرضيه وبما اخبر به نبيه فى كتابه
وسننه يقال وسل اليه اذا تقرب اليه بطريق من طرق الوسائل
وفى الحديث الوسيلة منزلة فى الجنة قال الاستاد العلامة الامام
القشيرى فى تفسيره فى هذا المحل الوسيلة تجريد الاعمال عن الرياء
وتجريد الاحوال عن الاعجاب وتخليص الانفاس عن الحظوظ النفسانية
قال صاحب العرايس اتقوا الله النظر الى السوى وابتغوا اليه الوسيلة
بتشبث التقوى والاتباع بها ولا يكون عندكم الوسيلة اليه شيئا
دونه فهذه الرتبة الوسيلة الحقيقية وهل هذا لا يمكن من العباد
الا بالمحاربة بالنفس الامارة والمجاهدة بها حق المجاهدة حتى
صارت لوامة وجاهدوا فى سبيله بمحاربة الاعداء الظاهرة
من الكفرة الفجرة والباطنة من لذايذ النفس الامارة المهلكة بالشريعة
الحنفية والطريقة المستقيمة لعلكم تفلحون اى تنجوا من غضب الله
وعذابه وتنالوا ثوابه بما هيئ من درجاته بانواع عناياته واصناف
سعاداته من النعم العظمى الموعودة والحكم الكبرى الموضوعة وروى
عن سعيد الخدرى رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وكذا روى عن ابى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله الامام العادل
وشاب نشاء فى عبادة الله ربه وفى رواية البغوى بعبادة الله ورجل
قلبه معلق فى المساجد وفى رواية البغوى بالمسجد اذا خرج منه

حتى يعودا اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا اليه وتفرقا عليه وفي رواية
البغوي اجتمعا على ذلك وتفرقا ورجل طلبته امرأة ذات منصب
وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق اخفاء حتى لا تعلم شماله
ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله عز وجل خاليا ففاضت عيناه رواه
البخاري والبغوي في المعالم رحمهما في سورة البقرة ان تبدوا الصدقات
فنعما هي لكن فيه تقديم البعض على بعض وتأخيره وروي عن ابي
سعيد الخدري رض مرويا عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى
يقول لاهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله
في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا رب وقد
اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل
من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا
رواه البخاري ومسلم في الصحيحين والترمذي رح وفي الحديث
دليل على ان السعادة الروحانية افضل من سعادة الجسمانية اللهم
اجعلنا من الكاملين المكملين ومن النائلين الى شرف الرضوان
في الاكملين بحرمة رسولك ونبيك في الدارين آمين وروي عن
ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان
في الجنة مائة درجة ما بين كل الدرجتين مائة عام رواه الترمذي
رح وقال حديث حسن والطبراني في الاوسط الا انه قال ما بين كل
درجتين مسيرة خمسمائة عام وروي عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين
في سبيل الله ما بين الدرجتين بين السماء والارض رواه البخاري
ويؤيده قوله تعالى في آخر سورة الحج يا ايها الذين آمنوا اي اقروا بتوحيد الله
عز وجل باللسان شطرا او شرطا له وصدقوا بالاذعان والاتقان

مرعيا

مرعيا بحق التوحيد بالاطاعة والانقياد والخضوع والخشوع في الاعمال
والاقوال على الدوام والاعتياد بما عليه الاعتماد في الفتوى والتقوى
بالشق والجهد ما استطاع الاجتهاد ولظهار امن ثمراته وهي قوله
اركعوا واسجدوا اي من قبيل ذكر الجزء وارادة الكل اي صلوا لله تعالى
صلاة ذات الركوع والسجود خاصة لهذه الامة من الامم الماضية وهي
الصلاة الخمسة المفروضة والمتطوعة وانما الختين بهما من الاجزاء
لان المؤمنين في اول الاسلام كانوا يسجدون بالسجدة الواحدة بغير
ركوع فامرهم الله تعالى بان يركعوا واحدا ويسجدوا اثنين فان قيل لو
خص الوحدة للركوع والاثنان للسجدة دون العكس قلنا الركوع لم يوجد
في الشريعة السابقة عبادة لهم السالفة والسجدة واحدة فاكرم الله
رسوله وامته بوضع ما ليس في عبادتهم بالابداع والضم ووجه بعضهم
رواية عن جابر رض انه قال ان في السماء الثالثة ملائكة يسجدون لله
تعالى منذ خلقهم الله فرفعوا رؤسهم من السجدة عند تسليمهم النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ورد السلام ثم سجدوا ثانيا الى قيام الساعة ففرض
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته السجدة الثانية لحظة لينال الاجر
الى قيام الساعة مدة مديدة بحرمة النبي المحترم المجتبى والرسول المكرم
المصطفى عليه من الصلوات اعلاها ومن التحيات انميها فان قلت
ايهما من الركوع والسجود افضل قلت تكلم العلماء واختلفوا ورجحوا الاحد
على الاخرى وبالعكس ولكل وجهة هو موليها فقال بعضهم ان الركوع
افضل لانه اشق على النفوس وخير الاعمال احمزها واشقها اذ بقدر
الكد تكتسب المعالي ولان الركوع لم يؤمر الا لله العلي الاعلى فلا يجوز
لاحد من المخلوقات فخص به الله تعالى بخلاف السجدة فانها انقسمت
على القسمين الاولى سجدة التحية فهي جائزة في الشرائع السالفة لقوله تعالى

كما فى شريعتنا ولا يجوز لغيره من المخلوقات كما يجوز فى الشريعة السابقة
كسجدة ابوى يوسف عليه السلام واخوته له كما فى قوله تعالى وخروا له
سجدا او سجدة الملائكة لآدم عليه السلام لم يجز فى شريعتنا والثانية
سجدة العبادة وهذه لا تجوز لغير الله تعالى لانه لا يستحقه الا الله
الواحد الغفار ولان المصلى اذا ادرك امامه فى الركوع قد يستبيح فقد
اكمل الصلوة بخلاف الادراك فى السجدة فانه لم يعد مكملا او مدركا
ولان الركوع شرع بحمد ذكر امامه ءم ولم يشرع قبل الاسلام وواله
بخلاف السجدة فانه ليست صلوة المفروضة والمتطوعة الا ولها سجدة
ولو واحدة كما فى التلاوة فلزيادة اجر الشريعة الاسلامية على ما قبلها
زيدة السجدة الثانية وقال بعضهم ان السجدة افضل لانها
اثنتان تماهو اضعاف من العبادات افضل من فرده وضعفه ولان
اكثر الملائكة عبادتهم مقصورة عليها ولان السجدة ابلغ فيها الخضوع
فلذا امر الله لآدم عليه السلام بالسجدة دون الركوع ليزيد التعظيم
من الملائكة ولان القربة حاصلة بالسجدة فى قوله تعالى واسجد واقترب
دونه ولان السجدة افضل الاركان فلاجله زيد عليها امثاله دونه
فلذا ورد الاثر فيها لقبول دعاء المطلوب فهاد وته فلكل وجهة
واعبدوا ربكم حتى يأتيكم اليقين والموت واطيعوه بالصوم والصلوة
والحج والزكوة وكلمة الشهادة ولان الحكمة من خلق المخلوقات
ماهو الا لتعريف ذاته وصفاته القديمة والعبادة له لينيل الدولة
الابدية والبعد عن الغواية والضلالة وافعلوا الخير اى ما هو خير
واصلح فى كل ما تفعلونه من الفرائض والنوافل وصلة الارحام
ومكارم الاخلاق ما استطعتم وبادروا اليها وسارعوا الى توفيرها
واشتغلوا الى تكثيرها وقدموا فيما يغنى ما يبقى واشتروا بالفانية

الباقية

الباقية والزائلة الدائمة وآثروا الاخرة على الاولى فى العاقبة لعلكم
تفلحون اى افعلوا هذه كلها وانتم راجون بها الفلاح غير متيقنين له
غير واثقين على اعمالكم لان الدخول فى الجنة والاستحقاق فى النعمة
انما هو بفضل الله وعنايته لا بالعبادات لان مأمورية العباد
بالاعمال الشاقة انما هو اظهار العبودية والصيانة له عن الاصنام
والضلالة وعبادتهم وان كانت صورة عبادة لكنه قباحة فى الحقيقة
لان العباد من الخواص لا يقدر على ما هو لايق له بل عبارة عن القصور
والكسور وقبوله تعالى منه فضل وعناية وهل هذه الا لعرفان خالقه
ومعبوديته وصيانته عن الاشراك فضلا عن اعمال العوام ولا يذان
هذه النكتة العلمية اضاف تعليق الرجاء الى الفلاح وللبيان كيفية
اعمالهم والعناية لمخلوقاتهم كما هو حال الكريم فى كرمه ولاية آية
السجدة عند الامام الشافعى رح لظاهر ما فيها من الامر بالسجود
ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فضلت سورة الحج بسجدتين ما لم
يسجدهما فلا يقرأها وعند ابى حنيفة رح هى سجدة صلوة بدليل
اقترانها بالركوع فمعناه اركعوا واسجدوا فى الصلوة المفروضة
والمتطوعة بمراعات حدودها وشروطها جوازا وقبولا قبل الشروع
وهى ستة الطهارة من الحدث والنجاسة وستر العورة واستقبال
القبلة ومعرفة الوقت والنية وافتتاح التكبير على الاصح لان تجوز
الدخول وصحتها الا يكون الا بها كالمقدمة الخارجية لجميع صحة
الاشياء التى تتوقف وجودها عليها كالسلم لخروج الدار السطوح
كما هو الظاهر وان عده بعض العلماء من شروط الداخلية نظرا
الى عدم الانفكاك والحال ان جميع الاشياء مشتركة فى هذه الخصوصية
ولا يلزم منه ان يكون من الشروط الداخلية كاللازم والملزوم

ونحوه واما الشروط الداخلية فخمسة على الاصح كما سمعت وجهه
القيام والقراءة والركوع والسجود والقعدة الاخيرة مقدار التشهد
واما شرائط القبول فستة في الظاهر وستة في الباطن اما الظاهر
الخشوع والتقوى وترك اكل الحرام والاعراض عن اللغويات وترك
الكسل عند الصلوة والخوف عن الضياع كما قال الله تعالى والذينهم
في صلوتهم خاشعون وقال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين وقال تعالى
كلوا من طيبات ما كسبتم وقال تعالى والذينهم عن اللغو معرضون وقال الله
تعالى في المنافقين واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وقال تعالى فخلف
من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة بفتح الخاء المعجمة واللام المفتوحة
يقال لمن عقب بالخير والصلاح فالمعنى فعقب الانبياء المذكورين
خَلْفٌ من الاولاد والامم كبني اسرائيل وعقب سوء اضاعوا الشرايع
وما فيها من الاوامر كالصلوة والزكوة والقيام والحج وكلمة الشهادة
الدالة على توحيد ذاته تعالى وتركوها عن اوقاتها او قطعوها نسيا
منسيا وعبدوا الاباطيل من الاصنام والاوثان واتبعوا الشهوات
من انواع المعاصي واصناف الطغيان من شرب الخمر واكل الحرام
واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في جميع العصيان
وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال من بنى الشديد وركب
المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا اي شرا فان غي الشيء
شره ورشاد الشيء خيره عند الفصحاء والبلغاء كقوله فمن يلق
خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وعن الضحاك
رضي جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما اي جزاء اثام او غيا عن طريق الجنة
وقيل الغي واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها لما روي عن ابن عباس
رضي الله عنه قال الغي واد في جهنم وان اودية جهنم تستعيذ من حره اعد

للزاني المصر

ويكون اسم على وزن ثمر عقب السوء ويقال لمن يعقب بخير وانما ... من العلاد ... الخلف بفتح اللام المفتوح صح

للزاني المصر عليه وللشارب الخمر المدمن عليها واكل الربوا الذي لا ينزع
عينه ولاهل العقوق ولشاهد الزور وقال الغي واد في جهنم يسيل
قيحا ودما وقال كعب هو واد في جهنم ابعدها قعرا واشدها حرا فيه
بئر يسمى الهيم كلما خبت جهنم فتح تلك البئر فتسعر بها جهنم كذا
في المعالم وروي عن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه يقول ما بين شفير
جهنم الى قعرها سيرة سبعين خريفا من حجر يهوي وقال صخرة تهوي
رواه البغوي رح الا من تاب وامن وعمل صالحا فهذه تدل على ان
الاية في حق الكفرة والمنافقين فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار
اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا وكررا
كرارا اي فاولئك المنعوتون بالتوبة والايمان والاعمال الصالحات
بالنيات الخالصات يدخلون الجنة بموجب الوعد الكريم اذ لا تخلف
فيه من الرحيم وقرئ يدخلون على البناء المجهول بقرينة قوله
ولا يظلمون شيئا اي ولا ينقصون من جزاء اعمالهم ذرة من الاشياء
لان من عمل مثقال ذرة خيرا يره ولانه وعد بقوله لا يضيع اجر
المحسنين واجر من احسن عملا ماخوذ من النقص وفيه تنبيه
على ان الكفر السابق منهم لا يضرهم لمحو الايمان به ولا ينقص اجورهم
الخيريتة في حالهم السابق فانهم اوتوا اجرهم مرتين للنص الوارد فيه
وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم اذا ركع احدكم فليضع يديه على ركبتيه ثم ليمكث حتى
ليطمئن كل عظم من مفاصله ثم ليسبح ثلث مرات فانه يسبح الله
من جسده ستون وثلثماة عظم وستون وثلثماة عرق واذا سجد
فمثل ذلك وايضا وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قال العبد في ركوعه سبحان ربي العظيم

مرة عتق ثلث جسده من النار واذا قال ثلاث مرات عتق جسده كله
من النار كذا فى حيوة القلوب وروى عن ابى طلحة رضى انه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم استكثروا من السجود فانه ما من
عبد يسجد لله سجدة الا رفعه الله درجة رواه الامام السناتى
فى كتابه حيوة القلوب رح وروى عن انس بن مالك رضى انه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اول من افترض الله على امتى
الصلوات الخمس واول ما يرفع من اعمالهم الصلوات الخمس كذا رواه
الامام فى حيوة القلوب فى بحر العلوم وروى عن حنظلة الكاتب رضى
انه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من حافظ على
الصلوات الخمس ركوعهن وسجودهن ومواقيتهن وعلم انهن حق
من عند الله دخل الجنة او قال وجبت له الجنة او قال حرم على النار
رواه احمد فى مسنده باسناد جيد ويؤيد صحة هذا الحديث قوله
تعالى فى سورة المعارج والذينهم على صلواتهم يحافظون اى يداومون
عليها برعاية تعديل اركانها وركوعها وسجودها وقيامها وقراءتها
وخضوعها وخشوعها وما لزمها من اوقاتها ووضوءها واسباغها
ثلثا ثلثا بالتانى والترتيب والتخصص والترتيل اولئك فى جنات
مكرمون اى اهل هذه الصفات المحمودة والنعات الممدوحة مكرمون
عند الله بالمغفرة والرضوان واعالى الدرجات والاحسان وبالتحف
والهدايا والسلام والباس خلع الجنة واطعام الاطعمة الباقية على
الاكرام وانبساط اللطايف من الله الكريم الرحيم العليم احوال
العجزة من عباده وهم المحتاجون اليه والمجتمعون لديه وقيل ان العبد
اذا صلى صلوة تقبل منه يخلق الله تعالى منه ملكا يقوم ويصلى لله تعالى
الى يوم القيمة ويعطون ثوابه لصاحب الصلوة وكذا سائر الاعمال

اذ يجوز بتجسيد المعانى وتجسيمها اكراما لحبيب الله واسرارا لرسول الله
فى امته المرحومة واصحابه المرغوبة بحيث اذا رأى المؤمنون من عندهم
من المخلوقات النورانية والموجودات السبحانية يسرون ويسرورت
امته يسر النبى المختار والصفى الممتاز عند الاخيار يوم التلقى والمرصات
والتلاقى فى الجنات والتوقف والجمال فى كل الاحوال عند الخلاص
والنجاة عن البرازخ والاهوال اللهم اوصلنا ما رجونا ووفقنا ما رضيتنا
واجعلنا من المسرورين ولا تجعلنا من المرغوبين انت مولينا وعليك
توكلنا واليك انبنا واما الشروط الباطنة فستة ايضا الاول الاخلاص
والثانى التفكر والثالث الخوف من الله والرابع الرجاء والخامس المشاهدة
بان يعبد الله كانه يراه وان لم تكن تراه فانه يريك والسادس اقامة
الصلوة باتمام اركانها وسننها وادابها لما روى عن ابى هريرة رضى
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان اول ما يحاسب به العبد
يوم القيمة من عمله صلوته فان صلحت فقد افلح وانجح وان فسدت
فقد خاب وخسر رواه الامام الترمذى فى صحيحه وروى عن الحرث
مولى عثمان بن عفان رضى قال جلس عثمان رضى يوما وجلسنا معه فجاء
المؤذن فدعى بماء فى اناء فتوضأ ثم قال رأيت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يتوضأ نحو وضوئى هذا ثم قال من توضأ هكذا ثم قام
ويصلى صلوة الظهر غفر له ما كان بينها وبين صلوة الصبح ثم صلى
صلوة العصر غفر له ما كان بينها وبين الظهر ثم صلى المغرب
غفر له ما كان بينها وبين العصر ثم صلى العشاء غفر له ما كان بينها
وبين المغرب ثم لعله يبيت ليلته ثم ان قام فتوضأ وصلى الصبح
غفر له ما كان بينها وبين صلوة العشاء ثم قرأ من سورة هود ان الحسنات
يذهبن السيئات يعنى الصلوات الخمس فى اوقاتها يكفرن السيئات

نعمادون الكبائر قالوا هذه الحسنات فما الباقيات يا عثمان قال
هي سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم رواه احمد باسناد حسن وابو يعلى والبزار
وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يقول ارايتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس
مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا يبقى من درنه شيء قال كذلك
مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا رواه البخاري ومسلم والترمذي
والنسائي قوله ارايتم اي اخبرتم وابصرتم قوله من درنه بفتح الدال
والنون اي من وسخه كما قال الله تعالى في سورة هود واقم الصلوة طرفي
النهار اي غدوة وعشية وانتصابه على الظرفية لكونه مضافا
الى الوقت وزلفا من الليل اي ساعات منه قريبة من النهار من ازلفه
اذا قربه جمع زلفة عطف على طرفي النهار والمراد بهما صلوة الغداة
والعصر وقيل الظهر موضع العصر لان ما بعد الزوال عشي وبصلوة
الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وبضمة وسكون
كبسر ويسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات التي
من جملتها بل عمدتها ما امرت به من الصلوات يذهبن السيئات
التي قلما يخلو منها البشر بحسب النفسانية الانسانية اي يكفرنها
ويطهرنها ما اجتنب الكبائر ولم يبق من الصغاير ذلك ذكرى
اشارة الى قوله فيما قبله فاستقم كما امرت وقيل الى القرآن اي
الاعمال بمقتضاه مع الاخلاص في فهم معناه والتصديق بمبناه
موعظة للذاكرين المتعظين بفحواه والمخلصين بمبناه ومعناه
والمتنورين بنور مودع في الاسلام لمن انشرح صدره بالاذعان
والاتفاق مع الاكرام والاحترام فهذا نور من رتب الاتمام موضوع

على وجوه

على وجوه المؤمنين من اهل السنة افلا تنظر الى وجوه المخلصين
من اهل الجماعة كيف تلمع بالنظرة الدقيقة كيف تشعشع فهذه
لا يمكن وان غسلت كل آن الغبرة وهل هذا الا من صبغة الله ومن
احسن من الله صبغة واصبر على مشاق ما امرت به في تضاعيف
الاوامر السابقة واما ما نهي عنه من الطغيان والركون الى الذين
ظلموا فليس في الانتهاء عنه مشقة فلا وجه لتعميم الصبر له اللهم
الا ان يراد به ما لا يمكن عادة خلو البشر عنه من ادنى ميل بحكم
الطبيعة من الاستقامة المامور بها بحكم البشرية الى من وجد فيه
ظلم ما فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي يوفيهم اجور اعمالهم من غير
نقص وبخس اصلا بل يوفي الصابرين اجورهم عشرا بدل الواحد
وسبعماة بدل العشر وبغير حساب عناية من كرم الالوهية في مقابلة
العبودية اعلاما للعباد انا الكريم اللطيف الغني الصمد انما امرت
لعبادي الصالحين بالمامورات الشاقة لمعاملة الابتلاء انه يعرف
انه من المطيعين او من العاصيين ويجهد في الاول ويتهم نفسه في الثاني
ويعتبر من حال المكرمين في الجنان في الدرجات العالية ومن شان
المعذبين في الدركات السافلة ويعرف ان ربه كريم لمن عرف قدر
الايمان وشان اهل الاسلام وائتمر بالاوامر العلية وانتهى عن النواهي
المنهية فجنانه ونعيم فيها لعباده المخلصين كرما واحسانا لا استحقاقا
واستعدادا محضا عن الطاعة العميم ولا فاتي للانسان ليعمل ويقدر
على ما هو يليق بذاته العظيم فان المقربين قالوا سبحانك ما عبدناك
حق عبادتك يا معبود سبحانك ما شكرناك حق شكرك يا مشكور
وانما عبر عن ذلك بنفي الاضاعة مع ان عدم اعطاء الاجر ليس باضاعة
حقيقة كيف لا والاعمال غير موجبة للاجر والثواب وانما هو
لاظهار العبودية في الحال والماب فضلا عما فيه من العيوب الظاهرة

والشؤون الباطنية المانعة للطلب والقبول فلا اى شئ من القصور
والكسور يبطل الاجور ويرجى القبول حتى يلزم من يخلفه عنها تضييعها
وانما قال كذا لبيان نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يمنع
صدوره عنه سبحانه وابرازه لاثباته في معرض الامور الواجبة على العباد
المكلفة بها وانما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المطلوب
مع افادة فائدة عامة لكل من يتصف به وهو تعليل للامر بالصبر
وفيه اشارة الى ان الصبر على ما ذكر من الاحسان لما روى عن ابى هريرة
رض ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الصلوة الخمس والجمعة
كفارات لما بينهن ما لم يغش الكبائر رواه مسلم والترمذى وغيرهما
قوله ما لم يغش الكبائر اى ما لم يباشرها وقال ابن عباس رض الكبائر
عشرون استدل بها بالايات والاحاديث الاشراك بالله واليأس عن
روح الله والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله وعقوق الوالدين
وقتل النفس بغير حق وقذف المحصنة واكل مال اليتيم ظلما والفرار
من الزحف واكل الربوا والسحر والزنا واليمين الكاذبة ومنع الزكوة
والغلول وشهادة الزور وشرب الخمر وترك الصلوة متعمدا وقطيعة
الرحم والحيف اى الميل فى الوصية وروى عن سلمان الفارسى رض
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلم يصلى وخطاياه
مرفوعة على رأسه كلما سجد تحاتت عنه فيفرغ من صلوته وقد تحاتت
عنه خطاياه رواه الامام الطبرانى فى المعجم الكبير والصغير
قوله تحاتت اى سقطت وروى عن ادريس الخولانى رض قال
كنت فى مجلس اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم عبادة بن الصامت
رض فقال انى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتانى جبرئيل
من عند الله فقال يا رسول الله ان الله تعالى يقول انى قد فرضت
على امتك خمس صلوات ومن وفا بهن على وضوئهن ومواقيتهن

وركوعهن

وركوعهن وسجودهن وقراءتهن كان له بهن عندى عهد ان ادخله
بهن الجنة ومن يلقانى قد انتقص من ذلك شيئا فليس له عندى
عهد ان شئت عذبته وان شئت رحمته وروى ابن حبان فى
صحيحه وابو داود الطيالسى رح وروى عن انس بن مالك رض
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اول ما فرض على امتى الصلوة
واول ما يرفع عن امتى الصلوة واول ما يحاسب به العبد يوم القيمة
الصلوة يقول الله تعالى انظروا فى صلوة عبدى فان كانت تامة كتبت
تامة وان كانت ناقصة يقول انظروا هل لعبدى من تطوع فان وجد له
تطوع اتمت الفريضة من التطوع ثم قال انظروا هل زكوته تامة فان
وجدت زكوته تامة كتبت تامة وان كانت ناقصة قال انظروا
هل له صدقة فان كانت له صدقة تمت له زكوته رواه ابو يعلى البغدادى
رح قوله فان كانت تامة اى فى اتمام الوضوء والوقت والركوع والسجود
بالتعديل والخضوع والخشوع وسائر لوازمها كتبت تامة قوله وان
كانت ناقصة بنقص الاشياء المذكورة او واحد منها اكملت بما
فى التطوع من الركوع والسجود والخضوع والخشوع على تقدير اداء
الفرائض والا لا فاعلم ان الحكمة فى فرضية الاوقات الخمسة
واعدادها فان الله تعالى امر بصلوة الفجر ركعتين لان اول من صلاها
ابونا ابو البشر آدم صلوات الله على نبينا وعليه لما اخرج من الجنة
اظلم عليه الدنيا وجن عليه الليل فلم يعرف قبل ذلك ما الظلمة
فخاف من ذلك فلما اصبح واسفر الفجر صلى ركعتين فالركعة الاولى
لشكر نجاته من الظلمة والثانية لشكر رجوع ضوء النهار اليه فكانت
منه تطوعا ففرض الله علينا بذلك فكانت ذاتها فرضا واسفارها
سنة فلذا ورد فى اسفروا بالفجر فانه اعظم للاجر واما صلوة الظهر

فاول من صلّيها ابراهيم عليه السلام حين امر بذبح الولد وتلّه للجبين
وصرعه على شقه الايمن فاخذ السكين ثم وضع على حلق ابنه اسمعيل
عليه وعلى نبينا وعلى ابيه السلام على الاصح فاجره بجميع قوته فلم ينقطع
حلقه فنودى ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا اى جئت بما امرت
فى منامك وفعلت ما امكنك فكانك ذبحته بالامتثال الاوامر
ثم جاء جبريل بالكبش فداء له فقال خذ يا ابراهيم فاذبحه بدله فداء له
وكان ابراهيم صلوات الله على نبينا وعليهما على اربعة احوال احدها
عناية الله بعدم القطع وثانيها كشف الغم عنه وعن ابنه بفداء الكبش
وعدم الذبح وثالثها اعطاء الله الفداء به كما قال وفديناه بذبح عظيم
ورابعها رضاء الله عنه وعن ابنه عليهما السلام وكان ذلك الوقت
وقت الزوال وصلى اربع ركعات للشكر فى مقابلة اربعة النعم
المذكورة وكان تطوعا عليه وفرضا علينا لنيل نبيه وامته فى اجور
هذه النعمة العظمى والدولة الكبرى كما ورد فى الحديث انه صلى الله
تعالى عليه وسلم قال من صلى صلوة الظهر اربع ركعات بنى الله تعالى له
بالركعة الاولى مائة الف مدينة من ذهب ومائة الف مدينة من فضة
وبالركعة الثانية مائة الف مدينة من زبرجد ومائة الف مدينة
من زمرد بيضاء وبالركعة الثالثة مائة الف مدينة من ياقوتة
حمراء ومائة الف مدينة من لؤلؤ بيضاء وبالركعة الرابعة مائة الف
مدينة من مسك ومائة الف مدينة من زعفران واما صلوة
العصر فان اول من صليها يونس بن متى صلوات الله وسلامه على نبينا
وعليه حين انجاه الله تعالى من بطن الحوت وكان فى اربعة ظلمات
ظلمة الزلة وظلمة الماء وظلمة بطن الحوت وظلمة الليلة كما قال الله
تعالى فنادى فى الظلمات انجاه الله تعالى منها فصلى اربع ركعات وكان

ذلك وقت

ذلك وقت العصر كما ورد فى الحديث من صلى صلوة العصر اربع ركعات
كان خيرا له من ان يتصدق بوزنه ذهبا على المساكين وايضا قال
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى صلوة العصر اشتاقت اليه الجنة
رواه الامام فى حيوة القلوب رح واما صلوة المغرب فاول من صليها
عيسى عليه السلام حين ان قومه اتخذوه وامه الهين من دون الله
فسمع عيسى عليه السلام تلك المقالة الباطلة من قومه فكانت
ذلك وقت المغرب فقام وصلى ثلث ركعات الاولى للتواضع ونفى
الالوهية من نفسه ان العبد يليق له العبودية لخالقه وانه يعرفه
وان افتراه قومه والثانية لنفيها من والدته والثالثة لاثبات الالو
هية لله تعالى وحده لا شريك له وانه عبده ورسوله فسأله ربه
عنه واقدره على الجواب فقال فيه سبحانك ما يكون لى ان اقول
ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك
انك انت علام الغيوب فسهله الله تعالى وهونه بتوفيق مقالته
وتنزيهه عما شانه فصلى تلك الركعات الثلثة شكرا وتطوعا ففرض الله
علينا بها لنيل رسوله بدرجات اظهار العبودية والوحدانية له
تعالى بلسان امته المرحومة واما صلوة العشاء فاول من صليها هو موسى
عليه صلوات الله وسلامه حين ضل الطريق وقت خروجه من مدين
الى مصر باجره تعالى واخذ امرأته الطلق وكان موسى عليه السلام فى اربعة
غموم غم امرأته لاجل الطلق وعدم القابلة وغم اخيه هارون عليه
السلام وغم فرعون وغم اولاده فسمع انى انا ربك انا كافيك انا اجمع
بينك وبين اخيك وكلما الظفر على عدوكما وكان ذلك الوقت
وقت العتمة والعشاء فصلى موسى عليه السلام اربع ركعات متطوعا
شكرا لله تعالى على نعم خلاصه من هذه الغموم الشديدة والهموم المهلكة

الحديدة وكانت له تطوعًا وهي علينا فريضة فاذا اتفقنا على هذه النعم
الكافية رزقنا بالهداية الوافية وعلى البلايا الشافية العافية والظفر
على اعدائنا الظاهرة والخافية وكانت تلك الصلوات الخمسة وسيلة
الى النعم الجليلة في الجنان والدرجة العلية رأى العيان مما ليست
عين رأت ولا اذن سمعت ولا يخطر على قلب بشر ليسئلها ولا يرد
على فؤاد احد لينالها فسبحان الذي بيده الملكوت في حكمة الافلاك
والجبروت وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم اتاني جبرئيل فقال يا محمد ان ربك عز وجل يقرؤك السلام
ويقول ان اردت ان تعبدني في يوم وليلة حق عبادتي فقل اللهم ربنا لك
الحمد حمدا مع خلودك ولك الحمد حمدا لا منتهى له دون علمك ولك الحمد
حمدا لا منتهى له دون مشيئتك ولك الحمد حمدا لا اجزاء لقائله الا رضاك
عنه رواه ابو سليمان الطبراني في المعجم الثلث وروى عن عبادة بن
الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اضمنوا الي
ستا من انفسكم اضمن لكم الجنة اصدقوا اذا حدثتم واوفوا اذا وعدتم
وادوا اذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم
رواه احمد في مسنده وابن حبان في صحيحه وروى عن سهل بن سعد
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من تضمن لي ما بين لحييه
وما بين رجليه اضمن الجنة رواه البخاري والترمذي قوله ما بين لحييه
هو اللسان في كل ما صدر عنه مجتنبا عن الكذب في جميع الاشياء الصادرة
منها والاذن والعين والفم والشم واليدان والرجلان بتطبيق ما صدر
عن هذه الجوارح الى الشريعة والاجتناب عن خلافه بان يسمع ما يجوز
سماعه ويجتنب عن خلافه وبان يرى بها ما يجوز رؤيته ويجتنب عما لا يجوز
وبان يتكلم ويأكل ما يجوز ويجتنب عما لا يجوز الشريعة وبان يشم

ما يجوز شمه

ما يجوز شمه ويجتنب عن خلافه وان تأخذ ما يجوز وتمشي ويجتنب عما
خلافه قوله وما بين رجليه وهو محل العورة والفرج بان يتزوج الحلال
ويجتنب عما حرم الله تعالى فهذه الاشياء عملها سهلة في الظاهر وصعب
عند اهل التقوى باستعمال الكل فيما شرع له ويجتنب عما لا يرضيه ربه
بالمداومة والملازمة خائفا من الله العليم وهذا من قبيل شيبتني سورة
هود قوله تعالى فاستقم كما امرت فمجموع التقوى والولاية والقطبية داخلة
في هذا الحديث من طرق اهل الجنة ودرجاتها وانواع نعمها من الدولة الابدية
والسعادة السرمدية ومجموع شقاوة اهل النار في خلافه بان لم يراع
الشريعة ويفعل خلافه فيما معاذ الله خاصة رأس الاعضاء القلب ان طهر
طهر الجسد وان تنجس باعتقاد الكفر والشرك وسوء الاعتقاد تنجس الجسد
كله فهذا الحديث من جوامع الكلم بل الكتب المنزلة واحكامها من الاوامر
والنواهي موجودة فيه فتأمل وكن من الشاكرين فطابق افعالك وافكارك
وكن من العاملين المخلصين اللهم وفقنا في امورنا واجعلنا من الموفقين
في الاولين والاخرين بحرمة رسولك الامين وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى صلوة العشاء
بالجماعة ثم صلى عشرين ركعة يبعث الله تعالى اليه سبعين الف ملك يستغفرون
له الى يوم القيمة رواه الامام السناني في حيوة القلوب رح وحكي عن
صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه قال قال ان فاطمة الزهراء رضي سهرت
اي ذهبت نومها ليلة من الليالي ولم تنم الى الصبح فلما اسفرت الصبح
صلت صلوة الصبح وكان ابنها حسين رضي رضيعا فبكى فوضعت
رأسها على وسادة ليسكت عن بكائه فدخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
على فاطمة بعد صلوة الصبح فوجدها على وسادة فظن صلى الله تعالى عليه
وسلم انها ما صلت صلوة الصبح وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا فاطمة

لا تقولي لي انا ابنة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والله الذي ارسلني نبيا انك
لن تدخل الجنة حتى تؤدي صلوة الخمس في مواقيتها كذا في حيوة القلوب
رح وحكي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال مات رجل في زمن
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خلف جنازته
ليصلي عليه فتحرك الكفن فنظر اليه ووجد حية تمص دمه وتاكل لحمه
فقصد ابو بكر الصديق رضي الله عنه ان يضربها فنطقت الحية باذن الله تعالى
فقالت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله لم تضربني
يا ابا بكر وليس لي ذنب فامرني الله تعالى ان اعذبه الى يوم القيمة فقال لها
ابو بكر الصديق رضي الله عنه ما خطاؤه فقالت الحية له ثلثة خطايا الاول
تارك الصلوة والثاني مانع الزكوة والثالث انه تكبر ولم يسمع الحق
وقول العلماء وروي عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى الغداة اقبل علينا بوجهه فقال لاصحابه
هل راى احد منكم من رؤيا فيقص عليه ما شاء الله تعالى فقلنا لا فقال
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكني انا رايت الليلة اتاني آتيان فانهما
اخذا بيدي وقالا لي انطلق واني انطلقت معهما فاخرجاني الى ارض
مستوية فاتينا على رجل مضطجع واخر قائم عليه تدهده اي يضربه
بالصخرة فاذا هو يهوي اي يضرب بالصخرة على راسه فيقلع بها راسه
فيتبعه فياخذها فلا يرجع اليه حتى يصح راسه كما كان فيعود
عليه بمثل ذلك فقلت سبحان الله ما هذا قالا انه ياخذ القرآن ثم
يرفضه اي يتركه وينام ويغفل عن الصلوة المكتوبة فيصنع به ما ترى
الى يوم القيمة واذا كان يوم القيمة يلقى الى النار انا جبرئيل وهذا
ميكائيل كذا في حيوة القلوب رح وورد في الخبر انه اذا كان يوم القيمة
يجمع الله الخلايق في عرصات القيمة يقبل من جهنم عنق اي طائفة من النار

وهي تشبه

وهي تشبه العقرب فيقال لها خريش وهو اعظم من المشرق الى المغرب
اربعين مرة وينادي باعلى صوته وهو يقول اين من عصى الرحمن يقول له
جبرئيل ما تريد يا خريش فيقول اريد تارك الصلوة ومانع الزكوة
واكل الربوا وشارب الخمر وعاق الوالدين فيلتقطهم من الصفوف
كما يلتقط الطير حب السمسم ثم يرجع الى جهنم رواه الامام السناني
في كتابه حيوة القلوب وروي عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لا ايمان لمن لا امانة له ولا صلوة لمن لا طهور له
ولا دين لمن لا صلوة له انما موضع الصلوة من الدين كموضع الراس
من الجسد رواه الطبراني في المعجم الاوسط والصغير رح قوله كموضع
الراس من الجسد اي ان الجسد لا ينفع بلا راس وان صحت سائر الجوارح
وكذا الدين كالصوم والزكوة والحج لا ينفع بلا صلوة وروي عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ترك صلوة
متعمدا اي بغير عذر من الاعذار الشرعية احبط الله عمله وبرئت
منه ذمة الله اي عهده وهو ان يدخله الجنة رواه الاصفهاني رح
وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من ترك الصلوة لقي الله وهو عليه غضبان رواه البزار والطبراني رح
وروي عن بريدة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يقول العهد الذي بيننا وبينهم الصلوة فمن تركها فقد كفر رواه احمد
وابو داود رح قوله فمن تركها فقد كفر فيه مذاهب وهو ان تارك الصلوة
ان كان مستحلا بتركها او جحودها فهو كافر بالله وكتابه واحكامه لانه لا يتجزى
فمنكر الواحد كمنكر الجميع باتفاق العلماء من اهل السنة وعليه مذهب
الامام الاعظم رح واما ان كان تارك الصلوة متكاسلا مع اعتقاد
وجوبها كما هو حال اكثر الناس فقد اختلف العلماء المذكور فيه فذهب

اصحاب مالك كلهم وبعض اصحاب الشافعية والجمهور من السلف والخلف
انه لا يكفر بل يفسق ويستتاب فان تاب والا قتل حداً كالزاني
المحصن ولكن يقتل بالسيف لا بالرجم وذهب جماعة من الصحابة
والتابعين رضي الله عنهم الى ان من ترك صلوة واحدة حتى يخرج وقتها بغير
عذر فهو كافر يقتل ودمه وماله حلال ولا يرثه ورثته المسلمون
وحكم ماله كحكم مال المرتد وهذا مروي عن علي بن ابي طالب رضي وهو
احدى الروايتين عن احمد بن حنبل وبه قال عبد الله بن مبارك واسحق
بن راهويه وهو وجه لبعض اصحاب الشافعية رحمهم الله وذهب
امام الائمة نعمان بن ثابت الكوفي ثم البغدادي الشهيد عند زمن
المنصور للمبتدع القاتل مثل هذا الفاضل الجليل التابعي رحمه الله تعالى
رحمة واسعة وادخله الى الجنة الواسعة وجعلنا جاراً ملاصقة وجماعة
من اهل الكوفة والامام المزني من اصحاب الشافعية الى انه لا يكفر
ولا يقتل بل يعزر ويحبس حتى ينزجر ويصلي واحتج من يكفره
بظاهر الحديث الصحيح ومقتضى مبانيه واحتج من قال لا يقتل بحديث
لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى معاني ثلثة كفر بعد ايمان وزنى بعد
احصان وقتل نفس بغير حق وان تارك الصلوة ليس من جملتها واحتج
الجمهور على انه لا يكفر لقوله تعالى في سورة النساء ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولقوله صلى الله تعالى عليه
وسلم من قال لا اله الا الله دخل الجنة ففي الاية الكريمة دليل على ان
صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه في مشية الله تعالى ان شاء
عفى عنه وادخله الجنة بفضله وكرمه وان شاء عذبه بالنار ثم يدخله
الجنة برحمته واحسانه لان الله تعالى وعد المغفرة لما دون ذلك فان مات
على الشرك فهو مخلد في النار وفي الاية رد على المعتزلة والقدرية حيث

قالوا لا يجوز في الحكمة ان يغفر لصاحب الكبيرة وعند اهل السنة والجماعة
ان الله تعالى فاعل مختار يفعل ما يشاء ولا مكره له ولا حجر عليه كما انه
لا ينفع العمل مع الشرك كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب واحتجوا
على قتله بقوله تعالى فان تابوا اي من الشرك والكفر والضلالة بقبول
الايمان مع الاذعان والاتقان واقاموا الصلوة باتمام الاركان المفروضة
فيها مطمئنة بالقلوب الى الخضوع والخشوع وآتوا الزكوة الواجبة عليهم
طيبة بها انفسهم فخلوا سبيلهم اي اتركوهم ولا تقتلوهم واعفوا
عنهم عما صدر في حال جهلهم وكفرهم فانهم اخوانكم في الدين ومايلائم
وبلا زجر فيدخلون مكة المكرمة ويتصرفون في البلاد مثلكم ولهم
ما لكم وعليهم ما عليكم ان الله غفور رحيم لمن تاب الى الله توبة نصوحاً ورجع
عن الاشراك الباطلة والاديان العاطلة المتصنعة ومن المعصية
الى الانقياد والاطاعة رحيماً لاوليائه خاصة واهل طاعته عامة
فاذا فعلوا ذلك عصموا في الاموال والاولاد فكانوا اشكالكم في جميع لوازم
الايمان والاسلام ما داموا وما قاموا وانما خص به الصلوة والزكوة
دون الصوم والحج لانهما تالية الايمان كما في قوله يؤمنون بالغيب
ويقيمون الصلوة وروي عن عبد الله بن شقيق العقيلي رض انه قال
كان الاصحاب رضي الله عنهم لا يرون شيئاً من الاعمال تركه كفراً غير الصلوة
رواه الترمذي رح وروي عن جابر بن عبد الله رض انه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين العبد وبين الكفر ترك الصلوة
رواه احمد قوله بين العبد فيه حذف المضاف بقرينة الحمل اي بين
ايمان العبد وبين كفر الكافر ترك الصلوة على معنى انه اذا تركها لم يبق
بينه وبين الكفر حائل لان من تركها وهي عماد الدين لم يبال بترك
سائر الاركان ومن فعل هذا يكاد ان يقع في الكفر لقسوة قلبه بمثل ترك

هذه الاركان ثم ان الكفر والشرك قد يطلقان على المعنى الواحد وهو
الكفر بالله تعالى وقد يفرق بينهما بتخصيص الشرك بعبدة الاوثان من المجوز
سوى الله تعالى ككفار قريش فيكون الكفر اعم من الشرك نعوذ بالله
تعالى من شرور انفسنا ومن بلاء الجهل اللهم ثبت قلوبنا على دينك
القديم وصراطك المستقيم امين بحرمة رسولك القويم وروى عن عدى
بن عدى الكندى انه قال حدثنى مولى لنا انه سمع جدى يقول سمعت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا
المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروا فلا ينكرونه فاذا فعلوا
ذلك عذب الله العامة والخاصة رواه الامام البغوى ويؤيده قوله
تعالى فى سورة الانفال واتقوا فتنة اى ذنبا او عذابا ان اصابكم
لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اى لا يختص اصابتها من باشر الظلم
منكم بل يعمه وغيره بسبب الرضاء وعدم الانكار المنكر عند الرؤية
بين اظهرهم مع القدرة والامن عن شرور الظلمة من القتل والضرب
وتعذيب البلاد على كون من فى قوله تعالى فى سورة آل عمران ولتكن امة
منكم ابتدائية بلزومه على كل المؤمن عند الرؤية فى التقوى فيجب عليهم
فردا بعد فرد واما اذا كان من بمعنى التبعيض فلا يجب على من يقدر
ويأمن عن شره مما يخاف منه ففيه قولان من العلماء الاول التقوى
فيجب على صاحبه الانكار والمنع على تقدير الوجوب على الكل والثانى الفتوى
فيجب عند مشاهدة الانتهار والامن عن الفتن والانزجار والقدرة
على الانكار والا فهى مهلكة لا يجوز القاء النفس فيها كالنار والبلاء والجبل
قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيبن الذين
الخ وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه
لما تضمن معنى النهى ساغ كقوله تعالى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم

سليمان وجنوده واما صفة لفتنة ولا للنفى وفيه شذوذ لان
النون لا تدخل المنفى فى غير القسم او للنهى على ارادة القول كقول من قال
اذا جن الظلام واختلط جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط واما
جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلف المعنى فيهما
وقد جوز ان يكون نهيا عن التعرض للظلم بعد الامر باتقاء الذنب
فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ولفظ من فى قوله
منكم خاصة على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين
وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح منه من غيركم واعلموا ان الله
شديد العقاب لمن تعرض للظلم فلذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر
بسببه فالمعنى اتقوا فتنة ان لم تتقوها اصابكم جميعا الظالم
وغيره وفى الخبر ان الله تعالى اوحى الى يوشع بن نون خليفة موسى عليه
السلام انى مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا
من شرارهم فقال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم
اكلوهم وشاربوا معهم وجالسوهم ولم يأمروا عليهم بالمعروف ولم ينهوهم
عن المنكر ثم امر الله تعالى جبرئيل فى ليلة من الليالى ان اهبط الى القرية
الفلانى وقد بقى من الليل ثلث وجد فيها اربعة الاف رجل يصلون
صلوة الليل فرجع جبرئيل الى ربه فقال يا رب كيف اخسف قوما
وجدت بعضهم فى الصلوة اى اربعة الاف فقال الله تعالى يا جبرئيل انى
لا اقبل من صلوتهم صرفا اى فرضا ولا عدلا اى نفلا واضرب اعمالهم
على وجوههم فاخسف بهم كلهم اجمعين فخسف جبرئيل صالحهم مع طالحهم
لعدم امرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع قدرتهم ومداهنتهم
ومعاونتهم على منكراتهم بالترويج والترتيب والمداهنة والمعاونة
كذا فى حيوة القلوب رح فالقصة ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر

فرضٌ وافضل من النوافل من الصلوة والصدقات والتهليلات والتسبيحات
ومعلوم ان درجة الفرض عالية من النوافل فكذلك ما عرض ولزم
على الفرائض من الاجور والثواب في الحال والمآب وقد قال امام الحرمين
رح ان ثواب الفرض يزيد على ثواب النافلة سبعين درجة خاصة
اذا كان له قدرة على الانكار ونفوذ الكلام على الائتمار والانتهار
فلا يسقط فرضيته ووجوبيته في جميع الازمان للادلة الكثيرة
في القرآن فمن لم ير الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حقا لازما وفرضا
دائما فهو يندرج تحت قوله تعالى في سورة التوبة والمنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف فظهر منها
ان تركهما من علامات النفاق لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا رأى
احدكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع
فبقلبه فذلك اضعف الايمان رواه البغوي في المصابيح وروي عن
ابي سعيد الخدري رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا
جحر ضب تبعتموهم رواه البغوي رح وقال ابن مسعود رض في معناه
انتم اشبه الامم ببني اسرائيل سمتا وهديا تتبعون عملهم حذو القذة
بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون العجل ام لا رواه البغوي في المعالم
قوله حذو القذة بضم القاف وتشديد الذال المعجمة ريش السهم
اي طابق النعل بالنعل رواه الاختري قال العلماء رحمهم في معنى الحديث
مقسم بما ثلثة الامراء ينكرون باليد والضرب والقتل والتغريب والعلماء
ينكرون باللسان والضعفاء ينكرون بالقلب وهذا وان كان من اضعف
الايمان لكنه يتميز عن المنافق فانهم يأمرون بالمنكر والاتحاد بجميعهم
على النفاق في ظواهرهم وبواطنهم وعوام الناس مؤمنون مخلصون لا يتميزون

عنهم وروي عن انس بن مالك رض انه قال قيل يا رسول الله متى تترك
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا ظهر فيكم ما ظهر في الامم قبلكم قلنا يا رسول الله وما ظهر في الامم
قبلنا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التكبر في صغاركم والفاحشة
في كباركم والعلم في ارذالكم اي فساقكم كذا في حيوة القلوب رح وفي الخبر
ان عيسى صلوات الله على نبينا وعليه مر في بعض اوقات على جبل فرأى فيه
قرية معمورة بالبساتين والانهار والثمار والمياه وانواع النعم من الخيل
والانعام واهل القرية كلهم مشغولون بالعبادات والطاعات والمتنعمون
باصناف النعم والكرم من الملبوسات والماكولات والمطعومات والمشروبات
وكلهم عظموه واكرموه واحترموه ثم عرضوا اموالهم اليه فلم يقبل منهم شيئا
ثم بعد زمان اتى الى القرية المذكورة فرأى كل ما كان فيها من البساتين
قد خربت ومن الانهار والاثمار والاشجار والازهار والعيون قد جفت
وعدمت الاموال والمواشي وهدمت المساجد وخليت عن العبادات والطاعات
فلم ير الا اثرها فتعجب عيسى عليه السلام من ذلك وناجى ربه وقال الهي
وسيدي ومولاي ان كان لعيسى عندك منزلة وبهاء فبين لي ما اصاب
لاهل هذه القرية من سحر او عين او عدو او ترك طاعة فنزل جبرئيل عليه
السلام وقال يا عيسى ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول وعزتي وجلالي
ما خربت القرية بسبب سحر ولا عين ولا عدو ولا ترك طاعة ولكن مرّ بها
يوما من الايام تارك الصلوة وكان اهل هذه القرية مصاحبا ومطلعا
عليه ولم يأمروه بالمعروف ولم ينهوه عن المنكر بل يتبعوه واقتدوه وكانوا
مثله فلذلك خربت هذه القرية المعمورة كذا في حيوة القلوب رح
وفي الخبر ان الله تعالى عاقب تارك الصلوة من الرجال والنساء بخمسة عشر
عقوبة ستة منها في الدنيا وثلثة عند موته وثلثة في قبره وثلاثة

يوم القيمة واما الستة التى تصيبه فى الدنيا فيرفع الله البركة من رزقه
ومن عمره ويمحو عنه سيماء الصالحين فلا يوجد النور فى وجهه كما وجد فى
اصحابه وكل عمل يعمله لا يؤجر عليه ولا يقبل دعاؤه والسادسة ليس له
حظ ونصيب من ادعية الصالحين فى الحيوة والممات خاصة فى تحيات
الصلوات الخمس بقوله وعلى عباد الله الصالحين من جميع افواه المؤمنين
شرقا وغربا بعدا وقربا فى الحيوة وبعد الممات وبقولهم رب اغفر لى ولوالدى
وللمؤمنين يوم يقوم الحساب مع ان جميع المؤمنين يشتركون فى هذه
الادعية المباركة من المؤمنين قرنا بعد قرن الى يوم القيام ما دام النور
فى الظلام واما الثلاثة التى تصيبه عند الموت فانه يموت ذليلا
وجايعا وعطشانا وان شرب مياه الانهار واكل طعام اهل الارض
جميعا ويشتد عليه النزع ويخاف عليه من نزع الايمان لان ترك الصلوة
اكبر الكبائر واكثر نزع ايمان المؤمن بها فنعوذ بالله تعالى من ذلك المصيبة
التى ليست فوقها مصيبة اكبر منها واما الثلاثة التى تصيبه فى قبره
فيوكل الله عليه ملائكة يعذبه فى قبره الى يوم القيمة باشد العذاب
والثانى ان يكون قبره حفرة من حفر النيران وتفتح ابواب النار منها وتسلط
عليه الحيات والعقارب والكلاب كلها من النار فياتيه الموت من كل مكان
وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ والثالث يضيق عليه قبره واما
الثلاثة التى تصيبه يوم القيمة فيوكل الله تعالى ملكا يجره على وجهه
بين اهل العرصات والثانى يحاسب بحساب شديد وهو من علامة الهلاك
والثالث لا ينظر الله تعالى اليه بنظر الرحمة وله عذاب اليم كذا فى حيرة
القلوب رح قال الفقهاء من العلماء المجتهدين لا عذر لترك الصلوة
وجها من الوجوه الا اذا غاب عن نفسه وانقطع القدرة حتى اذا خرج
نصف الولد او اقله ووقف وقرب مضى الوقت تحفر لها حفرة مقدار

ماخرج

ما خرج الولد من البطن ويجعل الولد فى تلك الحفرة وتجلس امه عليها وتصلى
المرأة بالايماء ولا يباح لها ترك الصلوة واما ان خرج اكثر الولد سقطت
الصلوة عنها لكونها من نفساء لان للاكثر حكم الكل وكذا العريان العادم
الثوب يصلى قاعدا بالايماء ولا يجوز له الترك وتاخيرها وكذا الغريق
فى الماء وهو حى عاقل وقرب مضى الوقت لا يجوز له الترك فقال بعضهم
فى هذه الحالة ان وجد شيئا فى الماء مثل الحشيش والاشجار يتعلق به
ويصلى بالايماء وان لم يجد شيئا او لم يقدره سقطت الصلوة
لعدم القدرة وقال بعضهم عليه ان يسبح ويصلى بالايماء ولو لم يفعل
صارت الصلوة دينا عليه ما تعقل والا فلا وهكذا قرره الفقهاء
كقاضيخان فى كتابه وبرهان السيوطى وابو يوسف والامام محمد بن
حسن الشيبانى فى السير الكبير من صلوة المريض وصلوة الخوف
فاذا كان هؤلاء فكيف حال من يصح ويقدر ولم يصله فى الدنيا والعقبى
اعاذنا الله تعالى واياكم عن الجهل والغفلة والبدعة ومقارنة اصحابها
فان الله تبارك وتعالى اوصى فى اكثر المواضع الكثيرة فى كتابه وامر
بقوله العزيز اقيموا الصلوة فى السور الوفيرة وبقوله اقاموا الصلوة
فى الموارد الكثيرة وبقوله يقيمون الصلوة خاصة احال هدايته
لاهل التقوى والمغفرة باقامة الصلوة فى قوله الكريم هدى للمتقين
الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون فكيف تترك ما دام مؤمنا عاقلا
كاملا متقيا من الله العلى الكبير شديد العقاب ذى البطش الشديد
فهل هذا الا منافق او متصف بصفاته اللهم احفظنا من شرور
انفسنا ومن شرور مقارنتنا واجعلنا فى زمرة المتقين امامنا الهدى
بحرمة رسولك وحبيبنا الامين وذكر امام البزازية فى فتاويه
من ذهب الى الغزو وفاتته صلوة وكان فقد ارتكب سبعمائة

كبيرة فما ظنك فيما فاتته فى الحضر خاصة قارن القصد والعزيمة
فلذا قال من كفر ان كان له ايمان لم يتركه كذا فى فتاوى البزازية
وفى الخبر اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار يجئ جبرئيل
عليه السلام بعد خمسين الف سنة فيقول الهى اشتقت الى جمال
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فأذن لى حتى اذهب لزيارته فيقول الله
تعالى قد اذنت لك فيقول جبرئيل عليه السلام كيف اذهب صفر اليد
وليس له معى هدية فيقول الله تعالى امة مذنبة فى النار هدية له
اذهب الى النار واطلب من امته فاذا رأيته فى النار فاذهب الى
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقل له جئت اليك مخبرا ومبشرا بهدية
ان شئت يا رسول الله ايتته اليك والا فلا فان قال لك وما هو
فقل رجل من امتك وهو الآن فى النار فاذا طلب منك بالرغبة فاذهب
اليه واخرجه من النار وآتِ اليه فيذهب جبريل الى النار فيرى فيها
جماعة معذبين فيها ومقيدين فى السلاسل والاغلال الى عنقهم
مسدودين فوقهم بالعمدة الممددة محبوسين فى طبق من طبقات
النار ودركات جهنم لا يختلط اهل الدركات باخر واحاط بهم
السور من النار بينهم فلكل طبقات زبانية بغير حساب ورئيس
الكل تسعة عشر وما تحت ايدى كلهم ملائكة الزبانية غلاظ شداد
لا يسمعون ولا يرحمون مع ان عبادتهم زيادة تعذيبهم للعاصين ÷
كرها والعبادة فى زيادة العبادة يسع فى كف احدهم سبعون الف ماءة
من الكفار فمن المنكب الى المنكب سيرة سنة بالخيل الجواد المضمر
فعلى هذا يقاس قوتهم وضربهم وعذابهم فكيف يتحمل ويصبر على اذيهم
بغير النهاية اللهم احفظنا بحرمة نبيك واغفر لنا يا ارحم الراحمين
ويا اغفر الغافرين انت مولينا واعتقنا لديك ويرى فيهم رجلا ابيض

الوجه واليدين والرجلين وسائرهم مسود الوجوه والجوارح كالفحم
ويقول من اى امة انت وما اسم نبيك وقد نسى ذلك الغريب حاله
واسم نبيه فيقول له جبرئيل انت لم تعرف اسم نبيك لشدة العذاب
والتحير فى العقاب فقل لى كيف تعبد الله وانا افهم من مقتضى
شريعتك فيقول كنا نصوم فى كل سنة ثلثين يوما وكنا نصلى كل
يوم خمس مرات فيقول له جبرئيل انت من امة محمد مثلنا فان شريعتنا
شريعة محمد نبينا ورسولنا واخينا ورفيقنا فى الحضر والسفر
والبدر والاحد وغيرهما فاذا سمع الرجل اسم محمد من جبرئيل نادى
باعلا صوته بان يقول وا محمداه وا احمداه وا حسرتاه وا فرقتاه
وا غربتاه صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول له جبرئيل لا تنس اسم نبيك
حتى اذهب اليه واخبر حالك اليه فيشفع لك فيذهب جبرئيل
الى الجنة ويرى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم مع اهله واصحابه وامته
المتمسكين بسنته السنية وشريعته فى الدرجات والملبوسات
والحور والغلمان والمطعومات والولدان متنعمين بالنعمة الابدية
والمتابدين بالدولة السرمدية مشغولين بالصفاء والسعادة
ومصحوبين بالوفاء واللطافة فيصافح جبرئيل مع رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فيقول يا جبرئيل كيف جئت الى صفر اليد فيقول جبرئيل
يا رسول الله جئت اليك مخبرا بهدية ان شئت آتيه اليك والا فلا
فيقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما هو يا جبرئيل فيقول رجل
من امتك الآن فى النار فلما سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ذلك الخبر المستر اراد ان يخرج من الجنة مع اصحابه لطلب هذا الرجل
فيقول له جبرئيل قم انت يا رسول الله فى مقامك وانا آتيه اليك
فيأتى جبريل الى النار ويطلب ذلك الرجل فى دركات تلك الطبقة

كلها مع ان سعة كل من الطبقات وسع من الدنيا كرارًا ومرارًا فيعى
ولم يجده اذ دمية الامواج بعد المشرق والمغرب فغاب فيها فيخر
جبرئيل ساجدًا باكيا ويناجى ربه فيقول فى مناجاته الهى انت تعرف
حالى وتبشيرى الى محمد ومسرته وكيف اذهب اليه صفر اليد وانا
استحيى منه فلا تجعلنى عنده فيقول الله تعالى جبرئيل اطلب ذلك
الرجل فى وادٍ تحت جبل كذا او فى تلك الوادى جُبٌّ يقال له غيٌّ
وهو موضع تارك الصلوة فتستعيذ النار من شره الى كل يوم
سبعين مرة مع كونها نارًا فكيف لم يخف عبادى الظالمين لانفسهم
مع ضعف بنيتهم وخفة قوتهم وعدم تحملهم باذى البراغيث
فانهم ظلوم جهول ثم يأتى جبرئيل الى تلك الوادى التى ويطلب الجب
من تلك الوادى فيجده فيه وهو ينادى يا حنان ويا منان وكلما
نادى هرب النار منه فيقول جبرئيل اذهب معى يا عاصى حتى
اخرجك من النار فان رسولنا وحبيبنا محمدًا صلى الله تعالى عليه
وسلم منتظر اليك فيقول الرجل واشوقاه الى رسولنا محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم ولكن استحيى اذا نظر اليه بسواد وجهى وسوء حالى
فاخرجه جبرئيل من ذلك الجب وغسله فى عين الحيوان ثم ذهب به
الى الجنة فيستقبلهما النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيقع الرجل بين
يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باكيًا وهو ينادى بان يقول
واسيداه وانبياه وارسولاه قد نسيتنى فى النار وتركتنى
فيها فيقول له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فما ذنبك حتى بقيت
فى العذاب الى هذا الوقت فيقول تركت وقتا من الاوقات بغير عذر
من الاعذار الشرعية فكان ذنبى هذا وتركت وبقيت لهذا كذا
فى حيوة القلوب رح فلذا قال بعض العلماء من فاتته صلوة واحد

فتاب وقضى ما فاتته وتقبل عند الله تعالى ان شاء عفى عنه وان شاء
عذبه حقبًا للاثر الوارد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من ترك صلوة
حتى مضى وقتها عذب فى النار حقبًا رواه الامام السنانى فى حيوة
القلوب رح قال الامام البغوى فى المعالم فى سورة النبأ فى قوله تعالى
لابثين فيها احقابا جمع حُقُب بضم الحاء والقاف والحقب الواحد
ثمانون سنة على رواية عبد الله بن عمر رض كل سنة اثنى عشر شهرًا
وكل شهر ثلثون يومًا وكل يوم الف سنة وروى عن ذلك عن على بن
ابى طالب رض وقال الامام مجاهد ثلثة واربعون حقبا كل حُقُب
سبعون خريفًا وكل خريف سبعماة سنة كل سنة ثلثماة وستون
يومًا وكل يوم الف سنة وقال الحسن ان الله عز وجل لم يجعل لاهل النار
مدة بل قال لابثين فيها احقابا فوالله ما هو الا انه اذا مضى حُقُب
دخل آخر ثم آخر الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود للكافرين
وروى الامام السدى عن عبد الله رض انه قال لو علم اهل النار انهم
يلبثون فى النار عدد الدنيا لفرحوا ولو علم اهل الجنة انهم يلبثون
فى الجنة عدد الدنيا ثم يخرجون منها لحزنوا وقال مقاتل بن حبان
رح الحقب الواحد سبع عشر الف سنة وقال هذه الاية منسوخة نسخها
قوله فلن نزيدكم الا عذابا يعنى ان العدد قد ارتفع والخلود قد حصل
ووقع واما ثواب الصلوة مع الجماعة والجلوس فى المساجد
بعد صلوة الفجر وثواب تكبيرة الافتتاح والصف الاول وتسوية
الصفوف فكما قال الله تعالى فى سورة الحج يا ايها الذين آمنوا اى صدقوا
بالقلوب على الاذعان والايقان واقروا بالسنتهم شطرًا وشرطًا
على الاخلاص والاحسان مستشهدًا بجميع الجوارح من الشعر الى الجلود
ومجتهدًا من الساعات المفروضة الى دار الخلود اركعوا مع الراكعين

واسجدوا مع الساجدين وصلوا الصلوات الخمس مع جماعة المسلمين
في الحضر والسفر في جميع الأوقات وانما خصصا منها اي الركوع والسجود
اكتفاء عن غيرهما مع انه لا صلوة الا معهما لانهما اعلى المقاصد في التذلل
والخضوع والخشوع وان الركوع انما شرعت لهذه الامة المرحومة المرغوبة
عند كل الجماعة يوم القيمة لان نبينا وعليهم اجمعين وامته خير الامم
بحيث يشهدون على تبليغ جميع الانبياء عند انكار الامم وعلى صدقهم
وكذب امهم مع تزكية رسولنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم تعظيما
لشانهم وتكريما في العرصات بين امثالهم اي صلوا بصلوة ليست
وضعت هكذا على الامم السالفة متضمنة بانواع الاكرام الحاصلة
من الركوع واصناف الاحترام الواصلة عند السجود والخضوع اذ
اظهار كمال العبودية وكمال ضراعة الخشوعية لا يوجد الا فيهما وهذه
الحالة العلية وشانه الجلية انما خصت لهذه الامة السنية فلذا امر الله
تعالى بقوله العزيز واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به وسارعوا الى
طاعات ربكم بالصوم والزكوة والحج والجهاد وافعلوا الخير وتخيروا
ما هو خير لكم واخلصوا فيما تؤمرون واصلحوا فيما تأتون به من النوافل
والفرائض والاخلاق الحسنة واجتنبوا عن الخصال السيئة الغير
اللايقة للمناصب العالية لعلكم تفلحون وترجيتم عما تخافون وتفوزون
بالظفر والخلاص وافعلوا كلها راجين الفلاح غير واثقين على اعمالكم
واصلين الى عناية ربكم من الجنات العاليات والدرجات الرافعات
وفي تعليق الرجاء تنبيه على الاهتمام فيما امروا به لان الانسان محل
للنسيان فلا يخلو عن الخلل والخطاء والعصيان بحسب البشرية
فعلامة الكمال ان يجتنب عند التحصيل عن خلل الكمال ويحفظه بعد
التحصيل عن الضياعة في الحال والمال حتى يسلم الامانة الى اصحابها

ويأمل الاجور الباقية عاقبتها لحفظ الاعمال اعسر من التحصيل
على الكمال وهذا لا يمكن الا بحفظ الجوارح عن الآثام المؤلفة في الايام
والاعوام والدهور والشهور وهذا توفيق عظيم من الله العلي العظيم
وروى عن ابي سعيد الخدري رضه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان فان الله
تعالى يقول انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة
ولم يخش الا الله الآه اخرجه الترمذي رح وروى عن ابي هريرة رضه
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلوة الرجل في جماعة تضعف
على صلوته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا وذلك انه اذا توضأ
فاحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلوة لم يخط
خطوة الا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة فاذا صلى
لم تزل الملئكة تصلي عليه ما دام في مصلاه يقولون اللهم صل عليه اللهم
ارحمه وفي رواية اخرى اللهم اغفر له اللهم تب عليه ما لم يؤذ فيه
ما لم يحدث فيه رواه البخاري واللفظ له ومسلم وابو داود والترمذي
وابن ماجه وروى عن ابن مسعود رضه قال من سره ان يلقى الله
غدا مسلما فليحافظ الصلوات الخمس بالجماعة حيث ينادى بهن
فان الله تعالى شرع لنبيكم سنن الهدى وانهن من سنن الهدى
ولو انكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم
سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم وما من رجل يتطهر
فيحسن الطهور ثم يعمد الى مسجد من هذه المساجد الا كتب الله له
بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها
سيئة ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها الا منافق معلوم النفاق ولقد
كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف وفي رواية

لقد رايتنا وما يتخلف عن الصلوة الا منافق قد علم نفاقه او مريض
ان كان المريض ليمشي بين رجلين حتى يأتي الصلوة وقال ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم علمنا سنن الهدى الصلوة في المسجد الذي
تؤذن فيه رواه مسلم وابو داود والنسائي وابن ماجه وكذا في مشكوة
المصابيح قوله يهادى بين الرجلين اي يعاون من جانبيه ويؤخذ
بعضده يمشي به الى المسجد اذ كان مريضاً لا يقدر على المشي وروى
عن عمر بن الخطاب انه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول
ان الله تعالى وتبارك ليتعجب الصلوة في الجميع رواه احمد باسناد حسن
قوله ليتعجب اي ليرضى من اهلك تلك الصلوة جميعاً وروى عن عثمان
رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من توضأ فاسبغ
الوضوء ثم مشى الى الصلوة مكتوبة فصلى مع الامام غفر له ذنبه رواه ابن
خزيمة في صحيحه قوله فاسبغ الوضوء اي اكمل على الثلثة اولها على الفرض صفة
والاثنان على السنية او الثاني مكملاً للفرض والثاني للسنة على الاختلاف
وروى عن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ولو يعلم المتخلف عن الصلوة في الجماعة ما لهذا الماشي اليها
لاتوها ولو حبوا على يديه ورجليه رواه الطبراني رح قوله لاتوها
ولو حبواً بفتح الحاء المهملة وسكون الباء من حبى كغزى يغزو غزواً
وهو مشي الصغير على يديه ورجليه فالمعنى لو يعلم المتخلف عنها
لاتوها ولو لم يستطع الاتيان اليها الا حبواً لم يترك الجماعة ولم يفت
ثوابها فان قلت ما الحكمة في الجماعة في الصلوات الخمس قلت اعلى
الفوائد شهادة المؤمنين بعضهم لبعض حين شهدت الامكنة والازمنة
والجوارح والجدرات والجهات الست والملائكة واوسط الفوائد
الشفاعة وادنيها الاتفاق في الحضر والسفر والحيوة والممات لان المرء

مع من احب ويحشر على حاله ولو حجراً وهذا المعنى لمبنى الحديث ولان
طالب الحاجة ليأتي بالشفعاء ليقضي حاجته ولان الصلوة مائدة
الرحمن من الرب الكريم فلا توضع الا للكثير وفي الخبر عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم انه قال اتاني جبرئيل مع سبعين الف ملك وقت
صلوة الظهر فقال يا رسول الله ان الله تعالى يقرئك السلام واهدى
اليك بالهديتين لم يهدهما لاحد قبلك فقال يا جبرئيل وما هما قال
الوتر ثلث ركعات والجماعة في الصلوات الخمس اما الوتر فمن صلى
بكرم الله تعالى بثلثة خصال الاول يتم له في الركعة الاولى تقصير صلوة
يومه كلها والثانية يحفظه على الاسلام في الدنيا ويخرجه منها مسلماً
وثالثة الخصال يثقل الله ميزانه من الخير ويرزق بشفاعة النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم واما الجماعة في الصلوات الخمس في اوقاتهن فانه اذا كانت
الجماعة اثنين كتب الله لكل واحد منهما بكل ركعة ثواب خمس وعشرين
صلوة فاذا كانت الجماعة ثلثة كتب الله تعالى لكل واحد بكل ركعة
ثواب الف وخمسمائة صلوة واذا كانت اربعة كتب الله تعالى ستمائة
صلوة واذا كانت خمسة كتب الله تعالى بكل ركعة الفين ومائتي صلوة
واذا كانت الجماعة ستة كتب الله تعالى لكل واحد بكل ركعة اربعة مائة
الاف وثمان مائة صلوة واذا كانت الجماعة سبعة كتب الله تعالى
لكل واحد بكل ركعة تسعمائة الف صلوة وستمائة صلوة واذا كانت
الجماعة ثمانية كتب الله تعالى لكل واحد بكل ركعة الفين وسبعمائة
الف صلوة واذا كانت الجماعة تسعة كتب الله تعالى له لكل واحد بكل
ركعة ثلث الف وثمان مائة الف صلوة واذا ادركوا على العشرة
فلو صارت بحار السموات والارض مداداً والاشجار اقلاماً والملائكة
والانس والجن كتاباً والسموات والارضون كلها كاغداً وقرطاساً لم تقدروا

ان يكتبوا ثواب ركعة واحدة وروى عن انس بن مالك رضه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى لله تعالى اربعين يوما في جماعة يدرك التكبيرة الاولى كتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق رواه الترمذي رح وروى عن عمر بن الخطاب رضه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى في مسجد جماعة اربعين ليلة لا يفوته الركعة الاولى من صلوة العشاء كتب الله تعالى بها عتقا من النار رواه ابن ماجه وروى عن ابي هريرة رضه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من توضأ فاحسن وضوءه ثم راح فوجد الناس قد صلوا اعطاه الله تعالى مثل اجر من صليها او حضرها لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا رواه ابو داود والنسائي والحاكم وفي الخبر عن كعب الاحبار رضه بالحاء المهملة انه قال قرأت في بعض الكتب المنزلة ان العبد اذا عصى الله ثم اتى الى باب المسجد ليدخلها فيقول الملائكة ما اقل حياءك يا فلان عصيت ربك ثم تجيء الى بابه قال فاوحى الله تعالى اليهم يا ملائكتي خذوا عنه ذنبه حتى يدخل بيتي طاهرا من الذنوب فاذا صلى الصلوة بالجماعة فيقول الله تعالى لهم قد اخذتم ذنبه عند دخوله في المسجد فلا يحل من كرمي ان اعيده عند خروجه اذهب انت يا عبدي فقد غفرت لك كذا في حيوة القلوب وروى عن انس بن مالك رضه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلوة الرجل في بيته اربعين سنة لا تعدل لصلوة يصليها مع الجماعة قيل صلوة يوم قال صلوة واحدة رواه الترمذي والطبراني رح وورد في الخبر ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال تعاهدوا ان تحافظوا الصلوات الخمس بالجماعة ولا تعجزوا فانه لو وضع الله السموات السبع والارضين السبع والجبال والاشجار والشمس والقمر والنجوم والدواب والطيور

والسحاب

والسحاب والرياح والعرش والكرسي والجنة والنار في كفة الميزان ووضع ثواب صلوة واحدة يصليها العبد المؤمن في الجماعة في كفة اخرى لترجح ثواب تلك الصلوات الواحدة ولو تعلقت الملائكة والانس والجن ويأجوج ومأجوج في كفة اخرى لكان ثواب تلك الصلوات الواحدة اثقل من هذا كله كذا في حيوة القلوب وروى عن وهب بن منبه رضه وهو عن ابن عباس رضه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى خلق ملكا يقال له شمخائيل وهو من ملئكة الحجاب وكله الله تعالى باخذ البراءات للمصلين عند وقت كل صلوة من عند رب العالمين واذا اصبح المؤمنون وقاموا وتوضؤا وصلوا صلوة الفجر في الجماعة اخذ شمخائيل من الله تعالى براءة لهم فيها مكتوب انا الحي الباقي الذي لا اموت ابدا عبيدي وامائي اني قد غفرت لكم ذنوبكم ارجعوا مغفورا لكم الى صلوة الظهر فاذا كان وقت صلوة الظهر فقاموا وتوضؤا وصلوا صلوة الظهر بالجماعة اخذ لهم شمخائيل براءات الثانية من الله تعالى مكتوب فيها انا الحي الباقي الذي لا اموت ابدا عبيدي وامائي قد بدلت سيئاتكم حسنات وغفرت لكم وادخلتكم دار الكرامة ارجعوا مغفورا لكم الى صلوة العصر فاذا كان وقت صلوة العصر فقاموا وتوضؤا وصلوا صلوة العصر بالجماعة اخذ لهم شمخائيل البراءات الثالثة من الله تعالى مكتوبا فيها انا الحي الباقي الذي لا اموت ابدا عبيدي وامائي قد حرمت ابدانكم على النار واسكنتكم مساكن الابرار ورفعت عنكم برحمتي شر الاشرار ارجعوا مغفورا لكم ذنوبكم الى صلوة المغرب فاذا كان وقت صلوة المغرب وقاموا وتوضؤا وصلوا صلوة المغرب بالجماعة اخذ لهم شمخائيل البراءات الرابعة من الله تعالى مكتوب فيها انا الحي الباقي الذي لا اموت ابدا عبيدي وامائي قد صعدت الي اعمالكم من عندكم وقد وجب علي رضاكم

وانا معطيكم يوم القيمة فوق نيتكم ورغبتكم ارجعوا مغفورًا لكم ذنوبكم
الى صلوة العشاء فاذا كان وقتها قاموا وتوضئوا وصلوا صلوة العشاء
بالجماعة اخذ لهم شمائل البراءات الخامسة من الله تعالى مكتوب فيها
انا الحى الباقى الذى لا اموت ابدًا عبيدى وامائى فى بيوتكم تطهرتم
والى بيوتى مشيتم ودعائى اجبتم وحقى وفرائضى اديتم اشهدوا
يا ملائكتى انى قد رضيت عنهم فينادى شمائل فى وقت كل الصلوات
الخمس فى كل ليلة بعد العشاء يا ملائكة الله ان الله تعالى قد غفر للموحدين
المصلين الصلوات الخمس بالجماعة فلا يبقى ملك فى السموات والارض
الا تدعون لهم بالمداومة عليها والتوفيق اليها كذا فى حيوة القلوب
كما قال الله فى آخر سورة البقرة ان الذين امنوا بالله الذى لا اله الا هو
انزل كتابه على رسوله بما جاءهم به من الاوامر المأمورة والنواهى
المنهورة وعملوا الصالحات من الاعمال المفروضة والافعال المنصوصة
والاقوال المصدقة والعقايد المؤيدة والاخلاص الموتمن المقبولة عند الله
وعند الملائكة المقربة واقاموا الصلوة باوقاتها والمداومة بالخضوع
والجماعات الكثيرة فى الاوقات الخمسة بالخشوع اليها مجتهدًا بجميع
جوارحها خوفًا عن ضياعة الامانة ومعتقدًا على فرضيتها ومحتسبًا
الاجور الموعودة فى مقابلتها وآتوا الزكوة المفروضة عند الغناء فاضلة
عن الحوائج الاصلية على ما بينه الفقهاء فى الكتب الفقهية على التفاصيل
وتخصيصهما بالذكر مع الاندراج فى الصالحات لفضائلهما على
سائر الاعمال الصالحة على طريق جبرئيل وميكائيل عقيب الملائكة
عليهم السلام لهم اجرهم جملة واقعة خبرًا لان اى اجرهم الموعود لهم
فان الله لا يخلف الميعاد عند ربهم حال من الاجر وفى التعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لمزيد اللطف والتشريف

ولا خوف

ولا خوف عليهم من البرازخ المكروهة المخوفة فيما ياتى هى للعاصين
الكافرين فى قبض الارواح وعذاب القبور والعرصات والحشر
والنشر وجسر الصراط فوق النيران وعذاب الزبانية يوم العرصات
ودخول النار والعذاب الخلود فيها وغيرها ولا هم يحزنون من فوت
المطلوبات التى يرجوها فى الحيوة والنعمات من الدرجات فى الجنات
الموعودة فى مقابلة الايمان والاعمال الخالصات بالقصور الصادرة
بحسب البشرية والكسور الواردة تعاقب الايام والشهور وتمادى
الاعوام والدهور روى عن عايشة الصديقة رضها قالت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله وملائكته يصلون على الذين يصلون
الصفوف الاول رواه احمد وابن ماجه رح وروى عن البراء بن عازب
انه قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله وملائكته يصلون
على الذين يصلون الصفوف الاول وما من خطوة احب الى الله تعالى
من خطوة يمشيها العبد يصل بها صفًا رواه ابو داود وابن خزيمة رح
وروى عن ابى امامة رضه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان الله وملائكته يصلون على الصف الاول قالوا يا رسول الله وعلى الثانى
قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله وملائكته يصلون على الصف الاول
قالوا يا رسول الله وعلى الثانى قال صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى الثانى وقال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سووا صفوفكم وحاذوا بين مناكبكم
ولينوا فى ايدى اخوانكم وسدوا الخلل فان الشيطان يدخل فيما بينكم
بمنزلة الحذف اى اولاد الصغار من الضان رواه احمد والطبرانى
وروى عن البراء بن عازب رضه انه قال كان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يأتى ناحية الصف ويسوى بين صدور القوم ومناكبهم
ويقول لا تختلفوا فتختلف قلوبكم ان الله وملائكته يصلون على الصفوف

الاول رواه ابن خزيمة فى صحيحه وروى عن ابن عمر رض ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال اقيموا الصفوف وحاذوا بين المناكب وسدوا
الخلل ولينوا بايدى اخوانكم ولا تذروا اى لا تتركوا فرجات الشيطان
ومن وصل صفا وصله الله ومن قطع صفا قطعه الله رواه احمد وابو
داود رح وورد فى الخبر اذا كان يوم القيمة بعث الله الخلايق من قبورهم
فياتى الملائكة بامر الله تعالى الحذ تهم الى رؤس قبور المؤمنين المصلين
الصلوات الخمس مع الجماعة يمسحون رؤسهم حين القيام منها من التراب
بخلعة الجنان بانواع التسلية والتكريم والتعزيز والتعظيم
فينتشر التراب عند المسح من جميع اعضائهم الا عن وجوههم وجباههم
ومواضع سجودهم فيجهدون بالمسح من تلك المواضع فلا يقدرون
على ازالتهم فلا تذهب التراب عنها فيخافون من الله العلى الكبير
من عدم ازالة التراب والعصيان بامره وهم لا يعصون ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون وهم المامورون بازالة التراب عن جميع جوارحهم
ولم يقدروا على ازالة تراب تلك المواضع المباركة فيناجون الى الله
تعالى فينادى المنادى من قبل الرحمن ان يا ملائكتى ليس هذا تراب قبورهم
حتى ازيلت بالمسح وانما هى تراب محرابهم من الجوامع دعوه عليهم
حتى يعبروا الصراط معه ويدخلون الجنة معه ليعلم اهل الجنة
انهم مامورون باوامرى ومنتهون عن النواهى فانهم خالص عبادى
من اهل جمالى فى دارى ثم يقفون على الصراط معفوا عن المحاسبة
فلما راوا سبعة النيران خافوا من غليانها ودورانها وما فيها من اهلها
من الحيات والعقارب والكلاب وانواع المخلوقات كلها من النار
للعذاب للكفار والعقاب للمنافقين الفجار كلها ينتظرون اليهم
من دركات النار حين سقوطهم من الجسر الادق من الشعر والاحد

من السيف

من السيف القاطع الساطع فلا يمكن المرور عليها فتحيروا فى العبور
عليها فيشرعون البكاء باشد البكاء ويتضرعون الى الله فاكرمهم الله
تعالى بارسال جبرئيل عليه السلام نجاء وقال تسلية ايها الاخوات
فى الدين المبين انتم من اصدقاء الله واحبائه واهل جنانه وهى متزينة
وغرفه متهيئة والحور العين مسرورة بتشريفكم والغلمان وسائر
الخدمات مرضية بوصولكم انتم المؤمنون حقا لكم الدرجات والنعم
والجنات والكرم لا تخافوا ولا تحزنوا وانتم الموعودون لهذه الايام
العسرة فشفاعة نبينا ونبيكم لكم يسرة فما منعكم ان تعبروا
الصراط المستقيم فيقولون نحن نخاف من النار وما فيها ينتظرون
الينا بحيث ليس عين رأت ولا اذن سمعت فى الخوف والخشية
والكراهة فيقول لهم اذا استقبلكم فى الدنيا بحر عميق فكيف عبرتموه
فيقولون عبرنا بالسفن فياتى جبرئيل الجوامع التى يصلون فيها
اوقات الخمسة بالجماعات الكثيرة فيجلسون فيها كهيئة السفينة
العظيمة من ذهب احمر مكللة بالدر والجواهر وزمامها من الياقوت
وحبالها من لؤلؤ الرطب وشراعها من سندس واستبرق وملاحها
ملئكة الرحمن والائمة على رؤسهن والمؤذنون على اركانها والقائمون
على الصلوات الخمس بالجماعة فى وسطها وهم يمرون على الصراط
كالبرق الخاطف فيقال لهم هذه مساجدكم التى صليتم فيها الصلوات
الخمس بالجماعة كذا فى حيوة القلوب رح كما قال الله تعالى فى اخر سورة
الزمر وسيق الذين اتقوا ربهم من الاشراك من اكبر الكبائر ومن ادنى
المعاصى من اصغر الصغائر فانه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة
مع الاصرار فالتقوى واجب لكل مؤمن من رتبة الاعلى وهو ترك
ما سوى الله ومن رتبة الوسطى وهو الاشتغال بالامور الموافقة

للشريعة المرضية مجتهداً فيها رضاء الله تعالى ومجتنباً عما يخالفه مع الخوف
والخضوع والخشية والخشوع وخير الامور اوساطها ومن رتبة
الادنى وهو الفرار من الشرك والكفر غير مبال بغيرهما رجاء من الله
العفو والمغفرة وبشفاعة النبي المختار الجنة فاليأس من الرحمة كفر كان
الامن كذلك فهذه الفرقة داخلة في المتقين الذين سيقوا الى الجنة
مساق اعزاز وتشريف للاسراع بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم
اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمراً متفاوتين حسب تفاوة مراتبهم
المذكورة في الفضل وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت وقرئ
بالتشديد وجواب اذا محذوف للايذان بانه من فنون
الكرامات مما لا يعتبر بنطاق العبارة كانه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت
ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم من جميع المكاره والالام
من مس العذاب والعقاب طبتم نفساً في تزكية العبادات وطهرتم
من دنس المعاصي الغير اللايقة لشريعتكم الفائقة بما ابيح لكم من
النعيم الدائمة والغرف الباقية والدرجات العالية فادخلوها خالدين
فيها فكان لكم ما كان مما يقصر عنه البيان من الازواج المطهرة
والاكواب الموضوعة والنمارق المصفوفة والزرابي المبثوثة والمحافل
المرفوعة والمجالس المعمورة فاذا البسوا خلعها واطعموا نعمها وتزوجوا
حورها وتخدموا غلمانها وتجالسوا على الفرش بطائنها من استبرق
وحلوا اساور من فضة وسقيهم ربهم شراباً واكرمهم اكراماً بما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فشكروا الله الكريم
واعترفوا نعمه العميمة من الايمان والاسلام والصراط المستقيم
في دار الدنيا ونبيه الكريم وكتابه العزيز العليم بحيث وعدلنا استقاموا
في الدين القويم وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده في كتابه الكريم

من البعث والثواب والجنة والمقام والمآب واورثنا الارض يريدون
المكان الذي استقروا فيه من الجنة على الاستعارة وايراثها تمليكها
مخلفة عليهم من اعمالهم وتمكينهم فيها من التصرف تمكين الوارث
فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي يتبوأ كل واحد منا في اي
مكان اراده من جنته الواسعة على ان فيها مقامات معنوية
لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملئكة حافين
اي محدقين من حول العرش اي حوله ومن مزيدة للتأكيد او لابتداء
الحوق يسبحون بحمد ربهم اي ينزهون به عما لا يليق به ملتبسين
بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له تعالى
بوصفي جلاله واكرامه متلذذاً به وفيه اشعار بان اقصى درجات
العليين واعلى لذاتهم هو الاستغراق في شأنه عز وجل وقضى بينهم
بالحق اي بين الخلائق المكلفة بالاعمال الشاقة بادخال بعضهم
على موجب الشرايع المنزلة الى النار والبعض الاخر الى الجنة او بين
الملائكة باقامتهم في منازلهم الموعودة على حسب تفاضلهم المرفوعة
وقيل الحمد لله رب العالمين اي على ما قضى بيننا بالحق وانزل كلا منا
منزلته التي هي حقه الموعود بمنزلة اداء الواجب على مقتضى وعده
ووعيده والقائلون هم المؤمنون ممن قضي بينهم والملئكة وطي
ذكرهم لتعيينهم وتعظيمهم وروى عن سهل بن سعد رض انه قال
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ليدخلن الجنة من امتي
سبعون الفاً او سبعمائة الف متماسكون اي اخذون بعضهم ببعض
لا يدخل اولهم حتى يدخل آخرهم وجوههم على صورة القمر ليلة البدر
رواه الامام البخاري والامام مسلم في الصحيحين وفي هذا الحديث
بيان فضيلة هذه الامة حيث يدخلون الجنة على الهيئات المتعددة

والاشكال المختلفة بمقتضى الاعمال الصالحات والنيات الخالصات
وبيان سعة الجنة وروى عن انس بن مالك رض انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ليدخلن الجنة من امتى سبعون الفا مع كل
واحد من السبعين الفا سبعون الفا قال عبد الله فهذا العدد من مقبرة
واحدة فكيف سائر مقابر امته رواه الامام السيناتى فى حيوة القلوب
دح وروى عن المقداد رض ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال
ما من احد يموت سقطا ولا هرما الا بعثه الله تعالى ابن ثلث وثلثين
سنة وان كان من اهل الجنة كان على مسحة آدم وصورة يوسف
وقلب ايوب صلوات الله على نبينا وعليهم سلامه ومن كان من اهل النار
عظموا وفخموا كالجبال رواه البيهقى باسناد حسن قوله على مسحة
آدم اى على قامته ستين ذراعا وروى عن ابن مسعود رض انه قال
قال ان آخر اهل الجنة دخولا رجل مر بربه فقال له قم فادخل الجنة
فاقبل عليه عابسا فقال وهل ابقيت لى شيئا قال نعم لك مثل ما طلعت
عليه الشمس او غربت رواه الطبرانى باسناد جيد وقال ان الكاتب
اسقط منه ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وروى عن عبد الله بن مسعود
رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يجمع الله الاولين
والاخرين لميقات يوم معلوم قياما اربعين سنة شاخصة ابصارهم
ينتظرون فصل القضاء ثم يقول يعنى الرب تعالى ارفعوا رؤسكم
فيرفعون رؤسهم فيعطيهم نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يعطى
نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين ايديهم ومنهم من يعطى نوره اصغر
من ذلك ومنهم من يعطى مثل النخلة ومنهم من يعطى اصغر من ذلك
حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام قدميه تضئ مرة
وتطفؤ مرة فاذا اضاء قدم قدمه واذا اطفئ قام ويمرون

الصراط

الصراط على قدر نورهم منهم من يمر كطرفة العين ومنهم من يمر كالبرق
ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب اى كاسقاطها
ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشدة الفرس اى كعدوه ومنهم يمر
كشدة الرجل حتى يمر الذى يعطى نوره على ظهر قدميه يحبو على وجهه
اى يمشى ويديه ورجليه تخر يداى تسقط وتعلق يد وتخر رجل
وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا
خلص وقف عليها فقال الحمد لله الذى اعطانى ما لم يعط احدا اذ
نجانى منها بعد اذ رأيتها قال فينطلق به الى غدير عند باب الجنة
فيغتسل فيعود اليه ريح اهل الجنة والوانهم فيرى ما فى الجنة من خلل
الباب فيقول رب ادخلنى الجنة فيقول الله تعالى له اتسئل وقد نجيتك
من النار فيقول رب اجعل بينى وبينها حجابا لا اسمع حسيسها
اى صوتها قال فيدخل الجنة ويرى او يرفع له منزل امام ذلك فيقول
رب اعطنى ذلك المنزل فيقول له لعلك ان اعطيتك هو تسئل
غيره فيقول لا وعزتك لا اسئل غيره واى منزل احسن منه فيعطاه
فينزله ويرى له امام ذلك منزلا احسن من ذلك المنزل فيقول رب
اعطنى ذلك المنزل فيقول الله تعالى فلعلك ان اعطيتك تسئل غيره
فيقول لا وعزتك لا اسئل غيره واى منزل احسن منه فيعطاه
فينزله ثم يسكت فيقول الله تعالى ما لك لا تسئل فيقول يا رب
قد سئلتك حتى استحييتك واقسمت حتى استحييتك فيقول الله
تعالى الم ترض ان اعطيتك مثل الدنيا منذ خلقتها الى يوم افنيتها
وعشرة اضعافه فيقول اتهزء بى وانت رب العزة فيقول الرب جل
ذكره لا ولكنى على ذلك قادر سل فيقول الحقنى بالناس فيقول الله
تعالى الحق بالناس فينطلق يرمل فى الجنة حتى اذا دنى من الناس رفع

قصرٌ من درّة فيخرّ ساجداً فيقال له ارفع رأسك مالك فيقول رايت
ربّي فيقال انّما هو منزل من منازلك قال ثمّ يلقى رجالاً فيتهيّأ للسجود له
فيقول له مه اى امنع فيقول رايت انّك ملك من الملائكة فيقول انّما
انا خازنٌ من خزائنك وعبدٌ من عبيدك تحت يدى الف قهرمان
اى الف خادم قوىّ احسن الوجه على ما انا عليه قال فينطلق امامه
حتى يفتح له القصر قال وهو درّةٌ مجوّفة سقايفها وابوابها واغلاقها
ومفاتيحها منها يستقبله جوهرة خضراء مبطنة حمراء منها
سبعون بابا كلّ باب يفضى الى جوهرة على غير لون الاخرى فى كلّ
سرير ازواج ووصايفُ ادناهنّ حوراء عيناء عليها سبعون
حلّة يرى مخّ ساقها من وراء حللها كبدها مرأته وكبده مرأتها اذا
اعرض عنها اعراضة اذا رأت فى عينه سبعون ضعفاً فيقال له اشرف
اى ارفع المكان العالى فيشرف فقالوا ملكك مسيرة مأة عام
ينفذه بصرك اى ينتهى بصرك الى ملكك رواه ابن ابى الدنيا
والامام الحاكم وهكذا رواه ابن مسعود رض قوله اذا اعرض عنها اى
اذا اظهر وجهه عنها وتوجّه بوجهه الى وجهها وروى عن عثمان بن
مظعون رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صلّى
صلوة الفجر فى جماعة ثمّ جلس يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس كان له
فى الفردوس سبعون درجة بعد ما بين الدرجتين كحضر الفرس
الجواد المضمر سبعين سنة رواه صاحب الفردوس قوله كحضر الفرس
اى كاحاطة الفرس قوله الجواد اى الفرس الذى يمشى بالسرعة بوسعة
العدو مع التعجيل قوله المضمر اى الفرس الذى يعلو بقوّته اربعين يوماً
وهذه المدّة تسمّى له المضمر وروى عن الحسن بن على بن ابى طالب
رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صلّى الغداة

فجلس فى صلاة

فجلس فى مصلّاه حتى تطلع الشمس فاذا طلعت حمد الله وقام وصلّى
ركعتين الّا اعطاه الله تعالى الف الف قصر وكان عند الله من الاوّابين
رواه ابو محمد الحافظ وروى عن البراء بن عاذب رض انه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويا براء من قرأ قل هو الله احد الخ
مأة مرّة بعد صلوة الفجر قبل ان يتكلم احداً رفع الله تعالى له من ذلك
اليوم عمل خمسين صديقا رواه صاحب الفردوس وروى عن واثلة بن
الاسقع رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صلّى صلوة
الصبح ثمّ قرأ قل هو الله احد الخ مأة مرّة قبل ان يتكلم غفر له ذنب سنة
رواه صاحب الفردوس رح وفى الخبر انّ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
قال عرجت الى السموات رايت عجايبها وعقابها وثوابها ورأيت نهراً
فى الجنة يقال له فيض فى جوانبه ولدان مخلّدون خلقهم الله تعالى
من اقدامهم الى ركبتهم من ياقوت واحمر ومن ركبتهم الى وسطهم من عنبر
ومن وسطهم الى حلقهم من مسك اذفر ومن خلقهم الى رؤسهم من نور
العرش فقلت يا جبرائيل لمن هذا قال لمن صلّى صلوة الفجر بالجماعة
وجلس ساعة يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس رواه الامام السيناتى
فى كتابه حيوة القلوب وروى عن عايشة الصديقة رض انها قالت
سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه يقول من صلّى الفجر او قال
الغداة فى الجماعة فقعد فى مقعده فلم يبلغ بشيء من امر الدنيا ويذكر الله
حتى يصلّى الضحى اربع ركعات خرج من ذنوبه كيوم ولدته امّه
لا ذنب له رواه ابو يعلى البغدادى باسناد حسن وروى عن انس بن
مالك انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صلّى الفجر
فى جماعة ثمّ قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثمّ صلّى ركعتين
كانت له كاجر حجّة وعمرة رواه الترمذى قوله ثمّ صلّى ركعتين

اى بعد ارتفاع الشمس قدر رمح او رمحين وهى صلوة الاشراق وهو اول
وقت الضحى كذا ذكره فى شرح المصابيح وايضاً ذكر فيه ثم قعد يذكر الله
فيه دلالة على ان المستحب فى هذا الوقت انما هو ذكر الله تعالى من التسبيح
والتهليل والتحميد لا قراءة القرآن لان هذا الوقت شريف وللمواظبة
فيها اثر عظيم فى النفوس النفيسة وقد صرح الشيخ فى عوارف المعارف
ويؤيده ما ذكر فى الغنية من ان الصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم والدعاء والتسبيح افضل من القراءة فى الاوقات التى تكره الصلوة
فيها وروى عن الحسين بن على بن ابى طالب انه قال سمعت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من صلى الغداة ثم ذكر الله تعالى حتى تطلع
الشمس ثم صلى ركعتين او اربع ركعات لم تمس جلده النار رواه الامام
البيهقى رح وروى عن سهل بن معاذ رض انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من قعد مصلاه حتى ينصرف من صلوة الصبح حتى يصلى
ركعتى الضحى لا يقول الا خيرا غفر له خطاياه وان كانت اكثر من زبد
البحر رواه احمد وابو داود رح وورد فى الخبر ان الله تعالى خلق فى الجنة
سبعين الف مدينة من ياقوتة حمراء فى كل مدينة سبعون الف بيت
من زمرد بيضاء وفى كل بيت سبعون الف سرير من زبرجد خضراء
فوق كل سرير سبعون الف فراش من سندس وحرير وعلى كل فراش
جارية من الحور العين من قدميها الى ساقيها من مسك اذفر ومن ساقيها
الى سرتها من عنبر ابيض ومن سرتها الى عنقها من الكافور الابيض
ورأسها من زعفران قيل لمن هذا يا رسول الله قال لمن صلى الصلوات
الخمس بالجماعة رواه الامام السيناتى فى حيوة القلوب وحكى
ايضا فيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان لله تعالى مدينة فى الجنة
يقال لها مدينة الجلال وفيها قصر يقال له قصر العظمة وفيه بيت

يقال له

يقال له بيت الرحمة وفيه اربعة الاف حوراء من الحور العين ما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فقيل لمن هذه يا رسول الله
قال لمن صلى الصلوات الخمس بالجماعة وفى الخبر عن انس بن مالك رض
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان يوم القيمة يحشر الله
تعالى مساجد الدنيا على صورة نوق بيض قوائمها من العنبر واعناقها
من الزعفران وظهرها من الكافور ورأسها من المسك الاذفر وازمتها
من الزبرجد الاخضر فيقول المؤذنون الله اكبر الله اكبر اخذوا ازمامها
فيقودونها والائمة يسوقونها والجماعة يركبونها على ظهرها فيقول
اهل القيمة هؤلاء الملئكة المقربون او الانبياء المرسلون فينادى المناد
من تحت العرش يا اهل القيمة هؤلاء ليسوا من الملئكة المقربين ولا
من الانبياء المرسلين بل هؤلاء من امة محمد الذين يصلون المكتوبات
بالجماعة فيمرون على الصراط كالبرق الخاطف فينتهون الى باب الجنة
واستقبلهم الرضوان مع الملئكة ثم يسلمون عليهم كما قال الله تعالى فى سورة
الزمر وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم اى طهرتم من الذنوب
او طابت لكم الجنة فادخلوها خالدين اى دائمين فيها ولا تخرجون
منها بعد دخولها متنعمين بنعمها ومتخلعين بخلعها ولا تنعزلون
عن مناصبها كما فى الدنيا الفانية فلا يقاس عليها الدار الباقية كذا
فى حيوة القلوب وروى عن ابى ذر الغفارى رض انه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قال فى دبر كل صلوة الفجر والمغرب
قبل ان يتكلم لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى
ويميت وهو على كل شىء قدير عشر مرات كتب الله له عشر حسنات
ورفع له عشر درجات ومحى عنه عشر سيئات وكان يومه ذلك كله
فى حرز من كل مكروه وحرس من الشيطان رواه الترمذى واللفظ له

حديث حسن صحيح والنسائي وزاد فيه بيده الخير وزاد ايضاً وكان له
بكل واحدة قال لها عتق رقبة وروى عن الحرث بن مسلم التميمي
رضه قال لي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صليت الصبح فقل قبل ان تتكلم
اللهم اجرني من النار سبع مرات فانك ان مت من يومك كتب الله لك
جوازاً من النار واذا صليت المغرب فقل قبل ان تتكلم اللهم اجرني
من النار سبع مرات فانك ان مت في ليلتك كتب الله لك جوازاً من النار
رواه ابو داود والنسائي رح قوله جوازاً من النار اي نجوة وخلاصاً
من حيث لا يخاف يوم يخاف وروى عن سلمان الفارسي رضه انه
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعد الفجر ثلث مرات
وبعد العصر ثلث مرات استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي
القيوم واتوب اليه غفر الله له ذنوبه وان كان مثل زبد البحر رواه ابو
منصور الديلمي رح قال الامام الفهامة الناجي في كتابه المسمى
بالسنن الصالحين روى عن معاذ بن جبل رضه انه قال تعالى ليس
يتحسر اهل الجنة فيها على شيء الا ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها
قلت هو حديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رواه الحاكم في المستدرك
ولفظه ليس يتحسر اهل الجنة الا ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله
تعالى فيها انتهى كذا في الحصن الحصين من تاليف ابي الخير الامام
الجزري رح وروى عن معاذ بن جبل رضه انه قال سئلت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اي الاعمال احب الى الله تعالى قال ان تموت
ولسانك رطب من ذكر الله رواه ابن حبان في صحيحه قلت
وما اعظمها المن وفق للذكر على الدوام لقوله صلى الله تعالى عليه
وسلم خير الاعمال ادومها ويؤيده قوله انا جليس من ذكرني في الحديث
القدسي رواه الامام الثعلبي في كتابه رياض الصالحين ورد في الخبر

عن عبد الله

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضه انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان الله سيخلص رجلاً من امتي على رؤس الخلايق
يوم القيمة وينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر
ثم يقول اتنكر من هذا شيئاً اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب
فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانت لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة
فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً عبده ورسوله احضر وزنك
فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات قال فانك لا تظلم
قال فتوضع السجلات في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة
ولا يثقل مع اسم الله شيء رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وابن حبان
في صحيحهما وقال الحاكم حديث صحيح على شرط رح وروى عن معاذ بن
جبل رضه انه قال ما من شيء انجى من ذكر الله رواه الترمذي وروى
عن جابر بن عبد الله رضه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ثلث من جاء بهن مع ايمان دخل من اي ابواب الجنة شاء وزوج
من الحور العين كم شاء من ادى ديناً خفياً وعفى عن قاتله وقرأ
في دبر كل صلوة مكتوبة عشر مرات قل هو الله احد الخ فقال ابو بكر
الصديق رضه او احديهن يا رسول الله فقال صلى الله تعالى عليه وسلم
او احديهن رواه الامام الطبراني في المعجم الاوسط رح وفي الخبر
عن ابن عباس رضه انه قال دخل ابو امامة الباهلي رضه على رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم باكياً حزيناً فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ما يبكيك يا ابا امامة قال لم لا ابكي وجهت الى مصر الف جمل اربعين
غلاماً وحملها الحنطة حتى بلغوا امكنة فخرج عليهم المشركون فاخذوا
جمالي وذهب مالي فلم يبق لي شعرة واحدة فقال له رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يا ابا امامة دخلت علي باكياً حتى ظننت ان تكبيرة الافتتاح

فاتتك قال ابو امامة يا رسول الله ان تكبيرة الاولى خير من الف
جمل حملها الحنطة واربعين غلاما فقال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يا ابا امامة لو وصلت الجمل الى الجمل من المشرق الى المغرب
وحملها الذهب والفضة وقمت على رجليك عشرين الف سنة
وتصدقت بيمينك الذهب وبشمالك الفضة ما ادركت فضل
تكبيرة الافتتاح رواه الامام السيناني في حيوة القلوب وقد ورد
في الخبر ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لما اسرى بي الى السماء
فرايت روضة في الجنة ارضها زبرجد اخضر واشجارها من ذهب
احمر وتحتها انهار يقال له افيح ماؤه من زلال الكوثر وعلى وسط
النهر خيام من لؤلؤ الاخضر وفي الخيام حور خلقن من المسك والعنبر
فيسبحن الله تعالى باعلى اصواتهن وصوتهن اطيب من العسل والسكر
ويلعبن بايديهن حصاة النهر من الدر والجوهر ويسئلن بعضهن
عن بعض لمن انت يا حوراء ولمن انت يا عيناء ويقلن لمن ادرك
بالتكبير الاولى في صلوة الفجر وغيرها ويقول الله اكبر مع الامام رواه
الامام السيناني في كتابه حيوة القلوب رح وسئل ثواب تكبيرة
الافتتاح من ابي بكر الصديق رض فقال ابو بكر الصديق رض لو كان لي
الف جمل وكان حملهم ذهبا وفضة فلا تصدق في سبيل الله لكان
ثوابه اكثر من ذلك وسئل عن عمر رض عنه فقال لو كان لي جمل ما بين
مكة والمدينة فكان حملهم خزا وبزا وانصدق في سبيل الله لكان
ثواب تكبيرة الافتتاح اكثر من ذلك وسئل عثمان بن عفان رض
لو كنت في ركعتين في ليلة واحدة وختمت القرآن فيهما لكان ثوابه
اكثر من ذلك وسئل علي بن ابي طالب رض فقال لو كانت الدنيا
مملوة من الكفار وانا اقطع رؤسهم بذي الفقار لكان ثواب تكبيرة

الاولى اكثر

الاولى اكثر من ذلك ثم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو كانت
السموات والارض قرطاسا والاشجار اقلاما والبحار مدادا والانس
والجن والملئكة كلهم كتابا فكتبوا ثوابه الى يوم القيمة لعجزوا عن ثواب
تكبيرة الافتتاح وما قدروا ان يكتبوا عشر عشرها فتكبيرة الاولى
خير من الدنيا وما فيها لان تكبيرة الاولى يدركها المؤمن مع الامام
خير له من مأة الف حجة وعمرة وخير له من مأة الف ناقة ينحرها
للمساكين وخير له من مأة الف جهاد مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وخير له من ان يتصدق بوزن جبل احد ذهبا على المساكين كذا
في حيوة القلوب رح واما مذمومية ترك الجماعة فلما روى عن
ابن عباس رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من سمع
النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر قالوا وما العذر يا رسول الله قال
خوف او مرض لم تقبل منه الصلوة التي صلى في بيته رواه داود
وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وروى عن معاذ بن وابن انس
رضيهما عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال الجفا كل الجفاء
والكفر والنفاق من سمع منادي الله تعالى ينادي الى الصلوة فلا يجيبه
رواه احمد في سنده والطبراني في معجمه وروى عن ابي هريرة رض
انه قال اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رجل اعمى فقال يا رسول الله
ليس لي قائد يقودني الى المسجد فسأل رسول الله ان يرخص له
ليصلي في بيته فرخص له فلما ولى دعاه وقال هل تسمع النداء
بالصلوة قال نعم قال فاجب رواه مسلم والنسائي وروى عن محمد بن
عبد الرحمن عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من سمع نداء الجماعة
ثم لم يات ثم سمع ثم لم يات ثم سمع ثم لم يات ثلاثا طبع الله على قلبه
قلب منافق رواه ابو بكر بن ابي شيبة وروى عن ابي هريرة ان رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم الى المسجد فرأى في القوم رقة اى قلة فقال والذى
نفسي بيده لقد هممت ان آمر بحطب ثم آمر بالصلوة فيؤذن لها
ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم اخالف الى رجال لا يشهدون الصلوة
فاحرق عليهم بيوتهم والذى نفسي بيده لو يعلم احدهم انه يجد
عرقا سمينا اى العظم الذى لا لحم عليه او مرماتين حسنتين
اى ظلفى الشاة لشهد العشاء رواه البخاري ومسلم رح قوله لقد
هممت آه هذا التأكيد الشديد فيه مما استدل المجتهدون من ائمة
اهل السنة والجماعة فمنهم من قال الجماعة فرض عين وهذا مذهب
الامام عطاء والاوزاعي واحمد وابى ثور وابن خزيمة وابى داود
من اعلى حفاظ الحديث رحمهم الله تعالى ومنهم من قال الجماعة ليست
فرضا عينا لانه قال هممت ان آمر بحطب آه ولم يحرق بيوتهم
بالفعل ولم يمنعهم بالكلية بل تركه ولو كانت فرض عين لما وسع
الترك وان كانت في نفسها من آكد السنن حتى اجاب البعض بان
في الحديث دليلا على ان العقوبة كانت في اول الامر باتلاف الاموال
وتحريق البيوت منها ثم جاء في رواية اخرى ان هذه الصلوة
التى هم للمتخلفين الذين هم منافقون تخلفوا في صلوة العشاء
وفي رواية انها صلوة الجمعة وفي رواية عن الصلوات الخمس وكلها
صحيحة فلا منافاة بين ذلك وسياق الحديث يقتضيه فحاشا
ان الصحابة يؤثرون العظم السمين على فضيلة الجماعة في الصلوة
التى قرة عين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع انهم افدوا اموالهم
واولادهم في سبيل الايمان والاسلام مع الايثار فلذا قال الجمهور
رحمهم الله ان هذا التأكيد يقتضى كونها وجوبا كما ذهب الامام
الاعظم رح في رواية واما يقتضى كونها فرضا كفاية وهو المختار

عند البعض

عند البعض لسقوطها عن فعل البعض وروى عن ابن عباس رض
انه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسئل وهو يقول
يا رسول الله ما تقول فيمن يصلى بالليل ويصوم بالنهار ويزكى ويحج
ولا يشهد الجماعة ولا الجمعة قال هو في النار رواه الترمذى رح
وحكى عن شقيق البلخى رح من تلاميذ الاعظم رح انه ذهب الى
ان الصلوة الواحدة فاتته الجماعة فلم يعز على الفائت احد منهم على فوتها
فهم ان يخرج من هذه البلدة فاجتمع اليه الناس فسئلوه عن سببه
فقال انكم قوم جفاة ما اصبر على جفوتكم فقالوا له بماذا جفوناك
قال الى ثلثة من السنين لو مات احدهم لعزانى جميع اهل بلخ وفاتتنى
صلوة واحدة لم تصبنى مصيبة مثل هذه المصيبة وقد بلغنى من اهل
العلم ان من اعتاد على ترك الجماعة من غير عذر فقد فسق ولا تقبل شهادته
وعلى السلطان ان يؤدبه ويعزره فيا ايها الاخوان في الدين والايمان
ان الجماعة سنة مؤكدة على الاصح غاية التأكيد ومن شعاير الاسلام
لو تركها واحد من القوم على العادة بغير عذر يجب التعزير ولو تركوا
جميعهم بالاتفاق لوجب قتالهم بالسلاح ويأثم تارك التعزير منها
والساكتون من الائمة والمؤذنين واقل التعزير ثلثة اسواط قال
صاحب خلاصة الفتاوى سمعت من ثقة ان التعزير باخذ الاموال
ان رأى القاضى والوالى مستحسنا جاز لان تألمه عظيم يرجى نفوذه
ومن جملة ذلك جواز اخذ مال تارك الجماعة فانه اكثر تأثيرا فيه من الضرب
كذا في جواهر الفقه وتكرار الفقه واللغة ليس بعذر في ترك الجماعة
وقيل مطالعة الكتب الفقهية وتكريرها من الاعذار الشرعية
المجوزة تركها لانه اهم في الدين اذا لم يكن عن تكاسل وقلة مبالاته
ولم يواظب على تركها بل يقع احيانا لاشتغاله بالفقه لنفعه له

في الجماعة ولم يعز احد عليها
فواتها لو مات البنون كلهم
دفعة واحدة صح

ولسائر المسلمين والمطر والبرد الشديد والظلمة الشديدة والخوف
والحبس وعدم امنيته طريق المساجد فذلك كله من الاعذار الشرعية
المجوزة تركها او لزومها كما صرح في التبيين بانه هو الصحيح وكذا الوحل
عذر اى الطين والبعد ليس بعذر اذا لم يكن خوف فيه قال الامام
الاعظم رح من شغل عن الجماعة من غير عذر او سهى او نام وجمع اهله
وصلى في منزله يجوز ولو صلى باهله في منزله يجوز من غير كراهة لما
فيه من ايفاء حظ اهله بالجماعة خاصة اذا لم يجد اماما عالما متقيا
امينا خاصة اميا فانه لا يجوز امامة الامى للعالم على ما اقتضته
اصول الدين ومن اراد التفصيل فليطالع الكتب الفقهية كذا في الغنية
رح واما ثواب صلوة الجمعة والسعى اليها ويومها وساعتها وغسلها
وعشر ركعات قبل خروج الامام الى المنبر والدعاء بعد فراغها وقطع الظفر
فيها فقال الله تعالى في سورة الجمعة في كتابه العزيز يا ايها الذين امنوا اذا
نودى للصلوة اى فعل النداء لها او اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا
وتفسير لها وقيل بمعنى في كما في قوله تعالى اروني ماذا خلقوا من الارض
اى في الارض وانما سمى جمعة لاجتماع الناس فيه للصلوة وقيل اول من
سماها جمعة كعب بن لوى وكانت العرب تسميه العروبة وقيل ان الانصار
قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه بكل سبعة ايام وللنصارى
مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله تعالى فيه
ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه
يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم
فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله تعالى اية سورة الجمعة فهى اول
جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فهى انه لما قدم المدينة مهاجرا على بنى عمرو بن عوف رض واقام بها

يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج
يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة الجمعة في بنى سالم بن عوف
في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة فاسعوا الى ذكر الله اى امشوا
واقصدوا الى الخطبة والصلوة وذروا البيع اى اتركوا المعاملة بعد النداء
ذلكم اى السعى الى ذكر الله تعالى وترك البيع حينئذ خير لكم من المباشرة
وقتئذ فان نفع الاخرة وتجارتها اجل وابقى كما ان تجارة الدنيا التى
ادنى وافنى فاثروا الابقى والاعلى على الافنى والادنى ان كنتم تعلمون ما ينفعكم
يوم عسير ولا يضركم اكتساب التجارة في يوم يسير اذ لا ينفع مال
ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم والاعمال الجميل والاخلاص الجليل
او ان كنتم اهل العلم بحيث يميز الخير عن الشر والاعلى من الادنى والابقى
من الافنى فاذا قضيت الصلوة اى صلوة الجمعة اذا اديت وكملت
بشروطها الستة المذكورة في كتب الفقه وفرغ منها فانتشروا
في الارض لاقامة مصالحكم واكمال حوايجكم والتخلص عن الاستئال
لنفقة عيالكم اذ ليس للمؤمن ان يذل نفسه مع انه لا يجوز لمن قدر
على الاكتساب الا اذا عجز لاى عجز كان فحينئذ يكون حلالا لا الا ان كسب
على الاستطاعة وابتغوا من فضل الله اى الربح والتجارة فالامر
الاطلاق بعد الحظر اى اطلبوا ان شئتم من رزقه المقسوم المعلق به
وهو طلب الحلال من الارزاق والماكولات والمشروبات والملبوسات
وهذا الامر كالامر في قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا اى للاباحة
ويؤيده ما قاله ابن عباس رضى الله عنهما في معناه ان شئت فاخرج وان شئت
فاقعد وان شئت فصل الى العصر قال في رواية العمادى رح
لم يؤمروا بطلب شىء من الدنيا وانما امروا بعيادة المريض وحضور
الجنائز وزيارة الاخ في حب الله وروى عن الحسن وسعيد بن المسيب

طلب العلوم النافعة وقيل صلوة التطوع واذكروا الله كثيرا اى ذكرا
كثيرا وزمانا كثيرا باللسان ان كان من الذكر بكسر الذال وبالقلب
ان كان بضم الذال فالاصل كلاهما كما قال الفخر الرازى فى تفسيره
ولا تخصوا ذكره عز وجل بالصلوة فلذا لم يجوزوا علماء الدين من
المتصوفين ولو آنا فآنا نسيان الله حكما للمؤمنين فى جميع الاوقات
اذ هم المامورون به اذ ليس فى الاعمال انجى من العذاب من الذكر كما ذكر
فى الحديث الصحيح كما ذكرنا فى بحث الذكر بلغنا ما بلغ لعلكم تفلحون
وانتم راجون فلاحكم بخير الدارين بصلاح الدنيا الفانية ودخول
الجنة فى الدار الآخرة الباقية ونيل الجمال فى العاقبة فكلمة لعل
موضوعة لانشاء توقع امر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول
اما فى المحبوب فتسمى ترجيا واما فى المكروه فتسمى اشفاقا وذلك المعنى
قد يعتبر تحققه بالفعل اما من جهة المتكلم كما فى قولك لعل الله يرحمنى
وهو الاصل الشايع فى الاستعمال لان معانى الانشاء قائمة بالمتكلم
واما من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم اعتبارا بمعناه الوضعى
مع ان التلبس التام جار بينهما فى الكلام كما فى قوله تعالى فقولا له قولا
لينا لعله يتذكر او يخشى فان اصل هذا الكلام يقتضى ان يكون من طرفى
المخاطبين وهما موسى بالاصالة وهرون عليهما السلام بالوزارة
والتبعية كما يفهم من لفظ وزير التابع لمتبوعه كانهما استشارا
بينهما فقالا ان قلنا لفرعون بما امر الله عز وجل لنا قولا لينا من غير
كلام مغضب لعله يتذكر فى امره الباطل من دعوى الربوبية فما نصف
وآمن او يخشى من عذاب الله وعقابه فى الدارين بمجرد اتياننا كما عذب
قوما قبله وهو يعرفه وقد يعتبر تحققه بالقوة بنوع من التجوز
ايذانا بان ذلك الامر فى نفسه منبئ ومخبر للتوقع متصف بحيثية

محققة له

مصححة له من غير ان يعتبر توقع الفعل فان اريد فى الآية العزيزة هنا جهة
المتكلم استحيل ذلك المعنى وارادته لامتناع التوقع من علام الغيوب فانه
علمه بكل شئ محيط لانه لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات السبعة
والارضين السبعة وما بينهما وفوقهما فيصار اما الى الاستعارة التشبيهية
او الى التمثيلية او على تجويز تعليل افعاله تعالى بالاغراض الراجعة الى العباد
فهى حكمة بالنسبة اليه تعالى كما ذهب اليه اكثر اهل السنة والجماعة واما تنزيل
لترتب الغاية على ما هى ثمرة له وهى المغيا منزلة ترتب الغرض على ما هو
ثمرة له وغرض له وهى علة غائية لها بحيث لولاها لما اقدم عليها
وشرع لعباده المؤمنين وبين فى الكتاب المبين فهذا من البديهيات
ثم لا نزاع لاحد من اهل العلوم من المسلمين فخذ هذا وكن من الشاكرين
على تحقيق معنى لعل بامثالها فى الكتاب المبين وادع الى الفقير المؤلف
وجميع المصنفين لعل الله يرحمك برحمته على جميع العلماء العاملين
وروى عن ابى هريرة رضه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم من توضأ فاحسن الوضوء ثم اتى الجمعة فاستمع وانصت غفر له
ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة ايام ومن مس الحصى فقد لغى
رواه مسلم وابو داود والترمذى وابن ماجه قوله لغى اى خاب وخسر
من اجر الجمعة لترك الاستماع والانصات وقيل اخطأ وقيل صارت
جمعته ظهرا وروى عن ابى هريرة رضه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان
الى رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنب الكبائر رواه مسلم وغيره
وروى الامام الطبرانى فى حديث ابى مالك الاشعرى رضه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الجمعة كفارة ما بينها وبين
الجمعة التى تليها وزيادة ثلثة ايام وذلك بان الله عز وجل قال

في سورة الانعام من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قوله الصلوات الخمس
والجمعة الى الجمعة وفي هذا الحديث دقيقة وهو قوله عليه السلام اذا
اجتنب الكبائر قيد في تعميم المغفرة فعلى هذا تغفر الصغاير وان ارتكب
الكبائر واما اذا كان قيدا للتكفير لم يكن لذلك تأثير في التكفير فان
الصغاير تكفر باجتناب الكبائر بدليل قوله تعالى في سورة النساء
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اي ان تمتنعوا عن عمل الكبائر التي
نهيتم عنها والاقوال فيها كثيرة والاشهر انها سبع الشرك بالله وقتل
المؤمنين عمدا بغير حق والزنا واكل مال اليتيم الا بالتي هي احسن
والفرار عن الزحف واكل الربوا وقذف المحصنة وعقوق الوالدين
وزاد في رواية شهادة الزور والسحر وقال بعضهم الكبيرة ما نزل
فيه الحد نكفر عنكم اي نمح ونغفر سيئاتكم اي ما دون الكبائر
من الصلوة الى الصلوة ومن الجمعة الى الجمعة ومن رمضان الى رمضان
اذا اجتنب الكبائر وفي الاية العزيزة والحديث اللذين دليل على
ان انقسام الذنوب الى الصغاير والكبائر وفيه مخالفة الاستاد
ابو اسحق الاسفرايني فانه قال ليس في الذنوب صغيرة لانها كلها
كبيرة نظرا الى مطلق العصيان المبعد عن الرضاء والى غضب الله
العظيم اذ رب صغيرة تدخل النار اذا اغضب الله ورب كبيرة
تغفر بعفوه وعنايته قال المؤلف الفقير هذا القول من الاستاد
اقرب الى التقوى والاجتناب عنها اذ حقيقة الحال كذلك ولا يسئل
عما يفعل فالعباد كلهم له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لكن وسعت
رحمته غضبه وان كان مقتضى الايات والاحاديث الانقسام
اليهما الا ان الله تعالى اخفى غضبه المهلك بين العباد ليجتنبوا عنه
من كل الاثام كما انه اخفى وقت الاجابة من الساعات والقدر في السنة

ورمضان

ورمضان والصلوة الوسطى ليجاهد العباد بالمصادفة فيجب على كل
مؤمن ان يجتنب عن كل الاثام صغيرها وكبيرها لئلا يغرنه الشيطان
كما غر ابينا آدم م في الجنة مع ما ان المعصية الصغيرة يجوز ان تكون
كبيرة بالاصرار كما انهما تزولان بالاستغفار قوله مكفرات لما بينهن
مخصوص بالصغاير وندخلكم بنون المتكلم اي ندخل بعظمتنا وعظمة
ادخالنا وانعامنا عليكم ايها المؤمنون المجتنبون عنها مدخلا كريما
بضم الميم وفتحها يحتمل المكان والمصدر اي في الجنة المهيئة نزلا لكم
وميراثا من ابيكم ورحمة عليكم من ربكم الغفور الكريم او ادخالا حسنا
مرضيا بحيث ترضون ويرضى عنكم ربكم كما سبق في الحديث آنفا
وفي الخبر ان موسى صلوات الله على نبينا وعليه كان يقرؤ التورية
فوجد نعت هذه الامة فقال يا رب هل احد افضل من امتي قال نعم
امة محمد قال الله تعالى اذهب الى بيت المقدس فذهب فرأى
قوما يعبدون الله تعالى فسألهم من انتم فقالوا نحن من امتك نعبد الله
تعالى هاهنا منذ سبعين سنة بالجد والاجتهاد فقد لبسنا لباس الصبر
على انفسنا ووضعنا رداء التواضع على اعناقنا وعمامة الشكر على رؤسنا
واخذنا عطاء التوكل على ايدينا ونعل الخشية على ارجلنا فطعامنا
نبات الارض وشرابنا ماء المطر ولباسنا قشر الخشب والشجر ولا نرفع
رؤسنا الى السماء حياء من الله تعالى منذ سبعين سنة ففرح موسى
عليه السلام بذلك فقال الله تعالى يا موسى اني اعطيت لامة محمد
يوما ركعتان فيه خير من هذا كله فقال يا رب اي يوم هذا قال ليوم
الجمعة فالسبت لك والاحد لعيسى عليه السلام والاثنين للخليل
الرحمن والثلثا لزكريا عليه السلام والاربعا ليحيى عليه السلام والخميس
لآدم عليه السلام والجمعة لسيد الانبياء محمد عليه السلام ولامته

خير الامم فتعجب موسى صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم اجمعين من فضل
هذه الامة المرحومة وروى عن سمرة بن جندب رض انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم احضروا الجمعة وادنوا من الامام فان الرجل ليتخلف
عن الجمعة حتى انه ليتخلف عن الجنة وانه من اهلها رواه ابو داود رح
وروى عن علي بن ابي طالب رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم اذا كان يوم الجمعة خرجت الشياطين يريثون اي يشغلون
الناس في اسواقهم ويقعد الملئكة على ابواب المساجد يكتبون الناس
على قدر منازلهم حتى يخرج الامام فمن دنى من الامام فانصت واستمع
ولم يلغ كان له كفلان من الاجر ومن بعد من الامام فاستمع وانصت
ولم يلغ كان له كفل من الاجر ومن دنى من الامام فلغى ولم يستمع
كان له كفلان من الوزر ومن قال لصاحبه صه اي اسكت فقد تكلم
ومن تكلم فقد لغى ومن لغى فلا جمعة له ثم قال علي رض سمعت من نبيكم
رواه احمد رح قوله كفل بكسر الكاف وسكون الفاء فهو النصيب
من الاجر والوزر وروى عن علقمة رض انه قال خرجت مع عبد الله بن
مسعود رض يوم الجمعة فوجد ثلثة قد سبقوه فقال ورابع اربع
من الله ببعيد اني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول
ان الناس يجلسون يوم القيمة عند الله عز وجل على قدر رواحهم
الى الجمعة الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع ورابع اربعة ببعيد
رواه ابن ماجه وابن ابي عاصم واسنادهما حسن وروى عن ابي سعيد
الخدري رض انه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول خمس
من عملهن في يوم الجمعة كتبه الله تعالى من اهل الجنة من عاد مريضا
وشهد جنازة وصام يوما وراح الى الجمعة واعتق رقبة رواه ابن
حبان في حديثه في صحيحه واما ثواب الجمعة وساعتها فلما روي

عن ابي لبابة بن

عن ابي لبابة بن عبد المنذر رض انه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يوم الجمعة سيد الايام واعظمها عند الله وهو عند الله اعظم
من يوم الاضحى ويوم الفطر فيه خمس خصال خلق الله فيه آدم عليه
السلام واهبط الله فيه آدم الى الارض وفيه توفى الله آدم وفيه ساعة
لا يسئل العبد فيها شيئا الا اعطاه ما لم يسئل حراما وفيه تقوم الساعة
ما من ملك مقرب ولا سماء ولا ارض ولا رياح ولا جبال ولا بحر الا وهو
مشفق من يوم الجمعة رواه احمد وابن ماجه وروى عن ابي هريرة رض
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيمة
واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة وما طلعت الشمس
ولا غربت على يوم افضل منه فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن
يدعو الله بخير الا استجاب الله له ولا يستعيذ من شيء الا اعاذه منه
اي حفظه الله تعالى من ذلك الشيء رواه احمد والترمذي كذا في مشكوة
المصابيح رح وروى عن انس رض انه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يوم الجمعة وليلة الجمعة اربعة وعشرون ساعة ليس فيها
ساعة الا ولله فيها ستمائة الف عتيق من النار وقال فخرجنا من عنده
فدخلنا على الحسن فذكرنا له حديث ثابت فقال سمعته وزاد فيه
كلهم قد استوجب النار رواه ابو يعلى والبيهقي باختصار ولفظه
لله في كل جمعة ستمائة الف عتيق من النار وروى عن ابي هريرة
رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال
فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسئل الله شيئا الا
اعطاه رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه واما تعيين
هذه الساعة الشريفة فقد ورد فيه احاديث كثيرة صحيحة واختلف
العلماء فيها اختلافا كثيرا وذكر هاهنا من الاحاديث الدالة لبعض

الاول وروى عن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري رض انه قال قال رسول الله
قال لى عبد الله بن عمر رض اسمعت اباك يحدث عن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فى شأن ساعة الجمعة قال قلت نعم سمعته يقول
سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهى ما بين ان يجلس الامام
بين الخطبتين حين صعد المنبر الى ان يقضى الصلوة رواه مسلم
وابو داود قوله ما بين ان يجلس الامام اراد بجلوس الخطيب بين
الخطبتين ويجوز ان يراد بجلوسه حين صعد المنبر الى ان يقضى
الصلوة وقيل هى آخر ساعة من يوم الجمعة وقيل هى من طلوع الفجر
الى طلوع الشمس قال القاضى عياض ورد فى كل آثار لكن الصحيح
هو ما ذكر فى الحديث وروى عن عمرو بن عوف المزنى رض عن النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان فى الجمعة ساعة لا يسئل الله العبد فيها
شيئا الا آتاه الله اياه قالوا يا رسول الله اى ساعة هى قال هى
حين يقام الصلوة الى الانصراف منها رواه الترمذى وابن ماجه
رح وروى عن جابر بن عبد الله رض عن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يقول يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة لا يوجد عبد مسلم
يسئل الله تعالى شيئا الا آتاه فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر رواه
ابو داود والنسائى واللفظ له والحاكم وروى عن انس رض انه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التمسوا الساعة التى ترجى فى يوم
الجمعة بعد العصر الى غيبوبة الشمس رواه الترمذى رح واما ثواب
غسلها فلما روى عن انس بن مالك رض انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم اغتسلوا يوم الجمعة ولو كان بدينار وروى عن ابن
عباس وابى هريرة رض انهما قالا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من اغتسل يوم الجمعة بنية حسنة لتنظيف الجسد بغير جنابة

كتب له

كتب له بكل شعرة يبلها من رأسه ولحيته حسنة رواه الحاكم
وابو منصور الديلمى رح وروى عن اوس بن اوس رض انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنى وانصت
ولم يلغ كان له بكل خطوة كأجر عبادة سنة صيامها وقيامها وقال
محمد بن الفضل سألت يزيد بن هارون عن قوله غسل واغتسل قال
غسل مواضع الوضوء واغتسل جسده وسألته عن بكر وابتكر فقال
بكر وعجل على غسله وابتكر عجل الى الجمعة كذا فى حيوة القلوب وروى
عن ابى بكر الصديق وعن عمران بن حصين وعن عتيق رضى عنهم قالوا
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من اغتسل يوم الجمعة كفرت عنه
ذنوبه وخطاياه واذا اخذ فى المشى كتب له بكل خطوة عمل عشرين
سنة فاذا انصرف من الصلوة اجير بعمل مائتى سنة رواه صاحب الفردوس
والطبرانى فى المعجم الكبير والاوسط ايضا عن ابى بكر رح رض وقال
فيه كان له بكل خطوة عمل عشرين سنة وروى عن اوس بن اوس الثقفى
رض انه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من غسل يوم الجمعة
واغتسل وبكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام فاستمع ولم يلغ كان له
بكل خطوة عمل سنة اجر صيامها وقيامها رواه احمد وابو داود والترمذى
رح وروى عن ابى امامة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الغسل يوم الجمعة
ليسيل الخطايا من اصول الشعر استلالا رواه الطبرانى فى الكبير رح
وروى عن عبد الله ابن ابى قتادة رض دخل على ابى وانا اغتسل يوم
الجمعة فقال غسلك هذا من جنابة او للجمعة قلت من جنابة قال
اعد غسلا آخر انى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من اغتسل يوم
الجمعة كان فى طهارة الى الجمعة الاخرى رواه الطبرانى فى الاوسط
فان قيل لم نغسل جميع البدن عند خروج المنى دون البول والغائط

بل بغسل المخرج فقط فكلاهما في النجس سيان قلنا اولا انا مامورون بالاكمال
بقوله تعالى في سورة المائدة وان كنتم جنبا فاطهروا وبالمبالغة فلا تحصل
الا بجميع الابدان بخلاف الامر بالوضوء فانه عينه لكل عضو مع عدم
المبالغة فيه وثانيا ان تحت كل شعرة جنابة فيقتضي جميع الاعضاء
التي تحل الجنابة اليها وثالثا ان جميعها وجدت اللذة عند خروج دون
غيره فيجب لكل الاعضاء شكر النعمة خاصة اذا حصلت منها الاولاد
ورابعا ان شريعة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اتم الشرايع
واكملها لان مؤمن شريعة السلف لم يغتسل بجميع الاعضاء وبعضها
فشريعتنا تكمل الاديان بتكميل غسل الاعضاء بتمامها واما خامسا
فلمخالفة المشركين فانهم لا يغتسلون فنحن مامورون بها واما سادسا
فانه لما وجد التمتع على موافقة النفس والهوى جميعا جوزي بمخالفتها
بالاغتسال جميعا فان الجزاء من جنس العمل وروى عن عبد الله بن عمر
رضي وانس بن مالك رض قالوا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان تحت العرش مدينة مثل الدنيا سبعين مرة مملوة من الملائكة
كلهم يقولون اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة واتى الجمعة رواه
صاحب الفردوس وحكي عن عيسى صلوات الله على نبينا وعليه انه مر
على صياد ونصب شبكة وتعلق بها ظبية فانطقها الله تعالى له فقالت
الظبية يا روح الله ان لي اولادا صغارا فوقعت هذه الشبكة
منذ ثلاثة ايام فاستاذن لي من الصياد حتى ارضع اولادي وارجع
اليه فقال الصياد لا تعود فقالت الظبية ان لم اعد وانا اكون
اشر من الذي وجد الماء يوم الجمعة فلم يغتسل فاخذ عليها بهذا العهد
فاذن الصياد فذهبت الظبية فارضعت اولادها ورجعت
عجالة لئلا تخالف العهد ولخوف الوقوع في هذه الشرور من المخلوقات

فذهب عيسى

فذهب عيسى فرأى لبنة من ذهب فامره الله تعالى ان يدفعها الى الصياد
فداء عن الظبية وجاء اليه ورأى انه ذبح الظبية فغضب على الصياد
فدعى عليه وقال ارفع الله البركة من عملك فقبل الله دعائه عليه ولم
يتيسر له الصيد بعده فتفرغ وفي الخبر عن انس بن مالك رض
انه قال صلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صلوة الصبح واسند ظهره
الى المحراب فقال يا معاشر المسلمين اذا كان يوم الجمعة امر الله تعالى
الملائكة ان يأتوا الى البيت المعمور وهو في السماء الرابعة لها اربعة
اركان ركن من ياقوتة حمراء وركن من زمرد خضراء وركن من ذهب
احمر وركن من فضة بيضاء فيصعد جبرئيل على منارة من فضة
بيضاء طولها خمسمائة عام وينادي الاذان المحمدية ويصعد ميكائيل
على منبر من ياقوتة حمراء فيخطب ثم ينزل ويصلي بهم الجمعة ثم يقوم
جبرئيل ويقول يا ملائكة ربي اشهدوا اني وهبت ثواب هذا الاذان
للمؤذنين من امة محمد في الارض ثم ميكائيل ويقول يا ملائكة ربي اشهدوا
اني قد وهبت ثواب هذه الامامة لمن يؤم من امة محمد في المساجد
ثم يقول الملائكة كلهم يا جبرئيل ويا ميكائيل اشهدا انا قد وهبنا
ثواب صلوتنا لمن صلى الجمعة من امة محمد في الارضين شرقا وغربا
بعدا وقربا فيقول الله تعالى اتسخون علي يا ملائكتي وانا معدن
السخاء والكرم اشهدكم اني قد غفرت لمن صلى الجمعة من امة محمد
رواه الامام السيناتي في حيوة القلوب رح مسئلة فانه كالمجنون
في رفع القلم في عدم فرضية الصلوة لان صلوة الجمعة من فروض
الاعيان فيجب على كل من جمع البلوغ والعقل والحرية والذكورية
والاقامة فظهر وتبين شروط الجمعة في تكلف الفرضية وعدمه
لاهلها المادوى عن طارق بن شهاب رض ان رسول الله صلى الله

صح
متعلقة بصلوة الجمعة
اعلم ان صلوة الجمعة فريضة
على كل مسلم الا على اربعة
المرأة والصبي والمملوك
من العبيد والمسافر
اما الصبي صح

قال الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة الا على اربعة عبد مملوك
او امرأة او صبي او مريض رواه ابو داود رح وقال الحسن وقتادة والاوزاعي
رحمهم يجب على العبد المكاتب وعن احمد بن حنبل رح في العبيد روايتان
ولا يجب على المسافر عند الاكثرين وقال الامام النخعي والزهري رح يجب
على المسافر اذا سمع النداء فالمراد بالنداء اذان الجمعة اما قبل الجمعة
او عند الخطبة على المنبر عند قعود الامام عليه وهو الاصح لانه لم يكن
في عهده صلى الله تعالى عليه وسلم نداء سواه وكان عليه الصلوة والسلام
اذا جلس على المنبر اذن البلال الحبشي رض وهكذا في خلافة ابي بكر
الصديق وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما فلما كان
عثمان بن عفان رض خليفة وكثر الناس فاحتاجوا الى استماع النداء
امر بزيادة النداء على النداء الاول في الزوراء وهو اسم موضع في المدينة
المنورة فالمراد به اعلام الناس لا اذان الجمعة فلذا لم يراع دخول
الوقت فان كان المراد من ذكر الله في الاية الصلوة فوجب ترك البيع
والشراء عند النداء في الخارج قبل دخول المسجد وان كان المراد منه
استماع الخطبة فلا يترك حتى يستمع الاذان عند القعود على المنبر
على ما اختلف المفسرون من المجتهدين رحمهم وكذا الاعذار الشرعية كخوف
الطريق او الاعذار او المطر او الوحل اي الطين المانع كما امر ابن عباس
لمؤذنه في يوم المطر اذا قلت اشهد ان محمدا رسول الله فلا تقل حي على
الصلوة بل قل صلوا في بيوتكم فكان الاصحاب استنكروا فقال كانكم
انكرتم هذا فان هذا فعله من هو خير مني يعني النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم حتى ان الجمعة عزيمة اي فريضة لازمة واني كرهت ان اخرجكم
فتمشوا في الطين والزلق واختلف العلماء المجتهد ولنفي العدد الذي
ينعقد بهم الجمعة فقال بعضهم لا تنعقد الجمعة باقل من اربعين فذهب

اليه الامام

اليه الامام الشافعي واحمد واسحق حيث قالوا الجمعة لا تنعقد باقل
من اربعين رجلا من اهل الكمال بان يكونوا عاقلين احرارا مقيمين في
موضع وشرط عمر بن عبد العزيز ان يكون فيهم وال وهذا غير شرط عند
الشافعي رح وقال ابو ح رح والاوزاعي رح الجمعة تنعقد وتصح بثلثة
رجال اذا كان فيهم وال وقال الحسن تنعقد باثنين كسائر الصلوات
وقال ربيعة رح تنعقد باثني عشر رجلا ولا يكمل العدد بمن لا يجب
عليه الجمعة كالعبد والمسافر والصبي والمرأة كما ذكر آنفا ولا تنعقد
الجمعة في البلدة الا في موضع واحد من تلك البلدة وبه قال مالك والشافعي
وابو يوسف رحمهم وقال احمد بن حنبل رح تصح الجمعة في موضعين
من البلدة اذا كثر الناس وضاق الجامع واما جواز الجمعة بخمس شرائط
الوقت وهو وقت الظهر الى وقت العصر والعدد والامام والخطبة
والاقامة فان فقد هذه الشروط يصلي الظهر وجوبا واما صفة الجمعة
ركعتان على العزيمة والفرضية ولها ثمانية سنن موكدة اربعة قبلها
واربعة بعدها متصلا على الاصح فان الافضل في سنن الفرائض
ان تعقبها او تتصل بها من غير فاصلة وان ذهب بعض الفقهاء ان يعقب
الظهر الاخير كصاحب الدرر لكن الاكثر على الاول لما ذكر حتى
قال بعض الفقهاء ان رجلا اذا صلى مع الامام فرض الظهر قبل السنة
الاربعة في الاول فيصلي الاثنين من السنة الموكدة متصلا ثم
الاربعة الباقية لئلا يفوت مع الاثنين كما فات الاربعة وهذا هو
الاصح فانه ان عكس يفوت المحلان فتكونان قضاء لزوال الحق للسنة
وهو الاتصال لان جميع السنن لتكميل قصور الفرائض فاذا انتقض
المكمل فبأي مكمل اكملت واما ثواب عشر ركعات قبل خروج الامام
فلما روى عن ابن عباس رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

ومن صلى يوم الجمعة عشر ركعات قبل خروج الامام يقرأ في كل ركعة
فاتحة الكتاب ويقول في آخره آمين ويقرأ الاخلاص قل هو الله احد
عشر مرات ثم يقول على اثر ذلك سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم لم يسئل الله شيئا
على اثر ذلك الا اعطاه رواه الطبراني في الدعاء واما ثواب
الدعاء بعد صلوة الجمعة واخذ لحيته بيده اليمنى ورفع يده اليسرى الى السماء
وقال ثلاث مرات ياذا الجلال والاكرام فروى عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم من اخذ لحيته بيده اليمنى ورفع يده اليسرى الى السماء وقال
ثلث مرات ياذا الجلال والاكرام اجرني من النار يا مجير يا عزيز يا كريم
يا رحمن يا رحيم نجني من العذاب الاليم غفر الله له وقضى حاجته من امر
الدنيا والآخرة كذا في مشكوة واما ثواب قطع الظفر فيها روى
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قلموا اظفاركم يوم الجمعة فانه يدفع عنكم
سبعين بابا من السماء ويكتب لكم بكل اصبع مائة حسنة ويرفع لكم
مائة درجة رواه ابو منصور الديلمي رح واما ثواب صلوة التهجد
فلقوله تعالى في كتابه العزيز في سورة السجدة تتجافى جنوبهم اي تتنحى
وتتبعد وترتفع عن المضاجع جمع مضجع وهو موضع النوم اي الفرش
موضع الثياب والوسائد لترك النوم والراحة والجملة مستأنفة
لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون بالليل وروى عن انس رضي الله عنه
قال نزلت في اناس من الاصحاب من الانصار وكنا نصلي المغرب وكرهوا
ان ينصرفوا وينزلوا منازلهم البعيدة مخافة ان تفوتهم صلوة العشاء
مع الجماعة وكانوا يصلون في المسجد صلوة المغرب وما بينه الى صلوة
العشاء ويقال هي صلوة الليل بعد العتمة وصلوة الاوابين وهذا
قول مقاتل وابي حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروي عن ابن عباس رض

وقال عطاء

وقال عطاء رح وهم الذين لا ينامون حتى يصلون العشاء الآخرة
والفجر في جماعة والمشهور ان المراد منه صلوة الليل وهو قول الحسن ومجاهد
ومالك والاوزاعي والجماعة رحمهم لما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم افضل الصيام بعد شهر رمضان
شهر الله المحرم وافضل الصلوة بعد الفريضة صلوة الليل رواه مسلم
وابو داود والترمذي والنسائي وابن خزيمة في صحيحه يدعون تعالى من ضمير
جنوبهم اي داعين له تعالى على الدوام والاستمرار مع انهم من اصحاب
الكرامات العلية والسعادات الجلية فضلا عن المبشرات السنية اذ
لا امنية كفر كان اليأس كذلك ربهم العفو الكريم والرؤف الرحيم فلذا
يظهرون العبودية المأمورة ويجاهدون فيها اناء الليل واطراف النهار
ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وانما فعلوا ذلك
ولم يناموا حين ينام الناس وتركوا راحتهم وتعدوا اسبابهم في دين الله
تعالى وشريعته العالية خوفا من سخطه واسترحاما من غضبه لان
المؤمن لم يكن امينا منه في شيء من الاشياء وحال من الاحوال ما لم يدخل
الجنات الموعودة ولم ينل الدرجات العلية اذ بينه وبينها برازخ مخوفة
وكوائد جرعوية مثل الانتقال من الدار الفانية وهذا الامر وكائن
البتة اذ كل نفس من الانفاس ذائقة الموت فباي حال ينتقل ويدفن
في القبر البتة حتى اذا غرق وحرق فقبره فيه فباي قبر يدفن لانه
اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران ولم يعرف ما يصليه
ويصوم مقبول او مردود فعلى معاملة القبول لا يلزم منه ان يسئل
في المقابلة الجنات لان نظرها العبودية واداء الديون فاذا اظهر
العبد عبوديته على سيده وصار مقبولا عنده لا يقدر العبد ان يطلب
شيئا من مولاه ولا يلزم عليه اعطاؤه ان صدر من كرمه فهو كرم وعناية

ولا فلا فضلا عن كونه مردودا ثم يحشر ويبعث الى المحاسبة والمجازاة
فباى جزاء يجزى لم يعرف وان وجب حسن الظن فى الله للمؤمن المكلف
لما روى عن واثلة رضى انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال الله تعالى انا عند ظن عبدى بى ان ظن خيرا فله وان ظن شرا فله
رواه احمد فى مسنده وابن حبان فى صحيحه فان حسن الظن وجب
على المؤمن فى حق الله وكرمه وعفوه ومع هذا لا يجوز الامنية لانه
ملكه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد اذ لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
وعمل العبد بحسن الظن اداء دينه واجراء عبوديته فلا يجب على الله
شىء لكنه تعالى وعد فلا يخلف ميعاده ثم يمر العبد على الجسر الذى
يمد على جهنم احد من السيف وادق من الشعر فالملائكة يسوقون
اهل المحشر اليه كالراعى غنمه والاطراف محاط بالنار فاين المفر
واين المحر فهذه آخر البرازخ والكوائد فبعده اما الجنة واما النار فلا سبيل
للثالث فلهذا اصحاب الجنة يجاهدون فى الدار الفانية ويعملون
عملا خالصا لاشتراء الدار الباقية ويتركون زينة الدنيا وراحتها
ويصلون فى الليالى الى الصبح لينالوا بما وعد لهم ويصومون فى اعمارهم
وينفقون من اموالهم ويحجون ويزكون ويذكرون الله خوفا وطمعا
فى رحمته وجنته ودرجاته وجماله وكماله ومما رزقناهم من الاموال
النفيسة الحلالية دون الخبيسة الحرامية اذ الاجور المرضية فى مقابلة
الاولى دون الاخرى لانها ليست مال الحقيقة وان كان له صورة
فيجب الرد على صاحبها فالانفاق اتلاف مال الغير وضياعه فهو حرام
ايضا فطلب الاجر فى مقابلة الحرام كفر فيلزم على المنفق ان يعرف بما
ينفقه من اى صنف هو حتى ينفق حين الانفاق على المحل المامور
ينفقون فى وجوه البر والحسنات من الخيرات والاعمال الصالحات

فلا تعلم

فلا تعلم نفس من النفوس النفيسة لا ملك مقرب ولا نبى مرسل
فضلا عمن عداهم ما اخفى لهم اى لاولئك الذين عددت صفاتهم
العلية ونفوسهم الجليلة من قرة اعين مما تقر به اعينهم وقرئ
ما اخفى وما نخفى لهم وما اخفيت لهم على صيغة المتكلم وما اخفى لهم
على البناء الفاعل وهو الله تعالى وقرئ قرات اعين لاختلاف انواعها
والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية علق عنها الفعل
جزاء بما كانوا يعملون اى جوزوا جزاء او اعنى لهم للجزاء بما كانوا يعملون
فى الدنيا من الاعمال الصالحات قيل هؤلاء القوم اخفوا اعمالهم
فاخفى الله تعالى ثوابهم لان الجزاء من جنس العمل وروى عن عبيدة رضى
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقد اعد الله للذين تتجافى
جنوبهم عن المضاجع ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر ولا يعلمه ملك مقرب ولا نبى مرسل رواه الحاكم
فى صحيحه وروى عن اسماء بنت يزيد رضى انها قالت قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحشر الناس فى صعيد واحد يوم
القيمة فينادى مناد اين الذين كانوا تتجافى جنوبهم عن المضاجع
فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يأمر بسائر
الناس الى الحساب رواه البيهقى وفى الخبر روى عن الحارث رضى
انه قال شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز الشعير يوما فنام
عن ورده اى غفل حتى اصبح فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى وجدت
دارا خيرا لك من دارى ووجدت جوارا خيرا لك من جوارى فوعزتى
وجلالى يا يحيى لو اطلعت الى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك
ولذهقت اى خرجت نفسك استيشاقا ولو اطلعت الى جهنم
اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الحديد

بعد المسوح رواه الامام التيستانی فی حيوة القلوب رح وروی عن
ابی هريرة رض انه قال قال رسول الله صلی الله تعالی عليه وسلم
يعقد الشيطان علی قافية رأس احدكم اذا هو نام ثلث عقد يضرب
ای يضع علی كل عقدة عليك ليل طويل فارقد ای نم فان استيقظ
فذكر الله انحلت عقدة كلها فاصبح نشيطا طيب النفس ولا اصبح
خبيث النفس كسلان رواه البخاری ومالك وابو داود وابن ماجة قوله
نشيطا طيب النفس ای صار قلبه فرحا ومصفی لانه تخلص من عقود
الشيطان وسلسلته وخرج من يده وحكومته فصار من احباء الله
تعالی وعدو الشيطان فكان الملعون مغموما ومحزونا قوله اصبح خبيث
النفس كسلان ای محزون القلب كثير الغم وقير الهم لانه مسلسل بسلسلة
الشيطان ومقيد بقيوده ومبعد من رضاء الرحمن قال بعض الشراح
من مشايخنا المراد من قوله اذا هو نام وهو النوم عن صلوة العشاء لان
من صلی العشاء ثم نام لا يصبح خبيث النفس وانما عرضت الخباثة
اذا ترك العشاء وهو الفرض وروی عن عبد الله بن مسعود رض انه قال
قال رسول الله صلی الله تعالی عليه وسلم اذا اراد العبد الصلوة من الليل
اتاه الملك فقال له قم فقد اصبحت فصل واذكر ربك فياتيه الشيطان
فيقول له عليك ليل طويل وسوف تقوم فينم ساعة فان هو قام فصلی
اصبح نشيطا خفيف الجسم قرير العين وان هو اطاع الشيطان فنام
بال الشيطان فی اذنيه فيصبح كسلان حارا مغموما ذلك اليوم رواه
سليمان الطبرانی رح قوله حارا ای متغيرا مضطربا لا نشاط له
كما وقع فی الخبر من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وروی
فی الخبر عن عمر بن الخطاب رض انه قال قال رسول الله صلی الله تعالی
عليه وسلم اذا استيقظ المؤمن من فراشه تحرك وتقلب من جانب

فان توضأ انحلت عقدة فان صلی انحلت عقدة صح

الی جانب

الی جانب فذكر الله تعالی يقول له ملكان قم بارك الله قم رحمك الله فاذا
قام يدعو له الفراش يقول اللهم اعطه الفرش المرفوعة فاذا لبس ثوبه
يدعو له اللباس فيقول اللهم اعطه بحلل الجنة فاذا احتذی نعليه
يدعو له فيقول اللهم ثبت قدميه علی الصراط فاذا تناول الاناء
يدعو له الاناء فيقول اللهم اعطه اكواب الجنة فاذا توضأ يدعو له
الماء ويقول اللهم طهره من الذنوب والخطايا واذا قام بين يدی الله
تعالی يدعو له البيت ويقول اللهم وسع قبره ونور حفرته ويقول الله
عز وجل عبدی الدعاء منك والاجابة منی ومنك السؤال ومنی النوال
ای العطاء والكرم ومنك الاستغفار ومنی الغفران رواه الامام فی حيوة
القلوب رح وروی عن جابر رض انه قال قال رسول الله صلی الله تعالی
عليه وسلم ان فی الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسئل الله خيرا من امر
الدنيا والاخرة الا اعطاه وذلك كل ليلة رواه مسلم رح وروی عن
عمر بن الخطاب رض انه قال قال رسول الله صلی الله تعالی عليه وسلم ركعتان
يركعهما العبد فی جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا ان اشق علی
امتی لفرضتهما عليهم رواه ابو منصور الديلمی فی كتابه مسند الفردوس رح
وروی عن ابی هريرة وابی سعيد الخدری رض انهما قالا قال رسول الله
صلی الله تعالی عليه وسلم اذا ايقظ الرجل اهله من الليل فصليا او صلی
ركعتين جميعا كتب فی الذاكرين والذاكرات رواه ابو داود وابن حبان
فی صحيحه وروی عن ابی امامة الباهلی رض انه قال قال رسول الله صلی الله
تعالی عليه وسلم عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة لكم
الی ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الاثم رواه الترمذی وابن
ابی الدنيا فی كتاب الدعوات وكتاب التهجد رح قوله مكفرة اسم
فاعل من التكفير ای ساترة الذنوب جميعا قوله منهاة بفتح الميم

وسكون النون مصدر ميمي بمعنى الفاعل اي ناهية عن الذنوب الكبيرة
والعيوب الوقيرة وروى عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم صلوة في مسجدي تعدل عشرة آلاف صلوة
وصلوة في المسجد الحرام تعدل بمائة الف صلوة والصلوة بارض الرباط
تعدل بمائتي الف صلوة واكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد
في جوف الليل لا يريد بهما الا من عند الله تعالى رواه ابن حبان في كتاب
الثواب رح قوله تعدل من العدل بالكسر والفتح وقيل بالكسر ما عدل
من جنسه وبالفتح ما عدل من غير جنسه وروى عن جابر رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليكم بصلوة الليل فانه قربة لكم
عز وجل وان الله تعالى يباهي ملائكته ويجيبكم الى خلقه ويرفع عنكم
البلاء وميتة السوء ويطفي عنكم حر النار رواه صاحب الفردوس
وروى عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا كان يوم القيمة جاء اقوام والناس في الحساب فقد انبت الله عز
وجل لهم اجنحة خضراء فيتساقطوا على حيطان الجنة فيقول لهم خزنة
الجنة من انتم فيقولون نحن من ولد آدم عليه السلام فيقول هل شهدتم
الحساب فيقولون لا فيقول هل عبرتم الصراط فيقولون لا فيقول
بم نلتم هذه المنزلة فيقولون كنا نعبد الله بالليل سرا فادخلنا الجنة
سرا رواه الامام التيسابادي في حيوة القلوب رح وروى عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان في الجنة
شجرا يخرج من اعلاها حلل ومن اسفلها خيل مسرجة ملجمة من در
وياقوت لا تروث ولا تبول لها اجنحة خطوها مد البصر فيركبها
اهل الجنة فتطير بهم حيث شاؤا فيقول الذين اسفل منهم درجة يا رب
فيما بلغ عبادك هذه الكرامة قال فيقال لهم كانوا يصلون بالليل وكنتم

تنامون رواه ابن ابي الدنيا رح وروى عن ابي مالك الاشعري رضي الله عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها
من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله تعالى لمن اطعم الطعام وافشى
السلام ويأتي قائما والناس نيام رواه ابن حبان في صحيحه قوله غرفا
بضم الغين المعجمة وفتح الراء قصر عال من قصور الجنان وروى
عن ازد بن معتب رضي الله عنه قال رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء
اهل الدنيا فقلت لها من انت فقالت انا الحور العين فقلت زوجيني
نفسك فقالت اعطني مهري واخطبني الى سيدي فقلت وما مهرك
فقالت صلوة الليل كذا في حيوة القلوب رح وفي الخبر عن معاذ بن جبل
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى منكم بالليل
فليجهر بقراءته فان الملائكة تصلي بصلاته وتستمع بقراءته وان
مؤمني الجن الذين يكونون في الهواء وجيرانه في مسكنه يصلون
بصلاته ويستمعون بقراءته وانه يطرد بقراءته عن داره وعن الدور
التي حوله فساق الجن ومردة الشياطين وان البيت الذي
يقرأ فيه القرآن عليه خيمة من نور يقتدي بها اهل السماء كما
يقتدي بالكواكب الدرية في لجج البحار وفي الارض القفر فاذا
مات صاحب القرآن رفعت تلك الخيمة فتنظر الملائكة من السماء
فلا يرون ذلك فتلقى الملائكة من سماء الى سماء فيصلون على روحه
في الارواح ثم تستقبل الملائكة الحافظون الذين كانوا معه الى
قبره فيستغفرون له الى يوم القيمة رواه الامام في حيوة القلوب
رح قوله في الارض القفراء في ارض المفازة لا ينبت فيها النباتات
ولا ماء فيها والجمع قفار يقال ارض قفر ومفازة قفر وروى عن مغيرة
بن شعبة رضي الله عنه قال قام النبي صلى الله تعالى حتى تورمت قدماه فقيل له

لم تصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال صلى الله
تعالى عليه وسلم افلا اكون عبدا شكورا رواه البخاري ومسلم والنسائي
وذلك ان جبرئيل صلوات الله على نبينا وعليه جاء الى النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال ان صليت ثلث الليل فلك شفاعة لثلث امتك
وان صليت نصف الليل فلك شفاعة لنصف امتك وان صليت ثلثي الليل
فلك شفاعة لثلثي امتك وان صليت جميع الليل فلك شفاعة
لجميع امتك فبذل نفسه لعصاة امته فصلى جميع الليل على قدم
واحد مقدار سنة حتى تورمت قدماه فانزل الله تعالى سورة طه
اي يا محمد طئ قدميك على الارض ولا تتعب نفسك على قدم واحد
اذ كان امرا من وطئ يطأ نبقي بعد الاعلال ط فادخل هاء الوقف كما في
قه على مفتعل هذا على قول مقاتل بن حيان رح وقال مجاهد والحسن
والضحاك وعطاء رحمهم معناه يا رجل وقال قتاده كذا معناه في السريانية
وقال الامام الكلبي رح معناه يا انسان على لغة عكل وقال محمد بن
كعب القرظي رح اقسم الله تعالى بطوله وهدايته وجوابه قوله ما انزلنا
وقال سعيد بن جبير الطاء افتتاح اسم طاهر والهاء افتتاح اسم هادي
وقال الاخر هو اسم من اسماء الله تعالى وقال الاكثر انه اسم النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ما انزلنا عليك القران لتشقى اي لتتعب به نفسك
وتورم قدميك الا تذكرة تعليل للانزال اي ما انزلناه عليك الا
عظة وابلاغا لمن يخشى لمن يسلم وجهه لله ويرجع امره الى الخشية
من الله الكبير المتعال واليه يؤول الامور كلها في الحال والمآل ولا يجوز
ان يكون بدلا منه لاختلاف الجنسين وهو مناف للابدال والحال
ان البدل يجعل الاصيل في حكم السقوط للموافقة بينهما وهو منتف
فيه هنا كما بين في محله واما ثواب صلاة الضحى لما روي عن ابي هريرة

رضي انه قال

رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من حافظ على شفعة الضحى
غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر رواه الترمذي وابن ماجه وابو
منصور الديلمي في مسند الفردوس رح قوله شفعة بضم الشين وقد تفتح
وهي تطلق على الصلوة ذي الركعتين اي من حافظ ركعتين من الضحى
وروي عن ابي ذر الغفاري رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يصبح على كل سلامى من احدكم صدقة وكل تسبيحة صدقة
وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وامر
بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزئ من ذلك ركعتان
يركعهما من الضحى رواه يعني انه ان صلى ركعتين من الضحى فقد ادى
شكر ذلك المذكور قوله سلامى بضم السين المهملة وفتح اللام المخففة
وهو عبارة عن العظام المنفصل في وجود الانسان ثلثمائة وستين
عظما وجمعه سلاميات بفتح الميم وتخفيف الياء وروي عن نعيم بن
همام رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى
يا ابن آدم اركع لي اربع ركعات في اول النهار اكفك آخره اي آخر النهار
بقضاء حوائجك ودفع المضار عنك رواه ابن حبان في صحيحه
والحرث بن ابي اسامة وروي عن انس بن مالك رض انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ركعتان من الضحى تعدلان عند الله تعالى
بحجة متقبلة رواه ابو منصور الديلمي في الفردوس رح وابو محمد بن
حبان في صحيحه قوله تعدلان اي تتساويان وتتقابلان من العدل
بفتح العين وكسره وروي عن ابن منصور الديلمي رح انه قال سمعت
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من صلى صلوة الضحى وصام
ثلثة ايام من كل شهر ولم يتركه في حضر وسفر كتب له اجر شهيد
رواه ابو نعيم في الحلية وروي عن عائشة الصديقة رضي الله عنها انها قالت

سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من صلى الفجر وقال الغداة
في الجماعة فقعد في مقعده ولم يبلغ لشيء من امر الدنيا ويذكر الله
حتى يصلي الضحى اربع ركعات خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه لا ذنب له
رواه ابو يعلى باسناد حسن وروى عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى صلوة الضحى ركعتين لم يكتب
من الغافلين ومن صلى اربعا كتب له من العابدين ومن صلى ستا
كفي ذلك اليوم ومن صلى ثمانيا كتبه الله تعالى من القانتين ومن صلى
ثنتي عشرة بنى الله تعالى له بيتا في الجنة رواه الامام الطبراني في المعاجيم
رح وروى عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من صلى الضحى اثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصرا من ذهب في الجنة
رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان في الجنة بابا يقال له باب
الضحى فاذا كان يوم القيمة نادى مناد اين الذين كانوا يديمون
صلوة الضحى هذا بابكم فادخلوه برحمة الله تعالى رواه الطبراني
في الاوسط رح واما ثواب صلوة التسبيح فلما روى عن عكرمة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهما قالا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم لعمه عباس بن عبد المطلب رض يا عباس يا عماه الا اعطيك
عشر خصال اذا انت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك اوله وآخره
وقديمه وحديثه وخطاياه وعمده وصغيره وكبيره وسره وعلانيته
ان تصلي اربع ركعات تقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة
فاذا فرغت من القراءة في اول ركعة فقل وانت قائم سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها
وانت راكع عشرا بعد ان تقول سبحان ربي العظيم ثلثا ثم ترفع راسك

من الركوع

من الركوع فتقولها عشرا بعد ان تقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد
ثم تهوى ساجدا فتقول وانت ساجد عشرا بعد ان تقول سبحان ربي
الاعلى ثلثا ثم ترفع راسك من السجود فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون
في كل ركعة تفعل ذلك اربع ركعات ان استطعت ان تصليها في كل
يوم مرة فافعل فان لم تستطع ففي كل جمعة مرة وان لم تفعل ففي كل
شهر مرة فان لم تفعل ففي كل سنة مرة فان لم تفعل ففي عمرك مرة
رواه ابو داود وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه وفي رواية اخرى
ان تقول في اول الصلوة سبحانك اللهم وبحمدك الخ تسبيح خمس عشر
مرة قبل القراءة وعشرة بعد القراءة والباقي كما سبق عشرة عشرة ولا
تسبيح بعد السجدة الاخيرة قاعدا هذا هو الاحسن وهو اختيار ابن
المبارك وصاحب الغنية والمجموع في الروايتين فان صليها نهارا
فبتسليمة واحدة وان صليها ليلا فبتسليمتين عند الامامين كما كان في كل
النوافل في الليالي وعليه الشافعي رح واما عند الامام الاعظم رح
فبتسليمة واحدة كما في جميع نوافل الليالي فلذا صلى اهل التقوى التراويح
اربعة اربعة وذلك احسن واكمل المذهب ولا اقتداء به كلية وان زاد
بعد التسبيح ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو حسن فاذا فرغت
من الصلوة قلت بعد التشهد وقبل السلام اللهم اني اسئلك
توفيق اهل الهدى واعمال اهل اليقين ومناصحة اهل التوبة وعزم
اهل الصبر وجد اهل الخشية وطلب اهل الرغبة وتعبد اهل الورع
وعرفان اهل العلم حتى اخافك اللهم اني اسئلك مخافة تحجزني من
معاصيك حتى اعمل بطاعتك عملا استحق به رضاك وانا صحك
بالتوبة خوفا منك وحتى اخلص لك النصيحة حبا لك وحتى اتوكل
عليك في الامور بحسن ظن بك سبحان خالق النار وفي الخبر

ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لما اسرى بي الى السماء فرايت روضة
في الجنة ارضها زبرجد اخضر واشجارها من ذهب احمر وتحتها انهار يقال
لها فيح ماؤه من زلال الكوثر وعلى وسط الانهار خيام من اللؤلؤ الاخضر
وفي الخيام حور خلقهن من المسك والعنبر فيسبحن الله تعالى باعلى صوتهن
وصوتهن اطيب من العسل والسكر ويلعبن بايديهن حصاة النهر
من الدر والجوهر ويسئلن بعضهن عن بعض لمن انت يا حوراء ولمن انت
ياعيناء ويقلن لمن ادرك بالتكبيرة الاولى في صلوة الفجر وغيرها ويقول الله
الكبير مع الامام وروى عن ابن عباس رضيهما انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من صلى اربعا بعد المغرب قبل ان يتكلم احدا رفعت له
في عليين وكان كمن ادرك ليلة القدر في المسجد الاقصى رواه ابو نعيم
الحافظ كذا في شرح الكبير للامام الحلبي رح وفي رواية اخرى من صلى
بعد المغرب ست ركعات كتب من الاوابين وتلا قوله تعالى انه كان
للاوابين غفورا كذا في شرح الصغير والكبير للامام الحلبي رح واختلف
الفقهاء في ايهما العمل افضل فقال بعضهم اذا كان الوقت واسعا فالست
افضل والا فالاربع فيحسب الاثنان من سنة صلوة المغرب فصار ستا
ايضا ثم الافضل في صلوة الليل والنهار من التطوع المطلق اربع ركعات
بتحريمة واحدة وسلام واحد عند ابي حنيفة رحمه الله وقال الامام يعقوب
بن ابراهيم ومحمد بن الحسن الشيباني رح الافضل في صلوة الليل ركعتان
بتحريمة واحدة عند الشافعي الافضل في الليل والنهار الركعتان
بتحريمة والدلائل مستوفى في الشرح الكبير والزيادة على ثمان ركعات
بتسليمة واحدة ليلا وعلى اربع ركعات بتسليمة واحدة نهارا مكروهة
بالاجماع من ائمتنا لعدم ورود الاثر فيه ومن شرع في صلوة التطوع
او في صوم التطوع ثم افسدها فعليه وجب قضاؤها عندنا وعند مالك بن

التي رض وهو قول

التي رض وهو قول ابي بكر الصديق بن قحافة رضيهما وعند عبد الله بن عباس
وكثير من الصحابة والتابعين رضيهم خلافا للامام الشافعي واحمد بن
حنبل رحمهم وان شرع في التطوع بنية الاربع ثم افسد ما شرع
فيه قبل اتمام شفع لا يلزمه الا قضاء ما افسد عند ابي حنيفة ومحمد
رحمهما خلافا لابي يوسف فان عنده يلزم قضاء اربع في رواية منه ولو
افسد بعد اتمام شفع فان كان قبل القيام الى الثالثة يلزم شفع واحد
عنده وعندهما لا يلزمه شيء وان كان بعد القيام لزم قضاء شفع
اتفاقا في غير السنن الرواتب واما السنن الرواتب كالاربع قبل
الظهر والجمعة ثم قطع في الاول والشفع الثاني يلزم قضاء الاربع
بالاتفاق لانها لم تشرع الا بسلام واحد فهي كالصلوة الواحدة
كذا في شرحين للامام الحلبي الكبير والصغير

سورة الكوثر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

روى ابي بن كعب رض عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من قرا
سورة انا اعطيناك الكوثر سقاه الله تعالى من نهر في الجنة وكتب
عشر حسنات بعدد كل قربان تقرب به العباد في يوم النحر وهذه
وهذه السورة مكية وهي ثلثة ايات وعشر كلمات واثنان واربعون
حرفا وانتظام السورتين انهما في ذم من عادى الرسول محمدا صلى الله
تعالى عليه وسلم انا اعطيناك الكوثر على وزن فوعل للكثرة المبالغة
وقرئ انطيناك اي الخير الكثير المفرط من العلم والعمل وشرف الدارين
مروي عن ابن عباس رض كذا او النبوة والقرآن العظيم مرويا
عن الحسن في تفسيره وعن عكرمة رض وقال اهل اللغة الكوثر
على وزن فوعل كنوفل من النفل ويسمى به كل شيء كثير في القدر والعدد

روى عن انس بن مالك رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة واذا انا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك قال فضرب الملك بيده فاذا طينه مسك اذفر رواه البخاري رح

والخطر وقد فسّر انه نهر في الجنة كما جاء في انواع طرق الاحاديث لما روى عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دخلت الجنة فاذا بنهر يجري بياضه بياض اللبن واحلى من العسل وحافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدي فاذا الثرى مسك اذفر فقلت لجبريل ما هذا فقال الكوثر الذي اعطاكه الله عز وجل وروى عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه الذهب مجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك واشد بياضا من الثلج وروى عن ابي مليكة رضي الله عنه قال قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حوضي مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منها لا يظمأ ابدا وروى عن انس رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاغفى اغفاءة ثم رفع راسه فضحك فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال نزلت علي آنفا سورة فقرأ بها ثم قال هذا نهر وعدني ربي في الجنة عليه حوضي ترد علي امتي يوم القيمة آنيته عدد الكواكب فاذا باقوام من امتي دوني فاقول رب امتي رب امتي فقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا لمن زال عن سنتي وفي رواية منه ينصب فيه ميزابان من الجنة ميزاب من ذهب وميزاب من فضة من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها ابدا ورأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حافتيه قباب الدر والخيام ليلة المعراج فقال ما هذه قال مساكن في الجنة يتفجر من الكوثر اربعة انهار لاهل الجنان الماء واللبن والخمر والعسل وروى عن انس رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في اثني عشر رجلا من اصحابه الى بقيع الغرقد منهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وسلمان وابو ذر وصهيب رضي الله عنهم فجلسوا معه كأن على رؤسهم الطير هيبة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

قال فحفر ابو بكر

قال فحفر ابو بكر رضي الله عنه حشوة من رملة سهلة تشبه الوسادة فنام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى نفخ ثم استوى قاعدا فقال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال فان الكوثر نهر كما اعطانيه الله في الجنة يفرق في حوضي وحوضي ما بين صنعاء والاردن مسيرة شهر للراكب المسرع يجري في فيح مسك اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل وابرد من الثلج والين من الزبد وآنيته من فضة عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنس الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا يفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتجلجل في صدره لو اقسم بالله لابره وقال الحسن رح الكوثر يخرج من اصل السدرة والسدرة شجرة ثابتة على كثبان المسك والزعفران والكافور لها سبعة اغصان مكتوب على اوراقها التسبيح ومقام جبرئيل في وسطه فصل لربك وانحر قدم على الصلوات المفروضة مخلصا له الدين كما امرك في الكتاب الذي انزل عليك بقوله فاعبد الله مخلصا له الدين وبقوله الا لله الدين الخالص عن الرياء والسمعة التي هي ثمرة الكفر والنفاق فان العبودية المأمورة لا تحصل الا بالخلوص الموصل الى الرب وبغيره فاصل عنه كما هو حال الرياء والسمعة التي هي تتولد من الكفر والنفاق فان المنافقين في الدرك الاسفل كما هو حال كفار قريش فان اساسهم الشرك والرياء وامثالها كثيرة في الكتاب العزيز او صل صلوة العيد بقرينة قوله العزيز وانحر اي اذبح البدن والقربان لله تعالى والبدن جمع بدنة وهي الابل خاصة بدليل الحاق الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم البقرة الى الابل حين قال صلى الله تعالى عليه وسلم

البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة كما بين المجتهدون في قوله تعالى
والبدن جعلناها لكم من شعائر الله اى قائمة على القوائم الاربعة
فالآية دلت على ان الابل تذبح وتنحر قائمة على ما ذهب اليه ابن عباس
رض وروى عن عايشة الصديقة ام المؤمنين رضي الله عنها انها قالت قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما عمل ابن آدم من عمل يوم النحر احب الى الله
تعالى من اهراقة الدم وانها لياتي يوم القيمة بقرونها واشعارها واظلافها
وان الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع في الارض فطيبوا بها انفسا
رواه الامام البغوي رح في المصابيح وهي خيار الاموال وتصدق
على المحاويج على خلاف الكفار فانهم ينحرون للاصنام والاوثان
واللات والعزى والمنات ويأكلون لحومها غير معطي الى اصحابها
من الفقراء المحتاجين كما تاكل الكلاب والانعام والناد منوي لهم
او ضع يدك بالتكبير على نحرك من صدرك كما ذهب اليه الامام
مالك بقرينة الصلوة او استقبل القبلة بنحرك كما ذهب اليه الائمة
الثلثة رحمهم بقرينة الصلوة او عامل نفسك معاملة النحر بالذلة
والجوعة وترك الزينة الدنيوية في العبودية الخالصة كما هو حال
المنحور في الذبيحة حيث لا يلتفت الى ما يتعيش به من اكل الكلاء
وشرب الماء وعدم المبالات مما يلزم به من الحوايج وهذا تشبيه
بليغ وتنصيح عظيم مما هو اليق بحال العباد في العبادات المامورات
من الفرائض والسنن المرتبة المؤكدة وكذا في جميع الاعمال والافعال
من العبادات المقربة والطاعات المبعدة مع انها للقصد الاعلى
والمطلب الاسنى من الابداع والانشاء وهي حكمة بالغة ورتبة
عالية والدارين عليها مبنية والرسل والانبياء عليهم من الصلوات
اعلاها ومن التحيات انماها اليها مرسلة والكتب السماوية لاجلها

منزلة

منزلة والحدود والجهاد لتاييدها شرعت وتابيدها مامورة
والجنة والجمال لها موعودة والنار والعذاب والعقاب لتركها
مجعولة وموقتة فهذا ابلغ تهديد لمن عبد بالرياء والسمعة وانواع
الاشتغال جاهلا عن حاله غافلا عن ماله ظنا انه عابد داخل
الجنان غير سائل عن اهل العلم والذكر مائلا الى اهل البدع والضلالة
والطغيان فهيهات ما يزعم مما ينعم وخسر الدنيا والعقبى فنعوذ
بالله العلي الكريم من شرور انفسنا ومن غرور الشيطان الرجيم ومن
حيل السوء القرين من الحاسد والمنافق من الانس الانيس والجن
الجنين وعن عطية رح هي صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلوة
العيد والتحية ان شانئك اي مبغضك كائنا من كان او من قومك
لاجل تدينك بالدين الحق الذي اراده الحق تعالى وانزل عليك كتابه
الحق واتاك العلامات الحقة من المعجزات الظاهرة والامارات
الباهرة وارسلك للعالمين بشيرا ونذيرا خاصة على قومك الشديد
اللديد حسودا وغديرا لتخلصهم عن العذاب الادنى في الدنيا والعقاب
الاعلى في العقبى فانهم جاهلون غير مبالين حالهم وغافلون عما الحقهم
شاغلون بالنفسانية الشيطانية اولئك القوم كالانعام بل هم
اضل فحالك في الدارين اعلى وشانك في الكونين اعز والذ وابقى
فالاولون يحتاجون الى شفاعتك في كل ما يرجون والاخرون
يلتجؤن الى عنايتك في جميع ما يأملون فانت سيد الانبياء
وسند الاولياء والاصفياء فضلا عن سائر الناس من الاعداء فاين
الافتراق بينك وبين مبغضك الحسود العنيد وهو العاص بن
وائل الكافر الشديد والفاجر اللديد هو الابتر الذي لا عقب له
من الاشياء الحسان والانساب من الغلمان والولدان فبقي ذكره

فى الدارين اكره واقبح وادنى مستكره الذكر عند الاولين ومستهجن
الذكور والاناث عند الاخرين ورفيق الشياطين رفيقه شفيق الملاعين
وجليسه حيث لا ذكر له عند الله الا باللعين والحرمان ولا يسمع
احد ما صدر عنه الا دعى عليه بعقاب وعذاب النيران فهذا شان
هذا الكافر الملعون فى الدارين وحال هذا الفاجر المغبون فى الاولين
والاخرين فاما شانك فانت رحمة للعالمين اذ لولاك لما خلقت
الافلاك فلا احد من الموجودات الا انه مستغرق فى نعمك ولا فرد
من المصنوعات الا وهو عاجز فى شكرك اذ من لم يشكر الناس لم يشكر الله
سواء من ذوى العقول والجمادات من اهل الارض واهل السموات فامة
كل نبى احب من اولاده فضلا عن امتك المرحومة فانهم خير الامم
وشهداؤهم اذ المراد من الانساب قيامهم مقام اصولهم وذكرهم بالخير
فى وصولهم وحصولهم فرفعنا لك ذكرك دهورا واياما وابقيت
شريعتك مع بقاء امتك شهورا واعواما وحسنت زينتك وهيئة
امتك وآثرت فضيلتك الى يوم القيامة ما دام النور فى الظلام وسخرت
الدنيا وما فيها لك ولامتك ولك فى الآخرة ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر فعجز الوصافون عن وصفه والمداحون
عن مدحه فلا يعلم العادون ولا يحصر الحادون فمن آمن واقتدى
باثرك واقتفى بشريعتك من الفرائض المامورة العلية والسنن
الماثورة الجلية استحق هذه النعم الموعودة واستعد لامثالها
المشهودة من الكرامات الربانية والعنايات السبحانية وانما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب وذكر محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان
رضى انه قال كان العاص بن وائل اذا ذكر الرسول صلى الله تعالى عليه
وسلم قال ذلك الملعون الكافر الفاجر المردود لعنه الله لعنة دائمة

وعذبه الله

وعذبه الله عذابا ابديا سرمديا دعوه فانه رجل ابتر لا عقب له فاذا هلك
انقطع ذكره فانزل الله تعالى هذه السورة العزيزة ردا لقول ذلك
الكافر الباطل وتسلية لرسوله الكامل الاكمل المكمل خير ذا اثر وذكره
فى الدارين وما يتبعه يكون خير الكونين وروى عكرمة رضى عن ابن
عباس رضى السورة نزلت فى كعب الاشراف وجماعة من قريش وذلك
ان كعب قدم مكة فتجمع صناديد القريش راسه وقالوا له نحن اهل
السقاية وانت سيد اهل المدينة فنحن خير ام هو المتبر من قومه
فقال كعب الملعون فى الجواب بل انتم خير ثم قالوا انه ابتر فنزلت ردا
لهم وتسلية لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما رواه البغوى فى المعالم

سورة الكافرون مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

روى ابى بن كعب رضى انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من قرا سورة قل يا ايها الكافرون اعطى من الاجر فكانما قرا ربع
القرآن وتباعد منه الشيطان وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع
فى النوم وهذه السورة مكية وهى ست آيات وست وعشرون
كلمة واربع وتسعون حرفا وانتظام السورتين ان تلك السورة فى ذكر
النعم والشكر بالصلوة والتوحيد وهذه السورة فى التوحيد ومخالفة
اهل الكفر روى ان رجلا قال يا رسول الله علمنى كلاما اقوله عند منامى
فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اقرا قل يا ايها الكافرون وروى عن ابن
عباس رضى الله عنهما انه قال ليس فى القرآن سورة اشد لغيظ ابليس من هذه
السورة لانها توحيد وبراءة من الشرك وروى عن عطاء بن ابى رباح
اجتمع كفار قريش من صناديدهم مثل الحارث بن قيس السهمى والعاص بن
وائل والوليد بن مغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب

بن اسد وامية بن خلف وقالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك
فنشترك جميعا نعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فان كان امرنا
رشدا كنت اخذت بحظك منه وان كان امرك رشدا كنا اخذنا منه
بحظنا نصدقك ونعبد الهك فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره
فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فقال صلى الله تعالى
عليه وسلم حتى انظر ما يأتي من عند ربي فانزل الله عز وجل هذه السورة
فغدى صلى الله تعالى عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش
المذكور فقام صلى الله تعالى عليه وسلم على رؤسهم فقرأها عليهم حتى فرغ
منها فايئسوا منه صلى الله تعالى عليه وسلم عند ذلك وآذوه بعد
بانواع الاذاء واصناف الجزاء حتى يجمعوا على قتله بعد التناء والتحى
فاختار الهجرة باخبار الله تعالى فامر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بها
فمعنى السورة قل يا ايها الكافرون اى الكفرة المخصصة قد علم الله تعالى
بعلمه الازلي القديم وصفاته الابدي القويم انهم لا يؤمنون كما قال الله
تبارك في قوم نوح على نبينا وعليه اكمل الصلوات واجمل التسليمات
انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون
بل هم الجاحدون بالحق وما جاء من الكلمة الطيبة المنجية المباركة
لا اله الا الله محمد رسول الله واستيقنتها انفسهم فجحدوا بها اشد الجحد
والانكار ظلما واشركوا عنادا وكفروا بها فسادا اتباعا للهوى واقتفاء
للغوى مع انهم يعرفون الحق بعد ما تبين لهم من الايات الظاهرة
والمعجزات الباهرة كما يعرفون ابناءهم وآباءهم من الكفرة الفجرة لا اعبد
ما تعبدون اى فيما يستقبل كما انتم تعبدونه الآن من الاصنام الباطلة
والاوثان العاطلة حصب النار الحامية وانتم واردون فيها وما تعبدون
داخلون فيها وما تعملونه فحق لا ان لا تدخل غالبا الا على مضارع في معنى

الاستقبال كما ان حق ما ان لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال الا انها تشبه
بليس في نفي الحال كما ان لن تاكيد للا في نفي الاستقبال فالمعنى لا افعل
في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم الباطلة ولا انتم عابدون
ما اعبد اى ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي فيما
يستقبل كما اني اعبده الآن والمستقبل مجتنبا عن الشرك والضلالة
مؤبدا في التوحيد والهداية فان الشرك لظلم عظيم لا يتخلص صاحبه
من عذاب اليم فان الكافرين لا يتيقظون الا في النار الموقدة التي
تطلع على الافئدة وهذا كقوله عز وجل لا اكراه في الدين قد تبين
الرشد من الغي فمن شاء فليؤمن فهو اجر له ومن شاء فليكفر فهو آئده
عليه لان من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ولا انا عابد
ما عبدتم اى ما كنت قط عابدا فيما سلف من ازمنة الجاهلية فيما بينكم
كما تعرفونه فكيف اعبد ما عبدتم فيه بعد ما آتاني الله تبارك وتعالى
الاسلام والشريعة الغراء والكتاب والنبوة البيضاء من عنايته
الازلية التي اعزني بها وهدايته الابدية التي نصرني بها فمن تبعني
فانه ينصر في الدارين ويكرم في الكونين فان الاسلام ليسلم صاحبه
صاحبه عن غضب ربه في دنياه وعقباه فاذا لم تعهد مني عبادة
الاصنام في الجاهلية فكيف ترجى مني بعد الايمان والاسلام
الذي يعرف فيه منفعة الايقان ومضرة الشرك والطغيان
وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن النبي امة قط اذ بعث
في نفسه بالهام اسرافيل كما هو عادة الله تبارك في ابتداء ارسال
جميع الانبياء قبل ايتاء الكتاب المشتمل على شرايع الله تعالى واحكامه
حتى ارسل الى الغير فيقارنه جبرائيل بدل اسرافيل فيلهمه بما الهمه الله
تعالى ويعلمه بما علمه وهذا القول اصح واقوى اذ الانبياء كلهم صلوات الله

وسلامه على نبينا وعليهم مأمورون بالاقتداء والايمان حين اخذ
الميثاق منهم بقوله عز وجل لهم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءاقررتم
واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم
من الشاهدين ويدل عليه مصداق قوله تعالى انه صلى الله تعالى
عليه وسلم كان نبيا في الازل والازال في علم الله الكبير المتعال
ولم يكن امة لنبي من الانبياء بل هم مأمورون بالايمان والاتباع له
بالنص القاطع والقول الساطع كما يؤيده ما روى عن العرباض بن
سارية رضه انه قال قـــال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اني عبد الله لخاتم النبيين وآدم لمنجدل في طينته رواه احمد بن
حنبل والحاكم في المستدرك قال بعض العلماء رح انه صلى الله تعالى عليه وسلم
عمل بشريعة جده ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله وسلامه على نبينا
وعليه الى ان ارسل الى العالمين بشيرا ونذيرا والاول اصح واقوى
من وجوه ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت من الاوقات
ما انا على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفي العبادة حالا كما ان
الاوليين لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم
لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو صلى الله
تعالى عليه وسلم لم يكن موسوما حينئذ بالعبادة لله تعالى وايثار ما في
ما اعبد على من لان المراد هو الوصف كأنه قيل ما اعبد من المعبود
العظيم الشان الذي لا يقادر قدر عظمته وقيل ان ما مصدرية
اي لا اعبد عبادتكم كما انكم لا تعبدون عبادتي وقيل الاوليان
بمعنى الذي والاخريان مصدريتان وقيل قوله عز وجل ولا انا
عابد ما عبدتم تأكيد لقوله لا اعبد ما تعبدون وقوله ولا انا
عابد ما عبدتم ثانيا تأكيد لمثله المذكور اولا وقوله تعالى لكم دينكم

تقرير لقوله

تقرير لقوله لا اعبد ما تعبدون وقوله ولا انا عابد ما عبدتم كما ان
قوله تعالى ولي دين تقرير لقوله ولا انتم عابدون ما اعبد والمعنى
ان دينكم هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوز الى الحصول لي
ايضا كما تطمعون فلا تعلقوا به امانيكم الفارغة فان ذلك من المحالات
وان ديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوز الى الحصول لكم
ايضا لانكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادتي لالهتكم واستيلامي
اياها ولان ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد
الهتنا سنة ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين في كلتا العبادتين
كان القصر المستفاد من قصر المسند قصر افراد حتما ويجوز ان يكون
هذا تقريرا لقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم اي ولي ديني لا دينكم كما
هو في قوله تعالى لكم ما كسبتم وقيل المعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم
الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا
تدعوني الى الشرك فتأملوا في اموركم واموري ولكم الدين المخترع
الباطل من لديكم من عبادة الاصنام وهي التي سنتها اباؤكم قبلكم
دينا فان الدين عند الله الاسلام حيث اتانيه بالكتاب والبينات
والايات والمعجزات فسماه الله تعالى دينا وايده بانواع العلامات واصناف
الكرامات واظهره من ايدي الانبياء مقارنا بدعوى النبوة ملتزما
باثباته مؤيدين بالمعجزات الخارقة والمنشآت البارعة باقدار
الالهية والتسمية وظيفة الخالق لا وظيفة المخلوق فامر عباده
بالتدين والاخلاص فيه بحيث وعد لمن تدين واخلص واوعد
لمن تعاند وتخالف ولي ديني الحق من الحق بالحق الى الحق واذا عليه
وارسلني به كافة للناس بشيرا ونذيرا رحمة للعالمين من في السموات
والارضين وما بينهما وفوقهما وتحتهما واتمى باوامره وانتهى

بنوآهم حتى يأتيني اليقين وادخل الجنات والدرجات من اهتدى
بهديه ابد الآبدين واستن بسنته دهر الداهرين ولا ارفضه
لدوامر كما ترفضونه اذ لم يوافق بما اراد كم به وتنكسرون وتجادون
مع انكم تبدعونه بأيديكم بالقاء الشيطان وانتم في الضلالة
والخسران فليس في الآية اذن لهم ولا منع عن الجهاد والمحاربة
المفروضة حتى تكون منسوخة باية القتال اللهم الا اذا فسر
الدين بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه وقد فسر
الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة فثبت منه ان الرجل
العالم اذا انكر المنكرات وهو الواجب على الكل او على البعض على
اختلاف في الاجتهاد فلم يقبل احد منه اصلا فيجب على ذلك
الرجل ان يحفظ دينه ومذهبه مهما امكن ويترك صاحب
المنكر ومنكراته استنادا لا بهذه الآية الجليلة اذا شاهد عدم
تأثيره وتأثره وانقلاب النصيحة الى الشماتة والفضاحة فهذا
التقرير اليق للفتوى واما التقوى فيأمر مرارا ويقدم كرارا
وفرارا اما ان يصلح اصلاحا او يكون شهيدا لسيد الشهداء
كما في قصة عازب رض بشرط الاجتناب عن الفتنة فان الامر
والنهي فرضان بان لا يؤديا الى الفتنة فاذا اديا سقطا فيلزم
عليه ان يقول عند رؤية المنكر هذا منكر وانا نكير عند الفتنة
والعجز قرأ ابن كثير ونافع وحفص وهشام بفتح الياء والاخرون
بالكسر والاسكان وروي عن ابي الحسن رح انه قال سمعت
شيخا يحدث فقال بينما اسير مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فسمع رجلا يقرأ قل يا ايها الكافرون فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اما هذا فقد برئ من الشرك وسمع رجلا يقرأ سورة الاخلاص

فقال

فقال اما هذا فقد غفر له رواه الامام الهدى ابو الليث في تفسيره رح

سورة النصر مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

روي عن ابي بن كعب رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم من قرأ سورة اذا جاء نصر الله والفتح اعطي من الاجر كمن شهد
مع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يوم فتح مكة وهذه السورة مدنية
وهي ثلاث آيات وتسع عشرة كلمة وتسعة وتسعون حرفا وانتظام
السورتين انه لما يئس في تلك السورة عن ايمان قوم من الكافرين
وعد في هذه ايمان افواج كثيرة من المؤمنين اذا جاء نصر الله
اي اعانته تعالى واظهاره اياك خاصة على اعدائك من كفرة
القريش وهم اشد الاعداء والد الخصماء لغاية حسدهم ونهاية
شجاعتهم مع حماقتهم مظهرين بما في ضميرهم من حقد الحسد
كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اهم
يقسمون رحمة ربك مع انه تعالى جعله سيد الانبياء في الازل
وسند الاصفياء فيما لا يزال وهذا في الحقد نهاية والحسد
غاية ليس دونه شيء اذ الارسال والانزال من المقدرات الالهية
رحمة على العباد وصيانة عن التكون والفساد في ملكه وتقديره
تعالى شركة للآحاد والافراد اذ لا يسأل عما يفعله وهم يسألون
فهذه المحاجة تنشأ من شدة الجهالة والحقد وحدة الحماقة
والحسد فسبحان الذي ارسل رسوله من بينهم بالهدى والخلق العظيم
والصبر على انواع الاذى من مثل هذه الكفرة وغلظة تلك
الفجرة فكيف التحمل على انواع الاذى من اصناف الاجر والجزاء
فلذا يبتلى العبد على حسب دينه كما ورد في صحيح الترمذي ان كان

دينه قويا فبلاؤه كذلك وان اوسط فبلاؤه اوسط وان ادنى
فادنى وان لم يكن له دين فلا بلاء له فهذا اشارة فى الحديث الآخر
اشد البلاء على الانبياء ثم الامثل فالامثل ليوافق الاجور على
ما صدر عن ذى الفجور فالمجاهدة على قدر الهدى والمؤاجرة
على تحمل الاذى فلذا جاء انواع العناية وظهر اصناف الهداية
والنصرة والفتح عطف اللازم على الملزوم فاللام ان كان للعهد
فيه فالمراد منه فتح المكة المكرمة وان كان للجنس فيشمل على
جميع الفتوحات الاسلامية فى البلاد عن ايدى الكفرة بالمحاربة
والمقاتلة من زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى يوم القيمة فان
فتح مكة انما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما ان نفسها ام القرى
وامامها وجعل مجيئه بمنزلة مجىء سائر الفتوح وعلق به
امره صلى الله تعالى عليه وسلم بالتسبيح والتحميد وانما عبر من حصول
النصر والفتح بالمجىء للايذان بانهما متوجهان نحوه صلى الله
تعالى عليه وسلم وانهما على جناح الوصول اليه عن قريب العهد وفيه
تجوز من المجاز الاولى للاعلام بان المقدرات الالهية متوجهة
من الازل الى الابد الى الاوقات المعينة لها والمتعلقة بها فتقرب
منها شيئا فشيئا على ما اقتضته الحكم السبحانية وقد قرب
النصر الموعود من وقته الموجود مترقبا لوروده مستعدا لشكره
فهذا من اكبر النعم الذى اظهره الله تعالى فى نبيه واغلبه على اشد
اعدائه والد خصمائه فسبحانه بيده ملكوت كل عسير فعليه يسير
قال الامام المقاتل رح لما نزلت هذه السورة قرأ رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم على اصحابه العظام واحبابه الكرام من ابى بكر
الصديق وعمر الفاروق وغيرهما من الاجلة والاعزة رضوان الله تعالى

عليهم اجمعين

عليهم اجمعين فاستبشروا وفرحوا فسمع بذلك عبد الله بن عباس
رضيهما فبكى فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما يبكيك فقال ابن عباس
رض نعيت واخبرت نفسك بالموت فقال صلى الله تعالى عليه وسلم
صدقت فعاش بعد هذه السورة سنتين على رواية وفى رواية على بن
ابى طالب رضى انه قال لما نزلت هذه السورة مرض رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فودع الناس ودخل المنزل فتوفى بعد ايام يوم اثنين (بعد ثلثة ايام صح)
وهو صلى الله تعالى عليه وسلم ابن ستين او ثلث وستين فدفن فى بيته
الذى توفى فيه فى موضع فراشه فلم يترك بعده شيئا من الاموال
والبغلة والسلاح والارض الا جعله صدقة فلذا سميت بسورة
التوديع وهذه آخر السور التى انزلت عليه على رواية وروى انها نزلت
قبل الفتح وعليه الاكثر وقيل فى ايام التشريق بمنى فى حجة الوداع فى كلمة
اذا باعتبار ان ما فى حيزها اعنى رؤية دخول الناس الخ غير منقض
بعد وكان فتح مكة بعشر مضين فى شهر رمضان سنة ثمان ومع
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عشرة الاف من المهاجرين والانصار
وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف على
باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده
ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة
ما ترون انى فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال صلى الله
تعالى عليه وسلم اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له
فيئا فلذلك سمى اهل مكة طلقاء ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج
الى فتح هوازن ورايت الناس ببصرتهم برؤية البصر وعلمتهم
برؤية البصيرة والفؤاد اظهارا للكرامات وايثارا للمعجزات

بالاخبار قبل الوقوع موافقا لما في البلوغ ومطابقا لما في الصدور
كالبدور في السموات العلى في الملاء الاعلى من اهل اليمن والطائف
ومكة وقبائل العرب من اهل البلاد والهوازن يدخلون في دين الله
اي ملة الاسلام التي لا دين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة على المعنى
الاول من الرؤية حال من الناس وعلى الثاني مفعول ثان لرايت وقوله
تعالى افواجا حال من فاعل يدخلون اي يدخلون فيه جماعات كثيرة
وقبائل وفيرة وعساكر كثيفة قبيلة قبيلة كل الطوايف من المذكورات
وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين روي
انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما فتح مكة عنوة اقبلت اكابر القبائل بعضها
لبعض فقالوا اذا ظفر باهل الحرم فلن يقاومه احد اذ صانهم من اشد
الاعداء واقويهم مع كثرة الاسلحة والعساكر وهم اصحاب الفيل مع
شدة الغيظ وحلق النية من هدم الكعبة واستبدال القبلة واسر
اصحابه وغارات امواله وهتك اعراضهم فليس لكم من بد لتيقن حقيقة
دينه وتحقق اعانة ربه وفتحه عنوة مع كثرة اهل بلاده وصدق خبره
قبل الوقوع في كل الاشياء خاصة فيها لما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتاكم اهل اليمن هم اضعف
قلوبا وارق افئدة ان الايمان يمانية والحكمة يمانية رواه الامام
البغوي ومسلم وفي رواية عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم الايمان يمان قال شراح الحديث اي يمني فان
الالف فيه عوض عن ياء النسبة كما هو القاعدة في الفصحاء والبلغاء
وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم والحكمة يمانية بتخفيف الياء والالف
فيه كالالف فيما سبق عوض عن الياء النسبية وقد حكي عن المبرد
وغيره ان التشديد والتخفيف في الياء النسبية لغة كما انشده صاحب

اللامية في قصايده

اللامية في قصايده شعر يمانية يظل فيشد كبيرا
وينفخ دائما لهب الشواظ قال بعض شراح المسلم في هذا
الحديث وجه مناسبة نسبة الايمان الى اليمن ان الايمان بدا من مكة
وهي من تهامة وتهامة من ارض اليمن وقال ابو عبيدة رضي المراد منه
الانصار لانهم يمانيون في الاصل فنسب الايمان اليهم لكونهم انصار الدين
كما قيل فيهم انصار الله قال الشيخ ابو عمرو من الشراح ولو تاملوا هنا لما
تركوا الظاهر بل المراد باهل اليمن ينسب الايمان اليهم اشعارا بكماله
منهم لانه صلى الله تعالى عليه وسلم مدحهم في الحديث السابق نفاو غيره
مع ان سبب النسبة بشيء الى الشيء فانه يتصف به دوامه وقيامه به
فاذا قوي قيامه به نسب ذلك الشيء الى الشيء كما هو القاعدة في جميع
النسب كدولة العثمانية ابده الله تعالى الى يوم القيمة فلا منافات
بينه وبين قوله صلعم الايمان في اهل الحجاز ثم المراد الموجودون
منهم في ذلك الزمان لا كل اهل اليمن واما سبب النزول فان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لما صالح قريشا عام الحديبية عشر سنين
وادخل في صلحه قبيلة الخزاعة وعهدهم كما ادخل بنو بكر في صلح قريش
وعهدهم فنقضوا عهدهم الذي كان بينهم وبينه صلى الله تعالى
عليه وسلم فاصابوا الخزاعة مستخفيا بالليل وتجاوزوا واقتتلوا حتى جاوزوا
خزاعة الى الحرم وهم باسفل مكة فكان ممن اعان من بني بكر من قريش
على خزاعة ليلتئذ متنكرين صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل
وسهل بن عمرو مع عبيدهم فلما تظاهرت قريش على خزاعة واصابوا
منهم ونقضوا ما بينهم من الصلح والعهد مع النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وخرج عمرو بن سالم الخزاعي وقدم المدينة منهم استنصارا
وشكاية الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ذلك ممن هاج

الى فتح مكة فوقف فى المسجد وهو صلى الله تعالى عليه وسلم جالس بينهم فقال
فى شعر انى لاهُمَّ ناشدًا محمدًا ٭ وانّ قريشًا اخلفوك الموعدا ٭
اصابونا ليلة وقتلونا حربًا ٭ ونقضوا ميثاقك المؤكدا ٭
فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد نصرت يا عمرو بن سالم ثم
عرض لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من السماء فقال النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم ان هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب وهم رهط عمرو بن سالم
ثم خرج عقيبه بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبروه بما اصيب منهم ومظاهرة قريش
عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة ثم امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
بالجهاد الى فتح مكة فتوجه بعشر مضين من رمضان بعشرة آلاف
من المسلمين ففتحها ودخلها واقام بها خمس عشرة ليلة يقصر الصلوة
ووقف على باب الكعبة وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق
وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون
انى فاعل بكم قالوا خيرًا اخ كريم وابن اخ كريم ثم قال صلى الله تعالى
عليه وسلم اذهبوا انتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فصاروا كلهم عتقاءه فوهبهم اموالهم واولادهم فلذا سموا الطلقاء
واستحيوا على ما فعلوه واصحاب المؤمنين من نهب اموالهم وغارات
اشيائهم غير هتك اعراضهم فندموا على ما عملوا ثم اكرمهم بعد اسلامهم
بانواع الاكرام حتى وهب الى ابى سفيان والد ام حبيبة من زوجات
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واب معاوية رضى ثمانين الف دينار
او اكثر الى ان لا يقدر على الحمل وكذلك عمه عباس رضى فكان الاكثرون
منهم اغنياء بحيث لا يقدرون على عد الدنانير والدراهم والاغنام
والابل وغيرها فلذا كان الله تعالى وصافه فى كتابه العزيز بقوله تعالى

انك لعلى خلق

انك لعلى خلق عظيم التى لا يقدر فرد من الافراد ان يتخلق بها ويعمل
بمقتضاها فهل هذه الا باقتداره تعالى عليها واعطائها له صلى الله تعالى
عليه وسلم ولا يخفى يقدر عليها من افراد الانسان واشخاص الاحسان
فسبحان الله الذى خلق عبده ورسوله واعطاه ما لم يعط احدًا غيره
ووصفه ومدحه وارسله رحمة للعالمين ونعمة ودولة للمسلمين
وعبرة للسائرين فنحمده على ما اكرمنا بهدايته وانعمنا بنعمه الظاهرة
والباطنة من الايمان الموصل الى الجنان العاليات والاعمال المدركة
الى الدرجات الرافعات التى لا نهاية لها المؤمنون والمؤمنات اللهم
اجعلنا للمتقين اماما حين يجزون الغرفة ويلقون فيها تحية وسلامًا
امين فهذه الفتوحات الجليلة والسنوحات الجميلة مع قوة الاعداء
العنيدة والخصماء اللدينة العديدة من اكبر آيات المعجزات واوفر
علامات الكرامات بحيث يسره الله ما لم يتيسر لاحد قبله من الانبياء
والاولياء من الغلبة البديعة على الاعداء ممن هو اكثر جنودًا واوفر
جيوشًا وكونهم عبيدًا معتقا مع اولادهم وفيئًا وغنايم مع اموالهم
وناكسًا رؤسهم معترفين حقه وحق آبائه واجداده ومسلمين امورهم
عمومًا وخصوصًا ومتبدلين اخلاقهم السيئة الى الحسنة والعداوة
البغضاء الى المحبة البيضاء فى لحظة قليلة وساعة يسيرة وفوائد
الاحسان وكثرة الامة مع الاذعان ووفرة اهل السنة مع الاتقان
فلذا امره صلى الله تعالى عليه وسلم بالتسبيح والتحميد والاستغفار
فى الايام والدهور والاعوام والشهور ما دام الليل والنهار فقال
فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه
لما روى عن عائشة الصديقة رضيها انها قالت كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر من قوله سبحان الله وبحمده استغفر الله

واتوب اليه اى فتعجب لتيسير الله تعالى ما لم يخطر ببال احد من ان يغلب
احد على اهل حرم المحترم واحمد على جميل صنعه هذا على الرواية الاولى
ظاهر واما على الثانية فلعله صلى الله تعالى عليه وسلم امر بان يداوم
على ذلك استعظاما لنعمته لا باحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب
حالة الفتح والخلاص عن اذى اعدى الاعداء او فاذكره مسبحا حامدا
زيادة فى عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له حامدا
على نعمه روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما فتح باب الكعبة صلى صلوة
الضحى ثمانى ركعات او فنزهه عما يقوله الظلمة حامدا له على ان صدق
وعده او فاثن على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام والجمال
واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستعظاما
لحقوق الله واستدراكا لما فرط منك من ترك الاولى روى عن عايشة
الصديقة رض انه كان صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر قبل موته ان يقول
سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وروت رض عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال انى لاستغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة
رواه العمادى فى تفسيره وروى عن مسروق رض راويا عن عايشة
الصديقة رض انها قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر
من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه قالت فقلت اراك
تكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقال خبرنى
ربى انى سارى علامة فى امتى فاذا رايتها اكثر من قول سبحان الله
وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقد رايتها اذا جاء نصر الله والفتح
فتح مكة رواه البغوى وروى انها لما نزلت خطب رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين
لقائه فاختار لقاء الله تعالى فعلم ابو بكر الصديق رض فقال فديناك

بانفسنا

بانفسنا وابائنا واولادنا رواه العمادى رح وقيل هو امر بالاستغفار
لامته على وظيفة النزول من تاديب الرب الى المربوب رعاية للادب
كما قيل ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله انه كان توابا منذ خلق
المكلفين مبالغا فى قبول توبتهم فليكن كل تائب مستغفر متوقعا القبول
لانه يغفر الذنوب جميعا فما من ذنوب الا ولها توبة مقبولة بالمبالغة
مادام الروح فى البدن اذ العبد لا بد له من القصور فى العبودية ما دام عبدا
لانه عاجز فى كل الامور والاحوال فى اداء ما كلف على وفق عظمة الله
وجلالته عز وجل فاذا كان حال سيد الانبياء وشان سند الاصفياء
فما حال سائره لما روى عن ابى هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم لو اخطاتم حتى يبلغ السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم اى
يقبله ويعفوه رواه ابن ماجه رح وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له
والمستغفر من الذنوب وهو مقيم اى مصر عليه كالمستهزئ بربه
رواه البيهقى رح وروى عن انس رض الندم توبة رواه ابن حبان رح
وروى عن عايشة الصديقة رضها انها قالت قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ما علم الله من عبد ندامة على ذنب الا غفر له قبل ان يستغفره
رواه الحاكم لان الله تعالى الغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا وانه لذو مغفرة
للناس على ظلمهم لانه قال فى كتابه نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم كما انه
شديد العقاب لمن كفر وخسر على كفرهم وشركهم لانه قال وان عذابى
هو العذاب الاليم وانه تعالى لو يؤاخذهم بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة
ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاليأس من رحمة الله تعالى كفر وضلالة كما
ان الامنية من عذابه خسر وغواية اذ لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون مع انه سوء ظن على الرب الكريم وعدم الايمان بالمغفرة

الموعودة فى الآى الكثيرة وهما كفر وخسارة فيجب على كل مؤمن ان
على الله تعالى بحسن الظن ويكون بين الخوف والرجاء غالبا خوفه فى الحيات
ومرفوعا عند السكرات والممات لكيلا يتقرب اليه اعداء الله ولا ينفك
عنه احباء الله وهو ذكر سعة الرحمة والمغفرة والسرور بفضل العناية
فى آخر العمر ودرجات الجنة الموعودة للمؤمنين ولا يتخلف عنه ولا يحصل
ذلك الا بالاعتراف من الازل الى الابد فى بطن امه الى آخر عمره من انواع
التربية والاشباع والاخراج بتسهيل السبيل وتيسيره والالهام
بالضرع ومصه وتغذيه باللبن الاغذية من لبن الاشربة ومناسبته
للوجود من هضمه لا كد ساعة بعد ساعة من النعم الظاهرة والشيم
الباطنة التى لا يحصيها العاد ولا يحدها الحاد حتى قيل ان فى خلق الاشيا
والموجودات والابداع والمصنوعات حكم بالغة لا يعرفها اكثر العالمين
ولا يفقهها الا خواص العالمين من العارفين المكملين فلكل حبة قبة
ولكل شعر فى الوجود فائدة حتى قيل لو لم يكن الحاجبان فوق العينين
لم يبق لفرد من الافراد عين الا اعمى كما لو لم تكن الجبال فوق الارضين
الا افنيت وتغنى فلكل نعمة شكرها واجب حتى قيل ان كل فرد من الاحاد
وكل شخص من الافراد يتنفس فى كل ساعة الفى نفس حين الايلاج
والاخراج والا فيموت حين يفوت فيحصل فى الليل والنهار ثمانية واربعون
الفا من النفس ففى كل نفس باعتبار الولوج والخروج يجب الشكر فاذا
ادى الكل منه ستة وتسعين شكرا كان من الشاكرين لها والا فكان
من الكافرين لها فاذا اشتغل فى كل الانفاس كل الليل والنهار لم يقدر
عليه فضلا عن البواقى من النعم السائرة والصحة والعافية والاموال
والاولاد والالبسة والاطعمة والامكنة خاصة منها الدولة الايمانية
والنعم الاسلامية فلو اعطى فى مقابلة الذرة منها ملاء السموات

والارضين

والارضين من الجواهر القيمة والدنانير والدراهم المعلومة لا يفى ذرة
فضلا عن كلياتها وجزئياتها فباى الاء ربك تشكر وتكون عبدا
شكورا والدعوى المجرد لا يحصلك جنة وحريرا فاذا عرفت عدم
تدرك فيليقك البكاء فى الاوقات والايام والساعات والاعوام
من انواع الدهور واصناف الشهور فان اكرمنا الله تعالى بالعفو والمغفرة
الموعودة فلنا الدولة الابدية والسعادة السرمدية وهو المطلوب
من الحضرة الالهية والكرم السبحانية بناء على العظمة الجلالية ونظرا
الى القدرة العبادية فان عاملنا بعد التيه من غير عفو ومغفرة وحاسبنا
بما عملنا من التقصيرات الكثيرة والتكسيرات الوفيرة فكيف نتخلص
من عذابه وغضبه فلاى عمل صدر عنا نرجو رحمته ونامل جنته
اللهم انا نعوذ بك منك ومن غضبك ومن عذابك ومن همزات
الشياطين ومن شر الظالمين ونعوذ بك ربنا ان يحضرون كما قلت
فى كتابك العزيز لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا
انه هو الغفور الرحيم وفى الاية الاخرى ان ربك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم وكما قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى رواية ابن مسعود رض
انه قال قال رسول الله عليه من الصلوات اكملها ومن التحيات اشملها
ليغفرن الله يوم القيمة مغفرة ما خطرت قط على قلب احد حتى
ان ابليس ليتطاول رجاء ان تصيبه رواه ابن ابى الدنيا ولما روى
عن ابى هريرة رض ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله تعالى
لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه ان رحمتى سبقت غضبى وفى رواية
ان رحمتى تغلب غضبى رواه البخارى رح ولما روى عن ابى هريرة
رض انه قال قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يقول جعل الرحمة ماءة جزء فامسك عنده تسعة وتسعين وانزل

فی الارض جزءًا واحدًا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة
حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه وفی روایة مسلم واخّر الله تسعة
وتسعين رحمة يرحم الله بها عباده يوم القيمة رواه البخاری ومسلم رحمهما الله
ولما روی عن ابی ایوب الانصاری رضی حين حضرته الوفاة فی ارض
القسطنطينية انه قال بعد اتمام وصيته لابناء جنسه من الاصحاب
والتابعين وهو اسنهم وافضلهم بينهم ايها الاخوان كنت كتمت عنكم
حديثا سمعته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسوف احدثكموه
وقد احاط بنفسی سمعته يقول لولا انكم تذنبون لذهب الله بكم وخلق
خلقا يذنبون فيغفر لهم وفی روایة عن ابن عمر رضی انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم
ويدخلهم الجنة رواه البخاری ومسلم رح وهذا بيان لسعة رحمة الله الملك
الكريم الرؤف الرحيم لان الرحمة والمغفرة للعباد من مظاهر الصفة
الغفارية للخطيئات العبادية مع انهم موعودون بها بالنصوص القاطعة
والفصوص الساطعة كالسيوف الفاصلة فاذا لم يذنبوا لم يوجد
الوعد والموعود والمظهرية والمشهود وقد سبق فی علمه الازلی انهم
عاجزون عن كمال العبادة واعداؤهم من الشياطين والاهواء المانعة
وقد كتب فی ازل الازال فی الحال والمآل على نفسه الرحمة انه من عمل
سوءًا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه يغفره ويستره فكان
كان من لم يعصه ولم يذنبه لانه هو الغفور الرحيم والرؤف الكريم
لعباده المذنب اللئيم وهذه النصوص الدالة على مغفرة الذنوب
الكثيرة والتبشير للعباد المخلصين فی الآجلة والعاجلة الصادرة
عنهم الذنوب الكثيرة والعيوب الوفيرة بالجهالة والغواية وليس فيها
تحريض على العصيان والضلالة لانه تعالى انما امرهم بالاعمال الصالحات

وكلفهم بالمشاق الرافعات ليتقربوا الى رسائل رحمته ويتجنبوا عن وسائل
غضبه والاحسانات الصالحات مقربة وواصلة كما ان العصيانات
والقباحات مبعدة وفاصلة ومع انها خلاف الحكم الموضوعة الازلية
والرحمة المسبوقة الابدية كما بينه فی قوله العزيز وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون فاللائق للعباد ان يعترفوا بعجزهم بانواع العجز والتقصير
وعدم القدرة واصناف التكسير كما ان الجبال ابين ان يحملن ما حمل
الانسان واظهرن العجز فی قبول الامانة والاحسان وحملها الانسان
مغرورًا بسعة الرحمة والغفران ومعترفًا بعجزه فی دركات النيران
كانهم قائلون يا ربنا انت مولينا فاللائق للمخلوق ان يطيعه فی تكليفه
ويأتمر بما امره فرحمتك واسعة سبقت غضبك وعبادك مذنبة
يرجون جنتك فلا ينتقص رحمتك وجنتك بمغفرة المؤمنين
مع ان المغفرة موعودة لهم وانك لا تخلف الميعاد وان كانوا من
المذنبين وهی حقهم فليس للكافرين منها نصيب ولا امتلاء النار
مع ان النار حرام على المؤمنين الصائمين القائمين فليس للمؤمنين
منها نصيب وان دل النصوص على تعذيب المؤمن مقدار ذنبه
فانت مسبب الاسباب خلقت سبب المغفرة ووسيلة الرحمة فحبيبك
لا يرضى بدخول امته فی النار وانا احب امته واصدق جماعته وهو
وسيلتی فی دخول جنتك واستحقاق جمالك يا غياث المستغيثين
اغثنا ويا مجيب المضطرين اجب دعوتنا فنحن من معاشر الموحدين
من اهل السنة وعساكر المسلمين من اهل الجماعة فايماننا واسلامنا
امانة عندك كما هو امانة فی قلوبنا واقرارنا ما دمنا فی الحيوة
فعليك الامانة ما كنا فی الممات والعقبى الحمد لله على التوفيق واستغفر الله من كل تقصير

سورة تبت مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

روى عن ابي بن كعب انه قال قال النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع بينه وبين ابي لهب في دار
واحدة وهذه السورة مكية وهي خمس آيات وثلث وعشرون كلمة
واحدة وثمانون حرفا وانتظام السورة ان تلك السورة في نصرة الاولياء
وهذه في ذكر هلاك الاعداء تبت اي هلكت وخسرت يدا ابي لهب
اي نفسه فيه تجوز من المجاز الاولى من ذكر الجزء وارادة الكل وانما
ذكر بكنيته دون اسمه عبد العزى بن عبد المطلب واوثر التباب
على الهلاك لانه من التب والتباب ومنه قولهم اهي شابة ام تابة اي هالكة
من الهرم لاعتبار شهرته بها دون اسمه فاتى ما اعتبر اشتهر
وللمجانسة بالمال والحال او لعن بالنار واشتغاله بالحمرة ويؤيد
الاول انه يتاذى بها حين التنادي ولما روى عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما نزلت قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين
اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى
يا صباحاه فاجتمع اليه الناس من كل ناحية فقالوا له ما لك فقال
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ارايتكم واخبرتكم ان العدو مصبحكم
او ممسيكم اما كنتم تصدقوني قالوا نعم وفي رواية نادى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني لوي
ارايتم لو اخبرتكم ان خيلا بسفح هذا الجبل تريد ان تغير عليكم صدقتموني
قالوا نعم قال فاني لكم نذير بين يدي عذاب شديد وادعوكم
الى شهادة ان لا اله الا الله فقولوا اشهد لكم بها عند ربي فانكروا
ذلك فقال عمه ابو لهب تبا لك بسائر اليوم فاخذ بحجر فمنعه الله
تعالى منه وفي رواية ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتخذ طعاما

ودعاهم

ودعاهم ثم قال اسلموا تسلموا واطيعوني تهتدوا فقال ابو لهب الهذا
دعوتنا فنزلت جوابا له على سبيل الدعاء عليه تبت يدا اي اهلك الله
يديه من تجوز الاولى وانما خص اليد دون غيرها من الاجزاء البدنية
لان الاعمال تقع باليد وتكتسب بها غالبا كما وقع في الكتاب العزيز
بما كسبت ايديهم ومما عملت ايدينا وفيه اشارة الى ان ذلك الملعون
يتحاول في جميع الدركات ويتلهب بانواع التلهب اشد العذاب
وقيل المراد بالاول هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
وبقوله وتب تاكيد وقوعه وتحققه كما يدل عليه اتيانه بصيغة الماضي
بدل الاستقبال وكان ذلك قد حصل بلا ارتياب في الحال كقول
الشاعر جزاني جزاه الله شر جزائه ۞ جزاء الكلاب العاديات وقد فعل
ويؤيده قراءة وقد تب وقيل الاول اخبار عن هلاك عمله لان
الاعمال تزاول بالايدي والثاني اخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما
دعاء عليه بالهلاك وقيل الاول دعاء والثاني اخبار كما يبينه كنيته
بكونه جهنميا بالهلاك الابدي وكما يفهم عدم ذكر اسمه الخبيث
خبث مسماه وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب وقرئ ابو لهب
بسكون الهاء ما اغنى عنه ماله وما كسب اي لم يغن عنه ما اعتمد
عليه من الاموال الردية الفانية والاولاد الدنية البالية عند العقول
العالية حين حل التباب على ان ما الاول نافية الذي يفهم من التفسير
السابق او استفهامية اي اي شيء يغنيه مما يصيبه من الكدورات
الدارين وعقوبات العالمين في الكونين في معنى الانكار منصوبة
بما بعدها اصل ماله وما كسبه به من الارباح والنتايج والمنافع
والوجاهة والاتباع او ماله الموروث من ابيه والذي كسبه بنفسه
او عمله الخبيث الذي هو كيده في عداوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

او عمله الذي يظن انه منه على شيء كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب
ولده وروى انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي به
منه نفسي بمالي وولدي واستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل
ما تمناه وقد مات ابو لهب الملعون بالعدس من جنس الطاعون
بعد وقعة بدر وتوجعه بسبع ليال فبقي بعد هلاكه ثلثة ايام
حتى انتن فلم يقرب اليه احد ثم استاجروا بعض السودان فاحتملوه
فطرحوه في الحفرة ولم يعتبروه قومه واولاده ولم ياخذوا بايديهم
لشدة النتن بسبب دعاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهذه الحالة
معجزة منه صلى الله تعالى عليه وسلم واخبار عن احواله الاتية بالغيب
قبل الوقوع طابق الحال بالمقال والمآل في الحال وروى عن ابي
الطفيل رضي الله عنه قال كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما فجاء بنو ابي لهب
وهم خمس واربعة وثلث على الرواية المختلفة يختصمون في شيء
بينهم فاقتتلوا عنده في البيت فقام بعضهم يحجز بينهم فدفع
بعضهم بعضا فوقع الحجر على السطح فغضب ابن عباس رضي الله عنهما
وقال لهم اخرجوا من عندي اي انه الكسب الخبيث الذي كسبه ابوهم
الكافر الملعون ما اغنى عنه ماله وما كسب عطف على ماله
اي الذي كسبه من الولد او مكسوبه بماله من الارباح والنتايج
والاتباع او كسبه على ان ما الثاني موصولة او مصدرية فاختلف
المحدثون ان ولده الذي زوج بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قبل البعثة للعالمين انه عتبة او عتيبة لان له خمس بنين على
الاختلاف عتبة وعتيبة وعتاب ومعتب ومعيتب لما روى
انه لما نزلت هذه السورة فدعى ابو لهب ابنه عتبة وكانت تحت بنت

النبي صلى الله

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بانواع الاذى فدعى عليه حين ذهابه
الى تجارة الشام بقوله اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ثم ذهب
ابنه الملعون فقالوا له اذا دعاءه مستجابة فاحفظ ولدك وتكلم
ثم ارتحلوا فنزلوا منزلا مخوفا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم
ان هذه ارض مسبعة فقال عتبة لرفقائه اعينوني في هذه الليلة
فاني اخاف دعوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فجمعوا اجمالهم فاناخوها
لهم وحفظوا عتبة اوسطهم فناموا فجاء الاسد تشمم وجوههم
ثم دنى عتيبة فخدشه وضربه فلتقم راسه فقتله بين العير المكتنفة
بينهم فلم ينفعه التدبير عند ارادة التقدير اذا التقدير ينقض
التدبير ويدق الباب وليس بعكس ولم يقض لاحد منهم سوء فمات
عتبة كافرا وما عداه من اخوته الاربعة على رواية او ثلثة او اثنين
على رواية اسلموا بشرف الاسلام وكانوا من الاصحاب رضي الله عنهم واما قوله
صلى الله تعالى عليه وسلم اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه
فهذا ان حصل من النكاح الصحيح والا فهو ايضا كسب خبيث كما اخبره
الاية العزيزة واما قول ابن عباس رضي الله عنهما اخرجوا من عندي فمحمول
على ما قبل الاسلام في بعضهم ثم اخبر الله تعالى حال الكافر العنيد في كتابه
الوحيد واوعد بعذابه الشديد وخوفه بعقابه المديد في النار الموقدة
التي تطلع على الافئدة بقوله سيصلى نارا عظيمة ذات اشتعال
وليس هذا نصا في انه لا يؤمن ابدا حتى يلزم من التكليف ان يجمع
بين النقيضين وهو محال كما هو المشهور لانه يصليها المؤمن على قدر الجرم
ايضا فالسين لتقريب الوعيد وتقرير الوعيد الاكيد الذي كانت له
لا محالة لانه تعالى لا يخلف الميعاد اي سيدخل ابو لهب الكافر في نار
ذات لهب اي تتلهب صاحبها وتوقد فيها كما ترى في الحطب الموقد

[margin note:] ... الا النفع فالارادة الجزئية الى
الايمان المعلقة لان الله تعالى خلق الخلائق
سليما عن الكفر والايمان مطهرا عن الوصف
والتعليق فامن من صرف وكفر من عاند
فهذا مسلك الامام الاعظم رح كما بينه
فكذا ... فضل الاكبر فعليه علماء اهل
السنة والجماعة والا فمنه فساد
عظيم بحيث لزم عبث انزال الكتب السماوية
والاوامر والنواهي على موجب الجبر المحض
الباطل والمذهب العاطل
صح

ان لم يؤمن به وامرأته عطف على الضمير المستتر في سيصلى نارا وعدله
حصل لامرأته من العذاب الشديد والعقاب المديد لان المعطوف
في الوعيد مثل المعطوف عليه في كل الاحوال في الحال والمآل ومبتداء
خبره قوله حمالة الحطب على قراءة الرفع واما قراءة النصب على الذم
والشتم وقيل على الحالية بناء على ان الاضافة غير حقيقية اذ المراد
انها تحمل يوم القيمة بجزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وروى
عن قتادة انها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب التصب على ظهرها
لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالحطب حينئذ على اعراء الشتم حتما وقرى
حمالة للحطب بالتنوين نصبا ورفعا وقرئ بالتصغير للتحقير ويجوز
ان يكون بدلا من امرأته باى اعراب كان والمراد منها ام جميل بنت
حرب بن امية اخت ابى سفيان بن حرب وهو ابو معاوية وام حبيبة
رضيهم فالتسمية على طريق التورية والاضداد لانها كافرة عدوة
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهى في الحقيقة ام الكفر والقبائح
وروى عن ابن عباس والضحاك وابن زيد رضيهم انهم قالوا كان
ابو لهب وامرأته يحملان الشوك والسعدان فيطرحان في طريق النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وكان يطاؤه كما يطوء الفراش الحرير وعن عكرمة
ومجاهد وقتادة انها تمشى بالنميمة والنمايم وتفسد بين الناس
فعلى هذا فيه استعارة تحقيقية وتخييلية ان النميمة توقد العداوة
وتهيج الحرب والفتنة والنائرة ويؤيده قوله تعالى كلما اوقدوا نارا
للحرب اطفاها الله ويسعون في الارض فسادا وتحمل الاوزار مع زوجها
لمضادات النبي وايذائه صلى الله تعالى عليه وسلم بالليل ليخرج قدمه
الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم وقت الخروج الى صلوة العشاء والصبح
فحملت الكافرة يوما من الايام او ليلة من الليالي حزمة شوك في ذلك

الفكر

الفكر فوضعت على جدار وقد شدتها بحبل من ليف على صدرها
فاتيها ملك وجبريل عليه السلام فمدها خلف الجدار فاختنقت
فماتت فعليها لعنة الله والملائكة والناس اجمعين رواه امام الهدى
ابو الليث في تفسيره رحمه الله في جيدها وعنقها كما يفعله الحطابون
تخسيسا بحالها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن
لتمتعض من ذلك ويتمعض بعلها وهما في بيت العز والشرف حبل
مبتداء مؤخر لخبر الظرف المقدم من مسد وهو ما فتل من الحبال فتلا
شديدا من اى ليف كان او من جلد البعير يقال رجل ممسود الخلق
وهذا ترشيح للمجاز ولا يبعد ان يكون هذا بيانا لحالها في نار جهنم
بحيث تسلسل فيها من حديد جهنم كل سلسلة ذرعها سبعون ذراعا
بعضها يدخل فيها ويخرج من دبرها وسائرها على جسدها وعنقها
وتحتها نارا كما كانت فوقها فالجملة حالية وقيل الظرف خبر لامرأته
وحبل مرفوع لانه فاعل الظرف المستقر وتعدد الخبر جائز لمبتداء
واحد لفائدة من الفوائد كالتأكيد والتأسيس والتعظيم وغيرها
كقولنا الله واحد صمد غنى كريم خالق العرش العظيم ورب النبي الكريم
روى عن ابى سعيد بن جبير عن ابى بكر الصديق رض انه قال لما نزلت
سورة تبت جاءت امرأة ابى لهب فقال ابو بكر الصديق رض لو تنحيت
يا رسول الله فانها امرأة بذية خبيثة يقال ارض بذية اى ذو ملح
لا نبات لها الجنسها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سيحال بيني وبينها
فجاءت تلك المرأة الملعونة فلم تره صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت لابى
بكر الصديق رض هجانا صاحبك فقال ابو بكر الصديق رض والله
ما ينطق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالشعر ولا يقوله ولا ينبغي له
بشان النبوة قالت المرأة الملعونة انك لمصدق فاندفعت

رجعة قال ابو بكر الصديق يا رسول الله ما رأتك
فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لم يزل بيني وبينها ملك يسترني منها
حتى رجعت وروى عن ابي المعاز اسحق عن يزيد بن زيد رض
لما نزلت هذه السورة قيل لامرأة ابي لهب ان محمدا قد هجاك فاتت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو جالس في الملاء في الصحراء مع اصحابه
الكرام واحبابه العظام رضي عنهم قالت يا محمد على ما تهجوني فقال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ما انا هجوتك ما هجاك الا الله تعالى قالت هل رأيتني
احمل الحطب هل رايت حبلا في جيدي من مسد

سورة الاخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

روى عن عائشة الصديقة رضي الله عنها انها قالت ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ
فيهما قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس
ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه
وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلث مرات رواه البخاري في الطب
والأدب والترمذي وابن ماجه في الدعوات والنسائي في التفسير
رحمهم وفي رواية لابي داود والترمذي وهما صححا عن عبد الله بن حبيب
رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم له اقرأ قل هو الله
احد والمعوذتين حين تصبح وحين تمسي ثلثا تكفيك من كل شيء
وفي رواية عند ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما فان قبض قبض
شهيدا وان عاش عاش مغفورا وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ دبر كل صلوة
مكتوبة عشر مرات اوجب الله له رضوانه ومغفرته رواه البخاري
في تاريخه والطبراني في معجمه الكبير وروى عن تميم الداري رض انه

قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ قل هو الله احد كل يوم
خمسين مرة نودي يوم القيمة من قبره قم يا مادح الله فادخل الجنة
رواه ابو نعيم الحافظ في صحيحه وروى عن معاذ بن انس رض انه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ قل هو الله احد عشر مرات
بنى الله له بيتا في الجنة قال عمر بن الخطاب رض اذا نستكثر قال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم الله اكبر واطيب رواه الطبراني في المعجم الكبير
وابن سني بذلك بيتا وروي قصرا في الجنة وروى عن خالد بن زيد
الانصاري رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ
قل هو الله احد عشرين مرة بنى الله له بيتا في الجنة رواه حميد بن
زنجويه في ترغيبه وروى عن ابن عباس رض انه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى بعد العشاء ركعتين يقرؤ في كل ركعة
قل هو الله احد اربع عشر مرة بنى الله له قصرين في الجنة يريهما اهل الجنة
رواه سعيد بن منصور وابن الضريس في صحيحهما وروى عن انس رض
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ قل هو الله احد
خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة رواه ابو يعلى والدارمي
في كتاب الصلوة وروى عن انس رض انه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من قرأ قل هو الله احد مأة مرة غفر الله له خطيئة
خمسين عاما رواه ابن عدي الحافظ والامام البيهقي في شعب الايمان
وابن عساكر في تاريخه وروى عن الامام فيروز الديلمي انه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ قل هو الله احد مأة مرة
في الصلوة او غيرها كتب الله له براءة من النار رواه الامام البغوي
والطبراني في المعجم الكبير وروى عن عبد الله بن عمر رض انه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ يوم الجمعة مأة مرة

قل هو الله احد فقد ادّى من حق الجمعة ما ادّت حملة العرش من حق العرش رواه الحافظ ابو نعيم فى فضائل الاخلاص وروى عن انس رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا قل هو الله احد مأتى مرة غفر الله له ذنوب مأتى سنة رواه الامام البزار وابن الضريس الحافظ فى فضائل الاخلاص وروى عن ابن عمر رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى اربع ركعات يقرء فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وخمسين مرة قل هو الله احد فذلك مأتا مرة لم يمت حتى يرى منزله من الجنة رواه دارقطنى فى كتاب الغرائب وروى عن انس بن مالك رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا كل يوم مأتى مرة قل هو الله احد محى عنه ذنوب خمسين سنة الا ان يكون عليه دين رواه الترمذى وقال غريب ومحمد بن نصر وابن عدى والامام البيهقى فى شعب الايمان وروى عن ابن عمر رضيهما انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا قل هو الله احد عشية عرفة الف مرة اعطاه الله ما سال رواه ابو الشيخ فى كتابه الصحيح وروى عن انس رض انه قال قال من قرا فى كل يوم قل هو الله احد ماتى مرة كتب الله له الفا وخمسمائة حسنة الا ان يكون عليه دين رواه ابو يعلى فى مسنده وابن عدى الحافظ والبيهقى فى الشعب وروى عن حذيفة اليمانى رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا قل هو الله احد الف مرة فقد اشترى نفسه من الله تعالى رواه ابراهيم الحافظ العلامة فى الفوائد وروى عن جرير بن عبد الله البجلى رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا قل هو الله احد حين يدخل منزله نفت الفقر عن اهل ذلك المنزل والجيران رواه الامام الطبرانى فى المعجم الكبير وروى عن عبد الله بن الشخير رض انه قال

قال رسول الله

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا قل هو الله احد فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتن فى قبره وامن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيمة باكفها تجيزه من الصراط الى الجنة رواه الطبرانى فى الاوسط والحافظ ابو نعيم فى فضائل الاخلاص وروى عن انس رضى الله ان رجلا قال يا رسول الله انى لاحب هذه السورة قل هو الله احد قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان حبك اياها يدخلك الجنة بفضل الله رواه البخارى والترمذى رح وروى عن ابى الدرداء رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ايعجز احدكم ان يقرا ثلث القرآن فى ليلة قلت يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال اقرؤا قل هو الله احد رواه الامام البغوى محى السنة فى تفسير المعالم وروى عن ابى هريرة رض انه قال اقبلت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيسمع رجلا يقرء قل هو الله احد فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجبت فسالته ماذا يا رسول الله فقال الجنة فقال ابو هريرة فاردت ان اذهب الى الرجل ان ابشره ثم فرقت اى عرفت ان يفوتنى الغداء مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فآثرت الغداء ثم ذهبت الى الرجل فوجدته قد ذهب رواه الامام محى الدين البغوى رح وروى عن ابى بن كعب رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا سورة قل هو الله احد اعطى من الاجر كما قرا ثلث القرآن واعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من آمن بالله ولم يشرك به شيئا رواه عمر النسفى فى تفسيره وروى عن ابى ايوب خالد بن زيد الانصارى رض انه قال ايعجز احدكم ان يقرا فى ليلة ثلث القرآن فسكتنا فقال ذلك ثلث مرات ونحن نسكت ثم قال من قرا فى ليلة قل هو الله احد فقد قرا ثلث القرآن وروى على بن ابى طالب رض عن النبى صلى الله

تعالى عليه وسلم من قرأ بعد الفجر احدى عشرة قل هو الله احد لم يلحقه
ذلك اليوم ذنب وروى عن انس بن مالك رضه قال قال جبرائيل
للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأيت خائفا على امتك حتى نزلت
قل هو الله احد وروى عن سعيد بن معاذ رضه قال قال النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم ان سورة الاخلاص انزلت ومعها سبعون
الف ملك ان قل هو الله احد خمس عشرة كلمة يتبعها خمس عشرة بركة
ما من عبد من امتى قرأها فى يوم وليلة مرة واحدة الا بنى الله له
قصرا فى الجنة وهذه الاحاديث الخمسة المذكورة رواها ابو المعين
عمر النسفى فى تفسير التيسير رح وهذه السورة مكية عند ابن عباس
ومقاتل والواقدى والحسين بن الواقد رحمهم ومدنية عند الامام
قتادة رح وهى خمس ايات وقيل اربع ايات ولا اختلاف فى قوله لم يلد
خمس عشر كلمة وسبع واربعون حرفا وتسمى سورة الاساس ايضا
لاشتمالها على اصول الدين وهى توحيد ذات الله ومعرفة صفات الله
التى نطقت تلك السورة وانتظام السورتين ان تلك السورة
فى وعيد من ترك التوحيد وهذه فى تعليم التوحيد وعلمه قل هو الله
احد والضمير للشان الذى هو عبارة عما يذكر بعده تأكيدا لمعناه
وتأييدا لمحتواه كما فى قولنا هو محمد رسول الله فلا حاجة فى الجملة
الخبرية الى الضمير الرابط لانها فى حكم المفرد بعد التأويل ومدار
وضعه ان قوله الله احد عبارة عما يؤدى الضمير فيراد من طرف
الموضوع الذات المسند اليه ومن المحمول الصفات المسندة كما هو
الاصول والقاعدة فى امثال هذه الصور المفهومة اى هو الموصوف
بهذه الصفات الحميدة المذكورة فى الاية العزيزة فلا حاجة الى
ربط الرابطة لانها عين الشان الذى عبر عنه بالضمير والنكتة

فى تصدير

فى تصدير الجملة به التنبيه فى اول الامر على فخامة مضمونها وجلالة ما فى
حيزها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير وتمييز وتوقير فان حال
كل الضمير لا يفهم منه فى الوهلة الاولى الا شأن مبهم له خطير
جليل وحديث جميل فيتحير الذهن فى الزمان الطويل مترقبا فى تعقل
الفور وتحقق الغور لما ذكر من الامر والتبجيل مما يفسر ابهامه
ويزول اسعافه فيتمكن له فضل تمكن عند وروده وليس كذلك
قولنا زيد ابوه منطلق فان الجملتين تدلان على المعنيين المختلفين
والكل منهما مستقل لا يتألف الا بالربط فلا بد من الرابط بخلاف
الاول فانه هو لا غيره ولا اختلاف بينهما وجها من الوجوه ومن امارات
العينية انه ضمير فصل لا محل له من الاعراب لكونه بمنزلة جزء الكلمة
كالزاء لزيد اى هو الله الموصوف بالاحدية والصمدية من الصفات
الذاتية فلو كان ضميرا لكان له محل مشعر بالاستقلال ولفظ هو الضمير
ليس للشان بل من الكنايات التى لها مرجع ومحل ويؤيده ما روى
عن ابن عباس رضهما ان احبار اليهود اتوا الى النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن فقال النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم قولوا لا اله الا الله فلم يلتفتوا اليه وقالوا قل لنا قولا غير هذا
فقال النبى صلى الله عليه وسلم وما اقول قالوا صف لنا ربك من ذهب
هو او من نحاس او صفر ام حديد ام فضة هل يأكل ويشرب وممن
ورث الدنيا ومن يورثها فانزل الله تعالى هذه السورة فالتقدير
على كونه ضميرا له مرجع اى الذى سألتم عنه هو الله احد القديم
وشهرته مغنى عن الذكر لنباهته وعظمته بحيث يستحضره كل
احد واليه يشير كل منير واليه يعود كل ضمير كما ينبئ عنه اسمه الذى
اطلق عليه بالوحدانية والالوهية والصمدية لا شريك له

في ذاته ولا نظير له في افعاله وصفاته ولا يتجزى ولا يتبعض وهو خالق
الاشياء من الموجودات وفالق الاشباه من المصنوعات وكل شيء
عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ليس بزماني ولا
مكاني الدائم الابدي موجود قبل الموجودات والارضين والسموات
وسواه مخلوق ومحتاج اليه وما سئلتموه من مخلوقاته والموجودات كلها
بايجاده وابداعه قوله احد اما بدل او خبر بعد خبر لدلالته على مجامع
الصفات الجلالية كما يدل عليه لفظة الله على جميل الصفات الجمالية
والنعوت الكمالية او خبر المبتدا المحذوف وقرئ هو الله احد بغير
قل وقرئ الله احد وقرئ قل هو الواحد قال الامام المكي من اهل
اللغة اصل احد وحد جعلت الواو همزة لوقوعها في الطرف كما في
الوشاح والاشاح وفي رواية اصله وحدي بالمد فابدلت الواو همزة
للعلة المذكورة فاجتمع الفان فحذفت احديهما تخفيفا كما هو مقتضى
اللسان في فصحاء العدنان وقال الامام الثعلبي رح ان احدا لا يبنى
عليه العدد ابتداء فلا يقال احد واثنان كما يقال واحد واثنان ولا
يقال رجل احد كما يقال رجل واحد فلذلك اختص به تعالى فالواحد
الحقيقي منزه الذات عن التركب والتعدد وما يستلزم من الجسمية
ومن خواص الحقيقي وجوب وجوده وفيضان جوده والقدرة الذاتية
والحكم التامة المقتضية للالوهية الصمدية المستغنية عن الغاية
كما بينه تعالى بقوله الله الصمد مبتدأ وخبر على وزن فعل بمعنى
المفعول اليه من صمد اليه اذا احتاج المحتاجون اليه اي هو السيد
المصمود اليه من الحوائج في الدارين المستغني لذاته وكل ما عداه محتاج
اليه في جميع حاجاته في الجهات الست وهو تعالى منزه عن الافتقار
والاحتياج مع انهما من وظايف المصنوعات في انواع الحاجات واصناف

الاعوجاج

الاعوجاج لانه تبارك وتعالى غني وما سواه مفتقر اليه في المقتضيات
وقال بعض العلماء رحمهم الله الصمد الدائم القائم الباقي لم يزل ولا
يزال المتفرد في وحدة الذات ودوام الصفات يفعل ما يشاء وليس
لاحد من الافراد ان يسئله ويحكم ما يريد وليس فرد في خلافه من
الاحاد الا رغم انفه ونقص عنقه وهلك معه قومه وانما عرف
الصمد ونكر احد لعلمهم بصمديته وجهلهم على احديته لانهم مشركون
في العبودية وتكرير الاسم الجليل للاشعار بان لم يتصف بذلك
فهو بمعزل من استحقاق الربوبية واستعداد الالوهية وخلو
الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى فبين اولا الوهيته
عز وجل المستتبعة لكافة نعوت الكمال الموجبة لتنزهه عن شائبة
التعدد والتركب وتوهم المشاركة في الحقيقة بوجه من الوجوه
فالكل هالك الا ذاته العلي الكبير وهو بكل شيء عليم من الجزئيات
والكليات من الصغير والكبير والنقير لا يعزب عنه مثقال ذرة
في السموات العلويات والارضين السفليات وهذه الاوصاف
العلية والاخلاق الجلية لا توجد الا فيمن له الربوبية والالوهية
وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ـــــ الصمد الكبير الذي
ليس فوقه احد والقادر هو ذو العظمة والكبرياء ومن دونه تحت
قهره وقدرته يظهر احتياجه عليه في كل شانه في فقره وغنائه
ونمائه وعنائه وهو القاهر فوق عباده لا يموت ابدا ولا يورث
ويستغاث عند المصائب اليه وهو قادر بذاته منزها عن اعانة
المعين ومصونا عن اهانة المهين وقال الامام مقاتل رح
الصمد هو الذي لا عيب فيه ولا يعتريه الافات والعاهات
ولا يغلبه احد ولا تاخذه سنة ولا نوم يفعل ما يشاء لمن يشاء

بما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا تدركه
الابصار ولا تبلغه الافكار ولا يحويه الاقطار وهو بكل شئ محيط
والموجودات والمعدومات عنده سيان في الابداع والاعدام فمن اجل
جلالة هذا الاسم على هذه المعاني الجسيم جعله الله تعالى مقارنا لذاته
ليدل على حقيقة الوحدانية على ان الموصوف به هو من لا نظير له
ولا شبيه له اذ لله الوحدة المفهومة من الاحد والصمدية المعلومية
من الصمد تدلان وتعلمان على ان من وجب وجوده في ذاته ونعوته
اذا كانت له الوحدة الحقيقية كان مبدع جميع الاشياء ومنشا كل
الموجودات العلى والمصنوعات السفلى وما يتضمنهما فهو حافظه
ومدبره اذ لا يصمد ولا يستغاث الا به ولا يرغب ولا يرهب الا به
وعنه فاجتمع في لفظي الاحد والصمد وما تبعهما من نفي صفات
النقايص المغايرة للكمال ونفي الامثال والاضداد المخالفة في الحال
والمآل فبينهما بقوله لم يلد اي لم يصدر عنه ولد لانه انما يوجد
بالمجانسة فلا يجانسه شئ من الاشياء حتى يمكن له من جنسه
صاحبة فيتوالد او بتزوجها اذ بين الخالقية والمخلوقية تضاد
من التباين الكلى والمؤالفة تنشاء من المجانسة والموافقة كما
قال الله تعالى ردا لقولهم انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق
كل شئ مع انه من علامات الاحتياج وامارات النقايص والحدوث
والاعوجاج فتعالى الله تبارك عما يصفون ولان من يلد يموت
البتة فهذه الاخلاق الرديئة توجد في الحوادث وهو تعالى باق
ببقاءه الدائم وذاته قديم وصفاته قديمة لا يعتريه الآفات
ولا يعرضه العاهات ليس كمثله شئ ولانه غني عن العالمين
والاولاد والعيال من اجزاء العالم وهو تعالى خالقها فبينهما تباين كلى

من التضاد

من التضاد فلا يمكن الجمع كما هو الحال بين سائر التضاد كالنار والماء
والفقر والغناء والعلة والصحة وغيرها ولم يولد اي لم يصدر ذاته
الا على عن شئ لانعدام القبلية والبعدية لقدمه ولعدم الشئ قبله
فلا يكون مولودا كما لم يكن والدا حتى كان له والد يلده فيرث ملكه
لاستحالة نسبة العدم اليه تعالى سابقا او لاحقا لاستلزام
المولودية ان يسبق العدم اليه لان الوالد متقدم على المولود فوجوده
يوجد بسبب وجوده والتصريح به مع كونهم معترفين بمضمونه
لتقرير ما قبله وتحقيقه فهذه ايضا من صفات العجزة الحادثة
المنافية للبقاء والقدم لان كل مولود حادث وجسم وعاجز وذو
ابعاض واعراض وتركيب فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا باقيا من الازل
الى الابد متصفا بكمال الصفات القديمة منزها عن النقصانات والحادثة
اول الاول فلا اول له وآخر الآخر فلا عدم له وله الكبرياء في السموات
والارض وما بينهما وفوقهما وما تحتهما مخلوق له تعالى بالاتفاق ادية
الى اتمهما امتلا زمان اذ ما من مولود والد الا وقد يولد وما لا فلا ومن
قضيته الاعتراف بانه تعالى لم يولد الاعتراف بانه لم يلد هذا قريب
من عطف لا يستقدمون على لا يستأخرون كما بين في محله
ولم يكن له كفوا احد اي لم يكافئه احد ولم يماثله فرد ولم يشاكله
صاحبة قوله له صلة لكفوا قدمت عليه مع ان حقها التاخر
عنه لانه فضلة للاهتمام بها فيكون كالظرف المستقر في الحكم
لان المقصود اثبات الوحدة الحقيقية لذاته تعالى وصفاته ونفي المكافئة
عنه ويجوز ان يكون خبرا لا صلة ويكون كفوا حالا من احد ولما
تاخير اسم كان فلمراعات الفاصل ووجه الوصل وترك العطف
من البعض دون بعض تبين هذه الجمل غني عن البيان وقرئ كفؤا بالهمزة

فمعناه واحد والمراد نفي اقسام الكفو والامثال فهي مجملة واحد مبنية
عليها الجمل فهذه السورة متضمنة ومشتملة على كل الصفات القديمة
لله تعالى لان لفظ هو فيه اشارة الى الخالق وضرورة كونه عالما بما خلقه
وقادرا عليه وهو يدل انه حي عليم سميع بصير وقوله احد وصف له
بالوحدانية وبانه قادر على ايجاد المعدومات ومتفرد فيها ومتوحد
بعلم الخفيات بنفي المشاركة في شيء ما منها وقوله الصمد يدل على انه
تعالى مصمود اليه ومقصود بالذات لكل القاصد اذ معناه المستغني عما
سواه فلا يحتاج من الازل الى الابد فهل هذا الا معنى الصمد فاذا كل
من السموات والارض وما بينهما وما فوقهما وما تحتهما محتاج اليه
تعالى دائما في كل الايام والشهور والاعوام والدهور معنى الغناء عنهم
فاوجب ان يكون عادلا وقوله لم يلد نفي التشبيه والتنظير وقوله
ولم يولد نفي الحدوث واثبات القدم وقوله ولم يكن له كفوا احد
نفي المكافئة والمماثلة في الزمان الماضي فنفيه في الحال والاستقبال
اولى واعلى بضرورة ان الحوادث لا تكون كفوا للقديم للتباين الكلي
بينهما من الوجوه وقال بعض العلماء من المفسرين رحمهم ان الكفار
يشتغلون باشياء باطلة خبيثة التعطيل وهم الدهرية والاشتراك
وهم اصحاب الشرك والتشبيه وهم المشبهة وكلهم كافرون بالله
تعالى وقد ذكرت اقسام هذه الثلثة في هذه السورة العزيزة فقوله
قل هو الله اثبات الوجود لواجب الوجود ورد لاصحاب المعطلة
وهم الدهريون وهم لا يدرون من الله ولا ذاته ولا صفاته ويسندون
وجود الاشياء من السموات والارض وما بينهما الى الازمنة والدهر
كانبت الربيع البقل اذا اعتقد اسناده حقيقة وقوله احد رد
على المشركين الذين يعبدون الاوثان ويستغيثون للاصنام استغاثة

وقوله الله الصمد

وقوله الله الصمد رد للمشبهة من حيث انهم لا يميزون الخالق بالمخلوق
ويعظمونه بما اعظم الله ويعاملونه بمعاملة الله وقال
بعض العلماء من المفسرين ان بعض آية هذه السورة تفسير لبعضها
ومبين لمعناها مثلا اذا سئل عن هو في قوله هو الله احد من هو
فقل الله واذا قيل من الله فجوابه احد واذا سئل من الاحد فجوابه
هو الصمد واذا سئل من الصمد فاجيب انه لم يلد ولم يولد
واذا سئل من الذي لم يلد ولم يولد فيجاب عنه حاسما للشبهة
وقالعا الوسوسة بانه هو الذي ولم يكن له كفوا احد فحصل
التوحيد وثبت التوحيد بالادلة القطعية المنزلة من الله
الذي ارسل رسوله بالكتاب والسنة مع اجتماع الامة من اهل
السنة والجماعة وغسلت الشبهات الرديئة وبمثل هذه البراهين
العجيبة من الادلة الباهرة والمعجزات الظاهرة قالوا كان
الاثبات واجبا لكل مؤمن موحد ايضا عند ائمة الحنفية بالا
ستدلال العقلية ليتنور قلبه بانوار التوحيد ويتطهر
من دنس الشبهة ويتشعشع فؤاده حتى يظهر آثار الاذعان
وتنكشف كدورة من الاعضاء والجوارح التابعة بالتنور
بنور الايمان ويسمع بالاذان وهو ان الله تعالى واحد وحدة
الحقيقة لا شريك له بالادلة القطعية النقلية ولا نظير له
بالبراهين القطعية العقلية بالاستدلال من الادلة الظاهرة
المستنبطة من المرئيات في الكائنات والباطنة المستخرجة
من حالات العلويات والسفليات وهو ان الموجود الخالق
المدبر في تدبير العالم وتخليقه اما ان يكون مستقلا مغنيا
عن الشريك وكافيا في الوحدة اولا فان كان الاول الواحد

مستقلاً وكافياً فكان الآخر المفروض عبثاً وضايعاً غير محتاج اليه
ولا فهو نقص في استقلال الالوهية والناقص لا يكون الهاً وان لم
يكن كافياً فهو ناقص ايضاً لانه لا يليق للالوهية لان ميزان
العقل يقتضي الاحتياج دائماً لما فرض في الاستدلال فثبت ان
الواحد المستقل كاف في الالوهية وما وراءه غير موجود والا
فينقل الكلام الى ان تسلسل الى غير النهاية او يدور فيلزم الدور
او التسلسل وهما باطلان فحصل الوحدة وبطل الشركة فهذا الطريق
اعلى في اثبات الوحدة الحقيقية وابطال الشركة الخبيثة النجسة
ويمكن الاثبات والابطال بالدليل العقلي على الاستدلال الاخر
ايضاً وهو ان احدهما المفروض اما ان يقدر ان يستر شيئاً من
افعاله عن الاخر المفروض او لا فان قدر يلزم ان يكون المستور
عنه جاهلاً وان لم يقدر يلزم ان يكون الاخر عاجزاً فكلاهما
منافيان للالوهية وكماله اذ فيهما نقص له وهو تعالى منزه عنه
فتعالى الله تبارك عما يصفون علواً كبيراً ويمكن الاثبات والابطال
بالدليل العقلي الثالث وهو انه لو فرضنا بشيء معدوم فان لم
يقدر كل واحد منهما على ايجاد ذلك المعدوم كان كل منهما عاجزاً
من البداهة ان لا يكون العاجز لايقاً للالوهية فلا يكونان
الهين وان قدر احدهما دون الاخر فالقادر اله واحد لا اله الا
هو لابداعه كل الموجودات اذ الاشياء من المعدومات من السموات
والارضين في جميع المصنوعات من المكونات فوجودها من المعدومات
العارضات الفانيات وهو تعالى موجدها ومنشئها وخالقها
وهو تعالى واحد وموجد الاشياء كلها الا انه خالق كل شيء واليه يشهد
كل الموجودات في انواع التربية في جميع الساعات ولو فرضنا

قدرتهما

قدرتهما معاً فاما ان يوجدا بالتعاون فكلاهما محتاجان الى احدهما
فيكون كل منهما عاجزاً فلا يليق الى الالوهية وان قدر كل واحد
منهما على الاستقلال فانه اذا اوجد واحد منهما دون الثاني فيبقى
الثاني قادراً عليه وهو محال لان ايجاد الموجود محال وان لم يبق
الثاني على القدرة عليه فح يكون الاول مزيلاً بقدرة الثاني
فيكون الثاني عاجزاً تحت تصرف القدرة الاول وهو الله الكبير
المتعال وله الكبرياء في السموات والارضين رب الملك والمكونات
وخالق الفلك والمصنوعات واحد بالوحدة الحقيقية قادر بالقدرة
العلية لا يكافئه واحد من الاحاد ولا يماثله فرد من الافراد
متفرد في الوهيته وجبروته ومتوحد في ملكوته وفلكيته فالموجود
عنده كالمعدوم والمعدوم لديه كالموجود اذا اراد الله شيئاً
يقول له كن فيوجد عنده ويكون له الحكم في الاولى والاخرة واليه
ترجع الامور في العاقبة منه المبدأ واليه المعاد اللهم اختم لنا
بالخير والسعادة ولا تختم لنا بالشر والشقاوة وارزقنا
الجنة والجمال بانواع نعيم الدارين في الحال والمآل بشفاعة رسولنا
وسيدنا وسندنا محمد عليه من الصلوات اعلاها ومن التحيات

سورة الفلق مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

روى عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ قل اعوذ برب الفلق و قل اعوذ برب
الناس اعطي من الاجر كانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى
على انبيائه ورسله وروى عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه
قال بينا اسير مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين الجحفة

اذ غشينا ريح وظلمة فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتعوذ قل اعوذ برب الفلق واعوذ برب الناس ويقول يا عقبة تعوذ بهما فما تعوذ بمثلهما وروى ان جبرئيل صلوات الله على نبينا وعليه اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان عفريتا من الجن يكيدك فتعوذ اذا أويت الى فراشك بقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وهي خمس وثلث وعشرون كلمة وثلث وسبعون حرفا وانتظام هذه السورة بسورة الاخلاص انه تعالى قال في تلك السورة الله الصمد وهو الذي يرجع اليه ويقصد في الحاجات والمقصودات وانجاز المسؤلات وابراز المطلوبات في دفع الآفات وقال في هذه السورة استعذ بالله الصمد في السر والعلانيات بحيث يدفع عنك المكايد والمكاره والبليات قل اعوذ برب الفلق وهو الصبح الذي انشق وانفلق عن الظلمة كالفرق على وزن جمل بمعنى المفعول لانه يفلق عنه الليل ويفرق فان كل واحد من المفلوق والمفلوق عنه بمعنى مفعول وقيل هو ما انفلق من عوده وقيل كل ما يفلقه الله تعالى كالارض عن النباتات والجبال عن العيون والسحاب عن الامطار والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك في تعليق العياذ باسم الرب والمضاف الى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة باعاذة العائذ مما يعوذ اليه من شرور الاشرار ونجاته منه من انواع الصيانة وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له في الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء اليه تعالى واما الاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل من هذا العالم قدر عن العائذ ما يخافه كما قيل فلا اذ لا ريب للعائذ

في قدرته تعالى عن ذلك حتى يحتاج الى التنبيه عليها من رب الفلق من شر ما خلق وقت الاعاذة اذ ما من عائذ اليه تعالى الا وله علم بانه تعالى خالق كل شيء وهو المرجع والمصير في كل الامور كلية او جزئية وهذا المشعر به من الجزئيات المندرجة تحت الكلية كما يشعر تخصيص اسم الرب من بين الاسماء الحسنى مع ان من خواصه الصيانة من انواع البلايا التي يخاف عليها والتخصيص بالفلق لانه اظهر اسرار الله من تغير الحال وتبدل وحشة الليال وتكورها في النهار فيعلم منه انه تبارك قادر على ان يخلق الامثال فلا يعجز ولا يعيى في الحال والمآل فيجب على كل مؤمن التفكر في خلق السموات والارض وما بينهما وما تحتهما واختلاف حالتهما وتكور الليالي والدهور في الايام والشهور والاعوام ليتقوى الاذعان في الصدور ويتوفر ويتكثر ثمرة الايمان في الفوائد والبدور ويتبعد الاعداء في الحيوة والنشور لما روى عن الاعمش رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق رواه الامام الثعلبي في الروضة ولما روى عن عمرو بن مرة رضي مرفوعا انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين مر على قوم يتفكرون وفي رواية تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذات الله فان التفكر في آلاء الله ونعمائه ومخلوقاته يجلي القلب ويقربه الى معرفة الله وكمال توحيده وصرف اعماره وامواله الى رضائه ويؤثر ما يبقى على ما يفنى قال العلماء رحمهم مرجع التفكر في خمسة اشياء اولها في الآيات والعلامات والثاني في الاجور والثواب والثالث في النعم الظاهرة والباطنة والرابع في العذاب والعقاب والخامس في الاماتة والجزء والاهانة

وخزيه فاما التفكر الاول فى الايات والعلامات فهو ان ينظر فى
ملكوت السموات وفلكوتها والارض وما بينهما وما تحتهما وما فوقهما
ويتفكر فى قدرة الصانع وابداعها وانشائهما وارزاقها اليهما
وتربية اصحابهما من تصانيع العجيبة والبدايع الغريبة بحيث
لا تسع فى العقول وتتحير فى الفهم والنقول مع ان كل فرد من الافراد
يشتمل على الحكم البالغة فلا نظير لها قبل الواقعة مع تنوع
الامثال وتوزع الحال من الاشياء والاجال فالكل يظهر منه
وحدانية الله تعا وقدرته وعظمته وقوله هو الله الذى لا اله
الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم واما التفكر
الثانى فى الاجور الموعودة فهو ان ينظر الى ما وعد لكل من المؤمنين
المطيعين والمؤمنات المطيعات من الدرجات العاليات
فى الجنات الرافعات تجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما تشتهيه
الانفس وتلذ الاعين وهم فيها خالدون يلبسون ثيابا خضرا
من استبرق وحلوا اساور من فضة وسقيهم ربهم شرابا طهورا
وهذا جزاؤهم جنة وحريرا والى النعم الابدية والدولة السرمدية
التى هى منصوبة لا عزل لها كما كان فى الدار الفانية وتشتمل على
التفكر الثالث من النعم الظاهرة والباطنة التى يوفى بها
المكلفون الصابرون ويوفى بها المجتهدون العاملون المخلصون
بغير حساب واما التفكر الرابع فهو ان ينظر الى الادلة الدالة
على عذاب الله وتعذيبه بوعيد على العصاة ممن لم يخف منه
فى دار الدنيا الفانية ولم يتفكر حاله ومآله كيف يكون فى الدار
الباقية فالله تعا وعد لمن طغى واثر الحيوة الدنيا فان الجحيم
هى المأوى وفيها ملائكة غلاظ شداد خلقن من النار فعبادتهن

تعذيب العباد وهو عبادة لهن من حيث انهم لا يعصون الله ما امرهم
بكيفية العذاب وكمية العقاب ويفعلون ما يؤمرون فلم يسمعوا
انين المتوجعين ولا يرحموا على غيات المعذبين بل يزيدون العذاب
فوق العذاب لازدياد تقويهم ونيل الدرجات عند ربهم فمتى
ازداد التعذيب ازداد الرتبة عند الله لهم كما هو الحال فى اهل التقوى
واهل المغفرة فى الدنيا والاخرة فلهذه المصلحة خلقن تعالى اشدا
اقوياء حيث لا يعجزون ولهم رئيس تسعة عشر وفى تحت يد كل منهم
خدمة لا تعد ولا تحد فيسع فى قبضة كل منهم سبعون الفا
من العصاة ويرميهم الى النار مقدار هذه فى الدفعة الواحدة من
العصاة الذين روس كل منهم منه الاحد فكيف حال وجودهم وسعة
قبضتهم من المنكب الى المنكب بسير الراكب بالخيل المضمر فى سنة
واحدة وكيف يتحمل عذابهم ويصبر على عقابهم والحال انه لم يتحمل
على اذى البراغيث ومن اذى الاذى ينادى ويستغيث فالتفكر
واجب لكل مؤمن ساعة بعد ساعة فلا يشتغل بالاشغال التى
تغفله ولا قفال التى تشغله ولا يتدارك الاسباب الموصلة
الى الاجور العظيمة التى ذكرت فى التفكر الثانى والى عذاب المحود
اللئيمة التى هى عين التفكر الخامس من خزى يوم الندامة ويوم القيمة
فرحم الله عبدا يعرف قدره ويغلى قدره ويميز الحق واهله
من الباطل وكفله لما روى عن المقداد بن اسود رض انه قال دخلت
على ابى هريرة رض فسمعته انه يقول قال رسول الله
صلى الله تعا عليه وسلم تفكر ساعة خير من عبادة سنة ثم دخلت
على ابن عباس رض فسمعته انه يقول قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة ثم قال المقداد رض

قد خلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرتهم بما قالوا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعهم الى قد دعوتهم فقال لابى هريرة رضى
كيف تفكرك وفيما ذا فقال ابو هريرة رض تفكرى فى قوله تعالى
ويتفكرون فى خلق السموات والارض آه فقال صلى الله تعالى عليه
وسلم تفكرك خير من عبادة سنة ثم سال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
عن ابن عباس رض عن تفكره فقال تفكرى فى الموت وسكراته
فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تفكرك خير من عبادة سبع سنين
ثم سال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن ابى بكر الصديق رض كيف
تفكرك فقال الصديق الاكبر رض تفكرى فى النار واهوالها
واقول يا رب اجعلنى يوم القيمة من العظماء بحال يملاء النار
جسدى ولا تعذب امة محمد فى النار فقال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم تفكرك خير من عبادة سبعين سنة قال النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم ارءف امتى ابو بكر الصديق رض ايها الاخوان تفكروا
فى هذه الاشياء فانه عبادة رحمانية فان الاعمار وساعاتها ولياليها
ودهورها وشهورها واعوامها كلها انفس من نفايس الدنيا
من الدنانير المعتبرة والدراهم المحترمة والاموال الملتفتة والاولاد
المكرمة فانها يربح فيها الدرجات العالية فى الدار العقبى الباقية
ودونها فتنة عظيمة زينة فى الدنيا الدنية الفانية فآثر
العاقل الكامل ما يبقى ويتلذذ ويتنعم على ما يفنى ويتعذب
ويتنقم فطوبى لمن سعد بالسعادة الكبرى يوم لا ينفع الاموال
والاولاد والاحباب والويل لمن طغى وآثر ما يفنى على ما يبقى
ومن صحب لمن هو اضل واغوى فما هو موافق بالكتاب والسنة
واجماع الامة فهو لايق باصرار الاعمار وما هو مخالف بها فهو بالاجتناب

احرى والاستبعاد

احرى والاستبعاد اولى واعلى فى جميع الاعمار وقال ابو سليمان الاستاذ
رح لا تتفكروا لاجل الدنيا فانه وسوسة شيطانية لان المقدرات
الالهية فى الارزاق مقسومة تدق الابواب فى امن بالقدر امن
من الكدر لانه تعالى قال فى كتابه العزيز فى سورة هود وما من دابة
فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها وقال تعالى
وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم
فى سورة العنكبوت فان الرزق ليطلب صاحبه كما يطلبه اجله
فلا مخلص من الرزق كما انه لا مخلص له من الاجل فيجب على المؤمن
الموحد ان يتفكر دائما انه هل يطيع ربه بما امره من الصلوة والزكوة
والصيام والقيام والشهادة والعبادة هل فعل ما امره اولا ويتفكر
انه يخرج من الدنيا البتة لكنه سعيدا ام شقيا فان كان الاول
فنعم هو وحاله فى اعلى عليين فان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون
فى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك
وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها
المقربون اللهم اجعلنا من اهل السعداء الشاكرين الذين
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وان كان الثانى فمعاذ الله وبرزت
الجحيم للغاوين وهيئت النار والعذاب والعقاب للطاغين
فنزل من حميم وتصلية الجحيم ان هذا لهو الحق وبالتفكر اليق واحق
ثم ان يتفكر كيف حاله فى القبر وهو آخر منازل الدنيا واول
منازل الاخرة فانه اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر
النيران فان كان الاول ففيه حور وغلمان وولدان وملئكة
ورضوان والمخلوقات الحاصلة من العبادات والطاعات والتلاوة
والاعمال الصالحات فيبشره الملائكة بالجنة والجمال فى الحال

والمآل والروح والراحة والاحسان في نعيم دار الجنان وان كان الثاني نعاذ الله فرفيقه حيات وعقارب وعذاب وعقاب فيعذب الى يوم القيام ما دام النور في الظلام والى ما بعده ثم ان يتفكر في احوال العرصات وكيفية صدوده من قبره فالمومنون الكاملون المخلصون يلبسون الخلعة الفاخرة والتاج السعادة مع الخدمة الحاصلة من الاعمال الصالحة والعساكر المبالغة الوافرة كانه سلطان من السلاطين فرب راء يظن انه نبي من الانبياء العظام او ملائكة من المقربين الكرام على البراق راكب والى الحق والجمال راغب واما الكافرون والمنافقون والفاسقون العاصون فانهم يبدلون عن صورهم الاصلية الى صور الخنازير والقردة والى انواع المصائب واصناف المعايب مع كثرة العذاب ووفرة العقاب فعذابه في العرصات فوق العذاب والنار احاطت جوانبه الاربعة والصراط امامه اقطع من السيف وادق من الشعر اللفيف والزبانية وخدمتهم وحيات النار وعقاربها وكلابها وجميع ما هي وخلق للعذاب يهجون من اطراف العصاة كالذياب والاغنام للعقاب فبعضها يضربون بانواع الآلات الضروب المستعملة في القتال والحروب كلها خلق من النار كانهم نار اخرى فبعضها يبتلعهم فيقعون في جوفهن كانهم سقطوا في حفر النار فيعذبون فيها فبعضها يفرقون اجزائهم ويسحقون رؤسهم فبعضها يلدغون بالتسميم ويتوجعون في كل مرة سبعون سنة وهكذا يبقون في المحشر في العذاب والعقاب خمسين الف سنة فياتيه الموت في يوم الفترة في كل مكان وما هم بميتين فللكافرين المعاندين والمنافقين المتمردين لهم عذاب شديد وللفاسقين المخالفين

والغافلين الغير المبالين لهم عقاب حديد فيتمنون الموت وهو مذبوح يوم الحشر والعرصات ليعرفون اهل الجنان خلودهم فيها واهل النار خلودهم فيها وبعد تمام مدة المحاسبة وعدة المنازعة والملاو مترفا الكل ينكرون والجوارح تشهدون من الاعضاء العاملة والجوارح الفاعلة من الالسنة والايدي والارجل والاذن والبصر والفؤاد والجلود فقالوا لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة ولكن ظننتم ان الله تعالى لا يعلم وذالكم ظنكم الذي ظننتم فاصبحتم من الخاسرين فيسوق الزبانية بالضروب الشديدة والعذاب العديدة نحو الجسر الممدودة فوق النار الموقدة فاهل السعادة لا يلاقون بل يدخلون الغرف تحت العرش متكئين على الارائك وعلى الفرش وينظرون فوقهم على احوالهم العسيرة ويشكرون على نعمهم وحالاتهم اليسيرة فقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدينا الله فكيف الحال في النار السموم من العذاب المقيم انها عليهم موصدة في عمد ممددة فيجب التفكر على المؤمن الكامل بان هذه الضلالة لا تكون الا من الشيطان الرجيم او من النفس الامارة لانهما اعدى اعداء الانسان الامارتان بالسوء والفحشاء والمنكر ومن سوء القرين من الانسان من شياطين الانس وهو اشد من شياطين الجن فانا اذا نعوذ فر دون الاول فيكون كل منهما سببا للعذاب الدائم ابد الابدين والعقاب القائم دهر الداهرين فاذا قال العلماء رحمهم الله يلزم على المؤمن ان لا يتفكر في ثلاثة اشياء الاول في الفقر لانه يكثر الغم ويزيل الحرص والارتكاب والثاني في طول العمر لانه يصير سببا لجمع الدنيا الفانية وتاخير اعمال الآخرة الباقية والثالث في الظلم فانه

يسوّد القلب ويورث الحقد والحسد والغيظ لاصدقاء الله والحب
لاعداء الله روى عن مكحول الشامى رضى الله عنه انه قال من علامة اهل السعادة
ان كل مؤمن ان يحاسب نفسه فى كل صبح ومساء مما عمله من الخير
والشر فان كان الخير كثيرًا فيسارع الزيادة عليه وتنقيص بقية
الشر بالتوبة والرجوع والاستحلال ورد المظلمة لان الله تعالى
امر بالسرعة الى المغفرة والجنة التى اعدت للمتقين وامر بالتقوى
عن النار التى اعدت للكافرين وامر بالاستعاذة عن شر
الشيطان والنفس الامارة بالسوء سوء القرين فانهما من جاسوس
الشيطان فاستخبر منهما حاله ثم يوسوس على ما استخبر منهما
فلهذا امر عباده المؤمنين المخلصين بالتعوذ بقوله برب الفلق
من شر ما خلق اى من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائنًا ما كان
من ذوات الطبايع والاختيار وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور
واضافة الشر اليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج
المواد المتباينة المستتبعة للكون والفساد واما عالم الامر الفلق
من المخلوق فهو خير محض منزه عن شوائب الشر بالمرة فالكل يفعلون
ما يؤمرون فهذا المعانى كلها على كون ما موصولة مقدر الضمير
ويحتمل ان يكون مصدرية او زائدة للتاكيد ولا يجوز ان يكون
شر منونًا على قراءة الامام الاعظم نعمان بن ثابت الكوفى فى بغداد
وما مصدرية على هذا والفعل بتاويل المصدر فى موضع الجر
بدل من شر اى شر خلقه او من خلق شر وانما لا يجوز ان يكون
نافية لفساد المعنى لانه يعلق ما خلق ويقدم ما خلق على تقدير
النفى مع انه لا يقدم ما بعد النفى على النفى لان الكلام راجع
الى النفى بعد ما كان مثبتًا ودعاء متعوذًا عن الموجود وخلق بمعنى

المخلوق

المخلوق ووجود العالم خلق بالحق والخير وكونه شرًا اما اختيارى
كظلم الظالم وكذب العالم وكفر الكافر وطبيعى كاحراق النار
وابراد الجمد واهلاك السم والسموم فالمعنى اعوذ من شر شرير المخلوقات
باختيارهم من الثقلين ومن ظلم الظلمة وضرب الضربة ولدغ اللادغة
والعض والسباع والحشرات فانهم شرور فى انفسهم اختياريًا
كان او طبيعيًا ويحتمل ان يدخل فى الاشياء الضارة الاسقام والايام
والالام والغموم والهموم والامور الشاقة المهلكة فانها تسمى شرًا
ايضًا لكونها موذية فى الطباع وان كان حقًا وصوابًا بالنسبة الى
الحق لان جميع الموجودات مخلوقة بخلقه تعالى للاختبار والابتلاء
وفيه ايماء الى ان جميع الموجودات تصلح للشر كما تصلح للخير لاجراء
لاجراء الابتلاء واجراء الاختيار مفوضة الى صرف الاختيارات
الجزئية التى ليست بمخلوقة موهوبة لصاحبها اظهارًا للاجودة
الموعودة فى مقابلتها ابرادًا السعادة او الشقاوة على مقتضى
الصرف وتخليصًا عن الزعم الجبرية فى مقابلة الايتمار بالاوامر
والانتهاء بالنواهى منزهًا عن الحكم العبثة والنعم الخالية عن
الحكمة البديعة فالله سبحانه وتعالى ربط وعلق المسبب الى السبب
وقدر الاشياء فى الازل بمقدارها وارسل الرسل بالكتب
الالهية والانبياء عليهم اعلى الصلوات بالوحى الالوهية مع الاشتمال
على الاوامر والاضمحلال فى النواهى متضمنًا على الاسرار ومفوضًا
على الابرار ومقررًا فى كتابه الحميد بقوله افحسبتم انما خلقناكم
عبثًا وبقوله ما خلقناهما الا بالحق اى بسبب الحق الذى اقتضاه
الدليل من الايمان والاذعان والطاعة والاحسان والعطاء
والجزاء فانه لو لم يكن البعث والحشر والجزاء والنشر لكان خلق الخلائق

ولا امر بالاوامر والنهى عن النواهى خالية عن الاسرار الالهية والحكم
البالغة وانتظام اسباب المعاش فى الدار الفانية وارتباط احكام
المعاد بصرف الارادات الاختيارية على الاعمال المتعلقة على
السعادة الابدية وعدم جبر العباد على السعادة والشقاوة على
اقتضته المرادات العلية من اعطاء الجنان ونعيمها وايتاء النيران
ونقمها والتميز بين المطيع والمنقاد والكافر العنيد والعاصى
والحساد لتوفى كل نفس بما كسبت باختيارها احد الطرفين موافقا
لما قدر وعلق فى الازل والازال فى الحال والمال وفى هذه الاسرار
حكمة بالغة ولا تدار اسرار الهية وهذا اصح المذاهب واعلى
المطالب كما هو مذهب اهل السنة ومسلك اهل الجماعة وعليه
اجماع الامة المرحومة فمن اراد التفصيل فليرجع الى الكتب الكلامية
ومن شر غاسق تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما
قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه
ولان تعيين المستعاذ منه ادل على الاعتناء بالاستعاذة وادعى
الى الاعاذة من غسق الليل اذا اقبلت ظلمته من المشرق فدخل فى النهار
كما قاله ابن عباس رض ومقاتل رح فى تفسيرهما واصله الامتلاء
كما يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وقيل
انصباب الظلام قال فى ديوان الادب غسق الليل
اذا اظلم واشتد ظلامه اذا وقب اى من شر ليل اذا دخل ظلامه
واشتد فى كل شىء لان حدوثه فيه اكثر والتحرز منه اصعب
واعسر فلذلك قيل الليل اخفى للويل فلذا اشتهر بين الفصحاء
الويل يخفى تحت الليل كما يؤيده اضافة الشر الى الليل لملابسته
بحدوثه فيه وتنكيره لعموم شموله لجميع افراده ولا لكل اجزائه

وتقييده بالوقوب وهو دخول سواد الليل فى ضوء النهار ويقال
وقب اذا جاء واقبل وادبر وروى عن عكرمة رض انه قال يرسل
فى تلك الساعة عفاريت من الجن وتنتشر فى البيوت والمساكن
كما روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان جنح الليل فكفوا
صبيانكم فان الشياطين تنتشر فاذا ذهب ساعة من العشاء
اغلق بابك واذكر اسم الله تعالى عليه واطف مصباحك واذكر
اسم الله واوك سقاءك واذكر اسم الله وخمر اناءك واذكر اسم الله
رواه البخارى ومسلم وابو داود والترمذى وفى رواية اذا دخل
الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان
لا مبيت لكم ولا عشاء فاذا دخل ولم يذكر الله تعالى عند دخوله
قال الشيطان ادركتم المبيت فاذا لم يذكر الله عند
طعامه قال الشيطان ادركتم المبيت والعشاء رواه ابو داود وفى
رواية واذا دخل بيته فليقل اللهم انى اسئلك خير المولج
وخير المخرج بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا
وعلى الله ربنا توكلنا رواه الامام الطبرانى فى الاوسط وابو الخير
الجزرى فى كتاب حصن الحصين فيلزم على كل مؤمن ان يتعوذ
منها ويغلق الابواب بذكر اسم الله تعالى فاذا وجدوا الابواب
المغلقة بغير البسملة دخلوا والا فتوجهوا الى المقابر وقال
بعض المفسرين المراد بالغاسق هو القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله
فى الخسوف واسوداده بدليل الحديث الذى روته عايشة
الصديقة رضها انها قالت قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
يا عايشة اتدرى ما هذا القمر هذا الغاسق اذا وقب اى غاب
وامتلاء نورا فتعوذى بالله من شره وفى رواية عن سلمة رض

عن عايشة انها قالت اخذ النبي صلى الله تعا عليه وسلم بيدي فنظر
الى القمر فقال يا عايشة استعيذي بالله من شر غاسق اذا وقب
فعلى هذا المراد بالقمر اذا خسف واسود ووقب اي دخل في الخسوف
واخذ في الغيبوبة وقال ابن زيد الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها
لانها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين وترتفع عند
طلوعها وقيل هو كل شر يعتري الانسان ووقوبه هجومه وقيل
سمي الليل غاسقا والغسق البرد وهو ابرد من النهار ومن شر
النفاثات في العقد اي ومن شر النفوس والنساء السواحر التي
يعقدون عقدا في الخيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق
وقيل بدون ريق وقرئ النافثات كما قرئ النفاثات بغير الف
وتعريفها اما للعهد او للايذان بشمول الشر بجميع افرادهن
وتخصيصهن بالذكر لما روي عن ابن عباس وعايشة رضيهم انه كان
غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله تعا عليه وسلم وكان عنده
اسنان من مشطه صلى الله تعا عليه وسلم فاعطاها اليهود فسحروه
عليه الصلوة والسلام فيها وتولاه لبيد بن الاعصم اليهودي وبناته
وهن النافثات في العقد فدفنها في بئر اريس فمرض النبي صلى الله
تعا عليه وسلم فنزل جبرئيل عليه السلام بالمعوذتين واخبره بموضع
السحر وبمن سحره وبم سحره فارسل صلى الله تعا عليه وسلم
عليا كرم الله وجهه والزبير والعمار رضيهم فنزحوا ماء البئر وهي
كانه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوفة البئر وهي الصخرة التي توضع
في اسفل البئر فاخرجوا من تحتها الاسنان ومعها خيط فيه احدى
عشرة عقدة مغروزة بالابر فجاؤا بها النبي صلى الله تعا عليه وسلم
فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ اية انحلت عقدة ووجد

صلى الله تعا

صلى الله تعا عليه وسلم خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة عند تمام
السورتين فقام صلى الله تعا عليه وسلم كانما انشط من عقال فقالوا
يا رسول الله افلا نقتل الخبيث فقال اما انا فقد عافاني الله عز
وجل وكره ان اثير على الناس شرا قالت عايشة الصديقة رضيها
ما غضب النبي صلى الله تعا عليه وسلم غضبا ينتقم لنفسه قط الا ان
يكون شيئا هو لله تعا فيغضب لله تعا وينتقم وقيل المراد بالنفث
في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعارا من تليين العقدة
بنفث الريق ليسهل حلها في رواية فبينما رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم بين النوم واليقظة اذا اتاه ملكان احدهما جلس عند
راسه والاخر عند رجليه فقال الذي جلس عند راسه للاخر ما باله
قال سحر محمد صلى الله تعا عليه وسلم فقال من سحره قال لبيد بن اعصم
في مشط وهو تحت راعوفة البئر وهي خشبة تبنى عليها البئر في ذروان
وهو اسم موضعه قال فما دواؤه قال يخرج المشط من البئر ويحرق
بالنار فيبرؤ ان شاء الله تعا فاستيقظ النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فبعث عليا وعمارا فنزحا فاذا فيها صخرة فقلعاها وتحتها كوبة
وهي كوز سقط عنقها فاذا فيه مشاطة راسه صلى الله تعا عليه
وسلم اي شعرات راسه وتر معقد فيه احدى عشرة عقدة فكلما
قرا اية انحلت عقدة ووجد صلى الله تعا عليه وسلم خفة حتى
انحلت كلها ثم احرقها بالنار فقام فكانما انشط من عقال
فبرئ رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم وفي هذه دليل على ان
الرقية جائزة اذا كانت بذكر الله تعا وكتابه العزيز اذ فيه شفاء
لما في الصدور ودواء له وفيه دليل ايضا على ان تاثير السحر
بخلق الله تعا حق واقع بالتعليق الازلي بصرف الاختيار

الجزئي الموهوب للعباد تمييزاً بين السعداء والاشقياء والزاماً
لاهل الفساد يوم التناد حتى ان من اعتقد التأثير من السحر
دون خلقه تعالى يكفر للتشريك وهو خالق الاشياء خيرها وشرها
وما عداه مخلوق له وفيه رد لاقوال المعتزلة خذلهم الله فانهم
ينكرون السحر المثبت بالنص القاطع ويقولون ان هذا افتراء منه
صلى الله تعالى عليه وسلم لا لتأثيره وسببيته وهذا انكار بالنص
القاطع وكفر وضلالة فان امثاله في القرآن كثيرة في قصة موسى
صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه مع فرعون حيث نسب
معجزاته وحمل على السحر وقال اصحاب فرعون له أرجه وابعث
في المدائن يأتوك بكل سحار فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقوله
تعالى فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون
فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون فالقي السحرة ساجدين
قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون فامثاله في الآيات
العظام كثيرة لا يسعه التأويل الا التكفير فنعوذ بالله من شرور
انفسنا ومن شرور السوء القرين ومن الشيطان اللعين فمعنى
الاستعاذة من شرهن هو الاستعانة من الله العليم القدير
من الاعمال التي خصت لهن ومن سببيتها بخلقه تعالى ومن صرف
اراداتهم والعباد واعمالهم مخلوق لله تعالى وحده لا شريك له غير ان
العباد كاسب فلا يتوجه من طرف اهل الاعتزال لزوم المقدور
الواحد تحت القدرتين لاختلاف تعدد الجهتين بالكسب
والخلق وانما محالهما من جهة الاتفاق فاذا تغايرا ثبت الارادة
الجزئية التي هي سبب الكسب والجزاء والسعادة والشقاوة
ومن شر حاسد اذا حسد اي اذا اظهر ما في نفسه وعمل بمقتضاه

بتقديم

بتقديم مقدمات الشر ومبادي الاضرار بالمحسود قولاً وفعلاً
والتقييد بذلك لما ان ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لا غير
بل يخص به لاغتمامه بسروره وانما خص لانه العمدة في اضرار
الناس بل الحيوان بل غيره وانما نكر لان كل حاسد لا يضر كحاسد الخير
قيل هم اليهود بحيث حسدوا على نبوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو خبث الطبايع ودناءة الجبلة ونهايته يؤدي الى التجهيل وهو
كفر وضلالة وشرك وغواية وعدم الرضاء بالقدر والقضاء
على ما آتيهم الله من فضله فالله عالم العاقبة والغيب والشهادة
فانه عليم بذات الصدور وحكيم لعاقبة الامور اذ فيه حكم اسرارية
ونعم الهية لا يعرف العباد اكثرها ولا يقف على ما هو فيها قيل اول
الحساد عزازيل بحيث حسد ابا البشر آدم صفي الله صلوات الله
على نبينا وعليه في الجنة فسقط عن رتبته فصار ملعوناً وشيطاناً
وثاني الحساد ابن آدم قابيل بحيث حسد على اخيه هابيل فقتله
فصار مجوسياً كافراً فحارب اباه آدم الى موته مع اخوته فصاروا عابدين
النار في الجبال ولم يمت في حيوة ابيه آدم عليه السلام فوصى ابنه
شيث عليه السلام بعزمه بالدعاء عليه فدعى اخوه عليه ومات
كافراً ومجوسياً وانما خص شر هذه الثلثة بعد شر ما خلق مع
انه عام في كل ما يستعاذ منه لان شر هؤلاء اخفى واشر من كل شر
فانه يلحق الرجل من حيث لا يعلم فيهلك بغتة قال بعض العلماء
الحسين بن الفضل في تفسيره جمع الله الشر في هذه السورة وختمها
بالحسد ليعلم انه اشر لانه انما يصدر من اخس الطبايع واقبحها
ويصدر ممن لا يرضى بالقضاء والقدر ويقبل جميع المكر وهات
حتى الكفر كما ان الشيطان كان كذلك مع انه كان رئيساً للملائكة

والحور والغلمان من خدمة السموات والجنان مقدار الف سنة
مما تعد في الدنيا فان يوما عند اهل الاخرة كالف سنة فنعوذ
بالله من شرور الفساد كما صرح في المعالم وروى عن عقبة بن
عامر الجهني رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الا اخبركم بافضل ما تعوذ المتعوذون قلت بلى قال
صلى الله تعالى عليه وسلم قل اعوذ برب الفلق قل اعوذ برب الناس
وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الم تر آيات الليلة
لم تر مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق قل اعوذ برب الناس

سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

وروى عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم لقد انزل علي سورتان ما انزل مثلهما قل اعوذ برب
الفلق قل اعوذ برب الناس وانك ان تقرأ سورتين احب
ولا ارضى عند الله منهما وقال النبي رضي الله عنه على عثمان بن عفان
رض فعاده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال صلى الله تعالى
عليه وسلم عليك بالمعوذتين فما تعوذ بافضل منهما رواه ابو
المعين عمر النسفي في تفسير التيسير رح وهذه السورة مدنية
وهي ست آيات وعشرون كلمة وثمانون حرفا وانتظام
السورتين انهما في الاستعاذة وانتظام هذه السورة هي
ختم القرآن بالفاتحة التي هي افتتاح القرآن ان الفاتحة في بيان
التوحيد وسؤال الثناء عليه وهذه السورة في الاستعاذة
من الشيطان لئلا يزيلك عنه ومن الاسرار الالهية ان جميع
القرآن في بيان التوحيد اما صراحة او ضمنا او امارة وهي ذكر

الوعد في اهلها بالاعمال الصالحات والعبادات والطاعات
وذكر الوعيد في اصحابها بافعال الطاغيات والباغين والباغيات
ومدح الاول مع ذم الثاني وسورة الاخلاص في ذات الله
القديم وصفاته الكريمة والمعوذتان في الاستعاذة ممن قصد
الاذلال والازالة عن التوحيد له تعالى قل اعوذ برب الناس
اي اعتصم واستجير بمالك امور العباد ومربيهم باضافة ما يصلحهم
ودفع ما يضرهم من الاشرار العامة البشرية والمضار البدنية
الانسانية الخاصة له وخص التربية بالناس مع انه اشمل
للجميع نظرا الى الاكرمية من بينهم كما اظهر هذا السر المختوم
في قوله العزيز مقرونا بالقسم العزيز ولقد كرمنا بني آدم لانه
تعالى لما عرض التكاليف الشاقة على السموات العلى والارضين
والجبال والاشجار وجميع ما بينهما وتحتهما من الثرى الى الثريا
فلم يقبلنها وابين ان يحملنها وحملها الانسان مظهر الكرامة الله
ومؤتمرا باوامر الله ومنتهيا بنواهي الله ثقة على مواعيد الله واعتمادا
على عنايته فلذلك توكل المخلصون فبقوا في العبودية والديانة
ووفى المتقون الايمان والامانة فكانوا اكرم الموجودات
وافضل المخلوقات في الكونين بنيل الدرجات في الجنات
والغرف العاليات وتشرف الجمال على الكمال في الحال والمآل
وذا لا يتيسر الا للمخلصين له الدين وهم في الكرم والعطاء
والاحسان الى يوم الدين والى ما شاء الله فلا حول ولا قوة الا بالله
كما يؤيده قوله تعالى وما امروا اي ما امرهم الله تعالى حين آمنوا
وقبلوا الامانة الكبرى بارسال رسولي وانزال كتابي مشتملا
على الاوامر الشاقة والنواهي الحاقة الا ليعبدوا الله اي ليدوموا

علي اظهار المأمورات واجراء العبودية بالعبادات والطاعات
كما هو حق الله تعالى على عباده المؤمنين الموقنين والمطيعين واعطاء
الجنة الموعودة فضل من الله تعالى وكرم منه والا فلا يقدر على سواه
قبل ان يشكر على نواله فان العبودية لازمة في ذمته لخلق النار
للاحراق والابراد مثلا لكن الله الكريم وعلى عباده رحيم وعد
في مقابلة العبودية السعادة الابدية والسلامة السرمدية في الدنيا
والاخرة فلذا لم يتجاسر واكبراء الامة وعظماء الاولياء من اهل
السنة والجماعة ويظهرون قصورهم من العبودية وكسورهم
في الصدورية في العبادات والطاعة ويرجون الاعتاق من النيران
لوفور القصور في العبودية والاحسان فاشار الى هذه الاسرار
الحكمية المختومة بقوله مخلصين له الدين اي حال كونهم مخلصين
فيما امروا به ويزيلون ما يخالف دينهم ومذهبهم ويبقون
ما يوافق تقويهم ومشربهم من الاعمال الصالحات الخالصات
من الشك والريب واختلاط الهوى من اعمال الدنيا مع انها
بقيت فيها وهذا العابد في حضوره المعنوي فيلزم ويجب
عليه ما يناسب الحضور الابدي بترك الافكار الفاسدة
والاراء الكاسدة ويتفكر ما يوافق الديوان المعنوي بان سادتنا
اعتذروا بعدم العبودية وكثرة القصور ووفرة الكسور وقالوا
ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
وقالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك يا معبود وما شكرناك
حق شكرك يا مشكور فلا يقدر احد من الاحاد وفرد من الافراد
ان يعبدك موافقا للعظمة ومطابقا للجلالة مع ان رتبتهم
عندك كبيرة ودرجاتهم رفيعة وانا من الضعفاء المحتاجين

ومن الفقراء

ومن الفقراء العاجزين فلا يصدر من العجزاء الا العجز والتقصير
وانا مأمور بلا وآمر بلا تمادو النواهي بلا انتهاء فحالي كحالي وما لي
مالي وان لم اكن استحق بحالي لكن ارجو بعدلك العالي فلا خلف
لوعدك للمؤمنين المخلصين وانا منهم بغير ان تخالي فالحمد لله الذي
هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله فالمغفرة موعودة لنا
ولا رب لنا سواك ولا اله لنا غيرك ربنا اغفر لنا ذنوبنا واستر لنا
عيوبنا انت مولانا وان تغفر فانت اهل لذلك وان تطرد
فمن يرحم سواك فانت ارحم الراحمين للمذنبين العاصين فهي لنا
ولا لك بسوى عجزنا فهذا معنى الاخلاص في العبادات المأمورة والطاعات
المأمولة بالافعال الموافقة والاعمال المطابقة من الظاهرة
والباطنة فمن اعظم التوفيق ان يعرف المؤمن قدره ولا يضيع
سعيه وقدره وكثر دعاءه ورجا قبوله ووفر الصلاة والسلام
على النبي المصطفى والرسول المجتبى عليه من الصلوات اعلاها
ومن التحيات ازكيها وانميها اذ الدعاء بين الصلوتين لا يرد كما
جاء هكذا في الحديث على ما رواه الداراني والقاضي عياض
في الشفاء وورد في الحديث الاخر لما روي عن عمر بن الخطاب
رض انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كل دعاء محجوب
دون السماء فاذا جاءت الصلوة على صعد الدعاء رواه الترمذي
وروي عن ابي فراس رض انه قال قال نادى رجل فقال يا رسول الله
ما الايمان فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الاخلاص وفي رواية قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوني عما شئتم فنادى رجل يا رسول الله
ما الاسلام قال اقامة الصلوة وايتاء الزكوة قال فما الايمان قال
الاخلاص قال فما اليقين قال التصديق رواه الامام البيهقي

رح وروى عن ابي امامة رضى انه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال رأيت رجلاً غزى يلتمس الاجر والذكر ما المدح
ماله فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا شىء له فاعادها
ثلاث مرات يقول لا شىء له ثم قال ان الله عز وجل لا يقبل من
العمل الا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه رواه ابو داود والنسائى
باسناد جيد وروى عن ابي الدرداء رضى عن النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم انه قال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما ابتغى به وجه الله
رواه الطبرانى باسنادٍ لا بأس به وروى عن ابن عباس رضى
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من اخلص لله اربعين
يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه رواه رزين
فى كتابه وقال سعيد بن جبير رضى الاخلاص ان يخلص العبد
دينه وعمله لله ولا يشرك به فى دينه ولا يرائى بعمله احداً
وقال يحيى بن معاذ الاخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز
اللبن من الفرث والدم وقال الامام فضيل بن عياض رح ترك
العمل من اجل الناس رياء والعمل لاجل الناس شرك والاخلاص
ان يعافيك الله عنهما وقال الاخر حقيقة الاخلاص ان لا يحب
العبد ان يحمد على شىء من اعماله وان يستوى عنده الحضور
والغيب عن الناس والظاهر والباطن وفى الخبر انه قال سألت
جبرائيل من الاخلاص ما هو فقال جبرائيل سألت رب العزة
عن الاخلاص ما هو فقال الله تعالى هو سرٌّ من اسرارى استودعته
قلبَ من احببتُ من عبادى لا يعلمه ملكٌ فيكتبُه ولا شيطانٌ
فيفسده ولا هوآءٌ فيزيله ولا يطلعُ عليه الانسانُ فيشيبُه
وروى عن معاذ بن جبل رضى انه قال حين بعث الى اليمن

يا رسول الله اوصينى فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخلص
دينك يكفيك العمل القليل رواه الامام الحاكم فى المستدرك
وروى عن ثوبان رضى انه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يقول طوبى للمخلصين اولئك مصابيح الهدى ينجلى عنهم
كل فتنة ظلماء رواه البيهقى رح معناه السعادة الابدية
والدرجات العلية والبقاء فى الدولة السرمدية من النعم
والسرور والغلمان والحور والاطعمة اللذيذة والالبسة
العزيزة والغرف الرفيعة فى روضات النعيم وجنات مقيم
لمن اخلصوا فى المامورات من العبادات والمكلفات من الطاعات
من الصلوة والزكوة والحج والشهادة والصيام والقيام من الفرائض
والنوافل اولئك الذين هم داوموا فى الاخلاص وبرؤا عن الرياء
والسمعة فهم سراج الدين والهداية من البداية الى النهاية فتنكشف
عن نورهم كل فتنة ظلماء فينتفع هو وغيره من المصائب الدنيوية
والمعايب الاخروية فيكون خير الناس لانه انفسهم واحسنهم
وما اصاب على اهل الضلالة من العذاب والمصائب والعقاب
والمعايب فاهتدوا بنور الهداية والشريعة الغراء والسمحة
والطريقة البيضاء فنالوا بما جالوا وخلصوا اعمالهم فافهموا وفيه
من الاستعارة كما لا يخفى واصل الناس نيس مقلوب نسى
من النسيان او اصله من النوس لدلالة التصغير على نويس
وهذا ميزان العلوم بكون المادة واوياً او يائياً عند اهل
اللغة بالاتفاق سوى الامام سيبويه فان عنده اصله اناس
بدليل النص مع حذف الهمزة كما فى قوله تعالى يوم يدعو كل اناسٍ
بامامهم الخ ملك الناس عطف بيان للرب اى مالكهم يفعل بهم

مايشاء بغير اذن وايذان ويحكم فيهم مايريد ولا يسئل عما
يفعل وهم يسئلون ولا يفعل احد عنده الا باذنه فلا معقب
لحكمه اذ المخلوق لا يقدر الا باقدار الخالق وهو القاهر فوق
عباده فالله غالب على امره غفور لمن تاب وامن وعمل صالحا
واناب وذو عقاب لمن طغى واثر الحيوة الدنيا والفانية على
الباقية فالكل مجزيون باعمالهم ان خيرا فخير موعود وان شرا
فشر مردود فلا يخلف الميعاد وانما جيء بالبيان ان تربيته
تعالى ايهم ليست بطريق تربية سائر الملاك لما تحت ايديهم
من مماليكهم بل بطريق الكامل والتصرف الكلي والسلطان
الظاهر القاهر وكذا قوله اله الناس فانه لبيان ان ملكه تعالى
ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير امور سياستهم
والتولي لترتيب حفظهم وحمايتهم كما هو حال الملوك الفانية
بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الحكم الالوهية
المقتضية للقدرة التامة الازلية على التصرف الكلي فيهم
احياء واماتة وايجادا واعداما وتخصيص الاضافة بالناس
مع انتظام جميع لوازم العالم في مسلك الربوبية وملكوت
الالوهية للارشاد الى الاستعاذة المرضية عنده تعالى
الحقيقة بالاستعاذة فان توسل العائذ بربه وانتسابه
اليه تعالى بالمربوبية والمملوكية والعبودية في ضمن جنس
من الانسان هو فرد من افراده من دواعي مزيد المرحمة والرأفة
وامره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالاعاذة لا محالة
ولان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بالعداوة للناس
ففي التنصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى وملكوته

رمز الى انجائهم

رمز الى انجائهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق
قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فمن جعل مدار تخصيص
الاضافة مجرد كون الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس
البشرية فقد قصر في توفية المقام حقه واما جعل المستعاذ
منه فيما سبق من المضار البدنية فقد عرفت حاله وتكرير
المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالاضافة
وقال بعض الاساتذة من المفسرين رح وانما ذكر الله تعالى
في هذه السورة خمس مراتب الاول المراد بالناس الاطفال لدلالة
الربوبية عليه والثاني من الناس الشباب لدلالة السياسة
المخصوصة بالملك والثالث من الناس الشيوخ لدلالة الاله
المنبئ عن العبادة فلا وظيفة للشيوخ سوى اظهار العبودية
عن صميم البال لتقرب الحال الى المآل مع ان هذه الحركات
لازمة لمن ولج ومكث مدة عمره وخرج البتة لان الكل من
النفوس ذائقة الموت سواء كان شابا او شيبوبة والرابع
من الناس الصالحون بدلالة المجاهدة التي لا يوجد الصلاح
الا بها والخامس المراد من الناس المفسدون لدلالة تبعية
الوسوسة وتقرب الوسوس فالاله خاص والرب والملك
عام لان الرب يطلق على السيد ولو مجازا والملك يطلق على
غير الاله ايضا مجازا فاطلاقهما عليه تعالى ايذان بان الربوبية
والملكوتية والجبروتية والالوهية حقيقة فيه تعالى بان النعم
الظاهرة والباطنة كلها منه تعالى وهو القاهر فوق عباده
فلا ينازعه الا المقهور ولا يجادله الا المحقور كالنمرود وفرعون
وشداد فجازيهم باضعف جنوده كالبعوضة والقمل والضفدعة

فاتوا كافرين ملعونين مهلكين فالله سبحانه وتعالى رب العالمين
وملك الدارين من الموجودات والمصنوعات اجمعين وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد فى الاولى والاخرة فجميع الاشياء
ملكه وما عند المخلوقات امانة مسؤل الكل عنه وعارية محسوب
عن الرعية فالدولة الابدية لمن فكر وفهم موضوع الخلقة
والسعادة السرمدية لمن ملك بالفانية الى الباقية فقدم ما تملكه
من القوة المالية والبدنية واتقى من الله تعالى افعاله واقواله
واعماله واحواله ورحم الله عبدا عرف قدره وعلى قدره قدره
وراعى ايمانه وحفظ عهده وايمانه كيف كان وكيف يكون
الحال فى المآل فيكون من المتقين المكرمين فمن اراد ان يعلم
حاله عند الله فى الاخرة فليكن متقيا فان الاكرم عند الله الاتقى
لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم فيكون سلطانا ومحبوبا
فى الدارين ومرغوبا فى الكونين عند الله وعند الملائكة والانبياء
والاولياء الكرام اجمعين فالواجب على العباد المربوب ان يعرف
حق الله تعالى من العقايد الحقة اللايقة للرب الرحيم من عقايد
اهل السنة والجنة والجماعة ويجتنب عن العقايد الباطلة
لئلا يكون من اتباع الشيطان الرجيم من عقايد اهل البدعة
والغواية والضلالة ويعرف حق النعم التى هى اعظم العظمى
واكبر الكبرى وليس شئ من السموات العلى والارضين السفلى
وما يشتملان بهما الا وهو الدولة الابدية والسعادة السرمدية
وهو اعظم النعم الايمان بوحدانية الله عز سلطانه وقوى برهانه
بالاقرار باللسان والتصديق بالاذعان فى الجنان ويجتنب
عما يزيله ويضره ويقوى بالاعمال الخالصات نواحيه من آفات

الشيطانية وعاهات النفسانية بالاعمال الخالصات والعبادات
الصالحات من الظاهر والباطن ويداوم فى شكره مرور الساعات
والايام والدهور وعبور الآنات والاعوام والشهور فان شكر النعم
يزيدها ويثمرها ويبقيها وكفرانها يزيلها ويفنيها وهذا الحال
من توفيق الربانية فى الدنيا والاخرة اللهم ثبت اقدامنا
فى هذه الدولة العلية والعناية السبحانية فانصرنا على الاعداء
الشيطانية بالنصرة الربانية والعزة السلطانية ثم يعرف
قدر النعم التى تحت الاولى وهى الصحة البدنية وعافية
الاعضاء الوجودية ثم النعم التى بعدهما فلا تعد قريبها
وبعيدها فى عد العادين ولا تحصى قليلها وكثيرها فى حد الحادين
برعاية موضوعها وصيانته مرفوعها وامانة منصوبها ومخفوضها
فلذلك خص الناس بهذه النعم الجليلة والشيم الجميلة
تشريفا لشانهم وتشفيقا على استعاذتهم من شر
الوسواس هو اسم بمعنى الوسوسة وهو الصوت الخفى الذى
هو ما يلقى الشيطان به فى فؤاد المؤمن اذا غفل عن ذكر ربه
فيكون الوسواس كالزلزال بمعنى الزلزلة والوسوسة بمعنى
ذى الوسوسة التى يوصلها فى قلبه بما يضره دون النفع
من غير سمع السامع كالقوة الفهمية من القوى للحواس
الباطنة كما ان الزلزال بمعنى ذى الزلزلة وذى الحركة
وانما اريد الشيطان به للمبالغة كانه عين الوسوسة من قبيل
رجل عدل حمل ذو دون المواطئة واما على دواير الكسر
فهو المصدر فالمراد به الشيطان ايضا للمبالغة فلا يبعد
ان يكون المراد بمعنى الفاعل اى الموسوس واما الذى يلقى

من انواع الخيرات واصناف الحسنات فهو من الملك الذى وكل
على قلبه فيسمى الهاما ربانيا ووحيا الهيا كما اوحى على الانبياء
والاولياء الى النحل كما فى قوله تعالى واذا اوحيت الى الحواريين
ان آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا وفى قوله تعالى واوحى ربك
الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون
ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك الخ كما ان الاول
وسوسة الخناس المبالغ فى الخنوس والتاخر ولا ينفك
عن صاحبه فى الليالى والدهور والنهار والشهور فى الايام
والاعوام الى الموت والى القبور فللقلب بيتان يمين وشمال
ففى اليمين ملك جاثم يطرح ما فى السعادة فى الدارين
من انواع الحسنات مما يرضيه الله فيمحو السيئات وفى شماله
شيطان جاثم يلقيه ما هو شقاوة فى الدارين من اصناف
السيئات مما يبغضه الله فتزحزح عن الحسنات فالقلب
بينهما كالانائين فاذا كان صاحبه عارفا بالله وشاكرا النعم
الايمان والاسلام وسائر اطرافه من الاتقان والاذعان
والاحسان ومميزا بين الافعال الصالحة والاقوال اللائقة
والآراء الفائقة وبين الاحوال الصالحة والآراء الفاسدة
والافكار الكاسدة فاشتغل بالاوراد الوفيرة والاذكار
الكثيرة فى جميع الازمان من الايام والاوقات من الاعوام
فلم يضيع الساعات والشهور والآنات والدهور ويتذكر
بماله ويتفكر بما عليه فكيف الحال والشان بين الاولين
وما ينجر عاقبته فيما بين الآخرين من الانبياء العظام يوم
الحاقة والاولياء الكرام يوم القارعة موافقا باستعداده

الازلى

[illegible]

الازلى من السعادة الابدية ومخالفا للشقاوة الردية
فحينئذ خنس الشيطان وتاخر وتبعد عنه مدة دوامه
فى الذكر الجميل والفكر الجزيل وتيقرب الملك فيلهم بانواع
الخيرات وانوار الحسنات مما هو سبب الحيوة الابدية
والسعادة الصمدية فدام ما دام فيه فغلب الملك عليه
وكثرت خيراته ووفرت حسناته فبقى الملك معه الى الانتقال
بما يليق من الدرجات العاليات فى الغرف العاليات من الجنات
الرافعات فكان من الابرار فى العليين اللهم وفقنا فى امورنا
واهدنا فى طرق صراطك المستقيم مع الذين انعمت عليهم
واما اذا انقطع عن الذكر واشتغل بالشهوات الدنية
واللعبيات الدنيوية والاشغال التى لا طائل تحتها والافعال
التى هى عين الذنوب المبعدة عن الرضاء ولا فائدة فيها للعقبى
بل تقربه الى النار الموقدة فى العمد الممددة انها ترمى بشرر
كالقصر كانه جمالة صفر فح يتقرب الشيطان ويغلب
على الملك بالاعانة والاهانة ويلقى فى قلبه من انواع
الاراجيف الردية واصناف المفاسد الدنية مع استعداده
التامة فيتمايل اليه ويتقرر فيه ويتبعه اتباع المتبوع
فكان من جنود ابليس كما ان الاول من جنود الله وحزبه الا ان
حزب الله هم المفلحون الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون
فكان من الفجار فى السجين لما روى عن مالك بن انس رض
انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما من آدمى
الا لقلبه بيتان فى احدهما ملك وفى الآخر الشيطان فاذا
ذكر الله خنس واذا لم يذكر الله وضع الشيطان منقاره

فى قلبه ووسوس له رواه ابن حبان فى صحيحه ومالك بن انس
رض فى الموطاء وابو يعلى فى كتابه وروى عن انس رض انه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الشيطان واضع خطمه
اى انفه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله خنس اى تأخر واذا نسى
التقم قلبه رواه ابن ابى الدنيا من حفاظ الاحاديث وقال
الامام مجاهد رح هو منبسط على قلب الانسان اذا ذكر الله
خنس وقبض واذا غفل انبسط على قلبه ويقال له خنوش
كخنوس القنفذ يقال بالتركى كربى ويقال له ايضا رأسه
كرأس الحية واضع رأسه يحدث اذا لم يذكر وقال بعضهم
اخبث الوسواس للانسان شياطين الانس وهو اشد من
شياطين الجن فانه اذا تعوذ لا يفر بخلاف الثانى فانه يفر
كما فى قوله تعالى فى سورة الانعام وكذلك جعلنا لكل نبى
عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف
القول غرورا وذلك اشد من الوسواس الخناس الذى
يوسوس فى صدور الناس اذا غفلوا عن ذكر الله تعالى ومحل
الموصول اما الجر على الوصف واما الرفع او النصب على الذم
اى الذى يحدث ويوسوس فى قلوبهم ويسمع صاحبه مع عرفانه
ولم يعرف احد غيره من قرنائه ولا يخلص احد الا من الذى
خلصه الله تعالى من عباده المخلصين وليس له سلطان عليه
ولا يقربه الا احترق بنار الذكر فيفر منه فرار الغنم من الذئب
فضلا عن الوسوسة الخبيثة للخبيثين والخبيثات متأثرا
بآثار العبودية الخالصة فى السر والعلانية فى قوله تعالى
ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين

وان جهنم

وان جهنم لموعدهم اجمعين اى باجمعهم ولا يترك احد من جنوده
ولا فرد من احزابه الا معه فى النار الموعودة من الجنة والناس
بيان للذى يوسوس على انه نوعان جنى وانسى كما ذكر
آنفا او متعلق بيوسوس اى يوسوس فى صدورهم من جهة
الجنى ومن جهة الانسى من الناس وقد جوز بيانا للناس
على انه يطلق على الجن ايضا حسب اطلاق النفر والرجال
لما روى عن الامام الفراء من ان اسم الناس قد يقع على الجن
فحكى رح ان بعض الفصحاء من العرب صادف قوما من الجن
فوقفوا فقيل لهم من انتم فقالوا نحن اناس من الجن ويؤيده
قوله تعالى فى سورة الجن وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن فسمى الجن رجالا كالانس فعلى هذا الجنة
على نوعين الجن منهم والانس منهم وكلاهما يتعوذان من شرهما
وروى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه قال فى تفسير
هذه الاية العزيزة يدخل الشيطان فى صدور الجنى مثل
ما يدخل فى الانسى فيوسوس فيهما وقال بعضهم فيجوز ان يراد
بالناس الناسى ويجعل سقوط الياء كسقوطها فى قوله تعالى
يوم يدع الداع ثم يبين بالجنة والناس فان كل فرد من افراد
الفريقين مبتلى بنسيان حق الله تعالى فى العباد الا من تداركه
شوافع عصمته وتواسع رحمته فعصمنا الله تعالى من الغفلة
عن ذكره ووفقنا لاداء حقوق شكره ويحتمل ان يعطف
قوله والناس على قوله الوسواس لا على قوله من الجنة فالمعنى
على هذا قل اعوذ من شر الوسواس ومن شر الناس فالتعوذ
من شر الناس كالتعوذ من شر ما خلق وروى عن عايشة

الصديقة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها وعن ابويها وامتها انها
قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اوى الى فراشه
كل ليلة جمع كفيه فنفث فيهما وقرأ قل هو الله احد وقل اعوذ
برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع
من جسده يبدأ بهما رأسه ووجهه وما اقبل من جسده ويصنع
ذلك ثلاث مرات رواه الامام محيي السنة في المعالم وفي الخبر
لما قضي الامر وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
واستقر كل من الفريقين منزله فاجتمع الضعفاء من الكفار
على رؤسائهم من الجبابرة العنيدة فقالوا انا كنا لكم تبعا وخدما
فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء وتخلصوننا منه قال
الامام ابو منصور الماتريدي رح هذا انما نشأ من الحيرة والحماقة
ان يطلبوا منهم وقد رأوهم في العذاب فلو قدروا لدفعوا عن انفسهم
العذاب اولا فانهم كما كانوا احمق واعمى في الدنيا فهم في الاخرة
احمق واعمى واضل سبيلا كأنه كان ذلك متعارفا فيما بينهم
في الدنيا من اعانة الرؤساء اليهم حين استغاثوا والاشبه عندهم
ان يدفعوا بعض العذاب بدليل النص الاخر لقوله تعالى فهل انتم
مغنون عنا نصيبا من النار فقال لهم رؤساؤهم في الجواب
فاظهار عجزهم واعلان بجورهم بان لو هدانا الله لهديناكم
اي لو ارشدنا الى الايمان لدعوناكم الى الايمان ثم اتفقوا
على الصبر مدة طويلة فلم ينتفعوا بدفع العذاب ثم اتفقوا
على الجزع والفزع والبكاء ولم ينتفعوا ايضا مدة طويلة
ثم اجابوا لهم بجواب اليأس والعجز بقولهم اجزعنا ام صبرنا
ما لنا من محيص وخلاص ونجاة وقال الامام مقاتل في تفسيره

هذه الاية

هذه الاية يقولون ذلك الكلمات في نار جهنم فيقولون اولا
تعالوا نجزع ونفزع لعلنا نرحم فيجزعون خمسمأة سنة بحساب
الاخرة فاليوم الواحد فيها عبارة عن الف سنة من الدنيا
لقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
فلا ينفعهم اصلا ولا يرحمون اذ لا يخفف عنهم العذاب ولا هم
ينصرون ثم قالوا تعالوا نصبر فيصبرون خمسمأة سنة على
تلك المحاسبة فلا ينفعهم الصبر ايضا ثم ييأسوا ويقولون سواء
علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقال لهم خزنة النار
فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
وهذا العذاب المخلد بمقابلة شرككم وكفركم وافترائكم على الله
عز وجل جزاء وفاقا انما تجزون بما كنتم تعملون فهو موافق
لنيتكم ومطابق لظواهركم وبواطنكم فالله تعالى منزه
عن ظلمكم وروي عن الحسن البصري رح انه قال اذا دخل اهل
النار فيلومون ابليس حين طرحت امواج شرار النار وهو معهم
فيها يعيرونه ويقولون انت الذي اضللتنا عن طريق الحق وزينتنا
طريق الضلالة وبغضتنا اولياء الله وعلماءهم ومتقيهم
وحببتنا اعداء الله واشقياءه ومجرميه فبسبب اغوائك
بغض العلماء المتقين واضلالك فررنا منهم وبحبك ومن
تبعك من المفسدين المجرمين قربنا اليهم ولا ننفك منهم
فلعنة الله عليك يا عدو الله وعلى انصارك فبئس القرين
انت ومن معك فابتلينا العذاب فشدد الله عذابك وزاد
عقابك فيقوم ابليس مجيبا عن لومهم وشتمهم ودعائهم عليه
باشد العذاب ويصعد على منبر من النار وهو موقد كالحطب

خطيباً بالقول الحق ليزداد حسرتهم وندامتهم فيجتمع الكفار
اطرافه من الثقلين من الجن والانس وعونته والنار يحرقهم
وهم يصطرخون فيها قال الشيطان لما قضي الامر وقطع عن
المحاسبة وفرغ اعلموا ايها الكافرون المعاندون فى حقية
الحق المعاين كالشمس فى وسط النهار وهذه النار فى النار
ان الله تعالى وتبارك وعدكم وعد الحق الذى لا ريب فيه وارسل
اليكم الانبياء بالكتاب والمعجزات الباهرة والسنن الفائقة
الظاهرة والاحكام العلية والاعمال الصالحة الجلية وعلموها
وعلموها وورثوا العلماء المتقين والصلحاء المخلصين فعملوا
بما فى الكتاب وعلموه موروثاً من الانبياء العظام والاولياء الكرام
واوصيكم بالبعث بعد الموت والجزاء والحساب والجنة بالنعم
الابدية والدرجات العلية لمن عمل الاعمال الصالحة ولو ذرة
والعذاب والعقاب والنار والماء الحميم والسلسلة والعذاب
المقيم والدركة الاسفلية فعلمتم كما هو حقه وعرفتم كما هو
خطه فكفرتم واتبعتم اهواء انفسكم ووعدتكم وعد الباطل
موافقاً لكم بانه لا جنة ولا بعث لكم ولا حساب ولا جزاء لكم
مطابقاً لما يدعوا اليه هويكم فاخلفتكم فكلفتكم التكذيب
بعدم الوعد والوعيد فقبلت انفسكم قبل الهامى وابرامى
عليكم وما كان لى عليكم من سلطان ولاية تجبركم ومطرحة
تضربكم على ما اوعدتكم او حجة فيما دعوتكم الا ان دعوتكم
اى لكنى دعوتكم الى ما يلايم نفوسكم ويوافق هواكم فاستجبتم لى
واطعتم معى واحببتم دعوتى طوعاً ومسروراً وبر مغروراً موفوراً
فلا تلومونى بدعوتى وكذبى بعد معاينة الحق والمعجزات واستماع

بلغ

اقوال العلماء

اقوال العلماء والصلحاء كالشمس فى وسط السماء ولوموا انفسكم
الميالة الى الاهواء من انواع المعاصى والضلالة واصناف المعاب
والغواية والناصحون بالحق كثير والموصون بالخير وفير ولا اقدر
ان اقربهم ما داموا فيه ولا استطاع لى ان اغويكم فيهم وهم مصدقون
حق الله وكتبه واحكامها واعمالها فضلا عن وسوستى وانا واحد
وهم كثيرون والوفاق بالاجماع الحق واجب عقلاً وشرعاً
وحق فباى دليل اقتديتم الواحد المكذب وتركتم اهل الاجماع
المصدقين والاتفاق والكتاب فى ايديهم والاعمال والايمان
والاذعان والاتقان لديهم ما انا بمصرخكم ولا ناصركم من عذاب
يوم عسير على الكافرين غير يسير فاقطعوا امنيتكم وما انا
بمغيثكم فاخرجكم من النار وما انتم بمصرخى بكسر الخاء جمع مصرخ
سقطت النون بالاضافة وادغمت ياء الجمع فى ياء المتكلم
اى وما انتم بناصرى ومخرجى من النار فلا اعانة منى اليكم
ولا منكم الى انى كفرت وتبرأت اليوم مما اشركتمونى من قبل وما
اما موصول بمعنى الذى اى كفرت بالذى اشركتمونيه فى العبادة
وهو الله الواحد القهار منزه عنه او مصدرية اى بجعلكم اياى
شريكاً فى عبادة الله حين ابيت السجود لآدم قبل هذا اليوم فليس لكم
عندى اجابة ولا عون اللهم اعنا على ذكرك وشكرك
وعبادتك وطاعتك وعليك توكلنا فى امورنا الدنيوية
والاخروية واحفظنا من شرور انفسنا واعدائنا
واعدائك من الشيطان الرجيم واجعلنا اماما للمتقين
فانك ارحم الراحمين فان ذرة عصمتك كاف لجميع
عصاة المذنبين اللهم ان كان لى ذنوباً فيما بينى

بلغ

وبينك فاغفرلي فانك غفور رحيم ولا رب لي سواك
وان كان لي ذنوبًا بيني وبين خلقك فتحمّله وضمّن لي
واغفرلي واغنني بفضلك فانك واسع المغفرة واليك
المرجع ومنك الاعانة فتب علينا انك انت التواب الرحيم
وصلى الله على رسولنا محمد وسلم وعلى آله واصحابه وذرياته
وازواجه واهل بيته اجمعين

والحمد لله وحده والصلوات المباركات والسلامات
المبادقات على نبيه ورسولنا احمد محمد صلى الله تعالى
عدد معلوماته وسلم الله تعالى عليه مدد كلماته وعلى آله
الطيبين واصحابه الطاهرين وذرياته وازواجه
امهات وعلى اصهاره من الشيخين والحسنين
واشياعهم واتباعهم وعلينا معهم اجمعين

قد اتفق تعليق هذه الموهبة المفصّلة الالهية في التفسير القرآنية
المنطوية على فرائد فوائد ذوي العقول السليمة من خلاصة اكابر
الائمة وصفوة اداء الامة في تحقيق المعاني الخفية وتدقيق
المباني الجلية مع الايجاز الخالي عن الاخلال والتخليص العاري
عن الاطالة والاملال الموسومة بالموهبة المفصلة الالهية
في التفسير القرآنية واسئل الله تبارك وتعالى من فضله ان
يعمّ الانتفاع بها لكل احد من الاصناف الثلثة اذ الوظائف
المندرجة فيها تكفي كفاية العامة وان لا يخلي سعي من التعب
فيه بانتظام الدرر في سلك نمط الغرر من الاجر الموعود في المآب
مادامت تتداول في ايدي اولي الالباب وان يختم لي كل خاتمة امري
اختتام اهل السعادة الاخيار بتطهيري عن دنس الآثام وصفة

العطية السبحانية و

قوله من الاصناف الثلثة اى من الاعلى والاوسط والادنى من العلماء ذوي العقول منه

اهل الشقاوة

اهل الشقاوة الاشرار وبتبليغي على منازل دار السلام بتطهيري
كما قال الله يدعو الى دار السلام في جوار الابرار في دار القرار
من النبيين والصديقين والشهداء من العلماء المخلصين
والمجاهدين الواصلين وحسن اولئك رفيقًا فذلك
الفضل والهداية والعطاء والكرامة من الله العليم العلي
الكريم ذي العطاء والكرم العميم وهو سبحانه تبارك
وتعالى على ما في الصدور عليم من مطالب الجميلة
والدرجات الجليلة والغرف الرفيعة والنظرة الى الجمال
الابدية توفية لوعده الجليل وتنجزة وتبرزة لكرمه
الجميل ومحققًا رجاء عبده الضعيف خاصة من بين
المذنبين النحيف ليكون في العالمين مغفورًا وللامثال
والاحباب مسرورًا اللهم تقبل مني بحرمة رسولك
خاتم الانبياء وحبيبك رسولنا ورسول العالم شفيع
جميع الموجودات والمصنوعات من الاصدقاء والاولياء
واعف عني ما صدر من الزلة والقصور ومن الذلة والكسور
واجعلنا من المستغرقين في ابحر عطايك والمتطهرين
من زلال الطافك ولا تخيبنا عن التملك فيما سئلناك
ولا تجعلنا من المحرومين فيما طلبناك ورجوناك
بحرمة رسولنا وحبيبنا وشفيعنا ورفيقنا وصديقنا
في الدارين ومغيثنا ومعيننا في الكونين انك مجيب
الدعوات ممن يعرض حالاته الغريبة وحاجاته
العديدة ورغباته العجيبة ورهباته المهيبة انك
سميع الدعاء فلا ملجاء الا اليك ولا منجاء ولا مخلص الا لديك

فصلوات الله وسلامه على سيدنا وسندنا ونبينا ورسولنا
محمد المصطفى وفي الدارين المرتضى والمجتبى وعلى آله المختارين
واولاده الممتازين وازواجه امهات المؤمنين واصهاره
وانصاره واصحابه خاصة منهم الشيخان والختنان
وعامة من المؤمنين المعينين من الاعيان الى يوم القيام
ما دام النور في الظلام من المختارين في الدارين والممتازين
في الكونين وصل عليه صلاة عدد
معلوماتك ومداد كلماتك وسلم
تسليما كثيرا وعظمهم
تعظيما وفيرا
اجمعين

فهو عطية سبحانية وهدية الالهية بيد مصنفه
وان كان الخط لغيره على حسب البشرية
فان الانسان محل الخطاء والنسيان
فالكمال ان يعرف قدره الاخوان
ويدعو بالعفو و
الغفران فربنا
الغفور
والرحيم

تبيك مقابله کی مشهور کتاب...

والمراد بالشيخان المرتضيان
ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب
الفاروق والمراد من الختنان
عثمان بن عفان ذو النورين جامع
القرآن وعلي بن ابي طالب
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
وا...
...
...
...
...
في الدارين

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بعين الصدور ابن
عبد ... وكفى ١٢٥